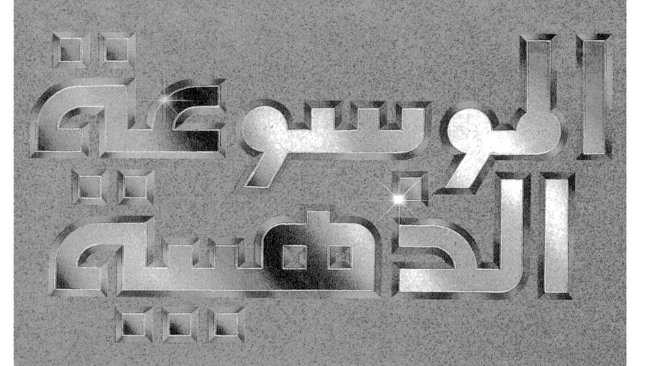
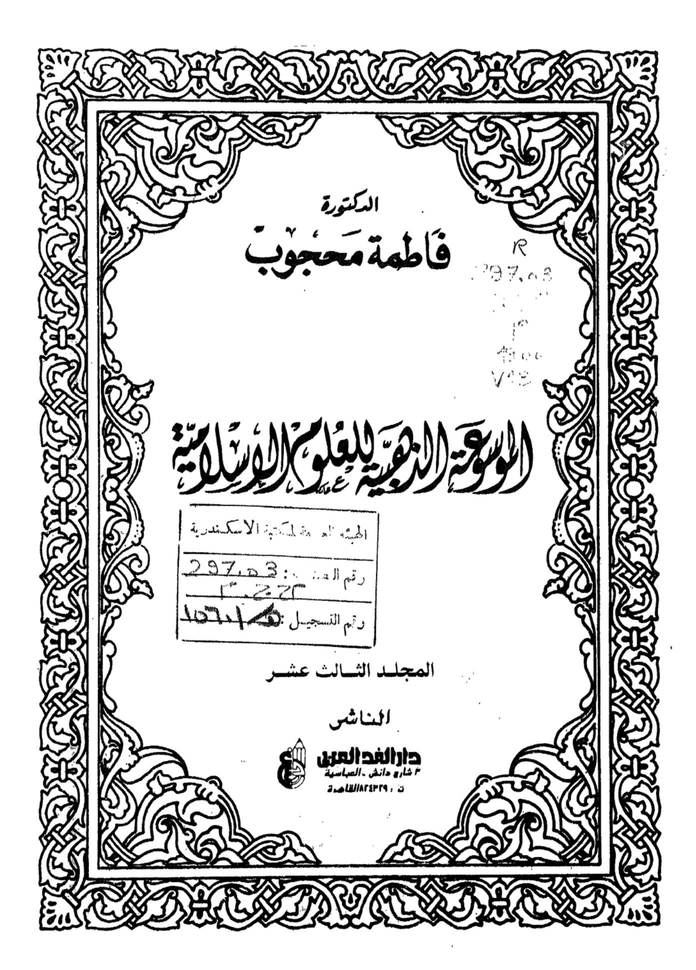
الدكتورة: فاطمة محجوب



للعلوم الإسلامية





الدكتورة

فاطمة محجوب

الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

المجلد الثالث عشر

الناشر

دار الغد العربي
٣ شارع دانش - العباسية
ت : ٨٢٤٣٢٩ القاهرة

الناشـــر



دار الغــد العربى
للطباعة والنشر والتـوزيع

٣ ش دانش ـ العباسية ـ عبده باشا ـ القاهرة
الإدارة: ٢٨٥٦١٢٢ / ٨٢٤٣٢٩ / ٢٨٤٣١١٥
فاكس: ٨٢٤٣٢٩
جمهوريـة مصر العربيـة

الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

تابع حرف الحاء

* **حاشية على تفسير القاضى البيضاوى لقوله تعالى: ﴿ ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها ﴾ [الرعد: ١٥]:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التفسير.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق.

الرقم ٨٥٦٢.

المؤلف: مجهول.

أولها: الحمد لله الذى علّم بالقلم، والصلاة والسلام على سيد العرب والعجم، وعلى آله وأصحابه أولى التقوى والكرم. أما بعد: فقد تذاكر معى بعض ذوى التحقيق عين أرباب النُّهَى فى كلام القاضى البيضاوى على قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعًا وكرهًا ﴾ فراجعت بعض المنقول وكتبت بعض المنقول ورجوت بلوغ المأمول من خير مسؤول.

آخرها: قلت: تصحيحها فى الجمع شاذ لا يقاس عليه بخلافه فى المفرد نحو: عتوا عتوًّا وردأداوا علوًّا، ونما المال نموًّا وسميت سموًّا، فإنه فيه واجب وأولى. فلله الآخرة والأولى تحرير العبد الفقير إلى مولاه العائذ به فى سرّه ونجواه من لا يرجو إلا إياه أحمد بن محمد بن أبى الخير المرحومى الشافعى فى العشر الثامن من الثلث الثالث من العشر السادس من العشر العاشر من هجرة خير البشر.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الحادى عشر الهجرى، كتبت بخط نسخى معتاد فيه بعض الشكل، رؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر، توجد هذه النسخة فى مجموع يضم عددًا كبيرًا من الرسائل معظمها فى التفسير، كتب المجموع بخطوط مختلفة وأزمنة مختلفة، وهو مصاب بالرطوبة فى مواضع متعددة ولكنه لا يزال بحالة حسنة.

ق	م	س
٦ (٢٣٣-٢٣٨)	٢٠×١٥	١٥

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم. التفسير - وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٧٦).

* **حاشية على تفسير القرآن:**

جـ ١:

مخطوط بمكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية بالعراق.

لم يعلم اسم مؤلفها.

أولها: سورة البقرة قوله ﴿ الٓمٓ ﴾ كرر فى أوائل ست سور وزاد فى الأعراف صادا لقوله بعد ﴿ فلا يكن فى صدرك حرج منه ﴾ وفى الرعد راء لقوله بعد ﴿ الله الذى رفع السموات ﴾ ... إلخ.

آخرها: سورة الناس ... وأجيب بأن الناس يوسوسون فى صدور الناس أيضًا بواسطة وسوستهم لهم بمعنى يليق بهم فى الظاهر حتى تصل وسوستهم إلى الصدور.

ناسخها: على بن ناصر الدين المزلى / ٧٨٢هـ.

خطها عادى. كتبت العناوين بالحبر الأحمر.

هذه الحاشية مؤلفة على نمط (وإن قلت) فيجيب على كافة الاعتراضات التى وردت على القرآن. عليها تملك من قبل أحمد بن قاسم العبادى.

و: ٧٣.

س: ٣٣.

م: ٢٨×١٩ ت/ ٣٤٠.

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية - إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٦٤، ٦٥).

* **حاشية على الجزء الثلاثين من تفسير القرآن الكريم:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التفسير.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية.

الرقم: ٤٧٤ - تفسير ٧٨.

المؤلف: مصطفى ابن الحاج حسن الأنطاكى.

أولها: يا من إنعامه عمَّ وإحسانه تمَّ صلِّ على نبيك خير من أمَّ، وعلى آله التابعين له فى كلِّ ما أمَّ، وأصحابه الذين كالنجوم ... وبعد:

فيقـول المفتقـر إلى ربــه ذى المنن مصطفى ابن الحـاج حسن هذه فوايد شريفة تقرع آذان الغفول ... وتعليقات لطيفة تفتح أعيان العقـول بتحريرات أنيقة علقتها علـى تفسير سورة النبإ إلى آخـر سورة التنزيل وأسـرار التأويل، وهو خـاص فى إيضاح معانيه ودلايل إعجازه.

آخرها: قوله: كقوله تعالى: ﴿يوم يدع الداع﴾ فى سقوط الباء اجتـزاء بالكسـرة وقد قرئ بـه قولـه تعالى: ﴿من حيـث أفاض الناس﴾ مرادًا به آدم عليه السلام. فيقول الفقير إلى الله خالق الأفلاك مصطفى ابن الحاج حسن الأنطاكى، لله الحمد حمـدًا من أولاه منه إتمـام هذا التأليف على أحسن الصـور فى عام غانم من هجرة خير البشر عليه الصلاة وعلى الآل.

أوصـاف المخطـوط: نسخـة مـن القـرن الحـادى عشـر الهجرى، كتبت سنة ١٠٩١هـ فقد أشار الناسخ إلى أنه كتبها عام (غـانم) بحساب الجمل ويسـاوى هذا التاريخ المـذكور آنفًا. كتب المخطوط بخط معتاد. أسماء السور ورؤوس الفقر مكتـوبة بـالأحمـر، على الهوامـش بعض التعليقات وأسمـاء الحواشى التى نقل عنها المؤلف.

ق	م	س
٧٤	١٩,٥×١٣	٢١.

ملاحظة: لقـد ذكر الدكتور عزة الحسن فى كتـابه بأن هذا المخطـوط هو حـاشيـة عصـام الدين علـى البيضاوى وعنـد مقارنته مع غيره وجد بأنه غير ذلك وأنه حاشية حسن الأنطاكى كما ورد فى أوله وآخره.

(فهـرس مخطوطـات دار الكتب الظاهـرية. علـوم القرآن الكـريم. التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٧٧، ٢٧٨).

*** حاشية على حاشية اللارى فى بحث « ما أنت قلت »:**

من مخطوطات علم البـلاغة فى مكتبة الأوقاف المـركزية فى السليمانية بالعراق.

المؤلف: مجهول.

أوله: (قوله: أراد بـالخبر الفعلى هاهنا الفعل المنفى ... إلخ).

آخره: (هـذا آخر مـا أردنا إيـراده فى هذا المقـام المنشبه على كثير من الأقوام).

ناسخه: عبد الله.

و: ٣٠.

م: ٢٢×١٦.

س: ١٩. ت/ ١٩٤.

(فهرس مخطوطـات مكتبة الأوقاف المركـزية فى السليمانيـة ـ إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٤٣٤).

*** حاشية على حاشية مير أبو الفتح على أشكال التأسيس:**

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٢٤٤١٠/ ٢.

لحيـدر بن أحمــد الحيـدرى الصفـوى الحسين آبـادى المتوفى سنة ١١٢٩هـ/ ٧٦١.

الأول: (الحمـد لله الـذى هـو مقـدر الأشيـاء بحكمتـه ومصور تصاوير ...).

وهى تـوضيح لحاشيـة مير أبـو [أبى] الفتح الواقعـة على شـرح أشكال التأسيس لقـاضى زاده. قـال المؤلف إنـه وضع هذه الحـاشية بعد أن شاهـد حاشية أبـو [أبى] الفتح سقيمة بحيث لم تكن صـالحـة لتـوجيـه صـواب فـالتفـت إليهـا وأصلحها.

نسخة جيدة عليها حواش بعضهـا لأحمد بن حيدر ناقصة الآخر.

٤٢ص. ٢٠×١٥سم ٢٣س.

هدية العارفين ١/ ٣٤٢.

(مخطوطات الحساب والهندسة والجبر فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ٥١، ٥٢).

*** حاشية على خلاصة الأقوال فى معرفة الرجال:**

من مخطـوطـات التـاريخ والتـراجم والسيـر فى مكتبـة المتحف العراقى.

الرقم ١٤٦٩٥/ ٣.

لزين الـدين بن على بن أحمد العاملى المعروف بـالشهيد الثانى المتوفى سنة ٩٦٦هـ/ ١٥٥٩م.

الأول (الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطـاهرين. ولعنـة الله على أعـدائهم أجمعين إلى يوم الـدين ...) وخـلاصة الأقـوال فى علم الـرجال لابن المطهـر الحلى المتوفى سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م.

نسخة جيدة كتبت فى مدينة النجف سنة ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م عن نسخة كتبها لنفسه الشيخ مساعد بن حسن سنة ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م.

القياس ٤٩ص ٢١×١٧سم ١٨س.

الذريعة ٦/ ٨٢. معجم المؤلفين ٤/ ١٩٣ .

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ١٥٠).

*** حاشية على الدرة الفاخرة:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (بمكتبة الأسد الآن).

الرقم ٩٢٧٦ .

شرح بها رسالة الدرة الفاخرة للجامى فى تحقيق مذهب الصوفية والمتكلمين .

المؤلف: إلياس بن إبراهيم بن داود الكردى الشافعى أحد أساتذة العارف النابلسى المتوفى سنة ١١٣٨هـ/ ١٧٢٦م.

أولها: قوله الحمد لله الذى تجلى بذاته أى علم ذاته بذاته ...

آخرها: فيمكن أن يكون الصادر أولاً بالوجود العينى أكثر من واحد كما ذهب إليه الصوفية الموحدة والله أعلم .

الخط نسخ معتاد، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ملاحظات: نسخة حسنة .

مصادر عن المؤلف: معجم المؤلفين ٢/ ٣١٠ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٠٠، ٤٠١).

*** حاشية على رسالة الحوراء والزوراء:**

مخطوط بمكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية بالعراق .

المؤلف: محمد بن أسعد الصديقى الدوانى الشافعى (جلال الدين) ٨٣٠ - ٩٢٨هـ أو ٩١٨هـ.

أولها: أما بعد الحمد لوليّه والصلاة على نبيّه فإنى لما فرغت من تهذيب الرسالة الموسومة بالزوراء ... إلخ .

آخرها: والله الذى يحق الحق بفضله ويبطل الباطل بقوله لديه الحسنى وإليه المرجع، خطه فارسى، ورقه خفيف عليه آثار الأرضة .

و: ٩١ .

م: ٢٢×١١ .

س: ١٧ .

المصادر: معجم المؤلفين ٩/ ٤٧، وكشف الظنون ١/ ٨٦٢ وفهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة فى بغداد ٢/ ١٥٤ والأعلام للزركلى ٦/ ٢٥٧ وذكر هنا تاريخ الوفاة بـ/ ٩١٨هـ.

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية - إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ١٨٦).

*** حاشية على رسالة العمل بالاسطرلاب:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفلك والتنجيم .

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى .

الرقم ١١٢٢٠/ ٢ .

لأبى الصفا صلاح الدين خليل بن عبد السلام الكاملى الدمشقى المتوفى سنة ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٣م.

الأول (الحمد لله مدبر الأفلاك ومنير الأحلاك ورب الأملاك ...).

وهى حاشية على رسالة العمل فى آلة الاسطرلاب لعلى ابن صادق بن محمد الداغستانى الشمانى المتوفى سنة ١١٩٩هـ/ ١٧٨٥م التى عرَّبها من رسالة بهاء الدين العاملى كما جاء فى الديباجة (معجم المؤلفين ٤/ ١٢١، ٧/ ١٠٨).

القياس ٩٦ص ٢١×١٦سم ١١س.

معجم المؤلفين ٤/ ١٢١ .

(مخطوطات الفلك والتنجيم فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ٥٨).

*** حاشية على تفسير سورة الفاتحة:**

مخطوط بدار الكتب الظاهرية .

الرقم ٨٠٨٨ .

المؤلف: أبو النافع أحمد بن محمد بن إسحاق القازآبادى الرومى المتوفى سنة ١١٦٣هـ.

أولها: الحمد لله الذى كشف ربوب العالمين بأرباب التنزيل، وملأ قلوب العالمين بأسرار التأويل، أنزل على عبده كتابًا لا ريب فيه، تبيانًا لكل دقيق وجليل، فصلوات إليه، وتسلميات عليه، بأنواع التجميل والتبجيل وعلى آله وأصحابه

الكرام إلى يوم التقريب والتنكيل وبعد ... لما كان تفسير الفاتحة للعلاّمة القاضى، الذى اعتنى بشأنه الفضلاء فى الحال والماضى.

آخرها: وقد أطلق القضاء على هذا المعنى كالقدر، يمحو الله ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب فلا حاجة إلى ما قيل من أن المراد هو المقضى على تقدير عدم قراءة صبىٌّ من صبيانهم لأنه لا يساعده السوق ولا يوافقه لذوقه.

هذا آخر ما وفقنى الله تعالى من توضيح تفسير سورة الفاتحة مع انتشار الحال ... تمت تاريخ سنة ١١٨٠هـ.

أوصاف المخطوط: نسخة من أواخر القرن الثانى عشر الهجرى، كتبت بخط فارسى معتاد، وبالمداد الأسود، رؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر، أصيبت النسخة بالرطوبة والأرضة فى جميع أوراقها، وهى بحاجة إلى ترميم. فى آخرها خاتم وقف سليمان كاه بن سليمان بناه تاريخه سنة ١٢١٠هـ.

توجد هذه النسخة فى مجموع يضم حاشية عطا الله على أنوار التنزيل، ودلايل التحقيق لبيان غالب شروط الطريق لمحمد العلمى، ثم شرح الرسالة الولائية، ورسالة فى الفرائض ثم رسالة فى اللام ورسالة فى النحو. كتب المجموع بخطوط مختلفة بعضها فارسى وبعضها نسخى معتاد، فى أول المجموع قيد وقف نقيب السادة الأشراف محد سعيد آل حمزة على المكتبة الظاهرية.

ق	م	س
٣٨(٤١ - ٧٨)	٢٠×١٤	٢١.

المصادر: هدية العارفين: ١/ ١٧٥، بروكلمان: الذيل: ١/ ٧٤١.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم. التفسير - وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٧٠ - ٢٧٢).

* **حاشية على شرح الآجرومية للأزهرى:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى النحو والصرف.

الرقم: ٢٠٤٣.

للشيخ أبى النجا الطندتاعى من علماء القرن الثالث عشر الهجرى أتمها سنة ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م.

أولها (الحمد لله الذى فتح أبواب فيضه).

طبعت معجم ٣٤٨.

كتبها سليمان بن سليمان الأسيوطى سنة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م.

القياس ص ١٨٥. ٢٤×١٧سم . س ٢١.

دار الكتب ٢/ ١٩٣.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى/ ٢٥).

* **حاشية على شرح الأسباب والعلامات:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الطب.

مخطوط بمكتبة المتحف العراقى.

الرقم ١١٤٥٩.

لمحمد بن المبارك القزوينى المدعو بالحكيم شاه الذى كان حيًّا سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م.

الأول: «أسلم أسباب الصحة وسلامة الدنيا وأصح علامات العافية وسعادة العقبى حمد حكيم شرح الصدر بالإسلام ...» وهى حاشية على شرح نفيس بن عوض الكرمانى (كان حيًّا سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٨م) على الأسباب والعلامات لنجيب الدين السمرقندى المتوفى سنة ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م.

وضعه المؤلف فى أيام السلطان أبى المظفر سليم بن بايزيد وفرغ منه سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م.

نسخة جيدة ترقى للقرن الحادى عشر الهجرى/ السابع عشر الميلادى تملكها محمد جوهرى زاده.

كشف ١/ ٧٧ معجم المؤلفين ١١/ ١٥١ (ذكر أن المؤلف من رجال القرن التاسع الهجرى).

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى/ ٨٨).

* **حاشية على شرح أشكال التأسيس:**

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٢٩٧٣٥/ ٢.

لمير أبى الفتح محمد هادى بن أمين بن أبى سعيد الحسنى الاردبيلى العراقى المدعو بتاج الدين السعيدى الذى كان حيًّا سنة ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م وقيل فى كشف الظنون إنه توفى سنة ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م !!.

عالم مشارك تتلمذ على قاضى زاده الرومى المتوفى سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م له تآليف فى آداب البحث والمناظرة والرياضيات. من كتبه شرح آداب الفاضل، حاشية على شرح التبريزى. لم تعلم سنة وفاته.

الأول (الحمد لله مقدر مقادير الأشياء بحكمته ومصور تصاوير الأشكال بقدرته ... أما بعد فيقول أبو الفتح محمد الهادى تاج الدين السعيدى هذه الحواشى محررة على شرح الأشكال عديم المثال لأستاذى وأستاذ الأمة وملاذ الأئمة ...) وهو حاشية على شرح قاضى زاده الرومى على أشكال التأسيس والمؤلف كان تلميذا له.

نسخة جيدة كتبها إبراهيم بن عبد الكريم بن أحمد سنة ١٠٩٥هـ/ ١٦٨٣م فى قصبة بروزة.

٢٤ ص ٢٠×١٤,٥سم ٢١س.

معجم المؤلفين ٩/ ٧٣، هدية العارفين ٢/ ٢٠٧. كشف الظنون ١/ ١٠٥.

(مخطوطات الحساب والهندسة والجبر فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ٥١).

*** حاشية على شرح الألفية لابن مالك:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى النحو والصرف.

الرقم ٢٧٨٤.

لمحمد صالح بن إبراهيم بن حسين الإحسائى الشهير بالحكيم المتوفى سنة ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م.

فرغ منها سنة ١٠٣٧هـ/ ١٦٦٢م.

أولها: (نحمدك يا من رفع من انخفض لعز جنابه) وهى حاشية على الشرح الموسوم بالبهجة المرضية فى شرح الألفية للسيوطى.

كتبت سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م.

القياس ص ٥٦٦ ٢٤×١٧سم س ٢١.

مساجد بغداد للآلوسى ص (٢٧).

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى/ ٢٥، ٢٦).

انظر: البهجة المرضية فى شرح الألفية م٧/ ٥٦٨، ٥٦٩.

*** حاشية على شرح أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى النحو والصرف.

الرقم ٤٥١.

للشيخ ياسين بن زين الدين بن أبى بكر بن محمد العليمى الحمصى المتوفى سنة ١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م والشرح لخالد الأزهرى الجرجاوى المتوفى سنة ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م والذى سماه بالتصريح.

أولها (الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ومولانا).

كتبها على البدراوى الأزهرى بقلم معتاد سنة ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م.

القياس ص ٤٦٠. ٢١×١٤سم. س ٢٤.

طبعت معجم ١٩٤٦.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى/ ٢٦).

*** حاشية على شرح التجريد:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم العقائد.

مخطوط فى مكتبة متحف « مولانا » فى قونيا.

للسيد على بن محمد بن على الجرجانى المتوفى سنة ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م.

انظر معجم المؤلفين ٧/ ٢١٦، وبركلمان ٢/ ٢١٦، ٢١٧، وذيله ٢/ ٣٠٥، ٣٠٦.

لم يوقف على اسم كاتبها ولا مكان أو تاريخ الكتابة. إلا أن مؤلف الفهرست يعزو كتابة المخطوط إلى القرن التاسع الهجرى وأوائل القرن العاشر. مكتوب بخط النسخ. وذكر فى المجموعة أنه (أى المؤلف) ولد فى جرجان سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م وتوفى فى شيراز سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م. وهذا خلاف لكشف الظنون الذى ذكر أن وفاته سنة ٨١٠هـ (انظر كشف الظنون ١/ ٣٤٦، ٣٤٧.

أوّله بعد البسملة: ربِّ أعِنّى على الإتمام أما بعد حمد واجب الوجود، خص بالذكر من صفاته العلوى...

آخره: ... الحمد لله على وصول الكلام إلى هذا التام فى

التوفيق الإتمام والصلاة على سيدنا محمد أفضل الأنام وعلى أصحابه وأتباعه الكرام والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

مقياس المجلد: ١٨ × ١٣ .

مقياس الكتابة: ١٤ × ١٠ .

عدد الأوراق: ٢٠٤ .

عدد الأسطر: ٢١ .

رقمه فى الخزانة: ١٢٤٠ .

رقم المجلد: ١٤٢ .

(المخطوطات العربية فى مكتبة متحف « مولانا » فى قونيا . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٥/ ١١٢، ١١٣) .

*** حاشية على شرح التصريف العزى:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى النحو والصرف.

الرقم ٣٣٠٨ .

ليوسف جان بن أبى بكر، المعروف بالبير خضرى .

أولها (الحمد لله الذى زين جميع الأشياء بوجود النبى) .

الرقم ٣٣٠٨. القياس ص ١٠٢ . ٥, ٢٠×١٤سم س١٨ .

نسخة أخرى:

الرقم ٣٥٢٦ .

القياس ٧٨. ٢٢×١٥سم س ١٨ .

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى/ ٢٦).

*** حاشية على شرح الجامى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى النحو والصرف.

المؤلف: عبد الغفور اللارى محمد بن صلاح المتوفى سنة/ ٩٧٩هـ.

أوله: (قوله الحمد مصدر المعلوم واللام للجنس أو الاستغراق أى كل حمد من الأزل إلى الأبد ... إلخ) .

آخره: (أو أن وجه البناء فى ذى الراء قصد الإمالة إذ هى أمر مستحسن والتصحيح للأكثر كسر الراء وهى [وهو] لا يحصل إلا بتقدير البناء لأنه إذا أُعرب بمنع الصرف فلم تكسر؟ والحمد لله على الإتمام) .

ناسخه: مجهول نسخ / ١٢٤٩هـ. فى أوله تملكات من قِبَل مجموعة من العلماء وأختام ممسوحة فى آخره تملك من قِبَل أحمد بن سليمان باشا والى السليمانية .

خطه فارسى جميل ورقه خفيف. جلده مزخرف زخرفة فنية .

و : ١٢٦ .

م : ١٩ × ١٢ .

س : ١٨ . ت/ ١٢٥ .

المصادر: معجم المؤلفين ٥/ ٢٦٩ وكشف الظنون ٢/ ١٣٧٢ وهدية العارفين ٥/ ٥٨٨ .

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية - إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٤١٤) .

*** حاشية على شرح الخبيصى على كافية ابن الحاجب:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى النحو والصرف.

الرقم ٢٤٥٣ .

لم يعلم اسم المؤلف.

أولها (الحمد لله مزين السماء بالكواكب فى أطراف الظلام) .

كتبها يعقوب الحسينى .

القياس ص ٨٠ ٢٢×١٦سم س ١٧ .

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى/ ٢٦) .

*** حاشية على شرح خواجه على السمرقندى للرسالة العضدية (فى علم الوضع):**

مخطوط بالمجمع العلمى العراقى .

المؤلِّف: محضر باشى زاده .

أولها: « البسملة ... ، الحمد لله الذى أوصلنا من جزيل نواله العميم ما لا تصفه الألسن، ... وبعدُ: فيقول العبد المفتقر إلى لطف ربِّه الخفى نور الدين على بن عبد الله

الموصلي الحنفي، الشهير بمحضر باشي زاده... لما رأيتُ الشرح المنسوب إلى الإمام العلّامة ... مولانا خواجه على السمرقندي ... مع اختصاره وصغر حجمه، جامعًا لنكات دقيقة، ومحتويًا على قواعد وثيقة، ومع ذلك لم يقع عليه حواش تبيّن خفاياه، وتظهر سرّ مكنوناته من زواياه، فأردتُ أن أعلق عليه ما يكشف عنه الأكمام، ... دافعًا بعض ما أورده عليه أفضل المتأخرين، عصام الملّة والدين، متجنبًا فيه عن التعصّب والعناد... ونبهتُ على بعض ما وقع في حواشيه من الخلل الناشيء عن سوء التأمُّل ... ».

آخرها: « ... تم الحمد لله على الإتمام، وعلى نبيِّه أفضل الصلاة والسلام، وعلى آله الكرام، أهل الصفا والمشعر الحرام. آمين».

نسخة مصوَّرة بالفتستات عن نسخة خطيّة في خزانة كُتب مدرسة يحيى باشا الجليلي بالموصل (أرقامها : التصنيف ٤١٠ ـ م ح ح، القيد ٩٢، خ ٤ ـ ب).

بخط اعتيادي وعلى بعض الحواشي تعليقات وفوائد مختلفة.

٧٤ق، ١٩ س.

(١٧/ لغة).

(مخطوطات المجمع العلمي العراقي ـ ميخائيل عواد ١/ ١٤٩، ١٥٠).

* **حاشية على شرح ديباجة المصباح:**

OP.2815.

من مصنفات التراث الإسلامي في علم النحو.

مخطوط في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا .

قال واضع الفهرس د. عدنان درويش :

تأليف: يعقوب بن سيد على البروسوي المتوفى سنة : ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م.

وضعها على شرح ديباجة كتاب المصباح في النحو، وقد وضع هذا الشرح الذي حشى عليه البروسوي رجل من الفضلاء لم نهتد إلى اسمه، ولم يذكره صاحب الكشف واكتفى عند حديثه على شروح المصباح بقوله : « وشرح ديباجته رجل من الفضلاء».

أولها بعد البسملة : « الحمد لله الذي الذي أعرب تركيبات الكائنات من مزج كاف ونون ... ».

آخرها: « ... لا بالعقل لأن العقل يجوز أن يكون شيئًا آخر غير الخامس ».

النسخة تامة خطها فارسي ولم يذكر اسم الناسخ أو تاريخ النسخ.

(١١٣)ق القطع المتوسط مسطرتها (١٥س).

الكشف ٢/ ٤١٩. ذيل بروكلمان ١/ ٥١٤. الشقائق النعمانية: ١/ ٣٥٥.

وتوجد منها ست نسخ أخرى بيانها كما يلي، وقد احتفظنا بأرقامها التسلسلية للتمييز بينها:

٩٦ ـ نسخة منها : OP.602.

تامة بحالة قريبة من الرداءة خطها فارسي ولم يذكر اسم الناسخ أو التاريخ.

(٩٨)ق القطع المتوسط مسطرتها (١٩س).

٩٧ - نسخة أخرى : OP.1759.

تامة حسنة تمت كتابتها سنة ٩٤٠هـ خطها نسخ فارسي ولم يذكر ناسخها.

(٦٠)ق القطع المتوسط مسطرتها (٢١س).

٩٨ - نسخة أخرى (مج) OP.683.

ذهب منها مقدمة الكتاب خطها تعليق دقيق الحروف كتبت في زمن متأخر سنة ١١٢٣هـ ولم يذكر اسم الناسخ.

(٥٧)ق القطع المتوسط. المسطرة (١٩س).

٩٩ - نسخة أخرى OP.68.

تامة حديثة رديئة خطها فارسي ولم يذكر تاريخها أو ناسخها.

(٨٧) ق القطع المتوسط مسطرتها (١٧س).

١٠٠ - نسخة أخرى OP.473.

تامة رديئة خطها فارسي رديء جدًا ولم يذكر اسم الناسخ أو التاريخ.

(١١٥) ق القطع المتوسط مسطرتها (١٩ س).

١٠١ - نسخة أخرى (مج) OP.1650.

مخرومة من آخرها ذهب بالخرم بضع أوراق خطها تعليق معتاد.

الباقي منها: (٩٦) ق القطع الصغير جدًا مسطرتها (١١س).

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢/ ١٠٤، ١٠٥).

* **حاشية على شرح رسالة الاستعارات:**

من مخطوطات الخزانة العمرية في علم البلاغة.

الرقم ١٨٢٤٩/ ٢.

الأول (الحمد لله الذي خلق الإنسان علمه البيان وجعله ذريعة إلى معرفة دقائق القرآن ...).

والشرح لعصام الدين إبراهيم الإسفرائيني المتوفى سنة ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م على رسالة الاستعارات لأبي القاسم السمرقندي من رجال النصف الثاني من القرن التاسع الهجري النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي.

نسخة كتبت بالمدادين الأسود والأحمر وتقع من مجموع تملكه حبيب بن عبد الله العيدروسي البدري ومحمد فهمي العمري.

(مخطوطات الخزانة العمرية في مكتبة المتحف العراقي ـ بغداد. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٦/ ٣٤).

* **حاشية على شرح الرسالة السمرقندية:**

(مج) OP. 1091.

مخطوطات العلوم البلاغية في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا.

تأليف: علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن عربشاه الإسفرائيني حفيد العصام، توفي سنة ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٩م.

حشى فيها المؤلف على الشرح الذي وضعه جده عصام الدين على الرسالة المسماة (بالفريدة) والمشهورة (بالرسالة السمرقندية) في أنواع الاستعارات من الفنون البيانية.

أولها بعد البسملة: « أحمدك حمد مسترشد ... ».

النسخة تامة بحالة حسنة، خطها تعليق معتاد ولم يذكر تاريخ الفراغ من النسخ أو اسم الناسخ.

(٤٠)ق القطع المتوسط مسطرتها (١٩س).

الكشف ١/ ٥٤٠. ذيل بروكلمان ٢/ ٢٥٩.

نسخة منها: OP.2998.

سقط من أولها ورقة ضاع بها عنوان الكتاب، خطها نسخ معتاد، ولم يذكر اسم الناسخ أو تاريخ النسخ.

(٩٠)ق القطع الصغير مسطرتها (١٣س).

نسخة أخرى (مج) OP.1845.

تامة رديئة خطها نستعليق رديء ولم يذكر تاريخ الفراغ من نسخها أو اسم الناسخ.

(٤٢) ق القطع المتوسط مسطرتها (٢١س).

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢/ ١٩٤).

* **حاشية على شرح الرسالة السمرقندية:**

من مخطوطات علوم البلاغة في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا (مج) OP. 216.

تأليف: منلا حسن بن محمد الكردي الزيباري: ؟؟.

قال محقق المخطوط: لم نهتد إلى التعريف بالمؤلف، وقد جعل من كتابه هذا حاشية على الشرح الذي ألفه العصام الاسفرائيني على (الرسالة السمرقندية) لأبي القاسم الليثي السمرقندي في الاستعارة.

النسخة تامة كتبها عبد الكريم بن عبد الباقي ناسخ المجموع الذي ضمت فيه هذه الحاشية وخطه نسخ معتاد ولم يؤرخ لفراغه من كتابتها.

(٣٤)ق القطع المتوسط مسطرتها (١٩) س.

بروكلمان ٢/ ٢٥٩. ذيل بروكلمان ٢/ ١٩٤.

- نسخة منها (مج) OP. 1252.

تامة كتبت بخط فارسي ولم يذكر اسم الناسخ أو تاريخ النسخ.

(٣٧)ق القطع المتوسط مسطرتها (٢١ س).

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا ـ وضعه ـ د. عدنان درويش ٢/ ١٩٥)

* **حاشية على شرح الرسالة السمرقندية:**

OP.2632.

من مخطوطات العلوم البلاغية في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا.

مجهولة المؤلف :

وضعها المؤلف على شرح (الرسالة السمرقندية) للعصام الإسفرائينى وقال فى مقدمتها : « ... أما بعد فهذه حواش على الشرح المنسوب إلى ... عصام الدين إبراهيم ... على رسالة الاستعارة للمولى ... أبى القاسم الليثى السمرقندى ... » .

أولها بعد البسملة : « الحمد لله الذى خلق الإنسان وعلمه البيان ... » .

آخرها وخاتمتها : « ... قال صاحب التلخيص : القرينة قد تكون واحدة وقد تكون متعددة والحمد لوليه عَلى الإتمام ... وقد وقع الفراغ من تسويد هذه النسخة على يد إسماعيل ابن على بن محمد الغيبى الأورنوسى فى اليوم التاسع والعشرين من جمادى الأولى لسنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف» .

النسخة تامة كتبها ناسخها الأورنوسى بخط فارسى منمق حسن .

(٥٧)ق　(٢١ × ١٣سم)　مسطرتها (١٧س) .

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ د. وضعه د. عدنان درويش ٢/ ١٩٥، ١٩٦).

*** حاشية على شرح الطوالع للأصفهانى:**

مخطوط بمكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية بالعراق .

الأصل طوالع الأنوار لعبد الله بن عمر البيضاوى المتوفى ٦٨٥هـ ثم شرحه شمس الدين محمود بن عبد الرحمن الأصفهانى المتوفى سنة ٧٤٩هـ وسماه مطالع الأنظار ثم كتب نظام الدين يحيى السيرامى هذه الحاشية .

انظر كشف الظنون ٢/ ١١١٦ ، ١١١٧ .

المؤلف : نظام الدين يحيى السيرامى الحنفى .

أولها : « الحمد لواجب الوجود مفيض الخير والجود رازق الدود فى الحجر الجلمود ... إلخ) .

آخرها : (والبعض لبعضهم على بعض ضمن التعصب معنى التفضيل) .

ناسخها : سالم البقرى الشافعى / ٩٩٥هـ من خط جامع الحواشى على خط المصنف . خطها نسخى ورقها ترمة ثخين متآكلة الأطراف وفى آخرها بحث موجز للعلماء اليونانيين لحياتهم ومماتهم .

و : ١٢٢ .

م : ٢١ × ١٥ .

س : ٢١ .　　ت/ مجاميع / ١١٩ ـ ١٢٠ .

(فهرس مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ١٨٧).

*** حاشية على شرح عصام على رسالة الاستعارات للسمرقندى:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى علم البلاغة .

يوجد بهذا العنوان أربعة مخطوطات نرتبها فيما يلى وفقًا للحروف الهجائية لأسماء المؤلفين :

(١) لأحمد بن حيدر بن أحمد الكردى الحسين آبادى .

الرقم ٢١٨٥ .

أولها (الحمد لله الذى ألهمنا دقائق المعانى وحقائق البيان وأكرمنا بوثايق المبانى ورشايق التبيان فأرشدنا بهما إلى معرفة إعجاز القرآن) .

كتبها مُلاَّ محمد إمام سنة ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م .

القياس ص ٦٦　٢٢ × ١٥,٥سم　س ٢١ .

مخطوطات الأنكرلى ٦٦ .

ويوجد نسخة من هذا المخطوط فى المجمع العلمى العراقى، وقد أدرجت فى الفهرس بعنوان « حاشية على شرح العصام لرسالة الاستعارة للسمرقندى، وجاء بيانها كما يلى :

المؤلِّف : أحمد بن حيدر الكردى الحسين آبادى .

(كان حيًّا بعد سنة ١١٣٤هـ/ بعد ١٧٢١م) .

أوّلها : « البسملة ... الحمد لله الذى ألهمنا دقائق المعانى وحقائق البيان ... أما بعد : فيقول أقل الخلق إلى الله الهادى، أحمد بن حيدر الحسينى آبادى . لمّا كان الشرح المنسوب إلى الفاضل الربّانى والكامل الوحدانى، عصام الملّة والدين إبراهيم بن محمد بن عربشاه الإسفرانى، الواقع على الرسالة المصنّفة فى الاستعارة، للمولى المحقِّق والحبر المدقّق مولانا أبى القاسم السمرقندى، مع وجاهته، ورشاقة نظمه، مشتملاً على فرائد لطيفة محتجبة تحت الأستار، ... أردتُ أن أُعلّق عليها تعليقات تكشف عن وجوه فرائده اللثام، ... وها أنا أشرح ... » .

آخرها: «... قد تم كتابنا، ونرجو من الله تعالى أن يجعل خاتمتنا مع إضاءة القلب. الحمد لله على التمام وعلى نبيِّه أكمل تحيّة وأفضل السلام فى سنة ١٢٠٩».

وفى الهامش:

«تمَّ تحرير هذه الحاشية الشريفة فى سنة ألف ومائتين وتسعة [كذا]. فى يوم السبت فى أواسط شهر صفر الخير، على يد الفقير المحتاج إلى رحمة الله ذى المنن ياسين بن ملاّ حسين. غفر الله له ولوالديه وأحسن إليهما آمين بالنبى الأمين».

نسخة مصوَّرة بالفتستات عن نسخة خطيَّة فى خزانة كتب مدرسة يحيى باشا الجليلى بالموصل. بخطِّ النسخ. وعلى بعض الحواشى تعليقات مختلفة.

٣٦ ق، ١٧س.

(١٨/ لغة).

من هذه «الحاشية» نسخة خطية فى خزانة:

مدرسة الحجيات بالموصل: («مخطوطات الموصل» ص ١١٦، الرقم ٢٤٠).

مدرسة جامع النبى شيت بالموصل: («مخطوطات الموصل» ص ٢٢٤، الرقم ٢١٩).

مدرسة يحيى باشا الجليلى بالموصل: («مخطوطات الموصل» ص ٢٤٢، الرقم ٢٨٦).

المدرسة القادرية ببغداد. ضمن مجموعة. كتبها عبد السلام الشوّاف سنة ١٢٥٦هـ. وصفها: د. عماد عبد السلام رؤوف: «الآثار الخطية فى المكتبة القادرية» ٣: ٣٣٩-٣٤٠، ضمن مجموعة: تسلسل ١٠٤٩/ ٣).

دار التربية الإسلامية ببغداد. كتبت سنة ١٢٦٠هـ، راجع: (د. عماد عبد السلام رؤوف: «الآثار الخطية فى دار التربية الإسلامية ببغداد»: القسم الثانى: «المورد» ٦ [بغداد ١٩٧٧] ع ٢، ص ٢٨٦، الرقم ٤٠) (مخطوطات المجمع العلمى العراقى ١/ ١٥٠، ١٥١).

(٢) لحسن محمد الزيبارى.

الرقم ٤٠٧.

أولها (الحمد لله الذى خلق الإنسان وعلَّمه البيان).

كتبها يوسف بن إسحاق سنة ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٦م.

طبعت مع شرح العصام على الفريدة بالآستانة معجم ١٣٣١ دار الكتب ٢/ ١٨٩.

القياس ص ٣٧. ٢١,٥ × ١٥سم س ١٣.

نسخة أخرى.

كتبها سعيد بن مُلاَّ أحمد سنة ١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م.

الرقم ٣٦٦٤ القياس ص ١٠٨ ٢٢ × ١٦,٥سم س ١٣.

نسخة أخرى.

كتبها على بن أحمد سنة ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م.

الرقم ٣٩٢٢ القياس ص ٤٤ ٢١ × ١٥سم س ١٧.

(٣) للشيخ محمد شيرانشى (شيرانسى).

الرقم ٢١٨٥.

أولها (قوله إلى ألطاف ربه الخفية الألطاف جمع ...).

كتبها مُلاَّ محمد إمام سنة ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م.

القياس ص ٤٢ ٢٢ × ١٥,٥سم س ٢١.

كشاف ١٩٧، دار الكتب ٢/ ١٩٠.

(٤) لعبد الله بن حيدر الحيدرى.

الرقم ٢١٨٥.

أولها (يقول العبد ليلتفت إلى ما فى التعبير عن نفسه بالغايب المظر [كذا] من الالتفات).

كتبها مُلاَّ محمد إمام سنة ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م.

القياس ٣٥ ٢٢ × ١٥,٥سم س ٢١.

مخطوطات الأنكرلى ٢٤٤.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى/ ١١٨، ١١٩، ومخطوطات المجمع العلمى العراقى - ميخائيل عواد، ١/ ١٥٠، ١٥١).

*** حواش على شرح عصام الدين للرسالة الوضعية:**

(مج) OP.1599.

من مخطوطات علم الوضع فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا.

لم يذكر اسم المؤلف.

حواش وضعها المُحَشِّى على بعض مسائل وضعية من شرح عصام الدين للرسالة العضدية فى علم الوضع، ويبدو أنها وضعت من قبل مدرس لتيسير بعض جوانب هذا العلم للمبتدئين.

النسخة رديئة خطها فارسى ردىء ولم يؤرخ للفراغ من نسخها.

(١٠) ق القطع المتوسط مسطرتها (١٧ س).

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢/ ١١).

*** حاشية على شرح العقائد النسفية:**

من مخطوطات الخزانة العمرية فى علم العقائد.

الرقم ١٨٢٥٤.

لابن أبى الشريف القدسى المتوفى سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م من تلامذة ابن الهمام محمد بن عبد الواحد الذى توفى سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٧م.

الأول (الحمد لمستأهله والصلاة على سيد رسله ...).

والشرح لسعد الدين التفتازانى المتوفى سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م على العقائد النسفية لنجم الدين أبى حفص النسفى المتوفى سنة ٥٣٧هـ/ ١١٤٢م.

كتبت بخط النسخ عليها حواشٍ وشروح وترقى للقرن الحادى عشر الهجرى القرن السابع عشر الميلادى أكملت الصفحات الأخيرة بخط حديث.

(مخطوطات الخزانة العمرية فى مكتبة المتحف العراقى ــ بغداد. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ٦/ ٣٥).

*** حاشية على شرح العوامل المائة فى النحو:**

OP. 1549.

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم النحو.

مخطوط فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا.

قال واضع الفهرس:

لم نقف على اسم المؤلف، فقد خرمت النسخة من أولها فذهب بالخرم بضع ورقات.

والكتاب يشتمل على حواش موضوعة على شرح لكتاب (العوامل المائة) فى النحو للجرجانى، ولم نهتد إلى اسم الشرح المحشى عليه.

كتبت النسخة بخط فارسى، ولم يذكر تاريخ الفراغ من نسخها كما لم يذكر اسم الناسخ.

(٤٣٩)ق القطع المتوسط مسطرتها (١٩ س).

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢/ ١٠٥).

*** حاشية على شرح الفوائد الحسينية:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الفلك والتنجيم.

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٧٨٢٣.

لمحمد طيب بن ملا أحمد العائم الدوشيوانى.

الأول (الحمد لله الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ... أما بعد هذه عجالة أجريتها مجرى الشرح للفوائد الحسينية ...).

رتبها المؤلف على مقالتين كل مقالة تشمل على أبواب وخاتمة.

المقالة الأولى: فى صفيحة المقنطرات المسمات [المسماة] بالربع المقنطر وتشمل على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة.

المقالة الثانية: (لم يذكر الناسخ عدد أبوابها ومضمونها).

نسخة حديثة عليها بعض التعليقات والحواشى. ناقصة الآخر وقد أرفق مع هذه النسخة مثلث جيبى من المعدن عمله كارى أحمد محمد سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٣م.

القياس ٣٨ ص ٢٠ × ١٣سم ١٨ س.

(مخطوطات الفلك والتنجيم فى مكتبة المتحف العراقى ــ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ٥٩).

*** حاشية على شرح أبى القاسم الليثى السمرقندى للرسالة العضدية:**

أحد مخطوطات المجمع العلمى العراقى فى علم الوضع.

المؤلِّف: يوسف بن علي الصَّالاري.

أولها: « البسملة ... الحمد لله عظيم الشأن، ملهم الإنسان أوضاع اللسان، ... أما بعد: فيقول المفتقر إلى الملك ... ، يوسف بن علي الصالاري، هذه تعليقات تضاهي الفرائد، شرح الإمام الهادي المهدي مولانا خواجه [أبي القاسم] السمرقندي، أردتُ بها كشف النقاب لتنجلي لدى الأحباب، وتقرّ بها عيون الطلاّب، ورشحتها باسم من كنتُ بحضرته وتنعمه بلطافة صحبته، حاوي الفضائل والمناقب سمي بن أبي طالب، ذي الفضل الجزيل سلالة نسل عبد الجليل ... ».

آخرها: « تمت الحاشية الواقعة على شرح الرسالة العضدية. بعون الله تعالى سنة ١٢٠٩ على يد الفقير ياسين».

نسخة مصوَّرة بالفتستات عن نسخة خطيَّة في خزانة كتب مدرسة يحيى باشا الجليلي بالموصل (أرقامها: التصنيف ٤١١ ـ ص ١ ح، القيد ٢٠٦، خ ٤/ ب).

٢٥ ق، ١٧ س.

(١٦/ لغة).

(مخطوطات المجمع العلمي العراقي ـ ميخائيل عواد ١/ ١٤٨، ١٤٩).

* **حاشية على شرح قاضي زاده الرومي:**

حاشية على شرح القاضي زاده الرومي (موسى بن محمد المتوفى سنة ٨١٥).

على أشكال التأسيس لشمس الدين السمرقندي.

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية.

تأليف أبي الفتح محمد بن الهادي أبي نصر بن أبي سعيد الحسيني العراقي المدعو بتاج السعيدي المتوفى سنة ٩٥٠ (كشف الظنون ١/ ١٠٥).

أولها: الحمد لله المقدر مقادير الأشياء بحكمته ومصور تصاوير الأشكال بقدرته ... إلخ.

وآخرها: ونتمم الكلام قائلين الحمد لله ذي الجلال والإكرام على الإتمام والصلاة على رسوله محمد والسلام، ثم المأمول هو الإصلاح من أهل الصلاح إذا وقع زلل في التحرير أو خلل في التقرير ...

نسخة بقلم معتاد من مخطوطات القرن الثاني عشر تقريبًا. في ٢٢ لوحة ومسطرتها ٢٣ سطرا. ١٠ × ١٥ سم.

[دار الكتب المصرية ٢٦ رياضة ـ ف ١٠٣٥].

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ٣ العلوم ق٣ الرياضيات ـ وضع فؤاد سيد. القاهرة ١٩٦٠/ ٤١، ٤٢).

* **حاشية على شرح القطر للفاكهي:**

من مصنفات التراث الإسلامي في النحو والصرف.

مخطوط في مكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية بالعراق.

المؤلِّف: ياسين بن زين الدين بن أبي بكر بن محمد بن عليم الحمصي الشافعي الشهير بالعليمي ـ المتوفى / ١٠٦١هـ.

أوله: (اللهم بك استعنت وعليك توكلت الحمد لله الذي لا يخيب من نجاه الفاعل لما يشاء فلا راد لمفعول قضاه ... إلخ).

آخره: (قوله لئلا يلتبس أو علة لترك مقتضى القياس مع المفتوحة وليكن هذا آخر مادة مما أردنا جمعه في هذه الحواشي).

ناسخه: مجهول. نسخ/ ١١٠٥هـ.

خطه نسخ جميل ورقه خفيف أملس في أوله ترجمة كاملة للمؤلف مأخوذة من كتاب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. عليه تملكات عديدة ترجع إلى / ١١٢٨هـ.

و: ٢٤٣.

م: ٢٤ × ١٧.

س: ٣١. ت/ ١٣٢.

المصادر: معجم المؤلفين ١٣/ ١٧٧، والأعلام للزركلي ٩/ ١٥٥.

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية في السليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٤١٥).

* **حاشية على شرح قطر النَّدا وبلّ الصَّدا:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقي في النحو والصرف.

الرقم ٣٣٤٢.

لأبى الخير زين الدين عبد الرحمن بن الشيخ عبد الله بن مرعى بن ناصر الدين السويدى المتوفى سنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م - والشرح لعبد الملك جمال الدين بن عصام الدين الإسفرائينى.

أولها: (الحمد لله المفيض سجال جوده على من انخفض لجلاله).

القياس ص ٢٩١ ٢١×١٤سم س ٢٣.

المسك الأذفر ص ٦٦.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى/ ٢٦).

*** حاشية على شرح الكافية لابن الحاجب:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى النحو والصرف.

الرقم ٧٩٩.

لأبى المفاخر شهاب الدين عمر الدلتا بادى الهندى.

أولها (نحمد الله نحو آلائه الوافية).

كتبت سنة ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م.

القياس ص ٣٧٠ ١٨ × ١٢,٥سم س ١٥.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى/ ٢٧).

*** حاشية على شرح المطول:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى علم البلاغة.

الرقم ٣٤٦٨.

للمولى حسن بن محمد شاه الفنارى المعروف بحسن جلبى المتوفى سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م.

أولها (الحمد لله الذى ألهمنا حقائق المعانى ودقائق البيان).

كتبت سنة ١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م.

القياس ص ٥٩٢ ٢٤,٥ × ١٥سم س ٢٤.

طبعت معجم ٨٥٨ كشف ١/ ٤٧٥.

نسخة أخرى.

الرقم ٤٨١ القياس ص ٤١٦ ٢١ × ١٥,٥سم س ٢٦.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى/ ١٢٠).

*** حاشية على شرح الملخص فى الهيئة:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الفلك.

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٩٦٧١.

لعبد العلى بن محمد بن حسين البرجندى المتوفى سنة ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦. فقيه، أصولى، حاسب، من آثاره: شرح مختصر المنار فى أصول الفقه، شرح آداب عضد الدين، شرح التذكرة النصيرية فى الهيئة، شرح الفوائد البهائية فى الحساب، وشرح النقاية مختصر الوقاية. (معجم المؤلفين ٥/ ٢٦٦).

الأول (الحمد لله رب المشارق والمغارب مزين السماء بزينة الكواكب والثواقب ... أما بعد فهذه تعليقات على المواضع المشكلة ... من شرح الجغمينى ...).

وهى حاشية على شرح قاضى زاده الرومى الذى كان حيًّا سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م.

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ سنة ٩٧٢هـ/ ١٥٦٤م على يد إسحاق بن قاسم الطبسى.

القياس ٣٩٨ ص ٢٠ × ١١سم ١٧ س.

كشف ٢/ ١٨٢٠ معجم المؤلفين ٥/ ٢٦٦ هدية العارفين ١/ ٥٨٦.

كما توجد فى مكتبة المتحف العراقى عشر نسخ أخرى نكتفى بذكر أرقامها وهى على التوالى: ٧٧٢، ٨٧٢٢، ١٠٤٧٩، ٢٧٧٥٧، ٤/٩١٣٢، ١٧١١١، ١/١٣٠٧٦٩، ٢٣١١١، ٢/١٠٥٧٨، ٣٠٧٦٤.

(مخطوطات الفلك والتنجيم فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ٥٩ - ٦٢).

*** حاشية على شرح الملخص فى الهيئة:**

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٣٢٤٣٢.

لغياث الدين منصور بن محمد بن إبراهيم الحسينى الدشتكى، الشيرازى المتوفى سنة ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م.

من أهل دشتك من قرى أصفهان وتنسب إليه المدرسة المنصورية بشيراز ولى منصب الصدارة فى عهد الشاه طهماسب. ومن تأليفه: آداب البحث والمناظرة، الإشارات والتلويحات.

الأول (بعد حمد الله على توفيقه والصلاة على حبيبه ...).

وهو حاشية على شرح الملخص فى الهيئة لقاضى زاده الرومى.

نسخة جيدة كتبت سنة ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م على يد أحمد محمد نصر الله فى المدرسة العلية المنصورية فى شيراز.

القياس ٩٠ ص ١٨ × ١١سم ١٨س.

ذريعة ٦/ ١٣٦. معجم المؤلفين ١٣/ ١٩.

(مخطوطات الفلك والتنجيم فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ٦٣).

*** حاشية على شرح الملخص فى الهيئة:**

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٣٢٤٣١.

لعلها للقاضى مير حسين بن معين الدين الميبدى أو الميبذى المتوفى سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م.

الأول (الحمد لله الذى أبدع السماء بلطفه أثيرًا (خالصًا) ... وبعد هذه حواشى [حواشٍ] وشمها خادم أهل ... على شرح الملخص فى الهيئة ...). وهى حاشية ممزوجة على شرح قاضى زاده الرومى على الملخص فى الهيئة للجغمينى نسخة جيدة عليها حواش وشروح كتبت بالمدادين الأسود والأحمر سنة ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م فى المدرسة العلية المنصورية بشيراز بيد أحمد محمد نصر الله. قوبلت هذه النسخة على نسخة أخرى كما ذكر فى الحواشى وذكر اسم المؤلف فى هذه النسخة بمحمد عز الدين.

القياس ٢١٠ص ١٨ × ١١سم ١٨سم.

الذريعة ٦/ ١٣٦. معجم المؤلفين ٤/ ٦٤ معجم المطبوعات ١٤٨٦.

(مخطوطات الفلك والتنجيم فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ٦٣، ٦٤).

*** حاشية على شرح الملخص فى الهيئة:**

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ١٧١١٣.

للمولى يوسف بن خضر بيك بن جلال الدين الحنفى المعروف (بسنان باشا) المتوفى سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م فقيه عالم مشارك له اطلاع واسع على العلوم الطبيعية من أهل القسطنطينية كان وزيرًا فى عهد السلطان محمود ثم عزله وحبسه وعندما جاء السلطان بايزيد خان قربه وولاه مدرسة دار الحديث بأدرنة وتوفى بها. ومن آثاره حاشية على شرح الملخص لقاضى زاده وحاشية على شرح الجرجانى (معجم المؤلفين ١٣/ ٢٩٦).

وهى حاشية على شرح قاضى زاده الرومى الذى كان حيًّا سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م على الملخص فى الهيئة للجغمينى. وضع المؤلف هذه الحاشية بإشارة من السلطان محمد بن مراد.

نسخة جيدة كتبها بخط التعليق بأصفهان على بن سيف الدين محمود سنة ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م.

القياس ١٣٨ص ١٩ × ١٢سم ١٩س.

كشف ٢/ ١٨١٩ معجم المؤلفين ١٣/ ٢٩٦.

(مخطوطات الفلك والتنجيم فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ٦٤).

*** حاشية على شرح الوقاية:**

من مخطوطات التراث الإسلامى فى الفقه الحنفى.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية.

الرقم ٢٤١٢ (فقه حنفى ١٢).

وقاية الرواية فى مسائل الهداية. تأليف: محمود بن عبيد الله بن إبراهيم المحبوبى المعروف ببرهان الشريعة المتوفى سنة ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م.

والوقاية متن مشهور اعتنى بشأنه العلماء بالقراءة والتدريس والحفظ.

شرح الوقاية تأليف: عبيد الله بن مسعود بن محمود المحبوبى المعروف بصدر الشريعة الأصغر، كان حيًّا سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م.

الحاشية تأليف: . . . . .

أولـه: الحمد لله رافع القبة الخضراء، وباسط البسيطة الغبراء.

وآخره: ومع ذلك فلا يعادل فى مناقبهم، وما ذكر عن آثارهم، نفعنا الله بمحبتهم أجمعين، وجعلنا لهديهم متبعين، وعصمنا من زيغ الضالين وبعثنا يوم الدين فى عداد الهادين بفضله العظيم، وفيضه العميم، إنه سميع مجيب.

نسخة جيدة قديمة ومصححة، عليها وقفية المدرسة البيرامية.

الخط نسخ معتاد دقيق. بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة، كتبه أحمد بن تاج الدين المنتوى سنة ٩٧٨هـ.

المراجع: كشف الظنون ٢/ ٢٠٢٢، معجم المؤلفين ١٢/ ١٨٧، ٦/ ٢٤٦.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفى ــ وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٧٦، ٢٧٧).

*** حاشية على الفوائد الشافية فى حل مشكلات الكافية:**

OP. 294.

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم النحو.

مخطوط فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا.

لم يذكر اسم مؤلفها.

وقد وضعها ــ على الأرجح ـ على كتاب (الفوائد الشافية على إعراب الكافية) لـزينى زاده وتناول فيها حل بعض ما أشكل من الكتاب.

النسخة متأخرة لم يذكر اسم ناسخها كتبت سنة ١١٤٤هـ بخط نسفارسى معتاد.

(١٦٠) ق القطع الصغير مسطرتها (١٧ س).

قال واضع الفهرس: لم نجد لهذه الحاشية ذكرًا فى المصادر التى بين أيدينا.

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢/ ١٠٦).

*** حاشية على الفوائد الضيائية:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى النحو والصرف.

الرقم ٢٤٠٧.

لعبد الحكيم بن محمد شمس الدين الهندى السيالكونى المتوفى سنة ١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م وسميت بالفوائد الحكيمية.

طبع بالأستانة سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م.

كتبها عبد الفتاح الإربيلى سنة ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م.

القياس ص ٢٦٠ ٢٢×١٦سم س ١٩.

دار الكتب ٢/ ٩٨، كشف ١/ ١٧٨.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى/ ٢٨).

*** حاشية على الفوائد الضيائية:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى النحو والصرف.

الرقم ٣٥٠٩.

لنعمة الله بن عبد الله بن محمد بن حسين الحسينى الجزائرى المتوفى سنة ١١١٢هـ/ ١٧٠١م.

كتبت سنة ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م.

القياس ص ٢٤٠ ٢٥×١٤,٥سم س ٢١.

مخطوطات دار الكتب ١/ ٢٦٤.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى/ ٢٨).

*** حاشية على الفوائد الضيائية:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى النحو والصرف.

الرقم ٣٧٥٦.

لوجيه الدين الهندى.

كتبها إبراهيم بن عثمان فى مدرسة بوياجى سنة ١٠٨١هـ / ١٦٧٠م.

القياس ص ٣٤٠ ١٩,٥×١٢سم س ١٥.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى/ ٢٨).

* **حاشية على الفوائد الضيائية للجامى:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى النحو والصرف .

الرقم ٢٤٥٣ .

لعصام الدين إبراهيم بن محمد بن عرب شاه الإسفرائينى المتوفى سنة ٩٥١هـ/ ١٥٣٦م.

طبعت معجم ١٣٣١ .

القياس ص ١٤٢ ٢٢×١٦سم س ١٧ .

كشف ٢/ ١٣٧٢ .

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى/ ٢٧، ٢٨).

* **حاشية على قطر الندا وبلّ الصّدا:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى النحو والصرف .

الرقم ٤٥٥ .

لمحمد بن على بن أحمد الحريرى الحرفوشى المتوفى سنة ١٠٥٩هـ/ ١٦٤٩م فرغ منها سنة ١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م وسمّاها دليل الهدى .

كتبها عن نسخة المؤلف حسين بن عبد الله الكعبى . سنة ١٠٥٣هـ/ ١٦٤٣م.

القياس ص ٥٠٤ ٢٤×١٨سم س ١٧ .

كشف ٢/ ١٣٥٢ .

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى/ ٢٨، ٢٩).

* **حاشية على كافية ابن الحاجب:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم النحو والصرف .

مخطوط فى مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية بالعراق .

المؤلِّف: لم يعلم اسم المؤلف .

ناقص الأول والموجود يبدأ (واعلم أن اللام فى الكلمة لام الجنس أى لتعريف الحقيقة ولا يجوز أن يكون اللام فيها للاستغراق ... إلخ).

ناقص الآخر والموجود ينتهى (فيدخل دعوت الله سعيا وقائما بالقسط وولى مدبرا ونحو ذلك لا يكون فيه شيء مما ذكرناه).

ناسخه: مجهول. خطه نسخ جميل عليه أثر للرطوبة .

و : ٩٨ .

م : ٣١×٢١ .

س : ٢٠ ت/ ٤٣٠ .

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية - إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٤١٥).

* **حاشية على كتاب فى التفسير:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التفسير.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية .

الرقم ٤٣٨٤ .

المؤلِّف: مجهول .

أولها: يلزم أن يكون الاسم والمسمى واحدًا بل اللازم تسمية المؤلف بالمفرد وهم جعلوا اسم الحرف مؤلفًا منه ومن حرفين آخرين وهو تسمية المفرد بالمؤلف كما أن تسمية المفرد بالمركب لا يوجب اتحاد الاسم والمسمى كذلك تسمية المؤلف بالمفرد. قوله: الوجه الثالث: اعلم أنَّ الوجه الثانى والثالث مشتركان فى أن الفواتح ليست بأسماء للسور وفى أن تصدير السور بها للدلالة على الإعجاز.

آخرها: والنيسان إنما يكون بعد المعرفة، شبَّه معاملته تعالى مع الكافرين بمعاملة من نسى عبده من الخير ولا يلتفت إليه وشبَّه عدم إخطارهم لقاء الله ببالهم وعدم مبالاتهم بحال من عرف شيئًا ونسيه واعلم أنه لما أريد تعلم المعانى التى هى فى عالم الغيب لم يكن إلا بأمثلة من عالم الشهادة فلا بدّ أن تعبر المعانى عن الغيبية بعبارات أو أمثلة من عالم الشهادة .

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن العاشر الهجرى كتبت بخط فارسى معتاد خرم من أولها عدة أوراق، وتنتهى بالتعليق على قوله تعالى ﴿ فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ﴾ [الأعراف: ٥١] كتبت بثلاثة خطوط مختلفة أولها بخط فارسى دقيق ووسطها بخط معتاد وفى آخرها بخط نسخى، أصابتها الرطوبة فى أعاليها كما سطت عليها الأرضة فى مواضع منها. كتب عليها بخط حديث « تسهيل إعراب القرآن العظيم ».

ق	م	س
٢٥٩	١٨ × ١٣	٢٤.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم. التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٨٥، ٢٨٦).

*** حاشية على الكشاف:**

انظر: حاشية ابن كمال باشا على مواضع من الكشاف.

*** حاشية على الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل. سورة الملك:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التفسير.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (لعله فى مكتبة الأسد الآن).

الرقم ٤٧٨.

المؤلف: محمد الصادق.

أولها: بسم الله الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيُّكم أحسنُ عملاً، الرحمن الذى خلق سبع سماوات طباقًا، الرحيم الذى جعل لكم الأرض ذلولاً، قال جار الله العلامة، أحسن الله حاله فى دار المقامة، سورة الملك. لما كان هذا الاسم من بين أسمائها مشهورًا، جعله أصلاً ولم يصرح بكونه اسمًا لتفرده وظهوره، ولا خفاء فى أنه كان فى الأصل مركبًا إضافيًّا ثم جعل علمًا لهذه السورة.

آخرها: وماء معين، أى جار، ويقال هو مفعول من عنت الماء إذا استنبطت، أنهى كلامه، فعلى الأول، معين صحيح على وزن فعيل. وعلى الثانى أجوف على وزن مفعول كمنيع.

قوله: وعن بعض الشُّطَّار، قيل: هو محمد بن زكريا المتطبب الرازى، والله تعالى أعلم بصحة الشُّطَّار هو جمع شاطر وهو الذى أغنى أهله خبثًا ذكره الجوهرى، وفى الأساس، فلان شاطر، أى خليع.

أوصاف المخطوط: نسخة من بداية القرن الحادى عشر الهجرى كتبت بخط تعليق قليل الإعجام، رؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر. على الهوامش الكثير من الشروح والتعليقات.

توجد هذه النسخة فى مجموع يضم حاشية الليثى على أنوار التنزيل وأسرار التأويل، وحاشية محمد الصادق على سورة يسٓ، ثم مجموعة من الحواشى على الجزء الأخير من القرآن الكريم، المجموع مصاب بالرطوبة وأوراقه مفروطة، أما الغلاف فهو من الجلد ولكنه ممزق.

ق	م	س
٢٧ (١٢٥ـ١٥١)	١٩ × ١٣	٢١.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ علوم القرآن الكريم. التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٧٩، ٢٨٠).

*** حاشية على مختصر التلخيص للتفتازانى:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى علم البلاغة.

الرقم ١٨٥٠.

لأحمد بن محمد بن يحيى بن محمد حفيد سعد الدين التفتازانى المتوفى سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م.

كتبت بخط مغربى.

القياس ص ٣٥　٢٧,٥ × ٢٠سم　س ٣٠.

كشف ١/ ٤٧٥.　معجم ٧٨٣.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى/ ١٢٠، ١٢١).

*** حاشية على مختصر تلخيص المفتاح للتفتازانى:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى علم البلاغة.

الرقم ١٨٥٠.

لشهاب الدين أحمد بن قاسم العبادى الشهير بابن أم قاسم المتوفى سنة ٩٩٤هـ/ ١٥٨٥م.

جمعها بعض تلامذته من هوامش كتبها بخط يده على المختصر.

أوّلها (حمدا لك اللهم على ما أنعمت به من بديع المعانى).

كتبت بخط مغربى سنة ١٠١٧هـ / ١٦٠٨م.

القياس ص ٣١٢ ٢٧,٥ × ٢٠سم س ٣٠.

كشف ١/ ٤٧٦.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى/ ١٢١).

*** حاشية على مختصر تلخيص المفتاح للقزوينى:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى علم البلاغة.

الرقم ٢٤٥٢.

لنظام الدين عثمان الخطائى المتوفى سنة ٩٠١هـ / ١٤٩٥م.

أوّلها: (نحمدك اللهم على ما أعطيتنا من سوابغ النعم وبوالغ الحكم).

كتبها يوسف بن إبراهيم الأرهى سنة ١٠٣٤هـ / ١٦٢٤م.

القياس ص ٩٠ ٢١,٥ × ١٦سم س ١٩.

كشف ١/ ٤٧٦. دار الكتب ٢/ ١٨٨.

نسخة أخرى.

كتبها ... بن عبد الجبار سنة ١٠٤٦هـ / ١٦٣٦م.

الرقم ٣٤٣٢ القياس ص ١٢٤ ١٩,٥ × ١٣سم س ١٣.

نسخة أخرى.

كتبها حسن بن حيدر على سنة ١٠٩٥هـ / ١٦٨٣م.

الرقم ٥٠٥ القياس ص ١٥٠ ١٩,٥ × ١٥سم س ١٧.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى/ ١٢٠).

*** حاشية على المطول:**

من مخطوطات مكتبة المتحف العراقى فى علم البلاغة.

الرقم ٣٨١.

لعلى بن محمد الحسينى الجرجانى المعروف بالسيد الشريف المتوفى بشيراز فى السادس من ربيع الثانى سنة ٨١٦هـ / ١٤١٣م.

قوبلت هذه النسخة سنة ١٠٦١هـ / ١٦٥٠م ولم يعلم اسم الناسخ ولا تأريخ نسخها.

القياس ص ٤٩٢ ٢٦ × ٢٠سم س ٢١.

كشف ١/ ٤٧٤.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى/ ١٢١).

*** حاشية على مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم النحو والصرف.

مخطوط فى مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية بالعراق.

المؤلِّف: لم يعلم اسم المؤلف.

ناقص الأول والموجود يبدأ (وتسكين المنقول إليه الموجب لكون النقل عملا كلا عمل وإدغام المنقول إليه فيما بعد الهمزة وذلك بمعزل عن القياس ... إلخ).

آخره: (والذى وليها رُبَّ نحو يا رب سار بات ما توسدا).

ناسخه: محمود الكلالى لأجل أستاذه الشيخ أحمد بن معروف النودهى. خطه نسخى، ورقه أبيض، جلده مزخرف أصفر.

و: ٢٣٤.

م: ٢١ × ١٥.

س: ١٩. ت/ ٩٦.

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية ـ محمود أحمد محمد، ١/ ٤١٦).

*** حاشية على مقدمة أبى الليث:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفقه الحنفى.

الرقم ٢٥٢٤ (فقه حنفى ٧٧).

المقدمة تأليف: إمام الهدى أبى الليث نصر بن محمد بن

أحمد بن إبراهيم السمرقندى المتوفى سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م على ما ذكره أكثر المؤرخين، وقيل فى وفاته غير ذلك وغاية الخلاف فيها سنة ٣٩٣هـ.

وهى مقدمة فى الصلاة.

الحاشية: مجهولة المؤلف.

أوله: الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وآخره: فإن قيل أى مصل صلى وفى كمه رطل من النجاسة وجازت صلاته.

الجواب: فقل له: رجل صلى وفى كمه جرو الكلب وفمه مشدود.

نسخة جيدة. على صفحاتها جميعًا جداول بالحمرة. وعليها وقفية محمد باشا العظم على طلبة العلم. الورقة الأخيرة بخط حديث.

الخط نسخ جيد، كتبت بعض كلماته بالحمرة.

المراجع: كشف الظنون ٢/ ١٧٩٥، فهرس الخديوية ٣/ ١٣٤، معجم المؤلفين ١٣/ ٩١.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفى ــ وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٧٧، ٢٧٨).

*** حاشية على الوافية فى شرح الكافية:**

.OP. 3147

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم النحو.

مخطوط فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا.

لم يذكر اسم مؤلفها وذهب من أول النسخة بضع ورقات بخرم انتابها ولعلها لمحمد بن عبد الله المرينى.

وقد تناول فيها المؤلف التحشية على شرح كافية ابن الحاجب للركن الاستراباذى المسمى بالوافية.

النسخة رديئة على هوامشها تعليقات كثيرة، وخطها فارسى ردىء ولم يذكر اسم الناسخ أو تاريخ النسخ.

(٢٤٦) ق   القطع المتوسط   المسطرة (٢١س).

الكشف ٢/ ٢٥٠.

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢/ ١٠٧).

*** حاشية على الورقات:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفلك والتنجيم.

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٣٣٢٥٥/ ٤.

لمحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الدمشقى المعروف بسبط الماردينى المتوفى سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠١م.

الأول: (الحمد لله الذى باين بين صفات مصنوعاته فهى بتصريف مشيئته متفرقة ...).

وهى حاشية مختصرة على كتاب الورقات فى العمل بربع دائرة المقنطرات لجد المؤلف جمال الدين محمد بن عبد الله الماردينى. رتبها المؤلف على ترتيب الأصل فى مقدمة وعشرين بابًا.

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ بمدادين أسود وأحمر ترقى للقرن الثانى عشر الهجرى / القرن الثامن عشر الميلادى.

القياس ٢٠ص   ١٤×١٠سم   ١٦س.

معجم المؤلفين ١١/ ١٨٨.   كشف ٢/ ٢٠٠٦.

(مخطوطات الفلك والتنجيم فى مكتبة المتحف العراقى ــ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ٦٥).

*** حاشية العليمى على مختصر السعد التفتازانى:**

.OP.3086

من مخطوطات العلوم البلاغية فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا.

تأليف: العليمى، سعد الدين ياسين بن زين الدين بن أبى بكر بن عليم الحمصى الشهير بالعليمى المتوفى سنة: ١٠٦١هـ/ ١٦٥١م.

حشى فيها على كتاب (المختصر) للسعد التفتازانى الذى شرح فيه كتاب (تلخيص المفتاح) للقزوينى فى العلوم البلاغية.

أوله بعد البسملة: « الحمد لله الذى خلق الإنسان وعلمه البيان ... ».

آخره: « ... وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وشرف وكرم ».

النسخة تامة بحالة حسنة كتبها بخط نسخ معتاد على النبوفرى وفرغ من نساختها سنة ١١١٨هـ.

(٢٧٠) ق القطع المتوسط مسطرتها (٢٥س).

لم يذكره الكشف أو الإيضاح أو بروكلمان. انظر الزركلى ٩/ ١٥٥.

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا - وضعه د. عدنان درويش ٢/ ١٩٦).

*** حاشية الغنيمى على مسائل فى البسملة ومسائل من أنوار التنزيل، وإرشاد العقل السليم، والكشاف:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التفسير.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية.

الرقم: ٧٦٤٠.

المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن على بن شمس الدين الغنيمى الأنصارى الخزرجى المتوفى سنة ١٠٤٤هـ.

أولها: الحمد لله مالك الحمد ومستحقه، المتفضل على من شاء من عباده بلطايف توفيقه ورفقه والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد جامع المحامد والمفاخر المنزل عليه فى كتابه العزيز ﴿ إنما يعمُر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾ وبعد فيقول الفقير إلى رحمة ربه أسير لطف الله به لمَّا ألقيت درس التفسير بجامع طولون باشا بإشارة بعض الموالى العظام ملاذ أهل الفضل الكرام خطر لى أن أجمع ما ألفته من غير أن يكون.

آخرها: لم يتعرض العلامة أبو السعود رحمه الله تعالى لما هو المشهور المعتمد من مذهب أبى حنيفة وعليه متأخرو الصحابة من أنها آية من القرآن أُنزلت للفصل بين السور أو للابتداء والافتتاح كما تقدم ولعلّ ذلك لما فيه من الاضطراب بين أصحابه المتقدمين والمتأخرين أو لشهرة الكلام فى كتب الفقه أو نحو ذلك مما يقول والله أعلم بحقيقة الحال ولنمسك عنان القلم الآن عن الجرى فى هذا الميدان ومعترك الفرسان خشية أن أكبو فأصاب بالنسيان ... انتهى ما قاله الشيخ أحمد الغنيمى فى أوائل ربيع الأول من شهور سنة ١١٤٠. تمَّ على يد أحقر العباد وأقلهم زادًا ليوم المعاد محمد اليمنى ... فى يوم الأربعاء سابع شهر جمادى الآخرة من شهور سنة سبع وخمسين وألف.

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الحادى عشر الهجرى كتبت بخط نسخى معتاد وبالمداد الأسود، رؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر. أصيبت هذه النسخة بالأرضة فأثرت على أوراقها تأثيرًا بالغًا وبخاصة فى أطرافها.

توجد هذه النسخة فى مجموع يحوى رسالة فى الفرق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس الجمعى. وفتح الوهاب فى شرح الآداب لزكريا الأنصارى. أصيب المجموع بالأرضة وجفاف الأوراق وهو يحتاج إلى صيانة. على الورقة الأولى قيد وقف باسم أبى بكر ابن الحاج عثمان على مدرسة الصدر العالى، وقيد تملك باسم محمد بكرى الغنيمى سنة ١١١٦هـ.

ق	م	س
٢٤(١ - ٢٤)	١٨ × ١٣	٢٤.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم. التفسير - وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٧٨، ٢٧٩).

*** حاشية الفاضل البرجندى على شرح الملخص فى الهيئة:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الهيئة.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية.

الرقم: مجموع رقمه ٦٨٦٨.

شرح الملخص:

تأليف: المولى المشهور بقاضى زاده الرومى محمود بن محمد بن عمر الجغمينى المتوفى سنة: ٦١٨هـ/ ١٢٢١م ظنًّا.

الحاشية :

تأليف :

الفاضل البرجندى : عبد العلى بن محمد بن حسين المتوفى : سنة ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦ .

مواضيع المخطوط :

شرح مواضيع النسخة ذات الرقم : / ٦٨٦٨ / والتى تتألف من مقدمة ومقالتين :

المقالة الأولى : فى بيان هيئات الأفلاك التى هى كرات متحركة ...

المقالة الثانية : فى بيان هيئة الأرض التى هى كرة واقعة ...

فاتحة المخطوط :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب المشارق والمغارب مزين السماء بالكواكب الثوابت ... وبعد فهذه تعليقات على المواضيع المشكلة وتنبيهات على الرموز والمباحث الخفية المفصلة من شرح الملخص فى الهيئة المنسوب إلى فاضل الأئمة ... المولى المشهور بقاضى زاده الرومى محمود بن محمد بن عمر الجغمينى ... جمعتها بالتماس بعض الإخوان لتكون تذكرة لهم ولساير الخلان ...

خاتمة المخطوط :

... السنة القمرية الوسطية ناقصة عن السنة الشمسية الحقيقية ... وإنما التفاوت بين الشهور الشمسية الوسطية والشهور الشمسية الحقيقية، فالشهر الشمسى الوسطى أبدًا يكون ثلاثين يومًا وعشر ساعات وتسعًا وعشرين دقيقة ونصف سدس دقيقة وهو الخارج من القسمة مدة السنة الشمسية على اثنى عشر والشهر الشمسى الحقيقى قد يزيد عليه وقد يساويه وينقص منه . تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب على يد ... محمد بن أحمد عفى عنهما فى شهر ذى الحج فى ليلة الجمعة فى مدرسة وآن فى سنة إحدى وثمانين وألف .

أوصاف المخطوط والملاحظات عليه :

نسخة جيدة، فى مجموع يتألف من : ١٦١ ورقة : الملخص فى الهيئة فى ٦١ ورقة وحاشيتنا هذه فى : ١٠٠ ورقة، من ورقة : ٦٢ ـ ١٦١ كتبت بخط نسخى جميل جدًا بالحبر الأسود، وكتبت أسماء الأبواب والفصول وبعض الجمل والكلمات الهامة بالحبر الأحمر، وسطرت بالحبر الأحمر كثير من الجمل والعبارات، ترك لها هامش بعرض : ٦سم عليه كثير من الشروح والتعليقات، لها تعقيبة منتظمة فى آخر كل ورقة . بقياس ٢٠/ ٥ , ١٤ وعدد السطور: ٢٣ جلدها كرتون مغلف بجلد أحمر وورق ملون .

اسم الناسخ وتاريخ النسخ : محمد بن أحمد الطرسوسى . سنة ١٠٨١هـ.

المصادر عن المؤلف والكتاب .

بروكلمان : الذيل ١/ ٨٦٥ .

كشف الظنون : ٢/ ١٨١٩ .

فهرس الخديوية : ٥/ ٢٢١ .

معجم المؤلفين : ١٢/ ١٩٨ و ٥/ ٢٦٦ .

هدية العارفين : ١/ ٥٨٦ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . العلوم والفنون المختلفة عند العرب ـ وضع مصطفى سعيد الصباغ / ١٥٩ ـ ١٦١) .

*** حاشية الفنارى على شرح الشريف الجرجانى:**

(المواقف للإيجى فى علم الكلام):

(الأصل المواقف فى علم الكلام لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد اللايجى المتوفى سنة ٧٥٦هـ.

ثم شرحه السيد الشريف على بن محمد الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦هـ. ثم كتب حسن جلبى بن محمد شاه الفنارى المتوفى ٨٦٦هـ حاشيته المشهورة عليه .

انظر كشف الظنون ٢/ ١٨٩١) .

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم العقائد والكلام .

المؤلف : حسن جلبى بن محمد شاه بن حمزة الرومى الحنفى ويعرف بالفنارى (بدر الدين) ٨٤٠هـ ـ ٨٨٦هـ .

أولها : (قوله فبسمل أولا فإن قلت التوجيه الأول لا يدل على أن علة التضمين بالبسملة أولا وقوع التضمين معتدا به ... إلخ) .

آخرها: (إذ لا وجه له بعد تسليم أصله كما لا يخفى على المنصف).

ناسخها: سالم بن منصور البقرى الشافعى / ٩٩٥هـ.

خطها نسخى.

و: ١٠٥.

م: ٢١×١٥.

س: ٢١. ت/ مجاميع / ١١٩ ـ ١٢٠.

المصادر: معجم المؤلفين ٣/ ٢١٣ ـ ٢١٤ وكشف الظنون ٢/ ١٨٩١.

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ١٨٧، ١٨٨).

* حاشية الفنارى على المطول ـ الجزء الأول:

.Op.1131

من مخطوطات علوم البلاغة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا.

تأليف: حسن جلبى بن محمد شاه الشهير بالفنارى أو الفنرى المتوفى سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م.

وهى من الحواشى المفيدة التامة على كتاب (المطول) للسعد التفتازانى الذى شرح فيه كتاب (تلخيص المفتاح) لقزوينى فى العلوم البلاغية ويشتمل هذا الجزء على الباب الأول والثانى من الكتاب.

أوله: « قوله ألهمنا حقائق المعانى ودقائق البيان، الأقرب إلى الفهم ... ».

آخر الجزء: « ... لا ما كان له قد تدرب الأمور والتمرن عليها والله أعلم ... نُجز الفراغ من الجزء الأول من حواشى المطول للفنرى، ويتلوه فى الجزء الثانى الباب الثالث أحوال المسند قوله أى قول ضابىء ».

النسخة جيدة قديمة قريبة من عهد المؤلف قوبلت على نسخة معتبرة، كتبها أحمد بن عبد الرحمن الفيومى الحنبلى بخط نسخ وجعل أوائل فقر الأصل المحَشَّى عليه بحرف متميز بالسواد وفرغ من نسخه سنة ٩٠٦هـ وفى ذيل الصفحة الأخيرة من النسخة نص مقابلة صورته: « الحمد لله بلغ مقابلة على نسخة معتبرة بها إلحاقات فألحقها كاتبه أحمد الفيومى الحنبلى فى مدة آخرها خامس صفر سنة أربع وثلاثين وتسعمائة ».

(١٦٤) ق (١٧,٥×١٣سم) مسطرتها (٢١س).

الكشف ١/ ٣٢٤ بروكلمان ١/ ٥١٧ ذيل بروكلمان ٢/ ٢٣٠.

نسخة منه:

.OP.4460

تضم الكتاب كله، إلا أنه اعتراها خرم كبير من أولها ذهب به حوالى / ٧٠ ورقة.

أول النسخة بعد الخرم: « قوله: ولا نسبة لذاته أى لماهيته ... » وتنتهى النسخة بانتهاء الكتاب وقد جاء فى آخرها: « وإنما لم يتعرض للبديع لكونه خارجًا عن البلاغة والله أعلم ».

على هوامش النسخة تعليقات، وقد كتبت بخط نسخ حسن ولم يذكر تاريخ الفراغ من نسخها أو اسم ناسخها.

الباقى منها: (٢٣٥) ق (٢٧×١٧سم) مسطرتها (٢١س).

قطعة من الكتاب: OP.1443.

تضم القسم الذى ذهب من النسخة السابقة ذات الرقم (٣٣٦٠).

(٧٠)ق (٢٧×١٧سم) سطور الصفحة (٢١س).

نسخة أخرى:

.OP.2859

سقط منها خطبة الكتاب، كتبها عمر بن تنكزباى بخط فارسى دقيق ردىء وفرغ من نساختها سنة ٩٣٠١هـ.

(١٧٠) ق القطع المتوسط مسطرتها (١٩س).

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢/ ١٩٦ ـ ١٩٨).

* **حاشية فى التفسير:**

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق.

الرقم ٥٩٣ ـ تفسير / ١٥٥ .

المؤلف : مجهول.

أولها : قوله : عمَّا ــ حذف الألف حذفًا كثيرًا إلى أن قلَّ الأصل وهو إثبات الألف وسبب الحذف المشار إليه بقوله : لما مرَّ يعنى لسبب أو قاعدة مرت فى سورة الصف. إن لِمَ مركَّبة من لام الجر وما الاستفهامية والأكثر حذف ألفها مع حرف الجر لكثرة استعماله معًا.

آخره : قوله : وفيه تعسف إلا أن يراد به الناس وفيه أنه لا تخرج بتلك عن التعسف لأن كثرة تكرار الناس سابق لمعناه الواضح المشهور، يسدُّ باب الانتقال إلى الناس منه فى هذا المقام. الحمد لله الذى وفقنا لشرح هذا التفسير من الطرفين ونسأله أن ينتفع به أولو الأفهام.

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثانى عشر الهجرى، كتبت بخط معتاد ردىء. وبالمداد الأسود، رؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر على الهوامش وبين السطور الكثير من الشروح المختلفة والتصويبات تبدأ الحاشية بالتعليق على أول سورة النبإ وتنتهى بالتعليق على آخر الكتاب. توجد هذه الحاشية فى مجموع يضم حاشية أخرى وقطعة من أنوار التنزيل والتفاسير لبعض السور.

على الورقة الأولى قيد باسم السيد قاسم بن على الشهير بدقاق الدودة على ذريته وعلى طلبة العلم من المسلمين وتاريخه / ١٢٤٨ .

ق .	م	س
٥٦ (١ـ٥٦)	١٧×٢٣	١٨ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم. التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٢٤، ٢٢٥).

* **حاشية فى التفسير:**

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق.

الرقم ٥٩٣ ـ تفسير / ١٥٥ .

المؤلف : مجهول.

أولها : سورة النبإ مكية وآيها أربعون، بسم الله الرحمن الرحيم عمَّ يتساءلون. أصله عما فحذف الألف لما مرّ ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه كأنه لفخامته ضيع جنسه فيساءل عنه والضمير لأهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويسألون الرسول والمؤمنين عنه.

آخرها : فيسبق إلى الكمالات حتى يصير على المكملات أو صفات أنفس القراء أو أيديهم بنزع القسىّ بإغراق السهام وينشطون بالسهم للرمى ويسبحون فى البر والبحر فيسبقون إلى حرب العدو فيدبرون أمرها أو صفات خيلهم فإنها تنزع فى أعنقها نزعًا يغرق فيه الأعنة لطول أعناقها. وتخرج من دار الإسلام إلى دار الكفر وتسبح فى جريها فتسبق إلى العدو فتدبر أمر الظفر، أقسم الله بها على قيام الساعة.

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثانى عشر الهجرى، كتبت بخط معتاد ردئ وبالمداد الأسود، رؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر، على الهوامش وبين السطور بعض التعليقات والتصويبات، تبدأ الحاشية بالتعليق على سورة النبأ وتنتهى فى أثناء سورة النازعات.

توجد هذه الحاشية فى مجموع يضم حاشية أخرى وقطعة من أنوار التنزيل وأسرار التأويل فيها تفسير بعض السور، أصيب المجموع بالرطوبة وتلفت بعض أوراقه وقد رممت قديمًا، على الورقة الأولى قيد وقف باسم قاسم بن على المصرى.

ق	م	س
٨ (٥٧ـ٦٤)	١٧×٢٣	١١

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم. التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٢٥، ٢٢٦).

* **حاشية فى النحو (مجهولة الاسم) جـ٢:**

- : لم يعلم اسم المؤلف.

أوله : (الباب الثانى من الكتاب فى تفسير الجملة يجوز أن يكون من الكتاب خبر الباب الثانى وفى تفسير الجملة خبر بعد خبر ... إلخ).

آخره : (قوله وقد مر ذلك : يعنى فى آخر القاعدة الأولى والحمد لله على التمام وعلى نعمه العظام الجسام).

ناسخه: أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن ضاحى / ١١٨٦هـ.

خطه فارسى كتب المتن والأبواب والفصول بحبر أحمر.

و: ١٧٨.

م: ٢٠ × ١٤.

س: ٢٥. ت/ ٢٣.

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية - إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٤١٦).

*** حاشية القرمانى على جامع الفصولين:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفقه الحنفى.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية.

الرقم ٢٥٩٩ (فقه حنفى ١٥٤).

جامع الفصولين تأليف: بدر الدين محمود بن إسرائيل الشهير بابن قاضى سماونة المتوفى سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م، وفى الشقائق النعمانية سنة ٨١٨هـ.

وهو كتاب مشهور متداول فى أيدى الحكام والمفتين لكونه فى المعاملات خاصة، جمع فيه بين فصول العمادى وفصول الأسروشنى.

حاشية القرمانى، تأليف: سليمان بن على القرمانى المتوفى سنة ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م.

وهى أجوبة لأسئلة جامع الفصولين، انتهى من تأليفها سنة ٩٠٤هـ.

أوله: الحمد لمن أعلن معالم العلم وأعلامه، وأتقن شعائر الشرع وأحكامه.

وآخره: أقول: ما ذكره ظاهر الرواية، وفى رواية النوازل: المصر ليس بشرط انعقاد الحكم.

نسخة جيدة وقديمة: عليها مقابلة سنة ٩٦٢هـ، وعليها وقفية المدرسة المرادية.

الخط نسخ جيد. بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة. كتب سنة ٩٦٢هـ.

المراجع: كشف الظنون ١/ ٥٦٦، فهرس الخديوية ٣/ ٣٣، معجم المؤلفين ١٢/ ١٥٢، ٤/ ٢٧١.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفى - وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٧٨، ٢٧٩).

*** حاشية الكرماستى على حاشية الجرجانى على المطول:**

OP.116.

من مخطوطات علوم البلاغة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا.

تأليف: يوسف بن حسين الكرماستى المتوفى سنة: ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م.

هى حاشية وضعها الكرماستى على حاشية السيد الشريف الجرجانى على كتاب (المطول) للسعد التفتازانى الذى شرح فيه كتاب (تلخيص المفتاح) للقزوينى فى العلوم البلاغية.

أولها بعد البسملة: « الحمد لله الذى علمنا خواص تراكيب كتابه ... ».

النسخ تامة خطها فارسى دقيق متأخر، ولم يذكر تاريخ الفراغ من انتساخها كما لم يذكر اسم الناسخ.

- (١٧٥)ق القطع الصغير مسطرتها (١٩س).

الكشف ١/ ٣٢٥ ذيل بروكلمان ٢/ ٣٢١، و٣/ ٧٨٣.

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا - وضعه د. عدنان درويش ٢/ ١٩٨).

*** حاشية الكرويسى فى النحو:**

مخطوط فى مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية بالعراق.

المؤلف: الملا أحمد الكرويسى.

أوله: بسم الله أشار الشارح إلى أن المختار عنده كون الباء للاستعانة نظرا أن اسم الله بمنزلة ... إلخ.

آخره: وما قرره الشارح فى توجيه وقوعه موقع الاسم مقبول أيضًا عند أولى العقول.

ناسخه: مصطفى بن أحمد.

خطه نسخى. كتب العناوين الرئيسية بحبر أحمر.

و: ٦٥.

م : ٢٣ × ١٧ .

س : ١٦ . ت / مجاميع / ٤٣١ ـ ٤٣٢ .

(فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ٤١٧).

* **حاشية كشف الرسالة الموسومة بالزوراء :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (فى مكتبة الأسد الآن) .

الرقم ٨٩٩٨ .

رسالة فى الحكمة والتصوف وما فيهما من فوائد وموعظة .

المؤلف : كاشف العلوم عبد الله بن حيدر زادة الكردى الحريرى الصهرانى (أو لعلها الطهرانى) .

أولها : الحمد لله الذى نور قلوب العارفين بسواطع الأنوار حتى صارت ضمائرهم كمشكاة فيها مصباح ... أما بعد فيقول المتثبت ... عبد الله بن حيدرى بن أحمد الكردى الحسين أبادى ...

آخرها : حفظوا من كتب الصوفية كلمات ما لهم أى لهؤلاء الأعالى علم بمواردها أى الكلمات ومشارعها أى مآخذها ... وجمعوا ما لا يشموا رائحته من كتبهم أى كتب الصوفية ... وله الحمد حمدًا يوافى نعمه أى الحاضر من نعمه الذى أنعم به ويكافىء مزيد فضله وكرمه ...

الخط نسخ معتاد، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

تاريخ النسخ : الخميس ٣ جمادى الأولى سنة ١٠٢٧هـ.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٠١، ٤٠٢).

* **حاشية ابن كمال باشا على مواضع من الكشاف:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التفسير.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية .

الرقم ٦١٨ تفسير ـ ٢٤٣ .

المؤلف : شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا الرومى المتوفى سنة ٩٤٠هـ.

أولها : قال الفاضل المحسن فى حواشى الكشاف وتنبيهاته على أنه نعمة جزيلة يستحق أن يحمد عليها، إن قلت : ذكر تلك الأوصاف بعد الدلالة المذكورة لا يدل على كونها نعمة فضلاً عن كونها نعمة جزيلة لأن مجدد الذكر لا يقتضى إلا كونها محمودًا بها وهو لا يدل على كونها نعمة ...

آخرها : بخلاف ما فى الكشاف فإنه لم يزد بعد ذلك على أن قال: إن زيدًا هو هو وهو صريح فى مطلق الجمل، أعم من أن يكون هو الاتحاد فى الذات أو الحقيقة ولكن زيادة لفظ بعينه كما فى عبارة الشيخ صريح فى الاتحاد فى الحقيقة فما نقله من الشيخ يدفع الوهم بخلاف ما فى الكشاف .

تم الكتاب ... فى صبح السبت من اليوم العاشر من شوال المبارك فى السنة الأولى من تسعمائة و ... (هكذا كتب المؤلف فى تأليفه) وهذا خط أخى زاده .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن العاشر الهجرى، كتبت بخط فارسى معتاد قليل الإعجام فى الصفحتين الأولى والثانية إطار مذهب . على الورقة الأولى مجموعة من قيود التملك أولها : قيد باسم عبد الرحمن بن محمد الحسينى تاريخه سنة ٩٥٣هـ. والثانى باسم سعدى بن سعد بن عيسى ابن أمير خان والثالث باسم عبده فضل الله العمادى .

أوراق المخطوط مصفرَّة جافة . وغلافه من الجلد المزخرف والمحلى بالذهب ولكنه ممزق .

ق	م	س
١٠٨	١٦,٥ × ٢٢,٥	١٩

المصادر: الشقائق النعمانية : ١/ ٥٩١، شذرات الذهب: ٨/ ٢٣٨، الفوائد البهية : ٢١، كشف الظنون: ٢/ ١٤٨٢، بروكلمان: الذيل: ٢/ ٦٦٨ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم. التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٨٧، ٢٨٨).

* **حاشية الليثى على أنوار التنزيل وأسرار التأويل:**

عن مصنفات التراث الإسلامى فى علم التفسير.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية .

الرقم ٤٧٨ ـ تفسير ٨٢ .

المؤلف : أبو القاسم بن أبى بكر الليثى السمرقندى المتوفى سنة ٨٨٨هـ .

أوله : الحمد لله الذى نزَّل على عبده الكتاب الحكيم ، هُدى وبشرى للمؤمنين ، وبيَّن فيه الطريق القويم تبصرة وذكرى للمحسنين كتاب مبارك مصدق الذى بين يديه من الكتاب ، بلاغ للناس ولينذروا به ، وليذَّكَّر أولو الألباب ...

وبعد : فيقول أحقر عباد الله الغنى أبو القاسم بن أبى بكر... أصلح الله حاله وحقق آماله . إن كتاب أنوار التنزيل وأسرار التأويل ... كتاب جمّ الفوائد غزير العوايد كافل بتجريد مقاصد الكشاف عن الزوايد فيه توضيح لأسرار البلاغة بنهاية الإيجاز.

آخره : قوله : قال بينًا أصله بيّن : والألف فيه حصلت من إشباع الفتحة والمعنى بين أوقات أو أحوال نحن جالسون فيها عند رسول الله ﷺ زمان إتيان ملك . قوله فى الكتَّاب العظيم بضم الكاف وتشديد التاء ، المكتب ، وضعًا ابتدائيًا أو لأنه موضع الكتاب أى الكتبة جمع كاتب . تمت [تمّ] الكتاب بعون الملك الوهاب على يد العبد الضعيف نور محمد .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن العاشر الهجرى ، كتبت بخط تعليق معتاد ، رؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر ، على الهوامش الكثير من الحواشى والتصويبات والشروح .

على الورقة الأولى قيد وقف الملا عثمان الكردى على أرحامه وعلى طلبةالعلم . توجد هذه النسخة فى مجموع يضم مجموعة من الحواشى على أسرار التنزيل لعدد من المؤلفين .

ق	م	س
٥٢ (١ ـ ٥٢)	١٩ × ١٣	٢١

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم . التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٧٢ ، ٢٧٣) .

*** حاشية المأمونى على تفسير القاضى البيضاوى لقوله تعالى:**

﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ [الضحى: ٥]:

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التفسير.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية .

الرقم ٨٥٦٢ .

المؤلف : إبراهيم المأمونى الشافعى .

أولها : الحمد لله الذى إذا وعد وَفَّى ، والصلاة والسلام على نبيه المرتضى محمد خير خلق الله وعلى أصحابه النجباء وبعد : فيقول الفقير إلى مولاه العليم المأمونى الشافعى إبراهيم ، لما أن بلغنى أن بعض ضعفة الطلبة استشكل قول البيضاوى الذى تبع فيه الزمخشرى فى قوله تعالى ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ وكان ذلك الإشكال مما اشتهر أمره وذاع ، أردت بيان ذلك الإشكال .

آخرها : ولذا صرح المحقق الدوانى بأن كل أحد فى كل حال على أكمل ما يمكن فى حقه فمتى ما حصل لياقة دخول الجنة قبل دخول النار أو بعده لا بدّ أن يدخلهم الجنة للوعيد بالإرضاء أو المراد نفى الرضا بالدخول على وجه الخلود ولا إشكال ، فهذه وجوه وجيهة لتصحيح ما روى ، فالصواب أن لا يجترئ أحد على إبطال الروايات بالشبهات تمت المقدمة المباركة على يد الفقير عبد الله بن حسن الدلنجاوى المالكى بتاريخ ثالث عشر جمادى الأولى سنة ألف ومائة وخمس عشرة ١١١٥ .

أوصاف المخطوط : نسخة جيدة من بداية القرن الثانى عشر الهجرى ، كتبت بخط نسخى معتاد فيه بعض الشكل ، الآية الكريمة ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر ، أحيطت الصفحات بإطارات مرسومة بالذهب . فى أول الحاشية لوحة مرسومة ومزخرفة بالذهب والألوان .

توجد هذه النسخة فى مجموع يضم عددًا كبيرًا من الرسائل معظمها فى التفسير ، كتب المجموع بخطوط مختلفة وهو مصاب بالرطوبة فى مواضع متعددة ولكنه لا يزال بحالة حسنة .

ق	م	س
٧ (٢٤٧ ـ ٢٥٣)	٢٠ × ١٥	١٧

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٧٣ ، ٢٧٤) .

* **حاشية محرم على الفوائد الضيائية:**

OP. 449 .

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم النحو.

مخطوط فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا .

تأليف: عبد الله بن صالح الشهير بمحرم أفندى المتوفى سنة: ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م.

تناول فيها التحشية على شرح كافية ابن الحاجب لعبد الرحمن جامى المسمى بالفوائد الضيائية، وتعرض فيه لذكر مسائل نحوية. كما تناول إيضاح المغلق وإعراب ما رآه مناسبًا من الأمثلة والشواهد.

أوله بعد البسملة: « صدَّر كتابه بالحمدلة بعد البسملة اقتداء بالقرآن العظيم ... ».

آخره: « ... لأن مفهوم الأول الجنسية ومفهوم الثانى الشخصية ».

النسخة تامة ولم نعلم لها تاريخًا كتبت بخط فارسى دقيق ولم يذكر اسم الناسخ.

(٣٣٣)ق (٢٠ × ١٤سم) مسطرتها (٢٩س).

بروكلمان ١/ ٣٠٤. ذيل بروكلمان: ١/ ٥٣٦.

نسخة منها: OP.2129.

قال واضع الفهرس: ناقصة الآخر، لم نستطع تقدير ما ذهب منها خطها فارسى دقيق.

الباقى منها: (٢٨٠) ق القطع الصغير مسطرتها (٣٣س).

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢/ ١٠٧، ١٠٨).

* **حاشية مُلاّ خسرو على أنوار التنزيل وأسرار التأويل:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التفسير.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية.

الرقم ٤٤٧٣.

المؤلف: محمد بن فرامورز بن على الرومى المعروف بمُلاّ خسرو المتوفى سنة ٨٨٥هـ.

أوله: هذا ذكر الحديث فى جامعه ولم يذكر البسملة ثم قال: إسناده ليس بمتصل، ولأن فى متنه اضطرابًا، إذ فى بعض الروايات، وعدّ بسم الله الرحمن الرحيم آية، والحمد لله رب العالمين آية، ولأنه خبر واحد كما مرَّ وأقول الجواب عن الأول: إن علماء فن الحديث صرَّحوا ...

آخره: غاية ما فى الباب، أن يقال مراده أنه يعامل به معاملة المصدر فى إضافته تارة إلى الفاعل وأخرى إلى المفعول مطلقًا لا إلى فاعله ومفعوله أو إلى فاعله ومفعوله على تقدير مصدريته، وكل ذلك تكلُّف وإنما جعله بمعنى المعاهد عليه لأن الإيفاء بالعهد لا يظهر إلا بالإتيان بالمعاهد عليه. ﴿وإياى فارهبون﴾ [البقرة: ٤٠] تمَّ على يد أفقر الطلاب حسام بن الحسين المطلبى فى أواخر شهر محرم الحرام المنتظم فى شهور سنة سبع وخمسين وتسعمائة ببلدة من بلاد ديار بكر مسماة بآمد حميت عن المكائد فى مدرسة على باشا.

أوصاف المخطوط: نسخة من منتصف القرن العاشر الهجرى، كتبت بخط فارسى دقيق وبالمداد الأسود، ألفاظ القرآن الكريم مكتوبة بالأحمر، على الهوامش بعض التصويبات على الورقة الأولى قيد وقف باسم المُلاّ حسين.

توجد هذه النسخة فى مجموع يضم فتح الجليل ببيان خفى أنوار التنزيل لزكريا الأنصارى، الغلاف من الجلد المزخرف والمحلى بالذهب ولكنه شبه تالف.

ق	م	س
٧١(١ـ٧١)	٢٠ × ١٥	٢٣

المصادر: الضوء اللامع: ٨/ ٢٧٩، شذرات الذهب: ٧/ ٣٤٢، الفوائد البهية: / ١٨٤، كشف الظنون: ١/ ١٩٠، هدية العارفين ٢/ ٢١١.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم. التفسير ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ٢٧٤، ٢٧٥).

* **حاشية مُلاّ خسرو على التلويح للتفتازانى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى المنطق.

مخطوط بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

رقم الحفظ : ٨٨ـ ف .

اسم المؤلف : محمـد بن فرامز (فرامـوز) بن على ، مُلاَّ خسرو.

اسم الشهرة: مُلاَّ خسرو. تـوفى سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م القرن ٩هـ/ .

بداية المخطوطة : قال الحمد لله الذى أحكم بكتابه أصول الشريعـة ... أقول إن الشارع زوَّح اللَّهُ تعـالى رُوحه وأعلى فى غرف الجنان فتوحه ... .

نهـاية المخطـوطـة : وإذا ما تـرك ركنًا بطلت حتى يجب القضاء وعدم الترك .

نوع الخط : نسخى معتاد .

تاريخ النسخ : القرن ١١هـ/ ١٧م .

ملاحظات عامة : نسخة جيـدة وكاملة ، عليها العديد من الشروح والحواشى وأختام الوقف ، قوبلت على الأصل .

(فهـرس المصـورات الميكـروفيلميـة بقسم المخطـوطـات . العـدد الثانى، السنة الثانية ١٤٠٨هـ ـ١٩٨٨م/ ٩٠) .

*** حاشية على مُوصّل الطلاب إلى قواعد الإعراب:**

.OP. 1769

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم النحو.

مخطوط فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا .

تأليف : أحمـد بن محمـد الزرقـانى المـالكى ، كان حيًّا سنة : ١٠٦١هـ/ ١٦٥١م . حشى فيهـا على كتاب (موصِّل الطلاب إلى قواعد الإعراب) الذى وضعه خالد الأزهرى شرحًا على كتـاب (الإعــراب عن قـواعـد الإعــراب) لابن هشـام الأنصارى .

أولهـا بعد البسملـة : « يقـول العبد الفقيـر إلى الله تعـالى أحمد بن محمـد الزرقانى المالكى : الحمـد لله رب العالمين والصلاة والتسليم على أسعد المرسلين ... » .

آخرها : « ... قوله ، وذلك لا يجوز، الأحسن لو قال وإنما لم يكن بدلاً والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب والحمد لله على الإتمام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » .

النسخة حديثة تـامة ، كتبت بخط نسخ جميل ، ولم يذكر اسم الناسخ أو تاريخ النسخ .

(٨٣)ق (٢٠ × ١١سم) مسطرتها (٢١س) .

بروكلمان ٢/ ٢٤ . ذيل بروكلمان : ٢/ ١٩ .

نسخة منه : OP.2061 .

تـامة حـديثـة أيضًا ينبىء بـذلك خطهـا كتبت بخط نسخ حديث ولم يذكر اسم الناسخ أو تاريخ النسخ .

(٧٨) ق القطع المتوسط مسطرتها : (١٨س) .

(فهرس المخطوطات العربية المحفـوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢/ ١٠٦ ، ١٠٧) .

*** حاشية النور الحلبى على شرح المنهاج:**

الجزء الأول :

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم أصول الفقه .

مخطوط بخـزانة المدرسـة الأحمدية (فى محلـة الجلوم ـ البهراقية) بحلب ، وهى الآن تحت رعاية الأوقاف .

تأليف : نــور الــدين على بن إبـراهيم الحلبى : ٩٨٥ ـ ١٠٤٤هـ ، ١٥٦٧ ـ ١٦٣٥م .

كتـاب فى أصول الفقـه وهو عبـارة عن حـاشية هى شـرح بالقول لكتاب « شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول » لزكريا الأنصـارى المتوفـى سنة ٩٢٦هــ ، والـذى هـو بدوره شـرح لكتاب « منهـاج الوصول إلى علم الأصول » لعبـد الله بن عمر البيضاوى المتوفى سنة ٦٨٥هـ .

أوله بعد البسملة : قوله محيى الدين نقل عن الإمام النووى أنه قال ...

آخره : قولـه ويحصل بعمل عمـرة ولا تجـزيه عن عمـرة الإسلام ولو كان قارنا والله أعلم وأعز وأكرم ...

النسخة جيدة كتبت بخط النسخ المعتاد . فى أولها إجازة من الشيخ نور الدين الهـوارى مطالعةوتفهمًا وإفـادة تاريخها سنـة ١١١١هــ وهى من الشيـخ محمـد الخليلى الشـافعى . وكتبت كلمة (قوله) بالحمرة ، فى الهوامش تعليقات . نسخها محمد العنانى الأزهرى عن نسخـة بخط المؤلف ، كتبها على

هامش كتاب (شرح المنهاج) للأنصارى . وفرغ من نساختها سنة ١١٠١هـ.

(٣٨٨)ق المسطرة (٣٣)س الأحمدية (٦٤٧/ ١)

الفقه بروكلمان ٢/ ٣٠٧.

الجزء الثانى منه :

يبدأ هذا لجزء بكتاب البيع .

آخره وختمته : « ... على الكراهة خلاف الظاهر كما أفتى به القفال . هذا آخر ما وجدته بهامش نسخة شيخنا الشيخ على الحلبى رحمه الله تعالى ... » .

النسخة جيدة بخط النسخ الجيد، ويبدو أن ناسخها ناسخ الجزء الأولى نفسه وقد فرغ من نساختها سنة ١١٠١هـ.

(٤٨٠) ق المسطرة (٢٣)س الأحمدية (٦٤٧/ ٢)

الفقه .

(المنتخب من المخطوطات العربية فى حلب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٤ ١٧٥، ١٧٦) .

*** حاشية اليزدى على مختصر السعد التفتازانى:**

OP.3225 .

من مخطوطات علوم البلاغة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا .

تأليف : عبد الله بن شهاب الدين حسين اليزدى الشهابادى المتوفى سنة ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م .

من الحواشى المفيدة المقبولة على كتاب (المختصر) للسعد التفتازانى الذى وضعه شرحًا على كتاب (تلخيص المفتاح) للقزوينى فى البلاغة .

وذكر اليزيدى فى آخر حاشيته أنه أتم تأليفها فى ذى الحجة سنة ٩٦٢هـ بالمدرسة المنصورية بشيراز.

أولها بعد البسملة : « وبه ثقتى يقينى بأنه يقينى، حمدًا لمن خلق الإنسان وعلمه البيان ... » .

آخرها : « ... حتى يفوت مقابلة ذلك الحسن هذا والمرجو من الله تعالى حسن الخاتمة » .

النسخة تامة بحالة حسنة، كتبت بخط فارسى، ولم يذكر تاريخ الفراغ من نسخها أو اسم كاتبها .

(٨٣)ق القطع الصغير مسطرتها (١٩س) .

الكشف ١/ ٣٢٥ ، ذيل بروكلمان ٢/ ٥٨٨، هدية العارفين ١/ ٤٧٣ .

نسخة منه :

(مج) OP. 1514 .

تامة متأخرة ينبىء بذلك خطها وورقها، كتبت بخط فارسى ولم يذكر اسم ناسخها أو تاريخ الفراغ من النسخ .

(٥٥)ق القطع المتوسط مسطرتها (٢٥س) .

(فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢/ ١٩٨، ١٩٩) .

*** حاشية يعقوب باشا على شرح الوقاية:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفقه الحنفى .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية .

الرقم ٢٦٥١ (فقه حنفى ٣٤٨) .

الوقاية تأليف : برهان الشريعة محمود بن صدر الشريعة الأول عبيد الله المحبوبى المتوفى سنة ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م .

الحاشية تأليف يعقوب باشا بن المولى خضر بك بن جلال الدين المتوفى سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م .

أورد فيها المؤلف دقائق وأسئلة مع الإيجاز فى التحرير.

أولها : الحمد لله الذى لا تستفتح الكتب إلا بحمده، ولا تستمتع النعم إلا بواسطة كرمه ورفده .

وآخرها : فجميع المال بين زيد على الاثنين على السوية، فينبغى أن يدفع النصف حتى يساويه فيما أخذه .

نسخة جيدة. على صفحاتها جميعًا جداول بالحمرة. عليها وقفية المدرسة المرادية .

الخط نسخ معتاد، بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة .

المراجع : كشف الظنون ٢/ ٢٠٢٢، فهرس الخديوية ٣/ ٤٠، معجم المؤلفين ١٢/ ١٧٨، ١٣/ ٢٤٨ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفى ـ وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٨٠) .

*** الحاصل فى علم الميزان:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الموازين.

مخطوط فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

تأليف أبى موسى جابر بن حيّان الصوفى.

أوله: الحمد لله خالقنا ... ليس يضر الإنسان المحب لاستيعاب علم الموازين أن يكون قد أخذ من درسه لكتبها وخاصة فيما ألفناه نحن، فإنه أشرح وأبين مما عملته الفلاسفة إذ كان ذلك قليلا أيضًا، وقد سميته كتاب الحاصل، وذلك أن سيدى جعفر بن محمد صلوات الله عليه قال لى: فما الحاصل الآن بعد هذه الكتب فى الموازين وما المنفعة بها، فقلت المنفعة علم التراكيب الكبار ... إلخ.

وآخره: إن جوهر الضرورة هو من العنصر ومن الوصلة التى بين الفاعل وبين العنصر، فاكشف عن ذلك يتضح لك الحق إن شاء الله تعالى.

- نسخة بقلم معتاد واضح. فى ٢٩ ورقة ومسطرتها ١٨ سطرًا.

١٤ × ٢٢سم.

[مكتبة جار الله باستانبول - ١٦٤١].

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ٣ العلوم ق ٤ الكيمياء والطبيعيات - وضع فؤاد سيد. القاهرة ١٩٦٣/ ٣٦).

*** حاصل كورة الخلاص فى فضائل سورة الإخلاص:**

حاصل كورة الخلاص فى فضائل سورة الإخلاص: لمجد الدين أبى طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادى الشيرازى المتوفى سنة ٨١٧ سبع عشرة وثمانمائة.

(كشف ١/ ٦٢٤).

*** الحاصل من المحصول:**

لتاج الدين الأرموى. من مصنفات التراث الإسلامى فى علم أصول الفقه.

يعرّف بهذا الكتاب الدكتور عبد السلام محمود أبو ناجى فى دراسة مستفيضة نقلها لك فيما يلى. يقول سيادته:

هو أحد مؤلفات: تاج الدين الأرموى، وقد تمّ تأليفه فى ذى الحجة سنة ٦١٤هـ. كما صرّح بذلك صاحب كشف الظنون فى المجلد الثانى ص ١٦١٥.

وهو من أهم كتب الأصول وأدقها - وأنفسها وأخطرها.

جمع فيه مؤلفه - من مسائل الأصول - ما فيه غناء لكل طلاّب، وكفاية لكل راغب وحاجة لكل عالم ومتعلم. إنه استغرق كل أبحاث أصول الفقه واستوعب جميع مسائله وضم شارده وجمع متبدده بأسلوب متساوق الأغراض، محكم السبك.

فكتاب الحاصل - رغم إيجازه واختصاره - اشتمل على مادة أصولية غزيرة ومفيدة: تقصر بعض الأفهام عن إدراكها، وتعجز بعض العقول عن سبر أغوارها وتحير بعض الأذهان فى فكّ رموزها وفهم إشارتها وحل ألغازها وحسب هذا الكتاب دليلاً على مكانته العلمية أنه قد أخذ مكانة فى أكبر المكتبات الأوروبية، فضلاً عن المكتبات العربية والإسلامية.

والآن - يشغل حيزًا فى مكتبة « ليدن » بـ « هولندا ».

نسخه الخطية:

من خلال البحث عن مخطوطات هذا الكتاب عثرت له على أربع نسخ خطية:

١ - نسخة من دار الكتب بالقاهرة - وتقع تحت رقم (٦١) أصول - دار الكتب وهى مكتوبة سنة ٦٩٤هـ؛ وعدد لوحاتها: (١٤٥١) لوحة من القطع المعتاد، مسطرة الصفحة الواحدة: (١٩) سطرًا، معدل كلمات السطر الواحد (١٢) كلمة. وهى نسخة كاملة ومكتوبة بخط واضح، ولا يوجد بها أى غموض اللهم إلاّ فى بعض كلمات قليلة لا تكاد تذكر وعليها تعليقات كثيرة، ولها تصحيحات تدلّ على أنها نسخة مدروسة تناولتها أيدى علماء محققين، وفيها تنبيهات متكررة على أنها قوبلت بالأصل من أولها إلى آخرها.

٢ - نسخة بمكتبة: (آية الله الحكيم) بالعراق - (النجف).

وعدد لوحاتها: (١٦٩) القياس (٢٧ × ٩٩) سم. ومسطرتها: (١٩) سطرًا متوسط السطر الواحد (١٠) كلمات وخطها جيد، وبها نقص من أولها إلى (الباب السادس فى

الحقيقة والمجاز) ويقع ذلك فى حدود سبع ورقات تقريبًا ويوجد منها نسخة مصورة (ميكروفلم) بمعهد المخطوطات بالقاهرة تحت رقم (١٥٠) مصورات العراق.

٣ - نسخة برواق المغاربة - بالأزهر - وتقع فى مكتبة الرواق المذكور تحت رقم (١٨٥٨) أصول عدد أوراقها (١٧٥) ورقة، مقاس (٢٧ × ١٩) سم ومسطرتها: (١١) سطرًا متوسط السطر الواحد (٨) كلمات. وخطها مغربى واضح وبأولها نقص قليل من المقدمة، وتاريخ نسخها (٣) من شهر رجب سنة ٦٢٨هـ ويوجد منها نسخة مصورة، ميكروفلم فى معهد المخطوطات بالقاهرة.

٤ - نسخة من « ليدن » بـ«هولندا » وتقع فى (١٥٨) لوحة تقريبًا من الورق المتوسط الحجم ومسطرتها (١٩) سطرًا متوسط السطر الواحد (١٢) كلمة. وخطها جيد وواضح وفى بعض الأوراق إصابات ماء خفيفة، لم تؤثر فى الكتابة إلاَّ شيئًا يسيرًا جدًّا وهى خالية من التعليقات والتصحيحات ولا يوجد بها ما يفيد أنها قوبلت بالأصل وفى أولها نقص قليل لا يتجاوز أسطرًا معدودة كما يوجد بها نقص فى آخرها - أيضًا - حوال ثلاث صفحات تقريبًا.

هذه هى النسخ التى استطعت العثور عليها بعد استفراغ جهد، وطول عناء فى البحث عنها. وأحب أن أنبه - هنا - إلى أنه يوجد بأحد فهارس معهد المخطوطات - بالقاهرة - ما يفيد وجود نسخة من هذا الكتاب فى مكتبة: (دابلن) بـ(ايرلندا) وقد استطعت إحضار (ميكروفلم) من هذه النسخة ولكن تبين أنها ليست من كتاب: (الحاصل) وإنما هى كتاب آخر قريب منه، ربما كان مختصرًا منه، أو من كتاب (المحصول) للإمام الرازى، ولم أستطع معرفة مؤلفه لأن أوله غير موجود.

محتوياته:

ثم يتكلم الدكتور أبو ناجى على محتويات الكتاب مقتصرا - كما قال - على ذكر عناوينه البارزة وأهم ما اشتملت عليه من مسائل، ثم يقول: يحتاج إلى عدة صفحات قد لا يصبر القارىء على استقصائها، على أن الخوض فى تفصيلات أى علم والوقوف على كل جزئية من جزيئاته - إنما يهم من رام التخصص فى ذلك العلم أما من سواه فتكفيه الإلمامة السريعة والفكرة المجملة وبناء على ذلك فإن العرض لمحتويات هذا الكتاب سيكون مجملاً مقتصرًا على ذكر عناوينه البارزة وأهم ما اشتملت عليه من مسائل ...

إن كتاب « الحاصل » يعتبر من أهم كتب الأصول التى اشتملت على ما يحتاج إليه الدارس لهذا العلم - من أبحاث أصولية، ومسائل ذات علاقة وثيقة بهذا الفن. فقد ضمنه الأبحاث الآتية ورتبه على النحو التالى:

١ - المقدمات:

وفيها فصول:

الفصل الأول: فى تعريف أصول الفقه.

الفصل الثانى: فيما يحتاج إليه أصول الفقه من مقدمات وفيه خمسة مباحث.

الفصل الثالث: فى تقسيم الأحكام ومتعلقاتها وقد قسمها عدة تقسيمات من حيثيات مختلفة وعرف كل قسم منها.

الفصل الرابع: فى تحسين العقل وتقبيمه وفيه يبين المراد بكل من الحسن والقبيح، وعرض الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة فى أن الحسن والقبح عقليان أو شرعيان.

الفصل الخامس: فى الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة فى أن المنعم هل يجب شكره عقلاً أم لا؟ فعرض الآراء والأدلة، وأجاب عن أدلة مخالفه.

الفصل السادس: فى حكم الأفعال الاختيارية قبل الشرائع، وفى هذا الفصل عرض آراء العلماء فى المسألة، وبين أدلة كل فريق، ثم حدد موقفه من أدلة مخالفيه.

٢ - الكلام فى اللغات وعقد له الأبواب التالية:

١ - الباب الأول: فى أبحاث كلية، وفيه أنظار خمسة:

١ - النظر الأول: فى الكلام.

٢ - النظر الثانى: فى الواضع.

٣ - النظر الثالث: فى الموضوع.

٤ - النظر الرابع: فى الموضوع له.

٥ - النظر الخامس : فى طريق معرفة الوضع .

٢ - الباب الثانى : فى تقسيم الألفاظ - من حيث نسبتها - وباعتبار المدلول .

٣ - الباب الثالث : فى المشتق - وضمنه المباحث التالية : تعريف الميدان للمشتق - أركان الاشتقاق ، أحكام المشتق وفيه أربع مسائل .

٤ - الباب الرابع : فى الترادف والتوكيد وتناول فيه المباحث التالية : تعريف الترادف - شرح التعريف - الفرق بين المترادف والتوكيد - الفرق بين المترادف والتابع - أحكام الترادف، وفيه مسائل خمس وتضمنت المسألة الخامسة أربعة مباحث .

٥ - الباب الخامس : فى الاشتراك ، تناول المؤلف فى هذا الباب - أحكام الاشتراك وعقد لذلك سبع مسائل .

٦ - الباب السادس : فى الحقيقة والمجاز وقد رتب هذا الباب على مقدمة وثلاثة أقسام - تناول فى الحديث عن المقدمة ثلاث مسائل وحصر الأقسام فى المباحث التالية :

١ - الحقيقة وأحكامها وما يتعلّق بها من مباحث .

٢ - المجاز وأقسامه وعلاقاته وأحكامه .

٣ - المباحث المشتركة بين الحقيقة والمجاز وحصرها فى خمس مسائل .

٧ - الباب السابع : فى بيان أحوال لفظية مخلة بإفادة اللفظ ووجه تعارضها وحكم ما إذا تعارضت .

٨ - الباب الثامن : فى تفسير حروف يحتاج إليها . وقد اشتمل هذا الباب على ست مسائل .

٩ - الباب التاسع : فى كيفية الاستدلال بخطاب الله ورسوله وتنحصر مباحثه فى خمس مسائل .

٣ - الكلام فى الأوامر والنواهى :

وقد رتبه على مقدمة وثلاثة أقسام ، حصر الكلام فى المقدمة على ثمانى مسائل وتكلم فى القسم الأول على الأبحاث اللفظية ، وتناول ذلك فى إحدى عشرة مسألة وفى القسم الثانى تحدّث عن المسائل المعنوية ، وحصر ذلك فى أنظار أربعة وجعل القسم الثالث فى النواهى وتناول الحديث عنها فى سبع مسائل .

٤ - الكلام فى العموم والخصوص :

وقسمه إلى أربعة أقسام :

١ - القسم الأول : فى العموم وما يتعلق به من مباحث .

٢ - القسم الثانى : فى الخصوص وفيه ثمانى مسائل .

٣ - القسم الثالث : فيما يقتضى تخصيص العموم ، وفيه أطراف أربعة .

١ - الطرف الأول : فى التخصيص بالأدلة المتصلة - وينحصر فى أبواب ثلاثة .

٢ - الطرف الثانى : فى التخصيص بالأدلة المنفصلة - وفيه فصول أربعة .

٣ - الطرف الثالث : « بناء العام على الخاص ، وفيه تحدث عما إذا ورد خبران متعارضان أحدهما عام والآخر خاص .

٤ - الطرف الرابع : فيما يظن أنه مخصص وليس كذلك وفيه عشر مسائل .

٤ - القسم الرابع : فى حمل المطلق على المقيد .

وتحت هذا القسم وضح حكم ما إذا ورد المطلق والمقيد وكانا مختلفين أو متماثلين اتحد سببهما أو اختلف - أمرين كانا أو نهيين .

كما بين - أيضًا - حكم ما إذا أطلق الحكم فى صورة وقُيِّد فى صورتين أخريين بقيدين متضادين .

٥ - النوع الرابع فى المجمل والمبين :

وفيه مقدمة وثلاثة أقسام :

تناولت المقدمة شرح ألفاظ اصطلاحية مثل « البيان» والمبين وخصص المؤلف القسم الأول للكلام عن المجمل فذكر مسألتين . ثم تعرف لبيان أمور ظُنَّ أنها من المجملات مع أنها ليست كذلك وذكر لها خمس مسائلّ .

وفى القسم الثانى تعرَّض لأقسام « المبيّن » وحصرها فى خمس مسائل وتحدّث فى القسم الثالث عن وقت البيان وعقد لذلك أربع مسائل. وفى القسم الرابع تكلّم عن « المبيّن له » وتناوله فى مسألتين.

٦ – الكلام فى الأفعال:

وعقد لذلك ست مسائل تعرض فى المسألة الخامسة منها - لفعله - ﷺ - الذى عارضه قوله أو فعله، وقسم تلك المسألة إلى أقسام ثلاثة.

٧ – الكلام فى الناسخ والمنسوخ:

وقد رتَّبه على أقسام أربعة:

تعرض فى القسم الأول لبيان حقيقة النسخ وعقد لذلك إحدى عشرة مسألة.

وفى القسم الثانى تحدّث عن الناسخ والمنسوخ وحصر الحديث عن ذلك فى ست مسائل. وجعل الحديث فى القسم الثالث فيما ظُنَّ أنه ناسخ وليس كذلك وعقد له مسألتين. عرض فى المسألة الأولى آراء العلماء فى أن الزيادة على النص هل تعتبر نسخًا؟.

ثم ذكر أنظارًا ثلاثة بنى عليها أبو الحسين البصرى للمسألة.

ثم فرَّع أحكامًا ثلاثة على هذه الأنظار.

وتكلم فى المسألة الثانية على نسخ العبادة وقسّمها إلى قسمين.

أما القسم الرابع فقد خصصه لبيان الطريق المعرف للنسخ فذكر أن النسخ يعرف بأحد أمرين وهما اللفظ والمعنى، فوضحها ثم عقد بعد ذلك مسألتين.

٨ – الكلام فى الإجماع:

وقد حصر الحديث عنه فى سبعة أقسام:

١ – القسم الأول: فى أصل الإجماع وعقد له ثلاث مسائل.

٢ – القسم الثانى: فيما أخرج من الإجماع وهو منه وتناوله فى تسع مسائل.

٣ – القسم الثالث: فيما أدخل فى الإجماع وليس منه وعقد له عشر مسائل.

٤ – القسم الرابع: فيما يصدر عنه الإجماع وحصر الحديث حوله فى ثلاث مسائل.

٥ – القسم الخامس: فى المجمعين وعقد له ست مسائل.

٦ – القسم السادس: فيما ينعقد عليه الإجماع وحصره فى خمس مسائل.

٧ – القسم السابع: فى أحكام الإجماع وشمل الحديث عنه أربع مسائل.

٩ – الكلام فى الأخبار:

وهو مرتب على مقدمة وقسمين تناول المقدمة فى خمس مسائل.

وتكلم فى القسم الأول عمّا يقطع بكونه صدقًا أو كذبًا وفيه أبواب ثلاثة.

١ – الباب الأول: فى المتواتر وفيه خمس مسائل.

٢ – الباب الثانى: فى سائر الطرق الدالة على كون الخبر صدقًا فذكر أنها سبعة وأن بعضها محل خلاف وبعضها الآخر محل وفاق، ثم تكلّم عن الطرق الفاسدة وأفاد أنها خمس طرق.

٣ – الباب الثالث: فى الأخبار التى علم كونها كاذبة، وعقد لها ثلاث مسائل.

وفى القسم الثانى ذكر ما لا يقطع بصدقه ولا كذبه وعقد له بابين.

١ – الباب الأول: فى الدلالة على كونه حجة، وقد عرض آراء العلماء فى التعبّد به - جوازًا ووقوعًا، ثم أفاد أن الكل متفقون على وجوب العمل بخبر الواحد فى الفتوى والشهادة والأمور الدنيوية.

٢ – الباب الثانى: فى شرائط العمل بهذه الأخبار وقسمها إلى ثلاثة أقسام:

١ – القسم الأول: الشروط المعتبرة فى المخبر وفيه فصول ثلاثة.

٢ - القسم الثانى : الشروط المعتبرة فى المخبر وفيه تعرض لبيان ما ظن أنه شرط وهو ليس بشرط وعقد له ثمانى مسائل .

٣ - القسم الثالث : الشروط المعتبرة فى الخبر وعقد له ست مسائل ذيلها بفرع تحدّث فيه عما إذا زاد الراوى فى الحديث مرةً فبين متى تسمع زيادته ومتى لا تسمع .

١٠ - الكلام فى القياس :

وقد رتبه على مقدمة وثلاثة أقسام ، حصر أبحاث المقدمة فى ثلاث مسائل .

وتعرض فى القسم الأول لبيان مذاهب العلماء في حجية القياس ، وأورد أدلّة كل فريق وبيَّن الرأى المختار عنده ، ثم ذكر مسألة تعرض فيها لبيان آراء العلماء فى أن التنصيص على علة الحكم هل يعتبر أمرًا بالقياس؟ كما ذكر مسائل أخرى متفرقة وعقد القسم الثانى لبيان الطرق الدالة على عليّة الجامع ورتبه على مقدمة وأبواب .

تناول فى المقدمة تفسير العلة ، فذكر لها ثلاث تفسيرات ، وبين ما ورد على هذه التفسيرات من اعتراضات واختار تفسيرها بأنها « المعرف للحكم » وأجاب عما ورد على هذا التفسير من اعتراض .

وتكلم فى الباب الأول عن الطرق الدالة على عليّة الوصف ، وعقد لها فصولاً عشرة .

١ - الفصل الأول : تكلّم فيه على النص فعرفه وقسم دلالته على عليّة الوصف إلى : قاطعة ومحتملة ومثّل لكل منهما .

٢ - الفصل الثانى : وفيه تحدّث عن الإيماء وذكر له أنواعًا خمسة .

٣ - الفصل الثالث : وفيه تكلّم على عليّة الوصف بالمناسبة وقسمه إلى قسمين .

٤ - الفصل الرابع : وفيه تحدّث عن المؤثر - فعرفه وبيَّن متى يتم بيان كونه علة .

٥ - الفصل الخامس : فى تفسير الشبه ، وبيان مذاهب العلماء فيما يكون به المشابهة .

٦ - الفصل السادس : فى تعريف الدوران ، وبيان مذاهب العلماء فى أنه يفيد ظن العلية .

٧ - الفصل السابع : فى السبر والتقيم . فذكر ضابطهما ومثل لكل منهما .

٨ - الفصل الثامن : فى الطرد ، تعرّض لبيان معناه وذكر له تفسيرين ثم بيَّن خلاف العلماء فى كونه يدل على العلية .

٩ - الفصل التاسع : فى تنقيح المناط - عرفه ثم بيَّن أن الحنفية يسمونه بـ« الاستدلال » .

١٠ - الفصل العاشر : فى بيان الطرق الفاسدة .

وفى الباب الثانى اهتمّ ببيان الطرق الدالة على عدم عليّة الوصف وعقد لها فصولاً خمسة .

١ - الفصل الخامس : فى تعريف النقض وبيان مذاهب العلماء فى كونه يدل على عدم علية الوصف ثم ذكر مسألة بين فيها أن للنقض دفعين :

١ - منع العلة فى صورة النقض وذكر فيه أبحاثًا ثلاثة .

٢ - منع الحكم فى صورة النقض ، وفيه أبحاث أربعة .

٢ - الفصل الثانى : تكلّم فيه عن عدم التأثير وعدم العكس - من حيث التعريف والقدح .

٣ - الفصل الثالث : تحدّث فيه عن القلب ، وتناوله فى أربع مسائل .

٤ - الفصل الرابع : تعرّض فيه لـ« القول بالموجب » فعرفه ومثل له فى حالتى النفى والإثبات .

٥ - الفصل الخامس : تكلّم فيه عن « الفرق » فبين ما ينبى عليه الفرق ، ثم عقد مسألتين .

وفى الباب الثالث : ذكر أمورًا ظُنَّ أنها من مفسدات العلة مع أنها ليست كذلك . وقبلها ذكر الأقسام الأربعة التالية :

١ - القسم الأول : فى بيان أن علة الحكم إما أن تكون محله أو جزء محله أو أمرًا خارجًا عنه .

٢ - القسم الثانى : فى بيان أقسام العلة والحكم من حيث الوجود والعدم .

٣ - القسم الثالث : فى بيان أقسام العلة من حيث لزومها للموصوف وعدم لزومها له .

٤ - القسم الرابع : فى تقسيم العلة إلى بسيطة ومركبة وأمثلة كل ثم ذيل هذه الأقسام بمسائل متفرعة ومتفرقة .

القسم الثالث : فى مباحث الأصل والفرع والحكمة وانحصر الحديث عن هذا القسم فى تسع مسائل . وفى الباب الرابع : تكلم عن شرائط الأصل المقيس عليه ، مقسمًا حكم هذا الأصل إلى قسمين :

١ - القسم الأول : كونه على وفق سائر الأصول ، وذكر لجواز القياس عليه ست شروط .

٢ - القسم الثانى : كونه على خلافها وفى جواز القياس عليه خلاف ، بين العلماء وبعد الفراغ من ذلك ذكر أمورًا ظن أنها من شرائط الأصل ثم حكم عليها بالبطلان مبينًا وجه بطلانها .

وفى الباب الخامس : ذكر شرائط الفرع ، وقد قسم هذه الشروط إلى صحيحة وفاسدة ثم عقد خاتمة بين فيها نوعًا آخر من القياس يستعمله أهل زمانه وقد مثل له بقولهم : « لو ثبت الحكم فى الفرع لثبت فى الأصل بالقياس ولم يثبت فى الأصل فلا يثبت فى الفرع » .

ثم صرّح بأن هذا هو التلازم بعينه وأن القياس إنما هو لتصحيح مقدمته .

١١ - الكلام فى التعادل والترجيح :

حصر الأرموى حديثه حول التعادل والترجيح فى أقسام ثلاثة :

١ - القسم الأول : فى مذاهب العلماء فى تعادل الإمارتين .

٢ - القسم الثانى : فى مقدمات الترجيح وفيه سبع مسائل .

٣ - القسم الثالث : فى ترجيح الأخبار .

١٢ - الكلام فى الاجتهاد :

ذكر أركانه وحصرها فى أربعة :

١ - الاجتهاد : وقد بيّن معناه لغة واصطلاحًا .

٢ - المجتهد : وذكر فيه أربع مسائل .

٣ - المجتهد فيه : وهو الأحكام الشرعية التى ليست قطعية .

٤ - حكم الاجتهاد : وتناوله فى مسألتين وثلاثة فروع .

ثم ذكر تبينها ما بيّن فيه أن محل عدم نقض قضاء القاضى حيث لم يلح دليل قاطع يدل على فساده وإلاّ فإنّه ينقض .

١٣ - الكلام فى الإفتاء :

وفيه أنظار ثلاثة :

١ - النظر الأول : فى المفتى وعقد له مسألتين .

٢ - النظر الثانى : فى المستفتى وتناوله فى ثلاث مسائل .

٣ - النظر الثالث : فى بيان ما يجوز فيه الاستفتاء وفيه تعرّض لخلاف العلماء فى جواز التقليد فى الأصول وبيّن الرأى المختار عنده ، واستدل له .

١٤ - الكلام فيما اختلف فيه المجتهدون من الدلائل :

وفيه إحدى عشرة مسألة :

١ - المسألة الأولى : فى أن الأصل فى المنافع الإباحة وفى المضار التحريم :

٢ - المسألة الثانية : فى حجية الاستصحاب وآراء العلماء فى ذلك .

٣ - المسألة الثالثة : فى حجية الاستحسان وآراء العلماء فى ذلك .

٤ - المسألة الرابعة : فى حجية قول الصحابى وآراء العلماء فى ذلك .

٥ - المسألة الخامسة : فى التفويض ـ معناه ـ جوازه ـ وقوعه ـ آراء العلماء فيهما .

٦ - المسألة السادسة : فى الأخذ بالأقل ـ مثاله ـ من أخذ به من العلماء ـ ما ينبنى عليه هذا القول .

٧ - المسألة السابعة : فى الأخذ بالأخف وآراء العلماء فيه .

٨ - المسألة الثامنة : فى حجية الاستقراء الذى يفيد الظن .

٩ - المسألة التاسعة : فى حجية المصالح المرسلة .

١٠ – المسألة العاشرة: فى مذاهب العلماء فى أن عدم ثبوت الحكم هل يكون دليلاً على عدم ثبوت الحكم؟.

١١ – المسألة الحادية عشرة: فى طرق العلماء وتحت هذا العنوان: قسم الحكم إلى:

١ – عدمى وبين أن فيه وجوهًا ستة.

٢ – وجودى وبين أنه يتأتى فيه وجهان.

وقد ذكر جميع هذه الوجوه وبين ما ورد على بعضها من أشكال وأجاب عنه. وبذلك ختم مباحث هذا الكتاب.

(« تاج الدين الأرموى وكتابه الحاصل من المحصول » ـ د. عبد السلام محمود أبو ناجى. مجلة الوثائق والمخطوطات. مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالى. السنة الأولى. العدد الأول ١٩٨٦/ ٢٥٢ ـ ٢٦٣).

*** الحاصل والمحصول:**

الحاصل والمحصول: فى عشرين مجلدا للشيخ الرئيس أبى عبد الله حسين بن عبد الله بن سينا المتوفى سن ٤٢٨ ثمان وعشرين وأربعمائة (كشف ١/ ٦٢٤).

*** حاطب بن أبى بلتعة:**

قال عنه الإمام النووى:

حاطب بن أبى بلتعة الصحابى رضى الله عنه بفتح الباء الموحدة والتاء المثناة فوق بينهما لام ساكنة مذكور فى مواضع من المختصر وفى كتاب السير من المهذب هو أبو محمد وقيل أبو عبد الله حاطب بن أبى بلتعة عمرو بن عمير بن سلمة ابن صعب بن سهل بن العتيك بن سَعَّاد بفتح السين وتشديد العين ابن راشدة بن جزيلة بالزاى بن لخم بن عدى حليف للزبير بن العوام. وقيل كان لعبيد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد فكاتبه فأدى كتابته. شهد بدرا والحديبية وشهد الله له بالإيمان فى قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ﴾ الآيتين نزلتا فيه قالوا وأرسله رسول الله ﷺ إلى المقوقس صاحب الإسكندرية سنة ست من الهجرة فقال له المقوقس أخبرنى عن صاحبك أليس هو نبيًّا قال بلى قال فما له. لم يَدْعُ على قومه حيث أخرجوه من بلدته قال له حاطب فعيسى ابن مريم رسول الله حين أراد قومه صلبه لم يدع عليهم حتى رفعه الله قال أحسنت أنت حكيم جئت من عند حكيم وبعث معه هدية لرسول الله ﷺ منها مارية القبطية وأختها سيرين وجارية أخرى فاتخذ مارية سرية ووهب سيرين لحسان بن ثابت والأخرى لأبى جهم بن حذيفة وأرسل معه من يوصله مأمنه. توفى حاطب سنة ثلاثين بالمدينة وصلى عليه عثمان بن عفان رضى الله عنه وكان عمره خمسا وستين سنة. وروينا فى صحيح البخارى عن جابر « أن عبدا لحاطب جاء إلى رسول الله ﷺ يشكو حاطبا فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله ﷺ كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدرًا والحديبية » وكان حاطب حسن الجسم خفيف اللحية ذكره ابن سعد ».

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١/ ١٥١، ١٥٢. انظر أيضًا مجلة الوعى الإسلامى. السنة الثالثة عشرة. العدد (١٤٧). ربيع الأول ١٣٩٧هـ ـ مارس ١٩٧٧م/ ١١٠، ١١١).

*** حاطب ليل:**

من بين أصناف الناس الذي أدرجهم الشيخ بدر الدين الغزى فيمن لا يراعون آداب المؤاكلة. والأصل رجل حاطب ليل أى يتكلم بالغثِّ والسمين، مخلط فى كلامه وأمره لا يتفقد كلامه، كالحاطب بالليل الذى يحطب كل ردىء وجيد، لأنه لا يُبصرُ ما يجمع فى حبله، وقد استخدم المؤلف هذا التركيب اللغوى من باب المجاز تشبيها وتمثيلا بالآكل الذى لا يستقصى تأمل ما يأكله، ولم يرد هذا الاستعمال عند العرب.

قال المؤلف: وحاطب ليل: هو الذى لا يستقصى تأمل ما يأكلهُ، فربَّما أكل ذبابةً عساها تقعُ فى الإناء، وهو لا يشعر، فيتغامزُ عليها الحاضرون، وإن أكل سمكا لم يستقص تنقيته من العظام، فتراه فى أكثر الأوقات، وقد نشب العظم فى حلقه، وأشرف منه على مكروه، وقد ينشب أيضًا عظام الدَّجاج ونحوها ولا سيَّما الحمام والعصافير فى الحلق، فيبقى مدة طويلة لا يستلذُّ بأكل ولا شرب، ويذوق العذاب كما أصاب الشيخ النجيب يوسف بن يعقوب رئيس عمرانات، فإنه شارف الموت من ذلك عشرين يومًا حتى خلَّص العظمُ من حلقه.

(رسالة آداب المؤاكلة للشيخ بدر الدين محمد الغزّى ـ حققها د. عمر موسى باشا / ٣٣، ٣٤ وهامش ٤٧ للمحقق).

انظر: آداب الأكل.

*** الحافظ:**

الحافظ :

من ألقاب المحدثين، وأصله من الحفظ ضد النسيان، واختص بالمحدثين لاحتياجهم إلى كثرة الحفظ لمتون الأحاديث وأسماء الرجال ونحو ذلك، والحافظى نسبة إليه للمبالغة (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى / ٩٨).

والحافظ : من جمع بين علمين من علوم الحديث الثلاثة :

١ - حفظ متون الحديث ومعرفة غريبه وفقهه.

٢ - حفظ أسانيده ومعرفة رجاله وتمييز صحيحه من سقيمه.

- من مراتب أهل الحديث : وهو الذى أحاط علمه بمائة ألف حديث متنًا وإسنادًا وأحوال رواته جرحًا وتعديلاً وتأريخًا. أفاده الأحمدنكرى.

قال السيوطى : « كان السلف يطلقون المُحدث والحافظ بمعنى ... والحق أن الحافظ أخص » (معجم / ٢٩).

والحافظ : من بلغ درجة عظيمة فى معرفة علم الحديث رواية ودراية، وكان الرجال الذين يعرفهم أكثر من الذين يجهلهم، وضبطه بعضهم بمن حفظ مائة ألف حديث مسندة، كالدارمى عبد الله بن عبد الرحمن، وابن خزيمة محمد بن إسحاق، وابن عساكر ونحوهم (الناقد الحديث / ١٢٣).

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى / ٧٨ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٦/ ١٢، ومعجم مصطلحات توثيق الحديث.

*** حافظ إبراهيم (١٢٨٧-١٣٥١هـ / ١٨٧١-١٩٣٢م):**

محمد حافظ بن إبراهيم، فهمى المهندس، الشهير بحافظ إبراهيم، شاعر مصر القومى، ومدوِّن أحداثها نيفا وربع قرن، ولد فى ذهبية بالنيل كانت راسية أمام ديروط. وتوفى أبوه بعد عامين من ولادته. ثم ماتت أمه بعد قليل، وقد جاءت به إلى القاهرة، فنشأ يتيما. ونظم الشعر فى أثناء الدراسة، ولما شب أتلف شعر الحداثة جميعا. واشتغل مع بعض المحامين فى طنطا، فالقاهرة، محاميا، ولم يكن للمحاماة يومئذ قانون يقيدها. ثم التحق بالمدرسة الحربية، وتخرج سنة ١٨٩١ برتبة ملازم ثان بالطوبجية. وسافر مع «حملة السودان» فأقام مدة فى سواكن والخرطوم. وألف مع بعض الضباط المصريين « جمعية » سرية وطنية، اكتشفها الإنجليز فحاكموا أعضاءها ومنهم « حافظ » فأحيل إلى «الاستيداع» فلجأ إلى الشيخ محمد عبده، وكان يرعاه، فأعيد إلى الخدمة فى البوليس. ثم أحيل إلى المعاش، فاشتغل « محررا » فى جريدة « الأهرام » ولُقِّب بشاعر النيل. وطار صيته واشتهر شعره ونثره...

وانقطع للنظم والتأليف زمنا، وعين رئيسًا للقسم الأدبى فى دار الكتب المصرية سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م فاستمر إلى قبيل وفاته. توفى بالقاهرة.

له « ديوان حافظ » مطبوع مجلدان. قالت المؤلفة : عندى منه نسختان الأولى طبع دار العودة، بيروت، بدون تاريخ، والثانية طبع دار الجيل. بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، وكل منهما من جزءين فى مجلد واحد - ضبط وتصحيح وشرح وترتيب أحمد أمين، وأحمد الزّين، وإبراهيم الإبيارى، وتقع فى ٢٤٨ صفحة، والفهرس من ص ٢٥١ إلى ٢٦٢.

وله « البؤساء » و « ليالى سطِيح » و « كتيب فى الاقتصاد » و « التربية الأولية » مدرسى، مترجم. وشارك فى ترجمة «الموجز فى علم الاقتصاد» عن الفرنسية. مطبوع. ولإبراهيم عبد القادر المازنى « شعر حافظ » مطبوع. رسالة فى نقده، ولأحمد عبيد (انظر ترجمته فى م٢/ ٦٧٨ - ٦٨٣ من هذه الموسوعة) كتاب « ذكرى الشاعرين، حافظ وشوقى » مطبوع، فى سيرتهما والمختار من شعرهما وما قيل فيهما (الأعلام ٦/ ٧٦).

يقول عن شعره الأستاذ أحمد حسن الزيات رحمه الله :

صياغة حافظ هى موهبته الأولى ومزيته الظاهرة. وهو فى

ذلك ثاني الخمسة (البارودي وصبري وشوقي وحافظ ومطران) الذين تيقظت على دعوتهم نهضة الشعر، وتجددت على صنعتهم بلاغة القصيد. ولعله انفرد عن هؤلاء جميعًا بالصدق في تعبيره عن هموم قلبه، وتفسيره لأماني شعبه، وتصويره لمساوىء عصره. أما الروح والموضوع فأصداء منبعثة من الماضي في فردياته، وآراء مقتبسة من الحاضر في اجتماعياته. كان إذا تهيأ للشعر عمد إلى الآراء التي تختلج حينئذ في النفوس، وتستفيض في المجامع، وتتردد في الصحف، فيجمعها في باله، ويديرها في خاطره، ثم يكون همه بعد ذلك أن يصوغها فيحسن الصوغ، ويسبكها فيجيد السبك، وتقرأ بعد ذلك أو تسمع فإذا نسقٌ مطرد وأسلوب سائغ، وشيء كأنك سمعته من قبل ولكن عليه طابع حافظ ووسمه. (تاريخ الأدب العربي / ٥٠٦).

وفيما يلي نموذجان من شعره:

قال على لسان اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها:

رجعتُ لنفسي فاتهمت حصاتي ... وناديتُ قومي فاحتسبت حياتي

رَمَوْني بعقم في الشباب وليتني ... عقمتُ فلم أجزع لقول عداتي

ولدتُ ولما لم أجد لعرائسي ... رجالا وأكفاء وأدت بناتي

وسعتُ كتابَ الله لفظًا وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات

أنا البحر في أحشائه الدُّرُّ كامنٌ ... فهل ساءلوا الغوَّاص عن صَدَفاتي؟

فيا ويحكم أبلى وتبلَى محاسني ... ومنكم وإن عَزَّ الدواء أُساتي

فلا تكلوني للزمان فإنني ... أخاف عليكم أن تحينَ وفاتي

أرى لرجال الغرب عِزًّا ومنعةً ... وكم عَزَّ أقوام بعِزِّ لغات

أتوا أهلها بالمعجزات تفننًا ... فيا ليتكم تأتون بالكلمات

أيطربكم من جانب الغرب ناعبٌ ... ينادي بوأدي في ربيع حياتي؟

(الديوان ١/ ٢٥٣، ٢٥٤).

وقال من قصيدة له في الدعوة إلى مكارم الأخلاق:

إنِّي لتطربُني الخلالُ كريمةً ... طربَ الغريب بأوبة وتلاقي

ويهزُّني ذكرُ المروءة والندى ... بين الشمائل هزَّة المُشتاقِ

فإذا رُزقت خليقةً محمودةً ... فقد اصطفاك مُقسمُ الأرزاقِ

فالنَّاسُ: هذا حظُّهُ مالٌ وذا ... علم وذاكَ مكارمُ الأخلاقِ

والمالُ إن لم تدَّخرهُ مُحصَّنًا ... بالعلم كان نهاية الإملاقِ

والعلمُ إن لم تكتنفهُ شمائلٌ ... تُعليه كان مطيَّة الإخفاقِ

لا تحسبنَّ العلم ينفعُ وحدهُ ... ما لم يُتوج ربُّهُ بخلاقِ

كم عالم مدَّ العلوم حبائلاً ... لوقيعة وقطيعة وفراقِ

يدعونه عند الشِّقاق وما دروا ... أنَّ الذي يدعونَ خدْنُ شقاقِ

وطبيب قوم قد أحلَّ لطبِّه ... ما لم تُحلَّ شريعةُ الخلَّاقِ

قتل الأجنَّةَ في البُطون وتارةً ... جمع الدَّوانقَ من دم مُهَراقِ

وأديب قـــوم تستحقُّ يمينـــهُ
قطع الأنـــامل أو لظى الإحـــراق
يلهـــو ويلعبُ بـــالعقـــول بيــانُـهُ
فكأنّـــهُ فى السِّحْـــر رُقيَـــةُ راقى
فى كفِّـــه قلمٌ يمـجُّ لعـــابــهُ
سُمًّـــا وينفثُـــه علـى الأوراق
يـــردُ الحقـــائق وهـى بيضٌ نُصَّعٌ
قُـــدسيَّــة علـــويَّـــةُ الإشـــراق
فيـــردُّهـــا سُـــودًا على جنبـــاتهـــا
من ظُلمـــة التمـــويــه ألـفُ نطـــاق
عـــريت من الخُلُق المُطهَّـــر نفسُـــهُ
فحيـــاتُــــه ثقلٌ علـى الأعنـــاق
لـــو كـان ذا خُلُـقٍ لأسعـــد قـومَـــه
ببيـــانـــه ويـــراعـــه السَّبّـــاق

(الأعلام للزركلى ٦/ ٧٦ وتاريخ الأدب العربى - أحمد حسن الزيات / ٥٠٦ وديوان حافظ إبراهيم - ضبطـه وصححه وشرحه ورتبه أحمد أمين، أحمد الـزين، وإبراهيم الإبيارى ط دار العـودة. بيروت. د. ت. ، وطبع دار الجيل. بيـروت ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م/ ١/ ٢٥٣، ٢٥٤، والمنتخب من أدب العرب - جمعه وشرحه طه حسين وزملاؤه ٢/ ٥٢٢، ٥٢٣).

*** الحافظ المِزّى (٦٥٤-٧٤٢هـ / ١٢٥٦-١٣٤١م):**

يوسف بن عبد الرحمن بن يـوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكى أبى محمد القضاعى الكلبى المزى، محدث الديار الشامية فى عصره. ولد بظاهر حلب، ونشأ بالمزة (من ضـواحى دمشق) وتـوفى فى دمشق، مهـر فى اللغـة، ثم فى الحديث ومعرفة رجالـه. وصنف كتبا، منها « تهذيب الكمال فى أسمـاء الـرجال » اثنـا عشر مجلـدا، و « تحفة الأشـراف بمعرفة الأطـراف » فى الحديث (يأتى بيانه فيمـا بعد) ثمانى مجلدات، قال ابن طولـون: ومن المعلوم أن المحدثين بعده عيـال على هـذين الكتـابين. ولـه « المنتقى من الأحـاديث » مخطوط و « الكنى، المختصر من تهذيب الكمال » مخطوط فى ١٠١ ورقة (كما فى فهرس المخطوطات المصورة: القسم ٢ج ٢/ ١٢٠). قـال ابن نـاصـر الديـن، قال الحـافظ أبـو عبـد الله الـذهبـى: أحفظ من رأيـت أربعـة: ابن دقيـق العيـد، والدميـاطى، وابن تيمية، والمِـزّى، فابن دقيق العيـد أفقههم فى الحـديث، والدميـاطى أعـرفهم بـالأنساب، وابن تيميـة أحفظهم للمتون، والمِـزّى أعرفهم بـالرجال، وقـال الكتانى: أفرده الحافظ أبو سعيد العـلائى بمؤلف سماه « سلوان التعزى بالحافظ أبى الحجاج المِزّى » (الأعلام ٨/ ٢٣٦، ٢٣٧).

وفيمـا يلى بيـان بمخطـوط « تحفـة الأشـراف فى معـرفـة الأطراف »، وقد ورد اسم الكتاب فى ذيل كشف الظنون هكذا (تحفة الأشراف بمطـالعة الأطراف) فى خمسـة أجزاء. بينما ورد اسمـه فى هـدية العـارفين (أطـراف الكتب الستـة) واسم المؤلف هكـذا (ابن زكى الحافظ جمـال الدين أبـو الحجاج يوسف بن زكى الدين عبـد الرحمن بن يوسف بن على بن أبى الزهـر الحلبى القضاعى الكلبى المزى الدمشقى ولـد بدمشق سنة ٦٥٤هـ وتوفى سنة ٧٤٤هـ).

تحفة الأشراف فى معرفة الأطراف.

جـ١ :

المؤلف: الحافظ جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن بن يـوسف بن عبد الملـك المزى الـدمشقى الشهيـر بابن الـزكى ٦٥٤ـ٧٤٢هـ، ١٢٥٦ـ١٣٤١م.

أوله: الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله إمام المتقين ... إلخ.

آخـره: وعن الـربيع بن سليمـان بن داود عن عبـد الله بن يـوسف عن الهيثم بن حميد ... عـن الغريـابى عن الأوزاعى به. انتهى الجـزء الأول ويليه الجـزء الثانى من عطـاء بن يسار المدنى.

ناسخـه: مجهول. خطه شبيـه بالفـارسى كتب العناوين بخط بارز والإشـارات بحبر أحمر، ورقـه ترمـة ثخين، نسخة جيدة عليها ختـم الوزير أحمد باشـا البابانى، جلـده مزخرف أحمر.

و : ١٥٨.

م : ٣٢×٢٢ .

س : ٣٢ .　　　ت/ ٣٦٣ .

المصادر: ذيل كشف الظنون ٣/ ٢٤١، وهدية العارفين ٦/ ٥٥٦ ومعجم المؤلفين ١٣/ ٣٠٨ .

جـ٢ :

المؤلف: الحافظ جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن (ابن الزكي) المتوفى ٧٤٤هـ.

أوله : [عطاء بن يسار المدني مولى ميمونة أم المؤمنين عن أبي أيوب حدثت قالت حدثنا أيوب كيف كانت الضحايا ... إلخ).

آخره: وفي مسند عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن القرشي العدوي عن النبي ﷺ ليس في الرواية ولم يذكره) .

ناسخه : مجهول نسخ سنة ١١٧٧هـ بعناية الحسن بن محمد الأخفش .

و : ٢٠٦ .

م : ٣١×٢٢ .

س : ٣٣ .　　　ت/ ٨١ .

المصادر: المصادر السابقة نفسها .

جـ٣ :

أوله : (عبد الرحمن شيخ من قريش به الأغر المدني وله صحبة عن عمر وهو وهم ... إلخ) .

آخره: (ومن مسند عبد الله بن مالك بن كاهل الأخمس وقيل اسمه قيس بن عابد يأتي في الكنى . ويتلوه الجزء الرابع) .

ناسخه : شرف الدين بن زين الأجلّ العلامة الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن الأخفش سنة ١١٧٧هـ عليه وقفية من قبل أحمد باشا البابانى وعليه تملك من قبل الشيخ عبد الرحمن بن عبد الحميد السابوري يرجع إلى / ١٢٦١هـ . خطه ثلثي .

و : ١٥٩ .

م : ٣٤×٢٣ .

س : ٢٧ .　　　ت/ ٩١ .

المصادر: نفس المصادر السابقة .

جـ٤ :

أوله : وفي مسند عبد الله بن مسعود بن عاقل بن حبيب بن سمح بن فارس ... إلخ .

آخره : (وعن محمد بن قدامة عن جرير عن منصور عن ابن أبي وائل عن سمرة بن شمام) .

توجد في أوله زخرفة فنية وعبارة (بعناية العلامة القدوة الفهامة الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن الأخفش) عليه تملك من قبل الشيخ عبد الرحمن بن عبد الحميد السابوري العقيلي يرجع تاريخه إلى / ١٢٦١هـ وعليه ختم الوزير أحمد باشا بن سليمان باشا البابانى .

ناسخه : مجهول . نسخ سنة ١١٧٧هـ . خطه ثلثي غير منقوط .

و : ٢٧٨ .

م : ٣١×٢١ .

س : ٢٩ .　　　ت/ ٥٨ .

المصادر: نفس المصادر السابقة .

جـ٥ :

أوله : رجل من قومه قال نزلت على أبي هشام فذكره ق في الزهد عن محمد بن الصباح عن جهربة ومن مسند أبي هريرة الدوسي عن النبي (ص) ... إلخ .

آخره: قال حدثتني امرأة من أهلي عن مليكة بنت عمر وإنها وضعت لهما ... فذكره هذا آخر الكتاب .

ناسخه : السيد مهدي بن محسن بن نجم بعناية الحسن ابن محمد الأخفش . كتب الرموز والأسماء بحبر أحمر . خطه شبيه بالفارسي ورقه خفيف في أوله تملك من قِبَل عبد الرحمن ابن عبد الحميد السابوري العقيلي الهندي ذكر الناسخ في أول المخطوط أنه شرع بنسخها سنة ١١٧٧هـ .

عليه ختم الوزير أحمد باشا البابانى . خطه ثلثي .

و : ٣٧٣ .

م : ٣٢×٢١ .

س : ٢٩ .　　　ت/ ٣٦٢ .

المصادر: نفس المصادر السابقة (فهرس السليمانية ١/ ١٠٤-١٠٦) .

(الأعلام للزركلى ٨/ ٢٣٦، ٢٣٧، وفهرس مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد، ١/ ١٠٤ـ١٠٦).

*** الحافى:**

انظر: بشر الحافى (م ٧/ ١٣٠، ١٣١).

*** حافي رأسه محمد بن عبد الله (٦٠٦ـ٦٩٣هـ):**

ذكره السيوطى فيمن كان بمصر من أئمة النحو واللغة وقال عنه:

حافي رأسه محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن محيى الدين الإسكندرانى ولد بتاهرت بظاهر تلمسان سنة ست وستمائة. وكان من أئمة العربية تصدر لإقرائها أزمانا. قال أبو حيان: كان شيخ أهل الإسكندرية فى النحو. تخرّج به أهلها. مات فى رمضان سنة ثلاث وتسعين وستمائة.

(حسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١/ ٥٣٣).

*** الحاقة (سورة ـ):**

السورة رقم ٦٩ من سور القرآن الكريم وفقا لترتيب المصحف.

وهى مكية، وقد اختلف فى عدّ آياتها، فهى.

خمسون وآية بصرى ودمشقى بخلف عنهما وآيتان فى غيرهما وثلاث بصرى فى القول الآخر (وخلافهم) فى ثلاثة مواضع:

(الأول) الحاقة الأولى، عده كوفى قيل والبصرى.

(الثانى) حسوما عده الحمصى وقيل والبصرى.

(الثالث) بشماله عده الحجازىَ وقال بعضهم إن الصحيح أن البصرى لم يعد الحاقة الأولى وحسوما وهو ظاهر فى حسوما لعدم مشاكلته لرءوس آى هذه السورة وبذا احتج من أسقطها للحمصى وغيره (سعادة الدارين/ ٧٦).

وعن هذا الاختلاف في العدّ يقول الشيخ عبد الفتاح القاضى عن سورة الحاقة وسورة المعارج:

الحـاقـةُ الأُولى رَوَى الكـوفيُّ
ثُـمَّ حُسـومًـا عَـدَّهُ الحِمْصِيُّ
شِمـالـه عَـدَّ حِجـازِيهِمُ
وسَنَـةٌ غَيْـرُ دِمَشْقِيِّهِمُ

ويشرح الناظم البيتين بقوله:

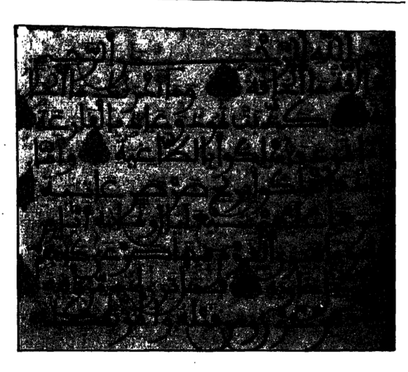
معنى البيت الأول أن كلمة « الحاقة » الأولى رأى الكوفى عدها وتركها الباقون. والتقييد بالأولى للاحتراز عن الثانية والثالثة وهما « ما الحاقة » معا فإنهما معدودتان إجماعا، وقوله تعالى: ﴿ وأمَّا مَنْ أُوتِيَ كتابَهُ بِشِمالِه﴾ [٢٥] عده الحجازيون، وتركه العراقيون والشامى. وقوله تعالى: ﴿خمسين ألف سنة ﴾[المعارج: ٤] عدّه غير الدمشقى من الأئمة. ومواطن الخلف فى سورة الحاقة ثلاثة: ﴿الحاقة﴾ [١]، ﴿حسوما﴾ [٧]، ﴿بشماله﴾ [٢٥]، وفى المعارج موضع واحد، وهو ﴿سنة﴾[٤] والله تعالى أعلم.

ورءوس آياتها الحاقة (١) ما الحاقة (٢) ما الحاقة (٣) بالقارعة (٤) بالطاغية (٥) عاتية (٦) خاوية (٧) باقية (٨) بالخاطئة (٩) رابية (١٠) الجارية (١١) واعية (١٢) واحدة (١٣) واحدة (١٤) الواقعة (١٥) واهية (١٦) ثمٰنية (١٧) خافية (١٨) كتٰبيه (١٩) حسابيه (٢٠) راضية (٢١) عالية (٢٢) دانية (٢٣) الخالية (٢٤) كتٰبيه (٢٥) حسابيه (٢٦) القاضية (٢٧) ماليه (٢٨) سلطٰنيه (٢٩) فغلُّوه (٣٠) صَلُّوه (٣١) فاسلكوه (٣٢) العظيم (٣٣) المسكين (٣٤) حميم (٣٥) غسلين (٣٦) الخٰطئون (٣٧) تبصرون (٣٨) لا تبصرون (٣٩) كريم (٤٠) قليلا ما تؤمنون (٤١) قليلا ما تذكرون (٤٢) العٰلمين (٤٣) الأقاويل (٤٤) باليمين (٤٥) الوتين (٤٦) حٰجزين (٤٧) للمتقين (٤٨) مكذِّبين (٤٩) الكٰفرين (٥٠) اليقين (٥١) العظيم (٥٢) (وفيها من مشبه الفاصلة المتروك) موضعان (١) فيها صرعى (٢) بيمينه.

(سعادة الدارين/ ٧٦، ٧٧).

ويجمل الإمام الفيروزابادى خصائص سورة الحاقة فيقول:

كلماتها مائتان وخمس وخمسون. وحروفها ألف وأربعمائة وثمانون. مجموع فواصل آياتها (نم له) على الّلام منها آية واحدة: ﴿ بعض الأقاويل ﴾ [٤٤] ولها اسمان:



الآيات ١ ـ ٩ من سورة الحاقة بخط كوفى مغربى

قولـه تعالى: ﴿ وما هـو بقول شاعرٍ قليلاً ما تؤمنون * ولا بقـول كـاهـن قليـلا مـا تذكَّرون ﴾ [٤١، ٤٢] خصّ ذكـر الشِّعـر بقـولـه: ﴿ مـا تؤمنون﴾ لأنَّ من قال: القرآن شعـر، ومحمد ﷺ شـاعـر ـ بعـد مـا علم اختـلاف آيـات القـرآن فى الطــول والقِصَـر، واختـلاف حروف مقـاطعـه ـ فلكفـره وقلَّـة إيمـانـه، فإنَّ الشعـر كـلام مـوزون مقفًّى. وخصّ ذكـر الكهانـة بقولـه: ﴿ما تذكَّرون ﴾ لأن من ذهب إلى أنَّ القــرآن كِهـانــة، وأن محمدًا ﷺ كـاهن فهو ذاهل عن ذكـر كـلام الكهَّــان، فإنـه أسجاع لا معانى تحتها، وأوضاع تنبو الطِّباع عنها، ولا يكون فى كلامهم ذكرُ الله تعالى.

فضل السورة:

فيه الحـديثان الساقطـان، عن أُبَىٍّ: من قرأها حـاسبه الله حسابًا يسيرًا، وعن على: يا على مـن قرأها، ثم مات من يوم قرأهـا إلى آخر السنـة، مات شهيدًا، ولـه بكلّ آية قـرأها مثل ثواب صالح النبى عليه السلام. (بصائر ذوى التمييـز ١/ ٤٧٨، ٤٧٩، وأسرار التكرار / ٢٠٨).

وعن سرّ وقـوع سورة الحـاقة بعـد سورة القلم يقـول الإمام السيوطى:

أقول: لما وقع فى ﴿نٓ﴾ [القلم] ذكر يوم القيامة مجملاً فى قوله تعالى: ﴿ يوم يُكشف عن ساق ﴾ [القلم: ٤٢] شرح ذلك فى هذه السورة بناء على هذا اليوم، وشأنه العظيم وذلك من أول السورة إلى قـوله تعالى: ﴿ لا يأكله إلا الخـاطئون ﴾ [٣٧](تناسق الدرر / ١٢٨).

سورة الحاقـة، لمفتتحـها، وسورة السُّلســلة، لقـوله تعالى: ﴿ فى سلسلة ذرعها سبعون ﴾ [٣٢].

معظم مقصـود السـورة: الخبـر عـن صعـوبـة القيـامـة، والإشارة بإهلاك القرون الماضية، وذكر نفخة الصُّور، وانشقاق السموات، وحال السعـداء والأشقياء وقت قراءة الكتب، وذلّ الكفَّار مقهورين فى أيدى الزّبانية، ووصف الكفَّار القرآن بأنه كِهانة وشعر، وبيان أنَّ القرآن تـذكرة للمؤمن، وحسرة للكافر، والأمر بتسبيح الركوع فى قوله: ﴿ فسبِّح باسم ربك العظيم ﴾ [٥٢].

السورة محكمة: خالية عن النَّاسخ والمنسوخ.

المتشابهات

قوله تعالى: ﴿ فأما من أُوتى كتابه بيمينه ﴾ [١٩] بالفاء، وبعده: ﴿ وأمَّـا ﴾ بالـواو، لأن الأول متَّصل بأحوال القيـامة وأهـوالها، فـاقتضى الفـاء للتَّعقيب، والثانى متصل بـالأول، فأدخل الواو، لأنَّه للجمع.

وعن الأسمـاء التى أُبهمت فى سورة الحـاقـة يقول الإمـام السهيلى:

قوله عز وجل: ﴿ وتعيها أذنٌ واعية ﴾ [١٢] روى أن رسول الله ﷺ حين نزلت ﴿ وتعيها أذن واعية ﴾ أخذ بِأُذُن على بن أبى طـالـب رضى الله عنـه وقال « هى هـذه » ذكـره النقـاش وقولـه تعالى: ﴿ والمؤتفكـات بالخـاطئة ﴾ [٩] ذكـر الطبـرى عن محمد بن كعب القرظى قال هى خمس قريات صعبة وصعدة وعميرة ودوما وسدوم وهى القرية العظمى.

صعدة: مخلاف باليمن بينه وبيـن صنعاء ستون فرسخا، وبينه وبين خَيْوان ستة عشر فرسخًا.

سدوم: مدينـة من مدائن لوط كان قاضيها يقـال له سدوم (التعريف والإعلام / ١٧٥، ١٧٦).

ويضيف الإمام السيوطى قوله: ﴿ وثمانية أيّام ﴾ [٧]: قال الربيع بن أنس: كان أولها الجمعة. أخرجه ابن أبى حاتم.

قوله تعالى: ﴿ويحمل عرش ربّك ﴾ [١٧] أخرج ابن أبى حاتم، عن ابن زيد: لم يسم من حملـة العرش إلا إسرافيل: قـال: وميكـائيل ليس من حملـة العـرش. وأخـرج عن أبى الزاهـرية قال: أُنبئت أن لبنان أحـد حملة العرش الثمانيـة يوم القيامة. وذكر يحيى بن سلام قال: بلغنى أن روقيل من حملة العرش. (مفحمات الأقران / ١١٢).

ويقول الإمام الواحدى عن سبب نزول الآية [١٢] وهى قوله تعالى: ﴿ وتعيهـا أُذُنٌ واعيـة ﴾: حدثنـا أبو بكـر التميمى، أخبرنـا عبد الله بن محمـد بن جعفر، أخبرنـا الوليـد بن أبان، أخبرنا العباس الدورى، أخبرنا بشر بن آدم، أخبرنا عبد الله بن الزبيـر قال: سمعت صـالح بن هشيم يقول: سمعت بُـريدة يقـول: قـال رسـول الله ﷺ لعلىٍّ إن الله أمـرنى أن أُدنيك ولا أُقصيك، وأن أعلِّمك وتعـى وحق على الله أن تعى، فنـزلت ﴿وتعيها أذن واعية ﴾ [١٢] (أسباب النزول / ٢٩٤).

وذكر الإمـام السيوطى هـذا نفسه مع اختـلاف فى الإسناد واللفظ فقال:

أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم والواحدى عن بريدة قال: قـال رسـول الله ﷺ لعلى بن أبى طـالب إنى أمـرت أن أدنيك وأقصيك وأن أعلمك وأن تعى وحق لك أن تعى قـال: فنزلت هذه الآية ﴿ وتعيها أذن واعية ﴾ لا يصح [١٢] (أسباب النزول / ٢٨٣).

ويطـرح الإمـام الرازى أسئلـة قـد تـدور فى الأذهـان، ثم يجيب عنهـا بطـريقة « فإن قيـل ـ قلنـا »، وذلك على النحـو التالى:

فإن قيل: كيف قـال تعالى: ﴿ بريح صرصر ﴾ ولم يقل صرصرة، كما قال تعالى: ﴿ عاتية ﴾ وهو صفة لمؤنث، لأنها الشديدة الصوت أو الشديدة البرد؟.

قلنا: لأن الصرصر وصف مخصوص بالريح لا يوصف به غيرها، فأشبـه باب (حائض وطامث وحامل) بخـلاف عاتية فإن غير الريح من الأسماء المؤنثة يوصف به.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿ فترى القوم فيها صرعى ﴾ [٧] أى فى تلك الليالى والأيام، والنبى ﷺ ما رآهم ولا يراهم فيها؟.

قلنا: ﴿فيها﴾ ظرف لقوله تعالى ﴿صرعى﴾ لا لقوله تعالى ﴿فترى﴾ والرؤية هنا من رؤيـة العلم والاعتبار، فصار المعنى فتعلمهم صرعى فى تلك الليـالى والأيام بإعـلامنا حتى كأنك تشاهدهم.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿ فإذا نُفخ فى الصـور نفخة واحدة ﴾ [١٣] إلى قولـه سبحانه ﴿ يومئذ تُعـرضون﴾ [١٨] والمراد بهـا هنا النفخـة الأولى، وهى نفخة الصعق بـدليل ما ذكر بعـدها من فساد العـالم العلوى والسفلى، والعـرض إنما يكون بعد النفخة الثانية، وبين النفختين من الزمان ما شاء الله تعالى فكيف قال سبحانه ﴿ يومئذ تعرضون ﴾ [١٨]؟.

قلنـا: وضع اليـوم موضـع الوقت الـواسع الـذى يقع فيـه النفختان وما بعدهما.

فإن قيل: كيف قــال تعـالى: ﴿ إنى ظننت أنى مُـلاقٍ حسابيه ﴾ [٢٠]؟ قلنـا: معنـاه تيقنت، والظن يطلق بمعنى اليقين كما فى قوله تعالى: ﴿ الذين يظنون أنهم مُلاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون ﴾ [البقرة: ٤٦].

فإن قيل: كيف قال تعالى فى وصف أهل النار: ﴿ فليس

له اليوم هـاهنا حميم * ولا طعامٌ إلا من غِسْلين ﴾ [٣٥، ٣٦] وقـال سبحانـه فى موضع آخـر: ﴿ ليس لهم طعـامٌ إلا من ضريع﴾ [الغاشية: ٦] وفى مـوضع آخر: ﴿ إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ﴾ [الدخان: ٤٣] وفى مـوضع آخر: ﴿ ثم إنكم أيهـا الضـالـون المكذبـون * لآكلـون من شجـر من زقـوم * فمالئون منها البطون ﴾ [الواقعة ٥١ ـ ٥٣] وفى موضع آخر: ﴿ أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار ﴾ [البقرة: ١٧٤].

قلنا: معناه إلا من غِسْلين وما أشبهه، أو وضع الغسلين، موضع كل طعام مؤذٍ كريه. الثانى أن العذاب ألوان والمعذبون طبقـات، فمنهم أكلة الـزقوم، ومنهم أكلـة الغسلين، ومنهم أكلة الضريع ﴿ لكل باب منهم جزء مقسوم ﴾.

فإن قيل: كيف قـال تعالى: ﴿ إنه لقـول رسول كـريم ﴾ [٤٠] يعنى أن القرآن قول جبريل عليه السلام، مع أنه قول الله تعالى لا قول جبريل؟.

قلنا: معنـاه عند الأكثرين أن المراد به النبى ﷺ والمعنى أنه بقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله لا من تلقاء نفسه كما تزعمون (الأنموذج الجليل ٦/ ٤٩٩ ـ ٥٠١، ومسائل الرازى وأجوبتها/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤).

وهذا الذى ذكره الإمام الرازى ذكر مثله الإمام الشنقيطى فى كتابه «دفع إيهام الاضطراب» ص ٣٠٠، ٣٠١ فارجع إليه إن شئت.

أمـا من حيث رسم المصحف فيسـوق الخوارزمى الآيـات التالية من سورة الأحقاف:

﴿أدريٰك﴾ [٣]، ﴿صَرْعىٰ﴾ [٧] بالياء.

﴿طغا﴾ [١١] بالألف.

﴿هَاؤُمُ اقرؤا﴾ [١١] بواو واحدة.

﴿هاهنا﴾ [٣٥] بالألف.

﴿الخاطـُون﴾ [٣٧] بغير ياء.

(موجز كتاب التقريب/ ٩١).

وأما عن أنواع الوقف فى هذه السورة وهى التام، والكافى، والحسن، والقبيح فقد بينها الإمام أبو عمرو الدانى على النحو التالى:

﴿ وما أدراك ما الحـاقة ﴾ [٣] تام «بالقـارعة» [٤] كاف ومثله ﴿حُسوما ﴾ [٧] ﴿ من باقية ﴾ [٨] تام، ومثله ﴿ أخذة رابية ﴾ [١٠] ومثله ﴿ أُذُن واعية ﴾[١٢] ومثله ﴿ خافية ﴾ [١٨] ﴿ دانية ﴾ [٢٣] كاف. ﴿الخالية ﴾ [٢٤] تام حدثنا على بن يحيى المعـدل قال: حـدثنا ابن رشيق قـال: حدثنـا إسحـاق بن إبراهيم قـال: حـدثنـا الحسن بن الصباح قـال: حدثنا قبيصة بن ذؤيب عن الحسن بن حى عن عبد العزيز بن رفيع فى قولـه تعالى: ﴿ بما أسلفتـم فى الأيام الخـالية ﴾ قال الصوم. ﴿ سلطـانِيَهْ ﴾ [٢٩] كـاف وكذلـك سائر هـاءات الاستراحـة، فى هذه السـورة وفى غيـرها ﴿ فاسلكوه﴾ [٣٢] كـاف، ومثلـه ﴿ على طعــام المسكيـن ﴾ [٣٤] ﴿إلا الخاطـُون﴾[٣٧] تام. ﴿ بقول شاعر ﴾ [٤١] كاف، ومثله ﴿ ولا بقول كـاهن ﴾ [٤٢] وينتصب ﴿قليلا﴾ على أنه نعت لمصدر محذوف ﴿ من رب العالمين ﴾ [٤٣] تام ومثله ﴿ عنه حاجزين﴾ [٤٧] ﴿لحق اليقين﴾ [٥١] كـاف ورؤوس الآى بين ذلك كافية (المكتفى/ ٣٦٢).

أما عن أنواع القراءات بالنسبـة لسورة الحاقة فنكتفى بإيراد القراءات السبع كما بيَّنها الإمام ابن مجاهد فيما يلى:

١ - قوله: (وجاء فِرعون ومن قبلهُ ﴾ [٩].

قـرأ أبو عمـرو والكسـائى وعاصم فـى رواية أبـان: (ومن قبله) بكسر القاف [وفتح الباء].

وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحمزة وعاصم فى غير رواية أبان. ﴿ ومن قبلهُ ﴾ ساكنة الباء.

٢ - قوله: (وتعيها أُذنٌ وٰعيةٌ ﴾ [١٢].

روى الحلـوانى بإسنـاده عن ابن كثيـر: (وتعيها) سـاكنـة العين، وكذلك قال أبو ربيعة عن قُنبل، وقرأت أنا على قُنبل: (وتعيها) محركة العين مفتوحة الياء.

وقرأ الباقون: ﴿ وتَعِيَها ﴾ على زون وتليها.

٣ - قوله: ﴿ لا تخفىٰ منكُم خافيةٌ ﴾ [١٨].

قرأ حمزة والكسائى: (لا يخفى) بالياء.

وقرأ الباقون: ﴿ لا تخفى ﴾ بالتاء.

٤ – قولـه : ﴿قليلاً مـا تُؤمِنُـونَ ﴾ [٤١] و ﴿ قليلاً مـا تذكَّرونَ﴾[٤٢].

قرأ ابن كثير: ﴿قليلا ما يُؤمنونَ ﴾ و ﴿ قليلا ما يذَّكَّرونَ ﴾ بـاليـاء . وكـذلك روى القُطَعى عن عبيـد عن هـارون عن أبى عمرو: (يـؤمنون) و (يـذَّكَّرون) بـالياء . ولـم يروه عنـه غيره، حدَّثنيـه الخزّاز عن محمد بن يحيى عن عبيـد عن هارون عن أبى عمرو.

وقرأ ابن عامر مثل ابن كثير: بالياء فيهما فى رواية هشام بن عمار وفى رواية ابن ذكوان: بالتاء فيهما .

وقرأ الباقون : ﴿ قليلاً ما تُؤمنونَ ﴾ و ﴿ قليلاً ما تذكَّرونَ ﴾ بالتاء فى الحرفين .

(كتاب السبعة فى القراءات / ٦٤٨، ٦٤٩).

وقد جاء هـذا فى البيتين رقم ١٠٧٩ و ١٠٨٠ من منظومة الإمـام الشـاطبى المـوسـومة بحـرز الأمـانى ووجـه التهـانى، ونسـوقهمـا فيما يلى مع شـرح الشيخ على محمـد الضبـاع . ويـلاحظ أن آخـر عجـز البيت الثـانى منهمـا يختص بسـورة المعارج . قال الناظم :

١٠٧٩ – *ويخفىْ (شـ)ـفَاءٌ مـاليهْ ماهيهْ فَصِلْ*
وسُلْطَـانيـهْ من دُون هــاء (فـ)ـتُوصَلاَ

١٠٨٠ – *وَيَـذَّكَّـرونَ يُـؤمِنُـونَ (مَـ)ـقَالُهُ*
بخُلْف (لـ)ـهُ (دَ) اعٍ ويعـرُجُ (رُ)تِّلاَ

ويشرحهما الشيخ على محمد الضباع فيقول : قرأ الإخوان (لا يخفى) بالتذكير والباقون بالتأنيث . قرأ حمـزة (ماليه) و (سلطانيه) هنا (و) ماهيه بالقـارعة بحذف الهاء وصلا والباقون بإثبـاتها واتفقـوا على إثباتهـا وقفًا . قـرأ ابن كثير وهشـام وابن ذكوان بخلف عنـه (قليلا مـا يؤمنون) و (قليـلا ما يـذكرون) بالغيبة فيهما والباقون بالخطاب (حرز الأمانى / ١٨٨).

ولمعرفـة دلالة الحروف المـوضوعـة بين أقواس ارجع إلى مادة « رموز القراء ».

وأمـا عن القـراءات الثـلاث المتممة للعشـر، والقـراءات الشاذة فنحيلك إلـى ثبت المراجع الـذى وردت فـى مــادة « التكـويـر (ســـورة ـــ) » ، « م ١٠/ ٣٥٧ ومـادة « التـوبـة (سورة) » م١١/ ٢٤، ٢٥ .

(سعادة الدارين فى بيان وعـدّ آى معجز الثقلين ـ محمد بن على بن خلف الحسينى الشهير بـالحداد / ٧٦، ٧٧ ونفـائس البيان شـرح الفرائد الحسان فى عـدّ آى القرآن ـ الشيـخ عبد الفتاح القـاضى / ٤٨، وبصائر ذوى التمييز للإمـام الفيروزابادى ـ تحقيق الأستـاذ محمد على النجار ١/ ٤٧٨، ٤٧٩، وتناسق الـدرر فى تناسب السور لـلإمام جلال الـدين عبد الـرحمن السيـوطى ـــ دراسـة وتحقيق عبـد القـادر أحمـد عطـا / ١٢٨، والتعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعـلام فى القرآن الكريم للإمام أبى القـاسم السهيلى / ١٧٥، ١٧٦، ومفحمـات الأقـران فى مبهمـات القرآن للعلامة جلال الدين السيوطى ـ ضبطه وعلق عليه د. مصطفى ديب البُغـا / ١١٢، وأسباب النـزول للواحـدى النيسـابورى / ٢٩٤، وأسبـاب النزول (لباب النقول فى أسباب النزول) للسيوطى ـ تحقيق وتعليق الأستاذ قرنى أبى عميـرة / ٢٨٣، والأنموذج الجليل فى أسئلة وأجوبـة من غرائب آى التنزيل للإمام محمد بن أبى بكر الرازى ـ تحقيق فضيلة الشيخ إبراهيم عطوة عوض وجماعة من العلماء مجلـة الأزهر. هدية مجلة الأزهر. رجب ١٤١٠هـ/ ٤٩٩ ـ ٥٠١، ومسائل الرازى وأجوبتها من غرائب آى التنزيل للمحقق نفسه. ط مصطفى البـابى الحلبى / ٣٥٣، ٣٥٤ وموجـز كتاب التقـريب فى رسم المصحف العثمـانى ليوسف بـن محمود الخـوارزمى ـ تحقيق عبد الرحمن آلوجى / ٩١، والمكتفىٰ فى الوقف والابتدا لأبى عمرو الدانى ـ دراسـة وتحقيق جايد زيدان مخلف / ٣٦٢، وكتـاب السبعة فى القـراءات لابن مجاهـد ـ تحقيق د. شـوقى ضيف / ٦٤٨، ٦٤٩، ومتن حرز الأمـانى ووجه التهـانى للإمام الشـاطبى، ومعه كتـاب تقريب النفع ـ للشيخ على محمد الضباع / ١٨٨، انظر أيضًـا دفع إيهام الاضطراب عن آيـات الكتـاب للشيخ محمـد الأمين الجكنى الشنقيطى / ٣٠٠، ٣٠١، والتيسيـر فى القراءات السبع لـلإمام أبـى عمرو الـدانى ـ عنى بتصحيحـه أوتوبـرتزل / ٢١٣، ٢١٤، والجـامع لما يحتاج إليـه من رسم المصحف لابن وثيق الأنـدلسى ـــ تحقيق د. غـانم قدورى محمـد / ١٣٨، وألفيـة التفسيـر ـــ حسن على دحلى/ ٦٥، ٦٦، وأسـرار التكـرار فى القـرآن أو البرهـان فى توجيه متشـابه القرآن لمـا فيه من الحجـة والبرهان للكـرمانى ـ دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا / ٢٠٨).

*** الحاكم:**

الحاكم : من مراتب أهل الحديث : هو الذى أحاط علمه بجميع الأحاديث المروية (المعجم / ٢٩).

وهـو من أحاط بـالسنـة متنًا وسنـدًا، وعلم جميع رواتهـا جرحًا وتعـديلا، واكتفى بعضهم بمعرفة معظمها مع معـرفة ما

يتعلق بذلك، وضبطه بعضهم بمن حفظ سبعمائة ألف حديث، كأبى عبد الله النيسابورى محمد بن عبد الله المعروف بابن البيّع، وأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، وسليمان بن أحمد الطبرانى ونحوهم.

وقمة هذه الدرجة (لقب أمير المؤمنين فى الحديث) وممن لقب له به الإمام مالك، والإمام أحمد بن حنبل، والبخارى، وابن حجر العسقلانى والسيوطى وغيرهم (الناقد الحثيث/ ١٢٣، ١٢٤).

(معجم مصطلحات توثيق الحديث ـ د. على زوين / ٢٩، والناقد الحديث فى علوم الحديث ـ الشيخ محمد المبارك عبد الله / ١٢٣، ١٢٤).

*** الحاكم بأمر الله (٣٧٥ـ٤١١هـ/ ٩٨٥ـ١٠٢١م):**

منصور (الحاكم بأمر الله) ابن نزار (العزيز بالله) ابن معد (المعز لدين الله) ابن إسماعيل بن محمد العبيدى الفاطمى، أبو على ثالث الخلفاء الفاطميين متألّه، غريب الأطوار. ولد فى القاهرة، وسلم عليه بالخلافة فى مدينة بلبيس، بعد وفاة أبيه سنة ٣٨٦هـ وعمره إحدى عشرة سنة فدخل القاهرة فى اليوم الثانى ودفن أباه وباشر أعمال الدولة وخطب له على منابر مصر والشام وإفريقية والحجاز. (الأعلام ٧/ ٣٠٥).

ونشأ مطلق الأمر فى آرائه وتصوراته، وتعلم علوم الشيعة فغلا فيها، كما تعلم علوم الفلسفة والنجوم فكان له بها ولع شديد (تاريخ مصر، ١/ ٢٠٠) وعمل مرصدًا، واتخذ بيتا فى المقطم ينقطع فيه عن الناس (الأعلام ٧/ ٣٠٥).

وكان على طرفى الغلوّ فى كل أعماله : فإذا عاقب أفرط وسفك الدماء ... وإذا أثاب أو أحب بذل ما لم يبذله ملك. وكانت أعماله متناقضة، يفعل اليوم ما ينقضه غدًا.

وكان مع سفاهته ونزقه. شديد العناية بجمع الكتب ومعاضدة العلم، وأتم الجامع الحاكمى (انظر المادة التالية) بين باب الفتوح وباب النصر. ولما استطار شره ركب حماره يوما وخرج على عادته إلى جبل المقطم بناحية حلوان للخلوة بنفسه ولرصد الكواكب فلم يَعُد، ووجدوا بعد أيام ثيابه مضرجة بالدماء، وحماره مجروحًا ، فعلموا أنه قد قتل، وقيل إن أخته عملت على قتله وذلك سنة ٤١١هـ/ ١٠٢١م وتولى مكانه ابنه « الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن على » (تاريخ مصر، ١/ ٢٠٠).

وأخباره كثيرة جدا، أورد بعضها المقريزى فى الكلام على جامع « المقس » وهو مما أنشأه صاحب الترجمة ... وفى الذريعة إلى تصانيف الشيعة : « كتاب التعويذ فى صناعة الإكسير، ألفه الحاكم منصور بن نزار الفاطمى لولده الطاهر بالله على بن منصور » وقال صاحب الذريعة : رأيت ترجمته إلى الفارسية باسم « التحفة الشاهية » مخطوط أوله ترجمة الحاكم ونسبه وأحوال أجداده. وصنفت فى سيرته كتب (الأعلام ٧/ ٣٠٦).

ومن بناء الحاكم أيضًا جامع راشدة، بجوار رباط الآثار، وعرف بجامع راشدة، لأنه فى خطة راشدة، قبيلة من لخم، وصلى به الحاكم الجمعة أيضًا.

ومن بنائه أيضًا الجامع الذى بالمقس على شاطىء النيل كما سبق القول، ووقف عليه أوقافا، ثم جدده فى سنة سبعين وسبعمائة الوزير شمس الدين المقسى (حسن المحاضرة ٢/ ٢٥٣).

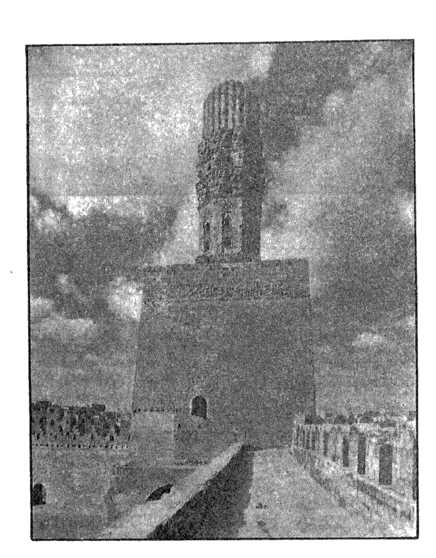
(الأعلام للزركلى ٧/ ٣٠٥، ٣٠٦ وتاريخ مصر إلى الفتح العثمانى ـ عمر الإسكندرى و أ. ج. سفرج/ ٢٠٠، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢/ ٢٥٣. انظر أيضًا الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ـ إعداد عزت عبد المجيد شلقامى ٨/ ٢٨٧، ٢٨٨).

*** الحاكم بأمر الله (جامع ـ) (٣٨٠ـ٤٠٣هـ/ ٩٩٠ـ١٠١٣م) أثر ١٥:**

الجامع الأنور: هذا الجامع بنى خارج باب الفتوح أحد أبواب القاهرة وأول من أسسه أمير المؤمنين العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد، وخطب فيه وصلى بالناس الجمعة ثم أكمله ابنه الحاكم بأمر الله. فلما وسع أمير الجيوش بدر الجمالى سور القاهرة وجعل أبوابها حيث هى اليوم صار جامع الحاكم داخل القاهرة وكان يعرف أولا بجامع الخطبة ويعرف

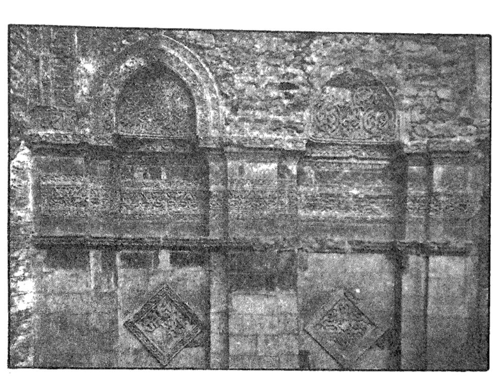
اليوم بجامع الحاكم ويقال لهالجامع الأنور (المواعظ والاعتبار ٢/ ٢٧٧).

قالت المؤلفة : جدير بالذكر أن هذا الاسم، أى الجامع الأنور، هو ما تعرفه به طائفة البُهرة الذين اتخذوا من الجامع مزارًا لهم . فقد رغب الخليفة العزيز بالله بن المعز فى إنشاء مسجد خارج أسوار القاهرة التى أقامها جوهر وملاصقا لها . وبدأ البناء فى هذا المسجد سنة ٣٨٠ (٩٩٠م)، ولكنه لم يتم فى عهد هذا الخليفة، بالرغم من أنه أدى صلاة الجمعة به فى شهر رمضان من سنة ٣٨١ (نوفمبر ٩٩١). وشرع «ولده، الحاكم بأمر الله » فى سنة ٣٩٣ (١٠٠٣م) فى إتمام البناء، وأكمله فى سنة ٤٠٣ (١٠١٢م) ولهذاسمى هذا المسجدباسمه.



وذكر المقريزى أنه « تم بناء الجامع الجديد بباب الفتوح، وعلق على سائر أبوابه ستور ديبقية عملت له، وعلق فيه تنانير فضة عدتها أربع، وكثير من قناديل فضة، وفُرِش جميعه بالحصر التى عملت له، ونصب فيه المنبر، وتكامل فرشه وتعليقه ... وصلى فيه الحاكم بأمر الله بالناس صلاة الجمعة « سادس شهر رمضان سنة ثلاث وأربعمائة - (٢١ مارس ١٠١٣م) » وهى أول صلاة أقيمت فيه بعد فراغه » وبالمسجد نص منقوش بالخط الكوفى فيه «مما أمر بعمله عبد الله و (وليه المنصور) أبو على الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين صلوات الله وعلى آبائه المهديين فى شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة » .

ولما أقام بدر الجمالى الأسوار الجديدة للقاهرة، فى سنة ٤٨٥ (١٠٩٢م)، أصبح مسجد الحاكم داخل تلك الأسوار،



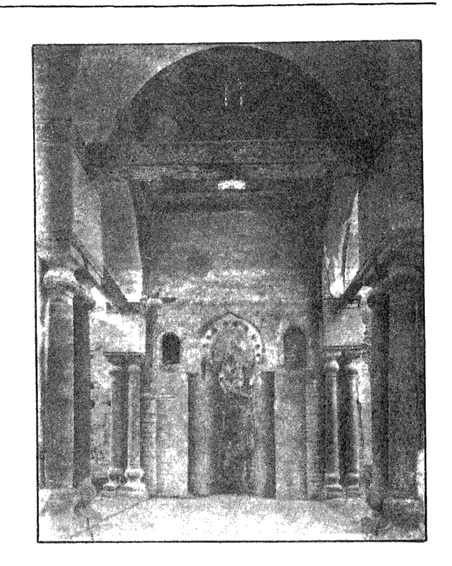
الحجة سنة ثلاث وسبعمائة » (مساجد القاهرة ومدارسها ١/ ٦٣، ٦٤).

والتصق الجدار الشرقى منه بها، فيما بين بابى الفتوح والنصر. والظاهر أن المسجد كان محتفظا بمظهره القديم، ثابت الأركان والعناصر، فى عهد صلاح الدين الأيوبى، حين أبطل هذا السلطان صلاة الجمعة من مسجد الأزهر، وقصرها داخل حدود القاهرة الفاطمية على مسجد الحاكم. ولم يشر أحد من المؤرخين إلى أعمال أجريت بهذا المسجد منذ إتمام بنائه وحتى سنة ٧٠٣ (١٣٠٣م).

وقد تأثر المسجد من الزلزال الذى أصاب القاهرة فى سنة ٧٠٢ (١٣٠٢م)، « فإنه سقط كثير من البدنات التى فيه، وخرب أعالى المئذنتين وتشعثت سقوفه وجدرانه » فانتدب السلطان الملك الناصر محمد « الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير » فنزل إلى المسجد وكشف بنفسه، وأمر برم ما تهدم منه، وإعادة ما سقط من البدنات، فأعيدت وفى كل بدنة منها طاق، وأقام سقوف الجامع وبيّضه حتى عاد جديدا» وبالمسجد نقش كتابى جاء فيه « وكان الفراغ فى شهر ذى

وجعل الأمير بيبرس الجاشنكير للجامع عدة أوقاف بناحية الجيزة وفى الصعيد وفى الإسكندرية تغل كل سنة شيئًا كثيرًا ورتب بالجامع دروسا أربعة. فى الفقه على مذاهب الأئمة الأربعة ودرسًا لإقراء الحديث النبوى وجعل لكل درس مدرسًا وكثيرًا من الطلبة فكان مدرس الشافعية قاضى القضاة بدر الدين محمد ابن جماعة الشافعى ومدرس الحنفية قاضى القضاة شمس الدين أحمد السروجى الحنفى، ومدرس المالكية قاضى زين الدين على بن مخلوف المالكى، ومدرس الحنابلة قاضى القضاة شرف الدين الجوانى، وكان مدرس الحديث الشيخ سعد الدين مسعود الحارثى ومدرس النحو الشيخ أثير الدين أبا حيان ومدرس القراءات السبع الشيخ نور الدين الشطنوفى، كما جعل فيه قراء لتعليم القرآن الكريم وقراء يتناوبون قراءة القرآن ومعلما يقرئ أيتام المسلمين كتاب الله عز وجل (المواعظ والاعتبار ٢/ ٢٧٨ والخطط التوفيقية ٤/ ١٦٨).

وجدد المسجد مرة ثانية فى عهد الملك الناصر حسن، فى سنة ٨٦٠ (١٣٥٨م) « وبيض مئذنتيه » شخص من الباعة يعرف بابن كرسون ... فى أعوام بضعة وثمانين وسبعمائة (حوالى ١٣٨٠م) واستجد شخص آخر من الباعة مئذنة ثالثة، « وكملت فى سنة ٨٢٧ » (١٤٢٠م) وذكر أن نقيب



اثنين وثلاثين مترا. ويشمل هذا البيت خمسة أساكيب، تنقسم إلى سبع عشرة بلاطة، تفصلها صفوف من الدعامات ممتدة فى موازاة جدار القبلة، بكل صف منها ست عشرة دعامة. ويبلغ متوسط عرض الأسكوب خمسة أمتار، فيما عدا أسكوب المحراب، فعرضه خمسة أمتار ونصف. ويبلغ متوسط عرض البلاطة، فيما بين الدعامات، أربعة أمتار ونصف المتر، فيما عدا بلاطة المحراب فعرضها ستة أمتار.

والدعامات التى تتخلل الأساكيب والبلاطات عريضة ضخمة، يبلغ متوسط طول كل منها متران ونصف متر، ومتوسط عرضها نصف ذلك. وتحمل هذه الدعامات عقودا ممتدة فى موازاة جدار القبلة، ولكن هذه العقود لا تجتاز بلاطة المحراب، فيماعدا عقود أسكوب المحراب. وتحف ببلاطة المحراب من كل جانب بائكة من خمسة عقود قائمة على دعامات كذلك، تلتصق فى اتجاه متعارض بدعامات عقود الأساكيب، وتنتهى هذه العقود عن يمين هذه البلاطة، ثم تبدأ امتدادها من جديد عن يسارها، حتى تنتهى عند الجدار الشرقى.

ويتوسط جدار القبلة محراب، تنتصب أمامه قبة، عند تقاطع أسكوب المحراب ببلاطته، وترتكز هذه القبة من ناحية على جدار القبلة، ومن النواحى الثلاث الأخرى، على عقود يرقى كل منها زوجين من الأعمدة، زوجا فى كل جانب،

الأشراف، السيد عمر مكرم جدد فى سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧م) أربع بوائك من مؤخر مسجد الحاكم، وجعلها بيتا للصلاة، إذ أن بيت صلاة المسجد ومجنباته كانت حينذاك متهدمة، وكانت سقفه واهية.

ويشمل المسجد مستطيلا طول جدار القبلة الخارجى فيه ١٢٠ مترًا، وطول كل من جداريه الشرقى والغربى ١١٣ مترا، فهو ثانى مساجد القاهرة اتساعًا، بعد مسجد ابن طولون، وإن كان بيت الصلاة فى المسجدين يكادان يتساويان مساحة، إذ أن جوف بيت الصلاة فى مسجد الحاكم يمتد





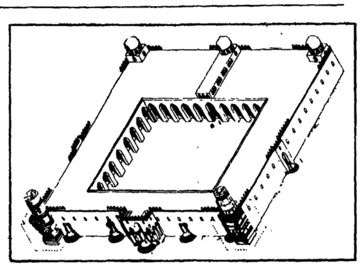
وجملة هذه الأعمدة ١٢ عمودًا وتنتصب على أسكوب المحراب قبتان أخريان، واحدة في كل طرف من طرفيه.

وبيت الصلاة يطل على صحن فسيح يكون مستطيلا طوله ٧٨ مترًا وعرضه ٦٦ مترًا، ويحف بهذا الصحن ثلاث مجنبات، بالمؤخر منها رواقان، بكل منهما سبعة عشر فاصلا وهذا المؤخر يطل على الصحن ببائكة من أحد عشر عقدا، شبيهة بواجهة بيت الصلاة على الصحن. وبكل من المجنبتين الشرقية والغربية ثلاثة أروقة، وكل منها تطل على الصحن ببائكة من تسعة عقود، أى أنه كان بكل من هذه الأروقة تسعة فواصل.

وجميع بوائك المسجد في بيت الصلاة والمؤخر موازية لجدار القبلة، فيما عدا بائكتي بلاطة المحراب وبوائك المجنبتين الشرقية والغربية تمتد في اتجاه القبلة. وعدد الدعامات المنفردة داخل حدود المسجد ١٦٠ دعامة، وعدد الدعامات المتصلة بجدران المسجد الداخلية، أربع عشرة دعامة، وهى الدعامات التى ترتكز عليها، وتنتهى عندها، عقود بيت الصلاة والمؤخر.

ولمسجد الحاكم بوابة ضخمة فتحت في منتصف جدار مؤخره، يحف بها من كل جانب برج عظيم يبرز ستة أمتار خارج هذا الجدار. وتبلغ المسافة طولا بين طرفى البرجين أكثر من خمسة عشر مترا. وكان للمسجد على هذا الجدار نفسه، أربعة أبواب أخرى غير هذ البوابة، ما زالت تشاهد آثار بابين منها، كما كان له بابان مفتوحان في كل من واجهتيه الشرقية والغربية يؤدى أحدهما إلى وسط كل من المجنبتين. ويؤدى الثانى إلى طرف من طرفى الأسكوب الثالث في بيت الصلاة (مساجد القاهرة ومدارسها ١/ ٦٤ ـ ٦٧).

ولمسجد الحاكم مئذنتان تقعان في الركنين الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي وتبرزان عن الجدار الخارجي. وفكرة



جامع الحاكم فى القاهرة وهو نموذج لتطور فن بناء المساجد فى العصر الفاطمى.

بنائهما فى ركنى واجهة المسجد قديمة إذ نراها أصلا فى جامع المهدية (٩١٦).

وتختلف هاتان المئذنتان اليوم عما كانتا عليه زمن بنائهما، ويرجع ذلك الاختلاف إلى ما أجراه بيبرس الجاشنكير عليهما من إصلاحات بعد أن أصيبتا من جراء زلزال عام ١٣٠٣، وهو الزلزال الذى سبب هدم قمتى المئذنتين، وقد قيل إنه أعاد بناء الطوابق المثمنة العليا فى صورتها الحالية، . ولا شك أن نظام بناء الجزء العلوى فى كلتا المئذنتين يرجع إلى عصر المماليك. ويحيط بالمئذنتين معطفان من الحجر مربعا المسقط بهما ميل هرمى خفيف ويرى الدكتور فريد شافعى أن هذين الرداءين قد تأثرا بالقواعد المربعة للمآذن الأندلسية والمغربية وهى المآذن التى بدأت بمئذنة القيروان ومنار سوسة ومئذنتى جامع قرطبة ومئذنة جامع سفاقس.

ويرتفع معطفا مئذنتى الحاكم إلى مستوى سطح المسجد ويقتربان فى شكلهما من شكل البوابات المصرية. والمعطف الذى يحيط بالمئذنة الجنوبية الغربية ظاهر، أما المعطف الذى يغلف المئذنة الشمالية الشرقية فقد توارى خلف إضافات بدر الجمالى المتصلة بسور القاهرة بين بابى النصر والفتوح مما يدل على أن بناء هذين المعطفين يسبق عصر بدر الجمالى ويقترح هوتكير إرجاعهما إلى سنة ١٠١٠ ويظن أن المهندسين فى هذا العهد رأوا ضرورة بنائهما بقصد تقوية المئذنتين على أثر حدوث زلزال وقد بنى هذان المعطفان من قطع الحجارة غير المهذبة وكسيا بطبقة من الجص.

ويتألف الجزء الأصلى من المئذنة الشمالية من قاعدة مربعة وجسم إسطوانى، أما المئذنة الجنوبية الغربية فمن قاعدة مربعة تنتهى بمثمن، أما باقى أجزاء المئذنتين فمضافان فى عهد السلطان الناصر محمد على يدى بيبرس الجاشنكير. وقد بناهما من الآجر، وفتحت فيهما عدة فتحات مقصوصة الرؤوس وزودت بثلاثة شرفات متراكبة تتميز العليا والسفلى منها بوجود ثمان نوافذ تفصلها مقرنصات ويعلو كلا من هاتين المئذنتين قبة على شكل مبخرة (المآذن المصرية / ١٨).

(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ٢/ ٢٧٧، ٢٧٨، ومساجد القاهرة ومدارسها - د. أحمد فكرى ١/ ٦٣-٦٧، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤/ ١٦٨، والمآذن المصرية - د. السيد عبد العزيز سالم / ١٨ . انظر أيضًا مساجد مصر. وزراة الأوقاف ١/ ٢٢-٢٤، ومساجد مصر وأولياؤها الصالحون - د. سعاد ماهر محمد ١/ ٢٣٥-٢٣٩، ودليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة - محمود أحمد / ٦٠-٦٤ والقيم الجمالية فى العمارة الإسلامية - د. ثروت عكاشة / ١٧٣-١٧٦).

*** الحاكم الشهيد:**

انظر: الحاكم المروزى.

*** الحاكم الكبير (-٣٧٨هـ / -٩٩٧م):**

محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق، أبو أحمد النيسابورى الكرابيسى، ويعرف بالحاكم الكبير، محدث خراسان فى عصره تقلد القضاء فى مدن كثيرة، منها الشاش، وحكم بها أربع سنين، ثم طوس، وعاد إلى نيسابور سنة ٣٤٥هـ فأقبل على العبادة والتأليف وتوفى بها من كتبه «العلل» و « المخرج على كتاب المزنى » ،و « الشيوخ

والأبواب»، و« الأسماء والكنى » مخطوط، مجلدان منه (الأعلام ٧/ ٢٠).

قالت المؤلفة: أوردنا فى مادة « الأسماء والكنى » (فى علم الحديث) » م٤/ ٥٦٤ صورة مخطوط كتاب الأسماء والكنى الذى نحن بصدده، وقد ذكر الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجّد فى عنوان الصورة (الكتاب العربى المخطوط / ٤٣) أن المخطوط للحاكم النيسابورى ويقصد به « الحاكم الكبير » لأن هذا نيسابورى أيضًا، وكان يجب علينا أن نغير الاسم فى عنوان المخطوط إلى « الحاكم الكبير » حتى لا يُظَن أنه الحاكم النيسابورى المعروف بابن الديبع الذى تأتى ترجمته بعد هذه المادة فلزم التنويه.

وقد ذكره الكتانى فيمن ألّفوا كتبا فى معرفة الأسماء والكنى والألقاب أى أسماء من اشتهر بكنيته، وكنى من اشتهر باسمه، وألقاب المحدثين ونحو ذلك فقال: ولأبى أحمد (الحاكم الكبير) وهو محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق الكرابيسى الحافظ محدث خراسان وصاحب التصانيف وشيخ أبى عبد الله الحاكم المتوفى سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة، وكتابه هذا (يعنى الأسماء والكنى) فى أربعة عشر سفرا، ويجىء بالخط الرفيع فى خمسة أسفار أو نحوها حرّر فيه وأجاد وزاد على غيره وأفاد، ولم يرتبه على المعجم فرتّبه الذهبى واختصره وزاد عليه وسماه المقتنى فى سرد الكنى. اهـ (الرسالة المستطرفة / ٩١).

(الأعلام للزركلى ٧/ ٢٠، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد ابن جعفر الكتانى / ٩١).

*** الحاكم (كتاب ـ):**

انظر: ملك النحاة.

*** الحاكم المَرْوَزى (ـ٣٣٤هـ/ ـ٩٤٥م):**

محمد بن محمد بن أحمد أبو الفضل المروزى الشهير بالحاكم الشهيد قاض وزير كان عالم مرو وإمام الحنفية فى عصره ولى قضاء بخارى ثم وزارة خراسان قتل شهيدا فى الرى من أشهر « كتبه الكافى» و « المنتقى » فى فروع الحنفية.

(الأعلام للزركلى ٧/ ١٩، ٢٠ وما جاء بهامش ١ من مراجع).

*** الحاكم النيسابورى (٣٢١ـ٤٠٥هـ/ ٩٣٣ـ١٠١٤م):**

ذكره السمعانى فى الأنساب (١/ ٤٣٢، ٤٣٣) مادة «البَيِّع » ونقلناها فى م ٨/ ٢٠٨، ٢٠٩ ولكن السمعانى اقتصر على ذكر من سمع منهم الحاكم النيسابورى ومن رووا عنه. وقد رأينا إدراجه فى هذا الموضع تحت الاسم الذى يرد فى المصادر وهو « الحاكم النيسابورى ».

ذكره ابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى فى وفيات سنة ٤٠٥ فقال: وتوفى المحدّث الشهير أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الحاكم صاحب كتاب « علوم الحديث » سنة خمس وأربعمائة وسِنُّه أربع وثمانون سنة وانتهى فى ذكر وفياته إلى سنة عشرين وثلاثمائة وذكرهم على طبقات ولم يذكر من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم غير العشرة وأنسًا وترك كثيرًا من المشاهير. اهـ.

وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه ابن نعيم الضبى، الطهمانى النيسابورى، الشهير بالحاكم، . ويعرف بابن البيِّع: إمام أهل الحديث فى عصره ومن أكابر المصنفين فيه. ولد سنة ٣٢١هـ بنيسابور. ورحل إلى العراق سنة ٣٤١هـ، وحجّ، وجال فى بلاد خراسان وما وراء النهر. وأخذ عن نحو ألفى شيخ. وولى قضاء نيسابور سنة ٣٥٩هـ فى أيام الدولة السامانية، ثم قلد قضاء جرجان فامتنع، وكان ينفذ فى الرسائل إلى ملوك بنى بويه، فيحسن السفارة بينهم وبني السامانيين. وكان من أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه. صنف كتبًا كثيرة جدًّا، قال ابن عساكر: « وقع من تصانيفه المسموعة فى أيدى الناس ما يبلغ ألفًا وخمسمائة جزء و منها « تاريخ نيسابور » قال فيه السبكى: «وهو عندى من أعود التواريخ على الفقهاء بفائدة ومن نظره عرف تفنن الرجل فى العلوم جميعها » و« المستدرك على الصحيحين » أربع مجلدات، و « المدخل » فى أصول الحديث، و « فضائل الإمام الشافعى » (كتاب الوفيات / ٢٢٩، ٢٣٠). والعلل، والأمالى، وفوائد الشيوخ (فى الأعلام: تراجم الشيوخ)، وأمالى العشيات (الحديث والمحدثون / ٤٢٤) والإكليل، والصحيح، فى الحديث، وتسمية من أخرجهم

البخارى ومسلم، ومعرفة أصول الحديث وعلومه وكتبه، المطبوع باسم «معرفة علوم الحديث» (الأعلام ٦/ ٢٧٧).

قالت المؤلفة: النسخة التى عندى بعنوان «معرفة علوم الدين» - تحقيق لجنة إحياء التراث العربى. أعتنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه مع ترجمة المصنف الأستاذ الدكتور السيد معظم حسين رئيس الشعبة العربية والإسلامية بجامعة دكة بنغالة. دار الآفاق الجديدة. بيروت. الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

وقد ذكره الإمام الكتانى فى أصحاب كتب الصحة، وهى - كما يقول - كتب التزم أهلها فيها الصحة من غير الموطأ والصحيحين، فقال: ومنها صحيح أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدية «الحاكم» الضبى النيسابورى المعروف بابن البيّع ... وهو المعروف بالمستدرك على كتاب الصحيحين مما لم يذكراه وهو على شرطهما أو شرط أحدهما أو لا على شرط واحد منهما وهو متساهل فى التصحيح واتفق الحفاظ على أن تلميذه البيهقى أشد تحريًا منه، وقد لخص مستدركه هذا الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز التركمانى الأصل «الذهبى» نسبة إلى الذهب ... إلخ (الرسالة المستطرفة / ١٦، ١٧) ونفرد مادة خاصة للمستدرك على الصحيحين إن شاء الله تعالى توفى رحمه الله سنة ٤٠٥هـ بنيسابور.

له ترجمة فى: «وفيات الأعيان» ٣/ ٤٠٨، ٤٠٩، و«لسان الميزان» ٥/ ٢٣٣، ٢٣٤، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكى ٤/ ١٥٥ - ١٧١، و«تذكرة الحفاظ» ٣/ ٢٢٧ - ٢٣٣، و«تاريخ بغداد» ٥/ ٤٧٣ - ٤٨٥، و«ميزان الاعتدال» ٣/ ٦٠٨ وما بعدها، و«الوافى بالوفيات ٣/ ٣٢٠ وما بعدها، وتبيين كذب المفترى / ٢٢٧ - ٢٣١، و«غاية النهاية ٢/ ١٨٤، ١٨٥، و«شرحا ألفية العراقى ١/ ٣٠، ٣١، و«شذرات الذهب ٣/ ١٧٦، ١٧٧، و«البداية والنهاية ١١/ ٣٥٥، و«المنتظم ٧/ ٢٧٤».

(كتاب الوفيات لأبى العباس أحمد بن حسن بن على بن الخطيب الشهير بابن القنفذ القسنطينى - تحقيق عادل نويهض / ٢٢٩، ٢٣٠، والحديث والمحدثون - محمد محمد أبو زهو / ٤٢٤، والأعلام للزركلى ٦/ ٢٢٧، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى / ١٦، ١٧).

*** الحال:**

الحال فى قواعد اللغة هو اسم يذكر لبيان هيئة الفاعل أو المفعول حين وقوع الفعل نحو تكلّمْ صادقًا، وانقُل الخبر صحيحًا. والأصل فى الحال أن تكون نكرة مشتقة ووقوعها معرفةً قليل نحو آمنت بالله وحده.

وتقع جامدة:

١ - إذا دلّت على تشبيه نحو بدت هندٌ قمرًا.

٢ - أو على مفاعلة نحو بِعْتُه يدًا بيد، وكلّمته فاهُ إلى فِيّ (المفاعلة وقوع الفعل من جانبين كضاربت فلانًا مضاربة أى ضربته وضربنى، وقولنا بعتُه يدًا بيد معناه بعته متقابضين، ومعنى كلّمته فاهُ إلى فِيّ متشافهين).

٣ - أو على ترتيب نحو ادخلوا رجلاً رجلاً، واقرأ الكتاب بابًا بابًا.

٤ - أو على سعر نحو بعتُ الشىء رطلاً بدرهم، واشتريته ذراعًا بدينار.

٥ - أو كانت موصوفة نحو ﴿ إنا أنزلنه قرآنًا عربيًّا ﴾ [يوسف: ٢]. وخُذه مقالاً صريحًا.

وتقع الحال جملة، ولابد من اشتمالها على رابط وهو إما الواو فقط نحو ﴿ قالوا لئن أكله الذئب ونحن عُصْبة إنّا إذًا لخاسرون ﴾ [يوسف: ١٤] أو الضمير فقط نحو ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾. البقرة: ٣٦]، أو هما معًا نحو ﴿خرجوا من ديارهم وهم ألوف ﴾ [البقرة: ٢٤٣]. وتقع ظرفًا أو جارًا ومجرورًا نحو: رأيت الهلال بين السحاب وأبصرت شعاعه فى الماء.

وتتعدد الحال نحو ﴿ ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا ﴾ [الأعراف: ١٥٠] وللحال عامل وصاحب، فعاملها ما تقدّم عليها من فعل، أو ما فيه معنى الفعل نحو ﴿ وهذا بَعْلِى شيخًا إنَّ هذا الشىءُ عجيبٌ ﴾ [هود: ٧٢].

وصاحبها ما كانت وصفًا له فى المعنى.

والأصل فيه أن يكون معرفة، وقد ينكّر إذا تأخر عن الحال

كجاء راكبًا رجلٌ، أو سبقه نفى أو شبهه نحو ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولهـا كتاب معلوم ﴾ [الحجر: ٤]، لا يبغ امرؤ على امرئ مستسهلاً.

* *يا صاح هل حم عيش باقيًا فترى* *

والحال تطـابق صاحبهـا فى التذكير والتـأنيث وفى الإفراد والتثنية والجمع (قواعد اللغة العربية / ٦٨، ٦٩).

وقد ورد تعريف الحال فى عـدد من المنظومات التعليمية التى تهدف إلى تيسيـر الحفظ على الطلاب ولدينا منهـا ألفية ابن مالك وبهـا عن الحال ٢٤ بيتا، وألفية السيوطـى النحوية وبهـا ٢٨ بيتا، ومنظـومة « عمل الصيـاغـة فى علم البلاغـة » للشيخ معروف النـودّهى نظم فيها « تحريـر البلاغة » للعـلامة محمد بن آدم، وبها عن الحال ٣٧ بيتـا، وألفية الآثارى وبها تسعـة أبيات، وأخيـرا ملحـة الإعراب للحريـرى، وبها ستـة أبيات. ومن ثم فقد اخترنا أن نورد ما جاء فى المنظومة الأخيرة بغية الاقتصار.

قال الحريرى عن الحال والتمييز:

والحـــالُ والتَّمييـــزُ منصُـــوبَـــان
على اختـــلاف الــوضعِ والمَبـــانى
ثُمَّ كـــلا النَّـــوعين جــاء فضلـــهْ
مُنكـــراً بعـــدَ تمـــام الجُملـــهْ
لكن إذ نظـــرتَ فـى اسم الحـــال
وجــــدتَـــهُ اشْتُقَّ مـن الأفعـــال
ثُمَّ يُـــرى عنـــدَ اعتبـــار مـن عقلْ
جـــوابَ كيفَ فى سُـــؤال مَـنْ سألْ
مثـــالُـــه جـــاءَ الأميـــرُ راكبَـــا
وقـــامَ قُسٌّ فـى عُكـــاظ خـــاطبـــا
ومنـــهُ من ذا فـى الفَنَـــاء قـــاعــدا
وبعتُـــهُ بـــدرْهَمٍ فصَـــاعِـــدا

(ملحة الإعراب / ١٩).

(قـواعد اللغـة العربيـة ـ لحفنى بك نـاصف وزمـلائه / ٦٨، ٦٩، وملحـة الإعراب لأبى القـاسم الحريـرى / ١٩. انظر أيضًـا فرائد النحو الوسيمـة شرح الـدرة اليتيمة للشيخ سعيـد بن سعد بن نبهـان الحضرمى ـ شرح الشيخ محمود على بن حسين المالكى / ٧٤ ـ ٧٧، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ـ حققه وقدم له محمد كامل بركات / ١٠٨ ـ ١١٣، والكـافيـة لابن الحـاجب المطبـوع فى كتـاب مهمـات المتـون ط مصطفى البابى الحلبى / ٣٩٣، ٣٩٤، وشرح ابن عقيل على الألفية ط. أمين عبـد المجيد محمـد الديـدى/ ٩٠ ـ ٩٥، وطبعة الإدارة المـركزيـة للمعاهد الأزهرية/ ١٧٤ ـ ١٨٤، وألفيـة السيوطى النحوية / ٣٤ ـ ٣٦. والأعمال الكـاملة للشيـخ معروف النودهـى. المجموعـة البلاغيـة ق٤ ـ دراسـة وتحقيق السيـد محمـود أحمـد وزمـلائه / ١٦٢ ـ ١٦٩، وألفيـة الآثارى: كفاية الغلام فى إعراب الكلام ـ نظم زين الدين شعبان بن محمد القرشى الآثـارى / ٩١، ٩٢، وشرح عقود الجمان للحافظ جـلال الدين عبد الرحمن السيوطى / ٦٥ ـ ٦٧).

***الحال:**

من اصطلاحات الصوفية. قال عنه القاشانى:

مـــا يـرد على القلـب بمحض المـوهبـة من غيـر تعمل واجتـلاب كحزن أو خـوف، أو بسط، أو قبض أو شـوق، أو ذوق يزول بظهـور صفات النفس سـواء أعقبه المثل أو لا. فإذا دام وصار ملكا يسمى مقامًا.

(اصطلاحات الصوفية / ٥٧).

وقـال الإمام القشيـرى: الحال عنـد القوم معنى يـرد على القلب من غيـر تعمد منهم ولا اجتلاب ولا اكتسـاب لهم من طرب أو حـزن أو قبض أو شوق أو انـزعاج أو هيبـة أو احتياج فالأحوال مـواهب والمقامات مكاسب والأحـوال تأتى من غير الوجـود والمقامـات تحصل ببذل المجهـود وصاحـب المقام ممكن فى مقـامه وصـاحب الحال متـرق عن حالـه وسئل ذو النون المصرى عن العارف فقال كـان ههنا فذهب وقال بعض المشـايخ الأحوال كـالبـروق فإن بقى فحـديث نفس. وقـالـوا الأحوال كاسمهـا يعنى أنها كما تحل بالقلب تـزول فى الوقت وأنشدوا:

لـــو لم تحل مـــنـــا سُمِّيت حـــالا
وكـل مـــا حـــال فقـــد زالا
انظـــر إلى الفـىء إذا مـــا انتهـى
يـأخـــذ فـى النقـص إذا طـــالا

وأشار قوم إلى بقاء الأحوال ودوامها وقالوا إنها إذا لم تدم ولم تتوال فهى لوائح وبواده ولم يصل صاحبها بعد إلى الأحوال فإذا دامت تلك الصفة فعند ذلك يسمى حالاً وهذا أبو عثمان الحيرى يقول منذ أربعين سنة ما أقامنى الله تعالى فى حال فكرهته أشار إلى دوام الرضا والرضا من جملة الأحوال فالواجب فى هذا أن يقال إن من أشار إلى بقاء الأحوال فصحيح ما قال فقد يصير المعنى شربا لأحد فيربى فيه ولكن لصاحب هذه الحال أحوال هى طوارق لا تدوم فوق أحواله التى صارت شربا له فإذا دامت هذه الطوارق له كما دامت الأحوال المتقدمة ارتقى إلى أحوال أخر فوق هذه وألطف من هذه (الرسالة القشيرية / ٥٤).

(اصطلاحات الصوفية للشيخ كمال الدين عبد الرزاق القاشانى - تحقيق وتعليق د. محمد كمال إبراهيم جعفر / ٥٧ ، والرسالة القشيرية للإمام أبى القاسم القشيرى / ٥٤).

*** حال الصِّبا:**

فى مصطلح علوم الحديث حال الصِّبا هو تلقِّى الحديث حال الصِّبا أى قبل البلوغ وروايته .

(معجم مصطلحات توثيق الحديث - د. على زوين / ٣٠).

*** حال الكفر:**

فى مصطلح علوم الحديث حال الكفر تلقِّى الحديث حال الكفر وروايته .

(المرجع السابق).

*** حام بن نوح وولده:**

عن حام بن نوح وولده كتب ابن عبد البر يقول :

وأما حام بن نوح عليه السلام، فقال أهل الأثر: إن نوحا، عليه السلام، دعا عليه بتشويه الولد وسواده، وأن يكون ولده عبيدًا لأولاد سام، فوُلد لحام ولدُه كنعان، ووُلد لكنعان بنون، منهم: كوش، وكان أسود، فهمّ بقتل امرأته، فمنعه سامٌ وذكَّره الله، فغضب، ونزغ الشيطانُ بينهما كما فعل بأولاد آدم: قابيل، وهابيل، وشيث، وعترتهم.

قال على بن كيسان النسَّابة، وغيرهُ من أهل العلم بأيّام الناس وأنسابهم: وَلَدَ حامُ بن نوح: قُوط بن حام، وقِبط بن حام، وكوش بن حام، وكنعان بن حام، ومصر بن حام .

وقد قيل: إن قوط بن حام هو قِبط بن حام، وإن لكنعان ولدٌ يُدعى: كوش.

قال: ووَلَد قوطُ، أو قبط بن حام: بربر، وشوقر، فولد بربرُ البرابرة وأجناسها، فكانت بين بنى حام أيضًا من الحروب والمُناوشات ضروبٌ، حتى كان آخر أمر حام أن هرب إلى ناحية أرض مصر، وتفرق ولده، ومضى على وجهه يؤمّ المغرب، حتى أفضى إلى السُّوس الأقصى، وهو آخر ما تبلغ إليه مراكب البحر من الأندلس وغيرها، وليس وراء ذلك البحر إلا البحر الأسود، فلما بلغ حامٌ هنالك أقام فيما اختار من تلك البلاد، فيقال: إن بنيه اغتموا لفراقه وبُعد مكانه، وندموا على تركه، فخرجوا فى إثره يطلبونه فى الناحية التى قصدها، فيقال: إن منهم طوائف وقعوا عليه، وكانوا معه إلى أن مات، واستوطنوا ذلك البلد وسكنوه، وطوائف منهم صاروا فى غيره.

فمن ولد حام: البربر، والزنج، والحبشة، والنوبة، والبُجنة، والسند، وأجناس لا يحصيها إلا الذى خلقها، بعضها من ولد كنعان بن حام، وبعضها من ولد كوش بن حام.

والنوبة، من ولد نُوبا بن قوط بن مصر بن حام.

والكرد، من ولد كُرد بن كنعان بن حام.

والحبشة، من ولد حبش بن كوش، وهم أكثر ملوك السودان، وجميع ممالك السودان يعطون الطاعة للحبشة، وهم على دين النصرانية إلى اليوم.

وسائر أولاد حام مختلفو الأديان، فالبُجة، والنوبة، أصناف، مع قرب بعضهم من بعض، والزنج أجناس أيضًا، وأكثر هؤلاء يعبدون الأصنام والخشب والدواب والطيور الغريبة.

وقد قيل: إن حامًا ولد ثلاثة نفر: كوش بن حام، وقبط بن حام، وكنعان بن حام.

فولد كوش بن حام: الحبشة، والسند، والهند.

وولد قبط بن حام: الأساود، والزنج، والنوبة والغزان، والزغاوة، وأجناس السودان كلها.

وأما البربر، فالاختلاف فيهم كثير، وأثبت ما قيل فيهم: إنهم من ولد قبط بن حام، وقد انتسب بعضهم في حمير، وأنكر ذلك أكثر الناس.

ولما نزل قبط بن حام مصر خرج بربر بن قبط بولده إلى ناحية المغرب، فسكنوا من آخر عمل مصر، وهو ما وراء برقة إلى البحر الأخضر، مع بحر الأندلس إلى مُنقطع الرمل، متَّصلين بالسودان، منهم: لواتة، بأرض أجدابية وسبرت، ونزلت مزاتة بأرض ودان، ونزلت هوارة بأرض أطرابلس، ونزل قوم بغربيها، وهم نفوسة، ثم تشعبت بهم الطرق إلى القيروان، وما وراءها منهم، قرقشانة، وغيرهم، وصاروا إلى تاهرت، وطنجة، وسجلماسة.

ومنهم: كتامة، وصنهاجة.

وقيل: إن كتامة وصنهاجة من ولد إفريقيس بن صيفي الحميري.

وقالت طائفة منهم، كزناتة: إنهم من لخم.

وزويلة تزعم أنها من جُرهم، وهوارة أنهم من عاملة، وأنهم انتقلوا من الشام.

وقال آخرون: البربر من ولد فارق بن مصر بن حام.

وطوائف من البربر يزعمون أنهم من قَيس عيلان بن مضر، وقال شاعرهم في ذلك:

قبائل من بر بن قيس وخِندف
وذي يَمن في عزِّها المُتطاول

وقال بعضهم: قالت تُماضر، أخت بر بن قيس ترثيه، في بُعده عن قرابته وذويه وبلده:

لتَبكي كُلُّ باكية أخاها
كما أبكي على بَرِّ بنِ قَيسِ
تحمَّل عن عشيرته فأضحَى
ودُون لقائه أنضاء عيسِ

وزعموا أن تماضر أيضًا قالت في أخيها برِّ بن قيس:

وشَطَّت بِبَرٍّ داره عن بلادنا
وطَوَّح بَرٌّ نفسَه حيثُ يَمَّمَا
وأَزرَت بِبَرٍّ لُكنَةٌ أعجميَّةٌ
وما كان بَرٌّ في الحجاز ابن أعجَمَا
كأنِّي وبرًّا لم نفُز بجيادنا
بنجد ولم نقسم نِهابًا ومغنَما
فلا يبعدَن برٌّ على بُعد داره
وإنْ ألقَ برًّا بالحجاز فربَّما

وأنكر أكثر العلماء بالنسب وأيام العرب أن يكون لقيس عيلان ابن يسمى برًّا، وقالوا: البربر كلها من ولد جالوت، الذي قتله داود النبي، ﷺ، وجالوت عندهم من ولد بربر بن قبط بن حام بن نوح عليه السلام.

قال علي بن عبد العزيز الجرجاني النسابة: لا أعلم في البربر شيئًا يُقارب الصحة إلا قول من قال إنهم من ولد جالوت، ثم من بني قوط، أو قبط بن حام.

وقيل: بل جالوت، هو من ولد سكلوجيم بن مصريم بن حام بن نوح.

قالوا: وزناتة كلها تنسب إلى جالوت.

ومما يشهد من قول أهل الأثر، وهم علماء الإسلام: إن البربر من ولد حام لا من العرب، ولا من ولد سام بن نوح: قول سعيد بن المسيّب، وقول وهب بن منبه.

والحبشة، الذين ببلاد النجاشي، يزعمون أنهم من طيىء ابن أدد، وأنهم لما صار الحبشة بأرض اليمن متغلِّبة عليها أقاموا بها أربعين سنة، فصاهروا باليمن وصُوهر إليهم، فتوالد منهم هناك كثير.

ومن الحبشة من ينتسب في رُعين. ومنهم من ينتسب في كَلاع، ولهم أعقاب.

وقد قيل: إن الحبشة: من ولد حبش بن سعد بن طيء.

وأما نصارى الحيرة، فمنهم من يزعم أنهم من بني الحارث ابن كعب بن مذحج، ويذكرون أنه لما انتقل نصارى بني الحارث بن كعب من نجران إلى اليمن نزلوا الحيرة.

ومنهم من يزعم أنهم من لخم، وهم رهط النعمان بن المنذر، وكان النعمان وأهله على دين النصرانية.

وبعضهم يزعمون أنهم من تميم، وهم رهط عدى بن زيد العبادى الشاعر، وكانوا نصارى.

ومن أهل الحيرة من يزعم أنهم فى قيس من بنى سليم، وهم نصارى أيضًا.

وقد زعم بعض من ألّف فى أخبار بغداد أن قومًا من سواد الكوفة، ممن كانوا على دين النصارى ودخلوا فى الإسلام، ذكروا أنهم من بنى الحارث بن كعب، وأنهم لم يكونوا قطُّ على دين المجوسية، منهم: الحسن بن وهب بن سعيد، وكان يُمدَح بهذا فى الأشعار فلا يُنكره، وكان سليمان أخوه يقف ويحتشم من ادعاء هذا النسب.

وقد ادعى قومٌ كثير من العجم أنهم من العرب فى الأزد، وفى طيىء، وفى قيس، على ما تقدم ذكرنا له، وقوم من الروم يزعمون أنهم من إياد، وأنهم دخلوا مع هِرقل إذ هزمهم المسلمون.

وقيل: إنه رحل مع هرقل من إياد نحو سبعين ألفًا ونزلوا أنقرة، وقد ذكر ذلك الأسود بن يعفر فى شعر إذ ذكر أنقرة، فقال:

نـزلـوا بأنقـرة يسيلُ عليهمُ
مـاءُ الفُـرات يجىء من أطـواد

ومن بنى حام، الذين لا يختلف فيهم، ملوك مصر وفراعنتها، ولهم أربعة أصول فى بنى حام بن نوح: قبط بن مصر بن بيصر بن حام، وأشمن بن مصر، وأتريب بن مصر، وصا بن مصر، فالملوك بمصر من هؤلاء.

وكان البلد مقسومًا بين هؤلاء الأربعة، فصار قبط بن مصر من قفط إلى حد النوبة، وحيِّز أشمن الربع الثانى إلى دهشور، وحيز صا البحيرة إلى الإسكندرية إلى حد مصر، وحيِّز أتريب، من أتريب إلى الشجرتين إلى أيلة من الحجاز.

ولكل واحد من هؤلاء الأربعة مدينة بناها وسمَّاها باسمه، وجعلوا أسفل الأرض خمسًا وثمانين كورة مقسومة على أربعة أعمال، وفى كل كورة كاهن يجلس على سرير ذهب، وفى كل كورة بربا، وهو بيت الحكمة.

وأخبارهم وأخبار مصر وعجائبها يطول الكتاب بذكرها.

اهـ.

(القصد والأمم فى التعريف بأصول أنساب العرب والعجم لابن عبد البر ــ تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبيارى. دار الكتاب العربى بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م/ ٣٤ـ٤٠).

***الحامد:**

من عيوب المؤاكلة الواحد والثمانين التى عدَّدها الشيخ بدر الدين الغزِّى فقال:

والحامد: وهو الذى يحمدُ الله تعالى جهرًا فى وسط الطعام، ولا سيَّما ربُّ المنزل، فكأنَّه يُنسب فى ذلك إلى تنبيه الحاضرين على الكفِّ عن الطعام كما حكى جحظةُ عن نفسه، قال: أكل عندى بعض المُجَّان، فسمعنى، وأنا أحمد الله، عز وجل، فى وسط الطعام لشىء خطر ببالى من نِعَمِهِ التى لا تُحصى، فنهض، وقال: أُعطى الله عهدا إن عاودت وما معنى التحميد فى هذا الموضع؟ كأنك أردت أن تُعلمنا أنَّا قد شبعنا! ثم مال إلى الدواة فكتب:

وحمـدُ الله يحسنُ كُلَّ وقت
ولكن ليس فى أوَّل الطَّعـام
لأنَّك تُحْشِمُ الأضيافَ منْـه
وتأمـرُهمْ بإسـراعِ القيـامِ
وتُـؤذيهم ومـا شبعُـوا بشبعٍ
وذلك ليس من خُلُق الكـرامِ

(يقال: حشمته وأحشمته أخجلته، ويقال للمنقبض عن الطعام: ما الذى حشمك وأحشمك؟ من الحشمة وهو الاستحياء).

وقد أورد المؤلف نفسه فى رسالته «آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة» بعض ما يجب أن يتحلى به المضيف فى حضرة الضيف، ومما قاله: «ومع الضيف بالبشر، وطلاقة الوجه، وطيب الحديث، وإظهار السرور، وقبول أمره ونهيه، ورؤية فضله ومنته بإكرامك بدخوله منزلك وتحريمه لطعامك» ورقة ٢٠).

(رسالة آداب المؤاكلة للشيخ بدر الدين محمد الغزِّى ـ حققها

د. عمر موسى باشا/ ٣٥، ٣٦، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس في ثنايا النص).

انظر: آداب الأكل.

***ابن الحامد (۔٤٠٣هـ/ ١٠١٢م):**

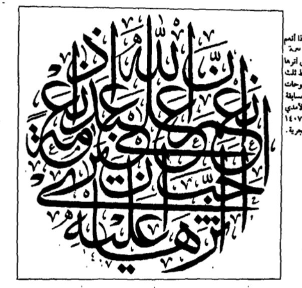
الحسن بن حامد بن على بن مروان البغدادى، أبو عبد الله، إمام الحنابلة فى زمانه ومدرِّسهم ومفتيهم. من أهل بغداد. عاش طويلا، وتوفى راجعا من الحج بقرب «واقصة». له مصنفات فى الفقه وغيره، منها «الجامع» فى فقه ابن حنبل، نحو أربعمائة جزء، و«شرح أصول الدين» و«تهذيب الأجوبة» (الأعلام ٢/ ١٨٧). و«شرح أصول الفقه»، و«شرح الخرقى» (الموسوعة ٢/ ٣٤٨). وكان ينسخ الكتب، ويقتات من أُجرتها، وبعث إليه الخليفة بجائزة فردَّها تعففًا، مع حاجته إلى بعضها (الأعلام ٢/ ١٨٧).

(الأعلام للزركلى ٢/ ١٨٧، وموسوعة جمال عبد الناصر فى الفقه الإسلامى ٢/ ٣٤٨).

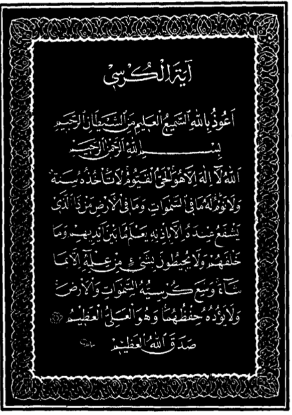
*** حامد الآمدى: (۔ ... هـ/ ١٨٩١۔ ١٩٨٠م):**

آخر سلالة الخطَّاطين الكبار فى استانبول بتركيا (كيف نُعلم الخط العربى/ ٤٠). وأحد عباقرة فن الخط العربى فى هذا القرن. اسمه الحقيقى موسى عزمى. ولد الآمدى فى آمد (ديار بكر) (انظر مادة «آمد») فى تركيا فى سنة ١٨٩١م وكان جده آدم الآمدى خطَّاطًا أيضًا.

بدأ الآمدى تعليمه بالجامع الكبير فى مدينته ثم أخذ دروسا خاصة فى الخط على يد أستاذه مصطفى عاكف ووداد أفندى، ومن قريب له يدعى عبد السلام. وأخيرا تتلمذ على يد «سعيد أفندى» الذى كان إمامًا لأحد المساجد. انتقل بعدها إلى المدرسة الرشدية العسكرية وفيها تعلم خط الرقعة من «واحد أفندى» وخط الثلث من «أحمد حلمى». ولاهتمام حامد الآمدى بالخط رسب فى دراسته فى عامه الأول فمنعه والده من مزاولة الخط، إلا أن حادثة جعلت والده يتراجع عن قراره هذا وهى: أن حامدًا كان يعاون أحد معلميه الخطَّاطين فى كتابة لوحة خطية على قطعة من القماش تحمل عبارة «يحيا السلطان» وذلك بمناسبة عيد جلوس السلطان



٣١٤ - إن الله إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى أثرها عليه خط ثلث متراكب من اللوحات الفائزة في مسابقة حامد الآمدي كتبت سنة ١٤٠٧ هجرية.



٣٠٢ - آية الكرسي
خط حامد الآمدي
بقلم النسخ.

عبد الحميد الثانى على العرش. وفى هذه الأثناء أخذ حامد يحاول كتابة طغراء السلطان مما دفع المسئولين فى ديار بكر إلى منح حامد ليرة ذهبية مكافأة له، فطار بها فرحا إلى والده ليخبره بالأمر.

وأثناء دراسة حامد فى الإعدادية بدأ بتقليد خطوط حافظ عثمان ومصطفى رام. وفى سنة ١٩٠٦م أنهى حامد الإعدادية فأخذ طريقه إلى استانبول والتحق بمدرسة الحقوق. وبعد سنة واحدة تركها ليلتحق بمدرسة الصنايع النفيسة (أكاديمية الفنون الجميلة).

لم يستطع حامد الاستمرار فى الدراسة نتيجة وفاة والده سنة ١٩٠٨م. عيّن بعدها معلما للخط فى مدينة تسمى «كلش معارف» ومن تلاميذه فى هذه المرحلة «حليم أوزيازيجى».

أما إتقان حامد للخطوط فقد تم على أيدى كبار الأساتذة الذين التقى بهم فأخذ من محمد نظيف خط الثلث، ومن الحاج أحمد كامل أفندى خط الثلث والنسخ معا، ومن خلوصى أفندى خط التعليق. انظر: التعليق (خط ـ)، و الثلث (خط ـ).

تنقل حامد فى عدة وظائف مطبعية، وشغل وظيفة الخطاط محمد نظيف بعد وفاته سنة ١٩١٣م.

اتخذ حامد لنفسه اسمًا مستعارًا هو «خطاط حامد يازى أوى» بعد أن استأجر دكانًا صغيرا للخط والزنكوغراف فى حى «جاغال أوغلو» سنة ١٣٣٦هـ ثم شغل منصب الخطاط عارف حكمت بك بعد وفاته ثم تحول إلى محل جديد فى شارع الباب العالى باستانبول، واشتغل حين ذلك بأعمال الحفر والزنكوغراف وتذهيب المصاحف، كما أجازه كل من محمد نظيف والحاج أحمد كامل.

وآثار حامد الآمدى كثيرة منتشرة فى البلاد العربية والإسلامية، كما كتب المصحف الشريف بشكل جميل، وقد تم طبعه مؤخرا.

ومن تلاميذ الآمدى فى الخط حليم حسن حلبى، وخسرو صوباشى، وأحمد فاتح، وأينجى بش أوغلو. كما أجاز الكثير من الخطّاطين أمثال هاشم البغدادى ومحمد صالح الموصلى.

توفى حامد الآمدى (موسى عزمى) يوم ٢٠ مارس ١٩٨٢ ودفن تحت مدفن شيخ الخطاطين «حمد الله أفندى!» (نفائس الخط العربى / ٢٧٠، ٢٧١).

وتتميز خطوط حامد الآمدى بقوة الإنجاز، وبقدرته على تكوينات خطية صعبة (كيف نعلم الخط العربى / ٤٠).

(كيف نعلم الخط العربى ـ معروف زريق / ٤٠ ، ونفائس الخط العربى ـ حسن قاسم حبش / ٢٧٠ ، ٢٧١).

ملاحظة : النماذج من خط حامد الآمدى المصاحبة لهذه الصورة مأخوذة من كتاب « نفائس الخط العربى » تأليف حسن قاسم حبش.

*** حامد حسين الكنتورى (١٢٤٦-١٣٠٦هـ):**

من علماء العرب فى شبه القارة الهندية . عربى من العلويين وهو العلامة الشيخ حامد حسين بن محمد قلى بن محمد حسين بن حامد حسين بن زين العابدين الحسينى الموسوى الكنتورى، أحد الأفاضل المشهورين بالهند.

ولد لأربع خلون من شهر محرم سنة ١٢٤٦هـ فى بلدة (ميرتة) حيث كان والده صدر الصدور، وقرأ عليه الكتب الابتدائية المتداولة، ومات أبوه وله خمس عشرة سنة من العمر، فقرأ الأدب على الشيخ بركة على السنى والمفتى محمد عباس اللكهنوى، والعلوم العقلية على السيد مرتضى ابن المولوى سيد محمد، وكتب العلوم الشرعية على السيد محمد بن دلدار على وعلى السيد حسين، وكان أكثر أخذه ودراسته عن الأخير واشتغل بعد التحصيل بترتيب مؤلفات والده وتصحيحها ومقابلتها بالأصول وبدأ بتأليف استقصاء الإفحام فى الرد على منتهى الكلام للشيخ حيدر على الفيض آبادى، وأكمل شوارق النصوص وسافر لأداء فريضة الحج سنة ١٢٨٢هـ واقتبس من الكتب النادرة فى الحرمين ورجع إلى الهند وانصرف إلى المطالعة والتأليف واقتناص الكتب النادرة وكثير منها بخط مؤلفيها من كل مكان وبكل طريقة وأنفق عليها الأموال الطائلة حتى صارت له مكتبة تضم عشرة آلاف كتاب اشتراها من بغداد ومصر والشام وغيرها من البلاد.

وكان بارعا فى علم الكلام والمناظرة واسع الاطلاع كثير المطالعة والتأليف، حتى أتعب نفسه فى الكتابة والتأليف فاعترته الأمراض وضعفت قواه فتوفى فى الثامن عشر من صفر سنة ١٣٠٦هـ فى لكهنو.

(علماء العرب فى شبه القارة الهندية ـ يونس الشيخ إبراهيم السامرائى / ٧٣٧).

*** ابن حامد (شهاب الدين) (٨٥٤هـ):**

من شيوخ المدرسة الفخرية بالقدس الشريف، أعاده الله ديار إسلام.

وكان ابن حامد قد نشأ فى بيت المقدس، وتعلم هناك، فحفظ القرآن، وحفظ الشاطبية فى القراءات، والمنهاج فى الفقه، وألفية ابن مالك، وملحة الإعراب فى العربية، وغير ذلك. وعَرَضَ ابن حامد محفوظه على عدد من العلماء، ومنهم قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة، وغيره.

وسمع ابن حامد على جده وأبيه، كما سمع على عدد من العلماء الآخرين، من أمثال أبى الخير العلائى، وتقى الدين القلقشندى، وشهاب الدين بن الناصح، وعلاء الدين بن النقيب، وعماد الدين إسماعيل بن جماعة، وسراج الدين البلقينى، وغيرهم كثير (الضوء اللامع ٢/ ١٧٣).

وقرأ ابن حامد كتبًا، منها صحيح مسلم، والشفاء، فقد قرأهما على عدد من العلماء (الضوء اللامع ٢/ ١٧٣).

وحصل على إجازات عديدة، فقد أجاز له العديد من العلماء الذين تقدم ذكرهم وغيرهم. وممن أجازوا له برهان الدين ابن جماعة، شمس الدين بن قاضى شهبة، والشيخ محمد القرمى، وجماعة.

وصحب ابن حامد عددًا من شيوخ المتصوفة، وحصل على الإجازة من الشيخ محمد القرمى. وصحب الشيخ عبد الله البسطامى، والشيخ أبا بكر الموصلى. وأكثر ابن حامد من « الاشتغال، والتحصيل، والسماع، وكتب بخطه الكثير » (الضوء اللامع ٢/ ١٧٣، وانظر الأنس الجليل ٢/ ١٨٣).

كل هذا قبل أن يتولى مشيخة الفخرية، ثم تولاها كما تقدم. وتلقى عليه طالبو العلم، « وأخذ عنه الفضلاء، وحدَّث بأشياء، وصار خاتمة من يروى عن جماعة من شيوخه» وذكر السخاوى أنه كان ممن أخذوا عن ابن حامد، وحصلوا على الإجازة منه (الضوء اللامع ٢/ ١٧٤).

وقد استمر يتولى مشيخة الفخرية، ويشتغل بالعلم والتوصف، حتى أخريات حياته، فقد ذكر أنه « تعفف حتى عما كان باسمه من الوظائف ولزم بيته إلا إلى المسجد، وصار مقصودًا بالدعاء والتبرك به » (الضوء اللامع ٢/ ١٧٤).

توفى ابن حامد فى سنة ٨٥٤هـ، عن عمر يناهز مائة عام، ودفن بمقبرة البسطامية، فى بيت المقدس (الضوء اللامع ٢/ ١٧٣، ١٧٤، الأنس الجليل ٢/ ١٨٣).

(المدارس فى بيت المقدس ـ د. عبد الجليل حسن عبد المهدى، ٢/ ٢٠٠-٢٠١).

*** أبو حامد الغرناطي (٤٧٣-٥٦٥هـ / ١٠٨٠-١١٧٠م):**

صاحب كتاب « تحفة الألباب ونخبة الإعجاب » وهو أبو حامد محمد بن عبد الرحيم المازني القيسي الغرناطي الأندلسي الإقليشي القيرواني .

ولد أبو حامد الغرناطي بغرناطة في عام ٤٧٣هـ ورحل إلى الإسكندرية في سنة ٥٠٨هـ وسمع بها من أبي عبد الله الرازي، وسمع بمصر من أبي صادق مرشد بن يحيى المديني وأبي الحسن الفراء الموصلي، وأبي عبد الله محمد بن بركات ابن هلال النحوي وغيرهم . ثم رحل إلى الشام، وحدث بدمشق، وسمع أيضًا ببغداد . وفي سنة ٥١١هـ نزل بصقلية، ثم عاد إلى مصر، وفي سنة ٥٢٥ طاف بكثير من الأقطار، فاجتاز بحر قزوين ووصل إلى ضفاف الفلجا، وزار بلاد البلغار، كما زار مدينة خوارزم (التاريخ والمؤرخون العرب / ٢٣١) .

وكان الغرناطي متمتعًا في بغداد برعاية وعناية الوزير الأديب الفقيه يحيى بن هبيرة، الذي أكرمه وأمدَّه بالمال، فألف لمكتبته كتاب (المُغْرِب عن بعض عجائب المَغْرب) . ثم أخذ يتنقل في البلاد المشرقية، أي التي في شرق بغداد، فزار أبهر في إيران سنة ٥٢٤هـ / ١١٣٠م، ثم نراه يتنقل فيعبر بحر قزوين، شمال إيران، ويصل إلى سخسين، على نهر الفولجا الأوسط سنة ٥٢٥هـ / ١١٣١م، وفي عام ٥٣٠هـ يهبط إلى بلاد الفولجا الأدنى . وبعد خمسة عشر عامًا يذهب إلى باشغرد في بلاد المجر أي في سنة ٥٤٥/ ١١٥٠م ثم تركها سنة ٥٥٣ عائدًا إلى سخسين، ومضى عنها سنة ٥٥٤ إلى خوارزم . وخرج منها قاصدًا أداء فريضة الحج سنة ٥٥٥، وعاد إلى بغداد لائذًا بابن هبيرة، ويبدو أن أبا حامد كان يود العودة إلى باشغرد، لكن يظهر أن عودته إلى باشغرد لم تتحقق، لأننا نجده في عام ٥٥٧هـ / ١١٦٢م في الموصل، ومنها توجه إلى حلب، فدمشق حيث كانت خاتمة المطاف إذ توفي فيها سنة ٥٦٥هـ / ١١٧٠م .

ورغم أن أبا حامد الغرناطي كان محدثًا وفقيهًا، فهو لم يترك لنا مؤلفات في هذين الموضعين، بل خلَّف لنا آثارًا تدور حول العجائب والغرائب (الكوزموغرافيا) التي رآها أو سمع عنها في الأقطار التي تجول بها أثناء رحلاته . فقد كان مولعًا بهذا النوع من التصنيف، بل نستطيع أن نقول : إنه كان لبنة جديدة في الأدب الجغرافي العربي .

ومن مؤلفاته « المغرب عن بعض عجائب المغرب » و« نخبة الألباب ونخبة الإعجاب » و « نخبة الأذهان في عجائب البلدان » و « عجائب المخلوقات » و « تحفة الكبار في أسفار البحار » .

ولم يصل إلينا الكتاب الأول، أما الثاني فقد وصلت إلينا مخطوطات كثيرة منه، ذكرها بروكلمان، ويضاف إليها مخطوطة في جامعة برنستون في مجموعة يهودا . وقد نشره المستشرق الفرنسي غابريال فرّان عام ١٩٢٥ في المجلة الآسيوية، ثم أعاد نشر قسم منه المستشرق السويسري الأصل قيصر دوبلر في مدريد عام ١٩٥٣ . وذكر بروكلمان أن هناك مخطوطة في المتحف البريطاني من الكتاب الرابع « عجائب المخلوقات » . ومن الكتاب الخامس مخطوطة في المجمع العلمي للتاريخ في مدريد (أعلام الجغرافيين العرب / ٣٦٨، ٣٧٠) .

وننقل لك فيما يلي نموذجا من كتابات الغرناطي مما يندرج تحت جغرافية العجائب والغرائب :

ذكر الغرناطي وصفًا لطريق في الرمل سار فيه ثعبان بقوله :

« كان مثل النهر عريضًا عميقًا وأن عرضه كان ٢٩ ذراعًا .

ويقول إنه رأى بطيخًا هنديًّا في كل واحدة منها مائة مَنٍّ (المَنّ المصري كان وزنه إلى سنة ١٤١٤م ٨١٢,٥ جرامًا) ومعنى ذلك أن البطيخة التي رآها بمصر وزنها يزيد على ٨١ كيلو جرامًا، وكان الجمل القوي يحمل اثنين منها فقط ! .

وفي كلامه عن أردبيل يتحدث عن حجر أسود موضوع في ميدان البلد « أسود له طنين كالفولاذ، له محك القلعي الرصاص، وهو على صورة كلية البقرة فيه أكثر من مائتي مَنٍّ » ويقول إن هذا الحجر يستدر المطر، وقد ذكر الحجر ووصفه بنفس الوصف جغرافيون عرب آخرون مثل الإدريسي وأبي الفدا وياقوت، ورسم أبو حامد هذا الحجر بيده (التراث الجغرافي الإسلامي / ٤٢٧، ٤٢٨) .

(التاريخ والمؤرخون العرب - د. السيد عبد العزيز سالم / ٢٣١ ، وأعلام الجغرافيين العرب - د. عبد الرحمن حميدة / ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، والتراث الجغرافى الإسلامى - د. محمد محمود محمدين / ٤٢٧ ، ٤٢٨).

*** أبو حامد الغزالى:**

انظر: الغزالى.

*** أبو حامد النابلسى (-٨٨٠هـ):**

عدّه صاحب الخطط التوفيقية من بين الصوفية الذين دفنوا بحوش سعيد السعداء وقال عنه :

محمد بن خليل بن يوسف بن على بن عبد الله المحب أبو حامد النابلسى الأصل الرملى المقدسى الشافعى نزيل القاهرة - وهو بكنيته أشهر - مات فى يوم الأحد حادى عشر من صفر سنة ثمان وثمانين وثمانمائة - ودفن بحوش سعيد السعداء ، ومن مشايخه الشهاب بن رسلان ، والسراج الرومى ، وعيسى بن فاضل الحسبانى ، وعائشة الحنبلية ، والعينى ، والشمنى ، والعز بن عبد السلام البغدادى ، وابن الملقن ، وأخته صالحة ، وأم هانىء الهورينية ، والسيد النسابة ، وعبد الكافى بن الذهبى ، وعمر بن السفاح وغيرهم .

وحج فى سن ثلاثبوخمسين صحبة الزين عبد الباسط فأخذ بالمدينة النبوية عن المحب الطبرى ، وعبد الله التسترى ، وأبى الفرج الكازرونى ، والتاج عبد الوهاب بن صالح ، وبمكة عن أبى الفتح المراغى ، والتقى بن فهد ، والبرهان الزمزمى وغيرهم .

ونزل فى الخانقاه أول قدومه القاهرة ، وقرره الزين الأستادار فى قراءة الحديث بجامعه ببولاق وقاسى فى جل عمره فاقة ، ومكث أعزبًا مدة ثم تزوج ورزق الأولاد ، وترفع حاله وزاحم عند كثير من الرؤساء ، وناب فى القضاء ، وكان حريصًا على الكتابة حتى أنه كتب بخطه الكثير: شرح المنهاج والبهجة وجمع الجوامع وغيرها ، وبالجملة فكان مديمًا للتحصيل ، مقيمًا على الجمع والكتابة فى التفريع والتأصيل ، لا أعلم عليه فى دينه إلا الخير. ومن نظمه قوله :

ارحم إلـه الخَلْق عبـدًا مـذنبًا ... بالجـود يـرجـو العفـوَ فـى كُلِّ زمن

وهَبْ لـه يـا ربُّ رحمـةً ... بهـا تـرحـم الخلق سِـرًّا وعَلَن

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤/ ٢١٧).

*** الحامدى (١٢٥٧-١٣١١ أو ١٣٣١هـ):**

ترجم له المستشار محمد عزت الطهطاوى فقال عنه :

أحد الفضلاء النابغين والجهابذة المحققين برز فى علوم الشريعة ، كما نبغ فى علوم الحقيقة (أى التصوف) حتى وصل إلى قمة الصفاء ، ولقد أكسبه عزوفه عن تولى المناصب الحكومية مهابة وإكبارا فى عيوم الناس وبركة فيما رزقه الله من الطيبات إلى جانب زهده وتقواه فكان سخيا يعطى عطاء من لا يخاف الفقر.

ذلك هو الشيخ أحمد الشهير بالطاهر بن الشيخ عوض الله ابن عبد القادر بن كليب بن أحمد بن موسى الحامدى نسبة إلى الحامدية قبيلة معروفة من أصل عربى عريق كانت قد استوطنت من عهد بعيد ناحية الكرنك بجوار مدينة الأقصر تلك المدينة التى اشتملت على الكثير من آثار المصريين القدماء من أعمال محافظة قنا بصعيد مصر. وكان جدُّ هذه الأسرة الأكبر من سلالة العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، وقد قدم ذلك الجدُّ من الأقطار الحجازية فى جملة من قدموا مع الصوفى الكبير العارف بالله تعالى السيد أبى الحجاج الأقصرى حوالى سنة ٦٠٠ هجرية تقريبا (رسالة فى التعريف بصاحب الترجمة لفضيلة الشيخ مروان أحمد مروان عميد معهد المعلمين الأزهرى بأسيوط بتاريخ ١٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٩٧ هجرية - ٤ يونيه سنة ١٩٧٧ ميلادية).

مولده ونشأته :

ولد الشيخ أحمد الطاهر سنة ١٢٥٧ هجرية ونشأ وتربى فى كنف والده الشيخ عوض الله بن عبد القادر والذى كان من العلماء العاملين وأولياء الله العارفين إذ كانت له مجاهدات صحيحة وكرامات واضحة واشتهر عنه بأنه كان مجاب الدعوة ومما يؤثر عنه قوله : « سألت الله تعالى أن يجعل العلم فىَّ وفى ذُريتى إلى يوم القيامة فأجابنى إلى ذلك » أما والدته فكانت من الصالحات الخيرات تجيد حفظ القرآن الكريم

وتتبعـد بتـلاوتـه آناء الليل وأطـراف النهـار، وفى هـذه البيئـة الصالحة حفظ ولدهما الناشىء القرآن الكريم ونال قسطا وافرا من الثقافـة والعلوم الإسلاميـة (رسالة فى التعـريف بصاحب الترجمة . المرجع السابق).

تـوجهـه إلى الأزهـر الشـريف لاستكمـال دراسـة العلـوم الإسلامية :

عندما كمل نمـو الشيخ أحمد الطاهر على سـلامة الفطرة وقـوة الاستعـداد لتلقى المـزيـد من العلم بعث بـه والـده إلى رحاب الأزهر الشـريف بالقاهرة . وقد كان على نظـامه القديم فوجده حافلا ـ كما هـو شأنه دائما ـ بالعلماء فى شتى صنوف المعـرفـة فأخذ يغتـرف من فيض معـارفهم ويستضىء بأنـوار إرشـادهـم حتى أتم الله لـه فى زمـن قصيـر الفقـه فى الـدين والتحصيل فى كثير من علـومه . ثم عـاد إلى بلده تلبية لـرغبة والده سنة ١٢٨١ هجرية فجلس لنشر العلم بين الناس حسبة لله تعـالى ونفعـا للمسلمين وكـانت سنه لـم تتجاوز الـرابعـة والعشرين فأقبـل عليه طلاب العلم وكـذا مريـدو السلوك من شتى نـواحى الصعيـد لـلأخـذ منه والاستفـادة من معـارفـه . (المرجع السابق).

عزوفه عن تولى المناصب الحكومية :

اختط الشيخ أحمد الطاهر لنفسه خطا فى الحياة العامة لم يكن ليحيد عنه، هو الابتعاد عن تولى المناصب الحكومية أيًّا ما كانت ، لـذلك فإنه عندما أراد المسئولون فى الـدولة وقتئذ الاستعانة بـه لتولى منصب القضاء فى مديريـة إسنا اعتذر عن ذلك كما اعتذر عن تولى منصب التدريس فى الأزهر الشريف أو شيخـا لرواق الصعـايـدة واكتفى عن كل ذلك ببـذل العلم حسبة لله تعالى كما قدمنـا والعمل على قضاء حاجات الناس بنفسه ومالـه وجاهه (رسالة فى التعريف بصـاحب الترجمة، المرجع السابق).

العوامل التى دفعت الشيخ أحمـد الطاهـر إلى التفوق فى العلم :

أولا: نشأته بين أبـوين صالحين ربيـاه على حب الإسلام وعلوم القرآن.

ثانيا : البيئة الأزهرية التى التصق بهـا أيام مجاورته بالأزهر الشـريف لطلب العلم حيث كان مشـايخ الأزهـر وطلابـه فى ذلك العهـد يميلون إلى النـزعة الصـوفية، وكان أمهـات كتب التصوف تدرس ضمن علوم الأزهر ككتـاب إحياء علوم الدين لـلإمام الغـزالى والحِكم العطائيـة لابن عطاء الله السكنـدرى وغيرها من كتب التصوف الكبرى.

التصوف الإسلامى شىء آخر خلاف التصوف المستورد :

ونعنى بالتصـوف المستورد ذلك التصـوف الفلسفى الذى نقل عن الهنود واليونانيين الأقدمين (وهم الإغريق) بمسمياته عن عقـائد الحلـول ووحـدة الـوجود، وكـذا التصـوف الـذى يضاهى الرهبانية البوذية والرهبـانية النصرانية فى حربه للجسد وكوّن أجيالا من القاعـدين والمنسحبين فى ميادين الحياة كل ذلك بعيد عن هدايات الإسلام.

أمـا التصـوف الإسلامى المحـض الذى سلكـه صـاحب التـرجمة وشيـوخـه من قبل ومن شابههـم فهو الـذى نبت فى أكناف الإيمان والإسـلام والإحسان ونما على أغذيـة جيدة من العلم والعمل واستطـاع أن يلـوّن المشاعـر الإنسـانية بصـدق العبـودية ودفعهـا إلى التفـانى فى مـرضاة الله والحس الـدقيق بوجـوده وشهوده، وجعل أصحـابه يسعـدون بمشاعـرهم وقد أشـار إلى معناه النبى ﷺ فى قـولـه « ذاق حلاوة الإيمـان من رضى بالله ربًّا وبـالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسـولا » . (أخرجه أحمـد ومسلم والترمـذى ورد ذلك فى الجامع الكبيـر للإمـام جلال الدين السيـوطى العدد السادس عشر من الجـزء الثانى من السنن القـولية طبعـة مجمع البحوث الإسـلامية بـالأزهر) لذلك كـانت التكاليف تـؤدى من هذا المسلم بـرضا لا بتعب ومعاناة، والمعاصى تترك باستغناء واستعلاء فإدراكه يقوم على الصدق ووجـدانه يقـوم على العمق ونـزوعه يقوم علـى الشوق (كتاب مـائة سؤال عن الإسـلام تأليف الشيخ محمد الغـزالى طبعة دار ثـابت للنشر والتوزيـع رمضان سنة ١٤٠٣هجـرية ـ يونيه سنة ١٩٨٣ ميلادية).

ثالثًـا : اجتماعه بعـلاّمة الصعيد فى الـدين والتصوف فى ذلك الزمان وهو العارف بالله تعالى الشيخ أبى المعارف أحمد

ابن شرقاوى فقد سلك على يديه طريق التصوف على نهج السادة الخلوتية تلك الطريق التى سبق أن نشر لواءها فى الديار المصرية الشيخ محمد الحفنى الملقب بأبى الأنوار شمس الدين الحفنى شيخ الأزهر الثامن والذى كان معاصرًا لشيخ البلد على بك الكبير وكان من ضمن تلاميذه ومريديه الشيخ أحمد العدوى المقلبُ بأبى البركات أحمد الدردير (كتاب أبى البركات سيدى أحمد الدردير تأليف الدكتور عبد الحليم محمود ط. دار الكتب الحديثة سنة ١٩٧٤م).

رابعا: ملازمته حياته كلها لأخيه فى الله تعالى السيد يوسف الحجاجى خصوصا بعد وفاة الشيخ أبى المعارف أحمد بن شرقاوى إذ كان السيد يوسف الحجاجى من خريجى الأزهر وعلماء الإسلام وأقطاب التصوف فى تلك الأيام.

مؤلفاته العلمية:

ألف الشيخ أحمد الطاهر العديد من الكتب الإسلامية فى علوم التوحيد والفقه والبلاغة والتصوف ومن هذه المؤلفات نذكر الكتب الآتية:

١ - كتاب الكشف الربانى وهو شرح جليل على منظومة أستاذه الشيخ أبى المعارف أحمد بن شرقاوى فى التوحيد والتصوف.

٢ - نظم صغير فى علم التوحيد سماه (بُلْغَة المبتدى) جمع فيه ببراعة كل أطراف فن التوحيد مع صغر حجمه ووجازة لفظه.

٣ - الروض الندى، وهو شرح موسع لمنظومته (بلغة المبتدى) حافل بالفوائد.

٤ - الفتح المحمدى، وهو شرح مختصر لمنظومته (بلغة المبتدى).

٥ - القول البديع فى أحكام التسميع.

٦ - نسائم الترويح فى مسائل التراويح.

٧ - شرح على تشطير البردة لأستاذه أبى المعارف أحمد بن شرقاوى لم يكتمل.

٨ - نظم بديع فى علم البيان قوامه ٢٥ بيتا جمع فيه أصوله ومسائله الكلية.

٩ - نظم لرسالة البيان المسماة (تحفة الإخوان) للسيد أبى البركات الشيخ أحمد العدوى المقلب بدردير.

١٠ - نهاية الإرشاد إلى رب العباد فى ذكر الله وآدابه وشروطه.

١١ - كتاب مطية السالك إلى مالك الممالك فى الطريق وما يتعلق بها.

١٢ - وله بجانب هذه المؤلفات العلمية كثير من الرسائل الأدبية والقصائد الشرعية فى مختلف الأغراض السامية (رسالة فى التعريف بصاحب الترجمة لفضيلة الشيخ مروان أحمد مروان عميد معهد المعلمين الأزهرى بأسيوط).

وفاة الشيخ أحمد الطاهر الحامدى:

وبعد حياة حافلة فى خدمة العلم والدين والفقه والتصوف أسلم الشيخ أحمد الطاهر روحه إلى بارئها وذلك فى العشر الأوائل من شهر ذى الحجة سنة ١٣٣١ هجرية بعد رحلة مع المرض لزم فيها الفراش مدة من الزمان لكن ذلك لم يحل بينه وبين أداء واجباته الدينية فكان يتكلف الوضوء وما فاته شىء من صلاته حتى لقى ربه. (فى الأعلام ١/ ١٣٩ وفاته سنة ١٣١٢هـ).

الذرية الصالحة:

ولا يفوتنا أن نشير أنه انتظم فى الأزهر الشريف وتخرج فى كلياته الدينيةالمباركة نجله المرحوم الشيخ محمد أحمد الطاهر الحامدى الذى عمل سابقا أستاذا بالمعاهد الثانوية الأزهرية وكان آخر منصب له تعيينه شيخا لمعهد الأقصر الدينى الذى شارك فى بنائه. كما تخرج من الأزهر أبناء الشيخ محمد أحمد الطاهر، أى أحفاد الشيخ أحمد الطاهر الحامدى صاحب الترجمة، وهم الشيخ محمد محمد أحمد الطاهر الشهير بالشيخ المصرى المفتش بالمعاهد الأزهرية بمحافظة قنا، والأستاذ الطاهر محمد أحمد الطاهر عضو إدارة تحقيق التراث بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، والمرحوم الشيخ عبد الرحمن محمد أحمد الطاهر خريج كلية اللغة العربية وكان سابقا يعمل مدرسا بمنطقة التربية والتعليم بقنا قبيل وفاته، والشيخ أحمد الموظف بمعهد

الأقصر الأزهرى مما يشير إلى أن العلم النافع الموصل إلى الله مازال ممتدا وموصلاً فى ذريته تحقيقًا لدعوة جد هذه الأسرة الرجل الصالح الشيخ عوض الله بن عبد القادر طيب الله ثراه. (هذه المعلومات وغيرها فى هذا المقال استقيناها من الأستاذ الطاهر محمد أحمد الطاهر عضو إدارة تحقيق التراث بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف).

(من العلماء الرواد فى رحاب الأزهر ـ المستشار محمد عزت الطهطاوى / ١٢٩ ـ ١٤٠، وقد نشر للمؤلف نفسه فى سلسلة « من أعلام الأزهر » فى مجلة الأزهر. الجزء السابع، السنة الثانية والستون، رجب ١٤١٠هـ ـ فبراير ١٩٩٠م/ ٦٩٠ ـ ٦٩٢. انظر أيضًا الأعلام للزركلى ١/ ١٣٩ وفيه وفاته سنة ١٣١٢هـ، نقلا عن الأزهرية ٧/ ٤٥٨، ومعجم المطبوعات ١٢٢٥ وفيه وفاته سنة ١٣١١، ولعل هذا هو الصحيح والله أعلم).

*** الحامض:**

أورده صاحب الفهرست فى العلماء النحويين واللغويين ممن خلط المذهبين فقال: أبو موسى سليمان بن محمد الحامض بن أحمد الحامض، من أصحاب ثعلب ويختص به، وقد أخذ عن البصريين، ويوصف بصحة الخط وحسن المذهب فى الضبط فكان يورق.

له من الكتب كتاب « خلق الإنسان » وكتاب « النبات » وكتاب « الوحوش » رأيته بخطٍ ابن أبيه زكريا، وكتاب «مختصر نحو».

(الفهرست لابن النديم / ١١٧).

*** حامل الجتر:**

الجتر هو المظلة فى أعلاها شكل طير تحمل على رأس السلطان فى المواكب والذى يحمل الجتر أحد أكابر الأمراء المقدمين. وجرت عادة السلطان أن يخلع على حامل الجتر بعد الانتهاء من مراسم العيدين وبعد أن يمد السماط.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ٩٩، عن صبح الأعشى للقلقشندى ٤/ ٤٦).

*** حامل الدواة:**

المقصود بها دواة الخليفة الفاطمى، وصاحب هذه الوظيفة يسمى « الدوادار » يحمل الدواة أمام الخليفة على السرج ويسير بها فى المواكب.

(المرجع السابق، عن صبح الأعشى ٣/ ٤٨١).

*** حامل الرسالة:**

من موظفى حواشى الخليفة الفاطمى وكان له مرتب شهرى مائة دينار.

(المرجع السابق، عن صبح الأعشى ٣/ ٥٢١).

*** حامل الرمح:**

هو الذى يحمل رمح الخليفة فى المواكب التى تسير فى المواسم العظيمة كركوب رأس العام ونحو ذلك، وهو رمح صغير يحمل مع الخليفة فى هذه المواكب، وكان لحامل الرمح هذا سبعون دينارا شهريا.

(المرجع السابق، عن صبح الأعشى ٣/ ٤٧٩، ٥٢٢).

*** حامل السيف:**

هو الذى يحمل سيف الخليفة فى المواكب التى تسير فى المواسم العظيمة كركوب رأس العام ونحو ذلك. وكان مرتب حامل السيف هذا سبعون دينارا فى الشهر.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى/ ١٠٠ عن صبح الأعشى للقلقشندى ٣/ ٤٧٩، ٥٢٢).

*** الحامل فى الفُلك والمحمول فى الفلك فى إطلاق النبوة والرسالة والخلافة والملك:**

هكذا ورد العنوان بلفظ « إطلاق » بالطاء وقد ذكر واضع الفهرس فى ص ٤٠٢ هامش ١ أنه ورد فى عقود الجواهر بلفظ « أخلاق » بالخاء بدلا من إطلاق.

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية.

الرقم ٤٠٠٨.

– ورد سؤال للمؤلف من القسطنطينية أن رجلاً من عباد الله الصالحين يقال له مصرى أفندى زعم أن الحسن والحسين نبيان فرد عليه المؤلف يذكر مناقبهما وأنهما من الأولياء الصلحاء.

المؤلف: أبو الفيض عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى

الحنفى القادرى النقشبندى المتوفى سنة ١١٤٣هـ / ١٧٣١م.

أولها: الحمد لله الذى جعل النبوة سره الأعظم الوفى، والخلافة إمداده الظاهر والخفى، والملك تحكمه فيمن شاء من الكدر... أما بعد فيقول هذا ... ورد علينا سؤال هو إشكال وتنبيه ...

آخرها: وهذا معنى كونه نبيًا ورسولاً من الله تعالى لا على معنى نبوة التشريع ولا رسالة التشريع بل على حسب ما ذكرناه فيما قدمناه والله ولى التوفيق والهادِ إلى سواء الطريق.

الخط نسخ معتاد، الحبر: أسود.

اسم الناسخ: المؤلف عبد الغنى النابلسى.

تاريخ النسخ: الأحد ٢٧ ربيع الأول سنة ١١٠٤هـ.

ملاحظات: نسخة قيمة بخط المؤلف مراجعة ومقروءة من قِبَل تلميذه محمد بن إبراهيم الدكدكجى على المؤلف.

مصادر عن الكتاب: عقود الجوهر ٥٩.

مصادر عن المؤلف: معجم المؤلفين ٥/ ٢٧١.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. التصوف ــ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٠٢، ٤٠٣).

*** حامل القرآن:**

انظر: آداب حامل القرآن.

*** حامل المزرة:**

المزرة فوطة من قماش مخرز ببطانة عليها علامه السلطان توضع فيها الأوراق التى يراد تبليغها من يريد أو أوامر.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ــ محمد قنديل البقلى / ١٠٠، عن نظم دولة سلاطين المماليك ــ د. عبد المنعم ماجد ١/ ٦٥).

*** حاوى الأقوال فى معرفة الرجال:**

من مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٢٤٥٤٠.

لعبد النبى بن سعد الجزائرى الغروى الحائرى المتوفى سنة ١٠٢١هـ/ ١٦١٢م.

رتب المؤلف كتابه على أربعة أقسام:

القسم الأول: فى الصحاح.

القسم الثانى: فى الموثَّقين.

القسم الثالث: فى الحسان.

القسم الرابع: فى الضعاف.

نسخة جيدة حديثة الخط كتب فى أولها تأريخ ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م.

القياس ١١٥ ص. ٢٩,٥ × ٢٠,٥سم. ٢٣س.

معجم المؤلفين ٥/ ٢٠٠ الذريعة ٦/ ٢٣٧ (ذكر صاحب الذريعة أن المؤلف كان حيًا سنة ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م ولم يذكر وفاته).

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ــ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ١٥٠، ١٥١).

*** حاوى الحصيرى فى الفروع الحنفية:**

حاوى الحصيرى فى الفروع الحنفية: للشيخ الإمام محمد ابن إبراهيم بن أنوش الحصيرى الحنفى تلميذ شمس الأئمة السرخسى المتوفى سنة ٥٠٥ خمس وخمسمائة وهو أصل من أصول كتب الحنفية وفيه شىء كثير من فتاوى المشايخ يرجع إليه ويعتمد عليه (كشف ١/ ٦٢٤، ٦٢٥).

*** الحاوى الصغير:**

أدرجه صاحب كشف الظنون تحت عنوان « الحاوى الصغير فى الفروع » وقال عنه:

الحاوى الصغير فى الفروع: للشيخ نجم الدين عبد الغفار ابن عبد الكريم القزوينى الشافعى المتوفى سنة ٦٦٥ خمس وستين وستمائة وهو من الكتب المعتبرة بين الشافعية. أوله: الحمد لله المتوحد بالعظمة والكبرياء ... إلخ قالوا هو كتاب وجيز اللفظ بسيط المعانى محرر المقاصد مهذب المبانى حسن التأليف والترتيب جيد التفصيل والتبويب ولذلك عكفوا عليه بالشرح والنظم.

فمن شروحه شرح قطب الدين أحمد بن الحسن بن أحمد الغالى الشافعى المتوفى سنة ٧٧٩ تسع وسبعين وسبعمائة

وسماه توضيح الحاوى. وعليه حاشية للشيخ بدر الدين حسن ابن عمر بن حبيب الحلبى الشافعى المتوفى سنة ٧٧٩ تسع وسبعين وسبعمائة وسماها التوشيح أورد فيها زوائد مفيدة من إظهار الفتاوى وكشف بعض أسرار الحاوى.

ومنها شرح أبى عبد الله محمد بن ... سبط المصنف سماه الحاوى أيضًا. وشرح الإمام أبى عبد الله « محمد » الناشرى اليمنى الشافعى المتوفى سنة ٨٧٤ وسماه إيضاح الفتاوى فى النكت المتعلقة بالحاوى، وشرح الشيخ علاء الدين على بن إسماعيل القونوى المتوفى سنة ٧٢٩ تسع وعشرين وسبعمائة وهو مجلد أوله: الحمد لله باعث الرسل وموضح السبل ... إلخ ذكر فيه من شروحه شرح الشيخ علاء الدين الطاوسى يحيى بن عبد اللطيف القزوينى الشافعى مدرس المستنصرية ببغداد فرغ منه سنة ٧٧٥.

وشرح الشيخ الإمام ضياء الدين عبد العزيز بن محمد الطوسى الشافعى المتوفى سنة ٧٠٦ ست وسبعمائة المسمى بالمصباح فأخذ القونوى ما فيهما فزاد على تعليقة علاء الدين وأسقط أكثر ما فى المصباح فصار شرحًا وسيطًا. وعلى شرح القونوى حاشية للشيخ أبى النجا بن خلف المصرى الذى ولد سنة ٨٤٩ تسع وأربعين وثمانمائة وهى فى أربع مجلدات.

ومن الشروح شرح أبى البقا محمد بن عبد البر القفطى السبكى الشافعى المتوفى سنة ٧٧٧ سبع وسبعين وسبعمائة. وشرح سراج الدين عمر بن على بن الملقن المتوفى سنة ٨٠٤ أربع وثمانمائة فى مجلدين ضخمين ولم يوضع عليه مثله سماه خلاصة الفتاوى فى تسهيل أسرار الحاوى. أوله: الحمد لله على الدوام ... إلخ فى مجلدات وله تصحيح الحاوى فى مجلد.

وشرح بهاء الدين أحمد بن على بن السبكى الشافعى المتوفى سنة ٧٧٣ ثلاث وسبعين وسبعمائة شرع فى قطعة طويلة ولم يكمله. وشرح الشيخ فخر الدين أحمد بن الحسن الجاربردى المتوفى سنة ٧٤٦ ست وأربعين وسبعمائة ولم يكمله أيضًا وهو كبير ممزوج أوله: الحمد لله المتوحد بوجوب الوجود... إلخ وسماه الهادى، وشرح قطب الدين محمد بن محمود التحتانى الرازى المتوفى سنة ٧٦٦ ست وستين وسبعمائة ولم يكمله وعليه حاشية لتاج الدين على بن عبد الله التبريزى المتوفى سنة ٧٤٦ ست وأربعين وسبعمائة. وشرح عثمان بن عبد الملك الكردى المصرى الشافعى المتوفى سنة ٧٣٨ ثمان وثلاثين وسبعمائة. وشرح محمد بن على بن مالك الأربلى الشافعى المتوفى سنة ٦٨٦ ست وثمانين وستمائة.

وشرح شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم بن البارزى الحموى الشافعى المتوفى سنة ٧٣٨ ثمان وثلاثين وسبعمائة سماه مفتاح الحاوى أيضًا. وله توضيح الحاوى أيضًا. وله كتاب آخر على الحاوى سماه تيسير الفتاوى فى تحرير الحاوى ذكر فيه أنه ذكر مسائل الحاوى وأوضحها ببسط عبارته المشكلة وتفصيل ألفاظه المجملة فيكون كالشرح إلا أنه غير ممتاز عن المتن. أوله: الحمد لله المقدس عن الأضداد ... إلخ والظاهر أن المراد بتوضيح الحاوى التيسير المذكور والله سبحانه وتعالى أعلم.

وشرح السيد ركن الدين حسن بن محمد الاسترابادى الشافعى المتوفى سنة ٧١٧ سبع عشرة وسبعمائة. وشرح القاضى شهاب الدين أحمد بن إسماعيل بن الحسبانى الشافعى المتوفى سنة ٨١٦ ست عشرة وثمانمائة. وشرح شهاب الدين أحمد بن عبيد الله الغزى العامرى الشافعى المتوفى سنة ٨٢٢ اثنتين وعشرين وثمانمائة (وهو فى أربعة أسفار) وشرح القاضى زين الدين زكريا بن محمد الأنصارى المتوفى سنة ٩١٠ عشرة وتسعمائة وسماه بهجة الحاوى.

وتصحيح الحاوى لشهاب الدين أحمد بن محمد بن الصاحب المتوفى سنة ٧٨٨ ثمان وثمانين وسبعمائة.

وعلى الحاوى اعتراضات للمعزّى أجاب عنها أبو بكر بن محمد السيوطى « هو والد جلال الدين السيوطى » المتوفى سنة ٨٥٥ خمس وخمسين وثمانمائة.

وتصحيح الحاوى أيضًا للشيخ شهاب الدين أحمد بن حسين بن حسن بن أرسلان الرملى القدسى الشافعى المتوفى سنة ٨٤٤ أربع وأربعين وثمانمائة.

وعلى الحاوى نكت للقاضى جلال الدين عبد الرحمن بن عمر البلقينى الشافعى المتوفى سنة ٨٢٤ أربع وعشرين وثمانمائة.

ومختصر الحاوى لشرف الدين إسماعيل بن أبى بكر بن المقرى اليمنى المتوفى سنة ٨٣٦ ست وثلاثين وثمانمائة وسماه الإرشاد ومختصره أيضًا لشهاب الدين أحمد بن حمدان الأذرعى المتوفى سنة ٧٨٣ ثلاث وثمانين وسبعمائة.

وللحاوى منظومات منها نظم الملك المؤيد إسماعيل بن على الأيوبى المعروف بصاحب حماة المتوفى سنة ٧٣٢ اثنتين وثلاثين وسبعمائة. وشرح هذا المنظوم للقاضى شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم بن البارزى الحموى المتوفى سنة ٧٣٨ ثمان وثلاثين وسبعمائة.

ونظم زين الدين على بن حسين بن قاسم بن الشيخ عونيه الموصلى الشافعى المتوفى سنة ٧٥٥ خمس وخمسين وسبعمائة.

ونظم زين الدين عمر بن مظفر الوردى الشافعى المتوفى سنة ٧٤٩ تسع وأربعين وسبعمائة سماه البهجة الوردية وهى خمسة آلاف بيت أولها:

قال الفقير عمر بن الوردى

الحمد لله أتم الحمد

إلخ. ولها شروح منها شرح الشيخ شهاب الدين أحمد بن الحسين بن رسلان الرملى الشافعى المتوفى سنة ٨٤٤ أربع وأربعين وثمانمائة كتب قطعة منه ولم يكمله. وشرح الفاضل أبى زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقى المتوفى سنة ٨٢٦ ست وعشرين وثمانمائة أوله: أما بعد حمد الله على آلائه ... إلخ.

وشرح القاضى زكريا بن محمد الأنصارى المتوفى سنة ٩١٠ عشرة وتسعمائة وسماه الغرر البهية. وله حاشية على شرح أبى زرعة. وحاشية عليه أيضًا للقاضى يحيى بن المناوى وقد جردها سبطه زين العابدين عبد الرءوف المتوفى سنة ١٠٢٣ ثلاث وعشرين وألف.

ومن شروح البهجة شرح عماد الدين إسماعيل بن إبراهيم ابن شرف القدسى الشافعى المتوفى سنة ٨٥٢ اثنتين وخمسين وثمانمائة وهو فى مجلدين ثم ابتدأ فى شرح آخر أطول منه، وشرح ناصر الدين الطبلاوى الشافعى المصرى المتوفى سنة ٩٦٦.

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٢٥ ـ ٦٢٧).

*** حاوى الفنون وسلوة المحزون:**

من مصنفات التراث فى علم الموسيقى.

تأليف أبى الحسن محمد بن الحسن المعروف بابن الطحَّان الموسيقى (لعله من رجال القرن الخامس الهجرى) رتبه على مقالتين:

المقالة الأولى (علمية): وفيها ثمانون بابًا.

المقالة الثانية (عملية): وفيها اثنان وعشرون بابًا.

ناقص من أوله، وأول ما فيه: فى الصناعة ... فلو أدركها أحد بلا طبع لأدركها علوية، مع حذقه وحسن غنائه، ويحتاج المغنى أن يكون مرتاضًا فى عدة علوم، جيد التصور صحيح القياس واسع الأنفاس ... قال أقليدس فى كتابه المسمى «تأليف اللحون»: يحسن أن نقسم الطريق البعيدة بمنائر قريبة، ليكون التعب البعيد على من سلكها يسيرًا بالانتهاء من منار إلى منار، فقصدت هذا الفن فى هذا الكتاب وجعلته أبوابًا مفصلة، فيقرب على الناظر ويسهل فى الخاطر، وقسمته جزءين، فالجزء الأول يتعلق بالصناعة العلمية المنطقية واستوفيت القول فيه، والجزء الثانى يتعلق بالصناعة العملية الموسيقية، وذكر الآلات والأوتار والدساتير والأنقار ... وأهملت ما سلكه المتقدمون من غامض الأشكال والأعداد ... إلخ.

وآخره: وهذا باب غريب وبه ختمنا الكتاب. تم كتاب حاوى الفنون وسلوة المحزون والحمد لله ولىّ الحمد، والمانُّ به على كل حرٍّ وعبد، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليمًا، حسبنا الله ونعم الوكيل.

نسخة أثرية بقلم قديم جيد مضبوطة بالشكل. لعلها كتبت فى القرن الخامس الهجرى. فى ١٠٩ ورقات، ومسطرتها ١٤ سطرا. بأولها نقص يسير. وبآخرها بعض نقول من الأشعار.

[دار الكتب المصرية ـ ٥٢٩ فنون جميلة].

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية. المعارف العامة والفنون المتنوعة ـ تصنيف فؤاد سيد. القاهرة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م، حـ٤/ ٥١، ٥٢).

* **الحاوى فى الحساب:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الرياضيات.

مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٢٦١٠/ ١.

لشهاب الدين أحمد بن محمد بن على بن الهائم المتوفى سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م.

الأول: (الحمد لله أتم حمدا وأكمله والصلاة والسلام على خير ...).

وهو فى الأعداد والعمليات الحسابية رتبه المؤلف على سبعة فصول هى:

الفصل الأول إلى الرابع: فى الجمع والطرح والقسمة والضرب.

الفصل الخامس: فى الجبر ويقع فى بابين باب الكسر وباب الجذر.

الفصل السادس: فى الجمع والطرح لتغيير جذرى عددين.

الفصل السابع: فى الجبر والمقابلة.

فرغ منه المؤلف سنة ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م.

نسخة جيدة تقع ضمن مجموع كتب سنة ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م فى آخرها منقولات ومعادلات حسابية.

١٤ص ٢١,٥ × ١٧سم ١٧س.

(مخطوطات الحساب والهندسة والجبر فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ٥٢، ٥٣).

* **الحاوى فى الطب:**

انظر: الحاوى (كتاب ـ):

* **الحاوى فى علم التداوى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الطب.

يوجد مخطوطه المصور بقسم التراث العربى بالكويت.

المؤلف: نجم الدين محمود بن إلياس الشيرازى ت ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م.

أوله: الحمد لله الواحد الماجد السبوح ... أما بعد: فلا يخفى على رأى ذوى العقول أن علم الطب أشرف من سائر العلوم لأن شرف كل علم بحسب شرف

الصفحتان الأولى والثانية من كتاب الحاوى فى الحساب لابن الهائم

موضوعه وموضوع علم الطب بدن الإنسان.

آخره: ويطرح فيه التمر المصفى، ويطرح فيه من السكر المذوب رطل ونصف، ومن العسل رطل ومن الزعفران نصف درهم، ومن لباب الخبز المفتوت باليد المنخول قدر الكفاية، ويحرك تحريكا جيدا ويرمى فيه اللوز والفستق المقشر. تم الكتاب بعون الله وحسن توفيقه والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين أجمعين إلى يوم الدين آمين.

سنة النسخ: القرن الثامن الهجرى.

عدد الأوراق: ٢٤٠ ورقة.

المسطرة: ٢١ سطرا.

المكتبة: جستربيتى - ٣٩٨٥.

ملاحظات: رتب المؤلف الكتاب الذى قال إنه مختصر فى الطب ومقالة وجيزة فى علاج الأمرض بالأدوية المشهورة على خمس مقالات، وهى على النحو التالى:

المقالة الأولى: فى العلل الحادثة من الرأس إلى القدم وهى مائة وخمسة وعشرون بابا منها الباب الأول: فى الصداع. والباب الثانى: فى الشقيقة.

المقالة الثانية: فى الحميات وهى سبعة وعشرون بابا. منها الباب الأول فى ماهية الحمى وكيفية أخذها والباب الثانى فى حميات اليوم.

المقالة الثالثة: فى العلل التى تحدث فى الأعضاء الظاهرة، وهى مائة وثمانية أبواب: الباب الأول: فى الأورام والبثور. الباب الثانى: فى الحمرة.

المقالة الرابعة: فى ذكر الأدوية المفردة وهى مرتبة على ترتيب حروف الهجاء، وفيها ثمانية وعشرون بابا.

المقالة الخامسة: فى ذكر الأدوية المركبة وكيفية تركيبها واستعمالها وهى ستة وخمسون بابا.

الباب الأول: فى كيفية تركيب الأدوية المفردة وقواعدها.

الباب الثانى: فى الأشربة والربوب.

وقد نشر المقالة الخامسة: الأستاذ جيج الفرنساوى مع ترجمة فرنسية وألحقها بمعجمين عربى وفرنسى ثم فرنسى عربى باسم الأدوية وأضاف إليهما معجما تاريخيا للألفاظ الأجنبية المنقولة قديما عن العرب وصدر ترجمته بمقالة منها لمحة تاريخية عن اقرباذينات العرب موادهم الطبية.

انظر: - سركيس - معجم المطبوعات العربية / ١١٧٦.

- فهرس مخطوطات المتحف العراقى (الطب) / ٨٨.

- مجلة معهد المخطوطات ٥ / ٣١١.

- فهرس المخطوطات المصورة فى معهد المخطوطات (الطب) / ٨٠.

- بروكلمان: الطبعة الألمانية ـ الملحق الأول / ٩٠١ والملحق الثانى / ٢٩٩.

- فهرس مخطوطات الأوقاف بالموصل - ١ / ١١٤، ٣ / ٩٩.

وتوجد نسخة ثانية:

أوله: كسابقه.

آخره: وأما لحوم السمك المالحة تلطف الأخلاط الغليظة وتقطعها تقطيعا قويا. وينبغى أن يختار منه ما كان ليِّنا غير سميك. وكلما كان أعتق كان أقوى. حرا ويبسا، وينبغى أن يؤكل ممقورا.

عدد الأوراق: ٢٧٢ ورقة.

المسطرة: ٢١ سطرا.

المكتبة: مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم (مجموعة الكاف) ١٦ طب [٧٢].

ملاحظات: ناقص الآخر، وفى أوراق النسخة طمس وبياضات كثيرة، وبخاصة فى أوراقها الأولى إذ تتحسن النسخة فى نصفها الثانى كثيرًا.

(فهرس المخطوطات الطبية المصورة / ٧٢ - ٧٤).

وتوجد نسخة فى مكتبة المتحف العراقى برقم ١٤٧٨٧.

الأول: كسابقه.

نسخة جيدة كتبت بخط النسخ بالمدادين الأسود والأحمر عليها حواش وشروح منها بعض الحواشى لأحمد زوين النجفى. ترقى للقرن الحادى عشر الهجرى السابع عشر

الميلادى. الصفحة الأخيرة منها كتبت بخط أحدث من الأصل.

القياس ٦٠٦ص ٢٠ × ١٣,٥سم ١٨س.

(معجم المؤلفين ١٢/ ١٥٣، كشف ١/ ٦٢٨، الذريعة ٦/ ٢٣٦، هدية العارفين ٢/ ٢٧).

كما توجد نسخة ثانية برقم ٥٢٣١.

نسخة جيدة الخط كتبت بقلم النسخ. فيها نقص فى أول المقالة الثالثة وآخر الباب الخمسين من المقالة الخامسة. ترقى للقرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى، فى أولها فهرس.

ونسخة ثالثة برقم ٣٥٠٢، ترقى للقرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى تبدأ بالباب الأول فى الصداع وتنتهى بالباب ١٠٢ من المقالة الثالثة من الكتاب.

وقد نشرت المقالة الخامسة من هذا الكتاب مع ترجمة فارسية ببيروت سنة ١٩٠٢م. وقد ذكر إليان سركيس فى معجمه أن المؤلف من رجال القرن السابع الهجرى. (معجم / ١١٧٦) (مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة / ٨٨ـ ٩٠).

وتوجد نسخة فى مكتبة متحف «مولانا» فى قونيا.

أوله: كسابقه.

آخره: كسابقه ويليه: والله أعلم بالصواب، تم الكتاب ... فى سادس شهر محرم الحرام سنة ثمانين وتسعمائة ... على يد العبد... قاسم بن على بن المرحوم المغفور حاجى حسين قصاب الاسترابادى غفر ذنوبهما ... سنة ٩٨٨ (٣٨١ب) (المخطوطات العربية ق٥/ ٢٩٩، ٣٠٠).

كما توجد نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية.

أوله وآخره كسابقه.

نسخة بقلم نسخى من القرن الحادى عشر تقديرًا، وبعض الأوراق بخط تعليق.

٢٦٠ ورقة ٢٥ سطرًا ١٨ × ٢٥سم.

[مدرسة يحيى باشا الجليلى ـ الموصل ٢٤] UNESCO.

ونسخة أخرى:

مبتورة الآخر، وينتهى ما فيها أثناء الكلام فى الأدوية المفردة المستعملة. وآخر الموجود منها: ولكل درجة من هذه الأربعة ثلاث مراتب: عليا وسفلى ووسطى، معناه أول درجة وآخرها ووسطها.

نسخة بقلم معتاد، وبالنسخة آثار رطوبة.

١٣٢ ورقة ٢٣سطرًا ١٦ × ٢٢سم.

[مدرسة الحجيات ـ الموصل ١٠٣/ ١٠] UNESCO.

(فهرست المخطوطات المصورة / ٨٠).

(فهرس المخطوطات الطبية المصورة بقسم التراث العربى بالكويت ـ تصنيف هيا محمد الدوسرى، مراجعة د. سامى مكى العانى / ٧٢ـ ٧٤، ومخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى / ٨٨ ـ ٩٠، والمخطوطات العربية فى مكتبة متحف «مولانا» فى قونيا. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٥/ ٢٩٩، ٣٠٠، وفهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ٣ العلوم ق٢ الطب. الكتاب الثانى / ٨٠، انظر أيضًا كشف الظنون ١/ ٦٢٨).

*** الحاوى القدسى:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الفقه الحنفى. أورده صاحب كشف الظنون تحت عنوان «الحاوى القدسى فى الفروع» وقال عنه:

الحاوى القدسى فى الفروع: للقاضى جمال الدين أحمد ابن محمد بن نوح القابسى الغزنوى الحنفى المتوفى فى حدود سنة ٦٠٠ ستمائة [٥٩٣] ذكره ابن الشحنة فى هوامش الجواهر المضية قال وإنما قيل فيه القدسى لأنه صنفه فى القدس نقلته من خط تلميذه حسن بن على النحوى. انتهى ثم رأيت فى ظهر نسخة منه أن مصنفه الشيخ الإمام محمد الغزنوى والله سبحانه وتعالى أعلم.

أوله: الحمد لله الذى هدانا لدين الإسلام ... إلخ وجعله على ثلاثة أقسام قسم فى أصول الدين، وقسم فى أصول الفقه، وقسم فى الفروع، وأكثر فيها من ذكر الفروع المهمة فى كراريس يسيرة. (كشف ١/ ٦٢٧).

يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية (أو لعله الآن بمكتبة الأسد) بدمشق.

الرقم ٤٢٣٠.

أوله: الحمد لله الذى هدانا لدين الإسلام، ودعانا إلى دار

السلام، وجعل الطريق إليها تصفية العقائد، والتقصى عن عهدة ما في الذمم كالقلائد.

وآخره: وأسعدنا بحلول جنته برؤيته وفضله ومنته.

نسخة جيدة مصححة، الصفحة الأولى مزينة برسوم مذهبة، الورقة الأولى والثانية مجدولتان بالذهب، وفي أولها فهرس بالموضوعات.

الخط فارسى جيد، بعض الكلمات مكتوبة بالحمرة، كتب سنة ١١٠٧هـ.

معجم المؤلفين ٢/ ١٦٦، فهرس الخديوية ٣/ ٤٠ (فهرس الظاهرية ١/ ٢٨١).

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٢٧، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. الفقه الحنفى - وضع محمد مطيع الحافظ ١/ ٢٨١، وجاء فيه أن وفاة المؤلف سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٧م، وقيل سنة ٦٠٠هـ).

*** الحاوى الكبير:**

الحاوى الكبير فى الفروع: للقاضى أبى الحسن على بن محمد الماوردى البصرى الشافعى المتوفى سنة ٤٥٠ خمسين وأربعمائة وهو كتاب عظيم فى عشر مجلدات ويقال إنه ثلاثون مجلدا لم يؤلف فى المذهب مثله. (كشف ١/ ٦٢٨).

*** الحاوى (كتاب -):**

من أعظم مؤلفات أبى بكر الرازى (انظر ترجمته فى م٧/ ٣٤٥ - ٣٥١ من هذه الموسوعة). قيل عنه إنه أضخم موسوعة طبية عربية استغرق إعدادها خمسة عشر عاما وإنها تقع فى خمسة وعشرين جزءا (دائرة المعارف الإسلامية ٣/ ١١٣٤).

ذكره صاحب الفهرست فى مؤلفات الرازى وقال عنه: كتاب الحاوى، ويسمى الجامع الحاصر لصناعة الطب، ويقسم هذا الكتاب اثنى عشر قسما: القسم الأول منه فى علاج المرضى والأمراض، القسم الثانى فى حفظ الصحة، القسم الثالث فى الرثبة والجبر والجراحات، القسم الرابع فى قوى الأدوية والأغذية وجميع ما يحتاج إليه من المواد فى الطب، القسم الخامس فى الأدوية المركبة، القسم السادس فى صنعة الطب، القسم السابع فى صيدنة الطب: الأدوية، وألوانها، وطعومها وروائحها، والقسم الثامن فى الأبدان، القسم التاسع فى الأوزان والمكاييل، القسم العاشر فى التشريح ومنافع الأعضاء، القسم الحادى عشر فى الأسباب الطبيعية من صناعة الطب، القسم الثانى عشر فى المدخل إلى صناعة الطب مقالتان: فى الأولى الأسماء الطبية، وفى الثانية أوائل الطب (الفهرست/ ٤١٧).

وقد ذكر الدكتور إدوارد جى براون عند كلامه على مؤلفات الرازى أن صاحب الفهرست ذكر للرازى ١١٣ مؤلفا كبيرا، و٨ مؤلفات صغيرة، وقصيدتين. ثم ينتقل إلى الكلام على كتاب الحاوى فيقول: ظهرت له عدة تراجم لاتينية عام ١٤٨٦م فى برسكيا. وفى عام ١٥٤٢م فى البندقية، وتوجد منها [منه] نسخة فى كمبردج مكتبة كنكس كولدج وأرى أن أتحدث عن كتاب الحاوى أهم وأضخم آثار الرازى. وإن دراسة كتاب الحاوى مليئة بالمصاعب منها لعدم [عدم] وجود مخطوط كامل، وإنه لم ينشر بنصه الأصلى.

ويمضى د. إدوارد فيقول:

إنى أشك بوجود حتى نصف هذا العمل الكبير وأن أجزاءه موزعة بين عدة أماكن. ثلاثة أجزاء فى المتحف البريطانى، وثلاثة أخرى فى مكتبة بودليان، وأربعة أو خمسة أجزاء فى الأسكوريال. وهناك أجزاء أخرى فى ميونيخ ويتروكراد ومختصرات منه فى برلين. وإن عدد أجزاء هذا الكتاب ومحتوياته أمر غير محقق فيذكر الفهرست أنه يقع فى اثنى عشر جزءًا ونجد أن الترجمة اللاتينية تقع فى ٢٥ جزءا. ولا علاقة لها بالأصل من حيث التسلسل وتنظيم المواضيع. وقد حصل هذا الارتباك نظرا إلى أن الكتاب ضخم جدا وأكثره جمعه تلامذته بعد وفاته من أوراق ناقصة خلفها وكانت فى حاجة إلى العناية فى التصنيف والتنظيم العام التى لم يستطع المؤلف وحده أن يقوم بها. وربما كان نفس الاسم « الحاوى» يطلق على كتاب آخر للمؤلف. وكان الكتاب الحاوى من الضخامة بحيث أفزع النساخ ولذلك لم يكن فى متناول [أحد] إلا الأغنياء من محبى الكتب. وذكره على بن العباس والذى جاء بعد الرازى بمدة ٥٠ أو ٦٠ سنة فكتب يقول إنه يعلم بوجود نسختين من الحاوى فقط. وكنا نجهل النسخة الأصلية

التى نقلت منها الترجمة اللاتيينة إذ لم يذكر المترجمون فى العصور الوسطى هذه التفاصيل .

ولهذه الصعوبات قمت بفحص الأجزاء التى فى المتحف البريطانى ومكتبة بودليان فوجدت أن أكثر هذه الأجزاء أهمية هو الموجود فى مكتبة بودليان تحت رقم (مارش ١٥٦) وعلى الأخص الصفحات (٢٣٩ب ــ ٢٤٥ب) وقد صورتها بمساعدة من الدكتور كولى والأستاذ مرجليوث .

وقد ذكرت سابقا وهذا ما يتفق عليه جميع البحاث فى هذا الموضوع أن الرازى فاق فى تدوين ملاحظاته السريرية جميع من تقدموه ولذلك نجد أن المعلومات السريرية التى جاء بها الأطباء العرب القدماء أهم بكثير من المعلومات العقيمة من فسلجة وباثولوجيا وفى علم التشريح المقتبسة عن غيرهم (يعلق مترجم الكتاب هنا بقوله فى هامش ١ :

لا يتفق المعرب مع وصف المعلومات الفسلجية بأنها عقيمة وقد جاءت معلومات فسلجية فى كتاب كامل الصناعة عن فسلجة الأنف والسمع والصوت تكاد تقرب من المعلومات الحاضرة) .

ويمضى د . إدوارد فى كلامه فى كتاب الحاوى فيقول :

وفى كتاب الحاوى يجد الباحث فى الطب العربى القديم العمل الذى يحتاج أن يكرس له جهده طوال حياته . وبعض الوقعات الطبية التى سجلها اشتهرت وانتشرت وصارت تروى فى كتب القصص أمثال كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخى (المتوفى عام ٩٩٤م) . وفى الكتاب الفارسى (جهار مقالة) الذى جمعه نظامى العروضى السمرقندى (١١٥٥م) . ويقول ابن أبى أصيبعة فى كتاب طبقات الأطباء ما يلى « وللرازى أخبار كثيرة وفوائد متفرقة فيما حصل له من التمهر فى صناعة الطب وفيما تفرد به من مداواة المرضى وفى الاستدلال على أحوالهم من تقدمة المعرفة وفيما خبره من الصفات والأدوية التى لم يصل إلى عملها كثير من الأطباء وله فى ذلك حكايات كثيرة وقعت له قد تضمنتها كثير من كتبه » (طبقات الأطباء ١/ ٣٤٦) .

والمخطوطات المحفوظة فى مكتبة « بودليان» والتى ذكرتها سابقا (وتعتبر هذه من المجلد السابع إذا ما قورنت بالترجمة اللاتينية فإنها تطابق المجلد السابع عشر) تحتوى هذه الصفحات على نفس الملاحظات التى ذكرها ابن أبى أصيبعة وسميت « أمثلة من قصص المرض وشرح لوقعات نادرة » وقد سجلت ٢٤ وقعة وفيها يعطى اسم المريض كاملا ثم يشرح الأعراض وطريقة العلاج والنتائج وليس من السهل فهمها حيث إنها فى نسخة مخطوطة واحدة ولوجود بعض الأخطاء فى الخط والنسخ ولصعوبة الاصطلاحات الفنية المستعملة وطريقة عرضها . وسأحاول أن أترجم الوقعة الأولى على قدر ما أستطيع لتكون مثلا .

« كان يأتى عبد الله بن سوادة حميات مخلطة تنوب مرة فى ستة أيام ومرة غب ومرة ربع ومرة كل يوم ويتقدمها نافض يسير وكان يبول مرات كثيرة وحكمت أنه لا يخلو أن تكون هذه الحميات تريد أن تنقلب ربعا وأما أن يكون به خرّاج فى كلاه فلم يلبث إلا مدَّ يده حتى بال مدة اعلمته أنه لا يعاود هذه الحميات أو كان كذلك وإنما صدنى فى أول الأمر عن أن أبت القول بأن به خرّاجا فى كِلاهُ أنه كان يحم قبل ذلك حمى غب وحميات أخر فكان للظن بأن تلك الحمى المخلطة من احترافات تريد أن تصير ربعا موضعا أقوى ولم يشك إلى أن قطنه شبه ثقل معلق منه إذا قام وأغفلت أنا أيضًا أن أسأله عنه وقد كان كثرة البول يقوى ظنى بالخراج فى الكلى إلا أنى كنت لا أعلم أن أباه أيضًا ضعيف المثانة يعتريه هذا الداء وهو أيضًا قد كان يعتريه فى صحته فينبغى أن لا يفعل [يغفل] بعد ذلك عناية التقضى [التقصّى] إن شاء الله ولما بال المِدّة اكببت عليه بما يدر البول حتى صفا البول من المِدّة ثم سقيته بعد ذلك الطين المختوم والكندر ودم الأخوين وتخلص من علته وبرأ بُرءًا تاما سريعا فى نحو من شهرين وكان الخرّاج صغيرا ودلنى على ذلك إنه لم يَشْكُ إليّ ابتداءً ثِقَلاً فى قطنه لكن بعد أن بال مِدَّة قلت له هل كنت تجد ذلك قال نعم فلو كان كثيرا لقد كان يشكو ذلك وإن ذلك وإن المدة تنبث [تنبط] سريعا تدل على صغر الخراج فأما غيرى من الأطباء فإنهم كانوا بعد أن بال المِدة أيضًا لا يعلمون حالته ألبتة » ومع صعوبة المادة وعدم وضوح التعابير يبدو لى أن الوقعة تفهم بالشكل التالى :

المريض يشكو حمى متقطعة يسبقها نافض طفيف وشخص المرض على أنه ملاريا وذلك لكثرة وجوده فى تلك البلاد وعولج لذلك .

وبعد أن توضح الأمر كان المرض تعفن وانتان فى أحواض الكلى وشخَّص المرض عندما شاهد القيح فى البول وعالجه لهذا المرض فشفى المريض (الطب العربى / ٥٢ ـ ٥٥) .

وقد أورده صاحب كشف الظنون تحت عنوان « الحاوى فى الطب » وقال عنه :

الحاوى فى الطب : لمحمد بن زكريا الرازى المتوفى سنة ٣١١ إحدى عشرة وثلثمائة) (فى فهرس المخطوطات الطبية وفاته سنة ٣١٣هـ) قال صاحب كامل الصناعة : ذكر فيه ما يحتاج إليه من حفظ الصحة ومداواة الأمراض ولم يغفل فى ذكر شىء إلا إنه لم يستقص شرح شىء مما يحتاج إليه الطبيب من تدبير الأمراض والعلل ثم إن رشيد الدين أبا سعيد ابن يعقوب المسبحى القدسى المتوفى سنة ٦٤٦ ست وأربعين وستمائة علق عليه تعاليق واختصره الدخوار (كشف ١/ ٦٢٨) .

وتوجد بقسم التراث العربى بالكويت نسخة مصورة من المجلد الثانى من مخطوط كتاب الحاوى وقد وردت فى فهرس المخطوطات تحت عنوان « الحاوى فى الطب » أيضًا ، وبيانها كما يلى :

آخره : إذا كان ذلك فى رأس وترها وكانت الخراجة ضعيفة فيخاف أن يلتحم باطنه منافع الأعضاء ، فإن من الأمراض الحادثة فى الغضاريف إما أن تبرأ وإما أن يعسر برؤها .

سنة النسخ : القرن السادس الهجرى .

الناسخ : محمد بن المرحوم ملا بكر.

عدد الأوراق : ٢٣٨ ورقة .

المسطرة : ١٧ سطرًا .

المكتبة : جستر بيتى ـ ٣٩٨٧ .

ومن موضعات الكتاب :

فى الديدان وحب القرع .

فى البواسير وأمراض المقعدة جميعها .

فى النقرس وجع المفاصل والورك وعرق النسا .

فى السرطان والقروح .

فى الأورام البلغمية .

فى الدماميل والدبيلات .

فى الخنازير والأدوية .

فى جراحات العصب .

وهذه النسخة مقابلة على الأصل المنقول منه وعليها تملك باسم محمد بن ملا بكر، وكتاب الحاوى فى الطب حافل فى عدة مجلدات ضخمة .

ترجم إلى اللاتينية ١٢٧٩م، وطبع أول ما طبع باللاتينية سنة ١٤٨٦م .

وقد طبع فى البندقية سنة ١٥٠٩م، وسنة ١٥٤٢م خمس مرات .

طبع فى حيدر أباد بـ(٢٣) جزءا بين سنة ١٩٥٥م ـ ١٩٦٣م .

معجم المطبوعات العربية / ٩١٤ (فهرس المخطوطات الطبية / ٧١ ، ٧٢) .

(دائرة المعارف الإسلامية ـ بالإنجليزية ـ ٣/ ١١٣٤ ، والفهرست لابن النديم / ٤١٧ ، والطب العربى : د . إدوارد جى براون ـ ترجمة د . داود سلمان على / ٥٢ ـ ٥٥ ، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٢٨ ، وفهرس المخطوطات الطبية المصورة بقسم التراث العربى بالكويت ـ تصنيف هيا محمد الدوسرى ، مراجعة د . سامى مكى العانى / ٧١ ، ٧٢) .

*** الحاوى للفتاوى:**

قال عنه صاحب كشف الظنون :

الحاوى للفتاوى : مجلد لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١ إحدى عشرة وتسعمائة أورد فيه اثنتين وثمانين رسالة من مهمات الفتاوى التى أفتى بها ورتب على أبواب . أوله : الحمد لله جامع الأشتات .

(كشف ١/ ٦٢٩) .

وقد ورد فى فهرس مخطوطات حلب تحت اسم « الحاوى

للفتوى » والمخطوط محفوظ بخزانة المدرسة الأحمدية (فى محلة الجلوم ــ البهراقية) بحلب، وهى الآن تحت رعاية الأوقاف، وقد جاء بيانه كما يلى :

الحاوى للفتوى ـ الجزء الأول من تجزئة ذات جزأين :

تأليف : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى : ٨٤٦/ ٩١١هـ، ١٤٤٥/ ١٥٠٥م.

هو كتاب يشتمل على ثمانين رسالة فى مسائل مختلفة من فتاوى وغيرها وقد أطلق عليه مؤلفه اسم (الحاوى)ومما قال فى خطبته : (... وبعد فقد استخرت الله تعالى فى جمع نبذ من مهمات الفتاوى التى أفتيت بها على كثرتهاجدًّا مقتصرًا على المهم والعويص وما فى تدوينه نفع ...

وتركت غالب الواضحات، وما لا يخفى على ذوى الأذهان القادحات وبدأت بالفقهيات مرتبة على الأبواب ثم بالتفسير، ثم بالحديث، ثم بالأصول، ثم بالنحو والإعراب، ثم بسائر الفنون إفادة للطلاب، وسميت هذا المجموع الحاوى للفتوى ...) (قالت المؤلفة : فى نسختى ١/ ٥ «الحاوى للفتاوى » وهو الصحيح لمراعاة السجع).

وقد وقع خرم فى آخر النصف الأول هذا ذهب بقسم لم نعرف مقداره وبلغ فى آخر هذا الجزء قبل الخرم إلى الرسالة المسماة لأعذب المناهل فى حديث من قال أنا أعلم فهو جاهل).

أوله بعد البسملة : الحمد لله جامع الشتات والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بالآيات البينات ...

آخره قبل الخرم : ... وقال ابن حبان اختلط فى آخر عمره.

النسخة جيدة لولا الخرم الذى أصاب آخرها فذهب بقسم منها، وخطها نسخ بقلم ثخين وعناوين الرسائل والمسائل بالحمرة، لم نقف على اسم الناسخ وتاريخ النسخ فى هذا الجزء وهما مذكوران فى نهاية الجزء الثانى القادم.

(٢٥٨) ق المسطرة (٢١)س الأحمدية (٢٢٣/ ١) الفتاوى بروكلمان ٢/ ١٤٣ ملحق بروكلمان ٢/ ١٨٢.

الجزء الثانى منه.

يبتدئ هذا الجزء بأول الكلام فى (الفتاوى الحديثية ـ كتاب الطهارة) وينتهى فى آخر الرسالة (الأوج فى خبر عوج) وبها ينتهى الكتاب.

أوله : ... الفتاوى الحديثية ـ كتاب الطهارة مسألة ...

آخر الكتاب : ... وفيه لطف وظرف وجاء فى الختمة : هذا آخر ما وقفت عليه مما وقع من الفتاوى للشيخ ــ جلال الدين السيوطى.

النسخة قريبة من الجودة تمت نساختها سنة ٩٧١هـ فهى قريبة عهد بالمؤلف، خطها تعليق معتاد، نسخها محمد بن محمد بن أيوب القصى الشافعى.

(٢٨٤)ق المسطرة (٢١) س الأحمدية (١٢٢/ ٢) الفتاوى (المنتخب ق ٤/ ١٧٦، ١٧٨).

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٢٩، والمنتخب من المخطوطات العربية فى حلب. مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٤/ ١٧٦ـ ١٧٨).

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى بعنوان « الحاوى للفتاوى ط. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م، وتقع فى جزءين. وقد جاء على الورقة الأولى من الغلاف ما يلى : هذه النسخة طبعت على نسختنا الممتازة ورروجعت على نسخ فى دار الكتب المصرية ودار الكتب الأزهرية فجاء فيها زيادات كثيرة وتصحيحات قيمة. عنى بنشره جماعة من طلاب العلم سنة ١٣٥٢هـ.

*** حاوى المختصرات فى العمل بربع المقنطرات:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الميقات. قال عنه حاجى خليفة :

حاوى المختصرات فى العمل بربع المقنطرات لمحمد ابن محمد بن سبط الماردينى المصرى الموقت بالجامع الأزهر. (كشف ١/ ٦٢٨).

يوجد مخطوطه فى مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانه كما يلى وقد جاء فيه تاريخ وفاة المؤلف سنة ٩٠٧هـ :

الرقم ٣٠٢١٧/ ٨.

لمحمد بن محمد بن أحمد المعروف بسبط الماردينى المتوفى سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م.

الأول (الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وبرحمته تنزل البركات ... وبعد فلما كان علم الوقت من أجلّ ...) .

وهى رسالة جامعة لما يحتاج إليه فى ضبط الأوقات واستخراج المحاريب والجهات وكيفية العمل بالمقنطرات لمعرفة الجهات الشمالية والجنوبية وفى جميع العروض سواء كان الربع مقطوعا كاملاً أو كان فى الربع الكامل سمت أو قوس ارتفاع أو أحدهما فقط .

رتب المؤلف كتابه على مقدمة وثلاثين بابًا وخاتمة وفرغ منه سنة ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م كما فى آخر الكتاب .

نسخة جيدة كتبت بقلم النسخ سنة ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م .

القياس ٧٨ص ٢٠×١٥سم ٢٣س .

كشف ١/ ٦٢٨ فهرس المصورة ٣/ ٣٠ فهرس الخديوية ٥/ ٢٤٣ هدية العارفين ٢/ ٢١٨ .

١٦٦ب ـ نسخة أخرى .

جيدة الخط كتبت بقلم النسخ ترقى للقرن الثانى عشر الهجرى القرن الثامن عشر الميلادى فى أولها فهرس بمواضيع الكتاب .

الرقم ١/٣٣٢٥٥ .

القياس ١٠٤ص ١٤,٥×١٠سم ١٦س .

(مخطوطات الفلك والتنجيم / ٦٥ ، ٦٦) .

كما يوجد فى معهد المخطوطات العربية مخطوط مصور جاء بيانه كما يلى ، وقد جاء فيه تاريخ وفاة المؤلف سنة ٩١٢هـ :

لمحمد بن محمد بن أحمد سبط المارديني الموقت بالجامع الأزهر المتوفى سنة ٩١٢هـ (بروكلمان ملحق ٢/ ٢١٦ ، تصنيف رقم ٩ ، مختصر من الرسالة فى العمل بربع المقنطرات ، لعبد الله بن خليل بن يوسف المارديني المتوفى سنة ٨٠٩هـ ، بروكلمان ملحق ٢/ ٢١٨ ، تصنيف رقم ٢) .

أوله بعد الديباجة : فلما كان علم الوقت من أجل القربات وأفضل الطاعات .

وآخره : ولا ينبغى أن يعمل السلم فى المقنطرات لاحتياجه إلى الجيب والحساب والحمد لله .

المكتبة : دار الكتب المصرية : ٢٧ ميقات ٤٠ ق تقريبًا ، قد فرغ من نسخها إبراهيم بن أحمد بن منصور الشرنوبى ف١٠٤١ .

وتوجد نسخة أخرى (بروكلمان ٢/ ١٦٨ ، تصنيف رقم ٩) .

المكتبة : دار الكتب المصرية : ١٠٥٠ ميقات ، ٣٩ق ، منسوخ سنة ١٢٨٩هـ ، القياس ٢٠×٣٠سم ، ف ١٠٥٨ .

(فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية جـ٣ العلوم ق١ . الفلك ـ التنجيم ـ الميقات ـ وضعه باول كونِتْش / ٣٠) .

*** حاوى مسائل الواقعات والمنية وما تركه فى تدوينه عن مسائل القنية وزاد فيه من الفتاوى لتتميم الغنية:**

حاوى مسائل الواقعات والمنية وما تركه فى تدوينه من مسائل القنية وزاد فيه من الفتاوى لتتميم الغنية ـ للشيخ أبى الرجا نجم الدين الإمام مختار بن محمود الزاهدى (الغزمينى) الحنفى المتوفى سنة ٦٥٨ ثمان وخمسين وستمائة وهو مجلد أوله : الحمد لله الذى أوضح معالم العلوم ... إلخ ذكر فيه منية الفقهاء وأنه استصفى منها لبابها وبدل ما وقع فيها من لسان خوارزم إلى العربية ورقم أسامى الكتب والمفتين بأول حروفها وذكرها على ترتيب الحروف أولا .

(كشف الظنون ١/ ٦٢٨) .

*** ابن الحائك الهمدانى (٢٨٠ـ٣٢٤هـ / ٨٩٣ـ٩٤٥م):**

قال عنه القفطى :

هو الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود بن سليمان ، المعروف بذى الدُّمَيْنة بن عمرو بن الحارث بن أبى حبش بن مُنقذ بن الوليد بن الأزهر بن عمرو بن طارق بن أذهم ابن قيس بن ربيعة بن عَبْد بن عَلْيَان بن أرْحب بن الدُّعام بن مالك بن ربيعة بن الدُّعام بن مالك بن معاوية بن صَعْب بن دَوْمان بن بِكَيل بن جُشَم بن خَيْوانَ بن نَوْف بن هَمْدان . الأديب النحوىّ الطبيب المنجِّم الأخبارى اللغوى اليمنىّ المعروف بابن الحائك .

نادرة زمانه، وفاضل أوانه، الكبير القدر، الرفيع الذِّكْر، صاحب الكتب الجليلة، والمؤلفات الجميلة. لو قال قائل: إنه لم تُخرج اليمنُ مثلهُ لم يزل، لأن المنجِّم من أهلها لاحظَّ له فى الطبّ، والطبيب لا يد له فى الفقه، والفقيه لا يد له فى علم العربية وأيام العرب وأنسابها وأشعارها، وهو قد جمع هذه الأنواع كلَّها، وزاد عليها.

فأما تلقيبُه بابن الحائك، فلم يكن أبوه حائكًا، ولا أحدٌ من أهله، ولا فى أصله حائك، وإنما هو لقب لمَنْ يشتهر بقول الشعر. وكان جده سليمان بن عمرو المعروف بذى الدُّمَيْنة شاعرًا، فسمى حائكًا لحوْكه الشعر (فى تلخيص ابن مكتوم: « وكان جده عمرو بن الحارث شاعرًا »).

وكان آباؤه ينزلون المراشى من بلاد بكيل، ثم انتقل داود ابن سليمان ذى الدُّمينة إلى الرّحبة من نواحى صنعاء، ثم إلى صنعاء، وكان بها ولده.

وكان رجلاً مُحسَّدًا فى أهل بلده، وارتفع له صيت عظيم - أعنى الحسن بن أحمد هذا - وصحب أهل زمان من العلماء، وراسلهم وكاتبهم.

فمن العلماء الذين كان يكاتبهم ويعاشرهم أبو بكر محمد ابن القاسم بن بَشّار الأنبارى، وكان يختلف بين صنعاء وبغداد، وهو أحد عيون العلماء باللغة والعربية وأشعار العرب وأيامها، وكذلك أبوه القاسم، على ما ورد فى أخبارهم. وكان يكاتب أبا عمر النحوى صاحب ثعلب، وأبا عبد الله الحسين ابن خالويه.

وأقام بمكة دهرًا طويلاً، وسار إلى العراق، واجتمع بالعلماء، واجتمعوا به فيما قيل.

وسار فى آخر زمانه إلى « رَيْدة » من البَوْن الأسفل من أرض همدان، وبها قبره وبقية أهله (فى معجم البلدان ٢/ ٣٠٩: « إنهما بونان، وهما كورتان: البون الأعلى والبون الأسفل »).

وكان ملوك اليمن وأجلاؤها يكرّمونه ويقرّبونه، وكان خائفًا من العلويين المستولين على صعدة، لكلام بلغهم عنه.

وقصد مرة أحد أجلاء اليمن - ويُعرف بابن الرويَّة المُرادىّ - من مَذْحِج، وامتدحه فى سنة شديدة، فأكرمه وأنزله أجمل منزل، وطوّل عليه فى تأخير، فأقام شهرًا، وهو فى قلقٍ من أمر أهله، وما تركهم عليه من الإعسار فى ذلك الوقت. فلما انقضى الشهرُ استأذنه فى الرجوع إلى أهله، فأذِن له، فرجع كئيبًا صِفْر اليد، مما قصده له. ولما صار قريبًا من أهله تلقاه بنوه وقُرباؤه على هيئة جميلة، ومراكب نفيسة، فأعجب بذلك، وسألهم عن سببه، فقالوا: هو ما بعثتَ لنا. ففطن للأمر، وسألهم صورة ما سُيِّر إليه، فذكروا جملة كثيرة، من مال وملبوس ومركوب ومُفترش. ففرح وأمعن فى مدح ابن الرويَّة المذكور، وبالغ فى وصفه، واشتهرت هذه المكرمة بالبلاد اليمنية، وسار مديحه له، وكان ابن الرويَّة هذا قد ولى أعمال صنعاء زمانًا، ثم استقر أمرهُ بالسِّر وبها ولده.

ومِمَّن كان يُكرمه من ملوك اليمن ويرعى حقَّه إسماعيل ابن إبراهيم النبعى الحميرى، وهو من آل ذى نبع بن الحارث ابن مالك بن اليشرج بن يحصب بن دُهمان بن مالك بن سعد ابن عدى بن مالك بن زيد بن شدد بن زُرعة بن سبأ الأصغر، ثم من ولد شُرحبيل بن ذى نبع.

والأنبوع ممن ولى المُلْك باليمن، وكان ينزل بضبا، من أعمال التَّعكر، (وهى قلعة حصينة باليمن) وفيه يقول:

يَطْلُبنَ من عرض البلاد وطولها
بلدًا به النّبعىّ إسماعيلُ
فضياء غُرّته وريحُ نواله
لوجوههنّ إلى حماه ذليلُ

وكان مصنِّفًا للكتب فى كل فن؛ فمن ذلك كتابه فى «السِّير والأخبار» وكتابه المسمى « باليعْسُوب » فى فقه الصيد وحلاله وحرامه والأثر الوارد فيه وكيفية الصيد، وعمل العرب فيه، وغريب ذلك ونحوه. والشعر فيه، وهو كتاب جيد جدًّا. مفيد للمتأدبين.

وكتابه فى معارف اليمن وعجائبه وعجائب أهله، المسمى « بالإكليل » وهو عشرة أجزاء (انظره فى موضعه فى م٥/ ٥٧٣، ٥٧٤ من هذه الموسوعة).

وكتابه فى المسالك والممالك باليمن، وعندى منه نسخة وردت فى الكتب اليمنية - رحم الله مخلِّفها.

(ذكره صاحب كشف الظنون ص ١٨٢٢ باسم « الممالك والمسالك فى عجائب اليمن وجزيرة العرب وأسماء بلادها »

ولعل الكتاب الذى نشره الأستاذ ملر وطبعه فى ليدن سنة ١٨٨٤م باسم « صفة جزيرة العرب » جزء منه . وانظر مقدمة الجزء الثامن من الإكليل طبعة جامعة پرنستن) وكتابه فى الطب المسمى بكتاب « القوى » وكتابه فى صناعة النجوم، المسمى « بسرائر الحكمة » . وكتاب «الجواهر العتيقة » . (ذكر الأستاذ نبيه أمين فارس فى مقدِّمة الجزء الثامن من الإكليل (طبعة جامعة پرنستن) : أن للهمدانى مصنفًا اسمه «كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء» . وقال : إنه يوجد منه نسختان خطّيتان فى أوبسالا وميلان . ولعله هو هذا الكتاب) .

قالت المؤلفة : أوردناه تحت عنوانه فانظره فى حرف الجيم .

وكتابه فى « الطالع والمطارح » وزيجه الموضوع .

وله من التصانيف الشاذة إلى البلاد ما يكثر ولا يكاد يعرفه أهل اليمن . وله كتاب «القصيدة الدامغة النونية » على معد والفُرْس، وهى قصيدة طويلة، وقد شرحها ولده، فيها علم جم، ولله الحمد، أُحضرت فى جملة الكتب اليمنية أيضًا - رحم الله مخلفها - وهذه القصيدة أحدثت له العداوة من النزارية والمتنزرة . (ذكر ياقوت فى معجم الأدباء مطلعها، وهو:

ألا يــــا دار لــــولا تنطقينــــا
فإنــا ســائلــوك فخبــرينــا)

وقيل : إن هذا الكتاب يتعذَّر وجودُه تامًّا، لأن المثالب المذكورة فيه، فى بعض قبائل اليمن، كثيرة وأعدم أهلُ كل قبيلة ما وجده من الكتاب، وتتبعوا إعدام النسخ منه، فحصل نقصُه لهذا السبب، وكتابه فى « أيام العرب » كتاب جميل .

ولما دخل الحُسين بن خالويه الهمذانى النحوى إلى اليمن، وأقام بها بذمار جمع ديوان شعره (ذكر السيوطى أنه يقع فى ستة مجلدات) وعرّبه وأعربه . وهذا الديوان بهذا الشرح والإعراب موجود عند علماء اليمن، وهُمْ به بخلاء . وشعرهُ يشتمل فى الأكثر على المقاصد الحسنة، والمعانى الجزلة الألفاظ، والتشبيهات المصيبة الأغراض، والنعوت اللاصقة بالأعراض والتحريض المحرك للهمم المراض والأمثال المضروبة، والإشارات المحجوبة، والتصرف فى الفنون العجيبة .

(من الكتب التى لم يذكرها المؤلف : كتاب « الحيوان » ذكره السيوطى فى بغية الوعاة، وسماه صاحب كشف الظنون «الحيوان المفترس ») .

قال القاضى صاعد بن الحسن الأندلسى قاضى طُلَيْطِلة - رحمه الله - فى كتابه « طبقات الأمم » / ٥٩ : « وجدت بخط أمير الأندلس الحكم المستنصر بالله بن الناصر عبد الرحمن الأموى أن أبا محمد الهمدانى توفِّى بسجن صنعاء فى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة » .

له ترجمة فى : أخبار الحكماء / ١١٣، وبغية الوعاة / ٢١٧، وتلخيص ابن مكتوم ٥١/ ٥٢، وذيل كشف الظنون للبغدادى ١/ ٣٦٢، وروضات الجنات / ٢٣٨، وطبقات الأمم لصاعد الأندلسى ٥٨/ ٥٩، وطبقات ابن قاضى شهبة ١/ ٣١٩، وكشف الظنون ١/ ١٤٤، ٢/ ١٣٣٨، ١٤١٥، ١٨٢٢، ٢٠٥٠، ومعجم الأدباء ٧/ ٢٣٠ - ٢٣١ . وترجم له السيوطى فى البغية / ٢٣٢ ترجمة أخرى باسم « الحسين بن أحمد بن يعقوب أبى محمد الهمدانى » وذكره ابن قاضى شهبة وصاحب روضات الجنات باسم « حسين » أيضًا (إنباه الرواة ١/ ٢٧٩ - ٢٨٤) .

وقد أضاف الزركلى إلى مؤلفات ابن الحائك كتاب «اليعسوب » و « الأيام » (الأعلام ٢/ ١٧٩) .

(إنباه الرواة للقفطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١/ ٢٧٩ - ٢٨٤ وقد وضعنا تعليقات المحقق بين قوسين فى ثنايا النص، والأعلام للزركلى ٢/ ١٧٩) .

*** حب الله تعالى:**

الشعبة العاشرة من شعب الإيمان السابعة والسبعين التى أحصاها الإمام البيهقى فقال :

من شعب الإيمان : الإيمان بوجوب محبة الله عز وجل لقوله تعالى ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يُحبونهم كحب الله والذين آمنُوا أشدُّ حُبًّا لله** ﴾ [البقرة : ١٦٥] ولحديث أنس بن مالك فى الصحيحين : ثلاث من كُنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسولهُ أحبَّ إليه مما سواهُمَا، وأن يحبَّ المرء لا يحبُّهُ إلاَّ لله وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن تُوقد له نار فيقذف فيها (جاء فى هامش ١ للمحقق : « هنا تحريف فى الحديثُ لعله من الناسخ ولفظه « ثلاث من

كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار» أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب خصال من اتصف بها وجد حلاوة الإيمان والبخارى فى كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان».

وبه أنبأنا البيهقى قال: سمعت أبا عبد الرحمن السلمىَّ يقول سمعت أبا نصر الطوسى يقول سمعت جعفرًا الخلدى يقول: سمعت الجنيد يقول: قال رجل لسرىِّ السقطى: كيف أنت فأنشأ يقولُ:

من لم يبتْ والحُبُّ حشوُ فؤاده

لم يدرِ كيف تُفَتَّتُ الأكبادُ

وبه أنبأ أبو عبد الرحمن السلمىُّ قال سمعت أبا نصر محمد بن محمد بن إسماعيل قال سمعت أبا القاسم الشيرازى الواعظ قال سمعت أبا دُجانة يقولُ: كانت رابعة إذا غلب عليها حال الحُبِّ تقولُ:

تَعصى الإلهَ وأنت تظهرُ حُبَّهُ

هذا مُحالٌ فى الفعَال بَديعُ

لو كان حُبُّك صادقًا لأطعته

إن المحبَّ لمن يحبُّ مطيعُ

(مختصر شعب الإيمان للبيهقى - اختصار القزوينى / ١٨ - ٢٠).

*** حُب الله تعالى للعبد:**

أورد الإمام النووى ما يلى فى باب علامات حب الله تعالى العبد والحث على التخلق بها والسعى فى تحصيلها:

قال الله تعالى: ﴿ قُل إن كنتمْ تحبُّون الله فاتَّبعونى يُحببكُم الله ويغفر لكُم ذُنوبَكُمْ والله غفورٌ رحيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى قال من عادى لى وليًّا فقد آذنتُهُ بالحرب وما تقرب إلىَّ عبدى بشىء أحب إلىَّ ممَّا افترضتُ عليه وما يزال عبدى يتقرَّب إلىَّ بالنوافل حتى أحبَّهُ فإذا أحببتهُ كنت سمعهُ الذى يسمع به وبصره الذى يُبصر به ويده التى يبطشُ بها ورجله التى يمشى بها وإن سألنى أعطيته ولئن استعاذنى لأُعِيذنَّه» معنى آذنته بالحرب أعلمته بأنى محارب له.

وروى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث رجلا على سرية فكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم فيختم بـ﴿قُل هو الله أحد﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال سلوه لأىِّ شىء يصنع ذلك فسألوه فقال لأنها صفةُ الرحمن فأنا أحبُّ أن أقرأ بها فقال رسول الله ﷺ أخبروه أن الله تعالى يحبه.

وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يُحبُّ فلانا فأحبَّهُ فيُحبه جبريلُ فينادى فى أهل السماء إنَّ الله يحبُّ فُلانًا فأحبُّوهُ فيُحِبُّهُ أهلُ السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض».

وفى رواية لمسلم قال رسول الله ﷺ «إنَّ الله إذا أحبَّ عبدًا دعا جبريل فقال إنى أُحبُّ فلانا فأحبَّهُ فيُحبُّهُ جبريلُ ثم ينادى فى السماء فيقولُ إنَّ الله يحبُّ فُلانًا فأحبُّوهُ فيُحبُّهُ أهلُ السماء ثم يُوضع له القبُول فى الأرض وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول إنى أُبغِضُ فُلانًا فأبغضهُ فيُبغِضُهُ جبريل ثُمَّ يُنادى فى أهل السماء إنَّ الله يبغضُ فلانًا فأبغضوه ثم توضع له البغضاء فى الأرض.

(مختصر كتاب رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف الدين النووى - اختصره ورتَّبه الشيخ النبهانى / ٢١ - ٢٣، وشرح رياض الصالحين للإمام النووى - شرحه وحققه الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم ١/ ٥٧٩).

*** حَب الذهب:**

مما ورد فى مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب. قال عنه الأنطاكى:

حب الذهب: وهو الموسوم بحب الصبر وهو من تراكيب رئيس الفضلاء قدوة الحكماء الحسين بن عبد الله بن سينا قدس الله نفسه وروّح رمسه يحفظ الصحة وينقى الأخلاط الثلاثة من الرأس والبدن ويفتح السدد ويذهب عسر النفس والأبخرة وأوجاع الظهر والجنب والرجلين ويحد البصر ويهضم الطعام ويدرّ وبالجملة فملازمته تغنى عن الأدوية وحدُّ الاستعمال منه لمريد الإسهال درهمان. وصنعته: صبر عشرون درهما، كابلى عشرة، ورد أحمر خمسة سقمونيا،

زعفران، مصطكى، كثيرا بيضا من كل ثلاثة، عنبر ذهب من كل أربع قراريط، مرجان ياقوت أحمر لؤلؤ من كل ثلاث قرارايط، ولقد زدته للبلغميين وأصحاب الرياح عود هندى سنبل طيب أسارون من كل أربعة دراهم وفى المفاصل والنساء ونحوهما غاريقون أشق تربد أنزروت عاقر قرحا قرحا سورنجان من كل ثلاثة. وللصفراويين مع الأصل الأصيل إهليلج أصفر بنفسج من كل خمسة وإن كان هناك بخار فمرزنجوش كزبرة كذلك، أو ضعف فى الكبد فطباشير كالكزبرة بدل المرزنجوش، أو سوداء فمع الأصل فقط لازورد أو حجر أرمنى نصف درهم يسحق الجميع ويعجن بماء الورد وماء الخلاف والكرفس والرازيانج ويحبب وتبقى قوته إلى سنتين.

(تذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١١٥).

*** حُب الرجل لأخيه المسلم ما يحب لنفسه وكرهه ما يكره لنفسه:**

الشعبة السابعة والسبعين والأخيرة من شعب الإيمان التى أحصاها. الإمام البيهقى فقال:

من شعب الإيمان أن يُحبَّ الرجل لأخيه المُسلم ما يُحبُّ لنفسه. ويكرهُ له ما يكرهُ لنفسه. ويدخُلُ فيه إماطة الأذى عن الطريق المُشارُ إليه فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى الصحيحين « الإيمان بضع وستُّون أو بضع وسبعون شُعبةً أفضلها لا إله إلاَّ الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياءُ شُعبة من الإيمانِ ».

وحديث أنسٍ فى صحيح البخارى « لا يُؤمن أَحدُكُم حتَّى يُحبُّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسهِ ».

وحديث جرير بن عبد الله فى الصحيحين: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة و إيتاء الزكاة، والنُّصح لكلِّ مُسلِم.

(مختصر شعب الإيمان للبيهقى اختصار القزوينى ـ حققه وكتب حواشيه عبد الله حجاج / ١١٢، ١١٣).

*** حُب رسول الله ﷺ:**

وجوب محبة النبى ﷺ هو الشعبة الرابعة عشرة من شعب الإيمان السابعة والسبعين التى أحصاها الإمام البيهقى لحديث أنس المتفق على صحته: « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده والناس أجمعين » أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان باب حب رسول الله ﷺ من الإيمان ومسلم فى كتاب الإيمان باب وجوب محبة رسول الله ﷺ ومسلم فى كتاب الإيمان باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والناس أجمعين.

ولحديث أنس فى الصحيحين « ثلاث من كُنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان أن يكُون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهُما» الحديث، ولحديثه فيهما أيضًا قال « جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها فقال يا رسول الله ما أعددت لها كثير صيام ولا صدقة إلاَّ أنِّى أحبُّ الله ورسوله، قال أنت مع من أحببتَ ». اهـ.

وحب رسول الله ﷺ واجب على كل مسلم.

لأنه ﷺ أصل النعمة وسبب الرحمة فقد أنقذنا الله به من الجهالة وظلمتها إلى الإيمان ونوره الذى به سعادة الدنيا والآخرة، قال تعالى ﴿ لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلمهم الكتابَ والحكمة وإن كانوا من قبلُ لفى ضلال مبين ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ومحبته صلى الله عليه وعلى آله وسلم باتباع سنته وامتثال أمره واجتناب نهيه.

(مختصر شعب الإيمان للبيهقى اختصار القزوينى ـ حققه وكتب حواشيه عبد الله حجاج / ٢٨ وهوامش المحقق).

*** حَبّ الرشاد:**

هو الحُرف فانظره فى موضعه.

*** حَبّ الزّلم:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب وفى علم التغذية. أورده المظفر الرسولى نقلا عن ثلاثة مصادر رمز لها بالحروف « ع »، « ف »، « ج »:

ع: عبد الله بن البيطار صاحب « الجامع لقوى الأدوية والأغذية ».

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

ج: ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان ».

حب الزَّلَم ـ « ع » هو حبٌّ دسم مُفرطح، أكبر من الحِمَّص قليلا، أصفر الظاهر، أبيض الباطن، طيب الطعم، لذيذ المذاق، يجلب من بلاد البربر، ويسمى فُلْفُل السودان عندنا، وفلفل السودان غيره، ويسمى حب عزيز (ذكر داود

الأنطاكى أنه هو المعروف فى مصر بحب العزيز لأنه ملكها، ويقصد العزيز الفاطمى ابن المعز، كان مغرما بأكله) وقد أدخله مصر.

يقوى الظهر، وينفع من أوجاع الكلية الباردة، ويقويها، ويذهب بأوجاع الوركين والفخذين إذا أدمن أكله مع العسل الماذىّ والفانيد، وينفع الأحشاء الباردة. الشربة منه: درهمان (المعتمد ١/ ٨٠).

يقول داود الأنطاكى.

وهو حب أصله بفارس نبات دون ذراع وأوراقه مستديرة كالدراهم ومنه نوع بمصر يزرع بالإسكندرية وحب السمنة صغاره ويجمع بالصيف فى نحو الأسد وأجوده الحديث الرزين الأحمر المفرطح الحلو ويليه الأصفر المستطيل وهذا هو الكثير بمصر والذى كالفلفل إذا كان لينا حُلْوًا كان أجود فى السمنة ومتى تجاوز سنة لم يجز استعماله. وأهل مصر تبله بالماء كثيرا فيفسد سريعًا وهو حار فى الأولى رطب فى الثانية يولد دما جيدا ويسمن البدن تسمينا جيدا ويصلح هزال الكلى ... وحرقان البول والكبد الضعيفة والأمراض السوداوية كالجنون وخشونة الصدر والسعال وإذا انهضم كان غاية ولكنه يولد السدد ويثقل ويضر الحلق ويصلحه السكنجبين وأجود استعماله للسمنة أن يدق وينقع فى الماء ليلة ثم يمرس ويصفى ويشرب بالسكر وشربته إلى اثنى عشر وبدله الحبة الخضراء وما قاله ما لا يسع منطبق على البندق الهندى كما مر.

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ــ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ٨٠، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١١٤).

*** حب الصنوبر:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب أورده المظفر الرسولى، نقلا عن مصدرين رمز إلى أحدهما بالحرف «ج» وهو ابن جزلة صاحب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان» وإلى الآخر بالحرف «ف» وهو أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى، قال:

حبُّ الصنوبر ـ «ج» يسمى الكبار منه الجلوز، وحبه أدق من الفُستق، رقيق القشر، هشٌّه، ينكسر عن لب متطاول أبيض، دُهنى لذيذ. والكبير منه إلى حرارة ورطوبة، والصغار فهى حب مثلث، أصلب.

«ف» أجوده الأبيض اللؤلؤى الصافى. وهو حار يابس فى الأولى، ينفع الغشاء بماء العسل، وينفع القُولنج، ويفتت حصى الكُلى، وينفع من الأرياح الباردة شربا.

وقد جاء فى هامش (١) هذا التعليق:

حب الصنوبر: منفعته: يسخن الكُلى... ونافع من الاسترخاء العارض فى البدن، مجفف للرطوبات المتولدة فى الأعضاء، حتى إنه يصلح للمفلوجين أن يتنقلوا به، ويحللوا به الرياح، وإذا نُقع فى الماء الحار حتى تزول حرافته، ويشرب بعقيد العنب، بعد أن يُدق ويُخلط به خل، انحل اللزج من الكلى والمثانة، ونفع من قروحهما، ومن الحصى المتولد فيهما، وإذا أخذ منه بعد أن يُنقع فى الماء الحار، ومن الحصى المتولد فيهما، وإذا أخذ منه بعد أن يُنْقع فى الماء الحار، ويدق ويُحل بما بزر الرجلة، سكن الحرقة التى فى المثانة، وفى المعدة، وأفاد البدن الضعيف قوة، مضرته بالمحرورين، يصدع الرأس والعطش، لا سيما من الضعيف، دفع ضرره: أن يُنقع فى الماء الحار، بعد أن يقشر أربع ساعات. ثم يؤكل بالعسل وبالسكر. اهـ.

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ــ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ٨٤، ٨٥).

*** الحب فى الله والحث عليه:**

أورد الإمام النووى فى كتابه بابا فى فضل الحب فى الله والحث عليه جاء فيه ما يلى:

قال الله تعالى: ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رُحماء بينهم** ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى آخر الآية. وقال تعالى: ﴿ **والذين تبوَّءُوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم** ﴾ [الحشر: ٩].

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ثلاث من كُنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف فى النار» متفق عليه.

(شرح رياض الصالحين للإمام النووى ـ شرحه وحققه د. الحسينى عبد المجيد هاشم ١/ ٥٦٨).

* **حب المَحْلَب:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب. ذكره المظفر الرسولى نقلا عن ثلاثة مصادر رمز إليها بالحروف «ع»، «ج»، «ف» على النحو التالى:

ع : عبد الله بن البيطار صاحب الجامع لقوى الأدوية والأغذية.

ج : ابن جزلة صاحب منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان.

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

قال: حب المحلب: «ع» فى مَحْلَب: هو حب مدوَّر، عليه قشر إلى الحمرة والسواد، تحتها قشرة خشبية صلبة، داخلها صمغة بيضاء عطرية، فيها شىء من مرارة، وشجره يسمو، وله خشب غليظ. ويستعمل حب المحلب فى المُسُوحات والنَّقاوات. وقال: هو ضروب: أبيض، وأسود، وأخضر صغير الحبة، وأكبرها مثل الجُلُبانة، وأجوده أبيضه، وأنقاه، وأذكاه رائحة، وأردؤه أسوده. ويستعمل منه قُلوبه دون قشره. وقال: إنه حار لين، نافع لوجع الخاصرة. وإذا شُرِب منه نفع من الغَشْى، وهو من الأدوية النافضة للفضول من البدن، المسمنة، المخرجة للدود وحب القَرَع، النافعة من النِّقرس. وقال: هو حار فى الثانية، يابس فى الأولى، مفتت للحصاة الكائنة فى الكلى والمثانة، وينزل الحيض، جلاَّء لطيف، مسكن للأوجاع، جيد لأوجاع الظهر، نافع للغَشْى مشوبا بماء العسل، وهو نافع للقُولَنْج، ويقلع الكلف إذا طلى به، ويُدِر البول.

«ج» أجوده الرزين. وهو حار يابس، وقيل بارد، يقلع الكلف إذا طُلى به، ويدرّ البول، ويفتح سُدد الكبد والطحال. ويعين على نفث ما فى الصدر والرئة من الرطوبة.

«ف» أجوده الأبيض اللؤلؤى الصافى، وهو حار يابس فى الأولى، ينفع الغشاء بماء العسل، وينفع القُولَنْج، ويفتت حصى الكُلى، وينفع من الأرياح الباردة شربا.

(المعتمد فى الأدوية المفردة - صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ٨٣، ٨٤).

* **حب الملوك:**

قال المظفر الرسولى نقلا عن عبد الله بن البيطار صاحب كتاب الجامع لقوى الأدوية والأغذية، وقد رمز إليه بالحرف «ع»:

حبُّ الملوك:

«ع» يقال على الماهودانة. وسيذكر فى حرف الميم إن شاء الله. وأما أهل المغرب والأندلس، فيوقعون هذا الاسم على القراصِيا البَعْلَبَكِّى، ويوقعونه على حب الصَّنَوْبر الكبار. وسيذكر كل واحد منهما فى موضعه إن شاء الله.

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى - صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ٨١، ٨٢).

* **حب المَنْسِم:**

مما يرد فى التراث الإسلامى فى طب الأعشاب. ذكره المظفر الرسولى نقلا عن ثلاثة مصادر رمز إليها بالحروف «ع»، «ج»، «ف» على النحو التالى:

ع : عبد الله بن البيطار صاحب الجامع لقوى الأدوية والأغذية.

ج : ابن جزلة صاحب منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان.

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

قال: حب المَنْسِم: «ع» هو حب يشبه القُرطُم أو حب الفُلْفُل، فى مقداره، ولونه ما بين الصفرة والحمرة، أملس الظاهر، زكى الرائحة، فيه عطرية تؤدى إلى رائحة الأفاويه، ويدخل فى طيب النساء. حار يابس فى الثانية، نافع للمعدة الباردة المسترخية، مسخن مقوّ لها، معين على الهضم، منشف للرطوبات الغالبة على مزاجها.

«ج» هو حب فى مقدار الفلفل، وفى لونه، إلا إنه سهل الانكسار، وأنه شديد البياض، عَطِر، جيد للمعدة الباردة المسترخية.

«ف» مثله. ويقوى المعدة الباردة ...

إلا أنه يورث ضعف الكبد، فيدفع ضرره بالراوند الصينى والسكر، الشربة منه: درهم ونصف.

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى - صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ٨٣).

* **حب النفط:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم طب الأعشاب. ذكره الأنطاكى فقال عنه:

حب النفط: يعزى إلى جالينوس وهو قوى الفعل جيد ينفع من كل مرض بارد كالفالج واللقوة والرياح والنقرس والقولنج وأمراض المعدة والنسا والمفاصل وتبقى قوته إلى ثلاث سنين وشربته إلى درهمين، قال الرازى: يضر بالكبد ويصلحه ماء الزبيب وحكى إسحاق أنه يفتح البواسير وهذا أصح من الأول ولم يذكر ما يصحه وعندى أن إصلاحه بالكثيرا وماء العناب قولا واحدا. وصنعته: صبر خمسة عشر درهما ماهيزهره، إهليلج أصفر، بزر حرمل، صمغ السذاب فإن تعذر فمثله مرتين أشق جاوشير، مقل أزرق، سكبينج، شحم حنظل بيدستر أنزروت من كل عشرة وفى نسخة تربد عود سوسن من كل سبعة والصواب تركهما إن لم يفرط البلغم وكذا الكلام فى الأفتيمون حيث لا سوداء وقد يدخل الحلتيت وحب الغار وهو الصحيح إن كان هناك حمى أو كان المرض بعد سم شربا أو نهشا يسحق الكل ويعجن بالنفط الأبيض وقد حلت الصموغ فيه مع شىء من الماء الحار. ورأيت فى القراباذين الرومى أنه يعجن بالعسل وهو خطأ فليحذر منه لأنه يحرق شحم الكلى وقد يضاف إلى ذلك شيطرج، قاقلة، يوزيدان، سورنجان، أيارج من كل خمسة فيعظم نفعه فى الأوجاع الباردة خصوصا النقرس.

(تذكرة داود بن عمر الأنطاكى ١/ ١١٦، ١١٧).

*** حب النيل:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب.

أورده المظفر الرسولى فضلا عن مصدرين رمز إلى أحداهما بالحرف « ج » وهو ابن جزلة صاحب كتاب منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان، وإلى الآخر بالحرف « ف » وهو أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى. قال:

حب النيل: « ج » وهو القُرطُم الهندى، وهو حار يابس فى الدرجة الثانية، وقيل فى الثالثة، وقيل بارد، وهو نافع من البرص والبهق الأبيض، ويسهل الأخلاط الغليظة، والسوداء، والبلغم، والديدان، وحب القرع. وشربته ما بين دانق ونصف إلى نصف درهم، وهو مكرب مُغث. فينبغى أن يلتّ بدهن اللوز، ويخلط مع الإهليلج. وبدله فى الإسهال والنفع من السوداء: وزنه شحم الحنظل، مع سدس وزنه حجر إرمنى.

« ف » هو حب أسود اللون غير مدوَّر، برى وبستانى، أجوده الحديث المكتنز، وهو حابس فى الأولى، يسهل البلغم اللزّج، والسوداء والديدان، وإكثاره يضعف القلب، ويدفع ضرره العود الهندى، والسنبل. والشربة منه: درهم ونصف. ويقوى إسهاله إذا وقع مع الكثيرا.

« ج » خاصيه إسهال البلغم، والتنقية، وإصلاحه تجويد سحقه، ولته بدهن اللوز الحلو، والمختار ما كان حديثا رزينا. والشربة منه: ما بين عشرة قراريط إلى ثمانية، وربما أصاب من شربه السُّبات، وأحدث كربا وغما وقبضا على فم المعدة، ومغصا شديدا، وشربته مع غيره من الأدوية نصف درهم. وينبغى أن يخلط مع السَّقمونيا والإهليلج بقدر الحاجة، فإنهما يعينانه على الإسهال.

وقال عنه الأنطاكى:

حب النيل هو القرطم الهندى وهو نبت هندى يكون فيه هذا الحب كل ثلاثة أو أربعة فى ظرف إلى العرض وأجود هذا الحب الرزين الحديث المثلث الشكل وقوته تبقى إلى ثلاث سنين وهو حار يابس فى الثانية أو بارد أو رطب فى الأولى إذا مزج بالتبريد لم يبق للبلغم أثرا ويستأصل المفاصل والنسا ومادة البهق والبرص والنقرس ويفتح السدد ولكنه يغثى ويكرب خصوصا فى الشبان وربما قيأ حتى الدم ويصلحه دهن اللوز والإهليلج وإحكام السحق وشربته على ما قالوه إلى درهم لكن رأيت من شرب منه ثمانية عشر درهما ولم يسهل كثيرا وعندى أن فعله بحسب السدد وصلابة الأبدان وأن كربه تابع لحرارة المعدة يكثر إذا كثرت وبالعكس وبدله فى إفراط السوداء ثلثه حجر ارمنى وفى البلغم نصفه شحم حنظل لا أن كلا منهما بدله مطلقا كما توهموه فأفهمه.

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ٨٢، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١١٣، ١١٤).

*** الحُبارى:**

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم الحيوان.

الحُبارى: بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة، طائر وصفه القزوينى بقوله:

الحبارى: طائر يقال له بالفارسية حور. قالوا: ما فى الطيور أشد بلها منها لأنها تترك بيضها وتحضن بيض غيرها. وفى المثل: كل شىء يحب ولده حتى الحبارى، وإذا وقع

زرقه على شىء من الطيور يعمل عمل الدبق، والعرب تقول: الحبارى سلاحه سلاحه لأنها إذا قصدها الصقر لا تزال تعلو وتنزل مع الصقر حتى تجد فرصة فترميه بزرقها فيبقى الصقر مقيدا مثل المكتوف فعند ذلك تجتمع عليه الحبارات وتنتف ريشه وفى ذلك هلاك الصقر. والحبارى إذا حبس وحبس معه شىء من الطير ونتف ريش صاحبه قبله يموت كمدا. ويقال فى المثل: مات كمدا الحبارى.

خواص أجزائه:

داخل قانصته: يجفف ويسحق مع الملح الأندرانى والخبز المحرق أجزاء سواء يزيل بياض العين اكتحالا. قال ابن سينا: بيض الحبارى خضاب جيد فيما يقال، فليجرب بصوفة بيضاء: زبله: نافع للقوابى. (عجائب المخلوقات / ٢٧٢).

ويقول عنه الدميرى: أهل مصر يسمون الحبارى «الحبرج» وهى من أشد الطير طيرانًا وأبعدها شوطا، وذلك أنها تصاد بالبصرة، فيوجد فى حواصلها الحبة الخضراء التى شجرها البطم ومنابتها تخوم بلاد الشام. ولذلك قالوا فى المثل: أطلب من الحبارى. وإذا نتف ريشها أو تحسر وأبطأ نباته ماتت كمدا، والكمد الحزن المكتوم. وهو طائر طويل العنق رمادى اللون فى منقاره بعض طول. وقال الجاحظ: الحبارى لها خزانة فى دبرها وأمعائها لها أبدًا فيها سلح رقيق، فمتى ألح عليها الصقر سلحت عليه فينتف ريشه كله وفى ذلك هلاكه. وقد جعل الله سلحها سلاحًا لها. قال الشاعر:

وهم تركوك أسلح من حُبارى
رأت صقرًا وأشرد من نعام

ومن شأنها أنها تُصاد ولا تصيد، روى البيهقى فى الشُّعب من حديث يحيى بن أبى كثير عن سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رجلاً يقول إن الظالم لا يضرّ إلا نفسه فقال أبو هريرة: كذب والذى نفسى بيده، إن الحبارى لتموت هزالاً من خطايا بنى آدم، وهو كذلك فى تفسير الثعلبى فى آخر سورة فاطر، يعنى إذا كثرت الخطايا منع الله القطر عن أهل الأرض، وإنما يصيب الطير من الحب والثمرة على قدر المطر. قال الشاعر:

يسقط الطير حيث يُلتقط الحَبْـ
ـبُ وتغشى منازل الكرماء

وهى من أكثر الطير حيلة فى تحصيل الرزق، ومع ذلك تموت جوعًا لهذا السبب فسبحان القادر على ما يشاء. وولدها يقال له « نهار» وفرخ الكروان يقال له « ليل » قال الشاعر:

ونهارًا رأيت منتصف الليـ
ـل وليلاً رأيت وسط النهار

ثم يذكر الدميرى كعادته الحكم الشرعى بشأن أكل لحم الحبارى فيقول: يحل أكلها لأنها من الطيبات. روى أبو داود والترمذى عن يزيد بن عمر بن سفينة مولى رسول الله ﷺ عن أبيه عن جده أنه قال: أكلت مع رسول الله ﷺ حُبارى. قال الترمذى: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

ثم يذكر الأمثال التى جاء فيها ذكر الحبارى فيقول: قال عثمان: كل شىء يحب ولده حتى الحبارى، وإنما خصها بالذكر لأنها يُضرب بها المثل فى الحمق، فهى على حمقها تحب ولدها فتطعمه وتعلّمه الطيران كغيرها من الحيوان. وقالوا: « أسلح من الحبارى حالة الخوف، وأسلح من الدجاج حالة الأمن » وقالوا: الحبارى خالة الكروان، وقالوا: أقصر من إبهام الحبارى ومن إبهام القطاة.

أما عن خواص الحبارى فيقول الدميرى: لحم الحبارى بين لحم الدجاج ولحم البط فى الغلظ وهو أخف من لحم البط لأنه برّى وهو حار رطب جدا وأجوده المخاليف المكدودة قبل الذبح.

وهو نافع لتسكين الرياح لكنه يضر بالمفاصل والقولنج، ويدفع ضرره الدارصينى والزيت والخل. ويتولد منه دم بلغمى، ويوافق أصحاب الأمزجة الباردة من الشبان، لا سيما إذا أكل فى الشتاء وفى البلاد الباردة. وقال صاحب تقويم الصحة: يكره لحم الحبارى لغلظه وعسر انهضامه، وأجوده ما طبخ بعد أن يمضى عليه يومان، ثم يغرز فى صدره وأفخاذه الثوم الكثير والفلفل، ويعمل وهو إذا انهضم ولّد غذاءً كثيرًا. وما كان منه مخلفا خير مما كان عتيقا، ويجب أن يتناول بعده حلواء العسل انتهى. وقال ارسطاطاليس فى النعوت: بيض الحبارى ما كان منه ذكرًا يسوِّد الشعر ويبقى صبغه سنة لا ينصل، وما كان منه أنثى لا يسوّد الشعر، ويعرف ما يسود الشعر بأن يؤخذ خيط فيدخل فى إبره ويدخل فى بيضه فإذا اسود الخيط صبغ بها وإلا فلا (حياة الحيوان الكبرى ١/ ٢٠٥، ٢٠٦).

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني / ٢٧٢، وحياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى ١/ ٢٠٥، ٢٠٦).

*** ابن حِبّان (٣٥٤هـ/ ٩٦٥م):**

ذكره صاحب معجم البلدان فى مادة «بست» وقال عنه:

وأبو حاتم محمد بن حِبَّان بن معاذ بن معبد بن سعيد بن شهيد التميمى، كذا نسبه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد البخارى المعروف بغنجار، ووافقه غيره إلى معبد، ثم قال: ابن هُدبة بن مرة بن سعد بن يزيد بن مرة بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ابن مُرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر الإمام العلامة الفاضل المتقن، كان مكثرًا من الحديث والرحلة والشيوخ، عالمًا بالمتون والأسانيد، أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره، ومن تأمل تصانيفه تأمل مُنصفٍ علم أن الرجل كان بحرًا فى العلوم، سافر ما بين الشاش والإسكندرية، وأدرك الأئمة والعلماء والأسانيد العالية، وأخذ فقه الحديث والفرض على معانيه عن إمام الأئمة أبى بكر بن خزيمة، ولازمه وتلمذ له، وصارت تصانيفه عُدةً لأصحاب الحديث غير أنها عزيزة الوجود، سمع ببلده بُست أبا أحمد إسحاق بن إبراهيم القاضى وأبا الحسن محمد بن عبد الله بن الجنيد البستى، وبهراة أبا بكر محمد بن عثمان بن سعد الدارمى، وبمرو أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن عبد الله بن محمود بن سليمان السعدى وأبا يزيد محمد بن يحيى بن خلاد المدينى، وبقرية سنج أبا على الحسين بن محمد بن مصعب السنجى وأبا عبد الله محمد بن نصر بن ترقُل الهورقانى، وبالصغد بما وراء النهر أبا حفص عمر بن محمد بن يحيى الهمدانى، وبِنَسا أبا العباس الحسن بن سُفيان الشيبانى ومحمد بن عمر بن يوسف ومحمد بن محمود بن عدى النسويّين، وبنيسابور أبا العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم السرّاج الثقفى وأبا محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن شيرويه الأزدى، وبأرغيان أبا عبد الله محمد بن المسيب بن إسحاق الأرغيانى، وبجرجان عمران بن موسى بن مجاشع وأحمد بن محمد بن عبد الكريم الوزّان الجرجانيين، وبالرى أبا القاسم العبّاس بن الفضل بن عاذان المقرى وعلى بن الحسن بن مسلم الرازى، وبالكرج أبا عمارة أحمد بن عمارة بن الحجاج الحافظ والحسين بن إسحاق الأصبهانى، وبعسكر مُكرم أبا محمد عبد الله بن أحمد بن موسى الجواليقى المعروف بعبدان الأهوازى، وبتستر أبا جعفر أحمد بن محمد بن يحيى بن زهير الحافظ، وبالأهواز أبا العابس محمد بن يعقوب الخطيب، وبالأُبلة أبا يعلى محمد بن زهير والحسين بن محمد بن بِسْطام الأُبليَّين، وبالبصرة أبا خليفة الفضل بن الحباب الجُمحى وأبا يحيى زكرياء بن يحيى الساجى وأبا سعيد عبد الكريم بن عمر الخطابى، وبواسط أبا محمد جعفر بن أحمد بن سِنان القطان والخليل بن محمد الواسطى ابن بنت تميم بن المنتصر، وبفم الصِّلح عبد الله بن قحطبة بن مرزوق الصِّلحى، وبنهر سابُس قرية من قرى واسط خلَّاد بن محمد بن خالد الواسطى، وببغداد أبا العباس حامد بن محمد بن شُعيب البلخى وأبا أحمد الهيثم بن خلف الدُّورى وأبا القاسم عبد الله بن محمد ابن عبد العزيز البغوى، وبالكوفة أبا محمد عبد الله بن زيدان البجلى، وبمكة أبا بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابورى الفقيه صاحب كتاب الأشراف فى اختلاف الفقهاء، وأبا سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم الجندى، وبسامرا على بن سعيد العسكرى عسكر سامرًّا، وبالموصل أبا يعلى أحمد بن على بن المثنى الموصلى وهارون بن المسكين البلدى وأبا جابر زيد بن على بن عبد العزيز بن حيَّان الموصلى وروح بن عبد المجيب الموصلى، وببلد سنجار على بن إبراهيم بن الهيثم الموصلى، وبنصيبين أبا السرى هاشم بن يحيى النصيبينى ومسدد بن يعقوب بن إسحاق الفلوسى، وبكفر توثا من ديار ربيعة محمد بن الحسين بن أبى معشر السلمى، وبسرغامرطا من ديار مضر أبا بدر أحمد ابن خالد بن عبد الملك بن عبد الله بن مسرح الحرّانى، وبالرافقة محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن فروخ البغدادى، وبالرقة الحسين بن عبد الله بن يزيد القطان، وبمنج عمر بن سعيد بن سِنان الحافظ وصالح بن الأصبغ بن عامر التنوخى، وبحلب على بن أحمد بن عمران الجرجانى، وبالمصيصة أبا طالب أحمد بن داود بن محسن بن هلال المصيصى، وبأنطاكية أبا على وصيف بن عبد الله الحافظ، وبطرسوس محمد بن يزيد الدَّرَقى وإبراهيم بن أبى أمية الطرسوسى، وبأذنة محمد بن علان الأذنى، وبصيداء محمد بن أبى المعافى بن سليمان الصيداوى، وببيروت محمد بن عبد الله ابن عبد السلام البيروتى المعروف بمكحول، وبحمص محمد

ابن عبيد الله بن الفضل الكُلاعى الراهب، وبدمشق أبا الحسن أحمد بن عُمير بن جوصاء الحافظ وجعفر بن أحمد ابن عاصم الأنصارى وأبا العباس حاجب بن أركين الفرغانى الحافظ، وبالبيت المقدس عبد الله بن محمد بن مسلم المقدسى الخطيب، وبالرَّملة أبا بكر محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلانى، وبمصر أبا عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على النَّسائى وسعيد بن داود بن وردان المصرى وعلى بن الحسين بن سليمان المعدل وجماعة كثيرة من أهل هذه الطبقة سوى من ذكرناهم.

روى عنه الحاكم أبو عبد الله الحافظ وأبو عبد الله بن منده الأصبهانى وأبو عبد الله محمد بن أحمد الغنجار الحافظ الذُّهلى الهروى وأبو مسلمة محمد بن محمد بن داود الشافعى وجعفر بن شعيب بن محمد السمرقندى والحسن بن منصور الأسفيجابى والحسن بن محمد بن سهل الفارسى وأبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن هارون الزوزنى وأبوعبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن خُشنام الشروطى وجماعة كثيرة لا تحصى.

أخبرنا القاضى الإمام أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبى الفضل الأنصارى الحرستانى إذنًا عن أبى القاسم زاهر بن طاهر الشحامى عن أبى عثمان سعيد البُحتُرى قال: سمع الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول: أبو حاتم البستى القاضى كان من أوعية العلم فى اللغة والفقه والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال، صنف فخرج له من التصنيف فى الحديث ما لم يُسبق إليه، وولى القضاء بسمرقند وغيرها من المدن ثم ورد نيسابور سنة ٣٤٤، وحضرناه يوم جمعة بعد الصلاة فلما سألناه الحديث نظر إلى الناس وأنا أصغرهم سِنًّا فقال: استمل، فقلت: نعم، فاستمليت عليه، ثم أقام عندنا وخرج إلى القضاء بنيسابور وغيرها وانصرف إلى وطنه، وكانت الرحلة بخراسان إلى مصنفاته.

أخبرنا أبو اليمن زيد بن الحسن الكندى شفاهًا قال: أخبرنا القاضى أبو بكر محمد بن عبد الباقى إذنًا عن أبى بكر أحمد بن على بن ثابت كتابة قال: ومن الكُتُب التى تكثر منافعها إن كانت على قدر ما ترجمها به واضعُها مصنفات أبى حاتم محمد بن حِبّان البُستى التى ذكرها لى مسعود بن ناصر السجزى ووقفنى على تذكرة بأسمائها، ولم يقدر لى الوصول إلى النظر فيها لأنها غير موجودة بيننا ولا معروفة عندنا، وأنا أذكر منها ما استحسنته سوى ما عدلت عنه واطرحتُه.

فمن ذلك كتاب الصحابة خمسة أجزاء، وكتاب التابعين اثنا عشر جزءًا، وكتاب اتباع التابعين خمسة عشر جزءًا، وكتاب تبع الاتباع سبعة عشر جزءًا، وكتب تُبَّاع التبع عشرون جزءًا وكتاب الفصل بين النقلة عشرة أجزاء وكتاب علل أوهام أصحاب التواريخ عشرة أجزاء، وكتاب علل حديث الزُّهرى عشرون جزءًا، وكتاب علل حديث مالك عشرة أجزاء، وكتاب علل مناقب أبى حنيفة ومثالبه عشرة أجزاء، وكتاب علل ما استند إليه أبو حنيفة عشرة أجزاء، وكتاب ما خالف الثَّورى شعبة ثلاثة أجزاء، وكتاب ما انفرد فيه أهل المدينة من السُّنن عشرة أجزاء، وكتاب ما انفرد به أهل مكة من السنن عشرة أجزاء، وكتاب ما عند شُعبة عن قتادة وليس عند سعيد عن قتادة جزآن، وكتاب غرائب الأخبار عشرون جزءًا، وكتاب ما أغرب الكوفيون عن البصريين عشرة أجزاء، وكتاب ما أغرب البصريون عن الكوفيين ثمانية أجزاء، وكتاب أسامى من يُعرف بالكُنى ثلاثة أجزاء، وكتاب كُنى من يُعرف بالأسامى ثلاثة أجزاء، وكتاب الفصل والوصل عشرة أجزاء، وكتاب التمييز بين حديث النضر الحُدانى والنضر الخزَّاز جزآن، وكتاب الفصل بين حديث أشعث بن مالك وأشعث بن سُوار جزآن، وكتاب الفصل بين حديث منصور بن المعتمر ومنصور بن راذان ثلاثة أجزاء، وكتاب الفصل بين مكحول الشامى، ومكحول الأزدى جزءٌ، وكتاب موقوف ما رُفع عشرة أجزاء، وكتاب آداب الرجالة جزآن، وكتاب ما أسند جُنادة عن عُبادة جزءٌ، وكتاب الفصل بين حديث نور بن يزيد ونور بن زيد جزءٌ، وكتاب ما جعل عبد الله بن عمر عبيد الله بن عمر جزآن، وكتاب ما جعل شيبان سفيان أو سفيان شيبان ثلاثة أجزاء، وكتاب مناقب مالك بن أنس جزآن، وكتاب مناقب الشافعى جزآن، وكتاب المعجم على المُدُن عشرة أجزاء، وكتاب المُقِلين من الحجازيين عشرة أجزاء، وكتاب المُقلين من العراقيين عشرون جزءًا، وكتاب الأبواب المتفرقة ثلاثون جزءًا، وكتاب الجمع بين الأخبار المتضادة جزآن، وكتاب وصف المعدل والمعدّل جزآن، وكتاب الفصل بين حدَّثنا وأخبرنا جزءٌ، وكتاب وصف العلوم وأنواعها ثلاثون جزءًا، وكتاب الهداية إلى علم السنن، قصد فيه إظهار الصناعتين

اللتين هما صناعة الحديث والفقه، يذكر حديثًا ويترجم له ثم يذكر من يتفرَّد بذلك الحديث ومن مفاريد أى بلد هو ثم يذكر كل اسم فى إسناده من الصحابة إلى شيخه بما يُعرف من نسبته ومولده وموته وكنيته وقبيلته وفضله وتيقظه ثم يذكر ما فى ذلك الحديث من الفقه والحكمة، فإن عارضه خبر ذكره وجمع بينهما، وإن تضاد لفظةٌ فى خبر آخر تلطف للجمع بينهما حتى يعلم ما فى كل خبر من صناعة الفقه والحديث معًا، وهذا من أنبل كُتبه وأعزِّها.

قال أبو بكر الخطيب: سألت مسعود بن ناصر يعنى السجزى فقلت له: أكلُّ هذه الكُتب موجودة عندكم ومقدور عليها ببلادكم؟ فقال: إنما يوجد منها الشيء اليسير والنزرُ الحقير، قال: وقد كان أبو حاتم بن حبان سَبَّل كُتبه ووقفها وجمعها فى دار رسمها لها، فكان السبب فى ذهابها مع تطاول الزمان ضعف السلطان واستيلاء ذوى العيث والفساد على أهل تلك البلاد.

قال الخطيب: ومثل هذه الكتب الجليلة كان يجب أن يكثر بها النسخ فيتنافس فيها أهل العلم ويكتبوها ويجلدوها إحرازًا لها، ولا أحسب المانع من ذلك كان إلا قلة معرفة أهل تلك البلاد بمحلّ العلم وفضله وزُهدهم فيه ورغبتهم عنه وعدم بصيرتهم به والله أعلم.

قال الإمام تاج الإسلام: وحصل عندى من كتبه بالإسناد المتصل سماعًا كتاب التقاسيم والأنواع، خمسة مجلدات، قرأتها على أبى القاسم الشّحّامى عن أبى الحسن النُّخانى عن أبى هارون الزوزنى عنه، وكتاب روضة العقلاء، قرأته على حنبل السجزى عن أبى محمد النونى عن أبى عبد الله الشروطى عنه، وحصل عندى من تصانيفه غير مُسندة عدةُ كتب: مثل كتاب الهداية إلى علم السنن من أوله قدر مجلدين، وله، وهو أشهر من هذه كلها، كتاب الثقات وكتاب الجرح والتعديل وكتاب شعب الإيمان وكتاب صفة الصلاة، أدرك عليه فى كتاب التقاسيم فقال: فى أربع ركعات يصليها الإنسان ستمائة سنة عن النبى ﷺ أخرجناها بفصولها فى كتاب صفة الصلاة فأغنى ذلك عن نظمها فى هذا النوع من هذا الكتاب.

قال أبو سعد: سمعت أبا محمد الحسن بن أحمد السمرقندى سمعت أبا بشر عبد الله بن محمد بن هارون سمعت عبد الله بن محمد الاستراباذى يقول: أبو حاتم بن حبان البُستى كان على قضاء سمرقند مدة طويلة، وكان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار والمشهورين فى الأمصار والأقطار، عالمًا بالطب والنجوم وفنون العلم، ألَّف كتاب المسند الصحيح والتاريخ والضعفاء والكُتب الكثيرة من كل فنّ.

أخبرتنى الحرة زينب الشعرية إذنًا عن زاهر بن طاهر عن أحمد بن الحسين الإمام، سمعت الحافظ أبا عبد الله الحاكم يقول: أبو حاتم بن حبان داره التى هى اليوم مدرسة لأصحابه ومسكن للغرباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والمتفقهة، ولهم جرايات يستنفقونها داره، وفيها خزانة كُتبه فى يدى وصى سلمها إليه ليبذلها لمن يريد نسخ شيء منها فى الصفة من غير أن يخرجه منها، شكر الله له عنايته فى تصنيفها وأحسن مثوبته على جميل نيته فى أمرها بفضله ورأفته...

قال أبو يعقوب إسحاق بن أبى إسحاق القرّاب: سمعت أحمد بن محمد بن صالح السجستانى يقول: توفى أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبان سنة ٣٥٤، وعن شيخنا أبى القاسم الحرستانى عن أبى القاسم الشحامى عن أبى عثمان سعيد بن محمد البحترى، سمعت محمد بن عبد الله الضبى يقول: توفى أبو حاتم البستى ليلة الجمعة لثمانى ليال بقين من شوال سنة ٣٥٤، ودفن بعد صلاة الجمعة فى الصفة التى ابتناها بمدينة بُست بقرب داره، وذكر أبو عبد الله الغنجار الحافظ فى تاريخ بُخارى أنه مات بسجستان سنة ٣٥٤ وقبره ببست معروف يزار إلى الآن، فإن لم يكن نُقل من سجستان إليها بعد الموت وإلا فالصواب أنه مات ببست (معجم البلدان ١/ ٤١٥ ـ ٤١٩).

وقد ذكره صاحب الرسالة المستطرفة بين الكتب التى التزم أهلها فيها الصحة من غير الموطأ والصحيحين فقال: وصحيح أبى حاتم محمد بن حِبّان ... أحد الحفاظ الكبار... وهو المسمى بالتقاسيم والأنواع فى خمس مجلدات، وترتيبه مخترع ليس على الأبواب ولا على المسانيد، والكشف منه عسر جدا، وقد رتبه بعض المتأخرين على الأبواب ترتيبًا حسنًا وهو الأمير علاء الدين أبو الحسن على بن بلبان بن عبد الله

الفارسى الحنفى الفقيه النحوى المتوفى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة وسمّاه « الإحسان فى تقريب صحيح ابن حِبّان » كما أنه رتب معجم الطبرانى الكبير على الأبواب أيضًا، وصحيح ابن حبّان هذا موجود الآن بتمامه بخلاف صحيح ابن خزيمة فقد عدم أكثره كما قال السخاوى. وقد قيل إن أصح من صنّف فى الصحيح بعد الشيخين ابن خزيمة فابن حبان. اهـ(الرسالة المستطرفة / ١٦، ١٧).

ويضيف فضيلة الشيخ محمد محمد أبو زهو إلى ذلك قوله:

وقد نسبوا إليه التساهل فى التصحيح إلا أن تساهله أقل من تساهل الحاكم. قال الحازمى: « ابن حبان أمكنُ فى الحديث من الحاكم ».

ثم يقول فضيلة الشيخ محمد محمد أبو زهو معلقا على ذلك:

ومنشأ تساهل ابن حبان أنه كان يقول: « من كان منكر الحديث على قلته لا يجوز تعديله إلا بعد السبر. ولو كان ممن يروى المناكير ووافق الثقات فى الأخبار لكان عدلاً مقبول الرواية إذ الناس فى أقوالهم على الصلاح والعدالة حتى يتبين منهم ما يوجب القدح هذا حكم المشاهير، فأما المجاهيل الذين لم يرو عنهم إلا الضعفاء فهم متروكون على الأحوال كلها ». قال ابن حجر فى مقدمة لسان الميزان بعد أن حكى قوله هذا: « وهذا الذى ذهب إليه ابن حبان من أن الرجل إذا انتفت جهالة عينه كان على العدالة حتى يتبين جرحه مذهب عجيب والجمهور على خلافه وهذا هو مسلك ابن حبان فى كتاب الثقات فإنه يذكر خلقًا ممن نص عليهم أبو حاتم وغيرهم على أنهم مجهولون. وقد أفصح ابن حبان بقاعدته فقال: العدل من لم يعرف فيه الجرح إذ التجريح ضد التعديل فمن لم يجرح فهو عدل حتى يتبين جرحه إذ لم يكلف الناس ما غاب عنهم، وقال فى ضابط الحديث الذى يحتج به: إذا تعرى راويه من أن يكون مجروحًا أو فوقه مجروح أو دونه مجروح أو كان سنده مرسلاً أو منقطعًا أو كان المتن منكرًا. اهـ.

فمن هذا ترى أن ابن حبان يحكم للرجل بالعدالة إذا انتفت جهالة عينه (وجهالة العين ترفع عنده برواية واحد مشهور وهو مذهب شيخه ابن خزيمة. ومجهول العين عند الجمهور هو كل من لم يعرفه العلماء ومن لم يعرف حديثه إلا من جهة راو واحد) حتى يتبين جرحه، وهذا خلاف ما عليه الجمهور فإن جهالة العين عندهم لا تزول إلا برواية عدلين فصاعدًا عن المجهول وتعيينهما له ومع ذلك لا يثبت له حكم العدالة بروايتهما هذه. وزعم قوم أن يكون العدل لا يعرف عدالته فلا تكون روايته عنه تعديلاً له ولا خبرًا عن صدقه، وقد وجد من جماعة من الثقات الرواية عن جماعة غير مرضيين أمسكوا فى بعضها عن ذكر أحوالهم وفى بعضها شهدوا عليهم بالكذب، فراوية العدل أو العدلين أو الأكثر عن راو لا يعد توثيقًا له خلافًا لما ذهب إليه ابن حبان ومن هنا نرى أن إطلاق الصحيح على كتابه فيه تجوز لأن كلامه فى الرواة يدخل عليه الحسن وقد حاول بعض العلماء الدفاع عنه. فقال: « إن كانت نسبة التساهل إليه باعتبار وجدان الحسن فى كتابه فهى مشاحة فى الاصطلاح لأنه يسميه صحيحًا وإن كانت باعتبار خفة شروطه فإنه يخرج فى الصحيح ما كان راويه ثقة غير مدلس سمع من شيخه وسمع منه الآخذ عنه ولا يكون هناك إرسال ولا انقطاع وإذا لم يكن فى الراوى جرح ولا تعديل وكان كل من شيخه والراوى عنه ثقة ولم يأت بحديث منكر فهو عنده ثقة وفى كتاب الثقات له كثير ممن هذه حاله ولأجل هذا ربما اعترض عليه فى جعلهم ثقات من لم يعرف اصطلاحه ولا اعتراض عليه فإنه لا مشاحة فى ذلك فابن حبان وفّى بما التزمه من الشروط بخلاف الحاكم » (الحديث والمحدثون / ٤٢٦، ٤٢٧).

ومن مصنفات ابن حبان أيضًا « التاريخ » و« الضعفاء »، و« فقه الناس » (السنة النبوية وعلومها / ٣٨٥).

(معجم البلدان لياقوت الحموى ١/ ٤١٥ ـ ٤١٩، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى / ١٦، ١٧، والحديث والمحدثون ـ محمد محمد أبو زهو / ٤٢٦، ٤٢٧، والسنة النبوية وعلومها ـ د. أحمد عمر هاشم / ٣٨٥. انظر أيضًا الأعلام للزركلى ٦/ ٧٨ وقد أدرجه تحت اسم « أبو حاتم البستى »).

*** الحبائك فى أخبار الملائك:**

رسالة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى أولها:

أما بعـد حمدًا لله جـاعل الملائكـة ... إلخ استوعب فيهـا ما وردت به الأحاديث والآثار (كشف ١/ ٦٢٩).

يوجد مخطوطه فى خزانة مخطوطات عباس العزّاوى، من الخزائن الخطية الخاصة فى قسم المخطوطات بدائرة الآثار والتراث ببغداد.

نسخة جيدة كتبها محمد قاسم الطرابلسى سنة ١٠٢٥هـ / ١٦١٦م.

الرقم ١١١١١.

القياس ٥٧ص ٢٩ × ٣٠سم ٣١س.

معجم المؤلفين ٥/ ١٢٨.

نشره عبد الله الصديق فى القاهرة سنة ١٩٦٤م.

ذخائر التراث ١/ ٥٩٥.

(« مخطوطات عباس العزّاوى » ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس. مجلة المورد ـ بغداد، المجلد السابع عشر، العدد الثانى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م/ ١٩١، ١٩٢).

قالت المؤلفة: النسخة التى عندى الناشر هو مطبعة دار التأليف ـ صححه وعلّق حواشيه أبو الفضل عبد الله الصِّديق، وهى بدون تاريخ وتقع فى ٢٢٧ صفحة والفهرس ٣ ص.

*** الحبر:**

الحبر: بفتح الحاء وكسرها لغتان واختار ابن قتيبة فى أدب الكاتب الحبر بالكسر وبه سمى الحبر الذى يكتب به والجارى على ألسنة الناس الفتح. واللقب من ألقاب أكابر العلماء والحبرى نسبة إليه للمبالغة (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى/ ١٠١).

قال الإمام النووى:

الحبر الذى يكتب به مكسور الحاء وأما العالم فيقال بفتح الحاء وكسرها لغتان مشهورتان والمحبرة وعاء الحبر وفيها لغتان فتح الميم وكسرها وممن ذكر اللغتين فيها شيخنا جمال الدين بن مالك رضى الله تعالى عنهما فى كتابه المثلث قوله برد حبرة هو بكسر الحاء وفتح الباء كعنبة وهى مفردة والجمع حبر وحبرات كعنبة وعنب وعنبات ويقال برد حبرة على الوصف وبرد حبرةٍ على الإضافة وهو أكثر فى استعمالهم ويقال برد حبير على الوصف وهو ثوب يمان يكون من قطن أو كتان مخطط محبر أى مزين والتحبير التزيين والتحسين (تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ٦١).

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى عن صبح الأعشى للقلقشندى ٦/ ١٢، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ٣/ ٦١).

*** حَبْرون:**

حبرون: مدينة كنعانية تعد من أقدم المدن الفلسطينية قبل عصر موسى، وسميت أيضًا « ممرا » و « أربع » تقع على بعد (٤٤) كيلو مترًا جنوبى القدس، سكنها الأنبياء: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، لا زالت تعرف بحبرون الزاهرة.

والخليل نسبة إلى إبراهيم، فيها جامع يحتوى على أضرحة إبراهيم وإسحاق ويعقوب مع نسائهم: سارة ورفقة وليئة، وهؤلاء حسب نص التوراة دفنوا جميعًا فى حبرون فى مغارة حقل المكفيلة أمام ممرا التى هى حبرون.

وكانت حبرون مقرًا لداود إلى أن جعل أورشليم عاصمة (من كتاب معجم البلدان ١/ ١٩٧ هامش ١).

قال عنها ياقوت:

حَبْرُون: بالفتح ثم السكون وضم الراء وسكون الواو، ونون.

اسم القرية التى فيها قبرُ إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ بالبيت المقدّس، وقد غلب على اسمها الخليلُ، ويقال لها أيضًا: (حَبْرى) وروى عن كعب الحبْر أنَّ أول من مات ودفن فى حبرى (سارة) زوجة إبراهيم، عليه السلام، وأن إبراهيم خرج لما ماتت يطلب موضعًا لقبرها فقدم على صفوان وكان على دينه، وكان مسكنه ناحية حبرى، فاشترى الموضع منه بخمسين درهمًا، وكان الدرهم فى ذلك العصر خمسة دراهم، فدفن فيه (سارة) ثم دُفن إبراهيم إلى جنبها. ثم توفيت (ربقة) زوجة إسحاق عليه السلام، فدفنت فيه، ثم توفى إسحاق فدفن فيه لزيقها. ثم توفى يعقوب، عليه السلام، فدفن فيه ثم توفيت زوجته (لعيا)، ويقال: إيليا فدفنت فيه إلى أيام سليمان بن داود، عليهما السلام، فأوحى الله إليه أن ابن على قبر خليلى حَيْرًا ليكون لزوّاره بعدك، فخرج سليمان عليه السلام حتى قدم أرض كنعان وطاف فلم يُصبه، فرجع إلى البيت المقدس، فأوحى الله إليه: يا سليمان، خالفت أمرى؟ فقال: يا رب لم أعرف الموضع، فأوحى إليه: امضِ فإنَّك ترى نورًا من السماء إلى الأرض، فهو موضع

خليلى، فخرج فرأى ذلك، فأمر أن يُبنى على الموضع الذى يُقال له: الرامة، وهى قرية على جبل مطلٍّ على حبرون، فأوحى إليه: ليس هذا هو الموضع، ولكن انظر إلى النور الذى قد التزق بعنان السماء، فنظر فكان على حبرون فوق المغارة فبنى عليه الحير.

قالوا: وفى هذه المغارة قبرُ آدم، عليه السلام، وخلف الحير قبرُ يوسف الصديق جاء به موسى عليه السلام من مصر. وكان مدفونًا فى وسط النيل فدفن عند آبائه، وهذه المغارة تحت الأرض، قد بُنى حوله حير مُحكم البناء حُسِّن بالأعمدة الرخام وغيرها، وبينها وبين البيت المقدس يومٌ واحد. وقدم على النبى ﷺ تميمٌ الدارى فى قومه وسأله أن يقطعه حبرون فأجابه وكتب له كتابًا نُسخته:

« بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى محمد رسول الله ﷺ، لتميم الدارىّ وأصحابه. إنى أعطيتكم بيت عينون وحبرون والمرطوم وبيت إبراهيم بذمتهم، وجميع ما فيهم عطية بتّ ونفذتُ وسلمت ذلك لهم ولأعقابهم بعدهم أبدَ الآبدين، فمن آذاهم فيه آذى الله. شهد أبو بكر بن أبى قحافة وعمر وعثمان وعلىّ بن أبى طالب ».

انظر ترجمة تميم الدارى فى م ١٠/ ٤٤٤ ـ ٤٤٦ من هذه الموسوعة.

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٢/ ٢١٢، ٢١٣، ومن كتاب معجم البلدان ـ اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها عبد الإله نبهان ١/ ١٩٧ ـ ٢١٢ وهامش ١ ص ١٩٧).

*** حبش الحاسب:**

من علماء الرياضيات والفلك المسلمين قال عنه قدرى حافظ طوقان رحمه الله: ظهر فى عصر « المأمون » ولم تكتب عنه المصادر شيئًا جديرًا بالاعتبار، ويقول ابن النديم (الفهرست / ٣٨٤) إنه جاوز سنّ المائة.

قضى معظم أوقاته فى المطالعة والبحث فى كتب الأقدمين فى مختلف الفروع، وهو من الذين كتبوا كثيرًا فى الفلك وآلات الرصد.

ويقال إنه عمل أول جدول للظل وللظل تمام، ويوجد هذا الجدول فى إحدى المخطوطات فى « برلين ».

ويظهر أن « حبشًا الحاسب » استعمل القاطع أيضًا.

وله عدة تآليف منها:

« ثلاثة أزياج »، أولها: المؤلف على مذهب « السند هند »، خالف فيه « الفزارى » و « الخوارزمى » فى عامة الأعمال، واستعماله لحركة إقبال البروج وإدباره على رأى « ثاون الإسكندرانى » واتضح له بها مواضع الكواكب فى الطول.

وثانيها: « الزيج الممتحن » وهو أشهر ما له، ألّفه بعد أن رجع إلى معاناة الرصد، وضمنه حركات الكواكب على ما يوجبه الامتحان فى زمانه ... » (صاعد الأندلسى: طبقات الأمم/ ٨٦).

ومما يدل على منزلة هذا الزيج وفضل مؤلفه، كون « أبى الريحان البيرونى » دافع عن « الزيج الممتحن » فى كتابين من كتبه (صالح زكى: آثار باقية مجلد ١/ ١٥٧)، وقد لقب « حبش الكاتب الحاسب » « بالحيكم حبش فى كتابه و « الآثار الباقية عن القرون الخالية (البيرونى: الآثار الباقية / ١٩٨).

وثالثها: « الزيج الصغير » المعروف « بالشاه » (صاعد الأندلسى: طبقات الأمم/ ٨٦).

وله أيضًا « كتاب الأبعاد والأجرام » « كتاب عمل الاسطرلاب »، « كتاب الرخائم والمقاييس »، « كتاب الدوائر الثلاث المماسة وكيفية الأوصال »، كتاب عمل السطوح المبسوطة والقائمة والمائلة والمنحرفة » (الفهرست / ٣٨٤). وقد لاحظت أن « لحبش » أيضًا زيجين آخرين غير الثلاثة المذكورة: « الزيج الدمشقى »، و « الزيج المأمونى »، وهذان الزيجان مذكوران فى كتابَى « تاريخ الحكماء » و « الفهرست ».

ويقول صاحب كتاب « آثار باقية » إن هذين الزيجين، قد يكونان كناية عن « الزيج الممتحن » (صالح زكى: آثار باقية ١/ ١٥٧).

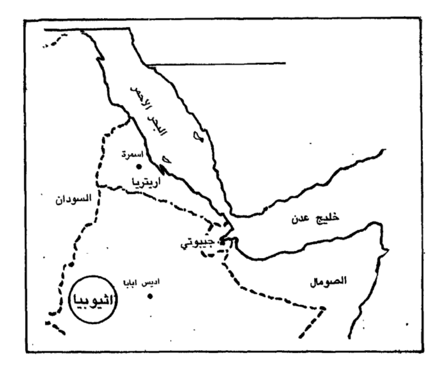
(تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ـ قدرى حافظ طوقان / ١٨٥، ١٨٦. انظر أيضًا الفهرست لابن النديم / ٣٨٤).

انظر: الأزياج (علم ـ) م٤/ ١٢٧ ـ ١٢٩.

*** الحبشة (إثيوبيا):**

أحد بلاد شمال شرق إفريقية، يحف بها البحر الأحمر من الشمال والشمال الشرقى، يحدها السودان من الغرب، وكينيا من الجنوب، والصومال وجيبوتى من الشرق وعاصمتها «أديس أبابا» ويبلغ عدد السكان حتى عام ١٩٨٣، ٢٩,٣ مليون نسمة، وعدد المسلمين منهم ١٦ مليونا (٥٥٪) (جغرافية العالم الإسلامى / ١٥٨).

اسمها الحالى « إثيوبيا » واسمها القديم الذى عرفت به فى التاريخ الإسلامى هو « الحبشة » التى كانت إليها الهجرة الأولى للمسلمين ، ومن ثم دخل الإسلام هذه البلاد فقد عرف العرب الحبشة منذ العصر الجاهلى . ولما اختار الله سبحانه محمدا ﷺ لتبليغ رسالته، وبعثه بالهدى ودين الحق إلى الناس كافة، صادف الرسول الكريم فى سبيل دعوته ضروبا من الأذى، ولاقى صنوفا من الهوان... بيد أنه صبر وثابر. وقد نال أصحابه من الاضطهاد والهوان ما ضيق فى وجوههم المسالك، وترصدتهم المهالك فى كل طريق، وأوذوا فى أنفسهم وأموالهم، فقال لهم الرسول صلوات الله عليه: «اخرجوا إلى جهة أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » (الإسلام فى المشارق والمغارب / ٩٨، ٩٩).



فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفرارًا إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت فى الإسلام.

أوائل المهاجرين إلى الحبشة قال ابن إسحاق: وكان أول من خرج من المسلمين من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر: عثمان بن أبى العاص بن أمّية معه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ.

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف: أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو، أحد بن عامر بن لؤى، وولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبى حذيفة.

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى: الزبير بن العوام ابن خويلد بن أسد.

ومن بنى عبد الدار بن قصى مصعب بن عمير بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار.

ومن بنى زهرة بن كلاب: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة.

ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة: أبو سلمة بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، معه امرأته أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب: عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح.

ومن بنى عدى بن كعب: عامر بن ربيعة، حليف آل الخطاب، من عنز بن وائل - معه امرأته ليلى بنت أبى حثمة ابن حذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب.

ومن بنى عامر بن لؤى: أبو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر، ويقال: بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر، ويقال: أول من قدمها.

ومن بنى الحارث بن فهر: سهيل ابن بيضاء وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث، فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة فيما بلغنى.

قال ابن هشام: وكان عليهم عثمان بن مظعون، فيما ذكر لى بعض أهل العلم.

قال ابن إسحاق: ثم خرج جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة، فكانوا بها، منهم من خرج بأهله معه، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل معه ...

عدد مهاجرى الحبشة: فكان جميع من لحق بأرض الحبشة، وهاجر إليها من المسلمين، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغارا وولدوا بها، ثلاثة وثمانين رجلا، إن كان عمار بن ياسر فيهم، وهو يُشكّ فيه ... (السيرة النبوية ١/ ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٦).

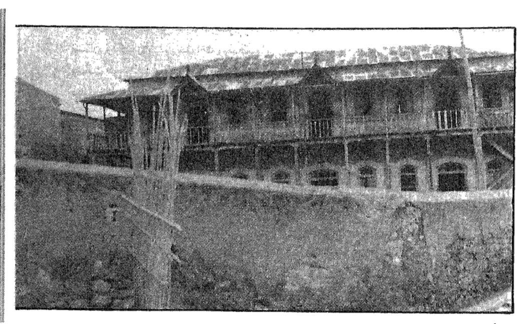
لقد خرجوا مهاجرين إلى الحبشة، وعدتهم ثلاثة وثمانون رجلا وثمانى عشرة امرأة، وعلى رأسهم جعفر بن أبى طالب، وأوفدت قريش فى أثرهم عمرو بن العاص - وكان وقتئذ على دين قريش - وعمارة بن الوليد بن المغيرة، ومعهما هدية إلى النجاشى ملك الحبشة، لكى يرد إلى مكة من هاجر إلى بلاده من المسلمين.

فلما دخل عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد

أحد مساجد مدينة هرر القديمة

على النجاشي، سجدا له، وجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، وقالا: « إن نفرا من بني عمنا نزلوا أرضك، فرغبوا عنا وعن آلهتنا، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم. وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قريش لتردوهم إليهم ».

فقال النجاشي: « وأين هم ؟ ». قالوا « بأرضك أرسل في طلبهم ». فانتفض النجاشي من مكانه، وقال في عزم وإصرار ورباطة جأش: « والله لا أسلم حتى أعلم على أي شيء هم ».



مدرسة إسلامية مهجورة

فأراد عمرو بن العاص أن يستخدم دهاءه - وكان معروفا بالدهاء - حتى يظفر برضا ملك الحبشة، ويوغر صدره على المسلمين فيسلمهم فقال: « يا أيها الملك العظيم. إنهم قوم لا يسجدون للملك إذا دخلوا عليه رغبة عن سنتكم ودينكم». ولكن النجاشي أراد أن يتأكد من ذلك بنفسه، فأمر بإحضارهم ليعلم صدق حديثهم، ويقف بنفسه على أمرهم. فلما جاءوا كان جعفر بن أبي طالب على رأسهم، فأخذوا يتشاورون فيما يجيبون به الملك إذا دخلوا عليه. فاستقر رأيهم على أن يجيبوا بما أمر به الرسول الكريم، الصامد في مكة يصابر قريشا ويتحمل أذاها ويناضل في سبيل الدعوة الإسلامية دون كلال ولا ملال ودون خوف ولا وجل.

ودخلوا على النجاشي حاملين المصاحف في أيديهم، وابتدروه بالسلام، فقال الملك لجعفر: « ما لك لا تسجد ؟ » وسارع عمرو بن العاص: فقال « ألا ترى أنهم يكتفون بأنهم حزب الله أيها الملك؟ إنهم مستكبرون، ولم يحيوك التحية اللائقة! » ولكن النجاشيء لم يثر، ولم يغلظ القول، إنما قال لهم في تؤدة وهدوء: « مامنعكم أن تسجدوا وتحيوني بتحيتي التي يحييني بها الناس ؟ ».

قال جعفر بن أبي طالب في شجاعة وصلابة عود: « لا نسجد إلا لله عز وجل ». فسر الملك بهذه الشجاعة النادرة، وهذا الإيمان العميق وقال: « لم ذلك ؟ » فأجابه جعفر: « لأن الله تعالى أرسل فينا رسولاً، وأمرنا ألا نسجد إلا لله عز وجل، وأخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام. وقد حييناك بالذي يحيي به بعضنا بعضا » فأيقن النجاشي بصدق قولهم لما يعلمه من ذلك في الإنجيل.

وشعر عمرو بن العاص بخيبة مسعاه، وفشله في تأليب النجاشي على المسلمين، فاندفع قائلا: « إنهم يخالفونك في ابن مريم، ولا يقولون إنه ابن الله عز وجل ». فقال النجاشي لجعفر: « فما تقولون في ابن مريم وأمه؟ ». فقال: « نقول كما قال الله عز وجل: روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء فخرج منها عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ».

فقال النجاشي: « يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ما يزيدون على ما تقولون. أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي بشر به

عيسى فى الإنجيل. فأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ... لقد سألت عن نسب الرسول، فقالوا: هو فينا ذو نسب. وهكذا الأنبياء يرسلها الله ويصطفيها من صفوة خلقه. وسألت عن حاله أيطلب ملكا فقالوا: لا. وهكذا الأنبياء فى دعوتهم إلى الله خالصة لا يبغون من ورائها جاها ولا سلطانا. وسألت عن صدقه، فقالوا: صادق. وهكذا الأنبياء يشتهرون بالصدق، ويتسمون بالإخلاص، والله إنه لرسول الله حقا. وستنتشر دعوته حتى تعم الآفاق، فخذوا على يد هذا الرجل الأمين».

وقد بعث الرسول ﷺ على يد عمرو بن أمية، كتابا إلى النجاشى جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشى ملك الحبشة: سلم أنت، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس، السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخته، كما خلق آدم بيده. وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته، وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى، فإنى رسول الله أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل. وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتى. والسلام على من اتبع الهدى».

فلما سلم جعفر بن أبى طالب الكتاب إلى النجاشى، وضعه على عينيه، ونزل عن سريره وجلس على الأرض، وقال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله». وطلب حقا من العاج، ووضع فيه كتاب رسول الله ﷺ وهو يقول: «لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم». ثم بعث بكتاب إلى رسول الله ﷺ جاء فيه:

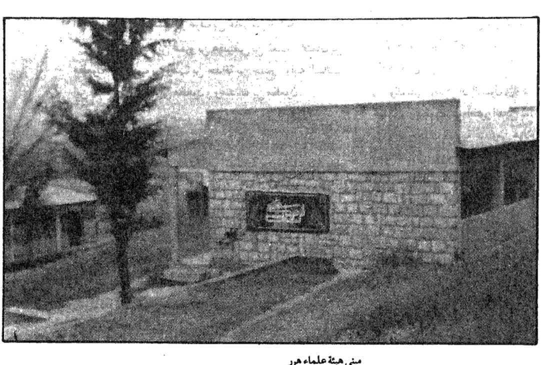
«بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله ﷺ من النجاشى أصحمه سلام عليكم يا نبى الله من الله ورحمته وبركاته الذى لا إله إلا هو، والذى هدانى للإسلام، أما بعد، فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى عليه السلام. فورب السماء والأرض إن عيسى عليه السلام. لا يزيد على ما ذكرت. وقد عرفنا ما بعثته إلينا وقربنا ابن عمك وأصحابك، وأشهد أنك رسول الله ﷺ صادقا. وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يده بالله رب العالمين».

وقد سر النبى سرورا عظيما لإسلام النجاشى، وعدَّه ظفرًا للمسلمين، ولما توفى فى رجب سنة ٩هـ / ٦٣٠م، صلى عليه الرسول صلاة الغائب وقد عبثت بقبره السنون، فجدد ضريحه أحد أغنياء السودان الأتقياء، وهو الحاج



أزماج محمد عبده، من أهالى عدوة تجرى ولا يزال الأحباش يؤمونه حتى اليوم مترحمين على أول ملك مسلم فى تاريخ الحبشة.

(الإسلام فى المشارق والمغارب / ٩٩، ١٠٠).



مبنى هيئة علماء هرر

العائدون من أرض الحبشة:

قال ابن إسحاق: وبلغ أصحاب رسول الله ﷺ، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة، إسلام أهل مكة، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك، حتى إذا دنوا من مكة، بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفيا.

فكان ممن قدم عليه مكة منهم، فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة، فشهد معه بدرًا ومن حبس عنه حتى فاته بدر وغيره، ومن مات بمكة منهم من بنى عبد شمس بن عبد مناف بن قصى: عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن شمس معه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وامرأته سهلة بنت سهيل.

ومن حلفائهم: عبد الله بن جحش بن رئاب.

ومن بنى نوفل بن عبد مناف: عتبة بن غزوان، حليف لهم، من قيس عيلان.

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد.

ومن بنى عبد الدار بن قصى: مصعب بن عمير بن هاشم ابن عبد مناف، وسُويبط بن سعد بن حرملة.

ومن بنى عبد بن قصى: طُليب بن عمير بن وهب بن عبد.

ومن بنى زهرة بن كلاب: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة والمقداد بن عمرو. حليف لهم، وعبد الله بن مسعود، حليف لهم.

ومن بنى مخزوم بن يقظة: أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، معه امرأته أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة، وشماس بن عثمان بن الشريد بن سويد ابن هرمى بن عامر بن مخزوم. وسلمة بن هشام بن المغيرة، حبسه عمه بمكة، فلم يقدم إلا بعد بدر وأحد والخندق، وعياش بن أبى ربيعة بن المغيرة، هاجر معه إلى المدينة، ولحق به أخواه لأمه: أبو جهل بن هشام، والحارث بن هشام، فرجعا به إلى مكة فحبساه بها حتى مضى بدر وأحد والخندق.

ومن حلفائهم: عمار بن ياسر، يشك فيه أكان خرج إلى الحبشة أم لا ؟ ومعتب بن عوف بن عامر من خزاعة .

ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب: عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح . وابنه السائب ابن عثمان . وقدامة بن مظعون، وعبد الله بن مظعون .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب: خُنيس بن حذافة بن قيس بن عدى، وهشام بن العاص بن وائل، حبس بمكة بعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدنية حتى قدم بعد بدر وأُحد والخندق .

ومن بنى عدى بن كعب: عامر بن ربيعة ، حليف لهم ، معه امرأته ليلى بنت أبى حثمة بن حذافة بن غانم .

ومن بنى عامر بن لؤى: عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى ابن أبى قيس. وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وكان حبس عن رسول الله ﷺ حين هاجر إلى المدينة ، حتى كان يوم بدر، فانحاز من المشركين إلى رسول الله ﷺ فشهد معه بدرًا، وأبو سبرة ابن أبى رُهم بن عبد العزى، معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو، والسكران بن عمرو بن عبد شمس، معه امرأته سودة بنت زمعة بن قيس، مات بمكة قبل هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة، فخلف رسول الله ﷺ على امرأته سودة بنت زمعة .

ومن حلفائهم ـ سعد بن خولة .

ومن بنى الحارث بن فهر: أو عبيدة بن الجراح، وهو عامر ابن عبد الله بن الجراح ، وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبى شداد، وسهيل بن بيضاء، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال، وعمرو بن أبى سرح بن ربيعة بن هلال .

فجميع من قدم عليه مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلا .

(السيرة النبوية ٢/ ١٢، ١٣) .

ونخلص من ذلك إلى أن الهجرة إلى أرض الحبشة كانت مرتين . أما الأولى فكان عدد المهاجرين فيها اثنى عشر رجلا وأربع نسوة، وكان خروجهم فى شهر رجب سنة خمس من النبوة فأقاموا فيها شهرين، وسمعوا أن الإسلام أخذ ينتشر فى مكة فعادوا ولقوا من المشركين أشد مما عهدوا .

وأما الهجرة الثانية فكانت بعد عودة هؤلاء المهاجرين بقليل لاشتداد الأذى من قريش، والمشهور أنه كان عدد المهاجرين فيها ثلاثة وثمانين رجلا وثمانى عشرة امرأة (الدرر / ٥٠ هامش ١) .

والجدير بالذكر أن الرسول ﷺ كان يعامل الأحباش معاملة حسنة، ويفقههم فى أمور الدين ... بل لقد لازمه بعضهم، ورووا الأحاديث النبوية عنه ومن هؤلاء ذو محمد ـ أو محبر فى رواية أخرى ـ وهو ابن أخى النجاشى وقد لازم النبى ملازمة كلية حتى عده بعض العلماء من مواليه . ونزل الشام فى آخر أيامه، ومات فى حدود الستين للهجرة .

وقد تتابع على مر السنين إسلام القبائل الحبشية .

(المشارق والمغارب / ١٠٠، ١٠١) .

وانتشر الإسلام وقامت أقوى رقعة إسلامية فى « سلطنة أوفات » أسسها قوم من بنى قريش وأوفات، وتعتبر هذه البقعة من أكبر مدن الحبشة، وتقع غربى زيلع .

واستطاعت سلطنة أوفات، رغم ما قوبلت به من تيارات عصبية معادية، أن تبقى على الإسلام الذى راح ينتشر بسرعة بين أرجاء البلاد .

ومن سلطنة أوفات الإسلامية انتشر الإسلام، فى كل أنحاء الحبشة، حيث تزعمت أوفات مسيرة الدعوة الإسلامية لغيرها من الدول المجاورة التى جذبها نور الإسلام .

واستمرت المشاحنات والمضايقات لأبناء سلطنة أوفات، من ملك الحبشة ومعاونيه، الذين رأوا أن انتشار الإسلام يمثل خطورة كبيرة على وجودهم .

وجاء النجاشى إسحاق بن داود، واتفق مع رجاله على انتزاع ممالك المسلمين وطلب عون الدول الأخرى التى تكره انتشار الإسلام، وأراد بذلك أن يشل حركة الدعوة لكنه مات قبل أن يفعل ذلك (هكذا دخل الإسلام ٣٦ دولة / ١٦٨، ١٦٩) .

وتنتشر فى الحبشة الطرق الصوفية . ومن أشهر هذه الطرق: الطريقة القادرية، وهى فرع من الطريقة التى أسسها الشيخ عبد القادر الجيلانى فى بغداد عام ١١٦٦م . وتهدف إلى روح التسامح مع النصارى واليهود، وهم يبشرون بالإسلام من طريق التجارة وتبادل المنافع، ويفتحون كتاتيب خاصة بهم، لا فى زوايا الطريقة فحسب، إنما فى كل القرى، ويلقن

شيوخ هذه الطريقة الأطفال الأحباش الدين الإسلامى فى أثناء التعليم، ويرسلون النجباء من تلاميذهم على نفقة الزوايا إلى مدارس طرابلس والقيروان وجامع القرويين والأزهر الشريف.

وفى الحبشة كذلك الطريقة الأحمدية، وهم أتباع الزعيم الصوفى أحمد بن إدريس الذى توفى بالعسير فى النصف الأول من القرن التاسع عشر. والطريقة الصالحية، نسبة إلى محمد صالح، وكان مقامه فى مكة، وهذه الطريقة فرع من الأحمدية. وقد استطاع أحد تلاميذ محمد صالح من علماء الصومال ــ وهو محمد بن عبد الله حسان، الذى لقب أخيرا بالمهدى ـ أن يبوئ الصالحية مركزا قويا بين قبائل الصومال، فأسس جماعات منظمة على ضفاف الأنهار.

وتنتشر فى الحبشة أيضًا طرق صوفية أخرى، مثل الختمية والشاذلية. وهذه الطريقة الأخيرة كانت منتشرة فى المغرب، وانتقلت إلى الحبشة، وكان مركزها «بوبريت» فى مراكش. ومن أشياخها سيدى العربى الدرقاوى المتوفى عام ١٨٢٣م. ويطيع الدرقاوية مشايخهم طاعة تامة، طبقا لتعاليم شيخهم الأكبر.

وفى ٢١ يناير عام ١٩٥٣ افتتح مسجد مصوع فى الحبشة. (الإسلام فى المشارق والمغارب/ ١٠١).

وفى مدن إثيوبيا وقراها مئات المساجد التى يؤدى فيها المسلمون فروض الصلاة، وأشهر مساجدهم «المسجد الكبير» فى العاصمة أديس أبابا «التى يوجد بها العديد من المدارس لتعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم، كما أن لهم محاكمهم الشرعية التى تحكم وفقا للشريعة الإسلامية. (انتشار الإسلام/ ١٥٦).

وتعتبر «هرر» مركزًا كبيرًا من المراكز الإسلامية، ويوجد بها مسجد كبير، شيد من زمن بعيد على الطراز الإسلامى البحت. (هكذا دخل الإسلام ٣٦ دولة/ ١٦٩).

(جغرافية العالم الإسلامى ــ إعداد د. ياسين محمد مراد/ ١٥٨، والإسلام فى المشارق والمغارب ــ د. جمال الدين الرمادى. كتاب الشعب ٨٤. مطابع الشعب ١٩٦٠/ ٩٨ ـ ١٠١، والسيرة النبوية لابن هشام ــ قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ١/ ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٦، و ٢/ ١٢، ١٣، والدرر فى اختصار المغازى والسِّير لابن عبد البر ـ تحقيق د. شوقى ضيف/ ٥٠ هامش ١ للمحقق، وهكذا دخل الإسلام ٣٦ دولة ـ أحمد حامد/ ١٦٨، ١٦٩. انظر أيضًا أصحاب الهجرة فى الإسلام ــ باقر أمين الورد المحامى. الدار العربية للموسوعات. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٨٦، وانتشار الإسلام ــ محمد كمال حسين/ ١٥٦. انظر أيضًا «كيف عرفت إثيوبيا الإسلام» (٢) حسين المحسى. مجلة منبر الإسلام العدد الثامن، السنة التاسعة عشرة. شعبان ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م/ ٣٨ ـ ٤٢ وقد أخذت منها الصور المصاحبة لهذه المادة، وكتابات مضيئة فى التراث الجغرافى العربى ـ د. شاكر خصباك/ ٢٠٧، ٢٠٨).

*** الحبق:**

هو الريحان ونورده فى حرف الراء إن شاء الله تعالى.

*** الحبل المتين فى الأذكار والأدعية المأثورة عن سيد المرسلين:**

الحبل المتين فى الأذكار والأدعية المأثورة عن سيد المرسلين: لأبى الوقت عبد الملك بن على الصديقى المكى والدعلان القزوينى المحدث. رتب على سبعة فصول:

١ - فى الدعاء ومقدماته. ٢ - فى الاسم الأعظم.
٣ - فى أوقات مخصوصة. ٤ - فى أوقات معينة.
٥ - فى الأدعية. ٦ - فى فضائل القرآن. ٧ - فى فضل الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم لخصه فى جزء.

(كشف الظنون ١/ ٦٢٩).

***الحبل الوثيق فى نصرة الصّدّيق:**

قال حاجى خليفة: رسالة للسيوطى علّقها على سورة الليل وأوردها فى حاويه (كشف ١/ ٦٢٩) قالت المؤلفة: يقصد بلفظ «حاويه» كتاب الإمام السيوطى الموسوم بـ «الحاوى للفتاوى» وأنقل من نسختى ما ورد فى مقدمته، قال المؤلف: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فقد رُفع إلىَّ سؤال فى قوله تعالى: ﴿ **لا يصلاها إلا الأشقى * الذى كذّب وتولّى * وسيجنّبها الأتقى * الذى يؤتى ماله يتزكى** ﴾ [الليل: ١٥ ـ ١٨]. إلى آخر السورة هل نزل ذلك فى رجلين مُعيّنين وما سبب نزوله وهل المراد بالأتقى أبو بكر الصدّيق أو الآية عامة فيه وفى غيره، وذكر السائل أن السبب فى هذا السؤال أن الأمير ازدمر حاجب الحجاب، والأمير خاير بك ... وقع بينهما تنازع فى أبى بكر رضى الله عنه

هل هو أفضل الصحابة؟ وأن خاير بك قائل بذلك . وأن أزدمر ينكر ذلك وأنه طالب خاير بك بدليل من القرآن على أن أبا بكر أفضل . وأن خاير بك استدل عليه بقوله تعالى : ﴿وسيجنّبها الأتقى﴾ [الليل : ١٧] فإنها نزلت فى حق أبى بكر، وقد قال الله تعالى : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات : ١٣] وأن أزدم قال : الأتقى عامّ فى أبى بكر، وغيره . وطالب كل منهما بشهادة العلماء له بنصرة قوله، وأن الشيخ شمس الدين الجوجرى كتب على سؤال نظير هذا السؤال . (انظر ترجمته فى مادة « الجوجرى (الشمس) » فى م١٢/ ٤٨٩، ٤٩٠ من هذه الموسوعة) .

فقلت : أرنى ما كتب، فأرانيه فإذا فيه أن الآية وإن نزلت فى أبى بكر فإنها عامة المعنى إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فقلت هذا شأن من يلقى نفسه فى وادٍ والرجل فقيه فما له يتكلم فى غير فنه هذه المسألة التفسيرية حديثية أصولية كلامية نحوية فمن لم يكن متبحرًا فى هذه العلوم الخمسة لم يحسن التكلم فى هذه المسألة وأنا أوضح الكلام عليها فى فصلين ... إلخ .

(كشف الظنون ١/ ٦٢٩، والحاوى للفتاوى للعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد السيوطى ١/ ٣٢٦) .

*** حبة البركة:**

هى الحبة السوداء، وهى الشّونيز.

انظر: الحبة السوداء .

*** الحبة السوداء:**

قالت المؤلفة : ترد هذه المادة تحت هذا الاسم فى المصادر ثم يحال منها إلى اسمها الآخر وهو « الشونيز » وقد آثرنا أن نوردها تحت عنوان « الحبة السوداء » لأنه الاسم المعروف عند العامة هذه الأيام، كما أنه الاسم الوارد فى الطب النبوى .

جاء فى القاموس للفيروزابادى أن الشونيز هو الحبة السوداء وأن البطم هو حبة الخضراء (القانون فى الطب/ ٢٨٨) وما جاء فى كتاب علم الملاحة أن الشونيز هو حبة البركة وهو الحبة السوداء . (علم الملاحة/ ١٢٥) .

جاء فى الطب النبوى للحافظ الذهبى (ص ٧٥، ٧٦):

الحبة السوداء - وهو الشونيز. قاله البخارى : حارة يابسة فى الثانية، وقيل فى الثالثة .

أبو هريرة مرفوعًا : « عليكم بهذه الحبة السوداء، فإن فيها شفاء من كل داء إلا السّام، والسَّامُ الموت » رواه البخارى ومسلم .

الحبة السوداء : بالعربية هى الشونيز بالفارسية . ونقل الجرمى عن الحسن أنها الخردل . ونقل الهروى أنها ثمرة البطم وليس بشىء . قال عبد اللطيف : الشونيز هو الكمون الأسود ويسمى الكمون الهندى . ومنافعها جمة، ولذلك شاع إطلاق أنها شفاء من كل داء، فيكون إطلاقًا كليًّا ويراد به الأكثر مبالغة . قال الله تعالى : ﴿وأُوتِيَتْ من كل شىء﴾ [النمل : ٢٣] .

ويجوز أن يكون لهذا الدواء هذه الصلاحية، وهو فى علم الله تعالى وفى علم رسوله كذلك وامتنع علم ذلك لنا . وإخباره ﷺ بذلك هو مثل إخباره أنه « من تصبَّح بسبع تمرات عجوة لم يضرّه ذلك اليوم سُم ولا سحر » . ومن إخباره بأن فى أحد جناحى الذباب داء وفى الآخر شفاء، ومثل هذا كثير. وهذه الأخبار من معجزاته ﷺ .

فالشونيز نافع من جميع الأمراض الباردة الرطبة، وينفع من الحارة مع غيره ليسرع تنفيذها، وهذا مثل تركيب الأطباء للزعفران فى قرص الكافور.

والشونيز مُذهب للنفخ والبرص وحمى الربع البلغمية، مفتح للسدد، محلل للرياح، مجفف للمعدة الرطبة، مدر للبول والحيض، واللبن مع المداومة، وإن سُحق بخلّ وضُمّد به البطن قتل الدود الذى يسمى حب القرع، ويشفى من الزكام، وشم دهنه نافع من أدواء ذاتية والثآليل والخيلان (الخيلان : شامة فى البدن، وهى تظهر على هيئة بثرة سوداء يكثر حولها . الشعر فى الغالب) (معجم التداوى/ ٢٧ هامش٢) .

وإذا دهن به أسرع نبات الشعر واللحية، ومنع الشيب .

وشرب مثقال منه نافع من ضيق النفس ولسع الرتيلا .

وإذا نُعِّم وسُفَّ منه كل يوم درهمان بماء نفع من عضة الكلب وأمن من الهلاك ودخانه يطرد الهوام، وهو مع الخبز يذهب نفخه، وينفع الصداع، والفالج، واللقوة والشقيقة،

والنبضة، والسلبة، والسبات، والنسيان، والدوار، والسدد.

ومنـافعـه كثيـرة، من أرادهــا كلهـا فعليـه بكتب الأطبـاء المطولات، فإنهم قد ذكروا لها مـن المنافع مالا يتسع لها هذا المختصر.

فإذا كان الأطباء قد علموا فيها هذه المنافع فما ظنك بعلم الرسول ﷺ، وأين علم الأذلّين الأقلّين من علم سيد المرسلين الأولين والآخرين؟ ﷺ صلاة دائمة إلى يوم الدين.

كما جـاء فى الطب النبوى للإمام ابن قيم الجـوزية (ص ٢٢٩ ـ ٢٣١):

حبـة السـوداء: ثبت فى الصحيحين ـــ من حـديث أبى سلمة، عن أبى هـريرة رضى الله عنه ـ أن رسـول الله ﷺ قال: «عليكم بهـذه الحبة السـوداء. فإن فيها شفـاء من كل داء إلا السام». و (السام): الموت.

الحبة السـوداء: هى: الشُّونيزُ، فى لغـة الفُرس. وهى: الكمُّون الأسود، وتسمى الكمون الهنـدى وتسمى أيضًا: حبة البركة. ويستخرج من بـذرها زيت يستعمل فى السعال، وهو مهضم وطـارد لـلأرياح. قـال الحـربى عن الحسن رضى الله عنه: إنهـا الخردل. وحكى الهـروى: أنها الحبـة الخضراء، ثمرة البُطم. وكلاهما وهمٌ. والصواب: أنها الشونيز.

وهى كثيرة المنافع جدًّا. وقوله: « شفاء من كل داء » مثل قوله تعالى: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ [الأحقاف: ٢٥] أى: كل شىء يقبل التدميـر، ونظائره. وهى نـافعة من جميع الأمـراض البـاردة. وتـدخل فى الأمـراض الحـارة اليـابسـة بالعـرض، فتوصِّل قوى الأدويـة الباردة الـرطبة إليها، بسـرعة تنفيذها: إذ أخذ يسيرُها.

وقد نص صاحب القانون وغيـرُه، على الزَّعفران فى قرص الكافور، لسرعة تنفيذه وإيصاله قوَّته. وله نظائر يعرفها حُذاق الصنـاعـة. ولا تُستبعـد منفعـةُ الحـار فى أمـراض حـارة بالخاصية. فإنك تجد ذلـك فى أدوية كثيرة، منها: الأنزروت وما يركب معـه من أدوية الرَّمد، كالسكـر وغيره من المفردات الحـارة. والـرمـدُ ورم حـار: بـاتفـاق الأطبـاء. وكـذلك نفعُ الكبريت الحار جدًّا من الجرب.

والشونيـز حار يابس فى الثـالثة: مـذهب للنفخ، مخرج لحب القرع، نـافع من البرص وحُمَّى الـربع والبلغمية، مفتِّح للسُّدد، ومحلل للرياح، مجفف لبِلة المعدة ورطوبتها. وإن دُقَّ وعُجن بالعسل، وشُـرب بالماء الحـار أذاب الحصاة التى تكون فى الكليتين والمثـانة. ويـدرّ البول والحيض واللبن إذا أُديم شـربُه أيـامًـا. وإن سُخِّن بـالخل وطلى على البطن قتل حب القرع. فإن عجن بمـاء الحنظل الرطب أو المطبـوخ كان فعله فى إخـراج الـدود أقـوى ويجلو ويقطع ويحلِّل، ويشفى من الزكام البارد إذا دُقَّ وصُرَّ فى خرقة واشتُم دائما أذهبه.

ودهنه نافع لداء الحية، ومن الثآليل والخيلان (الخيلان: شامة فى البدن، وهى تظهر على هيئـة بثرة سوداء يكثر حولها الشعر فى الغـالـب) وإذا شرب منـه مثقال بمـاء نفع من البُهر وضيق النَّفس. والضمـاد به ينفـع من الصداع البارد، وإذا نُقع منه سبعُ حبّات عددًا فى لبن امرأة ، وسُعط به صـاحـب اليرقان نفعه نفعا بليغا.

وإذا طُبخ بخلّ وتُمضمض بـه نفع من وجع الأسنـان عن بَرْد. وإذا اسْتُعط به مسحوقـًا نفع من ابتداء الماء العارض فى العين. وإن ضُمـد به مع الخل قلع البثـور والجرب المتقـرّح وحلل الأورام البلغمية المزمنة، والأورام الصلبة ... إلخ (الطب النبوى / ٢٢٩، ٢٣٠).

ويمضى الإمـام ابن قيم الجوزيـة فى تعـداد منافع الحبـة السوداء بما لا يخرج عما أورده الحافظ الذهبى آنفا.

وقد أوردهـا المظفر الـرسولـى نقلا ـ كعـادته ـــ من ثـلاثة مصـادر، رمز إلى الأول منهـا بالحـرف « ع » وهو عبـد الله بن البيطار صـاحـب الجامـع لقوى الأدويـة والأغذية، ورمـز إلى الثانى بالحرف « ج » وهو ابن جزلة صاحب منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان، ورمـز إلى الثالث بالحـرف « ف » وهو أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى، قال المظفر الرسولى:

شُـونيز: « ع » لـه رأس شبيهـة بـالخشخاش فى شكلـه، طويلة مجوَّفة، تحوى بزرا أسود حرِّيفا، طيب الرائحة، وربما خُلط بالعجين وخُبزَ وهـو يسخن فى الدرجة الثالثـة، وله قوة لطيفة، يشفى الزُّكام إذا صُر فى خـرقة مقلوا، ويشمه الإنسان دائمـا. وهو يحلل النفخ غـايـة التحليل، ويقتل الديـدان إذا أكل وطُلِى على البطـن من خـارج، ويقلع الثـآليل المتُفلقـة والمنكـوسة والخيـلان، وينفع من انتصاب النفس، ويحـدر الطمث، وحيث يُحتـاج إلى التقطيع والتجفيف والإسخـان،

فالشونيز نافع فى ذلك منفعة كثيرة، وإذا ضمدت به الجبهة وافق الصداع، وإذا سُعط به مسحوقا بدهن الإيرسا وافق ابتداء الماء النازل فى العين. وإذا تضمد به مع الخل وافق البثور اللبنية، والجرب المتقرح. ويحلل الأورام المزمنة. والأورام الصلبة. وإذا ضُمدت به السرة مخلوطا بماء أخرج الدود الطوال. وإذا أدمن شربه أياما كثيرة أدرّ البول والطمث واللبن. وإذا شرب بالنطرون سكن عُسر النفس. وإذا دخن به طرد الهوام. وزعم قوم أن من أكثر من شربه قتله، وخاصيته إذهاب الحمى الكائنة عن البلغم والسوداء. وقتل حب القرع. وإذا نُقع فى الخل ليلة ثم سحق من الغد واستعط به، أو قدم للمريض حتى يستنشقه، نفع من الأوجاع المزمنة فى الرأس، ومن اللقوة، وهو من الأدوية المفتحة جدًا لسدد المصفاة، وينفع من البهق والبرص طلاء بالخل، ويسقى بالعسل والماء الحارّ للحصاة فى المثانة والكُلى. وإذا قُلى ثم دق ونقع فى زيت وقطر من ذلك الزيت فى الأنف ثلاث قطرات أو أربع، نفع من الزكام إذا عرض معه عُطاس كثير. وإذا نُثر على مقدم الرأس سخنه، ونفع من توالى النَّزلات. وإذا سحق وعجن بدهن الورد، نفع من أنواع الجرب. وهو يدر الطمث إدرارًا قويا. ويخرج الأجنة أحياء وموتى، ويسقط المشيمة. وإذا أخذ منه سبع حبات عددا، وغمرت بلبن امرأة ساعة. وسُعط بها فى أنف من به يرقان، واصفرت منه العينان، نفع من ذلك نفعًا بليغًا لشدة تفتيحه السُّدد.

«ج» ويسمى: شينيز. وهو حريف، وأجوده الرزين. وهو حار يابس فى الثالثة، مقطّع للبلغم، جلاَّء، محلِّل للرياح والنفخ، ويقطع الثآليل والخيلان والبهق والبرص والجرب، وينفع من الزكام العارض، مقلوا مجعولا فى خرقة كتان، ومن جميع ما تقدم ذكره.

«ف» من البزور المعروفة، أسود اللون، أجوده الحديث الرزين. وهو حار يابس فى الثالثة، ينفع من انتصاب النفس، وطلاؤه على السرة يقتل الديدان، والشربة منه: ثلاثة دراهم (المعتمد ١/ ٢٧٤، ٢٧٥).

وأدرجها صاحب علم الملاحة فى أنواع الحبوب تحت عنوان «الشونيز» فقال عن فلاحتها وخصائصها: والشونيز، وهو حبة البركة، منه بستانى ومنه برّى وهو الحبة السوداء، توافقه الأرض الرطبة، وزرعه فى شباط وآذار ونيسان (انظر مادة «أسماء الشهور» فى م ٤/ ٥١٢ من هذه الموسوعة) ولا يُسقى كثيرا فى صغره، فإذا كبر سُقى بكثرة. وإذا نما نباته واشتد يقطع عنه الماء ويُنقّى من عشبه، ويسقى مرتين فى الأسبوع.

قال الكندى: الإكثار منه يقتل. وهو حريف حار، يابس فى الثالثة. مقطع للبلغم، طارد للرياح نافع من الانتفاخ والزكام خصوصا إذا أخذ مقليًّا، ودخانه تهرب منه الهوام، ومقدار ما يؤخذ مه درهم.

وطبيخه بالخل ينفع من وجع الأسنان مضمضة (علم الملاحة/ ١٢٥، ١٢٦).

(القانون فى الطب لابن سينا ـ شرح وترتيب الأستاذ جبران جبوّر، قدم له د. خليل أبو خليل، تعليق أ. د. أحمد شوكت الشطى/ ٢٨٨، وعلم الملاحة فى علم الفلاحة للشيخ عبد الغنى النابلسى النقشبندى القادرى. دار الآفاق الجديدة. بيروت. الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م/ ١٢٥، ١٢٦، ومعجم التداوى بالأعشاب والنباتات الطبية للإمام الحافظ شمس الدين أبى عبد الله بن قيم الجوزية. مكتبة التراث الإسلامى. القاهرة. الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ، والطب النبوى للحافظ أبى عبد الله الذهبى ـ قدَّم له وخرّج آياته الشيخ قاسم الشماعى الرفاعى/ ٧٥، ٧٦ والطب النبوى لابن قيم الجوزية ـ كتب المقدمة وراجع الأصل وصحح وأشرف على التعليقات عبد الغنى عبد الخالق. وضع التعاليق الطبية د. عادل الأزهرى، وخرّج الأحاديث محمود فرج العقدة/ ٢٢٩، ٢٣٠، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ٢٧٤، ٢٧٥).

*** حبة المحبة:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التصوف.

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق.

الرقم ٥٠٥٦.

رسالة فى محبة الله تعالى ومحبة رسوله وآل البيت.

المؤلف: محمود بن فضل الله بن محمود الإسكدارى الحنفى ويعرف بالهدائى المتوفى سنة ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٩م.

أولها: الحمد لله الذى أنبت حبة المحبة فى قلوب من أحب واصطفى **﴿كزرع أخرج شطأه فآزره ...﴾**.

آخرها: اجعلوا دعاءكم بلسان طاهر عن لوث الذنوب يعنى تواضعوا لأولياء الله تعالى واستمدوا منهم حتى يدعوا لكم ...

الخط نسخ واضح، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

تاريخ النسخ: ذى الحجة سنة ١١٥٨هـ.

ملاحظات: نسخة مراجعة على المجموع تملك باسم محمد الخلاصى تاريخه سنة ١١٥٥هـ.

نسخة ثانية.

الرقم ٥٩٠٤.

أولها وآخرها: كالسابقة.

الخط نسخ واضح، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

اسم الناسخ: شرف الدين ابن الأمير عز الدين المحاسبى بخزنة دمشق ثم المقاطعجى.

تاريخ النسخ: سلخ ربيع الأول سنة ١٠٢٨هـ.

ملاحظات: نسخة مراجعة.

مصادر عن الرسالة: إيضاح المكنون ١/ ٣٩٢.

مصادر عن المؤلف: معجم المؤلفين ١٢/ ١٨٩، خلاصة الأثر ٤/ ٣٢٧ قال واضع الفهرس عن بعض نسخ الرسالة: رأيت نسخة عند الأستاذ محمد مطيع الحافظ بدمشق.

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٠٣، ٤٠٤).

*** الحبوب:**

أفرد الشيخ عبد الغنى النابلسى بابين فى كتابه الموسوم بعلم الملاحة فى علم الفلاحة (من ص ١٠٧ ـ ١٦٩) لأنواع الحبوب المختلفة (وغيرها) وذكر أراضيها وأوقات زرعها وحصادها وكيفية زراعتها وما يُجعل منها خبزا، وكله مما نورده فى مواضعه إن شاء الله تعالى. ونكتفى هنا بما أورده الطبيب المغربى عبد القادر بن شقرون فى منظومته الطبية المعروفة بالشقرونية فذكر أصناف المأكول من الحبوب وهى القمح والشعير والأرز والفول والحمص والدُّخن والذرة والعدس واللوبيا. ويبيّن فوائدها ومضارها من الناحية الطبية مما نقله لك فيما يلى، وقد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت فى النص. لاحظ تخفيف الهمزة فى لفظ «بلايم» (أول البيت ٣٨):

٣٦ - *القول فى المأكول من حبوب* \
وما أتى فى طبعها المطلوب

٣٧ - *القمح فى المزاج حر لين* \
وهو من كل الحبوب أحسن

٣٨ - *يلايم الطبع ويصلح الحجا* \
وكل نفع من قواه يرتجى

٣٩ - *أفضله الزاهى المنير الذهبى* \
المرتسى بشكله المحدودبى

٤٠ - *ثم الغليظ الأشهب الرزين* \
دقيقه يحمد والعجين

٤١ - *ودون هذا الأحمر الصغير* \
والجبلى الملمع القصير

٤٢ - *أما المعفن بقاع المطمرة* \
فذاك فى الطبع خبيث الأبخرة

٤٣ - *غذاؤه من جملة السموم* \
وهو الذى يعرف بالتحموم

٤٤ - *وفى الشعير البرد واليبوسة* \
فيه رياح جمة محسوسة

٤٥ - *يصحبه نفخ عظيم الصولة* \
غذاؤه أقل مما قبله

٤٦ - *مصلحه الكمون واللحم السمين* \
خذ ما رواه الحكماء عن أمين

٤٧ - *وفى الأرز الحر واللطافة* \
خذه مدى الأزمان لا مخافة

٤٨ - *غذاؤه يخصب الأبدانا* \
ويصلح الأحشاء والألوانا

٤٩ - *يطبخ بالسكر والحليب* \
لجودة التسمين والتخصيب

٥٠ - *والفول فيه البرد واليبوسة* \
أمراضه مشهورة محسوسة

٥١ - *لاكنما الأخضر للرطوبة* \
والكل ضر بيّن الصعوبة

٥٢ - يولد السرياح والبلادهْ
ويورث الأجسام سوء عادهْ
٥٣ - أصلحه بالزيت العجيب النيِّر
واجعل عليه درهما من زعتر
٥٤ - والحمص حر يابس مفتح
. . . .
٥٥ - آخذه مع يسير الجوز
يفوز بالتسمين أى فوز
٥٦ - فاستعملنّه خشية من ضرر
بين طعامين تفز بالوطر
٥٧ - والدُّخن والذرة ثم العدس
جميعها مبرد مييس
٥٨ - تضر بالكهل وبالسوداوى
مضرة تجلى إلى التداوى
٥٩ - إصلاحها سمين لحم الضان
وكل طيب من الأدهان
٦٠ - واللوبية للحر والرطوبةْ
وكثرة الريح لها منسوبةْ
٦١ - ينفع من داء الكُلا والظهر
وفيه للتسمين أى سر

(الطب العربى فى القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونية - تحقيق وتعليق د. بدر التازى، تعريب وتقديم د. عبد الهادى التازى / ٧٤-٧٩).

*** ابن حبيب (١٧٤-٢٣٨هـ / ٧٩٠-٨٥٣م):**

هو عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جُلهمة ابن عباس بن مرداس السّلمى أبو مروان الأندلسى.

من الطبقة الأولى، الذين انتهى إليهم فقه مالك ممن لم يره، من أهل الأندلس روى بالأندلس عن صعصعة بن سلام، والغازى بن قيس، وزياد بن عبد الرحمن. ورحل سنة ثمان ومائتين، فسمع ابن الماجشون، ومطرِّفًا، وإبراهيم بن المنذر الحزامىّ، وعبد الله بن نافع الزبيرى، وابن أبى أويس، وعبد الله بن عبد الحكم، وعبد الله بن المبارك، وأصبغَ بن الفرج، وأسد بن موسى، وجماعة سواهم.

وانصرف إلى الأندلس سنة ست عشرة وقد جمع علمًا عظيما، فنزل بلده إلبيره وقد انتشر سموُّه فى العلم والرواية فنقله الأمير عبد الرحمن بن الحكم إلى قرطبة، ورتبه فى طبقة المفتين فيها، فأقام مع يحيى بن يحيى زعيمها فى المشاورة والمناظرة، وكان الذى بينهما سيئًا جدا، ومات يحيى قبله، فانفرد عبد الملك بعده بالرئاسة. سمع منه ابناه محمد، وعبيد الله، وبقىّ بن مخلد، وابن وضّاح، والمغامّى فى جماعة، وكان المغامى آخرهم موتا.

كان عبد الملك حافظا للفقه على مذهب مالك نبيلاً فيه، غير أنه لم يكن له علم بالحديث ولا معرفة صحيحه من سقيمه (طبقات المفسرين ١/ ٣٤٧، ٣٤٨).

ونقل صاحب تهذيب التهذيب عن ابن حزم « نسبه إلى الكذب، وتعقبه جماعة بأنه لم يسبقه أحد إلى رميه بالكذب».

وقام المقرى فى نفح الطيب بنقل بعض تلك التهم عن بعض الذين جرحوه بها وناقشها ورد بقوله: « أما ما ذكروه من معرفته بالحديث فهو غير مسلم، وقد نقل عنه غير واحد من جهابذة المحدثين. نعم لأهل الأندلس غرائب لم يعرفها كثير من المحدثين حتى إن فى « شفاء عياض » أحاديث لم يعرف أهل المشرق النقاد مخرجها، مع اعترافهم بجلالة حفّاظ الأندلس الذين نقلوها كبقىّ بن مخلد (انظر ترجمته فى م٧/ ٣٢٣، ٣٢٤ من هذه الموسوعة) وابن حبيب وغيرهما مما هو معلوم (المدرسة القرآنية فى المغرب/ ١٤١).

وقال ابن مزين وابن لبابة: عبد الملك عالم الأندلس.

وسئل ابن الماجشون عن أعلم الرجلين: القروى التنوخىّ، أم الأندلسى السلمىّ فقال: السلمّى مقدمه علينا أعلم من التنوخى منصرفه عنا. ثم قال للسائل: أفهمت؟.

قال أحمد بن عبد البر: كان جمّاعًا للعلم، كثير الكتب، طويل اللسان، فقيه البدن، نحويًا عَروضيًّا شاعرًا، نسّابة إخباريا، وكان أكثر من يختلف إليه الملوك وأبناؤهم وأهل الأدب، وكان لا يلى إلا معالى الأمور.

كان ذابًا عن مذهب مالك، وقال بعضهم: رأيته يخرج من الجامع وخلفه نحو ثلاثمائة نفر طالب حديث وفرائض وإعراب وفقه، وقد رتب الدول عنده كل يوم ثلاثين دولة، لا

يقرأ فيها عليه شيء إلا تواليفه، و « موطأ » مالك. وكان صوَّامًا قوَّامًا.

وقال المغامي: لو رأيت ما كان على باب ابن حبيب لازدريت غيره، ولمّا نُعِي إلى سحنون استرجع، وقال: مات عالم الأندلس، بل والله عالم الدنيا.

وذكره ابن الفرضى فى طبقات الأدباء فجعله صدرًا فيهم، وقال: كان قد جمع إلى إمامته فى الفقه التنجيح فى الأدب والتفنن فى ضروب العلم، وكان فقيها مفتيًا نحويًا لغويًا نسَّابة إخباريا، عروضيا فائقا، شاعرًا محسنًا مترسلاً حاذقًا مؤلِّفًا متقنا. وذكر بعض المشايخ أنه لما دنا من مصر فى رحلته، أصاب جماعة من أهلها بارزين لتلقى الرفقة على عادتهم. فكلما أطلّ عليهم رجل هيئة ومنظر رجحوا الظنَّ به، وقفوا بفراستهم عليه، حتى رأوه، وكان ذا منظر جميل، فقال قوم: هذا فقيه. وقال آخرون: بل شاعر. وقال آخرون: طبيب. فلما كثر اختلافهم تقدموا نحوه، وأخبروه باختلافهم فيه، وسألوه عما هو؟ فقال لهم: كلكم قد أصاب، وجميع ما قدرتم أحسنه، والخبرة تكشف الحيرة، والامتحان يُجلى عن الإنسان، فلما حطَّ رحله ولقى الناس شاع خبره، فقصد إليه كل ذى علم يسأله عن فنّه، وهو يجيب جواب متحقق، فعجبوا من ثقوب علمه، وأخذوا عنه، وعطّلوا حَلَق علمائهم، وأثنى عليه ابن المواز بالعلم والفقه.

وقال العتبى وذكر « الواضحة »: رحم الله عبد الملك، ما أعلم أحدًا ألّف على مذهب أهل المدينة تأليفه ولا لطالب أنفع من كتبه ولا أحسن من اختياره.

قالت المؤلفة: « الواضحة » مخطوط فى السنن والفقه فى خزانة الرباط يأتى بيانه فيما بعد.

قال الداودى: وألّف كتبا كثيرة حسانًا فى الفقه، والتواريخ، والآداب، منها الكتب المسماة « بالواضحة » فى السنن والفقه لم يُر مثلها، و « إعراب القرآن » و « الحسبة فى الأمراض » و « الفرائض » و « السخاء واصطناع المعروف »، و« كراهية الغناء» و « النسب » و « النجوم » و « الجامع » وهو كتاب فيه مناسك النبى ﷺ، و « الرغائب » و « الورع فى المال وغيره » ستة أجزاء و « العمل بالجوارح » و « فضائل الصحابة » و«غريب الحديث» و « تفسير الموطأ » و « حروب الإسلام » و « المسجدين » و « سيرة الإمام فى الملحدين » و«طبقات الفقهاء والتابعين » و « مصابيح الهدى ».

قال بعضهم: قسم ابن الفرضى هذه الكتب وهذه الأسماء وهى يجمعها كتاب واحد، لأن ابن حبيب إنما ألّف كتابه عشرة أجزاء: الأول « تفسير الموطأ حاشى الجامع »، الثانى «شرح الجامع »، الثالث والرابع والخامس فى حديث النبى ﷺ والصحابة والتابعين، و « مصابيح الهدى » جزء منها ذكر فيه من الصحابة والتابعين. والعاشر « طبقات الفقهاء » وليس فيها أكثر من الأول، وتحامل فى هذا الشرح على أبى عبيد، والأصمعى، وانتحل كثيرا من كلام أبى عبيد، وكثيرا ما يقول فيه: أخطأ شارح العراقين. وأخذ عليه فيه تصحيف قبيح، وهو أضعف كتبه.

قال بعضهم: قلت لعبد الملك: كم كتبك التى ألّفت؟ قال: ألف وخمسون كتابا. وقال عبد الأعلى بن معلىّ: ما رأيت كتبا تحبّب عبادة الله إلى خلقه، وتعرّفهم به، ككتب عبد الملك بن حبيب؟ يريد كتبه فى الرغائب والرهائب، ومنها كتب المواعظ سبعة، وكتب الفضائل سبعة، « فضائل النبى ﷺ وأصحابه » و« فضائل عمر بن عبد العزيز » و«فضائل مالك بن أنس » وكتاب « أخبار قريش وأنسابها » خمسة عشر كتابا وكتاب « السلطان » و « سيرة الإمام » وغير ذلك من كتب سماعه فى الحديث والفقه، وتواليفه فى الطب و « تفسيره » فى القرآن ستون كتابا، وكتاب « القارئ» و«الناسخ والمنسوخ » و « رغائب القرآن » وكتاب « الدهور والقدماء والمغازى والحدثان » ... وكتاب « مغازى رسول الله ﷺ ». (طبقات المفسرين ١/ ٣٤٩-٣٥١).

وأضاف الزركلى هذه الكتب: « استفتاح الأندلس » طبعت قطعة من أحد كتبه، و « وصف الفردوس » مخطوط فى الأزهرية، و« الغاية والنهاية » مخطوط رسالة فى ٢٤ ورقة أولها: باب ما جاء فى فضل المرأة الصالحة » (الأعلام ٤/ ١٥٧).

قال الداودى: توفى فى ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين، وقيل تسع وثلاثين ومائتين، وقبره بقرطبة بمقبرة أم مسلمة فى قبلة مسجد الضيافة، وصلى عليه القاضى أحمد بن زياد، وقال: صلى عليه ابنه، رحمه الله تعالى (طبقات المفسرين ١/ ٣٥١).

أما عن مخطوط « الواضحة فى السنن والفقه » المحفوظ بخزانة القرويين والذى أشرنا إليه آنفًا فجاء بيانه كما يلى :

جزء بعض أوراقه فى الرق : الأولى والأخيرة وورقتان فى وسطه .

أوله : بسم الله الرحمن الرحيم . رغائب الوضوء والغسل قال : قال عبد الملك بن حبيب قال حدثنى هرون الطلحى عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ [يقول] : إذا توضأ المؤمن فمضمض واستنشق حطَّ الله عنه ما تكلم بفيه ، فإذا غسل وجهه حطَّ الله عنه ما أبصرته عينه ، فإذا غسل ذراعيه حطَّ الله عنه ما بطشت يداه فانحدرت ذنوبه من أنامله ، فإذا مسح برأسه وأذنيه حطَّ الله ما سمعت أذناه ، فإذا غسل رجليه حط الله عنه ما مشت له رجلاه فانحدرت ذنوبه من أظفار رجليه .

وطريقة ابن حبيب فى كتابه هذا أنه يأتى بالترجمة ويورد أحاديث بسنده ثم يقول عقب ذلك : قال عبد الملك ، ويشرح بعض الألفاظ الواردة فى الحديث الذى أورده .

مثال ذلك : سنن الوضوء وحدوده قال : حدثنا عبد الملك قال حدثنى : إسماعيل بن أبى أُوَيْس المدنى عن محمد بن هلال عن أبيه قال : كنت مع عمرو بن يحيى المازنى جالسا بفناء داره فدعا بوضوء وقال لى : احفظ فإنى رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ هكذا فصب عليه فغسلها ثلاثًا ثم تمضمض واستنثر ثلاثا ... الحديث . قال عبد الملك : ومن الوضوء مفروض ومسنون ، فمفروضه قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ... إلى الكعبين ﴾ .

(تمام الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ﴾ . المائدة : ٦]) فهذا الوضوء المفروض الذى لا تجزى الصلاة إلا به ، وسنَّ رسول الله ﷺ فى ذلك المضمضة والاستنشاق ومسح الأذنين ... انتهى كلامه .

وآخر ترجمة فى هذا الجزء ما جاء فى الاستنجاء بغير الماء ... وآخر حديث أورده فى هذه الترجمة قال فيه : وحدثنى إصبغ بن الفرج عن ابن وهب أن رسول الله ﷺ قال : «استنجوا بالماء فإنه طيب وأطهر وهو مصحة من الباسور .

قال ناسخه : كمل الجزء الأول بحمد الله وعونه وصلى الله على محمد وسلم يتلوه فى الجزء الثانى وضوء الذى استنكحه المذى والبول ، إن شاء الله تعالى . وعقب هذا بخط أجنبى عن الناسخ جميعه على الفقيه الجليل المشارو أبى محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب أدام الله بركته وأبقى نفعه .

أوراقه ٢٤　　مسطرته ٢٤　　مقياسه ٢٦/ ٢٠ .

(فهرس القرويين ٢/ ٤٨٢ ، ٤٨٣) .

(طبقات المفسرين للداودى ـ بتحقيق على محمد عمر ١/ ٣٤٧ ـ ٣٥١ ، والمدرسة القرآنية فى المغرب ـ عبد السلام أحمد الكنونى (بالكاف المغربية) / ١٤١ و الأعلام للزركلى ٤/ ١٥٧ وارجع إلى ما جاء بهامش ١ من مصادر، وفهرس مخطوطات خزانة القرويين لمحمد العابد الفاسى ٢/ ٤٨٢ ، ٤٨٣) .

*** حبيب الله الألبورى:**

من ملوك وأمراء العرب فى شبه القارة الهندية . عربى من قريش .

الأمير الفاضل حبيب الله بن محمد درويش بن عبد القادر القرشى الشافعى الألبورى ـ أحد الأفاضل المشهورين . تفقه على والده وولى الصدارة فى (أدهونى) من أرض الدكن فاستقل بها مدة من الزمان .

وكان صالحا ذكيا حسن الخط . من مؤلفاته « شرح التنبيه » فى الفقه الشافعى و « الشهاب المحرقة فى الرد على المهدوية » و « رحمة الأمة فى اختلاف الأئمة » .

مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف وقبره بقرية « البور» من أعمال (رانجور) .

(ملوك وأمراء العرب فى شبه القارة الهندية ـ يونس الشيخ إبراهيم السامرائى / ٤٠ عن نزهة الخواطر لعبد الحى الحسنى ٧/ ١٣٠) .

*** ابن حبيب الحلبى (٧٤٠ ـ ٨٠٧هـ / ١٣٣٩ ـ ١٤٠٥م):**

طاهر بن حسن بن عمر بن حسن بن حبيب بن شريح الحلبى الملقب بزين الدين المكنى بأبى العز ويعرف بابن حبيب الحلبى الفقيه الحنفى الأصولى المؤرخ الأديب المحدث ولد بعد سنة ٧٤٠ بقليل واشتغل بالعلم والأدب وصحب الشيخين الغرناطى وابن حازم وسمع من ابن الشهاب وغيره وأجازه أبو العباس المرداوى وجماعة من المحدثين وتولى الكتابة بديوان الإنشاء فى حلب ثم رحل إلى دمشق

وأقام بها حينًا ثم سافر إلى القاهرة وولى بها عدة وظائف منها الكتابة بديوان الإنشاء.

له تآليف منها نظم تلخيص المفتاح فى علوم البلاغة وشرح بردة البوصيرى وتخميسها وقد أكمل كتاب والده المسمى درة الأسلاك فى دولة الأتراك وله مختصر المنار فى أصول الفقه.

توفى رحمه الله بالقاهرة فى السابع عشر من ذى الحجة سنة ٨٠٧هـ ودفن بها.

(الفتح المبين - الشيخ عبد الله مصطفى المراغى، ٣/ ١٥).

*** حبيب السير فى أخبار أفراد البشر:**

حبيب السير فى أخبار أفراد البشر: فارسى لغياث الدين محمود المتوفى بأكبر آباد سنة ٥٨٣ ابن همام الدين المدعو بخواند أمير وهو تاريخ كبير لخصه من تاريخ والده المسمى بروضة الصفا وزاد عليه. ألفه بالتماس خواجه حبيب الله من أعيان دولة شاه إسماعيل بن حيدر الصفوى سنة ٩٢٧ سبع وعشرين وتسعمائة ذكر فيه أنه شرع فيه أولا بالتماس أمير محمد الحسينى أمير خراسان ولما قتل ونصب مكانه دورمش خان من قبل شاه إسماعيل استمر على تأليفه إلى أن أتمه وأهداه إليه و إلى حبيب الله المذكور وذلك بعدما كتب تاريخه المسمى بخلاصة الأخبار ورتب هذا الكتاب المسمى بحبيب السير على افتتاح وثلاث مجلدات. واختتام الافتتاح فى أول الخلق، والمجلد الأول فى الأنبياء والحكماء وملوك الأوائل وسيرة نبينا عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين، والمجلد الثانى فى الأئمة الاثنى عشر وبنى أمية وبنى العباس ومن مَلَك فى عصر هؤلاء، والمجلد الثالث فى خواقين الترك وجنكيز وأولاده وطبقات الملوك فى عصرهم وتيمور وأولاده وظهور الصفوية ونبذة يسيرة من ذكر آل عثمان والاختتام فى عجائب الأقاليم ونوادر الوقائع وهو فى ثلاث مجلدات كبار من الكتب الممتعة المعتبرة إلا أنه أطال فى وصف ابن حيدر كما هو مقتضى حال عصره وهو معذور فيه تجاوز الله سبحانه وتعالى عنه.

(كشف الظنون ١/ ٦٢٩، ٦٣٠).

*** حبيب العروس وريحان النفوس:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى العلوم. جاء فى هامش ١ من الفهرس ما يلى: جاء على النسخة: حبيب العروس وريحان النفوس.

لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد التميمى، المتوفى نحو سنة ٣٨٠هـ.

(ذيل كشف الظنون ١/ ٣٩٢، معجم المؤلفين ٨/ ٢٦٤، الأعلام ٦/ ٢٠٣).

الجزء الثالث:

أوله: أما بعد، فإن هذا مما وفقنى الله ... وبعد فمجتمع فى هذه النسخة أمور عظيمة عن العباس، رضى الله عنه وعن ولده وعن جميع الصحابة آمين. صفة دهن للقوبة ...

وآخره: باب صبغ لون، لون الذهب طريف حسن. من كتاب ابن العباس.

نسخة نفيسة جدًا بقلم أندلسى قديم من القرن الخامس على الأكثر، عدا الكراسة الأولى، فإنها بخط حديث. ونشع الحبر فى بعض الصفحات.

١٧٠ ورقة   ١٦سطرًا   ١٩ × ٢٦سم.

[مجلس شوراى].

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ٣ العلوم ق٢ الطب. الكتاب الثانى. القاهرة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م/ ٨١).

*** أم حبيبة (٢٥ق هـ-٤٤هـ / ٥٩٦-٦٦٤م):**

أم حبيبة، أم المؤمنين، إحدى زوجات رسول الله ﷺ:

أجمل السيد محمد رشيد رضا أخبارها فقال: أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان الأموية رضى الله عنها:

وفى سنة ست أو سبع تزوج أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان الأموى أشد أعدائه تحريضًا عليه وحربًا له ﷺ وكان قومه بنى عبد شمس أعداء بنى هاشم قوم النبى ﷺ وكان تزوجه بها تأليفا له ولقومه وقد كانت أسلمت بمكة وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة، فتنصر زوجها هنالك وفارقها، فأرسل النبى ﷺ إلى النجاشى فخطبها له وأصدقها عنه أربعمائة دينار مع هدايا نفيسة: ولما عادت إلى المدينة بنا [بنى] بها، ولما بلغ أبا سفيان الخبر قال هو الفحل لا يقدع أنفه. فهو لم ينكر كفاءته ﷺ بل افتخر به: ولكنه ما زال يقاتله حتى يئس بفتح مكة وكان من تأليفه ﷺ له يوم الفتح أن

قـال « من دخل المسجد الحرام فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن » وقد آمن يومئذ رياء وتقية ثم كان من تأليفه له ﷺ بعد غزوة حنين أن أعطاه من غنيمة هوازن مائة ناقة، فهذا التأليف بعد التأليف لأبى سفيان يدل على أن تزوجه ﷺ بينته كان لمثل ذلك على أن تركها أرملة مهينة بعد مصابها بتنصر زوجها وعداوة أبيها وأمها لم يكن يهون على رسول الله ﷺ روى عنها ابنتها وأخواها وابن أخيها أو ابن أختها ومولياها وآخرون (نداء للجنس اللطيف / ٧٣).

وتفصيل ذلك كما بيّنه الإمـام ابن الجوزى فى « صفـة الصفـوة » ومن بعـده الإمـام المحب الطبـرى فى « السمط الثمين» هو كما يلى:

أم المؤمنين حبيبة بنت أبى سفيان صخر بن حرب القرشية الأموية رضى الله عنها أمها صفية بنت أبى العاص عمة عثمان ابن مظعون كـانت قبل رسول الله ﷺ عنـد عبيد الله بن جحش وهـاجر بهـا إلى الحبشة فى الهجـرة الثانيـة ثم تنصر هنـالك ومات على النصرانية وبقيت أم حبيبة رضى الله عنها على دينها فتزوجها رسول الله ﷺ.

ذكر تزوج النبى ﷺ بأم حبيبـة رضى الله عنها وهو متضمن هجرتها إلى الحبشة ثم إلى المدينة:

عن أم حبيبـة رضى الله عنها قـالت رأيت فـى النـوم كأن عبيـد الله بن جحش زوجى فى أسـوأ صـورة وأسوأهـا ففـزعت وقلت تغير والله حاله وإذا هو يقول حين أصبح يا أم حبيبة إنى نظرت فى الدين فلم أر دينا خيـرا من النصرانية وكنت قد دنت لها ثم دخلت فى دين محمد ثم قد رجعت إلى دين النصرانية فقلت ما هى خيرا لك وأخبرته بالرؤيا التى رأيتها له فلم يحفل بها وأكب على الخمر حتى مات. فأرى فى المنام قائلا يقول يا أم المؤمنين ففزعت فأوّلتها رسـول الله يتزوجنى قالت فما هو إلا أن انقضت عدتى فما شعرت إلا برسول النجاشى على بابى يستأذن فإذا جارية يقال لها أبرهـة كانت تقوم على ثيابه وذهبه فـدخلت علىّ وقـالت إن الملك يقـول لك إن رسـول الله ﷺ كتب إلى أن أزوجك فقلت بشـرك الله بخيـر قـالت يقـول لك الملك وكلى من يـزوجك فـأرسلت إلى خـالـد بن سعيـد بن العاص فوكلته وأعطيت أبرهة سوارين من فضة وخدمتين كانتا فى رجلى (خدمتين تثنية خدمة وهى الخلخال وجمعها خدم وأخدام أيضًا) وخواتيم فضة كانت فى أصابع رجلى سرورا بما بشرت به فلمـا كان العشى أمر النجاشى جعفـر بن أبى طالب ومن هنـالك من المسلمين فحضـروا فخطب النجاشى وقـال الحمـد لله الملك القـدوس السلام المـؤمن المهيمن العـزيـز الجبار أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهـره على الدين كله ولو كـره المشركون أما بعد فقد أجبت إلى ما دعـا إليه رسول الله ﷺ وقد أصدقتها أربعمائة دينـار ذهبا ثم سكب الدنـانير بين يـدى القوم فتكلم خالد بن سعيد فقـال الحمد لله أستعينه وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له وأن محمدا عبده ورسـوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهـره على الدين كله ولو كـره المشركون أما بعـد فقد أجبـت إلى ما دعـا إليه رسـول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة رضى الله عنها بنت أبى سفيـان فبارك الله لرسول الله ﷺ ودفع الدنانير إلى خالـد بن سعيد بن العاص فقبضها ثم أرادوا أن يقـوموا فقـال اجلسوا فإن سنـة الأنبياء إذا تـزوجوا أن يـؤكل طعام على التزويج فدعا بطعام فأكلوا وتفرقوا.

وخرج أبـو داود من هذا عـن أم حبيبة رضى الله عنهـا أنها كـانت تحت عبيـد الله بـن جحش فمـات فى أرض الحبشـة فزوجها النجاشى النبى ﷺ وأمهرها عنه أربعة آلاف وبعث بها إلى رسول الله ﷺ مع شُرَحْبيل ابن حسنـة. قال أبو داود حسنة أمه هذا آخـر كلامه. وأبوه عبـد الله بن المطاع وشرحبيل بضم الشين المعجم وفتح الراء وإسكان الحاء المهملـة وبعدها باء موحدة مكسورة ثم ياء ساكنـة ثم لام قال أبو عمر وقد اختلف فيمن زوجهـا فروى سعيد بـن العاص وروى عثمان بـن عفان رضى الله عنه وهى ابنة عمـه بنت أبى العاص وذكر البيهقى أن الذى زوجهـا ابن سعيد بن العاص قال وهـو ابن عم أبيهـا لأن العـاص ابن أميـة هـو ابن عم أبيهـا أيضًـا. وروى النجـاشى ويحتمل أن يكون النجاشى هو الخاطب والعاقد أما عثمان أو خـالد بن سعيـد على ما تضمنـه الحديث المتقـدم وروى أن رسـول الله ﷺ بعث عمـرو بن أميـة الضمـرى إلى النجـاشى ليخطبها عليه فزوجها إياه وأصـدقها عنه أربعمائة دينار وبعث بهـا مع شـرحبيل بـن حسنـة وروى أن النبى ﷺ بعث إليهـا شرحبيل بن حسنة فجاء بها فيحتمل أنه بعث ﷺ عَمرا للخطبة وشرحبيل بن حسنـة ليحملها إليه وكـان ذلك فى سنة سبع من

الهجرة وإن صح هذا التاريخ فلا يصح أن يكون عثمان رضى الله عنه هو الذى زوّجها لأن سيدنا عثمان كان مقدمه من الحبشة قبل وقعة بدر وكانت وقعة بدر فى السنة الثانية من الهجرة. قال أبو عمر: وقد قيل إن عقد النكاح بالمدينة بعد رجوعها إليه من أرض الحبشة والمشهور ما تقدم من أن العقد كان بأرض الحبشة وقد روى أن النجاشى أمهرها أربعة آلاف درهم وكان مهور أزواج النبى ﷺ أربعمائة درهم، وكان أبو سفيان أبوها حال إنكاحها بمكة مشركا محاربا لرسول الله ﷺ وقد روى أنه قيل له إن محمدًا نكح ابنتك فقال: «ذلك الفحل الذى لا يقدع أنفه»: يقدع أى يشدخ ويشق. (السمط الثمين/ ٧٩-٨١).

قالت المؤلفة: ذكر صاحب «المصباح المضئ» عن رواية أن اللفظ هو «يقرع» بالراء بمعنى يضرب ص ٤١» ثم قال بعد ذلك (ص ٤٢): يقول مؤلفه - عفا الله عنه: الذى يظهر أن «يقرع» بالراء تصحيف، وصوابه: يقدع - بالدال المهملة، قال الجوهرى: قدعتُ فرسى أقدعه قدعًا: كبحته وكففته ليكفّ بعض جريه، وهذا فحل لا يقدع أى لا يُضرب أنفه، وذلك إذا كان كريما، وقدعتُ الرجل عنك أى، كففته (المصباح المضئ ٢/ ٤٢).

قدوم أبى سفيان ودخوله على ابنته وطيها فراش رسول الله ﷺ دونه.

قال الأزهرى: قدم أبو سفيان بن حرب فجاء رسول الله ﷺ المدينة وهو يريد غزوة مكة فكلمه أن يزيد فى هدنة الحديبية فلم يقبل رسول الله ﷺ فجاء إلى ابنته أم حبيبة رضى الله عنها فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته دونه فقال: يا بنية أرغبت بهذا الفراش عنى أم بى عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرء نجس مشرك. فقال يا بنية لقد أصابك بعدى شر. خرّجه فى الصفوة.

اتباعها رضى الله عنها للسنة

عن أم حبيبة رضى الله عنها قالت لما جاءها نعى أبيها دعت بطيب فمسحت ذراعيها وقالت مالى من حاجة ولولا أنى سمعت النبى ﷺ يقول لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تحدّ على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا وفى رواية مسحت عارضيها وذراعيها وقالت إنى كنت عن هذا لغنية ولولا أنى سمعت الحديث أخرجاه. وعنها رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول من صلى اثنتى عشْرة ركعة فى يومه وليلته بنى له بيت فى الجنة قالت أم حبيبة رضى الله عنها فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ أخرجه مسلم.

ما نزل بسبب زواج أم حبيبة فى القرآن رضى الله عنها

عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى: ﴿**عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة**﴾ [الممتحنة: ٧] قال صهر أبى سفيان حين تزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة رضى الله عنها بنت أبى سفيان خرَّجه ابن السرى.

وفاة أم حبيبة رضى الله عنها

قال أبو عمر، وصاحب الصفوة: توفيت أم حبيبة رضى الله عنها بنت أبى سفيان سنة أربع وأربعين فى خلافة معاوية. وعن عائشة رضى الله عنها قالت: دعتنى أم حبيبة عند موتها فقالت قد يكون بيننا كما يكون بين الضراير فغفر الله لى ولك ما كان من ذلك. فقلت: غفر الله لك ذلك كله وتجاوز وحلك من ذلك. فقالت سررتينى سرك الله وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك خرّجه أبو عمر وصاحب الصفوة (السمط الثمين/ ٨١، ٨٢).

قال الحافظ أبو القاسم فى تاريخ دمشق: قدمت دمشق زائرة أخاها معاوية، قال: وقيل إن قبرها بها. قال: والصحيح أنها ماتت بالمدينة. قال ابن منده: توفيت سنة اثنتين وأربعين وقيل سنة أربع وأربعين (تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٣٥٩). لها فى كتب الحديث ٦٥ حديثا (الأعلام ٣/ ٣٣).

(نداء للجنس اللطيف - السيد محمد رشيد رضا/ ٧٣، والسمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين للإمام محب الدين أحمد بن عبد الله الطبرى/ ٧٩-٨٢، والمصباح المضئ فى كُتّاب النبى الأمىّ ورسله إلى ملوك الأرض من عربى وعجمى للشيخ الإمام أبى عبد الله محمد بن على ابن أحمد بن حُديدة الأنصارى - صححه وعلق عليه الشيخ محمد عظيم الدين ٢/ وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ٢/ ٣٥٩، والأعلام للزركلى ٣/ ٣٣. انظر أيضًا صفة الصفوة للإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى - ضبطها وكتب هوامشها إبراهيم رمضان وسعيد اللحّام ٢/ ٣١-٣٣، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن الديبع الشيبانى ٤/ ٢٢٣، ٢٢٤).

*** الحبيبية الصغرى (المدرسة ـ) (١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م):**

من المدارس القديمة بمدينة تونس، أنشئت سنة ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م. أدرجها محمد بن الخوجة رحمه الله فى المدارس التى كانت مخصصة فى زمانه لسكنى طلبة جامع الزيتونة وفروعه بالعاصمة. وقد جاء فى مقدمة التحقيق (ص١١) أن تلك المدارس قد تعطلت منذ توحيد التعليم التونسى فى سنة ١٩٥٨، وتحويل تلامذة جامع الزيتونة وفروعه إلى المعاهد الثانوية العصرية. والجهود مبذولة الآن لترميم تلك المدارس وإنقاذها من التداعى، وتحويلها إلى مؤسسات ثقافية وتعليمية. اهـ.

أما عن المدرسة الحبيبية الصغرى التى نحن بصددها فيقول ابن الخوجة رحمه الله :

هذه المدرسة أسسها المولى محمد الحبيب باى فى سنة ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م بزاوية الولى المجذوب الشيخ صالح المثلوثى معتقد عمّه المشير محمد الصادق باى، ولما تمّ تجهيزها وتنسيقها فتحت لسكنى الطلبة وألحقت بالمدارس العامة.

(تاريخ معالم التوحيد فى القديم والجديد لمحمد بن الخوجة ـ تحقيق وتقديم الجيلانى ابن الحاج يحيى وحمّادى الساحلى / ١١، ٣٢٩).

انظر: الحبيبية الكبرى (المدرسة ـ).

*** الحبيبية الكبرى (المدرسة ـ) (١٣٤٥هـ / ١٩٣٦م):**

من المدارس القديمة بمدينة تونس التى كانت مخصصة لسكنى طلبة جامع الزيتونة. قال عنها محمد بن الخوجة رحمه الله :

كانت هذه المدرسة فندقًا بلديًا يعرف بوكالة المجلس البلدى، حديثة البناء، فلما صعد المولى محمد الحبيب باى لكرسى الملك الحسينى، صرف مهجته لإسعاف طلبة العلم بمدرسة ذات مرافق عصرية، واختار لذلك الوكالة المتحدث عنها، فاشتراها رحمه الله من ماله الخاصّ، وهذب أساليبها، وجعلها وقفًا على أهل العلم من طلبة جامع الزيتونة، وتم تجهيزها وتنسيقها فى سنة ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م وناط نظارتها بقاضى الجماعة العلامة الشيخ الصادق النيفر، فناب كل بيت من بيوتها ثلاثة من الطلبة وفى سنة ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م ألحقت هذه المدرسة ببقية المدارس العامة، وجعل التصرف فيها من حقوق إدارة المعارف، فغيّرت عدد سكان بيوتها بجعلهم اثنين بكل بيت لا ثلاثة، وبالتالى وقع ضمّ جميع مدارس الطلبة لمشيخة جامع الزيتونة، فكانت هذه المدرسة كبقيّة أخواتها من متعلّقات تلك المشيخة الجليلة.

(تاريخ معالم التوحيد فى القديم والجديد لمحمد بن الخوجة ـ تحقيق وتقديم الجيلانى ابن الحاج يحيى وحمّادى الساحلى / ٣٢٨، ٣٢٩).

انظر: الحبيبية الصغرى (المدرسة ـ).

*** ابن حَبيش (٦١٥ ـ بعد ٦٧٩هـ / ١٢١٨ ـ بعد ١٢٨٠م):**

قال عنه الزركلى : محمد بن الحسن بن يوسف بن الحسن ابن يونس، أبو بكر بن حبيش اللخمى، شاعر تونسى. برع فى النظم والنثر، وكان من النحاة، وجمع له أبو العباس الأشعرى « فهرسة » وعرضها عليه، فكتب فى أولها، بعد مقدمة : « وإن هذا المجموع ليروق يعجب، ولكنه جمع لمن لا يستوجب ... إلخ). قال الزبيدى : أكثر عنه أبو عبد الله ابن رشيد فى رحلته (الأعلام ٦/ ٨٦).

قالت المؤلفة : ما أشار إليه الزبيدى أعلاه من أن ابن رشيد أكثر من الكلام عن ابن حبيش فى رحلته يتضح لنا بالرجوع إلى كتاب رحلة ابن رشيد ـ والكتاب عندى، اقتنيته من تونس، وهو بعنوان « ملء العيبة بما جُمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة » ويقع فى ثلاثة أجزاء، إذ أفرد ابن رشيد الصفحات من ١١٠ إلى ١٢٦ للكلام على ابن حبيش وشعره وشيوخه وأسمعته وفهرسته مما يصلح أن يكون برنامجا دراسيا لتخريج أساتذة فى العلوم المنقولة والمعقولة، ولولا الرغبة فى الاختصار لنقلناه هنا بتمامه، ولكنّا نكتفى بنقل مقدمة محقق الكتاب وهو سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة، وهى كما يلى :

الفقيه الأديب الحافظ الشاعر القاضى الزاهد أبو بكر بن حبيش المرسى وهو من أول من لقيه ابن رشيد بتونس ... زاره بمنزله ووجد منه عناية واحتفاء.

ذكر له فهرسته التى كتبها له تلميذه أبو العباس الأشعرى، وكذا أسمعته.

والفهرست، كما يبدو من قراءتها، ثبت زاخر بأعلام الأندلسيين الذين تخرج عليهم.

فمن شيوخه ابن الولى، والرفاء، وابن سلمة الشاطبى، وابن محرز، وسهل بن مالك، وابن عساكر، وابن قطرال، وابن أبى السداد، وابن الحاج القرطبى، وابن عتيق الأزدى، وابن واجب القيسى. وابن أبى الغصن اللخمى، وابن القرشية المقرئ، وابن برطُلُّه، وابن عميرة، وابن أبى الخير الشاطبى، وابن أبى غالب، وابن الأصفر الحارثى، وابن مفضل وابن مهيب.

وقد أجاز له جماعة أيضًا من أشهرهم: أبو على الشلوبين، والدبّاج، وابن عاصم الرُّندى، وابن القاسم الطيلسان، وابن حريرة المالقى، والمومنانى، وأبو زيد الخزرجى.

وأسمعته ديوان يعرِّف بالكتب القيمة المعتمدة فى ذلك الوقت لتخريج أهل الفضل والعلم فى مختلف العلوم العقلية والنقلية والشرعية، فمن ذلك التيسير للدانى، وحرز الأمانى للشاطبى، والقصيدة الحصرية، والتقريب والحرش للهاشمى، والمحرر الوجيز لابن عطية، وصحيح البخارى، وصحيح مسلم، وسنن أبى داود، وسنن الترمذى، وموطأ مالك، وملخص القابسى، ومنتقى ابن الجارود، والمسند الكبير للبزار، وسيرة ابن هشام، وشمائل الترمذى، وكتاب الأربعين للمقدسى، وكتاب الأربعين لأبى الفتوح الطائى، وكتاب الأربعين للفراوى، وشرح الحكم والأمثال للعسكرى، ومعراج المناقب لابن أبى الخصال، والاستيعاب لابن عبد البر، والاستذكار له، والإشراف لابن المنذر، والمختلف والمؤتلف لعبد الغنى الحافظ، وكتاب الجهاد لابن الحاج، والتبصرة للخمى، ورسالة ابن أبى زيد، والتلقين للقاضى عبد الوهاب، وفهرست أبى القاسم ابن حبيْش، والإيضاح للفارسى، والجمل له، والمفصل للزمخشرى، وكذا الفصيح وإصلاح المنطق لابن السكيت، وأدب الكتَّاب لابن قتيبة، والأمثال لأبى عُبيد، والكامل للمبرّد، والأمالى للبغدادى، والمقامات للحريرى، وكتاب الأشعار الستة، وشعر المتنبى، وحماسة حبيب، وشعر ابن وضاح، وشعر ابن خفاجة، والمسلسل فى اللغة للتميمى، وكتاب نزهة الألباب فى محاسن الآداب، والمقاصد الكافية من علم لسان العرب.

ثم عرّف ابن رُشيد بما قرأ على ابن حبيش من أحاديث، وأثبت بالترجمة قصيدًا طويلا من نظمه يستدعى به أُنس ابن حبيش وإجازته له، وعقب ذلك أثبت الجواب عن قصيده بما نظمه أبو محمد بن مبارك على لسان الشيخ ثم ذكر قصيد ابن الحكيم فى نفس الغرض والإجابة عنه.

ثم أورد أشعارا كثيرة تزيد على ثلاثين قطعة كلها لابن حبيش ومن نظمه غير قطع قليلة أنشدها صاحب الترجمة له بعضها لابن خفاجة والبعض الآخر لابن شرف. وقد كان ابن رشيد دائم الاتصال بأبى بكر بن حبيش من حين دخوله تونس إلى وقت مغادرته لها حيث وافته مراسلة منه إلى المركب الذى يحمله نحو الوجهة الحجازية.

(ملء العيبة لأبى عبد الله محمد بن عمر بن رشيد ـ تقديم وتحقيق سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة ٢/ ٥٥ ـ ٥٧. انظر أيضًا رحلة العبدرى المسماة الرحلة المغربية لأبى عبد الله محمد بن محمد العبدرى الحيحى ـ حققه وقدم له وعلق عليه محمد الفاسى / ٢٦٨، ٢٦٩).

***الحج:**

قال الإمام الراغب الأصفهانى:

حج: أصل الحج القصد للزيارة، قال الشاعر:

* *يَحُجُّون بيتَ الزِّبرِقانِ المُعصفرا* *

خُصَّ فى تعارف الشرع بقصد بيت الله تعالى إقامة للنسك فقيل الحَجُّ والحِجُّ، فالحَجُّ مصدرٌ والحِج اسمٌ، ويوم الحَج الأكبر يوم النَّحر، ويوم عرفة، ورُوى العمرة الحَجُّ الأصغرُ.

(المفردات فى غريب القرآن / ١٠٧).

وقال الشيخ محمد أحمد الملقب بالداه الشنقيطى فى شرحه لرسالة ابن أبى زيد القيروانى:

الحج لغة القصد وفى عرف الشرع القصد إلى بيت الله الحرام على وجه التعظيم لقصد العبادة المعروفة وهى عبادة تشتمل على نية وتلبية وطواف وسعى بين الصفا والمروة ووقوف بعرفة ومبيت بمزدلفة ورمى الجمار بمنى وحلق أو تقصير وترك طيب وحلق شعر وغير ذلك وهو فرض بالكتاب والسنة والإجماع فمن أنكر أنه فرض ارتد ومن اعترف بأنه فرض وامتنع من أدائه ترك واتفق أهل المذاهب الأربعة على أنه فرض فى العمر مرة على الحر المسلم سواء كان ذكرًا أو أنثى البالغ

العـاقل المستطيع وعنـد المـالكيـة فـرض علـى الفـور على المعتمد وقيل على التـراخي إلى خوف الفوات وعند الحنـابلة فرض على الفور وعند الحنفيـة فرض على الفور على قول أبي يوسف وأصح الروايتين عن أبي حنيفة وعلى التراخي على قول محمـد والتعجيل أفضل وعند الشـافعيـة فرض على التـراخي وإنما يجوز التأخير بشرط العزم على الفعل في المستقبل.

قال الله تعالى: ﴿ ولله على الناس حِجُّ البيت من استطاع إلى سبيلا ومن كفـر فإن الله غني عن العالمين ﴾ [آل عمران: ٩٧] «وعن ابن عمـر أن رسول الله ﷺ قال: بني الإسـلام على خمس: شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمدًا رسـول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان» رواه البخاري.

«وعن أنس قال كنا نتمنى أن يأتي الأعرابي العاقل فيسأل النبي ﷺ ونحن عنده فبينمـا نحن كذلك إذ أتـاه أعرابي فجثى بين يدى النبي ﷺ فقال يا محمد إن رسولك أتانا فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك. فقال النبي ﷺ نعم. قـال: فبالذي رفع السماء وبسط الأرض ونصب الجبال آلله أرسلك؟ فقال النبي ﷺ نعم. قال فإن رسـولك زعم لنا أنك تـزعم أن علينا خمس صلـوات في اليوم والليلـة فقـال النبي ﷺ نعم. قـال فبالـذي أرسلك آلله أمـرك بهذا؟ قـال نعم. قال فإن رسـولك زعم لنا أنك تزعم أن علينا صوم شهر في السنة فقال النبي ﷺ صدق. قال فبالـذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قـال النبي ﷺ نعم. قال فإن رسـولك زعم أن علينا في أمـوالنا الـزكاة. فقـال النبي ﷺ صدق. قال فبـالذي أرسلك آلله أمرك بهـذا؟ قال النبي ﷺ: نعم. قـال فإن رسولك زعم لنـا أنك تزعم أن علينـا الحج إلى البيت من استطـاع إليـه سبيـلا فقـال النبي ﷺ: نعم. قـال فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ فقال النبي ﷺ: نعم. فقال: والذي بعثك بـالحق لا أدع منهن شيئًا ولا أجـاوزهن ثم وثب فقال النبي ﷺ إن صـدق الأعرابي دخل الجنة» رواه التـرمذي وعن ابن عبـاس أن الأقـرع بن حابس سأل النبـي ﷺ فقال يـا رسول الله الحج في كل سنة أو مـرة واحدة قال بل مرة فمن زاد فهو تطوع» رواه أبو داود (الفتح الرباني ١/ ١٥٧).

روى الشيخان عن أبي هـريرة رضي الله عنـه قال: «سُئِلَ رسول الله ﷺ أيُّ العمل أفضل قال: إيمـان بالله ورسوله، قيل ثم مـاذا؟ قال الجهـاد في سبيل الله، قيل ثم مـاذا؟ قـال حجٌّ مبرُورٌ». وروى مسلم عن أبي هريرة أيضًا قال: «خطبنا رسول الله ﷺ فقـال يـا أيهـا النـاس قـد فُـرض عليكم الحج فحُجُّـوا». وفي حديث الشيخين «بُني الإسـلام على خمس» عَدَّ منها الحجَّ.

وروى الشيخان عن أبي هريرة أيضًا قال: «قال رسول الله ﷺ من حجَّ لله فلم يـرفث ولم يفسق رجع كيـوم ولـدتهُ أمُّـهُ» وروى الشيخان عن أبي هـريرة أيضًا قال: قـال رسول الله ﷺ العُمرة إلى العمرة كفَّارةٌ لما بينهما والحجُّ المبرورُ ليس له جزاء إلا الجنة» (مختصر كتاب رياض الصالحين/ ١٥٠، ١٥١).

أما عن أداء الحـج فقد اختلف الفقهاء فـي وجوب الحج أهو علـى الفور أم على التراخـي فذهب جمهور الفقهـاء إلى وجوبه علـى الفور وذهب الشافعية وبعض الحنفيـة والإباضية في الأصح عنـدهم إلى وجـوبه على التـراخي والكل متفقـون على أن القيام بـه في أشهره من أى سنة يكـون أداء غير أن من يـرى أن وجوبـه على الفور يقـول إنه يأثم بـالتأخير عن العـام الأول.

(موسوعة الفقه الإسلامي ٤/ ١٥٢).

ويحصي الخوارزمي الألفـاظ المتعلقة بمنـاسك الج كما يلي:

القران: القِرَانُ أن ينوى العمرة مع الحج جميعًا والتمتع أن يحرم للعمرة قبل الحج. الإفراد أن يفرد نيّة كل واحد منهما.

الاستـلام: الاستـلام هـو لمس الحجـر الأسـود اشتق من السَّلمة وهي الحجر كما قيل من الكحل الاكتحال.

الرملُ والهرولة: الإسراع.

والجمز العدو في المشي: الهـدى ما يهدى إلى بيت الله الحرام من النعم.

البَدنة: النـاقة والبقرة تهدى إلى البيت وجمعهـا بُدن مثل خشبة وخشب. التجمير: رمي الجمار وهي الحصى واحدتها جمـرة وبهـا سميت جمـرة العقبــة الإشعـار أن يُعلم الهـدى بالطعن في سنـامه أو غيـر ذلك. وشعائر الله واحدتهـا شعيرة وهي العلامة (مفاتيح العلوم/ ١٢).

وإليك تفصيل مناسك الحج:

الحج هو الخامس من أركان الإسلام...

ويجب على المسلم البـالـغ العـاقل، (والـرجل والمـرأة سواء) بشرط الاستطاعة.

ويجب مرة فى العمر ... وكذا العمرة عند بعض الفقهاء .

فمن زاد عن مرة فهو متطوع .

ويستحب تكراره كل خمسة أعوام .

أركانه :

وأركان الحج أربعة :

١ - الإحرام. ٢ - الطواف .

٣ - السعى . ٤ - الوقوف بعرفة .

وما عدا الوقوف أركان العمرة فهى ثلاثة .

الإحرام :

فالإحرام : الدخول فى النسُك (أى شعائر الحج) .

وللإحرام أربع كيفيات :

١ - الإفراد : وهو أن ينوى الحج من الميقات . وبعد تمام الحج يخرج إلى الحِلّ فيحرم بالعمرة [ويسمى : المُفْرِد] .

٢ - التمتع : وهو أن يعتمر أولا من ميقات بلده، فى أشهر الحج، ثم يحج من مكة بلا رجوع إلى الميقات ... ويسمى المُتَمتِّع .

٣ - القِرَان : أن يحرم بهما معا، من ميقات بلده ويسمى القارن .

٤ - والإطلاق : أن ينوى الدخول فى النسك من غير تعيين، ثم له بعد ذلك صرفه لما شاء .

ويجب على المتمتع والقارن دم .

ومن الواجبات التى لو ترك واحدا منها وجب عليه الدم :

١ - الإحرام من الميقات : (أى المكان الذى يحرم منه الحجيج بالحج) وهو: ذو الحُليفة : لأهل المدينة ومن حواليها [ومن يمر بها] .

والجُحْفة : لأهل الشام ومصر والمغرب ومن يمر عليها (وقد زالت رسومها وأعلامها وأصبح الناس يحرمون من رابغ مدينة فى شمالها احتياطًا وهى مدينةعلى ساحل البحر الأحمر الشرقى) .

ويلملم : لتهاية اليمن . والهنود الذين يمرون بها .

وقرنُ المنازِل : لنجد اليمن ومن يمر بهم .

وذات عِرْق : لأهل العراق وخراسان وكل من يمر به .

ومن فى مكة، ومن مسكنه أقرب من الميقات إلى مكة فميقاته موضعه .

ومن المشروع : التلبية عند الإحرام، ويستحب تكرارها، ورفع الصوت بها، وتجديدها عند كل مناسبة من نزول أو ركوب وهى من واجبات الإحرام كتكبيرة الإحرام للصلاة ولفظها عن النبى ﷺ : « لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك » (رواه الجماعة والشافعى والبيهقى) فهى واجبة بهذا اللفظ عند الجمهور.

ومن سنن الإحرام :

١ - الاغتسال .

٢ - والإحرام عقب صلاة نافلة .

٣ - وتقليم الأظافر. وقص الشارب، وحلق العانة .

٤ - والدعاء والصلاة على النبى ﷺ عقب التلبية .

ومن المحظورات للمُحرم التى لو فعلها وجب عليه فدية :

دم شاة، أو صيام ثلاثة أيام، أو إطعام بثلاثة آصعَ (جمع صاع وهو أربعة أمداد، والمد حفنة بيدى رجل معتدل الكفين) .

١ - تغطية الرأس، ولبس المخيط .

٢ - وحلق الشعر، وتقليم الأظفار. ومس الطيب .

٣ - ومقدمات الجماع من قبلة أو نحوها .

٤ - وعقد النكاح .

٥ - وقتل صيد البر.

وبالجماع تجب الكفارة والقضاء فورًا، وهى بدنة [الناقة المسنَّة] وإن لم يجد فبقرة، وإلا فسبع شياه، وإن لم يجد قوَّم البدنة بالدراهم، والدراهم بالطعام ، ويتصدق... وإن لم يجد فيصوم عن كل مُدٍّ يومًا .

وجزاء قتل الصيد بمثله من النعم .

الركن الثانى : الطواف :

وهو الدوران حول البيت سبعة أشواط .

وشروطه :

١ - النية ...

٢ - والطهارة من الخبث والحدث .

٣ – وستر العورة .

٤ – وأن يطوف داخل المسجد، بجعل البيت عن يساره .

٥ – وأن يبدأ بالحجر الأسود ويختمه به .

٦ – ولابد أن يكـون كل بدنـه خارجـا عن كل البيت ، فإذا طاف لا يجعل يده فى هواء الحِجْر أوالشاذروان .

(الحجر: حجر إسماعيل وهو جزء من الكعبة لكنه خارج عن بنائها وهو تحت الميزاب .

والشـاذروان بفتح الذال وكسرهـا : القـدر الذى تـرك بين عـرض الأساس خـارجـا عن عرض الجـدار مـرتفعا عن وجـه الأرض قدر ثلثى ذراع) .

ومن سنن الطواف :

١ – الرَّمَل، وهو الإسراع مع تقارب الخطى ، فى الأشواط الثـلاثـة الأولى، ولا يسن الـرمل إلا فى طـواف يعقبـه سعى ، فيكون فى طواف القدوم، أو فى طواف الإفاضة ...

٢ – ومن سننه : الاضطبـاع ، وهو كشف الكتف الأيمن ، بأن يجعل وسط ردائه تحت عاتقه الأيمن ، ويطرح طرفيه على عاتقه الأيسر .

٣ – ومنهـا : تقبيل الحجـر الأسـود عند بـدء الطـواف إن أمكن ، وإلا اكتفى بلمسـه بـاليـد ، أو بالإشـارة إليـه ، لفعل النبى ﷺ ذلك وأمره به .

ولا يظن بذلك تعظيم الحجر بحيث أنه يضـر أو ينفع فقد قـال عمر رضى الله عنـه عنـد تقبيل الحجر: « إنى أعلم أنك حجـر لا تضـر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسـول الله ﷺ يقبلك مـا قبلتك » (أخرجه السبعة وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح) .

٤ – ومن سننـه : استلام الركن اليمـانى وهو الركن المقابـل للحجر الأسود من عند جهة حِجْر إسماعيل .

٥ – ومنهـا : الـدعاء بـالملتـزم (بـاب الكعبة) عند الفراغ من الطواف .

٦ – ومنها : صـلاة ركعتين بعـد الفراغ من الطواف ، خلف مقام إبراهيم ، والشرب من مـاء زمزم ، والـرجـوع من قدام الحجـر الأسود قبل الخروج إلى المسعى .

الركن الثالث السعى :

وهو المشى بين الصفا والمروة ذهابا و إيابا .

شروطه : ١ – النية .

٢ – أن يكون عقب الطواف .

٣ – إكمال سبعة أشواط .

٤ – الموالاة بين أشواطه .

من سنن السعى :

١ – سـرعة المشى بين الميلين الأخضـرين لما خَبَّت فيـه هاجر أم إسماعيل (الخبُّ ضربٌ من العدو، أى الهرولة) .

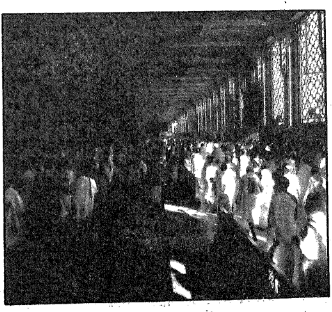
٢ – الوقوف على الصفا والمروة للدعاء .

٣ – وأن يقول : الله أكبر ثلاثا عند الرقى .

٤ – الموالاة بينه وبين الطواف .

٥ – والخروج إليه من باب الصفا ، تـاليا قوله تعالى : ﴿إن الصفـا والمـروة من شعـائر الله فمن حج البيت أو اعتمـر فـلا جناح عليه أن يطَّوَّفَ بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم﴾ [البقرة : ١٥٨] .

٦ – وأن يكون الساعى مُتطَهِّرًا .



السعى بين الصفا والمروة

٧ - وأن يسعى ماشيا .

٨ - وألَّا يؤذى أحدًا من الساعين .

٩ - واستحضاره - فى نفسه - ذله وفقره إلى الله .

الركن الرابع الوقوف بعرفة :

وهو أهم أركان الحج لقوله ﷺ : «الحج عرفة » (رواه الخمسة) .

وواجباته :

١ - الحضور بعرفة يوم تاسع ذى الحجة بعد الزوال إلى غروب الشمس .

٢ - والمبيت بالمزدلفة بعد الإفاضة من عرفات ليلة عاشر ذى الحجة .

٣ - ورمى جمار العقبة يوم النحر .

٤ - والحلق أو التقصير بعد رمى جمرة العقبة .

٥ - والمبيت بمنى ثلاث ليال : ليلة الحادى عشر، والثانى عشر، والثالث عشر، أو ليلتين لمن تعجل .

٦ - ورمى الجمرات الثلاث بعد زوال كل يوم من أيام التشريق .

ومن سنن الوقوف وآدابه :

١ - الخروج إلى منى يوم التروية ، وهو ثامن ذى الحجة ، والمبيت بها ليلة التاسع .

٢ - والتوجه إلى نَمرة صباح التاسع .

٣ - ومنها : وجوده بعد الزوال بنَمِرة ، وصلاته الظهر والعصر قصرا وجمع تقديم مع الإمام (بمسجد نَمِرة بوادى عُرَنة المتاخم لعرفات ويقال له بطن عُرَنة) .

٤ - ومنها : إتيانه إلى موقف عرفات بعد أداء صلاة الظهر والعصر مع الإمام .

٥ - ومنها : تأخير صلاة المغرب إلى أن ينزل الجمع المزدلفة فيصلى المغرب والعشاء بها جمع تأخير قصرًا .

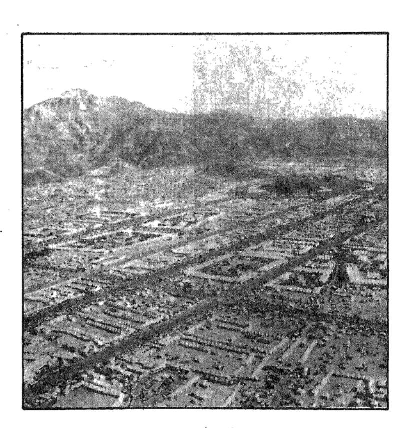
٦ - ومنها : الوقوف مستقبل القبلة ذاكرًا وداعيًا عند المشعر الحرام حتى الإسفار .

٧ - ومنها : أداء طواف الإفاضة قبل الغروب .

٨ - ومنها : الاغتسال بعد الزوال والوقوف بعرفة .

٩ - ومنها : الوقوف بموقف رسول الله ﷺ عند الصخرة إن تمكن .

١٠ - ومنها : الذكر والدعاء مستقبل القبلة بالموقف .



الحج عرفة

١١ - ومنهــا : كـون الإفــاضــة من عــرفـة على طــريق المأزِمَيْن.

(موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة، وهو شِعب بين جبلين، يفضى آخره إلى بطن عُرنـه، حيث مسجـد نَمِـرة. معجم البلدان ٥/ ٤٠).

١٢ - ومنهـا : الإكثـار من التلبيـة فى الطـريق إلى مِنى، وعرفات، والمزدلفة .

١٣ - ومنها : التقاط سبع حصيات من مزدلفة لرمى جمرة العقبة بلا زيادة كما يفعل العوام .

١٤ - ومنهـا الـدفع من مـزدلفـة بعـد الإسفـار، وقبل طلوع الشمس .

١٥ - ومنها : الإسراع فى السير ببطن مُحَسِّر.

(مــوضع مـا بين مكــة وعـرفـة وقيل بين منى وعـرفـة وقيل بين منى ومــزدلفــة عن معجم البلـــدان ٥/ ٢٦٢ ويرجح الأخير حسب مناسك الحج).

١٦ - ومنها : رمـى جمرة العقبــة فيمـــا بين طلـــوع الشمس، والـزوال مع قـول : الله أكبر مع كل حصاه .

١٧ - ومنها : مباشرة ذبح الهــدى، أو شهــوده حــال نحره .

١٨ - ومنها : الأكل من الهدى .

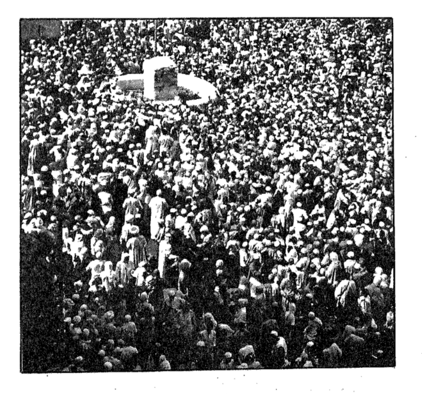
١٩ - ومنها : المشى إلى الجمرات .

٢٠ - ومنها : رمـى جمرة العقبــة من بطن الــوادى ... مستقبلاً لهــا، جاعـلاً البيت عن يساره، ومنى عن يمينه .

تنبيهات :

١ - إذا أراد دخول مكـة : اغتسل خـارج مكة بنيـة دخول مكـة، ويدخلهـا نهـارًا (نهـارًا وليـلاً سواء وإن كـان يستحب دخولها نهارًا) .

٢ - فإذا دخلهـا مضى نحـو المسجـد الحـرام، فإذا وقع بصـره على البيت يقف ويرفع يـديـه ويقول : « اللهم زد هـذا البيت تشريفـا، وتكريما، وتعظيمـا، ومهابة، وزد من شـرفه وعظَّمه ممن حجه أو اعتمـره تشريفا وتكريمـا وتعظيما وبرًّا .



الحجّاج يرمون الجمار فى منى

اللهم أنت السلام ومنك السلام حيّنا ربنا بالسلام » (عن سعيد بن المسيب عن عمر. رواه البيهقي وابن أبي شيبة بسند حسن. مناسك الحج للألباني / ١٩).

٣ - فإذا دخل المسجد يطوف طواف القدوم.

وللحج أكثر من طواف (وأشهر ثلاثة خاصة بالحج) وهي:

(أ) طواف القدوم.

(ب) طواف الإفاضة.

(جـ) طواف الوداع.

فركن الحج: طواف الإفاضة بعد الرجوع من عرفات، والباقيان من سننه. وهناك طواف رابع وهو طواف التطوع، يأتي به الناسك استحبابا كيف شاء ومتى شاء، وطواف خامس وهو طواف التحية بدل ركعتي تحية المسجد كما أسلفنا.

٤ - أما السَّعْيُ: فيجوز أن يؤخره إلى ما بعد الإفاضة.

٥ - وحلق الرأس: من أعمال الحج، وهي ركن عند بعض الأئمة، وعده الجمهور من واجباته.

٦ - أما الرَّمْيُ والحلق وطواف الإفاضة فيدخل وقت الثلاثة بنصف الليل من ليلة النحر.

٧ - ويتحلل الحاج بفعل اثنين من هذه الثلاثة:

١ - إما حلق ورمي.

٢ - وإما حلق وطواف.

٣ - وإما رمي وطواف.

فيحل باثنين جميع ما حرم عليه، غير الوطء، وعقد النكاح.

فإذا فعل الثالث حل له كل ما حرم عليه.

٨ - فإذا فرغ من طواف الإفاضة والسعي رجع إلى مِنى أو بات بها.

٩ - ويلتقط في أول أيام التشريق. إحدى وعشرين حصاة من مِنًى. فإذا زالت الشمس رمى بها قبل الصلاة، فيرمى االجمرة الأولى (الصغرى) ثم الثانية (الوسطى) ثم الثالثة (العقبة أو الكبرى) وهي الجمرة التي رماها يوم النحر، فيرميها بسبع كما فعل من قبل.

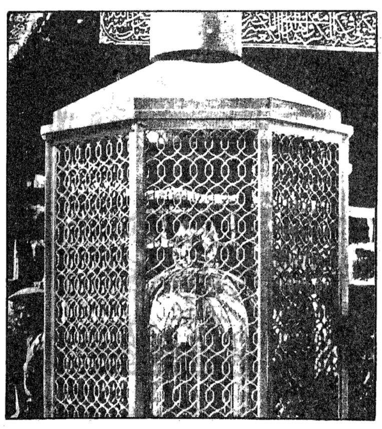
١٠ - ويفعل كذلك في ثاني أيام التشريق، والثالث بعد الزوال.

١١ - ويخطب الإمام:

(أ) في سابع ذي الحجة بعد صلاة الظهر بمكة، خطبة يعلمهم فيها مناسك الحج.

(ب) وفي تاسع ذي الحجة بِنَمِرَةَ قبل دخول عرفة.

(جـ) وفي ثالث أيام التشريق بمنى بعد الرمي يُعْلِمُهُمْ فيها جواز السفر وقطع الرمي (مختصر الأحكام الفقهية / ١٢١ ـ ١٣١).



مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام

حج الصبى والعبد :

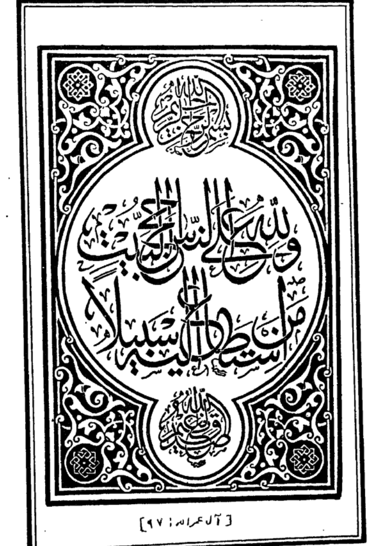
لا يجب عليهما الحج ، لكنهما إذا حجًّا صح منهما ، ولا يجزئهما عن حجة الإسلام .

قـال ابن عباس رضى الله عنهمـا : قال النبى ﷺ : « أيمـا صبى حجَّ ثم بلغ الحِنث (الحنث : الإثم ، أى بلغ أن يُكتب عليه إثم) فعليه أن يحج مرة أخرى . أيما عبد حجَّ ثم أُعتق ، فعليه أن يحج حجة أخرى » رواه الطبرانى بسند صحيح .

وقال السـائب بن يزيد : حج أبى مع رسـول الله ﷺ حجة الوداع وأنـا ابن سبع سنين . رواه أحمد والبخارى والتـرمذى .

وقال قـد أجمـع أهل العلم : على أن الصبـى إذا حج قبل أن يُدرك فعليه الحج إذا أدرك ، وكـذلك المملوك إذا حج فى رقِّه ثم أعتق فعليه الحج إذا وجد إلى ذلك سبيلا .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أن امرأة رفعت إلى رسول الله ﷺ صبيا فقـالت : ألهذا حجٌّ؟ قـال : « نعم ، ولك أجر » (أى فيمـا تتكلفين من أمره بـالحج ، وتعليمه إياه) .



[آل عمران : ٩٧]

وعن جـابـر رضى الله عنـه قـال : «حججنـا مع رسـول الله ﷺ ومعنـا النساء والصبيان ، فلبَّينا عن الصبيان ، ورمينا عنهم . رواه أحمد وابن ماجه .

ثم إن كـان الصبى مميـزًا أحـرم بنفسـه وأدَّى منـاسك الحج ، وإلا أحرم عنـه وليّه ، ولبّى عنه وطـاف به وسعى ، ووقف بعرفة ، ورمى عنه (قال النووى : الولىّ الذى يحرم عنه إذا كان غيـر مميز هـو ولى مالـه وهو أبـوه أو جدّه أو الوصى من جهة الحاكم . أما الأم فـلا يصح إحرامهـا إلا إذا كـانت وصية أو منصـوبة من جهـة الحاكم . وقيل : يصح إحرامهـا وإحرام العصبة وإن لم يكن لهم ولاية) .

ولـو بلغ قبل الوقـوف بعرفـة ، أو فيها أجـزأ عن حجة الإسـلام ، كذلك العبد إذا أُعتق .

وقـــال مـــالك وابن المنـــذر : لا يجزئهما ، لأن الإحرام انعقـد تطوعا ، فلا ينقلب فرضًا .

حج المرأة :

يجب على المـرأة الحج ، كمـا يجب على الرجل سـواء بسواء ـــ كما سبق أن ذكـرنـا ـ إذا استـوفت شـرائط

الـوجوب، ويـزاد عليهـا بـالنسبة للمـرأة أن يصحبهـا زوج أو محرم.

فعن ابن عبـاس رضى الله عنهما قال: سمعـت رسول الله ﷺ يقول: « لا يخلـونَّ رجل بـامرأة إلا ومعهـا ذو محرم، ولا تسافر المـرأة إلا مع ذى محرم، فقام رجل فقـال: يا رسول الله إن امرأتى خـرجت حاجّة، وإنى اكتتبت فى غزوة كـذا وكذا. فقـال: « انطلـق فحُجَّ مع امـرأتك » رواه البخـارى ومسلم، واللفظ لمسلم.

وإلى اشتراط هـذا الشرط، وجعله من جملة الاستطـاعة، ذهب أبو حنيفة وأصحابه، والنخعى والحسن والثورى وأحمد وإسحاق.

قال الحـافظ: والمشهور عنـد الشافعية اشتـراط الزوج أو المحرم أو النسوة الثقات، وفى قول: تكفى امرأة واحدة ثقة، وفى قـول ـ نقلـه الكرابيسـى وصححه فى المهـذب: تسافـر وحدها، إذا كان الطريق آمنا.

وهذا كله فى الواجب من حج أو عمرة.

وفى « سبل السـلام » « وقـال جمـاعة من الأئمـة: يجـوز للعجوز السفـر من غيـر محرم » وقـد استدل المجيـزون لسفر المرأة من غير محرم ولا زوج ـ إذا وجدت رفقة مأمونة، أو كان الطريق آمنا ـ بما رواه البخـارى عن عَدِىّ بن حاتم قال: « بينا أنا عند رسول الله ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه فاقة، ثم أتاه رجل فشكـا إليه قطع السبيل، فقـال: يـا عدىّ هل رأيت الحيـرة؟ (قـرية قـريبة من الكـوفة) قـال: قلت: لم أرها، وقـد أنبئت عنهـا. قال: فإن طـالت بك حياة لتـرينَّ الظعينة تـرتحل من الحيرة حتى تطـوف بالكعبة، لا تخـاف إلا الله » (الظعينة أى الهودج فيه امرأة أم لا).

واستدلّوا أيضًا بأن نساء النبى ﷺ حججن بعد أن أذن لهنّ عمر رضى الله عنه فى آخر حجة حجها، وبعث معهن عثمان ابن عفان، وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما.

وكان عثمـان رضى الله عنه ينادى: ألاَّ يدنـو أحد منهن، ولا ينظر إليهن، وهنَّ فى الهوادج علىٰ الإبل.

وإذا خالفـت المرأة وحجّت، دون أن يكـون معها زوج أو محرم، صح حجّها.

وفى سبل السـلام: قال ابن تيمية: « إنـه يصح الحج من المرأة بغير محرم ومن غير المستطيع ».

وحاصله: أن من لم يجب عليـه الحج لعدم الاستطاعة، مثل المـريض، والفقيـر، والمعضـوب، والمقطوع طـريقـه، والمرأة بغير محـرم، وغير ذلك، إذا تكلفوا شهـود المشاهد، أجزأهم الحج.

ثم منهم من هو محسن فـى ذلك، كالذى يحجّ مـاشيًا، ومنهم من هـو مسىء فى ذلـك، كـالـذى يحج بـالمسألـة، والمرأة تحج بغير محرم.

وإنما أجزأهم، لأن الأهلية تامة، والمعصية إن وقعت فى الطريق، لا فى نفس المقصود.

وفى المغنى: لـو تجشم غيـر المستطيع المشقـة، وسـار بغير زاد وراحلة وحجّ، كان حجه صحيحا مجزئًا.

استئذان الزوجة زوجها:

يستحب للمـرأة أن تستأذن زوجها فى الخـروج إلى الحج الفـرض فإن أذن لهـا خرجت وإن لـم يأذن لها خـرجت بغيـر إذنه، لأنـه ليس للرجل منع امـرأته من حج الفريضـة، لأنها عبادة وجبت عليها، ولا طاعـة لمخلوق فى معصية الخالق. ولها أن تعجل به لتبرئ ذمتهـا، كما لها أن تصلى أول الوقت، وليس له منعهـا، ويليق به الحج المنذور، لأنـه واجب عليها كحجـة الإسلام. وأمـا حج التطـوع فله منعهـا منه، لمـا رواه الـدارقطنى عن ابن عمـر رضى الله عنهما، عن رسـول الله ﷺ فى امرأة كان لها زوج ولها مال، فلا يأذن لها فى الحج ـ قال: « ليس لها أن تنطلق إلا بإذن زوجها ».

الحج عن الغير:

من استطـاع السبيل إلى الحج ثم عجـز عنه، بمـرض أو شيخوخة، لزمه إحجـاج غيره عنه، لأنه أيس من الحج بنفسه لعجزه، فصار كالميت فينوب عنه غيره.

ولحـديث الفضل بن عبـاس رضى الله عنه: أن امـرأة من خثعم قالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده فى الحج، أدركت أبى شيخـا كبيـرا لا يستطيـع أن يثبُت على الـراحلـة، أفأحجّ عنــه؟ قـال: « نعـم » وذلك فى حجـة الـوداع. رواه الجماعة، وقال الترمذى: حسن صحيح.

وقال الترمذى أيضًا: « وقد صح عن النبى ﷺ فى هذا الباب غير حديث ، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ وغيرهم يرون أن يحج عن الميت . وبه يقول الثورى وابن المبارك والشافعى وأحمد وإسحاق وقال مالك: إذا أوصى أن يُحجّ عنه، حُجَّ عنه .

وقد رخص بعضهم أن يحج عن الحىّ إذا كان كبيرًا بحال لا يقدر أن يحج، وهو قول ابن المبارك والشافعى (وهذا قول أحمد والأحنف) .

وفى الحديث دليل على أن المرأة يجوز لها أن تحجّ عن الرجل والمرأة، والرجل يجوز له أن يحج عن المرأة، ولم يأت نص يخالف ذلك .

شرط الحج عن الغير:

يشترط فيمن يحج عن غيره أن يكون قد سبق له الحج عن نفسه .

لما رواه ابن عباس رضى الله عنهما : « أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول: « لبيّك عن شُبرمة » فقال: أحججت عن نفسك؟ قال: لا. قال: فحُجَّ عن نفسك، ثم حُجَّ عن شبرمة» رواه أبو داود وابن ماجه .

قال البيهقى: هذا إسناد صحيح ليس فى الباب أصح منه .

وهذا قول أكثر أهل العلم: أنه لا يصح أن يحج عن غيره من لم يحجّ عن نفسه مطلقا، مستطيعًا كان أو لا .

من حج لنذر وعليه حجة الإسلام:

أفتى ابن عباس وعكرمة، بأن من حج لوفاء نذر عليه ولم يكن حجّ حجة الإسلام أنه يجزئ عنهما .

وأفتى ابن عمر، وعطاء: بأنه يبدأ بفريضة الحج، ثم يفى بنذره .

الاقتراض للحج:

عن عبد الله بن أبى أوفى قال: سألت رسول الله ﷺ عن الرجل لم يحجّ، أَيَستقرض للحج؟ قال: « لا » رواه البيهقى .

الحج من مال حرام:

ويجزئ الحج وإن كان المال حرامًا ويأثم عند الأكثر من العلماء .

وقال الإمام أحمد: لا يجزئ ، وهو الأصح لما جاء فى الحديث الصحيح : « إن الله طيّب لا يقبل إلا طيّبا » (فقه السّنة م١ جـ٤/ ٥٦١ـ٥٦٧) .

العمرة:

وكيفية العمرة: أن يحرم بها كما يحرم بالحج . ويحرُم بإحرامها جميع ما حُرّم فى الحج . ثم يدخل مكة فيطوف طواف العمرة، ثم يسعى، ثم يحلق رأسه أو يقصر، فيحلّ منها .

الزيارة:

ويستحب زيارة قبر النبى ﷺ والمسجد النبوى، وهى للحاجّ آكد (قال الألبانى فى مناسك الحج / ٥٩، تحت عنوان: بدع الزيارة فى المدينة المنورة: قصد قبره ﷺ بالسفر ... أما السُّنّة فهى قصد المسجد للحديث « لا تُشَدُّ الرِّحال »، فإذا كان فى المسجد صلى التحية ثم زار القبر تبعا للمسجد) فيأتى المسجد الشريف ويصلّى التحية، ثم يقصد الحجرة الشريفة، فيقف مستقبلا إليها، ويسلم على النبى ﷺ قائلاً: « السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبى الله ... إلخ من ألفاظ التحية .

ثم يتنحى قليلاً إلى اليمين فيسلم على أبى بكر، ثم يتنحى قليلاً إلى اليمين ويسلم على عمر. فإذا أراد الدعاء والابتهال إلى الله تعالى يستقبل القبلة، ويدعو بما شاء (مختصر الأحكام الفقهية / ١٣٢) .

ونفرد مادة خاصة لزيارة رسول الله ﷺ إن شاء الله تعالى فانظرها فى موضعها فى حرف الزاى .

أما من حيث المنظومات التعليمية التى تناولت مناسك الحج فنسوق منها النماذج التالية :

١ - منظومة صفوة الزبد للشيخ الإمام أحمد بن رسلان (فى المذهب الشافعى):

الحَجُّ فرضٌ وكذاك العُمرهْ
لمْ يجبَا فى العُمرِ غيرَ مَرَّهْ
وإنَّما يلزمُ حُرًّا مُسْلِما
كُلِّفَ ذَا اسْتِطاعةٍ لِكُلِّ مَا

يَحتاجُ مِن مأكُولٍ او مَشْرُوبِ
إلى رُجُوعِهِ ومِنْ مَرْكُوبِ
لاقَ بهِ بِشَرْطِ أَمْنِ الطرقِ
ويُمْكِنُ المَسِيرُ فِى وقتٍ بَقِى
أَرْكَانُهُ الإِحْرَامُ بِالنِّيَّهْ قِفِ
بعدَ زوالِ التِّسْعِ إِذْ تُعَرِّفِ
وَطافَ بالكَعْبَةِ سَبْعًا وسَعَى
مِنَ الصَّفَا لِمَرْوَةٍ مُسَبَّعَا
ثُمَّ أَزِلْ شَعْرًا ثَلاثًا نَزْرَهْ
وَمَا سِوَى الوُقُوفِ رُكْنُ العُمْرَهْ
والدَّمُ جَابِرٌ لِوَاجِباتِ
أَوَّلُهَا الإِحْرَامُ مِنْ مِيقَاتِ
والجَمْعُ بَيْنَ اللَّيْلِ والنَّهارِ
بِعرَفَهْ والرَّمْىُ لِلْجِمَارِ
ثُمَّ المَبِيتُ بِمِنًى والجَمْعِ
وَآخِرُ السِّتِّ طَوَافُ الوَدْعِ
وَسُنَّ بَدْءُ الحَجِّ ثُمَّ يَعْتَمِرْ
وَلْيَتَجَرَّدْ مُحْرِمٌ وَيَتَّزِرْ
وَيَرْتَدِ البَيَاضَ ثُمَّ التَّلْبِيَهْ
وَأَنْ يَطُوفَ قَادِمٌ والأَدْعِيَهْ
يَرْمُلُ فِى ثَلاثَةٍ مُهَرْوِلاَ
وَالمَشْىُ بَاقِى سَبْعَةٍ تَمَهُّلاَ
والاضْطِبَاعُ فِى طَوافٍ يَرْمُلُ
فيهِ وفِى سَعْىٍ بهِ يُهَرْوِلُ
وَرَكْعَتَا الطَّوافِ مِنْ وَرَا المَقَامْ
فَالحِجْرِ فَالمَسْجِدِ إِنْ يَكُنْ زِحَامْ
وَبَاتَ فِى مِنًى بِلَيْلِ عَرَفَهْ
وَجَمْعُهُ بِهَا وَبِالمُزْدَلِفَهْ
بِتْ وَارْتَحِلْ فَجْرًا وَقِفْ بِالمَشْعَرِ
تَدْعُو وَأَسْرِعْ وَادِىَ المُحَسِّرِ
وَفِى مِنًى لِلْجَمْرَةِ الأُولَى رَمَيْتْ
بِسبْعِ رَمْيَاتِ الحَصَى حِينَ انتهيْتْ
مُكَبِّرًا لِلْكُلِّ وَاقْطَعْ تَلْبِيَهْ
ثُمَّ اذبَحِ الهَدْى بِهَا كالأُضْحِيَهْ
واحْلِقْ بِهَا أَوْ قَصِّرَنْ مَعْ دَفْنِ
شَعْرٍ وبعدَهُ طَوَافُ الرُّكْنِ
وبعدَ يَوْمِ العِيدِ لِلزَّوَالِ
تَرْمِى الجِمَارَ الكُلَّ بِالتَّوَالِى
بِاثْنَيْنِ مِنْ حلْقٍ وَرَمْىِ النَّحْرِ
أَوِ الطَّوَافِ حلَّ قَلْمُ الظُّفْرِ
والحلْقُ واللُّبْسُ وَصَيْدٌ وَيُبَاحْ
بِثَالِثٍ وَطْءٌ وَعَقْدٌ وَنِكَاحْ
واشْرَبْ لِمَا تُحِبُّ مَاءَ زَمْزَمِ
وَطُفْ وَدَاعًا وادْعُ بِالمُلْتَزَمِ
وَلاَزِمٌ لِمُتَمَتِّعٍ دَمُ
أَوْ قَارِنٍ إِنْ كَانَ عَنْهُ الحَرَمُ
مَسَافَةَ القصْرِ وَعِنْدَ العَجْزِ صَامْ
مِنْ قبلِ نَحْرِهِ ثَلاثَ أَيَّامْ
وَسَبْعَةً فِى دَارِه وَلْيَحْتَلِلْ
لِفَوْتِ وَقْفَةٍ بِعُمْرَةٍ عَمَلْ
وَلْيَقْضِ مَعْ دَمٍ وَمُحْصَرٍ أَحَلْ
بِنِيَّةٍ والحَلْقُ مَعْ دَمٍ حَصَلْ

(متن الزبد/ ٥٥ـ٥٧).

٢ – منظومة القرطبى فى العبادات (فى المذهب المالكى):

الحجُّ فرضٌ يلزمُ المُسطاعْ
فَازمِعِ السَّيْرَ له إزماعْ
فُرُوضُهُ الإِحْرامُ ثُمَّ النِّيَّةْ
ثُمَّ الوُقُوفُ ليلةَ الأُضْحِيَّةْ
بِالجَبَلِ المَعْرُوفِ قَبْلَ الفَجْرِ
أَعْنِي بِذَاكَ فَجْرَ يومِ النَّحْرِ
ثُمَّ الطَّوَافُ لازِمٌ وَالسَّعْيُ
عَلَى خِلافٍ يَقْتَضِيهِ الرَّأْيُ
وَمَا عدَا هذا فَمِنْ مَسْنُونِهْ
مِثْلُ الحِلاقِ والَّذِي مِن دُونِهْ
والرَّمْيُ مَا يَكُونُ مِنْ جِمَارْ
وَالنَّهْيُ أَنْ تُقَلِّمَ الأَظْفَارْ
وَعَنْ مَخِيطٍ مُحْرِمِ الجُيُوبِ
وَالنَّهْيُ عَنْ تَلَطُّخٍ بِالطِّيبِ
رَوى عِيَاضٌ أَنَّهَا خَمْسُونَا
أَعْنِي الَّتِي في حَجِّنَا مَسْنُونَا

(منظومة القرطبى / ١٥، ١٦).

٣ - منظومة المرشد المعين على الضرورى من علوم الدين لابن عاشر (فى المذهب المالكى):

الحَجُّ فَرضٌ مَرَّةً فِي العُمُرِ
أَرْكَانُهُ إِنْ تُرِكَتْ لَمْ تُجْبَرِ
الإِحْرامُ والسَّعْيُ وقُوفُ عَرَفَهْ
لَيْلَةَ الأَضْحَى والطَّوَافُ رَدِفَهْ
والواجباتُ غَيْرُ الأركانِ بِدَمْ
قَدْ جُبِرَتْ مِنها طَوافُ مَنْ قَدِمْ
وَوَصْلُهُ بِالسَّعْيِ مَشْيٌ فِيهِمَا
ورَكْعَتَا الطَّوَافِ إنْ تَحَتَّمَا
نُزُولُ مُزْدَلِفَةَ فِي رُجُوعِنَا
مَبِيتُ لَيْلَةٍ ثَلاثٍ بِمِنَى
إِحْرامُ مِيقَاتٍ فَذُو الحُلَيْفَهْ
لِطَيْبَ لِلشَّامِ وَمِصْرَ الجُحْفَهْ
قَرنٌ لِنَجْدٍ ذَاتُ عِرْقٍ لِلْعِرَاقْ
يَلَمْلَمُ اليَمَنِ آتِيهَا وِفَاقْ
تجرُّدٌ مِنَ المَخِيطِ تَلْبِيَةْ
والحَلْقُ مع رَمْيِ الجِمَارِ توْفِيَةْ
وإنْ تُرِدْ تَرْتِيبَ حَجِّكَ اسْمَعَا
بَيَانَهُ والذِّهْنَ مِنك استَجْمِعَا
إنْ جِئْتَ رابِغَا تَنَظَّفْ وَاغْتَسِلْ
كَوَاجِبٍ وَبِالشُّرُوعِ يَتَّصِلْ
وَالْبَس بُرْدًا وأُزْرَةً نَعْلَيْنِ
واستَصْحِبِ الهَدى وركعتينِ
بِالكَافِرُونَ ثَمَّ الاخْلاصِ هُمَا
فَإِنْ ركبتَ أو مَشيتَ أَحْرِمَا
بِنِيَّةٍ تَصْحَبُ قَوْلاً أو عمَلْ
كمشيٍ أو تلبيةٍ مِمَّا اتَّصَلْ
وَجَدِّدَنْهَا كُلَّمَا تجدَّدَتْ
حَالٌ وإنْ صَلَّيْتَ ثمَّ إنْ دَنَتْ
مَكَّةُ فَاغْتَسِلْ بِذِى طُوًى بِلاَ
دَلْكٍ وَمِنْ كُدَا الثَّنِيَّةِ ادْخُلا
إِذَا وَصَلْتَ لِلْبُيُوتِ فَاتْرُكَا
تَلْبِيَةً وَكُلَّ شُغْلٍ وَاسْلُكَا
لِلْبَيْتِ مِنْ بَابِ السَّلاَمِ وَاسْتَلِمْ
الْحَجَرَ الأَسْوَدَ كَبِّرْ وأَتِمْ

سبْعَـــةَ أشْـــواطٍ بـــهِ وقــدْ يَسَـــرْ
مُكَبِّـــرنْ مُقَبِّـــلاً ذَاكَ الْحَجَـــرْ
مَتَى تُحَـــاذِهْ كــذا اليَمَـــانِى
لَكِنْ ذَا بـــاليَـــدِ خُـــذْ بَيَـــانِى
إنْ لَمْ تَصِـلْ لِلْحَجَـرِ المَسْ بِـــالْيَـــدِ
وَضَعْ عَلَى الفَـمِ وَكَبِّـــرْ تَقْتَـــدِ
وارْمُلْ ثـــلاثًـــا وامْشِ بعـــدُ أرْبَعَـــا
خلـفَ المقَـــامِ ركعتيـن أوقِعَـــــا
وادْعُ بِمَـــا شِئْتَ لـــدَى المُلْتَـــزِمِ
والحجـــرَ الأســـودَ بعـــدُ اسْتَلِـمِ
واخْـــرُجْ إلى الصَّفَـــا فَقِفْ مُسْتَقْبِـــلاَ
عليــــهِ ثـمَّ كَبِّـــرَنْ وَهَلِّـــــلاَ
واسْعَ لِمَـــرْوَةَ فَقِفْ مِثْـلَ الصَّفَــــا
وَخُبَّ فِى بَطْـنِ الْمَسِيلِ ذَا اقْتِفَــــا
أرْبَعَ وَقْفَـــــاتٍ بِكُـلٍّ مِنْهُمَـــــا
تَقِـفُ والأشْـــوَاطَ سَبْعًـــا تَمِّمـــا
وادْعُ بِمَـــا شِئْتَ بِسَعْيٍ وَطَـــوافْ
وبـــالصَّفَـــا ومَـــرْوَةٍ مَعَ اعْتَـــرافْ
ويجبُ الطُّهـــرانِ والسَّتْـــرُ عَلَى
من طَـــافَ نَـــدْبُهَـــا بِسَعْيٍ اجْتَـــلاَ
وَعُـــدْ فَلَبِّ لِمُصَلَّى عَـــرَفَـــهْ
وخُطْبَـــةَ السَّـــابِعِ تَـــأْتِى لِلصِّفَـــهْ
وَثَـــامِنَ الشَّهْـــرِ اخْـــرُجَنَّ لِمَنَى
بِعَـــرَفَـــاتٍ تَـــاسِعًـــا نُـــزُولُنَـــا
واغتَسِلَنْ قُـــرْبَ الـــزَّوالِ واحْضُـــرا
الخُطْبَتَيْـنِ واجْمَعَـــنَّ وقَصِّـــــرَا

ظُهْـــرَيْكَ ثُمَّ الجبـلَ اصْعَـــدْ راكِبَـــا
عَلَى وُضُـــوءٍ ثمَّ كُنْ مُـــوَاظِبَـــا
عَلَى الـــدُّعَـــا مُهَلِّـــلاً مُبْتَهِـــلاَ
مُصَلِّيًـــا عَلَى النَّبِى مُسْتَقْبِـــلاَ
هُنَيْهَـــةً بعـــدَ غُـــرُوبِهـــا تَقِفْ
وانفُـــرْ لِمُـــزْدَلِفَـــةٍ وتَنْصَـــرِفْ
فِـــى المَـــأزمِيـــنَ العلميـــنِ نَكِّـبِ
واقْصُـــرْ بِهـــا واجمعْ عِشَـــا لِمَغْـــرِبِ
وَاحْطُـطْ وبِتْ بِهَـــا وأحْيِى ليلتكْ
وصَـــلِّ صُبحَـــكَ وغلِّـس رِحْلتَـــكْ
قِفْ وادْعُ بـــالمِشعَـــرِ لـــلإِسْفَـــارِ
وَأَسْـــرِعَنْ فى بَطْـنِ وَدِى النَّـــارِ
وســـرْ كمـــا تكُـــونُ لِلْعَقَبَـــةِ
فَـــارْمِ لـــدَيْهَـــا بِحِجَـــارٍ سَبْعَـــةِ
مِنْ أَسْفـلٍ تُسَـــاقُ مِنْ مُـــزْدَلِفَـــهْ
كَـــالْفُـــولِ وانْحَـــرْ هَـــدْيًـــا إنْ بِعَـــرفَـــهْ
أوقَفْتَـــــهُ وَاحْلِقْ وَسِـــــرْ لِلْبَيْتِ
فَطُـــفْ وَصَـــلِّ مِثْـلَ ذَاكَ النَّعْـــتِ
وارْجِعْ وَصَلِّ الظُّهْـــرَ فى مِنًى وَبِتْ
إثْـــرَ زوالِ غَـــدِهِ ارْمِ لاتُفِتْ
ثـــلاثَ جمـــراتٍ بسبعِ حَصيـــاتْ
لِكُلِّ جمـــرةٍ وقِـفْ لِلـــدَّعَـــواتْ
طَـــوِيـــلاً إثْـــرَ الأوْلِينِ أَخِّـــرَا
عَقَبَـــــةً وكُلَّ رَمْـىٍ كَبِّـــــرا
وافعَلْ كَـــذَاكَ ثـــالثَ النَّحْـــرِ وزدْ
إنْ شِئْتَ رَابِعًـــا وتَـــمَّ مَـــا قُصِـــدْ

وَمَنَعَ الإحْرامُ صَيْدَ البَرِّ ... فى قتلهِ الجزاءُ لا كالفارِ

وَعَقربٍ مَعَ الحِدَا كلْبٍ عَقُورْ ... وحَيَّةٍ مَعَ الغُرابِ إذْ يَجُوزْ

وَمَنَعَ المُحِيط بِالعُضْوِ ولَوْ ... بِنَسْجٍ أوْ عَقْدٍ كخَاتِمٍ حَكَوْا

والسَّتْرَ للوَجْهِ أوِ الرَّأسِ بِمَا ... يُعَدُّ سَاتِرًا وَلَكِنْ إنَّمَا

تُمْنَعُ الأُنْثَى لُبْسَ قُفَّازٍ كَذَا ... سَتْرٌ لِوجْهٍ لاَ لِسَتْرٍ أُخِذَا

وَمَنَعَ الطِّيبَ ودُهْنًا وضَرَرْ ... قَمْلٍ وإلْقَا وسَخٍ ظُفْرٍ شَعَرْ

وَيَفْتَدِى لِفِعْلِ بعضِ مَا ذُكِرْ ... مِنَ المُحِيطِ لِهُنَا وإنْ عُذِرْ

ومَنَعَ النِّسَا وأفسدَ الجِمَاعْ ... إلى الإفَاضَةِ يُبَقَّى الإمْتِنَاعْ

كالصَّيْدِ ثُمَّ باقِى مَا قَدْ مُنِعَا ... بِالجَمْرَةِ الأُولَى يَحِلُّ فَاسْمَعَا

وَجَازَ الاسْتِظْلاَلُ بِالمُرْتَفِعِ ... لاَ فِى المَحَامِلِ وَشُقْدُفٍ فَعِ

وَسُنَّةَ العُمْرَةِ فَافْعَلْهَا كَمَا ... حَجٍّ وفِى التَّنْعِيمِ نَدْبًا احْرِمَا

وإثْرَ سَعْيِكَ احْلِقَنْ وَقَصِّرَا ... تَحِلَّ مِنْهَا والطَّوَافَ كَثِّرَا

مَا دُمْتَ فِى مكَّةَ وارْعَ الحُرْمَةْ ... لِجَانِبِ البَيْتِ وزد فى الخِدْمَةْ

وَلاَزِمِ الصَّفَّ فَإنْ عَزَمْتَ ... على الخُرُوجِ طُفْ كمَا عَلِمْتَ

وَسِرْ لِقَبْرِ المُصْطَفَى بِأَدَبِ ... وَنِيَّةٍ تُجَبْ لِكُلِّ مَطْلَبِ

سَلِّمْ عليهِ ثمَّ زِدْ لِلصِّدِّيقْ ... ثُمَّ إلى عُمَرَ نِلْتَ التَّوْفِيقْ

واعْلَمْ بِأَنَّ ذَا المَقَامِ يُسْتَجَابْ ... فِيهِ الدُّعَا فلا تملَّ مِن طِلاَبْ

وسَلْ شَفَاعَةً وخَتْمًا حُسْنَا ... وعَجِّلِ الأوبَةَ إذْ نِلْتَ المُنَى

وادْخُلْ ضُحًى واصْحَبْ هَدِيَّةَ السُّرُورْ ... إلى الأقَارِبِ ومَنْ بِكَ يَدُورْ

(متن ابن عاشر / ١٨ ـ ٢٢).

٤ - منظومة كفاية الغلام للشيخ عبد الغنى النابلسى، وقد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت فى النص:

(١٢٧) يُفْتَرَضُ الحَجُّ عَلَى المُكلَّفِ ... المُسْلِمِ الحُرِّ الصَّحِيحِ فَاعْرِفِ

(١٢٨) ذِى بَصَرٍ والزَّادِ ثُمَّ الرَّاحِلَةْ ... قَدْ فَضَلا عَنْ كُلِّ مَا لاَ بُدَّ لَهْ

(١٢٩) وَالأمْنِ فِى الطَّرِيق غالبًا وَفِى ... حقِّ النِّسَا مَعْ مَحْرَمٍ مُكلفِ

(١٣٠) وفَرْضُهُ الإحْرَامُ والوُقُوفُ ... بعرفاتٍ بَعْدَهُ يَطُوفُ

(١٣١) وَالواجِبُ الوُقُوفُ بالمزدلفَةْ ... وَلِلْغُرُوبِ مَدُّهُ بِعَرَفَةْ

(١٣٢) والسَّعْىُ وَابْتِدَاؤُهُ مِنَ الصَّفَا ... والمشْىُ فِيهِ مَعَ عُذْرٍ انْتَفَى

(١٣٣) رَمْيُ الْجِمَـارِ وَالطَّـوَافُ لِلصَّـدَرْ

فِي الْغُـــرَبَــا وَالإِبْتِـــدَا مِـنَ الْحَجَــرْ

(١٣٤) تَيَــامُنٌ فِيــهِ مع الْمَشْيِ بِــلاَ

عُــذْرٍ وَطُهْـرٌ سَتْـرُ عَـوْرَةٍ تَــلاَ

(١٣٥) إِنْشَــاءُ إِحْـرَامٍ مِنَ الْمِيقَــاتِ

كَـــذَاكَ لِلْقَــارِنِ ذَبْحُ الشَّـــاةِ

(١٣٦) وَذِى تَمَتُّعٍ وَرَكْعَتَـــــانِ قُلْ

لِكُلِّ أُسْبُـــوعٍ يَطُـــوفُـــهُ الـــرَّجُلْ

(١٣٧) حلْقٌ أَوِ التَّقْصِيـرُ والتَّـرْتِيبُ فِي

رَمْيٍ وَحَلْقٍ ثُـمَّ ذَبْـحٍ فَــاعْـــرِفِ

(١٣٨) جَعْلُ طَـوافِ الفَـرْضِ يَوْمَ النَّحْـرِ

وَمَــا سِـــوَاهَــا سُنَنٌ فَــاسْتَقِـــرِ

(١٣٩) وأَشْهُـــرُ الحَجِّ بِشَـــوالٍ تَحُلْ

وقَعْـــدَةٍ وَشَهْــرِ ذِى الْحِجَّـــة قُلْ

(١٤٠) والأَفْضَلُ القِـــرَانُ فَـــالتَّمَتُّعُ

وبَعْـــدَهُ الإِفْــرادُ وَهُـــوَ أَسْـــرَعُ

(١٤١) وَالْعُمرةُ الطَّوافُ والسعْيُ انْضَبَطْ

ولاَ تَكُـــونُ غَيْـــرَ سُنَّـــةٍ فقطْ

(١٤٢) يَلَمْلَمُ مِيقَـــاتُ أَهْلِ الْيَمَـنِ

كَـــذَاكَ ذُو حُلِيفَـــةٍ لِلْمَـــدَنِى

(١٤٣) وَلِلْعِـراقى ذاتُ عِـرْقٍ سَـامِى

قَــرْنٌ لِنَجْـدٍ جُحْفَـــةٌ لِلشَّــــامى

(١٤٤) وَيَلْـزَمُ المُحْـرِمَ شَـاةٌ إِنْ لَبِسْ

يَـوْمًـا وإن طيَّبَ عضـوًا فـاحتـرس

(١٤٥) كحلـق ربع رأســـه وإن قتلْ

صيـــدًا وَإِنْ أشَـــارَ أو عليـــه دَلْ

(١٤٦) قِيمَتُـــهُ كَقَطْعِ أَشْجـارِ الحَـرَمْ

مُبَـــاحَـــــةٌ إِلاَّ إذا جفَّ وتَـمْ

(رشحات الأقلام / ١٤، ١٥).

وللإمام ابن القيم قصيدة ميمية طويلة حافلة عدّتها مائتان وثلاثة أبيات (٢٠٣) يصف فى بعضها مشهد الحجيج ومناسك الحج فارجع إليها إن شئت فى كتاب « متن القصيدتين النونية والميمية » ص ٢٥٢ ـ ٢٦١. كما أن من مقامات ابن الجوزى المقامة الثامنة عشرة فى ذكر الحج وهى مشوقة بأسلوبها كباقى المقامات فارجع إليها إن شئت فى كتاب مقامات ابن الجوزى ص ١٤٤ ـ ١٥٨.

ولما كان الشعر ديوان العرب فإننا نجد الألفاظ المتعلقة بأماكن ومناسك الحج تدور فى الشعر، وتعرف مثل تلك الألفاظ بمفردات الثقافة أو مفردات الحضارة. ونسوق فيما يلى بعض الأمثلة من أشعار كنت قد أعددتها لبحث لم ينشر بعد:

١ – من الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة للإمام حمزة بن الحسن الأصبهانى ـ تحقيق عبد المجيد قطامش ١/ ٩٤ قالت الغنية الأعرابية لابنها:

أحلف بالمروة يومًا والصفا

إنك خيرٌ من تفاريق العصا

٢ – من مختار الأغانى ٥/ ٢٢٧. قال عمرو بن عبيد الحزين:

نشدتُك بالبيت الذى طيف حوله

وزمزم والبيت الحرامِ المحجَّب

٣ – من شروح سقط الزند لأبى العلاء المعرى ٢/ ٤٨٠، القصيدة الخامسة عشرة، البيت ١٤، من قصيدة يجيب أبا القاسم على بن الحسين بن جلبات عن قصيدة مدحه بها:

كأنك ركن البيت أُعْطِى قُدرةً

فسارَ إلَى زُوَّاره لاستلامه

٤ – من المنهل الصافى لابن تغرى بردى ـ تحقيق د. محمد محمد أمين ٢/ ٣٨٩. فقد اجتمع ابن المقرىء اليمانى بالحافظ ابن حجر العسقلانى فى مكة المشرفة وأنشده:

قل للشهاب بن علىّ بن حجر

سورا على مودتى من الغير

فَسُورُ ودِّى فيك قد بنيتهُ

من الصفا والمروتين والحجر

٥ - من لســان العـرب لابـن منظـور ٥١/ ٤٦٤٢ قـول الفرزدق :

حلفتُ بـــربِّ مكــــة والمصلّـى
وأعنـــاق الهَـــديِّ مقلّـــدات

(المفـردات فى غـريب القرآن للـراغب الأصفهـانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٠٧ ، والفتح الربانى شرح على نظم رسالة ابن أبى زيـد القيـروانى ـ محمـد أحمـد الملقب بـالـداه الشنقيطى ١/ ١٥٧ ، ومختصر كتاب ريـاض الصالحين للإمام يحيى بن شـرف الدين النووى ـ اختصره ورتّبه الشيـخ النبهانى / ١٥٠ ، ١٥١ ، وموسوعة الفقـه الإسلامى ٤/ ١٥٢ ، ومفاتيح العلوم للشيخ أبى عبد الله محمـد بن أحمد بن يوسف الخوارزمى / ١٢ ، ومختصـر الأحكام الفقهية لعلى بن فريـد الكشجنورى الهنـدى ـ تحقيق يـوسف البدرى ، مـراجعـة د. محمد أحمـد عاشـور / ١٢١ ، ١٣٢ ، وفقه السنـة ـ فضيلـة الشيخ السيد سـابق م١ جـ٤/ ٥٦١ ـ ٥٦٧ ، ومتن الزبـد للشيخ الإمام أحمد بن رسلان الشـافعى / ٥٥ ـ ٥٧ ، ومنظـومة القـرطبى فى العبادات على مـذهب الإمـام مالك ـ نظم الشيخ يحيى القـرطبى الدارى / ١٥ ، ١٦ ، ومتن ابن عـاشر المسمى بـالمرشـد المعين على الضرورى من علوم الدين ـ صححه وراجعه وعلق عليه الشيخ أحمد حبيب الله الشنقيطى المالكى / ١٨ ـ ٢٢ ، ورشحات الأقلام شرح كفاية الغلام فى أركان الإسلام للعلامة الشيخ عبد الغنى إسماعيل النابلسى ـ تحقيق محمد خالد الخرسة ، . بدون تاريخ / ١٤ ، ١٥ . انظر أيضًا متن القصيدتين النـونية والميمية لابن القيم ، وهى قصيـدة الكافية الشـافية فى الانتصار للفرقة الناجية / ٢٥٢ ـ ٢٦١ ، ومقامات ابن الجوزى للإمام ابن الجوزى ـ تحقيق د. محمد نغش / ١٤٤ ـ ١٥٨) . وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، والمقاصد فى بيان ما يجب معرفته من الدين من العقيدة والعبـادة وأصول التصوف للإمـام يحيى بن شرف الدين النووى / ٧٧ ـ ٨١ ، والفقه على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزيرى ـ ط . دار الشعب ١٣٨٠هـ ، كتـاب الشعب ١١١ ، ١/ ٣٥١ ـ ٤٠١ ، وط دار إحياء التراث العربى . بيروت . الطبعة الثالثة د. ت ١/ ٦٣١ ـ ٧١٠ ، وجمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد للإمام محمد بن محمد بن سليمان ١/ ١٦٣ ـ ١٩٦ ، ومتن الغاية والتقـريب للإمام أبى شجاع أحمد ابن الحسين بن أحمد الأصفهانى / ٢٥ ـ ٢٧ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمـام ابن الديبع الشيبانى ١/ ٢٤٩ ـ ٢٩٩ ، والحاوى للفتاوى لجلال الدين عبد الـرحمن السيوطى ١/ ٣٥٢ ـ ٣٥٤ ، ومنهاج المسلم ـ أبـو بكر جـابر الجـزائرى / ٣١٨ ـ ٣٣٦ ، ومنح المِنّة فى التلبس بالسُّنَّة للإمـام عبد الوهاب الشعـرانى / ١٤٩ ـ ١٧١ ، وشرح ريـاض الصالحين للإمام النووى ـ شرحـه وحققه د. الحسينى عبد المجيد هاشم ٢/ ٥٨٩ ـ ٦٧١ ، ومفتاح السعادة ومصباح السيـادة لطاش كبرى زاده ٣/ ٧٧ ـ ٩٧ ، وقد أدرجه تحت عنوان « علم أسـرار الحج » ، ومجموع : « السبل السوية لفقه السنن المروية » ـ نظم حافظ بن أحمد الحكمى / ٤٥ ، والبجيرمى على الخطيب . حاشية الشيخ سليمـان البجيرمى المسماة بتحفة الحبيب على شرح الخطيـب المعروف بالإقنـاع فى حل ألفاظ أبى شجـاع للشيخ محمد الشربينى الخطيب الموجود بالهامش ٢/ ٣٦٢ ـ ٤١٤ ومناسك ابن جماعة على المذاهب الأربعة للقاضى عز الدين عبد العزيز بن محمد بن جماعة الكنانى ـ تحقيق د. حسين بن سالم الدهمانى التونسى (الكتاب كله) وعمـدة الفقه لابن قدامـة ـ تخريج أبى عبـد العزيز عبـد الله بن سفر العبدلى الغـامدى ومحمـد دغليب البراق العتيبى / ٣٩ ـ ٤٦ ، والأحكام السلطانية والـولايات الدينية لعلى بن محمـد حبيب المصرى الماوردى / ٩٤ ـ ٩٨ وبه معلومات قيمة عن واجبات أمير الحج فى زمانه ، ونقد العلم والعلماء أو تلبيس إبليس للإمام ابن الجوزى / ١٤٠ ، ١٤١ ، و« الحج » ـ الأستاذ طه حبيب . مجلـة الأزهر. الجزء الثانى عشـر، السنة الستون، ذو الحجة ١٤٠٨هـ ـ يـولية ـ أغسطس ١٩٨٨م/ ١٦٤٨ ـ ١٦٥٤ ، وأطلس تاريخ الإسلام ـ د. حسين مؤنس ، طرق الحج فى البلاد الإسلامية / ١٨٢ ـ ١٨٥) .

*** الحج (سورة ـ):**

السـورة رقم ٢٢ من ســور القـرآن الكـريم وفقــا لتـرتيب المصحـف . قال الشيخ الحداد : مدنية إلا الآيات ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ فبين مكة والمدينة .

قـالت المؤلفـة : هـذا مـا ورد فى كافـة المصـاحف التى عندى ، وما عندى منها الكثير والحمد لله ، سواء المطبوع منها فى مصـر أو فى دول أخرى . بيـد أن الإمام الفيروزابـادى حين أورد هذه السورة فى البصيرة ٢٢ من بصائره قال : السورة مكية بـالاتفـاق ، ســوى ست آيـات منهـا فهى مــدنيـة : ﴿هذان خصمان﴾ [١٩] إلى قـوله تعـالى ﴿صراط الحميد ﴾ [٢٤] فلزم التنويه .

قال الشيخ الحـداد : وعدّ آيـاتها سبعـون ، وأربع شامى ، وخمس بصرى ، وست مدنيان ، وسبع مكى ، وثمان كوفى .

وخلافهم فى خمسة مواضع . الأول : ﴿ من فوق رؤوسهم الحميم ﴾ [١٩]، الثانى : ﴿ما فى بطونهم والجلود﴾ [٢٠] عدّهما الكوفى . الثالث : ﴿عادٌ وثمود﴾ [٤٢] تركه الشامى . الرابع : ﴿وقوم لوط﴾ [٤٣] عدّه الكوفى والحجازى . الخامس : ﴿سمّاكم المسلمين ﴾ [٧٨] عدّه المكى بخلف عنه (سعادة الدارين / ٤٢) .

وعن هذا الخلاف فى عدّ آيات سورة الحج يقول الإمام الشاطبى فى منظومته :

وفى الحجِ كُوف (عَـ)ـنْ (حـ)ـجَى شَامٍ أَرْبعُ

وَخَمسٌ عنِ البَصْرِى وستٌّ عن الْـ(ـقُطْرى)

ومَكٌ لَـــهُ سَمَّــاكمُ المُسْلمينَ عَـنْ

خـــلاف فَسبْعٌ كـالثُّـريَّـا لَـــهُ تَسْـرِى

ثمُــودَ سِـوَى الشَّـامِىِّ الحَمِيمُ الجُلـودُ قُلْ

لكُـــوف ولُــوطِ دَعْــهُ للشَّـامى والبَصْـرِ

بَهيجٍ فقُـلْ بعْـد السَّعيـرِ حَـديـد الــ

ـــقُلوب معَ المَطْلُــوب طُــلاَّبهَـا تَقْـرِى

وقُلْ مَعْ شَهيدٌ مَـا يَشَـا مُعَــاجـزِيــ

ـــنَ والبَـاد منْ نَــار فَـدَعْهُنَّ واسْتَبـرِ

(متن ناظمة الزهر / ٣٣، ٣٤) .

ورؤوس آياتها عظيم (١) شديد (٢) مريد (٣) السعير (٤) بهيج (٥) قدير (٦) القبور (٧) منير (٨) الحريق (٩) للعبيد (١٠) المبين (١١) البعيد (١٢) العشير (١٣) يريد (١٤) يغيظ (١٥) يريد (١٦) شهيد (١٧) ما يشاء (١٨) الحميم (١٩) والجلود (٢٠) حديد (٢١) الحريق (٢٢) حرير (٢٣) الحميد (٢٤) أليم (٢٥) السجود (٢٦) عميق (٢٧) الفقير (٢٨) العتيق (٢٩) الزور (٣٠) سحيق (٣١) القلوب (٣٢) العتيق (٣٣) المخبتين (٣٤) ينفقون (٣٥) تشكرون (٣٦) المحسنين (٣٧) كفور (٣٨) لقدير (٣٩) عزيز (٤٠) الأمور (٤١) وثمود (٤٢) لوط (٤٣) نكير (٤٤) مشيد (٤٥) الصدور (٤٦) تعدون (٤٧) المصير (٤٨) مبين (٤٩) كريم (٥٠) الحميم (٥١) حكيم (٥٢) بعيد (٥٣) مستقيم (٥٤) عقيم (٥٥) النعيم (٥٦) مهين (٥٧) الرازقين (٥٨) حليم (٥٩) غفور (٦٠) بصير (٦١) الكبير (٦٢) خبير (٦٣) الحميد (٦٤) رحيم (٦٥) لكفور (٦٦) مستقيم (٦٧) تعملون (٦٨) تختلفون (٦٩) يسير (٧٠) نصير (٧١) المصير (٧٢) المطلوب (٧٣) عزيز (٧٤) بصير (٧٥) الأمور (٧٦) تفلحون (٧٧) النصير (٧٨) وفيها من مشبه الفاصلة المتروك أربعة (١) ثياب من نار (٢) فيه والباد (٣) معجزين (٤) فأمليت للكافرين (سعادة الدارين / ٤٢، ٤٣) .

قال الإمام الفيروزابادى :

وكلماتها ألفان ومائتان وإحدى وتسعون كلمة . وحروفها خمسة آلاف وخمسة وسبعون مجموع فواصل آياتها (انتظم زبرجد قطٌّ) على الهمزة منها ﴿إنَّ الله يفعل ما يشاءُ ﴾ [١٨] .

سميت سورة الحج : لاشتمالها على مناسك الحج ، وتعظيم الشَّعائر، وتأذين إبراهيم للنَّاس بالحج .

مقصود السورة على طريق الإجمال : الوصيَّة بالتَّقوى ، والطَّاعة ، وبيان هَوْل الساعة ، وزلزلة القيامة ، والحجة على إثبات الحشر والنشر، وجدال أهل الباطل مع أهل الحقِّ ، والشكاية من أهل النفاق بعد الثبات، وعيب الأوثان وعبادتها ، وذكر نُصرة الرسول ﷺ، وإقامة البرهان والحُجَّة ، وخصومة المؤمن والكافر فى دين التوحيد، وتأذين إبراهيم على المسلم بالحجِّ ، وتعظيم الحُرمات والشعائر، وتفضيل القرآن (يقول المحقق فى هامش ١٠ : الظاهر أنه محرف عن « القربان » والمراد : « ذبح الهدى ») فى الموسم ، والمِنَّة على العباد بدفع فساد أهل الفساد ، وحديث البئر المعطَّلة ، وذكر نسيان رسول الله ﷺ وسهوه حال تلاوة القرآن ، وأنواع الحجّة على إثبات القيامة ، وعجز الأصنام وعُبَّادها ، واختيار الرسول من الملائكة والإنس، وأمر المؤمنين بأنواع العبادة والإحسان ، والمِنَّة عليه باسم المسلمين ، والاعتصام بحفظ الله وحياطته فى قوله ﴿ واعتصموا بالله هو مولٰكم ﴾ إلى قوله ﴿ونعم النَّصير ﴾ [٧٨] .

فضل السورة

ذكر المفسّرون فيه أحاديث واهية . منها : من قرأ من سورة الحج أعطى من الأجر كحجّة حجَّها، وعمرة اعتمرها، بعدد

من حجّ واعتمر، مَنْ مضى منهم ومن بَقى، ويُكتب لـه بعدد كلّ واحد منهم حجَّة وعمرة وله بكلِّ آية قرأها مثلُ ثواب مَنْ حَجّ عن أبويه. (قال الشهاب فى كتابته على البيضاوى ٦/ ٣١٨: «هـو حديث مـوضوع كما ذكره العراقى رحمه الله، وركاكة لفظه شاهدة لـوضعه) (بصائر ذوى التمييز ١/ ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٨).

وعن حكمة وقوع سـورة الحج فى ترتيب المصحف بعد سورة الأنبياء يقول الإمام السيوطى:

أقول: وجـه اتصالهـا بسورة الأنبيـاء: أنه ختمهـا بوصف الساعة فـى قوله: ﴿ **واقتـرب الوعـد الحق فإذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا** ﴾ [٩٧] وافتتح هذه بذلك، فقال: ﴿ **إن زلزلة الساعة شىء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مـرضعةٍ عما أرضعت وتضعُ كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى** ﴾ [١، ٢] (تناسق الدرر/ ١٠٣).

ويتنـاول الإمـام السيـوطى مـا أبهم من الأسمـاء فى بعض آيات هذه السورة فقال: ﴿ **فى أيام معلومات** ﴾ [٢٨]: قال ابن عباس: أيام العشر (العشر الأول من ذى الحجة).

وقـال زيـد بن أسلم: يـوم عـرفـة، ويـوم النحـر، وأيـام التشريق.

وقال ابن عمر: يوم النحر، ويومان بعده.

أخرجهما ابن أبى حاتم.

﴿**عذاب يوم عقيم**﴾ [٥٥] قـال أُبى بن كعب وسعيـد بن جبير وعكرمة: يوم بدر.

وقال الحسن ومجاهد والضحاك: يوم القيامة، لا ليلة له، أخرج ذلك ابن أبى حاتم، والله أعلم (مفحمات الأقران/ ٧٤).

أما عن الآيات المتشـابهات فى هذه السورة فقـد أحصاها الإمام الكرمانى على النحو التالى:

قوله تعالى: ﴿ **يوم تـرونها** ﴾ [٢] وبعده: ﴿**وترى الناس سكارى** ﴾ [٢] محول على: أيهـا المخاطب. كمـا سبق فى قوله: ﴿ **وترى الفلك** ﴾ [النحل: ١٤].

قوله تعالى: ﴿ **ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير** ﴾ [٨] فى هذه السورة. وفى لقمان: ﴿**ولا هدى ولا كتاب منير** ﴾ [٢٠] لأن ما فى هذه السورة (أى سورة الحج) وافق مـا قبلهـا من الآيـات، وهى ﴿**قـديـر** ﴾ [٦] ﴿**القبور**﴾ [٧] وكذلك فى لقمـان وافق ما قبلها وما بعـدها، وهى ﴿**الحمير**﴾ [١٩] ﴿**السعير** ﴾ [٢١] ﴿**الأمور** ﴾ [٢٢].

قوله تعالى: ﴿ **مِنْ بعد علـم شيئًا** ﴾ [٥] بزيادة ﴿**مِنْ** ﴾ لقوله تعالى: ﴿ **من تراب ثم من نطفة** ﴾ [٥].

قوله تعالى: ﴿ **ذلك بما قدمت يداك** ﴾ [١٠] وفى غيرها: ﴿ **أيديكم** ﴾ [آل عمران: ١٨٢] لأن هذه الآية نزلت فى النضر ابن الحارث، وقيل: فى أبى جهل، فـوحّده وفى غيرهـا نزلت فى الجماعة التى تقدم ذكرهم.



قوله تعالى: ﴿ **إن الذين آمنوا والـذين هادوا والصـابئين والنصـــارى** ﴾ [١٧] قـدم الصابئين لتقدم زمـانهم، وقد تقدم فى البقرة.

قوله تعالى: ﴿ **يسجد له من فـى السمـــوات** ﴾ [١٨] سبق فى الرعد.

قوله تعالى: ﴿ **كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها** ﴾ [٢٢] وفى السجدة: ﴿ **منهـا أعيدوا فيهـا** ﴾ [٢٠] لأن المـراد بـالغم: الكـرب

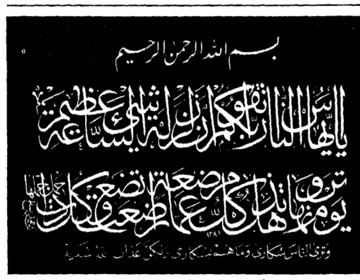
والأخــذ بـالنفس، حتى لا يجـد صـاحبـه متنفسا، ومـا قبله من الآيـات يقتضى ذلك، وهو ﴿ قُطِّعت لهم ثيابٌ من نار ﴾ [١٩] إلى قوله تعالى: ﴿ من حديد ﴾ [٢١] فمن كان فى ثياب من نار وفـوق رأسه حميم يذوب من حرّه أحشـاء بطنه حتى يـذوب ظاهـر جلده، وعليه مـوكلون يضربـونه بمقامع من حـديد، كيف يجـد سرورا، أو يجـد متنفسـا من تلك الكرب التى عليه؟ وليس فى السجدة من هذا ذكـر. وإنما قبلهـا : ﴿ فمأواهم النـار كلمـا أرادوا أن يخـرجـوا منهـا أعيـدوا فيهـا ﴾ [السجدة: ٢٠].

قوله تعالى: ﴿وذوقوا ﴾ [٢٢] وفى السجدة: ﴿ وقيل لهم ذوقوا ﴾[٢٠] القـول ههنـا مضمر، وخـص بالإضمـار لطـول الكلام بوصـف العذاب. وخصت السجدة بالإظهـار، موافقة للقول قبله فى مواضع منها: ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ [٣] ﴿وقالوا أئذا ضللنا ﴾ [١٠] و ﴿قل يتوفّاكم﴾ [١١] و ﴿حَقَّ القول ﴾ [١٣] وليس فى الحج شيء منه.

قوله تعالى: ﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناتٍ تجرى من تحتها الأنهار ﴾ [١٤، ٢٣] مكررة. وموجب هذا التكرار قوله تعالى ﴿ هذان خصمان﴾ [١٩] لأنه لما ذكر أحد الخصمين وهو ﴿ فالذين كفروا قِطِّعت لهم ثيابٌ من نار﴾ [١٩] لم يكن بُدّ من ذكر الخصم الآخر فقال: ﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ [٢٣]الآية.

قوله تعالى: ﴿ وطهـر بيتى للطائفين والقـائمين ﴾ [٢٦] وفى البقرة: ﴿للطائفين والعاكفين﴾ [البقرة: ١٢٥] وحقه أن يذكـر هناك، لأن ذكر العـاكف ههنا سبق فى قـوله: ﴿ سواء العاكف فيه والباد ﴾ [الحج: ٢٥] ومعنى ﴿والقائمين والركع السجـود ﴾ [البقـرة: ١٢٥] المصلـون. وقيل: القـائمـون، بمعنى المقيمين، وهم العاكفـون، لكن لما تقدم ذكـرهـم عبر عنهم بعبارة أخرى.

قوله تعالى: ﴿ فكُلوا منها وأطعموا القانع والمعتر ﴾ [٣٦] كرر لأن الأول (هو قوله تعالى: ﴿فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ﴾ [الحج: ٢٨] متصل بكلام إبراهيم، وهو اعتراض،



ثم أعاده مع قوله: ﴿والبُدن جعلناها لكم ﴾ [الحج: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿ فكأيِّن من قرية أهلكناها ﴾ [٤٥] وبعده: ﴿وكأين من قرية أمليتُ لها ﴾ [٤٨] خص الأول بذكر الإهلاك لاتصاله بقوله: ﴿فأمليتُ للكـافرين ثم أخـذتهم ﴾ [٤٤]. أى: أهلكتهم.

والثانى بالإملاء، لأن قبله: ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ﴾ [٤٧] فحسُن ذكر الإملاء.

قوله تعالى: ﴿وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ﴾ [٦٢]. وفى سـورة لقمان: ﴿من دونه البـاطل﴾ [٣٠] لأن فى سـورة الحج وقع بعد عشـر آيات (ابتداء من الآيـة ٥٣ إلى الآية ٦٢) كل آية مؤكـدة مرة أو مرتين، ولهذا أيضًا زيـد فى السورة اللام فى قوله تعالى: ﴿ وإن الله لهو الغنى الحميد ﴾ [٦٤].

وفى لقمان: ﴿إن الله هـو الغنى الحميـد ﴾ [٢٦] إذا لم تكن سورة لقمان بهذه الصفة.

وإن شئت قلت: لما تقدم فى هذه السورة ذكر الله سبحانه وذكر الشيطان أكدهما، فإنه خبر وقع بين خبرين، ولم يتقدم فى لقمـان ذكـر الشيطـان فأكـد ذكـر الله تعـالى وأهمل ذكـر الشيطان. وهذه دقيقة (أسرار التكرار/ ١٤٤ـ١٤٧).

أمـا عن أسباب نـزول بعض آيـات سـورة الحج فقد بيّنهـا الإمام الواحدى النيسابورى فى كتابه الذى يحمل هذا العنوان، ثم أعقبـه الإمام السيوطـى فى كتابـه بعنوان « لباب النقـول فى أسباب النزول » وقد طبع تحت عنوان « أسباب النزول » أيضًا،

ونقل لك من هذا الأخير ما يلى :

قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يجادل﴾ [٨] أخرج ابن أبى حاتم عن أبى مالك فى قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يجادل فى الله﴾ قال نزلت فى النضر بن الحرث .

قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف ﴾ [١١] أخرج البخارى عن ابن عباس قال : كان الرجل يقدم المدينة فيُسْلِم فإن ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله قال هذا دين صالح ، وإن لم تلد امرأته ولدا ذكرًا ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء . فأنزل الله ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ الآية .

وأخرج ابن مردويه عن طريق عطية عن ابن مسعود قال : أسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله وولده فتشاءم بالإسلام ، فقال لم أصب من دينى هذا خيرا ، ذهب بصرى ومالى ومات ولدى ، فنزلت ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ الآية .

قوله تعالى : ﴿هذان خصمان﴾ [١٩] أخرج الشيخان وغيرهما عن أبى ذر قال : نزلت هذه الآية ﴿هذان خصمان اختصموا فى ربهم ﴾ فى حمزة بن عبد المطلب ، وعبيدة وعلى بن أبى طالب وعتبه وشيبة والوليد بن عتبة وأخرج الحاكم عن علىٍّ قال فينا نزلت هذه الآية فى مبارزتنا يوم بدر ﴿هذان خصمان اختصموا فى ربهم ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿الحريق﴾[١٩ ـ ٢٢] .

وأخرج من وجه آخر عنه قال : نزلت فى الذين بارزوا يوم بدر حمزة وعلى وعبيدة بن الحرث وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة .

وأخرج ابن جرير من طريق العوفى عن ابن عباس أنها نزلت فى أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أولى بالله منكم وأقدم كتابا ونبينا قبل نبيكم ، فقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما أنزل الله ، من كتاب وأخرج ابن أبى حاتم عن قتادة مثله .

قوله تعالى : ﴿ومن يرد فيه بإلحاد﴾ [٢٥] أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : بعث النبى ﷺ عبد الله بن أنس مع رجلين أحدهما مهاجر والآخر من الأنصار فافتخروا فى الأنساب ، فغضب عبد الله بن أنيس ، فقتل الأنصارى ثم ارتد عن الإسلام وهرب إلى مكة فنزلت فيه ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم﴾ الآية .

بسم الله الرحمن الرحيم

وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق

صدق الله العظيم

وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق

قوله تعالى: ﴿ **وعلى كل ضامر** ﴾ [٢٧] أخرج ابن جرير عن مجاهـد قال: كانـوا لا يركبـون، فأنزل الله ﴿ **يأتوك رجالاً وعلى كل ضـامـر** ﴾ فأمـرهم بالـزاد ورخص لهم فى الركـوب والمتجر.

قوله تعالى: ﴿ **لن ينالَ اللَّهَ لحومُها** ﴾ [٣٧] أخرج ابن أبى حاتم عن ابن جريج قال: كان أهل الجاهلية يضمخون البيت بلحوم الإبل ودمائها، فقال أصحاب النبى ﷺ فنحن أحق أن نضمخ فأنزل الله: ﴿ **لن ينال الله لحومها** ﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿**أُذِنَ للذين يُقـاتَلُون**﴾ [٣٩] أخرج أحمد والترمذى وحسّنه والحاكم وصحّحه عن ابن عباس قال: خرج النبى ﷺ من مكة، فقال أبو بكر أخرجوا نبيهم ليهلكن، فأنزل الله ﴿**أذن للـذين يقـاتلون بأنهم ظُلِمـوا وإن الله على نصـرهم لقدير**﴾ [٣٩].

قوله تعالى: ﴿**ومن عـاقب بمثل مـا عـوقب بـه**﴾ [٦٠] أخرج ابن أبى حاتم عن مقاتل أنها نزلت فى سرية بعثها النبى ﷺ فلقوا المشركين لليلتين بقيتا من المحرم.

فقال المشـركون بعضهم لبعض: قاتلوا أصحـاب محمد فإنهم يحرمون القتـال فى الشهر الحرام، فناشـدهم الصحابة وذكّروهم بالله أن لا يتعرضـوا لقتالهم فإنهم لا يستحلون القتال فى الشهر الحـرام فأبى المشركون ذلك وقاتلـوهم وبغوا عليهم فقاتلهـم المسلمون ونصروا عليهـم فنزلت هـذه الآية (أسباب النزول للسيوطى / ١٨٢ـ١٨٥).

ويطرح الإمام زين الدين الرازى أسئلة قد تدور فى الأذهان بشأن بعض آيات سـورة الحج، ثم يجيب عنها بطـريقة « فإن قيل ـ قلنا » وذلك على النحو التالى:

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿ **إن زلزلة السـاعة شىء عظيم** ﴾ [١] يدل على أن المعدوم شىء.

قلنا: لا نسلم، ومستنـده أن المراد أنها إذا وجـدت كانت شيئا لا أنها شىء الآن: ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿**عظيم**﴾ مع أن المعدوم لا يوصف بالعظم.

فإن قيل: كيف قـال تعالى أولا: ﴿**يوم ترونها**﴾ [٢] بلفظ الجمع، ثم أفرد فقال: ﴿**وترى الناس**﴾ [٢].

قلنا: لأن الرؤية أولا علقت بالـزلزلة، فجعل الناس كلهم رائين لها وعلقت آخـرًا بكون النـاس علـى هيئـة السكارى، فلا بد أن يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم.

فإن قيل: كيف قـال تعـالى فى حق النضـر بن الحـارث ﴿**ومنَ الناس من يجادل فى الله**﴾ [٣] إلى أن قال ﴿ **ليضل عن سبيل الله**﴾ [٩] وهو مـا كان غـرضه فى جـداله الضـلال عن سبيل الله، فكيف علل جداله به وما كان أيضًا مهتديا حتى إذا جادل خرج بالجدال من الهدى إلى الضلال؟.

قلنـا: هذه لام العـاقبة والصيـرورة، وقد سبق ذكـرها غيـر مرة، ولما كان الهدى معرضـا له فتركه وأعرض عنه وأقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى إلى الضلال.

فإن قيل: النفع والضر منفيـان عن الأصنام مثبتـان لها فى الآيتين، فكيف التوفيق بينهما؟ (الآيتان ١٢، ١٣).

قلنـا: معنـاه يعبـد من دون الله مـا لا يضـره بنفسـه إن لم يعبده، ولا ينفعه بنفسه إن عبـده، ثم قال: يعبد من يضره الله بسبب عبادته، وإنما أضاف الضرر إليه لحصوله بسببه.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿**أقرب من نفعه**﴾ [١٣] يدل على أن فى عبادة الصنم نفعا وإن كان فيها ضرر؟.

قلنا: معناه أقرب من النفع المنسوب إليه فى زعمهم، وهو اعتقادهم أنه يشفع لهم.

فإن قيل: كيف قـال تعالى: ﴿ **أُذن للذين يُقـاتلون بأنهم ظُلموا** ﴾ [٣٩] أى بسبب كونهم مظلومين، ولم يبين ما الشىء الذى أذن لهم فيه؟.

قلنا: تقديره، أذن للذين يقاتلون فى القتال، وإنما حذف لدلالة يقاتلون عليه ولدلالـة الحال أيضًا، فإن كفار مكة كانوا يـؤذون المـؤمنين بأنـواع الأذى وهم يستأذنـــون النبى ﷺ فى قتـالهم. فيقـول: لم يـؤذن لى فى ذلك، حتى هـاجـر إلى المـدينة فنـزلت هذه الآيـة، وهى أول آية نـزولت فى الإذن فى القتال، فنسخت سبعين آيـة ناهية عـن القتال، كذا قـاله ابن عباس رضى الله عنهما، فكان المأذون فيه ظـاهرًا لكونه مترقبًا منتظرا.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿**أُذِن للذين يقاتلون**﴾ [٣٩] مع أنهم ما كانوا يقاتلون قبل نزول هذه الآية؟.

قلنا: معناه أذن للذين يريدون أن يقاتلوا، سماهم مقاتلين مجازا بـاعتبار مـا يئولون إليـه كما فى النظـائر، وقرئ ﴿**للذين يقاتلون**﴾ بفتح التاء: ولا إشكال على تلك القراءة.

فإن قيل : كيف صح الاستثناء فى قوله تعالى : ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾ [٤٠] .

قلنا : هـو استثناء منقطع تقديره : لكن أخرجوا بقولهم : ربنا الله . الثانى أنه بمنزلة قول الشاعر :

ولا عَيْبَ فيهمْ غَيْرَ أنّ سُيُوفَهُمْ
بهنّ فُلُولٌ منْ قِراعِ الكَتائبِ

تقديره : إن كـان فيهم عيب فهـو هذا : وليس بعيب فـلا يكون هذا فيهم عيبا .

فإن قيل : أى مِنَّة على المؤمنين فى حفظ الصوامع والبيع والصلوات : أى الكنـائس عن الهدم حتى امتن عليهـم بذلك فى قولـه تعالى : ﴿ ولـولا دَفْعُ الله النـاس بعضهم ببعض ﴾ [٤٠] .

قلنا : المنة فى ذلك أن الصوامع والبيع والكنائس فى حرم المسلمين وحراستهم وحفظهم ، لأن أهلها ذمـة للمسلمين . الثانى أن المراد بـه لهدمت صوامع وبيع فى زمن عيسى ﷺ ، وصلوات : أى كنائس فى زمن مـوسى ﷺ ، ومساجد فى زمن النبى ﷺ ، فالامتنان على أهل الأديان الثلاثة لا على المؤمنين خاصة .

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ وكُذِّب موسى ﴾ [٤٤] ولم يقل وقوم موسى ، كما قال الله تعالى فيما قبله؟ .

قلنا : لأن موسى عليـه السلام ما كذبه قومـه بنو إسرائيل ، وإنما كـذبه غيـر قومـه وهم القبط . الثانى : أن يكـون التنكير والإبهام للتفخيم والتعظيم كأنه قال تعالى بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهـم : وكذِّب موسى أيضًا مع وضـوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره .

فإن قيل : ما فائدة قوله تعالى : ﴿ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ [٤٦] .

قلنا : فائدته المبالغة فى التأكيد كما فى قوله تعالى : ﴿ ولا طائر يطير بجناحيه﴾ [الأنعام : ٣٨] وقولـه تعالى : ﴿يقولون بألسنتهم﴾ [الفتح : ١١] ومـا أشبه ذلك . الثـانى : أن القلب هنا يستعمل بمعنى العقل ، ومنـه قولـه تعالى : ﴿إن فى ذلك لذكـرى لمن كان لـه قلب﴾ [قٓ : ٣٧] أى عقل فى أحـد القولين ، فكان التقييـد احترازًا على قول من زعم أن العقل فى الرأس .

فإن قيل : المغفـرة إنما تكون لمن يعمـل السيئات لا لمن يعمل الصالحـات والحسنات ، فكيف قـال تعالى : ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة﴾ [٥٠] .

قلنا : المـراد بالعمل الصالح هنا الإخـلاص فى الإيمان . قال الكلبى : كل موضـع جاء فى القرآن ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فـالمـراد بـه الإخـلاص فى الإيمـان ، فيصير المعنى : فالذين آمنوا عن إخلاص تغفر لهم سيئاتهم .

فإن قيل : ما الفرق بين الرسول والنبى مع أن كليهما مرسل بدليل قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ﴾ [٥٢] .

قلنا : الفـرق بينهما أن الـرسول من الأنبيـاء عليهم الصلاة والسلام من جمع له بين المعجـزة وأنزل الكتاب عليه ، والنبى فقط من لم ينـزل عليه كتـاب ، وإنمـا أمر أن يـدعو أمتـه إلى شريعة من قبله . وقيل الرسـول من كانت له معجزة من الأنبياء عليهم الصلاة والسـلام ، والنبى من لم تكن لـه منهم معجزة ، وفى هذا نظـر . وقيل الرسول مبن كان مبعوثـا إلى أمة ، والنبى فقط من لم يكن مبعوثـا إلى أحد مع كونه نبيـا . والجواب عن الآيـة على هذا القـول أن فيه إضمـارا تقديـره : وما أرسلنـا من رسـول ولا نبأنــا من نبى ، أو ولا كـان من نبى ، ونظيــره قـول الشاعر :

ورأيتُ زوجكِ فى الوغَى
متقلِّداً سيفًا ورُمحًا

أى ومتعلقا رمحا أو حاملا رمحا .

فإن قيل : أين المثل المضـروب فى قولـه تعالى : ﴿يا أيها الناس ضُرب مثل فاستمعوا له ﴾ [٧٣] والمذكور بعـده وهو قوله تعالى : ﴿إن الذين تدعون من دون الله ﴾ [٧٣] إلى آخره ليس بمتصل ، بل هو كلام مبتدأ مستقل بنفسه؟ .

قلنا : الصفة والقصة الغـريبة أو المستحسنة تسمى مثلا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ مَثلهم كمثل الذى استوقد نارا﴾ [البقرة : ١٧] فـالمعنى يثبت بصفــة ، وهى عجــز الصنـم عن خلق الذبـاب واستنقاذ ما يسلبه ، وقيل هـو إشارة إلى قولـه تعالى : ﴿مَثَل الـذين اتخـذوا مـن دون الله أوليـاء كمثل العنكبـوت اتخذت بيتا ﴾ [العنكبوت : ٤١] وإنما أبهمه هنا لأنهم كانوا لا يصغون إلـى سماع القـرآن ، ولهذا قـالوا ﴿لا تسمعوا لهذا

القرآن والغوا فيه﴾ [فصلت: ٢٦] وكانوا يحبون الأمثال، فذكر لفظ المثل استدراجًا لهم إلى سماع القرآن والإصغاء إليه.

فإن قيل: كيف قال تعالى: **﴿ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ﴾** [٧٨] مع أن قطع اليد التى تساوى خمسة آلاف درهم بسبب سرقة عشرة دراهم حرج فى الدين، وكذا رجم المحصن بسبب الوطء مرة واحدة، ووجوب صوم شهرين متتابعين بسبب إفطار يوم واحد من رمضان بوطء، والمخاطرة بالنفس والمال فى الحج والعمرة وكل ذلك حرج بيّن؟.

قلنا: المراد بالدين كلمة التوحيد، فإنها تكفّر شرك سبعين سنة، ولا يتوقف تأثيرها على الإيمان والإخلاص سبعين سنة، ولا على أن يكون الإتيان بها فى بيت الله تعالى أو فى زمان أو مكان معين. ولاقيل المراد به أن كل ما يقع فيه الإنسان من الذنوب والمعاصى يجد له مخرجا فى الشرع بتوبة أو كفّارة أو رخصة. وقيل المراد به فتح باب التوبة للمذنبين، وفتح أبواب الرخص للمعذورين، وشروع الكفارات والأروش والديات، وقيل المراد به نفى الحرج الذى كان على بنى إسرائيل من الإصر والتشديد.

فإن قيل: كيف قال تعالى: **﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾** [٧٨] وإبراهيم صلوات الله عليه لم يكن أبا للأمة كلها؟.

قلنا: هو أبو رسول الله، فكان أبا لأمته، لأن أمة الرسول بمنزلة أولاده من جهة العطف والشفقة، هذا إن كان الخطاب لعامة المسلمين، وإن كان للعرب خاصة فإبراهيم أبو العرب قاطبة.

فإن قيل: متى سمانا إبراهيم صلوات الله عليه المسلمين من قبل حتى قال الله تعالى: **﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾** [٧٨].

قلنا: وقت دعائه عند بناء الكعبة حيث قال **﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مُسلمة لك﴾** [البقرة: ١٢٨] فكل من أسلم من هذه الأمة فهو ببركة دعوة إبراهيم عليه السلام، وهذا السؤال سئلت عنه فى المنام وأجبت بهذا الجواب فى المنام إلهاما من الله سبحانه وتعالى. (الأنموذج الجليل ٤/ ٣٢٠ ـ ٣٢٦، ومسائل الرازى وأجوبتها/ ٢٣١ ـ ٢٣٦).

ويسوق فضيلة الشيخ الشنقيطى الأدلة التى يدفعه بها إيهام وجود تعارض بين آيات كتاب الله الكريم ومن بينها آيات سورة الحج فيقول:

قوله تعالى: **﴿أُذِن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﴾** [٣٩].

هذه الآية الكريمة تدل على أن قتال الكفار مأذون فيه لا واجب. وقد جاءت آيات تدل على وجوبه كقوله تعالى: **﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين ﴾**الآية. [التوبة: ٥].

وقوله تعالى: **﴿وقاتلوا المشركين كافة ﴾** الآية. [التوبة: ٣٦] إلى غير ذلك من الآيات.

والجواب ظاهر، وهو أنه أذن فيه أولا من غير إيجاب، ثم أوجب بعد ذلك كما تقدم فى سورة البقرة، ويدل لهذا ما قاله ابن عباس وعروة بن الزبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان، وقتادة ومجاهد، والضحاك وغير واحد، كما نقله عنهم ابن كثير وغيره من أن آية **﴿أذن للذين يقاتلون ﴾** [٣٩] هى أول آية نزلت فى الجهاد. والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: **﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تَعمى القلوب التى فى الصدور ﴾** [٤٦].

ظاهر هذه الآية أن الأبصار لا تعمى، وقد جاءت آيات أخر تدل على عمى الأبصار كقوله تعالى: **﴿أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾** [محمد: ٢٣] وكقوله تعالى: **﴿ ليس على الأعمى حرج ﴾** [النور: ٦١].

والجواب: أن التمييز بين الحق والباطل، وبين الضار والنافع، وبين القبيح والحسن، لما كان كله بالبصائر لا بالأبصار، صار العمى الحقيقى هو عمى البصائر لا عمى الأبصار. ألا ترى أن صحة العينين لا تفيد مع عدم العقل كما هو ضرورى، وقوله: **﴿ فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾** [محمد: ٢٣] يعنى بصائرهم أو أعمى أبصارهم عن الحق وإن رأت غيره.

قوله تعالى: **﴿ وإنَّ يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾** [٤٧].

هذه الآية الكريمة تدل على أن مقدار اليوم عند الله ألف سنة. وكذلك قوله تعالى: **﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض**

ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾ [السجدة : ٥].

وقد جاءت آية أخرى تدل على خلاف ذلك، هي قوله تعالى في سورة سأل سائل ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ الآية [المعارج : ٤].

اعلم أولا أن أبا عبيدة روى عن إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن ابن أبي مليكة أنه حضر كلا من ابن عباس، وسعيد ابن المسيب سئل عن هذه الآيات فلم يدر ما يقول فيها، ويقول: لا أدرى.

وللجمع بينهما وجهان:

الأول: هو ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس، من أن يوم الألف في سورة الحج هو أحد الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض. ويوم الألف في سورة السجدة، هو مقدار سير الأمور وعروجه إليه تعالى. ويوم الخمسين ألفا هو يوم القيامة.

الوجه الثاني: أن المراد بجميعها يوم القيامة، وأن الاختلاف باعتبار حال المؤمن والكافر. ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿ فذلك يومئذ يوم عسير * على الكافرين غير يسير ﴾ [المدثر: ٩، ١٠] ذكر هذين الوجهين صاحب الإتقان. والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ﴾ الآية. [٥٢].

هذه الآية الكريمة تدل على أن كل رسول وكل نبي يلقي الشيطان في أمنيته أي تلاوته إذا تلا.

ومنه قول الشاعر في عثمان رضي الله عنه:

تمنى كتـــاب الله أول ليلـــة
وآخـرهـا لاقى حمـام المقـادر

وقول الآخر:

تمنى كتـاب الله آخـر ليلـه
تمني داود الـزبـور على رسل

ومعنى تمنى في البيتين قرأ وتلا. وفي صحيح البخاري عن ابن عباس أنه قال: إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، إذا حدَّث ألقى الشيطان في حديثه.

وقال بعض العلماء: إذا تمنى أحب شيئًا وأراده فكل نبي يتمنى إيمان أمته، والشيطان يلقي عليهم الوساوس والشبه، ليصدهم عن سبيل الله، وعلى أن تمنى بمعنى قرأ وتلا، كما عليه الجمهور، فمعنى إلقاء الشيطان في تلاوته، إلقاؤه الشبه والوساوس فيما يتلوه النبي ليصد الناس عن الإيمان به، أو إلقاؤه في المتلو ما ليس منه ليظن الكفار أنه منه.

وهذه الآية لا تعارض بينها وبين الآية المصرحة بأن الشيطان لا سلطان له على عباد الله المؤمنين المتوكلين، وعلوم أن خيارهم الأنبياء كقوله تعالى: ﴿ إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ﴾ [النحل: ٩٩، ١٠٠] وقوله تعالى: ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾ [الحجر: ٤٢] وقوله تعالى: ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣] وقوله تعالى: ﴿ وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

ووجه كون الآيات لا تعارض بينها، أن سلطان الشيطان المنفي عن المؤمنين المتوكلين في معناه وجهان للعلماء:

الأول: أن معنى السلطان الحجة الواضحة، وعليه فلا إشكال، إذ لا حجة مع الشيطان ألبتة، كما اعترف به فيما ذكر الله عنه في قوله ﴿وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

الثاني: أن معناه أنه لا تسلط له عليهم بإيقاعهم في ذنب يهلكون به ولا يتوبون منه، فلا ينافي هذا ما وقع من آدم وحواء وغيرهما، فإنه ذنب مغفور لوقوع التوبة منه، فإلقاء الشيطان في أمنية النبي سواء فسرناها بالقراءة أو التَّمني لإيمان أمته، لا يتضمن سلطانًا للشيطان على النبي، بل من جنس الوسوسة وإلقاء الشبه لصد الناس عن الحق كقوله تعلى: ﴿وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل ﴾ الآية [النمل: ٢٤].

فإن قيل: ذكر كثير من المفسرين: أن سبب نزول هذه الآية الكريمة أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم بمكة، فلما بلغ: ﴿أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى ﴾ [النجم: ١٩، ٢٠] ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى، وأن شفاعتهن لترجى، فلما بلغ آخر السورة سجد وسجد معه

المشركون والمسلمـون، وقال المشركون: ما ذكـر آلهتنا بخير قبل اليـوم. وشـاع فى النـاس أن أهل مكـة أسلمـوا بسبب سجـودهم مع النبى ﷺ حتى رجع المهـاجرون من الحبشـة، ظنًّا منهم أن قـومهم أسلموا، فـوجدوهم على كفـرهم. وعلى هذا الذى ذكره كثير من المفسرين: فسلطان الشيطان بلغ إلى حد أدخل بـه فى القرآن، على لسان النبى ﷺ الكفـر البواح، حسبما يقتضيه ظاهر القصة المزعومة.

فالجواب: أن قصة الغرانيق مع استحـالتها شرعًا لم تثبت من طريق صالح للاحتجاج، وصرح بعدم ثبوتها خلق كثير من العلماء، كما بيناه بيانًا شافيًا فى رحلتنا.

والمفسـرون يروون هـذه القصة عـن ابن عباس من طـريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما، ومعلوم أن الكلبى متروك.

وقد بيَّن البزار أنها لا تعرف من طريق يجوز ذكره إلا طريق أبى بشر عن سعيد بن جبير مع الشك الذى وقع فى وصله.

وقـد اعترف الحـافظ ابن حجـر مع انتصـاره لثبوت هـذه القصة، بأن طـرقها كلها، إمـا منقطعة أو ضعيفـة، إلا طريق سعيد بن جبير.

وإذا علمت ذلك فاعلم أن طريق سعيد بن جبير لم يروها بها أحد متصلة إلا أمية بن خالـد، وهو وإن كان ثقة فقد شك فى وصلها، فقد أخـرج البزار وابن مردويه من طـريق أمية بن خالد عن شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب، ثم ساق حديث القصة المذكورة. وقال: البزار، لا يروى متصلا إلا بهـذا الإسناد، تفرد بوصله أميـة بن خالد، وهو ثقة مشهور.

وقال البزار: وإنما يـروى من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس، والكلبى متروك. فتحصل أن قصة الغرانيق لم ترد متصلـة إلا من هذا الطريق الذى شك راويـه فى الوصل، وما كان كذلك فضعفه ظاهر.

ولذا قال الحـافظ ابن كثير فى تفسيره: أنه لم يـرها مسندة من وجه صحيح. وقال العلامة الشوكانى فى هذه القصة: ولم يصح شىء من هذا ولا ثبت بوجه من الوجوه ومع عدم صحته بل بطلانـه. فقد دفعـه المحققون بكتـاب الله كقولـه تعالى: ﴿ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل﴾ الآية. [الحاقة: ٤٤] وقوله تعالى: ﴿وما ينطق عـن الهوى﴾ [النجم: ٣] وقوله تعالى: ﴿ولـولا أن ثبتنـاك لقـد كـدت تـركن إليهم﴾ الآية [الإسراء: ٧٤].

فنفى المقاربة للركون فضلا عن الركون. ثم ذكر الشوكانى عن البزار أنها لا تروى بإسنـاد متصل، وعن البيهقى أنه قال: هى غير ثابتة من جهة النقل.

وذكر عن إمـام الأئمة ابن خزيمة أن هـذه القصة من وضع الزنادقة، وأبطلها عيـاض وابن العربى المالكى والفخر الرازى وجماعات كثيرة.

ومن أصرح الأدلة القرآنية فى بطلانها: أن النبى ﷺ قرأ بعد ذلك فى سـورة النجم قـولـه وتعـالى: ﴿إن هى إلا أسمـــاء سميتموها أنتم وآباؤكم مـا أنزل الله بها من سلطان﴾ [النجم: ٢٣] فلو فـرضنا أنـه قال تلك الغـرانيق العلى، ثم أبطل ذلك بقوله ﴿إن هى إلا أسماء سميتموها﴾ فكيف يفرح المشركون بعـد هذا الإبطـال والـذم التام لأصنـامهم، بأنهـا أسماء بـلا مسميات، وهذا هو الأخير.

وقراءته ﷺ سورة النجم بمكـة وسجود المشركين ثابت فى الصحيح، ولم يذكر فيه شىء من قصة الغرانيق، وعلى القول ببطلانها فلا إشكال.

وأما على القـول بثبوت القصة، كما هـو رأى الحافظ ابن حجر، فإنـه قال فى فتح البـارى: إن هذه القصة ثبتت بثـلاثة أسانيد كلها على شـرط الصحيح، وهى مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بـالمـرسل وكـذا من لا يحتج به لاعتضـاد بعضهـا ببعض لأن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها، دل ذلك على أن لها أصلا.

فللعلمـاء عن ذلك أجوبـة كثيرة، من أحسنهـا: أن النبى ﷺ كان يـرتل السورة ترتيـلا تتخلله سكتات فلمـا قرأ ﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾ قال الشيطان: لعنه الله محـاكيًا لصوته ﷺ: تلك الغرانيق العلى... إلخ. فظن المشركون أن الصوت صوته ﷺ وهو برىء من ذلك براءة الشمس من اللمس.

وقـد بينا هـذه المسألـة بيانًـا شـافيًـا فى رحلتنا، فلـذلك اختصرنا هنـا فظهر أنه لا تعارض بين الآيـات. والعلم عند الله تعالى (دفع إيهام الاضطراب / ٢٠٥ـ٢١٢).

ويحصى الإمـام ابن الجـوزى الآيـات التى ادعى عليهن النسخ فى سورة الحج فيقول:

ذكر الآية الأولى:

قوله تعالى: ﴿وإنْ جادلُوكَ فقُلِ الله أعلمُ بمـا تَعملون﴾ [٦٨] اختلفوا فى هذه الآية على قولين:

الأول: أنهـا نـزلت قبل الأمـر بـالقتـال ثم نسخت بـآيـة السيف.

والثانى: أنهـا نزلت فى حق المنافقين كانـت تظهر منهم فلتـات ثم يجـادلـون عليهـا، فـأمـر أن يكل أمـورهم إلى الله تعالى، فالآية على هذا محكمة.

ذكر الآية الثانية:

قوله تعالى: ﴿ وجاهِـدوا فى الله حقَّ جهاده ﴾ [٧٨] فيها قولان:

القول الأول: أنها منسوخة، لأن فعل ما فيه وفاء لحق الله لا يتصور من أحد، واختلف هؤلاء فى ناسخها على قولين:

الأول: أنه قوله: ﴿ لا يُكلِّفُ الله نفسًا إلاَّ وُسْعَها﴾ [البقرة: ٢٨٦].

والثانى: ﴿فاتقُوا الله ما استطعتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

والقول الثـانى: أنها محكمـة، لأن حق الجهاد الجـد فى المجـاهدة وبـذل الإمكـان مع صحة القصـد فعلى هـذا هى محكمة ويوضحه أن الله تعالى لم يؤمر بما لا يتصور، فبان أن قوله: ﴿ ما استطعتم﴾ تفسير لحق الجهـاد فلا يصح نسخ، كما بينا فى قولـه تعالى فى آل عمران: ﴿اتقوا الله حق تقاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] (نواسخ القرآن/ ١٩٦).

ويقسم الإمـام الغزالى آيـات القرآن الكـريم إلى نمطين: الأول هو الجواهـر، وهى تلك الآيات التى وردت فى ذات الله عـز وجل وصفـاتـه وأفعالـه خـاصـة، وهـو القسم العلمى، والثانـى: الدرر وهى تلك الآيـات التى ورد فيها بيـان الصراط المستقيم والحـث عليــه، وهـــو القسم العملى قـــال عن الجواهر:

ومن سورة الحج ست عشرة آية:

قوله تعالى: ﴿ يا أيُّهـا النَّاسُ إن كُنتم فى ريبٍ من البعثِ فإنَّا خلقنـاكُم من تُراب ثمَّ من نطفةٍ ثُم من علقـةٍ ثُمَّ من مُضغةٍ مُخلَّقـة وغير مُخلَّقـةٍ لنُبيِّن لكُم ونقرُّ فى الأرحـام ما نشـاءُ إلى أجلٍ مسمًّى ثمَّ نُخرجكم طفلا ثـم لتبلغُوا أشُـدَّكم ومنكُمْ من يتوفى ومنكُمْ من يُردُّ إلى أرذل العُمُـر لكى لا يعلم من بعد علم شيئًا وترى الأرض هـامدة فإذا أنزلنا عليهـا الماء اهتزَّت وربتْ وأنبتت من كلِّ زوجٍ بهيجٍ * ذلك بأنَّ الله هـو الحقُّ وأنَّهُ يُحيى الموتى وأنه على كلِّ شىءٍ قدير * وأنَّ السَّاعة آتيةٌ لا ريب فيها وأنَّ الله يبعثُ من فى القُبُورِ ﴾ [الحج: ٥ ـ ٧].

وقوله تعالى: ﴿ ألمْ تـر أن الله يسجد لهُ من فـى السموات ومن فى الأرض والشَّمس والقمـرُ والنُّجـوم والجبـالُ والشجـرُ والدَّوابُّ وكثيرٌ من الناسِ وكثيرٌ حقَّ عليهِ العذابُ ومن يُهنِ الله فما لهُ من مُكرمٍ إنَّ الله يفعلُ ما يشاءُ ﴾ [الحج: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿ ذلك بأنَّ الله يولجُ اللَّيلَ فى النهـار ويولج النهـار فى الليل وأن الله سميعٌ بصيرٌ * ذلك بأن الله هـو الحقُّ وأنَّ مَا يدعُـون من دُونه هُو الباطلُ وأنَّ الله هُـو العليُّ الكبيرُ * ألم تر أنَّ الله أنزلَ من السماء ماءً فتُصبحُ الأرضُ مُخضرَّةً إنَّ الله لطيفٌ خبيرٌ * لـهُ ما فى السموات ومـا فى الأرض وإن الله لهُو الغنيُّ الحميدُ * ألم تر أنَّ الله سخر لكم مَّا فى الأرضِ والفلك تجرى فى البحر بأمـرِه ويُمسكُ السَّماء أن تقع على الأرض إلاَّ بإذنـه إنَّ الله بالنـاسِ لـرءُوفٌ رَّحِيمٌ * وهُـو الذى أحيـاكُمْ ثُمَّ يُميتُكُم ثمَّ يُحييكُم إنَّ الإنسانَ لكفورٌ ﴾ [الحج: ٦١ ـ ٦٦].

وقولـه تعالى: ﴿ ألمْ تعلمْ أنَّ الله يعلـمُ مـا فى السَّمـاءِ والأرضِ إنَّ ذلك فـى كتـابٍ إنَّ ذلـك على الله يسيـرٌ ﴾ [الحج: ٧٠].

وقوله تعالى: ﴿ يا أيُّهـا النَّاسُ ضُربَ مثلٌ فاستمعـوا لهُ إن الذين تدعُـون من دُون الله لن يخلقوا ذُبابًا ولـو اجتمعوا لهُ وإن يسلُبْهُم الـذبـابُ شيئًـا لا يتسنقـذوه منهُ ضعف الطـالبُ والمطلُوب * مـا قدرُوا الله حقَّ قـدره إن الله لقوى عـزيز * الله يصطفى من الملائكـة رُسُلاً ومن النـاس إنَّ الله سميعٌ بصيرٌ * يعلم مـا بين أيـديهِمْ ومـا خلفهُم وإلى الله تُـرجعُ الأمـورُ ﴾ [الحج: ٧٣ ـ ٧٦] (جواهر القرآن ودرره/ ٩١ ـ ٩٣، ١٥١، ١٥٢).

وقال عن الدرر:

ومن سورة الحج خمس عشرة آية:

قوله تعالى: ﴿ ومن النَّـاس من يعبـدُ الله على حـرف فإن أصابهُ خيرٌ اطمأن به وإن أصـابته فتنةٌ انقلب على وجههِ خسرَ الدُّنيا والآخرة ذلك هو الخسـران المبينُ * يدعو من دُون الله ما

لا يضرُّه ولا ينفعهُ ذلك هو الضَّلالُ البعيدُ * يدعو لمن ضرُّهُ أقربُ من نفعهِ لبئس المولى ولبئس العشيرُ * إن الله يُدخل الذين آمَنُوا وعملُوا الصَّالحاتِ جنَّات تجرى من تحتها الأنهارُ إن الله يفعلُ ما يُريدُ ﴾ [الحج: ١١ ـ ١٤].

وقوله تعالى: ﴿ ذلك ومن يُعظِّم شعائر الله فإنَّها من تقوى القلوبِ * لكُمْ فيها منافع إلى أجل مُسمًّى ثم محلُّها إلى البيتِ العتيقِ * ولكلِّ أُمَّةٍ جعلنا منسكًا ليذكُرُوا اسم الله على ما رزقَهُم من بهيمة الأنعام فإلهُكُمْ إلهٌ واحدٌ فلهُ أسلمُوا وبشِّر المُخبتين * الَّذين إذا ذُكر الله وجلتْ قلوبُهُم والصَّابرينَ على ما أصابهُمْ والمُقيمى الصَّلاةِ ومِمَّا رزقناهُمْ يُنفقون ﴾ [الحج: ٣٢ ـ ٣٥].

وقوله تعالى: ﴿ لن ينال اللَّهَ لحومُهَا ولا دماؤها ولكن ينالهُ التَّقوى منكُمْ كذلك سخَّرها لكُمْ لتكبِّرُوا الله على ما هداكُمْ وبشِّر المُحسنين * إنَّ الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحبُّ كل خوَّانٍ كفُورٍ ﴾ [الحج: ٣٧، ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿الَّذين إن مَكَّناهُمْ فى الأرضِ أقامُوا الصَّلاة وآتُوا الزكاة وأمرُوا بالمعرُوف ونهوا عن المُنكر ولله عاقبة الأمورِ﴾ [الحج: ٤١].

وقوله تعالى: ﴿ وليعلمَ الذين أُوتُوا العلمَ أنَّهُ الحقُّ من ربِّك فيُؤمِنُوا به فَتخبتَ له قُلُوبُهُم وإنَّ الله لهادِ الَّذين آمَنُوا إلى صراطٍ مُستقيم ﴾ [الحج: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿ يا أيُّها الَّذين آمنُوا اركَعُوا واسجُدُوا واعبُدُوا ربَّكُم وافعلُوا الخيرَ لعلَّكُمْ تفلحون * وجاهدوا فى الله حقَّ جهاده هُو اجتباكم وما جعل عليكُم فى الدِّين من حرجٍ ملَّةَ أبيكُمْ إبراهيم هُو سمَّاكُمُ المسلمين من قبلُ وفى هذا ليكُون الرسُول شهيدًا عليكُمْ وتكُونُوا شُهداءَ على الناس فأقيموا الصلاة وآتُوا الزَّكاة واعتصِمُوا بالله هُو مولاكُم فنعم المولى ونعم النَّصيرُ ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨].

(جواهر القرآن ودرره/ ٩١ ـ ٩٣، ١٥١، ١٥٢).

أما عن رسم المصحف فقد أورد الإمام أبو عمرو الدانى ما يلى:

١ – ما حذفت منه الألف اختصارًا:

﴿إن الله يدفع﴾ [٣٨]، ﴿أُذِن للذين يقْتلون﴾ [٣٩]، ﴿معْجزين﴾ [٥١].

٢ – ما حذفت منه الياء اجتزاء بكسر ما قبلها منها:

﴿والبادِ ومن يُرِد﴾ [٢٥].

﴿وإن الله لهادِ الذين آمنوا﴾ [٥٤].

٣ – إثبات الألف على اللفظ أو المعنى: ﴿ولؤلؤا﴾ [٢٣].

حدثنا محمد بن أحمد بن على قال: حدثنا محمد بن أحمد بن قطن، قال حدثنا سليمان بن خلاد قال حدثنا اليزيدى قال: قال أبو عمر: إنما كتبوا الألف فى قوله تعالى ﴿ولؤلؤا﴾ فى [الحج: ٢٣] كما كتبوا ألف «قالوا» وما أشبهه.

قال أبو عمر: ولم تختلف المصاحف فى رسم الألف فى سورة الحج وإنما اختلفت فى فاطر [٢٣].

وحدثنا ابن خاقان المقرئ إجازة قال: حدثنا محمد بن عبد الله الأصبهانى بإسناده عن محمد بن عيسى الأصبهانى قال: كل شىء فى القرآن من ذكر «اللؤلؤ» فإنما يكتب «لؤلؤ» ليس فيه ألف فى مصاحف البصريين إلا فى مكانين ليس فى القرآن غيرهما: فى الحج ﴿ ولؤلؤا﴾ وفى ﴿هل أتى على الإنسان ﴾ [الإنسان: ١٩] ﴿ حسبتهم لؤلؤا﴾ قال: وقال عاصم الجحدرى: كل شىء فى الإمام مصحف عثمان فيها ألف إلا التى فى [الملائكة] [فاطر: ٣٣]. قال الفرّاء: هما فى مصاحف أهل المدينة والكوفة بألفين.

٤ – ما رسم بالألف من ذوات الياء على اللفظ: ﴿ أنّه من تولّاه ﴾ [٤].

٥ – لكى لا:

قال محمد، ﴿لكيلا﴾ موصولة ثلاثة أحرف فى [الحج: ٥]... إلخ.

٦ – ما اتفقت على رسمه مصاحف أهل الأمصار:

كتبوا ﴿ كُتب عليه أنه من تولّاه ﴾ [٤] بالألف، وكتبوا ﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئًا ﴾ [٥] موصولة، وكتبوا ﴿ وأنَّ ما يدعون ﴾ [٦٢] مقطوعة.

٧ – ما اختلفت فيه مصاحف أهل الأمصار بالإثبات والحذف:

﴿ إن الله يدافع ﴾ [٣٨] بالألف وفى بعضها بغير ألف.

٨ – ما اتفقت على رسمه مصاحف أهل العراق:

﴿لهادِ الذين آمنوا﴾ بالدال .

(المقنع/ ٢٢، ٣٩، ٤٧، ٤٨، ٧٩، ٩١، ٩٩، ١٠٤).

أمـا عن القراءات السبع بالنسبة لسورة الحج فقد بيّنها الإمام ابن مجاهد على النحو التالي:

١ - اختلفوا في ضم السين وإثبات الألف وفتح السين وإسقاط الألف من قوله تعالى: ﴿ وترى النَّاسَ سُكرى وما هُم بِسُكرىٰ﴾ [٢].

فقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وأبو عمرو: ﴿سُكرىٰ وما هُم بِسُكرىٰ﴾ بضم السين فيهما وبالألف.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿وترى النَّاس سَكرىٰ وما هم بسكرىٰ﴾ بغير ألف فيهما والسين مفتوحة.

٢ - واختلفوا في كسر لام الأمر وإسكانها من قوله: ﴿ ثُمَّ ليقطعْ ﴾ [١٥] ﴿ثُمَّ ليقضُوا تفثهم﴾ [٢٩] (التفث في المناسك: ما كان من نحو قص الشارب والأظفار).

فقرأ ابن كثير: ﴿ثم ليقضُوا﴾ مكسورة اللام ولم يكسر غيرها هذه رواية القوّاس عنه، وقال البزّي: اللام مدرجة ساكنة.

فقرأ أبو عمرو وابن عامر: ﴿ثُمَّ ليقطعْ ﴾ ، ﴿ثُمَّ ليقضُوا﴾ مكسورتي اللام، وزاد ابن عامر (أي في رواية ابن ذكوان) ﴿وليُوفُوا ﴾ [٢٩] ﴿وليطَّوَّفُوا ﴾ [٢٩] بكسر لام الأمر في الأربعة الأحرف.

واختلف عن نافع، فقال إسماعيل بن جعفر وأحمد بن صالح والقاضي عن قالون، وإسحاق وإسماعيل بن أبي أُوَيْس: ﴿ ثُمَّ ليَقطَعْ ﴾ ، ﴿ثُمَّ ليَقْضُوا﴾ ساكنتي اللام . وقال ورش وأبو بكر بن أبي أويس: ﴿ ثُمَّ ليقطع﴾ ، ﴿ثُمَّ ليقضُوا﴾ مكسورتي اللام مثل أبي عمرو.

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿ثُمَّ ليقطعْ ﴾ ﴿ثُمَّ ليقْضُوا﴾ ، ﴿وليُوفُوا﴾ ﴿وليَطَّوَّفُوا﴾ اللام للأمر في كل القرآن إذا كان قبلها واو أو فاء أو ثم فهي ساكنة.

٣ - قوله تعالى: ﴿هٰذان خصمانِ﴾ [٢١٩].

قرأ ابن كثير وحده: (هٰذانِّ) مشددة النون. وقرأ الباقون: (هٰذان) خفيفة.

٤ - واختلفوا في قوله تعالى: ﴿وَلؤْلؤًا﴾ [٢٣].

فقرأ ابن كثير: ﴿ولُؤْلُؤٍ﴾ وفي الملائكة [فاطر: ٣٣] كذلك، وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي.

وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر هٰهنا وفي سورة الملائكة (فاطر): ﴿ولُؤْلُؤًا﴾ بالنصب. وعاصم في رواية يحيى عن أبي بكر: ﴿ولُولُؤًا﴾ بهمزة واحدة وهي الثانية. وروى المعلى بن منصور عن أبي بكر، عن عاصم: ﴿لُؤْلُوًا﴾ يهمز الأولى ولا يهمز الثانية، وهذا غلط.

وحفص عن عاصم: ﴿ولُؤْلُؤًا﴾ يهمزها وينصب.

٥ - قوله تعالى: ﴿سواءً العٰكف فيه والباد ﴾ [٢٥]كلهم قرأ (سواءٌ) رفعًا، غير عاصم في رواية حفص، فإنه قرأ: ﴿سَوَآءً﴾ نصبًا.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: (البادِي) بالياء في الوصل، ووقف ابن كثير بياء وأبو عمرو بغير ياء.

واختلف عن نافع، فقال ابن جمَّاز وإسماعيل بن جعفر وورش ويعقوب عن نافع: (والبادى) بياء في الوصل. وقال المسيبي وأبو بكر وإسماعيل ابنا أبي أويس: (والبادِ) بغير ياء في وصل ولا وقف. وقال الأصمعي: سمعت نافعًا يقرأ (والبادى) بياء فقلت لنافع: هكذا كتابها؟ فقال: لا.

وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿والبَادِ﴾ بغير ياء في وصل ولا وقف.

٦ - قوله تعالى: ﴿ وليُوفُوا نُذُورهُمْ﴾ [٢٩].

قرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿وليُوفُّوا﴾ مشدَّدة الفاء ساكنة اللام.

وقرأ حفص عن عاصم والباقون: ﴿وليُوفُوا ﴾ خفيفة، غير ابن عامر، فإنه كسر اللام.

٧ - قوله تعالى: ﴿ فتخطفُهُ الطَّيْرُ ﴾[٣١].

قرأ نافع وحده: (فتخَطَّفُهُ) مشدَّدة. وقرأ الباقون: ﴿فتخطَفُهُ﴾ خفيفة.

٨ - واختلفوا في فتح السين وكسرها من قوله: ﴿مَنسَكًا﴾ [٣٤، ٦٧].

فقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر وعاصم: ﴿مَنسَكًا﴾ بفتح السين في حرفي السورة جميعًا وقرأ حمزة والكسائي: (منسكا) بكسر السين في الحرفين جميعًا.

٩ - قوله تعالى: ﴿إنَّ الله يدْفعُ عن الَّذينَ ءَامَنُوا﴾ [٣٨] ﴿ولوْلا دَفْعُ الله النَّاسَ﴾ [٤٠].

قرأ ابن كثيـر وأبو عمرو: ﴿إنَّ الله يدفع﴾ ، ﴿ولـولاَ دفعُ﴾ بغير ألف فيهما .

وقرأ نافع : ﴿ إنَّ الله يُـدَفِعُ﴾ ، ﴿ولــولاَ دَفَعُ اللهِ﴾ بالألف فيهما .

وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى : ﴿إنَّ الله يُدَفِعُ﴾ بالألف ﴿ولولاَ دفعُ اللهِ﴾ بغير ألف .

١٠ - واختلفـوا فى فتح الألف وضمهـا من قولـه : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ﴾[٣٩] .

فقرأ ابـن كثير وحمـزة والكسائى : ﴿أَذِنَ للذين﴾ مفتوحة الألف . (يُقَٰتِلُونَ) مكسورة التاء .

وقرأ نافع وعاصم فى رواية حفص : ﴿أُذِنَ للذين﴾ مضمومة الألف . ﴿يُقَٰتِلونَ﴾ مفتوحة التاء . هكذا روى أبو عمارة وابن اليتيم عن أبى حفص وهبيرة، عن حفص، عن عاصم .

وقرأ أبـو عمرو وعاصم فى روايـة أبى بكر: ﴿أُذنَ للذينَ﴾ مضمومة الألف ﴿يُقَٰتِلونَ﴾ مكسورة التاء .

وقرأ ابن عامر: (أَذِن) مفتوحة الألف ﴿للذين يقتلون﴾ .

١١ - واختلفـوا فى تشـديـد الدال وتخفيفهـا من قـولـه : ﴿لهُدِّمتْ صوٰمِعُ﴾[٤٠] .

فقرأ ابن كثير ونافع : ﴿لهُدِمتْ﴾ خفيفة .

وقـرأ أبو عمـرو وابن عـامـر وعاصـم وحمزة والكسـائى : ﴿لهُدِّمَتْ﴾ مشددة .

١٢ - قوله تعالى : ﴿فكَأَيِّن مِّن قريةٍ أهلكنٰهَا﴾[٤٥] .

قرأ أبو عمرو وحده ﴿أهلكْتُها﴾ بالتاء .

وقرأ الباقون : ﴿أهلكنٰها﴾ بالنون . وروى ابن جمَّاز عن أبى بكر عن عاصم : ﴿أهلكتُهَا﴾ بالتاء .

١٣ - واختلفوا فى همز البئر وترك همزها من قوله : ﴿وبئرٍ مُّعطَّلَة﴾[٤٥] .

فقرأ ابن كثيـر فى رواية القواس والبزِّى وأبو عمـرو وعاصم وابن عـامر وحمـزة والكسائى : ﴿وبئرٍ﴾ مهمـوزة. وروى ابن فليح عن ابن كثير أنه لم يهمز.

وقرأ نـافع فى رواية ورش وابن جمَّـاز ويعقوب وخـارجة : (وبيـر) بغير همـز. وقـال الأصمعى : سألت نـافعًا عن البِئـر والذِّئب فقال : إن كانت العرب تهمزها فاهمزها . واختلف عن المسيبى . فروى ابن المسيبى عن أبيـه عن نافع أنـه لم يهمز. وروى أبو عمارة عن المسيبى عن نافع أنـه همز. وحدثنى عبد الله بن الصقر عن محمـد بن إسحاق المسيبى عن أبيـه أنه لم يهمز: ﴿وبِئرٍ﴾ .

وروى عبيد عن هارون عن أبى عمرو: ﴿وبِئرٍ﴾ مهموزة .

١٤ - واختلفوا فى اليـاء والتاء من قـوله : ﴿مِمَّا تعُدُّونَ﴾ [٤٧] .

فقـرأ ابن كثيـر وحمزة والكسـائى : (مِمَّـا يعـدُّون) باليـاء هٰهنا، وقرأوا فى السجدة (مِمَّا تَعُدُّونَ) [٥] بالتاء .

وقرأ نافع وأبو عمـرو وابن عامر وعاصم : ﴿مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ بالتاء فيهما جميعًا .

١٥ - واختلفـوا فى إثبـات الألف وإسقـاطها من قـولـه : ﴿فى ءَايٰتنا مُعٰجزين﴾[٥١] .

فقرأ ابن كثيـر وأبو عمرو: كُلَّ مـا فيه ﴿ءَايٰتنا مُعجِّزِينَ ﴾ بغير ألف مشدَّدا .

وقـرأ عـاصم ونـافع وابن عـامـر وحمـزة والكسـائى : ﴿مُعٰجِزينَ﴾ بألف .

١٦ - قوله تعالى : ﴿ثُمَّ قُتلوا أو ماتُوا﴾[٥٨] .

كلهم قرأ : ﴿ ثُمَّ قُتِلُوا ﴾ خفيفة ، غير ابن عامـر فإنه قرأ : (قُتِّلُوا) مشددة التاء . والقاف فى قولهم جميعًا مرفوعة .

١٧ - قوله : ﴿ليدخِلنَّهُم مُّدخلاً يرضونهُ﴾[٥٩] .

قرأ نـافع وحده : ﴿مدخلاً﴾ بفتح الميم . وقـرأ الباقـون : ﴿مُّدْخَلاً﴾ مرفـوعة الميم . وروى الكسـائى عن أبى بكر وعن عاصم : ﴿مدخلاً﴾ بفتح الميم مثل نافع .

١٨ - واختلفوا فى اليـاء والتاء من قـوله : ﴿وأنَّ ما يدعون من دُونِه هُـو البٰطِلُ﴾ [٦٢] هٰهنـا وفى العنكبـوت [٤٢] وفى لقمان [٣٠] وفى المؤمن [غافر][٢٠] .

فقرأ ابـن كثير فى الحج والعنكبـوت ولقمان بالتـاء . وفى المؤمن [غافر]: ﴿والذينَ يدعُون من دُونه ﴾ بالياء .

وقرأهن نافع بالتاء وكذلك ابن عامر.

وقرأ أبو عمرو: بالياء ذلك كله .

وقـرأ حمـزة والكسـائى فـى العنكبـوت : (إنَّ الله يعلمُ مـا تدعون من دُونه) بالتاء والباقى بالياء .

وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر حرفين بالتاء وحرفين بالياء : قرأ فى الحج ولقمان : بالتاء، وقرأ فى العنكبوت والمؤمن بالياء. وقرأ حفص عن عاصم : الأربعة بالياء مثل أبى عمرو.

١٩ - قوله تعالى : ﴿ ما لم يُنَزِّلْ به سُلْطَـٰنًا ﴾ [١٧].

روى عُبيد عن هارون عن أبى عمرو: (ما لم يُنزِل) خفيفة، وأنه قال: إذا لم يكن قبلها أُنزل، فهى ينزل خفيفة، وكذلك تقول إذا كان قبلها أنزل لا تبالى أيهما قرأت : يُنزِلُ أو يُنَزِّلُ.

[ياءات الإضافة].

فى هذه السورة ثلاث ياءات إضافة : ﴿أن لاَّ تُشْرِكْ بى شيئًا﴾ [٢٦] ﴿وطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ [٢٦] ﴿وإلَىَّ المصيرُ﴾ [٤٨].

واختلفوا فى قوله : ﴿بيتِىَ﴾ فقرأ نافع وحفص عن عاصم وابن عامر فى رواية هشام بن عمار بالفتح وأسكنها الباقون وأبو بكر عن عاصم وابن ذكوان عن ابن عامر.

وحذفت من هذه السورة ثلاث ياءات: ﴿والبَادِ﴾ [٢٥] وقد ذكرتها ﴿وإن الله لهادِ الذينَ﴾ [٥٤] حذفت منها الياء فى الوصل لسكونها وسكون اللام من ﴿الَّذينَ﴾ بعدها. فكتبت على الوصل بغير ياء ولم تكتب على الوقف فتكتب بالياء. وقوله : ﴿فكيف كان نكيرِ﴾ [٤٤] أثبتها فى الوصل ورش عن نافع. (كتاب السبعة فى القراءات / ٤٣٣ ـ ٤٤١).

وقد صاغ الإمام الشاطبى هذا كله نظما فى منظومته الموسومة بحرز الأمانى والشهيرة بالشاطبية، وفيما يلى ما جاء عن القراءات فى سورة الحج يتلوه إن شاء الله تعالى شرح الشيخ على محمد الضباع. قال الناظم :

سُكَارَى مَعًا سكرىَ (شَـ)ـفا ومُحَرِّكٌ
لِيقطعْ بِكسرِ اللَّامِ (كَـ)ـمْ (جـ)ـيدُهُ (حَـ)ـلاَ
لِيُوفُوا ابنِ ذكوانٍ ليطَّوَّفُوا لَهُ
ليقضُوا سِوى بَـزِّيِّهِمْ (نفَـرٌ) (جَـ)ـلاَ
ومع فـاطِـرَ انْصبْ لُؤْلُؤًا (نَـ)ـظْمُ (إ)لْفَةٍ
وَرَفْعُ سَوَاءٌ غيرُ حفصٍ تَنَخَّلاَ
وَغيرُ (صِحَابٍ) فى الشَّريعةِ ثُمَّ وَلْـ
ـيُوفُّوا فحرِّكْهُ لِشُعبةَ أثْقَلاَ
فَتخطفُهُ عن نافعٍ مثلهُ وقُلْ
مَعًا مَنسكًا بالكسرِ فى السِّيْن (شُـ)ـلْشُلاَ
ويدفعُ (حقٌّ) بينَ فتحيهِ ساكنٌ
يُدافع والمضْمومُ فى أُذِنَ (أ)عتلاَ
(نَـ)ـعَمْ (حَـ)ـفِظُوا والفَتْحُ فى تَا يُقَاتِلُو
نَ(عَمَّ) (عُـ)ـلاَهُ هُدِّمَتْ خَفَّ (إ)ذْ (دَ) لاَ
وبَصْرِىٌّ أَهْلَكْنَا بِتَاءٍ وضَمِّهَا
يَعُدُّونَ فِيه الغَيْبُ (شَـ)ـايَعَ (دُ) خُلُلاَ
وَفى سَبَإٍ حرفانِ مَعْهَا مُعَاجِزِيـ
ـنَ (حَقٌّ) بِلاَ مَدٍّ وفى الْجِيمِ ثَقَّلاَ
والأوَّلُ مَعْ لُقْمانَ يَدْعُونَ (غَـ)ـلَّبُوا
سِوى شُعبةٍ واليَاءُ بَيْتِى جَمَّلاَ

(حرز الأمانى / ١٥٦، ١٥٧).

وقال الشارح، وقد ذكر أسماء القراء الذين ترمز إليهم الحروف والألفاظ الموضوعة بين أقواس :

قرأ الإخوان ﴿ سكرى وما هم بسكرى ﴾ بفتح السين وإسكان الكاف مع حذف الألف والباقون بضم السين وفتح الكاف مع الألف على وزن كُسالى فيهما وتقدم حكم إمالته فى بابها. قرأ أبو عمرو وابن عامر وورش (ثم ليقطع وثم ليقضوا) بكسر اللام فيهما وافقهما قنبل فى ليقضوا والباقون بالسكون فيهما. قرأ نافع وعاصم ﴿ولؤلؤا﴾ هنا وفى فاطر بنصبهما والباقون بجرهما. روى حفص ﴿سواء العاكف﴾ هنا وسواء محياهم فى الجاثية بنصب الهمزة فيهما وافقه الأخوان فى الجاثية والباقون بالرفع فيهما. روى ابن ذكوان ﴿ليوفوا وليطوفوا﴾ بكسر اللام فيهما وروى شعبة وليوفوا بإسكان اللام وفتح الواو وتشديد الفاء والباقون بالإسكان والتخفيف. قرأ نافع ﴿فتخطفه﴾ بفتح الخاء والطاء مشددة والباقون بسكون الخاء وتخفيف الطاء. قرأ الأخوان ﴿منسكا﴾ فى الموضعين بكسر السين والباقون بفتح. قرأ ابن كثير وأبو عمرو (إن الله يدفع) بفتح الياء والفاء وإسكان الدال من غير ألف والباقون بضم الياء وفتح الدال وألف بعدها مع كسر الفاء. قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم ﴿أذن﴾ بضم الهمزة والباقون بفتحها. قرأ

نـافع وابن عـامـر وحفص ﴿يقاتلون﴾ بفتح التـاء والباقـون بكسرها. قـرأ الحرميان ﴿لهدمت﴾ بتخفيف الدال والبـاقون بتشديدها. قرأ أبو عمرو ﴿أهلكتها﴾ بتاء المتكلم المضمومة والباقون بنون مفتوحة وألف ضمير المعظم نفسه. قرأ ابن كثير والأخوان ﴿تعدون﴾ هنا بالغيبة والباقون بالخطـاب. قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿معْجزين﴾ هنا وموضعى سبأ بتشديد الجيم من غيـر ألف فى الثلاثة والبـاقـون بالألف والتخفيف. قـرأ الحرميـان وابن عامـر وشعبة (إن ما يـدعون) هنا ولقمان بتاء الخطاب والبـاقون بيـاء الغيبة. يـاء الإضافة. بيتـى للطائفين (تقريب النفع / ١٥٦، ١٥٧).

أما عن القراءات الشاذة فيأتى ذكر الكتب التى تتناولها فى ثبت المراجع التالى:

(سعـادة الدارين فى بيـان وعـدّ آى معجز الثقلين الشيخ محمـد بن على بن خلف الحسينى الشهير بـالحداد/ ٤٢، ٤٣، ومتن ناظمة الـزهر للإمـام الشاطبى فى عدّ الآى ـــ حققه وضبطه محمد الصـادق قمحاوى / ٣٣، ٣٤، وبصـائر ذوى التمييز لـلإمـام الفيـروزابادى ـــ تحقيق الأستـاذ محمـد على النجار ١/ ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٨، وتنـاسق الدرر فى تنـاسب السور لـلإمام جـلال الدين عبـد الرحمن السيـوطى ـ دراسـة وتحقيق عبد القـادر أحمـد عطـا / ٣٠٣، ومفحمـات الأقـران فى مبهمــات القـرآن للسيوطى أيضًا ـ ضبطـه وعلق عليه د. مصطفى ديب البُغا / ٧٤، وأسرار التكرار فى القـرآن أو البرهان فى تـوجيه متشابـه القرآن لما فيـه من الحجة والبيان لتاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى ـ دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا / ١٤٤ ـ ١٤٧، وأسباب النزول (لباب النقول فى أسباب النزول) لجلال الـدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيـوطى ـ تحقيق وتعليق الأستاذ قرنى أبى عميرة / ١٨٢ ـــ ١٨٥، والأنموذج الجليل من غرائب آى التنزيـل لزين الديـن محمد بن أبى بكـر عبد القادر بن المحسـن الرازى ـ تحقيق وتصحيح الشيخ إبـراهيـم عطـوة عـوض ونخبـة من علمـاء مجلـة الأزهر. هـدية مجلـة الأزهر. جمـادى الأولى ١٤١٠هـ ـ/ ٣٢٠ ـ ٣٢٦، وسبق نشره بعنوان « مسائل الرازى وأجوبتها من غرائب آى التنزيل » لنفس المـؤلـف ونفس المحقق، ط مصطفى البـابى الحلبـى / ٢٣١ ـــ ٢٣٦، وزدفع إيهـام الاضطراب عن آيـات الكتـاب لفضيلة الشيخ محمـد الأمين الجكنى الشنقيطى / ٢٠٥ ـ ٢١٢، ونـواسخ القرآن للحافظ جمـال الدين أبى الفرج عبد الـرحمن بن الجوزى / ١٩٦، وجواهر القـرآن ودرره للإمام حجة الإسـلام أبى حامد الغـزالى / ٩١ ـ ٩٣، ١٥١، ١٥٢، والمقنع فى رسم مصاحف الأمصار لـلإمام أبى عمرو الدانى ـــ تحقيق محمد الصادق قمحاوى / ٢٢، ٣٩، ٤٧، ٤٨، ٧٩، ٩١، ٩٩، ١٠٤، وكتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد ـ تحقيق د. شوقى ضيف / ٤٣٣ ـ ٤٤١، ومتن حرز الأمانى ووجـه التهانى المعروف بالشاطبية لـلإمام الشاطبى / ١٥٦، ١٥٧، وتقريب النفع فى القراءات السبع المطبوع بهامش متن حرز الأمانى ـــ الشيخ علـى محمـد الضبـاع، ط. مصطفى البـابى الحلبى / ١٥٦، ١٥٧. انظـر أيضًـا موجـز كتـاب التقـريب فى رسم المصحف العثمـانى ليوسف بن محمود الخوارزمى ـ تحقيـق عبد الرحمن آلوجى / ٦٠ ـ ٦٣، وتيسير الوصـول إلى جامع الأصول للإمـام ابن الديبع الشيبانى ١/ ١٥١، ١٥٢، والمكتفى فى الوقف والابتـداء لأبى عمرو الدانى ـــ دراسة وتحقيق جايـد زيدان مخلف / ٢٥٣ ـــ ٢٥٨، والجامع لمـا يحتاج إليـه من رسم المصحف لابن وثيق الأندلسى ـ تحقيق د. غانم قدورى محمد / ١١٠، وأسباب النزول للواحدى النيسـابورى / ٢٠٦ ـ ٢٠٩، ومعانى القرآن لأبى زكريا يحيى بن زياد الفراء ـ إعداد ودراسة د. إبراهيم الدسوقى عبد العزيز، إشراف ومـراجعة د. عبـد الصبور شـاهين. سلسلة تقـريب التراث (٥). مركز الأهرام للترجمة والنشر. الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م/ ٢٣٧ ـ ٢٤٤، والمبسـوط فى القـراءات العشـر لأبى بكـر أحمـد بن الحسين بن مهران الأصبهـانى ـ تحقيق سبيع حـمـزة حاكمى / ٣٠٥ ـــ ٣٠٩، وكتاب التذكـرة فى القراءات للشيخ أبى الحسن طـاهر بن عبـد المنعم بن غلبون المقـرئ ـــ تحقيق د. عبـد الفتـاح بحيـرى إبـراهيم ٢/ ٥٤٩ ـــ ٥٥٥، ومختصـر فى شواذ القـرآن من كتـاب البديع لابن خـالـويه / ٩٤ ـــ ٩٧، والقراءات الشاذة وتـوجيهها من لغة العرب ـ الشيخ عبـد الفتاح القاضى / ٦٩، ٧٠، والمحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبى الفتح عثمـان بن جنى ـــ بتحقيق على النجـدى ناصف و د. عبـد الفتـاح إسماعيل شلبى ٢/ ٧٢ ـ ٨٦).

مـلاحظة: الصـور المصـاحبـة لهذه المـادة مأخـوذة من المصادر التالية:

١ - موسوعة الخطوط العربيـة وزخارفها ـ معروف زريق / ١٩١.

٢ - بدائع الخط العـربى ـ ناجى زين الـدين المصرف / ٢٧٢.

٣ - نماذج مـن الخطوط العـربية ـ عبـد الرحمـن صادق عبوش / ٤٤.

*** الحجاب:**

الحجاب بكسر الحاء وتخفيف الجيم:

جاء فى اللسان: حجب الشىء يحجبـه حجْبًا وحِجابًا، وحجّبـه: سـتـره. وقـد احتجب وتحجّـب إذا اكْتَنَّ من وراء حجاب.

وامرأة محجوبة: قد سُترت بستر (لسان العرب ٩/ ٧٧٧).

وفي جواب عن سؤال عن الفرق بين الخمار والنقاب والحجاب يقول فضيلة الشيخ عطية صقر عن الحجاب: الحجاب في اللغة هو الساتر كما قال تعالى: ﴿ وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من رواء حجاب ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وكما قال تعالى: ﴿فاتَّخذت من دونهم حجابًا﴾ [مريم: ١٧].

ويراد به في الشرع ما يمنع الفتنة بين الجنسين، ويتحقق ذلك بستر العورة، والغضّ من البصر، ومنع الخلوة، والكلام الليّن، واللمس.

فالحجاب أعمّ من الخمار ومن النقاب، وهما من مقوماته التي تتحق بها حكمة التشريع وهي منع الفتنة بين الرجال والنساء، أو تنظيمها ليؤدي كل من الجنسين رسالته في هذا الوجود.

وقال عن الخمار: هو واحد الخُمر التي جاءت في قوله تعالى: ﴿ وليضربن بخمورهن على جيوبهن ﴾ [النور: ٣١] وهو ما يخطى به الرأس بأي شكل من الأشكال كالطرحة والشال وما يعرف بالإيشارب، ويقال في ذلك: اختمرت المرأة وتخمرت، وهي حسنة الخِمْرة.

وقال عن النقاب: هو ما تضعه المرأة على وجهها لستره، ويسمى أيضًا «البرقع» أو «النَّصيف» وهو معروف عن العرب قبل الإسلام وسمي باللثام، كما يسمى بالخمار أيضًا (أحسن الكلام ١/ ٣٧٧، ٣٣٨).

وقد كان العرب ـ قوم رسول الله ﷺ ـ أوسع الأقوام حرية وأجرأهم على العظماء لعدم وجود ملوك جبارين فيهم يستذلونهم، ولا رؤساء دينيين يربونهم على الخضوع لهم، فكانت آداب أتباعه معه ﷺ دينية وازعها نفسي لا قهري ولا عرفي، وتعاليمهم فيها مستمدة من كتاب الله تعالى ومن سنته ﷺ والتأسي به ـ ولهذا كانت في كمالها ونقصها تابعة لقوة الإيمان، وسعة العرفان ـ وكان فيهم الأعراب الجفاة، والمنافقون العتاة، ومرضى القلوب. وكان الجميع يدخلون بيوته ويتحدثون إلى أزواجه في أي وقت من ليل أو نهار.

كان هذا الأمر يثقل عليه وعلى علماء الصحابة وفضلائهم وكان عمر بن الخطاب من أشدهم غيرة وجرأة وحزمًا أو أجمعهم لهذه الصفات على أكملها فكان يطالب النبي ﷺ بحجبهن عن الرجال ـ فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قال قال عمر بن الخطاب «يارسول الله إن نساءك دخل عليهن البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب! فأنزل الله آية الحجاب» (نداء للجنس اللطيف / ٩٦).

ويعتبر نزول هذه الآية من موافقات عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقد نزلت آية الحجاب عند زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش، وكان ذلك في السنة الخامسة من الهجرة، في شهر ذي القعدة (المنتخب من السنة ١/ ٢٥٠).

وروى الطبراني بسند صحيح عن عائشة قالت «كنت آكل مع النبي ﷺ في قَعِب (القعب بالفتح إناء ضخم كالقصعة) فمر عمر فدعاه النبي ﷺ فأكل، فأصابت إصبعه إصبعي فقال: أوه! لو أطاع فيكن ما رأتكن عين» وروى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أنس «قال: لما تزوج النبي ﷺ زينب دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فأخذ كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام وقام من القوم من قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس فرجع ثم إنهم قاموا فانطلقت، فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله آية الحجاب» أخرجه البخاري ٦/ ١١٨ آية الحجاب. قال تعالى:

﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تدخُلوا بُيوت النبي إلا أن يُؤذن لكم إلى طعام غير نٰظرين إنه ولكن إذا دُعيتم فادخلُوا فإذا طعِمتُم فانتشرُوا ولا مُستئنسين لحديثٍ إن ذٰلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكُم والله لا يستحيي من الحقّ وإذا سألتُمُوهُنَّ متٰعًا فسئلُوهنَّ مِن وراء حِجاب ذٰلِكُ أطهرُ لقلوُبكمُ وقلوبِهِنَّ وما كان لكم أن تُؤذُوا رسول الله ولا أن تنكِحُوا أزواجه من بعدهِ أبدًا إنَّ ذٰلكم كان عند الله عظيما ﴾. الأحزاب: ٥٣].

(نداء للجنس اللطيف / ٩٧).

وقد أكثر بعض الناس في الخوض في مسألة الحجاب ومسألة توحيد الزي المدرسي مما حدا بجبهة علماء الأزهر الشريف إلى إصدار بيان بشأن حجاب الفتاة المسلمة ننقله لك فيما يلي:

أصحـاب الفضيلـة أعضـاء الجبهـة ـ علمـاء الأزهـر الشريف.

نحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين.

وبعد، فقد رأى مجلس إدارة الجبهة فى اجتماعه بتاريخ ٦ من ربيع الأول ١٤١٥هـ الموافق ١٤ من أغسطس ١٩٩٤م إصدار هـذا البيان، وهـو البيان الأول والـوحيد الـذى تصدره الجبهة فى شأن الفتاة المسلمة، بمناسبة القرار المنسوب إلى السيد الأستاذ الدكتور وزير التعليم خاصًا بالزى المدرسى.

ثم أما بعد،

فإن الإيمان بالإسلام دينًـا، وبالقرآن وحيًا، وبمحمد ﷺ نبيًّـا ورسولاً يقتضى التسليم والـرضا بحكم الله، ولا سيمـا إذا كان نصًّا صريحًـا لا يحتمل التأويل. قال تعالى: ﴿إنَّما كان قول المـؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقـولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾ [النور: ٣١].

وقال سبحانه: ﴿وما كـان لمُؤمن ولا مُـؤمنة إذا قضى الله ورسولـه أمرًا أن يكـونَ لهمُ الخيرةُ مِن أمـرهُم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلَّ ضَلَلاً مُبينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقد جاء القـرآن الكريم بالأمر الصـريح للرجل وللمرأة أن يغض كل منهما البصـر ويحفظ الفرج وزاد بالنسبـة للمرأة ألا تبدى زينتها لغير محارمها إلا ما ظهر منها ـ وهو عند الجمهور الوجه والكفان ـ كما طلب منها أن تغطى رأسها بالخمار فقال تعالى: ﴿وقُل للمُـؤمنٰت يغضُضنَ مـن أبصٰـرهن ويحفظنَ فُرُوجهُنَّ ولا يُبدين زينتهُن إلا ما ظهـر منها وليضربنَ بِخُمُرِهِنَّ علىٰ جُيُوبهنَّ﴾ [النور: ٣١].

وفى هذا التعبير القرآنى ما يعنى الامتثال والخضوع من قِبل المؤمنين والمـؤمنات، فهم بمجـرد أن يقول لهم الـرسول ﷺ ذلك فإنهم يَغضُّون البصر ويحفظون مواطن العِفَّة. وقد بدأ الله عز وجل بزوجـات الرسول ﷺ وبناتـه قبل نساء المؤمنين حين أمـرهن بأن يـرخين ثيـابهن سترًا لسيقـانهن وأرجلهن فقـال سبحانه: ﴿يٰأيها النبى قل لأزواجك وبنـاتك ونساءِ المؤمنين يدنين عليهن من جلٰبِيبِهنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٤٩].

وبعد أن نبه الناس ـ كل النـاس ـ إلى نعمة الستر واللباس أوصى بتقوى القلب ليتحقق للإنسان الشكلُ الـوقورُ والجوهرُ المستنير من فتن الشيطان ومحاولاتـه المستميتة فى إغراء بنى آدم وحثهم على التعـرى والتكشف وإظهار العـورات المؤدى إلى فساد الأخلاق وشيوع الفاحشة فقال سبحانه: ﴿يٰبنى ءادم لا يفتننَّكُمُ الشيطٰن كمـا أخرج أبويكُـم من الجنَّة ينـزعُ عنهما لِباسهُمَا ليُرِيَهُمَا سَوءٰتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٧].

وأمـام هذه النصـوص الـواضحـة استقر فـى ضمير الأمـة المسلمة، وفى سلـوكها على مدى الأجيال أنَّ هـذا أمر معلومٌ من الـدين بالضـرورة لا يجادل فيـه مسلم يدين بكتـاب الله. واعتمادًا علـى هذه النصـوص وغيرهـا أصدرت لجنـة الفتوى بالأزهر بيانها لضرورة الالتزام بشرع الله فى ستر الرأس والصدر والسيقـان بثيـاب لا تكشف ولا تصف لكل فتـاة بلغت سن المحيض. وبأن هذا الأمر لا يحتاج إلى إقرار من ولى الأمر أو إذنٍ من إدارة التعليم، إذ أن الآمـر بـه هـو رب العـالمين، ولا يعقل أن يُستأذن عبد فى أمر صدر من ربـه، ثم إنه لا طـاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

وما كـان للجنة الفتـوى أن تخفى حكم الله، أو تقول على الحـرام حـلالاً، وإلا دخلت فيمن يفتـرى على الله الكـذب، وفيمن يكتمون ما أنزل الله ... (مجلة الأزهر / ٤٤٩، ٤٥٠).

ورحم الله عائشـة التيموريـة كريمة إسمـاعيل باشـا تيمور التى توفيت بمصـر سنة ١٣٢٠هـ إذ تقول من قصيـدة لها فى الفخر، دفاعًـا عن الحجاب وعن الخِمار والنقـاب إن أيًّا منها ليس بعـائق للفتاة المسلمـة عن بلوغ العليـاء، وهى مما كـان مقررا علينا فى المدرسة الابتدائية فى زماننا:

مـــا عـــاقنى خجلى عـن العَلْيــا ولا
سَـــدْلُ الخمـــار بلِمَّتى ونقـــابى

(لسـان العـرب لابن منظـور ٩/ ٧٧٧، وأحسن الكـلام فى الفتـاوى والأحكـام ـ فضيلة الشيخ عطية صقـر. ط دار الغـد العربى ١/ ٣٧٧، ٣٧٨، ونـداء للجنس اللطيف ـ السيـد محمد رشيـد رضـا / ٩٦، ٩٧، والمنتخب من السنة. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. الطبعة الثانية. القاهـرة ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م ١/ ٢٥٠، وبيان مـن جبهة علمـاء الأزهر بشأن حجاب المرأة المسلمـة. مجلة الأزهر. الجزء الرابع، السنة السابعون والستون، ربيع الآخر ١٤١٥هـ ـ سبتمبر ١٩٩٤م/ ٤٤٩، ٤٥٠).

*** الحُجَّاب:**

الحُجَّاب: بضم الحاء وتشديد الجيم:

مفرده حاجب وهو الذى يتولى وظيفة الحجابة، وكانت فى العصر الفاطمى حفظ باب الخليفة والاستئذان للداخلين عليه. وأما فى عصر المماليك كان الحاجب يتصدى للحكم فى المظالم (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى/ ١٠١).

ويفرد صاحب التذكرة الهروية بابا فى صفة الحجّاب يقول فيه: ويجب على الملك أن ينظر إلى أصحابه وخواصه ومقدّمى دولته فيختار أغزرهم عقلا وأشدّهم دينًا وأوفاهم ورعًا وأعظمهم من الله خوفًا وأصوبهم رأيا وأرحمهم قلبا وأصدقهم لهجة وأزكاهم نفسا فيجعلهم حجّابًا له ليكشفوا إليه أحوال الرعية وأمور الناس ومظالم العباد. ولا يجعل زمام الأمور بأيديهم، ولا يركن بالكليّة إليهم، ويعتمد فى جميع أموره عليهم فربما داخلهم الطمع فيه فينقلون إليه ما يريدون ويكتمون عنه ما يختارون، وهذا يؤدى إلى اختلال الملك وفساد النظام وهلاك الرعية بل يباشر الأمور بنفسه ويسمع من المظلوم شكايته ويتولى أمور الرعية حقيرها وخطيرها بنفسه ولا يهمل شيئًا منها.

ولا يمكّن أحدًا من خواصه وأرباب دولته من أن يحلّ حلاً، أو يعقد عقدًا أو يرفع ظلامةً إلا بأمره فإنهم إن فعلوا ذلك بغير أمره داخلهم الطمع فى الملك واستعجزوه واستقلّوه وتعرّفوا بالحل والربط والقبض والبسط فتكاتبهم الملوك وأصحاب الأطراف ويستعينون بهم عليه ويبقى كواحد منهم وينطوى عنه أكثر أحوال الرعية وأمور الناس وهذا يؤدى إلى ذهاب ملكه وقلع بيته وفساد دولته وإسقاط حرمته، بل يلزم معهم ناموس السلطنة وهيبة الملك ولا يطمعهم فيه ولا يؤنسهم منه لتلزمهم الهيبة ويستعبدهم الخوف ويستخدمهم الطمع فهم بين خوف ورجاء لو وُزِنا لاعتدلا (التذكرة الهروية/ ٩، ١٠).

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى/ ١٠١ عن صبح الأعشى للقلقشندى/ ١٠١، والتذكرة الهروية فى الحيل الحربية لعلى بن أبى بكر الهروى/ ٩، ١٠).

*** الحجابة:**

جاء فى اللسان: فى الحديث: قالت بنو قُصَىّ: فينا الحجابة، يعنون حجابة الكعبة، وهى سدانتها، وتولى حفظها، وهم الذين بأيديهم مفاتيحها. (لسان العرب ٩/ ٧٧٧).

فالحجبة هم حجبة الكعبة، وكانوا من بنى عبد الدار ومفاتيحها بيدهم، وكانت بيد عثمان بن طلحة الحجبى زمن النبى ﷺ فانتزعها منه عام حجة الوداع حين طلبها منه لتدخل عائشة رضى الله عنها البيت ليلا فامتنع من ذلك وقال: إن الكعبة لم تفتح ليلا قط فأنزل الله تعالى﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**﴾ (سورة النساء، آية: ٥٨) فأعادها إليه النبى صلوات الله عليه وقال «هى فيكم إلى يوم القيامة» (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى/ ١٠١).

(لسان العرب لابن منظور ٩/ ٧٧٧، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى - محمد قنديل البقلى/ ١٠١ عن صبح الأعشى للقلقشندى ١/ ٣٥٦).

*** حجاج بن أرطاة (-١٤٥هـ/ -٧٦٢م):**

حجاج بن أرطاة بن ثور النخعى، قاض، من أهل الكوفة. كان من رواة الحديث وحفاظه، استُفتى وهو ابن ست عشرة سنة. وولى قضاء البصرة. وتوفى بخراسان أو بالرىّ. وكان تيّاهًا معجبا يعاب بتغيير الألفاظ فى الحديث (الأعلام ٢/ ١٦٨).

قال عنه الإمام النووى:

حجاج بن أرطاة بفتح الهمزة مذكور فى أول المهذب هو أبو أرطاة الحجاج بن أرطاة بن ثور بن هبيرة بن شراحيل بن كعب بن سلامان بن عامر بن حارثة بن سعد بن مالك بن النخع النخعى الكوفى الفقيه أحد الأئمة فى الحديث والفقه وهو من تابعى التابعين سمع عطاء والشعبى والزهرى وقتادة وغيرهم من التابعين. روى عنه محمد بن إسحاق وهو تابعى ومنصور بن المعتمر والثورى وشعبة والحمادان وابن المبارك وآخرون من الأئمة واتفقوا على أنه مدلس وضعّفه الجمهور فلم يحتجوا به ووثّقه شعبة وقليلون وكان بارعا فى الحفظ والعلم. روينا عن سفيان الثورى أنه قال لطلبة العلم عليكم بالحجاج فما بقى أحد أعرف بما يخرج من رأسه منه. قال وما رأيت أحفظ منه. وعن حماد بن زيد قال: الحجاج عندنا أقهر للحديث من الثورى وكان قاضى البصرة. وقال هشيم سمعت الحجاج يقول استفتيت وأنا ابن ست عشرة سنة. وقال الحجاج ما خاصمت قط أحدا ولا جلست إلى قوم يختصمون توفى بالرى (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٥٢، ١٥٣).

(الأعلام للزركلى ٢/ ١٦٨ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١/ ١٥٢ ، ١٥٣).

*** الحجاج الثقفى (٤٠ـ٩٥هـ / ٦٦٠ـ٧١٤م):**

الحجاج بن يوسف الثقفى المشهور تكرر ذكره فى المختصر والمهذب والوسيط والروضة. وهو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب الثقفى. قال ابن قتيبة هو من الأجلاف قال وكان أخفش دقيق الصوت وأول ولاية وليها تبالة بمثناة فوق مفتوحة ثم ياء موحدة مخففة فلما رآها احتقرها فتركها ثم تولى قتال ابن الزبير رضى الله عنه فقهره على مكة والحجاز وقتل ابن الزبير وصلبه بمكة سنة ثلاث وسبعين فولاه عبد الملك الحجاز ثلاث سنين وكان يصلى بالناس ويقيم لهم الموسم ثم ولاه العراق وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فوليها عشرين سنة وحطم أهلها وفعل ما فعل وتوفى بواسط ودفن بها وعفى قبره وأجرى عليه الماء [فاندرس] وكان موته سنة خمس وتسعين (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٥٣).

بنى مدينة واسط (بين الكوفة والبصرة) وكان سفاحًا باتفاق معظم المؤرخين قال ياقوت فى معجم البلدان: ذكر الحجاج عند عبد الوهاب الثقفى بسوء، فغضب وقال: إنما تذكرون المساوئ: أو ما تعلمون أنه أول من ضرب درهمًا عليه « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وأول من بنى مدينة بعد الصحابة فى الإسلام، وأول من اتخذ المحامل، وأن امرأة من المسلمين سُبيت فى الهند فنادت يا حجّاجاه، فاتصل به ذلك فجعل يقول: لبيك! لبيك! وأنفق سبعة آلاف ألف درهم حتى أنقذ المرأة؟ (الأعلام ٢/ ١٦٨).

ويعدّ الحجاج بن يوسف الثقفى ثالث ثلاثة طبعوا الخطابة الإسلامية طابعا خاصا فى عهدها الأول، أوّلهم على ابن أبى طالب، وثانيهم زياد. وقد شب الحجاج شجاعا داهية عنيفًا، وحاكما مستبدًا. خدم بنى أمية ولا سيما عبد الملك فى توطيد الملك وإسكان الثورات حتى مات سنة ٩٥هـ كما سبق القول. وتدل خطبته حين ولى العراق على خواصه النفسية ومذهبه فى السياسة والحكم، وأسلوبه الفنى الذى يعتمد على الإرهاب وعلى التفخيم اللفظى، وبهذه الخاصة الأخيرة يمتاز عن زياد، كما يمتاز بنفس جاهلية عنيفة.

وقد ابتدأ خطبته الشهيرة هذه بقوله :

أنا ابن جَلاً وطلاّع الثنايا

متى أضع العمامة تعرفونى

يا أهل الكوفة ! إنى لأرى رءوسًا قد أينعت وحان قطافُها، وإنى لصاحبها. وكأنى أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى ... إلخ (المنتخب ٢/ ١٧١).

وجاء فى تيسير الوصول:

١ - عن الزبير بن عدى قال: « دخلنا على أنس بن مالك رضى الله عنه فشكونا إليه ما نلقى من الحجّاج فقال: اصبروا، فإنه لا يأتى عليكم زمان إلا والذى بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربكم. سمعت هذا من نبيّكم ﷺ». أخرجه البخارى والترمذى.

٢ - وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: « قال رسول الله ﷺ: فى ثقيف كذّاب ومُبير » أخرجه الترمذى.

وقال: ويقال: الكذّاب المختار بن أبى عبيد، والمبير الحجاج بن يوسف .

قالت المؤلفة: هذا الحديث رددته السيدة أسماء بنت أبى بكر فى مواجهتها الشجاعة مع الحجاج بعد صلب ولدها عبد الله بن الزبير رحمه الله فارجع إليه فى مادة « أسماء بنت أبى بكر الصّديق » فى م٤/ ٤٨٨ ، ٤٨٩ .

٣ - وعن هشام بن حسان قال: « أحصى ما قتل الحجاج صَبْرًا فوجد مائة ألف وعشرون ألفا » . أخرجه الترمذى.

قوله « صبرا » المراد به كل من قتل فى غير حرب ولا اختلاس كمن تضرب عنقه أو يحبس إلى أن يموت أو يصلب أو نحو ذلك من هيئات القتل فهو مقتول صبرا. (تيسير الوصول ٤/ ٣١).

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام الحافظ أبى زكريا محيى الدين بن شرف النووى ١/ ١٥٣ ، والأعلام ٢/ ١٦٨ ، والمنتخب من أدب العرب لطه حسين وزملائه ٢/ ١٧١ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن الديبع الشيبانى ٤/ ٣١).

*** الحجاز:**

مقاطعة شمال غرب المملكة العربية السعودية، على خليج العقبة والبحر الأحمر. ثانية مقاطعات المملكة مساحة

وسكـانًـا. يشغل معظمهـا سلسلـة جبليـة (السـراة) تتصل بهضبات وتترك بينها وبين البحر سهلا ضيقا يتراوح عرضه بين ١٥ و ٦٥ كيلو مترا، وتنحدر شـرقا إلى هضبـة نجد. تـوجد بضع واحات وعـدة أودية تقوم فيها الزراعـة، وتنقسم الحجاز إلى عـدة إمـارات هى: مكـة، وجدة، والمـدينـة، والعـلا، والجوف، وتبوك، والطائف، والظفير، والقنفذة. أهم القبائل الحويطات، وبنو عطيـة، وبلى، وجهينة، وحرب، وعتيبة، وبـالحجاز المـدينتـان المقدستـان مكة المكـرمـة والمدينـة المنورة، ويـؤمهما مـلايين الحجاج المسلميـن سنويـا. كان الحجاز تحت حكم الأشراف، وكانوا يدينون بالولاء للأتراك. أعلن الشريف الحسين بن على استقلاله سنة ١٩١٦م وتلقب بملك العرب. غـزا عبد العزيـز بن سعود الحجـاز وضمه إلى أملاكه، وأعلن نفسه ملكا عليه سنة ١٩٢٦م (الموسوعة الثقافية / ٣٨٤).

قال ياقوت عن الحجاز:

الحجاز: بالكسر، وآخره زاى، قال أبو بكر الأنبارى: فى الحجاز وجهان: يجوز أن يكون مأخوذًا من قول العرب حجز الـرجل بعيره يحجـزه إذا شده شـدًّا يقيـده به، ويقـال للحبل حجاز، ويجوز أن يكـون سمى حجازًا لأنه يحتجـز بالجبال، يقال: احتجزت المرأة إذا شدَّت ثيـابها على وسطها واتزرت، ومنه قيل حُجزة السراويل، وقول العـامة حُزَّة السراويل خطأ، قال عبيد الله المؤلف، رحمه الله تعـالى: ذكر أبو بكر وجهين قصـد فيهما الإعـراب ولم يذكـر حقيقة مـا سُمى به الحجـاز حجـازًا، والـذى أجمع عليـه العلمـاء أنـه من قـولهم حجـزه يحجزهُ حجزًا أى منعه. والحجـاز: جبل ممتدٌّ حالٌ بين الغور غور تهامة ونجد فكأنـه منع كلَّ واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجزٌ بينهما، وهذه حكاية أقوال العلماء، قال الخليل: سمى الحجـاز حجــازًا لأنـه فصل بين الغــور والشـام وبين البـادية، وقـال عُمـارة بن عقيل: ما سـال من حـرة بنى سُليم وحرة ليلى فهـو الغور حتى يقطعـه البحر، ومـا سال من ذات عرق مغربًا فهو الحجاز إلى أن تقطعه تهامة، وهو حجازٌ أسود حجز بين نجد وتهامة، وما سال من ذات عرق مقبلاً فهو نجد إلى أن يقطعه العراق، وقال الأصمعى: مـا احتزمت به الحرار حرة شوران وحـرة ليلى وحرة واقم وحرّة النار وعـامة منازل بنى سليم إلى المدينـة، فذلك الشقُّ كله حجـازٌ، وقال الأصمعى أيضًـا فى كتـاب جـزيـرة العرب: الحجـاز اثنتـا عشـرة دارًا: المـدينـة وخيبر وفـدك وذو المـروة ودار بلى ودار أشجع ودار مُزينة ودار جُهينة ونفر من هوازن وجُلُّ سليم وجُلُّ هلال وظهر حرَّة ليلى، وممـا يلى الشام شغب وبـدا، وقال الأصمعى فى موضع آخـر من كتابه: الحجـاز من تخوم صنعـاء من العبلاء وتبالـة إلى تخوم الشـام، وإنما سمـى حجازًا لأنه حجـز بين تهـامة ونجـد، فمكـة تهـامية والمـدينـة حجـازية والطـائف حجـازيـة، وقـال غيره: حـدُّ الحجـاز من معـدن النقـرة إلى المـدينة، فنصفُ المـدينة حجـازىٌّ ونصفها تهـامى، وبطنُ نخل حجازى وبحـذائه جبل يقال لـه الأسود نصفـه حجازى ونصفه نجدىٌّ، وذكر ابن أبى شبة أن المدينة حجازية، وروى عن أبى المنذر هشام أنه قال: الحجاز ما بين جبلى طىء إلى طريق العراق لمن يريد مكة سُمى حجازًا لأنه حجز بين تهامة ونجد، وقيل: لأنه حجز بين الغور والشام وبين السراة ونجد، وعن إبـراهيم الحربى أن تبـوك وفلسطين من الحجاز، وذكـر بعض أهل السير أنه لما تبلبلت الألسـن ببابل وتفرقت العرب إلى مـواطنها سار طسـم بن إرم فى ولده وولـد ولده يقفـو آثار إخوته وقد احتووا على بُلدانهم، فنزل دونهم بالحجاز فسموها حجـازًا لأنها حجـزتهم عن المسير فى آثـار القوم لطيبهـا فى ذلك الزمـان وكثرة خيرهـا، وأحسنُ من هذه الأقـوال جميعها وأبلغ وأتقنُ قول أبى المنذر هشام بن أبى النضر الكلبى، قال فى كتـاب افتـراق العرب وقـد حـدّد جـزيرة العـرب ثم قـال: فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التى نزلوها وتوالدوا فيها على خمسة أقسام عند العرب فى أشعـارهم وأخبارهم: تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن، وذلك أن جبل السراة، وهو أعظم جبـال العرب وأذكـرهـا، أقبل من قُعـرة اليمن حتى بلغ أطراف بوادى الشام فسمّته العرب حجازًا لأنه حجز بين الغور، وهو تهامة، وهو هابط، وبين نجد وهو ظاهر، فصار ما خلف ذلك الجبل فى غربيـه إلى أسياف البحر من بـلاد الأشعريين وعكّ وكنـانـة وغيرهـا، ودونهـا إلى ذات عِـرْق والجحفة ومـا صاقبهـا، وغار من أرضهـا الغور غور تهـامة، وتهـامة تجمع ذلك كله، وصـار ما دون ذلك الجبل فى شرقيـه من صحارى نجد إلى أطراف العراق والسماوة وما يليها نجدًا، ونجد تجمع ذلك كله، وصار الجبل نفسه، وهو سـراته، وهو الحجاز وما احتجـز بـه فى شـرقيـه من الجبـال وانحـاز إلى نـاحيـة فيـد

والجبلين إلى المدينة، ومن بلاد مذحج تثليث وما دونها إلى ناحية فيد حجازًا، والعرب تسميه نجدًا وجلسًا وحجازًا، والحجاز يجمع ذلك كله، وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما ولاهما العروض، وفيها نجد وغور لقربها من البحر وانخفاض مواضع منها ومسايل أودية فيها، والعروض يجمع ذلك كله، وصار ما خلف تثليث وما قاربها إلى صنعاء وما والاها من البلاد إلى حضرموت والشحر وعمان وما بينها اليمن، وفيها التهايم والنجد، واليمن تجمع ذلك كله.

قال أبو المنذر: فحدثنى أبو مسكين محمد بن جعفر بن الوليد عن أبيه عن سعيد بن المسيب قال: إن الله تعالى لما خلق الأرض مادت فضربها بهذا الجبل، يعنى السراة، وهو أعظم جبال العرب وأذكرها، فإنه أقبل من ثغرة اليمن حتى بلغ أطراف بوادى الشام فسمت العرب حجازًا لأنه حجز بين الغور وهو هابط، وبين نجد وهو ظاهر، ومبدؤه من اليمن حتى بلغ أطراف بوادى الشام فقطعته الأودية حتى بلغ ناحية نخلة، فكان منها حيض ويسوم، وهما جبلان بنخلة، وثم طلعت الجبال بعدُ منه فكان منها الأبيض جبل العرج وقُدس وآرة والأشعر والأجرد.

وقد أكثرت شعراء العرب من ذكر الحجاز واقتدى بهم المحدثون، وسأورد منه قليلا من كثير من الحنين والتشوق، قال بعض الأعراب:

تطاولُ ليلى بالعراق، ولم يكن
علىّ بأكناف الحجاز يطولُ
فهل لى إلى أرض الحجاز ومن به
بعاقبة قبل الفوات، سبيل؟
إذا لم يكن بينى وبينك مُرسلٌ،
فريحُ الصَّبا منى إليك رسولُ

وقال أعرابى آخر:

سرى البرقُ من أرض الحجاز فشاقنى،
وكل حجازى له البَرْق شائقُ
فواكبدى مما ألاقى من الهوى،
إذا حنَّ إلفٌ أو تألَّق بارقُ!

وقال آخر:

كفى حزنًا أنى ببغداد نازلٌ،
وقلبى بأكناف الحجاز رهينُ
إذا عَنَ ذكر للحجاز استفزَّنى
إلى مَنْ بأكناف الحجاز، حنينُ
فوالله ما فارقتهم قاليًا لهم،
ولكنَّ ما يُقضى فسوف يكون

وقال الأشجع بن عمرو السُّلمى:

بأكناف الحجاز هوى دفينٌ،
يُؤرقنى إذا هدأت العيونُ
أحنُّ إلى الحجاز وسكانيه
حنين الإلف فارقهُ القرينُ
وأبكى حين ترقُد كل عين
بكاءً بين زفرته أنين
أمَرٌّ على طبيب العيس نأىٌ
خلوجٌ بالهوى الأدنى، شطونٌ؟
فإن بعد الهوى وبعدت عنه،
وفى بُعد الهوى تبدو الشجونُ،
فأعذرُ من رأيت على بكاء،
غريبٌ عن أحبته حزينُ
يموت الصَّبُّ والكتمانُ عنه،
إذا حَسُنَ التذكُّرُ والحنينُ

(معجم البلدان ٢/ ٢١٨ ـ ٢٢٠).

(الموسوعة الثقافية ـ بإشراف د. حسين سعيد/ ٣٨٤، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ـ/ ٢١٨ ـ ٢٢٠).

انظر الخريطة المصاحبة لمادة «الأحقاف» فى م٢/ ٥٩٨ من هذه الموسوعة.

*** الحجازية (المدرسة):**

انظر: تاتار الحجازية (قبة ومدرسة).

*** الحجامة:**

الحِجامة: امتصاص الدم بالمحجم ـ بعد تشريط الجلد، وقد تكون الحِجامة جافة دون إدماء. وحَجَم المريض: عالجه بالحجامة (المعجم الوجيز/ ١٣٧ والمعجم

الوسيط ١/ ١٥٨) وقال داود الأنطاكى : الحِجامة هى استفراغ ما تحت سطح الجلد وتكون بشرط هو الأصل، وبدونه لأمر طارىء كتحريك خلط وصرف مادة، وكلٌّ إما بلا نار وهو الأكثر، أو بها لطارىء يوجب ذلك (النزهة المبهجة / ٨٨).

وجاء فى اللسان: الحجم: المصُّ. يقال: حجم الصبى ثدى أمه إذا مصّه ... قال الأزهرى: يقال للحاجم حجّام لامتصاصه فَم المحجمة ... والمحجم والمحجمة: ما يحجم به. قال الأزهرى: المحجمة قارورته، وتُطرح الهاء فيقال محجم، وجمعه محاجم ... وفى الحديث: « أعلق فيه محجمًا ». قال ابن الأثير: المِحجم بالكسر الآلة التى يجمع فيها دم الحِجامة عند المصّ، قال: والمحجم أيضًا مشرط الحجّام، ومنه الحديث: « لعْقة عسلٍ أو شَرْطة محجم»، وحرفته وفعله الحِجامة، والحجم: فعل الحاجم وهو الحجّام. واحتجم: طلب الحجامة، وهو محجوم، وقد احتجمت من الدم. وفى حديث الصوم: « أفطر الحاجم والمحجوم ».

ابن الأثير: معناه أنهما تعرّضا للإفطار، أما المحجوم فللضعف الذى يلحقه من خروج دمه فربما أعجزه عن الصوم وأما الحاجم فلا يأمن أن يصل إلى حلقه شىء من الدم فيبلعه أو من طَعْمِه، قال: هذا على سبيل الدعاء عليهما، أى بطل أجرهما، فكأنهما صارا مُفْطِرين (لسان العرب ٩/ ٧٩٠).

وقال القنّوجى: علم الحجامة علم يتعرف به أحوال الحجامة وكيفية مصها وشرطها بالمحجمة، وأنها فى أى موضع من البدن نافعة، وفى أى موضع مضرة، إلى غير ذلك من الأحوال. ذكره فى مدينة العلوم من فروع العلم الطبيعى (أبجد العلوم جـ٢ ق١/ ٢٧١ ومفتاح السعادة ١/ ٣٢٦).

وقد ورد فى تسهيل المنافع ما يلى: قال المقرى عن الفصد والحجامة: اعلم أن الدم لا ينبغى إخراجه بل تركه أنفع للضرورة، فهو ينفع الجسد، وأوفر لقوة البدن لأنه من خالص الغذاء الذى هو قوام البدن وثبات الروح منه. وقال بعض الحكماء: عجبت لمفتصدٍ كيف يسلم، ولمحتجم كيف يسلم أو كيف يألم ولا تكون الحجامة لا عند الضرورة وأما إذا صارت عادة كان ضررها أكثر وذلك لما قدمناه من توفير الدم وترك الحجامة وجميع المسهلات أبقى وأسلم ما وجد الإنسان سبيلا إلى السلامة. ويحجم نقرة الرأس للدم العظيم وحمرة العينين وما يتولد فى الرأس من الثقل وزيادة الدم وكثرة حجامتها تخفف الدماغ وتضعف البصر. وحجامة الأخدعين والكاهل لثقل الرأس وبلادة الحواس وكثرة النوم. وحجامة المحجمين المعتادين اللذين يليانهما مما يتولد من الكدورات والرطوبات الفاسدة فى الظهر وفى الجوف من زيادة الدم وثقل البدن. وحجامة القلب تصفيه مما يتولد من الكدورات والرطوبات الفاسدة الصائرة إليه من الكبد والرئة والطحال ومن بخارات الأغذية. وحجامة الفخذين والساقين مما يتولد فيهما وفى اليدين من الدماميل والعلل الدموية والسوداوية ومن قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسى عند شرط الحجامة كان شفاء من علته، وينبغى أن يغتسل بعد الحجامة بماء بارد ويذر على المحاجم مرتكا مدقوقا يعنى خبثا فإنه يسكن الوجع ويبرد وينشف باقى الدم من المحاجم ولا يأكل إلا بعد ساعة زمانية ويجتنب الحموضات بأسرها فإنها شفاء انتهى كلامه. قلت وقد أشار إمامنا الشافعى إلى أن الحكمة فى ذلك أن الحجامة تغير الجسد وتضعفه والغسل يشده وينعشه فلذلك استحب الغسل عقب الحجامة، وخير أوقات الحجامة إذا ارتفعت الشمس قدر رمح، وينبغى لمن أراد الحجامة أن يجتنب النساء قبل ذلك قدر اثنتى عشرة ساعة وأن يحتجم فى يوم صاف لا غيم فيه ولا ريح شديدة، وصلاح الحجامة قبل الربيع والخريف فى الشهر مرة واحدة، ويجتنب الحجامة فى الشتاء والصيف والحجامة على قدر الميلاد فمن مضى له عشرون سنة فليحتجم فى كل عشرين يوما ومن له ثلاثون سنة فليحتجم فى كل ثلاثين يوما فقس على ذلك وهذا إذا ألجأته الضرورة إلى الحجامة لسبب أوجب ذلك وإلا فالواجب ترك الدم أى عدم إخراجه لأنه أقوى للبدن وأنفع للجسد.

فصل: فى ذكر الحجامة وفضلها: قال فى اللقط روى الشيخ بإسناده عن سمرة بن جندب قال « دخل أعرابى من بنى فزارة على رسول الله ﷺ وإذا حجام يحجمه بمحاجم له من قرون فشرطه بشفرة فقال ما هذا يا رسول الله لِمَ تدع هذا يقطع جلدك؟ فقال هذا الحجم هو خير ما تداويتم به » وروى جابر ابن عبد الله قال لا أبرح حتى أحتجم فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول شفاء وقال ﷺ إن كان فى شىء من أدويتكم خير

ففى شرطة محجم أو شربة عسل أو لذعة نار وما أحب أن أكتوى أخرجه فى الصحيحين وفى أفراد البخارى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ فى العسل والحجم شفاء وروى الشيخ والإمام أحمد رضى الله عنه عن سلمان خادم رسول الله ﷺ قال ما سمعت أحدًا قط شكا وجعًا فى رأسه إلا قال احتجم ولا وجعًا فى رجليه إلا قال اخضبهما بالحناء وروى أبو الدرداء من حديث أبى هريرة رضى الله عنه رفعه إن كان فى شىء مما تداويتم به خير فالحجامة .

فصل : فى ذكر مواضع الحجامة وروى الشيخ رضى الله عنه عن أنس قال كان رسول الله ﷺ يحتجم بين الأخدعين والكاهل وهو على مقدم الظهر مما يلى العنق والأخدعان فى موضع المحجمين وربما وقعت الشرطة على أحدهما من وضاحته والله أعلم . قال ابن عباس احتجم رسول الله ﷺ بين الأخدعين وبين الكتفين . وقال الزجاج والأخدعان عرقان فى العنق . وروى أحمد عن ابن عباس : احتجم رسول الله ﷺ وهو محرم احتجامة فى رأسه من أذى كان به . وقال فى كتاب فقه اللغة : إذا كان الوجع فى المفاصل واليدين والرجلين فهو وثبة والله أعلم . وروى أبو بكر بإسناده عن صهيب عن أبيه عن جده قال : « قال رسول الله ﷺ عليكم بالحجامة فى حوزة القمحدوة فإن فيه شفاء من اثنين وسبعين داء أو خمسة أدواء من الجنون والجذام والبرص ووجع الأسنان ولم يذكر الخامس فينظر له وبصرت للخامس فوجدته وجع الرأس والله أعلم . قال : القمحدوة رأس القفا إذا استلقى الرجل وأصابت الأرض من رأسه قال الشيخ وقد ذكر علماء الطب أن الحجامة فى الساق تضعف القوة وتهد البدن والله أعلم .

فصل : فى أوقات الحجامة : روى الشيخ والإمام أحمد رضى الله عنهما عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : «خير يوم تحتجمون فيه سبعة عشر وتسعة عشر وإحدى وعشرون كان شفاء من كل داء » وروى الشيخ عن ابن عباس رضى الله عنهما : « قال لرجل إذا أردت أن تنفعك الحجامة فعليك بآخر الشهر » وكان أبو عبد الله أحمد بن حنبل يحتجم فى وقت هياج الدم وكان يحتجم فى كل ساعة كانت وكلما رأيته رأيت الحاجم يحجمه وقت الظهر وبعد العصر وقال الجلال وأخبرنا أبو بكر المروزى قال كان أبو عبد الله رضى الله عنه يحتجم يوم الأحد ويوم الثلاثاء قال الجلال أخبرنا أحمد ابن إسماعيل قال قلت لأحمد تكره الحجامة فى سائر الأيام فقال قد جاء فى يوم الأربعاء ويوم السبت . وقال الجلال حدثنى محمد بن الحسن بن حبان أنه سأل أبا عبد الله عن الحجامة فى أي يوم تكره؟ فقال يوم السبت ويوم الأربعاء ويقولون يوم الجمعة . وروى الجلال بإسناده عن الزهرى وسعيد بن المسيب وأبى سلمة بن عبد الرحمن قال قال رسول الله ﷺ : « من احتجم يوم الأربعاء ويوم السبت وأصابه بياض فلا يلومنّ إلا نفسه » .

فصل : وينبغى أن تكون الحجامة على الريق إلا أن يكون الإنسان ضعيفا قال ابن أبجر من كان ضعيفا أكل قبل أن يحتجم ومن كان قويا احتجم قبل أن يأكل وينبغى لمن احتجم أن يصبر عن الأكل ساعة وروى الشيخ بإسناده قال محمد بن عبد الله الحكيم سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول عجبنا لمن يدخل الحمام ثم لا يأكل كيف يعيش وعجبنا لمن احتجم وأكل من ساعته كيف يعيش .

فصل : ومن افتصد أو احتجم وأكل لبنًا أو حامضًا أبيض خشى عليه من البرص فإن أكل رمانا حامضًا خشى عليه من الجرب والفالج وقد وصفت قراءة الفاتحة عند الحجامة فينبغى أن يقرأ سبع مرات عند شرط الحجامة فإنه عجيب انتهى ما ذكرناه من اللقط (تسهيل المنافع / ٥٢ ، ٥٣) .

هذا والفقهاء مجمعون على أن التداوى بالاحتجام جائز غير محظور، وقد صح عن النبى ﷺ أنه تداوى به ، وأن كثرة عديدة من الصحابة كانوا يفعلون لك .

وقد روى البخارى وابن ماجه أن النبى عليه الصلاة والسلام قال : « الشفاء فى ثلاث : شربة عسل ، وشرطة محجم ، وكية نار » .

وقال الكرمانى فى شرحه للحديث : إن فيه . إثبات الطب والتداوى .

وقال العزيزى فى شرحه أيضًا : إن الحجم أنجح هذه الثلاثة شفاء عند هيجان الدم (الموسوعة ٣/ ١٨٩) .

قال عبد الله بن عباس : احتجم النبى ﷺ فى رأسه من أذًى كان به .

وفى مسند ابن أبى شيبة : أن عيينة بن حصن دخل على

رسـول الله ﷺ وهو يحتجم فى فأس رأسـه، فقـال: ما هـذا؟ قال: هذا خيرٌ ما تداويتم به.

وفى مسند ابن أبى شيبة أن النبى ﷺ قال: خير ما تداويتم به الحجامة والقسط البحرى، ولا تعـذبوا صبيانكم بالغمز من العذرة.

وفيـه أن النبى ﷺ قـال: خير يـوم تحتجمـون فيـه، سبع عشرة، وتسع عشرة، وإحدى وعشرون.

وفيه أنه قـال: إن كان فى شىء مما تعالجـون به خيرٌ ففى شرطـة من محجم أو لذعـة من نار تـواقع ألما، أو شـربة من عسل، وما أحب أن أكتوى (العقد الفريد ٧/ ٣١١).

ويأتى باب كسب الحجّام فى كتب الفقه، كما يرد حديث أن النبى ﷺ احتجم وأعطى الحجّـام أجـره فى مواضع كثيـرة بطرق مختلفة:

فأخرجـه البخارى فى كتاب البيوع باب ذكـر الحجام عن حميد عن أنس وعن عكرمة عن ابن عباس. وفى كتاب البيوع باب من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم فى البيوع، وفى كتاب الإجارة باب خـراج الحجام، وباب من كلم موالى العبد، وأخرجه فى كتاب الطب فى ثلاثة مواضع.

وأخرجه مسلـم فى ٢٢ ـ كتاب المساقـاة والمزارعة (١١) باب حل أجرة الحجامة عن حميد وأنس أيضًا، وعن طاووس عن أبيه عن ابن عباس. وعن الشعبى عن ابن عباس.

وأخرجه أيضًا فى ٣٩ ـ كتاب السلام (٢٦) باب لكل داء دواء عن ابن عبـاس، وعن مسعر، عن عمـرو بن عامـر، عن أنس.

أخـرجـه أيضًـا أبـو داود فى كتـاب البيـوع، بـاب ٣٨. والتـرمذى فى كتـاب البيوع أيضًـا بـاب (٤٨) وابن ماجـه فى كتاب التجارات باب كسب الحجام.

وأخرجه مالك، وابن سعـد، والدارمى، والإمام أحمد فى مسنـده فى ٢٩ مـوضعًا والطيـالسى فى أربعـة مـواضع (علل الحديث/ ٧٤، ٧٥).

ومن أبيـات فى الطب جـاءت فى كتـاب فـرج بن سـلام أوردها صاحب العقد الفريد جاء هذا البيت عن الحجامة:

وذو الـدَّم فليكثـر لـذاك حجـامـةً
فمـا غيـرهـا شىءٌ لـه بمُـوافقِ

(المعجم الـوجيـز/ ١٣٧، والمعجم الـوسيط ١/ ١٥٨، والنـزهـة المبهجـة لداود بن عمـر الأنطاكى المطبـوع بهامش تـذكرة أولى الألبـاب للمؤلف نفسه ٢/ ٨٨، ولسان العرب ٩/ ٧٩٠. وتسهيل المنافع وأبجد العلوم لصدّيق بن حسن القنّوجى ـ أعـده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكـار جـ٢ ق١/ ٢٧١، ومفتاح السعـادة لطـاش كبـرى زاده ١/ ٣٢٦، وتسهيل المنافع فى الطب والحكمة المشتمل على شفـاء الأجسام وكتاب الرحمـة لابن الأزرق/ ٥٢، ٥٣، وموسوعة جمـال عبد النـاصـر فى الفقه الإسلامى ٣/ ١٨٩، والعقد الفـريد لابن عبد ربه ـ بتحقيق محمد سعيد العريـان ٧/ ٣١١، ٣١٣، وعلل الحديث ومعرفـة الرجـال للحافظ على عبد الله المدينى ـ حققـه وعلق عليه د. عبد المعطى أمين قلعجى/ ٧٤، ٧٥ وهامش ١٤٨ للمحقق. انظـر أيضًا فقـه السنة ـ فضيلـة الشيخ السيد سابق م٣/ ٣١٨، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن الديبع الشيبانى ٤/ ١٢٥، والكلم الطيب لابن تيمية ـ بتحقيق محمد ناصر الدين الألبانى / ١٣٤).

* الحجب:

يفصله الشيخ أبو بكر جابر الجزائرى على النحو التالى:

(أ) تعريفه:

الحجب: المنع من كل الميراث، أو من بعضه.

(ب) قسما الحجب:

١ - حجب النقص، والمـراد به: نقـل الوارث من فـرض أكثر إلى فـرض أقل، أو من فرض إلى تعصيب، أو العكس، أى من تعصيب إلى فرض.

والذين يحجبون غيرهم حجب نقصان ستة أنفار وهم:

الابن، وابن الابن، وإن نزل، فيحجبان الزوج من النصف إلى الـربع، والـزوجـة من الـربع إلـى الثمن، والأب والجـد بنقلهما من التعصيب إلى السدس بالفرض.

البنت، وتحجـب بنت الابـن بنقلهـا من النصف إلى السـدس، وبنتى الابن بنقلهمـا من الثلثين إلى السـدس، والأخت الشقيقـة أو الأب، من النصف إلـى السـدس، والشقيقتين أو الأب بنقلهما من الثلثين إلى التعصيب، والزوج بنقلـه من النصف إلى الربع، والـزوجة بنقلهـا من الـربع إلى الثمن، والأم بنقلهـا من الثلث إلى السـدس، والأب والجـد بنقلهمـا من التعصيب إلى السـدس فـرضًـا، ولهـم البـاقى تعصيبًا إن كان هناك باق.

بنت الابن، وتحجب من تحتهـا من بنـات الابن حيث لا معصب لهن من أخ أو ابن عم مساوٍ لهن فى الـدرجة، فتنقل الـواحدة من النصف إلى السـدس، وتنقل الاثنتين فأكثـر من الثلثين إلى السـدس، وتحجـب الأخت الشقيقـة أو لأب من النصف إلـى التعصيب، والشقيقتيـن أو لأب من الثلثيـن إلى التعصيب وتحجب الـزوج، والزوجـة، والأم، والأب، والجد على نحو ما حجبتهم البنت.

الأخوان فأكثـر مطلقًا يحجبـان الأم، بنقلها من الثلث إلى السدس.

الأخت الشقيقة الواحـدة تحجب الأخت لأب، بنقلها من النصف إلى السـدس، إذا لـم يكن معها أخ لأب تعصب بـه، والأختين لأب، بنقلهما من الثلثين إلـى السدس، إذا لم يكن معهما أخ لأب تعصبان به.

٢ - حجب الإسقاط:

المراد بحجب الإسقـاط: حرمـان الوارث من كل مـا كان يرثه لولا المحجب. والحاجبـون لغيرهم حجب إسقاط تسعة عشر نفرًا، وهم:

١ - الابن، فلا يـرث معه ابن الابن، ولا بنتـه، ولا الإخوة مطلقًا، ولا الأعمام مطلقًا.

٢ - ابن الابن، فلا يرث معه من تحته من ابن ابن الابن ولا بنته، ويحجب كل من يحجبه الابن، سواء بسواء.

٣ - البنت، فلا يرث معها الأخ للأم مطلقا.

٤ - بنت الابن، فلا يرث معها الأخ للأم مطلقًا.

٥ - البنتان فأكثـر، فلا يرث معهما الأخ لـلأم مطلقًا، ولا بنت الابن أو بناته إلا أن يكـون معها من تعصب به من أخ، أو ابن عم مساو لها فى الدرجة.

٦ - بنتا الابن فأكثـر، فلا يرث معهمـا الأخ للأم، ولا بنت أو بنات ابن الابن، إلا أن يكون معهـا من تعصب به من أخ أو ابن عم مساوٍ لها فى الدرجة.

٧ - الأخ الشقيق، فـلا يرث معـه الأخ للأب مطلقًـا، ولا العم مطلقًا.

٨ - ابن الأخ الشقيق، فـلا يـرث معه العم. مطلقًـا، ولا ابن الأخ للأب، ولا من تحته من أبناء أبناء الأخ مطلقًا.

٩ - الأخ للأب، فـلا يرث معـه العم مطلقًا، ولا ابن الأخ شقيقًا أو لأب.

١٠ - ابن الأخ لأب، فـلا يرث معه العم مطلقًـا، ولا من تحته من أبناء أبناء الأخ.

١١ - العم الشقيق، فلا يرث معه العم لأب، ولا من تحته من أبناء العم مطلقًا.

١٢ - ابن العم الشقيق، فلا يرث معه ابن العم للأب، ولا من تحته من أبناء أبناء العم.

١٣ - العم لأب، فلا يرث معه ابن العم مطلقًا.

١٤ - الشقيقة مع البنت، فلا يـرث معها الأخ للأب، لأن الشقيقة مع البنت نزلت منزلة الشقيق والشقيق لا يرث معه الأخ للأب.

١٥ - الشقيق مع بنت الابن، فلا يرث معها الأخ للأب.

١٦ - الشقيقتان، فـلا ترث معهمـا الأخت للأب، إلا إذا كان معها أخ تعصب به.

وبناء على هذا، فالأخت لـلأب مع الشقيقتين بمنزلة بنت الابن مع البنتين، فإنهـا تسقط إلا إذا كان معهـا أخ أو ابن عم مساوٍ لها فإنها تعصب به.

١٧ - الأب، فـلا يرث معـه الجد، ولا الجـدة لأب، ولا العم مطلقًا، ولا الإخوة كذلك.

١٨ - الجد، فلا يرث معه أبوه، ولا الإخوة للأم، ولا العم مطلقًا، ولا أبناء الأخ كذلك.

١٩ - الأم، فلا تـرث معها الجـدة مطلقًا (منهاج المسلم / ٤٧٣ـ٤٧٦).

وقد صاغ ذلك نظمًا صاحب الرحبية فقال:

والجـــدُّ محجـــوبٌ عـن الميـــراثِ
بـــالأبِ فـى أحـــوالـــهِ الثّـــلاثِ
وتسقـطُ الجـــدَّاتُ مـن كُلِّ جِهَـــةْ
بـــالأُمِّ فـــافهمـــهُ وقِسْ مـــا أشبهـــهْ
وهٰكـــذا ابنُ الابـنِ بـــالابنِ فـــلا
تبـغِ عـن الحُكم الصحيـح معـــدلا

وتسقطُ الإخوةُ بالبنينا
وبالأبِ الأدنَى كما رُوينا
أو ببنى البنين كيف كانوا
سِيَّان فيه الجمعُ والوحدانُ
ويفضلُ ابنُ الأمِّ بالإسقاطِ
بالجدِّ فافهمهُ على احتياطِ
وبالبناتِ وبناتِ الابنِ
جمعًا ووحدانًا فقُل لى زدنى
ثم بناتُ الابنِ يسقطنَ متى
حازَ البناتُ الثلُثين يا فتى
إلا إذا عصَّبهُنَّ الذَّكَرُ
مِن ولدِ الابنِ على ما ذكروا
ومثلُهُنَّ الأخواتُ اللاَّتِى
يُدلينَ بالقُرب من الجهاتِ
إذا أخذن فرضهنَّ وافيًا
أسقطنَ أولاد الأب البواكيا
وإن يكنْ أخٌ لهُنَّ حاضِرًا
عصَّبَهُنَّ باطنًا وظاهرًا
وليسَ ابنُ الأخ بالمُعصِّبِ
من مثلهُ أو فوقهُ فى النَّسبِ

(شرح الرحبية / ٥١، ٥٢، والتحفة فى علم المواريث / ٢٧).

كما وردت عن الحجب الأبيات التالية فى منظومة «خلاصة الفرائض» لعبد الملك الفتنى:

لِلأُمِّ والزوجين والأخت لأبْ
وبنتِ الابن حجبُ نُقصانِ النسبْ
وحجبُ حرمانٍ مضى مُفصَّلا
فى ذكر أحوالِ ذوى الإرثِ اعقلا
أما الذى لم يُبلَ بالحرمانِ
فالأبوانِ وكذا الزوجانِ
والولدان أيُّها الفهيمُ
ويحجبُ المحجوبُ لا المحرومُ
كإخوةٍ بالأبِ خابُوا حجبُوا
أُمًّا فثُلثها لِسُدسٍ قلبُوا

(منهاج المسلم - أبو بكر جابر الجزائرى / ٤٧٣ - ٤٧٦، وشرح الرحبية فى الفرائض لأبى عبد الله محمد بْن على الرحبى - شرح الشيخ محمد بن محمد سبط المارديني / ٤٦ - ٤٨، والتحفة فى علم المواريث لابن غلبون - حقق نصوصه وقدم له وعلق عليه السائح على حسين / ٢٧، وخلاصة الفرائض لعبد الملك الفتنى المطبوع فى كتاب مهمات المتون ط مصطفى البابى الحلبى / ٦٥، انظر أيضًا سؤال وجواب فى الأحوال الأربعينية فى علم الفرائض - عبد الفتاح حسين راوه المكىّ / ٤١).

*** حجج القرآن (كتاب-):**

كتاب من تأليف الإمام أبى الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر المختار الرازى الحنفى. وإليك ما جاء فى خطبة ذلك الكتاب:

قال الشيخ الإمام الأستاذ الأجل العالم العامل الفاضل الكامل السالك الناسك المحقق المجتهد بدر الملة والدين حجة الإسلام والمسلمين وارث الأنبياء والمرسلين. إمام الأئمة، قدوة الأمة، ناصر السنة قامع البدعة معين الشريعة سيد المفسرين ملك المحدثين عمان المعانى نعمان الثانى. أبو الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازى متع الله المسلمين بطول بقائه.

الحمد لله الذى جعلنى ممن عنده علم الكتاب، ولم يجعلنى من أهل الزيغ والارتياب، والصلاة على محمد الشفيع يوم الحساب، وعلى جميع الآل والأصحاب أرباب الألباب وأهل الكتيبة والكتاب والمحراب والحراب وبعد، فإن الله عز وجل أنزل الكتاب الكريم والقرآن العظيم تذكرة وهدًى للمؤمنين وتبصرة وبشرى للمحسنين وأمرنا بالتفكر فى آياته والتدبر فى كلامه فقال: ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا** ﴾ وقال: ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾ [محمد: ٢٤] وقال: ﴿ **أفلم يدبروا القول** ﴾ [المؤمنون: ٦٨] وقال: ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب** ﴾ [صَ: ٢٩] وفى الحديث: «إذا التبست عليكم الأمور كقطع الليل

المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع وشاهد مصدق فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار وهو أوضح دليل إلى خير سبيل من قال به صَدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل » فغصت في لججه وتدبرت في حججه عملا بالكتاب والسنة وطمعًا في الثواب والجنة .

وليس كل قـانص وغـايص
يظفـر بـالـلأى وبـالـلآلى
ولكـن تـأخـذ الآذان منـه
علـى قـدر القـرائح والفهـوم

فاستخرجت منه حجج كل طائفة على اختلاف نحلهم وآرائهم وافتراق مللهم وأهوائهم (وأصلهم ثمان فرق) الجبرية وفي مقابلتها القدرية والمرجئة وفي مقابلتها الوعيدية والصفاتية وفي مقابلتها الجهمية والشيعة وفي مقابلتها الخوارج ومن هذه الفرق الثمان تشعبت الفرق الثلاثة والسبعون وما من فرقة إلا ولها حجة من الكتاب وما من طائفة إلا وفيها علماء نحارير فضلاء لهم في عقائدهم مصنفات وفي قواعدهم مؤلفات وكل منهم يؤول دليل صاحبه على حسب عقيدته ووفق مذهبه وما منهم من أحد إلا ويعتقد أنه هو المحق السعيد وأن مخالفه لفي ضلال بعيد ﴿كُلُّ حزب بما لديهم فرحون﴾ [المؤمنون: ٥٣] وليس قصدنا بيان معقولات المتكلمين من المتأخرين والمتقدمين ولكن القصد أن نذكر في هذا الكتاب جميع حجج القرآن بطريق الاستيعاب ثم نذكر حجج الحديث لكل قوم من القديم والحديث لكيلا يعجل طاعن بطعنه في فرقة ولا يغلو قادح بقدحه في طائفة ويعلم أن هذه الأدلة ما تعارضت إلا ليقضى الله أمرًا كان مفعولا من افتراق هذه الأمة على الثلاث والسبعين تصديقًا لقول رسول الله ﷺ: « ستفترق أمتي ثلاثًا وسبعين فرقة» الحديث وقوله تعالى: ﴿ وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾ [النحل: ٩] فذكرت الحجج قاطبة ولم أفتح أقفالها ولم أسِم إغفالها على مذهب أصحاب الظواهر وفيما ذكرنا مقنع، وفي مجال المعقولات متسع، فأما من قال بأن كلام أبي علي وأبي هاشم حجة وكلام الله ورسوله ليس بحجة فما أجهله من جاسر، وأجراه من خاسر، اتخذ الإسلام وراءه ظهريا وكاد يكون زنديقًا دهريا، جعل الدين دبر أذنه، وافتات على الشرع بغير إذنه، أعاذنا الله من الافتراق عن سواء السبيل. واختراق مرامي القرآن بلا دليل، ورتبت الكتاب على ثلاثين بابا.

(الباب الأول) في حجج أهل التوحيد على وحدانية الله من القرآن المجيد.

(الباب الثاني) في حجج الجبرية وهو مشتمل على فصول.

الفصل الأول في الإرادة والمشيئة.

الفصل الثاني في تفسير تلك الآيات.

الفصل الثالث في نفي الهداية.

الفصل الرابع في إثبات الضلالة.

الفصل الخامس في تقليب القلوب.

الفصل السادس في الإغواء والإغراء.

الفصل السابع في الكتابة.

الفصل الثامن في تفسير تلك الآيات.

الفصل التاسع في الإذن.

الفصل العاشر في الخلق.

الفصل الحادي عشر في القدر.

الفصل الثاني عشر في تفسير تلك الآيات.

الفصل الثالث عشر في أن الكل من الله وليس إلى المخلوق شيء.

الفصل الرابع عشر في تفسير تلك الآيات.

الفصل الخامس عشر في الأحاديث التي وردت في هذا المعنى.

(الباب الثالث) في حجج القدرية وهو مشتمل على فصول.

الفصل الأول في الإرادة.

الفصل الثاني في المشيئة.

الفصل الثالث في نفي الهداية والضلالة.

الفصل الرابع في أن الكفر والمعاصي بإزلال الشيطان.

الفصل الخامس في إضافة الظلم إليهم ونفيه عن الله تعالى.

الفصل السادس فى إضافة الفعل إلى الكفار.

الفصل السابع فى إضافة الفعل إلى نفس العبد

الفصل الثامن فى تأثير فعل العبد .

الفصل التاسع فى حجج القدرية أيضًا .

الفصل العاشر فى الأحاديث التى وردت فى هذا المعنى .

(الباب الرابع) فى حجج المرجئة وهو مشتمل على فصول .

الفصل الأول فى أن مرتكب الكبائر مؤمن مسلم .

الفصل الثانى فى أن مرتكب الكبيرة يستحق المغفرة .

الفصل الثالث فى أن مرتكب الكبيرة يستحق الرحمة .

الفصل الرابع فى أن مرتكب الكبيرة يستحق الجنة .

الفصل الخامس فى أن مرتكب الكبيرة داخل فى دعاء الملائكة والأنبياء .

الفصل السادس فى أن مرتكب الكبيرة لا يستحق الوعيد وأن المستحق له هو الكافر.

الفصل السابع فى أن مرتكب الكبيرة يستحق الوعد .

الفصل الثامن فى أن مرتكب الكبيرة ليس للشيطان عليه سلطان .

الفصل التاسع فى الرجاء وحجة من قال إن الله لا ينزع الإيمان من المؤمن .

الفصل العاشر فى الأحاديث التى وردت فى هذا الباب .

(الباب الخامس) فى حجج الوعيدية وهو مشتمل على فصول .

الفصل الأول فى أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن .

الفصل الثانى فى أن مرتكب الكبيرة يستحق الوعيد .

الفصل الثالث فى أن مرتكب الكبيرة يستحق النار والعذاب .

الفصل الرابع فى أن مرتكب الكبيرة يستحق الوعيد على التأبيد .

الفصل الخامس فى الأحاديث التى وردت فى هذا الباب .

(الباب الخامس) فى حجج الصفاتية وهو مشتمل على فصول .

الفصل الأول فى حجج المثبتين للجهة .

الفصل الثانى فى ذكر الوجه .

الفصل الثالث فى ذكر ا العين .

الفصل الرابع فى ذكر اليد .

الفصل الخامس فى سائر الصفات .

الفصل السادس فى الأحاديث الواردة فى هذا الباب .

(الباب السابع) فى حجج الجهمية وهو مشتمل على فصول .

الفصل الأول فى حجج القائلين بنفى الجهة المعينة .

الفصل الثانى فى حجج القائلين بالقرب الذاتى .

الفصل الثالث فى حجج القائلين بأنه مع كل أحد ذاتًا .

الفصل الرابع فى حجج القائلين بأنه تعالى فى كل مكان .

(الباب الثامن) فى حجج الشيعة وهو مشتمل على فصول .

الفصل الأول فى حجج القائلين بأن إجماع الصحابة ليس بحجة .

الفصل الثانى فى حجج القائلين بإمامة على بن أبى طالب .

الفصل الثالث فى حجج القائلين منهم ببطلان خلافة أبى بكر وصاحبيه .

(الباب التاسع) فى حجج القائلين بالإجماع وهو مشتمل على فصول :

الفصل الأول فى بيان أن الإجماع حجة .

الفصل الثانى فى حجج القائلين بفضل الصحابة رضوان الله عليهم .

الفصل الثالث فى حجج القائلين بصحة خلافة الثلاثة .

الفصل الرابع فى الأحاديث الواردة فى هذا الباب .

(الباب العاشر) فى حجج الخوارج وهو مشتمل على فصول .

الفصل الأول فى حجج القائلين منهم ببطلان تحكيم الحكم .

الفصل الثانى فى حجج القائلين منهم بعدم وجوب الإمامة .

(الباب الثامن والعشرون) فى حجج القائلين بفناء العالم .

فصل فى حجج القائلين بعذاب القبر.

فصل فى من قال بنفى عذاب القبر ومن قال الأنبياء لا يدخلون النار.

وحجة من قال يدخلون .

(الباب التاسع والعشرون) فى مسائل شتى وهو مشتمل على فصول .

الفصل الأول فى حجج القائلين بعذاب القبر ومن قال بنفى العذاب .

الفصل الثانى فى حجة من قال المعارف سمعية وحجة من قال عقلية .

الفصل الثالث فى حجة من قال المقتول ميت بأجله ومن قال مقطوع عليه أجله .

وفى حجة من قال الجدل مكروه ومن قال بجوازه وحجة من قال باعتبار النسب ومن لم يعتبره .

الفصل الرابع فى حجة من قال إن آباء الأنبياء مؤمنون .

الفصل الخامس فى حجة من قال الملائكة خير من بنى آدم وحجة من قال الأنبياء أفضل من الملائكة .

الفصل السادس فى حجة من قال الاسم والمسمى واحد وحجة من قال الاسم والمسمى متغايران .

الفصل السابع حجة من قال المعدوم شيء وحجة من قال المعدوم ليس بشيء .

الفصل الثامن فى حجة من قال التوسع فى الكلام جائز.

الفصل التاسع فى حجة من قال لعل من الله واجب وحجة من قال ليس بواجب وحجة من قال إثبات الثابت ليس بمحال .

الفصل العاشر فى حجة من قال المطلق لا ينصرف إلى الكامل وحجة من قال المطلق لا يحمل على المقيّد وحجة من قال لا يجوز الإجماع على خلاف الكتاب والسنة وحجة من قال السحر خيال وحجة من قال ذات الله تعالى غير معلوم .

حجة من قال بجواز الاستكثار بغير الله عز وجل .

حجة من قال محمد ﷺ أفضل الأنبياء .

حجة من قال لا تفاضل بينهم .

حجة من قال يتفاضل بينهم .

حجة من قال الاجتهاد والقياس حق .

حجة من قال بأن الاجتهاد باطل .

حجة من قال المظالم ترتفع بالتوبة .

حجة من قال هذه القردة والخنازير من نسل أولئك الممسوخين .

حجة من قال الواو ليست للترتيب .

(الباب الثلاثون) فى حجج القائلين بفضل الغنى على الفقر وهو مشتمل على فصول :

الفصل الأول فى أن الله تعالى سَمَّى المال فضل الله .

الفصل الثانى فى أن الله تعالى سمى المال خيرًا .

الفصل الثالث فى أن الله تعالى سمى المال حسنة .

الفصل الرابع فى أن الله تعالى سمى المال رحمة .

الفصل الخامس فى أن الله تعالى أمر بحفظ المال ونهى عن إتلافه .

الفصل السادس فى أن الله تعالى جعل المال جزاء الأعمال .

الفصل السابع فى أن الصحابة كانوا يحبون المال وأن الله تعالى منَّ على نبيه بالمال .

الفصل الثامن فى الأحاديث الواردة فى هذا الباب .

الفصل التاسع فى حجة القائلين بفضل الفقر على الغنى .

الفصل العاشر فى الأحاديث الواردة فى هذا الباب .

واختتم المؤلف كتابه « حجج القرآن » بقوله :

هذا آخر ما أوردنا من حجج القرآن لجميع أهل الملل والأديان وهى بمجموعها حجة على أصحاب الظواهر الذين يأبون التأويل وينسبون مخالفيهم إلى التعطيل وحجة أيضًا على المتعصبين الذين يقابلون مخالفيهم بالتكفير والتضليل والتخطئة والتجهيل . وحجة أيضًا على من ينكر النظر فى كتب الأصول أو يقول فيه بالمنقول دون المعقول . وحجة أيضًا

على من يكفر أهل القبلة أو يعيّر طائفة بالقلّة أو يخرجهم ببدعة عن الملة وحجة أيضًا على من يجزم على مجتهد واحد بالإصابة أو يعجل فى تضليل فرقة وعصابة، وحجة أيضًا على العلماء القاصرين فى العربية الغالين فى الجدل والعصبية. وحجة لى أيضًا عند الله يوم القيامة ويوم الملامة والندامة حيث أمعنت النظر فى هذا الباب واستنبطت جملة من مسائل الأصوليين من الكتاب مؤيدًا لها بالأخبار ومقدرًا بكشف المعانى والأسرار وجعلتها مشفوهة الموارد لعامة المنتابين من الصادر والوارد أرجو بذلك الفوز من العذاب الأليم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين الطيبين المنتخبين.

(حجج القرآن للإمام أبى الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازى / ٣ـ١٢ـ٩٤).

*** الحَجَر:**

الحجر: بفتح الحاء والجيم: تهتم مصنفات التراث الإسلامى فى علم الطب وعلم الكيمياء بالأحجار فتحصى أنواعها وتبيّن خصائصها الطبية وتعدد منافعها، وهذا ما نجده على سبيل المثال فى تذكرة داود الأنطاكى، والمعتمد للمظفر الرسولى، وننقل إليك ما أورده الأنطاكى فيما يلى، حيث يعرّف الحجر أولا، ثم يعدد أنواعه فيقول:

حجر. يراد به عند الإطلاق جوهر كل جسم جماد سواء كانت فيه مائية كالياقوت أولا وسواء حفظت رطوبته كالمتطرقات أم لا كتامّ التركيب من المعادن وغيره كالأملاح فما له اسم وقد تقرر فى العرف ففى موضعه وغيره يذكر هنا وحقيقة الحجر تصلب التراب بتوالى الرطوبات ثم الجفاف وتختلف ألوانه بحسب محله وغلبة الرطوبة والحرارة بقسميهما فإن فرط الرطوبة والبرد يوجبان البياض وقلتهما التكرج والحرارة مع اليبس والحمرة فإن قل فالصفرة والحرارة القوية فى الرطوبة الضعيفة وسوادا إن قاومت ثم حمرة البياض والمركبات من هذه بحسبها وللزمان والمطالع ونقص الميل عن العرض والعكس تأثير بين فى ذلك ثم كمنت الطبائع باطنا خالف المحك ما يقع عليه النظر من الجواهر فيحك الأبيض أحمر لكمون الحرارة وبالعكس ومن ثم قيل الفضة ذهب فى الباطن إذا لابسته الحرارة ظهر واعلم أن المحك لا يخالف اللون الظاهر إلا فى غير ما استحكم مزاجه كاليابسة وإلا لحك القزدير محك الفضة والتالى بين البطلان والمستحجر ما فارق العنصرى من التراب ولنذكر من ذلك كله ما كان سهل الوجود داخلا فى هذه لصناعة إذ محل استيفاء الجميع كتب الجلبذة.

حجر لبنى: سبط أغبر فيه شفافية ما يتولد بأرمينية وما يليها ويستخرج قطعا كبارا إذ حك خرج منه شىء كاللبن وهو بارد فى الثانية يابس فى الأولى إذا شرب فتت الحصى ونفع قروح المعدة يكتحل به فيمنع النوازل كالماء ويلحم ويذهب السلاق وهو يقطع الطمث ويورث اليرقان ويصلحه العسل وشربته نصف درهم.

حجر قبطى: هو الآونة ويعرف بأشنان القصارين لأنهم يبيضون به الثياب يتولد بجبال صعيد مصر وأجوده الأخضر الرخو المتفتت السهل الانحلال بارد يابس فى الأولى يقطع الدم كيف استعمل ويحلل الأورام طلاء وينفع من الدمعة والجرب والسلاق كحلا وفرزجته تقطع الرطوبات والرائحة الكريهة.

حجر اليهود: ويسمى زيتون بنى إسرائيل وهو حجر يتكون ببيت المقدس وجبال الشام ويكون أملس مستديرا ومستطيلا وأجوده الزيتونى المشتمل على خطوط متقاطعة وهو حار فى الأولى يابس فى الثانية إذا حك وشرب بالماء الحار فتت الحصى ومنع تولده ولو فى المثانة وإن ذر فى الجروح ألحمها ويطلى بالعسل على الصلابات فيحللها وهو يضر الكبد ويصلحه الصمغ وشربته نصف درهم.

حجر القمر: يطلق على الحجر الذى يجذب الفضة إلى نفسه لأن للمنطرقات أحجارا تجذبها وإنما شاع المغناطيس لكثرته وجهلت تلك لقلتها والمعروف الآن بحجر القمر ظلّ يسقط على الصخور فيتحجر أغبر فإذا امتلأ القمر بيضه شديدا وأكثر ما يكون بجبال المغرب ويسمى بصاق القمر أيضًا وأجوده الخفيف الرقيق الشفاف الأبيض وهو بارد فى الثانية معتدل أو يابس فى الأولى يبرئ من الصرع أكلا وسعوطا عن تجربة وينفع من الوسواس والجنون ويقطع الخفقان والنزيف ... وبوادى المغرب تستغنى به عن العود وهو يضر الكلى وتصلحه الكثيرا وشربته إلى قيراط.

حجر السلوان: لا فرق بينه وبين البلور إلا أنه يذوب فى الماء قد جرب منه النفع من الخفقان وحرارة المعدة ونزف الدم... ومنه نوع يضرب إلى الصفرة قيل إنه سم وشربته إلى قيراط.

حجر الكلب: هو الذى إذا طرح للكلب أمسكه بفيه أو عضه وقد تواتر أنه يورث التباغض والفرقة إذا وضع فى مكان وأشد ما يكون إذا جعل فى الشراب.

حجر غاغاطيس: اسم للوادى الذى ظهر منه هذا الحجر وهو وادى جهنم بين فلسطين وطبرية من أرض المقدس ويوجد بالأندلس كذا قالوه وأما نحن فقد جلب إلينا هذا الحجر من جبل يلى آمد من أعمال الفرات وهو أسود إلى الزرقه رزين إذا وضع فى النار أوقد كالحطب حتى يبقى من الرطل قدر أوقية أبيض صلب لا تأكله النار وحال الحرق تشم منه رائحة النفط والقار وهو حار يابس فى الثانية إذا شرب قطع الحمل والحيض وفتت الحصى واليرقان شربا وحلل الأورام الجلسية طلاء ونفع من اختناق الرحم بخورا وشربا ودخانه يطرد العقارب والحيات وغالب الهوام ويضر الرئة ويصلحه الزعفران وإذا بخرت به الأشجار منع الديدان وشربته إلى نصف درهم.

حجر الاسفنج: حجر يوجد داخله قيل يدخل فيه وقت تولده وقيل رطوبات تنعقد فيه وأجوده الصلب الأبيض حار فى الأولى يابس فى الثانية قد جرب لتفتيت الحصى واليرقان شربا وحل الأورام طلاء وإلحام الجروح ذرورا.

حجر الكرك: هو حجر يقذفه البحر الهندى ببعض سواحله فيوجد منه الكبار والصغار وعليه كدورة فإذا جلى صار كالبلور فى الشفافية والبياض وهو بارد فى الأولى معتدل ينفع من الخفقان والعطش واللهيب والغثيان وإذا ذر حبس الدم وأما تعليقه والتختيم به والشرب منه فقد شاع أنه يورث الجاه والقبول والمحبة ومنع السحر والنظرة ويطوّل الشعر ويوضع تحت الوسادة فيمنع الأحلام الرديئة وفى منزل المتباغضين من غير علمها فيؤلف.

حجر المحك: ويسمى العراقى هو حجر ثقيل إلى البياض يكون بأعمال الموصل والفرات لزج إذا مرّ به على أوساخ قلعها، ويعمل منه كالمفارك فى الحمام بالعراق بدل القيشور بمصر وهو بارد يابس فى الثانية إذا حك بلبن من ترضع ذكرا ولو على غير مسنّ أخضر وقطر جلا البياض مجرب وأصلح طبقات العين إصلاحا لا يعدله غيره ويشفى القروح شربا وطلاء.

حجر الديك: حجر يتولد فى بطون الدجاج وقيل فى الديكة خاصة، أبيض رخو حار فى الثانية يابس فى الأولى إذا حك وشرب نفع الحصى والوسواس والهم.

حجر المثانة والكلى: يتولد فيهما فى الآدمى قيل كل منهما يفتت الآخر ولم يثبت لكن ينفعان البياض كحلا.

حجر البقر: يسمى خرزة البقر والورسين وهو قطع إلى بريق وسواد وأجودها الهش المنقط بالأسود الضارب باطنه إلى بياض وأكثر ما يتولد بالبقر السود الغزيرة الشعر ذكورا كانت أو إناثا وعند تولده تميل عين البقرة إلى الصفرة ويستدير بياضها وأجوده الرزين الحديث وإذا جاوز سنتين سقطت قوته ولا يستعمل إلا بعد خروجه بستة عشر يوما والموجود فى بقر الروم والبلاد الباردة أعظم منه فى البلاد الحارة وهو حار فى الأولى يابس فى الثانية يجلو البياض كحلا والبهق والبرص والكلف طلاء والباسور احتمالا بالعسل ويلحم الجراح ويفتت الحصى ويدر البول ويذهب اليرقان وإذا شرب بالجلاب أو مع اللوز والنارجيل أو مع الحبة الخضراء أو الصنوبر فى الحمام أو عند الخروج منها وأتبع بالمرق الدهن كالدجاج سمن الأبدان جدا وولد الشحم ونعم الأبدان عن تجربة وهو يضر المحرورين ويصدع وتصلحه الكثيرا وشربته إلى قيراطين وقيل مثقال منه يقتل.

حجر الرحا: يسمى القوف وهو أسود مخرق كالإسفنج صلب يتولد بجبال تلى حلب من المشرق يقطع حوله ويلصق ورق الحديد فيطير من الغد بنفسه وهو حار يابس فى الرابعة إذا حمى وطفئ فى الخل قطع الرعاف والنزف دخانه وخله وينطل بهذا الخل المقعدة فيمنع بروزها ويشد الأعصاب ويقطع العرق والإعياء ويضمد بالحجر الترهل والاستسقاء فينفعه وإذا احتمل قطع الباسور ومنع الحمل وحبس دم الحيض.

حجر أرمنى: لازوردى لكنه أغبر وأجوده الرزين الهشّ الخالى من الملوحة يتولد بأرمينية وجبال فارس وكأنه فج

اللازورد وهـو حار يابس فى الثانيـة مفرح : ينفع من السوداء وأمراضهـا كالجنون والـوسواس والمـاليخوليا والصـرع وله فى الجذام فعل عظيم ويجلو الكلى والمثانة وهو يغثى ويضعف المعدة ويصلحـه الغسل بالماء مـرارا والمرخ بالكثيرا وشـربته إلى درهم وبدله نصف وزنه لازورد.

حجر المسنّ : هـو الأشد أو هو حجر يسن عليـه الحديد وأجوده الأخضر المجلوب من الفرس فـالأحمر فالأسود البرّاق وأردؤه الأصفر الخفيف والأبيض هو السنبـادج وكله يابس فى الثـالثـة والأحمر حـار فى الأولى وغيـره بـارد ينفع من الحكـة والجرب وداء الثعلب والسـلاق والبياض شـربا وطـلاء وكحلا والأخضر إذا حكت عليه أشياف العيـن قوى فعلها وهو يحلل الخنازير والسرطانات والبواسير ويجلو الأسنان ويحبس النزف ويجلو المعادن خصوصا المرجان ولكنه يضر الكلى وتصلحه الكثيرا وشربته إلى درهم.

حجر القيشـور: بالمعجمـة أو المهملة وهـو حجر يعـوم على المـاء لخفته إسفنجى الجسم وهـو نوعان أبيـض وأسود وأجـوده الخشن المجزع الـذى يحلق الشعـر ويتـولد بجبـال إسكندرية من أعمال مصر ومنها يجلب إلى الأقطار وهو حار يـابس فى الأولى أو ييسـه فـى الثـالثـة يحبس النـزف ويحلل الترهل والاستسقاء طلاء وإذا طفئ فى الخل وشرب نفع ضيق النفس وحك الرجل به يحد البصـر ويذهب الصداع ومحروقه يبيض الأسنان سنـونًا ويجلو الآثـار طلاءً وبالروم حجـر مثله يسمى الأفروخ ينفع من سموم العقرب طلاء وشربا. (يضيف المظفر الرسـولى هنا أنه هو الذى يحك به الـورق لتذهب عنه الكتابة ومن خواصه أنه يجذب الفضة).

حجـر الخطاطيف: يتـولد بسـرنديب من أرض الهنـد فى قدر الأنملة رخـو إلى الصفرة والبياض ويسمى حجـر اليرقان والخطاطيف يعترى فروخها اليرقـان فتصغر فتذهب وتأتليها به فلا يوجد عندنا منه إلا ما يرى فى بيوت الخطاطيف ويحتالون على جلبه بأن تطلى فروخ الخطاطيف بالزعفران فتظن اليرقان نزل بها فتأتيها بـه وهو حار يابس فى الثانية قـد جرب نفعه من اليـرقان شـربـا وطلاء ويفتت الحصـى ويفتح السدد ويـزيل الخفقان ولو حملا.

حجر منفى : قيل إنه كالزيتون حجما وإنه يوجد بمنف من أعمـال الجيـزة إذا طلى بـه العضـو ذهب حسـه فـلا يشعـر بالقطع.

حجـر الحية : البـادزهـر ويطلق على قطع ملـونـة توجـد بمعدن الزبرجد يطرد الحيات، وقيل يراد به الزمرد.

حجر الهنود والحديد: المغناطيس (تذكـرة أولى الألباب ١/ ١١٧ ـ ١٢٠، والمعتمد ١/ ٨٧).

حجر الدم : انظر: الشاذفة.

ويضيف المظفر الـرسولى إلى مـا سبق الحجـر المشقق وحجـر المغنـاطيس، وقـد استخـدم الحـروف التـاليـة رمـزًا لمصادره :

ع : عبـد الله بن البيطـار صاحـب الجامع لقـوى الأدويـة والأغذية.

ج : ابن جـزلـة صـاحـب منهـاج البيـان فيمـا يستعملـه الإنسان.

حجر مشقق «ع» أجوده ما كان مائلا إلى لون الزعفران، وكـان سريع التفتت والتشقق، وقـد يشبـه الأترنج فى تـركيب أجزائه، واتصال شظاياه بعضها ببعض. ويعمل عملا قويا إذا عُـولج به لانحـراف العين ونتـوئها، والخشـونـة العارضـة فى الجفون. وهـو فى قوة الشـادنج. ويشبههـا فى قوتـه، إلا أنه أضعف منهـا، وإذا أديـف بلبن امـرأة مـلأ القـروح العميقـة العـارضة فى العيـن. والحجر المعـروف بـالعسلى فيه حـرارة موجودة. وهو بعيد من قوة الشادنج.

حجر مغناطيس: «ج» هو حجـر يجذب الحديد، وإذا أحرق صار شادنجا. (فى أعلام العرب فى الكيمياء «شادنة») وقوته كقـوته، أجوده الأسود المشرب بحمـرة. الخالص الذى لا خلط فيـه. وقال: هو حـار يابـس جدا، وهو جـال منقّ، يسقى فى الشـراب إذا احتبس فى البطن خبـثُ الحـديـد، فيجذبـه ويستصحبه عنـد الخروج، ويسهـل كيموسـا رديئا، وقدر مـا يؤخـذ منه إلى درهمين، وقيل إنـه إذا أمسك فى اليد سكن وجع اليـدين والـرجلين والتشنج. «ف» مثلـه. وهـو قـابض مجفف، ينفع من نفث الـدم، وسيـلان الطمث، ويستعمل كـالـذرور على اللحـم الـزائد، فيفسـده ويسقى بالشـراب الحديث، أو المثلث لعسـر البول، ولـدوام سيلان الحيض (المعتمد ١/ ٨٦، ٨٩، ٩٠).

وقد ذكره البيرونى (انظر ترجمته فى م٨/ ١٣٨ ـ ١٥٥ من هذه الموسوعة) وفيما يلى مـا أورده عنه الدكتور فاضل أحمد الطائى عنـد كلامه على كتاب البيـرونى « الجماهر فى معرفة الجواهر » :

يقـول البيـرونى فى حجـر المغناطيس أوكسيد الحـديـد المغناطيسى إنـه يشارك الكهـربا فى الجـذب ويفوقـه بمنافع كثيـرة عنـد بقـاء النصـول فـى الجـروح ورؤوس المبـاضع فى العروق واعتقال البطون بالبراية المسقية ، ويبدو أن البيرونى قد شـاهـد إخـراج قطع الحـديد مـن الجروح بـوسـاطـة حجـر المغناطيس ، ولا تزال هـذه الطريقة مستعملة إلى يـومنا هذا . ثم يعدد البيـرونى اسم المغناطيس فى لغات كثيـرة ففى رومية «ارميطيـون» و « ابرقلينـا » وبالسـريانيـة « كيفا شفت فـرزلا » وبـالفـارسية « آهن ربـاى » أى سـالب الحـديـد وبالهنـديـة «كـدهك » و « هـربـاج » . ويـذكـر البيـرونى نقـلا عن ديسقـوريدس أن أجـود المغنـاطيس اللازوردى ، وإذا أحـرق صـار شاذنـة ، ويقصد بـالشاذنـة حجر أوكسيـد الحديـديك المتبلور إلا أن البيرونى يفنّد هذا القول بقوله « ما رأينا هذا اللون ولا سمعنا به » ثم يعود إلى كتاب مجهـول المؤلف ـ على حد قوله ـ حيث يذكر بـأن أجود أنواع المغناطيس الأسود المشرب بحمرة ثم الحـديدى اللـون وإن أغزر معادنـه وأجود أجنـاسه يكون بنواحى بطرة من نواحى الـروم . ثم يذكر البيرونى ما كتبه جـابر بن حيـان فى كتـاب الرحمـة مـا نصه إنـه كـان عندنـا مغناطيس يرفع وزن مائة درهم من الحديد ، ثم إنه لم يرفع بعد مضى زمان عليه وزن ثمانين درهما ووزنه على حاله لم ينقص شيئًا إنمـا النقصان وقع فى قوتـه ، ويؤكد البيرونى صحـة قول جـابـر بن حيـان أن المغناطيس البـارز منـه للشمس والهـواء أضعف قـوة من المطمـور تحت الأرض ، ويـذكـر أنـه وجـد مغناطيسا يجـذب من الحديد ما وزنه ثلاثـة أمثال نفسه وثلث المثل . ثم يأتى بقـول جالينـوس « إن المغناطيس فى معـدنه أقوى من الحـديد ويتشـابهون [ويتشـابهان] فى المنظر ، هو يجذب الحديـد ، والحديد لا يجذبه ، ويحتـاج فى تمييزه ما ذكر إلـى فطنه » وأضاف بـأن المغناطيس فى جـذبه للحـديد يضعف وإذا دلك بالثوم والبصل ، ويعـود إلى قوته إذا نقع فى الخل أياما أو فى دم التيس .

وينقل البيـرونى عن كتاب النخب بأن المغناطيس مهمـا دلك بالزيت يفر منه الحديد . وقد جلبت قطعة من مغناطيس من بخـارى قويـة الجذب مـن جميع نواحيهـا إلا نقطة فيهـا كالـركن أو الزاوية فإنها كـانت تدفع الحديـد عن نفسها ، ولا يمكن تفسير هذه الظاهرة إلا بأن قطعه الحديد التى كانت تنفر من المغناطيس ممغنطـة أيضًا يتنافر القطبان المتشـابهان من قطعتى حديد ممغنطتين .

وتشير المصـادر الحديثـة بأن حجر المغنـاطيس مـوجود بـالطبيعـة على هيئة كتل بلـوريـة سـوداء اللون ، وهـو ثـابت التركيب حيث لا تـؤثر فيه المؤثرات ، ويتكـون نتيجة لتسخين الحديـد أو أكاسيده تسخينـا شديدا فى الهـواء أو فى جو من الأوكسجين . وهـو على نـوعين أحدهمـا يتكـون من تسخين أوكسيد الحديـديك ـ حجر الدم ـ بدرجة حراريـة تتراوح بين (٣٥٠ ـ ٤٠٠م) فـى جـو من الهيـدروجيـن أو أول أوكسيـد الكربون ويتم تحضيـر النوع الثانى من إحراق الحـديد فى جو من الأوكسجين ، ويختلف النـوعان مـن حيث الوزن النـوعى ويتأثر حامض التريك فيهما حيث يؤثر الحامض المذكور فى النوع الأول بينما لا يتأثر الثـانى ويكون الأخير أكثف قليلا من الأول (أعلام العرب فى الكيمياء / ٢٩٥ ـ ٢٩٧) .

ويتناول أبو منصور الثعالبى الأحجار من الناحية اللغوية ، وذلك بتعـداد أسمائهـا التى تختلف تبعـا لاختـلاف وظائفهـا وكيفيتها وأحجامهـا وفى هذا كله إثراء لمفـردات اللغة . يقول الثعالبى فى الباب السابع والعشرين وقد قسم الكلام إلى ثلاثة فصول .

يقـول الثعـالبى فى أول البـاب السـابع والعشـرين عن الحجارة :

قد جمـع أسماءها الأصبهـانى فى كتـاب المُوازنـة وكسَّر الصاحب على تأليفها دفيترا وجعل أوائل الكلمات على توالى حـروف الهجاء إلا مـا لم يـوجـد منها فـى أوائل الأسماء وقـد أخـرجت منهـا ومن غيـرهـا مـا استصلحتُـهُ للكتـاب ووفيتُ التفصيل حقَّهُ بإذن الله عزَّ اسمهُ .

فصل فى الحجـارة التى تُتَّخـذُ أدوات وآلات أو تجـرْى مجراها .

وتستعمل فى أعمال وأحوال مختلفة عن الأئمة .

الفهر: الحجرُ قد يكسر به الجوز وما أشبهه ويسحق به المسك وما شاكله. الصلاية: الحجر العريض يُسحق عليه الطيب وكذلك المداك والقُسنطاس وأظنها رومية. المسحنة: الحجر يدق به حجارة الذهب عن الأزهرى. النشفة الحجر الذى تُدلك به الأقدام فى الحمام. الربيعة: الحجر الذى يُرفع لتجربة الشدة والقوة. المسنُّ: الحجر الذى يُسنُّ عليه الحديد أى يحدَّد وكذلك الصلبيُّ عن أبى عمرو. الملطاسُ: الحجر الذى يُدقُّ به فى المهراس. المردَاس: الحجر الذى يُرمى به فى البئر ليعلم أفيها ماءٌ أم لا أو يعلم مقدارُ غورها. المرجاسُ: الحجر الذى يرمى به فى البئر ليُطيِّب ماءها ويفتح عيونها عن أبى تُراب وأنشد:

إذا رأوا كــريهــة يـرمـون بى
رميكَ بالمـرجاس فى قَعر الطَّوى

الظُّرر: الحجر المُحدَّد الذى يقوم مقام السَكين ومنه الحديث «إنَّ عدى بن حاتم قال يا رسول الله إنا لا نجد ما نُذكى به إلاَّ الظِّرار وشقَّة العصا فقال أمرِ الدَّم بما شِئت». الجمرة: الحجر يُستجمرُ به فى جمارِ المناسك. المقلتُ: الحجر يُتقاسم به الماء. المرضاضُ حجر الدَّق. النبلة. حجر الاستنجاء. البلطة: الحجر الذى تُبلَّط به الدَّار أى تفرش والجمع البلاط. الجمارة: الحَجر يُجعلُ حول الحوض لئلاَّ يسيل ماؤُهُ. الحبس حجارة توضع على فُوَّهة النهر لتمنع طُغيان الماء عن ثعلب عن ابن الإعرابى: الرَّضفة: الحجر يُحمى فيُسخن به القدر أو ما يُكبَّبُ عليه اللحم. الرجام: حجر يشدُّ فى طرف الحبل ويُدلَّى ليكون أسرع لنزوله. الأميمة حجر يُشدخُ به الرأس. السلوانة: حجرٌ كانوا يقولون إن من سقى ماءهُ سلا. السلمانة: حجر يدفع إلى الملسوع ليحركه بيده عن الصاحب. المدماك: الصخرة يقوم عليها الساقى. النُّصب: حجر كان ينصبُ وتُصب عليه الدماء للأوثان وقد نطق به القرآن. الخلنبوس: حجرُ القدح عن الليث. القهقرُ: الحجر الذى يُسحقُ به الشىء عن أبى عمرو. الهوجلُ: الحجر الذى يُثقَّل به الزَّورق والمركب وهو الأنجرُ. الحامية: الحجارة تُطوى بها البئرُ. القُدَّاس: حجر يجعل فى وسط الحوض للمقدار الذى يروى الإبل، عن الصاحب. الأثفية: حجارة القدر. الإوام: حجارة تنصبُ أعلامًا واحدها أرمٌ وأرمٌ عن أبى عمرو.

فصل فى تفصيل حجارة مختلفة الكيفية عن الأئمةً.

اليرمع: حجارة بيض تلمع فى الشمس. الحُمَّة حجارة سودٌ تراها لاصقة بالأرض متدانية ومتفرقة عن أبى شميل. البراطيل: الحجارة الطوال واحدُها برطيل. البصرة: حجارة رخوة. المروُ: حجارة بيض فيها نارٌ. المهوُ: حجر أبيض يقال له بصاق القمر. المهاة: حجر البلور. المرمرُ: حجر الرُّخام. الدُّملوك: الحجر المُدملك. الدُّملقُ: الحجرُ المستدير. الرَّاعوفة: حجر يتقدَّم من طى البئر. الرضراض: حجارة ترضرضُ على وجه الأرض أى لا تثبتُ. الصفَّاح: الحجارة العِراض المُلْس. الرَّضام. صخورٌ عظام أمثال الجزر واحدتها رضمة. الرجام والسلام دونها. الصَّلدحُ الحجرُ العريض. الصَّيخُود الصخرةُ الشديدة. وكذلك الصَّفاة والصفوان والصَّفواء. والظِّرْبُ كل حجر ثابت الأصل حديد الطرف. العقاب: صخرة ناشزة فى قعر البئر. الكديةُ: الحجر تسترهُ الأرض ويبُرزهُ الحفر، عن الصاحب. اللجيفة بالجيم. صخرة على الغار كالباب. اللخاف: حجارة فيها عرض ورقَّة. اليهيرُّ: حجارة أمثال الأكفّ. أتانُ الضَّحل: صخرة قد غمر الماء بعضها وظهر بعضها. الصُّلعة: الصخرة الملساءُ البرَّاقة. الصيدانُ: حجر أبيض تتَّخذُ منهُ البِرام.

فصل فى ترتيب مقادير الحجارة على القياس والتقريب.

إذا كانت صغيرة فهى حصاة. فإذا كانت مثل الجوزة وصلُحت للاستنجاء بها فهى نبلة. وفى الحديث اتَّقُوا الملاعن وأعدُّوا النبل يعنى عند إتيان الغائط. فإذا كانت أعظم من الجوزة فهى قُنْزُعة. فإذا كانت أعظم منها وصلحت للقذْف فهى مقذافٌ ورجمةٌ ورمداةٌ ويقال المرداة حجرُ الضب الذى ينصبُهُ علامة لحجره. فإذا كانت ملء الكفّ فهى يهيرٌ. فإذا كانت أعظم منها فهى فهرٌ ثم جندل. ثم جلمدٌ. ثم صخرة. ثم قلعة وهى التى تنقلعُ من عرض جبل وبها سُميت القلعة التى هى الحصنُ. (فقه اللغة / ١٩٢ـ١٩٤).

(تذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١١٧ ـ ١٢٠، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الربسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ٨٦، ٨٩، ٩٠، وأعلام العرب فى الكيمياء ـ د. فاضل أحمد الطائى / ٢٩٥ ـ ٢٩٧، وفقه اللغة وأسرار العربية لأبى منصور الثعالبى / ١٩٢ـ١٩٤).

انظر مادة الجصّ والحجر والرخام م١٢/ ١٨٣ ـ ١٨٧ .

*** الحِجْر:**

الحِجْر بالكسر والسكون ثم راء . قال الإمام ابن الجوزى :

وهو فى القرآن على أربعة أوجه :

أحدها : العقل ، ومنه ﴿ قسَم لذى حِجر ﴾ [الفجر : ٥] .

والثانى : قرية ثمود ، ومنه ﴿ولقد كَذَّب أصحابُ الحِجر﴾ [الحجر : ٨٠] .

والثالث : الحاجز ، ومنه ﴿برزخًا وحِجْرًا محجورا ﴾ [الفرقان : ٥٣] .

والرابع : ؛ الحرام ، ومنه فى الأنعام ﴿وحَرْثٌ حِجْرٌ ﴾ [الأنعام : ١٣٨] وفى الفرقان ﴿ ويقولون حجرًا محجورا ﴾ [الفرقان : ٢٢] أى يقول الملائكة للكفار حرام عليكم دخول الجنة .

(منتخب قرة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر لابن الجوزى ـ تحقيق ودراسة الشيخ محمد السيد الصفطاوى ود . فؤاد عبد المنعم أحمد / ٩٣ ، ٩٤) .

*** الحِجْر (حجر الكعبة):**

بالكسر والسكون . قال ياقوت :

حجر الكعبة ، وهو ما تركت قريش فى بنائها من أساس إبراهيم ، عليه السلام ، وحجرت على الموضع ليعلم أنه من الكعبة ، فسمى حجرًا لذلك ، لكن فيه زيادة على ما فيه البيت حدةٌ ، وفى الحديث : من نحو سبعة أذرع ، وقد كان ابن الزبير أدخله فى الكعبة حين بناها فلما هدم الحجاج بناءه صرفه عما كان عليه فى الجاهلية ، وفى الحجر قبر هاجر أم إسماعيل ، عليه السلام . والحجرُ أيضًا ، قال عرام بن الأصبغ وهو يذكر نواحى المدينة فذكر الرحضية ثم قال : وحذاءها قرية يقال لها الحجر وبها عيون وآبار لبنى سُلَيم خاصة وحذاءها جبل ليس بالشامخ يقال له قنّة الحجر . (معجم البلدان ٢/ ٢٢١) .

وجاء فى اللسان ما يلى :

حِجْر الكعبة . قال الأزهرى : الحجر حطيم مكة ، كأنه حجرة مما يلى المِثْقب من البيت . قال الجوهرى : الحِجْر حجر الكعبة ، وهو ما حواه الحطيم المدار بالبيت جانب الشمال ، وكل ما حجرته من حائط ، فهو حجر . وفى الحديث ذكر الحجر فى غير موضع ، قال ابن الأثير : هو اسم الحائط المستدير إلى جانب الكعبة الغربى . (لسان العرب ٩/ ٧٨٤) .

ويصف الرحالةُ ابن بطوطة الحِجْر : كما شاهده فى زمانه فيقول : ودَوْر جدار الحِجر تسع وعشرون خطوة ، وهى أربعة وتسعون شبرا من داخل الدائرة ، وهو بالرخام البديع المجزّع المحكم الإلصاق . وارتفاعه خمسة أشبار ونصف شبر ، وسعته أربعة أشبار ونصف شبر . وداخل الحِجْر بلاط واسع مفروش بالرخام المجزّع المنظم المعجز الصنعة ، البديع الإتقان ، وبين جدار الكعبة الشريفة الذى تحت الميزاب ، وبين ما يقابله من جدار الحجر على خط استواء أربعون شبرا . وللحِجْر مدخلان :

أحدهما : بينه وبين الركن العراقى وسعته ستة أذرع . وهذا الموضع هو الذى تركته قريش من البيت حين بنته ، كما جاءت الآثار الصحاح . والمدخل الآخر عند الركن الشامى . وسعته أيضًا ستة أذرع . وبين المدخلين ثمانية وأربعون شبرا . وموضع الطواف مفروش بالحجارة السود ، محكمة الإلصاق ، وقد اتسعت عن البيت بمقدار تسع خطًى ، إلا فى الجهة التى تقابل المقام الكريم ، فإنها امتدت إليه حتى أحاطت به . وسائر الحرم ، مع البلاطات ، مفروش برمل أبيض . وطواف النساء فى آخر الحجرة المفروشة . (مهذب رحلة ابن بطوطة ١/ ١٠٩) .

وجاء فى أخبار مكة للأزرقى عن السيدة عائشة أنها قالت : كنت أحب أن أدخل البيت فأصلى فيه ، فأخذ رسول الله ﷺ بيدى فأدخلنى الحجر فقال لى : « صلى فى الحجر إذا أردت دخول البيت فإنما هو قطعة من البيت ولكن قومك استقصروا حين بنوا الكعبة فأخرجوه من البيت» . وقال ابن عباس : الحجر من البيت . وقال المبارك بن حسان الأنماطى : رأيت عمر بن عبد العزيز فى الحجر فسمعته يقول : شكا إسماعيل عليه السلام إلى ربه عز وجل حر مكة فأوحى الله تعالى إليه أنى أفتح لك بابًا من الجنة فى الحجر يجرى عليك منه الروح إلى يوم القيامة ، وفى ذلك الموضع توفى ، ويعتقد أن ذلك الموضع ما بين الميزاب إلى باب الحجر الغربى فيه قبره . وقال ابن إسحاق : كان قبر إسماعيل عليه السلام وقبر أمه هاجر فى الحِجْر .

ويروى أنه كـان لعبد المطلب جد الرسـول ﷺ مفرش فى الحجر لا يجلس عليـه غيره ولا يجلس معه عليه أحـد، وكان الندى من قريـش حرب بن أمية فمن دونه يجلسـون حوله دون المفرش، فجـاء رسول الله ﷺ وهو غـلام يدرج ليجلس على المفرش فجـذبوه فبكى، فقـال عبد المطلب، وذلك بعـد ما حجب بصـره: ما لابنى يبكى، قـالـوا له: إنـه أراد أن يجلس على المفـرش فمنعوه، فقـال عبـد المطلب: دعوا ابنى فإنـه يحس بشـرف أرجو أن يبلغ من الشـرف ما لم يبلغ عـربى قط (أخبار مكة ١/ ٣١٤، ٣١٥).

وكان رسول الله ﷺ يجلس فى الحجر ومعه أبو بكر رضى الله عنـه حين جـاءت أم جميل بنت حـرب بن أميـة امـرأة أبى لهب تولول وتهدد وتتوعـد لما نزلت سورة المسد: ﴿ تبّت يدا أبى لهب وتب ﴾ فأعماها الله عن رسـول الله فلم تره وتوجهت بالخطاب والتهديد إلى أبى بكر.

هـذا ويحب الحجـاج والمعتمـرون أن يصلـوا ركعتين فى الحجـر وهنـاك دعـاء خـاص يتـوسل بـه إلى الله فى ذلك المكان.

(معجم البلـدان ليـاقـوت الحـموى ٢/ ٢٢١، ولسـان العـرب لابن منظـور ٩/ ٧٨٤، ومهذب رحلـة ابن بطـوطـة المسماة تحفـة النظـار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ـ وقف على تهذيبه وضبط غريبه وأعلامه أحمد العوامرى بك ومحمد أحمد جاد المولى بك ١/ ٢٠٩، وأخبار مكة وما جـاء فيها مـن الآثار للأزرقى ـ تحقيق رشـدى الصـالح ملحس ١/ ٣١٢، ٣١٣، ٣١٦. انظـر أيضًا الجـامع اللطيف لابن ظهيرة القـرشى / ٨٨ـ ٩١).

*** الحِجْر (ديار ثمود):**

قال ياقوت:

الحِجْـرُ: بالكسـر ثم السكـون، وراء، وهـو فى اللغة مـا حجرت عليـه أى منعته من أن يوصل إليه، وكل مـا منعت منه فقد حجرت عليه، والحجـر العقل واللب، والحِجر، بالكسر والضم، الحـرام، لغتان معـروفتان فيـه. والحجر: اسم ديـار ثمود بـوادى القرى بين المدينـة والشام وهم قـوم صالح النبى عليه السلام وجاء ذكره فى الحـديث كثيرا، قال الإصطخرى: الحجر قرية صغيرة قليلـة السكان، وهو من وادى القرى على يـوم بين جبـال، وبها كـانت منـازل ثمود، قـال الله تعـالى: ﴿وتنحتون من الجبال بيوتًا فارهين ﴾ [الشعراء: ١٤٩] قال: ورأيتهـا بيـوتًـا مثل بيـوتنـا فى أضعـاف جبـال، وتسمى تلك الجبـال الأثـالث، وهى جبـال إذا رآها الـرائى من بعـد ظنهـا متصلة فإذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها، يطوف بكل قطعة منهـا الطائف وحواليهـا الرمل لا تكـاد ترتقى، كل قطعة منها قائمة بنفسها، لا يصعدها أحد إلا بمشقة شديدة، وبها بئر ثمود التى قـال الله فيها وفى الناقة: ﴿لها شِرْبٌ ولكم شِرْبُ يوم معلوم﴾ [الشعراء: ١٥٥]. قال جميل:

أقـول لـداعى الحـب، والحجـر بيننـا
ووادى القـرى: لبيك ! لمـا دعـانيـا
فمـا أحـدث النأى المفـرق بيننـا
سُلـوًّا، ولا طـولُ اجتمـاع تقـاليـا

(معجم البلدان ٢/ ٢٢٠، ٢٢١).

انظر مـادة « ثمود » فى م ١١/ ٣٥٤ ـ ٣٥٧، والخـريطة المصاحبة لمادة « الأحقـاف » فى م٢/ ٥٩٨، وخريطة رحلة ابن بطوطة فى م٧/ ٢٠٠ من هذه الموسوعة.

*** الحجر الأسعد:**

انظر: الحجر الأسود.

*** الحجر الأسود:**

قال ياقوت:

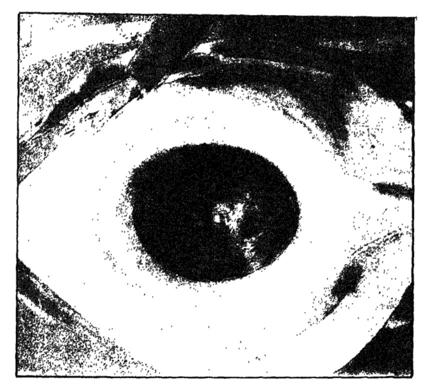
الحجر الأسود: قال عبد الله بن العباس: ليس فى الأرض شىء من الجنة إلا الركن الأسود والمقام، فإنهما جوهرتان من جوهر الجنـة، ولولا من مسهما من أهل الشـرك ما مسهما ذو عاهة إلا شفاه الله، وقال عبـد الله بن عمرو بن العاص: الركن والمقام يـاقوتتان من يـواقيت الجنة طمس الله نورهمـا، ولولا ذلك لأضاءا ما بين المشرق والمغرب، وقال محمد بن على: ثلاثـة أحجار من الجنة: الحجـر الأسود والمقـام وحجر بنى إسرائيل، وقال أبو عرارة: الحجر الأسود فى الجدار، وذرع ما بين الحجَر الأسـود إلى الأرض ذراعان وثلثـا ذراع، وهـو فى الركن الشمالى. وقال عياض: الحجـر الأسود يقال هو الذى أراده النبى ﷺ حين قال: إنى لأعـرف حجرًا كان يسلم علىَّ، إنه ياقوتة بيضاء أشد بيـاضًا من اللبن فسوّده الله تعالى بخطايا بنى آدم ولمس المشـركين إيـاه، ولم يـزل هـذا الحجـر فى

الجاهلية والإسـلام محترمًا معظَّمًا مكرَّمًا يتبركون بـه ويقبِّلونه إلى أن دخل القـرامطـة، لعنهم الله، فى سنـة ٣١٧ إلى مكـة عنوة، فنهبـوها وقتلـوا الحُجاج وسلبـوا البيت وقلعـوا الحجر الأسـود وحملـوه معهم إلـى بـلادهم بـالأحسـاء من أرض البحرين، وبـذل لهم بجكم التركى الذى استـولى على بغداد فى أيام الراضى بالله ألوف دنانير على أن يردوه فلم يفعلوا حتى توسط الشـريف أبو على عمـر بن يحيى العلوى بيـن الخليفة المطيع لله فى سنة ٣٣٩ وبينهم حتى أجابوا إلى ردِّه وجاؤوا به إلى الكوفة وعلقوه على الأسطوانة السابعة من أساطين الجامع ثم حملوه وردّوه إلى موضعه واحتجوا وقـالوا: أخـذناه بأمـر ورددناه بأمـر، فكـانت مـدة غيبتـه اثنتين وعشـرين سنــة، وقـرأت فـى بعض الكتب أن رجلاً من القرامطة قال لرجل من أهل العلم بالكوفة، وقد رآه يتمسح به وهو معلّق على الأسطـوانة السـابعة كمـا ذكـرناه. مـا يـؤمنكم أنم نكون غيبنـا ذلك الحجر وجئنـا بغيره؟ فقـال له: إن لنا فيه علامة، وهو أننا إذا طرحناه فى المـاء لا يـرسُب، ثم جـاء بمـاءٍ فألقوه فيه فطفا على وجه الماء.

(معجم البلدان ٢/ ٢٢٣، ٢٢٤).

قـال صـاحـب أنس الســارى والسارب:

ومن الحجـر الأسـود إلى الأرض ستة أشبار فالطويل يتماطى لتقبيله، والقصير يتطاول لـه، والحجر الأسود مـرأى بـديع يقيـد الأبصـار حسنـا وجمالا، وفى وسطـه مما يلى جـانبه الــذى على يمين المستلم لــه إذا وقف، نقطة بيضـاء صغيرة مشـرقة، تلـوح كأنها خـال فى تلك الصفحـة المباركـة، وفى هذه الشـامة البيضاء أثر ينبغى للمقبِّل أن يقصد تقبيله فى موضـع الشامة المذكورة ما استطاع، والحجر عند تقبيله لدونة ورطـوبة يتنعم بهـا الفم، حتى يـود اللاثم أن لا يـرفعه عنـه، وتلك من خواص العنـاية الإلهيـة فيه، روى التـرمذى عن ابن عباس رضى الله عنهمـا عن رسول الله ﷺ قال: «نـزل الحجر من الجنة أشد بياضا من اللبن، فسودته خطايا بنى آدم» وروى الترمـذى أيضًا من طـريق عبـد الله بن عمر أن الحجـر الأسود والركن اليمانى ياقوتتان مـن الجنة، ولولا ما طمس من نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب، وفى رواية غيره، ولإبراء من استعملهما من الخـرص، الجذام والبـرص، ومن حديث ابن



عباس رضى الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ فى الحجر، «والله ليبعثه الله يـوم القيامة له عينـان يبصر بهما، ولسـان ينطق به، يشهـد لمن استلمه بـوفاء وصـدق» (أنس السارى والسارب / ٨٣).

وقال صاحب شفاء الغرام:

قال المحب الطبـرى وقد اعترض بعض الملاحـدة فقال: كيف يسود الحجـر خطايا أهـل الشرك ولا يبيضه تـوحيد أهل الإيمان؟ فالجواب عنه من ثلاث: الأول ما تضمنه حديث ابن عباس المتقـدم آنفا: أن الله عـز وجل إنما طمس نـوره ليستر زينته عن الظلمة وكأنه لما تغيرت صفتـه التى كانت كالزينة له بالسواد كـان ذلك السواد له كالحجاب المـانع من الرؤية وإن نوى حرمه إذ يجوز أن يطلق عليه أنه غير مرئى كما يطلق على المـرأة المستترة بثـوب أنها غيـر مـرئية، الثـانى أجاب بـه ابن حبيب فقــال: لـو شـاء الله لكـان ذلك وكمـا علمـت أيهـا المعترض من أن الله تعـالى أجرى العـادة بأن السواد يصبغ ولا ينصبغ والبيـاض ينصبغ ولا يصبغ، الثـالث وهـو منقـاس إن يقـال إن بقـاءه أسود والله أعلـم إنما كـان لـلاعتبـار ليعلم أن الخطـايـا إذا أثرت فى الحجـر فمبـاشـرها بـالقلـوب أعظم، انتهى.

ما رؤى من البياض فى الحجر الأسود بعد اسوداده.

ذكر ابن جبير فى خبر رحلتـه: أن فى الحجر الأسود نقطة بيضاء صغيـرة مشرقة ولم يذكـر سواها وكانت رحلتـه فى سنة تسع وسبعين وخمسمـــائة، وقـال الفقيـه سليمـــان بن خليل العسقلانى فى منسكه بعد ذكره لشىء يتعلق بالحجر الأسود: قلت وأنا لقد أدركت فى الحجـر الأسود ثلاث مواضع بيض: فى الناحية التى تلى الكعبة المعظمـة وهى إحداهما أكبر حبة فى قـدر حبة الـذرة الكبيرة، والأخرى إلى جنبها وهى أصغـر منها، والثالثة إلى جنب الثانيـة وهى أصغر من الثانية فإنها فى قدر حبة الدخن، ثم إنى أتلمح تلك النقطة فإذا هى كل وقت فى نقص، انتهى ونقل القـاضـى عـز الـدين بن جمـاعـة فى منسكه كـلام ابن خليل هذا، وذكر أنه رأى الحجـر الأسود فى سنة ثمـان وسبعمائة وفيه نقطة بيضـاء ظاهرة وأنه لم يـرها فى سنـة ست وثلاثين إلا بعـد جهـد انتهى. وكنت ذاكرت بهـذا الأمر من نحو خمـس عشرة سنة بعض مشايخنا فـذكر أن فى الحجر الأسـود نقطة بيضـاء خفية جـدا انتهى. ولم يذكـر لى موضعها من الحجر ولعلها النقطة الموجودة فيه الآن، فإن فى جانبـه مما يلـى باب الكعبة مـن أعلاه نقطـة بيضاء قـدر حبة سمسمة على ما أخبرنى به ثلاثة نفر يعتمد عليهم من أصحابنا الفقهاء المكيين فى يـوم الجمعة خامس عشـر جمادى الأول سنة ثمان عشرة وثمـانمائة إلا أن بعضهم لم يخبرنى بذلك إلا فى يوم السبت ثـانى تاريخـه، وأخبرنى الثـلاثة أنهم رأوا ذلك فى يوم الجمعة المذكور وشكرت لهم فالله يثيبهم.

ما جاء فى شهـادة الحجر الأسود يوم القيـامة لمن استلمه بحق.

روينـا فى مسند الـدارمى عن ابن عباس أن رسـول الله ﷺ قـال: «ليبعثن الله الحجر يـوم القيامـة له عينـان يبصر بهمـا ولسان ينطق بـه يشهد لمن استلمـه بحق»، وفى رواية «على من استلمه بحق» أخرجه الترمـذى وابن حبان وقال: له لسان وشفتان، وروينـا ما يدل لـذلك من حديث عبـد الله بن عمرو عن النبى ﷺ وروينا ذلك من حديث سلمان الفـارسى موقوفا عليه - ما جاء فى تقبيل النبى ﷺ للحجر الأسود واستلامه له: وروينـا عن عبـد الله بن عمـر أنـه سئل عن استـلام الحجـر فقال: رأيت رسـول الله ﷺ يستلمه ويقبّلـه. أخرجـه البخارى ومسلم وروينا فى تقبيل النبى ﷺ الحجـر من حديث عمر بن الخطاب وجابر بن عبد الله وغيرهما ما جاء فى السجود عليه.

وروينـا فى التـرمذى عن ابن عبـاس أن النبى ﷺ سجـد على الحجـر: وروينـا فى سنن البيهقى عنـه قـال: رأيت عمـر بن الخطاب قبّلـه وسجد عليه ثم قـال: رأيت رسول الله ﷺ فعل هكذا. وروينـا عن ابن عباس فى مسند الإمام الشـافعى: أنه قبل الـركن وسجد عليـه ثلاث مـرات. وروينا ذلك أيضًـا عن طـاوس فى تاريخ الأزرقى والبيهقى وغيـرهمـا، ولـم ير الإمـام مالك السجود على الحجـر وهو بدعة، وخـالفه الجمهور فى ذلك، والله أعلم.

ما جاء فى الإكثار من استلامه.

روينا فى تاريخ الأزرقى بالسنـد المتقدم إليه: قال حدثنى جـدى قال حـدثنا سعيـد بن سالم عن عثمـان بن ساج قـال أخبرنى زهيـر بن محمد عن منصور بن عبـد الرحمن الحجبى عن أمـه عن عائشـة أنهـا قالت: قـال رسول الله ﷺ: أكثـروا

استلام هـذا الحجر فإنكم تـوشكون أن تفقدوه، بينمـا الناس يطوفـون به ذات ليلة إذ أصبحـوا وقد فقـدوه، إن الله تعالى لا يترك شيئًا من الجنة فى الأرض إلا أعاده فيها قبل يوم القيامة.

ما جاء فى مفاوضة الحجر الأسود

روينا عن أبى هـريرة قال: قال رسـول الله ﷺ: من فاوض الحجر الأسود فإنمـا يفاوض يد الرحمن، أخرجـه ابن ماجه. قـال المحب الطبـرى: وقـولـه فـاوض أى لامس وخـالط من مفاوضة الشريكين وتفويض كل منهما إلى صاحبه. انتهى.

ما جـاء فى أن الحجر الأسـود يمين الله يصافح بهـا عباده واستجابة الدعاء عنده.

روينا فى تاريـخ الأزرقى بالسند المتقدم إليه قـال حدثنى جـدى عـن سعيـد بن سـالـم عن عثمـان بن سـاج عن أبى إسمـاعيل عن عبد الملك بن عبـد الله بن أبى حسين عن ابن عباس قال: الركن يمين الله عز وجـل يصافح بها خلقه والذى نفس ابن عباس بيده ما من امـرئ مسلم يسأل الله تعالى عنده شيئًا إلا أعطـاه إياه انتهى. وروى هـذا عن النبى ﷺ لأن أبـا عبيد القـاسم بن سلام روى أن النبى ﷺ قال: الحجـر الأسود يمين الله فى الأرض" ورواه أبـو طاهر المخلص فـى فوائده فى الجزء الثـانى من التاسـع وزاد: فمن لم يدرك بيعـة رسول الله ﷺ ومسح الحجر الأسـود بيده فقـد بايع رسـول الله ﷺ، قال المحب الطبـرى: ومعنى الحـديث والله أعلم أن كل ملك إذا قدم عليه قبلت يمينه ولما كان الحاج والمعتمر أول ما يقدمان يسن لهمـا تقبيلـه نزل منـزلـة يمين الملك ويـده، ولله المثل الأعلى، وكـذلك من صافحـه كـان له عنـد الله عهد كمـا أن الملوك تعطى العهـد بالمصافحة والله أعلم: أنشدنـى العلامة بدر الدين أحمد بن محمد بن الصاحب المصرى لنفسه إجازة قوله:

للحجـــــر الأســــــود كـم لاثـم
وســاجـــد مـــرّغ فيـــه الجبـــاه
تـــــزدحم الأفـــــواه فـى ورده
كـأنـــه يُنبع مـــــاء الحيـــــاه

وقوله فيما أنبأنا به فى الحجر الأسود:

كـم أودعـت أســــــــرار أنـس
فـى علـــــــوم الغيـــــــوب
يـــــزدحم الأفـــــواه فـى لثمــــه
كـأنــــه يلفـظ قـــــوت القلـــــوب

وقوله فيما أنبأنا به:

للحجـــــر الأســـــود ســـــر خفـى
وقـــد بـــــدا للعين فيـــه شهـــود
قـــــد ضمت قلـــوب الـــــورى
كأنـــه قلب ســـواد الـــوجـــود

وقوله فيما أنبأنا به:

أقـــول وقـــد زوحمـتُ عن لثم أســـود
من البيت إن تحجب فمـا السر يحجب
فإنـك منى بـــالمحل الـــذى بـــه
محل ســـواد العيـن أو أنت أقـــرب

ما جاء فى المـزاحمة على استلام الركن اليمـانى والحجر الأسود وأن مسحهما كفارة للخطايا.

روينـا فى مسنـد أحمـد بن حنبل وغيـره عن ابن عمـر أن رسـول الله ﷺ كان لا يـدع أن يستلم الـركن اليمانى والحجـر الأسود فى كل طوافه وكان هو يفعله، أخرجه أبو داود والنسائى وقال المحب الطبرى بعـد إخراجه لهذا الحـديث: وفيه دلالة على استحبـاب التقبيل والاستـلام فـى كل طـواف واستحبـه بعضهم فى كل وتـر وروى ذلك عن الشافعى، انتهى. وقـولـه وفيه دلالـة على استحباب التقبيل يعنى فى الحجـر الأسود لا فى الركن اليمانى والاستلام فيها، والله أعلم.

ما جاء فى عدم استحباب ذلك للنساء بحضرة الرجال

روينا عن عطاء عـن عائشة أنها قالت لامـرأة: لا تزاحمى على الحجر إن رأيت خلوة فاستلمـى وإن رأيت زحامًا فكبرى وهللى إذا حاذيت ولا تؤذى أحدا، أخـرجه سعيد بن منصور. وروينـا عن عائشـة بنت سعد أنهـا قـالت: كان أبى يقـول إذا وجـدت فـرجـة من النـاس فـاستلمى وإلا فكبـرى وامضى. أخرجه الإمام الشافعى. وفى البخارى عن عطاء عن عائشة ما يقتضى تـرك استلام الحجـر للنساء وهـو محمول على مـا إذا حضـر الرجـال كمـا هـو مقتضى الخبر الـذى رواه سعيـد بن منصور فى سننه، والله أعلم (شفاء الغرام ١/ ١٦٩ـ١٧٣).

(معجم البلدان ليـاقوت الحمـوى ٢/ ٢٢٣، ٢٢٤، وأنس السارى

والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب لأبى عبد الله محمد بن أحمد القيسى الشهير بالسّراج الملقب بابن مليح - حققه وقدم له وعلق عليه محمد الفاسى، والمملكة المغربية. وزارة الدولة المكلفة بالشئون الثقافية والتعليم الأصلى. سلسلة الرحلات (٥)، حجازية (٢) فاس ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م/ ٨٣، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للإمام الحافظ أبى الطيب الفاسى ١/ ١٦٩ - ١٧٣. انظر أيضًا الجامع اللطيف لابن ظهيره القرشى / ٢٢ - ٢٧، ٨٨).

*** حُجر بن عَدِيّ (٥١هـ / ٦٧١م):**

حُجر بن عَدِيّ بن جبلة الكندى، ويسمى حجر الخير، صحابى شجاع، من المقدمين، وفد على رسول الله ﷺ وشهد القادسية. ثم كان من أصحاب علىّ رضى الله عنه وشهد معه وقعتى الجمل وصفين. وسكن الكوفة إلى أن قدم زياد بن أبى سفيان واليًا عليها فدعا به زياد، فجاءه، فحذّره زياد من الخروج على بنى أمية. فما لبث أن عرفت عنه الدعوة إلى مناوأتهم والاشتغال فى السر بالقيام عليهم، فجىء به إلى دمشق فأمر معاوية بقتله فقتل فى مرج عذراء (من قرى دمشق) مع أصحاب له. وخبره طويل. (الأعلام ٢/ ١٦٩).

قيل إنه لما قدم حُجر بن عدىّ ليُضرب عنقه قال: لا تطلقوا عنى حديدا وادفنونى، وما أصاب الثرى من دمى فإنى ألتقى أنا ومعاوية غدا بالجادة، قال أبو المغيرة، فكان ابن عباس لا يكاد يحدث بهذا الحديث إلا بكى بكاءً شديدًا.

حدثنا جرير عن سفيان الثورى قال: قال معاوية: ما قتلتُ أحدًا إلاّ وأنا أعرف فيم قتلتُه وما أردت به، ما خلا حُجر ابن عدىّ فإنى لا أعرف فيما قتلته.

وكان معاوية قد أمر بضرب أعناق حجر وأصحابه الخمسة عشر فقال حجر للذى أمر بقتله: دعنى فلأصلّى ركعتين قال: صلّه، قال: فصلّى ركتين خفيفتين، فلما سلم أقبل على الناس فقال: لولا أن تقولوا جزع من القتل لأحببت أن تكون ركعتان أنفس مما كانتا وايم الله لئن لم تكن صلاتى فيما مضى تنفعنى ما هى بنافعتى شيئًا، ثم أخذ بُرده فتحرم به، ثم قال لمن يليه من قومه ومن يتحرم به: لا تحلّوا قيودى ولا تغسلوا عنى الدم، فإنى أجتمع أنا ومعاوية غدا على المحجة (الحسين ابن علي، حجر بن عدى / ١٥٥، ١٤٧).

(الأعلام للزركلى ١/ ١٦٩، والحسين بن على، حجر بن عدّى لابن العديم، الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبى جرادة - حققه وقدم له د. سهيل زكار. دار حسان للطباعة والنشر. دمشق. الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م/ ١٤٧، ١٥٥، وترجمة حجر بن عدىّ جاءت فى المجلدة الخامسة من كتاب ابن العديم «بغية الطلب»).

*** الحِجْر (سورة):**

السورة رقم ١٥ من سور القرآن الكريم وفقا لترتيب المصحف. وقد أوردها الإمام الفيروزابادى فى البصيرة الخامسة عشرة من بصائره، وأجمل خصائصها على النحو التالى. ولم يذكرها باسم سورة الحجر وإنما جعل العنوان الآية الأولى من السورة وهو قول تعالى: ﴿ الّر تلك آيات الكتاب المبين ﴾ [١]. قال الإمام الفيروزابادى:

السورة مكية إجماعًا، (جاء فى سعادة الدارين (ص٣٣): وقيل إلا آية ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثانى﴾) وعدد آياتها تسع وتسعون بلا خلاف. وكلماتها ستمائة وأربع وخمسون. وحروفها ألفان وسبعمائة وستون.

ومجموع فواصل آياتها (مِلْن) على اللام منها آيتان: ﴿حجارة من سجّيل﴾ [٧٤] و﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ [٨٥].

وتسمى سورة الحِجْر، لاشتمالها على قصتهم، وقوله تعالى: ﴿ولقد كذّب أصحاب الحجر المرسلين﴾ [٨٠] [وهم ثمود قوم النبى صالح عليه السلام].

مقصود السورة إجمالاً: بيان حقيقة القرآن، وحفظ الحقّ وبرهان النبوة وحفظ الحقّ كتابه العزيز من التغيير والتبديل، وتزيين السموات بمواكب الكواكب وحفظها برجوم النجوم من استراق الشياطين السمع. وتقديره تعالى الماء والسحاب من خزائن بره، ولُطفه، وعلمه تعالى بأحوال المتقدمين فى الطاعة والمتأخّرين عنها، وبيان الحكمة فى تخليق آدم، وأمر الملائكة المقرّبين بسجوده، وتعيير إبليس، وملامته على تأبّيه واستكباره وجحوده، واستحقاقه اللعنة من الله بعصيانه وطغيانه، وجراءته بالمناظرة لخالقه ومعبوده، وبيان قسم الدركات على أهل اللذات والضّلالات، وذكر المستوجبى الجنّة من المؤمنين، وإخبار الله تعالى عباده بالرحمة والغفران، وتهديدهم بالعذاب والعقاب، والإشارة إلى ذكر أضياف الخليل عليه السلام، والنّهى عن القنوط من الرحمة،

وذكر آل لوط، وسكرتهم فى طريق العماية والضلالة، وتسلية النبى ﷺ عن جفاء الكفار، وبـذىءِ أقوالهم، والمنّ عليه ﷺ بنـزول السبع المثـانى، والشكوى عن الطّاعنين فى القـرآن، وذكر القسم بوقوع السؤال فى القيامة، وأمر الرسول ﷺ بإظهار الدعوة، والمنّ عليه بإهلاك أعـداء دينه، ووصيّته بالعبادة إلى يوم الحقّ واليقين فى قـوله تعالى... ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ [١٥] آخر السورة.

ثم تكلم الإمـام الفيـروزابـادى بعـد ذلك على النـاسخ والمنسوخ، والمتشابهات ويأتى فيمـا بعد إن شاء الله تعالى.

ثم يقول عن فضل السورة:

ذكروا أحاديث واهيـة. منها: من قرأ سورة الحِجْـر كان له من الأجْـر عشـرُ حسنـات بعـدد المهـاجرين، والأنصـار، والمستهزئين بمحمـد ﷺ. وعن جعفر أنه قال: من قـرأ سورة الحِجْر لا يصيبه عطش يوم القيـامة. ومن قرأها فى ركعتى كلّ جمعـة لم يصبه فقـر أبـدًا، ولا جنـون، ولا بلوى. وحـديث على: يـا على من قرأ سـورة الحِجـر لا يُنصب له ميـزان، ولا يُنشر له ديوان، وقيل له: ادخـل الجنّة بغير حساب. وله بكلّ آية قـرأها مثل ثواب أصحـاب البلاءِ (بصائر ذوى التمييـز ١/ ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٧، وسعادة الدارين/ ٣٣).

وعن وجه وقوع سورة الحجر بعد سورة إبراهيم واقترانها بها يقول الإمـام السيوطـى: وإنما أُخِّـرت عنها لقصـرها بـالنسبة إليهـا، وهذا القسم من سـور القرآن للمئين، فناسب تقـديم الأطول، مع منـاسبة ما ختمت به لمـراعاة الختام، وهو قـوله تعالى: ﴿واعبـد ربك حتـى يأتيك اليقين﴾ [٩٩] فإنه مفسر بـالمـوت، وذلك مقطع فى غاية البراعة.

وقـــد وقع ذلـك فى أواخـر السور المقتـرنـة. ففى آخــر آل عمـــران: ﴿واتقــــوا الله لعلكـم تفلحـون﴾ [٢٠٠] وفـى آخـر الطـــواسين: ﴿كل شىء هالـك إلا وجهه ألا لــــه الحكم وإليــــه تـرجعـون﴾ [القصص: ٨٨] وفى آخــــر ذوات [الّـر]: ﴿وانتظـر إنهم منتظــرون﴾ [السجدة: ٣٠] وفى آخر الحـواميم ﴿كأنهم يـوم يـرون مـا يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهـــار بـــلاغ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

ثم ظهــر لـى وجــه اتصــال أول هذه الســورة

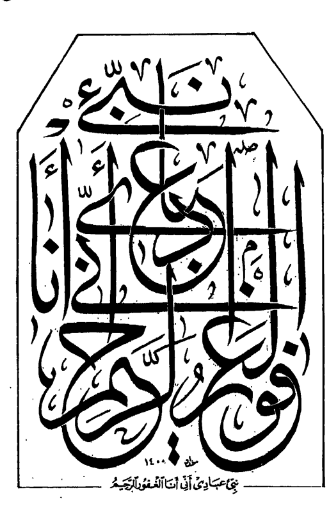


بآخـر سورة إبراهيم، فإنه تعـالى لما قال هنـاك فى وصف يوم القيامة: ﴿وبرزوا لله الـواحد القهـار* وترى المجـرمين يـومئذ مقـرنين فى الأصفـاد * سرابيلُهم من قَطِـران وتغشى وجـوههم النار﴾ [٤٩ : ٥٠] قال هنا: ﴿ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾[٢] فأخبر أن المجرمين المذكورين إذا طال مكثهم فى النار ورأوا عصـاة المؤمنين المـوحدين قـد أخرجـوا منها، تمنـوا أن لو كـانوا فى الـدنيا مسلمين. وذلك وجـه حسن فى الربط، مع اختتام آخر تلك بوصف الكتاب، وافتتاح هذه به، وذلك من تشابه الأطراف (تناسق الدرر / ٩٦، ٩٧).

ويـذكـر الإمـام السهيلى الأسمـاء التى أبهمت فى القـرآن الكريم فيقول:

قولـه عزّ وجلّ: ﴿ولقد جلعنـا فى السماء بُـرُوجًا﴾ [١٦] يعنى الاثنى عشـر برجًـا التى هى جملة المنـازل منـازل الشمس والقمر وقال فى سـورة يـس: ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كـالعُرجون القديم﴾[يسٓ: ٣٩] وأسمـاء البـروج الحمل وبـه يبدأ لأن استدارة الأفـلاك كان مبـدؤها من أول بـرج الحمل فيمـا ذكـروا وفى شهر هـذا البرج وهـو نيسـان ثم لعشرين منه كان مولد النبى ﷺ وكان مولده عنـد طلـوع الغفـرِ والغَفَرُ (الغفر: صغار الكلأ) يطلع فى ذلك الشهـر أول الليل لأن رقيبـه النطـح وهـو السـرطان وهمـا قرنـا الحمل ويقـال لهـا الأشـراط أيضًـا من أجل كـويكب صغير إلى جـانب الجنوبى منهمـا فهى ثلاثـة بذلك الكوكب.

وإلى الحمل أيضًـا يضاف البطين أى بطن الحمل وبعـد الحمل الثـور ثم الجوزاء ويقـال لها البشـر والتوأمـان والجبار وهامة الجوزاء هى الهقعة ثم السـرطان ثم الأسد ثم السنبلة ثم الميزان ثم العقرب وبين الزبانين من العقرب وبين وركى الأسد وهما السماك يطلع الغفر الذى بـه مولد الأنبياء عليهم السلام وفيه قالـوا خير منزلة فى الأبـد بين الزبانا والأسـد لأنه يليه من الأسد ذنبـه ولا ضرر فيـه ويليه مـن العقرب زبـاناهـا ولا ضرر فيها، إنما تضـر بذنبها إذا شالت (أى رفعت) بـه وهى الشولة فى المنازل ثم القوس ثم الجدى ثم الدلو ثم رشاء الدلو (وهو حبل الـدلـو) وهو الحـوت ويحسب فى البـروج وفى المنـازل



وجعل الله عز وجل الشهور على عددها فقال تعالى : ﴿ إنَّ عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا ﴾ [التوبة : ٣٦] .

وقوله تعالى : ﴿لها سبعةُ أبواب﴾ [٤٤] وقع فى كتب الوعظ والرقائق أسماء هذه الأبواب على ترتيب لم يرد فى أثر صحيح وإن كنا لمْ نشترط فى هذا الكتاب على أن نقتصر على الصحيح ولكن لما رأيت ظاهر القرآن والحديث الصحيح يدل على أن تلك الأسماء التى ذكروا إنما هى أوصاف للنار نحو السعير والجحيم والحطمة والهاوية ومنها ما هو اسم علَم للنار كلها بجملتها نحو جهنم وسقر ولظى فهذه أعلام ولكن ليست لباب دون باب وسياقة الكلام تدل على ذلك فلذلك أضربت عن ذكرها فتأمله أعاذنا الله من جميعها عنه وقد أفردنا فى ذكر أبوابها وأبواب الجنة وذكر جهنم وسقر أعاذنا الله منها وما فى اختصاص العدد بالسبعة وفى الجنة بالثمانية الأبواب وفائدة تسمية خازنيها وذكر عددهم ولم نذكر خازن الجنة ولا عدد خزنتها وقد تقدم ذكر امرأة لوط وبناته فى سورة هود وذكر أصحاب الأيكة وأما أصحاب الحجر فثمود بن عوص والحجر ديار معروفة بين الحجاز والشام من ناحية مصر.

وقوله تعالى: ﴿ وجاء أهلُ المدينة يستبشرون﴾ [٦٧] المدينة هى سدوم ومداين قوم لوط قيل كانت أربعًا وقيل سَبعًا سدوم أعظمها وقد ذكرت الأسماء الأخر ولكن بتخليط لا يتحصل منه حقيقة والله أعلم وأقربها إلى الصواب صبعة وصعدة وعمرة ودوما وسدوم المتقدمة الذكر.

(سدوم: مدينة من مدائن قوم لوط كان قاضيها يقال له سدوم، وقال أبو حاتم فى كتاب المزال والمفسد: إنما هو سذوم، بالذال المعجمة. قال: والدال خطأ قال الأزهرى: وهو الصحيح وهو أعجمى، وقال الشاعر:

كذلك قوم لوط حين أضحوا

كعصف فى سدومهم رميم

وهذا يدل على أنه اسم البلد لا اسم القاضى، إلاّ أن قاضيها يضرب به المثل فيقال أجور من قاضى سدوم. راجع معجم البلدان ٣/ ٢٠٠ .

وقوله تعالى: ﴿ إنا كفيناك المستهزئين﴾ [٩٥] الآية . قد ذكرهم ابن إسحاق وغيره وهم الذين قذفوا فى القَليب قليب بدر منهم أبو جهل بن هشام واسمه عمرو وربيعة بن الأسود وأبوه الأسود بن المطلب بن أسد غير أن الأسود لم يقتل ببدر ولكن عمى حين رماه جبريل عليه السلام بورقة خضراء وأُبَى بن خلف وأمية بن خلف وأخوه ابن وهب بن حذافة بن جمح وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة بن أمية بن عبد شمس وعقبة ابن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية واسم أبى معيط أبان واسم أبىَ عمرو ذكوان ولم يكن لرشده وإنما كان لغَيه ولذلك قال عمر لعقبة حين قال أأقتل من بين قريش صبرًا (حَنّ قِدْح ليس منها) وهذا مثل ومعناه أن القدح إذا كان جوهر عوده مخالفًا لجوهر عود القداح فى الميسر سمع له صوت مخالف

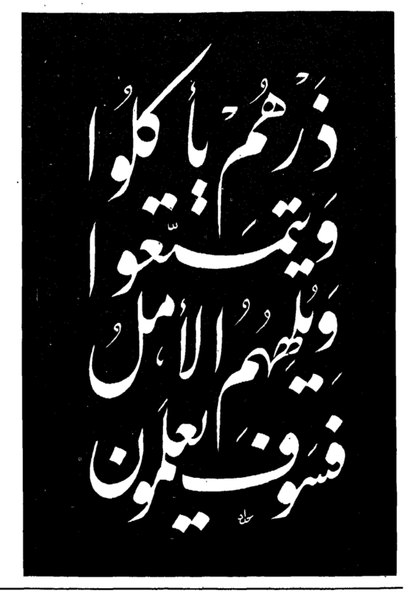
لصوتها إذا جعلت في الربابة فشبه ذلك بالحنين كأنه حن إلى أنسه فيقال حن قدح ليس من أهلها أو منها.

ومنهم الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم وقال ابن إسحاق سعيد مكان سعد وقد أنشد في السيرة ما يدل على خلاف قوله:

فإن تك كانت في عدى أمانة
عدى بن سعد في الخطوب الأوائل

والشعر لعبد الله بن الحارث هذا الذى ذكرناه و إنما سعيد أخو سعد بن سهم وهو جد عمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن سعيد وسعيد أيضًا ابن سعد بن سهم فهو سعيد وأبوه سعد وعمه سعيد ومن ذريته سعيد بن سعد بن المطلب بن أبى وداعة وللحارث بن قيس المذكور في المستهزئين بنون هاجروا إلى أرض الحبشة وهم عبد الله المبرق (ت ١١هـ/ ٦٣٢م، قتل باليمامة وقيل بالطائف) وسمى مبرقًا لقوله:

فإنْ أنا لم أبرق فلا يسعَنني
من الأرض برّ ذو فضاء ولا بحرُ



وأخوته السائب ومَعمر والحارث ابن الحارث وبشر وتميم ولم يذكر ابن إسحاق فيهم تميمًا وذكره غيره (التعريف والإعلام / ٨٨ ـ ٩٢).

ويحصى الإمام الكرماني الآيات المتشابهات التى وردت في سورة الحجر ويُفرّق بينها على النحو التالى:

قوله تعالى: ﴿لو ما تأتينا﴾ [٧] وفى غيرها: ﴿لولا﴾ [سبأ: ٣] لأن ﴿لو لا﴾ تأتى على وجهين: أحدهما امتناع الشيء لوجود غيره، وهو الأكثر، والثانى بمعنى هلا، وهو للتحضيض، ويختص بالفعل، ولولا بمعناه، وخُصّت هذه السورة بـ﴿لوما﴾ موافقة لقوله تعالى: ﴿ربما يودّ﴾ [٢] فإنها أيضًا مما خصت به هذه السورة.

قوله تعالى: ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرًا﴾ [٢٨] هنا. وفى ص [٧١] وفى البقرة: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل﴾ [٣٠]. ولا ثالث لهما، لأن جعل إذا كان بمعنى خلق يستعمل في الشيء يتجدد ويتكرر، كقوله تعالى: ﴿خلق السموات والأرض وجعل الظلمات

والنور﴾[الأنعام : ١] لأنهما يتجددان زمانا بعد زمان، وكذلك الخليفة، يدل لفظه على أن بعضهم يخلف بعضا إلى يوم القيامة، وخصت هذه السورة بقوله تعالى : ﴿إني خالق بشرًا﴾ [٢٨] إذ ليس في لفظ البشر ما يدل على التجدد والتكرار، فجاء في كل واحدة من السورتين ما اقتضاه ما بعده من الألفاظ .

قوله تعالى : ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ [٣٠] في هذه وفي ص : ٧٣، لأنه لما بالغ في السورتين في الأمر بالسجود وهو قوله تعالى : ﴿فَقَعُوا له ساجدين﴾ في السورتين، بالغ في الامتثال فيهما فقال : ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ لتقع الموافقة بين أولاها وأخراها، وباقي قصة آدم وإبليس سبق .

قوله في هذه السورة لإبليس : ﴿وإن عليك اللعنة﴾ [٣٥] بالألف واللام، وفي « ص » : ﴿وإن عليك لعنتي﴾ [٧٨] بالإضافة، لأن الكلام في هذه السورة جرى على الجنس من أول القصة في قوله : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ﴾ [٢٦] ﴿والجانّ خلقناه﴾ [٢٧] ﴿فسجد الملائكة كلهم﴾ [٣٠]، كذلك قال : ﴿ عليك اللعنة ﴾وفي « ص » تقدم : ﴿ لما خلقتُ بيدي﴾ [٧٥] فختم بقوله : ﴿عليك لعنتي ﴾ [٧٨].

قوله تعالى : ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غِلّ﴾ [٤٧] وزاد في هذه السورة ﴿إخوانًا﴾ لأنها نزلت في أصحاب رسول الله ﷺ وما سواها عام في المؤمنين .

قوله تعالى : في قصة إبراهيم : ﴿ فقالوا سلامًا قال إنا منكم وجِلُون﴾ [٥٢] لأن هذه السورة متأخرة، فاكتفى بها عما في هود، لأن التقدير : فقالوا ﴿سلامًا قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ *فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكِرهم وأوجس منهم خيفة قال إنا منكم وجلون ﴾ فحذف للدلالة عليه .

قوله تعالى : ﴿ وأمطرنا عليهم ﴾ [٧٤] (وترد أيضًا في الأعراف : ٨٤، والشعراء : ١٧٣، والنمل : ٥٨ إذ كلام المؤلف يوهم أنها هنا فحسب) وفي غيرها : ﴿وأمطرنا عليها﴾ [هود : ٨٢] قال بعض المفسرين : عليهم . أي على أهلها، وقال بعضهم : على من شذ من القرية منهم .

قلت : وليس في القولين ما يوجب تخصيص هذه السورة بقوله تعالى : ﴿عليهم﴾ بل هو يعود على أول القصة، وهو : ﴿إنا أُرسلنا إلى قوم مجرمين ﴾ [٥٨] ثم قال : ﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴾ [٧٤] فهذه لطيفة فاحفظها .

قوله تعالى : ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ [٧٥] بالجمع، وبعدها : ﴿لآية للمُؤمنين﴾ [٧٧] على التوحيد .

قال الخطيب : الأولى إشارة إلى ما تقدم من قصة لوط وضيف إبراهيم، وتعرض قوم لوط لهم طمعًا فيهم، وقلب القرية على من فيها، وإمطار الحجارة عليها وعلى من غاب منهم، فختم بقوله : ﴿لآيات للمتوسمين﴾ أي : لمن تدبر السمة، وهي ما وسم الله به قوم لوط وغيرهم . قال : والثانية تعود إلى القرية وإنها لبسبيل مقيم، وهي واحدة . فوحّد الآية .

قلت : ما جاء من الآيات فلجمع الدلائل، وما جاء من الآية فلوحدانية المدلول عليه . فلما ذكر عقيبه المؤمنون وهم المقرون بوحدانية الله تعالى وحّد الآية، وليس لها نظير في القرآن إلا في العنكبوت، وهو قوله تعالى : ﴿خلق الله السمواتِ والأرضَ بالحقّ إنَّ في ذلك لآية للمؤمنين ﴾ [٤٤]، فوحد بعد ذكر الجمع لما ذكرت والله أعلم (أسرار التكرار / ١١٨ ـ ١٢٠) .

ويبين الإمام السيوطي أسباب نزول بعض آيات سورةالحجر، وقد رمز إلى زياداته على أسباب النزول للإمام الواحدي بالحرف « ك » فيقول :

قوله تعالى : ﴿إن المتقين﴾ أخرج الثعلبي عن سلمان الفارسي لما سمع قوله تعالى : ﴿ وإن جهنم لموعدهم أجمعين ﴾ [٤٣] في ثلاثة أيام هاربا من الخوف لا يعقل، فجيء به للنبي ﷺ، فسأله فقال : يا رسول الله أنزلت هذه الآية ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ فوالذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي، فأنزل الله ﴿ إن المتقين في جنات وعيون ﴾ [٤٦] .

قوله تعالى : ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل ﴾[٤٧] أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين : أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غِلّ﴾ قيل وأي غِل؟ قال : غل الجاهلية . إن بني تميم، وبني عدي، وبني هاشم كان بينهم في الجاهلية عداوة، فلما أسلم هؤلاء القوم تحابّوا، فأخذت أبا بكر الخاصرة فجعل عليّ يسخن يده فيكمد بها خاصرة أبي بكر فنزلت هذه الآية .

قوله تعالى : ﴿ نبئ عبادي ﴾ [٤٩] ك، أخرج الطبراني

عن عبد الله بن الزبير قال : مـر رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه يضحكون وذكـر الجنة والنـار بين أيديهـم ، فنزلت هـذه الآية ﴿نبئ عبادي أني أنـا الغفور الرحيم * وأن عذابي هـو العذاب الأليم ﴾[٤٩ ، ٥٠].

وأخرج ابـن مردويه من وجـه آخر عن رجل مـن أصحاب النبى ﷺ قـال : اطلع علينـا رسـول الله ﷺ من ا لبـاب الـذى يدخل منه بنو شيبة ، فقال لا أراكم تضحكـون ، ثم أدبر ، ثم رجع القهقرى ، فقـال إنى خرجت حتى إذا كنت عنـد الحجر جاء جبريل فقال يا محمد : إن الله يقول لك لِمَ تقنط عبادى؟ ﴿نبئ عبادى أنى أنـا الغفور الرحيم * وأن عذابى هـو العذاب الأليم ﴾ .

قوله تعالى : ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ [٩٥] أخرج البزار والطبـرانى عن أنس بن مالك قـال : مر النبى ﷺ على أنـاس بمكة ، فجعلوا يغمـزون فى قفاه ويقولون : هذا الـذى يزعم أنه نبى ومعـه جبريل فغمـز جبريل بأصبعـه فوقع مثل الظفـر فى أجسادهـم ، فصارت قروحـا حتى تنتوا ، فلم يستطـع أحد أن يدنو منهم ، فأنزل الله ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ (أسباب النزول للسيوطى / ١٥٩ ، ١٦٠) .

ويضيف الإمـام الواحـدى ما يأتى : قـوله تعـالى : ﴿ولقد آتيناك سبعًا من المثانى والقرآن العظيم ﴾ [١٨٧] قال الحسين ابن الفضل : إن سبع قـوافل وافت من بصرى وأذرعـات ليهود قريظة والنضيـر فى يوم واحد فيها أنـواع من البَزّ وأوعية الطيب والجـواهر وأمتعـة البحـر ، فقال المسلمـون : لـو كانت هـذه الأموال لنا لتقوَّينا بهـا فأنفقناها فى سبيل الله ، فأنزل الله تعالى هذه الآيـة ، وقال : لقد أعطيتكم سبع آيـات هى خير لكم من هذه السبع القوافـل ، ويدل على صحة هذا قولـه تعالى : ﴿لا تمدَّنَّ عينيك﴾ الآية [٨٨] (أسباب النزول / ١٨٧) .

ويقول السيوطى عن الآية [٨٧] : ﴿ سبعًا من المثانى﴾ : قـال ﷺ : « هى الفاتحـة » . أخـرجـه البخارى وغيـره (راجع فضائل القرآن ، باب : فضل فاتحة الكتاب رقم : ٤٧٢٠ وقال ابن عباس : السبع الطوال . أخرجه الفريابى .

وقـال سعيـد بن جبيـر ومجـاهـد : البقـرة ، وآل عمـران ، والنسـاء ، والمـائدة ، والأنعام ، والأعـراف ، ويـونس . وقـال سفيان ، بعـد الأعراف : والأنفال وبـراءة سورة واحـدة . أخرج ذلك ابن أبى حاتم .

وقولـه تعالى : ﴿المقتسمين﴾ [٩٠] : قـال ابن عبـاس : اليهود والنصارى . أخـرجه ابن أبى حـاتم . (مفحمات الأقران / ٦٢) .

وجاء فى تيسير الـوصول لابن الديبع عن أسـاب النزول ما يلى :

– عن أبى سعيـد رضـى الله عنـه أن رسـول الله ﷺ قـال : «اتقوا فِراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى . ثم قرأ : ﴿إن فى ذلك لآيَاتٍ للمتوسِّمين ﴾ [٧٥] أخرجه الترمذى .

– وعن ابن عبـاس رضى الله عنهما قال : السبـع المثانى : الطوال . أخرجه النسائى .

– وعنه رضى الله عنه فى قوله تعالى : ﴿الذين جعلوا القرآن عِضين﴾ [٩١] قـال : هم أهل الكتـاب : اليهـود والنصـارى جزّءوه أجزاءً ، آمنوا ببعض وكفروا ببعض . أخرجه البخارى .

– وعن أنس رضى الله عنـه فى قـولـه تعـالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لنسألنَّهم أجمعين * عما كـانوا يعملون ﴾ [٩٢ ، ٩٣] قال : عن قول لا إلـه إلا الله . أخرجـه الترمـذى ، وأخرجـه البخارى ترجمة (تيسير الوصول ١/ ١٤٣) .

وقـد أورد كل من الـواحـدى (أسبـاب النـزول / ١٨٦) والسيـوطى (أسبـاب النـزول / ١٥٩) ، وابن الـديبع (تيسيـر الوصول ١/ ١٤٣) نفس سبب نزول الآية ٢٤ من سورة الحجر وهى قوله تعالى : ﴿ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾ ، ويمكنك الرجـوع إليها بيد أن أبا زكـريا الفرّاء أورد سببا آخـر لنزول تلك الآية فقـال تحت عنوان « الصحـابة والصفوف الأولى فى الصلاة » :

قوله تعالى : ﴿ولقد علمنـا المستقدمين منكمْ ولقـد علمنا المُستأخرين﴾ [٢٤] .

وذلك أن النبى ﷺ قـال : إن الله ومـلائكتـه يصلـون على الصفـوف الأوَل فى الصـلاة ، فابتـدرهـا النـاس ، وأراد بعضُ المسلمين أن يبيع داره النائية ليدنو من المسجد فيدرك الصف الأول ، فأنـزل الله عـز وجل ﴿ولقدْ علمنـا المُستقدِمِينَ منكُم ولقد علمنا المُستأخرينَ﴾ فإنا نجزيهم على نياتهم فَقَرَّ الناسُ (معانى القرآن / ١٩٤) .

ويطرح الإمام زين الدين الرازى أسئلة قد تدور فى الأذهان بشأن بعض آيات من سورة الحجر ثم يجيب عنها بطريقة «فإن قيل ـ قلنا » وذلك على النحو التالى :

فإن قيل: كيف قالوا: ﴿يا أيها الذى نُزِّل عليه الذكر إنك لمجنون﴾ [٦] اعترفوا بنبوته إذ الذكر هو القرآن الذى نزل عليه ثم وصفوه بالجنون؟.

قلنا: إنما قالوا ذلك استهزاء وسخرية لا تصديقا واعترافا، كما قال فرعون لقومه: ﴿إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون﴾ [الشعراء: ٢٧] وكما قال قوم شعيب عليه السلام ﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ [هود: ٨٧] ونظائره كثيرة. الثانى: أن فيه إضمارا تقديره: يا أيها الذى تدعى أنك نزل عليك الذكر.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿وإنا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون﴾ [٢٣] والوارث هو الذى يتجدد له الملك بعد فناء المورث، والله تعالى إذا أمات الخلائق لم يتجدد له ملك، لأنه لم يزل مالكا للعالم بجميع ما فيه ومن فيه؟.

قلنا: الوارث فى اللغة عبارة عن الباقى بعد فناء غيره، سواء تجدد له من بعده ملك أم لا، ولهذا يصح أن يقال لمن أخبر أن زيدا مات وترك ورثة هل ترك لهم مالا أو لا؟ فيكون معنى الآية: ونحن الباقون بعد فناء الخلائق. الثانى: أن الخلائق لما كانوا يعتقدون أنهم مالكون يسمون بذلك أيضًا إما مجازا أو خلافة عن الله تعالى كالعبد المأذون والمكاتَب، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿تؤتى الملك من تشاء﴾ [آل عمران: ٢٦] فإذا مات الخلائق كلهم سلمت الأملاك كلها لله تعالى عن ذلك القدر من التعلق، فبهذا الاعتبار كانت الوراثة، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿لمن الملك اليوم﴾ [غافر: ١٦] والملك له أزلا وأبدا.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿فسجد الملائكة كلهم﴾ [٣٠] دل على الشمول والإحاطة وأفاد التوكيد، فما فائدة قوله ﴿أجمعون﴾؟.

قلنا: قال سيبويه والخليل: هو توكيد بعد توكيد، فيفيد زيادة تمكين المعنى وتقريره فى الذهن، فلا يكون تحصيل الحاصل بل تكون نسبة ﴿أجمعون﴾ كنسبة ﴿كلهم﴾ إلى أصل الجملة. وقال المبرد: قوله تعالى: ﴿أجمعون﴾ يدل على اجتماعهم فى زمان السجود، و﴿كلهم﴾ يدل على وجود السجود من الكل، فكأنه قال: فسجد الملائكة كلهم معا فى زمان واحد. واختار ابن الأنبارى هذا القول، واختار الزجاج وأكثر الأئمة قول سيبويه وقالوا: لو كان الأمر كما زعم المبرد لكان ﴿أجمعون﴾ حالا لوجود حد الحال فيه، وليس بحال لأنه مرفوع ولأنه معرفة كسائر ألفاظ التوكيد.

فإن قيل: ما وجه ارتباط قوله تعالى: ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم﴾ [٥١] بما قبله من قوله تعالى: ﴿نبئ عبادى﴾ الآيتين [٤٩، ٥٠].

قلنا: لما أنزل الله عز وجل: ﴿نبئ عبادى﴾ [٤٩، ٥٠] الآيتين، ولم يعين أهل المغفرة وأهل العذاب غلب الخوف على الصحابة رضى الله عنهم، أنزل الله تعالى بعد ذلك قصة ضيف إبراهيم - عليه السلام - ليزول خوف الصحابة، وتسكن قلوبهم، فإن ضيف إبراهيم عليه السلام جاءوا ببشارة للولى وهو إبراهيم، وعقوبة للعدو وهم قوم لوط - عليه السلام - وكذلك تنزل الآيتين المتقدمتين على الولى والعدو لا على الولى وحده.

الثانى: أن وجه الارتباط أن العبد وإن كان كثير الذنوب والخطايا غير طامع فى المغفرة، لا يبعد أن يغفر الله تعالى له على يأسه، كما رزق إبراهيم الولد على يأسه بعد ما شاخ وبلغ مائة سنة أو قريبا منها.

فإن قيل: كيف قالت الملائكة: ﴿قدَّرنا إنها لمن الغابرين﴾ [٦٠] أى قضينا، والقضاء لله تعالى لا لهم؟.

قلنا: إسناد التقدير للملائكة هو مجاز، كما يقول خواص الملك، دبرنا كذا وأمرنا بكذا ونهينا عن كذا، ويكون الفاعل لجميع ذلك هو الملك لا هم، وإنما يظهرون بذلك مزيد قربهم واختصاصهم بالملك.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿ولقد كذَّب أصحاب الحِجْر المرسلين﴾ [٨٠] وأصحاب (الحجر) قوم صالح و(الحجر) اسم واديهم أو مدينتهم على اختلاف القولين، وقوم صالح لم يرسل إليهم غير صالح فكيف يكذبون المرسلين؟.

قلنا: من كذب رسولا واحدا فكأنما كذب الكل، لأن كل الرسل متفقون فى دعوة الناس إلى توحيد الله.

فإن قيل: كيف قال تعالى هنا: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون﴾ [٩٢، ٩٣] وقال فى سورة الرحمن: ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ [الرحمن: ٣٩]؟.

قلنا: الجواب عنه من وجهين: أحدهما: قد ذكرناه فى مثل هذا السؤال فى سورة هود. والثانى: أن المراد هنا أنهم

يسألون سؤال توبيخ وهو سؤال: لِمَ فعلتم؟؛ والمراد ثم إنهم لا يسألون سؤال استعلام واستخبار، وهو سؤال: هل فعلتم، أو يقال: إن فى يوم القيامة مواقف، ففى بعضها يسألون، وفى بعضها لا يسألون. (مسائل الرازى وأجوبتها / ١٦٧ ـ ١٦٩، والأنموذج الجليل ٣/ ٢٣٣ ـ ٢٣٦).

ويسوق الشيخ الشنقيطى الأدلة التى يدفع بها إيهام وجود تعارض بين الآيات فى هذه السورة فيقول:

قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإٍ مسنون﴾ [٢٦] الآية.

ظاهر هذه الآية أن آدم خلق من صلصال: أى طين يابس.

وقد جاء فى آيات أُخر ما يدل على خلاف ذلك، كقوله تعالى: ﴿من طين لازب﴾ [الصافات: ١١] وكقوله تعالى ﴿كمثل آدم خلقه من تراب﴾ [آل عمران: ٥٩].

والجواب: أنه ذكر أطوار ذلك التراب، فذكر طوره الأول بقوله ﴿من تراب﴾ ثم بُلَّ فصار طينًا لازبًا، ثم خمِّر فصار حمأً مسنونا، ثم يبس فصار صلصالا كالفخار.

وهذا واضح. والعلم عند الله تعالى (دفع إيهام الاضطراب / ١٧١).

ويحصى الإمام ابن الجوزى الآيات التى ادُّعى عليها بالنسخ فيقول:

الآية الأولى:

قوله تعالى: ﴿ذرهُم يأكلوا ويتمتَّعوا ويلْهِهِمُ الأملُ فسوفَ يعلمُونَ﴾ [٣] قد زعم كثير من المفسرين: أنها منسوخة بآية السيف والتحقيق أنها وعيد وتهديد، وذلك لا ينافى قتالهم فلا وجه للنسخ.

الآية الثانية:

قوله تعالى: ﴿فاصفَحِ الصَّفْحَ الجميلَ﴾ [٨٥].

أخبرنا المبارك بن على، قال: أبنا أحمد بن الحسين بن قريش قال: أبنا البرمكى قال: أبنا محمد بن إسماعيل بن العباس، قال: أبنا أبو بكر بن أبى داود، قال: أبنا عبد الله بن سعيد، قال: بنا عقبة، عن إسرائيل، عن جابر، عن مجاهد، وعكرمة ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ قال: هذا قبل القتال.

قال أبو بكر: وبنا موسى بن هارون، قال: بنا الحسين، قال: بنا شيبان عن قتادة ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ قال: نسخ هذا بعد، فقال: ﴿واقْتلُوهُمْ حيثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١، والنساء: ٩١].

الآية الثالثة:

قوله تعالى: ﴿لا تمدَّنَّ عينيكَ إلى مَا متَّعْنَا به أزواجًا منهم ولا تحزنْ﴾ [٨٨] قد زعم قوم: أن هذا كان قبل أن يؤمر بقتالهم ثم نسخ بآية السيف، وهذا ليس بشىء، لأن المعنى: لا تحزن عليهم إن لم يؤمنوا، وقيل: لا تحزن بما أنعمت عليهم فى الدنيا ولا وجه لنسخ، وكذلك قال: أبو الوفاء ابن عقيل، قد ذهب بعضهم إلى أن هذه الآية منسوخة بآية السيف وليس بصحيح.

الآية الرابعة:

قوله تعالى: ﴿وقل إنِّى أنا النَّذير المبينُ﴾ [٨٩] زعم بعضهم أن معناها نسخ بآية السيف، لأن المعنى عنده اقتصر على الإنذار، وهذا خيال فاسد، لأنه ليس فى الآية ما يتضمن هذا، ثم هى خبر فلا وجه للنسخ.

الآية الخامسة:

قوله تعالى: ﴿وأعْرِضْ عن المشْرِكينَ﴾ [٩٤].

أخبرنا ابن ناصر، قال: أبنا ابن أيوب، قال: أبنا ابن شاذان، قال: أبنا أبو بكر النجاد، قال: أبو داود السجستانى، قال: بنا أحمد بن محمد، قال: حدثت عن معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس رضى الله عنهما ﴿وأعرض عن المشركين﴾ قال: نسختها: ﴿فاقتلوا المشركينَ حيثُ وجدتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

أخبرنا المبارك بن على، قال: بنا أحمد بن الحسين، قال: أبنا البرمكى، قال: أبنا محمد بن إسماعيل، قال: أبنا أبو بكر بن أبى داود، قال: بنا محمد بن سعد، قال: حدثنى أبى عن الحسين بن الحسن بن عطية، عن أبيه، عن عطية

عن ابن عباس رضى الله عنهما ﴿وأعرض عن المشركين﴾ قال: هذا من المنسوخ (نواسخ القرآن / ١٨٤، ١٨٥).

وعن القسم كما ورد فى سورة الحجر يقول الإمام ابن قيم الجوزية:

ومن ذلك قوله تعالى: فى قصة لوط عليه السلام، ومراجعته قومه له ﴿قالوا أو لم ننهك عن العالمين * قال هؤلاء بناتى إن كنتم فاعلين * لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون﴾ [٧٠ ـ ٧٢] أكثر المفسرين من السلف والخلف ـ بل لا يعرف عن السلف فيه نزاعا، أن هذا قسم من الله بحياة رسوله ﷺ. وهذا من أعظم فضائله أن يقسم الرب عز وجل بحياته. وهذه مزية لا تعرف لغيره. ولم يوافق الزمخشرى على ذلك، فصرف القسم إلى أنه بحياة لوط وأنه من قول الملائكة، فقال: هو على إرادة القول، أى قالت الملائكة للوط عليه الصلاة والسلام: لعمرك: إنهم لفى سكرتهم يعمهون. وليس فى اللفظ ما يدل على واحد من الأمرين، بل ظاهر اللفظ وسياقه إنما يدل على فهمه السلف لا أهل التعطيل والاعتزال. قال ابن عباس رضى الله عنهما: لعمرك، أى وحياتك، قال: وما أقسم الله تعالى بحياة نبى غيره. والعَمر والعُمر واحد. إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لإثبات الأخف، لكثرة دوران الحلف على ألسنتهم. وأيضا فإن العمر حياة مخصوصة. فهو عمر شريف عظيم أهل أن يقسم به، لمزيته على كل عمر من أعمار بنى آدم. ولا ريب أن عمره وحياته ﷺ من أعظم النعم والآيات فهو أهل أن يقسم به. والقسم به أولى من القسم بغيره من المخلوقات. اهـ.

جاء فى هامش (١) التعليق التالى للمحقق:

هذا إنما هو فى قسم الله تعالى به، لا فى قسم الخلق وحلفهم به صلى الله عليه وسلم وبغيره من المخلوقات. فإن هذا من أعظم المحرمات ففى الحديث المتفق عليه عن ابن عمر أن النبى ﷺ سمع عمر وهو يحلف بأبيه، فقال: « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم. فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » وفى رواية للترمذى أن ابن عمر سمع رجلا يقول: لا والكعبة: فقال: لا تحلف بغير الله، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك » قال الترمذى: حسن. وصححه الحاكم. وورد مثل هذا عن ابن مسعود وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلى من أن أحلف بغيره صادقا. (التبيان فى أقسام القرآن / ٢٧٢، ٢٧٣).

ويقسم الإمام الغزالى آيات القرآن الكريم إلى نمطين: الجواهر، والدرر. أما الجواهر فيعرّفها بأنها الآيات التى وردت فى ذات الله عز وجل وصفاته وأفعاله خاصة وهو القسم العلمى، والدرر هى ما ورد فيها بيان الصراط المستقيم والحث عليه وهو القسم العملى. أما الجواهر فهى تسع آيات:

قوله تعالى: ﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون * وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقينَ * وإن مِّن شىء إلا عندنا خزائنه وما ننزلُهُ إلاَّ بقدرٍ معلوم* وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين * وإنَّا لنحنُ نُحيى ونُميتُ ونحنُ الوارثُونَ * ولقد علمنا المستقدمين منكُم ولقد علمنا المستأخرين * وإنَّ ربَّك هُو يحشرُهُم إنَّه حكيم عليمٌ * ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإٍ مسنونٍ * والجانَّ خلقناهُ من قبلُ من نارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ١٩ ـ ٢٧].

وأما الدرر فقد جاء فى النص أن عددها ست ولكن ما ورد هو ثمان كما يلى:

قوله تعالى: ﴿ وما خلقنا السموات والأرضَ وما بينهما إلاَّ بالحقِّ وإنَّ الساعة لآتية فاصفح الصَّفح الجميل * إنَّ ربَّك هو الخلاقُ العليم * ولقد آتيناك سبعًا من المثانى والقرآن العظيم * لا تمدَّنَّ عينيك إلى ما متَّعنا به أزواجًا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين * وقل إنى أنا النذير المُبينُ﴾ [الحجر: ٨٥ ـ ٨٩].

وقوله: ﴿ ولقد نعلمُ أنَّك يضيقُ صدرك بما يقولون * فسبِّحْ بحمد ربِّك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتَّى يأتيَك اليقينُ ﴾ [الحجر: ٩٧ ـ ٩٩] (جواهر القرآن ودرره ٥/ ٨٥، ١٤٤).

أما من حيث رسم المصحف فقد ذكر الإمام أبو عمرو الدانى فى باب « ما حذفت منه الياء اجتزاء بكسر ما قبلها منها» حذف الياء فى « تفضحون » ﴿فلا تفضحون﴾ [٦٨] وفى « تخزون » ﴿ولا تخزون﴾ [٦٩].

وأشار الإمام الدانى إلى أن ابن الأنبارى أغفل من الياءات المحذوفات فى الرسم خمسة مواضع من بينها فى سورة الحجر « تبشرون » ﴿فَبِم تبشرون﴾ [٥٤] وقال: فمن كسر النون فيهما ألحقهما بنظائرها من الياءات المحذوفات، ومن فتح النون فيهما أخرجهما من جملة الياءات.

وفى باب « ما رسم بإثبات الياء على الأصل » ذكر الإمام الدانى من سورة الحجر ﴿قال أبشرتمونى﴾ ٥٤ و ﴿سبعًا من المثانى﴾ [٨٧].

وفى باب « ما اتفقت على رسمه مصاحف الأمصار » ذكر الإمام الدانى من سورة الحجر أنهم كتبوا ﴿لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ [٤٤] بغير واو.

وفى باب « ما اختلفت فيه مصاحف أهل الأمصار بالإثبات والحذف » ذكر الإمام الدانى أنه فى سورة الحجر [٢٢] كتبت فى بعض المصاحف ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ بألف على الإجماع، وفى بعضها « الريح » « بغير ألف على واحدة(المقنع / ٣٩، ٤١، ٥٢، ٩٠، ٩٨).

ومن حيث رسم المصحف العثمانى ذكر الخوارزمى عن سورة الحجر ما يلى:

﴿إذًا﴾ [٨] بألف، ياء ﴿بئيس﴾ [٣٢] بألف واحدة، ﴿جزء مقسوم﴾ [٤٤] بغير واو، ﴿ونبّئهم﴾ [٥١] بالياء (موجز كتاب التقريب / ٥١).

أما عن أنواع الوقف، وهى: التام، والكافى، والحسن، والقبيح، بالنسبة لسورة الحجر، فيبينها الإمام أبو عمرو الدانى على النحو التالى:

﴿الّر﴾ تام وقيل كاف ﴿وقرآن مبين﴾ [١] تام. ﴿ويلههم الأمل﴾ [٣] كاف وقيل تام. ﴿فسوف يعلمون﴾ [٣] تام. ﴿من الصادقين﴾ [٧] تام، وهو انقضاء كلامهم، قال الله عز وجل ﴿ما ننزل الملائكة إلا بالحق﴾ [٨] ﴿مُنظرين﴾ [٨] تام. ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ [٩] كاف، إذا جعلت الهاء فى قوله ﴿وإنا له لحافظون﴾ للنبى ﷺ، فإن جعلت للقرآن وهو الوجه. لم يكف الوقف عليه. ورؤوس الآى بعد كافية. وقال نافع والدينورى ﴿لا يؤمنون به﴾ [١٣] هنا وفى الشعراء [٢٠١] تام. وهو عندى كاف، لأن ما بعده متصل به، إذ هو تخويف للكفار، الذين تقدم ذكرهم. ﴿برازقين﴾ [٢٠] تام، ومثله ﴿بقدر معلوم﴾ [٢١] ومثله ﴿حكيم عليم﴾ [٢٥] ورؤوس الآى بعد كافية. ﴿لآية للمؤمنين﴾ [٧٧] تام، ومثله ﴿لبإمام مبين﴾ [٧٩]يعنى الطريق ومثله ﴿يكسبون﴾ [٨٤] ومثله ﴿إلا بالحق﴾ [٨٥] ومثله ﴿الصفح الجميل﴾ [٨٥] ومثله ﴿الخلّاق العليم﴾ [٨٦] ومثله ﴿القرآن العظيم﴾ [٨٧] ﴿القرآن عضين﴾ [٩١]كاف.

حدثنا أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا محمد قال: حدثنا سعيد عن سفيان عن رجل عن مجاهد فى قوله عز وجل: ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ [٩١] قال: هم أصحاب الكتاب وقريش ﴿عما كانوا يعلمون﴾ [٩٣] تام.

حدثنا عبد الرحمن بن خالد الفرائضى قال: حدثنا أحمد ابن جعفر قال: حدثنا حمزة بن داود الإبلى قال: حدثنا محمد بن حبان الشتلانى قال: حدثنا سفيان بن محمد الثورى عن ليث عن داود المدنى عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون﴾ [٩٢، ٩٣] قال: عن لا إله إلا الله صادقين بها أو كاذبين. ﴿إلها آخر﴾ [٩٦] كاف وقيل تام (تام عند أبى حاتم) ﴿فسوف يعلمون﴾ [٩٦] تام وهو تهديد (المكتفى / ٢٢٧، ٢٢٨).

أما من حيث القراءات السبع بالنسبة لسورة الحجر فقد بيّنها ابن مجاهد على النحو التالى:

١ - اختلفوا فى تشديد الباء وتخفيفها من قوله: ﴿ربما﴾ [٢].

فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى: ﴿رُبَّمَا﴾ مشدّدة.

وقرأ عاصم ونافع: (رُبَمَا) خفيفة. على بن نصر قال:

سمعت أبا عمرو يقرؤها على الوجهين جميعًا خفيفًا وثقيلا .

٢ - واختلفوا فى قوله : ﴿ ما نُنَزِّلُ الملائكة إلاَّ بالحقِّ ﴾ [٨] .

فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر : (ما تَنَزَّلُ الملائكة إلاَّ بالحقِّ) مفتوحة التاء والنون مشدَّدة الزاى ، و(الملائكة) رفع فاعل .

وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر : (ما تُنَزَّلُ الملائكة) مضمومة التاء مفتوحة النون (الملائكة) رفع لم يسمَّ فاعله .

وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم : ﴿ ما نُنَزِّلُ الملائكة﴾ بالنون مشددة الزاى (الملائكة) نصب مفعول به .

والأولى لم يختلفوا فيها .

٣ - واختلفوا فى تخفيف الكاف وتشديدها من قوله : ﴿سُكِّرَتْ﴾ [١٥] .

فقرأ ابن كثير وحده : ﴿سُكِرَتْ﴾ خفيفة . وقرأ الباقون : ﴿سُكِّرَتْ﴾ مشدَّدة .

٤ - واختلفوا فى فتح النون وكسرها من قوله : (فَبِمَ تُبَشِّرونَ) [٥٤] .

فقرأ ابن كثير ونافع : (تُبَشِّرُونِ) كسرًا ، غير أن ابن كثير شدَّد النون وخفَّفها نافع .

وقرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى : (فَبِمَ تُبَشِّرُونَ) بفتح النون نصبا .

٥ - واختلفوا فى فتح النون وكسرها من قوله : ﴿ ومَن يَقْنَطُ﴾ [٥٦] .

فقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة : ﴿يَقْنَطُ﴾ بفتح النون فى كل القرآن .

وقرأ أبو عمرو والكسائى : (يَقْنِطُ) بكسر النون .

وكلهم قرأوا ﴿مِنَ بَعْدِ ما قَنَطُوا ﴾ [الشورى : ٢٨] بفتح النون .

٦ - واختلفوا فى تشديد الجيم وتخفيفها من قوله : ﴿ إنَّا لمُنَجُّوهُمْ﴾ [٥٩] .

فقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر : ﴿ إنَّا لَمُنَجُّوهُمْ﴾ مشددة الجيم . وقرأ حمزة والكسائى : (لَمُنْجُوهُمْ) خفيفًا .

٧ - قوله : ﴿إلاَّ امرأتهُ قَدَّرْنَا﴾ [٦٠] .

كلهم قرأ : ﴿إلاَّ امرأتهُ قَدَّرْنا﴾ مشددة الدال و (قَدَّرْنها) [النمل : ٥٧] مشددة ، إلا عاصما فى رواية أبى بكر فإنه خَفَّفَها فى كل القرآن ، وشدَّدها فى رواية حفص .

(يعلق المحقق الأستاذ الدكتور شوقى ضيف بقوله :

(قرأ حفص كما تصور ذلك المصاحف المصرية ﴿فقدرْنَا فنعم القادرون ﴾ [المرسلات : ٢٣] وكذلك ﴿فقدرَ عليه رزقه ﴾ [الفجر : ١٦] بالتخفيف وانظر الأنعام [٩١] والحج [٧٤] والزمر [٦٧]) .

وقرأ ابن كثير وحده : (نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمُ المَوْتَ) [الواقعة : ٦٠] خفيفة ، والباقون يشدِّدون .

وقرأ نافع والكسائى : (فَقَدَّرْنَا فَنِعْمَ القَادِرُونَ) [المرسلات : ٢٣] مشددَّة . وقرأ الباقون : ﴿فقَدَرْنَا﴾ خفيفة .

وقرأ الكسائى وحده : (والَّذِى قَدَر فَهَدَىٰ) [الأعلى : ٣] خفيفة . وقرأ الباقون : ﴿قَدَّرَ﴾ مشددة .

٨ - قوله : ﴿أصحٰبُ الأيكَةِ﴾ [٧٨] .

لم يختلفوا فى هذه السورة ولا فى سورة قٓ ، واختلفوا فى سورة الشعراء وسورة صٓ .

فقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر فى سورة الشعراء : (أصحٰبُ لَيْكَةَ) غير أن ورشًا روى عن نافع : (الايكَةِ) ههنا وفى قٓ متروكة الهمزة (أى أنها مسهلة) ، مفتوحة اللام بحركة الهمزة ، والهمزة ساقطة .

وقرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائى : ﴿الأَيْكَة﴾ فى كل القرآن .

[ياءات الإضافة] .

فى هذه السورة أربع عشرة ياء إضافة ، اختلفوا فى أربع منها .

قوله ﴿نَبِّئْ عِبَادِى﴾ [٤٩] ﴿أنّى أنَا ﴾ [٤٩] فتحهما ابن كثير ونافع وأبو عمرو ، وأسكنهما الباقون .

وقوله: ﴿بناتي إن كنتم﴾ [٧١] فتحها نافع وحده، وأسكنها الباقون.

وقوله: ﴿إنّي أنا النّذيرُ﴾ [٨٩] فتحها ابن كثير ونافع وأبو عمرو، وأسكنها الباقون. وحُذفت من هذه السورة ياءا إضافة في قوله: (فلا تفضحونِ) [٦٨] و (لا تُخزُونِ) [٦٩] (كتاب السبعة في القراءات / ٣٦٦ـ٣٦٨).

وأضاف ابن وثيق قوله: وفيها (أي في سورة الحجر) من الياءات الثابتة ﴿أبشّرتموني﴾ [٥٤]، و ﴿سبْعًا من المثاني﴾ [٨٧]، ومن المحذوفات ﴿تفضحونِ﴾ [٦٨]، و ﴿تُخزونِ﴾ [٦٩] و ﴿تُبشّرون﴾ [٥٤] (الجامع لما يحتاج إليه رسم المصحف / ١٠٣).

أما من حيث النظم بالنسبة لهذه السورة فقد أورد الإمام الشاطبي في «حرز الأماني» الأبيات التالية التي يعقبها شرح الشيخ على محمد الضباع. أما الحروف والكلمات الموضوعة بين أقواس فهي رموز القراء، ونوردها تحت هذا العنوان في موضعها إن شاء الله تعالى.

قال الإمام الشاطبي:

وَرُبَّ خَفِيفٌ (إِ) ذْ (نَـ)ـمَا سُكِّرَتْ (دَ) نَا
تَنَزَّلُ ضَمُّ التَّا لِشُعْبَةَ مُثِّلاَ

وَبِالنُّونِ فيها وَاكْسِرِ الزَّايَ وانْصِبِ الْـ
ـمَلاَئِكَةَ المَرْفُوعُ عَنْ (شَـ)ـائِدٍ (عُـ)ـلاَ

وَثَقَّلَ لِلمَكِّيِّ نُونُ تُبَشِّرُو
نَ واكْسِرْهُ (حِرْمِيًّـ)ـا وَمَا الحَذْفُ أَوَّلاَ

وَيَقْنَطُ معهُ يَقْنَطُونَ وتَقْنَطُوا
وَهُنَّ بِكَسْرِ النُّونِ (رَ) افَقْنَ (حُـ)ـمَّلاَ

وَمُنْجُوهُمُ خِفٌّ وفي العَنْكَبُوتِ نُنْـ
ـجِيَنَّ (شَـ)ـفَا مُنْجُوكَ (صُحْبَتُـ)ـهُ (د) لاَ

قَدرنَا بِهَا والنَّمْلِ (صِـ)ـف وَعِبَادِ مَعْ
بَنَاتِي وَإِنِّي ثُمَّ إِنِيَ فَاعْقِلاَ

ويشرح الشيخ على محمد الضباع الأبيات بقوله:

قرأ نافع وعاصم (ربما) بتخفيف الباء والباقون بتشديدها، روى شعبة (ما تنزل الملائكة) بتاء مضمومة وفتح النون وتشديد الزاى ورفع الملائكة. والأخوان وحفص بنونين مضمومة فمتفوحة وكسر الزاى مشددة ونصب الملائكة والباقون بفتح التاء والنون والزاى مشددة ورفع الملائكة. قرأ ابن كثير (سكرت) بتخفيف الكاف والباقون بتشديدها. قرأ نافع (تبشرون) بكسر النون مخففة وابن كثير بكسرها مشددة والباقون بفتحها مخففة. قرأ النحويان (ومن يقنط) هنا ويقنطون بالروم ولا تقنطوا بالزمر بكسر النون والباقون بفتحها. قرأ الأخوان (لمنجوهم) هنا ولننجيه ومنجوك كلاهما في العنكبوت بإسكان النون وتخفيف الجيم. وافقهما شعبة وابن كثير في منجوك والباقون بفتح النون وتشديد الجيم في الثلاثة. روى شعبة (قدرنا) هنا وقدرناها في النمل بتخفيف الدال والباقون بتشديدها. ياءات الإضافة أربع. عبادى أني أنا. بناتي إن. إني أنا (متن حرز الأماني/ ١٤١).

وأما عن القراءات الثلاث المتممة للعشر فيقول الإمام ابن الجزري في «الدرة»: وقرأ يعقوب ﴿قال هذا صراط عليّ مستقيم﴾ [٤١] بكسر اللام ورفع الياء وتشديدها وتنوينها كما لفظ به.

وقرأ خلف ﴿ومن يقْنط﴾ [٥٦] بكسر النون.

وقرأ أبو جعفر ﴿فَبِم تبشرون﴾ [٥٤] بفتح النون (الإيضاح لمتن الدرة/ ٩٥).

أما عن القراءات الشاذة بالنسبة لسورة الحجر فنكتفي بذكر المصنفات فيها في ثبت المراجع في نهاية المادة إن شاء الله تعالى.

وجاءت الأبيات التالية في ألفية التفسير تلخص ما ورد في سورة الحجر، وقد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت في النص. قال الناظم:

٤٤٦ - وهذا كتاب الله أسماؤه بدت
تزيد على الخمسين بلّغ لِتُذْكَرَا

٤٤٧ - فَذِكْرٌ وقرآنٌ وروحٌ مصدقٌ
عليٌّ حكيمٌ ثم نورٌ تدبَّرا

٤٤٨ - ولم يستطع عبر الزمان مفكرٌ
ولا فيلسوف أن يكون مُغَيِّرا

٤٤٩ - وقد ظَلَّ محفوظًا قرونًا طويلةً
على الرغم من كيدِ العِدا ما تغيَّرا
٤٥٠ - وغيضةَ أشجارٍ تسمى بأيكةٍ
شعيبٌ دعا من كان فيها وحذَّرا
٤٥١ - فلم ينتهوا زادوا ضلالاً فظاظة
أُبيدوا بِحَرٍّ مُحْرِقٍ ثمَّ دَمَّرا
٤٥٢ - ثمودٌ نهاهم صالحٌ عن جحودهم
منازِلُهم بالشام فى الحجر غائرا
٤٥٣ - فساقوا سبيلاً قد أزيلوا بصيحة
فلستَ ترى منهم نذيرًا مخبِّرا
٤٥٤ - وفاتحة تلك المثانى لأنها
تُثَنَّى فيتلوها الجميع مُكَرَّرَا
٤٥٥ - وسبّح بحمد الله صلِّ تذلُّلا
إلى أن يجيء الموتُ حتمًا تبرّرا

(الفية التفسير / ٣٦).

ومن فتاوى الإمام السيوطى فتوى يرد بها على مسألة وردت له نظمًا بشأن ما جاء من الاستثناء فى آيتين فى نسق هما قوله تعالى: ﴿ إلا آل لوطٍ إنَّا لمنجُّوهم أجمعين * إلا امرأته قدَّرنا إنها لمن الغابرين ﴾ [الحجر: ٥٩، ٦٠] وننقلها لك فيما يلى:

مسألة:

ما القول يا عالمَ العصر الذى شهدت
بفضله فرق الأعجام والعرب
فى قول رب العلا فيما حكاه لنا
فى سورة الحجر عن قوم أولى نسب
مستثنيا فى نجاة آل لوطِهم
بجمعهم يا أولى الأحلام والرتب
مستثنيا ثانيا فى قوله امرأة
مقررا أنها فى غابر الحقب
ما حكم الأول والثانى وذكرهما
فى آية نسقا يفضى إلى السبب
ما الشأن فيه أَبِن لا زلت ترشدنا
فى المشكلات وما تبديه من عجب
أنالك جنات النعيم إذا
هال الحساب وظل الناس فى كرب
ثم الصلاة على المختار من مضر
حامى البرية ماحى الشرك والريب
وآله الغر والأصحاب ما طلعت
شمس الضحى وحدا حاد على قتب

الجواب:

حمدًا لمن أنزل القرآن بالعربى
مفصل القول محضًا غير ذى أشب
ثم الصلاة على المختار سيدنا
محمد خير أهل العجم والعرب
إذا تكرر مستثنى نظرت إلى
معناه يوصلك المعنى إلى الأرب
فحيث أمكن فى كل لسابقه
فاجعله منه بلا ريب ولا نصب
وهذه الآية الغراء منه فخذ
فصل الخطاب وكن فى الحرب ذا أهب
فأول مخرج من مجرمين عدوا
لآل لوط فلا جرم لآل نبى
والثانى ينفى من الإنجاء مرأته
هذا الجواب عن الأشياخ والكتب
وابن السيوطى يرجو عفو خالقه
وأن يكون بخير الخلق ذا سبب

الأشب فى آخر البيت العاشر: العيب (الحاوى للفتاوى ١/ ٣١٢، ٣١٣).

(سعادة الدارين ـ محمد بن على بن خلف الحسينى الشهير بالحداد

/ ٣٣، وبصائر ذوى التمييز للإمام الفيروزابادى - تحقيق الأستاذ محمد على النجار ١/ ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٧، وتناسق الدرر فى تناسب السور للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى - دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا / ٩٦، ٩٧، والتعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام فى القرآن الكريم للإمام السهيلى - تحقيق الأستاذ عبدأ. مهنا / ٨٨-٩٢ وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص، وأسرار التكرار فى القرآن أو البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لتاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى - دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا / ١١٨ - ١٢٠، وأسباب النزول للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى - تحقيق وتعليق الأستاذ قرنى أبى عميرة / ١٥٩، ١٦٠ وأسباب النزول للواحدى / ١٨٦، ١٨٧، ومفحمات الأقران فى مبهمات القرآن - ضبطه وعلق عليه د. مصطفى ديب البُغا / ٦٢، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ١/ ١٤٣، ومعانى القرآن لأبى زكريا بن زياد الفراء - إعداد ودراسة د. إبراهيم الدسوقى عبد العزيز، إشراف ومراجعة د. عبد الصبور شاهين. سلسلة تقريب التراث (٥)، مركز الأهرام للترجمة والنشر. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٩م / ١٩٤، ومسائل الرازى وأجوبتها من غرائب آى التنزيل لزين الدين الرازى - تحقيق إبراهيم عطوة عوض. ط. مصطفى البابى الحلبى / ١٦٧ - ١٦٩، والأنموذج الجليل من غرائب آى التنزيل - تحقيق إبراهيم عطوة عوض ونخبة من علماء مجلة الأزهر. هدية مجلة الأزهر. جمادى الأولى ١٤١٠هـ / ٣/ ٢٣٣-٢٣٦. ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب - الشيخ محمد الأمين الجكنى الشنقيطى / ١٧١، ونواسخ القرآن للإمام الحافظ ابن الجوزى / ١٨٤، ١٨٥، والتبيان فى أقسام القرآن لابن قيم الجوزية - صححه وعلق عليه فضيلة الشيخ طه يوسف شاهين / ٢٧٢، ٢٧٣، وجواهر القرآن ودرره للإمام حجة الإسلام أبى حامد الغزالى / ٨٥، ١٤٤، والمقنع فى رسم مصاحف الأمصار للإمام أبى عمرو الدانى - تحقيق محمد الصادق قمحاوى / ٣٩، ٤١، ٥٢، ٩٠، ٩٨، وموجز كتاب التقريب فى رسم المصحف العثمانى ليوسف محمود الخوارزمى - تحقيق عبد الرحمن آلوجى / ٥١، والمكتفى فى الوقف والابتدا لأبى عمرو الدانى - دراسة وتحقيق جايد زيدان مخلف / ٢٢٧، ٢٢٨، وكتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد - تحقيق د. شوقى ضيف / ٣٦٦-٣٦٨، والجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف لابن وثيق الأندلسى - تحقيق د. غانم قدورى حمد / ١٠٣، ومتن حرز الأمانى ووجه التهانى المعروف بالشاطبية للإمام الشاطبى / ١٤١ ومعه تقريب النفع فى القراءات السبع المطبوع بهامشه - الشيخ على محمد الضباع / ١٤١، والإيضاح لمتن الدرة فى القراءات الثلاث المتممة للعشر للإمام ابن الجزرى - عبد الفتاح القاضى / ٩٥، ألفية التفسير - حسين على دجلى / ٣٦، والحاوى للفتاوى للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ١/ ٣١٢، ٣١٣. انظر أيضًا المبسوط فى القراءات العشر للإمام أبى بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهانى - تحقيق سبيع حمزة حاكمى، والمحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبى الفتح عثمان بن جنى - بتحقيق على النجدى ناصف، ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبى ٢/ ٣٨٣، ومختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه / ٧٠-٧٢، والقراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب - عبد الفتاح القاضى - ٥٨، ٥٩، والتيسير فى القراءات السبع للإمام أبى عمرو الدانى / ١٣٥، وإبراز المعانى من حرز الأمانى فى القراءات السبع للإمام الشاطبى - الإمام أبو شامة - تحقيق وتقديم وضبط إبراهيم عطوة عوض / ٥٥٥، ٥٥٦، وسراج القارىء المبتدى وتذكار المقرئ المنتهى للإمام ابن القاصح العذرى / ٢٦٧-٢٦٩).

ملاحظة: الصور المصاحبة لهذه المادة أخذت من المصادر الآتية:

١ - موسوعة الخطوط العربية وزخارفها - معروف زريق / ١٣١.

٢ - الموسوعة الجامعة للخط العربى - كتبها محمد حداد / ٤١، ٤٨، ٤٣.

*** ابن حجر العسقلانى (٧٧٣-٨٥٢هـ / ١٣٧٢-١٤٤٩م):**

قال عنه الإمام السيوطى: ابن حجر العسقلانى، الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد ابن على بن محمود بن أحمد بن حجر بن أحمد الكنانى العسقلانى الأصل، ثم المصرى، الشافعى، قاضى القضاة شيخ الإسلام، شهاب الدين، أبو الفضل ابن نور الدين، ابن قطب الدين، ابن ناصر الدين، ابن جلال الدين. فريد زمانه، وحامل لواء السُّنَّة فى أوانه، ذهبى هذا العصر ونضاره، وجوهره الذى ثبت به على كثير من الإعصار فخاره، إمام هذا الفن للمقتدين، مقدّم عساكر المحدّثين، وعمدة الوجود فى التوهية والتصحيح، وأعظم الشهود والحكام فى بابى التعديل والتجريح (انظر مادة « الجرح والتعديل (- علم) » فى م ١٢/ ١٠٩-١١٦).

شهد له بالانفراد خصوصا فى شرح البخارى كلُّ مسلم، وقضى له كلُّ حاكم بأنه المعلّم. له الحفظ الواسع الذى إذا وصفته فحدِّث عن البحر ابن البحر ولا حرج. والنقد الذى

ضاهى بـه ابن معين فلا يمشى عليه بهرجٌ هـرُج، والتصانيف التى ما شبّهتها إلا بالكنوز والمطالب. فمن ثم قُيّض لها موانع تحول بينها وبين كل طالب. جمَّل الله بـه هذا الزمان الأخير، وأحيا به وبشيخه سُنّة الإملاء بعد انقطاعه من دهر كثير. (نظم العقيان / ٤٥).

وجاء فى الخطط التوفيقية ما يلى:

قال أبـو المحاسن: إن ابن حجر العسقلانى هـو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد المعروف بابن حجـر الكنانى العسقلانـى المصرى الشافعى من مـدينة عسقلان، ولـد بمصر العتيقة ومـات بها، وكان مـولده لاثنين وعشـرين من شهر شعبـان سنـة ثلاث وسبعين وسبعمـائة من الهجرة. قال: وعائلته من آخر بلاد الجريد فى أرض قابس، ولما مات أبوه ربَّاه وصيه فحفظ القرآن، وفى سنة أربع وثمانين حج وعمره إحدى عشرة سنـة، واشتغل بالتجارة أوّلاً وألف إذ ذاك الشعر، ثم اشتغل بالحديث ودرس على عدة من الأفاضل فى مصر وغيرهـا وسافر كثيرًا فأخـذ الحديث بمصر عن شيخ الإسـلام سراج الـدين عمـر البلقينى وغيـره، وأخذ الفقـه عن الحافظ العراقى وغيره، وتلقى عن الشيخ برهان الدين إبراهيم القنبـرى ونـور الـدين الهيثمى والشيخ تقى الـدين محمـد بن محمد الديوى، وتلقى دروسًا عن المفتى صدر الدين سليمان ابن عبد النـاصر بمدينة سريـاقوس، وسافر إلـى الصعيد سنة ثـلاث وتسعين وسبعمائة فـأقام بقـوص وغيـرها من المـدن، واجتمع بعدة أفاضل كالشيخ ناصر الدين قاضى هو وابن فراج قاضى قوص، وفى سنة ثمـان وتسعين تزوج ببنت كريم الدين ابن عبد العزيز ناظر الجيش، وسافر إلى غزة وأخذ عن الشيخ أحمد بن محمد الخليلى، ثم سافر إلى مدينة الرملة وأخذ عن الشيخ أحمد بن محمد العابقى، ثـم إلى مدينة الخليل وأخذ عن الشيخ صـالح بن خليل بن سـالم، ثم إلى القدس وأخـذ عن المفتى شمس الدين محمد بن إسماعيل القلقشندى وعن بدر الدين حسن بن مـوسى وعن محمد بن محمد المنيحى، وفى سنـة تسع وتسعين سـافـر إلى اليمن من طـريق الطـور، واجتمع عند قـرية زبيد بحسين بن على الفـارقى وزير الملك الأشـرف، الذى تـولى الـوزارة سنة سبـع وثمانين وسبعمـائة، وعزل بعـدها بأربع سنين ومـات سنة إحدى وثمـانمائة، وفى سنة ثمانمائة من الهجرة سافر إلى الحج، وبعد سنة رجع إلى مصر وأقـام بالقاهـرة قليلاً، ثم سافـر إلى القدس ليتلقى عن أحمد بن خليل بن كيكلدى، فلما وصل إلى الـرملة بلغه خبر موته فعدل عن القدس إلى دمشق وأقام بها زمنًا وأخذ فيها عن بدر الدين محمـد بن محمد البالسى وعن فـاطمة بنت محمد التنوخى، وفى تلك المـدة اجتمع بصاحب القامـوس محمد الفيروزابادى، ثم رجع إلى القاهـرة وأقام قليلاً وسافر إلى ينبع ومنها إلى منى، وتلقى فيها على زين الدين أبى بكر بن حسين ثم جاور بمكة، ثم سافر إلى اليمن وعدن وزبيد.

وفى سنة ست وثمانمائة رجع إلى مصر واشتغل بالحديث وساعـد فى تقليد تقى الـدين محمد الفـاسى صاحب تـاريخ مكة المشـرفة بقضاء الحنفية فى هـذه المدينة، ومن اشتغـاله بالعلوم على الدوام صار حافظ أهل زمانه، وله وقوف تام على معرفة الـرجال، وكان هو المعوَّل عليـه فى تلقى الحديث عنه فأخـذ عنه الكثيـر من صغير وكبيـر، وكان يـدرس فى خانقـاه بيبـرس مدة عشـرين سنة وتعين نـائبًا لقـاضى القضاة جمـال الدين عبد الرحمن البلقينى عوضًا عن ولى الدين العراقى، ثم تقلَّـد القضـاء ثم عزل، وخلفـه الشيخ شمس الـدين محمـد القاياتى وحضر تولية الملك المؤيد شيخ السلطنة سنة خمس عشرة وثمانمائة، وكان إذ ذاك مفتى دار العدل وهو الذى لقب الملك بأبى النصر، ثم ترك الفتـوى وتعين شيخ خانقاه بيبرس الجاشنكير.

وفى سنة عشرين زاره القاضى تاج الدين البغدادى، وكان قد قدم من بغداد إلى مصر.

وفى سنة ثـلاث وعشرين أغار قرا يـوسف على أذربيجان بلاد ابن عمر، فسيـر إليه السلطان قراليك فظفـر به وقتله وأتى برأسـه إلى السلطان، فجمع السلطان العلمـاء واستفتاهـم فى شأن قرا يوسف المقتول، فأفتوه بكفـره إلا المترجم فإنه توقف فى الفتوى، فسألـه الملك عن توقفـه فأجاب عن سبب ذلك أنه قدم المفتين عليه فعقد له مجلسًا ثانيًا وقدمه عليهم فأفتى بما أفتوا به.

وفى سنة أربع وعشرين سافر إلى الحج.

وفى سنـة سبع وعشـرين عينـه الملك الأشـرف بـرسبـاى قاضى قضـاة مصر جميعها عـوضًا عن البلقينى، وعـزل عنها

بعد عشرة أشهر، وخلفه شمس الدين محمد الهراوى، ثم فى سنة ثمان وعشرين رجع إلى وظيفته.

وفى سنة إحدى وثلاثين طُلِبَ للفتوى فى أمر مهمّ وذلك: أن اليهود فى سنة ثلاث وعشرين بنوا دربًا جديدًا بقرب بيعتهم، وسوروه بسور حصين وكان بداخله بيوت للمسلمين، فحكم المترجم على اليهود بعدم استحقاقهم ذلك السور، وحكم بهدمه فهدم، ثم عزل من وظيفة القضاء وخلفه علم الدين صالح البلقينى وبعد سنة رجع إليه واستمر فيها إلى سنة أربعين، ثم عزل وخلفه علم الدين صالح المذكور، ثم عزل ورجع إليه سنة إحدى وأربعين وفى هذه السنة توسط عند السلطان وخلّص القاضى بهاء الدين بن عز الدين عبد العزيز بن البلقينى من تهمته، بأنه أفحش فى جارية بعد ضربه وإشهاره.

وفى سنة سبع وأربعين اشتغل بتأليف تاريخه، ثم عزل فى سنة ثمانٍ لكن رضى عنه وخلع عليه خلعة الرضا، وفى هذه السنة أُصيب بالطّاعون، ثم عزل فى سنة تسع وخلفه الشيخ شمس الدين القاياتى، ثم مات القاياتى فى تلك السنة فعاد المترجَم إلى الوظيفة ولم يمكث فيها إلا قليلاً وعزل وخلفه علم الدين صالح البلقينى، ومن حينئذٍ انقطع للتأليف حتى مات بعد أن مرض شهورًا، وذلك يوم السبت لثمانى وعشرين من شهر ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة، وصلى عليه فى مصلى بكتمر المؤمنى بالرميلة ودفن بالقرافة، وحضر جنازته السلطان الملك جقمق والخليفة المستكفى بالله سليمان والقضاة والعلماء والأمراء وكثير من العوام يبلغ عددهم نحو خمسين ألفًا ورثاه كثير من العلماء وغيرهم. اهـ.

(الخطط التوفيقية ٦/ ١٠٣-١٠٥).

وجاء فى «المحدثون فى مصر والأزهر»:

هو الإمام «أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن أحمد العسقلانى الأصل، المصرى المولد والمنشأ، نزيل القاهرة، ولد بمصر فى شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، ومات أبوه فى رجب سنة سبع وسبعين وسبعمائة، وماتت أمه قبل ذلك وهو طفل فنشأ يتيمًا، ولم يدخل الكتاب حتى أكمل خمس سنين فأكمل حفظ القرآن وله تسع سنين، ثم لم يتهيأ له أن يصلى بالناس التراويح إلا فى سنة خمس وثمانين وسبعمائة، وقد أكمل ثنتى عشرة سنة، وكان وصيه الرئيس الشهير أبو بكر نور الدين على الخروبى كبير التجار بمصر قد جاور فى تلك السنة واستصحبه معه، إذ لم يكن له من يكفله ويسمع فى تلك السنة صحيح البخاري على مسند الحجاز عفيف الدين عبد الله النشاوى خاتمة أصحاب إمام المقام رضى الدين الطبرى. ولم يضبط سماعه لكنه يتحقق أنه لم يسمع الجميع، بل له فيه إجازة شاملة لمروياته، وكان سماعه بقراءة الشيخ شمس الدين محمد بن عمر السلاوى الدمشقى تحت سكن الخروبى فى البيت الذى بباب الصفا على يمنة الخارج إلى الصفا ويعرف ببيت عيناء، وهى الشريفة بنت الشريف عجلان، وبالبيت المذكور شباك يطل على المسجد الحرام ويشاهد من يجلس فيه الكعبة والركن الأسود، فكان المستمع والقارئ يجلسان عند الشباك دون مصطبة تحت الشباك المذكور. وكان يجلس فيها مؤدب صاحب الترجمة ومن يدرس معه فكان المؤدب يأمرهم عند قراءة القارئ بالإنصات إلى أن يفرغ حتى ختم الكتاب، لكن صاحب الترجمة ربما خرج لقضاء حاجة ولم يكن هناك ضابط للأسماء، والاعتماد فى ذلك كان على الشيخ نجم الدين الرجانى، فإنه أعلمنى بعد دهر طويل بصورة الحال فاعتمدت عليه وثوقًا به.

وحفظ بعد ذلك كتبًا من مختصرات العلوم، ولازم أحد أوصيائه أيضًا، وهو الشيخ شمس الدين محمد بن على بن محمد بن عيسى بن أبى بكر بن القطان المصرى، فحضر دروسه.

ثم حبب إليه النظر فى التواريخ، وهو بعد فى المكتب فعلق بذهنه شىء كثير من أحوال الرواة.

وفى غضون ذلك سمع من نجم الدين بن رزين وصلاح الدين الزفتاوى وزين الدين بن الشحنة ونظر فى فنون الأدب من سنة اثنتين وتسعين فقال الشعر ونظم مدائح نبوية ومقاطيع.

ثم اجتمع بحافظ العصر زين الدين العراقى وذلك فى شهر رمضان سنة ست وتسعين. فلازمه عشرة أعوام. وحبب

إليه فن الحديث فما انسلخت تلك السنة حتى خرج لشيخه مسند القاهرة أبى إسحاق التنوخى المائة العشارية.

وكان أول من قرأها فى جمع حافل الحافظ أبو زرعة ابن الحافظ العراقى.

ثم رحل إلى الإسكندرية فسمع من مسنديها إذ ذاك ثم حج ودخل اليمن فسمع بمكة والمدينة وينبع وزبيد وتعز وعدن وغيرها من البلاد والقرى.

ولقى باليمن إمام اللغة غير مدافع مجد الدين بن الشيرازى، فتناول منه بعض تصنيفه المشهور المسمى «القاموس فى اللغة» ولقى جمعًا من فضلاء تلك البلاد ثم رجع إلى القاهرة، ثم رحل إلى الشام فسمع بقطية وغزة والرملة والقدس ودمشق والصالحية وغيرها من القرى والبلاد.

وكانت إقامته بدمشق مائة يوم ومسموعه فى تلك المدة نحو ألف جزء حديثية: منها من الكتب الكبار المعجم الأوسط للطبرانى، ومعرفة الصحابة لأبى عبد الله بن منده وأكثر مسند أبى يعلى وغير ذلك. ثم رجع وأكمل كتابه «تعليق التعليق» فى حياة كبار مشايخه فكتبوا عليه ولازم الشيخ سراج الدين البلقينى إلى أن أذن له، وأذن له بعد إذنه شيخه الحافظ زين الدين العراقى.

ثم أخذ فى التصنيف وأملى الأربعين المتباينة بالشيخونية من سنة ثمان وثمانمائة ثم أملى من عشاريات الصحابة نحو مائة مجلس عدة سنين، ثم ولى درس الحديث بالمدرسة الجمالية الجديدة فأملى فيها، ثم قطعه لما تركها فى سنة أربع عشرة وثمانمائة، وتشاغل بالتصنيف ثم ولى مشيخة البيبرسية، ثم تدريس الشافعية بالمدرسة المؤيدية الجديدة.

ثم ولى القضاء فى السابعة والعشرين من المحرم سنة سبع وعشرين وثمانمائة، فباشر القضاء بالديار المصرية مدة كبيرة.

ابن حجر المحدث وخطيب الأزهر:

تولى ابن حجر الخطابة فى عدة مساجد من أكبر المساجد بالقاهرة مثل الجامع الأزهر وجامع عمرو وغيرهما من المساجد الكبرى بالقاهرة فقد كان متبحرًا فى العديد من العلوم وكان يفد إليه طلاب العلم وأهل الفضل من سائر الأنحاء، وكان يتسم بالحلم والتواضع والصبر كثير الصيام والقيام.

وكان مرجعًا فى الحديث النبوى، حتى لقب بلقب «أمير المؤمنين» فى الحديث وهذا اللقب لا يظفر به إلا أكبر المحدثين الأفذاذ وقد حبب إلى ابن حجر الحديث وأقبل عليه بكليته وطلبه من سنة ثلاث وتسعين ولكنه لم يلزم الطلب إلا من سنة ست وتسعين فعكف على الزين العراقى وتخرج به وانتفع بملازمته. وتحول إلى القاهرة فسكنها قبيل القرن وارتحل إلى البلاد الشامية والمصرية والحجازية وأخذ عن الشيوخ والأقران وأذن له جل هؤلاء فى الإفتاء والتدريس.

وتصدر لنشر الحديث وقصر نفسه عليه مطالعة وقراءة وإقراء وتصنيفًا وإفتاء وزادت تصانيفه التى معظمها فى فنون الحديث وفيها من فنون الأدب والفقه - على مائة وخمسين تصنيفًا وقد عرف ابن حجر بالحفظ وكثرة الاطلاع والسماع وبرع فى الحديث وتقدم فى جميع فنونه وأثنى عليه شيوخه فى هذا الشأن وقد سبق أنه ولى تدريس الفقه بالمدرسة الشيخونية وتدريس الحديث بالمدرسة الجمالية الجديدة ثم تدريس الشافعية بالمؤيدة الجديدة ومشيخة البيبرسية فى دولة المؤيد وتدريس الفقه بالمدرسة الصلاحية المجاورة للإمام الشافعى. كما تولى الخطابة بالجامع الأزهر وبين التدريس والإفتاء ولى منصب القضاء. وكانت أول ولايته القضاء فى السابع والعشرين من المحرم سنة سبع وعشرين وثمانمائة بعد أن امتنع أولاً لأنه كان لا يؤثر على الاشتغال بالتأليف والتصنيف شيئًا غير أن ابن حجر كما يقول السخاوى قد ندم على قبوله وظيفة القضاء ويقول ابن حجر إن من آفة التلبس بالقضاء أن بعضهم ارتحل إلى لقائى وأنه بلغه تلبسى بوظيفة القضاء فرجع وعزل عن القضاء وأعيد إليه مرات وكان آخر ولايته القضاء إذ عزل نفسه فى الخامس والعشرين من جمادى الآخر سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة.

تقدير العلماء وثناؤهم عليه:

عرف ابن حجر بالحفظ وكثرة الاطلاع والسماع وبرع فى الحديث وتقدم فى جميع فنونه ووصل إلى مرتبة الذهبى وأثنى عليه شيوخه فى هذا الشأن. فقد شهد له أستاذه الحافظ العراقى بأنه أعلم أصحابه بالحديث وقد سئل العراقى أيضًا: من تخلف بعدك؟ قال: ابن حجر ثم أبو زرعة ثم الهيثمى ويقول فيه الحافظ تقى الدين محمد بن محمد بن فهد:

وكان فى حال طلبه مفيدًا فى زى مستفيد إلى أن انفرد بين علماء زمانه بمعرفة فنون الحديث لا سيما رجاله وما يتعلق بهم فألف التآليف المفيدة المليحة الجليلة السائدة الشاهدة له بكل فضيلة الدالة على غزارة فوائده والمعربة عن حسن مقاصده جمع فيها فأوعى وفاق أقرانه جنسًا ونوعًا التى تشنفت بسماعها الأسماع وانعقد على كمالها لسان الإجماع.

ويقول فى موضع آخر من ترجمته « وهو إمام علامة حافظ محقق متين الديانة حسن الأخلاق لطيف المحاضرة حسن التعبير عديم النظر لم تر العيون مثله ولا رأى هو مثل نفسه » ويقول صاحب المنهل الصافى ...

كان رحمه الله حافظ العصر حافظ المشرق والمغرب أمير المؤمنين فى الحديث انتهت إليه رياسة علم الحديث من أيام شبيبته بلا مدافعة ويقول ابن المناوى الشافعى فى كتابه اليواقيت والدرر: شيخ الإسلام شهاب الدين أبو الفضل ابن حجر فريد زمانه حامل لواء السنة فى أوانه ذهبى عصره نضاره وجوهره مرجع الناس فى التصنيف والتصحيح وأعظم الشهود والحكام فى التعديل والتجريح قضى له كل حاكم بارتقائه فى علم الحديث إلى أعلى الدرج. ويقول السيوطى عنه: شيخ الإسلام وإمام الحفاظ فى زمانه وحافظ الديار المصرية بل حافظ الدنيا مطلقًا قاضى القضاة ... ثم يقول فى ختام ترجمته.

وإن يكن فاتنى حضور مجالسه والفوز بسماع كلامه والأخذ عنه فقد انتفعت فى الفن بتصانيفه واستفدت منها الكثير وقد علق بعده الباب وختم به فى هذا الشأن.

صفاته:

كان ذا وقار ومهابة مع ما احتوى عليه من العقل والحلم والسكون والسياسة والدراية بالأحكام ومداراة الناس قلَّ أن يخاطب الشخص بما يكره بل كان يحسن لمن يسىء إليه ويتجاوز عمن قدر عليه.

وكان جيد الذكاء عظيم الحذق عن ناظره أو حاضره راوية للشعر وأيام من تقدمه ومن عاصره فصيح اللسان شجى الصوت هذا مع كثرة الصوم ولزوم العبادة واقتفاء طرق من تقدمه من الصلحاء والسادة (المحدثون فى مصر والأزهر / ٢٤٥- ٢٤٨).

شيوخه:

فيما يلى سرد بأسامى من ترجمهم ابن حجر فى ذيل الدرر الكامنة من شيوخه ومن قرأ عليهم وأخذ عنهم وسمع منهم:

	الترجمة
إبراهيم الغزى ، ابن زُقاعة:	٤١٤
إبراهيم الأبناسى:	٠٥٧
أحمد الحسينى:	٥٦٦
أحمد الردّاد المكى:	٥٠٠
أحمد السويداوى القدسى:	١٤٤
أحمد العراقى، أبو زرعة:	٥٨٣
أحمد البوصيرى:	١٦٨
أحمد الشرجى الزبيدى:	٣٣٢
أحمد الغضائرى، ابن سكر:	١٩٦
أحمد البغدادى، الجوهرى:	٢٧٣
أحمد المقيرى العامرى الأزرقى:	٠٠٥
أحمد بن كُنْد غدى:	٢٢٦
أحمد البلبيسى:	٠٠٦
أبو بكر العثمانى المراغى:	٤١٥
أبو بكر العدنى، ابن المتأذن:	٤١٢
جار الله الشيبانى المكى:	٤٠٠
خليل الشاهد المصرى:	١٥٢
خليل الأقفهسى:	٥٠١
سليمان العلوى التعزى:	٥٦٥
سليمان الأبشيطى:	٣١٩
شمس بن عطاء الهروى:	٦٠٣
عبد الرحمن الدهقلى:	٤٣١
عبد الرحمن الرشيدى:	١١٢
عبد الرحمن بن خلدون:	٢٥٨
عبد الرحيم العراقى الزين:	٢٠٤
عبد العزيز الطيبى الشروطى:	١١٥
عبد الكريم ناظر الجيوش:	٢٣٣
عبد الكريم بن منير الحلبى:	٢٨٤
عبد الله الحلاوى:	٢٢٩
عبد الله الرشيدى:	٢٣٠
عثمان البرماوى:	٤١٩
على الأدمى:	٣٥٢
على النور الهيثمى:	٢٣٨
على اليمانى الخزرجى:	٣٣٤
على البدماصى:	٠٧٤

	الترجمة
على الفرنجى :	٣٥٨
على الفهرى البسطى :	٤٥٠
عمر بن رسلان البلقينى :	١٨١
عمر بن الملقن :	١٦١
عمر الطرابلسى الشاعر :	٣٥٩
غانم المدنى، الخشبى :	٤٦٣
فضل الله بن مكانس :	٥١٥
قنبر العجمى :	٠٣٢
محمد البشتكى :	٦٠٨
محمد الطبرى المكى :	٢٨٩
محمد العجلونى :	٠٣٤
محمد التونسى، الوانوغى :	٤٦٦
محمد القلقشندى :	٢٩٢
محمد الجعبرى القبانى :	٢٦٥
محمد العز بن جماعة :	٤٥١
محمد الفرسيسى :	٢١١
محمد بن حيان الغرناطى :	٢١٣
محمد البرشنسى :	٢٦٣
محمد بن الفرات :	٢٤٢
محمد أبو حامد، المكى :	٤٣٥
محمد بن على القطان :	٣٦٦
محمد بن سُكر :	٣٨
محمد : الكيلانى :	٥٠٦
محمد السحولى اليمانى :	٢٤٣
محمد المقدشى :	٠٨٦
محمد، السعد، الصوفى :	٢١٨
محمد، الدُّجوى :	٢٩٤
محمد النستراوى :	٠٨٧
محمد الربعى بن الكويك :	٥٠٩
محمد بن رزين الحموى :	١٩٠
محمد الغمارى :	٠٨٨
محمد، الفخر القاياتى :	٢٦٤
محمد الزركشى :	٣٦٧
محمد الورغمى التونسى :	١٣٤
محمد المجد الفيروزابادى :	٤٣٧
مريم بنت الأذرعى :	١٩٣
موسى الشطنوفى :	٤٤٧
موسى المناوى :	٤٩٠
يوسف الماردينى :	٤٦٨

تلاميذه :

أخذ الناس عن ابن حجر طبقة بعد أخرى وقرأ عليه غالب فقهاء مصر، بل شَدَّ الناس إليه الرحال من الأقطار، ولذلك لن نكون مبالغين إذا قلنا إن رؤساء العلماء من كل مذهب فى كل قطر هم من تلاميذه.

ولقد سرد السخاوى فى الجواهر والدرر أسماء جماعة من الذين أخذوا عن ابن حجر، وأوصل عددهم إلى خمسمائة شخص.

ومن أبرز تلاميذه: إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعىّ الرباط، وزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصارى السنيكى، وإسماعيل بن محمد بن أبى بكر بن المقرئ اليمنىّ، وابن تغرى بردى، وابن فهد المكىّ، وابن قاضى شهبة الدمشقىّ، ومحمد بن سليمان الكافيجىّ الحنفىّ، والسخاوىّ، وأبو المحاسن الكركى (فتح البارى ١/ ٣١).

مؤلفاته :

قال الشَّمس السخاوى تلميذُ الحافظ ابن حجر فى الصفحة الثامنة والثلاثين من الجزء الثانى من الضوء اللامع حيث ترجم لشيخه :

« وزادت تصانيفُه التى معظمها فى فُنون الحديث وفيها من فُنون الأدب والفقه والأصلين وغير ذلك على مائة وخمسين تصنيفًا رزق فيها من السعد والقبول خصوصًا (فتح البارى بشرح البخارى) الذى لم يسبق نظيره أمرًا عجبًا ».

وفيما يلى بيان بها مرتب على الحروف :

١ - الآيات النيرات للخوارق المعجزات.

٢ - اتباع الأثر فى رحلة ابن حجر.

٣ - إتحاف المهرة بأطراف العشرة.

٤ - الإتقان فى فضائل القرآن.

٥ - الأجوبة المشرقة على الأسئلة المفرقة.

٦ - الإحكام لبيان ما فى القرآن من الإبهام.

٧ - أربعون حديثًا متباينة الأسانيد بشرط السماع.

٨ - أسباب النزول.

٩ - الأسئلة الفائقة بالأجوبة اللائقة .

١٠ - الاستبصار على الطاعن المعثار.

١١ - الاستدراك على الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء .

١٢ - الاستدراك على الكاف الشاف .

١٣ - الإصابة فى تمييز الصحابة . قالت المؤلفة : النسخة التى عندى طبع دار الكتب العلمية ، بيروت . وهى بدون تاريخ وغير محققة ، وتقع فى أربعة مجلدات بها ثمانية أجزاء والجزء التاسع فهارس .

١٤ - أطراف المختارة .

١٥ - أطراف الصحيحين .

١٦ - إطراف المسند المعتلى بأطراف المسند الحنبلى .

١٧ - الإعجاب ببيان الأسباب .

١٨ - الإعلام بمن ذكر فى البخارى من الأعلام .

١٩ - الإعلام بمن ولى مصر فى الإسلام .

٢٠ - الإفصاح بتكميل النكت على ابن الصلاح .

٢١ - الأفنان فى رواية القرآن .

٢٢ - إقامة الدلائل على معرفة الأوائل .

٢٣ - الألقاب .

٢٤ - أمالى ابن حجر.

٢٥ - الإمتاع بالأربعين المتباينة بشرط السماع .

٢٦ - الإنارة فى الزيارة .

٢٧ - إنباء الغُمر بأنباء العمر. قالت المؤلفة : النسخة التى عندى هى الجزء الأول فقط - تحقيق د. حسن حبشى ، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . لجنة إحياء ، التراث الإسلامى . الكتاب السادس عشر. القاهرة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

٢٨ - الانتفاع بترتيب الدارقطنى على الأنواع .

٢٩ - انتقاض الاعتراض .

٣٠ - الأنوار بخصائص المختار.

٣١ - الإيناس بمناقب العباس .

٣٢ - البداية والنهاية .

٣٣ - بذل الماعون بفضل الطاعون .

٣٤ - البسط المبثوث فى خبر البرغوث .

٣٥ - بلوغ المرام بأدلة الأحكام .

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى طبع مصطفى البابى الحلبى . جمادى الأولى ١٣٥١هـ ، وتقع فى ١٩٧ صفحة غير الفهرس .

٣٦ - بيان الفصل بما رجح فيه الإرسال على الوصل .

٣٧ - تبصير المنتبه بتحرير المشتبه .

٣٨ - تبيين العجب بما ورد فى فضل رجب .

٣٩ - تجريد التفسير.

٤٠ - تحرير الميزان .

٤١ - تحفة أهل التحديث عن شيوخ الحديث .

٤٢ - تحفة الظراف بأوهام الأطراف .

٤٣ - تخريج أحاديث الأذكار للنووى .

٤٤ - تخريج أحاديث الأربعين للنووى .

٤٥ - تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب .

٤٦ - تخريج الأربعين النووية بالأسانيد العلية .

٤٧ - التعريج على التدريج .

٤٨ - ترجمة النووى .

٤٩ - تسديد القوس فى مختصر مسند الفردوس .

٥٠ - التشويق إلى وصل المهم من التعليق .

٥١ - تصحيح الروضة .

٥٢ - تعجيل المنفعة برواية رجال الأئمة الأربعة .

٥٣ - التعريف الأوحد بأوهام من جمع رجال المسند .

٥٤ - تعريف أولى التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس .

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى بعنوان : طبقات المدلسين وهو الكتاب المسمى تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس ط . مكتبة الكليات الأزهرية - راجعه طه عبد الرءوف سعد .

٥٥ - تعريف الفئة بمن عاش مئة .

٥٦ - تعقبات على الموضوعات .

٥٧ - تعليق التعليق .

٥٨ - تقريب التقريب.

٥٩ - تقريب التهذيب.

٦٠ - تقريب المنهج بترتيب المدرج.

٦١ - تقويم السناد بمدرج الإسناد.

٦٢ - التمييز فى تخريج أحاديث الوجيز.

٦٣ - تهذيب التهذيب.

٦٤ - تهذيب المدرج.

٦٥ - توالى التأسيس بمعالى ابن إدريس.

٦٦ - توضيح المشتبه للأزدى فى الأنساب.

٦٧ - التوفيق بتعليق التعليق.

٦٨ - الجواب الجليل عن حكم بلد الخليل.

٦٩ - الجواب الشافى عن السؤال الخافى.

٧٠ - الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة.

٧١ - الخصال الواردة بحسن الاتصال.

٧٢ - الدراية فى منتخب تخريج أحاديث الهداية.

٧٣ - الدرر فى نفقة قليلة.

٧٤ - الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة.

٧٥ - ديوان شعر (كذا فى الشذرات ولم يسمّه، وسمى المقريزى ديوانه بالنيّرات السبعة).

٧٦ - ديوان منظوم الدرر.

٧٧ - ذيل الدرر الكامنة. قالت المؤلفة: النسخة التى عندى تحقيق د. عدنان درويش ويأتى بيانها فى ثبت المراجع فى نهاية المادة.

٧٨ - رد المحرم عن المسلم.

٧٩ - الرسالة العزية فى الحساب.

٨٠ - رفع الإصر عن قضاة مصر.

٨١ - الزهر المطلول فى بيان الحديث المعلول.

٨٢ - الزهر النضر فى أنباء الخضر.

٨٣ - السبعة النيرات فى سبعة أسئلة عن السيد الشريف فى مباحث الموضوع.

٨٤ - سلوت ثبت كلوت: التقطها من ثبت أبى الفتح القاهرى.

٨٥ - شرح الأربعين النووية.

٨٦ - شرح سنن الترمذى.

٨٧ - شرح مناسك المنهاج.

٨٨ - شرح منهاج النووى.

٨٩ - شفاء الغلل فى بيان العلل.

٩٠ - الشمس المنيرة فى معرفة الكبيرة.

٩١ - طبقات الحفّاظ.

٩٢ -عرائس الأساس فى مختصر الأساس، للزمخشرى.

٩٣ - عشاريات الأشياخ.

٩٤ - عشرة أحاديث عشارية الإسناد.

٩٥ - عشرة العاشر.

٩٦ - فتح البارى بشرح البخارى.

قالت المؤلفة: تقوم دار الغد العربى حاليا بنشر هذا المصنَّف الجليل - وثَّق نصوصه وحقق أصوله وضبط أحاديثه ووضع فهارسه طه عبد الرءوف سعد، وقد صدر منه حتى اليوم (الأربعاء ١٥ رمضان ١٤١٥هـ/ ١٥ فبراير ١٩٩٥م) اثنا عشر مجلدًا. اهـ.

قال السخاوى تلميذ ابن حجر عن كتاب «فتح البارى» فى معرض كلامه على مصنافته:

«إنها تهادت تصانيفه الملوكُ بسؤال علمائهم لهم فى ذلك حتَّى ورد كتاب من شاه رخ بن تيمور ملك الشرق يستدعى من السلطان الأشرف برسباى هدايا من جملتها «فتح البارى»، فجهز له صاحبُ الترجمة [أى ابن حجر] ثلاث مجلدات من أوائله، ثم أعاد الطلب فى سنة: ٨٣٩ ولم يتفق أن الكتاب قد كمل، فأرسل إليه أيضًا قطعة أخرى. ثم فى زمن الظاهر جقمق جهزت له نسخة كاملة. وكذا وقع لسلطان الغرب أبى فارس عبد العزيز الحفصى فإنه أرسل يستدعيه، فجهز له ما كمُل من الكتاب. وكان يجهّزُ لكتبة الشرح ولجماعة مجلس الإملاء ذهبًا يفرّق عليهم. هذا ومصنِّفه حيٌّ

رحمه الله . ولما كمُل شرح البخارى تصنيفًا وقراءة عمل مصنفه رحمه الله وليمة عظيمة بالمكان الذى بناه المؤيد خارج القاهرة فى يوم السبت ثامن شعبان سنة ٨٤٢ وقرأ المجلس الأخير هنالك . وجلس المصنِّف على الكرسى ، وكان يومًا مشهودًا لم يعهد أهلُ العصر مثله ، بمحضر من العلماء ، والقضاة ، والرؤساء ، والفضلاء ، وقال الشعراء فى ذلك فأكثروا ، وفرق عليهم الذهب ، وكان المستغرق فى الوليمة المذكورة نحو خمسمائة دينار » (نقل ذلك الشوكانى فى البدر ٢/ ٩٠ عن السخاوى) (الضوء اللامع ٢/ ٤١) .

٩٧ - فضائل شهر رجب .

٩٨ - فهرست مروياته .

٩٩ - فوائد الاحتفال فى بيان أحوال الرجال ، لرجال البخارى .

١٠٠ - الفوائد الجمة فيمن يجدد الدين لهذه الأمة .

١٠١ - قذى العين من نظم غريب البين .

١٠٢ - القصارى فى الحديث .

١٠٣ - القول المسدد فى الذبّ عن المسند .

١٠٤ - الكاف الشاف فى تحرير أحاديث الكشاف .

١٠٥ - كشف الستر عن حكم الصلاة بعد الوتر .

١٠٦ - لذة العيش بجمع طرق حديث « الأئمة من قريش» .

١٠٧ - لسان الميزان .

١٠٨ - المجمع المؤسس فى المعجم المفهرس .

١٠٩ - مختصر البداية والنهاية لابن كثير .

١١٠ - مختصر تهذيب الكمال .

١١١ - المرجمة الغيثية عن الترجمة الليثية .

١١٢ - مزيد النفع بما رجح فيه الوقف على الرفع .

١١٣ - المسلسل بالأولية بطرق علية .

١١٤ - المسند المعتلى بأطراف الحنبلى .

١١٥ - المشتبه .

١١٦ - المطالب العالية من رواية المسانيد الثمانية .

١١٧ - المطالب العالية فى زوائد الثمانية .

١١٨ - المقترب فى بيان المضطرب .

١١٩ - المقصد الأحمد فيمن كنيته أبو الفضل واسمه أحمد .

١٢٠ - الممتع فى منسك المتمتع .

١٢١ - المنحة فيما علق به الشافعى القول على الصحة .

١٢٢ - منسك الحج .

١٢٣ - النبأ الأنبه فى بناء الكعبة .

١٢٤ - نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر .

١٢٥ - نزهة الألباب فى الأنساب .

١٢٦ - نزهة القلوب فى معرفة المبدل من المقلوب .

١٢٧ - نزهة النظر بتوضيح نخبة الفكر .

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى بعنوان « نزهة النظر شرح نخبة الفِكَر فى مصطلح أهل الأثر » طبع مكتبة التوعية الإسلامية . بدون تاريخ ورقم الإيداع ١٩٧٥ ، ويقع فى ٧٩ صفحة ، وصفحة فهرس .

١٢٨ - النكت الحديثية على كتاب ابن الصلاح .

١٢٩ - نهاية التقريب وتكميل التهذيب بالتذهيب .

١٣٠ - النيرات السبعة ، ديوان ابن حجر .

١٣١ - هداية الرواة إلى تخريج المصابيح والمشكاة .

١٣٢ - هدى السارى لمقدمة فتح البارى .

(ذيل الدرر الكامنة / ٣٣ـ ٤٠) .

شعره :

يقول الدكتور عدنان درويش فى مقدمة تحقيقه كتاب : «ذيل الدرر الكامنة » (ص٢٣ ، ٢٥) وله شعر أعذب من الماء الزلال ، وأعجب من السحر إلا أنه حلال ، وقد اختار منه مجلدة سمّاها «النيرات السبعة » جعله سبعة أنواع ، فافتتحه بالنبوّات ، ثم بالملوكيات ، ثم بالقاضويات ، ثم بالغَزليّات ، ثم بالأغراض المختلفة ، ثم بالموشحات ، ثم بالمقاطيع ، وقال فى أوله :

يـا سيِّـدًا طـالعـه إن
راق بمعنـاه تَعُـقّـد

وافتح لـه بـاب الـرضى
وإن تجـد عيبـا فسُـدْ

ثم يورد أبياتا أخرى ننتقى منها ما يلى :

قوله مما يُقرأ على قافيتين (ص ٢٣) :

دَعِ الـذمَّ للـدنيـا فكم من مـوفَّقٍ
يقـول وقـد لاقى نعيمًـا بجَنَّـةِ
حيـاتى لـو مُـدَّتْ لـزادت سعـادتى
فياليت أيـامى أُطيلت ومُدَّت ومُـدَّتى

وقوله مما يقرأ على وزنين (ص ٢٥) :

قـامـةُ ذا الشيخ مـا حَنَـاهـا
إلا لمعنـى أراه أَلْيَـقْ
كـأنـه فكَّـر المعَنَّى
فى سـوء أفعـالـه فـأطـرقْ

كما أورد ابن القاضى صاحب « درة الحجـال » أبياتا منها قوله رحمه الله :

قـرب الـرحيل إلى ديـار الآخـرةْ
فـاجعل إلهى خيـر عُمـرى آخـرهْ
آنس مبيتى فى القبـور ووحـدتى
وارحم عظـامى حين تبقى نـاخـرةْ
فلئن رحمـت فـأنت أكـرم راحـمٍ
فبحـار جـودك يـا إلهى زاخـرةْ
فأنـا المفـرِّطُ والـذى أيـامـهُ
ولت بأوزار غـدتْ متكـاثـرةْ
والطُفْ بـه فى حـالـه ومـآلـهِ
يـا مـالـك الـدنيـا وربَّ الآخـرةْ

(ذيل وفيات الأعيان ١/ ٦٥).

وأورد له تلميذه الشمس السخاوى قوله رحمه الله :

خليلى ولَّى العمـر منَّـا ولم نتُبْ
وننـوى فعـال الصـالحـات ولكنَّـا
فحتَّى متـى نبنى بيـوتًـا مشيـدةً
وأعمـارنـا منـا تُهَـدُّ ومـا تُبْنَى

وقوله :

لقـد آن أن نتَّقى خـالقَـا
إليـه المـآب ومنـه النشـور
فنحن لصـرف الـردى مـا لنـا
جميعـا من المـوت واقٍ نصيـر

وفاته :

وفى وفاته يقول تلميذه الشمس السخاوى :

« ولم يـزل على جلالتـه وعظمته فى النفـوس، ومداومتـه على أنـواع الخيرات إلى أن تـوفى فى أواخـر ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين [وثمانمـائة] وكان له مشهد لم يـر من حضره من الشيـوخ فضـلاً عمن دونـه مثلـه، وشهـد أمير المـؤمنين والسلطان فمن دونهمـا الصلاة عليه، وقدَّم السلطـان الخليفة للصلاة، ودفن تجـاه تربـة الديلمى بالقـرافة . وتـزاحم الأمراءُ والأكـابـر على حمل نعشـه، ومشى إلى تـربتـه من لم يمش نصف مسافتها قط، ولم يخلفْ بعدهُ فى مجموعه مثلُه، ورثاه غير واحد بمـا مقامُه أجلُّ منه رحمه الله وإيـانا » اهـ. (الضوء اللامع ٢/ ٤٠).

وقال على مبـارك : مات بعد أن مرض شهـورا، وذلك يوم السبت لثمـان وعشـرين من شهـر ذى الحجـة سنـة اثنتين وخمسين وثمانمـائة، وصُلِّى عليه فى مصلَّى بكتمـر المؤمنى بـالرميلـة، ودُفن بالقـرافـة، وحضر جنـازته السلطـان الملك جقمق، والخليفة المستكفى بـالله سليمان والقضـاة والعلماء والأمراء وكثير من العوام يبلغ عددهم نحو خمسين ألفًا، ورثاه كثير مـن العلماء (الخطط التوفيقية ٦/ ١٠٥) وقيل أيضًا إنه دفن بصدر تربة زكى الخروبى أحد أوصيائه بالقرب من الإمام الليث ابن سعد المتوفى سنة ١٧٥ هـ (المخطوطات العربية / ٩٤).

وقال السيـوطى : أملى أكثر من ألف مجلس، وتـوفى فى ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة، وخُتم به الفن .

حـدثنى الشهـاب المنصورى شـاعـر العصـر أنه حضـر جنازتـه، فأمطرت السمـاء على نعشه وقـد قرب إلى المصلى ولم يكن زمان مطر. قال : فأنشدتُ فى ذلك الوقت :

قَـد بكـتِ السُّحـبُ علـى
قـاضـى القُضـاة بـالمطَـرْ

وانهــدم الــركن الــذى
كــانَ مَشيــدًا مـن حَجَـر

ورثاه شهاب الدين الحجازى بقصيدة نحو خمسين بيتًا أولها :

كلُّ البــريــة للمنيَّــةِ صَــائِرَهْ .
وقفُـوا لهـا شيئًـا فشيئًـا سـائرهْ
والنَّفْسُ إن رضيت بِـــذا رَبحت
وإن لم تـرض كـانت عند ذلك خـاسرهْ
وأنــا الــذى راضٍ بـأحكـام مَضتْ
عن ربّنـا البـر المُهيمن صـادرهْ
لكنْ سئمتُ العيشَ من بعـد الَّـذى
قـد خلَّف الأفكـار مِنَّـا حـائرهْ
هُـو شيخُ الإسـلامِ المعظَّمُ قَــدْرُهُ
من كـان أَوْحَـدَ عصـرِهِ والنَّـادِرَهْ
قـاضى القضـاة العسقـلانى الـذى
لمْ تـرفَع الـدُّنيـا خصيمًـا نـاظـرهْ
وشهـابُ دين الله ذِى الفَضْـلِ الَّـذى
أرْبَى على عـدد النُّجـوم مكـاثـرَهْ
لا تعجبُـوا لعُلُـوِّهِ فأبُـوه فى الـدّ
نيـا عَـلاَ من قبلِـهِ والآخــرهْ
هُـو كيميـاء العلم كَمْ من طـالبٍ
بـالكسرِ جـاء لـهُ فأضحى جـابـرَهْ

إلى أن قال فى آخرها :

يـا نـار شـوقى بـالفـراقِ تـأجَّجى
يـا أدمعى بـالمُـزْنِ كُـونى سـاخـرَهْ
يـا قبـر طِبْ قـد صـرت بيت العلم أوْ
عينًـا بـه إنسـان قطب الـدَّائِرَهْ
يـا مـوتُ إنك قـد نـزلتَ بـذى النَّدَى
ومـد استضفت حبـاك نفسًـا حـاضِـرَهْ
يـا ربِّ فـارحمـهُ واسقِ ضـريحـه
بسحـائب من فيض فضلـك غـامِـرَهْ
يـا نفسُ صبـرًا فـالتأسِّى لائقٌ
بـوفـاة أعظمِ شـافعٍ فى الآخـرهْ
المصطفى زيـن النَّبيِّيـن الَّـذى
حـاز العُـلا والمعجـزات البـاهِـرَهْ
وصلى على الله مـا جـال الـرّدى
فينـا وجـرّد للبـريـة بـاتِـرهْ
وعلى عشيـرتـه الكـرام وآلـه
وعلى صحـابتـه النُّجـوم الـزَّاهِـرَهْ

(الخطط التوفيقية ٦/ ١٠٦ ، وحسن المحاضرة ١/ ٣٦٤) .

ورثاه تلميذه إبراهيم البقاعى بقصيدة مطلعها :

رزءٌ ألـمَّ فقلتُ الـدهـرَ فى وَهَجِ
وأعقل النـاس منسـوبًـا إلـى الهـوجِ

ورثـاه الفاضل أبـو هـريـرة عبد الـرحمن بن علىّ النقّـاش قائلا :

قفـا نَبْكِ بـالقـامـوس الغـامض الـرجـز
والمـرسـلات بمـاء الغيث والمطـرِ

(فتح البارى ١/ ٣٦ مقدمة المحقق) .

وفيمـا يلى بيـان بمخطـوطين لكتـابين من مـؤلفـات ابن حجر.

١ - إنباء الغُمر بأنباء العُمر:

(رجل غُمر: لم يجرب الأمور) .

إنبـاء الغُمر بأنبـاء العمر ـ فى التـاريخ للحافظ شهـاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى المتوفى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة . أوله : الحمـد لله الباقى وكل مخلوق يفنى ... إلخ ذكـر فيه أنه جمع الحـوادث التى أدركها منذ ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وأورد فى كل سنة أحوال الدول ووفيات الأعيـان مستوعبا لرواة الحديث وغـالب ما نقله من تـاريخ ناصر الـدين بن الفـرات وصارم الدين ابـن دقماق وشهاب الدين ابن حجى والمقـريزى والتقى الفاسى والصلاح خليل الأقفهسى والبدر العينى وأورد مـا شاهدهُ أيضًـا . قال : وهذا الكتـاب يحسن من حيث الحوادث أن يكـون ذيلا على تاريخ الحـافظ ابن كثير فإنـه انتهى فى ذيل تاريخـه إلى هذه

السنة ومن حيث الوفيات أن يكون ذيلا على وفيات ابن رافع وانتهى فيه إلى سنة خمسين وثمانمائة والذيل عليه لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعى المتوفى سنة خمس وثمانين وثمانمائة بلغ فيه إلى آخر سنة سبعين وسماه إظهار العصر لأسرار أهل العصر. أوله: الحمد لله الذى يبدئ ويعيد ... إلخ. وذيل آخر المسمى بأبناء المصر فى أبناء العصر من سنة إحدى وخمسين إلى سنة ست وثمانين.

قالت المؤلفة: النسخة التى عندى (الجزء الأول) طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامى، الكتاب السادس عشر ـ تحقيق د. حسين حبشى، القاهرة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م. وقد أورد المحقق فى مقدمته أسماء المكتبات التى توجد بها مخطوطات هذا الكتاب مما ننقله لك فيما يلى:

١ - نسخة بخط المؤلف فى المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٢٤١ تاريخ.

٢ - نسخة بمكتبة الجامع الأزهر بالقاهرة رقم ٧١٠ تاريخ (النسخة الأزهرية).

٣ - نسخة بالمتحف البريطانى بلندن رقم Add. 7321

٤ - نسخة بمكتبة أحمد الثالث بتركيا رقم ٢٩٤٢/١.

٥ - نسخة بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ١٦٠١.

٦ - نسخة فى السعيدية بحيدرأباد، بالهند، رقم ٩٤ تاريخ.

٧ - نسخة المدينة المنورة، رقم ٥٢٣ مدينة.

٨ - نسخة خزائنية بصنعاء، على فيلم بدار الكتب المصرية. (إنباء الغمر ١/ ٢٣، ٢٦).

وتوجد نسخة مصورة محفوظة بمعهد المخطوطات. برقم تسلسلى ١٤٠٤، ١٤٠٥ وإليك بيانها:

إنباء الغُمر بأنباء العمر: لشهاب الدين أبى الفضل أحمد ابن على، ابن حجر العسقلانى، المتوفى سنة ٨٥٢هـ.

لشهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى المتوفى سنة ٨٥٢هـ.

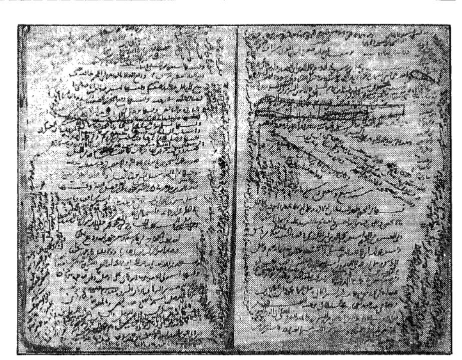
الجزء الأول.

أوله: « الحمد لله الباقى وكل مخلوق يفنى ... أما بعد ... هذا تعليق جمعت فيه حوادث الزمان الذى أدركته منذ مولدى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، وهلم جرا ... ».

وآخره آخر حوادث سنة إحدى عشرة وثمانمائة.

نسخة كتبت بخط نسخى وعلى النسخة تملك سنة ١٠٩٥هـ، وهى نسخة خزائنية فى لوحة منها آثار رطوبة، وتقع فى ٢٧٤ ورقة ومسطرتها ٢٩ سطرًا.

[الأوقاف العامة ببغداد ٨٨٣] UNESCO.



على الغالب ما شاهده أو تلقاه أو وجده بخط من أبوى المترجم له من مشايخه وأصحابه. وذكر فى خطبة الكتاب أمثلة من تلقى عنهم من المشايخ.

وبلغ فى الجزء الأول هذا إلى آخر ترجمة (بليغا بن عبد الله السالمى الظاهرى).

- أوله بعد البسملة « الحمد لله الباقى وكل مخلوق يفنى، الواقى ولو أعرض عن عبده لما استغنى ... ».

- آخر الجزء الأول « ... فأدين فى قتله فقتل وكانت له مروة ».

- النسخة جيدة لم يذكر فى ختمة هذا الجزء اسم ناسخه أو تاريخ نسخه، خطها فارسى ثخين الحروف وجعل النسخة مذهبة وأسماء الأعلام بالحمرة، وقد اهترأت أطراف أوراقها فرتقت.

(٢٢٢)ق- المسطرة (٢٩س)- العثمانية الرضائية - التراجم (٢٣٨/ ١).

٢ - الجزء الثانى منه.

- من نسخة الجزء الأول ذاتها.

- يبتدئ بأول الحديث عن حوادث سنة ٨١٢هـ ورجالها وينتهى عند آخر حوادث سنة ٨٥٠هـ ورجالها وهو آخر الكتاب.

- أوله بعد البسملة « سنة اثنتى عشرة وثمانمائة استهلت والناصر مصمم على قصد دمشق ».

- آخر الكتاب وختمته « ... وينسب إلى شيء يستقبح

١٤٠٥ - الجزء الأول، وبعض الثانى من نسخة أخرى.

وأوله: « الحمد لله الباقى وكل مخلوق يفنى ... أما بعد ... هذا تعليق جمعت فيه حوادث الزمان الذى أدركته من مولدى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وهلم جرا ... ».

وآخره فى وفيات سنة ٨١٤هـ، فى أثناء ترجمة عبد الرحمن بن محمد بن أبى الوفا.

نسخة كتبت بخط مغربى، وبها آثار رطوبة وأرضة، وكثير من صفحاتها مطموس، وهى فى ٢٣٥ ورقة ومسطرتها ٣١ سطرًا.

[الرباط ٣٢٤ك] UNESCO.

(فهرس المخطوطات المصورة/ ٥١، ٥٢).

كذلك يوجد مخطوط بخزانة المدرسة العثمانية الرضائية بحلب (فى محلة الفرافرة - باب النصر) وهى الآن تحت رعاية الأوقاف وإليك بيانه:

الجزء الأول:

جمع فيه حوادث الزمن الذى عاش فيه مبتدئًا بسنة مولده مفصلاً فى وفيات الأعيان مستوعبًا لرواة الحديث وأورد فيه

ذكره والله أعلم بسريرته . هذا آخر ما وجد من تاريخ الشيخ الإمام الحفاظ القاضى شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن حجر الشافعى » .

- النسخة من نسخ نسخة الجزء الأول من الكتاب خطها فارسى ثخين وجعلت الأعلام والسنين بالحمرة وللجزء الثانى هذا أيضًا طرة مذهبة ولم نقف على تاريخ نسخ الكتاب ونقدر أنه يعود إلى القرن العاشر وفى آخر النسخة حواش فيها أنباذ من كتب التاريخ .

(٢٠٢ق) المسطرة (٢٩س) ـ العثمانية الرضائية (٢٣٨/ ٢) . التراجم . (المنتخب ق٤/ ٢٧١، ٢٧٢) .

(المنتخب من المخطوطات العربية فى حلب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٤/ ٢٧١ ، ٢٧٢) .

٢ - الإمداد شرح الإرشاد (جـ٢) :

الإرشاد هو لشرف الدين إسماعيل بن أبى بكر بن المقرى اليمنى الشافعى المتوفى سنة ٨٣٦هـ .

أما الإمداد شرح الإرشاد فهو مخطوط بمكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية ، والموجود منه الجزء الثانى وجاء بيانه كالتالى :

مؤلفه : أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن أحمد الكنانى العسقلانى المصرى المولد والمنشأ والدار والوفاة الشافعى ويعرف بابن حجر (شهاب الدين ، أبو الفضل) ٧٧٢ - ٨٥٢هـ .

أوله : « باب فى البيع وهو اسم جنس ويطلق على قسيم الشرى فيشتق منه لمن صدر عنه لفظ البائع ... إلخ » .

آخره : « وأن لا يخلى يوما من التصدق بشىء وإن قلّ لقوله ﷺ « كل امرئ فى ظل صدقته حتى يفصل بين الناس أو قال حتى يحكم بين الناس » .

ناسخه : مجهول ، عليه مقابلتان : الأولى من قبل الناسخ على نسخة قوبلت على نسخة المؤلف سنة ١٢٤٤هـ والثانية حسب أمر الأمير سليمان بيك سنة ١٢٤٥هـ . مجدولة الصفحات ، خطه نسخى جميل كتب المتن بالحبر الأحمر ورقه خفيف . سقط منه جلده . نسخة جيدة .

و : ٢١٨ .

م : ٣٠ × ٢٠ .

س : ٢٧ . ت / ٣٧٧ .

مصادر الكتاب والمؤلف : كشف الظنون ١/ ٦٩ ، ومعجم المؤلفين جـ٢/ ٢٠ .

(مخطوطات السليمانية ١/ ٢٥٢ ، ٢٥٣) .

(نظم العقيان فى أعيان الزمان للإمام الحافظ جلال الدين السيوطى / ٤٥ ، والخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك - إعداد متولى خليل عوض الله ٦/ ١٠٣ - ١٠٥ ، والمحدثون فى مصر والأزهر - أ . د . الحسينى هاشم ، وأ . د . أحمد عمر هاشم . المؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر . صفر ١٤٠٦هـ - نوفمبر ١٩٨٥م/ ٢٤٥ - ٢٤٨ ، وذيل الدرر الكامنة لأبى الفضل شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى - تحقيق د . عدنان درويش . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد المخطوطات العربية . القاهرة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢/ ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٣ - ٤٠ ، والضوء اللامع لشمس الدين السخاوى ٢/ ٤٠ ، وذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال فى أسماء الرجال لابن القاضى - تحقيق د . محمد الأحمدى أبى النور ١/ ٦٥ ، والمخطوطات العربية - عزت ياسين أبو هيبة / ٩٤ ، وحسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى - بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٢/ ٣٦٤ ، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى للحافظ ابن حجر العسقلانى - وثّق نصوصه وحقق أصوله وضبط أحاديثه ووضع فهارسه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ١/ ٣٦ مقدمة المحقق . وكشف الظنون ١/ ١٧١ ، وإنباء الغمر بأنباء العمر لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى - تحقيق د . حسن حبشى ١/ ٢٣ ، ٢٦ وفهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية جـ٢ ق٤ القاهرة ١٩٧٠م/ ٥١ ، ٥٢ والمنتخب من المخطوطات العربية فى حلب . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق٤/ ٢٧١ ، ٢٧٢ ، وفهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية فى السليمانية - إعداد محمود أحمد محمد ١/ ٢٥٢ ، ٢٥٣) .

*** ابن حجر الهيثمى (٩٠٩-٩٧٤هـ / ١٥٠٤-١٥٦٧م) :**

ورد اسمه فى الأعلام ١/ ٢٣٤ الهيتمى بالتاء ، وورد فى الكواكب السائرة بالثاء المثلثة وجاءت ترجمته كما يلى : إذ أدرجه الشيخ نجم الدين الغزّى فى الطبقة الثالثة من المائة العاشرة وقال عنه :

أحمد بن حجر الهيثمى : أحمد بن أحمد بن محمد بن الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام شهاب الدين بن حجر

الهيثمي قرية بالصعيد المصري ثم المكي الشافعي مفتي مكة أخبرني عنه تلميذه شيخ الإسلام محمد بن عبد العزيز الزمزمي مفتي مكة وأن مولده سنة إحدى عشرة وتسعمائة وأجازه القاضي زكريا والشيخ عبد الحق وغيرهما وأخذ الفقه عن شيخ الإسلام شهاب الدين الرملي وغيره واجتمع بالوالد سنة اثنتين وخمسين بمكة وتذاكر معه والوالد أسن منه وأخذ منه من أهل الشام جماعة منهم الشهب الثلاثة أخي والأيدوني وابن الشيخ الطيبي، وأجاز أخي بالإفتاء والتدريس ورأيت بخط بعض الفضلاء إليه وهو نظم ركيك في ضبط المفصل :

مفصل حجرات وقيل قتالهم
وصف وملك ثم جاثية فتح
وقاف ضحى سبح وعاشر هذه
فمن قال يس إن تمّ لنا الفتح

وقد حرص محقق كتاب الكواكب السائرة (انظر ثبت المراجع) على ذكر ترجمتين للهيثمي وردتا في نسخة المخطوط التي رمز إليها بالحرف « ع » فقال : لقد رأينا أن ننقل هنا كامل الترجمة من الموضعين في « ع » للمقابلة .

القسم الأول :

أحمد بن محمد الشيخ الإمام العلامة الفقيه شهاب الدين ابن حجر الهيثمي المصري المكي الشافعي ولد في سنة إحدى عشرة وتسعمائة وأخذ عن القاضي زكريا والشيخ شهاب الدين الرملي وغيرهما من المصريين وله من التصانيف شرح الإرشاد وشرح المنهاج وشرح العباب والزواجر في الكبائر والصغائر والصواعق المحرقة في الرد على الروافض والزندقة وشرح الهمزية للبوصيري وشرح الشمائل للترمذي والدرر المنظم في زيارة القبر المعظم والدر المنضود في الصلاة على المقام المحمود وفي المكفرات وغير ذلك . وهو عمدة المتأخرين والذي يرجع إلى كلامه في الإفتاء بعد كلام الرافعي والنووي والقاضي زكريا من المتأخرين وكان فقيه مكة وواعظها ومحدثها وممن أخذ عنه من علماء الشام الشيخ شهاب الدين الدولي شاع بدمشق موته في شعبان سنة إحدى وسبعين وتسعمائة حين صلى عليه ثم تبين أنه لم يمت وتأخرت وفاته إلى سنة ثلاث وسبعين بتقديم السين وتسعمائة بمكة المشرفة رحمه الله تعالى (في الأعلام وفاته سنة ٩٧٤) .

القسم الثاني :

أحمد بن أحمد بن محمد الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام شهاب الدين بن حجر تقدمت هذه الترجمة قريبًا وهذه زيادة على الترجمة المتقدمة وجد على بعض نسخ التحفة ما صورته : ابن حجر الهيثمي هو أحمد شهاب الدين ابن محمد شمس الدين بن علي نور الدين بن حجر من بني سعد الموجودين الآن بالشرقية سمي جده بحجر لأنه كان ملازمًا للصمت لا يتكلم إلا لضرورة حاقة وإلا فهو مشغول عن الناس بما منّ الله عليه به فلهذا اشتهر بحجر ملقى لا ينطق وقالوا حجر ثم اشتهر بذلك . عاش هذا الملقب بحجر من العمر مائة وعشرين سنة ولم يخرف وله عبادات كثيرة . أصل وطنه سلنت من بلاد بني حرام الآن ثم انتقل إلى الغربية لما كثرت الفتن فسكن محلة أبي الهيثم واستوطنها فولد بها صاحب الترجمة في سنة تسع وتسعمائة في أواخرها ووقع لبعضهم خبط في مولده وأنه سنة ثمان وهو خطأ ثم مات أبوه وهو صغير في حياة جده المذكور بعد أن حفظ القرآن وكثيرًا من المنهاج ثم مات جده فكفله الشيخان العارفان الشمسان الشناوي وابن أبي الحمائل وكان شيخ الإسلام يدعو له كثيرًا بالفقه في الدين حتى قال ما اجتمعت به قط إلا قال لي اسأل الله أن يفقهه في الدين وأما نسبته بالهيثمي فضبطها عبد القادر الفاكهي في ترجمته بالمثناة الفوقية . وأما ما يقع لبعض المتشدقين من قراءته بالمثلثة فلم أقف عليه في كلام أئمة المنقول . توفي سنة أربع وسبعين وتسعمائة رحمه الله تعالى . انتهى (الكواكب السائرة ٣/ ١١١ـ١١٣) .

كما ترجم له الزركلي وأورد اسمه بالتاء المثناة وأحصى مؤلفاته فقال عنه : أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس، فقيه باحث مصري، مولده في محلة أبي الهيتم (من إقليم الغربية بمصر) وإليها نسبته والسعدي نسبة إلى بني سعد من عرب الشرقية (بمصر) . تلقى العلم في الأزهر، ومات بمكة .

له تصانيف كثيرة، منها « مبلغ الأرب في فضائل العرب » و « الجوهر المنظم » رحلة إلى المدينة ، و « الصواعق

المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة » ، و « تحفة المحتاج لشرح المنهاج » فى فقه الشافعية .

قالت المؤلفة : أوردنا هذا الأخير فى م٩/ ١٩ ــ ٢٢ والمادة مصحوبة بصورتين لمخطوطه فانظرها فى موضعها .

وله أيضًا « الخيرات الحسان فى مناقب أبى حنيفة النعمان» ، و « الفتاوى الهيثمية » مطبوع ، أربع مجلدات ، و«شرح مشكاة المصابيح للتبريزى » و « الإيعاب فى شرح العباب » و « الإمداد فى شرح الإرشاد للمقرى » و « شرح الأربعين النووية » و « نصيحة الملوك » و« تحرير المقال فى آداب وأحكام يحتاج إليها مؤدبو الأطفال » .

قالت المؤلفة : مخطوط « تحرير المقال » يأتى الكلام عليه فى نهاية المادة وله أيضًا « أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل » و « خلاصة الأئمة الأربعة » مخطوط فى دمشق ١٤ ورقة ، و « المنح المكية » مخطوط فى شرح همزية البوصيرى، قال الزركلى : رأيته فى مكتبة الفاتيكان (١٥٧٤ عربى) ، و « المنهج القويم فى مسائل التعليم » شرح لمقدمة الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بن فضل الحضرمى ، و« الدرر الزاهرة فى كشف بيان الآخرة » مخطوط . رسالة قال الزركلى إنها عنده (ضمن مجموعة) و«كف الرعاع عن استماع آلات السماع» ، و « الزواجر عن اقتراف الكبائر » و « تحذير الثقات من أكل الكفتة والقات » رسالة لطيفة كتبت سنة ٩٥٠ فى الرباط (آخر المجموع ٢٢٦٢ كتانى) و « المنح المكية » شرح لهمزية البوصيرى (الأعلام ١/ ٢٣٤) .

وكنا قد أوردنا فى م٨/ ٥٦١ عنوانا لمخطوط هو « تحرير المقال فى آداب وأحكام ما يحتاج إليها مؤدبو الأطفال » وأحلنا إلى مادة ابن حجر الهيثمى ومن ثم فإننا نذكره هنا مع صور له .

وقد تكلم الدكتور هشام نشابة عن « تحرير المقال » باعتباره رسالة تربوية من رسائل التراث فى هذا المجال فقال وقد أثبت الاسم بالثاء المثلثة :

والهيثمى من البارزين بين فقهاء الشافعية المتأخرين . وهو فقيهٌ وأصولى وليس رجل تربية أو مذاق تعليمى ، لذلك أتت رسالتُه فقهية الطابع ، شديدة القسوة على معلمى الكُتاب . والواقع أن هذه النزعة الزجرية التى تسودُ رسالة الهيثمى فى مواجهة مؤدِّبى الأطفال فى القرن العاشر، تبدو فى سائر مؤلفاته التى عرفناها مطبوعة من مثل : الزواجر عن اقتراف الكبائر، والصواعق المحرقة . فقد نصب نفسه لمقاومة البدع فى المجتمع . والمبتدعات كثيرةٌ فى تلك العصور المتأخرة ، لأنها تشمل عند ابن حجر كلَّ جديدٍ .

يبدأ ابن حجر الهيثمى رسالته بإيضاح فضل القرآن، وفضل قرَّائه ــ لأن القرآن هو أول كتاب يتعلمه الصغارُ . وهذا القسمُ مأخوذٌ فى أكثر أجزائه وأحاديثه من فضائل القرآن لابن كثير (ــ ٧٧٤هـ) وآداب حملة القرآن وآداب تلاوته للنووى (ــ٦٧٦هـ) . لكنَّ الهيثمى أضاف أحاديث وأخبارًا لم أستطع أن أتبين مصادرها ، وإن كان هو يذكر أسانيدَها ورُواتها ، ويعقد بعد ذلك فصلاً يبين فيه حُكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن . ومعروفٌ أن الراجح فى مذهب الشافعى عدم جواز الأجر على تعليم القرآن . لكن الواقع السائد أيام ابن حجر كان

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي شرف حملة كتابه
ومعلميه بان جعلهم خير خلقه
وسادا تهم ونظمهم في سلك
محبيه واسبغ عليهم من ا يا
كما لاتهم واشهد ان لا اله
الا الله ... ولا شريك له شهادة
توصل لمعاليه
سيدنا محمدًا عبده ورسوله
الناشر لعبير سعادا تهم
صلي الله عليه وعلي اله واصحابه

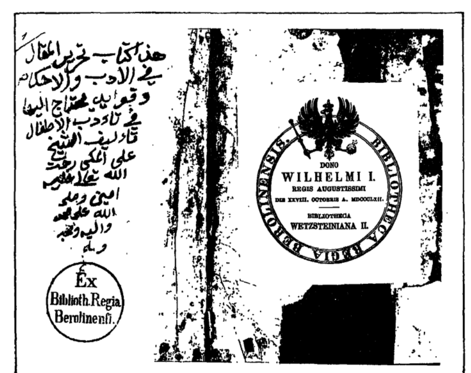
الذين افنوا نفوسهم في تعلم
كتابه وتعليمه الى ان
حقت لهم جميع مطالبهم

ادامين بدوام تعظيمه لهم
وتكريمه لهم في دار رضوانه
ومشاهداتهم
على من بعض صلحاء مؤدبي
الاطفال ثاني جماد الاول
سنة سبع وخمسين وتسع
مائة اسيلة محكمة وتدقيقات
الاجوبة

الاجوبة عنها متحتمة فلما
اردت عنها ال
الكلام وانتشروا الى مقدما
واقيسة انتجها واضح البرهان
وتدقيق احتاج الناظر فيها تحت
مصونة عن سفساف الكثرين
محجوبة بتحقيقات طبق
تحقيقات المتقدمين
والمتاخرين دعاني ذلك
الى جعلها تاليفا لطيفا
واتحفه تحقيقا شريفا تقربه

غيـر ذلك. ومن هنـا كـان استنكـاره وتبديعـه للآخـذين للمـال على تحفيظ القـرآن. بيد أنه لم يقدّم حلاً للمشلكة التى بقيت إلى أيـامنا هـذه، هذا إلاّ إذا اعتبرنا إيراده للآراء المحلّلة لأخذ الأجـرة تسليمًا منـه بـالمستجـدّ فى هـذا الشأن...

بيد أن تدقيقات ابن حجر الهيثمى الفقهيـة تضع اليـد أحيانًا على بعض المشكلات الحقيقية فى التعليـم آنذاك. فعلى سبيل المثـال هنـاك الفصل الطـويل الذى عقـده فى رسـالته إلـزاميـة التعليم، ومسألـة جـواز ضـرب الطفل لهـربـه مـن الـدرس أو عـدم إقبالـه عليه أو شغبـه فى الكُتاب. وقـد ذهب ابن حجـر إلى ضـرورة إلـزام الطفل الحضور للمدرسة كما أورد آراء مختلفـة فى جواز ضـربه إذا تعـذّرت وسائل الـزجر الأخـرى. ونحن نفتقـد هنا اللمسـة التربـوية لصـالح مسائل الحـلال والحـرام، لكنّ البحث مفيدٌ فـى التعرف على آراء الفقهـاء آنـذاك فى مسـائل حساسـة مثل ضرورة التعليم، ومعاملة الطفل فى المدرسة. وقد أفـاد الهيثمى فـى هـذا القسم كثيـرًا من شـرح



النووىّ على المهذّب كما أفاد من آراء الغزالى ذات الطابع الفقهى فى الإحياء والبسيط.

ولا علاقة لرسالة الهيثمى بلفتة الكبد فى نصيحة الولد لابن الجوزى (-٥٩٨هـ)، وأيها الولد للغزالى (-٥٠٥هـ). لكن يبقى هناك مجال لمقارنتها بالمؤلّفات عن الأطفال ذات الطابع الفقهى، مثل تحفة المودود فى أحكام المولود لابن قيّم الجوزية (-٧٥١هـ)، وجامع أحكام الصغار للأشروسنى (من القرن الثامن أيضًا).

ثم يقول الدكتور هشام نشابة عن المخطوط:

تحرير المقال ... مخطوطة ترجع إلى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى. مؤلفها هو أحمد بن محمد بن على بن حجر الهيثمى المكى الأزهرى الجنيدى السعدى...

ولعل المخطوط الذى ننشره اليوم هو كتابه الوحيد الذى يعنى بموضوع تربوى. أما سائر كتبه فهى فى الفقه وأصوله وعلم الكلام والحديث.

وننقل إليك فيما يلى بعضًا مما جاء فى هذا الكتاب. يقول ابن حجر الهيثمى:

هذا كتاب تحرير المقال فى الأدب والأحكام وفوائد يُحتاج إليها فى تأدب الأطفال تأليف الشيخ على المكى رحمة الله تعالى عليه آمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله الذى شرف حملة كتابه ومعلميه بأن جعلهم خير خلقه وساداتهم ونظمهم فى سلك محبيه وأسبغ عليهم مزايا كمالاتهم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة توصلنا لمعاليه وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الناشر لعبير سعادتهم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين أفنوا نفوسهم فى تعلّم كتابه وتعليمه إلى أن حقت لهم جميع مطالبهم ومراداتهم صلاة وسلامًا دائمين بدوام تعظيمه لهم وتكريمه لهم فى دار رضوانه ومشاهداتهم.

وبعد، فقد ورد على من بعض صلحاء مؤدبى الأطفال ثانى جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وتسع مائة أسئلة مفحمة، وتدقيقات، الأجوبة عنها محتمة، فلما أردتُ الجواب عنها طال الكلام وانتشروا إلى مقدمات وأقيسة أنتجها [كذا] واضح البرهان، وتدقيق احتاج النظر، فلما تمت، مصونة عن سفساف المكثرين، مصحوبة بتحقيقات طبق تحقيقات المتقدمين والمتأخرين، دعانى ذلك إلى جعلها تأليفًا لطيفًا وأنموذجًا شريفًا تقرُّ به عيون المتقين وتفرّ إليه عند تحيّر الأفهام أفئدة المؤمنين فاستخرت الله سبحانه وتعالى الذى ما خاب من استخاره، وضممت إليه تتمات تؤمِّن من لجأ إليها عثاره وسميتها تحرير المقال فى آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدب الأطفال ورتبتها على سبعة مقاصد وخاتمة.

المقصد الأول: فى الأحاديث الدالة على شرف أهل القرآن.

الحديث الأول: أخرج الخطيب فى تاريخه بسند فيه مجهول، وقال الذهبى باطل، أنه ﷺ قال: «آلُ القرآن آلُ الله». وفى رواية له فيه أيضًا: «إن أحب أحدكم أن يحدِّث ربَّه فليقرأ القرآن».

الثانى: أخرج أحمد والنسائى، وابن ماجه، والحاكم، أنه ﷺ - قال: «إن لله تعالى أهلين من الناس هم أهل الله وخاصته». وفى رواية للطيالسى والنسائى وابن ماجه والدارمى وابن الضريس وابن العسكرى والحاكم وابن حبان وأبى نعيم: «إن لله تعالى أهلين من الناس». وقيل: من هم؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته». وفى رواية لأبى القاسم بن حيدر: «أهل القرآن أهل الله وخاصته». وفى أخرى: «أشراف أمتى حملة القرآن وأصحاب القرآن».

الثالث: أخرج الديلمى أنه - ﷺ - قال: «إذا ختم العبد القرآن صلى عليه عند ختمه ستون ألف ملك».

الرابع: أخرج أيضًا أنه - ﷺ - قال: «أعبد الناس أكثرهم تلاوة للقرآن». وفى رواية لابن عساكر: «أغنى الناس حملة القرآن من جعله الله فى جوفه». وفى رواية لأبى نعيم: «يا حملة القرآن أهل السموات يذكرونكم عند الله فتحببوا إلى الله يحببكم الله إلى عباده».

الخامس: أخرج البيهقى أنه - ﷺ - قال: «أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن» وفى رواية لابن قانع: «أفضل العبادة قراءة القرآن». وفى رواية للترمذى: «أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن نظرًا».

السادس: أخرج البيهقى أنه - ﷺ - قال: « اقرؤوا القرآن فإن الله لا يعذب قلبًا وعى القرآن » وفى رواية لأبى الشيخ: « لا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة إن الله لا يعذب قلبًا وعى القرآن ».

السابع: أخرج البيهقى أنه - ﷺ - قال: « عدد درج الجنة عدد آيات القرآن فمن دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجة » وفى رواية لابن مردويه: « إن عدد درج الجنة عدد آيات القرآن فمن دخل الجنة لم يكن فوقه أحد »...

الثامن: أخرج الديلمى أنه - ﷺ - قال: « أكرموا حملة القرآن فمن أكرمهم فقد أكرم الله، ألا فلا تنقصوا حملة القرآن حقوقهم، فإنهم من الله بمكان ». « كاد حملة القرآن أن يكونوا أنبياء إلاّ أنهم لا يوحى إليهم ». وفى رواية « أكرموا حملة القرآن فمن أكرمهم فقد أكرمنى ».

التاسع: أخرج الترمذى الحكيم أنه - ﷺ - قال: « أهل القرآن عرفاء أهل الجنة » وفى رواية للطبرانى: « حملة القرآن عرفاء أهل الجنة يوم القيامة ». وفى أخرى للضياء وغيره: «حملة القرآن عرفاء أهل الجنة ».

العاشر: أخرج الديلمى وابن النجار أنه ﷺ قال: « حملة القرآن أولياء الله فمن عاداهم عادى الله ومن والاهم فقد والى الله ». وفى رواية: « حامل القرآن حامل راية الإسلام فمن أكرمه فقد أكرم الله ومن أهانه فعليه لعنة الله ». وأخرج البخارى وغيره: « من قرأ القرآن ثم مات قبل أن يستظهره أتاه ملك يعلّمه فى قبره ويلقى الله تعالى وقد استظهره ».

. ونكتفى بهذا القدر مما نقلناه عن مخطوط « تحرير المقال» ونلخص باقى محتوياته بذكر عناوين المقاصد وهى كما يلى:

المقصد الثانى: فى بعض الأحاديث الواردة فى فضائل معلمى القرآن ومتعلميه.

المقصد الثالث: فى الأحاديث الدالة على جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن والرقية ونحوها (انظر مادة « الأجرة على الطاعات » فى م ٢/ ٤١٩ - ٤٢١).

المقصد الرابع: فى الأحاديث الدالة على امتناع أخذ الأجرة على تعليم القرآن.

المقصد الخامس: فى بيان اختلاف العلماء بالأخذ فى الأحاديث السابقة.

المقصد السادس: فى تحذير المعلم من نظر المرد الذين يعلمهم.

المقصد السابع: فى الأسئلة والأجوبة التى هى السبب فى هذا التأليف (تحرير المقال / ١٣ - ١٥، ٢١٧، ٢٢١ - ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٤١).

(الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزّى - حققه وضبط نَصَّه د. جبرائيل سليمان جبّور ٣/ ١١١ - ١١٣، والأعلام للزركلى ١/ ٢٣٤، وتحرير المقال فى آداب وأحكام يحتاج إليها مؤدب الأطفال لابن حجر الهيثمى، المطبوع فى كتب التراث التربوى الإسلامى فى خمس مخطوطات - جمعها وحققها وقدم لها د. هشام نشابة / ١٣ - ١٥، ٢١٧، ٢٢١ - ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٤١. انظر أيضًا مرجع العلوم الإسلامية - د. محمد الزحيلى / ٢٧٦، ٢٧٧).

*** الحَجْر والتفليس:**

أ - الحجر.

تعريفه:

الحجر فى اللغة: التضييق والمنع. ومنه قول الرسول ﷺ لمن قال: « اللهم ارحمنى وارحم محمدًا ولا ترحم معنا أحدًا».: « لقد حجرت واسعًا يا أعرابى. ومعناه فى الشرع: منع الإنسان من التصرف فى ماله (فقه السنة ٣/ ٤٧٦).

وجاء فى اللسان: الحَجْر، ساكن: مصدر حَجَر عليه القاضى يحجُرُ حَجْرًا إذا منعه من التصرف فى ماله. وفى حديث عائشة وابن الزبير: لقد هممتُ أن أحجر عليها، وهو من الحَجْر: المنْع، ومنه حجر القاضى على الصغير والسفيه إذا منعهما من التصرف فى مالهما (اللسان ٩/ ٧٨٢).

وجاء فى تعريف الحجر أيضًا: هو منع الإنسان من التصرف فى ماله لصغر أو جنون أو سفه أو فلس.

٢ - حكمه: الحجر مشروع بقول الله تعالى: ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قيامًا وارزقوهم فيها واكسوهم** ﴾ [النساء: ٥] وبعمل الرسول ﷺ: « إذ حجر ﷺ على معاذ ماله لما استغرقه الدين فباعه وسدد عنه ديونه حتى لم يبق لمعاذ شىء » رواه الدارقطنى والحاكم وصححه.

٣ - أحكام من يحجر عليهم :

١ - الصغير: وهو الطفل الذى لم يبلغ الحلم وحكمه أن تصرفاته المالية غير جائزة إلا برضا والديه، أو وصيه إن كان يتيمًا، ويستمر الحجر عليه إلى البلوغ ما لم يظهر منه سفه فيستمر الحجر إلى صلاحه، وإن كان يتيمًا موصى عليه فحجره يبقى إلى ترشيده بعد بلوغه لقوله تعالى: ﴿ وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ﴾ [النساء : ٦].

٢ - السفيه : السفيه، وهو المبذر لماله بإنفاقه فى شهواته أو بسوء تصرفه لقلة معرفته بمصالحه، فيحجر عليه بطلب من ورثته فيمنع من التصرف فى ماله بهبة أو بيع أو شراء حتى يرشد فإن تصرف بعد الحجر عليه فتصرفاته باطلة لا ينفذ منها شيء، وما كان قبل الحجر عليه فنافذ لا يرد منه شيء.

٣ - المجنون : المجنون، وهو من اختل عقله فضعف إدراكه فيحجر عليه فلا تنفذ تصرفاته المالية إلى أن يبرأ ويعود إليه كمال عقله، لقوله ﷺ: « رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبى حتى يحتلم » رواه أحمد وأبو داود حديث صحيح.

ب - التفليس :

١ - تعريفه : التفليس، هو أن تستغرق ديون الإنسان جميع ما يملك فلم يصبح له فى ماله وفاء لديونه.

٢ - أحكامه : للتفليس أحكام هى :

١ - الحجر عليه، إذا طالب بذلك الغرماء، أى أصحاب الديون.

٢ - بيع جميع ما يملك ما عدا لباسه وما لا بد له منه كطعامه وشرابه، ثم قسمة ذلك على الغرماء محاصصة بحسب ديونهم.

٣ - من وجد من الغرماء متاعه بعينه لم يتغير أخذه دون باقى الغرماء، لقوله ﷺ: « من أدرك متاعه بعينه عند إنسان قد أفلس فهو أحق به » متفق عليه وهذا مشروط أيضًا بأن لا يكون قد أخذ من ثمنه شيئًا وإلا فهو أسوة الغرماء.

٤ - من ثبت إعساره عند الحاكم بمعنى أنه لم يكن لديه مال أو متاع يباع فيسدد به دينه فلا تجوز مطالبته ولا ملازمته، لقوله تعالى : ﴿ وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ﴾ [البقرة : ٢٨٠] ولقوله ﷺ لغرماء أحد المدينين من الصحابة : « خذوا ما وجدتم وليس لكم إلا ذلك ». رواه مسلم.

٥ - إذا قسم المال وظهر غريم لم يكن قد علم بالحجر وبيع مال المحجور عليه رجع على الغرماء بحقه من المال محاصصة لهم.

٦ - من علم بالحجر على مدين ثم عامله ليس له أن يحاصص الغرماء الذين وقع الحجر لهم ويبقى دينه فى ذمة المفلس إلى الميسرة.

٣ - كيفية كتابة الحجر على المفلس :

بعد البسملة وحمد الله تعالى :

هذا ما أشهد به على نفسه قاضى المحكمة فلان : أنه حجر على فلان حجرًا صحيحًا شرعيًا، ومنعه من التصرف فى ماله الحاصل بيده يومئذ، والحادث بعده، منعًا تامًّا بحكم ما ثبت عليه من الديون الشرعية والواجبة فى ذمته لأربابها الزائدة على قدر ماله، ومبلغ ما عليه من الديون هو كذا ... وبيان ذلك هو مال فلان كذا بمقتضى سند تاريخه كذا ... ولفلان كذا، وقد أثبت كل من الغرماء دينه لدى المحكمة بموجب سندات صحيحة معتبرة شرعًا واستحلف كل منهم على ذلك. وكان ذلك بعد أن ثبت عند المحكمة بالبينة الشرعية أن المدين المذكور معسر عاجز عن وفاء ما عليه من الديون المذكورة وأن موجوده لا تفى قيمته بما عليه من الديون إلا على المحاصصة، الثبوت الشرعى، وحُكِم بفلَس المذكور وصحة الحجر عليه حكمًا شرعيًا مسئولا فيه ... وفرض له فى ماله نفقته ونفقة من تلزمه نفقتهم من زوجه وولده وهم فلان وفلان ... ومن أكل وشرب وما لا بد منه فى كل يوم كذا ... إلى حين الفراغ من بيع أمتعته وأملاكه، وقسم ما يتحصل بين الغرماء بنسبة ديونهم على الوجه الشرعى. وذلك بتاريخ كذا ...

كيفية كتابة الحجر على السفيه المبذر:

بعد البسملة وحمد الله تعالى ...

أشهد عليه قاضى المحكمة أنه حُجِر على فلان حجرًا صحيحًا شرعيًا، ومنعه من التصرف فى ماله الحاصل يومئذ، والحادث بعده منعًا شرعيًا، وحجرًا معتبرًا بعد أن ثبت عنده بالبينة الشرعية أن فلانًا المذكور سفيه مفسد لماله مبذر له

مسرف فى إنفاقه وفى بيعه وابتياعه، مستحق لضرب الحجْر عليه، ومنعه من التصرف إلى أن يستقيم حاله، ويثبت رشده، ويظهر صلاحه، وأن المصلحة فى إيقاع الحجر عليه وإبطال تصرفاته. وحكم بذلك وضرب الحجر على المذكور ومنعه من التصرف، وحكم بسفهه حكمًا شرعيًّا ونهاه عن المعاملات، وأبطل فعله فى جميع التصرفات إبطالاً شرعيًّا، وفرض له فى ماله برسم نفقته ونفقة من تلزم نفقته من زوجته فلانة ... وأولاده الصغار وهم فلان ... وما لا بد له منه شرعًا فى كل يوم من تاريخ كذا ... وأوجب لهم ذلك فى ماله إيجابًا شرعيًّا بعد أن ثبت عنده بالبينة الشرعية أنه تحصل الكفاية له ولمن معه بذلك، وأنه ليس فيه زيادة على كفايته، ثبوتًا شرعيًّا. حرر بتاريخ كذا ... (منهاج المسلم / ٤١٩ ـ ٤٢١).

وجاء فى تيسير الوصول :

١ – عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « من أدرك ماله بعينه عند رجل أفلس فهو أحقُّ به من غيره ». أخرجه الستة، واللفظ للشيخين.

وزاد مالك وأبو داود: « وإن مات الذى ابتاعه فصاحبُ المتاع فيه أُسْوة الغُرماء ».

وزاد أبو داود فقط: « وإن كان قضى من ثمنها شيئًا فهو أُسوة الغُرماء ».

٢ – وعن أبى سعيد قال: أصيب رجل على عهد رسول الله ﷺ فى ثمار ابتاعها فكثر دَيْنه فأفلس. فقال النبى ﷺ: «تصدَّقوا عليه» فتصدَّق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دَيْنه. فقال ﷺ لغرمائه: « خذوا ما وجدتم له ليس لكم إلا ذلك ». أخرجه الخمسة إلا البخارى (تيسير الوصول ١/ ٢١٢).

وعن الحجر والتفليس جاءت هذه الأبيات من منظومة للشيخ حافظ بن أحمد الحكمى. قال الناظم:

للحاكم الحجر على المدين
وبيع ماله لقضاء الدين
يكون أسوة لكل الغرما
كل بحسب ماله قد لزما
قام بحقهم وإلا قصرا
فما لهم سواه فيما أثرا
ومن لعين ماله قد وجدا
ولم يفرقه المدين أبدا
ولم يكن قد حاز بعض الثمن
فهو به أولى بنص السنن
وباتفاق القوم فى الإفلاس
والموت فيه الخلف بين الناس
إذ فى حديث حسن قد ألحقا
وآخر بينهما قد فرقا
وهل يسعى البعض عينًا إن وجد
واختلفوا فيمن يكون قد نقد
شيئًا من القيمة هل يأخذ ما
يبقى له أو أسوة للغرما
وذا لضعف النص فى اشتراط أن
لم يأخذ البائع شيئًا من ثمن
وهكذا السفيه والمبذر
عليهما الحاكم نصًّا بحجر

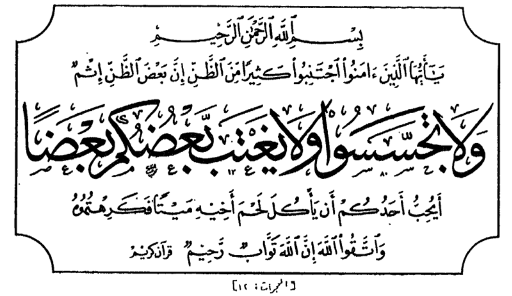
(فقه السنة ـ فضيلة الشيخ السيد سابق م٣/ ٤٧٦، ولسان العرب لابن منظور ٩/ ٧٨٢، ومنهاج المسلم ـ أبو بكر جابر الجزائرى / ٤١٨ ـ ٤٢١، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن الديبع الشيبانى ١/ ٢١٢، ومجموع: « السبل السوية لفقه السنن المروية » ـ نظم حافظ بن أحمد الحكمى / ٦٧. انظر أيضًا مختصر الأحكام الفقهية لعلى بن فريد الكشجنورى الهندى / ١٦٧، ١٦٨، ومتن الغاية والتقريب للإمام الفقيه القاضى أبى شجاع أحمد بن الحسين بن أحمد الأصفهانى / ٢٩).

*** الحجرات (سورة -):**

السورة رقم ٤٩ من سور القرآن الكريم وفقا لترتيب المصحف.

السورة مدنية وعدد آياتها ثمانى عشرة اتفاقا (ورءوس آياتها) عليم (١) لا تشعرون (٢) عظيم (٣) لا يعقلون (٤) رحيم (٥) نـدمين (٦) الراشدون (٧) حكيم (٨) المقسطين (٩) ترجمون (١٠) الظلمون (١١) رحيم (١٢) خبير (١٣) رحيم (١٤) الصدقون (١٥) عليم (١٦) صدقين (١٧) تعملون (١٨). (سعادة الدارين / ٦٦).

وقد أوردها الإمام الفيروزابادى فى البصيرة التاسعة والأربعين من بصائره تحت عنوان: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تقدموا ...﴾ وهى الآية الأولى من السورة، ثم أجمل خصائص السورة على النحو التالى:



[الحجرات: ١٢]

السورة مدنية. وآياتها ثمانى عشرة. وكلماتها ثلاثمائة وثلاث وأربعون وحروفها ألف وأربعمائة وأربع وسبعون. مجموع فواصل آياتها (من) سميت سورة الحُجُرات لقوله تعالى فيها: ﴿ ينادونك من وراء الحجرات ﴾ [١].

معظم مقصود السورة: محافظة أمر الحق تعالى. ومراعاة حُرْمة الأكابر، والتُّؤدة فى الأمور، والاجتناب عن التَّهور، والكوْن فى إغاثة المظلوم، والاحتراز عن السخرية بالخلْق، والحذر عن التجسّس والغيبة، وترك الفخر بالأحساب والأنساب، والتحاشى عن المنَّة على الله بالطَّاعة، وإحالة علم الغَيْب إلى الله - تعالى - فى قوله: ﴿ إن الله يعلم غيب السموات والأرض ﴾ [١٨].

السورة محكمة خالية عن الناسخ والمنسوخ:

المتشابهات:

قوله تعالى: ﴿ يأيُّها الذين ءامنوا ﴾ [١] مذكور فى السورة خمس مرات، والمخاطبون المؤمنون (الآيات ١، ٢، ٦، ١١، ١٢) والمخاطب به أمر ونهى، وذكر فى السادس ﴿يأيها الناس ﴾ [١٣] فعمّ المؤمنين والكافرين. والمخاطب به قوله ﴿إنَّا خلقنكم من ذكرٍ وأُنثى ﴾ لأن الناس كلَّهم فى ذلك شرع سواء.

فضل السورة:

فيه حديث أُبَىّ الضَّعيف جِدًّا: من قرأ سورة الحجرات أُعطى من الأجر عشر حسنات، بعدد من أطاع الله وعصاه، وحديث علىّ: يا على من قرأها كان فى الجنَّة رفيق سليمان بن داود، وله بكل آية قرأها مثل ثواب المحسنين إلى عيالهم. (بصائر ١/ ٤٣٥، ٤٣٦، وأسرار التكرار/ ١٩٥).

وعن حكمة وقوع سورة الحجرات بعد سورة الفتح يقول الإمام السيوطى: لا يخفى تآخى هاتين السورتين (الفتح والحجرات) مع ما قبلهما، لكونهما مدنيتين، ومشتملتين على أحكام. فتلك فيها قتال الكفار، وهذه فيها قتال البغاة (قتال الكفار فى الفتح معروف، لأنها فى فتح مكة، وقتال البغاة فى الحجرات جاء فى قوله تعالى: ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله﴾ [٩]).

وتلك ختمت بالذين آمنوا، وهذه افتتحت بالذين آمنوا (ختام الفتح : ﴿وعد الله الـذين آمنوا وعملوا الصالحـات منهم مغفرة وأجرًا عظيما ﴾ [٢٩] وافتتاح الحجرات : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله﴾ [١])، وتلك تضمنت تشريفا له ﷺ ، خصوصـا مطلعها، وهذه أيضًا فى مطلعهـا أنواع من التشريف لـه ﷺ (تشـريفـة فى الفتح آيـة ٢، وتشـريفـة فى الحجرات الآيات ١، ٣، ٤) (تناسق الدرر / ١١٨).

ويذكر الإمـام السهيلى فى كتابه « التعريـف والإعلام فيما أُبهم من الأسماء والأعلام فى القرآن الكريم » تلك التى أُبهمت فى سورة الحجرات (ص ١٥٩ ـ ١٦١) ونكتفى بإحالتك إلى المصدر، حيث إنها وردت فى أسباب النـزول للإمام السيوطى مع زيادات عليها كما يتضح مما يأتى :

وبيَّن الإمـام السيـوطى أسبـاب نـزول بعض آيـات سـورة الحجـرات، وقد رمـز زياداتـه على أسباب النقـول للواحـدى بالحرف « ك » فيقول .

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذيـن آمنوا لا تُقَـدِّموا ﴾ - الآيتين [١، ٢] أخــرج البخارى وغيره من طريق ابن جـريـج عن ابن أبى مُليكـة : أن عبـد الله بن الزبير أخبره أنه وفد ركب من بنى تميم على رسـول الله ﷺ.

فقـال أبو بكـر: أمـر القعقـاع بن معبد، وقـال عمـر: بل أمر الأقـرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خـلافى، وقـال عمر. ما رأدت خلافك، فتمـاريـا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل فى ذلك قولـه تعالى: ﴿ يـا أيهـا الذين آمنوا لا تقـدموا بين يدى الله ورسوله ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ولو أنهم صبروا ﴾ [١ ـ ٥].

ك، وأخرج ابن المنـذر عن الحسن : أن ناسـا ذبحوا قبل رسول الله ﷺ يـوم النحر، فأمـرهم أن يعيدوا ذبحـا ، فأنزل الله ﴿يـا أيها الـذين آمنوا لا تقـدموا بين يـدى الله ورسولـه ﴾ [١] وأخـرج ابن أبى الدنيـا فى كتاب الأضـاحى بلفظ « ذبح رجل قبل الصلاة » . فنزلت .

وأخرج الطبـرانى فى الأوسط عن عـائشة : أن نـاسا كـانوا يتقدمون الشهر فيصومون قبل النبى ﷺ، فأنزل الله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ﴾ .

ك، وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: ذكر لنا أن ناسا كانوا يقولـون لو أنزل فى كـذا، فأنزل الله ﴿ لا تقدِّموا بين يدى الله ورسوله ﴾ .

يقول الله تعالى في سورة الحجرات وأول سورة ق:

قَالَتِ الأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (14) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (15) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (16) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل

ك، وأخرج عنـه قال: كانوا يجهرون له بالكلام ويرفعون أصواتهم فأنزل الله ﴿ لا ترفعوا أصواتكم ﴾[٢].

ك، وخرج أيضًا عن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ﴾ [٢] قعد ثابت بن قيس فى الطريق يبكى، فمر به عاصم بن عدى بن العجلان، فقال ما يبكيك؟ قال هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت فىَّ وأنا صيِّت رفيع الصوت، فرفع عاصم ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعا به.

فقال: أما ترضى أن تعيش حميدا، وتقتل شهيدا، وتدخل الجنة؟.

قال رضيت، ولا أرفع صوتى أبدا على صوت رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿ إن الذين يغضون أصواتهم ﴾ [٣].

قوله تعالى: ﴿ إن الذين ينادونك ﴾ [٤، ٥] أخرج الطبرانى وأبو يعلى بسند حسن عن زيد بن أرقم قال: جاء ناس من العرب إلى حُجر النبى ﷺ، فجعلوا ينادون: يا محمد، يا محمد، فأنزل الله: ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات ﴾ [٤].

ك، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ فقال يا محمد: إن مدحى زين، وإن شتمى شين، فقال النبى ﷺ: ذاك هو الله، فنزلت ﴿إن الذين ينادونك ﴾ الآية، مرسل له شواهد مرفوعة من حديث البراء وغيره عند الترمذى بدون نزول الآية. ك، وأخرج ابن جرير نحوه عن الحسن.

ك، وأخرج أحمد بسند صحيح عن الأقرع بن حابس: أنه نادى رسول الله ﷺ من وراء الحجرات فلم يجبه، فقال يا محمد إن حمدى زين وإن ذمى لشين، فقال ذاكم الله.

ك، وأخرج ابن جرير وغيره عن الأقرع أيضًا: أنه أتى النبى ﷺ فقال: يا محمد اخرج إلينا، فنزلت.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق ﴾ [٦] أخرج أحمد وغيره بسند جيد عن الحُرث بن ضرار الخزامى قال: قدمت على رسول الله ﷺ فدعانى إلى الإسام، فأقررت به ودخلت فيه، ودعانى إلى الزكاة، فأقررت بها وقلت يا رسول الله: أرجع إلى قومى فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لى جمعت زكاته فترسل إلى لأبان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة.

فلما جمع الحرث الزكاة، وبلغ الابان احتبس الرسول فلم يأته، فظن الحرث أنه قد حدث فيه سخطة، فدعا سروات قومه.

فقال لهم: إن رسول الله ﷺ قد كان وقَّت وقتا يرسل إلىَّ رسوله ليقبض ما عندى من الزكاة، وليس من رسول الله ﷺ الخلف، ولا أدرى حبس رسول الله ﷺ لوليد بن عقبة ليقبض ما كان عنده.

فلما إن سار الوليد بن عقبة فرق، فرجع فقال: إن الحُرث منعنى الزكاة وأراد قتلى، فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحُرث، فأقبل الحُرث بأصحابه إذ استقبل البعث، فقال لهم: إلى أين بعثتم؟ قالوا: إليك ولم؟ قالوا رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، قال لا، والذى بعث محمدا بالحق ما رأيته ولا أتانى، فلما دخل رسول الله ﷺ قال: منعت الزكاة وأردت قتل رسولى، قال لا: والذى بعثك بالحق، فنزلت: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ ﴾ [٦] إلى قوله: ﴿ والله عليم حكيم﴾ [٦، ٨] رجال إسناده ثقات، وروى الطبرانى نحوه من حديث جابر بن عبد الله وعلقمة بن ناجية وأم سلمة وابن جرير نحوه من طريق العوفى عن ابن عباس ومن طرق أخرى مرسلة.

قوله تعالى: ﴿ وإن طائفتان ﴾ [٩].

ك، أخرج سعيد بن منصور وابن جرير عن أبى مالك قال: تلاحى رجلان من المسلمين، فغضب قوم هذا لهذا، وهذا لهذا، فاقتتلوا بالأيدى والنعال، وأنزل الله ﴿وإن طائفتان﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن السدى قال: كان رجل من الأنصار يقال له عمران تحته امرأة يقال لها أم زيد، وأن المرأة أرادت أن تزور أهلها، فحبسها وجعلها فى علية له، وأن المرأة بعثت إلى أهلها فجاء قومها وأنزلوها لينطلقوا بها.

وكان الرجل قد خرج فاستعان بأهله، فجاء بنو عمه ليحولوا بين المرأة وبين أهلها، فتدافعوا واجتلدوا بالنعال فنزلت فيهم هذه الآية ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ فبعث إليهم رسول الله ﷺ فأصلح بينهما وفاءوا إلى أمر الله.

ك، وأخرج ابن جرير عن الحسن قال: كانت تكون الخصومة ن الحيين، فيدعون إلى الحكم فيأبون أن يجيبوا، فأنزل الله ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ الآية.

وأخرج عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت فى رجلين من الأنصار كانت بينهما مداراة فى حق بينهما، فقال أحدهما للآخر: لآخذن عنوة لكثرة عشيرته، وإن الآخر دعاه ليحاكمه إلى النبى ﷺ فأبى، فلم يزل الأمر حتى تدافعوا وحتى تناول بعضهم بعضا بالأيدى والنعال ولم يكن قتال بالسيوف.

قوله تعالى: ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ [١١] أخرج أصحاب السنن الأربعة عن أبى جبير بن الضحاك قال: كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكره، فنزلت: ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾قال الترمذى: حسن.

وأخرج الحاكم وغيره من حديثه أيضًا قال: كانت الألقاب فى الجاهلية فدعا النبى ﷺ رجلا منهم بلقبه، فقيل له يا رسول الله إنه يكرهه فأنزل الله ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ ولفظ أحمد عنه قال: فينا نزلت فى بنى سلمة ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾[١١].

قدم النبى ﷺ المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعا أحدا منهم باسم من تلك الأسماء قالوا يا رسول الله إنه يغضب من هذا، فنزلت.

قوله تعالى: ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ [١٢] أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: زعموا أنها نزلت فى سلمان الفارسى أكل ثم رقد فنفخ فذكر رجل أكله ورقاده، فنزلت.

قوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس ﴾ [١٣] أخرج ابن أبى حاتم عن ابن أبى مليكة قال: لما كان يوم الفتح رقى بلال على ظهر الكعبة فأذّن.

فقال بعض الناس: أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة؟ فقال بعضهم: إن يسخط الله هذا يغيره، فأنزل الله ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ [١٣].

وقال ابن عساكر فى مبهماته: وجدت بخط ابن بشكوال أن أبا بكر بن أبى داود أخرج فى تفسير له: أنها نزلت فى أبى هند، أمر رسول الله ﷺ بنى بياضة أن يزوجوه امرأة منهم فقالوا: يا رسول الله نزوّج بناتنا موالينا، فنزلت الآية.

قوله تعالى: ﴿يمنون﴾[١٧] أخرج الطبرانى بسند حسن عن عبد الله بن أبى أوفى: أن ناسا من العرب، قالوا: يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتلك وقاتلك بنو فلان، فأنزل الله ﴿ يمنّون عليك أن أسلموا﴾ الآية.

وأخرج البزار عن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله. وأخرج ابن أبى حاتم مثله عن الحسن وأن ذلك لما فتحت مكة، وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظى قال: قدم عشرة نفر من بنى أسد على رسول الله ﷺسنة تسع، وفيهم: طلحة بن خويلد ورسول الله ﷺ فى المسجد مع أصحابه فسلموا.

وقال متكلم يا رسول الله: إنا شهدنا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله، وجئناك يا رسول الله ولم تبعث إلينا بعثا ونحن لمن وراءنا سلم، فأنزل الله: ﴿ يمنون عليك أن أسلموا ﴾ [١٧].

وأخرج سعيد بن منصور فى سننه عن سعيد بن جبير قال: أتى قوم من الأعراب من بنى أسد النبى ﷺ، فقالوا: جئناك ولم نقاتلك، فأنزل الله ﴿ يمنون عليك أن أسلموا ﴾ [١٧] (أسباب النزول للسيوطى / ٢٤٩ـ٢٥٥).

ويضيف الإمام السيوطى فى مفحمات الأقران قوله: ﴿قالت الأعراب آمنًا ﴾ [١٤] هم بنو أسد. أخرجه سعيد بن منصور عن سعيد بن جبير (مفحمات الأقران / ١٠٣).

ويطرح الإمام زين الدين الرازى أسئلة قد تدور فى الأذهان بشأن بعض آيات من سورة الحجرات، ثم يجيب عنها بطريقة « فإن قيل ـ قلنا » وذلك على النحو التالى:

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ﴾ [١] والمراد به نهيهم أن يتقدموا على رسول الله ﷺ بقول أو فعل، لا أن يقدموا غيرهم؟.

قلنا: قدم هنا لازم بمعنى تقدم كما فى قولهم بَيَّن وتَبَيَّن، وفكر وتفكر، ووقف وتوقف، ومنه قول الشاعر:

إذا نحن سرنا سارت الناس خلفنا

وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

أى توقفوا، وقيل معناه: لا تقدموا فعلا قبل أمر رسول الله ﷺ.

فإن قيل : ما فائدة قوله تعالى : ﴿ ولا تجهروا له بالقول ﴾ [٢] بعد قوله : ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ﴾ [٢] .

قلنا : فائدته تحريم الجهر فى مخاطبته ﷺ باسمه نحو قوله يا محمد ويا أحمد، فهو أمرهم بتوقيره وتعظيمه ﷺ فى المخاطبة ، وأن يقولوا يا رسول الله ويا نبى الله ونحو ذلك ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ﴾ [النور: ٦٣] .

فإن قيل : كيف قال : ﴿ أن تحبط أعمالكم ﴾ [٢] أى مخافة أن تحبط أعمالكم مع أن الأعمال إنما تحبط بالكفر لا بغيره من المعاصى .

ورفع الصوت فى مجلس النبى ﷺ ليس بكفر، كيف وقد روى أن الآية نزلت فى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما لما رفعا أصواتهما بين يدى رسول الله ﷺ وأنها نزلت فى ثابت بن قيس ابن شماس وكان جهورى الصوت، فربما تأذى رسول الله ﷺ بصوته ؟ .

قلنا : معناه لا تستخفوا به ، فإن الاستخفاف به ربما أدى خطؤه إلى عمده ، وعمده كفر يحبط العمل . وقيل حبوط العمل مجاز عن نقصان المنزلة وانحطاط المرتبة .

فإن قيل : ما وجه الارتباط والتعلق بين قوله تعالى : ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان ﴾ [٧] وبين ما قبله ؟ .

قلنا : معناه فاتركوا عبادة الجاهلية فإن الله تعالى لم يترككم عليها ، ولكن الله حبب إليكم الإيمان . وقيل معناه فتثبتوا فى الأمور كما يليق بالإيمان ، فإن الله حبب إليكم الإيمان .

فإن قيل : إن كان الفسوق والعصيان بمعنى واحد ، فما فائدة الجمع بينهما ، وإن كان العصيان أعم من الفسوق فذكره مغن عن ذكر الفسوق لدخوله فيه ما فائدة الجمع بينهما؟ .

قلنا : قال ابن عباس رضى الله عنهما المراد بالفسوق هنا الكذب ، وبالعصيان بقية المعاصى ، وإنما أفرد الكذب بالذكر لأنه سبب نزول الآية .

فإن قيل : كيف يقال إن الإيمان والإسلام بمعنى واحد ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ [١٤] .

قلنا : المنفى هنا بالإيمان بالقلب بدليل قوله تعالى : ﴿ولمَّا يدخل الإيمان فى قلوبكم ﴾ [١٤] يعنى لم تصدقوا بقلوبكم ﴿ ولكن قولوا أسلمنا ﴾ [١٤] أى استسلمنا وانقذنا خوف السيف ، ولا شك فى الفرق بين الإيمان والإسلام بهذا التفسير، والذى يدعى اتحادهما لا يريد به أنهما حيث استعملا كانا بمعنى واحد، بل يريد به أن أحد معانى الإيمان هو الإسلام .

فإن قيل : كيف يقال إن العمل ليس من الإيمان ، والله تعالى يقول : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا ﴾ [١٥]؟ .

قلنا : معناه إنما المؤمنون إيمانا كاملا كما فى قوله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر: ٢٨] وقوله ﷺ « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » وقولهم : الرجل من يصبر على الشدائد . ويرد على هذا الجواب أن المنفى فى أول الآية عن الأعراب نفس الإيمان الكامل ، فلا يناسب أن يكون المثبت بعد ذلك الإيمان الكامل بل نفس الإيمان .

(مسائل الرازى وأجوبتها / ٣٢٠ - ٣٢٢ ، والأنموذج الجليل ٥/ ٤٤٦ - ٤٤٨) .

ويسوق فضيلة الشيخ الشنقيطى الأدلة التى يدفع بها إيهام وجود تعارض بين الآيات فى هذه السورة فيقول :

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ [١٣] .

هذه الآية الكريمة تدل على أن خلق الناس ابتداؤه من ذكر وأنثى .

وقد دلت آيات أخر على خلقهم من غير ذلك كقوله تعالى : ﴿وهو الذى خلقكم من تراب ﴾ [غافر: ٦٧] وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ﴾ [الحج : ٥] .

والجواب واضح ، وهو أن التراب هو الطور الأول ، وقد قال تعالى : ﴿ وقد خلقكم أطوارًا ﴾ [نوح : ١٤] .

وقد بين الله أطوار خلق الإنسان من مبدئه إلى منتهاه بقوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ﴾[المؤمنون: ١٢ ، ١٣] (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب / ٢٧٢) .

ويقسم الإمام الغزالى آيات القرآن الكريم إلى نمطين : الجواهر، والدرر. أما الجواهر فيعرِّفها بأنها الآيات التى وردت فى ذات الله عز وجل وصفاته وأفعاله خاصة ، وهو القسم

العلمي، والدرر هي ما ورد فيها بيان الصراط المستقيم والحث عل. ه وهو القسم العملي: ولم يورد من الآيات في سورة الحجرات ما ينطوي تحت نمط الجواهر، بيد أنه أورد من الدرر ست آيات فقال:

ومن سورة الحُجُرات ستُّ آيات:

قوله تعالى: ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظَّنِّ إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضُكم بعضًا أيُحب أحدُكُم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه واتقوا الله إنَّ الله تواب رحيمٌ * يا أيُّها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأُنثى وجعلناكم شعُوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكُم عند الله أتقاكُمْ إنَّ الله عليمٌ خبيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٢، ١٣].

وقوله تعالى: ﴿إنما المُؤمنون الذين آمنُوا بالله ورسوله ثمَّ لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك همُ الصَّادقون * قُلْ أتعلِّمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الأرض والله بكل شيءٍ عليمٌ * يمنُّون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليَّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين * إنَّ الله يعلمُ غيب السموات والأرض والله بصيرٌ بما تعملون ﴾ [الحجرات: ١٥ — ١٨] (جواهر القرآن ودرره / ١٦٥، ١٦٦).

أما عن أنواع الوقف، وهي: التام، والكافي، والحسن، والقبيح، بالنسبة لسورة الحجرات فقد بيَّنها الإمام أبو عمرو الداني على النحو التالي:

﴿سميع عليم﴾ [١] تام. ومثله ﴿لا تشعرون﴾ [٢] ومثله ﴿غفور رحيم﴾ [٥] وكذلك عامة فواصلها، ﴿لكان خيرًا لهم﴾ [٥] كاف، ومثله ﴿لعنتُّم﴾ [٧] ومثله ﴿والعصيان﴾ [٧] ومثله ﴿فضلا من الله ونعمة﴾ [٨] ومثله ﴿عليم حكيم﴾ [٨] ومثله ﴿ترحمون﴾ [١٠] ومثله ﴿بعد الإيمان﴾ [١١] ومثله ﴿الظالمون﴾ [١١] ومثله ﴿فكرهتموه﴾ [١٢] ﴿لتعارفوا﴾ [١٣] تام ﴿في قلوبكم﴾ [١٤] كاف، حدثنا محمد بن عبد الله قال: حدثنا أبي قال: حدثنا علي قال: حدثنا أحمد قال: حدثنا يحيى بن سلام في قوله تعالى: ﴿لتعارفوا﴾ قال انقطع الكلام، ثم قال ﴿إن أكرمكم عند الله﴾ يعني في المنزلة، ﴿أتقاكم﴾ [١٣] في الدنيا، ومثله ﴿مِنْ أعمالكم شيئًا﴾ [١٤] (المكتفى / ٣٣٤).

أما من حيث القراءات السبع بالنسبة لسورة الحجرات فقد بيَّنها ابن مجاهد على النحو التالي:

١ - قوله تعالى: ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ [١٠].

قرأ ابن عامر وحده: ﴿بين إخوتكم﴾ على تاء جماعة. كذا في كتابي عن أحمد بن يوسف عن ابن ذكوان عن أيوب ابن تميم عن يحيى بن الحارث عن ابن عامر. وروى هشام بن عمار عن سويد عن أيوب عن يحيى عن ابن عامر. ﴿بينَ أخويكُمْ﴾ مثل قراءة الناس.

وقرأ الباقون: ﴿بين أخويكُم﴾ على اثنين.

٢ - قوله تعالى: ﴿ أيُحبُّ أحدُكُمْ أن يأكل لحم أخيه ميتًا ﴾ [١٢].

قرأ نافع وحده: ﴿مَيِّتًا﴾ بالتشديد.

وقرأ الباقون: ﴿مَيْتًا﴾ ساكنة الياء.

٣ - قوله تعالى: ﴿ لا يلتكم من أعمالكم شيئًا﴾ [١٤].

قرأ أبو عمرو وحده: (لا يألتكم﴾ مهموزا.

وقرأ الباقون: ﴿لا يلتكم﴾ بغير همز.

٤ - قوله تعالى: ﴿والله بصيرٌ بما تعملونَ﴾ [١٨].

قرأ ابن كثير وأبان عن عاصم: ﴿والله بصيرٌ بما يعملون﴾ بالياء.

وقرأ الباقون: ﴿والله بصيرٌ بما تعملون﴾ بالتاء.

وليست في هذه السورة ياء إضافة (كتاب السبعة في القراءات / ٦٠٦).

أما عن النظم فقد جاءت الأبيات التالية في ألفية التفسير للأستاذ حسين على دحلي تلخص ما ورد في سورة الحجرات، وقد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت في النص. قال الناظم:

٧١٦ - أبو بكر الصديق قال مقالةً
فقال له الفاروق لفظًا مغايرا

٧١٧ - فجاء نداء الله لا تتقدموا
بقولٍ ولا فعلٍ ألا لا تُبادِرَا

٧١٨ - ولا ترفعوا أصواتكم عند نطقكم
على صوت طه كان ذلك منكرا

٧١٩ - ونادوا رسول الله يومًا بغلظةٍ
بمنزلة جاءوا إليه مُظَهِّرًا .

٧٢٠ - وكـانـوا من الأعراب أصحاب جفـوة
فأنـــزل إنـــذارًا بهـــذا مُـــذَكِّـــرا
٧٢١ - وأرسل هــادينــا رســولاً مُصَــدِّقًــا
إلــى من يـــــراهـم مسلمين وأنظـــرا
٧٢٢ - فظنَّ ظنــونًــا ذا الــوليــدُ بن عقبــة
فعـــاد إلـى المختــــار حــــالاً وأخبـــرا
٧٢٣ - وحـــدثــه عنهم حـــديثًــا ملفقًــا
وبلغـــه منع الـــزكـــــاة مــــزوِّرا
٧٢٤ - وقـــال ألا همُّـــوا بقتلي بـــركبهم
فهمَّ بغـــزو القـــوم جـــزمًـــا وأكبـــرا
٧٢٥ - فأنـــزل مـــولانـــابـــذلــك آيــة
وسمـــاه فيهـــا فـــاسقًـــا بـــالــذى جـرى
٧٢٦ - وإن كـــان منكم فـــرقتــان تقـــاتلــوا
فصلحـًــا بإنصـــافٍ وعـــدلٍ وحـــذرا
٧٢٧ - وإن يأبَ خصم أن يصـــالح خصمـه
فكـــونـــوا عليــه قـــاتلـــوه ليحْـــذرا
٨٢٨ - فإن فـــاء بعـد الآن وهـــو قـد ارتـدع
فعـــودوا إلى الإصـــلاح بـــالقسط آخـــرًا
٧٢٩ - ووفـــد تميم جـــاء يسخـــر مـــرة
مـن المسلمين المعــــــدمين وحقَّــــرا
٧٣٠ - تـــوعـــدهم حـــالا وخـــوف جمعهم
ونـــزل نهيـــا قـــاطعـــا كـــان زاجـــرا
٧٣١ - ومـا اللمـــز إلا العيب يـــا من تنـابـزوا
بألقــــابهم جئتم فــــريًــا ومنكـــــرا
٧٣٢ - كمن قـــال يــا سِكِّيـر أو كـــان واصفًـا
بفسقٍ وكفـــــر وانحطـــــاط ونفَّــــــرا
٧٣٣ - ألا واتـــركـــوا الظن الكـــريــه فإنـــه
قبيح بأهـــل الخيـــــــر ممـن تصـــــدّرا
٧٣٤ - ولا إثم فى هـــذا إذا رمت فـــاسقًـــا
لقلع الـــردى أو حـــدٍّ مـــا كـــان ظـــاهــرا
٧٣٥ - وإيـــاك يـــومًـــا أن تجيئ تجسّـــا
وفحصًـــا عـــن الأخبـــار والعيب واحــذرا

البيت ٧١٩ : قال الأصمعى أتانا فلان مُظهِّرًا بتشديد الهاء أى فى وقت الظهيرة (ألفية التفسير / ٥٦).

ويوجد فى دار الكتب الظاهرية بدمشق، أو لعله الآن فى مكتبة الأسد، مخطوط بعنوان « تفسير سورة الحجرات » جاء بيانه كما يلى :

الرقم ١٠٢٨٤ .

المؤلف : مجهول .

أوله : ﴿يا أيها الـذين آمنوا﴾ أى لا تقدموا أمـرًا، فحذف المفعـول ليـذهب الـوهـم إلى كـل مـا يمكن، أو تـرك لأن المقصود نفى التقديم رأسًا، أولا تتقـدموا ومنه مقدمة الجيش لتقدمهم، ويؤيده قراءة يعقوب .

آخره : ﴿إن أكـرمكم عنـد الله أتقـاكم﴾ فإن التقـوى بها تكمل النفـوس، وتتفـاضل الأشخـاص، فمن أراد شـرفًـا فليلتمس منها، كما قـال عليه السلام : (يا أيهـا الناس، إنما الناس رجـلان : مؤمن تقى كريم على الله، وفـاجر شقى هيّن على الله. إن الله عليم بكم خبير ببواطنكم).

أوصـاف المخطـوط : نسخـة من القـرن الـرابع عشـر الهجرى، كتبت بخط معتاد، وبالمداد الأسود، الورق أصفر، الغلاف من الورق المقوّى .

ق	م	س
٨	١٦×٢٠	١٢

(فهرس الظاهرية ٣/ ١٢٥).

(سعادة الدارين ـ محمد بن على بن خلف الحسينى الشهير بالحداد / ٦٦ ، وبصائر ذوى التمييز للإمام الفيروزابادى ـ تحقيق الأستاذ محمد على النجار ١/ ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، وأسرار التكرار فى القرآن أو البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لتاج القراء محمود بن حمزة ابن نصر الكرمانى ـ دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا / ١٩٥ ، وتناسق الدرر فى تناسب السور للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا/ ١١٨ ، والتعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام فى القرآن الكريم للإمام أبى القاسم السهيلى / ١٥٩ ، ١٦٠ ، وأسباب النزول للحافظ جلال الدين السيوطى ـ تحقيق وتعليق الأستاذ قرنى أبى عميرة / ٢٤٩ ـ ٢٥٥ ، ومفحمات الأقران فى مبهمات القرآن ـ ضبطه وعلق عليه د. مصطفى ديب البُغا / ١٠٣ ، ومسائل الرازى وأجوبتها من غرائب آى التنزيل لزين الدين الرازى ـ تحقيق إبراهيم عطوة عوض. ط. مصطفى البابى الحلبى / ٣٢٠ ـ ٣٢٢ ، والأنموذج الجليل من غرائب آى التنزيل ـ تحقيق إبراهيم عطوة عوض

ونخبة من علماء مجلة الأزهر. هدية مجلة الأزهر جمادى الآخرة ١٤١٠هـ، ٥/ ٤٤٦-٤٤٧، ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب - الشيخ محمد الأمين الجكنى الشنقيطى / ٢٧٢ . وجواهر القرآن ودرره للإمام حجة الإسلام أبى حامد الغزالى / ١٦٥، ١٦٦، والمكتفى فى الوقف والابتدا لأبى عمرو الدانى ـــ دراسة وتحقيق جايد زيدان مخلف/ ٣٣٤، وكتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد - تحقيق د. شوقى ضيف / ٦٠٦، وألفية التفسير - حسين على دحلى / ٥٦، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية. علوم القرآن الكريم. التفسير - وضعه صلاح محمد الخيمى ٣/ ١٢٥ . انظر أيضًا المبسوط فى القراءات العشر لابن مهران - تحقيق سبيع حمزة حاكمى / ٤٠٢، ٤٠٣، ومختصر فى شواذ القرآن عن كتاب البديع لابن خالويه / ١٤٣، ١٤٤، والقراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب - عبد الفتاح القاضى / ٨٤، ٨٥، والمحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبى الفتح عثمان بن جنى - بتحقيق على النجدى ناصف ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبى ٢/ ٢٧٨-٢٨٠).

ملاحظة: الصور المصاحبة لهذه المادة أخذت من المصادر الآتية:

١ - التربية الإسلامية. المملكة المغربية. وزارة التربية الوطنية، السنة الثامنة من التعليم الأساسى / ٣٢ .

٢ - من الخطوط العربية ـــ محمد عبد القادر عبد الله / ١٨٣).

*** ابن أبى حجلة (٧٢٥-٧٧٦هـ / ١٣٢٥-١٣٧٥م):**

ذكره الحافظ السيوطى فيمن كان بمصر من الشعراء والأدباء (حسن المحاضرة ١/ ٥٧١، ٥٧٢) وأورده شيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى فى إنبائه فى وفيات سنة ٧٧٦هـ وقال عنه: أحمد بن يحيى بن أبى بكر بن عبد الواحد التلمسانى المعروف بابن أبى حجلة نزيل دمشق ثم القاهرة، شهاب الدين أبو العباس، ولد بزاوية جدّه بتلمسان سنة خمس وعشرين [وسبعمائة] واشتغل ثم قدم إلى الحج فلم يرجع، ومهر فى الأدب ونظم الكثير ونثر فأجاد وترسّل ففاق، وعمل المقامات وغيرها، وكان حنفى المذهب حنبلى المعتقد، وكان كثير الحطّ على الاتحادية (انظر: الحلول والاتحاد) وصنّف كتابًا عارض به قصائد ابن الفارض كلها نبوية، وكان يحطّ عليه لكونه لم يمدح النبى ﷺ ويحطّ على نحلته ويرميه - ومن يقول بمقالته ـــ بالعظائم، وقد امتُحن بسبب ذلك على يد السراج الهندى.

قرأتُ بخط ابن القطان وأجازنيه: « كان ابن أبى حجلة يبالغ فى الحطّ على ابن الفارض حتى إنه عند موته - فيما أخبرنى به صاحبه أبو زيد المغربى - أن يوضع الكتاب الذى عارض به ابن الفارض - وحطّ عليه فيه - فى نعشه ويدفن معه فى قبره ففعل به ذلك » ... قال (يعنى بذلك ابن القطّان): «وكان جدّه من الصالحين فأخبرنى الشيخ شمس الدين مرزوق أنه سُمِّى بابن حجلة لأن حجلة أتت إليه وباضت على كمه».

وولى مشيخة الصهريج الذى بناه [الأمير] منجك [اليوسفى] ظاهر القاهرة، وكان كثير النوادر والنكت ومكارم الأخلاق، ومن نوادره أنه لقب ولده « جناح الدين »، وجمع مجاميع حسنة منها: « ديوان الصبابة »، و« منطق الطير» و«السجع الجليل فيما جرى من النيل »، و « السكردان » [وهو سكردان السلطان] و «الأدب الغضّ » و« أطيب الطيب» ومواصيل المقاطع » و « النعمة الشاملة فى العشرة الكاملة » و« حاطب ليل » عمله « كالتذكرة» فى مجلدات كثيرة، و«نحر أعداء البحر » و« عنوان السعادة، ودليل الموت على الشهادة» و « نضيرات الجمال » وهو القائل:

نظمى علا وأصبحت
ألفاظه منمّقة
فكُلُّ بيتٍ قلته
فى سطح دارى طبقة

مات فى مستهل ذى الحجة وله إحدى وخمسون سنة (إنباء الغُمر ١/ ٨١، ٨٢).

وقال عنه ابن تغرى بردى:

ودرس وأفاد، ومهر فى عدة علوم، وغلب عليه الأدب، وقال الشعر الجيد، وصنف ودون، ومصنفاته كثيرة تبلغ ستين مصنفًا ... وله خمسة دواوين فى مدح الرسول ﷺ وسبع أراجيز سبعة آلاف بيت، وأما الشعر فله فيه اليد الطولى والمعانى الغريبة والاختراعات العجيبة مع كثرة النظم وسرعة البديهة وخفة الروح والتخيل الصحيح، وكانت وفاته فى يوم الخميس مستهل ذى الحجة سنة ست وسبعين وسبعمائة، عن إحدى وخمسين سنة بالقاهرة.

ومن شعره من قصيدة :

بقــافِ أقْسِـم عينُ الشَّمس ليس لهـــا
لـــــولاه شيـن ولا راء ولا فـــــــاء

مـا طـاب لى بعـد خيـر الـرسل فى أحـد
ســــــواه ميـم ولا دال ولا حــــــآء

(المنهل الصافى ٢/ ٢٥٩، ٢٦٠).

قـالت المـؤلفـة : من مصنَّفـات ابـن أبى حجلـة التى لم تذكرها المصادر التى بين أيدينا كتاب « أنموذج القتال فى نقل العـوال » تـوجـد نسخـة من مخطـوطـه فى مكتبـة المتحف العراقى، وأخـرى بدار الكتب الظـاهرية بـدمشق (أو بمكتبة الأسد).

١ - نسخة مكتبة المتحف العراقى وجاء بيانها كما يلى :

الرقم ٣٠٢٠٢.

الأول : (الحمد لله الذى جعل أمر المخـدوم كالتاج على الرأس، وجعل الشطـرنج مما يشغل بحضوره عن غيبـةالناس ...).

وهو كتاب فـى الشطرنج، وكيفية اللعب به، ومـا جاء فيه من تعليقات ونكت أدبية، وأحكام شرعية، وأول من وضعه.

وقـد رتب المؤلف كتـابه على مقـدمة، وثمـانية أبـواب، وخاتمة فى ذكر المقامة الشطرنجية.

نسخة جيـدة، كتبها زين الدين أحمـد بن زين المرصفى الصيـاد الشافعى، سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م تملكها أحمـد شاكر الآلوسى سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م.

٢٧ص. ٢١,٥×١٦سم ٣٩س.

(نشر بتحقيق زهير أحمد القيسـى. وزارة الثقافة والإعلام ببغداد ١٩٨٠م).

٢٨٩ نسخة أخرىٰ.

كتبها محمـود شكرى الآلوسى سنـة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م فى آخرها منقولات عن الشطرنج، بخط الآلوسى.

الرقم : ٨٦٨٣/ ١.

٨٠ص. ٢٣×١٥سم ٢١س.

نسخة أخرى.

الرقم ١٠٦٧.

جيدة الخط، تتضمن جداول.

٩٤ ص ٢١,٥×١٦سم ٢١س.

٢ - نسخة دار الكتب الظاهرية وجاء بيانها كما يلى :

مواضيع المخطوط :

مقدمة وثمانية أبواب وخاتمة.

المقدمة : « أما المقدمة ففى ذكر ما جاء فى الشطرنج عن السلف وأئمة الخلف من حرمة وكراهـة وإباحة وفكاهة ونحو ذلك مما يتعلق بها من جهة العربية والنكت الأدبية ... ».

« وأما الأبواب فـالباب الأول فى ذكر من وضعهـا واخترعها والسبب الموجب لذلك ...

الباب الثانى فى ذكر طبقة أربابها وقيم دولها ...

الباب الثالث فى ذكر رسالة الأديب الكاتب الصولى ...

الباب الرابع فـى ذكر أدبه وقت اللعب به ومـا جاء فيه من كلام الأطباء ...

الباب الخامس فى ذكر ما جاء فى مدحه وذمه ...

الباب السـادس فى ذكـر ما جاء فيـه من اختـراع الأوضاع والمخاريق ...

البـاب السابع فى ذكـر ما جـاء فيـه من المناظـرة وحسن المحاضرة.

الباب الثـامن فى ذكر مـا جاء فيـه من الوشى المـرقوم من المنثور والمنظوم.

وأما الخـاتمة ففى ذكـر المقامـة الشطرنجية التـى أنشأتها بـاسم السلطـان الملك الصـالح صـاحب مـاردين وألحقتهـا بالمقامات التى أنشأتها باسم الملك الناصر حسن ... وذكرت عقيب كل باب خمس مناصيب حسنة التركيب ولم أفردها فى باب واحد خوفًا من الملال لأنه كان يقال :

لا يصلح النفس إذ كـــانت مــــدبـــرةً
إلا التنقـل من حـــــــال إلى حــــــــال

فاتحة المخطوط :

بسم الله الـــرحمن الـرحيم الحمـــد لله الـذى جعـل أمـر المخـدوم كـالتـاج على الـرأس وجعل الشطـرنج ممـا يشغل

بحضوره عن غيبة الناس ... صلى الله عليه وعلى أصحابه الذين هم كالنجوم ما سارت الكواكب السبعة ولاح الهلال فى ذيل السماء كالرخ فى طرف الرقعة . أما بعد فلما كان الشطرنج مما أقام عليه مصنفه الدليل وأصبح اللاعب به فى مصر ما يفكر فى الفيل إذ هو مما تعاطاه الملوك والأكابر ... وكنت قد وضعت فى الكلام عليه كتابًا يفتح الأذهان :

فلا تحسب الشطرنج لعبًا وإنما ... به الجد والهزل الجميل تبارزا

لقد أظهر الهندى فيه تلونًا ... وأبدى لأرباب العقول مرامزا

وسميته أُنموذج القتال فى نقل العوال ... سمح به المجلس العالى المولوى المخدومى التاجى تاج الدين محمد الشهير بابن بشير... أمرنى بتبييضه لأجله والقدوم عليه بخيله ورجله فامتثلت أمره ...

وإنى لنهاض إلى رتب العلى ... فروع لأبواب الهمام المتوج

واشتهر فيه عن الصولى كثرة اطلاعه ونقله .

ورتبته على مقدمة وثمانية أبواب وخاتمة ...

خاتمة المخطوط :

فما كان بعد قليل حتى قتله بالفيل فأحسن فى سوق الفرس وردها وماتت منه الشاة فى جلدها فبطلت منه الحواس وكدها وأخطأ فى هزلها وجدها بعد أن تحير فى عدها ونسأل الله غفران ذنوبنا كلها يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها إنه جواد كريم رؤوف رحيم وكان الفراغ من كتابتها يوم الأحد بعد صلاة العصر فى اليوم السادس عشر من محرم الحرام لسنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وألف من الهجرة وذلك بقلم الفقير الحقير إبراهيم بن عبد الغنى البغدادى غفر الله ذنوبه وستر عيوبه آمين فى سنة ١٣٣٢هـ / ١٦ محرم .

أوصاف المخطوط والملاحظات عليه :

نسخة جيدة فى خطها ولغتها ، تتضمن بعض الجداول والدوائر لرقعة الشطرنج . ترك لها هامش بعرض ٨ سم عليه بعض الجداول والشروح ، الأبواب والفصول ورؤوس الفقر والعبارت الهامة كتبت كلها بالحبر الأحمر. ويبدو أن المؤلف كان شاعرًا لما يتضمن المخطوط من أشعار. يستشهد المؤلف كثيرًا بالصولى وبغيره مثل : الإمام الشافعى ، والبيهقى فى سننه من كتاب الشهادات ، والشيخ أبى عبد الله محمد بن شاكر القطان فى مصنفه فى فضائل الشافعى ، والقاض الماوردى فى الحاوى ، وأبى راشد ، وأبى هريرة وعمر بن الخطاب ، والحسين بن على ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وابن تيمية وكثير غيرهم ، لها تعقيبة منتظمة فى آخر وأول كل ورقة .

اسم الناسخ وتاريخ النسخ :

إبراهيم بن عبد الغنى البغدادى سنة ١٣٣٢هـ.

(إنباء الغُمر بأنباء العُمر لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى ـ تحقيق د. حسن حبشى ١/ ٨١ ، ٨٢ ، والمنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى لابن تغرى بردى ـ تحقيق د. محمد محمد أمين ، تقديم د. سعيد عبد الفتاح عاشور ٢/ ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ومخطوطات الأدب فى المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ٥٣ ، ٥٤ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . العلوم والفنون المختلفة عند العرب / ٣٤٤ ـ ٣٤٧ . انظر أيضًا حسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١/ ٥٧١ ، ٥٧٢ ، والأعلام للزركلى ١/ ٢٦٨ ، ٢٦٩) .

له ترجمة فى : الدليل الشافى ١/ ٩٦ رقم ٣٣٥ ، والنجوم الزاهرة ١١/ ١٣١ ، والدرر ١/ ٣٥٠ ترجمة ٨٢٦ ، وشذرات الذهب ٦/ ٢٤٠ ، ٢٤١ .

*** الحُجّة:**

قال الراغب الأصفهانى :

الحُجة الدلالة المبينة للمحجة أى المقصد المستقيم والذى يقتضى صحة أحد النقيضين ، قال تعالى : ﴿ **قل فللّهِ الحُجّة البالغةُ** ﴾ [الأنعام : ١٤٩] وقال ﴿**لئلا يكون للناس عليكم حُجَّة إلّا الذين ظلموا**﴾ [البقرة : ١٥٠] فجعل ما يحتج بها الذين ظلموا مستثنى من الحجة وإن لم يكن حجَّة ، وذلك كقول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهنَّ فلولٌ من قراعِ الكتائِبِ

ويجوز أنه سمّى ما يحتجون به حجة كقوله تعالى : ﴿**والذين يحاجُّون فى الله من بعد ما استُجيب له حجتهم داحضة عند ربهم**﴾ [الشورى : ١٦] فسمى الداحضة حجة ،

وقوله تعالى: ﴿لا حجَّة بيننا وبينكُمْ﴾ [الشورى: ١٥] أى لا احتجاج لظهور البيان، والمُحاجَّة أن يطلب كل واحد أن يردَّ الآخر عن حجته ومحجته، قال تعالى: ﴿وحاجه قومه قال أتحاجونِّى فى الله﴾ [الأنعام: ٨٠] ﴿فمن حاجَّك فيه من بعد ما جاءك﴾ [آل عمران: ٦١] وقال تعالى: ﴿لم تُحاجون فى إبراهيم﴾ [آل عمران: ٦٥] وقال تعالى: ﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تُحاجون فيما ليس لكم به علمٌ﴾ [آل عمران: ٦٦] وقال تعالى: ﴿وإذ يتحاجُّون فى النَّارِ﴾ [غافر: ٤٧] وسُمى سبر الجراحة حجًا.

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١٠٧، ١٠٨).

*** الحُجّة:**

صك البيع.

(المعجم الوجيز / ١٣٥).

انظر: الوقف.

*** الحُجّة (فى علم الحديث):**

الحُجة: من مراتب أهل الحديث: هو الذى أحاط علمه بثلاث مائة ألف حديث.

من صفات المحدثين وألقابهم وهو فوق الثقة.

حُجّة: مــن ألفاظ التعـديل. انظـر: الجرح والتعـديل (علمـ).

(معجم / ٣٠).

وقال الشيخ محمد المبارك عبد الله:

الحجة هو الحافظ البالغ فى الحفظ والإتقان مبلغًا يكون به حجة عند العام والخاص، وضبطه بعضهم بمن حفظ ثلثمائة ألف حديث مسندة، كهشام بن عروة بن الزبير. وأبى نعيم الجرجانى الاستراباذى، وعبد الملك بن محمد وأمثالهم (الناقد الحديث / ١٢٣).

(معجم مصطلحات توثيق الحديث - د. على زوين / ٣٠، والناقد الحديث فى علوم الحديث - الشيخ محمد المبارك عبد الله / ١٢٣).

*** أبو حجة (٥٦٢ - ٦٤٣هـ / ١١٦٧ - ١٢٤٦م):**

قرطبى من كبار الأساتذة، مقرئ متقدم فى صنعة التجويد، نحوى، فقيه بميورقة روى عن ابن حوط الله والخزرجى وابن مضاء والمجريطى، وعنه أبو القاسم ابن الأصفر وابن ربيع وغيرهم. اختصر « التبصرة» لمكّى فى القراءات، وله منهاج العباد وكتاب « تفهيم القلوب بآيات علام الغيوب وتسديد اللسان لذكر أنواع البيان.

(ملء العيبة بما جُمع بطول الغيبة لابن رشيد - تقديم وتحقيق سماحة الشيخ د. محمد الحبيب بن الخوجة ٢/ ١٣٨ وهامش ١٣٨ للمحقق).

*** ابن حِجّة الحموى (٧٦٧ - ٨٣٧هـ / ١٣٦٦ - ١٤٣٣م):**

أبو بكر بن على بن عبد الله الحموى الأزرارى، تقى الدين ابن حجة، إمام أهل الأدب فى عصره. وكان شاعرا جيد الإنشاء. من أهل حماة (بســورية) ولد ونشــأ ومات فيها. زار القاهرة والتقى بعلمائها واتصل بملوكها. وكان طويل النفس فى النظم والنثر، حسن الأخلاق والمروءة، فيه شىء من الزهو والإعجاب، اتخذ عمل الحرير وعقد الأزرار صناعة له، فى صباه، فنسب إليها وقبره فى حماة معروف (الأعلام ٢/ ٦٧) وقد ذكره السيوطى فيمن كان بمصر من الشعراء والأدباء (حسن المحاضرة ١/ ٥٧٣).

قال عنه السخاوى: وقد أخذ عنه الأكابر، وقال شيخنا (يقصد الحافظ ابن حجر العسقلانى فى إنبائه) يقصد « إنباء الغمر بأنباء العمر » إنه سمع من نظمه كثيرا بل وسمع منه معظم شرحه على البديعية، وجملة من إنشائه، قال: ولقيته ببلده فى سنة ست وثلاثين (أى ٨٣٦هـ) وبيننا مودة أكيدة، وقال فى معجمه: سمعت منه الكثير من الشرح، وكتب عنى وكتبت عنه، ولقيته بحماة عند التوجه مع العسكر إلى حلب، وسمعت من نظمه بها، وذكره ابن خطيب الناصرية فقال: الإمام الأديب البليغ الفاضل الناظم الناثر إمام أهل الأدب فى زمانه، ثم قال: وبينى وبينه صحبة أكيدة ومحبة ومذاكرة فى الأدب والتاريخ انتهى.

ومن تصانيفه: بلوغ المرام من سيرة ابن هشام، والروض الأنف والاعلام، وأمان الخائفين من أمة سيد المرسلين، وبلوغ المراد من الحيوان والنبات، والجماد فى مجلدين، وبروق الغيث على الغيث، الذى انسجم مع شرح لامية العجم، وكشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام، وحديقة زهير، وناصح قلاقس، وزاوية شيخ الشيوخ، وتحرير القيراط، وقهوة الإنشاء فى مجلدين وهو مما أنشأه بالديار

المصرية من الملوك المؤيد والظاهر والأشرف، والزوائد المصرية. نظم، والثمرات الشهية من الفواكه الحموية، نظم أيضًا، وجنى الجنتين وقطر النباتين، ونبوت الحجة، وقبول البينات، وتأهل الغريب فى أربع مجلدات، وتفصيل البردة، وثبوت العشرة، وديوان بديع قال فيه:

ديوان نظمى جاء وهو محرر
برقيق نظم لفظه مستعذب
فإذا بدا لاتستقلُّوا حجمه
وحياتكم فيه الكثير الطيب

قالت المؤلفة: ومن مصنفات ابن حجة الحموى أيضًا «بلوغ الأمل من فن الزجل» وهو بالعامية، وقد ذكره صاحب كشف الظنون (١/ ٢٥٤) وبروكلمان فى الذيل ٢/ ٩) وطبعته وزارة الثقافة السورية سنة ١٩٧٤ بتحقيق الدكتور رضا محسن القريشى. ويوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية وجاء بيانه كما يلى:

الرقم ٨٤٢٨.

لتقى الدين أبى بكر بن على بن عبد الله الحموى القادرى الحنفى الأزرارى المعروف بابن حجة الحموى المتوفى سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣هـ.

كتاب يتحدث عن فن الموشح والزجل والكان كان والقوما.

أوله: ... النيل زايدة.

ونقل عن الشيخ جمال الدين بن نباتة أنه قال: قطعنا المعمار بمقاطيعه.

وناهيك بهذه الصلة التى هى على مثله عايدة، واغتفر له أهل عصره اللحن وعدُّوه له من مطرب التلحين فإنه أتى فى نظمه بنكت تحرك العيدان وتغنى عن القوانين ... ».

آخره: « ...

أى قلب دعهم إش ترى أوقعك معهُمْ
انكشفْ عنهم قبل ما تظهر بدعُهمْ
لولا طمعهمْ بأن قلبى ما يدعهُمْ
ما خالفونى وأظهروا فيه بدعُهم

انتهى ما أوردته هنا من مصطلح الأربع فنون وهى الزجل والمواليا والكان وكان والقوما، وقد تقرر حذف الإعراب منها وأنها لا تنظم إلا باللفظ العامى الرقيق ليخف على الأسماع.

نجز الكتاب بحمد الله وعونه ...

النسخة ناقصة من أولها، ومقدار النقص لا يزيد على صفحة واحدة كتبت فى ١٠ رجب من شهور سنة ١٠٠٤ هـ والناسخ مجهول.

٢٩ق ١٧س ١٤ × ١٩,٥سم.

(فهرس الظاهرية ١/ ٧٨، ٧٩).

كما يوجد لابن حجة الحموى أيضًا مخطوط بمكتبة الأوقاف العامة فى الموصل بعنوان « أمان الخائفين من أمة سيد المرسلين ــ معجزات النبى ﷺ ضمن مجموع: ق ـ ١٨×١٤ ـ و ـ ١١٤ والنسخة ناقصة من أولها والموجود منها يبدأ بـ«أو يكون فى ذاته أفضل وأظهر وفضله لا ذاته راجع إلى ما خصَّه الله به من كرامته واختصاصه ... ».

كما توجد قصيدة أخرى فى مديح سيد المرسلين ـ على نهج القصيدة المتقدمة.

أولها:

أغـرد فـى أفنـان وجـدى بكـم عشقـا
فـلا تـذكـروا من بعـد تغـريـدى الـورقـا

نسخة نفيسة منسوخة على نسخة بخط المؤلف ابن حجة الحموى وفى حياته سنة ٨٣٣هـ.

جاء فى آخرها:

« بلغ مقابلة على مؤلفه متَّع الله تعالى الإسلام والمسلمين بطول بقايه [بقائه] بحضور سيدنا ومولانا وشيخنا قاضى القضاة نور الدين أبى البنا محمود بن خطيب الدهشة الهمدانى الشافعى أمتع الله تعالى الوجود بوجوده وذلك فى الحادى والعشرين من شهر شوال المبارك من سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وكتبه يونس بن يوسف الحنبلى » (فهرس مخطوطات الموصل / ٤٠٥، ٤٠٦).

ونعود إلى الشمس السخاوى الذى يقول:

وعمل البديعية (ونقلها لك فيما يلى إن شاء الله تعالى) متابعًا للحلِّى على طريقة العز الموصلى من التورية باسم النوع البديعى فى البيت وسماها تقديم أبى بكر، وهى تسمية

بديعة فى معناها لـلاتفاق فى اسمه واسم الصِّدِّيق رضى الله عنه، وشرحه فى ثلاث مجلدات أبدع فيه ما شاء وقرظه له العلماء فكان مما كتبه شيخنا : أشهد أن أبا بكر مقدم على أنظاره ولا أعدل فى هذه الشهادة من أحمد (يقصد ابن حجر العسقلانى شيخه) وأجزم برفعة قدره على من انتصب لهذا الفن ولا أبلغ من حاكم يشهد. وله رسائل ومقاطيع شهيرة ومن رسائله رسالة أنشأها حين كان الظاهر برقوق محاصرًا دمشق فى سنة إحدى وتسعين [وثمانمائة] وحرقت دمشق كتب بها إلى الفخر ابن مكانس بالقاهرة سماها ياقوت الكلام فى أيام الشام أودعها ابن خطيب الناصرية ترجمته من تاريخه. وهو ممن قرض السيرة المؤيدية لابن ناهض، وأوردت من تقاليده التى أنشأها لشيخنا فى الجواهر والدرر وقد انحرف عنه «النَّواجى» بعد مزيد اختصاصهما، وصنف «الحجة فى سرقات ابن حجة» (انظره فى موضعه) وزاد فى التحامل عليه وهجاه كثيرون من شعراء وقته بمقاطيع مقذعة، وكأنه والله أعلم كان ضنينًا بنفسه وبشعره يرى غالبهم كآحاد تلاميذه.

مات فى العشر الأخير من شعبان حسبما أرَّخه ابن خطيب الناصرية، وقيل فى رجب سنة سبع وثلاثين [وثمانمائة] بحماة بعد أن قال وقد اجتمعت الباردة والحُمَّى فى مرضه :

بـــرديــة بــردت عظمى وطــابقتهـــا
سخـــونـــة ألَّفَتْهـــا قـــدرةُ البـــارى
فـــامْنُن بتفـــرقـة الضِّـــدين من جســدى
يـــاذا المـــؤلِّف بين الثلج والنــــار

ووصفه بعض المحدثين بالإمام العالم الأديب البارع رأس أدباء العصر وأعرفهم بفنون الشعر ... ونظمه ونثره يفوقان الوصف وعندى (أى عند الشمس السخاوى) منهما جملة، قال شيخنا : ونعم الرجل كان. وقال المقريزى : كان فيه زهو وإعجاب بنفسه، علمه الأدب، ونظمه كثير، وهو عنده فى عقوده، وإنه لقيه مرارًا أولها بدمشق فى صفر سنة اثنتى عشرة [وثمانمائة] وأورد من نظمه أشياء، قال : وهو أحد أدباء العصر المكثرين المجيدين وله فى الأدب مصنفات ... وقال ابن قاضى شهبة : تقدم فى صناعة الأدب وشاع فضله قديما فى أيام ابن أيبك، وله النظم البليغ والنثر البديع واتصل بالمؤيد وتقدم عنده، ثم حصل له تخلف وتقدم عليه الزين ابن الخراط والشرف ابن العطار فعاد إلى بلده رحمه الله وإيانا (الضوء اللامع م٦ جـ١١/ ٥٤ - ٥٦).

قالت المؤلفة : ذكرنا فى مادة «البديعيات» (م٦/ ٥٤٩) كلام صاحب كشف الظنون على بديعية ابن حجة الحموى الذى نحن بصدده فقال : وبديعة للشيخ أبى بكر على المعروف بان حجة الحموى ... سمّاها «تقديم أبى بكر» فى مائة وثلاثة وأربعين بيتًا مشتملة على مائة وستة وثلاثين نوعًا، ثم شرحها شرحا مفيدا، وهو مجموع أدب قَلَّ أن يوجد فى غيره ولعل مقتنيه يستغنى عن غيره من الكتب الأدبية ولو لم يكن فيه إلا جودة الشواهد لكل نوع من الأنواع مع ما امتاز به من الاستكثار من إيراد نوادر العصريين فإن مصنفه مرتفع عنه كلفة العارية، وهذا وحده مقصود لكل حاذق. كذا نُقل من خط ابن حجر على ظهر نسخة منها. اهـ.

ولما كانت هذه قيمة البديعية الفنية والتعليمية فقد رأينا أن ننقلها هنا بتمامها رغم طولها حتى تكون مرجعا للدارسين والمدرسين على السواء، وذلك أسوة بالحافظ السيوطى، الذى يقول : بعد أن أورد فى النظم من أنواع البديع ما لا يحصى وقبل أن يورد البديعة : وقد رأيت أن أورد هنا قصيدة من البديعات ليكون كل بيت منها شاهدًا لنوع من الأنواع المقدمة فاخترت بديعة ابن حِجّة لاشتمال كل بيت منها على تسمية النوع الذى فيه على سبيل التورية، أنشدنى صديقنا الحافظ نجم الدين بن فهد بمكة المشرفة شرفها الله تعالى قال أنشدنى التقى أبو بكر بن حجة لنفسه يمدح النبى ﷺ :

لى فى ابتدا مدحكم يا عرب ذى سلمٍ
(براعة) تستهل الدمع فى العلم
لله سربى فسربى طلقوا وطنى
(وركبوا) فى ضلوعى (مطلق) السقم
ورمت (تلفيق) صبرى كى أرى قدمى
يسعى معى فسعى لكن أراق دمى
(وذيل) الهم همل الدمع لى فجرى
(كلاحق) الغيث حيث الأرض فى ضرم
يا سعد ما (تم) لى سعد (يطرفنى)
بقربهم وقليل الحظ لم يلم
هل من يفى ويقى إن صحفوا عذلى
(وحرفوا) وأتوا بالكلم فى الكلم

قد فاض دمعى وقاظ (القلب) إذ سمعا
(لفظى) عذل ملا الأسماع بالألم
أيا معاذ أخا الخنساء كنت لهم
يا (معنوى) فهدونى بجورهم
(واستطردوا) خيل صبرى عنهم فكبت
وقصرت كليالينا بوصلهم
وكان غرس التمنى يانعا فذوى
(بالاستعارة) من نيران هجرهم
(واستخدموا) العين منى وهى جارية
وكم سمحت بها أيام عسرهم
والبين (هازلنى) بالجد حين رأى
دمعى وقال تبرد أنت بالديم
(قابلتهم) بالرضا والبلم منشرحا
ولوا غضابا فياحربى لغيظهم
وما أرونى (التفاتنا) عند نفرتهم
أنت يا ظبى أدرى بالتفاتهم
تغزلى (وافتنانى) فى شمائلهم
أضحى رثا لاصطبارى بعد بعدهم
قالوا نرى لك لحما بعد فرقتنا
فقلت (مستدركا) لكن على وضم
(فالطئ والنشر) والتغيير مع قصر
للظهر والعظم والأحوال والهمم
بوحشة بدلوا أنسى وقد خفضوا
قدري وزادوا غلوا فى (طباقهم)
(نزهت) لفظى عن فحش وقلت هم
عرب وفى حبهم يا غربة الذمم
(تخيروا) لى سماع العذل وانتزعوا
قلبى وزادوا نحولي مث من سقم
وزاد (إبهام) عذلى عاذلى ودجى
ليلى فهل من بهيم يشتفى أملى
وكم (تمثلت) إذا أرخوا شعورهم
وقلت بالله خيل الرقص فى الظلم
ذل العذول بهم وجدا فقلت له
(تهكما) أنت ذو عز وذو شمم
قال اصطبر قلت صبرى ما (يراجعنى)
قال احتمل قلت من يقوى لصدهم
(توشيحهم) يملا تلك الشعور إذا
لفوه طيبا تعرفنا بنشرهم

(شابهت أطراف) أقوالى فإن أهم
أهم إلى كل واد فى صفاتهم
(أغابر) الناس فى حب الرقيب فمذ
أراه أبسط آمالى بقربهم
والله ما طال (تذليل) اللقاء بهم
يا عاذلى وكفى بالله فى القسم
خشن ألن احزن افرح امنع اعط أنل
(فوّف) أجد وش رقق شدّ حبّ لم
يا عاذلى أنت محبوب لدىّ فلا
(توارب) العقل منى واستفد حكمى
(جمع الكلام) إذا لم تغن حكمته
وجوده عند أهل الذوق كالعدم
إنى (أناقضهم) إن أزمعوا ونأوا
وجر نمل ثبير إثر عيسهم
ألم أصرح (بتصدير) المديح لهم
ألم أهدّد ألم أصبر ألم ألم
(قولى) له (موجب) إذ قال أشفقهم
تسلّ قلت بنارى يوم فقدهم
وكم (بمعرض مدح) قد هجوتهم
وقلت سدتم بحمل الضيم والتهم
عفت القدود فلم (أستثن) بعدهم
إلا معاطف أغصان بذى سلم
طاب اللقا لذ (تشريع) الشعور لنا
على النقا فنعمنا فى ظلالهم
بكل بدر بليل الشعر يحسده
بدر السماء على (التتميم) فى الظلم
وافترّ عجبا (تجاهلنا بمعرفة)
قلنا أبرق بدا أم ثغر مبتسم
لما (اكتفى) خده القانى بحمرته
قال العواذل بغضا إنه لدمى
ذكرت نظم اللآلى والحباب له
(راعى النظير) بثغر منه منتظم
وقلت ردفك موج كى (أمثله)
بالبحر قال قد استسمنت ذا ورم
وأسود الخال فى نعمان وجنته
لى منذر منه (بالتوجيه) للعدم
يا نفس ذوقى (عتابى) قد دنا أجلي
منى ولم تقطعى آمال وصلهم

برئت من أربى والعز من شيمى
إن لم أبرّ بنأى عنهم (قسمى)
ومن غدا قسمه التشبيب فى غزل
(حسن التخلص) بالمختار من قسمى
محمد بن الذبيحين الأمين أبو البـ
ـتول خير نبى فى (اطرادهم)
عين الكمال كمال العين رؤيته
يا (عكس) طرف من الكفار عنه عمِى
أبدى البديع له الوصف البديع وفى
نظم البديع حلا (ترديده) بفمى
(تكرير) مدحى حلا فى الزائد الكرم ابـ
ـن الزائد الكرم ابن الزائد الكرم
(ومذهبى فى كلامى) أنّ بعثته
لو لم تكن ما تميزنا على الأمم
فعلمه وافر والزهد (ناسبه)
وحلمه ظاهر عن كل محترم
(ووشع) العدل منه الأرض فاتشحت
بحلة الأمجدين المهد والذمم
آدابه تممت لا نقص يدخلها
الوجه (تكميله) فى غاية العظم
قالوا هو البدر و (التفريق) يظهر لى
فى ذاك نقص وهذا كامل الشيم
وانشق من أدب له بلا كذب
شطرين فى قسم (تشطير) ملتزم
والبدر فى التمّ كالعرجون صار له
فقل لهم يتركوا (تشبيه) بدرهم
ورد شمس الضحى للقوم خاضعة
وما ليوشع (تلميح) بركبهم
(شيئان قد أشبهنا شيئين) فيه لنا
تبسم وعطا كالبرق فى الديم
كذا (انسجام) دموعى فى مدائحه
بالله شنف بها يا طيب النغم
وإن ذكرت زمانا ضاع من عمرى
فى غير (تفصيل) مدحى صِحْتُ واندَمِى
(نوادر) المدح فى أوصافه نشقت
منها الصبا فأتتنا وهى فى شمم
(بالغ) وقل كم جلا بالنور ليل وغى
والشهب قد عميت من عثير الدهم

لو شاء (إغراق) من ناواه مدّ له
فى البرّ بحرا بموج منه ملتطم
بلا (غلو) إلى السبع الطباق سرى
وعاد والليل لم يجفل بصحبهم
سهل شديد له (بالمعنيين) بدا
(تآلف) فى العطا والدين للعظم
لا (ينتفى) الخير من (إيجابه) أبدا
ولا يشين العطا بالمنّ والسأم
للجود فى السير (إيغال) إليه وكم
حبا الأنام بجود غير منصرم
(تهذيب تأديبه) قد زاده عظما
فى مهده وهو طفل غير منفطم
بحر وذو أرب برّ وذو رحب
(لم يستحل بانعكاس) ثابت القدم
أوصافه الغر قد حلت (بتورية)
جيدى وعقد لسانى بعد ذا وفمى
من اعتدى فبعد و إن (يشاكله)
لحكمة هو فيها خير منتقم
(جمع) الأعادى (بتقسيم) يفرقه
فالحىّ للأسر والأموات للضرم
سناه كالبرق إن أبدوا ظلام وغى
والعزم كالبرق فى (تفريق جمعهم)
ومن (إشارته) فى الحرب كم فهم الـ
ـأنصار معنى به فازوا بنصرهم
(توليد) نصرتهم يبدو بطلعته
ما السبعة الشهب ما توليد رملهم
قالوا طويل نجاد السيف قلت وكم
لنأوه ألسن (تكنى) عن الكرم
آدابه وعطاياه ورأفته
سجية ضمن (جمع) فيه ملتئم
(إيجابه) بالعطايا ليس (يسلبه)
ويسلب المنّ منه سلب محتشم
هداه (تقسيمه) حالى به صلحت
حيا وميتا ومبعوثا مع الأمم
(أوجز) وسل أول الأبيات عن مدح
فيه وسل مكة يا قاصد الحرم

بالحجر ساد فلا ندّ (يشاركه)
حجر الكتب المبين الواضح اللقم
(تصريع) أبواب عدن يوم بعثهم
يلقاه بالفتح قبل الناس كلهم
فلا (اعتراض) علينا فى محبته
فهو الشفيع ومن يرجوه يعتصم
وما لنا من رجوع عن حماه بلى
لنا (رجوع) عن الأوطان والحشم
(ترتب)الحيوانات السلام له
والنبت حتى جماد الصخر فى الأكم
محمد أحمد المحمود مبعثه
كل من الحمد تبيين (اشتقاقهم)
ووصفه لابنه قد جاء تسمية
فإنه حسن حسب (اتفاقهم)
(إبداع) أخلاقه إبداع خالقه
فى زخرف الشعر فاسجع بها وهم
فالخير (ماثله) والعفو جاوره
والعدل جانسه فى الحكم والحكم
ألحق بحصر جميع الأنبياء به
(فالجزء يلحق بالكلى) للعظم
وشم وميض بروق من(فرائده)
وانظم خنانيك عقدا غير منفصم
يسّ زادت على لقمان حكمته
وبان (ترشيحه) فى نَّ والقلم
به العصا أثمرت عزّا لصاحبها
موسى وكم قد محت (عنوان) سحرهم
كذا الخليل (بتسهيم) الدعاء به
أصابهم ونجا من حرّ نارهم
شملى (بتطريز) مدحى فيه منتظم
يا طيب منتظم فيه ومنتظم
وآله البحر آل إن يقس بندى
كفوفهم فافهموا (تنكيت) مدحهم
وفى الوغى (رادفوا) السن القنا سكنا
من الغدا فى محل النطق بالكلم
(وأودعوا) للثرى أجسامهم فشكت
شكوى الجريح إلى العقبان والرخم

والبعض ماتوا من (التوهيم) واطرحوا
والسمر قد قبلتهم عند موتهم
وكلما (ألغزوه) حله لسن
مذ طال تعقيده أزرى بفهمهم
وقدّه (باختراع سالم) ألف
يبدو بترويسه من رأس كل كمى
وصحبه بالوجوه البيض يوم وغى
كم (فسروا) من بدور فى دجى الظلم
ذكراه يطربهم والسيف ينهل من
أجسامهم لم يشن (حسن اتباعهم)
كأنما الهام أحداق مسهدة
ونومها (واردته) فى سيوفهم
هذا وتزداد (إيضاحا) مخافتهم
فى كل معترك من بطش ربهم
ما العود إن فاح نشرا أو شذا طربا
يوما بأطيب من (تفريع) وصفهم
من ذا (يناسقهم) من ذا يطابقهم
من ذا يسابقهم فى حلبة الكرم
(تعديد) فضلهم يبدى لسامعه
علما وذوقا وشوقا عند ذكرهم
نعم وقد طاب تعليل النسيم لنا
لأنه مرّ فى آثار تربهم
(تعطف) الخير كم أبدوا لمذنبهم
والخير ما زال فى أبواب صفحهم
يحمون (مستتبعين) العفو إن ظفروا
ويحفظون وفاهم حفظ دينهم
(طاعتهم) تقهر (العصيان) قدرهم
له العلو فجانسه بمدحهم
(فى معرض الذم) إن رمت (المديح) فقل
لا عيب. فيهم سوى إكرام وفدهم
هم معشر (بسطوا) جودا سقاه حيا
وأخصب العيش فى أكناف أرضهم
نور القبائل ذو النورين ثالثهم
وللمعال (اتساع) فى عليهم
(جمعت مؤتلفا) فيهم (ومختلفا)
مدحا وقصرت عن أوصاف شيخهم

(تعريض) مدح أبي بكر يقدمني
في سبق حليهم مع موصليهم
نعم (ترصيع) شعري واعتلت هممي
وكم ترفع قدري وانجلت غممي
(سجعي) ومنتظمي قد أظهرا حكمي
وصرت كالعلم في العرب والعجم
(تسميط) جوهره يلقي بأبحره
ورشف كوثره يروى لكلّ ظمي
لأن مدح رسول الله (ملتزمي)
فيه ومدح سواه ليس من لزمي
إذا (تزاوج) ذنبي وانفردت له
بالمدح فزت ونجاني من النقم
وزِّيت في كلمي (جزأت) من قسمي
أبديت من حكمي جليت كلّ عمي
لي في المعاني جنود في البديع وقد
(جردت) منها لمدحي فيه كلّ كمي
وهو (المجاز) إلى الجنات إن عمرت
أبياته بقبول سابغ النعم
(تأليف اللفظ والمعنى) بمدحته
والجسم عندي بغير الروح لم يقم
(واللفظ والوزن) في أوصافه (ائتلفا)
فما يكن مديحي غير منسجم
(والوزن) صح (مع المعنى تألفه)
بمدحه فأتي بالدرّ في الكلم
(واللفظ باللفظ) في التأسيس مؤتلف
في كلّ بيت بكسان البديع سمي
(تمكين) سقمي بدا من خيفة حصلت
لكن مدائحه قد أبرأت سقمي
وقد أمنت وزال الخوف (مُنْدلفا)
نحو المدو ولم أحقر ولم أضم
واخضر أسود عيشي حين (دبجه)
بياض حظي ومن زرق العداة حمي
وقلت يا ليت قومي يعلمون بما
قد نلت كي يلحظوني (باقتباسهم)
يا ربّ (سهل طريقي) في زيارته
من قبل أن تعتريني شدة الهرم
حتى يبث بديعي في محاسنه
(حسن البيان) وأشدو في حجازهم
قد عز (إدماج) شوقي والدموع لها
على بهار خدودي صبغة العنم
فإن أقف غير مطرود. بحجرته
لم (أحترس) بعدها من كيد مختصم
وفي (براعة) ما أرجوه من طلب
إن لم أصرّح فلم أحتج إلى الكلم
قد صح (عقد) بياني في مناقبه
وإن منه لسحرا غير سحرهم
تمت (مساواة) أنواع البديع به
لكن تزيد على ما في بديعهم
حسن ابتدائي به أرجو التخلص من
نار الجحيم وأرجو (حسن مختتمي)

(شرح عقود الجمان / ١٥٧ - ١٦١).

وهكذا ضمن ابن حجة الحموى قصيدته في مدح رسول الله ﷺ هذا العدد الذى لا يكاد يحصى من أنواع البديع، وقد أوردنا الكثير منه في هذه الموسوعة.

(الأعلام للزركلى ٢/ ٦٧ - والضوء اللامع لشمس الدين السخاوى م٦/ جـ١١ / ٥٤ - ٥٦، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، الأدب - وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ٧٨، ٧٩ وفهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل - سالم عبد الرزاق أحمد ٨/ ٤٠٥، ٤٠٦. وشرح عقود الجمان للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي / ١٥٧ - ١٦١. انظر أيضًا حسن المحاضرة للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ١/ ٥٧٣، وهدية العارفين للبغدادي باشا ١/ ٧٣١).

*** حجة السماع:**

حجة السماع: للشيخ إسماعيل بن محمد الأنقروى المولوى المتوفي في حدود سنة سبع وثلاثين وألف [١٠٤٢ اثنتين وأربعين وألف] ذكر فيه لأنه لما بلغ عصره إلى السنة المذكورة ظهر خلف من أهل الظاهر وأراد به الشيخ المعروف بقاضى زاده فطفق أن ينكر سماعنا فجاء بعض الإخوان برسالة منسوبة إلى الشيخ أحمد الغزالي فوجدها مشتملة على دلائل لكنها محشوة بالزوائد فحذفها وأصلحها فصارت مختصرا مفيدا ولحجة السماع تأييد فجعل تكملة لها وكان الإصلاح

في سنة ١٠٢٧ سبع وعشرين وألف ورتب على ثلاثة أبواب وأول التكملة : الحمد لله الذي أسمع العباد في الميثاق الأول ... إلخ .

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ٦٣٠) .

*** الحجة الصغيرة:**

الحجة الصغيرة : لعيسى بن أبان عن محمد بن الحسن ذكر الخوارزمي في مسند أبي حنيفة عن الصيمري بإسناده إلى المأمون أنه جمع في عصره كتاب في الأحاديث ووضع بين يديه وقالوا إن أصحاب أبي حنيفة هم الذين مقدمون عندك لا يعملون بها في قصة طويلة إلى أن صنف عيسى هذا الكتاب وبيّن فيه وجوه الأخبار وما يجب قبوله وما يجب تأويله وما يجب العمل فيه بالمتضادين وبيّن حجج أبي حنيفة فلما قرأه المأمون ترحم على أبي حنيفة .

(كشف الظنون ١/ ٦٣١) .

*** الحجة في بيان المحجة:**

الحجة في بيان المحجة : للشيخ الإمام أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي الأصبهاني المتوفى سنة ٥٣٥ خمس وثلاثين وخمسمائة وهو مجلد كثير الفصول والأبواب جمع فيه دلائل التوحيد وعقائد أهل السنة . وفي شرح الأربعين لمولانا اللاري كتاب الحجة لتارك المحجة يتضمن ذكر أصول الدين على قواعد أهل الحديث والسنة قال وهو للشيخ أبي الفتح نصر بن إبراهيم الشافعي الفقيه الزاهد نزيل دمشق «المتوفى سنة ٤٩٠» وأفصح بعض الشارحين أنه للحافظ أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني وهو خطأ انتهى .

(كشف الظنون ١/ ٦٣١) .

*** الحجة في سرقات ابن حجة:**

قال صاحب كشف الظنون : الحجة في سرقات ابن حجة لشمس الدين محمد بن حسن النوّاجي هجره بعد اختصاصه وزاد في التحامل عليه (كشف ١/ ٦٣١) .

يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق (ولعله الآن بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلي :

الحجة في سرقات ابن حجة .

لشمس الدين محمد بن حسن النّواجي الشافعي المتوفى سنة ٨٥٩هـ/ ١٤٥٥م (ترجمته في الأعلام ٦/ ٣٢٠ ومعجم المؤلفين ٩/ ٢٠٣) .

الرقم ١٣ .

والكتاب نقد لديوان ابن حجة الحموي ، وذكر لسرقات ابن حجة وضروراته الشعرية التي بلغت ٣٢٥ ضرورة .

أوله : « قال الفقير إلى رحمة الله والراجي عفوه ومغفرته محمد بن حسن النّواجي الشافعي بلّغه الله سؤاله ونوله في الدارين مطلوبه ومأموله . الحمد لله الذي أمرنا أن نؤدي الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمنا بين الناس أن نحكم بالعدل ... » .

آخره : « ... وكتب أبياتًا أخرى وكتب عليها أيضًا جماعة من أعيان الديار المصرية وعلمائها ، كسيدنا ومولانا قاضي القضاة وشيخ الإسلام علم الدين صالح البلقيني ومولانا قاضي القضاة وشيخ الإسلام بدر الدين محمود العيني الحنفي عظم الله تعالى شأنهما ، تقاريظ بديعية ليس هنا مواضع ذكرها ...

هذا آخر الحجة في سرقات ابن حجة . والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم تسليمًا » .

نسخة تامة كتبت بخط حديث مستعجل .

(١ ـ ١٧٠أ) ١٧٠ق ١٧س ١٤ × ٢١ سم .

(فهرس الظاهرية ١/ ١٧٤ ، ١٧٥) .

(كشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ٦٣١ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الأدب ـ وضعه رياض عبد الحميد مراد وياسين محمد السواس ١/ ١٧٤ ، ١٧٥) .

*** الحجة للإمام الشافعي رضي الله عنه:**

الحجة للإمام الشافعي رضي الله عنه ـ وهو مجلد ضخم ألفه بالعراق وإذا أطلق القديم في مذهبه يراد به هذا التصنيف . قال الأسنوي في المهمات ويطلق على ما أفتى به هناك أيضًا . وذكر ابن حجر في مناقب الشافعي رضي الله عنه أنه قال : اجتمع عليّ أصحاب الحديث فسألوني أن أضع على كتاب أبي حنيفة فقلت لا أعرف قولهم حتى أنظر في كتبهم فأمرت فكتب لي كتب محمد بن الحسن فنظرت فيها سنة حتى حفظتها ثم وضعت الكتاب البغدادي يعني الحجة .

(كشف الظنون ١/ ٦٣١ ، ٦٣٢) .

* **حجة الوداع:**

هى حجة رسول الله ﷺ الأخيرة التى قال فيها: «خذوا عنى مناسككم» عن يحيى بن سعيد قال: حدثنا جعفر قال: حدثنى أبى قال: «أتينا جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، وهو فى بنى سلمة، فسألناه عن حجَّة النبى ﷺ (والمراد حجة الوداع) فحدّثنا أن رسول الله ﷺ مكث بالمدينة تسع سنين لم يحج (أى أنه مكث بالمدينة تسع سنين بعد الهجرة، ولم يحج فى هذه المدة، ولكنه اعتمر، وقد فُرض الحج سنة تسع من الهجرة، على رأى الكثير من العلماء) ثم أذّن فى الناس أن رسول الله ﷺ حاجٌّ هذا العام، قال فنزل المدينة بشر كثير، كلهم يلتمس أن يأتمَّ برسول الله ﷺ ويفعل مثل ما يفعل، فخرج رسول الله ﷺ لعشر بقين من ذى القعدة، وخرجنا معه».

رواه أحمد بلفظه، الفتح جـ ٢١ ص ٢١٨.

والمراد من ذلك إعلام الناس جميعا بحجّة النبى ﷺ، وإشاعته بينهم، ليتأهبوا للحج معه، ويتعلموا المناسك والأحكام، ويشاهدوا أفعاله، ويسمعوا أقواله، وتشيع دعوة الإسلام، وتبلغ الرسالة القريب والبعيد. وتعتبر حجة الوداع دستورًا للحجاج إلى يوم الدين.

وقد بلغ جملة من كان معه من أصحابه ﷺ تسعين ألفا، وقيل مائة وعشرون ألفا (المنتخب من السنة ١/ ٣٢٠).

ولما كان هذا شأن حجة الوداع باعتبارها دستورًا للحجاج إلى يوم الدين - كما سبق القول - فإننا نوافيك بتفاصيلها وما تخللها من أحكام كما وردت فى كتاب محاضرة الأبرار، وقد وضعنا تعليقات المحقق الأستاذ محمد مرسى الخولى بين أقواس فى ثنايا النص:

عن أبى عبد الله الحميدى قال: ولما فتح الله مكة حج بالناس سنة ثمان عتَّاب بن أسيد، وحجّ فى سنة تسع أبو بكر الصّدّيق رضى الله عنه، ثم إن الرسول ﷺ حجّ بالناس سنة عشر، على ما ثنا به عبد الحق الأزدى الإشبيلى كتابةً من بجاية، وثنا أبو الوليد جابر بن أبى أيوب الحضرمى مشافهة بمسجد المرادى بإشبيلية، قال: ثنا أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح، قال: قال أبو محمد علىّ بن أحمد بن سعيد: لما أراد رسول الله ﷺ أن يحج أعلم الناس أنه حاج، ثم أمر بالخروج معه فأصاب الناس بالمدينة جدرىّ أو حصبة منعت من شاء الله أن يمنع من الحج، فأعلم رسول الله ﷺ أن عمرةً فى رمضان تعدل حجة، وخرج رسول الله ﷺ عامدًا إلى مكة عام حجَّة الوداع التى لم يحجّ من المدينة منذ هاجر ﷺ إليها غيرها، فأخذ على طريق الشجرة، وذلك يوم الخميس لست بقين من ذى القعدة سنة عشر نهارًا بعد أن ترجل وادَّهن، وبعد أن صلَّى الظهر بالمدينة، فصلَّى العصر من ذلك اليوم بذى الحليفة (ميقات أهل المدينة الذى يحرمون منه بالحج أو العمرة. وهى على بعد ستة أميال منها) وبات ليلة الجمعة وطاف تلك الليلة على نسائه، ثم اغتسل ثم صلَّى الصبح بها، ثم طيبته عائشة رضى الله عنها بيدها بذريرة (نوع من الطيب) وبطيب فيه مسك، ثم أحرم ولم يغسل الطيب، ثم لبَّد رأسه (أى ألزقه بشىء لزج كصمغ أو نحوه ليمنع حلول الهوام فيه خلال فترة الإحرام) وقلَّد بدنته نعلين وأشعرها (جرحها جرحًا خفيفًا) فى جانبها الأيمن وسلت الدم عنها (أى مسحه) وكانت هدى تطوع، وكان ﷺ ساق هدى نفسه ثم ركب راحلته وأهل (أهلّ: أحرم، وأهلّ بالتلبية: رفع صوته بها) حين انبعثت به راحلته عند مسجد ذى الحليفة بالقران بالعمرة والحج معًا وذلك قبل الظهر بيسير.

(هذا هو ما اختاره ابن حزم استنادا على بعض الروايات، وثمة روايات أخرى تفيد أنه ﷺ أفرد الحج، والقول بهذا هو مذهب أهل المدينة، وقال بعضهم: دخل مكة متمتعًا بعمرة ثم أضاف إليها حجة، انظر جوامع السيرة، والبداية والنهاية) وقال ﷺ للناس بذى الحليفة: من أراد منكم أن يهلّ بحج وعمرة فليهلّ ومن أراد أن يهل بحج فليهلّ، ومن أراد أن يهل بعمرة فليهلّ، وكان معه ﷺ من الناس جموعٌ لا يحصيها إلاَّ خالقها ورازقها عزَّ وجل، ثم لبىّ رسول الله ﷺ فقال: لبّيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، وقد روى أنه ﷺ زاد على ذلك فقال: لبيّك إلّه الحمد، وأتاه جبريل عليه السلام وأمره أن يأمر أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية، وولدت بنت عُميس الخثعمية زوج أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه محمد بن أبى بكر فأمرها رسول الله ﷺ أن تغتسل وتستثفر (أى تشد على نفسها خرقة لتمنع سيلان الدم) بثوب وتحرم وتهلّ.

ثم نهض ﷺ وصلى الظهر بالبيداء ثم تمادى، واستهلّ هلال الحجة ليلة الخميس اليوم الثامن من يوم الخروج من المدينة، فلما كان بسَرِف (موضع على نحو ستة أميال من مكة) حاضت عائشة رضى الله عنها وكانت قد أهلّت بعمرة، فأمرها رسول الله ﷺ أن تغتسل وتنقض رأسها وتمتشط وتترك العمرة وترفضها ولم تُحِلَّ منها وتدخل على العمرة حجًّا، وتعمل جميع أعمال الحج حاشا الطواف بالبيت ما لم تطهر.

وقال ﷺ وهو بسرف للناس: من لم يكن معه هَدى (الهَدى ما يقدمه الحجاج من الأضاحى للذبح يوم النحر) وأراد أن يجعلها عمرة فليفعل ومن كان معه، هدى فلا يعتمر فمنهم من جعلها عُمرة كما أبيح له، ومنهم من تمادى على نيّة الحج ولم يجعلها عمرة أصلاً، وأمر ﷺ في بعض طريقه ذلك كل من كان معه هَدْى أن يهلّ بالقِران بالحج والعمرة معًا، ثم نهض ﷺ إلى أن نزل بذى طُوى، فبات بها ليلة الأحد لأربع خلون من الحجة فصلى الصبح ودخل مكة نهارًا من أعلاها من كداء من الثنية العليا صبيحة يوم الأحد المذكور المؤرّخ، واستلم الحجر الأسود، وطاف ﷺ بالكعبة سبعًا ورمل (رمل: هرول فى سيره) ثلاثًا منها ومشى أربعًا يستلم الحجر الأسود والركن اليمانى (استلمهما أى مسح عليهما بيده) فى كل طوفة ولا يمس الركنين الآخرين اللذين فى الحجر، وقال بينهما: **﴿ربَّنا آتنا فى الدُّنيا حسنة وفى الآخرة حسنةً وقنا عذاب النارِ﴾** [البقرة: ٢٠١] ثم صلى عند مقام إبراهيم عليه السلام ركعتين، يقرأ فيهما مع أم القرآن قل يا أيها الكافرون (سورة الكافرون) والإخلاص وجعل المقام بينه وبين الكعبة وقرأ ﷺ إذا أتى المقام قبل أن يركع **﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مُصلى﴾** [البقرة: ١٢٥] ثم رجع إلى الحجر الأسود فاستلمه، ثم رجع إلى الصفا فقرأ **﴿إنَّ الصفا والمروة من شعائر الله﴾** [البقرة: ١٥٨] أبدأ بما بدأ الله به، فطاف بين الصفا والمروة أيضًا راكبًا سبعًا على بعيره، يخبّ ثلاثًا ويمشى أربعًا إذا رقى الصفا استقبل القبلة ونظر إلى البيت ووحدّ الله وكبّره، وقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ثم يدعو، ثم يفعل على المروة مثل ذلك، فلما كمل الطواف والسعى ﷺ أمر كل من لا هَدْى معه بالإحلال حتمًا ولا بد، قارنًا أو مفردًا، وأن يُحلُّوا الحل كله من وطءِ النساء والطيب والمخيط، وأن يبقوا على ذلك إلى يوم التروية وهو يوم مِنى، فيهلُّوا حينئذ بالحج ويحرموا حين ذلك عند نهوضهم إلى منى، وأمر من معه الهدى، بالبقاء على إحرامه، وقال لهم ﷺ لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرتُ ما سُقتُ الهدى حتى أشتريه، ولجعلته عمرة، ولأحللتُ كما أحللتم، ولكنى سُقت الهدى فلا أُحل حتى أنحر الهدى.

وكان أبو بكر وعمر وعلىّ وطلحة والزبير رضى الله عنهم ورجال من أهل الوفر (أى من أهل المال الكثير أو اليسير) ساقوا الهدى فلم يُحلُّوا وبقوا مُحرمين كما بقى ﷺ محرمًا، لأنه كان ساق الهدى مع نفسه، وكل أمهات المؤمنين لم يسقن هديًا فأحللن وكن قارنات حجًّا وعمرة، وكذلك السيدة فاطمة بنت النبى ﷺ وأسماءُ بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما أحلتا حاشا عائشة رضى الله عنها، فإنها من أجل حيضها لم تحل كما ذكرنا، وشكا على فاطمة إلى النبى ﷺ إذ أحلت، فصدّقها رسول الله ﷺ فى أنه هو أمرها بذلك، وحينئذ سأله سُراقة بن مالك بن جُعْشُم الكنانى، فقال: يا رسول الله: مُتعتُنا هذه لعامنا هذا أم للأبد؟ ولنا أم للأمة؟ فشبّك عليه السلام بين أصابعه وقال: بل للأبد وللأمة دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة، وأمر ﷺ من جاء إلى الحج على غير الطريق التى أتى عليها ﷺ ممن أهل كإهلاله ﷺ بأن يثبتوا على أحوالهم، فمن ساق منهم الهدى لم يحل فكان علىٌّ فى أهل هذه الصِّفة، ومن كان منهم لم يسُق الهدى أن يحلّ، فكان أبو موسى الأشعرى من أهل هذه الصفة، وقام ﷺ بمكة محرمًا من أجل هديه يوم الأحد المذكور والإثنين والثلاثاء والأربعاء وليلة الخميس، ثم نهض ﷺ ضحوة يوم الخميس وهو يوم منًى ويوم التروية مع الناس إلى مِنى، وفى ذلك الوقت أحرم بالحج من الأبطح كل من كان أحلَّ من أصحابه رضى الله عنهم، فأحرموا فى نهوضهم إلى منى فى اليوم المذكور، فصلَّى ﷺ بمنى الظهر من يوم الخميس وبات بها ليلة الجمعة وصلى بها ليلة الجمعة وصلَّى بها الصبح من يوم الجمعة، ثم نهض عليه السلام بعد طلوع الشمس من يوم الجمعة المذكور إلى عرفة بعد أن أمر ﷺ أن تضرب له قبة من شعر بنمرة (موضع بجنب عرفات) فأتى ﷺ عرفة فى قُبّته التى ذكرنا حتى إذ زالت الشمس أمر بناقته القصواء فرُحلت، ثم

أتى بطن الوادى فخطب الناس على راحلته خطبة ذكر فيها تحريم الدماء والأموال والأعراض، ووضع فيها أمور الجاهلية ودماءها (أى أسقطها) وأول دم وضع فيها دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب كان مسترضعًا فى بنى سعد بن بكر ابن هوازن فقتلته هذيل، وذكر النسابون أنه كان صغيرًا يحبو أمام البيوت وكان اسمه آدم، فأصابه حجرٌ عائر أو سهمٌ غرب (هو السهم الطائش) من يد رجل من بنى هذيل فمات.

قال أبو محمد: ثم نرجع إلى وصف عمله ﷺ: ووضع أيضًا ﷺ فى خطبته ربا الجاهلية، وأول ربًا وضعه ربا عمّه العباس، وأوصى بالنساء خيرا وأباح ضربهن غير مبرح إن عصين بما لا يحل لهن، وقضى لهن بالرزق بالمعروف على أزواجهن، وأمر بالاعتصام بعده بكتاب الله عزّ وجل، وأخبر أن لا يضل من اعتصم بالله، وأشهد الله عز وجل على الناس أنه قد بلَّغهم ما يلزمهم فاعترف الناس بذلك، وأمر ﷺ أن يبلِّغ الشاهدُ منهم الغائب، وبعثت إليه أمُّ الفضل بنت الحارث الهلالية وهى أم عبد الله بن العباس لبنًا فى قدح فشربه وهو أمام الناس وهو على بعيره، فعلموا أنه ﷺ لم يكن صائمًا فى يوم ذلك، فلما أتمّ الخطبة المذكورة أمر بلالاً فأذّن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئًا، لكن صلاّهما ﷺ بالناس مجموعتين فى وقت الظهر بأذان واحد لهما معًا، وبإقامتين لكل صلاة منهما إقامة، ثم ركب ﷺ راحلته حتى أتى الموقف فاستقبل القبلة وجعل حبل المشاة (الحبل: التل من الرمل) بين يديه، فلم يزل واقفًا للدعاء، وهنالك سقط رجلٌ من المسلمين عن راحلته وهو محرم فى جملة الحجيج فمات، فأمر رسول الله ﷺ بأن يكفن بثوبه ولا يمّس بطيب ولا مخيط ولا يغطى رأسه ولا وجهه (قالت المؤلفة: صحة العبارة كما وردت فى جوامع السيرة النبوية لابن حزم٣/ ٣١٢: ولا يخمرَّ وجهه ولا رأسه بالخاء المعجمة أى لا يغطى بخمار) وأخبر ﷺ أنه يبعث يوم القيامة ملبّيًا، وسأله قوم من أهل نجد هنالك عن الحج فأعلمهم ﷺ بوجوب الوقوف بعرفة ووقت الوقوف بها، وأرسل إلى الناس أن يقفوا على مشاعرهم، فلم يزل واقفًا للدعاء حتى غربت الشمس من يوم الجمعة المذكور، وذهبت الصفرة وأردف أسامة بن زيد خلفه، ودفع ﷺ وقد ضم بزمام القصواء حتى إن رأسها ليصيب طرف رحله، ثم مضى يسير العَنَق فإذا وجد فجوة نص، وكلاهما ضربٌ من السير والنص آكدهما، والفجوة: الفسحة من الناس، كلما أتى ربوةً من تلك الروابى

أرخى للناقة زمامها قليلاً حتى يصعدها، وهو ﷺ يأمر الناس بالسكينة بالسير، فلما كان فى الطريق عند الشِّعب الأيسر نزل ﷺ وتوضأ وضوءًا خفيفا، وقال لأسامة: المُصلى أمامك أو كلامًا هذا معناه، ثم ركب حتى أتى المزدلفة ليلة السبت العاشرة من الحجة، فتوضأ ثم صلَّى بها المغرب والعشاء الأخير مجموعتين فى وقت العشاء الأخير دون خطبة، لكن بأذان واحد لهما معًا وبإقامتين لكل صلاة منهما إقامة، ولم يصلِّ بينهما شيئًا، ثم اضطجع ﷺ بها حتى طلع الفجر، فقام ﷺ وصلى الفجر بالناس بالمزدلفة يوم السبت المذكور وهو يوم النحر، يوم الأضحى، يوم العيد، يوم الحج الأكبر مغلِّسًا (الغلس: اختلاط الظلمة بالضوء عند الفجر) أول انصداع الفجر، وهنالك سأله عروة بن مُضرِّس الطائى ـــ وقد ذكر له عمله: أله حج؟ فقال له ﷺ: إن من أدرك الصلاة يعنى صلاة الصبح بمزدلفة فى ذلك اليوم مع الناس فقد أدرك الحج وإلا فلم يدرك، واستأذنته سودة وأم حبيبة فى أن يدفعا من مزدلفة ليلاً فأذن لهما ولأم سلمة فى ذلك اليوم وللنساء والضعفاء فى ذلك اليوم بعد وقوفهم جميعهم بمزدلفة وذكرهم الله تعالى بها، إلا أنه ﷺ أذن للنساء فى الرمى بليل ولم يأذن للرجال فى ذلك لا لضعفائهم ولا لغير ضعفائهم، وكان ذلك اليوم يوم كونه عند أم سلمة، فلما صلَّى الصبح ﷺ بمزدلفة أتى المشعر الحرام (جبل بالمزدلفة) بها فاستقبل القبلة ودعا الله عزّ وجل وهلل وكبر ووحّد ولم يزل واقفًا حتى أسفر جدًّا (أى الصبح) وقبل أن تطلع الشمس فدفع ﷺ حينئذ من مزدلفة وقد أردف الفضل بن العباس وانطلق أسامة على رجليه فى سباق قريش، وهنالك سألت الخثعمية النبى ﷺ الحج عن أبيها الذى لا يطيق الحج فأمرها بأن تحج عنه، وجعل ﷺ يصرف بيده وجه الفضل بن العباس عن النظر إليها وإلى النساء وكان الفضل أبيض وسيمًا، وسأله أيضًا رجل عن مثل ما سألته عنه الخثعمية فأمره ﷺ بذلك، ونهض ﷺ يريد منًى فلما أتى بطن محسر (واد بالمزدلفة، وقيل هو موضع بينها وبين منى) حرك ناقته وسلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى منًى فأتى الجمرة التى عند الشجرة وهى جمرة العقبة فرماها ﷺ من أسفلها بعد طلوع الشمس من اليوم المؤرخ بحصًى التقطها له عبد الله بن عباس من موقفه الذى رمى فيه مثل حصى الحذف (الحصى الصغير الذى يرمى بأطراف الأصابع مثل حبة الفول) وأمر بمثلها ونهى

عن أكبر منها وعن الغلو فى الدين، فرماها ﷺ وهو على راحلته بسبع حصيات كما ذكرنا يكبر مع كل حصاة منها وحينئذ قطع ﷺ التلبية وكان لم يزل يلبى حتى رمى جمرة العقبة التى ذكرنا، ورماها ﷺ راكبا وبلال وأسامة أحدهما يمسك خطام ناقته ﷺ والآخر يظلُّه بثوب من الحر، وخطب الناس ﷺ فى اليوم المذكور وهو يوم النحر بمنى خطبة كرر فيها أيضًا تحريم الدماء والأموال والأعراض والأبشار (الأبشار: الوجوه، والمقصود تحريم ضربها) وأعلمهم ﷺ فيها بحرمة يوم النحر وحرمة مكة على جميع البلاد، وأمر بالسمع والطاعة لمن قام بكتاب الله عز وجل، وأمر الناس بأخذ مناسكهم (مناسك الحج عباداته) فلعلَّه لا يحج بعد عامه ذلك وأنزل المهاجرين والأنصار منازلهم، وأمر أن لا يرجعوا بعده كُفَّارًا وأن لا يرجعوا بعده ضُلَّالاً يضرب بعضهم رقاب بعض، وأمر بالتبليغ عنه، وأخبر أن رب مبلغ أوعى من سامع، ثم انصرف ﷺ إلى المنحر بمنى فنحر ثلاثًا وستين بدنة (البَدَنة: الناقة المهداة إلى بيت الله للنحر) ثم أمر عليًا فنحر ما بقى مما كان علىٌّ أتى به من اليمن معه، ومع ما كان أتى به ﷺ من المدينة وكانت تمام المائة، ثم حلق رسول الله ﷺ رأسه المقدَّس وقسَّم شعره فأعطى من نصفه الناس الشَّعرة والشَّعرتين، وأعطى نصفه الثانى كلَّه أبا طلحة الأنصارى، وضحى عن نسائه بالبقر، وأهدى عن من كان اعتمر منهن بقرة، وضحى هو ﷺ فى ذلك اليوم بكبشين أملحين (الكبش الأملح: هو الذى خالط بياضه سواد) وحلَّق بعضُ أصحابه وقصَّر بعضهم فدعا ﷺ للمحلِّقين ثلاثًا وللمقصِّرين مرة، وأمر ﷺ أن يُؤخذ البُدن الذى ذكرنا من كل بدنة بضعة فجعلت فى قدر وطبخت، فأكل ﷺ هو وعلى رضى الله عنه من لحمها وشربا من مرقها، وكان ﷺ قد أشرك عليًا فيها، فأمر عليًا بقسمة لحمها كلِّها وجلودها وجلالها وأن لا يعطى الجازرُ على جزارتها شيئًا منها وأعطاه ﷺ الأجرة على ذلك من عند نفسه، وأخبر الناس أن عرفة كلها موقف خاشا بطن عُرنة (واد بحذاء عرفات) وأن مزدلفة كلها موقف حاشا بطن مُحَسِّر (واد بين منى والمزدلفة) وأن منى كلها منحر، وأن مكة كلها منحر، ثم تطيَّب ﷺ قبل أن يطوف طواف الإفاضة، ولإحلاله قبل أن يُحلَّ فى يوم النحر وهو يوم السبت المذكور طيَّبته عائشة رضى الله عنها بطيبٍ فيه مسك بيدها، ثم نهض ﷺ راكبًا إلى مكة فى يوم السبت المذكور بعينه، فطاف فى يومه ذلك طواف الإفاضة وهو طواف الصدر (أي يوم خروجه ﷺ من منى) قبل الظهر، وشرب من ماء زمزم بالدلو من شدٍّ بالسقاية، ثم رجع من يومه ذلك إلى منى فصلَّى بها الظهر وهذا قول ابن عمر رضى الله عنهما، وقالت عائشة رضى الله عنها وجابر: بل صلى ظهر ذلك اليوم بمكة، وهذا هو الفصلُ الذى أُشكل علينا الفصلُ فيه لصحة الطُّرُقِ فى كل ذلك، ولا شك أن فى أحد الخبرين وهمًا والثانى صحيح، قال أبو محمد: لا يُدرى أيُّهما هو. وطافت أم سلمة فى ذلك اليوم على بعيرها من وراء الناس وهى شاكية واستأذنت النبىَّ ﷺ فى ذلك فأذن لها، وطافت أيضًا عائشة رضى الله عنها فى ذلك اليوم وفيه طهُرت، وكانت رضى الله عنها حائضة فى يوم عرفة، وطافت أيضًا صفيَّة فى ذلك اليوم وحاضت بعد ذلك ليلة النفر (أى ليلة الخروج إلى منى لرمى الجمرات) ثم رحل ﷺ إلى منى، وسُئل ﷺ حينئذ عما يُقدَّم بعض على بعض فى الرمى والحلق والنحر والإفاضة، فقال فى كل ذلك: لا حرج، وكذلك أيضًا قال فى تقدُّم السعى بين الصفا والمروة قبل الطواف بالكعبة، وأخبر بأن الله تعالى أنزل الداء والدواء إلاَّ الهرم، وعظَّم إثم من اقترض عرض مسلم ظلمًا (أى فعل فيه كما يفعل المقراض فى الثوب) فأقام هنالك باقى يوم السبت وليلة الأحد ويوم الأحد وليلة الإثنين ويومه وليلة الثلاثاء ويومه وهذه هى أيام منى وهى أيام التشريق، يرمى الجمار الثلاث كلَّ يوم من هذه الأيام الثلاثة بعد الزوال بسبع حصيات كل يوم لكل جمرة، يبدأ بالكبرى وهى تلى مسجد منى ويقف عندها للدعاء طويلاً، ثم التى تليها وهى الوسطى، ويقف عندها للدُّعاء كذلك، ثم جمرةُ العقبة ولا يقف عندها، وكبر مع كلِّ حصاة.

وخطب الناس أيضًا يوم الأحد الثانى من النحر وهو يوم الرءوس وقد روى أنه ﷺ خطبهم أيضًا يوم الإثنين فأوصى بالأرحام خيرًا، وأخبر ﷺ أنه لا تجنى نفسٌ على أُخرى. واستأذنه عمُّه العبَّاس فى المبيت بمكة ليالى منى المذكورة من أجل سقايته فأذن له ﷺ وأذِن للرِّعاء أيضًا فى مثل ذلك،

ثم نهض ﷺ بعد زال الشمس من يوم الثلاثاء المؤرخ وهو آخر أيام التشريق، وهو الثالث عشر من ذى الحجة، وهو يوم النفر إلى المحصَّب (موضع رمى الجمار بمنى، وهو يقع فيما بين مكة ومنى وهو إلى منى أقرب) وهو الأبطح، فضرب بها قبة ضربها أبو رافع مولاه وكان على ثقله ﷺ(الثقل : متاع المسافر) وقد كان ﷺ قال لأسامة إنه ينزل غدًا بالمحصَّب خيف بنى كنانة، وهوالمكان الذى ضرب فيه أبو رافع وفاقًا من الله عز وجل دون أن يأمره النبى ﷺ بذلك، وحاضت صفية أم المؤمنين ليلة النفر بعد أن أفاضت فأخبر بذلك النبى ﷺ فسأل: أفاضت يوم النحر؟ فقيل له: نعم، فأمرها أن تنفر، وحكم فيمن كانت حالتها كذلك أن تنفر أيضًا، وصلى ﷺ بالمحصَّب الظهر والعصر والمغرب والعشاء الأخيرة من ليلة الأربعاء الرابع عشر من ذى الحجة وبات بها ليلة الأربعاء المذكورة ورقد رقدة، ولما كان يوم النحر والنفر رغبت إليه عائشة رضى الله عنها بعد أن طهُرت أن يعمرها عمرةً مُفردة، فأخبرها ﷺ أنها قد حلَّت من عمرتها وحجتها وأن طوافها يكفيها ويُجزيها لحجتها وعمرتها، فأبت إلاَّ أن تعتمر عمرة مفردة، فقال لها: ألم تكونى طُفت ليالى قدمت؟ قالت: لا، فأمر عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما بأن يُرْدِفَها ويعمرها من التنعيم (موضع بمكة فى الحل، وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة) ففعلا ذلك، وانتظر النبى ﷺ بأعلى مكة حتى انصرفت من عمرتها تلك، فقال لها: هذا مكان عمرتك (أى هذه العمرة الأخيرة مكان عمرتها الأولى التى حاضت فيها فلم تطف طواف القدوم) وأمر الناس أن لا ينصرفوا حتى يكون آخر عهدهم الطواف بالبيت، ورخص فى ترك ذلك للحائض التى قد طافت طواف الإفاضة قبل حيضتها، ثم إنه ﷺ دخل مكة فى ليلة الأربعاء المذكورة فطاف بالبيت طواف الوداع ـ لم يَرْمُل فى شىء منه ـ سحرا قبل صلاة الصبح من يوم الأربعاء المذكور، ثم خرج من كُدى أسفل مكة من الثنيَّة السفلى، والتقى ﷺ بعائشة رضى الله عنها وهى ناهضة إلى الطواف المذكور وهى راجعة من تلك العمرة التى ذكرنا، ثم رجع ﷺ وأمر بالرحيل ومضى ﷺ من فوره ذلك راجعًا إلى المدينة، وخرج من مكة من الثنية السفلى فكانت مدة إقامته ﷺ بمكة منذ دخلها إلى أن خرج إلى منى إلى عرفات إلى مزدلفة إلى منى إلى المحصَّب إلى أن وجَّه راجعًا عشرة أيام، فلما أتى ذا الحُليفة بات بها، ثم لما رأى المدينة كبّر ثلاثًا، وقال: لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربّنا حامدون صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ثم دخل ﷺ المدينة نهارًا من طريق المعرّس، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، انتهى حديث أبى محمد (محاضرة الأبرار ١/ ٨١ـ ٩٥).

وقد أفرد ابن حزم كتابا هو « كتاب حجة الوداع » ذكره صاحب كشف الظنون (٢/ ١٤١٠، ١٤١١) وتوجد منه نسخة خطية بمكتبة فيض الله بالآستانة مصورة على ميكروفيلم فى معهد إحياء المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية. بيد، أنه فى كتابه « جوامع السيرة النبوية » أتى بملخص موجز لهذه الحجة التاريخية ننقله هنا تعميما للفائدة. قال المؤلف رحمه الله.

ثم حجَّ ﷺ حجَّة الوداع، خرج لها من المدينة بعد أن صلَّى الظُّهر يوم الخميس لستٍّ بقين لذى القعدة، وبات بذى الحليفة، وأهلَّ منها قارنًا بين الحج والعمرة وكان معه الهدى: مائةٌ من الإبل، بعضها حملها ﷺ مع نفسه، وبعضها، وهو نحو الثلث، أتى بها على بن أبى طالب رضى الله عنه من اليمن.

ودخل ﷺ مكة من أعلاها يوم الأحد لأربع خلون لذى الحِجَّة سنة عشر. وأمر فى طريقه من شاء أن يُهلَّ بحجٍّ فليفعل، ومن شاء أن يُهلَّ بعمرة فليفعل، ومن شاء أن يقرن بينهما فليفعل، فلما قرب من مكة أمر من كان معه هدىٌ أن يقرن بين عمرة وحجَّةٍ، وأمر كُلَّ من لا هدى معه أن يفسخ حجَّه بعُمرة ولا بُدَّ. وسئل عن تمتُّعهم تلك، ألعامهم ذلك أم لأبد؟ فقال ﷺ: بل لأبد أبدٍ، دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة.

وأمر رسول الله ﷺ عائشة رضى الله عنها ـــ إذ حاضت،

وكانت قد أهلَّت بعمرة ـ أن تضيف إليها حجَّة، وتعمل كلَّ ما يعملُ الحاجُّ، حاشا الطواف بالبيت .

وطاف ﷺ لعُمرته وحجِّه طوافًا واحدًا .

وتطيب لإحرامه حين أحرم، ولإحلاله قبل أن يطوف بالبيت، بطيبٍ فيه مسك، بقى ظاهرًا فى رأسه المقدَّس أكثر من ثلاثة أيام بعد إحرامه .

وأمر بمُحرم مات بعرفة أن يُكفَّن فى ثوبيه، ولا يُمسَّ بطيب، ولا يُخمَّر وجههُ ولا رأسُه .

وأمر الناس ألا ينفر أحدٌ حتى يكون آخرُ عهده بالبيت، إلا الحائض التى طافت قبل حيضها بالبيت طواف الإفاضة .

ثم رجع إلى المدينة من أسفل مكة قبل طلوع الشمس يوم الأربعاء الرابع عشر لذى الحجة .

قال رحمه الله تعالى : وقد أفردنا لها جزءًا ضخمًا استوعبنا فيه جميع خبرها بحمد الله تعالى وبه جل وعلا التوفيق (جوامع السيرة النبوية ٣/ ٣١١، ٣١٢) .

أما عن خطبة حجة الوداع فقد ورد عنها فى « تيسير الوصول » ما يلى :

١ - عن عمرو بن أبى الأحوص رضى الله عنه . قال «شهدت حجة الوداع مع النبى ﷺ فحمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال ثلاثًا : أى يوم أحرم؟ قالوا يومُ الحج الأكبر، قال فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرامٌ كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا، ألا لا يجنى جانٍ إلا على نفسه، ولا يجنى والدٌ على ولده، ولا ولد على والده، ألا إن المسلم أخُو المسلم فليس يحلُّ لمسلم من أخيه شىء إلا ما أحل من نفسه، ألا وإن كل ربًا فى الجاهلية موضوعٌ ـ لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون ـ غير ربًا العباس فإنه موضوعٌ كله، ألا وإنَّ كل دم كان فى الجاهلية موضوع، وأول دمٍ أضعهُ من دم الجاهلية دمُ الحارث بن عبد المطلب، وكان مسترضعًا فى بنى ليث فقتلهُ هذيل، ألا فاستوصُوا بالنساء خيرًا فانهنَّ عوانٌ عندكم ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرِّحٍ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنَّ سبيلاً، ألا وإن لكم على نسائكم حقا، ولنسائكم عليكم حقا : فأما حقُّكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذنَّ فى بيوتكم لمن تكرهون، ألا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن، ألا وإنَّ الشيطان قد أيس أن يُعبد فى بلدكم هذا أبدا، ولكن ستكون له طاعة فيما تحتقرون من أعمالكم وسيرضى به » أخرجه الترمذى وصححه « عوانٌ » أى أسيراتٌ .

٢ - وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ فى حجة الوداع « ألا أىُّ شهر تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا : ألا شهرنا هذا، قال ألا أى بلد تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا : ألا بلدنا هذا، قال ألا أ يوم تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا : ألا يومنا هذا، قال فإن الله تعالى قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلا بحقها كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا، ألا هل بلغت ثلاثًا، كلُّ ذلك يجيبونه ألا نعم. قال : ويحكم أو ويلكم لا ترجعوا بعدى كفارًا يضربُ بعضكُم رقاب بعض » . أخرجه الشيخان واللفظ للبخارى .

٣ - وعن أبى بكرة نُفيع بن الحارث الثقفى رضى الله عنه «أن النبى ﷺ قال : إنَّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا : منها أربعة حرم، ثلاث متواليات : ذُو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان، أى شهر هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سَيُسمِّيه بغير اسمه، فقال أليس ذا الحجة؟ قلنا بلى. قال أى بلد هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسمِّيه بغير اسمه. فقال : أليس البلدة الحرام؟ قلنا بلى. قال فأى يوم هذا؟ قلنا الله ورسولهُ أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. فقال أليس يوم النحر؟ قلنا بلى. قال فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا. وستلقون ربَّكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدى كفارًا يضربُ بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهدُ الغائب، فلعل بعض من يبلغُهُ أن يكون أوعى له من بعض من سمعه . ثم قال : ألا هل بلَّغت، ألا هل بلَّغت

ثلاثًا، قلنا نعم، قال: اللهم أشهد ». أخرجه الشيخان وأبوز داود.

زاد مسلم رحمه الله تعالى: ثم انكفأ إلى كبشين أملحين فذبحهما، وإلى جزيعة من الغنم فقسمها بيننا.

وزاد رُزين رحمه الله تعالى فى آخره: « ثلاث لا يغل عليهن قلبُ مؤمن أبدًا: إخلاصُ العمل لله تعالى، ومناصحة وُلاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين فإنَّ دعوتهم تحيطُ من ورائهم ». قال ابن الأثير: ولم أر هذه الزيادة فى الأصول.

« الجزيعة » بالزاى: القطعة من الغنم، وقوله « لايُغلُّ » بضم الياء من الإغلال وهو الخيانة. وقيل بفتحها من الحقد، والمعنى أن هذه الخلال الثلاث تُستصلحُ بها القلوب فمن تمسك بها طهر قلبه من الخيانة والدغل والشرّ. (تيسير الوصول ١/ ٢١، ٢٢).

قال ابن إسحاق: حدثنى ليث بن أبى سليم عن شهر بن حوشب الأشعرى، عن عمرو بن خارجة قال: بعثنى عتاب بن أسيد إلى رسول الله ﷺ فى حاجة، ورسول الله ﷺ واقف بعرفة، فبلغته، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله ﷺ وإن لغامها (اللغام: الرغوة التى تخرج من فم الناقة) ليقع على رأسى، فسمعته يقول: أيها الناس، إن الله أدَّى إلى كل ذى حق حقه، وإنه لا تجوز وصية لوارث، والولد للفراش، وللعاهر الحجر، ومن ادَّعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً.

تعاليم الرسول الله ﷺ للحاج. قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح: أن رسول الله ﷺ حين وقف بعرفة قال: هذا الموقف، للجبل الذى هو عليه وكل عرفة موقف. وقال حين وقف على قزح (وهو جبل بالمزدلفة) صبيحة المزدلفة: هذا الموقف: وكل المزدلفة موقف. ثم لما نحر بالمنحر بمنى قال: هذا المنحر، وكل منى منحر، فقضى رسول الله ﷺ الحج وقد أراهم مناسكهم، وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجهم من الموقف، ورمى الجمار، وطواف بالبيت، وما أحلّ لهم من حجّهم، وما حرّم عليهم، فكانت حجة البلاغ، وحجة الوداع، وذلك أن رسول الله ﷺ لم يحج بعدها. (السيرة النبوية ٤/ ١٨٦، ١٨٧).

(المنتخب من السنة ــ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة ١٣٨٥هـ ــ ١٩٦٦م، الطبعة الثانية، م١/ ٣٢٠، ومحاضرة الأبرار لمحيى الدين بن عربى ـ تحقيق محمد مرسى الخولى ١/ ٨١ ـ ٩٥، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص، وجوامع السيرة النبوية لأبى محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى ـ أعدها وقدمها وعلق عليها أحمد حسن جابر رجب، هدية مجلة الأزهر. جمادى الأولى ١٤١٣هـ / ٣/ ٣١١، ٣١٢، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ١/ ٢١، ٢٢، والسيرة النبوية لابن هشام ـ قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ٣/ ١٨٦، ١٨٧).

*** حجة الوداع (كتاب):**

انظر: حجة الوداع.

*** الحجون:**

قال ياقوت:

الحجونُ: آخره نون، والحجن الاعوجاج، ومنه غزوة حجون التى يظهر الغازى الغزو إلى موضع ثم يخالف إلى غيره، وقيل: هى البعيدة. والحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها، وقال السكرى: مكان من البيت على ميل ونصف، وقال السهيلى: على فرسخ وثلث، عليه سقيفة آل زياد بن عبيد الله الحارثى، وكان عاملاً على مكة فى أيام السفاح وبعض أيام المنصور، وقال الأصمعى: الحجون هو الجبل المشرف الذى بحذاء مسجد البيعة على شعب الجزارين، وقال مضاض بن عمرو الجرهمى يتشوق مكة لما أجلتهم عنها خزاعة:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
أنيس، ولم يسمر بمكة سامرُ
بلى! نحن كنا أهلها، فأبادنا
صروف الليالى والجدود العواثرُ
فأخرجنا منها المليك بقدرة،
كذلك، يا للناس، تجرى المقادرُ

فصرنا أحاديثًا وكنا بغبطة،
كذلك عضتنا السنون الغوابر
وبدلنا كعب بها دار غربة،
بها الذئب يعوى والعدو المكاشر
فسحت دموع العين تجرى لبلدة،
بها حرم أمن وفيها المشاعر
(معجم البلدان ٢/ ٢٢٥).

*** ابن حِجِّي (٧٥١-٨١٦هـ / ١٣٥٠-١٤١٣م):**

أحمد بن حِجِّي بن موسى بن أحمد السعدي الحسباني الأصل، الدمشقي، شهاب الدين ابن علاء الدين، حافظ مؤرخ، من أهل دمشق. ولد ومات فيها. ويلقب بمؤرخ الإسلام. انتهت إليه مشيخة الشيوخ في البلاد الشامية. وصنف كتبا جليلة، منها « الدارس من أخبار المدارس » احترق غالبه في وقعة التتر، و« جمع المفترق » فوائد في علوم مختلفة، و« معجم » في أسماء شيوخه. وألف كتابا في التاريخ ذكره تلميذه ابن شقدة، وقال إنه ابتدأه بحوادث سنة ٧٤١هـ وختمه سنة وفاته. ثم أكمله ابن قاضي شهبة إلي سنة ٨٤٠هـ. وله « شروح» و « ردود » وغير ذلك.

(الأعلام للزركلي ١/ ١١٠ عن الضوء اللامع ١/ ٢٦٩، والمنتخب من شذرات الذهب، مخطوط، والقلائد الجوهرية / ١١٢، والنعيمي ١/ ١٣٨، والتبيان، مخطوط، والشذرات ٧/ ١١٦. انظر أيضًا المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغرى بردى ـ حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين ١/ ٢٦١، ٢٦٢).

*** الحدّ:**

انظر: الحدود.

*** حد القريض في الفرق بين الكناية والتعريض:**

لتقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي المتوفي سنة ٧٥٦ ست وخمسين وسبعمائة (كشف ٢/ ٦٣٤).

*** الحداد:**

انظر: الإحداد.

*** الحدّاد (-٨٠٠هـ/ -١٣٩٧م):**

أبو بكر بن علي بن محمد الحداد الزَّبيدي، فقيه حنفي يماني، من أهل العبادية، من قرى « حازة وادي زَبيد » في تهامة. والحازة اسم لما قارب الجبل. استقر في زبيد وتوفى بها. قال الضمدي: « له في مذهب أبي حنيفة مصنفات جليلة لم يصنف أحد من العلماء الحنفية باليمن مثلها، كثرة وإفادة، تبلغ كتبه نحو ٢٠ مجلدًا، منها « السراج الوهاج » ثماني مجلدات، في شرح مختصر القدوري، فقه، و« الجوهرة النيّرة » مجلدان، في شرح مختصر القدوري أيضًا، و « سراج الظلام » في شرح منظومة الهاملي، فقه، وكتاب « التفسير » قال الشوكاني: تفسير حسن مشهور الآن عند الناس يسمونه تفسير الحدّاد.

(الأعلام للزركلي ٢/ ٦٧ عن العقيق اليماني ـ مخطوط، والبدر الطالع ١/ ١٦٦، وفهرست الكتبخانة ٣/ ٣٧، ٦٣، والمكتبة الأزهرية ٢/ ١٣٥).

*** ابن الحداد (أبو بكر) (٢٦٤-٣٤٤هـ):**

من المحدثين المصريين الحافظ أبو بكر محمد بن أحمد ابن محمد بن جعفر الكناني المصرى، شافعي المذهب، عرف باشتغاله بالحديث، وكثرة عبادته وكثرة صيامه، فقد كان يصوم يوما ويفطر يوما، وقد تلقى العلم علي كثير من شيوخ عصره (المحدثون في مصر والأزهر / ١٦٧).

أدرجه ابن الخطيب الشهير بابن قنفذ في وفيات سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، وقال: توفي القاضي أبو بكر بن الحداد سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، وقال السمعاني: توفى سنة ٣٤٤هـ. وذكره القضاعي في كتاب خطط مصر وقال: «توفي عند منصرفه من الحج سنة ٣٤٤هـ بمنية حرب، على باب مدينة مصر، وقيل في موضع بالقاهرة، وهو محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر الكناني، المصري، أبو بكر، المعروف بابن الحداد. قاض، من فقهاء الشافعية، ولد سنة ٢٦٤هـ وأخذ الفقه عن أبي إسحاق المروزي، وسمع الحديث من يزيد القراطيسي ومحمد بن جعفر بن الإمام، ولزم المحدث الكبير أبا عبد الرحمن النسائي. وغيره. ولي القضاء بمصر سنة ٣٢٤هـ بأمر الأخشيد بن طغج. قال ابن خلكان: كان فقيهًا محققًا غواصًا علي المعاني، تولي القضاء

بمصر وكانت الملوك والرعايا تكرمه وتعظمه وتقصده فى الفتاوى والحوادث، وكان يقال فى زمنه: عجائب الدنيا ثلاث: « غضب الجلاد، ونظافة السماد، والرد على ابن الحداد ». وقال أبو محمد بن زولاق: « كان من محاسن مصر، حاذقًا بعلم القضاء، حسن التوقيعات، يحسن علومًا كثيرة، منها علم القراءات، وعلم القرآن، وعلم الحديث، والأسماء والكنى والرواة، واختلاف العلماء، والنحو واللغة إلخ ... ». له كتاب «الفروع» فى فقه الشافعية، اعتنى بشرحه جماعة من الأئمة الكبار، « والباهر » فى الفقه، مائة جزء، و«أدب القاضى » أربعون جزءًا و« الفرائض » نحو مائة جزء. وقد انتقل إلى جوار ربه عند قدومه من أداء فريضة الحج سنة ٣٤٤هـ (كتاب الوفيات / ٢١٥، ٢١٦).

له ترجمة فى « طبقات الفقهاء الشافعية »/ ٦٥، و«شذرات الذهب » ٢/ ٣٦٧، ٣٦٨، و « الولاة والقضاة »/ ٥٥١/ ٥٥٧، و «وفيات الأعيان » ٣/ ٣٣٦، ٣٣٧، و«مفتاح السعادة » ٢/ ١٧٥ وما بعدها، و « طبقات الفقهاء » / ٩٣، و «تذكرة الحفاظ » ٣/ ١٠٨، و « طبقات الشافعية الكبرى » ٣/ ٧٩، و« العبر » ٢/ ٢٦٤، و « النجوم الزاهرة » ٣/ ٣١٣.

(المحدثون فى مصر والأزهر - أ. د. الحسينى هاشم، وأ. د. أحمد عمر هاشم / ١٦٧، وكتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى - تحقيق عادل نويهض / ٢١٥، ٢١٦ وهامش ١ للمحقق).

*** ابن الحداد (الغسّانى) (٢١٩-٣٠٢هـ / ٨٣٤-٩١٥م):**

سعيد بن محمد الغسّانى، أبو عثمان، ويقال له ابن الحداد. مناظر قوى الحجة فى علوم الدين واللغة. من أهل القيروان. كان كثير الرد على أهل البدع والمخالفين للسنة. واشتهر بجدله مع بعض علماء الدولة الفاطمية (العبيدية) فى بدء قيامها. وله فى ذلك أخبار وتصانيف من كتبه: « توضيح المشكل فى القرآن » منه قطعة مخطوطه فى جامع القيروان، و « معانى الأخبار » مخطوط، قطعة منه، فى القيروان أيضًا، و « المجالس » وهى مناظرات فى فنون من العلم، أورد منها الخشنى فى « طبقات علماء إفريقية » أربعة، وفى الجزء الثانى (المخطوط) من رياض النفوس، للمالكى، نتف منها. و « الأمالى » و «المقالات » و «الاستواء » و « عصمة النبيين » (فى طبقات النحويين واللغويين) عصمة المسلمين). وكان آنس الفقهاء مجلسًا وأغزرهم خبرا. مذهبه النظر والقياس والاجتهاد، لا يقلد أحدا، ويقول: إنما أدخل كثيرا من الناس إلى التقليد نقص العقول ودناءة الهمم. وله نظم أكثره فى ابن أخ له أُسِر، وفى ولدٍ له مات. قال ابن قاضى شهبة، فى وفيات سنة ٣٠٢ بعد أن عرّفه بالمالكى المقرئ المجتهد: إلا أنه كان يحطّ على المالكية (الأعلام ٣/ ١٠٠).

قال الزبيدى: وجملة كتبه فى الاحتجاج على الملحدين. ثم قال:

وكان الناس يوجهون إليه من تلاميذهم من يعنّته ويسأله. فحدثنى بعض أهل القيروان قال: أتوه يومًا فألفوه فى الحمام، فتلقّوه وهو خارج عنه فقالوا له: أعزك الله! كيف وجدت الحمام؟ فقال: غاية فى الطيب، فقالوا: أمِنْ جهة الذوق وجدت طِيبه أصلحك الله! فقال لهم: يا حُثالة الزنادقة ... وتلاميذ الملحدين. أرأيتم قول الله عز وجل: ﴿حتَّى إذا كُنتمْ فى الفُلك وجرين بهم بريح طيبة﴾ [يونس: ٢٢] أمِنْ قبل الذّوق وُجِد طيب الريح!.

وكانت لسعيد بن محمد بالقيروان فى أول دخول الشيعة مقامات محمودة ناضل فيها عن الدين، وذَبّ عن السنن، حتى مثله أهلُ القيروان فى حاله تلك بأحمد بن حنبل أيام المحنة، وذلك أنهم لمّا ملكوا البلد أظهروا تبديل الشرائع، وإحالة السنن، وبدروا إلى رجلين كبيرين من أصحاب سُحنون فقتلوهما، وعرّوْا أجسادهما، ثم نودى عليهما: هذا جزاء من ذهب مذهب مالك، فارتاع جُملة أهل السنة، وتجمعوا إلى سعيد، فسألوه التقيّة - وكان أبو عبد الله المعلم يبعث إليهم للمناظرة، وكان سعيد المعتمد عليه فيها - فأبى سعيد من التَّقية، وقال: إنى قد أربيتُ على التسعين، وما بى إلى العيش من حاجة، وقتيل الخوارج خيرُ القتلى، ولا بدّ لى من المناضلة عن الدين، وأن أبلغ ذلك عذرًا، ففعل ذلك وصدق ونصح رحمه الله! (طبقات النحويين واللغويين / ٢٣٩ - ٢٤١).

(الأعلام للزركلى ٣/ ١٠٠ وقد أدرجه تحت اسم « الغسانى » وطبقات النحويين واللغويين للزبيدى ـ تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم / ٢٣٩ـ٢٤١).

*** الحدّادة:**

قال ياقوت:

الحدادة: بالفتح، والتشديد، وبعد الألف دال أخرى: قرية كبيرة بين دامغان وبسطام من أرض قومس، بينها وبين الدامغان سبعة فراسخ، ينزلها الحاج، ينسب إليها محمد بن زياد الحدّادى ويقال له القومسى، روى عن أحمد بن منيع وغيره.

وعلى بن محمد بن حاتم بن دينار بن عبيد أبو الحسن وقيل أبو الحسين القومسى الحدادى مولى بنى هاشم، سمع ببيروت العباس بن الوليد، وبحمص أبا عمرو أحمد بن المعمر، وبعسقلان محمد بن حماد الطهرانى وأبا قرفاصة محمد بن عبد الوهاب وأحمد بن زيرك الصوفى، وسمع بقيسارية والرملة ومنبج وأيلة، وسمع بمصر الربيع بن سليمان المُرادى وغيره، وسمع بمكة وغيرها من البلاد، وكان صدوقًا، روى عنه أبو بكر الإسماعيلى ووصفه بالصدق، وقال حمزة بن يوسف السهمى: مات فى شهر رمضان سنة ٣٢٢.

(معجم البلدان ٢/ ٢٢٦).

*** الحدادية (مدرسة ـ):**

المدرسة الحدادية بحلب أنشأها حسام الدين محمد بن عمر بن لاشين ابن أخت صلاح الدين.

وأوّل من درّس بها الفقيه الإمام الحسين بن محمد بن أسعد بن حليم المنعوت بالمُنجِّم، وكان فقيهًا عالمًا متأدبًا، ولم يزل بها إلى أن استدعاه نور الدين إلى دمشق، وولى مكانه عالى بن إبراهيم بن إسماعيل الغزنوى البلقى ولم يزل بها إلى أن توفى إما فى سنة إحدى أو اثنتين وثمانين وخمسمائة.

وقال مقرب الدين أبو حفص عمر بن قُشام: « توفى عالى سنة خمس وثمانين وخمسمائة » وهذان القولان حكاهما كمال الدين بن العديم. فى « تاريخه » (تاريخ ابن العديم هو « بغية الطلب فى تاريخ حلب » .

ثم وليها بعده موفق الدين أبو الثناء محمود بن هبة الله بن طارق النحاس الحلبى، ولم يزل مدرسًا بها إلى أن توفى.

ثمَّ وليها بعده كمال الدين إسحاق، ولم يزل بها مدرسًا إلى أن توفى ليلة الأربعاء، مستهل شعبان سنة أربع وأربعين وستمائة.

ووليها بعده الشيخ شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الواحد الأنصارى، ولم يزل مدرّسًا بها إلى أن توفى يوم الخميس سادس عشر شعبان سنة تسع وأربعين وستمائة.

ووليها بعده ولده فخر الدِّين يوسف. ولم يزل إلى أن قتلته التتر عند استيلائهم على حلب.

(الأعلاق الخطيرة لابن شداد ـ حققه يحيى زكريا عبّارة جـ١ ق١/ ٢٧٣ـ٢٧٥).

*** الحدائق الأنسية فى كشف حقائق الأندلسية:**

الحدائق الإنسية فى كشف حقائق الأندلسية: فى العروض (للشيخ الإمام محمد بن إبراهيم المعروف بابن الحنبلى المتوفى سنة ٩٧١ إحدى وسبعين وتسعمائة وهو شرح على الأندلسية).

(كشف الظنون ٢/ ٦٣٣).

*** حدائق الأنوار فى حقائق الأسرار:**

حدائق الأنوار فى حقائق الأسرار: للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ ست وستمائة أورد فيه موضوعات ستين علما. ألفه للسلطان علاء الدين تكش الخوارزمى. (كشف ٢/ ٦٣٣).

*** حدائق الإيمان لأهل اليقين والعرفان:**

حدائق الإيمان لأهل اليقين والعرفان: فارسى للشيخ علاء الدين على بن محمد الشهير بمصنّفك ألفه سنة ٨٤١ إحدى وأربعين وثمانمائة بهراة ورتب على خمسة أبواب. الأول: فى الإيمان والمؤمن وما يتعلق به، الثانى: فى بيان حديث بُنى الإسلام على خمس وما فيه من الحكمة، الثالث: فى فرائض الغسل، الرابع: فى فرائض الوضوء، الخامس: فى فرائض الصلاة وواجباتها. (كشف ٢/ ٦٣٣).

*** حدائق الحقائق:**

حدائق الحقائق ـ لمحمد بن المرتجل الهمدانى أوله: الحمد لله المنزه عن الأنواع والأجناس... إلخ وهو مشتمل

على ثلاثين صنفًا من العلوم اثنا عشر منها حكمية والباقى شرعية. (كشف ٢/ ٦٣٣).

*** حدائق الحقائق فى الحديث:**

حدائق الحقائق فى الحديث: لبرهان الدين عمر بن على ابن الملقن الشافعى المتوفى سنة ٨٠٤ أربع وثمانمائة ثم اختصره وسماه الرائق (كشف ٢/ ٦٣٣).

*** حدائق الحقائق فى المنطق والطبيعى والإلهى:**

حدائق الحقائق فى المنطق والطبيعى والإلهى: للشيخ زين الدين عبد الرحمن بن محمد الكشى وهو مجلد مرتب على مقدمتين وثلاثة كتب فيما ذكر من الفنون الثلاثة أوله: الحمد لله الذى أنشأ الخلائق بقدرته ... إلخ (كشف ٢/ ٦٣٣).

*** حدائق الحقائق فى الموعظة:**

ذكره صاحب كشف الظنون فقال:

حدائق الحقائق فى الموعظة: لتاج الدين محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى الملقب بالصدر وهو مختصر جمعه من الأحاديث والآثار والمواعظ وجعله ستين بابا أوله: الحمد لله رب العالمين ... إلخ. (كشف ٢/ ٦٣٣).

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف.

يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو لعله الآن فى مكتبة الأسد) وبيانه كما يلى.

الرقم ٥٩٥٧ ـ تصوف ٧٤.

كتاب فى التصوف والزهد والموعظة يحوى ستين بابًا: الأول فى التوبة، والآخر فى ألفاظ أهل الحقيقة واصطلاحهم.

المؤلف: أبو عبد الله زين الدين محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى الحنفى كان حيًّا سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م.

أوله: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين. قال العبد الضعيف الفقير إلى رحمة ربه ...

آخره: ومنها السر وهو عندهم لطيفة مودعة فى القالب كالروح وهو محل المشاهدة كما أن الروح محل المحبة والقلب محل المعرفة وقالوا: السر ما لك إشراف عليه، وسر السر ما لا يطلع عليه إلا الله ...

الخط نسخ معتاد، الحبر أسود.

اسم الناسخ: تاج السرابينى.

ملاحظات: نسخة قيمة ومراجعة عليها تملكات أقدمها بخط محمد بن إبراهيم الدكدكجى وعليها تعليقات.

نسخة ثانية:

الرقم ٤٢٦٥.

أولها وآخرها: كالسابقة.

الخط فارسى جميل واضح، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

تاريخ النسخ: سنة ٩٠٨هـ.

ملاحظات: نسخة مراجعة ومعلق عليها كالشرح.

نسخة ثالثة.

الرقم ١١٢٨٦.

أولها وآخرها: كالسابقة.

الخط معتاد، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ملاحظات: نسخة عليها مطالعة من قبل عبد الكريم؟ بتاريخ ١١٢٨هـ.

مصادر عن المؤلف: معجم المؤلفين ٩/ ١١٢.

بعض نسخ الكتاب: الأوقاف ببغداد ١٣٧ و ٣٣٦.

(كشف الظنون لحاجى خليفة ٢/ ٦٣٣، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٠٧، ٤٠٨).

*** حقائق الدقائق فى شرح رسالة علامة الحقائق:**

من المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٤١٧.

حدائق الدقائق فى شرح رسالة علامة الحقائق.

لسعد الدين بن سعد الله البردعى.

أولها: (اللهم إنا نريد أن نتشبه بمن يحمدك على آلائك) فهى شرح لكتاب الأنموذج لجار الله الزمخشرى.

عليها حواشٍ وشروح.

القياس ص ٤٦٦ ٥, ٢١×١٦سم س ١٠.

(المخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى/ ٢٩).

*** حدائق ذات بهجة فى التفسير:**

حدائق ذات بهجة فى التفسير: لأبى يوسف عبد السلام ابن محمد القزوينى المتوفى سنة (٤٨٣ ثلاث وثمانين وأربعمائة) [٤٨٨] وهو كبير فى ثلثمائة مجلد على ما ذكر فى بعض الكتب (قلت قال الداوودى فى طبقات المفسرين قال ابن النجار جمع كتابا بلغ خمسمائة مجلد حشى فيه الغرائب والعجائب حتى رأيت منه مجلدا فى آية واحدة وهى قوله تعالى: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين ﴾ [البقرة: ١٠٢] انتهى.

(كشف الظنون ٢/ ٦٣٤).

*** حدائق السحر فى دقائق الشعر:**

حدائق السحر فى دقائق الشعر: فارسى لرشيد الدين محمد بن محمد بن عبد الجليل المعروف بالوطواط الكاتب المتوفى سنة ٥٧٣ ثلاث وسبعين وخمسمائة ذكر فيه أنه رأى ترجمان البلاغة واستقل مع ما فيه من التكلفات فى نظمه والخلل فى معانيه فألفه. أوله: الحمد لله على ما أفاض علينا من نعمه ... إلخ وأهداه لأبى المظفر اتسز خوارزم شاه ثم شرحه حسن بن محمد الملقب بشرف الرومى لأويس شاه ورتب على قسمين قسم فى اصطلاحات الشعراء المتقدمين مشتمل على خمسين بابا وقسم فى تصرفات كلام المتأخرين مشتمل على تسعة أبواب وأتمه فى شهر رمضان سنة ٨٧٨ ثمان وسبعين وثمانمائة وسماه شقائق الحدائق.

(كشف الظنون ٢/ ٦٣٤).

*** الحدائق لأهل الحقائق فى الموعظة:**

الحدائق لأهل الحقائق فى الموعظة: للشيخ أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى البغدادى المتوفى سنة ٥٩٧ سبع وتسعين وخمسمائة وهو مجلد مشتمل على مائة مجلس أورد فيها أحاديث للوعاظ ليوشح بها الآيات فى وعظه مسندة تليق بها.

(كشف الظنون ٢/ ٦٣٤).

*** الحدائق الوردية فى مناقب الأئمة الزيدية:**

من مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٩١٣٦.

لأبى عبد الله حميد بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد المحلى النهمى الهمدانى من شيوخ الزيدية المتوفى سنة ٦٥٢هـ و١٢٥٤م.

الأول (الحمد لله الذى أفاض علينا أنوار الهداية ...) وهو كتاب فى تراجم الأئمة الزيدية.

قال المؤلف فى ديباجة كتابه إنه بلغته رسالة من القاضى الأسعد تتضمن سؤال [سؤالًا] عن أخبار السابقين من ذرية النبى والأئمة فرأى أن يجيبه فى ذكر أحوالهم وأخبارهم ومناقبهم وشيئًا من منظومهم ومنثورهم وطرفًا من الأحاديث بفضل النبوى الطاهرة ... ؟ وقد وصل المؤلف إلى ذكر الثلاثين من الأئمة وهو الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان المتوفى سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م.

نسخة نفيسة كتبها عبد الرزاق بن محمد فليح البغدادى سنة ١٣٠٥هـ/ ١٩٣١م عن نسخة كتب سنة ١٠٠٩هـ/ ١٦٠٠م فى آخرها فوائد عن الكتاب والمؤلف مع فهرس للكتاب. وتتضمن هذه النسخة الجزء الأول والثانى من الكتاب.

القياس ٩٣٣ص ٥, ٢٤×١٧سم ١٩س.

معجم المؤلفين ٤/ ٨٣ فهرس دار الكتب ٥/ ١٥٩ ذ/ المتحف البريطانى ٣٢٩.

نسخة أخرى.

الرقم ١٨٦٧.

كتبها حسن بن أحمد البراقى النجفى سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م وتتضمن هذه النسخة جزئين من الكتاب فى أولها فهرس لكتاب.

القياس ٣٨٠ ص ٣١×٢١,٥سم ٢٥س.

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ١٥١، ١٥٢).

* **الحدباء:**

تأنيث الأحدب: اسم لمدينة الموصل، سميت بذلك لاحتداب في دجلتها واعوجاج في جريانها، وذكر ذلك في الشعر كثير.

(معجم البلدان ٢/ ٢٢٧).

* **الحَدَث:**

قال ياقوت:

الحدثُ: بالتحريك، وآخره ثاء مثلثة: قلعة حصينة بين ملطية وسمُيساط ومرعش من الثغور، ويقال لها الحمراء لأن تربتها جميعًا حمراء، وقلعتها على جبل يقال له الأحيدب، وكان الحسن بن قحطبة قد غزا الثغور وأشج العدو، فلما قدم على المهدى أخبره بما فى بناء طرسوس والمصيصة من المصلحة للمسلمين فأمر ببناء ذلك وأن يكون بالحدث، وذلك فى سنة ١٦٢؛ وفى كتاب أحمد بن يحيى بن جابر: كان حصن الحدث مما فتح فى أيام عمر، رضى الله عنه، فتحه حبيب بن مسلمة الفهرى من قبل عياض بن غنم، وكان معاوية يتعاهده بعد ذلك، وكانت بنو أمية يسمون درب الحدث درب السلامة أن المسلمين أصيبوا به، وكان ذلك الحدث الذى سمى به الحدث فيما يقول بعضهم، وقال آخرون: لقى المسلمين على درب الحدث غلامٌ حدث فقاتلهم فى أصحابه قتالاً استظهر فيه، فسمى الحدث بذلك الحدث، ولما كان فى فتنة مروان بن محمد خرجت الروم فقدمت مدينة الحدث وأجْلَتْ عنها أهلها كما فعلت بملطية، فلما كان سنة ١٦١ خرج ميخائيل إلى عَمْق مرعش ووجه المهدى الحسن بن قحطبة فساح فى بلاد الروم حتى ثقلت وطأته على أهلها وحتى صوروه فى كنائسهم وكان دخوله من درب الحدث فنظر إلى موضع مدينتها فأخبر أن ميخائيل خرج منه فارتاد الحسن موضع مدينة هناك، فلما انصرف كلم المهدى فى بنائها وبناء طرسوس فأمر بتقديم بناء مدينة الحدث، وكان فى غزوة الحسن بن قحطبة هذه مندل العنزى المحدث ومعتمر بن سليمان البصرى، فأنشأها على بن سليمان وهو على الجزيرة وقنسرين، وسميت المحمدية والمهدية بالمهدى أمير المؤمنين، ومات المهدى مع فراغهم من بنائها، وكان بناؤها باللبن، وكانت وفاته سنة ١٦٩، واستخلف ابنه موسى الهادى فعزل على بن سليمان وولى الجزيرة وقنسرين محمد بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس، وكان فرض علىُّ بن سليمان بمدينة الحدث لأربعة آلاف فأسكنهم إياها ونقل إليها من أهل ملطية وسُميساط وشمشاط وكيسوم ودلوك ورعبان ألْفَىْ رجل، وفرض لهم فى أربعين من العطاء.

قال الواقدى: ولما بُنيت مدينة الحدث هجم الشتاء وكثرت الأمطار ولم يكن بناؤها وثيقًا فهدم سور المدينة وشعَّثها ونزل بها الروم فتفرق عنها من كان نزلها من الجند وغيرهم، وبلغ الخبر موسى الهادى فقطع بعثًا مع المسيب بن زهير وبعثًا مع روح بن حاتم وبعثًا مع عمرو بن مالك فمات قبل أن ينفذوا، ثم ولى الخلافة الرشيد فدفع عنها الروم وأعاد عمارتها وأسكنها الجند، وكانت عمارتها على يد محمد بن إبراهيم، آخر البلاذرى، ثم لم ينته إلى شىء من خبره إلاَّ ما كان فى أيام سيف الدولة بن حمدان، وكان له به وقعات، وخربته الروم فى أيامه، وخرج سيف الدولة فى سنة ٤٣٤ لعمارته، فعمره وأتاه الدمستق فى جموعه فردهم سيف الدولة مهزومين، فقال المتنبى عند ذلك:

هل الحدث الحمراء تعرف لونها،
وتعلم أىُّ الساقيين الغمائم؟
بناها فأعلى، والقنا يقرع القنا،
وموجُ المنايا حولها متلاطمُ
طريدة دهر ساقها، فرددتها
على الدين بالخطى، والأنفُ راغمُ
تفيت الليالى كلَّ شىء أخذته،
وهن لما يأخذْن منك غوارمُ

وقال أبو الحسين بن كوجك النحوى وكان ملك الروم عاد لخراب الحدث ثانيًا فهزمهم سيف الدولة:

رامَ هدم الإسلام بالحدث المؤ
ذن بنيانها بهدم الضلال

نكلت عنك منـــــه نفس ضعيف،
سلبتـــه القـــوى رؤوسُ العـــوالى
فتـــوقى الحمـــام بـــالنفس والمـــا
ل، وبـــاع المقـــام بـــالارتحـــال
تـــرك الطيـــر والـــوحـــوش سغـــابًـا
بيـن تلك السهـــول والأجبـــــال
ولكمْ وقعـــة قـــريت عفـــاة الـــ
ـــطير فيهـــا جمـــاجم الأبطـــال

(معجم البلدان ٢/ ٢٢٧، ٢٢٨).

وقد شعر البيزنطيون بضخامة خطر الدولة الحمدانية بعد هذه الهـزيمة التى ألحقت بهم خسائر فـادحة (معجم المعارك الحربية/ ١٢٣).

وينسب إلى الحـدث عمـر بن زُرارة الحـدثى، روى عن عيسى بن يـونس وشريك بن عبد الله، روى عنه أبـو القاسم عبـد الله بن محمـد البغـوى ومـوسى بن هـارون، وعلى بن الحسن الحـدثى، روى عن عيسى بن يـونس، روى عنه أبـو جعفر محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمى الكوفى.

وأبو الوليد أحمـد بن جناب الحدثى، روى عن عيسى بن يونس أيضًـا، روى عنه فهد بن سليمـان، ذكره فى الفيصل.
(معجم البلدان ٢/ ٢٢٩).

(معجم البلدان ٢/ ٢٢٧ ـ ٢٢٩، ومعجم المعارك الحربية ـ ماجد اللّحام/ ٢٣).

*** حدّثنا:**

حدثنا: قول الراوى فيما سمعه من لفظ الشيخ.

حـدّثنـا إجـازة: من ألفـاظ الأداء لمن تحمل الإجـازة والمناولة.

حدّثنـا بقراءتى عليه وأنا أسمع: من ألفـاظ التحمل قراءة على الشيخ.

حدثنا قراءة عليه وأنا أسمع: من ألفاظ التحمل قراءة على الشيخ.

حدّثنا مناولة وإجازة: من ألفاظ الأداء لمن تحمل الإجازة والمناولة.

(معجم مصطلحات توثيق الحديث ـ د. على زوين/ ٣٠).

انظر: أخبرنا وحدَّثنا.

*** حدثنا وأخبرنا:**

انظر: أخبرنا وحدّثنا.

***حدّثنى:**

حدّثنى: من ألفاظ التحمل سماعًا من الشيخ.

- العـراقى: قـول الـراوى فيمـا سمعـه وحـده من لفظ الشيخ.

(معجم مصطلحات توثيق الحديث ـ د. على زوين/ ٣٠).

انظر: أخبرنا وحدَّثنا.

*** الحَذْر:**

فى علم القراءات.

جاء فى اللسان: ابن سيده: حَدَر الشىء يحدره ويحدُرُه حدْرًا وحـدورًا فانحـدر: حطّه من عُلْـو إلى سُفْل. الأزهرى: وكل شىء أرسلتـه إلى أسفل، فقد حـدرته حـدْرًا وحُدورًا ... قال: ومنه سمّيت القراءة السريعة الحدْر لأن صاحبها يحدرُها حدْرًا... والحَدْر. الإسراع فى القراءة (اللسان ٩/ ٨٠٢).

والحدر مـن الحدور الذى هـو الهبوط، لأن الإسـراع من لـوازمه بخـلاف الصعود والحـدر عند أئمـة القراءة عبـارة عن إدراج القـراءة وسـرعتهـا وتخفيفهـا بـالقصـر، والاختـلاس، والتسكين، والبـدل، والإدغام، وتخفيف الهمز ونحـو ذلك مما صحّت به الرواية، مع إيثار الوصل، ومراعاة تقديم اللفظ ـ وهو عنـدهم ضد التحقيق ـ فالحدر يكـون لتكثير الحسنات بكثرة القراءة، وتحصيل فضيلة التلاوة.

ويجب التحرز فيـه عن بتر حروف المدّ، وذهـاب صوت الغنّة، واختلاس بعض الحركات، وقصر ما لا يصح قصره من الممدود إلى غيـر ذلك من التفريط الذى لا تصحّ بـه القراءة، وتحرم به التلاوة.

والحـدر مـذهب ابن كثير، وأبـى جعفر وسـائر من قصَّـر المنفصل كأبى عمـرو، وقالـون، ويعقوب، والأصبهـانى عن ورش فى الأشهر عنهم، وحفص، وهشام من بعض طرقهما.

(الكوكب الدرّى فى شرح طيبة ابن الجزرى مختصر شرح الطيبة للنويرى ـ محمد الصادق قمحاوى / ٦٦).

انظر: التحقيق، التدوير.

*** حدق (جامع الست ـ):**

ذكره على مبارك فى الجوامع فقال :

قال المقريزى: هذا الجامع بخط المريس فى جانب الخليج الكبير مما يلى الغرب بالقرب من قنطرة السد التى خارج مدينة مصر. أنشأته الست حدق دادة الملك الناصر محمد بن قلاوون، وأقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة لعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة . انتهى.

وقال فى ذكر الأحكار: كان موضع هذا الجامع منظرة السكرة، فأنشأت فيه الست حدق هذا الجامع، وجعلت لها هناك حكرًا عرف بها لأجل ذلك، وهذا الحكر يعرف اليوم بالمريس، وكان بساتين من بعضها بستان الخشاب انتهى.

وقد ذكرنا ترجمة الست حدق مع ترجمة الست مسكة عند مسجد مسكة.

(الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٤/ ١٧١).

انظر: مسكة (مسجد الست (حدق ـ).

*** حدود الأمراض:**

من مصنفات التراث الإسلامى فى الطب.

مخطوط بمكتبة المتحف العراقى.

الرقم ٤٧٦٢ ـ ٢.

الأول (الحمد لله رب العالمين يليق بكبريائه الذى هو خالق داء الحيوان ودوائه ومنزل سقمه وشفائه ... ».

وهو كتاب فى وصف الأمراض وأعراضها وعلاجها يبدأ بأمراض الرأس كالصداع والشقيقة.

نسخة جيدة كتبت بقلم النسخ الجيد وأسماء الأمراض والأدوية كتبت بمداد أزرق فاتح مؤطرة الصفحات عليها حواش وشروح كثيرة. كتب هذه النسخة شاه حسين بن سيف الدين بن حسين فى ٢٥ رجب سنة ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م. فى آخرها منقولة من كتاب غنى ومنى ...

وجدير بالذكر أنه يوجد كتاب بعنوان « حدود الأمراض » لمحمد أكبر أزرانى، وآخر بنفس العنوان لمحمد بن المغير ابن مسلم الشيرازى (ذيل بروكلمان ٢/ ١٠٣٠).

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى / ٩٠).

*** الحدود (فى علم الجبر):**

عن حدود أو عناصر المعادلة الجبرية يقول ابن الياسمين فى أرجوزته فى الجبر والمقابلة المعروفة بالياسمينية، وقد احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت فى النص :

[١١] « على ثلاثةٍ يدورُ الجبرُ
المالُ والأعدادُ ثُمَّ الجذْرُ

[١٢] فالمالُ كلُّ عددٍ مربَّع
وجذْرُهُ واحدُ تلكَ الأضلُعِ

[١٣] والعددُ المُطلق ما لم يُنسب
للمال أو للجذر فافهم تُصب

[١٤] والشىء والجذرُ بمعنى واحدِ
كالقولِ فى لفظِ أبٍ ووالدِ »

ويشرح الأستاذ الدكتور جلال شوقى الأبيات فيقول :

يبدأ الناظم بيانه لأصول علم الجبر بتعريف للحدود التى يقوم عليها هذا العلم، وهى الحدود التى تظهر فيما نعرفُه اليوم بمعادلات الدرجة الثانية وهذه العناصر هى :

١ - المال :

وهو ما نُعبِّر عنه فى الرياضيات المعاصرة بالرمز $س^٢$، وهو مربَّع الشىء أو المجهول س، إذ إن: $س \times س = س^٢$ = مثلا مساحة مربع طول ضلعه س، حيث $س = \sqrt{س^٢}$.

٢ - الشىء أو الجذر:

وهو المقدار أو الكم أو الشىء المجهول س، وهو جذر المال، أى جذر مربع المجهول، وبذلك يكون المال هو مربع الشىء أو الجذر، أو هو الضلع الذى إذا ضُرب فى نفسه صار مُربَّعًا، والجذر هو أحد أضلاع المربع كما جاء بالبيت [١٢].

٣ - الأعداد :

ويُقصد بها ما لا يرتبط بالمجهول س، أو بالمال س ٢، أو بمنازل س عمومًا س ن(حيث ن ≠ صفرًا) فتكون الأعداد - فى الواقع - مُعاملات س صفر ، إذ إن س صفر = ١ وهذا تفسير ما جاء بالبيت [١٣] أما البيت [١٤] فيؤكد على أن لفظى «الشىء و « الجذر » هما لفظان مترادفان فى أعمال الجبر، وهما ما يُعبَّر عنهما بالرمز س الكم المجهول فى الرياضيات المعاصرة.

(منظومات ابن الياسمين فى أعمال الجبر والحساب - تحقيق ودراسة د. جلال شوقى / ١١٤، ١١٥).

انظر الجدول الذى أوردناه مصاحبا لمادة « الجبر والمقابلة (علم -) » فى م ١١/ ٦٣٣، وهو يبين مواصفات (أى مصطلحات) علم الجبر فى الكتابات العربية، وما يقابل ذلك من رموز مستعملة فى الرياضيات المعاصرة.

*** الحدود (فى علم الفقه):**

الحدّ: الحاجز بين الشيئين الذى يمنع اختلاط أحدهما بالآخر. يقال: حددت كذا: جعلت له حدًّا يميّزه. وحدُّ الدار: ما تتميز به عن غيرها. وحد الشىء: الوصف المحيط بمعناه المميّز له عن غيره. وحدّ الزَّانى والخمر سمّى لكونه مانعًا لمتعاطيه عن معاودة مثله ومانعًا لغيره أن يسلك مسلكه. وقوله تعالى: ﴿ وأجدرُ ألاَّ يعلمُوا حُدود ما أنزل اللهُ﴾ [التوبة: ٩٧] أى أحكامه، وقيل: حقائق معانيه.

وجميع حدود الله على أربعة أضرب: إما شىء لا يجوز أن يتعدى بالزيادة عليه، ولا يجوز النقصان عنه، كأعداد ركعات صلاة الفرض، وإما شىء يجوز الزيادة عليه ولا يجوز النقصان عنه، وإما شىء يجوز النقصان عنه ولا يجوز الزِّيادة عليه، وإما شىء يجوز كلاهما.

والحدود جاءت فى القرآن على سبعة أوجه: الأول حد الاعتكاف لإخلاص العبادة ﴿وأنتُم عاكفُون فى المساجد تلك حدُود اللهِ ﴾ [البقرة: ١٨٧]. الثانى: حد الخلع لبيان الفدية ﴿ فيما افتدت به تلك حدودُ الله ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. الثالث: حدُّ الطلاق لبيان الرَّجعة ﴿وتلك حدود الله يُبينها لقوم يعلمونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠] . الرابع: حد العدة لمنع الضرار وبيان المدة. الخامس: حدُّ الميراث لبيان القسمة ﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدودهُ ﴾ [النساء: ١٤] السادس: حد الظِّهار لبيان الكفارة ﴿ فمن لم يستطع فإطعام ستِّين مسكينًا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وتلكَ حدود الله ﴾ [المجادلة: ٤] السابع: حد الطلاق لبيان مُدة العدة ﴿ لا تُخرِجُوهُنَّ من بيوتهنّ ﴾ إلى قوله ﴿ وتلك حدودُ الله ﴾ [الطلاق: ١].

وقوله تعالى: ﴿ إن الذين يحادّون الله ورسولهُ ﴾ [المجادلة: ٥] أى يمانعون، وذلك إما اعتبارًا بالممانعة، وإما باستعمال الحديد (بصائر ٢/ ٤٣٧، ٤٣٨).

يقول الإمام الماوردى صاحب « الأحكام السلطانية » رحمه الله، فى باب أحكام الجرائم :

والحدود زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر وترك ما أمر به لما فى الطبع من مغالبة الشهوات الملهية عن وعيد الآخرة بعاجل اللذة، فجعل الله تعالى من زواجر الحدود ما يردع به ذا الجهالة حذرا من ألم العقوبة وخيفة من نكال الفضيحة ليكون ما حظر من محارمه ممنوعا وما أمر به من فروضه متبوعا فتكون المصلحة أعم والتكليف أتم، قال الله تعالى :

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

يعنى فى استنقاذهم من الجهالة وإرشادهم من الضلالة وكفهم عن المعاصى وبعثهم على الطاعة.

وإذا كان كذلك فالزواجر ضربان: حدٌّ وتعزير (انظر مادة « التعزير »).

فأما الحدود فضربان: أحدهما ما كان من حقوق الله تعالى. والثانى ما كان من حقوق الآدميين، فأما المختصة بحقوق الله تعالى فضربان: أحدهما ما وجب فى ترك مفروض، والثانى ما وجب فى ارتكاب محظور.

فأما ما وجب فى ترك مفروض كتارك الصلاة المفروضة حتى يخرج وقتها يسأل عن تركه لها، فإن قال لنسيان أمر بها قضاء فى وقت ذكرها ولم ينتظر بها مثل وقتها، قال رسول الله ﷺ:

« من نـام عن صلاة أو نسيهـا فليصلّها إذا ذكـرها فـذلك وقتهـا لا كفارة لهـا غيـر ذلك » : وإن تركهـا لمـرض صلاهـا بحسـب طاقته من جلـــوس أو اضطجــاع ، قال الله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

وإن تركها جاحدا لوجوبها كان كافرا، حكمه حكم المرتد يقتل بالردة إذا لم يتب، وإن تركهـا استثقالا لفعلها مع اعترافه بوجوبها، فقد اختلف الفقهاء فى حكمه فذهب أبو حنيفة إلى أنه يضرب فى وقت كل صـلاة ولا يقتل . وقال أحمد بن حنبل وطائفة من أصحاب الحديث يصير بتـركها كافرا يقتل بالردة . وذهب الشافعى إلى أنه لا يكفر بتركها ولا يُقتل حدًّا ولا يصير مرتدا، ولا يقتل إلا بعد الاستتابة، فإن تاب وأجاب إلى فعلها ترك وأمر بها، فإن قال أصلّيهـا فى منزلى وكلت إلى أمانته ولم يجبر على فعلها بمشهد من النـاس، وأن امتنع من التوبة ولم يجب إلى فعل الصلاة قتل بتركها فى الحال على أحد القولين وبعد ثلاثة أيام فى القول الثانى ويقتله بسيف صبرا. وقال أبو العباس بن سـريج يقتله ضربـا بالخشب حتى يمـوت ويعدل عن السيف الموحى ليستدرك التوبة بتطاول المدى .

واختلف أصحاب الشافعى فى وجوب قتله بترك الصلوات الفوائت إذا امتنع من قضائها، فذهب بعضهم إلى أن قتله بها كالموقتات، وذهب آخرون إلى أنـه لا يقتل بها لاستقرارها فى الـذمـة بالفـوات ويصلى عليـه بعـد قتلـه ويدفن فى مقـابـر المسلمين لأنه منهم ويكون ماله لورثته .

فأمـا تارك الصيام فـلا يقتل بإجماع الفقهـاء ويحبس عن الطعام والشراب مـدة صيام شهر رمضان ويـؤدب تعزيرا، فإن أجاب إلى الصيام ترك ووكل إلى أمانتـه، فإن شوهد آكلا عزر ولم يقتل .

وأما إذا تـرك الزكاة فـلا يقتل بها وتـؤخذ إجبارًا من مـاله، ويُعزَّر إن كتمها بغير شبهة، وإن تعذر أخذهـا لامتناعه حورب عليها وإن أفضى الحـرب إلى قتله حتى تؤخذ منـه كما حارب أبو بكر الصديق مانعى الزكاة .

وأمـا الحج ففـرضه عنـد الشـافعى على التـراخى مـا بين الاستطاعة والموت، فلا يتصـور على مذهبه تأخيره عن وقته، وهو عنـد أبى حنيفة على الفور، فيتصـور على مذهبـه تأخيره عن وقته ولكنه لا يقتل به ولا يعزر عليه، لأنه يفعله بعد الوقت أداء لا قضاء، فإن مات قبل أدائه حج عنه من رأس ماله .

وأما الممتنع من حقـوق الآدميين من ديون وغيرها فتـؤخذ منه جبـرا إن أمكنت ويحبس بهـا إذا تعذرت إلا أن يكـون بها معســرا فينظــر إلــى ميســرة فهــذا حكم مـــا وجب بتـــرك المفروضات .

وأما ما وجب بارتكاب المحظورات فضربان :

أحـدهما مـا كان من حقـوق الله تعـالى وهى أربعة : حـد الزنا، وحد الخمر، وحد السرقة، وحد المحاربة .

والضرب الثـانى من حقـوق الآدميين شيئان : حـد القذف بالـزنا والقذف فى الجنايـات، وسنذكر كل واحـد منها فى موضعه إن شاء الله تعالى (الأحكام السلطانية / ١٩١، ١٩٢) .

وعن الشفاعة والتسامح فى الحـدود جاء ما يلى فى الباب السابع من تيسير الوصول :

١ – عن يحيى بن أبى راشد عن ابن عمـر رضى الله عنهما « أنه سمع رسـول الله ﷺ يقول : من حـالت شفاعتـه دون حد من حدود الله تعالى، فقد ضاد الله عز وجل، ومن خاصم فى باطل وهـو يعلم لم يزل فى سخط الله تعـالى حتى ينزع، ومن قال فى مؤمن ما ليس فيـه أسكنه الله ردغة الخبالِ حتى يخرج مما قال : ومن أعان على خصومة بظُلم فقد باء بغضبٍ من الله تعالى» . أخرجه أبو داود .

(الرَّدغةُ) : بسكون الدال وتحريكها بعدها غين معجمة : الطين والوحل الكثير.

(جاء فى الحديث : أن الخبال عصارة أهل النار. والخبال فى الأصل : الفساد، ومعنى أنه يخـرج مما قال أن يتحلل من ذلك المسلم الذى قال فيه القول) .

٢ – وعن الزبير بن العوام رضى الله عنه « أنه لقى رجلا قد أخذ سـارقًا يُـريدُ أن يـذهب به إلى السلطـان فشفع له الـزبير ليرسلـه، فقال : لا حتى أبلغ بـه إلى السلطان، فقال الـزبير: إنمـا الشفاعـة قبل أن يبلغ السلطان، فإذا بلغ السلطـان لعن الشافع والمشفع » . أخرجه مالك .

٣ – وعن صفوان بن أمية رضى الله عنه « أنه توسد رداءه فى المسجد، ونـام فجاءه سارق فأخـذ رداءه، فأخـذ صفوان السارق، فجاء بـه إلى رسول الله ﷺ فأمر به أن تقطع يده، فقال صفوان: إنى لم أرد هـذا يا رسول الله، هو عليه صدقة، فقال رسول الله ﷺ: فهلا قبل أن تأتينى به » أخرجه الأربعة إلا الترمذى.

٤ – وعن عائشة رضى الله عنها قالت: « قال رسول الله ﷺ ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كـان له مخرج فخلـوا سبيلـه، فإن الإمـام إن يخطئ فى العفـو خيرٌ من أن يخطئ فى العقوبة ». أخرجه الترمذى.

ولأبى داود عنها: « أن رسول الله ﷺ كان يقول: أقيلوا ذوى الهيئات عثـراتهم إلا الحدود » (هم أصحـاب المروءات والخصال الحميدة الذين لا يُعرفون بالشرّ فيزل أحدهم الزلّة).

٥ – وعن ابن المسيب رضى الله عنـه « أن رجـلا من أسلم يُقال له هَـزَّالٌ شكا رجلا (هو ماعـز بن مالك الأسلمى) إلى رسـول الله ﷺ بالـزنا، وذلك قبل أن ينـزل: ﴿ والذين يرمون المُحصنات ﴾ [النور: ٤] فقال النبى ﷺ يا هـزال: لو سترته بردائك لكان خيرًا لك ». أخرجه مالك، وأبو داود.

٦ – وعن هـانىء بن نيـار رضى الله عنـه قـال: « سمعت النبى ﷺ يقـول: لا يُجلَدُ فـوق عشـرة أسواطٍ إلاَّ فى حـد من حدود الله تعالى ». أخرجه الشيخان وأبو داود.

٧ – وعن حكيم بم حزام رضى الله عنـه قال: « نهى رسول الله ﷺ أن يُستقاد فى المسجـد، وأن تنشد فيـه الأشعار، وأن تقام فيه الحدود ». أخرجه أبو داود.

٨ – وعن علىٍّ رضى الله عنـه قال: « قـال رسول الله ﷺ: من أصاب حـدًّا فعجل عقوبته فـى الدنيا، فـالله أعدل من أن يثنى عليـه العقوبـة فى الآخـرة، ومن أصـاب حدًّا فستـره الله تعالى عليه وعفـا عنه، فالله أكرم من أن يعـود فى شىء قد عفا عنه ». أخرجه الترمذى.

٩ – وعنـه رضى الله عنه قـال: « قال رسـول الله ﷺ: رُفِع القلمُ عن ثلاثـة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبى حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل ».

أخرجه أبو داود والترمذى.

وزاد أبو داود فى أخرى: « وعن الخرف » (تيسير الوصول ٢/ ١٧ ـ ٢٠).

(بصائر ذوى التمييز للإمام الفيروزابادى ـ تحقيق الأستاذ محمد على النجـار ٢/ ٤٣٧، ٤٣٨، والأحكـام السلطـانيـة لعلى بن محمـد حبيب البصـرى الماوردى / ١٩١، ١٩٢، تيسيـر الـوصول إلى جامع الأصـول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٢/ ١٧ ـ ٢٠).

*** الحدود (كتاب ـ):**

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم الكيمياء.

مخطوط فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

تأليف جابر بن حيان الصوفى.

وهو المقالة التاسعة والخمسون من « كتاب السبعين ».

أوله: رب يسر برحمتك، قد سبق لنا قبل كتابنا هذا ثمانية وخمسون كتـابًا، وقـد شرحنـاها شـرحًا قـويًا، ومقالتـى هذه تاسعةوخمسون، وأنا ذاكـر فيها حدود هذه الأشياء ليصح كل شىء ... إلخ.

وآخره: فـاستعمل لنار الأول هذه التى ذكـرناها، ولتـدبير الثـانى من الأول هذه العنـاصـرَ الأخـر، واستعمل فى التدبيـر الثانى ماله من الجواهر، وهى خارجة عن هذا الفن، فاعرفه إن شاء الله تعالى.

نسخة بقلم نسخ جميل. تمت كتـابة فى بلدة تبريـز سنة ٦٨٨.

ومسطرتها ١٧ سطرًا ١١×١٧سم.

(ضمن مجموعة من ص ٣٣٤ ـ ٣٣٨).

[مكتبة بروسة حسين جلبى ـ ١٥].

(فهرس المخطوطات المصورة، معهد المخطـوطات العربيـة جـ٣ العلـوم ق٤ الكيمياء والطبيعيـات ـــ وضع فـؤاد سيـد. القاهـرة ١٩٦٣/ ١١٤).

*** الحدود (كتاب ـ):**

قال عنه حاجى خليفة:

كتاب الحدود: مختصر فى أصـول الفقه لمحمد بن على الخلاطى المتوفى سنة ٧٠٨ ثمان وسبعمائة جمع فيه الحدود المتداولة فى ألسنة الفقهاء فـى أصول الفقه ولأبى عبيدة معمر

ابن المثنى النحـوى البصـرى المتـوفى سن ٢٢١ إحـدى وعشرين ومائتين وللغزالى وقد ملكته .

(كشف الظنون ٢/ ١٤١١) .

*** الحدود والأحكام:**

أورده صـاحب كشف الظنـون (١/ ٦٣٥) تحت عنـوان «حدود الأحكام » من مخطوطات الخزانة العمـرية فى مكتبة المتحف العراقى (الفقه الحنفى) .

الرقم ٢٢٣٥٥ .

لعـلاء الدين على بن مجـد الـدين محمود بن محمـد بن مسعـود الشـاهرودى البسطـامى الهـروى المعـروف بمصنفك المتوفى سنة ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م .

الأول : (الحمد لله الذى أنزل على عبده الحدود والأحكام وجعل علمها وعملها سعادة باقية ...) .

كتبها حسن بن محمـد فى ٣ شعبان ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٧م فى أولها فهرس تملكها محمد بن حبيب المدرس بمدرسة قره قاضى بمدينة تبره .

(مخطوطات الخزانة العمرية ق٦/ ٣٥ ، ٣٦) .

كما تـوجد نسخـة فى دار الكتب الظـاهـرية وجـاء بيـان المخطوط كما يلى :

الرقم ٥٣٠٩ .

وهـو فى الحـدود الشـرعية ، والألفـاظ الفقهيـة ، وشـرح للألقاب التى لقبت بها الكتب الدينية وغير ذلـك مما يحتاج إلى البيان والشرح .

انتهى المؤلف من تأليفها سنة ٨٧٣هـ .

نسخة ناقصة من أولها ورقة واحدة .

أولـه : ثقيلا ، أرى فقهـاء هذا العصـر طـرًّا أضاعـوا العلم واشتغلوا

إذا نـــاظــــرتهـم لم تلـق منهـم
سـوى حـرفيـن لم لا لا نسلـم

وآخره : واتفق فيهـا المتأخرون على شىء يعمل به ، وإن اختلفوا يجتهد ويفتى بما هو أصوب عنده .

نسخة عادية .

الخط فارسى جيد . كتبه مصطفى بن سيد عثمان .

٩٧ق ٢١س ٢١×١٥سم .

(فهرس الظاهرية ١/ ٢٨١ ، ٢٨٢) .

(مخطوطـات الخزانة العمريـة فى مكتبة المتحف العراقى ـ بغداد . مركـز الخدمات والأبحاث الثقـافية ق٦/ ٣٥ ، ٣٦ ، وفهرس مخطـوطات دار الكتب الظـاهـرية . الفقـه الحنفى ـ وضع محمـد مطيع الحـافظ ١/ ٢٨١ ، ٢٨٢) .

*** الحديبية (صلح -):**

سبق أن أوردنـا فى مادة « بيعـة الرضـوان » (م٨/ ٢٢١ - ٢٢٥) طرفا من قصة الحديبية يتعلق معظمه بالبيعة التى تمت فيها . ونستكمل هنـا الكلام على آثارها الاستراتيجيـة فى نظر العسكرية المعاصرة التى نقسمه إلى نقاط هى :

الموقف العام : المسلمون ـ المشركون .

قوات الطرفين : المسلمون ـ المشركون .

أهداف الطرفين : المسلمون ـ المشركون .

الأعمال التمهيدية .

استخبارات المعركة (المعلومات) ـ المسلمون .

المفاوضات النهائية .

أهم بنود الهدنة (العمليات التعرضية / ٤٩ - ٥٤) .

هذا ويسميه بعضهم : عمرة الحديبية ، ويسميه بعض آخر « غزوة الحديبية » أو « عهد الحديبية » .

وقـد كان تـوجـه ﷺ من المدينـة يـوم الإثنين مستهل ذى القعدة سنة ست ، فخرج قاصدًا العمرة ، فصده المشركون من الدخول إلى البيت ، ووقعت بينهم المصـالحة على أن يدخل مكة فى العام القابل .

ونبدأ بالتعريف بالحديبية كما أورده ياقوت الحموى الذى يقول :

الحديبية : بضـم الحاء ، وفتح الدال ، وياء سـاكنة ، وباء موحدة مكسـورة ، وياء اختلفوا فيها فمنهم من شـددها ومنهم من خففهـا ، فروى عن الشـافعى ، رضى الله عنـه ، أنه قـال : الصواب تشديد الحديبية وتخفيف الجعرانة ، وأخطأ من نصّ على تخفيفها ، وقيل : كل صواب ، أهل المدينة يثقلونها وأهل العراق يخففونها : وهى قرية متوسطة ليست بالكبيرة ، سميت

بئر هناك عند مسجد الشجرة التى بايع رسول الله ﷺ تحتها، وقال الخطابى فى أماليه: سميت الحديبية بشجرة حدباء كانت فى ذلك الموضع، وبين الحديبية ومكة مرحلة، وبينها وبين المدينة تسع مراحل، وفى الحديث إنها بئر، وبعض الحديبية فى الحل وبعضها فى الحرم، وهو أبعد الحل من البيت وليس هو فى طول الحرم ولا فى عرضه بل هو فى مثل زاوية الحرم، فلذلك صار بينها وبين المسجد أكثر من يوم، وعند مالك بن أنس أنها جميعها من الحرم، وقال محمد بن موسى الخوارزمى : اعتمر النبى ﷺ عمرة الحديبية وودع المشركين لمضى خمس سنين وعشرة أشهر للهجرة النبوية (معجم البلدان ٢/ ٢٢٩، ٢٣٠).

وقد جاءت قصة صلح الحديبية فى كلٍّ من تيسير الوصول والمنتخب من السنة على النحو التالى، وسنتبع الوصف بشرح الألفاظ التى تحتاج إلى شرح إن شاء الله تعالى ونوردها بأرقام هوامشها :

عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا:

(خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال ﷺ : إن خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش طليعة، اتخذوا ذات اليمين »، فوالله ما شعر بهم خالد، حتى إذا هُم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيرًا لقريش، وسار النبى ﷺ حتى إذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها، بركت به راحلته، فقال الناسُ : حل حل فألحَّت . فقالوا : خلأت القصواءُ، خلأت القصواءُ، فقال ﷺ « ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخُلقٍ، ولكن حبسها حابس الفيل » . ثم قال : «والذى نفسى بيده . لا يسألونى خطة يُعظِّمون فيها حُرمات الله إلا أعطيتهم إيَّاها » ثم زجرها، فوثبت، قال : فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية فى مكان قليل الماء يتبرَّضهُ الناس تبرضًا، فلم يلبث الناسُ حتى نزحوهُ، وشُكى إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهما من كنانته، ثمَّ أمرهم أن يجعلوه فيه . فوالله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه . فبينما هم كذلك إذ جاء بُدَيْل بْنُ وَرْقَاءَ الخُزَاعى فى نفرٍ من قومه، وكانوا عيبة نُصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة، فقال : إنِّى تركت كعب بن لؤىٍّ وعامر بن لؤىٍّ نزلوا أعلى مياه الحُديبية، معهم العُوذ المطافيل، وهم مُقاتلوك وصادُّوك عن البيت، فقال ﷺ : « إنَّا لم نجئ لقتال أحد، ولكنَّا جئنا معتمرين، وإن قُريشًا قد نهكتهم الحربُ وأضرتْ بهم، فإن شاءُوا ماددتُهم مُدَّة ويُخَلُّوا بينى وبين الناس، فإن أظهر، فإن شاءُوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلاَّ فقد حموا، وإن هم أبَوْا، فوالذى نفسى بيده لأقتلنَّهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى، ولينفذنَّ الله أمرهُ » فقال بُديل سأبلغهم ما تقول. فانطلق حتى أتى قريشًا، فقال: إنَّا قد جئناكم من عند هذا الرجل، وقد سمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تُخبرنا عنه بشىء ! وقال ذوُو الرأى منهم : هات ما سمعته يقول. قال : سمعته يقولُ كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبى ﷺ، فقام عروة ابن مسعود فقال : أى قوم ألستم بالوالد؟ قالوا : بلى، قال : أو لستُ بالولد؟ قالوا : بلى، قال : فهل تتهمونى؟ قالوا: لا. قال : ألستم تعلمون أنى استنفرت أهل عُكاظ، فلما بلحوا على جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى؟ قالوا : بلى. قال : فإن هذا قد عرض عليكم خطة رُشد، اقبلوها ودعونى آته، فقالوا : ائته ، فأتاه فجعل يكلِّم النبى ﷺ فقال النبى ﷺ نحوًا من قوله لبُديل ، فقال عُروة عند ذلك : أى محمد، أرأيت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح قومه قبلك؟ وإن تكن الأخرى فإنى والله لا أرى وجوهًا، وإنى لأرى أوشابًا من الناس خليقًا أن يفرُّوا ويدعوك! فقال له أبو بكر:

أنحن نفر عنه وندعه؟ فقال : من ذا؟ قيل : أبو بكر، فقال : أما والذى نفسى بيده، لولا يد كانت لك عندى ولم أجزك بها لأجبتك! قال : وجعل يُكلِّمُ النبى ﷺ، فكلما كلمهُ أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة رضى الله عنه قائمٌ على رأس النبى ﷺ، ومعه السيف، وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله ﷺ ضرب بيده بنعل السيف، وقال لهُ : أخِّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ! فرفع عروة رأسهُ فقال : من هذا؟ قالوا : المغيرة بنُ شعبة. فقال : أى غدر، ألست أسعى فى غدرته؟ وكان المغيرة بن شعبة صحب قومًا فى

الجاهليـة فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جـاء فأسلم، فقال ﷺ: «أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه فى شىء» ثم إن عروة جعل يـرمقُ أصحاب النبى ﷺ بعينيـه، قال: فوالله مـا يتنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت فى كفِّ رجل منهم، فدلَّك بها وجهـه وجلـدهُ، وإذا أمرهـم ابتدروا أمـرهُ، وإذا تـوضأ كـادُوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضـوا أصواتهم عنده، وما يُحـدُّون النظـر إليه تعظيمـا لـه. فرجع عروة إلى أصحـابـه، فقال: أى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على كسرى وقيصر والنجاشى، والله ما رأيت ملكـًا قطُّ يعظمهُ أصحابه ما يعظم أصحـاب محمد محمـدًا ﷺ والله إن يتنخم نخامـة إلا وقعت فى كفِّ رجل منهم فـدلك بها وجهه وجلـدهُ إذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصـواتهم عنده، وما يحـدوزن النظر إليه تعظيمـًا له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها.

فقال رجل من بنى كنانة: دعونى آتـه، فقالوا: ائته، فلما أشرف على النبى ﷺ وأصحابه، قال ﷺ: «هذا فلانٌ، وهو من قوم يعظمون البُـدن فابعثوها لهُ» واستقبلـه الناس يلبُّون. فلما رأى ذلك قال: سُبحان الله ما ينبغى لهؤلاء أن يُصدُّوا عن البيت. فلما رجع إلـى أصحابه قـال: رأيت البدن قـد قلِّدت وأشعرت فما أرى أن يصـدوا عن البيت. فقام رجل منهم يُقال له مكـرز بن حفص، فقال: دعونى آتـه، فقالوا: ائتـه، فلما أشرفُ عليهم قال ﷺ: «هذا مكرزٌ، وهو رجلٌ فاجرٌ» فجعل يُكلام النبـى ﷺ، فبينما هو يكلمُـهُ إذ جاء سُهيل بـن عمرو، فقـال ﷺ: «قـد سهل لكمْ من أمـركمْ»، فجـاء سُهيل بن عمرو، فقال للنبى ﷺ: هات اكتب بيننـا وبينكم كتابًا، فدعا ﷺ بالكاتب فقال: اكتب: «بسـم الله الرحمن الرحيم» فقال سُهيل: مـا الـرحمنُ؟ فـوالله مـا أدرى مـا هى، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتبُ فقال المسلمون: والله لا نكتب إلاَّ بسم الله الـرحمن الـرحيـم، فقـال ﷺ: «اكتب بـاسمك اللهم»، ثم قال: «هذا ما قـاضى عليه محمد رسول الله ﷺ» فقال سهيلٌ: لو كنا نعلمُ أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال ﷺ، «والله إنى لرسـول الله، وإن كذبتمونى، أكتب محمـد بن عبد الله»

فقال ﷺ: «على أن تُخلوا بيننا وبيـن البيت فنطوف به» فقال سُهيل: لا تتحدث العرب أنا أُخـذنا ضغطة، ولكن ذلك من العـام المُقبـل، فكتب. فقـال سهيلٌ: وعلى ألا يأتيـك منـا رجلٌ، وإن كان على دينك إلا رددتـه إلينا، قـال المسلمون: سبحان الله، كيف يـردُّ إلى المشركين وقد جاء مُسلمًـا؟ فبينما هم كـذلك إذ جاء أبـو جنـدل بن سُهيل بن عمرو يـرسف فى قيـوده، وقد خـرج من أسفل مكـة حتى رمى نفسه بين أظهـر المسلمين. فقال سهيل: يا محمد، هذا أول ما أُقاضيك عليه أن ترده إلـىَّ فقال ﷺ: «إنا لـم نقض الكتاب بعـد». قال: فـوالله إذن لا أُصالحـك على شىء أبدًا! قـال ﷺ: «فأجـزه لى». قـال: مـا أنا بمُجيـزٍ ذلك لك، قـال: «بلى فـافعلْ» قال: ما أنا بفاعل! قال مكرز بن حفصٍ: بل قد أجزناه لك. قال أبـو جندل رضى الله عنـه: أى معشر المسلمين، أردُّ إلى المشركين وقـد جئت مُسلمًا! ألا ترون ما قد لقيـت؟ وكان قد عُذِّبَ عذابًا شديـدًا فى الله، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنـه: فأتيت نبى الله ﷺ فقلت: يـا نبى الله، ألست بنبى الله حقًّـا؟ قـال: «بلى». قلت: ألسنـا على الحقِّ وعـدونـا على الباطل؟ قال: «بلى» قلت: فلم نعطى الـدنية فى ديننا إذن؟ قال: «إنى رسول الله، ولست أعصيه وهو ناصرى» قلت: أو ليس كنت تحدثنـا أنا سنأتى البيت ونطوف بـه؟ قال: «بلى، أفأخبـرتك أنك تأتيـه العـام؟» قلت: لا، قـال: «فإنك آتيـه ومطوف به» قـال: فأتيت أبا بكر رضى الله عنه فقلـت: يا أبا بكر، أليس هـذا نبى الله حقًّا؟ قـال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعـدوُّنـا على البـاطـل؟ قـال: بلى، قلت: فلم نعطى الدنيـة فى ديننا إذن؟ فقـال: أيها الـرجل، إنه رسـول الله ولن يعصى ربه، وهو ناصره فـاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق فقلت: أليس كان يُحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف بـه؟ قال: بلى فأخبرك أنك تأتيـه العـام؟ قلت: لا، قـال: فإنك آتيـهِ ومُطوِّف به! قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً.

فلمـا فرغ من قضيـة الكتـاب أمر النـاس أن يحللوا قـال: فوالله مـا قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مـرات، فلما لم يقم منهم أحد، دخل على أم سلمة رضى الله عنها فذكر لها ما لقى من الناس. فقالت: يـا نبى الله، أتحب ذلك؟ اخرج ولا

تكلم منهم أحـدًا حتى تنتحـر بـدنك وتـدعـو حـالقك، فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدًا منهم، حتي فعل ذلك. نحر بدنه. ودعا حالقهُ فحلقهُ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروُا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا، حتى كاد بعضهـم يقتل بعضًا، ثم جاء نسوة مؤمنات، فأنزل الله تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المُؤمنـات مُهاجـرات فامتحنـوهن﴾ حتـى بلـغ: ﴿بِعصم الكوافر﴾ [الممتحنة ١٠] فطلق عمـر رضى الله عنـه يـومئـذ امرأتين كانتا له فى الجاهليـة، فتزوج إحداهما معاوية بن أبى سفيان، والأخرى صفوان بن أميـة. ثم رجع ﷺ إلى المدينة، فجاء أبـو بصير ـــ رجل من قريشٍ ـــ وهو مسلم، فأرسلـوا فى طلبـه رجُلين وقـالوا: العهـد الـذى جعلت لها، فـدفعـه إلى الرجلين، فخـرجا به حتى بلغـا ذا الحُليفة، فنزلـوا يأكلون من تمرٍ لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إنى لأرى سيفك هذا يـا فلان جيـدًا، فاستلهُ الآخـر فقال: أجل والله إنـه لجيد جربت به ثم جربت. فقال أبو بصيرٍ: أرنى أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه به حتى برد، وفرَّ الآخرُ حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال ﷺ حين رآهُ: « لقد رأى هذا ذُعرًا » فلما انتهى إلى النبى ﷺ قـال: قُتل والله صـاحبى وإنِّى لمقتـول ! فجـاء أبو بصيرٍ رضى الله عنـه فقال: يـا نبى الله قـد أوفى الله ذِمَّتك، قد رددتنى إليهم، ثم أنجـانى الله منهم، فقال ﷺ: « ويل أُمِّـهِ مسعر حربٍ ! لـو كان لـهُ أحدٌ »، فلمـا سمع ذلك عرف أنـه سيردوه إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحـر، قال: وتفلت منهم أبو جنـدل بن سُهيل، فلحق بأبى بصير، فجعل لا يخـرج من قريش رجل قـد أسلم إلا لحق بأبى بصيرٍ حتى اجتمع عنده عصابـة، فوالله ما يسمعون بعيـر لقريشٍ خرجت إلى الشام إلا تعرضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قـريش إلى النبى ﷺ تنـاشـده الله تعـالى والـرحم لمـا أرسل إليهم، فمن أتـاه منهم فهـو آمن ! فأرسل إليهـم، فأنـزل الله تعالى: ﴿وهُو الـذى كفَّ أيديهم عنكم وأيـديكم عنهم ببطن مكَّـة من بعد أن أظفـركم عليهم ﴾ [الفتح: ٢٤] حتى بلغ: ﴿حَمِيَّة الجاهليةِ﴾ [الفتح: ٢٥] وكـانـت حميتهم أنهم لم يُقرُّوا أنهُ نبى، ولم يقرُّوا ببسم الله الـرحمن الرحيم، وحالوا بينه وبين البيتِ).

أخـرجه البخـارى وأبـو داود (تيسيـر الوصـول ٣/ ١٨٨ ـ ١٩٢، والمنتخب من السُّنة ١/ ٢٥١ ـ ٢٦٣).

وفيما يلى شرح معانى الألفاظ الصعبة الواردة فى النص:

(قترة الجيش) الغبار الساطـع ولا تكون القترة إلا مع سواد فى اللون.

و(الثنية) الطريق المرتفع فى الجبل.

و(القصـواء) اسم نـاقـة النبى ﷺ لُقِّبـت بـذلك ولم تكن مشقوقة الأذن.

و (حَلْ) كلمة زجر للناقة و (ألحتْ) حرنت.

و(حابس الفيل) هو الله، والفيل فيل أبرهـة الذى قصد به البيت ليخربه فحبسه الله عنه.

و (الخُطةُ) الحالة والقضية والطريقة.

و(حرمُـاتُ الله) جمع حرمـة، والمراد هنـا حرمـة الحرم، وحرمة الإحرام، وحرمة الشهر الحرام.

و(الثَّمَدُ) الماء القليل الذى لا مادة له.

(التبرُّضُ) أخذ الشىء قليلا قليلا.

و(جاشت البئر بالماء) ارتفعت وفاضت.

و(الرِّيُّ) ضد العطش.

و(الصَّدرُ) الرجوع بعد الورود.

و(عيبة نضحِ رسول الله ﷺ) أى موضـع نصحه وسره وثقته فى ذلك.

و(الماء العدّ) الكثير الذى لا انقطاع لمادته كماء العيون، وجمعه أعداد..

و(العُوذُ) جمع عـائذ وهى الناقـة إذا وضعت إلى أن يقوى ولدها.

و(المطافيلُ) جمع مطفل وهى الناقـة التى معها فصيلها، واستعـار ذلك للنـاس أراد بـه النسـاء والصبيـان. و(نهكتُهم الحربُ) أضرَّت بهم وأثَّرت فيهم.

و(مـاددتُهم) أى جعلت بينى وبينهم مدة. و(جَمُّـوا) أى استـراحوا. (والسَّـالفةُ) صفحـة العنق. وانفرادهـا كنايـة عن الموت.

و(بَلَّحُوا) امتنعوا علىَّ وتقاعدوا بى.

و(عرضَ عليكُمْ خُطة رُشدٍ) أى طلب منكم طريقًا واضحًا فى الهدى والاستقامة.

و(الاجتياحُ) الاستئصال .

و(الأوباشُ والأوشابُ) الأخلاط من الناس والرعاع .

و(خليقًا) أى جديرا) .

و(اللاتُ) صنم كانوا يعبدونه .

و(غُدرُ) معدول عن غادر وهو بناء للمبالغة .

و(النُّخامةُ) البصقة من أقصى الحلق .

و(الوضوء) بفتح الواو: الماء الذى يتوضأ به .

و(ما يُحدُّون إليه النَّظرَ) أى ما يملأون أعينهم منه هيبة واستحياء منه .

و(الفاجرُ) المائل عن الحق المكذب به ، وكل انتصاب فى شر فهو فجور.

و(قاضاهُم) أى صالحهم .

و(الضَّغطةُ) القهر والضيق .

و(الرَّسفُ) مشى المقيد فى قيده .

(فأجزه لى) بالزاء وبالراء . أى اجعله جائزا غير ممنوع ، أو فاجعله فى حمايتى وحفظى .

و(الدَّنيةُ) القضية التى لا يُرضى بها ولا تراد .

و(الغرز) لكور الناقة كالركاب لسرج الفرس إلا أنه من جلد فإن كان من حديد أو خشب فهو ركاب .

(وعِصم الكوافرِ) جمع عصمة وهو ما يتمسك به ، والكوافر جمع كافرة ، والمراد بعصمها عقد نكاحها .

و(ويلُ أمهِ) كلمة يتعجب بها .

و(مِسعرَ حربٍ) أى موقدها ، والمسعر الخشب الذى يوقد به النار.

و(سيف البحر) جانبه وساحله ، والله أعلم . (تيسير الوصول ٣/ ١٩٣ ، ١٩٤) .

. وأما عن آثار صلح أو عهد الحديبية فنلخّصها كما وردت فى المصادر على النحو التالى :

بعد هذه المعاهدة وانتشار السلام نتيجة لها ، تفرغ رسول الله ﷺ لنشر الدين الإسلامى بوسائل كثيرة كان من أهمها :

١ - إرسال الكتب لدعوة الحكام فى شبه الجزيرة العربية ، وإلى الملوك خارجها يدعوهم للإسلام تنفيذًا لقوله تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلاَّ كافَّة للنَّاسِ بشيرًا ونذيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨] . (محمد المصطفى ﷺ / ١٠٣) .

ولهذا أرسل عليه السلام فى ذى الحجة من السنة السادسة للهجرة ــ وبعد عودته من الحديبية ــ الكتب إلى الملوك والأمراء فبعث دحية بن خليفة الكلبى إلى هرقل إمبراطور الروم، وعبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى فارس وعمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ، وحاطب بن أبى بلتعة اللخمى إلى المقوقس عامل هرقل على مصر ، وبعث سليط ابن عمرو العامرى إلى هوذة بن على الحنفى فى أمير بلاد اليمامة وشجاع بن وهب من بنى أسد بن خزيمة إلى الحارث ابن أبى شمر الغسانى والعلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى صاحب البحرين وعمرو بن العاص إلى جيفر وعياد ابنى الجلندى يقول الطبرى : حدثنا ابن حميد قال حدثنى ابن إسحاق عن يزيد بن أبى صهيب المصرى أنه وجد كتابًا فيه تسمية من بعث رسول الله ﷺ إلى ملوك الخائبين (الكفار) وما قال لأصحابه حين بعثهم فبعث به (أى بالكتاب) إلى ابن شهاب الزهرى مع ثقة من أهل بلده فعرفه (أى هذا الكتاب) (« أثر صلح الحديبية فى نشر الدعوة الإسلامية » / ٦٥٨) .

٢ - تفرغ ﷺ لمن نقض العهد معه ، فقد تم فتح خيبر، وفدك ، ووادى القرى (محمد المصطفى ﷺ / ١٠٣).

لقد أتاحت هدنة الحديبية للمسلمين القضاء على اليهود فى المدينة كما أتاحت لهم السيطرة على قبائل شمالى المدينة حتى حدود العراق والشام وانتشر الإسلام بين القبائل العربية كلها كما كاتب ﷺ الملوك خارج الجزيرة يدعوهم بدعاية الإسلام حيث أصبح المسلمون ــ بحمد الله ــ قوة لا تدانيها أية قوة فى بلاد العرب (« أثر صلح الحديبية فى نشر الدعوة الإسلامية» / ٦٦١) .

وبمفهوم العلوم العسكرية الحديثة يمكن تلخيص الدروس المستفادة والآثار الاستراتيجية لصلح الحديبية كما يلى :

أولا: مبدأ المحافظة على الهدف:

لقد كان هدف الرسول ﷺ زيارة البيت، ولم يكن يريد قتالا، وقد ظهر من سير الحوادث كيف حافظ على هدفه ولم يسمح لأعمال المشركين أن تخرجه عنه:

خرج محرمًا فى شهر حرام والسيوف فى أغمادها.

أشرك معه العرب غير المسلمين ليبين لقريش أنه يريد أداء فريضة فرضها الإسلام كما كانت فرضًا موروثًا معروفًا منذ عهد إبراهيم - عليه السلام - (عهد الحديبية / ٢٩١).

ثانيا: الحديبية فتح مبين:

دخل فى هذه السنة كثير فى الإسلام، كان بعضهم من غير العرب مثل « صهيب الرومى » و (عداس) الكلدانى ».

ولذلك كان أبو بكر يقول: « ما كان فتح أعظم فى الإسلام من فتح الحديبية، ولكن الناس يومئذ قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه، والعباد يعجلون والله لا يعجل كعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد » (محمد المصطفى ﷺ / ١٠٣).

وفى طريق عودة المسلمين إلى المدينة نزل الوحى على الرسول ﷺ بسورة الفتح: « فقرأها رسول الله ﷺ على عمر إلى آخرها، فقال: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: نعم» (رواه الشيخان).

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: « تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية » (رواه البخارى).

وقد حظى أهل الحديبية بأعظم تكريم فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: « قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: أنتم خير أهل الأرض، وكنا ألفا وأربعمائة » (رواه البخارى).

والحق أن الأيام أثبتت أن (عهد الحديبية) حكمة سياسية وعسكرية كان لها أكبر الأثر فى مستقبل الإسلام، وفى مستقبل العرب كله، وهو ما يتضح من دراسة آثارها الاستراتيجية (عهد الحديبية / ٢٩١).

لقد حسب المسلمون الصلح محض تسليم وهم كانوا يتأهبون لاقتحام مكة، وإزالة الهيمنة الوثنية عن الكعبة، ولكن الرسول ﷺ المؤيد بالوحى، رأى بثاقب فكره، أن الصدام مع قريش فى الشهر الحرام، سيجعل القبائل العربية معها فى قضية واحدة، فى وجه المسلمين، وأن الآثار التى ستجنيها الدعوة فى ظل الأمن، تفوق الآثار التى ستجنيها من سفك الدم، وأن من المعارك ما لا يصلح لها إلا السيف، ومنها ما لا يصلح لها إلا التدبير.

وقد أثبتت الأحداث المتلاحقة - بعد اتفاقية الحديبية - صدق رؤية النبى ﷺ وإلهامه، ونزل القرآن الكريم يؤيده تأييدًا ساطعا، وجنى المسلمون ثمرات الصلح عزًا ومنعة وهيبة وانتصارًا، حتى قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: قد علمتُ أنَّ رأى رسول الله ﷺ أبركُ من رأيى وأبرّ.

وأول مغنم ظفرت به الدعوة: كفُّ قريش أذاها عن المستضعفين فى مكة، واختلاطها بالمسلمين، مما هيأ للدعوة أن تجتذب إليها قلوبًا كانت عَصيَّةً على الإسلام.

كما غنم المسلمون اعتراف قريش بهم، كقوة جديدة، لها وزنُها وخطرُها فى موازين السياسة فى الجزيرة كلها، وكانت قبل الصلح تعدّهم عصاة صابئين عن معتقدات الآباء، ودخلت قبيلة خزاعة فى عهد النبى ﷺ فعَزَّ بها جانب المسلمين، وكانت خزاعة تخشى الدخول فى حلف المسلمين، فى جو الحروب والتوتُّرات القائمة بينهم وبين قريش.

وتفرغ النبى ﷺ بعد الصلح للتبشير بالدعوة، وتأمين مسالكها داخل الجزيرة، فأخضع القبائل التى كانت تستهين بأمر المسلمين، وتهدّد أمنهُم كبنى مرة، وغطفان، واتصل بملوك الأرض وأباطرتها - كما سبق القول - يدعوهم إلى الهدى والرشاد، منذرًا إيَّاهم بعذاب الله إن هم أصمّوا عن سماع دعوته.

ثم واجه يهود « خيبر » فحاصرهم حصارًا عسكريًا مريرًا، واقتحم عليهم حصونهم المنيعة، وطهَّر أرض العرب من هذه الألغام المزروعة فى شمالها، وسقطت بسقوط خيبر جيوب خبيثة أخرى فى « فدك » و «تيماء » و«وادى القرى ».

وعاد المهاجرون إلى الحبشة إلى مكة، ليشاركوا إخوتهم فى حياتهم ونشاطهم، بعد أن شعروا بقوتهم وهيبتهم بين القبائل.

واضطرت قريش تحت ضغط الأحداث أن تطلب إلى النبي ﷺ إبطال الشرط الثالث من شروط الصلح، وهو التزام المسلمين بردِّ من يجيئهم مسلمًا من قريش. وتفصيل الأمر أن الذين فرّوا منها ولم يقبلهم الرسول ﷺ - رعاية للعهد - قعدوا على طريق القوافل - كما سبق القول - يقطعونها على تجارة قريش. ولم تستطع قريش شكايتهم إلى الرسول، لأنهم خارجون عن ولايته، فناشدته الله والرحمَ أن يقبل من جاءه منها. وبعد إبطال هذا الشرط، تقاطر على المدينة كل من شرح الله صدره للإسلام.

ووفد العرب على رسول الله ﷺ من أنحاء الجزيرة يعلنون إسلامهم، فقد راعهم سمتُ الإسلام، وبهرتهم أخلاق المسلمين، بل فعل ذلك بعضُ زعماء مكة، كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص.

وفي العام التالي أدى الرسول ﷺ والمسلمون عمرة القضاء، وأخلى المشركون مكة ثلاثة أيام، فجاب المسلمون أرجاءها، يعرضون قوة التوحيد، ويؤدّون شعائر الله، ويردِّدون على مسمع الطغاة هتاف العزة الإسلامية: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، صدق وَعْدَه، ونصر عبدَه - وهزم الأحزاب وحده.

ولم يمض عامان على صلح الحديبية، حتى كان المسلمون يدخلون مكة فاتحين، في عشرة آلاف من المجاهدين، فقد نقضتْ قريش عهد الحديبية، حين اعتدت على حلفاء المسلمين من خزاعة (معارك الإسلام الكبرى / ٩٧ - ١٠٠).

(العلميات التعرضية والدفاعية عند المسلمين - الرائد نهاد عباس شهاب الجبوري / ٤٩ - ٥٤، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ٢/ ٢٢٩، ٢٣٠، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول لابن الديبع الشيباني ٣/ ١٨٨ - ١٩٤، والمنتخب من السُّنَّة. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٦م، ١/ ٢٥١ - ٢٦٣، وأثر صلح الحديبية في نشر الدعوة الإسلامية » - أ. د. محمد. عبد العليم العدوى. مجلة الأزهر. الجزء الخامس، السنة السادسة والستون، جمادى الأولى ١٤١٤هـ - نوفمبر ١٩٩٣م/ ٦٥٨، ٦٦١، ومحمد المصطفى ﷺ - الأستاذ عبد المنعم محمد عمر - راجعها أ. د. على أحمد الخطيب. هدية مجلة الأزهر. رجب ١٤١١/ ١٠٣، و « عهد الحديبية وآثاره الاستراتيجية » - اللواء أ. ح محمد جمال الدين محفوظ. مجلة الأزهر. الجزء الثالث، السنة الحادية والستون، ربيع الأول ١٤٠٦هـ - أكتوبر - نوفمبر ١٩٨٨م/ ٢٩١، ومعارك الإسلام الكبرى - محمد فتحى بكوش. منشورات الجهاد. سلسلة كتاب الجهاد (٤). الطبعة الأولى جمادى الآخرة ١٣٩٤ من وفاة الرسول - مارس ١٩٨٥/ ٩٧ - ١٠٠. انظر أيضًا السيرة النبوية لابن هشام - قدم لها وعلق عليها وضبطها الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ٣/ ١٩٦ - ٢١٠، والدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر - تحقيق د. شوقي ضيف / ١٩١ - ١٩٦).

*** الحديث:**

الحديث إما نبوى وإما إلهى، ويسمى حديثا قدسيا أيضًا.

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٢٨٠).

انظر: الحديث (علم -)، الحديث القدسى.

*** حديث الإفك:**

انظر: النور (سورة -).

*** الحديث (علم -):**

والحديث في اللغة: الجديد والخبر. وفي الاصطلاح: ما أضيف إلى النبي ﷺ قولاً، أو فعلاً، أو تقريرًا، أو صفة خَلقية أو خُلقية. (الناقد الحديث / ٥).

الحديث: ابن حجر: ما يضاف إلى النبي ﷺ.

- الجرجاني والطيبي: الحديث أعم من أن يكون قول النبي ﷺ والصحابي والتابعي وفعلهم وتقريرهم.

- الكافيجي: الحديث في الاصطلاح: هو خبر نُسب إلى الرسول ﷺ قولاً أو فعلاً أو سكوتًا منه عند أمر يعاينه.

- الأحمد نكرى: الحديث في اصطلاح المحدثين: قول النبي ﷺ وفعله وتقريره وصفته حتى الحركات والسكنات في اليقظة والمنام ويرادفه (السنة) عند الأكثر... و(الخبر) بمعنى الحديث، وقيل أعم. (معجم المصطلحات / ٣٠).

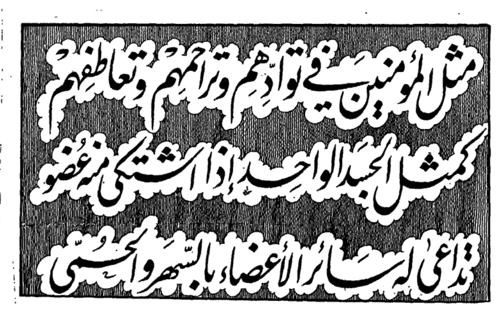
والحديث هو قول رسول الله أو حكاية فعله أو حديث

الصحابة عنه . فهو فى المنزلة الثانية من كتاب الله فيما يتعلق بالدين والثقافة، وأغزر ينابيع التشريع فى العبادات والحقوق، وأقوم طريق يؤدى إلى فهم القرآن : يوضح إشكاله، ويفصّل إجماله، ويقيد إطلاقه، ويخصص عمومه، والأحاديث التى صحت عن رسول الله ﷺ قليلة، ولكنها موسومة بطابع البيان والإلهام والعبقرية، لنشأته في قريش ، واسترضاعه فى بنى سعد وهى أفصح القبائل العربية، وتضلعه من لغة القرآن واطلاعه على لغة العرب، وقدرته الفطرية على ابتكار الأساليب العالية ، ووضع الألفاظ الجديدة لما استحدث من المعاني الدينية والفقهية، ولكن قيمتها اللغوية ودلالتها التاريخية لا تسمو إلى مكان القرآن في ذلك ، لأن القرآن كان يدوّنه عند نزوله كتبةُ الوحي، وكونه كلامَ الله جعل الاحتفاظ بنصه فرضًا على المسلمين ، ﴿ فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه ﴾ [البقرة : ١٨١]. أما الحديث فلم يدون إلا حوالى منتصف القرن الثاني للهجرة، وكان قبل ذلك إنما يُروى من الذاكرة . (تاريخ الأدب العربى / ٩٥).

منزلة علم الحديث وفضله : وفي مقدمته النفيسة لصحيح مسلم يقول الإمام النووى عن منزلة علم الحديث :

أما بعد :

فإن الاشتغال بالعلم من أفضل القُرَب وأجل الطاعات، وأهم أنواع الخير وآكد العبادات، وأولى ما أنفقت فيه نفائس الأوقات، وشمر في إدراكه والتمكن فيه أصحاب الأنفس الزكيات، وبادر إلى الاهتمام به المسارعون إلى الخيرات، وسابق إلى التحلى به مستبقو المكرمات، وقد تظاهر على ما ذكرته حمل من الآيات الكريمات، والأحاديث الصحيحة المشهورات، وأقاويل السلف رضى الله عنهم النيرات، ولا ضرورة إلى ذكرها هنا لكونها من الواضحات الجليات، ومن أهم أنواع العلوم تحقيق معرفة الأحاديث النبويات، أعنى معرفة متونها صحيحًا وحسنها وضعيفها متصلها ومرسلها ومنقطعها وعضلها ومقلوبها ومشهورها وغريبها وعزيزها متواترها وآحادها وأفرادها معروفها وشاذها ومنكرها ومعللها وموضوعها ومدرجها وناسخها ومنسوخها وخاصّها وعامها ومجملها ومبينها ومختلفها وغير ذلك من أنواع المعروفات. ومعرفة علم الأسانيد أعنى معرفة حال رجالها وصفاتهم المعتبرة وضبط أسمائهم وأنسابهم ومواليدهم ووفياتهم وغير ذلك من الصفات، ومعرفة التدليس والمدلسين وطرق الاعتبار والمتابعات. ومعرفة حكم اختلاف الرواة فى الأسانيد والمتون والوصل والإرسال





والوقف والرفع والقطع والانقطاع وزيادات الثقات . ومعرفة الصحابة والتابعين وأتباعهم وأتباع أتباعهم ومن بعدهم رضى الله عنهم وعن سائر المؤمنين والمؤمنات، وغير ما ذكرته من علومها المشهورات، ودليل ما ذكرته أن شرعنا مبنى على الكتاب العزيز والسنن المرويات. وعلى السنن مدار أكثر الأحكام الفقهيات. فإن أكثر الآيات الفروعيات مجملات. وبيانها فى السنن المحكمات، وقد اتفق العلماء على أن من شرط المجتهد من القاضى والمفتى أن يكون عالمًا بالأحاديث الحكميات، فثبت بما ذكرناه أن الاشتغال بالحديث من أجلّ العلوم الراجحات، وأفضل أنواع الخير وآكد القربات، وكيف لا يكون كذلك وهو مشتمل مع ما ذكرناه على بيان حال أفضل المخلوقات، عليه من الله الكريم أفضل الصلوات والسلام والبركات ولقد كان أكثر اشتغال العلماء بالحديث فى الأعصار الخاليات، حتى لقد كان يجتمع فى مجلس الحديث من الطالبين ألوف متكاثرات، فتناقص ذلك وضعفت الهمم فلم يبق إلا آثار من آثارهم قليلات. والله المستعان على هذه المصيبة وغيرها من البليات. وقد جاء فى فضل إحياء السنن المماتات (التى أهملها الناس لا يعملون بها) أحاديث كثيرة معروفات مشهورات، فينبغى الاعتناء بعلم الحديث والتحريض عليه لما ذكرنا من الدلالات، ولكونه أيضًا من النصيحة لله تعالى وكتابه ورسوله ﷺ وللأئمة والمسلمين والمسلمات، وذلك هو الدين كما صح عن سيد البريات، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وذريته وأزواجه الطاهرات، ولقد أحسن القائل: « من جمع أدوات الحديث استنار قلبه واستخرج كنوزه الخفيات » وذلك لكثرة فوائده البارزات والكامنات، وهو جدير بذلك فإنه كلام أصح الخلق ومن أُعطى جوامع الكلمات وصلى الله عليه وسلم صلوات متضاعفات. (صحيح مسلم ١/ ٢، ٣).

وفى خطبة نفيسة أخرى لكتاب آخر هو الرسالة المستطرفة يقول الإمام الكتانى :

الحمد لله الذى نزل أحسن الحديث كتابا، والصلاة والسلام على من جاء ببيان ما نزل إليه سكوتا وفعلا وخطابا، وعلى آله ناقلى أخباره، ومدونى أحاديثه وآثاره، أما بعد فإن العلم الذى لابد منه لكل قاصد، ولا يستغنى عن طلبه عالم ولا عابد، علم الحديث والسُّنَّة، وما شرعه الرسول ﷺ لأمته وسَنَّه :

ديـن النبى وشــــرعـــــه أخبـــــاره
وأجـلّ علـم يقتفـى آثــــــــــاره
من كـــان مشتغـــلاً بهـــا وبنشـرهـــا
بيـن البـــــريـــــة لا عفت آثـــــاره

وهـو من العلـوم الأخرويـة، والنجـاة لمن تمسك من كل بليـة، والعصمـة لمن التجأ إليـه، والهدى لمن استهـدى بـه وعول عليه، وأهله حفاظ الشريعة من الأعداء، وحراسها ممن يريد التمـرد والشقاء، ولولاهم لاضمحل الدين، وكـان عرضة لتلاعب المتمردين، وهم عدول هـذه الأمة، والكاشفون عنها كل غمـة، وخلفاء النبى ﷺ وأهلـه الخاصـون به من الأنـام، وكفاهم شرفا، أنهم أكثـر الناس صلاة على حبيبه المصطفى ﷺ وقد اشتهـروا بطول الأعمار، والتجـربة مصدقـة لذلك فى سـائر الأعصار، دعـا لهم النبى بـالـرحمة والنضـارة وبشـرهم بالجنـة التى هى أجلّ بشارة، وقيل فيهم إنهم من أكثـر الناس خيرًا ومـالاً، وأوفرهم رزقًا حـلالا. وقد قيل وهـو لأبى إسحاق إبراهيم بن عبد القادر الرياحى التونسى :

أهل الحـــديث طـــويلـــة أعمـــارهم
ووجـــوههم بـــدُعَـــا النبى منضـــره
وسمعـت من بعـض المشـــايخ أنهـم
أرزاقهـم أيضًـــا بـــــه متكثـــــره

وأنهم ممن يستدفـع بهم البلاء، وأقرب النـاس منزلـة يوم القيامة من خير الأنبياء وسيد الشفعاء، وأنهم هم العلماء على الحقيقة والتمام، ولا يـدعى باسم العالم غيرهم يـوم القيامة، وقيل من عـلامات محبتـه عليه السـلام، العكوف على ذكـره وسماع حديثه فى الارتحال والمقام، ومما أنشده بعضهـم :

لم أسـم فى طلب الحـــديث لسمعـــة
أو لاجتمـــاع قـــديمــــه وحــــديثــــه
لكـن إذا فــــات المحب لقــــــاء مــن
يهـــوى تعلل بـــاستمــــاع حـــديثـــه

وقـد وُضعـت فيـه وفيمـا يتعلـق بـه الـدواويـن الكثيـرة، والمـؤلفـات الصغيرة والكبيـرة، وهى من كثـرتهـا لا تعـد ولا تحصر، ولا يمكن أن يحصيها محص ولو أكثر.

واعلم أن علم الحديث لـدى من يقول إنـه أعم من السنة هـو العلم المشتمل على نقل مـا أضيف إلى النبى ﷺ أو إلى أصحـابـه أو إلى من دونـه من الأقـوال والأفعال، والتقـاريـر والأحـوال، والسيـر والأيام، حتى الحـركـات والسكنـات فى اليقظة والمنام. وأسـانيد ذلك وروايته وضبطه وتحرير ألفاظه وشرح معانيه .

وفى خاتمة كتـابه يقول صاحب الرسالـة المستطرفة الإمام الكتانى :

من أهم أنواع العلوم تحقيق معرفـة الأحاديث النبوية أعنى معرفة متونها وأسانيدها وما يتعلق بهما، ودليل ذلك أن شرعنا مبنى على الكتاب العزيز والسنـن المروية، وعلى السنن مدار أكثر الأحكام الفقهية لأن أكثر الآيات الفـروعية مجملة وبيانها فى السنن، قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكـر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم ﴾[النحل : ٤٤] وقد اتفق العلماء على أن من شرط المجتهـد من القاضى والمفتى أن يكون عـالمًـا بالأحـاديث المتعلقة بالأحكـام، فثبت أن الاشتغال بالحديث متـأكد وأنه من أفضل أنـواع الخيـرات وآكـد القـربات وقـد قـال سفيـان الثورى : مـا أعلم عملا أفضل من طلب الحديثـان أراد به الله عز وجل، ونحوه عن ابن المبارك، وكيف لا يكون كذلك وهو مشتمل على بيان حـال أفضل الخلق سيدنا محمـد ﷺ ولقد كانـت شأنه فيمـا مضى عظيمًا وأمـره مفخمًا جسيمًـا عظيمة جموع طلبته رفيعة مقادير حفاظه وحملته، وكان أكثر اشتغال العلمـاء فى الأعصار المـاضيـة به حتى لقد كـان يجتمع فى المجلس الـواحـد من مجـالس الحـديث الآلاف الكثيـرة من الطـالبين له، فتنـاقص ذلك فى هذه الأزمـان وضعفت الهمم فلم يبق إلا آثار قليلـة من آثارهم بل ذهب فى هذا الـوقت أثره واضمحل ذكـره وخبـره فـالله المستعـان على هـذه المصيبـة وغيرهـا، من المصائب، وبالجملـة فيتأكد أو يتعين على من فيه أهلية الاعتناء به والتحريض عليه لما ذكرناه ولأن ذلك أيضًا من النصيحة لله ولرسولـه ولأئمة المسلمين وعامتهم وذلك هو الـدين كمـا صح عن رسول الله ﷺ، وقـد قـال بعضهـم : من

جمع أدوات الحديث استنار قلبه واستخرج كنوزه الخفية وذلك لكثرة فوائده الظاهرة والكامنة وهو جدير بذلك فإنه كلام أفصح الخلق ومن أعطى جوامع الكلم ولا ينطق عن الهوى ﷺ وحقيق لمن اشتغل به وانحاش إليه وقصر أغراضه من العلوم كلها عليه وتخلق بأخلاقه وتأدب بآدابه أن يعد من أفراد هذه الأمة المحمدية وخواص أهل الله تعالى وأهل رسوله ﷺ وقد أخرج الشيخ نصر المقدسى فى كتاب الحجة على تارك المحجة بسنده إلى الإمام أحمد أنه قيل له هل لله فى الأرض أبدال قال نعم : قيل : من هم؟ قال إن لم يكن أصحاب الحديث هم الأبدال فما أعرف لله أبدالاً، نقله السيوطى فى تأليفه المسمى بالخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال، وسئل أيضًا عن الطائفة التى ورد فى الحديث إنها لا تزال منصورة لا يضرها من خذلها حتى تقوم الساعة فقال : إن لم تكن أهل الحديث فلا أدرى من هى ،

وكان الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول إذا رأيت أصحاب الحديث فكأنى رأيت رسول الله ﷺ ، ثم الغالب أن تحقيق هذا العلم إنما يحصل لمن أعطاه كله واستغرق فيه أوقاته دون من يكثر منه الالتفات إلى غيره من العلوم فإنه لا يحققه كل التحقيق، قال الخطيب البغدادى : علم الحديث لا يعلق علوقًا تامًا إلا بمن قصر نفسه عليه ولم يضم غيره من الفنون إليه، وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه أتريد أن تجمع بين الفقه والحديث هيهات، وكان شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن مت الأنصارى الأصبهانى الهروى يقول : هذا الشأن يعنى الحديث شأن من ليس شأنه سوى هذا الشأن، ولذا قدم فيه كلام الحافظ السخاوى على كلام السيوطى عند التعارض لأن صاحب فن يغلب صاحب فنون، لكن قد يجمع الله بينهما جمعا كاملا لمن شاء من خلقه كما وقع لإمامنا مالك رضى الله تعالى عنه ولغيره من بعض الأئمة ،

وقد قالوا إن هذه العلوم الثلاثة وهى الحديث والفقه والتصوف قلَّ أن تجتمع فى شخص على وجه الكمال وإذا اجتمعت فيه فهو فرد وقته وإمام عصره بل ينبغى أن تُشَد الرحال إليه فإنه لا مثل له ، وفضل الحديث وأهله كثير جدًا وقد أفرد بالتآليف الكثيرة، نسأله سبحانه . وتعالى أن يصرف إليه بقيتنا، ويوجه إلى العناية به وجهتنا وكليتنا، ويحفظنا من الشيطان



الـرجيم، ويجعلنـا من المتطفلين على أبـواب هـذا النبى الكريم، وخدام حضـرته العلية، المتأدبين بآداب سنتـه الزكية ﷺ وشـرف وكـرم، آمين، وآخـر دعـوانـا أن الحمـد لله رب العالمين. اهـ (الرسالة المستطرفة / ٢، ٣، ١٦٣ـ١٦٦).

أقسام الحديث:

أقسام الحديث ثمانية:

الأول ــ العقـائد: وتسمى علم التـوحيـد، وفيهـا كتـاب التوحيد لابن خزيمة.

الثـانـي: الأحكـام: وتسمى السنن، وفيهـا كتب السنن الستة.

الثالث ـ الرقاق: وتسمى علم السلوك والزهد، وفيها كتاب الزهد للإمام أحمد.

الرابع: آداب الأكل والشرب: وتسمى علم الأدب، وفيها الأدب المفرد للبخارى.

الخامس: أحاديث التفسير: وتسمى بعلم التفسير، وفيها كتاب ابن مردويه، وابن جرير، والدر المنثور للسيوطى.

ويلحق بهذا القسـم أحاديث التاريخ، وتسمـى بعلم بدء الخلق وفيها كتـاب العظمة لأبى الشيخ، ويلحق بـه أحاديث السيـر، وفيها سيـرة ابن إسحاق، ومغـازى موسى بن عقبـة، والواقدى.

السـادس: أحــاديث السفـر والقيــام والقعـود: وتسمى الشمائل وفيها كتاب الشمائل للترمذى.

السـابع: أحـاديث الفتن: وفيهــا كتـاب الفتن لنعيم بن حماد.

الثامن: أحاديث المناقب والمثالب: وفيها لمحب الدين الطبـرى كتـاب مناقـب قريش، ومنـاقب الأنصـار، ومنـاقب المبشرين بالجنة.

(الناقد الحديث/ ١١٩، ١٢٠).

أنواع الحديث: وهو تقسيم آخر:

قال ابن الصلاح:

أنواع الحـديث هى: صحيح، حسن، ضعيف، مسند، متصل، مرفوع، موقوف، مقطوع، مرسل، منقطع، معضل، مدلس، شـاذ، منكر، مـا له شاهـد، زيادة الثقـة، الأفراد، المعلل، المضطرب، المدرج، الموضوع، المقلوب، معرفة من تُقبل روايتـه، معرفـة كيفيـة سماع الحـديث وإسماعـه، وأنواع التحمل من إجازة وغيرها، معرفة كتابة الحديث وضبطه وكيفيـة رواية الحـديث وشرط أدائه، آداب المحدِّث، آداب الطالب، معرفة العالى والنـازل، المشهور، الغريب، العزيز، غـريب الحـديث ولغتـه، المسلسـل، نـاسخ الحـديث ومنسـوخـه، المصحف إسنـادًا ومتنًـا، مختلف الحـديث، المـزيـد فى الأسـانيـد، المـرسل، معـرفـة الصحابـة، معرفةالتابعين، معرفة أكابر الرواة عن الأصاغر، المُدبج ورواية الأقران، معـرفة الإخـوة والأخوات، وروايـة الآباء عـن الأبناء، عكسه، من روى عنه اثنان متقـدم ومتأخر، من لم يرو عنه إلا واحد، من له أسماء ونعوت متعددة، المفردات من الأسماء، معرفـة الأسماء والكنى، من عـرف باسمـه دون كنيته، معـرفة الألقاب، المـؤتلف والمختلف، المتفق والمفترق، نـوع من مركب من اللَّذَيْن قبله. نـوع آخر من ذلك، من نُسب إلى غير أبيــه، الأنســاب التـى يختلف ظــاهـرهــا وبــاطنهــا، معرفةالمبهمات، تواريخ الوفيات، معرفة الثقات والضعفاء، من خلط آخـر عمره، الطبقـات، معرفـة الموالى من العلمـاء والرواة، معرفة بلدانهم وأوطانهم.

وهذا تنـويع الشيخ أبى عمرو وترتيبه رحمـه، قال: وليس بآخر الممكن فى ذلك، فإنه قابل للتنويع إلى ما لا يحصى، إذ لا تنحصر [تحصى] أحوال الرواة وصفاتهم، وأحوال متون الحديث وصفاتها.

قال ابن كثيـر تعليقا على تقسيم ابن الصلاح كمـا أوردناه أعلاه: وفى هذا كلـه نظر، بل فى بسطه هذه الأنـواع إلى هذا العدد نظر. إذ يمكن إدماج بعضها فى بعض، وكان أليق مما ذكره.

ثم إنه فـرق بين متماثلات منها بعضهـا عن بعض، وكان اللائق ذكر كل نوع إلى جانب ما يناسبه (الباعث الحثيث / ٢٠، ٢١).

وقد صاغها نظما الحافظ زين الدين العراقى فى ألفيته فى

مصطلح الحديث فقال عن أقسام الحديث :

وأهل هـذا الشأن قسَّموا السُّنَنْ
إلى صحيح وضعيف وحسنْ
فالأول المتَّصل الإسناد
بنقل عدل ضابط الفؤادِ
عن مثله من غير ما شذوذِ
وعلَّة قادحة فتوذى
وبالصحيح والضعيف قصدُوا
فى ظاهرٍ لا القطعَ والمعتمدُ
إمساكنا عن حُكْمنا على سَنَد
بأنه أصحُّ مُطلقًا وقد
خُصَّ به قومٌ، فقيل مالكٌ
عن نافع بما رواه النّاسكُ
مولاه واختر حيث عنه يُسْنِدُ
الشافعى، قلتُ : وعنه أحمدُ
وجزم ابن حنبل بالزُّهرى
عن سالم أى عن أبيه البرّ
وقيل : زين العابدين عن أبهْ
عن جدِّه، وابن شهاب عنه بهْ
أو فابْنُ سيرينَ عن السَّلْمانى
عنه أو الأعمش عن ذى الشان
النَّخعى عن ابن قيْس علقمهْ
عن ابن مسعود، ولُمْ مَنْ عَمَّمَهْ

(نفائس ألفية مصطلح الحديث / ١٦٩، ١٧٠).

وقد صاغها نظمًا أيضًا الحافظ السيوطى فى ألفيته الموسومة بألفية السيوطى فى علم الحديث، وقد وضع زيادته على الزين العراقى بين أقواس . قال :

(علمُ الحديث : ذو قوانين تُحَدْ
يُدرى بها أحوالُ مَتْنٍ وسَنَدْ
فذانك الموضوع، والمقصودُ
أن يُعرف المقبولُ والمردودُ
والسَّنَد الإخبار عن طريق
مَتْنٍ كالإسناد لدى فريقِ
والمَتْن ما انتهى إليه السَّنَدُ
من الكلامِ، والحديث قيَّدوا
بما أُضيف للنبى قولاً أو
فِعْلاً وتقريرًا ونحوها حكَوْا
وقيل : لا يختص بالمرفوع
بل جاء للموقوف والمقطوع
فهو على هذا مرادفُ الخبرَ)
وشهَّر شُمول هذين الأثر
(والأكثرون) قسَّموا هذى السُّنن
إلى صحيحٍ وضعيفٍ وحَسَنْ

(ألفية السيوطى / ٢، ٣).

ومن المنظومات التعليمية ما يقتصر على أنواع الحديث التى سقناها آنفا، ولدينا منها ثلاث نماذج :

النموذج الأول : منظومة البيقونية وهى منظومة جادة وأفضل ما نظم فى هذا الباب، تقع فى أربعة وثلاثين بيتا وقد أوردناها بتمامها فى م٨/ ٢٣١، ٢٣٢ فانظرها فى موضعها .

النموذج الثانى : قصيدة غزلية فى ألقاب الحديث لشهاب الدين أحمد بن فرح الإشبيلى وتقع فى عشرين بيتا وهى من الاقتباس المباح المبذول . (انظر مادة « الاقتباس» فى م٥/ ٤٧٥).

قال فى مطلعها :

غرامى (صحيح) والرّجا فيك (مُعْضَلُ)
وحزنى ودمعى (مُرْسَلٌ ومُسلسلُ).
وصبرى عنكم يشهد العقل أنه
(ضعيف ومتروك) وذُلى أجْمَلُ
ولا (حسنٌ) إلاَّ سماع حديثكم
مشافهة يُمْلى علىَّ فأنقلُ

وأمــرى (مــوقــوفٌ) عليك وليس لى
علـى أحـــدٍ إلا عليْك المعــــوَّلُ
(مجموع مهمات المتون / ١١٨) .

النموذج الثالث : منظومة الصبّان لأبى العرفان محمد بن على الصبّان وتقع فى ستة عشر بيتا ، وهى أيضًا من الاقتباس المباح المبذول (انظر مادة « القباس فى م٥/ ٤٧٥) قال فى مطلعها :

صِلــوا صحيح غــرام صبرُه ضَعُفــا
وبــدّلــوا قطع من فى حسنكـم شُغِفــا
وأرثـــوا لحـــال عليـلٍ فى محبتكـم
وانحــوا غـــريبًــا على أبــوابكـم وقفــا
(مجموع مهمات المتون / ١٢٢ ، ١٢٣) .

ويـراد بكلمـــة علم فى « علم الحـديث» : مســائل هــذا العلم ، وهى القواعد الكلية التى يعرف بها أحوال الجزئيات .

وينقسم علم الحديث قسمين :

أ ـ علم الحديث رواية .

ب ـ علم الحديث دراية (الناقد الحديث / ٥) .

أ ـ علم الحديث رواية :

قال عـز الدين بن جمـاعة : « علم الحديـث علم بقوانين يعرف بها أحوال السند (هو قولهم فى رواية الحديث « حدثنا» والمتن (هو لفظ الحـديث المروى) ومـوضوعه (هـو المدار الذى يدور عليـه) السند والمتن ، وغايته معرفة الصحيح من غيره » .

وقال ابن الأنطـاكى : علم الحديث الخاص بالـرواية علم يشتمل على نقل أقـوال النبى ﷺ وأفعـالـه وروايتهـا وضبطهـا وتحرير ألفاظها . ونفرد له إن شاء الله تعالى مادة بعنوان « رواية الحديث (علم ـ) .

ب ـ علم الحديث دراية :

وعلم الحديث الخاص بـالدرايـة علم يعرف منـه حقيقة الرواية شـروطها وأنواعها وأحكامها ، وحـال الرواة وشروطهم ، وأصناف المرويات وما يتعلق بها » .

قال السيوطى : فحقيقـة الرواية نقل السُّنَّة ونحـوها وإسناد ذلك إلى من عُزى إليه بتحديث وإخبار وغير ذلك (بتحديث وإخبـار : أى قـالوا فى الـروايـة « حـدثنا » أو « أخبـرنـا » ، أو «أنبأنـا») وشروطهـا : تحمل راويها لمـا يرويـه بنوع من أنـواع التحمل (انظر مادة « تحمل الحـديث » فى م ٩/ ٦٣ ـ ٦٦) من سماع ، أو عرض ، أو إجازه ونحـوها ، وأنواعها : الاتصال والانقطاع ونحوهما ، وأحكامهـا : القبول والردّ . وحال الرواة : العدالـة (أى يكون راوى الحـديث مصدَّقًـا فى روايتـه فتكون روايته مقبولـة) و الجَرْح (هو رد الرواية وعدم قبـولها) (انظر مــادة «الجـرح والتعـــديل » فى م ١٢/ ١٠٩ ـــ ١١٦) ... وأصنـاف المـرويّـات المصنفـات من المسـانيـد والمعـاجم والأجزاء وغيرهـا أحاديث وآثارًا وغيرهما . ومـا يتعلق بها : هو معـرفة اصطـلاح أهلهـا » (قـواعد التحـديث / ٧٧ ، ٧٨) . ونفرد لـه إن شـــاء الله تعالـى مـادة بعنوان « درايـة الحديث (علم ـ) » .

جمع الحديث وتدوينه :

وأما مبدأ جمع الحـديث وتأليفه وانتشاره فإنـه لما كان من أصول الفـروض وجب الاعتناء بـه والاهتمام بضبطـه وحفظه ، ولذلك يسر الله سبحانه وتعـالى للعلماء الثقات الذين حفظوا قـوانينه وأحـاطوا فيـه فتناقلـوه كابـرًا عن كابـر وأوصله ، كمـا سمعـه ، أول إلى آخر ، وحببـه الله تعالى إليهم لحكمـة حفظ دينه وحراسة شريعته ، فما زال هذا العلم من عهد الرسول ﷺ أشرف العلوم وأجلها لدى الصحـابة والتابعين وتابعى التابعين خلفًا بعد سلف ، لا يشـرف بينهم أحـد بعد حفظ كتـاب الله سبحانه وتعالى إلا بقـدر ما يحفظ منه ، ولا يعظم فى النفوس إلا بحسب ما يسمع من الحديث عنه ، فتـوفرت الرغبات فيه ، فما زال لهم من لدن رسول الله ﷺ إلى أن انعطفت الهمم على تعلمه حتى لقـد كان أحـدهم يرحل المراحـل ويقطع الفيافى والمفاوز ويجـوب البلاد شرقًـا وغربًا فى طلب حـديث واحد ليسمعه من راويـه ، فمنهم من يكون البـاعث له على الـرحلة طلب ذلك الحـديث لـذاتـه ، ومنهم من يقـرن بتلك الـرغبـة سماعـه من ذلك الراوى بعينه إمـا لثقته فى نفسه ، وإمـا لعلو إسناده ، فـانبعثت العزائم إلى تحصيله ، وكـان اعتمادهم أولاً

على الحفظ والضبط فى القلوب غير ملتفتين إلى ما يكتبونه محافظة على هذا العلم كحفظهم كتاب الله سبحانه وتعالى، فلما انتشر الإسلام، واتسعت البلاد، وتفرقت الصحابة فى الأقطار، ومات معظمهم، وقَلَّ الضبط احتاج العلماء إلى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة.

ولعمرى إنها الأصل فإن الخاطر يغفل، والقلم يحفظ فانتهى الأمر إلى زمن جماعة من الأئمة مثل عبد الملك بن جُرَيْج ومالك بن أنس وغيرهما فدونوا الحديث حتى قيل: إن أول كتاب صنف فى الإسلام كتاب ابن جريج. وقيل: موطأ مالك بن أنس وقيل: إن أول من صنَّف وبوَّب الربيع بن صبيح بالبصرة، . ثم انتشر جمع الحديث وتدوينه وتسطيره فى الأجزاء والكتب، وكثر ذلك وعظم نفعه إلى زمن الإمامين أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى وأبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى فدونا كتابيهما، وأثبتا فيهما من الأحاديث ما قطعا بصحته، وثبت عندهما نقله، وسُميا الصحيحين من الحديث. ولقد صدقا فيما قالا والله مجازيهما عليه، ولذلك رزقهما الله تعالى حسن القبول شرقًا وغربًا، ثم ازداد انتشار هذا النوع من التصنيف وكثر فى الأيدى، وتفرقت أغراض الناس وتنوعت مقاصدهم إلى أن انقرض ذلك العصر الذى قد اجتمعوا واتفقوا فيه مثل أبى عيسى محمد بن عيسى الترمذى ومثل أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى وأبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى وغيرهم، فكان ذلك العصر خلاصة العصور فى تحصيل هذا العلم وإليه المنتهى، ثم نقص ذلك الطلب وقل الحرص وفترت الهمم، فكذلك كل نوع من أنواع العلوم والصنائع والدول وغيرها فإنه يبتدىء قليلاً ولا يزال ينمو ويزيد إلى أن يصل إلى غاية هى منتهاه ثم يعود، وكان غاية هذا العلم انتهت إلى البخارى ومسلم ومن كان فى عصرهما، ثم نزل وتقاصر إلى ما شاء الله.

ثم إن هذا العلم على شرفه وعلو منزلته كان علمًا عزيزًا مشكل اللفظ والمعنى ولذلك كان الناس فى تصانيفهم مختلفى الأغراض: فمنهم من قصر همته على تدوين الحديث مطلقًا ليحفظ لفظه ويستنبط منه الحكم كما فعله عبد الله بن موسى الضبى وأبو داود الطيالسى وغيرهما أولاً، وثانيًا أحمد بن حنبل ومن بعده فإنهم أثبتوا الأحاديث من مسانيد رواتها فيذكرون مسند أبى بكر الصديق رضى الله عنه ويثبتون فيه كل ما رووه عنه، ثم يذكرون بعده الصحابة واحدًا بعد واحد على هذا النسق، ومنهم من يثبت الأحاديث فى الأماكن التى هى دليل عليها فيضعون لكل حديث بابًا يختص به، فإن كان فى معنى الصلاة ذكروه فى باب الصلاة، وإن كان فى معنى الزكاة ذكروه فيها كما فعل مالك فى الموطأ إلا أنه لقلة ما فيه من الأحاديث قلت أبوابه، ثم اقتدى به من بعده فلما انتهى الأمر إلى زمن البخارى ومسلم وكثرت الأحاديث المودعة فى كتابيهما كثرت أبوابهما واقتدى بهما من جاء بعدهما، وهذا النوع أسهل مطلبًا من الأول لأن الإنسان قد يعرف المعنى وإن لم يعرف راويه، بل ربما لا يحتاج إلى معرفة راويه فإذا أراد حديثًا يتعلق بالصلاة طلبه من كتاب الصلاة لأن الحديث إذا أورد فى كتاب الصلاة علم الناظر أن ذلك الحديث هو دليل ذلك الحكم فلا يحتاج أن يفكر فيه، بخلاف الأول. ومنهم من استخرج أحاديث تتضمن ألفاظًا لغوية، ومعانى مشكلة فوضع لها كتابًا قصره على ذكر متن الحديث وشرح غريبه وإعرابه ومعناه، ولم يتعرض لذكر الأحكام كما فعل أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو محمد عبد الله ابن مسلم بن قتيبة وغيرهما. ومنهم من أضاف إلى هذا الاختيار ذكر الأحكام وآراء الفقهاء مثل أبى سليمان أحمد بن محمد الخطَّابى فى معالم السنن وأعلام السنن وغيره من العلماء. ومنهم من قصد ذكر الغريب دون متن الحديث واستخراج الكلمات الغريبة ودونها ورتبها وشرحها كما فعل أبو عُبيد أحمد بن محمد الهروى وغيره من العلماء. ومنهم من قصد إلى استخراج أحاديث تتضمن ترغيبًا وترهيبًا. وأحاديث تتضمن أحكامًا شرعية غير جامعة فدونها وأخرج متونها وحدها كما فعله أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى فى (المصابيح) وغيره.

ولما كان أولئك الأعلام هم السابقون فيه لم يأت صنيعهم على أكمل الأوضاع. فإن غرضهم كان أولاً حفظ الحديث مطلقًا وإثباته ودفع الكذب عنه والنظر فى طرقه وحفظ رجاله

وتزكيتهم واعتبار أحوالهم والتفتيش عن أمورهم حتى قدحوا وجرَّحوا وعدلوا وأخذوا وتركوا. هذا بعد الاحتياط والضبط والتدبر فكان هذا مقصدهم الأكبر وغرضهم الأوفى، ولم يتسع الزمان لهم والعمر لأكثر من هذا الغرض الأعم والمهم الأعظم، ولا رأوا فى أيامهم أن يشتغلوا بغيره من لوازم هذا الفن التى هى كالتوابع، بل ولا يجوز لهم ذلك، فإن الواجب أولاً إثبات الذات ثم ترتيب الصفات، والأصل إنما هو عين الحديث ثم ترتيبه وتحسين وضعه ففعلوا ما هو الغرض المتعين، واخترمتهم المنايا قبل الفراغ والتخلى لما فعله التابعون لهم والمقتدون بهم، فتعبوا لراحة من بعدهم ثم جاء الخلف الصالح فأحبوا أن يظهروا تلك الفضيلة، ويشيعوا هذه العلوم التى أفنوا أعمارهم فى جمعها إما بإبداع ترتيب أو بزيادة تهذيب أو اختصار أو تقريب أو استنباط حكم وشرح غريب، فمن هؤلاء المتأخرين من جمع بين كتب الأولين بنوع من التصرف والاختصار كمن جمع بين كتابى البخارى ومسلم مثل أبى بكر أحمد بن محمد الرمانى وأبى مسعود إبراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقى. وأبى عبد الله محمد الحميدى فإنهم رتبوا على المسانيد دون الأبواب. وتلاهم أبو الحسن رزين بن معاوية العبدرى فجمع بين كتب البخارى وملسم والموطأ لمالك وجامع الترمذى وسنن أبى داود والنسائى. ورتب على الأبواب، إلا أن هؤلاء أودعوا متون الحديث عرية من الشرح، وكان كتاب رزين أكبرها وأعمها حيث حوى هذه الكتب الستة التى هى أم كتب الحديث وأشهرها، وبأحاديثها أخذ العلماء واستدل الفقهاء وأثبتوا الأحكام، ومصنِّفوها أشهر علماء الحديث وأكثرهم حفظًا وإليهم المنتهى.

وتلاه الإمام أبو السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزرى فجمع بين كتاب رزين وبين الأصول الستة بتهذيبه وترتيب أبوابه وتسهيل مطالبه وشرح غريبه فى «جامع الأصول» (انظره فى موضعه) فكان أجمعَ ما جُمع فيه، ثم جاء الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى فجمع بين الكتب الستة والمسانيد العشرة وغيرها فى « جمع الجوامع » (انظره فى موضعه) فكان أعظم بكثير من « جامع الأصول » من جهة المتون إلا أنه لم يبال بما صنع فيه من جمع الأحاديث الضعيفة بل الموضوعة، وكان أول ما بدأ به هؤلاء المتأخرون أنهم حذفوا الأسانيد اكتفاء بذكر من روى الحديث من الصحابى إن كان خبرًا، وبذكر من يرويه عن الصحابى إن كان أثرًا، والرمز إلى المُخْرِج لأن الغرض من ذكر الأسانيد كان أولاً إثبات الحديث وتصحيحه، وهذه كانت وظيفة الأولين وقد كفوا تلك المؤنة فلا حاجة بهم إلى ذكر ما فرغوا منه ووضعوا لأصحاب الكتب الستة علامة ورمزًا بالحروف فجعلوا للبخارى (خ) لأن نسبته إلى بلده أشهر من اسمه وكنيته وليس فى حروف باقى الأسماء خاء، ولمسلم (م) لأن اسمه أشهر من نسبه وكنيته ولمالك (ظ) لأن اشتهار كتابه بالموطأ أكثر، ولأن الميم أول حروف اسمه وقد أعطوها مسلمًا وباقى حروفه مشتبه بغيرها، وللترمذى (ت) لأن اشتهاره بنسبه أكثر، ولأبى داود (د) لأن كنيته أشهر من اسمه ونسبه، والدال أشهر حروفها وأبعدها من الاشتباه، وللنسائى (س) لأن نسبه أشهر من اسمه وكنيته، والسين أشهر حروف نسبه، وكذلك وضعوا لأصحاب المسانيد بالإفراد والتركيب كما هو مسطور فى الجوامع.

قال فى كشاف اصطلاحات الفنون: لأهل الحديث مراتب أولها الطالب وهو المبتدىء الراغب فيه، ثم المحدِّث وهو الأستاذ الكامل وكذا الشيخ والإمام بمعناه، ثم الحافظ وهو الذى أحاط علمه بمائة ألف حديث متنًا وإسنادًا وأحوال رواته جرحًا وتعديلاً وتاريخًا، ثم الحجة وهو الذى أحاط علمه بثلاثمائة ألف حديث. كذلك قاله ابن المطرى، وقال الجزرى: الراوى ناقل الحديث بالإسناد، والمحدِّث من تحمَّل بروايته واعتنى بدرايته، والحافظ من روى ما يصل إليه ووعى ما يحتاج إليه انتهى. قال أبو الخير (هو طاش كيرى زاده صاحب « مفتاح السعادة ») اعلم أن قصارى نظر أبناء هذا الزمان فى علم الحديث النظر فى (مشارق الأنوار) فإن ترفعت إلى (مصابيح) البغوى ظنت أنها تصل إلى درجة المحدِّثين، وما ذلك إلا لجهلهم بالحديث بل لو حفظهما عن ظهر قلب وضم إليهما من المتون مثليهما لم يكن محدثًا حتى يلج الجمل فى سم الخياط، وإنما الذى يعده أهل الزمان بالغًا إلى النهاية وينادونه محدث المحدثين وبخارى العصر من اشتغل بجامع الأصول لابن الأثير مع حفظ علوم

الحديث لابن الصلاح أو التقريب للنووى إلا أنه ليس فى شيء من رتبة المحدثين، وإنما المحدث من عرف المسانيد والعلل وأسماء الرجال، والعالى والنازل وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة من المتون، وسمع الكتب الستة ومسند الإمام أحمد ابن حنبل وسنن البيهقى ومعجم الطبرانى وضم إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية. هذا أقل فإذا سمع ما ذكرناه وكتب الطبقات وزاد على الشرح وتكلم فى العلل والوفيات والأسانيد كان فى أول درجة المحدِّثين، ثم يزيد الله سبحانه وتعالى من يشاء ما يشاء. هذا ما ذكره تاج الدين السبكى. وذكر صدر الشريعة فى تعديل العلوم: أن مشائخ الحديث مشهورون بطول الأعمار، وذكر السبكى فى «طبقات الشافعية» أن أبا سهل قال: سمعت ابن الصلاح يقول: سمعت شيوخنا يقولون: دليل طول عمر الرجل اشتغاله بأحاديث الرسول ﷺ، ويصدقه التجربة، فإن أهل الحديث إذا تتبعت أعمارهم تجدها فى غاية الطول. انتهى. (أبجد العلوم جـ٢ ق١/ ٢٧١ - ٢٧٩، وكشف الظنون ١/ ٦٣٥ - ٦٤١ ومفتاح السعادة ٢/ ١١٤ - ١٣٠).

وقد صاحب تدوين الحديث أو تبعه تدوين معارف أخرى ذات صلة أيضًا بالإسلام وظهوره، مثل سيرة الرسول ﷺ ومغازيه، ثم تاريخ العرب والمسلمين وسائر الأمم القديمة، ولم تلبث حركة التدوين حتى انتشرت وازدهرت فشملت الشعر والخطب والأمثال واللغة، وهكذا كانت خدمة الدين وتفسير القرآن أول حافز فى سبيل تدوين هذه المعارف والفنون. حتى إن تدوين الحديث النبوى بوسائله وطرائقه ومناهجه قد ترك ميسمه على سائر مناحى التأليف عند العرب وبخاصة فى مجال الرواية ودراسة سلسلة الإسناد حول الرواة. ويبدو هذا التأثير واضحًا فى طرائق تدوين اللغة وتصنيف المعاجم وفى تسجيل الشعر وتأليف المجموعات الشعرية وفى جمع أخبار العرب وأيامهم وما إلى ذلك من العلوم والمعارف التى انتفعت أيما انتفاع بهذا الضبط والإتقان.

وبوسعنا أن نتبين خلال هذه الحركة العلمية الدائبة مرحلتين متعاقبتين كانت الأولى فيهما أساسًا للثانية، وهما مرحلة التدوين التى تقوم على الجمع والتقصى والتسجيل والرصد ثم مرحلة التصنيف والتأليف التى تناولت المواد المجموعة بالتنظيم والتنسيق والتبويب وبالتالى التحليل والاستنباط والمقارنة والابتكار، فكان الفقه والتشريع نتيجة لتدوين الحديث، والمعاجم نتيجة لتدوين اللغة، والنقد الأدبى نتيجة لجمع منظوم العرب ومنثورهم (مصادر التراث العربى/ ١٦، ١٧).

وعن أكثر الصحابة حديثا وفتوى يقول صاحب قواعد التحديث:

فى التقريب وشرحه (التقريب فى فن أصول الحديث للنووى، وشرحه تدريب الراوى للسيوطى / ٢٠٥) «أكثرهم - يعنى الصحابة - حديثا، أبو هريرة، روى خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثًا، وروى عنه أكثر من ثمانمائة رجل، وهو أحفظ الصحابة. أسند البيهقى عن الشافعى أنه قال: «أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره». وروى ابن سعد أن ابن عمر كان يترحَّمُ عليه فى جنازته ويقول: «كان يحفظُ على المسلمين حديث النبى ﷺ». ثم عبد الله بن عمر، روى ألفى حديث وستمائة وثلاثين حديثًا. ثم أنس بن مالك، روى ألفين ومائتين وستة وثمانين حديثًا. ثم ابن عباس، روى ألفًا وستمائة وستين حديثا. ثم جابر بن عبد الله روى ألفًا وخمسمائة وأربعين حديثًا. ثم أبو سعيد الخُدرى سعد بن مالك، روى ألفًا ومائة وسبعين حديثًا. ثم عائشة الصديقة أم المؤمنين، روت ألفين ومائتين وعشرة، وليس فى الصحابة من يزيد حديثه على ألف غير هؤلاء، وإياهم عنى من أنشد:

سبع من الصَّحب فوق الألف قد نقلُوا
من الحديث عن المختار خير مُضر
أبو هريرة، سعدٌ، جابرٌ، أنسٌ،
صِديقةٌ، وابنُ عباسٍ، كذا ابنُ عُمر

وأما أكثرهم فتوى، فقال ابن حزم: «أكثرهم فتوى مطلقًا عمر، وعلى، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وعائشة».

قال: «ويمكن أن يجمع من فُتيا كل واحد من هؤلاء مجلَّد ضخم».

قال: « ويليهم عشرون: أبو بكر، وعثمان، وأبو موسى، ومُعاذ، وسعد بن أبي وقَّاص، وأبو هريرة، وأنس، وعبد الله ابن عمرو بن العاص، وسلمانُ، وجابر، وأبو سعيد، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وعمرانُ بن حُصين، وأبو بكرة (أبو بكرة الثقفي واسمه نفيع بن الحارث) وعُبادة بن الصامت، ومُعاوية، وابن الزبير، وأم سلمة ».

قال: « ويمكن أن يُجمع من فُتيا كل واحدٍ منهم جزءٌ صغير ».

قال: « وفى الصحابة نحو مائة وعشرين نفسًا، يقلُّون فى الفتيا جدًّا، لا يُروى عن الواحد منهم إلا المسألة أو المسألتان أو الثلاث، كأُبى بن كعب، وأبى الدرداء، وأبى طلحة، والمقداد » وسرد الباقين.

وقال الإمام محمد بن سعد فى « الطبقات »: قال محمد ابن عمر الأسلمى: « إنما قلَّت الرواية عن الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ، لأنهم ماتوا قبل أن يُحتاج إليهم. وإنما كثرت عن عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب، لأنهما وُلِّيا فسُئلا، وقضيا بين الناس. وكلُّ أصحاب رسول الله ﷺ كانوا أئمة يُقتدى بهم ويحفظ عنهم ما كانوا يفعلون، ويُستفتون فَيفتُون، وسمعوا أحاديث فأدَّوها، فكان الأكابرُ من أصحاب رسول الله ﷺ أقل حديثًا عنه من غيرهم، مثل: أبى بكر. وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبى وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وأبى عبيدة بن الجرَّاح، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأُبى بن كعب، وسعد بن عبادة، وعبادة بن الصامت، وأُسيد بن حُضير، ومُعاذ بن جبل، ونظرائهم. فلم يأت عنهم من كثرة الحديث مثلُ ما جاء عن الأحداث من أصحاب رسول الله ﷺ، مثلُ: جابر بن عبد الله، وأبى سعيد الخدرى، وأبى هريرة، وعبد الله بن عمر ابن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عباس، ورافع بن خديج، وأنس بن مالك، والبراء بن عازب ونظرائهم، لأنهم بقوا وطالت أعمارُهم فى الناس، فاحتاج الناسُ إليهم. ومضى كثيرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ قبله وبعده بعلمه لم يُؤثر عنه شيء، ولم يحتج إليه لكثرة أصحاب رسول الله ﷺ. ومنهم من لم يُحدث عن رسول الله ﷺ شيئًا، ولعله أكثرُ له صحبة ومجالسة وسماعًا من الذى حدَّث عنه. ولكنَّا حملنا الأمر فى ذلك منهم على التوقى فى الحديث، وعلى أنه لم يُحتج إليه لكثرة أصحاب رسول الله ﷺ، وعلى الاشتغال بالعبادة والأسفار فى الجهاد فى سبيل الله حتى مضوا ولم يحفظ عنهم عن النبى ﷺ شيء ». انتهى.

ثم يقول عن صدور التابعين فى الحديث والفتيا:

وهم المعروفون بالفقهاء السبعة من أهل المدينة: سعيد ابن المسيب، والقاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق، وعُروة بين الزبير، وخارجة بن زيد بن ثابت، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وعُبيد الله بن عُتبة بن مسعود، وسليمان بن يسار الهلالى. هكذا عدَّهم أكثر علماء أهل الحجاز، وجعل ابن المبارك سالم بن عبد الله بن عمر بدل أبى سلمة، وجعل أبو الزناد بدلهما أبا بكر بن عبد الرحمن، وعدَّهم ابن المدينى اثنى عشر، وزاد إسماعيل أخا خارجة، وسالمًا، وحمزة، وزيدًا، أو: عبيد الله، وبلالاً بن عبد الله بن عمر، وأبان بن عثمان، وقبيصة بن ذؤيب.

و(عن) الإمام أحمد بن حنبل: « أفضلُ التابعين ابن المسيَّب، قيل له: فعلقمة والأسود؟ قال: هو وهما ».

و (عنه) أيضًا: « لا أعلم فيهم مثل أبى عثمان النهدى، وقيس بن أبى حازم، وعلقمة، ومسروق ».

و (عنه) أيضًا: « ليس أحدٌ أكثر فتوى فى التابعين من الحسن، وعطاء، كان عطاء مفتى مكة، والحسن البصرى مفتى البصرة » كذا فى التقريب وشرحه.

(التقريب / ٢١٤) (قواعد التحديث / ٧٢ - ٧٥).

أسلوب الحديث فى اللغة والأدب:

كان رسول الله ﷺ أفصح العرب لهجة، وأبلغهم حُجة، وأعذبهم كلمًا، وأغزرهم حكمًا، وأوجزهم عبارة، وأعلمهم بلغات قبائل العرب، وأقدرهم على مخاطبة كل قبيلة بلُغتها.

فلا جرمَ أن يكون المأثور عنه من الحديث صفوة اللغة، وحلية البيان بعد القرآن: يقتبس الأديب من لفظه، وينتفع البليغ بصَوْغه، ويستمد مفسِّر القرآن عن أثره، ويستكمل الفقيه الأحكام الشرعية من نصِّه، ويشيد اللغويُّ صرْحًا للغة من كلمِه، ويستظهر الحكم بحكمته، إذ كان ﷺ لا ينطق بلغْوٍ ولا يقصد إلى غير توضيح قرآن أو تقرير شرْع أو هداية إلى حق.

وله من جوامع الكلم ما يجلو صدأ النفس، ويشرح ضيق الصدر (المفصل ١/ ١٠١) قالت المؤلفة : وقد أوردنا منه بعض ما تيسر ذكره فى مادة « جوامع الكلِم » فانظرها فى موضعها .

أثر الحديث فى اللغة والأدب :

كان للحديث فضل على اللغة والأدب فقد وسع المادة اللغوية بإدخال ألفاظ فقهية ودينية لم تكن معروفة فى هذه المعانى من قبل، وكان للنبى ﷺ تعبيرات جديدة فنية مثل «الآن حمى الوطيس، وهدنة على دَخَن، وهذا يوم له ما بعده، وإن من البيان لسحرا » وكثيرا من أمثال ذلك مما عُد ذخيرة أدبية قيمة .

وقد عاون الحديث القرآن الكريم فى حفظ اللغة وانتشارها، وكان لتضافر العلماء على الحديث يجمعونه ويشرحونه ويستنبطون منه، أثر كبير فى نشر الثقافة العلمية والأدبية (المجمل / ٤٢) .

قالت المؤلفة :

وكما هى عادة الشاعر العربى، فإنه يسوق فى شعره المفردات الثقافية التى يستدل بها على هويته وعلى دينه ومظاهر حضارته .

ومن أمثلة ذلك قول صفى الدين العزى :

رُبَّ ثقيل إمام قوم

يومٌ بالناس ثم يجحف

خالف فى الفعل قول طه

« من أمَّ بالناس فليخفف »

ورد هذا الحديث بتمامه فى الجامع الأزهر بلفظ : « من أمَّ قومًا فليخفف فإن فيهم الصغير والكبير وذا الحاجة فإذا صلّى وحده فليصل كيف شاء » . رواه الإمام أحمد عن عثمان بن أبى العاص . (الجامع الأزهر ٢/ ١٩٠ ورقة ب) .

وقول ابن سينا الملك فى مدح الملك المظفر تقى الدين :

وباسمك من قبل الوغى تهزم العدا

وباسمك قبل الحرب تُنصر بالرعب

وقوله فى مدح الملك الأفضل :

تسرى إلى الأعداء قبل الجيش منك بجيش رعب

وممن تأثر بابن سناء الملك الشاعر علم الدين أيدمر المحيوى (عتيق محيى الدين محمد بن محمد بن سعيد الذى كان وزير الجزيرة، عاصر ابن سناء الملك، ومختار ديوانه طبعته دار الكتب سنة ١٣٥٠هـ) يقول علم الدين أيدمر فى مطلع قصيدة يمدح فيها الصالح أيوب ويهنئه بفتح دمشق :

نُصِرتَ بالرعب قبل البيض والأسل

ولطف صنع كصنع الله والرسل

(ابن سناء الملك / ١٧٧) .

قالت المؤلفة : الحديث الشريف الذى ضُمِّن فى هذه الأبيات أورده الحافظ المناوى بلفظ : « نصرت بالرعب وأعطيت جوامع الكلم وبينا أنا نائم إذ جىء بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت فى يدى » . رواه الإمام أحمد بن حنبل عن أبى هريرة . (الجامع الأزهر ٣/ ٥٨ ورقة أ) .

وقول عبد المحسن الصورى يهجو بعض أضيافه، وهو من الاقتباس المردود المرذول لأنه قيل فى معرض هزل وسخف (انظر مادة « الاقتباس » فى م ٥/ ٤٧٥) .

قال لى إذ نزلتُ، وهو من السُّكرة

والهمّ طافحٌ ليس يصحو

لِمْ تغرَّبتَ قلتُ قال رسول الله

والقول منه نُصحٌ ونُجحُ

« سافروا تغنموا »، فقال وقد قا

ل تمام الحديث « صوموا تصِحُّوا »

قال هذا القول ليبرر بخله .

(يتيمة الدهر ٥/ ٤٧٥، ٤٧٦) .

قالت المؤلفة : فى أبيات عبد المحسن الصورى التى سقناها أعلاه يرد الحديث الأول فى الجامع الأزهر بلفظ «سافروا تصِحُّوا وتسلموا » رواه الطبرانى فى الأوسط عن عمر وفيه عبد الله بن هارون أبو علقمة ضعيف، ومحمد بن عبد الرحمن بن داود ضعيف أيضًا (الجامع الأزهر ١/ ٢٤٢ ورقة ب) .

وورد بلفظ « سافروا تصِحُّوا » رواه ابن السنى وأبو نعيم فى

الطب عن أبى سعيد للبخارى (الجامع الصغير ٢/ ٣١) ، كما ورد بلفظ : « سافروا تصِحُّوا وتغنموا » عن ابن عباس الشيرازى فى الألقاب للطبرانى فى الأوسط ، وأبو نعيم فى الطب ، والقضاعى عن ابن عمر . وكذلك ورد بلفظ « سافروا تصِحُّوا وتُرزقوا » رواه عبد الرزاق فى الجامع عن محمد بن عبد الرحمن مرسلاً ، حديث حسن . كما ورد حديث ثالث بلفظ «سافروا تَصِحُّوا واغزوا تستغنوا » للإمام أحمد بن حنبل عن أبى هريرة . حديث حسن .

أما حديث « صوموا تصِحُّوا » الذى جاء فى عجز البيت الثالث فقد ورد بلفظه فى الجامع الصغير (٢/ ٤٩) رواه ابن السنى وأبو نعيم فى الطب عن أبى هريرة . حديث حسن . (الجامع الأزهر ١/ ٢٤٢ ورقة ب ، و٢/ ١٩٠ ورقة ب ، و٣/ ٥٨ ورقة أ ، والجامع الصغير ٢/ ٣١ ، ٤٩ ، ويتيمة الدهر ٥/ ٤٧٥ ، ٤٧٦) .

(الناقد الحديث فى علوم الحديث - الشيخ محمد المبارك عبد الله / ٥ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ومعجم مصطلحات توثيق الحديث - د. على زوين / ٣٠ ، وتاريخ الأدب العربى - أحمد حسن الزيات / ٩٥ ، وصحيح مسلم بشرح النووى للإمام يحيى بن شرف النووى — تحقيق وإشراف عبد الله أحمد أبى زينة . كتاب الشعب ١/ ٢ ، ٣ ، والرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السُّنة المشرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى / ٢ ، ٣ ، ١٦٣ - ١٦٦ ، والباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير - أحمد محمد شاكر / ٢٠ ، ٢١ ، ونفائس — بتحقيق وتعليق محمد حامد الفقى . ألفية مصطلح الحديث للحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقى / ١٦٩ ، ١٧٠ ، وألفية السيوطى فى علم الحديث - بتصحيح فضيلة الأستاذ أحمد محمد شاكر / ٢ ، ٣ ، ومجموع مهمات المتون . ط مصطفى البابى الحلبى / ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، وقواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث للشيخ محمد جمال الدين القاسمى - تحقيق محمد بهجة البيطار تقديم محمد رشيد رضا / ٧٢ - ٧٥ وأبجد العلوم لصدّيق بن حسن القنّوجى - أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكّار جـ٢ ق١/ ٢٧١ - ٢٧٩ وكشف الظنون لحاجى خليفة ١/ ٦٣٥ - ٦٤١ ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢/ ١١٤ - ١٣٠ ، ومصادر التراث العربى - د. عمر الدقاق / ١٦ ، ١٧ ، والمفصل فى تاريخ الأدب العربى - أحمد الإسكندرى وزملائه ١/ ١٠١ ، والمجمل فى تاريخ الأدب العربى - طه حسين وزملائه/ ٤٢ ، والجامع الأزهر فى حديث النبى الأنور للحافظ المناوى ٢/ ١٩٠ ورقة ب ، ٣/ ٥٨ ورقة أ ، ١/ ٢٤٢ ورقة ب ، وابن سناء الملك - محمد إبراهيم نصر / ١٧٧ ، ويتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر لأبى منصور الثعالبى - أعاد تحقيقها وشرحها وعرف بشعرائها ووضع فهارسها إيليّا الحاوى ٥/ ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، والجامع الصغير للحافظ جلال الدين السيوطى ٢/ ٣١ ، ٤٩ . انظر أيضًا المنار المنيف فى الصحيح والضعيف لابن قيم الجوزية — حقق أصوله وخرّج أحاديثه وكتب مقدماته وعلق عليه الأستاذ طه عبد الرءوف سعد . رقم الإيداع ١٩٨٣/ ٧ - ٤٢ مقدمات المحقق ، وبصائر ذوى التمييز للإمام الفيروزابادى — تحقيق الأستاذ محمد على النجار ٢/ ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، والسنة النبوية وعلومها - د. أحمد عمر هاشم / ٥٢ - ٦٠ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢/ ٥٢ ، ٥٣ ، ١١٣ ، ١١٤ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٢٧٩ — ٢٨١ ، والمحدثون فى مصر والأزهر — أ. د. الحسينى هاشم ، أ. د. أحمد عمر هاشم / ٥٤ — ٥٧ ، والحديث والمحدثون - محمد محمد أبو زهو / ٢٤٣ — ٢٤٥ ، والجامع الحاوى فى مرويات الشرقاوى - تحقيق أبى الفيض محمد ياسين بن محمد عيسى الفادانى / ١٦ - ٣٤) .

ملاحظة :

١ – حديث « خير الناس أنفعهم للناس» أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ١٠) للقضاعى عن جابر .

وقال عنه حديث حسن . والصورة مأخوذة من موسوعة الخطوط العربية وزخارفها - معروف زريق / ٢٠٧ .

٢ – حديث « مثل المؤمنين فى توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا شكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمّى » أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ١٦١) من رواية أحمد فى مسنده ومسلم عن النعمان بن بشير وقال عنه حديث صحيح . والصورة مأخوذة من كتاب حروف من غير نقط - كتبها محمد حدّاد / ٥٠ ، والحديث بها يختلف فى اللفظ قليلا .

٣ — حديث « من تواضع لله رفعه » أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ١٧٥) لأبى نعيم فى الحلية عن أبى هريرة وقال عنه حديث حسن . كما أخرجه المناوى فى الجامع الأزهر (٢/ ١٩٦ ورقة ب) كجزء من حديث طويل عن الإمام أحمد بن حنبل والبزار والطبرانى فى الأوسط عن

عمر بن الخطاب ورجال البزار رجال الصحيح وفى إسناد الطبرانى سعيد بن سلام العطار كذاب . والصورة مأخوذة من المرجع السابق ص ٥٥ .

انظر: الحديث القدسى، القرآن .

*** الحديث (علوم -):**

لقد اشتغل علماء الحديث بنقد الحديث، وجاهدوا فى دفع الدخيل، وقعَّدوا القواعد، ووضعوا الضوابط، حتى أصبح علم الحديث علوما متعددة وليس علمًا واحدًا ويعدّد الدكتور موسى شاهين لاشين العلوم التى ورثناها عنهم فيقول :

١ - علم مصطلح الحديث، وهو يهتم بالأسماء والمسميات، وأسباب الضعف ومواصفات صحة الحديث .

٢ - وعلم رجال الحديث : ويهتم بتاريخ الرواة من حيث مولدهم ووفاتهم وموطنهم ورحلاتهم وشيوخهم وتلامذتهم، ليتبين من ذلك اتصال الإسناد أو عدم اتصاله .

٣ - وعلم نقد الحديث أو علم الجرح والتعديل : ويهتم بوضع كل راوٍ فى درجة معينة من حيث العدالة والضبط، ويكفى أن نشير إلى أنهم وضعوا للتعديل خمس درجات، أعلاها أثبت الناس وأوثق الناس، وأدناها صدوق، ووضعوا للجرح اثنتى عشرة درجة أدناها مختلق كذاب، ووضعوا كل راوٍ فى درجة معينة من هذه الدرجات .

٤ - وعلم التخريج ويهتم بعزو الحديث إلى موضعه من المصادر الأصلية المعتبرة فى الحديث .

٥ - وعلم دراسة الأسانيد والحكم على الحديث، ويهتم بتطبيق القواعد والضوابط والموازين ليحكم على الحديث بالصحة أو بالحسن أو بالضعف .

٦ - وعلم مختلف الحديث ويهتم برفع التناقض فيما ظاهره التناقض بين الأحاديث .

٧ - وعلم شرح الحديث تحليليًا أو موضوعيًا ويهتم بشرح المفردات واستنباط الأحكام، أو بجمع أحاديث الموضوع الواحد وشرحها .

٨ - وعلم مناهج المحدثين ويهتم ببيان منهج كل مؤلف حديثى وما يحتويه كل كتاب من الموضوعات .

ونستطيع القول بأن هذا البحر الزاخر من العلوم لا يسبح فيه إلا ماهر متخصص بذل الليالى والشهور والسنين ثم قال ﴿ربِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [الكهف: ١١٤] وقال: ﴿ وما أُوتِيتُم من العلم إلاَّ قليلاً ﴾ [الإسراء: ١٧] .

وكلما دخل فى الأعماق شعر بصغار نفسه، وكلما تبحر عرف قلة علمه، وباب العلم أن تعرف نفسك، فما يزال المرء عالما ما ظن أنه يجهل، فإن ظن أنه قد علم فقد جهل . أى جهل نفسه، وهذا هو الجهل المركب كما يقولون .

ومن هنا نجد علماء الحديث وطلابه الراسخين فى العلم يحتاطون عند الكلام وعند الفتوى فى الحديث، ونجد غيرهم ممن يلبس مسوحهم ويتقمص شخصيتهم أكثر جرأة على تناوله وعلى القول فيه بغير علم . (السُّنَّة والتشريع / ٨، ٩) .

ويحصى فضيلة الشيخ محمد محمد أبو زهو علوم الحديث والكتب المؤلفة فيها ومن قام بتأليفها فى كتابه النفيس فيحصى من علوم الحديث ما يلى :

١ - علم ميزان الرجال أو الجرح والتعديل (انظر مادة «الجرح والتعديل» فى هذه الموسوعة) .

٢ - علم معرفة الصحابة .

٣ - علم تاريخ الرواة (أوردناه تحت عنوان «بيان حال الرواة» (كتب فى -) فى م ٨/ ٤٧ - ٤٩) فانظره فى موضعه .

٤ - علم معرفة الأسماء والكنى والألقاب (أوردناه تحت عنوان الأسماء والكنى (فى علم الحديث) فى م٤/ ٥٦٢ - ٥٦٦، فانظره فى موضعه) وفى أسماء الرواة أنواع ثلاثة : المتفق والمفترق، والمؤتلف والمختلف، والمتشابه .

٥ - علم تأويل مشكل الحديث (أوردناه تحت عنوان «تأويل مختلف الحديث (علم -)» م ٨/ ٤١٣، ٤١٤) فى م٨/ ٤١٣، ٤١٤ فانظره فى موضعه) .

٦ - علم معرفة الناسخ والمنسوخ من الحديث .

٧ - علم معرفة غريب الحديث .

٨ - علم معرفة علل الحديث .

٩ - علم معرفة الموضوعات وكشف حال الوضّاعين .

١٠ - علم أصول الرواية أو علم مصطلح الحديث .

(الحديث والمحدثون / ٤٥٤ - ٤٩٥) .

وسيأتى بيان هذه العلوم فى مواضعها إن شاء الله تعالى.

وقد أدرج صاحب مفتاح السعادة من فروع علم الحديث علم المواعظ، وعلم الأدعية والأوراد (انظره فى م٣/ ٣٩٠، ٣٩١) وعلم الآثار (انظر فى م ١/ ١٠٣، ١٠٤) وعلم الزهد والورع وعلم صلاة الحاجات الواردة فى الأحاديث، وعلم المغازى (مفتاح السعادة ٢/ ٥٥١ - ٥٥٣).

وقد أفرد القنّوجى فصلا فى ذكر علوم الحديث جاء فيه ما يلى نقلاً عن ابن خلدون:

قال ابن خلدون: « وأما علوم الحديث فهى كثيرة ومتنوعة لأن منها ما ينظر فى ناسخه ومنسوخه وذلك بما ثبت فى شريعتنا من جواز النسخ ووقوعه لطفًا من الله بعباده وتخفيفًا عنهم باعتبار مصالحهم التى تكفّل لهم بها. قال تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو نُنسسها نأت بخير منها أو مثلها﴾ [البقرة: ١٠٦] فإذا تعارض الخبران بالنفى والإثبات، وتعذر الجمع بينهما ببعض التأويل، وعلم تقدم أحدهما تعين أن المتأخر ناسخ. ومعرفة الناسخ والمنسوخ من أهم علوم الحديث وأصعبها. قال الزهرى: أعيا الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه، وكان للشافعى رحمه الله قدمٌ راسخة فيه.

« وهذا العلم فى كتاب (إفادة الشيوخ بمقدار الناسخ والمنسوخ) لمؤلف هذا الكتاب جمع فيه ما ألف قبله فى ذلك العلم فجاء أجمع ما جمع فى هذا الباب، وانتهت الأحاديث المنسوخات إلى أربعة وعشرين حديثًا وانحصر العدد فى ذلك. وهو بالفارسية. حافظ على حسين اللكنوى كاتب هذا الكتاب سلمه الله الوهاب ».

ومن علوم الأحاديث النظر فى الأسانيد. ومعرفة ما يجب العلم به من الأحاديث بوقوعه على السند الكامل الشروط لأن العمل إنما وجب بما يغلب على الظن صدقه من أخبار رسول الله ﷺ فيجتهد فى الطريق التى تحصل ذلك الظن، وهو بمعرفة رواة الحديث بالعدالة والضبط، وإنما يثبت ذلك بالنقل عن أعلام الدين بتعديلهم وبراءتهم من الجرح والغفلة، ويكون لنا ذلك دليلاً على القبول أو الترك، وكذلك مراتب هؤلاء النقلة من الصحابة والتابعين وتفاوتهم فى ذلك وتميزهم فيه واحدًا واحدًا، وكذلك الأسانيد تتفاوت باتصالها وانقطاعها بأن يكون الراوى لم يلق الراوى الذى نقل عنه، وبسلامتها من العلل الموهنة لها، وتنتهى بالتفاوت إلى طرفين فحكم بقبول الأعلى وردّ الأسفل ويختلف فى المتوسط بحسب المنقول عن أئمة الشأن. ولهم فى ذلك ألفاظ اصطلحوا على وضعها لهذه المراتب المرتبة مثل: الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والمعضل والشاذ والغريب وغير ذلك من ألقابه المتداولة بينهم، وبوّبوا كل واحد منها، ونقلوا ما فيه من الخلاف لأئمة هذا الشأن أو الوفاق، ثم النظر فى كيفية أخذ الرواة بعضهم عن بعض بقراءة أو كتابة أو مناولة أو إجازة وتفاوت رتبها، وما للعلماء فى ذلك من الخلاف بالقبول والردّ، ثم أتبعوا ذلك بكلام فى ألفاظ تقع فى متون الحديث من غريب أو مشكل أو مصحف أو مفترق منها أو مختلف وما يناسب ذلك. هذا معظم ما ينظر فيه أهل الحديث وغالبه.

وكانت أحوال نقلة الحديث فى عصور السلف من الصحابة والتابعين معروفة عند أهل بلدة، فمنهم بالحجاز، ومنهم بالبصرة والكوفة من العراق، ومنهم بالشام ومصر والجميع معروفون مشهورون فى أعصارهم، وكانت طريقة أهل الحجاز فى أعصارهم فى الأسانيد أعلى ممن سواهم وأمتن فى الصحة لاستبدادهم فى شروط النقل من العدالة والضبط، وتجافيهم عن قبول المجهول الحال فى ذلك، وسند الطريقة الحجازية بعد السلف الإمام مالك عالم المدينة ثم أصحابه مثل الإمام محمد بن إدريس الشافعى والإمام أحمد بن حنبل وأمثالهم.

وكان علم الشريعة فى مبدأ هذا الأمر نقلاً صرفًا شمَّر لها السلف، وتحروا الصحيح حتى أكملوها، وكتب مالك رحمه الله كتاب (الموطأ) أودعه أصول الأحكام من الصحيح المتفق عليه، ورتبه على أبواب الفقه، ثم عنى الحفاظ بمعرفة طرق الأحاديث وأسانيدها المختلفة، وربما يقع إسناد الحديث من طرق متعددة عن رواة مختلفين، وقد يقع الحديث أيضًا فى أبواب متعددة باختلاف المعانى التى اشتمل عليها.

وجاء محمد بن إسماعيل البخارى إمام المحدثين فى عصره فخرّج أحاديث السنة على أبوابها فى مسنده الصحيح بجميع الطرق التى للحجازيين والعراقيين والشاميين، واعتمد منها ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه، وكرر الأحاديث

يسوقها فى كل باب بمعنى ذلك الباب الذى تضمنه الحديث فتكررت لذلك أحاديثه حتى يقال: إنه اشتمل على تسعة آلاف حديث ومائتين . منها ثلاثة آلاف متكررة، وفرّق الطرق والأسانيد عليها مختلفة فى كل باب .

ثم جاء الإمام مسلم بن الحجاج القشيرى رحمه الله فألف مسنده الصحيح حذا فيه حذو البخارى فى نقل المجمع عليه وحذف المتكرر منها، وجمع الطرق والأسانيد وبوّبه على أبواب الفقه وتراجمه . ومع ذلك فلم يستوعبا الصحيح كله، وقد استدرك الناس عليهما فى ذلك .

ثم كتب أبو داود السجستانى وأبو عيسى الترمذى وأبو عبد الرحمن النسائى فى (السنن) بأوسع من الصحيح، وقصدوا ما توفرت فيه شروط العمل إما من الرتبة العالية فى الأسانيد، وهو الصحيح كما هو معروف، وإما من الذى دونه من الحسن، وغيره ليكون ذلك إمامًا للسنة والعمل. وهذه هى المسانيد المشهورة فى الملة، وهى أمهات كتب الحديث فى السنة فإنها، وإن تعددت، ترجع إلى هذه فى الأغلب، ومعرفة هذه الشروط والاصطلاحات كلها هى علم الحديث، وربما يفرد عنها الناسخ والمنسوخ فيجعل فنًّا برأسه، وكذا الغريب. وللناس فيه تآليف مشهورة، ثم المؤتلف والمختلف .

وقد ألف الناس فى علوم الحديث وأكثروا ومن فحول علمائه وأئمتهم أبو عبد الله الحاكم وتآليفه فيه مشهورة، وهو الذى هذبه وأظهر محاسنه، وأشهر كتاب للمتأخرين فيه كتاب أبى عمرو بن الصلاح كان لعهد أوائل المائة السابعة وتلاه محيى الدين النووى بمثل ذلك، والفن شريف فى مغزاه لأنه معرفة ما يحفظ به السنن المنقولة عن صاحب الشريعة . وقد انقطع لهذا العهد تخريج شىء من الأحاديث واستدراكها على المتقدمين إذ العادة تشهد بأن هؤلاء الأئمة على تعددهم وتلاحق عصورهم وكفايتهم واجتهادهم لم يكونوا ليُغفلوا شيئًا من السنة أو يتركوه حتى يعثر عليه المتأخر. هذا بعيد عنهم، وإنما تنصرف العناية لهذا العهد إلى تصحيح الأمهات المكتوبة، وضبطها بالرواية عن مصنفيها، والنظر فى أسانيدها إلى مؤلفيها، وعرض ذلك على ما تقرر فى علم الحديث من الشروط والأحكام لتصل الأسانيد محكمة إلى منتهاها، ولم يزيدوا فى ذلك على العناية بأكثر من هذه الأمهات الخمسة إلا فى القليل .

فأما البخارى وهو أعلاها رتبة فاستصعب الناس شرحه واستغلقوا منحاه من أجل ما يحتاج إليه من معرفة الطرق المتعددة ورجالها من أهل الحجاز والشام والعراق ومعرفة أحوالهم واختلاف الناس فيهم، ولذلك يحتاج إلى إمعان النظر فى التفقه فى تراجمه لأنه يترجم الترجمة ويورد فيها الحديث بسند أو طريق ثم يترجم أخرى ويورد فيها ذلك الحديث بعينه لما تضمنه من المعنى الذى ترجم به الباب، وكذلك فى ترجمة وترجمة إلى أن يتكرر الحديث فى أبواب كثيرة بحسب معانيه واختلافها. ومن شرحه ولم يستوف هذا فيه فلم يوفِّ حق الشرح كابن بطال وابن المهلب وابن التين ونحوهم. ولقد سمعت كثيرًا من شيوخنا رحمهم الله يقولون: «شرح كتاب البخارى دينٌ على الأمة» يعنون أن أحدًا من علماء الأمة لم يوفّ ما يجب له من الشرح بهذا الاعتبار. قال فى كشف الظنون: «أقول ولعل ذلك الدين قُضى بشرحَىْ المحقق ابن حجر العسقلانى والعينى بعد ذلك» انتهى. قلت: وشرح الحافظ ابن حجر أَوْفَى الشروح لا يعادله شرح ولا كتاب، ولذا لما قيل للشوكانى: اشرح البخارى. أجاب: إنه لا هجرة بعد الفتح . يعنى «فتح البارى» وما ألطف هذا الجواب عند من يفهم لطف الخطاب .

ثم قال ابن خلدون: وأما صحيح مسلم فكثرت عناية علماء المغرب به وأكبوا عليه وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخارى من غير الصحيح مما لم يكن على شرطه وأكثر ما وقع له فى التراجم، وأملى الإمام المازرى من فقهاء المالكية عليه شرحًا وسماه «المُعلم بفوائد مُسلم» اشتمل على عيون من علم الحديث وفنون من الفقه، ثم أكمله القاضى عياض من بعده وتممه وسماه «إكمال المُعلم» وتلاهما محيى الدين النووى بشرح استوفى ما فى الكتابين وزاد عليهما فجاء شرحًا وافيًا، وأما كتب السنن الأخرى وفيها معظم مآخذ الفقهاء فأكثر شرحها فى كتب الفقه إلا ما يختص بعلم الحديث فكتب الناس عليها واستوفوا من ذلك ما يحتاج إليه من علم الحديث وموضوعاته والأسانيد التى اشتملت على الأحاديث المعمول بها من السنة .

واعلم أن الأحـاديث قـد تميزت مـراتبهـا لهذا العهـد بين صحيح وحسن وضعيف ومعلوم وغيـرها تنزلها أئمـة الحديث وجهابـذته وعـرفوهـا ولم يبق طريق فى تصحيح مـا يصح من قبل، ولقد كان الأئمـة فى الحديث يعرفون الأحـاديث بطرقها وأسانيدهـا بحيث لو روى حديث بغير سنده وطـريقه يفطنون إلى أنه قد قلب عن وضعه، ولقد وقع مثل ذلك للإمام محمد ابن إسماعيل البخارى حين ورد على بغـداد وقصد المحدثون امتحانـه فسألوه عن أحاديث قلبـوا أسانيدها فقـال: لا أعرف هذه، ولكن حدثنى فـلان ثم أتى بجميع تلك الأحاديث على الوضع الصحيح، وردَّ كل متن إلى سنده وأقروا له بالإمامة.

قـال ابن خلـدون: واعلم أيضًـا أن الأئمـة المجتهـدين تفاوتوا فى الإكثار من هذه الصناعة والإقلال فأبو حنيفة رضى الله عنه يقـال بلغت روايته إلى سبعة عشـر حديثًا أو نحـوها، ومالك رحمه الله إنمـا صح عنده ما فى كتاب المـوطأ وغايتها ثلاثمائة حديث أو نحوهـا، وأحمد بن حنبل رحمه الله تعالى فى مسنده خمسـون ألف حديث وكل ما أدّاه إليـه اجتهاده فى ذلك. وقد تقوّل بعض المبغضين المتعسفين إلى أن منهم من كان قليل البضاعة فى الحـديث فلهذا قلّت روايته، ولا سبيل إلى هذا المعتقـد فى كبار الأئمة لأن الشـريعة إنما تـؤخذ من الكتاب والسنـة ومن كان قليل البضـاعة من الحـديث فيتعين عليه طلبـه وروايته والجد والتشمير فى ذلك ليأخـذ الدين عن أصـول صحيحة ويتلقى الأحكـام عن صـاحبها المبلّغ لهـا، وإنما قلل منهم من قلل الـرواية لأجل المطاعن التى تعتـرضه فيها، والعلل التى تعـرض فى طرقها سيّما والجـرح مقدم عند الأكثر فيؤديه الاجتهاد إلى تـرك الأخذ بما يعرض مثل ذلك فيه من الأحاديث وطرق الأسانيد، ويكثر ذلك فتقل روايته لضعف فى الطرق. هـذا مع أن أهل الحجاز أكثر روايـة للحديث من أهل العـراق لأن المدينـة دار الهجـرة ومأوى الصحابـة، ومن انتقل منهم إلى العراق كـان شغلهم بالجهاد أكثر، والإمـام أبو حنيفة إنمـا قلّت روايته لمـا شدد فـى شروط الروايـة والتحمل وضعّف روايـة الحـديث اليقينـى إذا عـارضهـا الفعل النفسى وقلّت من أجلها روايتـه فقلّ حديثـه لا أنه ترك روايـة الحديث متعمدًا فحاشاه من ذلك، ويدل على أنه من كبار المجتهدين فى علم الحديث اعتماد مذهبه بينهم، والتعويل عليه واعتباره ردًّا وقبولاً، وأما غيره من المحـدثين وهم الجمهور فتوسعوا فى الشروط وكثر حديثهم والكل عن اجتهـاد، وقد توسع أصحابه من بعده فى الشروط وكثرت روايتهم، وروى الطحاوى فأكثر، وكتب مُسْنَدَه وهو جليل القدر إلا أنه لا يعدل الصحيحين لأن الشـروط التى اعتمدهـا البخـارى ومسلم فى كتابيهمـا مجمع عليها بين الأمة كما قالـوه، وشروط الطحاوى غير متفق عليها كالرواية عن المستور الحال وغيره، فلهذا قدم الصحيحان بل وكتب السنن المعروفـة عليه لتأخر شرطـه عن شروطهم، ومن أجل هذا قيل فى الصحيحين بالإجمـاع على قبولهما من جهة الإجماع على صحـة ما فيهما من الشروط المتفق عليهـا. فلا تأخذك ريبـةٌ فى ذلك فالقوم أحق النـاس بالظن الجميل بهم والتماس المخـارج الصحيحة لهم والله سبحانـه وتعالى أعلم بما فى حقائق الأمور (أبجد العلوم جـ٢ ق١/ ٢٨٠-٢٨٧).

قال صـاحب الرسالـة المستطرفة عن الكتب المـؤلفة فى علوم الحديث:

ومنها كتـب فى علوم الحـديث أى مصطلحه ذكـرت فيها أحـاديث بأسـانيـد، ككتاب المحـدث الفـاصل بين الـراوى والواعى للقاضى أبى محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرام هرمـزى قال الذهبى لم أظفر بموتـه وأظنه بقى إلى حدود الخمسين وثـلاثمائة، وذكـر أبـو القاسـم بن منده فى كتـاب الوفيات له إنه عاش إلى قرب الستين وثلاثمائة بمدينة رام هُرمز وهو أول كتاب ألف فى علوم الحديث فى ما يغلب على الظن وإن كان يوجـد قبله مصنفات مفردة فى أشيـاء من فنونه لكن هو أجمع مـا جمع من ذلك فى زمانه وإن كـان لم يستوعب، ثم كتاب علـوم الحديث لأبى عبد الله الحاكم لكنـه لم يهذب ولم يـرتب، وتـلاه أبـو نعيم الأصبهـانى فعمل علـى كتـابـه مستخـرجًا وأبقى أشيـاء للمتعقب، ثم جاء بعـدهم الخطيب أبـو بكـر البغدادى فصنـف فى قوانين الـرواية وأصـولها كتـابًا سمـاه الكفايـة وفى آدابها كتـابًـا سماه الجـامع لآداب الشيخ والسامع وكل منهما غاية فى بابه وقل فن من فنون الحديث إلا وقد صنف فيه كتابًا مفردًا، وكـان كما قال الحافظ أبو بكر بن نقطـة كل من أنصف علم أن المحـدثين بعد الخطيب عيـال على كتبـه، ثم جـاء بعـدهم القاضـى عياض فصنف كتـابًـا لطيفًا سماه الإلماع إلى معرفة أصول الروايات وتقييد السماع، والحـافظ أبو حفص الميـانجى فجمع جـزءًا سماه مـالا يسع المحدث جهلـه. والحافـظ أبو جعفر عمـر بن عبـد المجيد

المقدسى فصنف كتاب إيضاح ما لا يسع المحدث جهله إلى غير ذلك.

(السُّنَّة والتشريع ــ د. موسى شاهين لاشين. هدية مجلة الأزهر. شعبان ١٤١١هـ/ ٨، ٩ والحديث والمحدثون ـ محمد محمد أبو زهو / ٤٥٣ ـ ٤٦٢ ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢/ ٥٥١، ٥٥٢، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنّوجى ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكّار جـ٢ ق١/ ٢٨٠ ـ ٢٨٧ والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى / ١٠٧. انظر أيضًا مقدمة ابن خلدون / ٤٤٠ ـ ٤٤٥).

*** الحديث القدسى:**

عن الحديث القدسى، والفرق بينه وبين القرآن والحديث النبوى يقول صاحب قواعد التحديث:

قال العلامة الشهاب ابن حجر الهيتمى فى شرح الأربعين النووية، فى شرح الحديث الرابع والعشرين المسلسل بالدمشقيين، وهو حديث أبى ذر الغفارى رضى الله عنه عن النبى ﷺ، فيما يرويه عن ربه تعالى أنه قال: «يا عبادى! إنى حرمت الظلم على نفسى، وجعلته بينكم محرّمًا فلا تظالموا ... الحديث» ما نصُّه:

«فائدة يعمُّ نفعها، ويعظم وقعها، فى الفرق بين الوحى المتلو وهو «القرآن» والوحى المروى عنه ﷺ عن ربه عز وجل، وهو ما ورد من الأحاديث الإلّهية، وتسمى «القدسية» وهى أكثر من مائة، وقد جمعها بعضهم فى جزء كبير، وحديث «أبى ذر» هذا من أجلها:

«اعلم: أن الكلام المضاف إليه تعالى أقسامٌ ثلاثة:

أولها: وهو أشرفها «القرآن»، لتميُّزه عن البقية بإعجازه من أوجه كثيرة، وكونه معجزة باقية على ممر الدهر، محفوظة من التغيير والتبديل، وبحرمة مسه لمحدث، وتلاوته لنحو الجُنب، وروايته بالمعنى، وبتعينه فى الصلاة وبتسميته قرآنًا، وبأن كلَّ حرف منه بعشر حسنات، وبامتناع بيعه فى رواية عند أحمد، وكراهته عندنا، وبتسمية الجملة آية وسورة، وغيره من بقية الكتب والأحاديث القدسية لا يثبتُ لها شىء من ذلك، فيجوزُ مسُّه وتلاوته لمن ذُكر، وروايته بالمعنى، ولا يُجزى فى الصلاة، بل يُبطلها، ولا يسمى قرآنًا، ولا يعطى قارئه بكل حرف عشرًا، ولا يمنع بيعه، ولا يكرهُ اتفاقًا ولا يُسمى بعضه آية ولا سورة اتفاقًا أيضًا.

ثانيها: كُتبُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قبل تغييرها وتبديلها.

ثالثها: بقية الأحاديث القدسيَّة، هى ما نقل إلينا آحادًا عنه ﷺ، مع إسناده لها عن ربه، فهى من كلامه تعالى، فتُضاف إليه، وهو الأغلب، ونسبتها إليه حينئذٍ نسبة إنشاء، لأنه المتكلم بها أولاً وقد تُضاف إلى النبى ﷺ، لأنه المخبر بها عن الله تعالى، بخلاف القرآن، فإنه لا يُضاف إلا إليه تعالى، فيُقال فيه: «قال الله تعالى». وفيها «قال رسول الله ﷺ فيما يروى عن ربه تعالى» واختلف فى بقية السُّنة، هل هو كله بوحى أو لا؟ وآية ﴿وما ينطقُ عن الهوى﴾ [النجم: ٣] تؤيد الأول؟ ومن ثم قال ﷺ: «ألا إنى أوتيتُ الكتاب ومثلهُ معهُ» (من رواية أبى داود فى سننه) ولا تنحصر تلك الأحاديث القدسية فى كيفية من كيفيات الوحى، بل يجوز أن تنزل بأى كيفية من كيفياته، كرؤيا النوم، والإلقاء فى الروع (الرَّوْع: القلب) وعلى لسان الملك. ولراويها صيغتان: إحداهما: أن يقول: «قال رسول الله ﷺ: فيما يروى عن ربه» وهى عبارة السلف، ومن ثم آثرها النووى. ثانيتهما: أن يقول: «قال الله تعالى، فيما رواه عنه رسول الله ﷺ والمعنى واحد» انتهى.

وفى كليات أبى البقاء، فى الفرق بين القرآن والحديث القدسى (الكليات لأبى البقاء الكفوى / ٢٨٨): «أن القرآن ما كان لفظهُ ومعناه من عند الله بوحى جلى، وأما الحديث القدسى، فهو ما كان لفظه من عند الرسول، ومعناه من عند الله بالإلهام أو بالمنام. وقال بعضهم: «القرآن لفظ معجزٌ، ومنزلٌ بواسطة جبريل، والحديثُ القدسىُّ غير معجز. وبدون الواسطة، ومثله يُسمى بالحديث القدسى والإلّهى والرَّبَّانى».

وقال الطيبى: «القرآن هو اللفظُ المنزل به جبريل على النبى، والقدسى إخبار الله معناه بالإلهام أو بالمنام، فأخبر النبى أُمته بعبارة نفسه، وسائر الأحاديث لم يُضفها إلى الله تعالى، ولم يروها عنه تعالى». انتهى.

وقال العلامة السيد أحمد بن المبارك رحمه الله تعالى فى «الإبريز»: «وسألتهُ ـ يعنى أستاذه نجم العرفان السيد عبد العزيز الدباغ قدس الله سرَّه ـ الفرقَ بين هذه الثلاثة يعنى: القرآن، والحديث القدسى، وغير القدسى، فقال قُدس سرُّه: الفرقُ بين هذه الثلاثة، وإن كانت كلُّها خرجت من بين

شفتيه ﷺ وكلُّها معها أنوار من أنواره ﷺ: إن النور الذى فى القرآن، قديمٌ من ذات الحق سبحانه، لأن كلامه تعالى قديم والنورُ الذى فى الحديث القدسى من روحه ﷺ، وليس هو مثل نور القرآن، فإن نور القرآن قديمٌ، ونور هذا ليس بقديم، والنور الذى فى الحديث الذى ليس بقدسى من ذاته ﷺ، فهى أنوار ثلاثة، اختلفت بالإضافة، فنور القرآن من ذات الحق سبحانه، ونور الحديث القدسى من روحه ﷺ، ونور ما ليس بقدسى من ذاته ﷺ».

فقلت: « ما الفرق بين نور الروح ونور الذات؟ ».

فقال رضى الله عنه: « الذات خلقت من تراب، ومن التراب خلِق سائرُ العباد، والروحُ من الملأ الأعلى، وهم أعرف الخلق بالحق سبحانه، وكل واحد يحنُّ إلى أصله، فكان نور الروح متعلقًا بالحق سبحانه، ونور الذات متعلقًا بالخلق، فلذا ترى الأحاديث القدسية تتعلَّقُ بالحق سبحانه وتعالى بتبيين عظمته، أو بإظهار رحمته، أو بالتنبيه على سعة ملكه وكثرة عطائه. فمن الأول حديث: « يا عبادى! لو أن أولكُم وآخركُمْ، وإنسكُمْ وجنكُمْ ... إلى آخره » وهو حديث أبى ذر فى مسلم. ومن الثانى حديث: « أعددت لعبادى الصالحين ... الحديث » (أخرجاه فى الصحيحين من رواية عبد الرزاق وغيرهما). ومن الثالث حديث: « يدُ الله ملأى، لا يُغيضها نفقة، سحَّاءُ الليل والنَّهار » (أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد من حديث أبى هريرة) ... إلخ. وهذه من علوم الروح فى الحق سبحانه، وترى الأحاديث التى ليست بقدسية تتكلم على ما يُصلح البلاد والعباد، بذكر الحلال والحرام، والحثِّ على الامتثال بذكر الوعد والوعيد ». هذا بعضُ ما فهمتُ من كلامه رضى الله عنه، والحق أنى لم أُوف به، ولم آت بجميع المعنى الذى أشار إليه ».

فقلت: « الحديث القدسى من كلام الله عز وجل أم لا؟ ».

فقال: « ليس هو من كلامه، وإنما هو من كلام النبى ﷺ ».

فقلت: « فَلِمَ أُضيف للرب سبحانه، فقيل فيه: « حديث قدسى » وقيل فيه: « فيما يرويه عن ربه » وإذا كان من كلامه عليه السلام، فأىُّ رواية له فيه عن ربه، وكيف نعمل مع هذه الضمائر، فى قوله: « يا عبادى لو أن أولكم وآخركم ... إلخ» وقوله: « أعددت لعبادى الصالحين ... » وقوله: « أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ... » (أخرجه الشيخان فى صحيحيهما وغيرهما بألفاظ مختلفة) فإن هذه الضمائر لا تليق إلا بالله! فتكون الأحاديث القدسية من كلام الله تعالى وإن لم تكن ألفاظُها للإعجاز، ولا تعبَّدنا بتلاوتها ».

فقال رضى الله عنه مرة: « إن الأنوار من الحق سبحانه، تهبُّ على ذات النبى ﷺ، حتى تحصل له مشاهدة خاصة - وإن كان دائمًا فى المشاهدة - فإن سمع مع الأنوار كلام الحق سبحانه، أو نزل عليه ملك، فذلك هو « القرآن » وإن لم يسمع كلامًا، ولا نزل عليه ملك، فذلك وقت الحديث القدسى. فيتكلم عليه الصلاة والسلام ولا يتكلم حينئذ إلا فى شأن الربوبية، بتعظيمها وذكر حقوقها، ووجهُ إضافة هذا الكلام إلى الرب سبحانه، أنه كان مع هذه المشاهدة التى اختلطت فيها الأمور، حتى رجع الغيبُ شهادة، والباطن ظاهرًا، فأضيف إلى الرب، وقيل فيه: « حديث ربانى » وقيل فيه: « فيما يرويه عن ربه عز وجل » ووجه الضمائر، أنَّ كلامه عليه السلام، خرج على حكاية لسان الحال التى شاهدها من ربه عزَّ وجل. وأما الحديث الذى ليس بقدسى، فإنه يخرجُ مع النور الساكن فى ذاته عليه السلام، الذى لا يغيبُ عنها أبدًا، وذلك أنه عزَّ وجل، أمدَّ ذاته عليه السلام بأنوار الحق، كما أمدَّ جرم الشمس بالأنوار المحسوسة، فالنور لازم للذات الشريفة لزوم نور الشمس لها ».

وقال مرة أخرى: « وإذا فرضنا محمومًا دامت عليه الحُمَّى على قدر معلوم، وفرضناها تارة تقوى، حتى يخرج بها عن حسِّه، ويتكلم بما لا يدرى، وفرضناها مرةً أخرى تقوى ولا تُخرجُهُ عن حسه، ويبقى على عقله، ويتكلم بما يدرى، فصار لهذه الحمى ثلاثة أحوال: قدرها المعلوم، وقوَّتها المُخرجة عن الحس، وقُوَّتُها التى لا تخرج عن الحس، فكذا الأنوارُ فى ذاته عليه السلام، فإن كانت على القدر المعلوم، فما كان من الكلام حينئذ فهو الحديثُ الذى ليس بقدسى، وإن سطعت الأنوارُ، وشُغلت فى الذات، حتى خرج بها عليه السلام عن حالته المعلومة، فما كان الكلام حينئذ، فهو كلام الله سبحانه، وهذه كانت حالته عليه السلام عند نزول القرآن عليه، وإن سطعت الأنوارُ ولم تُخرجه عن حالته عليه السلام فما كان من الكلام حينئذ قيل فيه: حديث قدسى ».

وقال مرة: « إذا تكلم النبى ﷺ وكان الكلام بغير اختياره، فهو « القرآن » وإن كان باختياره، فإن سطعت حينئذ أنوارٌ عارضة، فهو الحديثُ القدسى، وإن كانت الأنوار الدائمةُ، فهو الحديث الذى ليس بقدسى، ولأجل أن كلامه ﷺ، لا بد أن تكون معه أنوار الحق سبحانه، كان جميع ما يتكلم به ﷺ وحيا يُوحى، وباختلاف أحوال الأنوار، افترق إلى الأقسام الثلاثة، والله أعلم ».

قال السيد أحمد بن المبارك: « فقلتُ هذا كلام فى غاية الحسن، ولكن ما الدليلُ على أنَّ الحديث القدسى ليس من كلامه عزَّ وجل؟ ».

فقال رضى الله عنه: « كلامه تعالى لا يخفى » فقلت: «بكشف؟ » فقال رضى الله عنه: « بكشف وبغير كشفٍ، وكلُّ من لهُ عقلٌ، وأنصت للقرآن، ثم أنصت لغيره، أدرك الفرق لا محالة، والصحابة رضى الله عنهم، أعقلُ الناس وما تركوا دينهم الذى كانت عليه الآباءُ، إلاَّ بما وضح من كلامه تعالى، ولو لم يكن عند النبى ﷺ إلاَّ ما يشبهُ الأحاديث القُدسية، ما آمن من الناس أحدٌ، ولكن الذى ظلتْ له الأعناقُ خاضعة، هو القرآن العزيز، الذى هو كلام الرب سبحانه وتعالى ».

فقلت له: « ومن أين لهم أنه كلامُ الرب تعالى، وإنما كانوا على عبادة الأوثان، ولم تسبق لهم معرفة بالله عزَّ وجلَّ، حتى يعلموا أنه كلامُهُ، وغايةُ ما أدركوه أنه كلام خارج عن طوق البشر، فلعلهُ من عند الملائكة مثلاً ؟ ».

فقال رضى الله عنه: « كل من استمع القرآن، وأجرى معانيه على قلبه، علم علمًا ضروريًّا، أنه كلام الرب سبحانه، فإن العظمة التى فيه، والسطوة التى عليه، ليست إلاَّ عظمة الربوبية، وسطوة الألوهية، والعاقل الكيِّسُ، إذا استمع لكلام السلطان الحادث، ثم استمع لكلام رعيته، وجد لكلام السلطان نفسًا به يُعرف، حتى إنَّا لو فرضناه أعمى، وجاء إلى جماعة يتكلمون، والسلطانُ مغمورٌ فيهم، وهم يتناوبون الكلام، لميَّز كلام السلطان من غيره، بحيث لا تدخله فى ذلك ريبة، هذا فى الحادث مع الحادث، فكيف بالكلام القديم، وقد عرف الصحابة رضى الله عنهم من القرآن ربَّهم عزَّ وجلَّ، وعرفوا صفاته، وما يستحقه من ربوبيته، وقام لهم سماعُ القرآن فى إفادة العلم القطعى به عزَّ وجلَّ، مقام المُعاينة والمُشاهدة، وحتى صار الحق سبحانه عندهم بمنزلة الجليس، ولا يخفى على أحدٍ جليسهُ ».

ثم نقل ابن المبارك كلام أُستاذه المنوَّه به، فى ما يعرف بها كلامه تعالى، فانظره. وما نقلنا بحثُه المذكور إلا لنفاسته، لأنه منزعٌ بديع، ينشرح له القلب، والله العليم. اهـ.

وقد أوردنا بيانًا بالكتب المصنَّفة فى الأحاديث القدسية نقلا عن الرسالة المستطرفة (ص ٦٠، ٦١) تحت عنوان «الأحاديث القدسية» (كتب فى ــ) وذلك فى م٢/ ٤٩٤. فانظرها فى موضعها.

(قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث للشيخ محمد جمال الدين القاسمى - تحقيق محمد بهجة البيطار، تقديم محمد رشيد رضا / ٦٤ ــ ٧٠. انظر أيضًا الأحاديث القدسية. وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. لجنة السُّنَّة. الطبعة السابعة. القاهرة ١٤٠٨هـ ـ١٩٨٨م/ ١/ ٣ـ٧، ومناهل العرفان فى علوم القرآن - لفضيلة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ــ خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين ١/ ٥٠، ٥١، والإتحافات السنية بالأحاديث القدسية لزين الدين عبد الرءوف بن تاج الدين المناوى الحدادى، وعليه النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية لمحمد منير الدمشقى الأزهرى. مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده. الطبعة الرابعة ١٣٩٧هــ ـ١٩٧٣م/ ٢، ٣، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٢٨٠، ٢٨١ والناقد الحديث فى علوم الحديث ــ الشيخ محمد المبارك عبد الله / ١٢٤، والرسالة المستطرفة للإمام السيد محمد بن جعفر الكتانى/ ٦٠، ٦١).

انظر: الأحاديث القدسية (كتب فى ـ).

*** الحديث (كتب فى -):**

نبدأ ببيان طرق تصنيف الحديث على النحو التالى:

طرق تصنيف الحديث على نوعين:

أ - تصنيف الأصول وهى التى يسند فيها الحديث من المصنف إلى غاية الإسناد وله طرق فمنها.

١ - التصنيف على الأجزاء بأن يُجعل لكل باب من أبواب العلم جزء خاص مستقل، فيجعل لباب الصلاة جزء خاص ولباب الزكاة جزء خاص وهكذا: ويذكر أن هذه طريقة الزهرى ومن فى زمنه.

٢ - التصنيف على الأبواب بحيث يجعل فى الجزء الواحد

أكثر من باب وترتب على المواضيع كترتيب أبواب الفقه أو غيره مثل طريقة البخارى ومسلم وأصحاب السنن.

٣ - التصنيف على المسانيد بحيث يجمع أحاديث كل صحابى على حدة فيذكر فى مسند أبى بكر جميع ما رواه عن أبى بكر وفى مسند عمر جميع ما رواه عن عمر وهكذا مثل طريقة الإمام أحمد فى مسنده.

ب - تصنيف الفروع وهى التى ينقلها مصنفوها من الأصول معزوة إلى أصلها بغير إسناد وله طرق أيضًا فمنها:

١ - التصنيف على الأبواب مثل: بلوغ المرام لابن حجر العسقلانى وعمدة الأحكام لعبد الغنى المقدسى.

٢ - التصنيف مرتبًا على الحروف مثل: الجامع الصغير للسيوطى. إلى غير ذلك من الطرق الكثيرة من النوعين حسبما يراه أهل الحديث أقرب إلى تحصيله وتحقيقه (مصطلح الحديث/ ٥٢، ٥٣).

والكتب المصنفة فى علم الحديث أكثر من أن تحصى لكن استوعبنا ما وقفنا عليه فى كتابنا (إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء المحدثين) بالفارسية على ترتيب حروف المعجم. قال فى « مدينة العلوم »: لكن اتفق السلف من مشائخ الحديث على أن أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى صحيح البخارى وصحيح مسلم، وأصحهما صحيح البخارى، وهو الإمام شيخ السنة ونور الإسلام وحافظ العصر وبركة الله فى أرضه الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفى البخارى رحمه الله، وكان والى بخارا جُعفيًّا، وهو نسبة إلى قبيلة باليمن ونسب البخارى إليها بالولاء، والإمام مسلم بن الحجاج القشيرى البغدادى أحد الأئمة الحفاظ وأعلم المحدثين إمام خراسان فى الحديث بعد البخارى، ومن الصحاح كتاب سنن أبى دادو الأزدى السجستانى، وكتاب الترمذى وكتاب النسائى، والنووى عدد هذه الخمسة فى الأصول إلا أن الجمهور جعلها ستة وعدُّوا منها كتاب الموطأ لإمام دار الهجرة وقدوة المتقين وأحد الأئمة المجتهدين الإمام مالك بن أنس، وجعل بعضهم كتاب الموطأ بعد الترمذى وقبل النسائى، والأصح أنه بعد مسلم فى الرتبة، وعدَّ بعضهم بدل الموطأ كتاب ابن ماجه محمد بن يزيد الحافظ القزوينى.

واعلم أن المحدِّثين ألحقوا بالكتب الستة (الأمهات الست) جامع أبى الحسن رزين العبدرى صاحب « الجمع بين الصحاح ». وجامع الحميدى بين الصحيحين وجامع البرقانى لجمعه بينهما، وجامع أبى مسعود الدمشقى أيضًا لجمعه بين الصحيحين، ثم اختاروا من المصنفين سبعة وألحقوا كتبهم بالصحاح لعظم نفعها منهم: الدارقطنى والحاكم أبو عبد الله النيسابورى وأبو محمد عبد الغنى الأزدى المصرى وأبو نعيم الأصبهانى صاحب (الحلية) وابن عبد البر حافظ المغرب والبيهقى والخطيب البغدادى. انتهى ملخصًا. (أبجد العلوم جـ٢ ق١/ ٢٧٩ - ٢٨٠).

ويذكر صاحب كشف الظنون عددا من المصنفات فى علم الحديث مرتبة على الحروف وهى:

الإبانة - للوايلى.

إبراز الحكم.

إتحاف الخيرة بزوائد المسانيد العشرة.

إتحاف السامع -

الإتحافات السنية -

إتحاف المهرة بأطراف العشرة -

آثار النيرين -

أجزاء الأحاديث - كثيرة.

الأحاديث الثمانية الغالية -

الأحاديث الحسان -

الأحاديث الضعيفة -

الأحاديث القدسية -

الأحاديث المنيفة -

أحسن الحديث -

الأحكام الصغرى -

الأحكام الكبرى -

إحياء الميت -

اختلاف الحديث -

الأدب المفرد -

أذكار النووى -

أربعينيات (أربعينيات) الحديث - كثيرة.

أزهار الأحاديث -

الأزهار شرح المصابيح -

أسباب الحديث -

الاستذكار شرح الموطأ -

الإشراف على معرفة الأطراف -

أطراف الصحيحين .

أطراف الكتب الستة -

أطراف المسند المعتلى -

الاعتصام بالحديث -

إغراب الحديث -

أعلام السنن -

الإفصاح عن شرح معانى الصحاح -

أقضية الرسول ﷺ -

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى تأليف أبى عبد الله محمد بن فرج المالكى القرطبى . دار الوعى . حلب . الطبعة الثانية ، جمادى الآخرة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

إقناع أبى الفضل -

الإكليل للحاكم -

الإلزامات على الصحيحين -

ألف حديث -

الإلمام فى أحاديث الأحكام -

أمالى ابن عساكر - وابن شمعون وأبى طاهر وأبى عبد الله الضبى و(أبى) سلمان الحلوانى وأبى عثمان الأصبهانى ومحمد بن ناصر وأبى القاسم بن بشران والبزار والجوهرى والزعفرانى والقضاعى .

الأمالى المرضية -

الإنباه للقضاعى -

انتحاء السنن -

أنوار البوارق فى شرح المشارق -

أنوار المشكاة -

الأوسط فى السنن -

ب

البدر المنير تخريج الشرح الكبير -

بلوغ المرام -

ت

تجريد الصحاح -

تجريد الأصول -

التجريد الصريح -

تحفة السامع -

تحفة المهرة -

تحفة النابه -

التحقيق فى أحاديث الخلاف -

تخريج أحاديث الكتب - متعدد .

الترغيب والترهيب . (كشف الظنون ١/ ٦٤٠ - ٦٤٤) .

ويقدم صاحب الرسالة المستطرفة معلومات ثمينة عن الكتب المؤلفة فى علم الحديث ، وأسماء مؤلفيها ، كما يصنفها وفقا لأنواعها . ونكتفى هنا بذكر عناوينها كما وردت فى فهرس هذا الكتاب النفيس حيث إن الكلام عليها سيرد فى مواضعه إن شاء الله تعالى .

١ - أمهات الكتب الحديثة .

٢ - كتب الأئمة الأربعة .

٣ - كتب الصحة .

٤ - الكتب المخرجة على الصحيحين (المستخرجات على الصحيحين أو أحدهما) .

٥ - كتب السنن .

٦ - كتب السُّنَّة .

٧ - كتب مرتبة على الأبواب الفقهية .

٨ - كتب مفردة فى أبواب مخصوصة .

٩ - كتب مفردة فى الآداب والأخلاق والترغيب والترهيب ... إلخ .

١٠ - المسانيد .

١١ - كتب فى الأحاديث المسلسلة .

١٢ - كتب فى المراسيل .

١٣ - أجزاء حديثية .

١٤ - كتب الفوائد الحديثية .

١٥ - كتب فى أحاديث شيوخ مخصوصين .
١٦ - كتب فى جمع طرق بعض الأحاديث .
١٧ - كتب فى رواة بعض الأئمة أو فى غرائب أحاديثهم .
١٨ - كتب فى الأحاديث الأفراد .
١٩ - كتب فى المتفق والمؤتلف .
٢٠ - كتب فى معرفة الأسماء والكنى والألقاب .
٢١ - كتب فى مبهم الأسانيد والمتون .
٢٢ - كتب فى الأنساب .
٢٣ - كتب فى معرفة الصحابة .
٢٤ - كتب فى تواريخ الرجال وأحوالهم .
٢٥ - كتب المعاجم .
٢٦ - كتب الطبقات .
٢٧ - كتب فى المشيخات .
٢٨ - كتب فى علوم الحديث . أوردناها فى مادة «الحديث (علوم -) فانظرها فى موضعها .
٢٩ - كتب فى الضعفاء أو فى الثقات أو فيهما .
٣٠ - كتب فى العلل .
٣١ - كتب فى الموضوعات .
٣٢ - كتب فى بيان غريب الحديث .
٣٣ - كتب فى العلل .
٣٤ - كتب الأمالى .
٣٥ - كتب رواية الأكابر عن الأصاغر .
٣٦ - كتب فى آداب الرواية .
٣٧ - كتب فى العوالى .
٣٨ - كتب فى التصوف وطريق القوم .
٣٩ - كتب الأطراف .
٤٠ - كتب الزوائد .
٤١ - كتب فى الجمع بين بعض الكتب الحديثية .
٤٢ - كتب مجردة أو منتقاة من كتب الأحاديث المسندة خصوصا أو عموما .
٤٣ - كتب فى تخريج الأحاديث الواقعة فى كلام بعض المصنِّفين .
٤٤ - كتب فى الأحاديث المشهورة على كل الألسنة .
٤٥ - كتب الفتاوى الحديثية .
٤٦ - كتب مفردة فى جمع أحاديث بعض أنواع الحديث .
٤٧ - كتب من التفاسير والشروح الحديثية .
٤٨ - كتب فى السيرة النبوية والخصائص المحمدية .
٤٩ - كتب فى أسماء الصحابة .
٥٠ - كتب فى بيان حال الرواة .
٥١ - كتب فى الوفيات .
٥٢ - كتب فى علم المصطلح (الرسالة المستطرفة / ١٦٧ - ١٧٩) .

وقد وجدنا أنه من المفيد أن نورد هنا بيانًا بكتب علم الحديث التى كانت تُدرَّس فى مدارس القدس الشريف أعاده الله ديار إسلام ، وهى فى مجموعها يمكن أن تكون برنامجًا دراسيًّا يحتذى ، كما أنها تعكس المستوى العلمى للتدريس فى بيت المقدس .

وفى إحصائه لها يقول الدكتور عبد الجليل حسن عبد المهدى :

كان المحدثون يركزون على دراسة أمهات كتب الحديث بعامة ، والكتب الستة فى الحديث بخاصة ، وهى : صحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، وسنن الترمذى ، وسنن النسائى ، وسنن أبى داود ، وسنن ابن ماجه ، وكانت هذه الكتب « هى الأساس لدراسة الحديث . وللتأليف فيه ، فرأينا طائفة من العلماء قد تصدت لشرح هذه الكتب ، أو اختصارها أو للجمع بينها ، أو إعرابها . أو معرفة ما اتفق فيه مؤلفوها .

ومما يوضح هذا أمثلة كثيرة ، ومنها ما ذكره السخاوى وغيره فى الحديث عن جمال الدين عبد الله بن محمد بن جماعة المقدسى ، فقد ذكر أنه كان يدرس صحيح البخارى فى بيت المقدس ، وممن قرأه عليه الشيخ شمس الدين محمد ابن أحمد الأزرقى الشويكى الأصل الخليلى الشافعى ، وقرأ القاضى شمس الدين بن عبد الرحمن العمرى العليمى الحنبلى صحيح البخارى مرارا على أئمة الحديث ، كما يذكر مجير الدين الحنبلى . كان الإمام سراج الدين بن مسافر بن زكريا الرومى ثم المقدسى الحنفى معتنيا بالنظر فى صحيح

البخارى وشروحه وتدريسه . ونص السخاوى على أن قراءة البخارى كانت تقترن بالبحث والتنقيب والتدقيق ، فقد ذكر أن الشيخ علاء الدين أبا الفضل على بن محمد بن أبى اللطف الحصكفى قرأ البخارى على كمال الدين بن أبى شريف ، شيخ الصلاحية ، بحثا ، ولازمه عشر سنين . وقرأ عليه كتبا فى الحديث ، ومنها : ألفية الحديث ، وجزء أبى الجهم ، وغيرهما (صاحبه : العلاء بن موسى بن عطية الباهلى المتوفى سنة ٢٢٨هـ ، وله جزء مشهور فى الحديث ، وهو من أعلى المرويات . روى فيه عن الليث بن سعد وجماعته . خرج له الترمذى) .

وكان السخاوى نفسه قد سمع ختم صحيح البخارى على أبى الخير العلائى ، فى بيت المقدس ، وقرأ عليه جزءا منه .

وقرأ بدر الدين حسن بن على بن يوسف الإربلى الأصلى الحصكفى الحلبى الشافعى الشهير بابن السيوفى ، الصحيحين فى بيت المقدس على برهان الدين الحلبى ، وقرأ عليه غيرهما من كتب الحديث . وأخذ الحديث عن أشهر المحدثين .

وذكر ابن حجر العسقلانى أن محمد بن أبى بكر بن أحمد ابن عبد الدائم المقدسى سمع صحيح مسلم على جده ، كما سمع عليه العديد من كتب الحديث .

وذكر السخاوى وغيره أن القاضى برهان الدين إبراهيم بن حسن العرابى المقدسى الشافعى وكان فقيها من فقهاء الصلاحية ، قد سمع الصحيح على تقى الدين القلقشندى ، وبرهان الدين بن جماعة ، وأبى الخير العلائى . وسمع صحيح مسلم على العلائى ، كما سمع جامع الترمذى على عدد من المحدثين .

وذكر السخاوى إن شهاب الدين أبا الخير أحمد بن خليل العلائى الدمشقى ثم المقدسى صاحب مرويات كثيرة ، ومنها ، الصحيح ، والسنن لابن ماجه ، والجامع للترمذى ، وغيرها . وسمع منه ابن حجر العسقلانى ، فقد ذكر أنه حصل على الإجازة منه أكثر من مرة . وسمع منه عدد من طلاب العلم الذين أصبحوا من أشهر العلماء من أمثال شهاب الدين ابن أرسلان ، وتقى الدين القلقشندى ، وجمال الدين بن جماعة ، وغيرهم .

وذكر السخاوى أن شهاب الدين بن أرسلان سمع جامع الترمذى ، ومسند الشافعى على أبى الخير العلائى . « وكانت الرحلة فى سماع الحديث بالقدس إليه » كما يذكر ابن حجر العسقلانى والسخاوى .

ومن الكتب الأخرى التى لاقت عناية جلية كتاب الألفية فى أصول الحديث للشيخ الإمام الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى ، وتمثلت العناية بهذا الكتاب فى حفظه وشرحه ودراسته . فقد حفظه الكثير من طالبى العلم ، ومن ذلك أن شهاب الدين أحمد بن على بن جماعة المقدسى ، حفظ الألفية فى الحديث ، وسمع الكثير منه . وممن حفظه أيضًا جمال الدين عبد الله بن محمد بن غانم الأنصارى الخزرجى المقدسى وكان جمال الدين ، قد سمع الحديث من أشهر المحدثين فى بيت المقدس من أمثال تقى الدين القلقشندى ، وجمال الدين بن جماعة ، وهما ممن كانوا يدرسون بالمدرسة الصلاحية فى بيت المقدس .

وشرحه العديد من العلماء ، ومنهم أبو الفداء إسماعيل بن إبراهيم بن جماعة الكنانى المقدسى وغيره .

ولا شك أن كتاب الإمام الحافظ تقى الدين أبى عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح ، شيخ المدرسة الصلاحية ، وهو الكتاب المعروف بمقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث لقى عناية كبيرة ، علما بأن هذا الكتاب كان أصلا اعتمد عليه زين الدين العراقى فى ألفيته .

ومنها كتاب « مصابيح السنة » للإمام حسين بن مسعود البغوى الشافعى ، وهو من الكتب التى نالت عناية كبيرة ، ويبدو ذلك فى شروحة الكثيرة ، وحفظه ، وغير ذلك ، فقد عنى به العلماء بالقراءة والتعليق . وتبدو أهمية الكتاب فى وصف صاحبه بأنه « محيى السنة » وأنه جامع « لعلوم القرآن والسنة والفقه » .

ومنها كتاب « مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية » للإمام رضى الدين حسن بن محمد الصغانى أو الصاغانى ، وذكر المصنف أنه جمع فى كتابه ما يزيد على ألفين من الأحاديث الصحاح ، ورتبه فى أبواب . ونال هذا الكتاب عناية كبيرة تمثلت فى شروحه ومختصراته ، وحفظه ودراسته ، ومن مختصراته مختصر محمد بن محمد الأسدى

المقدسى، وسمى مختصره « دقائق الآثار فى مختصر مشارق الأنوار » ومن الطبيعى أن ترتبط الشروح فى هذا الكتاب، وفى غيره من الكتب، بالغاية التعليمية، ويؤكد ذلك ما ذكره بعض شارحيه، كما يبدو فى قول أحدهم: « إنه درس فى أثناء تدريسه المشارق » واستفاد من الشروح الأخرى.

ومنها كتاب « مشارق الأنوار على صحاح الآثار » فى تفسير غريب الحديث المختص بصحيح البخارى، وصحيح مسلم، وموطأ مالك، لمصنفه القاضى أبى الفضل عياض بن موسى اليحصبى، وهو كتاب مفيد جدا.

ومما يوضح هذا ما ذكره السخاوى ومجير الدين الحنبلى، فقد ذكرا أن قاضى القضاة سعد الدين الديرى كان يروى كتاب مصابيح السنة للبغوى، وكتاب مشارق الأنوار للصاغانى، وقد قرأهما على الشيخ كريم الدين عبد الكريم القرمانى وحصل على الإذن فى رواية هذين الكتابين.

وكان الشيخ الإمام سراج الدين بن مسافر بن زكريا الرومى ثم المقدسى الحنفى معنيا بالنظر فى العديد من كتب الحديث، ومنها كتاب مصابيح السنة وشروحه.

وكان سراج الدين مشتغلا بالعلم فى بيت المقدس، وكان شيخ المدرسة العثمانية فيه. وفى هذا المجال، نضيف إلى ما سبق، أن سعد الدين الديرى كان متوليا مشيخة المدرسة المعظمية والتدريس فيها، ولا شك أنه عنى بالكتابين السابقين: المصابيح والمشارق، ودرَّسهما. وذكر السخاوى أن سعد الدين هذا، كان معنيا أيضًا بكتاب المشارق للقاضى عياض، فحفظه ودَرَسه ودرَّسه.

ومنها كتاب « نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر » للحافظ ابن حجر العسقلانى، وهو كتاب مهم من كتب الحديث. و « متن متن فى علومه » وقد شرح هذا الكتاب شروحا كثيرة، ونظم أيضًا، وعنى به طالبو العلم. ومن ذلك أن قاضى القضاة شهاب الدين أبا الأسباط أحمد بن عبد الرحمن الرملى الشافعى حفظ هذا الكتاب على مصنفه ابن حجر، وحصل منه على الإجازة والإذن بالإقراء. وقرأ الشيخ سراج الدين عمر بن محمد الجعبرى الخليلى الشافعى كتاب نخبة الفكر على تاج الدين الغرابيلى فى بيت المقدس، وقد لازمه، وأخذ عنه فى الحديث وغيره.

ومنها كتاب « النفحات القدسية » فى الحديث والتفسير لشيخ الإسلام الإمام صلاح الدين بن كيكلدى العلائى، شيخ المدرسة الصلاحية وشيخ دار الحديث السيفية أو التنكزية وقد درس العلائى مصنفه هذا، وغيره من كتب الحديث، وتخرج على يديه العديد من طالبى العلم، وحصلوا منه على الإجازات.

وذكر الصفدى أنه اجتمع بالعلائى فى بيت المقدس، وارتوى من « فوائده فى كل علم » وصفه بأن لم ير مثله « فى تحقيق ما يقوله وتدقيقه » (انظر الدارس فى المدارس ١/ ٦٢).

ومما تجدر الإشارة إليه أن سماع الحديث وروايته ودراسته، لم تقتصر على الكتب التى ذكرت، فقد عنى المحدثون، ودارسو الحديث، وسامعوه بسماع أجزاء كثيرة من مرويات الحفاظ فى القرنين الثالث والرابع الهجريين، وفى العصرين الأيوبى والمملوكى اللذين نتحدث عن المدارس فى بيت المقدس فيهما. ومن هذه الأجزاء فى الحديث جزء أبى مُسْهِر، عبد الأعلى بن مُسهر بن عبد الأعلى الغسانى الدمشقى وقد روى عنه البخارى، واعتبره أحمد بن حنبل واحدا من أفضل محدثى عصره فى دمشق » وهو عالم أهل الشام.

ومنها جزء ابن عرفة، الحسن بن عرفة العبدى البغدادى، وقد « روى عن عبد الله بن المبارك وغيره، وروى عنه الترمذى، وابن ماجه، وغيرهما ».

ومنها جزء ابن الفرات، أحمد بن الفرات، وجزء ابن جوصاء، الحافظ أبى الحسن أحمد بن عمير بن يوسف بن جوصاء، محدث الشام، وقد كان ركنا من أركان الحديث، وجزء أبى الجهم المتقدم ذكره، وجزء البطاقة لحمزة بن محمد ابن على الكنانى، وكان محدثا ثقة، وإمامًا من أئمة الحديث، روى عنه النسائى والدارقطنى وغيرهما. وكان بصيرا بالحديث وعلله، مقدما فيه، وكان متفقا على تقدمه فى معرفة الحديث. وذكر هذا الجزء باسم: « مجلس البطاقة والحديث المثلث بالأولية ».

ومنها جزء الأنصارى، عبد الله بن محمد بن حبَّان الأنصارى الأصبهانى وكان محدثا ومفسرا مشهورا موثوقا به، وغير ذلك من الأجزاء الحديثية فى القرنين الثالث والرابع الهجريين.

ومن الأجزاء الحديثية الأخرى : جزء الاستقامة للحافظ العلائى المقدسى، وجزء شمس الدين القباقبى الحلبى المقدسى، المشتمل على العشاريات والمسلسلات، وغيرها .

وعنى المشتغلون بالحديث بمختارات منه، وخاصة الأربعينات، وهى مختارات شائعة فى الحديث، وقد صنف العلماء فى هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات، واختلف مقاصدهم فى تأليفها وجمعها وترتيبها، فمنهم من اعتمد على ذكر أحاديث التوحيد وإثبات الصفات، ومنهم من قصد ذكر أحاديث الأحكام، ومنهم من اقتصر على ما يتعلق بالعبادات، ومنهم من اختار حديث المواعظ والرقائق، ومنهم من قصد إخراج ما صح سنده وسلم من الطعن، ومنهم من قصد ما علا إسناده إلى غير ذلك، وسمى كل واحد منهم كتابه بكتاب الأربعين (انظر مادة « الأربعينات (كتب -) فى م٣/ ٥٤٨-٥٥٢) .

ذكر النووى فى خطبة كتابه المشهور بالأربعين النووية أن «من العلماء من جمع الأربعين فى أصول الدين، وبعضهم فى الفروع، وبعضهم فى الجهاد، وبعضهم فى الزهد، وبعضهم فى الآداب، وبعضهم فى الخطب التى كان النبى ﷺ يخطب بها » .

ولا شك أن هذه المختارات الحديثية، قد قصد بها مقاصد عديدة كما تقدم، ولا شك أن تلك الاختيارات كان لها صلة بأوضاع العالم الإسلامى، وبخاصة تلك المختارات فى الجهاد، أو فى التوحيد، أو فى الدعوة إلى التحلى بالخلق القويم، أو غير ذلك، وكان للصراع بين المسلمين وأعدائهم أثر فى شيوع كتب الأربعين فى الجهاد مثلا، أو فى العمل على توضيح أصول العقيدة، وهكذا.

ومن كتب الأربعينات التى شاع الاهتمام بها، وحفظها ودراستها وغير ذلك، كتاب الأربعين فى الحديث لأبى بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجرى (انظر ترجمته فى م١/ ١٧٢) وهى أحاديث مشهورة ذات إسناد عال وكان مختارها ثقة صدوقا دينا وروى عنه جماعة منهم أبو نعيم الأصفهانى .

ومنها كتاب الأربعين للحاكم النيسابورى، ابن البيِّع، محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بالحاكم النيسابورى، صاحب التصانيف فى علوم الحديث، وكان إماما جليلا، اتُّفق على إمامته وجلالته وعظم قدره، وكان إمام أهل الحديث فى عصره . سمع منه أبو بكر القفال الشاشى، ولازمه الدارقطنى وغيرهما .

ومنها كتاب الأربعين للشيخ نصر بن إبراهيم المقدسى، وكتاب الأربعين للشيخ شمس الدين محمد بن محمد الجزرى شيخ الصلاحية، وقد اختار فيه « ما هو أصح وأفصح وأوجز » وكان الجزرى قد تصدى لنشر علم القراءات، والتحديث، وقيل إنه « تفرد بعلو الرواية، وحفظ الأحاديث، والجرح والتعديل، ومعرفة الرواة المتقدمين والمتأخرين، وأورد أسانيده بالصحيحين، وأبى داود، والنسائى، وابن ماجه، وبمسانيد الدارمى، والشافعى، وأحمد وبموطأ مالك، وبمصنفات البغوى والنووى، وذكر السخاوى أن الجزرى قد « خرَّج لنفسه أربعين عشارية، وخرَّج جزءا فيه مسلسلات بالمصافحة وغيرها » .

ومن أشهر الكتب فى هذا المجال، كتاب الأربعين للإمام محيى الدين يحيى بن شرف النووى. ذكر النووى أن العلماء جمعوا الأربعين فى موضوعات مختلفة كما تقدم، وأضاف أنه رأى أن يجمع أربعين حديثا أهم مما تقدم كما يقول « وهى أربعون حديثا مشتملة على جميع ذلك، وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين » والتزم أن تكون هذه الأحاديث صحيحة، ومعظمها فى صحيحى البخارى ومسلم. وأتبعها «بباب فى ضبط خفى ألفاظها » وعنى المحدثون عناية كبيرة بأربعين النووى، وشرحوه، ومن شروحه شرح ابن حجر العسقلانى، وغيره.

ومنها مختارات أخرى فى الحديث، مثل : « المعجم الكبير » : ويشتمل أحاديث جميع الصحابة باستثناء أبى هريرة مرتبة حسب الشيوخ و « المعجم الأوسط » فى غرائب شيوخ مصنفه، و « المعجم الصغير » فى أسماء شيوخه، وكلها من تصنيف الشيخ أبى القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمى الطبرانى حافظ عصره كما يقول ابن خلكان . وكان الطبرانى ثقة صدوقا واسع الحفظ، بصيرا بالعلل والرجال والأبواب، سمع بطبرية ثم رحل إلى القدس سنة ٢٧٤هـ، وقضى فيها عاما .

ومنها انتخاب الطبرانى الآنف الذكر، وهو جزء مما انتخبه لابنه أبى ذر على .

ومنها عوالى قاضى المارستان، محمد بن عبد الباقى بن محمد الأنصارى، المعروف بقاضى المارستان، وقد خرجت له مشيخة فى خمسة أجزاء .

ومنها « الغيلانيات » لأبى بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعى وهى « مجموعة من الأحاديث العوالى التى يتألف سندها من عدد قليل من الرواة عن النبى، ﷺ، وقد انتفع بها ابن تيمية فى كتابه « الأبدال والعوالى » .

ومنها ثلاثيات الدارمى، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى السمرقندى ، شيخ مسلم ، وأبى داود، والترمذى، وهو صاحب مسند مشهور، وكان إمام أهل زمانه، وذكر أنها خمسة عشر حديثا وقعت فى مسنده بسنده .

ومنها ثلاثيات الحافظ عبد بن حميد بن نصر الكشى، وثمانيات النجيب عبد اللطيف بن عبد المنعم بن على بن نصر الحرانى الحنبلى وهى كالثلاثيات فى السند، ثمانية رواة فى عدة أجزاء .

ومنها السفينة الجرائدية، وهى مجموعة من الأجزاء، وتسمى بذلك نسبة إلى محمد بن يعقوب الجرائدى الأنصارى الدمشقى، نزيل مصر ثم بيت المقدس .

ومنها المشيخات مثل مشيخة محمد بن أبى بكر بن أحمد ابن عبد الدائم المقدسى الحنبلى ومشيخة جده أحمد بن عبد الدائم والمشيخة السراجية أو السراجيات للشيخ الإمام سراج الدين عمر بن على القزوينى وطرقها أعلى طرق الإسناد ومشيخة أبى الخير العلائى فقد خرَّج له المحدث أبو حمزة أنس بن على الأنصارى أربعين حديثا عن أربعين شيخا، حدث بها .

ويوضح ما تقدم ذكره فى الحديث عن الكتب والأجزاء التى كانت محل عناية كبيرة، النظر فى التكوين الثقافى لعدد من العلماء فى بيت المقدس، فى مجال الحديث الشريف .

ذكر ابن حجر العسقلانى أن محمد بن أبى بكر بن أحمد ابن عبد الدائم المقدسى الحنبلى، سمع كتبا وأجزاء كثيرة فى الحديث، فقد سمع من جده وغيره « السراجيات الخمسة، والأربعين للآجرى، وجزء ابن جوصاء وجزء ابن الفرات، وجزء ابن عرفة، وصحيح مسلم، وعوالى قاضى المارستان، والترغيب ، وانتخاب الطبرانى » وغير ذلك من الكتب فى الحديث. وهى من أعلى كتب الحديث رتبة وسنداً وقد خرجت مشيخة لابن عبد الدائم المقدسى، وحدث بمشيخته، ومشيخة جده وقد حدث ابن عبد الدائم كثيرا، واستمر يحدث إلى أن توفى سنة ٧٤٣ هـ .

وذكر السخاوى أن الحافظ أبا الخير العلائى، له مرويات كثيرة، ومن عيونها : « الصحيح، والسنن لابن ماجه، وموافقات عبد الحافظ عبد بن حميد الكشى وثلاثياته . وجزء أبى الجهم، والمعجم الصغير للطبرانى، والجامع للترمذى » وله مشيخة كما تقدم .

وذكر السخاوى أن الشيخ شهاب الدين أبا العباس أحمد ابن محمد بن حامد الأنصارى المقدسى الشافعى المعروف بابن حامد شيخ مشيخة الفخرية، سمع السفينة الجرائدية، وجزء أبى الجهم، والمسلسل، وقرأ صحيح مسلم ، وغيرها .

وذكر ابن حجر العسقلانى ومجير الدين الحنبلى، أن ناصر الدين محمد بن سليمان بن غانم المقدسى سمع السفينة الجرائدية المشتملة على سبعة أجزاء من حديث السلفى، وسمع ثلاثيات الدارمى، وغير ذلك .

وسمع بدر الدين محمد بن حامد الأنصارى المقدسى الشافعى الكثير من كتب الحديث، ومنها السفينة الجرائدية .

وسمع الشيخ سراج الدين عمر بن محمد الجعبرى الخليلى الشافعى الكثير من كتب الحديث وأجزائه، ومنها : المسلسل، وجزء ابن عرفة، وثمانيات النجيب، وجزء البطاقة، والغيلانيات، وغيرها، كما يذكر السخاوى.

وسمع الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن موسى بن عمران الغزى ثم المقدسى، الحديث على الحافظ شمس الدين الجزرى، شيخ الصلاحية، وسمع على شمس الدين القباقبى جزءه المشتمل على العشاريات والمسلسلات وغيرها .

وكان الشيخ خير الدين محمد بن عبد الرحمن القلقشندى المقدسى محدثا مشهورا يتولى مشيخة الحديث بالأقصى، ويدرس بالمدرسة الصلاحية، والمدرسة الكريمية، والمدرسة الطازية، ومن الجدير بالإشارة أنه كان قد سمع الكثير من

كتب الحديث وأجزائه، وحفظ، ودرس، وحصل على الإجازات فيه، منذ الصغر. ولا شك أنه استمر معتنيا به بعد ذلك، وحدّث بالكثير من محفوظه.

وهذه أمثلة توضح ما تقدم ذكره، ومن أراد المزيد، فلينظر في تراجم العلماء في بيت المقدس ليجد بغيته.

ويتبين لنا مما تقدم، العناية الفائقة التي نالها علم الحديث في قراءته وتدريسه والبحث فيه. وكان الحديث يدرس في دار الحديث، وفي مدارس أخرى مثل المدرسة التنكزية، والمدرسة الباسطية، وغيرهما من مدارس بيت المقدس.

وتبدو أهمية دراسة علم الحديث، والدعوة إلى ذلك، فيما قاله الإمام جمال الدين عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة الحنبلي، قال:

يا طالبا علم خير العلم مجتهدا
علم الحديث تحوز اليمن والرشدا
ما في العلوم له مثل يماثله
فاطلبه مقتصدا، تسعد به أبدا
فالفقه يبنى عليه، حيث كان إذا لـ
أحكام مأخذها منه إذ وجدا
وكيف لا؟ وهو لولاه لما اتضحت
سبل الرشاد، ولا بان الزمان هدى
وأهله خير أهل العلم قاطبة
فكن محبا لهم كيما تفوز غدا
ترى سواهم إذا جاء الحديث لما
قالوه متبعا ما تبسطن يدا
أو كان مَتّنْا تراهم راجعين إلى
أقوالهم، وكذا إن أسندوا سندا
لولاهم زاد قوم في الشريعة ما
شاءوا، ولكن حماها كونهم أسُدا
هل يستوي من نأى عن أرضه طلبا
لها، وآخر عن تحصيلها قعدا؟
شتان بين امرئ ثاو بموطنه
وبين من كان عن أوطانه بعدا
ومن ضرورة تفضيل الحديث على
سواه أن لا يرى شبها لهم أحدا
شانيهم لا لقيت الدهر محمدة
ولا وقيت مصابا لا ولا فندا

وهكذا كانت العناية بالحديث وعلومه كبيرة، رواية ودراية، فقد عني بدراسته من حيث الرواية والرواة، ومن حيث السند، وقرأوه في أمهات كتب الحديث، وأنشئت دور الحديث، وتولى المحدثون مشيخات المدارس، أو التدريس فيها، من أمثال ابن الصلاح، وتقي الدين القلقشندي، وغيرهما (المدارس في بيت المقدس ١/ ٢٠-٢٩).

ومن المصنفات في علم الحديث في الهند شرح على شرح نخبة الفكر للشيخ وجيه الدين العلوي الكجراتي، وإمعان النظر في توضيح نخبة الفكر شرح بسيط للشيخ محمد أكرم بن عبد الرحمن السندي، وشرح عليه للشيخ عبد النبي بن عبد الله الشطاري الكجراتي، وشرح عليه للمفتي عبد الله بن صابر علي الطوكي، وشرح عليه بالفارسي للمولوي محمد حسين الإسرائيلي الهزاروي. ومن الكتب المصنفة في الأصول، المنهج للشيخ نظام الدين بن سيف الدين العلوي الكاكوروي، ومختصر بالعربي للشيخ سلام الله بن شيخ الإسلام الدهلوي، ومختصر لولده نور الإسلام الرامبوري، وبلغة الغريب في مصطلح آثار الحبيب للسيد مرتضى بن محمد الحسيني البلگرامي المشهور بالزبيدي لطول لبثه بزبيد اليمن، والعجالة النافعة بالفارسي للشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي، ومنهج الوصول إلى اصطلاح أحاديث الرسول بالفارسي للسيد صديق حسن الحسيني القنوجي، وعمدة الأصول في أحاديث الرسول بالعربي للشيخ محمد شاه الدهلوي، وظفر الأماني شرح مختصر الجرجاني للشيخ عبد الحي بن عبد الحليم اللكهنوي، والرفع والتكميل في الجرح والتعديل للمولوي عبد الحي المذكور، واستجلاء البصر من شرح نخبة الفكر بالأردو للشيخ عبد العزيز بن عبد السلام العثماني الهزاروي صنفه سنة ١٣٢٢ (الثقافة الإسلامية في الهند /١٥٩).

(مصطلح الحديث ــ محمد بن صالح بن عثيمين / ٥٢، ٥٣، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار

زكار جـ ٢ ق ١/ ٢٧٩، ٢٨٠، وكشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ٦٤٠ - ٦٤٤، والرسالة المستطرفة للإمام محمد بن جعفر الكتاني / ١٦٧ - ١٦٩، والمدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي - د. عبد الجليل حسن عبد المهدي ١/ ٢٠ - ٣٩، والثقافة الإسلامية في الهند « معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف » لعبد الحي الحسني - راجعه وقدم له أبو الحسن على الحسني الندوي / ١٥٩.

انظر أيضا السنة النبوية وعلومها - د. أحمد عمر هاشم / ٣٤٩ - ٤٠٤، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢/ ١١٤).

الحديث (الكلام)

قال قدامة بن جعفر:

وأما الحديث، فهو ما يجري بين الناس في مخاطباتهم، ومناقلاتهم، وله وجوه كثيرة؛ فمنها: الجد والهزل، والسخيف والجزل، والحسن والقبيح، والملحون والفصيح، والخطأ والصواب. والصدق والكذب، والنافع والضار، والحق والباطل، والناقص والتام، والمردود والمقبول، والمهم والفضول، والبليغ والعيي.

فأما الجد، فإنه كل كلام أوجبه الرأي وصدر عنه، وقصد به قائله ووضعه موضعه، وكان مما تدعو الحاجة إليه. وباستعمال ذلك وبالإمساك عما سواه أوصت الحكماء، فقالوا: « من علم أن كلامه من عمله قلَّ كلامه إلا فيما يعنيه». وقالوا: « مغبونٌ من مضى عمره في غير ما خُلِق له » وقال الله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥] ووصف نبيه فقال: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم: ٣، ٤]

وأما الهزل، فما صدر عن الهوى. والناس في استعماله على ضربين:

أما الحكماء والعلماء، فاستعملوه في أوقات كلال أذهانهم وتعب أفكارهم، ليستجموا به أنفسهم ويستدعوا به نشاطهم ويروحوا به عن قلوبهم، خوفًا من ملالتها وكلالتها؛ وأمروا بذلك فقالوا: « روحوا القلوب تَعِ الذكر » وقالوا: «روحوا عن القلوب، فإن لها سآمة كسآمة الأبدان » . ومن قصد هذا بالهزل فالجد أراد، لأنه قصد المنفعة وما يوجبه الرأي في سياسة عقله ونفسه، وإجمام فكره وقلبه. وقد كان رسول الله ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقا. وقال عمر رضى الله عنه في أمير المؤمنين رحمة الله عليه: « هو والله لها لولا دعابة فيه» (الضمير في « لها » يعود إلى الخلافة) وقال الشعبي: «وصلتُ بالعلم ونِلْتُ بالمُلَح »، وذلك لما عليه النفوس من استثقال الحق والجدّ، واستخفاف اللهو والهزل.

وأما السفهاء والجهال، فاستعملوه للخلاعة والمجون ومتابعة الهوى؛ وذلك المذموم الذي قد عاب الله مستعمله، ومدح المعرض عنه؛ فقال فيمن عابه: ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائما ﴾ [الجمعة: ١١] وقال تعالى: ﴿ ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا ﴾ [لقمان: ٦] وقال فيمن مدحه بالإعراض عنه: ﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ﴾ [القصص: ٥٥] وقال في موضع آخر: ﴿ وإذا مروا باللغو مروا كراما ﴾ [الفرقان: ٧٢] وقد أوصت العلماء بتجنب هذا الفن من الهزل فقالوا: « إياك والمزاح فإنه يجرئ عليك السِّفْلة » . وقالوا: «المزاح السباب الأصغر » وقال أمير المؤمنين رضى الله عنه: « من أكثر من شيء عُرف به، ومن كثر ضحكه قلت هيبته، ومن مزح استخف به » .

وأما السخيف من الكلام، فهو كلام الرعاع والعوام الذين لم يتأدبوا ولم يستمعوا كلام الأدباء، ولا خالطوا الفصحاء، وذلك معيب عند ذوي العقول، لا يرضاه لنفسه إلا مائق (المائق: الأحمق الغبي) جهول. إلا أن الحكماء ربما استعملته في خطاب من لا يعرف غيره طلباً لإفهامه، كما أنه ربما تكلف الإنسان لمن لا يحسن العربية بعض رطانة الأعاجم ليفهمه (الرطانة: التكلم بغير العربية) فإذا جرى استعمال اللفظ السخيف هذا المجرى، وغُزِي به هذا المغزى، كان جائزا وللفظ السخيف موضع آخر لا يجوز أن يُستعمل فيه غيره، وهو حكاية النوادر والمضاحك وألفاظ السخفاء والسفهاء؛ فإنه متى حكاها الإنسان على غير ما قالوه، خرجت عن معنى ما أريد بها وبردت عند مستعملها؛ وإذا حكاها كما سمعها وعلى لفظ قائلها، وقعت موقعها وبلغت غاية ما أريد بها، ولم يكن على حاكيها عيب في سخافة لفظها.

وأما الجزل من الكلام، فهو كلام الخاصة والعلماء، والعرب الفصحاء، والكتاب الأدباء، الذي قد تقدم وصفه في الشعر والخطابة. وليس شيء أصون على جزالة الكلام

وخروجه عن تحريف ألفاظ العوام من مجالسة الأدباء ومعاشرة الخطباء وحفظ أشعار العرب ومناقلاتهم ، والمختار من رسائل المولدين الأدبار ومكاتباتهم. ولذلك كانت ملوك بنى أمية يخرجون أولادهم إلى البوادى، ليُنشئوهم على الفصاحة وجزالة اللفظ؛ وله أيضًا علَّم الناس أولادهم الرسائل، وروَّوهم أشعار القدماء، وحفَّظوهم القرآن، وأمروهم بتجويده، وأمروهم بالقراءة والإنشاد ليعتادوا الكلام الجزل، وتتفتق به لهواتهم (واحدتها لهاة وهى اللحمة المشرقة على الحلق) ، وتذل (تنقاد وتسلس) به ألسنتهم ، وتتشكل بتلك الأشكال ألفاظهم، فإن التخلق يأتى دونه الخلق، والعادة كالطبيعة، ولا شيء أفسد للكلام ولا أضر على المتكلم ولا أعون على سخافة اللفظ من معاشرة أضداد من ذكرنا وطول ملابستهم واستماع قولهم، فينبغى لمن أراد تجنب الكلام السخيف ولزوم الجزل الشريف، أن يتقى معاشرة من يفسُد بمعاشرته بيانه، كما ينبغى أن يلزم معاشرة من تُصلح معاشرته لسانه .

وأما الحسن من الكلام، فهو كل ما كان فى معالى الأمور وفى محاسنها. وأحسنه الدعاء إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وقد قال الله عز وجل : ﴿ اللهُ نزل أحسن الحديث كتابًا مُتشابهًا مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ [الزمر : ٢٣] وقال تعالى : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين ﴾ [فصلت : ٣٣] ثم يتلوه كل ما كان من مكارم الأخلاق وكل ما كان من دعاء إلى بر، وتعطف، وإصلاح ، وتألف، وخير يُجتلب، وشر يُجتنب، فهو من حَسَن الكلام وجميله، ومما يستعمله أهل العقل والحكمة ويثابرون عليه ولا يرون تركه ولا السكوت عليه؛ لأن ترك استعمال الحسن قبيح، ورأى من أهمله غير صحيح .

والقبيح من الكلام ، ما كان فى سفساف الأمور وأراذلها : كالنميمة والغيبة، والسعاية، والكذب، وإذاعة السر، والمكر، والخديعة ، فكل ذلك قبيح لأنه من مذموم الأخلاق ومعيب الأفعال. وقد قال رسول الله ﷺ : « إن الله يحب معالى الأمور ويكره سفسافها » .

قالت المؤلفة : هذا الحديث الشريف أخرجه الإمام السيوطى فى الجامع الصغير (٧٦/١) بلفظ « إن الله تعالى يحب معالى الأمور وأشرافها ويكره سفسافها » من رواية الطبرانى فى الكبير عن الحسين بن على وقال عنه حديث حسن .

وذم الله النميمة فقال تعالى : ﴿ ولا تُطع كل حلاف مهين* هماز مشاء بنميم ﴾ [القلم: ١٠، ١١] وقال فى الغيبة : ﴿ ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ [الحجرات: ١٢] وقال فى الكذب : ﴿ ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾ [البقرة : ١٠] وقال تعالى فى السعاية : ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ﴾ [التوبة : ٤٧] وقال تعالى فى النفاق : ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا ﴾ [النساء : ١٤٥] وقال تعالى فى المكر : ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ [النحل : ٤٥] وقال تعالى فى إذاعة السر : ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ [النساء : ٨٣] وقال تعالى فى الخديعة : ﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ [البقرة : ٩] وإذا أردت أن تنفى عن نفسك وقولك القبيح ، فانظر ما استقبحته من فعل غيرك وقوله فتجنبه فإنه القبيح ، وما استحسنته منهما فاتبعه فإنه الحسن ولا تسامح نفسك بأن تستحسن منها ما تستقبحه من غيرك ، فقد قال الشاعر :

وابدأ بنفسك فانهها عن غيِّها

فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

وأما الفصيح من الكلام فهو ما وافق لغة العرب، ولم يخرج عما عليه أهل الأدب . ولتصحيح ذلك وضع النحو. ولجمعه وضعت الكتب فى اللغة وذكر المستعمل منها، والشاذ، والمهمل، وحق من نشأ من العرب أن يستعمل الاقتداء بلغتهم ولا يخرج عن جملة ألفاظهم ، ولا يقنع من نفسه بمخالفتهم فيخطئوه ويلحنوه .

واللحن ما خالف اللغة العربية وخرج عن استعمال أهلها وما بنى عليه إعرابها. وهو معيب عند الأدباء فى الجملة ، وعلى من يأخذ نفسه بالإعراب ويتكلم بالغريب من لغة الأعراب أعيب . ويروى أن عمر رضى الله عنه كان يضرب على

اللحن . فأما العرب فإذا لحن الواحد منهم لقربه من الحاضرة ونـزوله على طـريق السابلـة ، سقط عند أهل اللغـة منزلتـه ، ودفعت ورفضت لغته . وإنما يصح الإعراب لأحد رجلين : إما أعرابى بدوى قد نشأ حيث لا يسمع غيـر الفصاحة والإصابة ، فيتكلم على حسب عادته وسجيتـه ، ومتى خوطب باللحن لم يفهمه ، مثل مـا يحكى عن رجل قال له بعض الأعـراب قولا ، فقـال له الـرجل : كيف أهلِك؟ » فقـال لـه الأعرابى : « قتـلا بـالسيف إن شاء الله !» ؛ فظن الأعـرابى أنـه إنما سألـه كيف يموت . ولو قال له : « كيف أهلُك ؟» لأجابه بجوابه ...

وإما للمولَّـد الذى قد تأدب ونظر فى النحـو واللغة وأخذ بهما نفسه ومرر عليهما لسانـه ، حتى صار ذلك عادة له . فأما لغيرهما فليس يصح إعراب . وربما اغتفر فى دهرنا هذا اللحن والخطأ للإنسان فى كلامه لكثرة اللحن فى الناس وأنه قد فشا وعظم وفسدت الفصـاحة بمخالطة العرب الأعـاجم والأقباط وسائر الأجنـاس . فأما فى الكتاب فغير مغتفـر له ذلك ، لأن الطرف يتكـرر نظره فيـه ، والرويـة تجول فى إصـلاحه ، وليس كمثل الكلام الذى يجرى أكثره على غير روية ولا فكرة .

وأما المواضع التى يجـب أن يستعمل اللحن فيها ويتعمد له فى أمثـالها ويكون ذلك مما يـوجبه الرأى فهو عنـد الرؤساء الـذين يلحنون ، والملـوك الذيـن لا يُعْربـون فمن الرأى لـذى العقل والحنكة والحكمة والتجربـة ألا يعرب بين أيديهم ، وأن يدخل فى اللحن مـدخلهم ، ولا يريهم أن لـه فضلا عليهم ؛ فإن الـرئيس والملك لا يجب أن يرى أحـداً من تبَّاعـه فوقـه ؛ ومتى رأى أحـداً منهم قد فضلـه فى حال من الأحـوال نافسـه وعاداه وأحب أن يضع منه . وفى عـداوة الرؤساء والملوك لمن تحت أيديهم البـوار، ومن ذلك ما يحكى عن بعض من تكلم فى مجلس بعض الخلفاء الذين كانوا يلحنون ، فلحن فعوتب على ذلك فقال : « لو كان الإعراب فضلا لكان أميرَ المؤمنين إليـه أسبق » وسأل الـوليـد رجـلا عن سنيـه فقـال : « كم سنيك؟»؛ فقـال : « أربعين » ؛ قال : « لحنت » ؛ فقـال : «إنما أتبعـك يا أمير المـؤمنين » ؛ قال : « فكـم سنوك ؟ » ؛ قال : « أربعون » .

وأما الخطأ والصواب، فإن الصواب كلَّ ما قصدت به شيئا فأصبت المقصـد فيـه ولم تعـدل عنـه . ومنـه قيل « سهم صائب» ، « وأصبت الغرض » وصواب القول من ذلك مأخوذ . ويقال : « قول صائب » من صـاب يصوب وهو صائب ، مثل قال يقول وهو قائل . و « قول مصيب » ، من أصبت فى القول أصيب إصـابة وأنـا مصيب والقول مصيب أيضـا ؛ كما تقـول أردت الشيء أريده إرادة وأنـا مريد . والقول المصيب هـو مما أعطى المفعـول فيـه اسم الفاعل ، مثل « راحلـة » وإنمـا هى مرحولـة ، و « عيشة راضية » وإنما هى مرضيـة ، وقد مدح الله عز وجل الصواب فقال : ﴿ **يَوم يقومِ الرُّوح والملائكةُ صفًّا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمٰنُ وقال صوابًا** ﴾ ومن الصواب أن يعرف أوقـات الكلام ، وأوقـات السكوت ، وأقـدار الألفاظ ، وأقدار المعانى ، ومراتب القول أيضًا ، ومراتب المستمعين له ، وحقـوق المجـالس وحقوق المخـاطبـات فيهـا ؛ فيعطى كل شىء من ذلك حقـه ، ويضمـه إلى شكلـه ، ويأتيـه فى وقتـه وبحسب ما يوجبه الرأى لـه ، فإنه متى أتى الإنسان بكلام فى وقته ، أنجحت طلبته ، وعظمت فى الصواب منزلته ؛ ولذلك ترى من لـه الحاجة إلى الـرئيس يرقب لهـا وقتًا يراه فيـه نشيطا فيكلمه ، لأنه متى كلمه وهـو ضيق الصدر أو مشغول ببعض الأمر كان ذلك سبب حـرمانه وتعذر قضاء حـاجته . وارتقاب الأوقات التـى تصلح للقول وانتهـاز الفرصة فيهـا إذا أمكنت ، من أكثـر أسباب الصـواب وأوضح طرقـه . ثم متى سكت عن الكـلام فى الأوقـات التى يجب أن يتكلم فيهـا ، لحقـه من الضرر بترك انتهـاز الفرصة مثل ما يلحقـه من ضرر الكلام فى غير وقته . ولذلك قال أميـر المؤمنين رضى الله عنه : « انتهزوا الفرص فإنها تمر مر السحاب » .

وللسكوت أوقات هو فيها أمثل من الكلام وأصوب ، فمنها السكـوت عن جـواب الأحمق والهـازل والمتعنت ، وفى ذلك يقول الشاعر :

وأصمتُ عـن جـــواب الجهل جُهـــدى
وبعـض الصمـت أبلـغُ فىَ الجـــواب

وقـال بعضهم : « رُبَّ سكـوت أبلغ من منطق » ومنهـا السكوت عن مقابلة السفيه على سفهه ، واللئيم على ما ينالك منه ، والتصون عـن إجابتهما ، والحلم عما يبـدر منهما ، وقد مـدح الله الحلم فقـال : ﴿ **إن إبـراهيم لأواه حليم** ﴾ وسمى نفسه الحليم . وقال الشاعر :

ولـم أر مثل الحلـم زينــا لصــاحب
ولا صــاحبًــا للمــرء شــرا مـن الجهل

وقال الله عز وجل فى وصف المؤمنين وتنزههم عن مقابلة الجاهلين: ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣] وقال تعالى: ﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾ [القصص: ٥٥] وقال تعالى: ﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وقال: الشاعر:

متــاركــة اللئيم بــلا جــواب
أشــد على اللئيم مـن الجـــواب

وقال آخر:

وقــد أسمع القــول الــذى كــاد كلمـا
إذا ذكــرتــه النفس قلبى يُصــدعُ
فأبــدى لمـن أبــداه منى بشــاشــة
وأنـى مســرورٌ بمــا منــه أسمـع
ومــا ذاك مـن عجب بــه غيــر أننى
أرى أن تــرك الشــر للشــر أقطـع

والحلم إنما هو عن نظيرك أو من هو دونك. فأما من هو فوقك أو مسلط عليك فليس يسمى السكوت عن مقابلتك حلما، بل هو بباب التقية أشبه، وبالمداراة أليق؛ وبذلك أوصى الشاعر حين يقول:

بُنَىَّ إذا مــا ســامك الــدهــر قــادر
عليك فـإن الــذل أحــرى وأحــرز
ولا تحـم فى كـل الأمـــور تعـــزُّزا
فقــد يــورث الــذل الطــويل التعــزز

ومما يستحسنه الأدباء ويراه صوابا كثير من العلماء: الحلم عن النظير ومن هو دون النظير، لأنه يبين عن فضل الإنسان فى نفسه ويرفعه عن مقابلة من جهل عليه ووضع نفسه لأذيته، وقد قيل: « من عاجل نفع الحلم، كثرة أعوان الحليم على الجاهل »، والتقية والمداراة للسلطان والرئيس فى دفع المرهوب من جهتهم واجتذاب المحبوب منهم؛ ومقابلة من يرى نفسه فوقك، ويتوهم أن إمساكك عنه خوفا منه، فيجترئ عليك بحلمك وسكوتك عنه فيما ينوبك منه. ولذلك قال الله عز وجل: ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وقال تعالى: ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ﴾ [الشورى: ٤١] وإنما كان الصواب فى مقابلة من هذه حاله، لأن فى مقابلته قطعاً لمادة أذيته، وردعا له عن معاودة مثل فعله؛ وقد قال الشاعر:

إذا كنت عنــد الحلم تــزداد جــرأة
علىَّ وعنــد العفـــو والصفح تجهـل
ردعتك عنى بــالتجــاهل والخنــا
فـإنهمـــا عنـــدى لمثلك أمثـل

الخنا من الكلام أفحشه

وقال آخر:

ألا لا يجهلـن أحـــد علينـــا
فنجهـل فـــوق جهل الجـــاهلينـــا

وأما أقدار الألفاظ وأقدار المعانى، فهو أن يأتى بالمعنى فيما يليق به من اللفظ، وقد مضى الكلام فيه بما أغنى عن إعادته.

(نقد النثر لأبى الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى حققه وعلق حواشيه د. طه حسين بك وعبد الحميد العبادى / ١٣٧ ـ ١٤٨ وقد وضعنا تعليقات التحقيق بين أقواس فى ثنايا النص).

الحديث والخبر والأثر:

قال صاحب قواعد التحديث:

ما هية الحديث والخبر والأثر

اعلم: أن هذه الثلاثة مترادفة عند المحدثين على معنى ما أضيف إلى النبى ﷺ قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو صفةً؛ وفقهاء خراسان يسمون الموقوف أثراً، والمرفوع خبراً، وعلى هذه التفرقة جرى كثير من المصنفين. وقال أبو البقاء (الكليات لأبى البقاء الكفوى / ١٥٢): « الحديث هو اسم من التحديث، وهو الإخبار، ثم سمى به قول أو فعل وتقرير نسب إلى النبى عليه الصلاة والسلام؛ ويجمع على « أحاديث » على خلاف القياس. قال الفراء: « واحد الأحاديث أحدوثة، ثم جعلوه جميعا للحديث، وفيه أنهم لم يقولوا أحدوثة النبى». وفى الكشاف: « الأحاديث اسم جمع، ومنه حديث النبى » وفى البحر: « ليس الأحاديث باسم جمع، بل هو جمع تكسير لحديث على غير القياس كأباطيل؛ واسم الجمع لم يأت على هذا الوزن وإنما سميت هذه الكلمات والعبارات أحاديث كما قال الله تعالى: ﴿ فليأتوا بحديث مثله﴾ [الطور: ٣٤] لأن الكلمات إنما تتركب من الحروف

المتعاقبة المتوالية، وكل واحد من تلك الحروف يحدث صاحبه؛ أو لأن سماعها يحدث فى القلوب من العلوم والمعانى، والحديث نقيض القديم، كأنه لوحظ فيه مقابلة القرآن؛ والحديث ما جاء عن النبى، والخبر ما جاء عن غيره؛ وقيل: بينهما عموم وخصوص مطلق، فكل حديث خبر من غير عكس ». والأثر : « ما روى عن الصحابة ويجوز إطلاقه على كلام النبى أيضاً » انتهى .

وفى التدريب (تدريب الراوى للسيوطى / ٤) : « يقال أثرت الحديث: بمعنى رويته، ويسمى المحدث أثريا نسبة للأثر » .

وقال الإمام تقى الدين بن تيمية فى بعض فتاويه : «الحديث النبوى: هو عند الإطلاق ينصرف إلى ما حدث به عنه ﷺ بعد النبوة، من قوله، وفعله، وإقراره، فإن سنته ثبتت من هذه الوجوه الثلاثة؛ فما قاله، إن كان خبراً، وجب تصديقه به ؛ وإن كان تشريعًا: إيجابا أو تحريما، أو إباحة وجب اتباعه فيه، فإن الآيات الدالة على نبوة الأنبياء، دلت على أنهم معصومون فيما يخبرون به عن الله عز وجل، فلا يكون خبرهم إلا حقا، وهذا معنى النبوة، وهو يتضمن أن الله ينبئه بالغيب، وأنه يُنبئ الناس بالغيب، والرسول مأمور بدعوة الخلق وتبليغهم رسالات ربه » وقد روى أن عبد الله بن عمرو كان يكتب ما يسمع من النبى ﷺ فقال له بعض الناس : « إن رسول الله ﷺ يتكلم فى الغضب فلا تكتب كل ما تسمع » فسأل النبى ﷺ عن ذلك، فقال : « اكتب ! فوالذى نفسى بيده، ما خرج من بينهما إلا حق » يعنى شفتيه الكريمتين. وقد ثبت عن أبى هريرة أنه قال: « لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أحفظ منى إلا عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب بيده، ويعى بقلبه؛ وكنت أعى بقلبى ولا أكتب بيدى » وكان عند آل عبد الله بن عمرو بن العاص نسخة كتبها عن النبى ﷺ، وبهذا طعن بعض الناس فى حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه شعيب، عن جده، وقالوا : « هى نسخة » ـ وشعيب هو شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ وقالوا: « إن عنى جده الأدنى محمدًا فهو مرسل (حديث مرسل : أى سقط من سنده صحابى فليس فى سنده صحابى) فإنه لم يدرك النبى ﷺ، وإن عنى جده الأعلى، فهو منقطع (المنقطع هو ما لم يتصل إسناده ، سواء ترك ذكر الراوى من أول الإسناد، أو وسطه أو آخره) فإن شعيبا لم يدركه ». وأما أئمة الإسلام، وجمهور العلماء، فيحتجون بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، إذا صح النقل إليه، مثل مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، ونحوهما؛ ومثل الشافعى وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم. قالوا : « الجد هو عبد الله فأنه يجيء مسمى ، ومحمد أدركه » ، قالوا : « وإذا كانت نسخة مكتوبة من عهد النبى ﷺ، كان هذا أوكد لها، وأدل على صحتها » ، ولهذا كان فى نسخة عمرو بن شعيب من الأحاديث الفقهية، التى فيها مقدرات ما احتاج إليه عامة علماء الإسلام والمقصود أن حديث الرسول ﷺ، إذا أطلق دخل فيه ذكر ما قاله بعد النبوة، وذكر ما فعله، فإن أفعاله التى أقر عليها حجة، لا سيما إذا أمرنا أن نتبعها، كقوله : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » وقوله : « لتأخذوا عنى مناسككم » وكذلك ما أحله الله له فهو حلال للأمة، ما لم يقم دليل التخصيص؛ ولهذا قال: ﴿ فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً ﴾ [الأحزاب : ٣٧] ولما أحل الله له الموهوبة قال : ﴿ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين ﴾ [الأحزاب : ٥٠] ولهذا كان النبى ﷺ إذا سئل عن الفعل يذكر للسائل أنه يفعله ليبين للسائل أنه مباح؛ وكان إذا قيل له قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: « إنى أخشاكم لله وأعلمكم بحدوده » ومما يدخل فى مسمى حديثه ما كان يقرهم عليه ، مثل إقراره على المضاربة التى كانوا يعتادونها، وإقراره لعائشة على اللعب بالبنات، وإقراره فى الأعياد على مثل غناء الجاريتين، ومثل لعب الحبشة بالحراب فى المسجد، ونحو ذلك ، وإقراره لهم على أكل الضب على مائدته، وإن كان قد صح عنه أنه ليس بحرام، إلى أمثال ذلك، فهذا كله يدخل فى مسمى الحديث، وهو المقصود بعلم الحديث، فإنه إنما يطلب ما يستدل به على الدين، وذلك إنما يكون بقوله أو فعله أو إقراره، وقد يدخل فيها بعض أخباره قبل النبوة وبعض سيرته قبل النبوة، مثل تحنثه بغار حراء ومثل حسن سيرته لأن الحال يستفاد منه ما كان عليه قبل النبوة من كرائم الأخلاق، ومحاسن الأفعال، كقول خديجة

لـه : « كـلا والله ، لا يخـزيك الله إنـك لتصل الـرحم وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق »؛ ومثل المعرفة : فإنه كـان أميًا لا يكتب ولا يقرأ، وإنه كان معروفا بالصدق والأمانة، وأمثال ذلك مما يستدل به على أحواله التي تنفع في المعرفة بنبوته وصدقه . فهذه الأمور ينتفع بها في دلائل النبوة كثيراً. ولهذا يذكر مثل ذلك في كتب سيرته كما يذكر فيها نسبه وأقاربه، وغير ذلك من أحواله . وهذا أيضاً قـد يدخل فـي مسمى الحديث؛ والكتب التـي فيها أخبـاره، منها كتب التفسير، ومنها كتـب السِّير والمغازي، ومنها كتب الحديـث. وكتب الحديث: هي مـا كان بعد النبـوة أخص، وإن كان فيهـا أمور جرت قبل النبـوة فإن تلك لا تذكر لتـوحد وشرع فعله قبل النبوة، بل قـد أجمع المسلمون على أن الذى فرض على العباد الإيمان به، والعمل هو ما جاء به بعد النبوة » انتهى (قواعد التحديث / ٦١ ـ ٦٤) .

وقال صـاحب كشاف اصطلاحـات الفنون : اختلف أهل الحـديث فـى الفـرق بين الحـديث والخبــر فقيل همـا مترادفـان، وقيل الخبر أعم من الحديث لأنـه يصدق على كل ما جاء عن النبى ﷺ وعن غيره بخـلاف الحديث فإنه يختص بالنبى ﷺ ، فكل حديث خبر من غير عكس كلى .

وقيل همـا متباينان فإن الحـديث ما جـاء عن النبى ﷺ ، والخبر مـا جاء عن غيره، ومن ثم قيل لمن يشتغل بـالتواريخ وما شاكلها الإخبارى، ولمن يشتغل بالسنة النبوية المحدث . هكذا فى شرح النخبة وشرحه .

وفى الجـواهـر: وأما الأثـر فمن اصطـلاح الفقهـاء فإنهم يستعملونه فى كلام السلف، والخبر فى حديث الرسول ﷺ، وقيل الخبر يبـاين الحديث ويـرادف الأثر (كشاف اصطـلاحات الفنون ١/ ٢٨) .

(قـواعد التحـديث للشيخ محمد جمـال الـدين القاسمى ــ تحقيق محمـد بهجـة البيطار، تقـديم محمـد رشيد رضـا / ٦١ ــ ٦٤ ، وكشـاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٢٨١) .

الحديثة :

قال ياقوت :

الحديثـة : بفتح أولـه، وكسر ثـانيه، ويـاء ساكنـة، وثاء مثلثـة، كأنـه واحد الحـديث أو تأنيثـه ضـد العتيق، سميت بذلك لما أحـدث بناؤها ثم لزمها فصـار علماً : وهى فى عدة مواضع ، ينسب إلى كل واحدة منها حديثى وحدثانى .

والحديثة : أيضـا من قرى غوطة دمشق ويقال لهـا حديثة جـرش، بـالشين المعجمـة، ذكـر لى ابن الــدخميسى عن الشريف البهاء الشروطى أنه بـالسين المهملة، سكن الحديثة هذه أحمـد بن محمد بن أحمـد بن جعفر أبو العبـاس الأكار النهربينى أخـو أبى عبد الله المقرى من سواد بغـداد، سمع أبا الحسين بن الطيـورى وسكن بهذه القـرية من غوطـة دمشق، سمع منه بهـا الحافظ أبو القـاسم وذكره وقال : مـات فى سنة ٥٢٧ ؛ ومحمـد بن عنبسـة الحديثى، حـدث عن خـالـد بن سعيد العرضى .

(معجم البلدان ٢/ ٢٣٠/ ٢٣٢)

حديثة الفرات :

قال ياقوت :

حديثة الفرات : وتعرف بحديثه النورة : وهى على فراسخ من الأنبار، وبهـا قلعة حصينة فى وسط الفـرات والماء يحيط بها، قـال أحمد بن يحيى بن جابـر: وجه عمار بن ياسـر أيام ولايته الكوفة من قبل عمر بن الخطاب، رضى الله عنه ، جيشا يستقـرى مـا فـوق الفـرات عليهم أبـو مـدلاج التميمى فتـولى فتحها، وهو الـذى تولى بناء الحديثـة التى على الفرات وولده بهيت؛ وحكى أبو سعد السمعانى أن أهل الحـديثة نصيرية، وحكى عن شيخه أبى البركات عمر بن إبراهيم العلوى الزيدى النحوى مـؤلف شـرح اللمع أنه قـال : اجتزت بـالحديثـة عند عودى من الشام فدخلتها فقيل لى : ما اسمك؟ فقلت : عمر فأرادوا قتلى لو لم يدركنى من عرفهم أننى علوى .

وينسب إليها جمـاعة، منهم : سويـد بن سعيد بن سهل ابن شهـريـار أبو محمـد الهـروى الحـدثـانى، قال أبـو بكـر الخطيب : سكن الحديثة حديثـة النورة على فرسخ من الأنبار فنسب إليها ، سمع مالك بن أنس وسفيـان بن عيينة وإبراهيم ابن سعد وحفص بن ميسـرة وعلى بن مسهر وشـريك بن عبد الله القاضى ويحيى بن زكريـا بن أبى زائدة وغيرهم، روى عنه يعقـوب بن شيبــة ومحمـد بن عبـد الله بن مطيــر ومسلم بن الحجاج فى صحيحه وأبو الأزهـر أحمد بن الأزهر بن إبراهيم ابن هـانئ النيسابـورى وأبو زرعـة وأبو حاتـم الرازيـان، وقال

البخارى: فيه نظر كان عمى فتلقن بما ليس فى حديثه، وقال سعد بن عمرو البرذعى: رأيت أبا زرعة يسىء القول فيه، وقال: رأيت فيه شيئا لم يعجبنى، فقيل: ما هو؟ فقال: لما قدمت من مصر مررت به فأقمت عنده فقلت له إن عندى أحاديث ابن وهب عن ضمام ليست عندك، فقال: ذاكرنى بها، فأخرجت الكتب أذاكره وكنت كلما ذاكرته بشىء قال: حدثنا به ضمام، وكان يدلس حديث حريز بن عثمان وحديث ابن مكرم وحديث عبد الله بن عمرو «زر غِبًّا تزدد حبا» فقلت: أبو محمد لم يسمع هذه الثلاثة الأحاديث من هؤلاء، فغضب، فقلت لأبى زرعة: فأيش حاله؟ فقال: أما كتبه فصحاح وكنت أتبع أصوله فأكتب منها وأما إذا حدث من حفظه فلا، مات فى شوال سنة ٢٤٠ عن مائة سنة، وكان ضريراً.

ومنها سعيد بن عبد الله الحدثانى أبو عثمان، حدث عن سويد بن سعيد الحديثى، روى عنه أبو بكر الشافعى وأحمد ابن محمد أبزون وذكر الشافعى أنه سمع منه بحديثة النورة؛ وعبد الله بن محمد بن الحسين أبو محمد بن أبى طاهر الحديثى، سمع أبا عبد الله أحمد بن عبد الله بن الحسين بن إسماعيل المحاملى وأبا القاسم بن بشران، روى عنه أبو القاسم السمرقندى وعبد الوهاب الأنماطى، ومات فى سنة ٤٨٧.

وهلال بن إبراهيم بن نجاد بن على بن شريف أبو البدر النميرى الخزرجى الشاعر، قدم دمشق.

ومنها أيضاً روح بن أحمد بن محمد بن أحمد بن صالح الحديثى أصلا البغدادى مولداً أبو طالب قاضى القضاة ببغداد، وكان يشهد أولاً عند قاضى القضاة أبى القاسم على ابن الحسين الزينى سنة ٥٢٤ فى شهر رمضان، ثم رتب نائبا فى الحكم بمدينة السلام وأذن له فى القعود والمطالبات والحبس والإطلاق من غير سماع بينة ولا إسجال فى خامس عشر رجب سنة ٥٦٣، وفى ربيع الآخر سنة ٥٦٤ أذن له فى سماع البينة وأنشأ قضيته بإذن المستنجد، وكان على ذلك ينوب فى الحكم إلى أن مات المستنجد بالله وولى المستضىء، فولاه قضاء القضاة بعد امتناع منه وإلزام له فيه يوم الجمعة حادى عشر شهر ربيع الآخر سنة ٥٦٦، واستناب ولده أبا المعالى عبد الملك على القضاء والحكم بدار الخلافة وما يليها وغير ذلك من الأعمال ولم يزل على ولايته حتى مات، وقد سمع الحديث من جماعة، قال عمر بن على القزوينى: سألت روح بن الحديثى عن مولده فقال: سنة ٥٠٢، ومات فى خامس عشر محرم سنة ٥٧٠.

وأبو جعفر النفيس بن وهبان الحديثى السلمى، روى عن أبى عبد الله محمد بن محمد بن أحمد السلال وأبى الفضل محمد بن عمر الأرموى فى آخرين، ومات فى ثالث عشر صفر سنة ٥٩٩.

وابنه صديقنا ورفيقنا الإمام أبو نصر عبد الرحيم بن النفيس ابن وهبان، اصطحبنا مدة ببغداد ومرو وخوارزم فى السماع على المشايخ وكانت بيننا مودة صادقة، وكان عارفا بالحديث ورجاله وعلومه عارفا بالأدب قيما باللغة جدا وخصوصا لغة الحديث، وكان مع ذلك فقيها مناظرا، وكان حسن العشرة متوددا مأمون الصحبة صحيح الخاطر مع دين متين، خلفته بخوارزم فى أول سنة ٦١٧ فقتلته التتر بها شهيدا، وما روى إلا القليل.

حديثة الموصل:

قال ياقوت:

حديثة الموصل: وهى بليدة كانت على دجلة بالجانب الشرقى قرب الزاب الأعلى، وفى بعض الآثار أن حديثة الموصل كانت هى قصبة كورة الموصل الموجودة الآن وإنما أحدثها مروان بن محمد الحمار، وقال حمزة بن الحميد: الحديثة تعريب نوكرد، وكانت مدينة قديمة فخربت وبقى آثارها فأعادها مروان بن محمد بن مروان إلى العمارة وسأل عن اسمها فأخبر بمعناه فقال: سموها الحديثة؛ وقال ابن الكلبى: أول من مصَّر الموصل هرثمة بن عرفجة البارقى فى أيام عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، وأسكنها العرب ثم أتى الحديثة، وكانت قرية فيها بيعتان، ويقال: إن هرثمة نزل المدينة أولاً فمصَّرها واختطها قبل الموصل، وإنها إنما سميت الحديثة حين تحول إليها من تحول من أهل الأنبار لما ولى ابن الرُّفيل صاحب النهر بيادوريا أيام الحجاج بن يوسف فعسَّفهم، وكان فيهم قوم من أهل الحديثة التى بالأنبار فبنوا بها مسجداً وسموا المدينة الحديثة؛ وينسب إلى هذه الحديثة

جماعة، منهم : أبو الحسن على بن عبد الرحمن بن محمد ابن بابويه السمنجانى الفقيه، نزل أصبهان ومات بها ، قال أبو الفضل المقدسى : سمعت أبا المظفر الأبيوردى يقول :

سمعته يقول نحن من حديثة الموصل، وكان إذا روى عنه نسبه الحديثى، قلت : وسمنجان بلد من أعمال طخارستان من وراء بلخ .

(معجم البلدان ٢/ ٢٣٠) .

الحديد:

الحديد معروف، ويأتى الكلام عليه فيما بعد، قال الفيروزابادى :

وحددت السكين : رققت حده، وأحددته : جعلت له حدا . ثم يقال لكل ما دق فى نفسه من حيث الخلقة أو من حيث المعنى كالبصر والبصيرة : حديد . فيقال : هو حديد النظر وحديد الفهم . قال تعالى ﴿ فبصرك اليوم حديد ﴾ [ق : ٢٢] ويقال : لسان حديدٌ نحو لسان صارم وماض وذلك إذا كان يؤثر تأثير الحديد ، قال تعالى ﴿ سلقوكم بألسنة حدادٍ ﴾ [الأحزاب : ١٩] ولتصور المنع سمى البواب حدادًا . وفى الحديث : « من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه »

قالت المؤلفة : أخرج السيوطى هذا الحديث الشريف بتمامه فى الجامع الصغير (٢/ ١٧٠) بلفظ : « من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه وإن كان أخاه لأبيه وأمه » برواية مسلم والترمذى عن أبى هريرة وقال عنه : حديث صحيح . كما أورد حديثا آخر بلفظ : « من أشار بحديدة إلى أحد من المسلمين يريد قتله فقد وجب دمه » من رواية الحاكم عن عائشة وقال عنه : حديث صحيح .

وفى المثل : الحديد بالحديد يُفْلَح (بصائر ذوى التمييز ٢/٤٣٨) .

يقول الله تعالى : ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾ [الحديد : ٢٥] وهذه الآية الكريمة كانت حافزا للمسلمين المشتغلين بعلم المعادن وعلم الطب إلى وصف خواص الحديد باعتباره أحد الفلزات، وتحديد منافعه للإنسان كما يتضح مما يلى :

قال القزوينى عن الحديد : تولده كتولد سائر الأجساد وسواد لونه لإفراط الحرارة، والحديد أكثر فائدة من سائر الفلزات، ولذلك قال الله تعالى ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾ فالبأس فى النصوص والمنافع فى الآلات، حتى قيل : ما من صنعة إلا وللحديد فيها أو فى أداتها مدخل .

وصداه يأكل أوساخ العيون اكتحالا وينفع من جرب العين والرمد والسبل ويخفف ثقل الأجفان، وينفع كحلا للعين وينفع للنقرس، وإذا احتمل من صداه نفع للبواسير (عجائب المخلوقات / ١٣٨) .

وعن استعمال الحديد فى الطب يقول المظفر الرسولى، مع ملاحظة أنه يستعمل لمصادره رمزين هما :

ع : عبد الله بن البيطار صاحب « الجامع لقوى الأدوية والأغذية .

ج : ابن جزلة صاحب « منهاج البيان فيمايستعمله الإنسان » :

حديد ــ « ع » يذكر خبثه فى حرف الخاء المعجمة . وقد ذكر توباله فى حرف التاء (انظر مادة « التوبال » فى م ١٠/ ٦٢٦، ٦٢٧) والحديد يستعمل فى علاج الطب على ضروب كثيرة ، وهو برادته وخبثه وزنجاره، وماؤه وشرابه اللذان أطفئ فيهما وهو محمى وهو ثلاثة أصناف : سابرقان، وبرماهن، وفولاذ . فالسابرقان : هو الفولاذ الطبيعى، وهو الذكر، وهو الإسطام . والفولاذ المصبوغ هو المتخلص من البرماهن . وأما الحديد المحمى، فإنه إذا أطفئ بالماء . فإنه موافق للإسهال المزمن، وقرحة الأمعاء، وورم الطحال، والهيضة، واسترخاء المعدة، والماء الذى يطفأ فيه الحديد شفاء لمن يخاف من الماء من عضة الكَلْب الكَلِب، من غير أن يعلم ، فإنه أنفع دواء كان وهو عجيب جدا، وينفع المعدة التى فسدت من قبل المرة

وينفع المبطونين ... وإذا خلط بالخل ولطخ على الحمرة المنتشرة أبرأها سريعا . « ج » زنجاره قابض أكال، وخبثه أضعف من زنجاره، وهو أقوى من كل خبث تجفيفا، وصدره على الداحس بشراب ينفع، وكذلك على النقرس، والخل المطبوخ فيه صالح للقيح المزمن الجارى من الأذن، والماء المطفأ فيه الحديد ينفع من أورام الطحال، واسترخاء المعدة، وضعفها، وفى توباله قوة مسهلة للماء الأصفر، وصدأه يحتمل فيقطع النزف، ويجفف البواسير، والشراب المطفأ فيه الحديد يحسن الإسهال المزمن، والدوسنطاريا واسترخاء المعدة، والسفل، وسلس البول ، (المعتمد ١/ ٩٠، ٩١) .

وقال عنه داود الأنطاكي :

منه ذكر هو السابرقان والاسطام والفولاذ الطبيعي وهو قليل الوجود وأنثى هو البرماهن والحديد أحد المعادن المطبوعة وأصله زئبق كثير جيد وكبريت قليل رديء بـاطنه فضة وظاهره ذهب عـاقته الحـرارة الكثيرة واليبس ورداءة الكبـريت ويتولـد بالشام وفـارس والبندقية ويتخذ من أنثاه الفولاذ الكبيـر الوجود بأن يعبى في البوادق ويحمى أسبوعا بأقـوى ما يكون من النار ثم يلقى عليه ما اجتمع من كل مر كـالحنظل والصبر مسحوقا بالمرائر حتى يداخله ويطفأ والحديد حار في الثانية يابس في الثالثـة إذا طفئ في ماء وشرب قطع الخفقـان وضعف المعدة والاستسقـاء والطحـال والكبـد والإسهـال وإن طفئ في الخل وعمل سكنجبينا قوى الأحشاء والهضم وأدر البول وفتح السدد وإذا سحقت بـرادتـه مع ربعهـا نـوشـادر وجعلت في مكـان مـرطوب صـارت زنجارا وتسمى زعفـرانة الحـديد وهـذه تقلع البياض والجـرب والسبل والحكة وتزيل الحمـرة حيث كانت كحلا وطـلاء وتحمل بالعسل فتمنع الحمل فرزجة والبـواسير فتلا والشقوق والأورام وتسكن النقـرس طلاء وتنبت الشعر في داء الثعلب والسعفـة ، وخبث الحديـد يفعل ذلك مع ضعف بالنسبة إلى الـزعفران . ومن خواصه : أنـه إذا طفئ في الشيرج مـرة والماء أخـرى جذب غيـر المطفأ من الحـديد إلى نفسـه كـالمغناطيس وأن بـرادتـه تجذب السـم إليها إذا طـرحت في طعام مسموم ، وإذا دمس بالرصاص أو المرقشيثا أو الرهج أو العلم قـارب الرصـاص في الـذوب فإن أديم سبكه بـالإهليلج وزبد البحر وقشر الرمان مع الطفي في دهن الخروع وماء البقلة لان وانطرق وكذا إذا سبك بالزهرة وأحـرقت عنه بالبارود وبرادة الحـديـد سم إلى خمسـة يخلـص منهـا شـرب المغنـاطيس وإتبـاعـه بـالمسهل واللبن والأدهـان (تـذكـرة أولي الألبـاب ١/ ١٢٠، ١٢١).

(بصائر ذوي التمييز للإمام الفيروزابادي - تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ٢/ ٤٣٨ ، وعجـائب المخلوقـات وغرائب المـوجودات للقـزويني / ١٣٨ ، والمعتمد في الأدوية المفـردة للمظفر الرسولي - صححـه وفهرسه مصطفى السقا ١/ ٩٠، ٩١ ، وتذكرة أولي الألباب لدواد بن عمر الأنطاكي ١/ ١٢٠، ١٢١) .

الحديد (سورة) :

السـورة رقم ٥٧ من سـور القـرآن الكـريم وفقـا لتـرتيب المصحف ، مدنية ، وعدد آيها عشرون وتسع عراقي وثمان في غيره ، وخـلافهم في موضعين : الأول ﴿ **من قبلـه العذاب** ﴾ [٣] عده الكوفي . الثاني : ﴿ **وآتيناه الإنجيل** ﴾ [٢٧] عده البصري (سعـادة الـدارين / ٧٢) أي أن البصـري زاد ﴿ **وآتيناه الإنجيل** ﴾ فجعلها تسعا وعشرين آية ، وكذلك جعلها الكوفي إلا أنه زاد ﴿ **من قبله العذاب** ﴾ (الجامع لما يحتـاج إليه من رسم المصحف / ١٣٤) .

وعن ذلك الاختـلاف بـالنسبـة لسـورة الحـديـد وسـورة المجـادلـة يقـول الشيخ عبـد الفتـاح القـاضي في منظـومتـه الموسومة بنفائس البيان :

قبلـــه العـــذاب عـن كـــوفيهـم
وعـــدد الإنجيل عـن بصـــريهـم
وفـي الأذلين المـــدنـي الثـــانـي
وأيضـــا المكـي يهمـــلان

ثم يشرح الناظم البيتين فيقول :

وأقول المعنـى أن قوله تعـالى ﴿ **من قبلـه العذاب** ﴾ [٣] ثابت عده عن الكوفيين دون غيرهم ، وأن قوله تعالى ﴿ **وآتيناه الإنجيل** ﴾ [٢٧] ثابت عده عن البصـري دون سواه ، وهذان المـوضعان في سـورة الحديـد . وفي سورة المجـادلة مـوضع واحد مختلف فيه ، وهو قوله تعالى ﴿ **أولئك في الأذلين** ﴾ وقد بينت في البيت الثاني أن المدني الثـاني والمكي يهملان عده فغيرهما يعده والله تعالى أعلم (نفائس البيان / ٤٦) .

قـال الإمـام الفيـروزابـادي : وكلمـاتهـا خمسمـائة وأربع وأربعـون ، وحروفهـا ألفان وأربعمـائة وست وسبعون مجمـوع فواصل آياتهـا « من بزٍّ ردَّ » على الزاي ﴿ **إن الله قوي عزيز** ﴾ [٢٥] ، وعلى الدال ﴿ **هو الغني الحميد** ﴾ [٢٤] سميت سورة الحديـد لقوله تعـالى فيها : ﴿ **وأنزلنـا الحـديد فيـه بـأس شـديد** ﴾ [٢٥] .

معظم مقصـــود الســـورة : الإشــارة إلـى تسبيح جملـة المخلوقين والمخلوقات في الأرض والسموات ، وتنزيه الحق تعالى في الـذات والصفات ، وأمـر المؤمنين بإنفـاق النفقات والصدقات ، وذكر حيرة المنافقين في صحراء العرصات وبيان خسة الدنيا وعز الجنـات ، وتسلية الخلق عند هجوم النكبات والمصيبات ، في قوله : ﴿ **وأن الفضل بيد الله** ﴾ [٢٩] بهذه الآيات .

ويعلق محقق الكتاب الأستاذ محمد على النجار على ذلك بقوله : الذى يناسب التسلية عند المصيبات قوله تعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ﴾[٢٢] .

والسورة محكمة : ليس فيها ناسخ ولا منسوخ (بصائر ذوى التمييز ١/٤٥٣) .

وعن وجه اتصال سورة الحديد بسورة الواقعة التى تسبقها يقول الحافظ السيوطى : قال بعضهم : وجه اتصالها بالواقعة أنها قدمت بذكر التسبيح ، وتلك خُتمت بالأمر به قلت : وتمامه : أن أول الحديد واقع موقع العلة للأمر به ، وكأنه قيل : ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ (آخر الواقعة) لأنه ﴿ سبح لله ما فى السموات والأرض ﴾ (أول الحديد)(تناسق الدرر / ١٢١، ١٢٢) .

المتشابهات :

ورد كل من اسرار التكرار للكرمانى وبصائر ذوى التمييز للفيروزابادى ما نصه :

قوله تعالى : ﴿ سبح لله ﴾ [١] وكذلك فى الحشر، والصف، ثم ﴿ يسبح ﴾ فى الجمعة [١] والتغابن [١] هذه كلمة استأثر الله بها ، فبدأ بالمصدر فى بنى إسرائيل (الإسراء) لأنه الأصل، ثم بالماضى؛ لأنه أسبق الزمانين، ثم بالمستقبل، ثم بالأمر فى سورة الأعلى؛ استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها. وهى أربع : المصدر، والماضى، والمستقبل، والأمر للمخاطب .

قوله تعالى : ﴿ ما فى السموات والأرض ﴾ [١] وفى السور الخمس ﴿ ما فى السموات وما فى الأرض ﴾ [١] إعادة (ما) هو الأصل . وخصت هذه السورة بالحذف، موافقة لما بعدها وهو ﴿ خلق السموات والأرض ﴾ [٤] وبعدها ﴿ له ملك السموات والأرض ﴾ [٢، ٥] لأن التقدير فى هذه السورة : سبح لله خلق السموات والأرض ولذلك قال فى آخر الحشر بعد قوله : ﴿ الخلق البارئ المصور ﴾ (آخر السورة) ﴿يسبح له ما فى السموات والأرض ﴾ أى خلقهما .

قوله تعالى : ﴿ له ملك السموات والأرض ﴾ [٢] وبعده : ﴿ له ملك السموات والأرض ﴾ [٥] ليس بتكرار، لأن الأولى فى الدنيا، لقوله تعالى : ﴿ يحيى ويميت ﴾ والثانية فى العقبى؛ لقوله تعالى : ﴿ وإلى الله ترجع الأمور ﴾ [٥] .

قوله تعالى : ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [٧] بزيادة (هو) لأن ﴿ بشراكم ﴾ مبتدأ ﴿ وجنٰت ﴾ خبره ﴿ تجرى من تحتها ﴾ صفة لها ﴿ خٰلدين فيها ﴾ حال ﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى ما قبله. و ﴿ هو ﴾ تنبيه على عظم شأن المذكور ﴿ الفوز العظيم ﴾ خبره .

قوله تعالى ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينٰت ﴾ [٢٥] ابتداء كلام ﴿ولقد أرسلنا ﴾ [٢٦] عطف عليه .

قوله : ﴿ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم﴾ [٢٢]، وفى التغابن ﴿ من مصيبة إلا بإذن الله ﴾ [١١] فصل فى هذه السورة ، وأجمل هناك ، موافقة لما قبلها فى هذه السورة، فإنه فصَّل أحوال الدنيا والآخرة فيها، بقوله : ﴿اعلموا أنما الحيٰوة الدنيا لعب ولهوٌ وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ﴾ [٢٠] (أسرار التكرار / ١٩٩ ـ ٢٠١) وبصائر ذوى التمييز ١/ ٤٥٤، ٤٥٥) .

وعن أسباب نزول بعض آيات سورة الحديد يقول الإمام السيوطى، وقد استخدم الحرف « ك » رمزا لزيادته على أسباب النزول للواحدى :

أخرج ابن أبى شيبة فى المصنف عن عبد العزيز بن أبى رواد أن أصحاب النبى ﷺ ظهر فيهم المزاح والضحك ، فنزلت ﴿ ألم يأن للذين آمنوا ﴾ [١٦] .

وأخرج ابن أبى حاتم عن مقاتل بن حيان قال : كان أصحاب النبى ﷺ قد أخذوا فى شىء من المزاح، فأنزل الله ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ الآية .

وأخرج عن السدى عن القاسم : مل أصحاب رسول الله ﷺ ملة ، فقالوا حدثنا يا رسول الله ، فأنزل الله ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ [يوسف : ٣] ثم ملوا ملة ، فقالوا حدثنا يارسول الله ، فأنزل الله ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ [١٦] .

وأخرج ابن المبارك فى الزهد أنبأنا سفيان عن الأعمش قال : لما قدم أصحاب رسول الله ﷺ المدينة فأصابوا من العيش ما أصابوا بعد ما كان بهم من الجهد، فكأنهم فتروا عن بعض ما كانوا عليه ، فنزلت ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم ﴾ الآية .

قالت المؤلفة : أورد الإمام الواحدى سببا آخر لنزول هذه الآية [١٦] فقال : قوله تعالى : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ [١٦] قال الكلبى ومقاتل : نزلت فى المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك أنهم سألوا سلمان الفارسى ذات يوم فقالوا : حدثنا عما فى التوراة فإن فيها العجائب، فنزلت هذه الآية : وقال غيرهما : نزلت فى المؤمنين .

أخبرنا عبد القاهر بن طاهر قال : أخبرنا أبو عمرو بن مطر قال : أخبرنا جعفر بن محمد الفريابى قال : حدثنا إسحاق ابن راهويه قال : حدثنا عمرو بن محمد القرشى قال : حدثنا خلاد بن الصفار، عن عمرو بن قيس الملائى عن عمرو بن مرة ،عن مصعب بن سعد، عن سعد قال : أنزل القرآن زمانًا على رسول الله ﷺ فتلاه عليهم زماناً فقالوا : يا رسول الله، لو قصصت، فأنزل الله تعالى : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ [يوسف : ٣] ، فتلاه عليهم زمانًا، فقالوا : يا رسول الله لو حدثتنا، فأنزل الله تعالى : ﴿ الله نزل أحسن الحديث ﴾ [الزمر : ٢٣] قال : كل ذلك يؤمرون بالقرآن ، قال خلاد : وزاد فيه آخر قالوا : يا رسول الله لو ذكرتنا، فأنزل الله تعالى : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾[١٦] (أسباب النزول للواحدى (٢٧٢)) .

ونعود إلى السيوطى الذى يقول :

وأخرج الطبرانى فى الأوسط بسند فيه من لا يعرف عن ابن عباس : أن أربعين من أصحاب النجاشى قدموا على النبى ﷺ فشهدوا معه أحدًا ، فكانت فيهم جراحات ولم يقتل منهم أحد، فلما رأوا ما بالمؤمنين من الحاجة قالوا يا رسول الله : إنا أهل ميسرة فأذن لنا نجيء بأموالنا نواسى بها المسلمين ، فأنزل الله فيهم ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ﴾ [القصص : ٥٢] فلما نزلت قالوا : يا معشر المسلمين أما من آمن منا بكتابكم فله أجران، ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم ، فأنزل الله ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ﴾ [٢٨] .

وأخرج ابن أبى حاتم عن مقاتل قال : لما نزلت ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ﴾ [القصص : ٥٤] ، فخر مؤمنو أهل الكتاب على أصحاب النبى ﷺ، فقالوا : لنا أجران ولكم أجر، فاشتد ذلك على الصحابة ، فأنزل الله ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ﴾ [٢٨] فجعل لهم أجرين مثل أجور مؤمنى أهل الكتاب .

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال : بلغنا أنه لما نزلت ﴿ يؤتكم كفلين من رحمته ﴾ حسد أهل الكتاب المسلمين عليها ، فأنزل الله ﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ﴾ [٢٩] .

ك، وأخرج ابن المنذر عن مجاهد قال قالت اليهود يوشك أن يخرج منا نبى فيقطع الأيدى والأرجل، فلما خرج من العرب كفروا، فأنزل الله ﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ﴾ [٢٩] يعنى بفضل النبوة (أسباب النزول للسيوطى / ٢٦٢ ، ٢٦٣) .

ويوضح الإمام السيوطى ما أبهم من أسماء وردت فى سورة الحديد فيقول : ﴿ فضرب بينهم بسور ﴾ [١٣] قال مجاهد : هو الحجاب الذى فى سورة الأعراف (المذكور فى قوله تعالى : ﴿ وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ﴾ [الأعراف : ٤٦] بينهما : أى بين الجنة والنار، وقيل : بين أهل الجنة وأهل النار. حجاب : سور وحاجز)

وقال قتادة : حائط بين الجنة والنار. أخرجهما ابن أبى حاتم .

﴿ الغرور ﴾ [١٤] : الشيطان .

﴿ وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه ﴾ [٢٧] : قال ابن جرير: هو النبى ﷺ . أخرجه ابن أبى حاتم (مفحمات الأقران/ ١٠٥، ١٠٦) .

ويطرح الإمام الرازى أسئلة عما قد يوهم وجود تعارض بين بعض آيات سورة الحديد ، ثم يجيب عن هذه الأسئلة بطريقة « فإن قيل ـ قلنا » وذلك على النحو التالى :

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ وما لكم لا تؤمنون بالله ﴾ [٨]ثم قال سبحانه ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ ؟

قلنا : معناه إن كنتم مؤمنين بموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، فإن شريعتهما تقتضى الإيمان بمحمد ﷺ

الثاني : إن كنتم مؤمنين بالميثاق الذى أخذه عليكم يوم أخرجكم من ظهر آدم عليه السلام .

الثالث : أن معناه : أى عذر لكم فى ترك الإيمان والرسول يدعوكم إليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج، وقد ركّب الله تعالى فيكم العقول ونصب لكم الأدلة ومكنكم من النظر وأزاح عللكم، فما لكم لا تؤمنون إن كنتم مؤمنين بموجب ما ، فإن هذا الموجب لا مزيد عليه .

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ **لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل** ﴾ [١٠] ولم يذكر مع من لا يستوى، والاستواء لا يتم إلا بذكر اثنين كقوله تعالى : ﴿ **قل لا يستوى الخبيث والطيب** ﴾ [المائدة : ١٠٠] ﴿ **لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة** ﴾ [الحشر : ٢٠] .

قلنا : هو محذوف تقديره : ومن أنفق وقاتل من بعد الفتح، وإنما حذف لدلالة ما بعده عليه .

فإن قيل : كيف يقال إن على الدرجات بعد درجة الأنبياء درجة الصديقين ، والله تعالى قد حكم لكل مؤمن بكونه صديقا بقوله تعالى ﴿ **والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصِّديقون والشهداء عند ربهم** ﴾[١٩] .

قلنا : قال ابن مسعود ومجاهد : كل مؤمن صدِّيق . الثانى أن الصِّديق هو كثير الصدق، وهو الذى كل أقواله وأفعاله وأحواله صدق، فعلى هذا يكون المراد به بعض المؤمنين لا كلهم . وقد روى عن الضحاك أنها نزلت فى ثمانية نفر سبقوا أهل الأرض فى زمانهم إلى الإسلام، وهم أبو بكر وعثمان وعلى وحمزة بن عبد المطلب وطلحة والزبير وسعد وزيد، وألحق بهم عمر رضى الله عنهم فصاروا تسعة .

فإن قيل : كيف ذكر سبحانه هؤلاء المذكورين بكونهم شهداء ومنهم من لم يقتل ؟

قلنا : معناه أن لهم أجر الشهداء .

الثانى : أنه جمع شهيد بمعنى شاهد، فمعناه أنهم شهداء عند ربهم على أنفسهم بالإيمان .

الثالث : أنه مبتدأ منقطع عما قبله لا معطوف عليه ؛ معناه : والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم .

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ **سابقوا إلى مغفرة من ربكم** ﴾ [٢١] والمسابقة من المفاعلة التى لا تكون إلا بين اثنين كقولك : سابق زيد عَمرا ؟

قلنا : قيل معناه سارعوا مسارعة المسابقين لأقرانهم فى الميدان، ويؤيد هذا القول مجيئه بلفظ « المسارعة » فى سورة آل عمران [١٣٣] وقيل سابقوا ملك الموت قبل أن يقطعكم بالموت عن الأعمال التى توصلكم إلى الجنة وقيل : سابقوا إبليس قبل أن يصدكم بغروره وخداعه عن ذلك .

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ **وجنة عرضها كعرض السماء والأرض** ﴾ [٢١] وقال تعالى فى سورة آل عمران : ﴿**وجنه عرضها السموات والأرض** ﴾ [١٣٣] فكيف يكون عرضها كعرض السماء الواحدة وكعرض السموات السبع ؟

قلنا : المراد بالسماء جنس السموات لا سماء واحدة، كما أن المراد بالأرض فى الآيتين جنس الأرضين، فصار التشبيه فى الآيتين بعرض السموات السبع والأرضين السبع .

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ **لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم** ﴾ ولا أحد يملك نفسه عند مضرة تناله أن لا يحزن، ولا عند منفعة تناله أن لا يفرح، وليرجع كل واحد منا فى ذلك إلى نفسه ؟

قلنا : ليس المراد بذلك الحزن والفرح الذى لا ينفك عنه الإنسان بطبعه قسرا وقهرا، بل المراد به الحزن المخرج لصاحبه إلى الذهول عن الصبر والتسليم لأمر الله تعالى ورجاء ثواب الصابرين، والفرح المطغى الملهى عن الشكر، نعوذ بالله منهما .

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا معهم الكتاب والميزان** ﴾ [٢٥] والميزان لم ينزل من السماء ؟

قلنا : قيل المراد بالميزان هنا العدل : وقيل العقل . وقيل «السلسلة » التى أنزلها الله تعالى على داود عليه السلام . وقيل هو الميزان المعروف أنزله جبريل فدفعه إلى نوح عليه السلام وقال له : مر قومك يزنوا به .

فإن قيل : كيف قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله** ﴾ [٢٨] مع أن المؤمنين مؤمنون برسوله ﷺ ؟

قلنا : معناه يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام آمنوا بمحمد ﷺ، فيكون خطابا لليهود والنصارى

خاصة، وعليه الأكثرون. وقيل معناه : يا أيها الذين آمنوا يوم الميثاق اتقوا الله وآمنوا برسوله اليوم . وقيل معناه يا أيها الذين آمنوا بالله فى العلانية باللسان اتقوا الله وآمنوا برسوله فى السر بتصديق القلب (مسائل الرازى وأجوبتها / ٣٣٦ ـ ٣٣٩ ، والأنموذج الجليل ٦/ ٤٧٣ ـ ٤٧٦) .

وكما فعل الإمام الرازى يدفع الشيخ الشنقيطى أيضا ما قد يوهم بوجود تعارض بين بعض آيات هذه السورة فيقول :

قوله تعالى : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ [٤] يدل على أنه تعالى مستو على عرشه عال على جميع خلقه، وقوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ [٤] يوهم خلاف ذلك .

والجواب : أنه تعالى مستو على عرشه كما قال بلا كيف ولا تشبيه ، استواء لائقا بكماله وجلاله، وجميع الخلائق فى يده أصغر من حبة خردل فهو مع جميعهم بالإحاطة الكاملة والعلم التام، ونفوذ القدرة سبحانه وتعالى علوًّا كبيرا، فلا منافاة بين علوه على عرشه ومعيته لجميع الخلائق .

ألا ترى ولله المثل الأعلى أن أحدنا لو جعل فى يده حبة من خردل أنه ليس داخلا فى شىء من أجزاء تلك الحبة مع أنه محيط بجميع أجزائها ومع جميع أجزائها والسموات والأرض ومن فيهما فى يده تعالى أصغر من حبة خردل فى يد أحدنا، وله المثل الأعلى سبحانه وتعالى علوًّا كبيراً . فهو أقرب إلى الواحد منا من عنق راحلته بل من حبل وريده، مع أنه مستو على عرشه لا يخفى عليه شىء من عمل خلقه، جل وعلا (دفع إيهام الاضطراب / ٢٨٥) .

ويقسم حجة الإسلام الغزالى آيات القرآن الكريم إلى نمطين : جواهر ودرر. أما الجواهر فهى كما عرفها هى تلك الآيات التى وردت فى ذات الله عز وجل وصفاته وأفعاله خاصة وهو القسم العلمى، وأما الدرر فهى ما ورد فيه بيان الصراط والحث عليه وهو القسم العملى فالجواهر فى سورة الحديد ست آيات هى :

قوله تعالى : ﴿ سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم * له ملك السموات والأرض يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير * هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم * هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير * له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور * يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور ﴾ [١ ـ ٦] .

وأما الدرر فهى ثمانى آيات :

قوله تعالى : ﴿ وما لكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبيرا ﴾ [١٠] .

وقوله تعالى : ﴿ إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم * والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم * اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور* سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم * ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما ءاتاكم والله لا يحب كل مختال فخور * الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد ﴾ [١٨ ــ ٢٤] (جواهر القرآن ودرره / ١١٥، ١٦٦، ١٦٧) .

أما من حيث رسم المصحف فقد ذكر الإمام أبو عمرو الدانى فى باب ما رسم فى المصاحف من الحروف المقطوعة على الأصل والموصولة على اللفظ أن « لكى لا » وردت موصولة ثلاثة أحرف فى سورة الحديد فى قوله تعالى : ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ﴾ [٢٣] كما ذكر فى باب ما اتفقت على رسمه مصاحف أهل الأمصار أنهم كتبوا فى سورة الحديد ﴿ أين ما كنتم ﴾ [٤] مقطوعة ، وكتبوا ﴿ لكيلا تأسوا ﴾ [٢٣] موصولة .

كذلك ذكر الإمام الدانى فى باب ما اختلفت فيه مصاحف

أهل الأمصار بالإثبات والحذف فقال : فى الحديد [١١] فى بعض المصاحف ﴿ فيضْعفه ﴾ بغير ألف ، وفى بعضها بالألف ، وفى الحديد [١٨] فى بعضها ﴿ يضاعف لهم ﴾ بالألف ، وفى بعضها ﴿ يضْعف ﴾ بغير ألف .

قالت المؤلفة : فى المصاحف التى عندى ، ويأتى بيانها ، ورد فى أحد عشر مصحفًا منها ﴿ فيضْعفه ﴾ [١١] و ﴿يضْعف ﴾ [١٨] بدون ألف ، وورد فى مصحف واحد هو مصحف العراق ﴿ فيضاعفه ﴾ [١١] و﴿ يضاعف لهم ﴾ [١٨] وبيان ذلك كما يلى .

الرسم : ﴿ فيضْعفه ﴾ [١١]، و ﴿ يُضْعفُ ﴾ [١٨] .

أ ـ المدينة المنورة : مصحف المدينة المنورة . مجمع خادم الحرمين لطباعة المصحف الشريف .

ب ـ مصر :

١ ـ طبع الأزهر الشريف ١٩٧٨ م .

٢ ـ طبع دار الغد العربى : المصحف المفسر للإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى .

٣ ـ مطبعة الأنوار المحمدية لصاحبها على مرسى أبو العز

٤ ـ طبع جعفر محمد مصطفى .

٥ ـ دار الكتب الدينية للطباعة والنشر .

٦ ـ طبع عبد الرحمن محمد الطبعة الثانية ١٣٥٦ هـ ، ١٩٣٨ م .

٧ ـ طبع مصر للطيران .

٨ ـ مصحف الشروق المفسر الميسر مختصر تفسير الإمام الطبرى طبع دار الشروق .

جـ ـ سورية :

١ ـ مختصر تفسير الإمام الطبرى . دار الفجر الإسلامى . دمشق بيروت الطبعة السادسة ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م .

٢ ـ مكتبة الإحسان .

الرسم : ﴿ فيضاعفه ﴾ [١١]، و ﴿ يُضاعف لهم ﴾ [١٨].

د . العراق . وزارة الأوقاف والشئون الدينية . الطبعة الثانية ربيع الأول ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

ويذكر الإمام الدانى أيضا فى باب ما اختلفت فيه مصاحف أهل الحجاز والعراق والشام المنتسخة من المصحف الإمام بالزيادة والنقصان أنه فى الآية [١١] من سورة الحديد فى مصاحف أهل الشام ﴿ وكلٌّ وعد الله الحسنى ﴾ بالرفع ، وفى سائر المصاحف ﴿ وكُلاًّ ﴾ بالنصب ، وأن فى الآية [٢٤] فى مصاحف أهل المدينة والشام « فإن الله الغنى الحميد » بغير « هو » ، وفى سائر المصاحف « هو الغنى » بزيادة « هو » ، كما فى مصحف أهل العراق (المقنع / ٨٠،١٠٢،١١٢،١١٣) .

أما من حيث القراءات السبع بالنسبة لسورة الحديد كما حددها الإمام ابن مجاهد فبيانها كما يلى :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ وقد أخذ ميثْقكم ﴾ [٨] .

قرأ أبو عمرو وحده : (وقد أُخذ ميثْقكم) بضم الألف وكسر الخاء وضم القاف .

وقرأ الباقون : ﴿ وقد أخذ ميثْقكم ﴾ بفتح الألف والخاء والقاف .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ وكلا وعد الله الحسنىٰ ﴾ [١٠] .

كلهم قرأ : ﴿وكلا وعد الله الحسنىٰ ﴾ غير ابن عامر، فإنه قرأ: (وكلٌّ) بغير ألف رفعا، وكذلك هى فى مصاحف أهل الشام .

٣ ـ قوله تعالى : ﴿ فيضْعفه له ﴾ [١١].

قرأ ابن كثير وابن عامر: (فيضعِّفه) مشددة العين . وابن كثير يرفع الفاء وابن عامر ينصبها .

وقرأ عاصم : ﴿فيضْعفه ﴾ بالألف وفتح الفاء .

وقرأ أبو عمرو ونافع وحمزة والكسائى : (فيضْعفُه) / بالألف ورفع الفاء .

٤ ـ قوله تعالى : ﴿ انظُرونا ﴾[١٣] .

قرأ حمزة وحده : (أنظِرونا) مقطوعة الألف مكسورة الظاء .

(معنى أنظرونا بهمزة مقطوعة : أمهلونا ، ومعنى انظرونا بهمزة موصولة : انتظرونا) .

وقرأ الباقون : ﴿ انظُرونا ﴾ موصولة الألف مضمومة الظاء

٥ ـ قوله تعالى : ﴿ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ﴾ [١٥] .

قرأ ابن عامر فى رواية هشام : (فاليوم لا تؤخذ) بالتاء .

وروى ابن ذكوان عنه : ﴿ لا يؤخذ ﴾ بالياء .

وقرأ الباقون : ﴿ لا يؤخذ ﴾ بالياء .

٦ ـ قوله تعالى : ﴿ وما نزل من الحق ﴾ [١٦] .

قرأ نافع وحفص والمفضل عن عاصم : ﴿ وما نَزل ﴾ خفيفة .

وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم : (وما نزَّل) مشددة الزاى مفتوحة النون وروى عباس عن أبى عمرو : (وما نُزِّل) مرتفعة النون مشددة الزاى مكسورة .

٧ ـ قوله تعالى : ﴿ إن المصَّدقين والمصَّدقت ﴾ [١٨] .

قرأ ابن كثير وعاصم فى رواية أبى بكر : (إن المصَدقين والمصدقت) خفيفة الصاد .

وقرأ الباقون وحفص عن عاصم : ﴿ إن المصَّدقين والمصَّدقت ﴾ مشددة الصاد .

٨ ـ قوله تعالى : ﴿ ولا تفرحوا بما آتكم ﴾ [٢٣] .

قرأ أبو عمرو وحده : (بما أتكُم) بألف مقصورة .

وقرأ الباقون : ﴿ بما آتكم ﴾ ممدوداً .

٩ ـ قوله تعالى : ﴿ بالبخل ﴾ [٢٤] .

قرأ حمزة والكسائى : (بالبَخَل) مثقلة وقرأ الباقون : ﴿ بالبُخل ﴾ مضمومة خفيفة ليست فيها ياء إضافة .

١٠ ـ قوله تعالى : ﴿ فإن الله هو الغنى الحميد ﴾ [٢٤] .

قرأ نافع وابن عامر : (فإن الله الغنى الحميد) ليس فيها (هو)، كذلك هى فى مصاحف أهل المدينة والشام .

وقرأ الباقون : ﴿ هو الغنى الحميد ﴾ وكذلك هى فى مصاحف أهل مكة والعراق (كتاب السبعة فى القراءات / ٦٢٥ ـ ٦٢٧) .

وفيما يلى ما جاء من نظم عن هذه القراءات فى حرز الأمانى للإمام الشاطبى، يعقبه شرح للشيخ على محمد الضباع، وقد وضعت الحروف التى تميز القراء السبعة بين أقواس قال الناظم رحمه الله :

... ...

وقد أخذ اضمم واكسر الخاء (حـ) ـولا

*وميثاقكم عنه وكل (كـ) ـفى وأنـ **

ظرونا بقطع واكسر الضم (فـ) ـيصلا

ويؤخذ غير الشام ما نزل الخفيـ

ـفُ (إ) ذ (عـ) ـز والصادان من بعد (د) م (صـ) ـلا

وآتاكم فاقصر (حـ) ـفيظًا وقل هو الـ

ـغنى هو احذف (عم) وصلا موصلا .

(من حرز الأمانى / ١٨٥)

ويشرح الشيخ على محمد الضباع الأبيات بقوله .

قرأ أبو عمرو ﴿ أخِذ ﴾ بضم الهمزة وكسر الخاء ﴿ميثاقكم﴾ بالرفع والباقون بفتح الهمزة والخاء ونصب ميثاقكم . وقرأ ابن عامر ﴿ وكل وعد ﴾ برفع اللام والباقون بنصبها قرأ حمزة (أنظرونا) بقطع الهمزة مفتوحة وكسر الظاء والباقون بوصل الهمزة وابتدائها بالضم وضم الظاء . قرأ ابن عامر ﴿ لا يؤخذ ﴾ بتاء التأنيث والباقون بياء التذكير قرأ نافع وحفص (وما نزل) بتخفيف الزاى والباقون فيهما والباقون بتشديدها . قرأ ابن كثير وشعبة (المصدقين والمصدقات) بتخفيف الصاد فيهما والباقون بتشديدها قرأ أبو عمرو (بما آتاكم) بقصر الهمزة والباقون بمدها . قرأ نافع وابن عامر (فإن الله الغنى) بحذف لفظ هو والباقون هو الغنى بإثباته (تقريب النفع / ١٨٥) .

وأما الحروف التى وضعت بين أقواس فترمز إلى أسماء القراء التى وردت فى النظم والشرح وهى :

ح : أبو عمرو .

ك : ابن عامر .

ف : حمزة .

أ : نافع .

ع : حفص .

د : ابن كثير .

ص : شعبة .

أما عن أنواع الوقف فى سورة الحديد ، وهى التام ، والكافى والحسن والقبيح فقد بينها الإمام أبو عمرو الدانى على النحو التالى :

﴿ العزيز الحكيم ﴾ [١] تام ، وكذلك عامة فواصلها ، ﴿ثم استوى على العرش ﴾ [٤] تام ، ومثله ﴿ وما يعرج فيها﴾ ومثله ﴿ أينما كنتم ﴾ ومثله ﴿ له ملك السماوات والأرض ﴾ [٥] وقيل هو كاف ، ومثله ﴿ بالله ورسوله ﴾ [٧] ومثله ﴿ مستخلفين فيه ﴾ ومثله ، ﴿ وما لكم لا تؤمنون بالله ﴾

﴿ إلى النور ﴾ [٩] تام ، ومثلـه ﴿ من قبل الفتح وقـاتل ﴾ ومثله ﴿ من بعد وقاتلوا ﴾ [١٠] ومثله ﴿ وعد الله الحسنى ﴾ وهو أتم منه ، وآخر الآية أتم ﴿ بأيمانهم ﴾ [١٢] كاف .

ومثلـه ﴿ فـالتمسـوا نـورا ﴾ [١٣] ومثلـه ﴿ من قبلـه العذاب ﴾ وهو رأس آية فى الكوفى وقـال نافع والدينورى ﴿ له باب ﴾ [١٣] تام ، وقالا ﴿ قالوا بلى ﴾ تام ، وهما كافيان ، ﴿ هى مولاكم ﴾ [١٥] كاف ، ومثله ﴿ من الحق ﴾ [١٦] ورؤوس الآى تامة ﴿ هم الصديقون ﴾ [١٩] تام ، على قول من جعل قوله ﴿ والشهـداء عنـد ربهم ﴾ مبتـدأ وخبـره فى المجرور فى قوله ﴿ لهم أجرهم ونورهم ﴾ [١٩] ومن جعل ذلك نسقا على ﴿ هم الصـديقون ﴾ فالتمام ﴿ عند ربهم ﴾ والأول قـول ابن عبـاس ومسـروق ، والثـانى قـول مجـاهـد والضحـاك وروى زيـد بن أسلم عـن البـراء عن النبى ﷺ أنـه قال ، « مـؤمنو أمتى شهداء » ثـم تلا الآية إلى قـوله : ﴿ عند ربهم ﴾ حدثنا أحمد بن محمد بن بـدر القاضى قال : حدثنا أبي قال : حـدثنا إبراهيم الهـروى قال : حدثنـا هشيم قال : حدثنا منصور عن الحسن قال : من سأل الله الشهادة مخلصا من قلبه ثم مـات على فراشه فهـو شهيد ثم تلا هـذه الآية ﴿ والذين آمنوا بـالله ورسوله أولئك هم الصديقـون والشهداء عند ربهم ﴾ ﴿لهم أجرهم ونورهم ﴾ [١٩] تام . على القولين ﴿ أصحاب الجحيم ﴾ تام ، ومثله ﴿ وحطاما ﴾ [٢٠] ومثلـه ﴿ورضوان﴾ ومثله ﴿ الغرور ﴾ ﴿ بالله ورسله ﴾ [٢١] كاف ومثله ﴿ يـؤتيه من يشـاء ﴾ ﴿ العظيم ﴾ تام، ﴿ من قبـل أن نبرأها﴾ [٢٢] كاف ومثله ﴿ بما آتاكم ﴾ [٢٣] ﴿ بالبخل﴾ [٢٤] تام وقيـل كاف . ﴿ الغنى الحميد ﴾ تام . ﴿ ورسله بالغيب ﴾ [٢٥] كـــاف ورأس الآى أتم . ﴿ رأفة ورحمـة ﴾ [٢٧] كاف وقيل تام ، ثم يبتدئُ ﴿ ورهبانية ﴾ أى ، وابتدعوها رهبانيـة . حدثنـا محمد بن عبد الله قـال : حدثنـا أبى قال : حدثنا على قـال : حدثنا أحمد قال : حـدثنا يحيى بن سلام فى قوله ﴿رأفة ورحمة ﴾ تم الكلام قـال : ثم استأنف الكلام فقال : ﴿ورهبانية ابتدعوها ﴾ لم يكتبهـا الله عليهم ، ولكن ابتدعوها ليتقربوا بها إلى الله عز وجل ، قال الحسن : ففرضها الله عليهم ﴿ إلا ابتغـاء رضـوان الله ﴾ [٢٧] كـاف ومثلهم ﴿منهم أجرهم ﴾ ﴿ فاسقون ﴾ تام ﴿ ويغفر لكم ﴾ [٢٨] كاف ﴿غفور رحيم﴾ تام ومثله ﴿ يؤتيه من يشاء ﴾ [٢٩] أى كاف (المكتفى / ٣٤٦، ٣٤٧) .

(سعادة الدارين فى بيان آى معجز الثقلين ـ محمد بن على بن خلف الحسينى الشهير بـالحـداد / ٧٢ ، والجـامع لمـا يحتـاج إليـه من رسم المصحف لابن وثيق الأندلسى ـ تحقيق د . غـانم قدورى حمد / ١٣٤ ، ونفائس البيان شـرح الفرائد الحسان فى عد آى القرآن ـــ الشيخ عبد الفتاح القاضى / ٤٦ ، وبصائر ذوى التمييز للإمـام الفيروزابادى ـ تحقيق الأستاذ محمد على النجـار ٢/ ٤٥٣ ـــ ٤٥٥ ، وتنـاسق الـدرر فى تناسب السـور للإمـام جلال الـدين عبد الـرحمن السيوطى ـــ دراسة وتحقيق عبـد القادر أحمد عطا / ١٢١ ، ١٢٢ ، وأسرار التكرار فى القرآن أو البرهان فى توجيه متشـابه القـرآن لما فيـه من الحجة والبيـان لتاج القـراء محمود بن حمـزة الكرمانى ـ دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا / ١٩٩ ـ ٢٠١ ، وأسباب النزول للـواحدى النيسـابورى / ٢٧٢ ، وأسبـاب النزول (لبـاب النقول فى أسباب النزول) للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ـ تحقيق وتعليق الأستـاذ قرنى أبـى عميرة / ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ومفحمات الأقران فـى مبهمات القرآن لجلال الدين السيوطى ـ ضبطه وعلق عليه د . مصطفى ديب البغا/ ١٠٥ ، ١٠٦ ، ومسائل الرازى وأجوبتها من غرائب آى التنزيل لزين الدين الـرازى ـــ تحقيق وتصحيح إبـراهيـم عطـوة عـوض . ط مصطفى البـابى الحلبى/ ٣٣٦ ـــ ٣٣٩ ، والأنمـوذج الجليل من غرائب آى التنـزيل وهـو نفس الكتـاب السابق ذكـره ونفس المحقق . هـدية مجلة الأزهـر، رجب ١٤٠٠ هـ ، ٦/ ٤٧٣ ـ ٤٧٦ ، ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ـ فضيلة الشيخ محمـد الأمين الجكنى الشنقيطى / ٢٨٥ ، وجـواهر القـرآن ودرره لـلإمام حجـة الإسـلام أبى حـامد الغـزالى / ١١٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، والمقنع فى رسم مصـاحف الأمصـار لـلإمام أبى عمرو الـدانى ـــ تحقيق محمد الصادق قمحاوى / ٨٠ ، ١٠٢ ، ١١٢ ، ١١٣ ، وكتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد ـــ تحقيق د . شوقى ضيف ٦٢٥ ـ ٦٢٧ ومتن حرز الأمانى ووجه التهانى المعروف بالشـاطبية للإمام الشاطبى ، وتقريب النفع فى القراءات السبع المطبوع بهامشه ـ الشيخ على محمد الضباع / ١٨٥ ، والمكتفى فى الـوقف والابتـدا لأبى عمرو الـدانى ـــ دراسـة وتحقيق جايـد زيدان مخلف / ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

انظر أيضا بقية المراجع التى أوردناها فى مادة الحجر (سورة ـ) .

حديقة الأديب وطريقة الأريب :

حديقة الأديب وطـريقة الأريب ـ لجلال الـدين السيوطى جمع فيه أشعاره ثم لخص منه أبياتا وسماه نور الحديقة .

(كشف الظنون ١/ ٦٤٤) .

حديقة الأزهار فى شرح ماهية العشب والعقار :

من مصنفات التراث الإسلامى فى الطب

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية فى القاهرة

لقاسم بن محمد بن إبراهيم الوزير الغسانى المولود سنة ٩٦٠ هـ .

(فهرس المخطوطات العربية بالخزانة العامة بالرباط ٢/ ٣٤٦، ٣٥٢) أوله : الحمد لله الذى انفرد بالبقاء والقدم .

وآخره : شجرة الزيتون، وقد تقدم شرحها فى باب الزاى . وهنا انتهى القول فى شرح الأدوية المفردة .

نسخة بقلم مغربى، بأولها ترجمة للمؤلف .

١١٨ صفحة	٢٦ سطراً

[الرباط ٧٦٠ د]

Unesco

نسخة أخرى

بقلم مغربى من القرن الحادى عشر تقديراً .

ضمن مجموعة من ص ١١٧ إلى ٢٢٤	٢٦ سطراً

[الزاوية الحمزاوية ـ الرباط ٧١]

Unesco

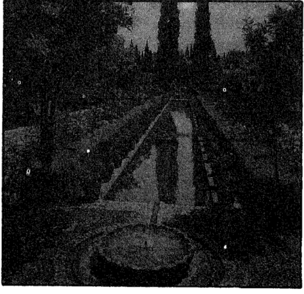
(فهرست المخطوطات المصورة، معهد المخطوطات العربية جـ ٣ العلوم ق ٢ الطب، الكتاب الثانى. القاهرة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م / ٨١، ٨٢) .

الحديقة الأندلسية :

يصف الأستاذ وجدان على بن نايف الحديقة الأندلسية بصفة خاصة والحديقة الإسلامية بصفة عامة وذلك من المنظور الإسلامى فيقول :

شغف الأندلسيون بالحدائق والجنان، وتمكن مؤرخو الفن أن يعيدوا بناء الروضة الأندلسية مستندين على الآثار الباقية للحدائق العربية فى إسبانيا، ومن وصف تلك الحدائق فى الشعر الأندلسى المتمثل بشعر النوريات وشعر الروضيات كشعر ابن خفاجة .

والحديقة ـ من المنظور الإسلامى ـ تمثل انعكاسا للجنة فى الآخرة فالفردوس، والجنة، والروضة كلها مرادفات للحديقة، وكذلك للمقبرة مثل الروضة النبوية الشريفة، واهتم المسلمون عامة بمكان وضع قبورهم، وغالبا ما كانوا يضعونها فى حدائق وارفة الظلال، ويزرعون حولها الزهور والأشجار، وكأنما يرمز دفن الشخص فى هذا الجو الجميل



ـ مطر البركة والوارة في جنة العريف.

إلى انتقاله من عالم الفناء إلى الجنة، أو على الأقل ليطمئن صاحب القبر إلى أن مدة انتظاره ما بين الموت والبعث ستكون فى مكان أقرب ما يمكن شبها بالجنة التى يتمناها كل مسلم، وقد وضع الأندلسيون الأصول الثابتة لحديقتهم وأهمها :

١ ـ الماء الجارى الذى يعتبر من أهم مقومات الحديقة الأندلسية، كما يكوِّن مجرى الماء المحور الأساسى الذى توزع منه أقسام الحديقة، والماء ضرورى لترطيب الجو، وهو يرمز إلى الحياة ﴿ وجعلنا من الماء كل شىء حى ﴾ [الأنبياء : ٣٠] وعلى جانبى مجرى الماء تقع ممرات المشاة، وتتفرع من المحور الرئيسى محاور ثانوية قد لا تحمل المياه، وإنما وظيفتها ربط أجزاء الحديقة بعضها ببعض، وأخيرا لا بد من وجود بركة تصب فيها القنوات التى تكون على مستويات مختلفة، ويتعرج بعضها كأنها الأفعى، وتزرع حول البركة شجيرات الآس التى تساعد على الإقلال من تبخر المياه، كما هو الحال فى باحة الآس فى قصور الحمراء .

٢ ـ العنصر الثانى فى الحديقة الإسلامية عامة، والأندلسية خاصة : هو وجود استراحة يجلس فيها صاحب الحديقة وزواره وندماؤه للاستمتاع بها، وغالبا ما تكون بجانب بركة الماء، ولا سيما إن كانت البركة كبيرة فتنعكس صورة الاستراحة فوق سطح الماء مكونة منظرا جميلا، وتكون الاستراحة الأندلسية عادة فى وسط الحديقة محاطة بأقواس متقاطعة وفردية تحمل سقفا مسطحا أو قبة، بينما واجهاتها الأربع تبقى مفتوحة كى يتمتع الجالس فيها بالمنظر من كل الجوانب، وتتسلقها أشجار الياسمين والورود الحمراء .

٣ ـ أما العنصر الثالث للحديقة فهو شكلها المستطيل، ومن أجل الاحتفاظ بالتوازن الهندسى ولأسباب أمنية يعمَّر بيت السكن فى أحد طرفيه، ويفضَّل أن يكون على مكان مرتفع إن أمكن ذلك، كما يستحسن أن تكون واجهته جنوبية .

٤ ـ يشكل ترتيب النباتات العنصر الرابع للحديقة الأندلسية، فتزرع الزهور فى الأقسام الأمامية والمجاورة للقناة المحورية، تليها النباتات المتسلقة، ثم أشجار الفاكهة كالتين والرمان، وأخيرا الأشجار الكبيرة التى تشكل حاجزا ضد الريح، فيأتى ترتيبها حسب ارتفاعها .

وقد اكتشف باحثو الآثار ثمانى حدائق أندلسية فى إسبانيا، تمكنوا من معرفة تقسيماتها والمنشآت التى كانت عليها، كما تمكنوا من معرفة ما كان يزرع فيها، وذلك من لقاح الزهور الذى عثروا عليه بين الأنقاض .

حدائق مدينة الزهراء : تم اكتشاف حديقة فى مدينة الزهراء تتبع نفس تخطيط حديقة القلعة الحمراء فى دلهى بالهند، والتى جاءت بعد سبعة قرون من حديقة الأندلس، ويقسم تصميمها إلى أربعة أجزاء ففيها بركة ماء كبيرة تنعكس عليها واجهة إحدى القاعات، كما توجد فيها استراحة كبيرة تنعكس واجهتها الشمالية فى نفس البركة، بينما تنعكس واجهاتها الشرقية والجنوبية فى برك أصغر، ويتم رى الحديقة بواسطة قنوات تمتد على جانبى الممرات، وفيها فتحات تصب فى أحواض الزهور الغائرة بعمق ثلاثة أمتار عن مستوى سطح الأرض، وتزود هذه القنوات بالماء بركا أخرى، بينما تزين حيطان الحديقة الغائرة أقواس عمياء، هى أقواس سدت فتحاتها بالطوب وتخدم أغراضا زخرفية بحتة، تمر فوقها أنابيب ماء من الخزف غير المشوى .

وأحواض الزرع الغائرة هى إحدى ميزات الحديقة الأندلسية، ويراد منها إيهام المتنزه بأنه يمشى على بساط من الورود والزهور والخضرة، لأن الناظر لا يرى أمامه إلا مساحة مفروشة بالزهر والخضرة .

وقد وصَلنا وصف لباحة مصلَّبة الشكل، ومقسمة إلى أربعة أقسام بواسطة الممرات المحمولة على أقواس من الطوب والحجر، وزعت فى الأحواض الأربعة الغائرة أشجار البرتقال، تكاد قممها تصل إلى مستوى الممرات المتقاطعة فى الأعلى، بينما زينت الجدران الجانبية لبعض هذه الأحواض بالجداريات الملونة من أجل تزيين الحديقة عندما تفقد الأشجار أوراقها الخضراء، وإعطائها ألوانا بهيجة فى فصل الشتاء .

ويَعزو المؤرِّخون سببَ بناء الحديقة الغائرة تحت الأرض إلى أنَّها أولاً: تُعطى في الصيف ظِلاًّ وارفًا للطبقة السُّفليَّة،

وتُرطِّبُ الجوّ وتخفِّفُ من حرارته، وثانيًا: تحافظ على التّوازُن الهندسيّ للحديقة، وثالثًا: مهما كَبِرَت الأشجارُ والنباتات فهي لا تتداخلُ أو تتطفَّلُ على عِمارةِ الأبنيةِ الموجودة على سطحِ الأرض فتُقَلِّلُ من ميزاتِها العِمرانيَّة، ورابعًا: أنها بالنسبةِ للناظر تُحوِّلُ أرضَ الحديقة إلى سجادة من الورد مطرَّزة بالألوان، إذ لا يُرى من النباتات إلا رؤوسُها، وتَتكرَّرُ ظاهرةُ أحواض الزُّهور الغائرة في الحديقة الهندية، ولا تزالُ موجودةً في الحديقة المغربية إلى يومنا هذا، وتُعتبرُ الحديقةُ الأندلسية مثالاً للحديقة العربية، إذْ لم تَدخُلْ عليها أيُّ تأثيرات فارسية أو هندية أو غيرها.

وتَجمعُ الحديقةُ العربية بين الزهور والأشجار المثمرة والأعشاب ذات الرائحة الزكية التي تُستعمل في تتبيل الطعام، وبهذا نَراها تَختَلِفُ عن الحدائق الأوروبية التي تُقسَّمُ إلى حديقة للمنزل وحديقةٍ للمطبخ وبستان للفواكه، وكلٌّ واحدٍ منها منفصل عن الآخر انفصالاً كليًّا.

ومن كتب الأدبِ وعلم البَستنة كتاب «البديع في وصفِ الربيع» للحِمْيَري، وكتاب ابن العوام في الفلاحة، استطاع الباحثون التوصُّلَ إلى معرفة أنواع النباتات التي كانت تُزرعُ في الحديقة العربية الأندلسية وهي: الآسُ أو الرَّيحان، والياسمين، وكان يُزرعُ بجانب الحوائطِ البيضاء من أجل التخفيف من رتابَتِها بواسطة أوراقها الناعمةِ الخضراء، والياسمين الأصفر، والنَّرجِس، والبنفسج، والمنثور، والنَّرجِس القدسى، والورد، ولا سيَّما الأحمر منه، والسوسن، والخزامى، والنَّيْلوفَر، وزهر اللوز، والأُقحوان، وشقائق النُّعمان، وزهر البقيلا، أو زهر البقول، وزهر الرمان والجُلَّنار، وهو زهر شجر الرمان البري، والحَبَقُ، والقَرَنْفُل، والدِّفْلة، والمَرْدَقُوش، والزَّعتر، والنعنع، والزَّعفران، والقُلقَاس، وشجر الليمون، والرَّنْد، والكَرمَة، والنخيل، وأشجار البرتقال، والإجَّاص، والقراصِيَة، والخوخ، والتُّوت، والخَرُّوب، والمَوز، والسَّرو، والصَّفْصاف، والسَّفَرجَل، والتفاح، والحَنظَل، والتين، وتفاحةُ الجن، وكان لكلٍّ من هذه النباتات والأشجار مكانُها المعروف حسبَ طولِها ولونها ورائحَتِها.

وتحيط بالحديقة العربية أسوارٌ عاليةٌ تَفصِلُها عن العالم الخارجي وتحميها من ضَوضاءِ الشارع وصَخَبِه، وتُوفِّرُ جوًّا من العُزلة عابقٌ بالشَّذَى والأشكالِ والألوان الجذَّابة.

(الأيوبيون، العباسيون، الأندلسيون ـ وجدان على بن نايف / ٢٠٨ ـ ٢١٢).

حديقة البلاغة ودوحة البراعة OP. 1579

من المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة الشعبية بصوفية في بلغاريا.

تأليف أبو الطيب عبد المنعم بن منَّ الله بن أبى بحر الهوارى القيروانى.

وقد ضمَّن أبو الطيب كتابه ذكرًا للمآثر العربية ونشرًا للمفاخر الإسلامية موردًا مختارات من الشعر العربى الجيد فى عصوره الأولى، ورسائل شهيرة تمتاز بعلو أسلوبها وإحكام صياغتها وسمو لغتها كرسائل ابن العميد والقاضى الفاضل وغيرهما.

ويبدو أن ـ كما قال صاحب الكشف ـ من كتابه هذا الرد على من ينتقص العرب ويفضل عليهم العجم. قال صاحب الكشف فى حديثه عن هذا الكتاب: رسالة فى ذكر المآثر العربية ونشر المفاخر الإسلامية للفقيه أبى الطيب عبد المنعم ابن منَّ الله المعروف بابن غلبون المتوفى سنة ٣٨٩ رد فيه ما صنفه أبو عامر بن حرسنه (حرشنه) فى تفضيل العجم على العرب.

أوله بعد البسملة والحمد له:

وذى خطل في القول يحسب أنه

مصيب فما يُلمِمْ به فهو قائله

آخره: «وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين»

النسخة تامة بحالة حسنة، خطها النسخ المعتاد، ولم يذكر اسم الناسخ أو تاريخ النسخ (٥٥) ق القطع المتوسط مسطرتها (١٩ س).

(فهرس المخطوطات المصورة المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا ـ وضعه د. عدنان درويش ٢ / ٢٣٦، ٢٣٧، وكشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٤٤، ٦٤٥).

حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة

حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة المعروف بفخرى نامه فارسى منظوم لأبى المجد ـ محمد ـ بن آدم الشهير بالحكيم السنابى المتوفى سنة ٥٢٥ خمس وعشرين وخمسمائه نظمه في البحر الخفيف لبهرام شاه (الغزنوى) ورتب على عشرين بابا فى التوحيد وكلام الله ونعت الرسول وفضل الصحابة والخلفاء وفضل السيدين الشهيدين والإمامين أبى حنيفة والشافعى والعقل والعلم والعشق والقلب والتصوف وصفة المبشر والشيخوخة وغور الغفلة والحكمة والشهوة وصفة الأفلاك والربيع ومدح بهرام شاه ومدح ولده دولتشاه والحكم والأمثال فرغ من نظمه سنة ٥٢٤ أربع وعشرين وخمسمائة ثم كتب محمد بن على المعروف بالرفاء ديباجة منثورة .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٤٥)

حديقة الزهر فى عدّ آى السُّوَر:

حديقة الزهر فى عد آى السُّوَر: دالية للشيخ برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبرى المتوفى سنة ٧٣٢ اثنتين وثلاثين وسبعمائة أولها . بدأت بحمد الله أول مقصدى . إلخ وهى ثمان وخمسون بيتا .

(كشف الظنون ١ / ٦٤٥)

حديقة الزوراء في سيرة الوزراء:

من مخطوطات التراجم فى مكتبة المتحف العراقى

الرقم ٣٢٢٨

لأبى الخير عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين البغدادى السويدى المتوفى سنة ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٦ م .

الأول : (إن أحسن ما تحلى به عرائس الطروس وأشهى ما ترتاح إليه نفائس النفوس وأجمل ما يرد به صولة الدهر . .)

وهو كتاب عن حياة والى بغداد حسن باشا وولد أحمد باشا الذي ولى بغداد بعده وما جرى فى أيامهما من الحوادث في العراق . رتبة المؤلف على أبواب .

نسخة جيدة كتبت بالمدينة المنورة لخزانة شيخ الإسلام سنة ١٣٦٤ / ١٩٤٤ م .

القياس ٢٥٠ ص ٢٣,٥ × ١٦,٥ سم ٣٤ س

معجم المؤلفين ٥ / ١٤٩ طبع فى بغداد ١٩٦٢ بتحقيق صفاء خلوصي .

* * *

نسخة أخرى

الرقم ١٤٦٧٣

كتبت بقلم جيد سنة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م .

القياس ٢٦٦ ص ٢٦,٥ × ١٨ سم ٢٥ س

* * *

نسخة أخرى

الرقم ٩٤٣٣

مصورة بالفوتوستات عن نسخة جيدة ومؤطرة .

القياس ٢٢١ ورقة ٢٧,٥ × ١٩ سم ٢١ س

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٥٢، ١٥٣) .

حديقة السعداء:

حديقة السعداء ـ تركى ـ لمحمد بن سليمان الشاعر المعروف بالفضولى البغدادى المتوفى سنة ٩٦٣ ثلاث وستين وتسعمائة جمع فيه وقعة كربلا من كتاب روضة الشهداء وغيره ورتب على عشرة أبواب وخاتمة

(كشف الظنون ١ / ٦٤٥)

الحديقة فى شعراء الأندلس:

الحديقة في شعراء الأندلس « حديقة فى الأدب » ـ لأبى الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى المتوفى سنة ٥٢٩ تسع وعشرين وخمسمائة نسج فيه منوال اليتيمة للثعالبى .

(كشف الظنون ١ / ٦٤٦)

الحديقة المظفرية فى النكت الطبية:

أحد مخطوطات الطب فى مكتبة المتحف العراقى

الرقام ٣٧٧٠ـ١١

لسعيد بن الحسين البغدادى (رئيس الأطباء)

الأول (فصل لما كان العلم شرف، صارت صناعة الطب أشرف الصنائع لأن موضعها بدن الإنسان ...)

وهى رسالة في الأدوية والأشربة والأغذية ومنافعها وعلاجاتها. رتبها المؤلف على عدة فصول.

كتبت بخط النسخ وبالمداد الأسود أما الفصول وأسماء الأدوية فكتب [فكتبت] بمداد أحمر. كتبها حسين بن عبد القادر بن قطب الدين الطبيب فى أواخر صفر سنة ٨٣٠ هـ/ ١٤٢٦ م.

(مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى / ٩٠).

حديقة المناظرة وسلاح المحاورة:

حديقة المناظرة وسلاح المحاورة ـ مختصر على مقدمة وثلاثة أبواب المقدمة في بيان الماهية والأبواب فى أسباب المناظرة وأمور متعلقة بها وبتمثيلاتها أوله : الحمد لمن سمك السماء ووسمها ... إلخ وله شرح لطيف أوله : إن أيمن ما يحلى بذكره صدور الصحائف ... إلخ.

(كشف الظنون ١ / ٦٤٥)

حديقة الموت (معركة) (١٢ هـ / ٦٣٣ م):

أشهر معارك حروب الردة، جرت بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد الذى أرسله الخليفة أبو بكر الصديق، ومسيلمة بن حبيب الكذاب فى اليمامة، بعد ارتداد بنو حنيفة ومن أيدهم من القبائل عن الإسلام وآمنوا بنبوة مسيلمة الكذاب. وكان أنصار مسيلمة كثيرون واشتد القتال بين الطرفين، وتساقط القتلى بأعداد كبيرة، واضطر المرتدون أن يتراجعوا إلى حديقة الموت فأغلقوا بابها، ولكن المسلمين اقتحموا الحديقة من أبوابها وحيطانها يقتلون مَنْ فيها مِن المرتدين. وقتل وحشى بن حرب مسيلمة وأجهز عليه أبو دُجانة، وانتهت المعركة التى سقطوا فيها آلاف المرتدين على رأسهم متنبئهم مسيلمة، بينما استشهد من المسلمين نحو ستمائة فيهم عدد من سادات الصحابة. وبنصر هذه المعركة قضى على أكبر حركة للمرتدين. كما كان من نتائجها أن بدأ أبو بكر رضى الله عنه يجمع القرآن الكريم بعد مقتل عدد كبير من حفاظه فى هذه المعركة.

(معجم المعاجم الحربية ـ ماجد اللحام / ١٢٣، ١٢٤).

الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية :

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التصوف مخطوط بدار الكتب الظاهرية (أو بمكتبة الأسد الآن) بدمشق الرقم ١٤٠٩ تصوف ٩١.

كتاب ضخم شرح به الطريقة المحمدية للبركوى ضمنه مسائل فى الفقهيات والمقامات والزهديات وفوائد علمية يغلب عليها الطابع الصوفى البحت.

المؤلف : أبو الفيض عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى الصالحى الدمشقى الحنفى القادرى النقشبندى المتوفى سنة ١١٤٣ هـ/ ١٧٣١ م.

أوله : الحمد لله الذى شرح بالطريقة المحمدية صدور عباده الأبرار، حتى سرح طرف قلوبهم فى الحدائق اليانعة من تلك المعارف والأسرار، وأذاقهم حلاوات مناجاته فى خلوات عباداته ...

آخره : الوصية من الميت باتخاذ الطعام وعمل الضيافة بذلك الطعام للناس يوم موته فى يوم أو يومين أو ثلاثة، وكذلك الوصية بإعطاء دراهم معدودة معلومة ...

الخط نسخى جميل، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بماء الذهب.

اسم الناسخ : عمر بن عبد الله.

تاريخ النسخ : الخميس ٢٦ جمادى الثانية سنة ١١٨٠هـ.

ملاحظات : نسخة خزائنية مقابلة جيدة الورق والجلد من وقف الوزير محمد باشا العظم والى سورية على طلبة العلم بتاريخ ١١٩٠ هـ.

ـ نسخة ثانية

الرقم الجزء الأول ١٤٠٧ تصوف ٨٩ .

الرقم الجزء الثانى ١٤٠٨ تصوف ٩٠ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر الورقة الأولى مزخرفة بماء الذهب .

اسم الناسخ : محمد ابن الشيخ إبراهيم العجلونى .

تاريخ النسخ : الجمعة ١٩ جمادى الآخرة سنة ١١٨٦ هـ

ملاحظات : نسخة خزائنية مراجعة جيدة الجلد والورق من وقف محمد باشا العظم تاريخ الوقف سنة ١١٩٦ هـ .

نسخة ثالثة :

الرقم ٩١٢٠

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخى دقيق واضح مختلف ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : الأوراق الأخيرة بخط عبد الجليل بن مصطفى بن إسماعيل النابلسى .

تاريخ النسخ : الأوراق الأخيرة سنة ١٢٣٢ هـ .

ملاحظات : نسخة بخطوط مختلفة وهي كانت بخط المؤلف ولكن سقط منها أوراق فى أزمنة مختلفة فأكملت بخطوط مغايرة كخط المؤلف .

مصادر عن الكتاب : معجم المطبوعات ١٨٣٣ ، عقود الجوهر ٥٩ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥/ ٢٧١ ، ابن شاشو ٦٧ .

طبعات الكتاب : ١ ـ على الحجر بمصر سنة ١٢٧٦ بـ مجلدين ، الأول ٤٦٢ ص ، الثانى ٥٠٩ ، ٢ الأستانة سنة ١٢٩٠ هـ بمجلدين .

قال الأستاذ محمد رياض المالح واضع الفهرس :

بعض نسخ الكتاب : رأيت نسخة منه مخطوطة فى خزانة الشيخ محمد النابلسى إمام جامع الشيخ عبد الغنى النابلسى بدمشق (فهرس الظاهرية / ٤٠٩ ـ ٤١١) .

كما يوجد مخطوطه فى مكتبة متحف « مولانا » فى قونيا وجاء بيانه كما يلى ، وفيه وفاة المؤلف سنة ١١٤٤ هـ / ١٧٣١ م) :

طبع حجر مصر ١٨٦٢ م

مكتوب بخط النسخ . الشارح يوضح اسم الأثر فى الصفحة الأولى .

أوله : كسابقه .

آخره : ... بموجب يقتضيه واصل الجبلة والطبيعة فيه على السخاء والجود والكرم .

مقياس المجلد : ٣٤ × ٣ .

مقياس الكتابة : ٢٨ × ١٦ .

عدد الأوراق : ١٢٠ .

عدد الأسطر : ٤٥ .

رقمه فى الخزانة : ١١٦٥ .

رقم المجلد : ١١٦ .

(المخطوطات العربية ق ٥/ ١٨٠) .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٠٩ ـ ٤١١ ، والمخطوطات العربية فى مكتبة متحف « مولانا » فى قونيا . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٥ / ١٨٠) .

الحديقة الندية والبهجة الخالدية فى آداب الطريقة النقشبندية:

من مصنفات التراث الإسلامى فى علم التصوف

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (بمكتبة الأسد الآن)

الرقم ٤٠٠٠ تصوف ١٧٦ .

جاء أن مؤلف هذا الكتاب لم يزل من سنة ١٢١٣ هـ وهو يطلب شيخاً كاملاً فلم يجد حتى ظهر الأستاذ خالد النقشبندى المجددى فانتسب إليه وألف هذا الكتاب ، وضمنه مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة ، فالمقدمة فى سلسلة النقشبندية والأول فى علم الباطن ، والثانى : فى مناقب خالد النقشبندى ، والثالث شرائط للمريد وأذكار والخاتمة : فى الرد على المنكرين .

المؤلف : محمد بن سليمان البغدادى الحنفى النقشبندى المتوفى سنة ١٢٣٤ هـ/ ١٨١٩ م .

أوله : الحمد لله الذى فتح أقفال القلوب بمفاتيح الغيوب، وخص النفحات القدسية بطيب الهبوب، فأراح بها الأرواح وأوضح مشكلات السلوك والسير إلى ملك الملوك ...

آخره : فنقول إن ثبت أن إرشاده هو الشهرة والرياسة يثبت هذا وإلا فالمرشد الكامل له أن يؤذن لمن يراه أصلا فى إرشاد قومه أو غيرهم من النواحى كما فعل مثل ذلك كثير من الأولياء...

الخط نسخى واضح معنونة بخط فارسى جميل، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

اسم الناسخ : عارف بن محيى الدين المحملجى.

تاريخ النسخ : محرم سنة ١٣٠٩ هـ .

ملاحظات : نسخة عادية مراجعة .

نسخة ثانية .

الرقم ٥١٧٨

أولها : كالسابقة .

آخرها : مخروم ينتهى بـ : هذا والذكر ريحانة القلوب وبه يحصل الأنس بالمحبوب قال الله تعالى : ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ ﴿ وتطمئن قلوبهم بذكر الله ﴾ .

الخط نسخ معتاد ، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

نسخة ثالثة .

الرقم ٥١٣٦

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بالأحمر.

اسم الناسخ : محمود بن إسماعيل العش الشافعى .

تاريخ النسخ : ١٤ جمادى الثانية سنة ١٢٥٥ هـ .

ملاحظات : نسخة مراجعة .

نسخة رابعة :

الرقم ٦١١١

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط فارسى جميل جدًا، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بالأحمر.

تاريخ النسخ : سنة ١٢١٤ هـ .

مصادر عن الكتاب : إيضاح المكنون ١/ ٣٩٩، معجم المطبوعات ٥٧٢و١٩٠٩ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ١٠/ ٤٨، الأنوار القدسية فى مناقب النقشبندية ٢٦١ .

طبعة الكتاب : ١ ـ بهامش أصفى الموارد بالمطبعة العلمية سنة ١٣١٣هـ بـ ١٢٠ ص .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤١٢ـ ٤١٤) .

حديقة الورود فى مدائح أبى الثناء محمود :

من مخطوطات التراجم فى مكتبة المتحف العراقى

الرقم ٨٥٢٧

لعبد الفتاح الشواف المتوفى سنة ١٢٦٢ هـ/ ١٨٤٥ م

الأول (نحمدك يا محمود على جميل صفاتك وجليل ذاتك وجزيل هباتك ...)

نسخة جيدة تتضمن الجزئين الأول والثانى فى مجلد واحد كتبت سنة ١٣٠٣ هـ/ ١٨٨٥ م .

القياس ٣٧٨ ص   ٣٠×٢٠ سم   ١٩ س

مخطوطات الأوقاف ٤/ ٢٢٥

نسخة أخرى

الرقم ٣٠٣٨٩

كتبها محمد محسن بن عبد الرحمن الخطيب فى جامع السهروردى سنة ١٢٩٦ هـ/ ١٨٧٩ م.

القياس ٣٨٦ ص   ٢٠,٥×١٤,٥ سم   ١٩ س

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٥٣، ١٥٤).

قالت المؤلفة : أبو الثناء محمود الألوسى هو صاحب تفسير القرآن الكريم المعروف بروح المعانى فى تفسير القرآن

العظيم والسبع المثانى الذى ذكرناه ونقلنا عنه فى عدة مواضع من هذه الموسوعة، وقد أقررنا لأبى الثناء الآلوسى مادة بعنوان « الآلوسى (أبو الثناء) » فانظرها فى موضعها فى م ١/ ٥٥٤ ـ ٥٦١ .

ابن الحذاء (٣٤٧ـ٤١٦ هـ / ٩٥٨ـ١٠٢٥ م) :

محمـــد بن يحيى بن أحمـــد التميمى ، أبـو عبـــد الله ، المعـروف بابن الحـذاء ، باحث أنـدلسى ، من العلماء بفقـه الحديث والتاريخ والأدب، من أهل قـرطبة. ولى فيهـا خطة الوثائق السلطانية . وخرج منهـا فى الفتنة ، فاستقضى بمدينة تطيلـة ، ثم نقل إلى قضاء مـدينـة سالم وصـار إلى سرقسطـة فتوفى بهـا . من كتبه « الاستنباط لمعـانى السنن والأحكام من أحـاديث الموطأ » ثمـانون جـزءا، و « التعريف بمن ذكـر فى مـوطأ مـالك، من الـرجـال والنسـاء » مخطـوط فى خـزانـة القـرويين، كتب سنـة ٦٧٤، و « البشرى فى تأويـل الرؤيـا » عشرة أجزاء، و « الخطب وسير الخطباء » مجلدان.

(الأعلام للزركلى ٧/ ١٣٦، ١٣٧ عن ابن الفرضى ٢/ ٨٧ وفهرسة ابن خير / ٩٣، ٢٤٢، ٢٦٧، وشجرة النور / ١١٢، والـديباج / ٢٧٢ وفيه وفاته سنة ٤١٠) .

الحذر

مما يـرد ذكره فى مصنفات العسكـرية الإسلامية وسيـاسة الحروب، قال الهرثمى :

قالـوا أول العمل فى الحرب ورأس التـدبير فيهـا ألا يظهر عدوك على عوراتك ولا تستتر عنك عوراته ، ولن تُحكم ذلك فى نفسك إلا مع شـدة الحذر وكتمـان السـر، ولن تعرفـه من عدوك إلا مع التيقظ والتلطف، وإذكاء العيون والجواسيس .

(العيون هم الجواسيس، وإذكاؤهم نشرهم فى كل مكان يحتمل وجود العدو فيه)

لا تأنفن من الحذر منه فإن ذلك هو العجز الظاهر، وما لا يستقال الخطأ فيه، وأقوى مكيدة المحارب إظهار شدة الحذر لعـدوه فى كل وقت ، ذلك مع تحصين كل عـورة، وإحكـام كل مصنعـة، وإذكـاء العيـون ومظـاهـرة الطـلائع والقـوة فى الاحتراس (الطلائع جمع طليعة وهى قوة من الجيش ، ترسل قبلـه أمامـه لتكشف أمور العـدو، ومظـاهر الطـلائع تتابعهـا وتعاونها) .

اجعل الحذر رأس مكيدتك، فإنـه قليل ما تكون عورة مع حـذر، أو تضييع مع سـوء ظن، والعـورة فاعلم مـوجـودة من الاتكال على القـوة، والركون إلى الاكتفـاء بأدنى الحيلة . كن فى الحيلة والحذر وسوء الظن معظمـاً لأمر عدوك فوق قدره، من غير أن يظهـر ذلك منك، أو يصدك عن أحكـام شىء من أمرك .

استعد لعـدوك بأكثر من قدره، فإنك إن ألفيته صغيـراً وقد أعددت لـه كبيراً لم يضرك ذلك بل نفعك لا تتولن أمـر عدوك على الهوينى بعمل على ترقيق المـرقين وتصغير المصغرين (أى لا تستمع لمن يهونون لك أمر عدوك، ويبرهنون لك على رقة حـاله وضعفه) فـربما كان ذلـك بعض ما يرجع بـالمكروه عليك. لا تأمن مغاورة عـدوك إن نأى عنك ولا مواثبتـه إن دنا منك، ولا تكمينه إن انكشف لك (أى وضع كمائنه فى أماكن خافية، تهاجمك منها من حيث لا تدرى) .

لا تدعن معـاجلة أمر حزم لخـوف قيل وقال فإن ذلك لا خيـر فيـه، وأكثـر مـا يقال لا ضـرر فيـه . واثب الفـرصـة إذا أمكنتك فإن لها فلتات، وقلمـا تعود إذا ضيعت. استعد لكل أمر قبل وقته تسلم من خطره وتجده عند الحاجة إليه .

التثبيط فاعلم رأس كل معجـزة (أى أن تخذيل الناس عن الجيش من أهم أسبـاب عجــزه وضعفـه) فـاعـرف ذلك من نفسك ، وراقب مثلها من غيرك، من غير بادرة تفريط منك ، أو أناة تحل بك .

(تخـذيل الأعداء عنك من أهم فنـون القتال، فإن تفـريق كلمـة العدو نصـر لك ، وكـذلك فعل الـرسول ﷺ فى غـزوة الخندق، فقـد أرسل للأحزاب من خـذلهم ، وفرق كلمتهم، وكذلك فعـل خالد بن الـوليد فى حـرب الفرس بـالعراق، من تخذيل إخوانه عرب بنى شيبان عن الفرس) .

إذا مثلت لأمرين فاعمد لأشدهما عزماً وأحكمهما حزماً، ولا تنقض مبرماً من أمرك إلا إلى أوثق مما نقضت .

احذر التفريط فى الأمور اتكالا على القدر، فإن لكل قدر سببـاً يجرى عليـه، فسبب النجح العمل، وسبب الخيبـة التفريط.

(مختصر سياسة الحروب للهرثمى صاحب المأمون ــ تحقيق عبد الرؤوف عون ومراجعة د . محمد مصطفى زيادة / ١٩، ٢٠) .

الحذف:

قال صاحب كشاف اصطلاحات الفنون :

الحذف بالفتح وسكون الذال المعجمة فى اللغة هو الإسقاط وفى اصطلاحات العلوم العربية يطلق على إسقاط خاص فعند أهل العروض يطلق على إسقاط السبب الخفيف من آخر الجزء فبقى من مفاعيلن مثل فعولن لأن مفاعى لما كان غير مستعمل وضع موضعه فعولن هكذا فى رسالة قطب الدين السرخسى وجامع الصنائع وغيرهما وعند أهل البديع يطلق على بعض المحسنات الخفية وبهذا المعنى ليس من علم البديع حقيقة وإن ذكرة البعض فيه أى فى علم البديع ولعله جعله من الملحقات وهو اسقاط الكاتب أو الشاعر بعض الحروف المعجم من رسالته أو خطبته أو قصيدته كذا فى المطول .

والأنسب باصطلاح الصرفيين أن الحذف هو إسقاط حرف أو أكثر أو حركة من كلمة وسمى إسقاط الحركة بالإسكان كما لا يخفى .

قال الرضى فى شرح الشافية : قد اشتهر فى اصطلاحهم الحذف الإعلالى للحذف الذى يكون لعلة موجبة على سبيل الاطراد كحذف ألف عصا وياء قاض والحذف الترخيمى والحذف لا لعلة للحذف الغير المطرد كحذف لام يد ودم انتهى .

والأنسب باصطلاح النحاة وأهل المعانى والبيان أنه إسقاط حركة أو كلمة أكثر أو أقل وقد يصير به الكلام المساوى موجزا وسماه أى الحذف ابن جنى سجاعة العربية وهذا المعنى أعم من معنى الصرفيين (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٣١١، ٣١٢) .

ويتناول صاحب مفتاح السعادة الحذف بالتفصيل باعتباره القسم الثانى من قسمى الإيجاز (القسم الأول هو إيجاز القصر) وننقله لك فيما يلى. يقول المؤلف: إيجاز الحذف وفيه فوائد ذكر أسبابه منها : مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره .

ومنها التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان (بالمحذوف) ، وأن الاشتغال بذكره يفضى إلى تفويت المهم وهذه هى فائدة باب التحذير والإغراء .

ومنها : التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام . قال حازم فى « منهاج البلغاء » : إنما يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه ؛ أو يقصد به تعديد أشياء ، فيكون فى تعدادها طول وسآمة، فيحذف، ويكتفى بدلالة الحال، وتترك النفس تجول فى الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها . قال : و هذا القصد يؤثر فى المواضع التى يراد بها التعجب والتهويل على النفوس .

ومنها : التخفيف، لكثرة دورانه فى الكلام، كما فى حذف حرف النداء، نحو : ﴿ يوسف أعرض ﴾ [يوسف : ٢٩] ونون « لم يك » (فى قوله تعالى : ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيِّرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ [الأنفال: ٥٣]) وياء ﴿ والليل إذا يسر ﴾ [الفجر : ٤] وسأل المؤرخ السدوسى الأخفش عن هذه الآية، فقال : عادة العرب أنها إذا عدلت بالشىء عن معناه نقصت حروفه ، والليل لما كان لا يسرى، وإنما يسرى فيه ، نقص منه حرف ، كما قال تعالى : ﴿ ما كانت أمك بغيا ﴾ [مريم : ٢٨] الأصل بغية، فلما حول عن فاعل، نقص منه حرف .

ومنها : كونه لا يصلح إلا له : نحو : ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ [الأنعام : ٧٣] .

ومنها : شهرته حتى يستوى ذكره وتركه . قال الزمخشرى : وهو نوع من دلالة الحال التى لسانها أنطق من لسان المقال .

ومنها : صيانته عن ذكره تشريفا .

ومنها : صيانة اللسان عنه تحقيرًا له

ومنها : قصد العموم ، نحو: ﴿ إياك نستعين ﴾ [الفاتحة: ٥] أى على العبادة وعلى كل أمورنا .

ومنها : رعاية الفاصلة، نحو : ﴿ وما قلىٰ ﴾ [الضحى : ٣] أى وما قلاك .

ومنها : قصد البيان بعد الإبهام ، نحو : ﴿ ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء ﴾ [البقرة : ٢٥٥] وقد ذكر أهل البيان أن مفعول المشيئة والإرادة لا يذكر إلا إذا كان غريبا .

واعلم أنهم فرقوا بين الحذف اقتصارًا واختصارًا.

والأول: حذف بغير دليل.

والثاني: الحذف بدليل. ثم الدليل إما حالي، نحو: ﴿قالوا سلاماً﴾ [هود: ٦٩] و[الفرقان: ٦٣] أي سلمنا سلاماً؛ أو مقالي، نحو: ﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرًا﴾ [النحل: ٣٠] أي أنزل خيراً؛ أو دليل عقلي حيث يدل على أن الكلام لا يصح إلا بتقدير محذوف، فتارة يدل على أصل الحذف والتعيين من دليل آخر، نحو: ﴿حُرِّمَتْ عليكم الميتة﴾ [المائدة: ٣] والعقل يعلم أن الحرمة من صفات الأفعال، والميتة من الأعيان، فيعرف أن هناك حذفاً، وكون المحذوف تناولها مستفاد من الحديث، وهو قوله ﷺ: «إنما حرم أكلها».

وتارة يدل على تعيين المحذوف، نحو: ﴿وجاء ربك﴾ [الفجر: ٢٢] أي أمره، لأن العقل دل على استحالة مجيء الباري، لأنه من سمات الحادث، وعلى أن الجائي أمره.

وقد تدل عليه العادة تارة، نحو: ﴿فذلكن الذي لمتنني فيه﴾ [يوسف: ٣٢] ولا يكون يوسف عليه السلام ظرفا للوم عقلا، فالعادة تعينه وهو المراودة، إذ الحب المفرط لا يلام عليه عادة، والمحتمل هما لا غير بدليل السياق. وتارة يدل عليه التصريح في موضع آخر، وهو أقوى الدلائل، نحو: ﴿رسول من الله﴾ [البينة: ٢] أي من عند الله، بدليل: ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله﴾ [البقرة: ١٠١].

ومن الأدلة على أصل الفعل العادة بأن لا يمنع العقل عن إجرائه على ظاهره من غير حذف، نحو: ﴿لو نعلم قتالاً لاتبعناكم﴾ [آل عمران: ١٦٧] والعقل وإن جوز عدم علمهم بالقتال لكن العادة تمنعه، لأنهم كانوا أخبر الناس به، حتى كانوا يعيرون بعدم علمهم به، فلهذا قدر مجاهد: لو نعلم مكان قتال، ويدل عليه أنهم أشاروا على النبي ﷺ أن لا يخرج من المدينة.

قاعدة:

اعتبر الأخفش في الحذف التدريج حيث أمكن. ولهذا قال في: ﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئا﴾ [البقرة: ٤٨]، أن الأصل لا تجزي فيه، فحذف حرف الجر، فصار تجزيه ثم حذف الضمير فصار تجزي. وهذه ملاطفة في الصناعة ومذهب سيبويه أنهما حذفا معاً. قال ابن جني: وقول الأخفش أوفق في النفس، وآنس من أن يحذف الحرفان معاً في وقت واحد.

قاعدة:

ينبغي تقليل المقدر مهما أمكن لتقل مخالفة الأصل، ومن ثمة ضعف قول الفارسي في: ﴿واللائي لم يحضن﴾ [الطلاق: ٤] أن التقدير فعدتهن ثلاثة أشهر، والأولى أن يقدر كذلك.

قال الشيخ عز الدين: ولا يقدر من المحذوفات إلا أشدها موافقة للغرض وأفصحها، لأن العرب لا يقدرون إلا ما لو لفظوا به لكان أحسن وأنسب لذلك الكلام، كما يفعلون ذلك في الملفوظ به، نحو: ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام﴾ [المائدة: ٩٧] قدر أبو علي نصب الكعبة، وقدر غيره حرمة الكعبة، والثاني أفصح. ومهما تردد المحذوف بين الأحسن والحسن، وجب تقدير الأحسن، لأنه تعالى وصف كتابه بأحسن الحديث، فليكن محذوفاته أحسن المحذوفات، كما أن ملفوظه أحسن الملفوظ. ومتى تردد بين أن يكون مجملاً، أو مبيناً، فتقدير المبين أحسن.

قاعدة:

إذا دار الأمر بين كون المحذوف فعلاً والباقي فاعلاً، وبين كونه مبتدأ والباقي خبراً، فالثاني أولى، لأن المبتدأ عين الخبر، فالمحذوف عين الثابت فيكون حذفاً كلا حذف.

فأما الفعل فإنه غير الفاعل، اللهم إلا أن يعتضد الأول برواية أخرى في ذلك الموضع أو موضع آخر يشبهه.

وأيضاً إذا دار الأمر بين كون المحذوف أولاً أو ثانياً، فكونه ثانياً أولى. ومن ثم رجح أن المحذوف في نحو: ﴿أتحاجوني﴾ [الأنعام: ٨٠] نون الوقاية، لا نون الرفع؛ وفي ﴿ناراً تلظى﴾ [الليل: ١٤] التاء الثانية لا تاء المضارعة. وقد يجب كونه من الأول. نحو: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ [الأحزاب: ٥٦] في قراءة

وملائكتـه بالرفع ، لاختصاص الخبـر بالثانى، لـوروده بصيغة الجمع . وقد يجب كونه من الثانى ، نحو : ﴿ إن الله برىء من المشركين ورسوله ﴾ [التوبة : ٩] أى برىء أيضا لتقدم الخبر على الثانى .

واعلم أن الحذف على أنواع :

أحدها : ما يسمى بالاقتطـاع . وهو حذف بعض حروف الكلمة ، وأنكر ابن الأثير وروده فى القرآن ، وردَّ بأن من جعل كل حرف من فـواتح السور اسماً من أسمائه تعـالى مثله بها . وادعى بعضهـم أن البـــاء فى : ﴿ وامسحـــوا بـــرؤوسكم ﴾ [المائدة: ٦] أول كلمة بعض ، ثم حذف الباقى . ومنه قراءة بعضهم ونادوا يا مال، بالترخيم ، ولما سمعها بعض السلف، قال : ما أغنى أهل النـار عن الترخيم . وأجاب بعضهم بأنهم لشدة مـا بهم فيه عجزوا عن إتمـام الكلمة ، ويـدخل فى هذا النوع حذف أنا من قوله : ﴿ لكنا هـو الله ربى ﴾ [الكهف : ٣٨] إذ الأصل لكن أنــا ، حـذفت همـزة أنــا تخفيفـاً ، ثم أدغمت النون فى النون .

وثانيها : ما يسمى بالاكتفـاء . وهو أن يقتضى المقام ذكر شيئين بينهمـا تـلازم وارتباط ، فيكتفى بـأحدهمـا عن الآخـر لنكتـة ، ويختص غالبـا بالارتبـاط العطفى، كقـوله تعـالى : ﴿وسـرابيل تقيكم الحـر ﴾ [النحـل : ٨١] أى والبــــرد، وخصص الحر بـالذكـر، لأن الخطاب للعـرب، والوقـاية من الحر أهم فى بـلادهم لشدة الحر من البـرد عندهم ، وقيل : لأن البرد تقدم ذكـر الامتنان بوقايتـه صريحا فى قولـه تعالى : ﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها ﴾ [النحل : ٨٠] وفى قوله تعالى : ﴿ وجعل لكم من الجبال أكنـانًا ﴾ [النحـل : ٨١] وفى قـولـه تعـالى : ﴿ والأنعـام خلقهـا لكم فيهـا دفء ﴾ [النحل : ٥] .

ومن أمثلة هذا النوع : ﴿ بيدك الخير ﴾ [آل عمران : ٢٦] أى والشر ، وإنمـا خص الخير بـالذكـر لأنه مطلـوب العباد ومرغـوبهم ، أو لأنه أكثـر وجوداً فـى العالم ، أو لأن إضـافة الشر إلى الله تعـالى ، ليس من باب الأدب، كمـا قـال ﷺ : «و الشر ليس إليك» .

ومنها : ﴿وله ما سكن فى الليل والنهار ﴾ [الأنعام : ١٣] أى وما تحـرك ، وخص السكون بـالذكـر لأنه أغلب الحـالين على المخلوق من الحيـوان والجماد ، ولأن كل متحـرك يصير إلى السكون .

ومنها : ﴿ الذيـن يؤمنون بـالغيب ﴾ [البقــرة : ٣] أى والشهادة ، لأن الإيمان بكل منهمـا واجب ، وآثر الغيب لأنه أمدح ولأنه يستلزم للإيمان بالشهادة من غير عكس .

ومنها : ﴿ ورب المشــارق ﴾ [الصــافــات : ٥] أى والمغارب .

ومنها : ﴿ هدى للمتقين ﴾ [البقرة : ٢] أى للكـافرين قال ابن الأنبارى : ويؤيـده : قوله تعالى : ﴿ هدى للناس ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

ومنها : ﴿ إن امرؤ هلك ليس له ولد ﴾ [النساء : ١٧٦] أى ولا والد ، بـدليل أنه أوجب للأخت النصف ، وإنمـا يكون ذلك مع فقد الأب لأنه يسقطها .

وثـالثها : مـا يسمى بـالاحتباك . وهـو من ألطف الأنـواع وأبدعها ، وقل من تنبه له أو نبه عليه من أهل فن البلاغة ، ولم أره إلا فى (شرح بـديعية الأعمى) لـرفيقه الأنـدلسى ، وذكره الـزركشى فى (البـرهـان) ولم يسمـه هـذا الاسم ، بل سمـاه الحذف المقابلى .

وأفرده بالتصنيف العلامة برهان الدين البقاعى .

قال الأندلسى فى (شرح البديعية) :

من أنـواع البـديع : الاحتباك ؛ وهـو نـوع عـزيز؛ وهـو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره فى الثانى ، ومن الثانى ما أثبت نظيره فـى الأول، كقوله تعـالى : ﴿ ومثل الذيـن كفروا كمثل الذى ينعق ﴾ الآية . التقـدير : ومثل الأنبيـاء والكفار، كمثل الـذى ينعق والـذى ينعق بـه ، فحـذف من الأول : الأنبيـاء، لدلالة الذى ينعق عليه ، ومن الثـانى : الذى ينعق به ، لدلالة الذين كفـروا عليه . وقولـه تعالى : ﴿ وأدخل يـدك فى جيبك تخرج بيضاء ﴾ [النمل : ١٢] فحذف من الأول تـدخل غير بيضاء ، ومن الثانى وأخرجها .

قـال الـزركشى : هـو أن يجتمـع فى الكـلام متقـابـلان،

فيحذف من كل واحد منهما مقابله، لدلالة الآخر عليه . ومن أمثلته : ﴿ خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ﴾ [التوبة : ١٠٢] أى عملاً صالحاً بسيء ، وآخر سيئاً بصالح . ومن لطيفه قوله تعالى : ﴿ فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة ﴾ [آل عمران : ١٣] أى فئة مؤمنة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة تقاتل فى سبيل الطاغوت . وله فى القرآن نظائر. وهو أبلغ ما يكون من الكلام . ومأخذ هذه التسمية من الحبك ، الذى معناه الشد والإحكام ، وتحسين أثر الصنعة فى الثوب؛ فحبك الثوب سد ما بين خيوطه من الفرج ، وشده وإحكامه ، بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق . وبيان أخذه منه أن مواضع الحذف من الكلام ، شبهت بالفرج بين الخيوط ، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر فى نظمه وحوكه ، فوضع المحذوف مواضعه ، كان حائكا له ، مانعاً من خلل يطرقه ، فسد بتقديره ما يحصل به الخلل ، مع ما أكسبه من الحسن والرونق .

قالت المؤلفة : أفردنا مادة خاصة للاحتباك فى م ٢ / ٥٠٨ ـ ٥١٠ فانظرها فى موضعها .

النوع الرابع : ما يسمى بالاختزال : وهو ما ليس واحداً مما سبق . وهو أقسام؛ لأن المحذوف إما كلمة اسم . أو فعل ، أو حرف ، أو أكثر.

أمثلة حذف الاسم :

حذف المضاف : وهو كثير فى القرآن جدًّا ، حتى قال ابن جنى : فى القرآن منه زهاء ألف موضع .

حذف المبتدأ : يكثر فى جواب الاستفهام ، نحو : ﴿ وما أدراك ما هيه نار ﴾ [القارعة : ١١] أى هى نار؛ وبعد فاء الجواب ، نحو : ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ﴾ [فصلت : ٤٦] أى فعمله لنفسه ، ﴿ ومن أساء فعليها ﴾ [فصلت : ٤٦] أى إساءته عليها ؛ وبعد القول ، نحو: ﴿ وقالوا أساطير الأولين ﴾ [الفرقان : ٥] وبعدما الخبر صفة له فى المعنى ، نحو :

﴿ صم بكم عمى ﴾ [البقرة : ١٨] .

وحذف الخبر ؛ نحو : ﴿ أُكُلها دائم وظلها ﴾ [الرعد : ٣٥] أى دائم ؛ ويحتمل الأمرين ، نحو : ﴿ فصبر جميل ﴾ [يوسف : ١٨] أى أجمل ، أو فأمرى صبر جميل .

حذف الصفة ، نحو : ﴿ يأخذ كل سفينة ﴾ [الكهف : ٧٩] أى صالحة ، بدليل أنه قرئ كذلك .

حذف المعطوف عليه ، نحو : ﴿ أن اضرب بعصاك الحجر فانفلق ﴾ [الأعراف : ١٦٠] أى فضرب فانفلق .

وحذف المعطوف مع العاطف ، نحو : ﴿ بيدك الخير ﴾ [آل عمران : ٢٦] أى والشر .

حذف المبدل منه ، نحو ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب ﴾ [النحل : ١١٦] أى لما تصفه ، والكذب بدل من الهاء .

حذف الفاعل : لا يجوز إلا فى فاعل المصدر، نحو : ﴿ لا يسأم الإنسان من دعاء الخير ﴾ [فصلت : ٤٩] أى من دعائه . وجوزه الكسائى مطلقا لدليل ، وخرَّج عليه :

﴿ إذا بلغت التراقى ﴾ [القيامة : ٢٦] أى الروح ؛ ﴿ حتى توارت بالحجاب ﴾ [ص : ٣٢] أى الشمس .

حذف المفعول : تقدم أنه كثير فى مفعول المشيئة والإرادة ويرد فى غيرهما ، نحو : ﴿ إن الذين اتخذوا العجل ﴾ [الأعراف : ١٥٢] أى إلهاً ؛ ﴿ كلا سوف تعلمون ﴾ [التكاثر: ٣] أى عاقبة أمركم .

حذف الحال : يكثر إذا كان قولاً ، نحو : ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام ﴾ [الرعد : ٢٣] أى قائلين .

حذف المنادى : ﴿ ألا يا اسجدوا ﴾ أى يا هؤلاء . يا ليت : أى يا قوم .

حذف العائد : يقع فى أربعة أبواب : الصلة ، نحو : ﴿ أهذا الذى بعث الله رسولاً ﴾ [الفرقان : ٤١] أى بعثه الله ؛ والصفة ، نحو : ﴿ واتقوا يوماً لا تجزى نفس ﴾ [البقرة : ٤٨، ١٢٣] أى فيه ؛ والخبر، نحو: ﴿ وكُلاً وعد الله ﴾ [الحديد : ١٠] أى وعده ؛ والحال .

حذف مخصوص نعم : ﴿ إنا وجدناه صابراً نعم العبد ﴾ [ص : ٤٤] ، أى أيوب .

حذف الموصول : ﴿ آمنا بالذى أنـزل إلينا وأنزل اليكم ﴾ [العنكبـوت : ٢٦] أى والـذى أنزل إليكم ، لأن الـذى أنـزل إلينا غير الذى أنزل اليكم ، فيقدَّر .

حذف الفعل :

يطرد إذا كان مفسـراً، نحو : ﴿ وإن أحد من المشـركين استجارك ﴾ [التوبة : ٦] .

حذف الحرف :

قيل : حـــذف الحـرف ليس بقيـــاس، لأن الحـــروف للاختصار، فلـو كنت تحذفها، لكنت تختصـرها، واختصار المختصر إجحاف به .

حـذف همزة الاستفهـام ، نحـو : ﴿ وتلك نعمـة تمنُّهـا عليَّ ﴾[الشعراء : ٢٢] أى : أو تلك .

حذف الموصول الحرفى :

قال ابن مالـك : لا يجوز إلا فى أن ، نحو: ﴿ ومن آياته يريكم البرق ﴾[الروم : ٢٤] .

حذف الجار :

يطرد مـع أن وإن ، نحو : ﴿ يمنون عليـك أن أسلموا ﴾ [الحجـرات : ١٧] أى بـأن ، ونحـو : ﴿ أيعـدكم أنكم ﴾ [المـؤمنـون : ٣٥] أى بأنكم ؛ وجـاء مع غيـرهمـا ، نحـو: ﴿قدرناه منازل ﴾[يسٓ : ٣٩] أى قدرنا له ، ﴿ واختار موسى قومه ﴾[الأعراف : ١٥٥] أى من قومه .

حذف العاطف :

نحو : ﴿ وجوه يـومئذ نـاعمة ﴾[الغـــاشيـــة : ٨] أى ووجوه، عطفًا على : ﴿ وجوه يومئذ خاشعة ﴾[الغاشية : ٢]

حذف فاء الجواب :

نحو : ﴿ إن ترك خيراً الوصية للوالدين ﴾[البقرة : ١٨٠]

حذف حرف النداء :

كثير، نحو : ﴿ يوسـف أعرض ﴾[يـوسف :٢٩] وفى العجائب للكرمانى: كثر حذف ياء فى القرآن من الرب تنزيهاً وتعظيما ، لأن فـى النداء طرفًـا من الأمـر، نحو : ﴿ رب أنى وهن العظم ﴾[مريم : ٤] .

حذف قد :

فى الماضى، إذا وقع حالاً، نحو : ﴿ أو جاءوكم حصرت صدورهم ﴾[النساء : ٩٠] أى قد حصرت .

حذف لا النافية :

يطرد فى جواب القسم ، إذا كان المنفى مضارعا، نحو : ﴿ وعلى الذين يطيقونه ﴾[البقرة : ١٨٤] أى لا يطيقونه .

حذف لام الموطئة :

نحو : ﴿ وإن أطعتموهم إنكم لمشـركون ﴾ [الأنعام : ١٢١] .

حذف لام الأمر :

نحو: ﴿ قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا ﴾[إبراهيم : ٣١]

حذف لام لقد :

يحسن مع طول الكـلام ، نحو :﴿ قد أفلح من زكـاها ﴾ [الشمس: ٩] .

حذف نون التوكيد :

نحو قراءة ألم نشرح بالنصب .

حذف نون الجمع :

عليه قراءة : ﴿ وما هـم بضارين به مـن أحد ﴾ [البقرة : ١٠٢].

حذف التنوين:

عليه قراءة: ﴿ ولا الليل سـابق النهـار ﴾[يـسٓ : ٤٠] بالنصب .

حذف حركة الإعراب والبناء:

وعليه قراءة: بارئكم ، ويأمركم بسكونهما .

أمثلة حذف أكثر من كلمة :

حذف مضافين:

نحو : ﴿ من أثر الرسول ﴾[طه : ٩٦] أى من أثر حافر فرس الرسول .

حذف ثلاثة مضافات :

نحو : ﴿ فكان قـاب قوسين ﴾[النجم : ٩] أى كـان مقدار مسـافة قربة مثل قـاب قوسين، فحذف ثـلاثة من اسم كان، وواحد من خبرها .

حذف مفعولى باب ظن :

﴿ أين شركائى الذين كنتم تزعمون ﴾ [القصص : ٦٢، ٧٤] أى تزعمونهم شركاء .

حذف الجار مع المجرور:

﴿ خلطوا عملاً صالحاً ﴾ أى بسيىء ﴿ وآخر سيئاً ﴾ ، أى بصالح [التوبة : ١٠٢] .

حذف العاطف مع المعطوف :

تقدم.

حذف الشرط وفعله :

يطرد بعد الطلب ، نحو : ﴿ فاتبعونى يحببكم الله ﴾ [آل عمران : ٣١] أى أن اتبعتمونى .

حذف جواب الشرط :

نحو : ﴿ ولو جئنا بمثله مدداً ﴾ [الكهف : ١٠٩] أى لنفد البحر .

حذف جملة القسم:

نحو : ﴿ لأعذبنه عذابا ﴾ [النمل : ٢١] أى والله .

حذف جوابه :

﴿ والنازعات غرقا ﴾ [١] الآيات، أى لتبعثن ؛ ﴿ صٓ والقرآن ذى الذكر ﴾ [صٓ : ١] أى لمعجز.

حذف جملة مسببة عن المذكور:

نحو : ﴿ ليحق الحق ويبطل الباطل ﴾ [الأنفال : ٨] أى فعل ما فعل .

حذف جمل كثيرة :

نحو : ﴿ فأرسلون * يوسف أيها الصديق ﴾ [يوسف : ٤٥، ٤٦] أى فأرسلون إلى يوسف ، لأستعبره الرؤيا ، ففعلوا، فأتاه، فقال له : يا يوسف .

واعلم أنه تارة لا يقام شيء مقام المحذوف كما تقدم ، وتارة يقام ما يدل عليه ، نحو : ﴿ فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ﴾ [هود : ٥٧] فليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على توليهم ، وإنما التقدير: فإن تولوا فلا لوم علىَّ، أو فلا عذر لكم ، لأنى أبلغتكم (مفتاح السعادة ٢ / ٤٢٣-٤٣٥).

وإليك ما جاء فى ألفية الآثارى عن الحذف بأقسامه الثلاثة : حذف الاسم ، وهل على عشرين وجها، وحذف الفعل وهو على عشرين وجها، وحذف الحرف وهو على عشرين وجها أيضا .

فيقول عن القسم الأول وهو حذف الاسم :

للاسم ثُم الفعلِ ثُمَّ الحرف ... ستون وجهاً من وجوه الحذف

فى المبتدا أو خبر وفى خبر ... كان وإن واسم كان قد ندر

ويحذفُ المفعولُ ثُم الأولُ ... والثان والثالثُ أو تُستأصلُ

وعاملُ التمييز والمعمول فى ... تعجُّب وفى توابعٍ يفى

وياءُ نفسٍ ثُمَّ فى المضاف ... إليه والمضافُ غيرُ خاف

والهاءُ من ثلاثة منفصلهْ ... من صفة أو خبر أو من صلهْ

ومع ثلاث فى الظروف تعتبرْ ... فى الحال أو فى صفة أو فى الخبرْ

وللمنادى ثم للموصوف ... وفى مفسَّر سوى معروف

ثم يقول عن القسم الثانى وهو حذف الفعل :

ويحُذفُ الفعلُ فى الاستفهام ... والعطف أو من أوّل الكلام

والأمر والنهى وفى الدُّعاء ... والحال والتحذير والإغراء

ومع مفعول وإن وإمّا ... وفى جواب قسم وأمّا

ومـن وحتى ثـم لــــومـــا ثـم لـــو
لا وجــوابُ الشــرط أو جــواب لـو

ثم يقول عن القسم الثالث وهو حذف الحرف :

والحـــرف فى التضعيف أو للنـــون
والجـــرِّ والعلـــة والتنـــوين
ولا وفـى التـــرخيم والنـــداء
وفى الجـــواب جــاز حـــذف الفـــاء
ولالتقــــاء الســـاكنين والنسبْ
والهمـــز واسم نـــاقص فـى نحـــو أبْ
وجـــاءَ فـى اليميـن والتحــــذيـــر
وجـــازَ فـى الجمع وفـى التصغيـــر
وحلٌّ فى التحـــريك والإدغـــام أو
لكثـــرة الـــدليل فـــانح مـــا نحــوا

(ألفية الآثاري / ١٠٣، ١٠٤) .

وقد ذكر الحذف صاحب العمدة فى باب الإشارة باعتباره أحد أنواعها فقال :

ومن الإشارات الحذف، نحـو قول نعيم بن أوس يخاطب امرأته :

إن شئت أشـــرفنـــا جميعـــا فـــدعـــا
الله كـلٌّ جَهْـــــدَه فـــاسمعـــــا
بـــالخيـــر خيـــراً وإن شـــراً فـــا ا
ولا أريـــــد الشـــــر إلا أن تـــــا

كذا رواه أبو زيد الأنصارى، وساعده من المتأخرين على ابن سليمـان الأخفش، وقال : لأن الـرجز يـدل عليه، إلا أن رواية النحويين « وإن شرًّا فا » و « إلا أن تا » قالـوا : يريدون وإن شرًّا فشر، وإلا أن تشائى ... وأنشدوا :

ثـم تنـــادوا بعـــد تلك الضــوضـــا
منهـم بهـــات وهل ويــــايـــا
نـــادىَ مُنَـــاد منهـم ألاتـــا
قـــالـــواْ جميعـــا كلهم بلـى فـــا

وأنشد الفراء :

*** قلت لها : قومى ، فقالت : قاف ***

يريد قد قمت (العمدة ١/ ٣١٠، ٣١١) .

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٣١١، ٣١٢، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده ٢ / ٤٢٣ ـ ٤٣٥ ، وألفية الآثارى : كفاية الغلام فى إعراب الكلام ـ نظم زين الدين شعبان محمد القرشى . الآثارى ـ حققه وقدم لـه د . زهير زاهر والأستاذ هلال ناجى / ١٠٣ ، ١٠٤ ، والعمدة لابن رشيق ـ حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيى الدين عبد الحميد ٣١٠، ٣١١ انظر أيضا الإتقان فى علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطى ٢ / ٧٩ ـ ٨٣ . والبرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشى ـ تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ٣ / ١٠٢ ـ ٢٨٧ ونقد النثر لأبى الفرج قدامة بن جعفر ـ حققه وعلق حواشيه د . طه حسين بك وعبد الحميد العبادى / ٦٩ ، والتصريف الملوكى لابن جنى ـ عنى بتحقيقه مفتى حماة السابق محمد سعيد بن مصطفى النعسان ـ علق عليه أحمد الخانى ومحيى الدين الجراح / ٥١ ـ ٧٤) .

حذف الألفات فى رسم المصحف:

يتناول الإمـام محمد بن محمـد الأموى الشـريشى الشهير بالخـراز فى منظومته الموسـومة بمورد الظمـآن فى رسم القرآن حذف الألفات فى رسم سور القرآن كافـة . ولما كان قد فاتنا ذكر هذا النوع من الحذف عند الكلام على سورة البقرة (م ٧ / ٢٨٨ ـ ٣١٥) فإننا ننقل هنـا أبيات الناظم مرقمة وفقـا لترتيبها فى المنظومـة ، ومشفوعة بشـرح فضيلة الشيخ أحمـد محمد أبى زيتحار ، الذى يبدأ شرحـه بلفظ : « أقول » وسوف نتابع إن شاء الله تعـالى حـذف الألفات فى سـائر سور القـرآن عند إدراجها فى مواضعها :

٧٩ ـــ القـــول فيمـــا قـــد أتى فى البقـــرة
عـن بعضهـم ومـــا الجميع ذكـــره

أقول : هذه الترجمة الثـانية من تراجم الحذف الست ذكر فيهـا الحـذف الـواقع فى سـورة البقـرة عن بعض كتـاب المصـاحف دون البعض الآخـر لمجيئـه بـالإثبـات عنـده .

والحذف الذى ذكره أى رسمه جميعهم . وذكر هـذه الترجمة عقب ترجمة الفاتحة موافق لما اشترطه فى ترتيب الحذف وهو أن لا يذكر فى ترجمة ما تقدم عليها أو تأخر عنها لا أن يذكر الألفاظ المحذوفة على نظام ترتيب القرآن قال :

٨٠ ـــ وحـذفـوا ذلـك ثم الأنهـار
وابـن نجـاح راعنـا والأبصـار

أقول : اتفقوا على حذف ألف « ذلك » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ ذلك الكتاب ﴾ ﴿ قال كـذلك ﴾ ﴿ ذلكما مما علمنى ربى ﴾ ﴿ فـذلكن الـذى لمتننى فيه ﴾ ﴿ ذلكم أزكى لكم ﴾ وألف الأنهار حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ تجرى من تحتها الأنهار ﴾ ﴿ رواسى وأنهاراً ﴾ وحذف أبو داود ألف راعنا من ﴿ لا تقولوا راعنا ﴾ فى البقرة ﴿ وراعنا ليًّا ﴾ بالنساء وألف «الأبصار » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ ﴿ لعبرة لأولى الأبصار ﴾ ﴿ سمعا وأبصاراً وأفئدة ﴾

ونص فى التنزيل على إثبات ألف النهار وألف الأنصار من غير خلاف بين المصاحف فيها وهذان اللفظان من عشرة ألفاظ نصوا على إثبات ألفها حيث وقعت وكيف جاءت وهى منظومة فى قول بعضهم :

وألـف السـاعـة والعقـاب
وألـف العـذاب والحسـاب
وألـف النهـار والجبـار
وألـف البيـان والفجـار
وألـف النـار مـع الأنصـار
ثبت فـى الخـط لـدا الأخيـار

ولفظ « ذلك » مفرد فلا يندرج فيه ﴿ فذانك برهانان ﴾ ولا ﴿ هذان خصمان ﴾ وسيأتى حكمهما قال :

٨١ ـــ وعنهمـا الكتـاب غيـر الحِجْـر
والكهـف فى ثـانيهمـا عـن خُبْـر

٨٢ ـــ ومع لفظ أجـل فى الـرَّعـد
وأول النمـل تمـام العـدِّ

أقول : أخبر عن الشيخين بحذف ألف « كتاب » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ كتاب أنزلناه إليك ﴾ ﴿ اقرأ كتابك ﴾ ﴿ تلك آيات الكتاب ﴾ واستثنى لهما أربعة ألفاظ جاءت بالإثبات .

أولها : ثانى الحِجْر وهو ﴿ ولها كتاب معلوم ﴾ خرج أولها وهو ﴿ تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾ .

ثانيها : ثانى الكهف وهو ﴿ اتْلُ ما أوحى إليك من كتاب ربك ﴾ خرج أولها وهو ﴿ أنزل على عبده الكتاب ﴾ .

وثالثها : وهو ﴿ ووضع الكتاب ﴾ .

ورابعها : وهو ﴿ مال هذا الكتاب ﴾ ثالثها : ما اقترن بلفظ أجل فى الرعد وهو ﴿ لكل أجل كتاب ﴾ خرج ما لم يقترن به فيها وهو ﴿ آلمر تلك آيات الكتاب ﴾ ﴿ والذين آتيناهم الكتاب ﴾ ﴿ وعنده أم الكتاب ﴾ ﴿ ومن عنده علم الكتاب ﴾

وخرج كذلك ما اقترن بلفظ أجل فى غير الرعد وهو ﴿ حتى يبلغ الكتاب أجله ﴾ رابعها : أول النمل وهو ﴿ تلك آيات القرآن وكتاب مبين ﴾ خرجت الأربعة التى بعده وهى ﴿ اذهب بكتابى هذا ﴾ ﴿ ألقى إلىَّ كتاب كريم ﴾ ﴿ عنده علم من الكتاب ﴾ ﴿ وما من غائبة فى السماء والأرض إلا فى كتاب مبين ﴾ قال :

٨٣ ـــ واحـذف تفـادوهم يتـامى ودفـاع
كـذا بتنـزيل فـراشـا ومتـاع

أقول : اتفق الشيوخ على حذف ألف « تفادوهم » فى ﴿ وإن يأتوكم أسارى تفادوهم ﴾ بالبقرة لا غير . وألف يتامى الأولى حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ وذى القربى واليتامى ﴾ ﴿ فى يتامى النساء ﴾ وسيأتى حكم ألفه الثانية فى ترجمة (وهاك مابألف قد جاء) وألف دفاع فى ﴿ ولولا دفاع الله ﴾ بالبقرة والحج ومثل ذلك ألف فراشا مكسور الفاء عن أبى داود فى التنزيل وهو ﴿ جعل لكم الأرض فراشا ﴾ لا غيرها وليس منه ﴿ كالفراش المبثوث ﴾ وكذا تحذف ألف متاع حيث وقع نحو ﴿ ومتاع إلى حين ﴾ قال :

٨٤ ـــ وعنهمـا الصـاعقـة الأولى أتت
وعـن أبـى داود حيثمـا بـدت

أقول : جاء عن الشيخين حذف ألف الصاعقة الموضع الأول فى البقرة وهو ﴿ فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾ وعمم أبو داود الحذف فى ألفها حيث وقعت وكيف جاءت نحو ﴿ فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾ ﴿ فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ﴾ ﴿ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ قال :

٨٥ ـ مع الصواعق استطاعوا الألباب
ثم الشياطين ديار أبواب

٨٦ ـ إلا الذى مع خلال قد ألف
فرسمه قد استحب بالألف

أقول : وجاء عن أبى داود أيضا حذف ألف الصواعق فى ﴿ من الصواعق حذر الموت ﴾ بالبقرة ﴿ ويرسل الصواعق ﴾ بالرعد . وألف « استطاعوا » حيث وقع نحو ﴿ يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ وألف « الألباب » حيث وقع نحو ﴿ ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب ﴾ وألف « الشياطين » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين ﴾ ﴿ خَلَوا إلى شياطنيهم ﴾ ، ﴿ شياطين الإنس والجن ﴾ وألف « ديار » المضاف حيث وقع نحو ﴿ ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ﴾ أما ما قترن بأل ووقع مضافا إلى غيره وعهد اقترانه بخلال فى قوله تعالى ﴿ فجاسوا خلال الديار ﴾ بالإسراء فقد استثناه أبو داود وجوز فيه الإثبات والحذف واستحب فيه إثبات الألف ولا سند فى هذا الإثبات عن المصاحف وألف « أبواب » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ وأتوا البيوت من أبوابها ﴾ ﴿ مفتحة لهم الأبواب ﴾ ﴿ ولبيوتهم أبوابا ﴾ قال :

٨٧ ـ والحذف عنهم فى المساكين أتى
والخلف فى ثانى العقود ثبتا

أقول : اتفقوا على نقل حذف ألف « المساكين » عن كتاب المصاحف حيث وقع وكيف جاء سوى ثانى العقود نحو ﴿ وذى القربى واليتامى والمساكين ﴾ ﴿ فدية طعام مساكين ﴾ واختلفوا فى ألف مساكين ثانى العقود وهو ﴿ أو كفارة طعام مساكين ﴾ أما الأول فى العقود وهو ﴿ فكفارته إطعام عشرة مساكين ﴾ فبالحذف من غير خلاف قال :

٨٨ ـ وحذف ادارأتم رهان
حيث يخادعون والشيطان

أقول : اتفقوا على حذف الألف الأولى فى ﴿ فادارأتم فيها ﴾ وسيذكر حكم الثانية فى باب الهمز ـ وألف « رهان » فى ﴿ فرهان مقبوضة ﴾ وألف « يخادعون » فى ﴿ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم ﴾ بالبقرة و ﴿ يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ بالنساء : وسكت الناظم عن ألف ﴿ وهو خادعهم ﴾ ولا يدخل فى يخادعون . والراجح حذفه ـ وألف « الشيطان » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ فأزلهما الشيطان ﴾ ﴿ إن يدعون إلا شيطانا ﴾ قال :

٨٩ ـ كذا الشياطين بمقنع أثر
فى سالم الجمع وفى ذاك نظر

أقول : ذكر أبو عمرو فى المقنع لفظ الشياطين مع ما يحذف من جموع السلامة نحو الفاسقين والمنافقين والكافرين ويقتضى ذلك حذف ألفه وذكره فى جموع السلامة فيه نظر إذ هو جمع تكسير وقد ذكر مع جموع السلامة سهوا وعلى هذا لا تحذف ألفه لعدم دخوله فى قاعدة الجمع السالم وقد ذكر الناظم فيما تقدم حذفه عن أبى داود . وذكر هنا مأخذ حذفه من كلام أبى عمرو فى المقنع بقوله (كذا الشياطين) البيت واسم الإشارة يعود على لفظ الشيطان فى البيت قبله قال :

٩٠ ـ وعنهما أصحاب مع أسارى
ثم القيامة مع النصارى

(قرئ وأسارى وأسرى والحذف هنا حذف إشارة ومثله كل ما كان فيه قرءاتان بالحذف والإثبات كرهان مقبوضة ورهن ، وتفادوهم وتفدوهم فلا تغفل عن الضابط فى ذلك)

أقول : جاء عن الشيخين حذف ألف « أصحاب » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ أولئك أصحاب النار ﴾ ، ﴿ مثل ذنوب أصحابهم ﴾ وألف « أسارى » فى ﴿ وإن يأتوكم أسارى تفادوهم ﴾ لا غيرها وألف « القيامة » حيث وقع نحو ﴿ ويوم القيامة يردون ﴾ ، ﴿ ولا أقسم بيوم القيامة ﴾ وألف « النصارى » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ والنصارى والصابئين ﴾ ، ﴿ وقالوا كونوا هودا أو نصارى ﴾ وسيأتى حكم ألف أسارى والنصارى الثانية قال :

٩١ ـــ وبعـد نـون مضمـر أتـاكـا
حشـوا كـزدنـاهـم وآتينـاكـا

أقول : ذكر هنا قاعدة جليلة عن الشيخين وهى : يحذف كل ألف وقع وسطا بعد نون ضمير اتفاقا نحو ﴿ وزدناهم هدى ﴾ ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثانى ﴾ ، ﴿ وآتيناه من لدنا علما ﴾ وقوله حشوا أى ، وسطا بخرج ما وقع طرفا لثبوته نحو ﴿ آمنا بالله ﴾ ، ﴿ أطعنا الله وأطعنا الرسولا ﴾ قال :

٩٢ ـــ والأعجميـة كنحـو لقمـان
ونحـو إسحـاق ونحـو عمـران

٩٣ ـــ ونحـو إبـراهيم مع إسمـاعيل
ثمت هـارون وفى إسـرائيل

٩٤ ـــ ثبت على المشهـور لمـا سلبـا
من صـورة الهمـز بـه إذ كتبـا

أقول : جاء عن الشيخين حذف ألف الأسماء الأعجمية الواقعة فى القرآن بشروط أربعة :

الأول : أن يكون الاسم علما خرج نحو نمارق .

الثانى : أن يزيد على ثلاثة أحرف خرج نحو عاد .

الثالث : أن تكون ألفه وسطا خرج ما كانت ألفه طرفا نحو موسى وعيسى ونحو آدم وزكريا لعدم وجود الهمز رسما فى المصاحف فليست ألفها حشوا .

الرابع : أن يكثر استعماله بأن يقع فى القرآن فى غير موضع ، ويكثر دورانه على ألسنه العرب .

أفاد قوله بعد (وما أتى وهو لا يستعمل) البيت ٩٦ الشرط الرابع نصًّا والأول استلزاما ، إذ لا وجود لاسم أعجمى فى القرآن كثير الاستعمال غير علم ، وأفاد بالأمثلة الشرط الثانى والثالث) .

خرج نحو جالوت وطالوت ـ وقد ذكر فى هذه الأبيات سبعة أسماء أعجمية ، اتفق على حذف ألفها سوى إسرائيل فقد جاء عنهما الخلاف فى حذف ألفه والأشهر الإثبات ـ وعلل بأنه وإن توفرت فيه شروط الحذف لكنه لما جرد من الياء التى هى صورة الهمزة فراراً من اجتماع صورتين أثبت ألفه على المشهور وذلك قوله (لما سلبا من صورة الهمز) البيت ٩٤ وتشهير الإثبات خاص بأبى عمرو واختار أبو داود فيه الحذف بل اقتصر عليه فى ﴿ ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل ﴾ (والعمل على إثبات ألفه حيث وقع)قال :

٩٥ ـــ وبـاتفـاق أثبتـوا داودا
إذ كـان أيضـا واوه مفقـودا

٩٦ ـــ ومـا أتى وهـو لا يستعمل
فـألف فيـه جميعـا يجعل

٩٧ ـــ كقـولـه سبحـانـه طـالـوتـا
يـاجـوج مـاجـوج وفى جـالـوتـا

أقول : اتفق شيوخ النقل على إثبات ألف داود مع توفر شروط الحذف ـ وعلل بأنه لما حذفت منه إحدى واويه أثبتت ألفه حتى لا يجتمع فيه حذفان . وذلك قوله (إذ كان أيضا واوه مفقودا) وإنما اتفقوا على إثبات ألف داود ، واختلفوا فى ألف إسرائيل مع اتحاد علة الإثبات فيهما لثقل لفظ إسرائيل ولتركيبه من إسرا بمعنى عبد وإيل بمعنى الله ، ثم أخبر فى البيت الثانى بإثبات ألف ما قل استعماله منها نحو طالوت وجالوت ويأجوج ومأجوج ، وسكت الناظم عن إلياس والياسين لعدم ذكر الشيخين لهما ورجح فى العمدة الإثبات فى إلياس حيث قال :

والنص فى إليـاس فيـه نظـر
وثبتـه فيمـا رأيت أجـدر

وقطع بعضهم بالحذف وتردد فيهما آخرون (والعمل فيهما على الإثبات) وذكر بعضهم « بابل » وحكمه الإثبات قال :

٩٨ ـــ وعن خـلاف قل فى هـاروتـا
هـامـان وقـارون وفى مـاروتـا

٩٩ ـــ لكن بميكـال اتفـاقـا حـذفت
مع أنهـا كلمـة مـا استعملت

١٠٠ ـــ ولا خـلاف بعـد حـرف الميم
فى الحـذف من هـامـان فى المـرسـوم

أقول : اتفق شيوخ النقل على إثبات ألف هاروت وماروت

وقارون وألف هامان الأولى ولا خلاف فى حذف الثانية وذلك قوله (ولا خلاف بعد حرف الميم) البيت ١٠٠ ، وفيه تقييد للإطلاق المتقدم فى هامان ـ وخلاف بعض المصاحف فى حذف ألف هذه الأسماء الأربعة قليل وتقليل الحذف فيها خاص بأبى عمرو وذكر أبو داود الخلاف فيها واختار الحذف (والعمل على الإثبات) ولما كانت القاعدة فيما تقدم تقتضى إثبات ألف ما قل استعماله من الأسماء الأعجمية ، وكان ميكال محذوف الألف اتفاقا مع أنه كلمة أعجمية قل استعمالها ، ولم تأت إلا فى موضع واحد من القرآن استدرك الناظم على ذلك بقوله (لكن بميكال اتفاقا حذفت) البيت ٩٩ وعلل وذلك بأنها استثقلت بكثرة حروفها وبتركيبها من ميكا بمعنى عبد وإيل بمعنى الله فخففت ألفها وقوله (مع أنها كلمة ما استعملت) ليس نفيا لمطلق استعمالها بل لكثرة استعمالها ـ قال :

١٠١ ـــ *وصـــالح وخـــالـــد ومـــالك*

وفـى سليمـــــــان أتت كـــــــذلك

أقول : لا خلاف أيضا فى حذف ألف صالح حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ من عمل صالحا فلنفسه ﴾ ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحا ﴾ ، ﴿ والعمل الصالح يرفعه ﴾ وألف «خالد» نحو ﴿ ندخله ناراً خالدا فيها ﴾ وألف مالك حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ مالك يوم الدين ﴾ ، ﴿ ونادوا يا مالك ﴾ ﴿ قل اللهمّ مالك الملك ﴾ وأطلق الناظم الحذف فشمل ما وقع علما وصفة كصالح ومالك وما وقع صفة كخالد . وكذلك تحذف ألف سليمان حيث وقع من غير خلاف (وفى ذكره مع صالح وخالد ومالك وهى عربية متابعة لأبى عمرو ووجهه مشاركتها فى كثرة الاستعمال) وسكت الناظم كالشيخين عن حكم صالحين وخالدين مثنى صالح وخالد فيبقيان على الأصل وهو الإثبات (وعليه العمل وإن نص بعضهم على الحذف فيهما) (أقول) قوله ، ومالك يفيد حذف ألفها كيف وقعت عند الشاطبى أيضا وهو مناف لظاهر العقيلة حيث اقتصر الحذف على الموضع الأول وهو مالك يوم الدين وليحرر.

وخلاصة ما ذكر فى الأسماء الأعجمية : أنه ورد منها فى القرآن واحد وعشرون اسما كثر استعمال تسعة منها وهى : إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وهارون ولقمان وداود وسليمان وإسرائيل وعمران ، وقل استعمال اثنى عشر اسماً وهى : طالوت وجالوت وياجوج وماجوج وهاروت وماروت وقارون وهامان وميكائيل وإلياس وإلياسين وبابل ـــ وهى بالنسبة لحذف الألف وإثباتها على ثلاثة أقسام ـــ قسم اتفق على حذف ألف وهو تسعة أسماء إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وهارون ولقمان وسليمان وعمران وميكائيل (وقد رسموا فى مكان الألف ياء ليحتمل القراءات) وهامان بالنسبة لألفه الثانية التى بعد الميم ، أما الأولى التى قبلها ، فالحذف فيها قليل عند أبى عمرو ومختار عند أبى داود ـــ وقسم اتفق على إثبات ألفه وهو خمسة أسماء داود وطالوت وجالوت وياجوج وماجوج ـــ وقسم اختلفت المصاحف فى ألفه بين الإثبات والحذف وهو سبعة أسماء إسرائيل وهاروت وماروت وقارون ، واختار أبو داود فيهن الحذف والأشهر عند الدانى الإثبات فيها ـــ وألحق بهن إلياس وإلياسين وبابل (والعمل على الحذف فى إسرائيل وما عطف عليه وعلى الإثبات فى إلياس وما عطف عليه) .

قال :

١٠٢ طغيان أموات كذا لابن نجاح ... ...

أقول : جاء الحذف أخذا من الترجمة السابقة عند أبى داود فى ألف طغيان حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ طغيان وكفرا ﴾ ﴿ ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ﴾ وألفه ثابته عند الدانى لاندراجه فى قول الناظم (وذكر الدانى وزن فعلان) وألف « أموات » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ وكنتم أمواتا فأحياكم ﴾ ، ﴿ وما يستوى الأحياء ولا الأموات ﴾ .

قال :

١٠٢ ... ...

وعنهمـــا فـى الحجْـــر خُلف فى الـــريـــاح

١٠٣ ـــ *وســـورة الكهف ونص الفـــرقـــان*

كـــــذا بإبـــــراهيم عن سليمـــــــان

١٠٤ ـــ *والبكـــر والشـــورى ونـص المقنع*

بـــالحـــــذف فى الشــــلاث عن تتبع

١٠٥ ـــ *وجـــاء أولـى الـروم بـــالتخييـــر*

لابـن نجـــــاح ليس بـــــالمأثــــــور

١٠٦ ـــ *وكـل مـــا بقـى منـه فـــاحـــذف*

... ...

أقول : وقع لفظ الرياح فى القرآن فى اثنى عشر موضعا اتفق الشيخان على نقل اختلاف المصاحف فى ألف ثلاثة منها وهى ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ بالحِجْر ﴿ تذروه الرياح ﴾ بالكهف ﴿ وهو الذى أرسل الرياح بشرا ﴾ بالفرقان واختلفا فى ثلاثة منها وهى ﴿ اشتدت به الريح فى يوم عاصف ﴾ بإبراهيم ﴿ وتصريف الرياح والسحاب المسخر ﴾ بالبقرة المعبر عنها بالبكر لذكره فيها ـ ﴿ إن يشأ يسكن الريح ﴾ فى شورى فنقل أبو داود خلف المصاحف فى حذف ألفها ونقل الدانى الحذف فيها من غير خلاف ـ وخير أبو داود بين الإثبات والحذف فى ﴿ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات ﴾ موضع الروم الأول ولم يؤثر فيه شيء عن المصاحف وانفرد أبو داود بالحذف فى الخمسة الباقية وهى ﴿ يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ﴾ بالأعراف والنمل ، ﴿ الله الذى يرسل الرياح ﴾ فى ثانى الروم ﴿ والله الذى أرسل الرياح ﴾ بفاطر ﴿ وتصريف الرياح ﴾ بالجاثية .

وخلاصة ما ذكر عنهما ـ الخلاف للدانى فى الثلاثة الأولى والحذف فى الثلاثة بعدها ـ والخلف لأبى داود فى السبعة الأولى بما فى ذلك موضع الروم الأول والحذف فى الخمسة بعدها وقوله (وكل ما بقى فاحذف) أى عن أبى داود

١٠٦ ـ... ... ...

ولفظ إحســـــان أتى فـى المنصف

١٠٧ ـــ *مع شعـــائر وجــــاء حـــذف ذين*

فـى نـص تنــــــزيل بغيـــــر الأوليـن

أقول : جاء عن البلنسى فى المنصف حذف ألف إحسان حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ وبالوالدين إحسانا وذى القربى ﴾ الموضع الأول فى البقرة ونحو ﴿ وإليه بإحسان ﴾ ، ﴿ وبالوالدين إحسانا وذى القربى ﴾ وألف شعائر حيث وقع نحو ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ الموضع الأول فى البقرة ونحو ﴿ لا تحلوا شعائر الله ﴾ ونص أبو داود فى التنزيل على الحذف فيهما سوى موضعيهما الأولين فقد سكت عنهما . (والعمل فيهما على الحذف حملاً على النظائر) .

ولما كان تعميم صاحب المنصف يفيد انفراده بالحذف فى الموضعين الأولين ذكر ما انفرد به جريا على اصطلاحه من أنه لا يذكر عن صاحب المنصف إلا ما انفرد به . قال :

١٠٨ ـــ *حيث أصـــابعهـم والبـــرهــــان*

نكـــالا الطــــاغــوت ثـم الأخــــوان

أقول : جاء عن أبى داود حذف ألف أصابعهم فى ﴿ يجعلون أصابعهم فى آذانهم ﴾ والف برهان حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ هاتوا برهانكم ﴾ ﴿ لا برهان له به ﴾ وسكت عن الألف الأولى فى مثنى برهان من ﴿ فذانك برهانان ﴾ والعمل على الحذف . وسيأتى حكم الثانية فى المثنى ـ وألف نَكَالا المنون من ﴿ فجعلناها نَكَالاً ﴾ بالبقرة ﴿ نكالا من الله ﴾ بالمائدة ـ ولا يدخل فيه ﴿ أنكالا وجحيما ﴾ ولا نكال المضاف وهو ﴿ نكال الآخرة والأولى ﴾ وألفهما ثابتة ـ وألف الطاغوت حيث وقع نحو ﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ﴾ وألف إخوان حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ وإن تخالطوهم فإخوانكم ﴾ ﴿ فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ .

قال :

١٠٩ ـــ *إيـــاى حـــافظـــوا وبـــاشـــروهن*

ثـم تـــــراضـــوا وتبـــاشـــــروهـن

أقول : جاء عن أبى داود حذف ألف إياى حيث وقع نحو ﴿ إياى فارهبون ﴾ وألف حافظوا وباشروهن وتراضوا وتباشروهن فى ﴿ حافظوا على الصلوات ﴾ ، ﴿ فالآن باشروهن ﴾ ، ﴿ إذا تراضوا بينهم بالمعروف ﴾ ، ﴿ ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد ﴾ وسينص على تراضيتم بقوله (كذا تراضيتم) .

قال :

١١٠ ـــ *كـذا أصـابتهم أصـــابتكم ومـــا*

أصــــابكـم لـــدى الثــــلاث كيفمـــا

أقول : جاء عن أبى داود حذف أصابتهم وأصابتكم

وأصابكم حيث وقعن نحو ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة ﴾ ﴿ أو لما أصابتكم مصيبة ﴾، ﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان ﴾ [آل عمران: ١٦٦] ﴿ ولئن أصابكم فضل من الله ﴾ [النساء: ٧٣] بشرط أن يتصل بأصاب تاء التأنيث مع ضمير جماعة الغائبين أو المخاطبين أو ضمير جماعة المخاطبين مع تجرده من تاء التأنيث فإن خلا من ذلك أثبتت ألفه نحو ﴿ ما أصابك من حسنة ﴾، ﴿ فأصابه وابل ﴾ ، ﴿ما أصاب من مصيبة ﴾ ، ﴿ أصابت حرث قوم ﴾ ـ وظاهر قوله ﴿وما أصابكم ﴾ أن (ما) قيد في أصابكم وليس كذلك وظاهر قوله (كيفما) أن الحذف واقع فى هذه الثلاثة سواء اتصل بهن تاء التأنيث وضمير المخاطبين والغائبين أم لا وليس كذلك وأجيب برجوعه إلى الأخير وهو أصابكم .

قال :

١١١ ـــ *ميثـــاق الأيمـــان والأمـــوال*
أيمـــان العـــدوان والأعمـــال

أقول: جاء عن أبى داود حذف ألف ميثاق حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ وإذا أخذنا ميثاقكم ﴾ ، ﴿ وأخذن منكم ميثاقا غليظا ﴾، ﴿ ولا ينقضون الميثاق ﴾ وألف الإيمان حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ بئسما يأمركم به إيمانكم ﴾ ﴿ ومن يتبدل الكفر بالإيمان ﴾ ﴿ زادتهم إيمانا ﴾ وألف أموال حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ ونقص من الأموال ﴾ ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ ﴿ كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا ﴾ وألف أيمان حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ﴾ ، ﴿ ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾ ، ﴿ أن تُرَدَّ أيمان بعد أيمانهم ﴾ وألف عدوان حيث وقع وكيف جاء نحو﴿ تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ﴾ ، ﴿ومن يفعل ذلك عدوانا ﴾ وسيأتى إثبات ألفه لأبى عمرو فى وزن فعلان ـــ وألف أعمال حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿بالأخسرين أعمالا ﴾ [الكهف: ١٠٣] ﴿ لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾ .

قال :

١١٢ ـــ *ثم مـــواقيت أحـــاطت والـــده*
ولأبى عمـــرو من المعـــاهـــده

١١٣ ـــ *عـــاهـــد فى الفتح وأولى عـــاهـــدوا*
وكلهـــا لابـن نجـــاح وارد

أقول: جاء عن أبى داود حذف ألف « مواقيت » فى ﴿ قل هى مواقيت للناس والحج ﴾ وألف « أحاطت » فى ﴿ وأحاطت به خطيئته ﴾ كلاهما بالبقرة لا غير وألف «والدة » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ لا تضار والدة بولدها﴾، ﴿ وبرًّا بوالدتى ﴾ ولا يدخل أحاط في أحاطت ولا والد المذكر فى والدة المؤنثة لثبوت ألفهما ـ وعن أبى عمرو وحذف ألف ما تصرف من المعاهدة فى كلمتين أولاهما ﴿بما عاهد عليه الله ﴾ فى الفتح وثانيتهما ﴿ أَوَكلما عاهدوا عهدًا ﴾ الأولى وهو فى البقرة وعن أبى داود الحذف فى ألف كل الأفعال المنصرفة من المعاهدة زيادة على هاتين الكلمتين نحو ﴿ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ﴾ ، ﴿ براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم ﴾ .

(والعمل على الحذف فى جميعها)

قال :

١١٤ ـــ *تجـــارة أمـــانتـــه منـــافع*
غشـــاوة شفـــاعـــة وواسع

(قرأها حمزة والكسائى فى الجاثية « غشوة » فيكون الحذف فيما وقع فى غيرها حملا عليها) .

أقول: جاء عن أبى داود حذف ألف « تجارة » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ ﴿ إلا أن تكون تجارة حاضرة ﴾ ، ﴿ قل ما عند الله خيرٌ من اللهو ومن التجارة ﴾ وألف « أمانته »المضاف فى ﴿ فليؤد الذى أؤتمن أمانته ﴾ بالبقرة ولا يدخل فيه غير المضاف نحو ﴿ إنا عرضنا الأمانة ﴾ لثبوت ألفه ـ وألف « منافع » حيث وقع نحو ﴿ منافع للناس ﴾ وألف « غشاوة » فى ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ بالبقرة ﴿ وجعل على بصره غشاوة ﴾ بالجاثية ـ وألف «شفاعة» حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ ولا تنفعها شفاعة ﴾ ، ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده ﴾ ، ﴿ لا تغن عنى شفاعتهم شيئًا ﴾ وألف واسع حيث وقع نحو ﴿ إن الله واسع عليم ﴾ ولا تدرج فيه واسعة وسيأتى النص عليه .

(والعمل على الحذف فى الألفاظ الستة حيث وقعت) .

قال :

١١٥ ـــ *شهـــادة فعل الجهـــاد غـــافل*
ثـم منـــاسككـم والبـــاطل

١١٦ ـــ *وضمن الـــدانى منـــه المقنعـــا*

وبـــاطـل من قبـل مـــا كـــانـــوا معـــا

أقول: جاء عن أبى داود حذف ألف « شهادة » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهـــادة ﴾ ، ﴿ ولا تكتموا الشهادة ﴾ ، ﴿ لشهادتنا أحق من شهادتهما ﴾ وألف ما تصرف من الجهاد حيث وقع وكيف جاء ماضيا أو مضارعا أو أمرا تجرد من الضمير أو اتصل به نحو ﴿ والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله، يجاهدون في سبيل الله ﴾ ،(ذكر فى التـنزيل إثبـات ألف « هـاجـروا ») ﴿ جاهـد الكفـار والمنـافقين ﴾، ﴿ وجاهدوا فى الله حق جهاده ﴾ وظاهر قوله فعل الجهاد أن لا تحذف ألف الاسم منه فى ﴿ خرجتم جهادًا فى سبيلى ﴾ ، بالممتحنة. وقد نص فى التزيل على حذف ألفـه وأطلق الناظم فى عمـدة البيـان الحـذف فـى جهـادا المنصوب فشمل ﴿ جهادا كبيرًا ﴾ « بالفرقان ». أيضًا ـ وألف غـافل حيث وقـع وكيف جـاء نحـو ﴿ ومـا الله بغافـل عمـا تعملون ﴾ ، ﴿ ولا تحسبن الله غافلاً ﴾ ـ وألف «مناسككم » فى ﴿ فإذا قضيتم منـاسككم ﴾ ولا يندرج فيه ﴿ مناسكنا ﴾ لثبـوت ألفه ـــ وألف بـاطل حيث وقع وكيف جاء نحوَ ﴿ ولا تلبسوا الحق بـالباطل ﴾ ، ﴿ وباطل ما كـانوا يعملون ﴾ ـ ولم يذكر الـدانى فى المقنع الحذف فى باطل نحـو إلا ما وقع منه قبل « ما كانوا » وهو ﴿ وباطل ما كـانوا يعملون ﴾ بالأعراف. وهـود. وذلك قوله(وضمن الـدانى منـه المقنعا) البيت ومـا عداهمـا مما لم يذكره فثـابت عنده بمقتضى.قاعدتـه فى قول الناظم (ووزن فعال وفاعل ثبت)

قال:

١١٧ ـــ *مع المثنى وهـــو فى غيـر الطـــرف*

كـــرجـــلان يحكمـــان واختلـف

١١٨ ـــ *لابن نجـــاح فيـــه ثـم الـــدانى*

قـــد جـــاء عنـــه فى تكـــذبـــان

أقـول: أخبر عن أبى عمـرو بحذف ألف المثنى وهى مـا دلت على التثنية فى الاسم وكـانت علامة على رفعـه أو كانت ضمير اثنين بشرط أن تقع وسطا كرجلان يحكمان ـ وفى تعدد المثال وتغايره إشارة إلى أن المثنى نـوعان اسم كرجلان وفتيان ويـداك وكذا فـذانك وهـاذان واللـذان: وفعل كيحكمان ومـا يعلمان ويأتيانهـا منكم وتكذبان وقوله فى غيـر الطرف احتراز عمـا تطـرقت فى المثنى لثبـوتهـا اتفـاقـا نحـو ﴿ إنـا رسـولا ربك﴾، ﴿ تبت يـدا أبى لهب ﴾ ، ﴿ وكُـلاً منها رَغَـدًا ﴾ ، ﴿قالا الحمـد لله ﴾ وقد نقـل أبو داود خلاف المصـاحف فى ألف المثنى مطلقًـا ولم ينقل أبـو عمرو الخـلاف إلا فى ألف تكذبان فقط وذلك قولـه (واختلف لابن نجاح فيه ثم الدانى) البيت ــ ويـنـدرج فى المثنى الألـف الثـانيـة من مـدهـامتـان ونضَّاختان وبُرهانان أما أولى مدهامتان ونضاختان فلم يتعرض لهما الناظم والعمل على إثباتهما وقـد مر حذف أولى برهانان عند قـوله (حيث أصـابعهم والبرهـان) والظاهـر اندراج ألف اثنان من ﴿ أثنان ذوا عدل ﴾ لأنه ملحق بالمثنـى وخرج منه كلاهما وجاءانا لنصـه على كل واحد منهما بعينه ـ وحكى فى التنـزيل إجماع المصـاحف على حـذف ألف الأوليان فكـان الأولى للناظم استثناؤه من خلاف أبى داود قال:

(العمل على حـذف ألف المثنى حيث وقع وما ألحق بـه كألف اثنان إلا لفظ « تكـذبان » جميع مـا وقع فى « الرحمن » فبالإثبات) .

قال:

١١٩ ـــ *وفى الأخيـر الحـــذف فى نـــداء*

رجـح عنهمـــا ونحـــو مـــاء

أقـول: إذا وقع فى آخـر الاسم ألف مبـدلـة مـن تنـوين النصب وكـان قبلها همـزة وقبل الهمـزة ألف نحـو نداء ومـاء وحياء ومراء واقتراء وغثاء حذفت إحدى الألفين وقد كتبت هذا النوع فى المصاحف بألف واحدة لئلا يجتمع ألفان ولم تصور همزتـه فاحتمل أن تكون المحذوفة الأولى فتكـون المرسـومة ألف النصب وأن تكـون الثـانيـة هى المحـذوفـة واختلف فى رجحان حذف إحـداهما فرجع الشيخان حـذف الثانية وذلك قوله (وفى الأخير الحذف من نداء) البيت ١١٩ قال:

١٢٠ ـــ *واحـذف بـواعـدنـا مع المساجـد*

وعـن أبـى داود أيضًـــا واحـــد

١٢١ ـــ *وكيف أزواج وكيف الـــوالـــدين*

... ...

أقـول: اتفق الشيوخ على حـذف ألف واعدنـا حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ **وواعدنا موسى** ﴾ ، ﴿ **وواعـدناكم جانب الطور الأيمن** ﴾ وألف مساجد حيث وقع وكيـف جـاء نحـو ﴿ **وأنتم عاكفون فى المساجد** ﴾ ، ﴿ **ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا** ﴾ وجاء عن أبى داود حذف ألف « واحد » وقع وكيف جاء نحو ﴿ **وإلهكم إلـه واحد** ﴾ ، ﴿ **وهـو الـواحد القهـار**﴾ ونص على حذف ألف واحدة حيث وقع نحو ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة** ﴾ ، ﴿ **نفخة واحدة** ﴾ ـ ولم يذكره الناظم وقد قيل فى إصلاح البيت (وابن نجاح واحدة وواحد) وألف « أزواج » جمعـا لزوج أو بمعنـى الأصناف حيث وقع وكيـف جاء نحـو ﴿**ولهم فيهـا أزواج مطهـرة** ﴾ ، ﴿ **وصيـة لأزواجهـم** ﴾ ، ﴿**ثمانية أزواج** ﴾ وألف « والدين » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ **وبـالوالـدين إحسانـا** ﴾ ، ﴿ **ووصينـا الإنسـان بـوالـديـه حسنـا** ﴾، ﴿ **أن اشكـر لى ولـوالـديك** ﴾ ، ﴿ **رب اغفـر لى ولوالدى** ﴾ قال:

١٢١ ... ...

وفـى العظـــام عنهمـــا فـى المـــؤمنيـن

١٢٢ ـــــ *وغيـــــر أول بتنـــــزيل أتيـن*

كـــــلا والأعنـــــاب بغيـــــر الأوليـن

١٢٣ *لكـن عظـــــامـــــه لـــــه بـــــالألـف*

وكـــل ذلـك بحـــــــــــــذف المنصـف

أقـول: وقع لفظ عظـام فى غيـر مـوضع من القـرآن وفى المؤمنيـن منه أربعة مـواضع اتفق الشيخان على حـذف ألف الموضعين الأولين منها وهما ﴿ **فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحمـا** ﴾ وظاهـر النظم يفيد أن أبـا عمرو حـذف ألف الموضعين الأخيرين منهما كأبى داود وهما ﴿ **أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تـرابـا وعظـامـا** ﴾ ، ﴿ **أئذا متنا وكنـا ترابـا وعظاما**﴾ وليس كذلـك وأحسن ما أصلح به البيـت (والدانى أولى عظام المؤمنين) .

وجاء عن أبى داود حذف ألف « عظام » حيث وقع وكيف جـاء إلا المـوضع الأول وهـو ﴿ **وانظـر إلى العظـام كـيف ننشـزها** ﴾ بالبقرة وذلك قولـه (وغير أول بتنزيل أتين) وإلا ما استدركه الناظم على هذا التعميم وهو ﴿ **ألن نجمع عظامه** ﴾ بالقيامـة [٣] فبالإثبات وذلك قوله (لكن عظامـه له بالألف) وأفاد قـوله (والأعنـاب بغير الأولين) أن أبـا داود يحذف لفظ «أعناب » حيث وقع وكيف جاء سوى الموضعين الأولين وهما ﴿ **أيودُّ أحدكم أن تكون له جنة مـن نخيـل وأعنـاب** ﴾ بالبقـرة ﴿ **قنوان دانية ... وجنات من أعناب** ﴾ بالأنعام .

وعمم صـاحب المنصف الحـذف فى ألف عظـام حيث وقعا وكيف جـاءا فشمل ما ذكـره الشيخان ومـا سكتا عنـه وما أثبته أبو داود ممـا سبق ذكره ونحو ﴿ **أئذا كنا عظاما ورُفاتا** ﴾ بالإسراء ﴿ **قال من يحى العظام** ﴾ في يسٓ ﴿ **وفى الأرض قطـع متجـاورات وجنـــات مـــن أعنـاب** ﴾ بـالـرعـد ﴿ **والزيتون والنخيل والأعناب** ﴾ بالنحل .

وخلاصة ما ذكـر حذف ألف عظام حيث وقع وكيف جاء عن صاحبى التنـزيل والمنصف إلا الموضع الأول بالبقـرة فقد سكت عنه صاحب التنزيل وإلا موضع القيامة فبالإثبات عنده ووافقهمـا الـدانى فى أولى المـؤمنين . وحـذف ألف أعنـاب حيث وقع وكيف جـاء عن صاحبى التنزيـل والمنصف سوى المـوضعين الأوليـن فقـد سكت عنهمـا صـاحـب التـنـزيل . والعمل على حذف ألف عظام وأعنـاب حيث وقعا إلا عظامه بالقيامة فبالإثبات .

قال :

١٢٤ ـــ *والحـذف عنهمـا بهمـز الـوصل*

إذا أتـى مـن قبـل همـــــــز الأصـل

١٢٥ ـــ *مـن نحـو وأتـوا فأت قل وفسألـوا*

وشبهـــــه كنحـــــو واسأل واسألــــوا

أقول : الكلام فى هذين البيتين إلى تمام سبعة أبيات على حذف همزة الوصل رسمـا وهى ما تثبت ابتداء وتسقط وصلا ـ وتحذف عند الشيخين فى سبعة مواضع ذكر هنا موضعين :

(أولهما) أن تحـذف بشرط أن تقع قبل همـزة قطع واقعة بعد مـا لا يمكن استقـلاله والوقـف عليه كـالواو والفـاء نحو

﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ ﴿فأت بها من المغرب﴾ ﴿فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ ﴿وائتمروا بينكم بمعروف﴾ فإن لم يقع بعدها همزة قطع نحو ﴿واتقوا الله﴾ أو وقعت لكن اتصل بهمزة الوصل ما يستقل ويصح الوقف عليه أثبتت همزة الوصل رسما لثبوتها لفظا عند الوقف على ما قبلها والابتداء بها نحو ﴿الذى اؤتمن﴾ ﴿وقال الملك ائتونى﴾ ﴿ثم ائتوا صفا﴾ .

ثانيهما : تحذف بشرط أن تقع بعد واو أو فاء فى فعل أمر من السؤال نحو ﴿فسألوا أهل الذكر﴾ ﴿واسألوا الله من فضله﴾ .

قال :

١٢٦ ــ وقبل تعريف وبعد لام
كالذى للدار للإسلام

أقول : الثالث تحذف همزة الوصل إذا وقعت قبل أداة شأنها التعريف وبعد لام ابتداء أو جر متصلة رسما ومثالهما ﴿وللدار الآخرة خير للذى يتقون﴾ ونحو ﴿للذى ببكة مباركا﴾ ، ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾ ، ﴿الحمد لله﴾ ﴿هدى للمتقين﴾ قال :

١٢٧ ــ وبعد الاستفهام إن كسرتا
كقوله يدى أستكبرتا

أقول : ذكر فى هذا البيت الرابع من مواضع حذف الهمزة فتحذف عند الشيخين إذا وقعت مكسورة بعد همزة استفهام نحو ﴿أستكبرت﴾ ﴿أستغفرت لهم﴾ ، ﴿أتخذتم عند الله عهدا﴾ ﴿أطلع الغيب﴾ وخرج عن المكسورة المفتوحة نحو ﴿الله﴾ ﴿آلذكرين﴾ ﴿الآن﴾ فى يونس فالمختار فيها أن الألف الموجودة صورة همزة الوصل وهمزة الاستفهام لا صورة لها قال :

١٢٨ ــ ولتخذت وبخلف يرسم
لابن نجاح فى أفاتخذتم

أقول : ذكر فى هذا البيت الخامس والسادس من مواضع حذف الهمزة فتحذف عند الشيخين فى ﴿لتخذت عليه أجرا﴾ بالكهف وقيد اتخذت باللام لإخراج ما خلا عنها نحو ﴿لئن اتخذت﴾ وانفرد أبو داود بنقل خلاف المصاحف فى حذف همزة ﴿أفاتخذتم من دونه أولياء﴾ بالرعد واختار فيها الإثبات قال :

١٢٩ ــ وحذف باسم الله عنهم واضح
فى هود والنمل وفى الفواتح

١٣٠ ــ وأغفل الدانى ما فى النمل
فرسمه كهذه عن كل

أقول : ذكر فى هذين البيتين السابع من مواضع حذف همزة الوصل فتحذف إذا وقعت بين الباء والسين من ﴿بسم الله مجريها﴾ فى هود . وفى ﴿وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ بالنمل . وفى بسم الله الرحمن الرحيم الواقعة فى فواتح السور ــ وسكت الدانى عن حكم الواقع فى النمل ورسمه عن جميع شيوخ النقل سوى الدانى كرسم المذكورات وعليه العمل ـ وأفاد قوله (فى هود واسم الله والفواتح) أن الواقعة فى غير هذه المواضع ترسم من غير خلاف ولا تحذف نحو ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ ، ﴿اقرأ باسم ربك﴾ وبقى موضع ثامن تحذف فيه همزة الوصل وهو يابنؤم وسيأتى فى الهمز وخلاصة ما ذكر أن همزة الوصل تحذف اتفاقا إذا وقعت قبل همزة قطع واقعة بعد ما لا يستقل ولا يوقف عليه . أو أن تقع بعد واو أو فاء فى فعل أمر من السؤال . أو قبل أداة تعريف وقبلها لام ابتداء أو جر متصلة رسما ـ أو مكسورة بعد همزة استفهام . وفى ﴿بسم الله﴾ فى هود ، والنمل . وفواتح السور وفى ﴿لتخذت عليه﴾ بالكهف وفى ﴿أفاتخذتم﴾ بالرعد بخلف عن أبى داود . وفى يابنؤم وسيأتى حكمه (أوردنا معلومات مستفيضة عن همزة الوصل فى مادة «الهمزة» (م ١ / ٢٤ ـ ٣٤) فانظرها فى موضعها) .

قال :

١٣١ ــ كذا وقاتلوهم فى البقرة
وقبله ثلاثة مقتفرة

١٣٢ ــ وآل عمران بها الأخير
وفلقاتلوكم مأثور

١٣٣ ــ وموضع فى الحج والقتال
ثمان أحرف على التوال

١٣٤ ـــ *أولى تشـــابـــه وإن تظـــاهـــرا*
تظـــاهـــرون وكـــذا تظـــاهـــرا

١٣٥ ـــ *وأطلق الجميع في التنـــزيل*
بـأى مـــــــا لفظ علـى التكميـل

أقول : جاء عن الشيخين حذف ألف ثمانية أفعال اشتقت من مادة « قتل » وهي ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ بالبقرة وثلاثة أفعال قبله مقتفرة أي متبوعة بلفظ وقاتلوهم وهي ﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم ﴾ والأخير من آل عمران وهو ﴿ وقاتلوا وقُتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ﴾ و ﴿ فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم ﴾ بالنساء ﴿ أذن للذين يقاتلون ﴾ بالحج وثامنها ﴿ والذين قاتلوا في سبيل الله ﴾ بالقتال وقد ذكرت على ترتيب السور - وجاء عنهما أيضا حذف ألف كلمة « تشابه » الأولى وهي ﴿إن البقر تشابه علينا ﴾ بالبقرة وألف ﴿ وإن تظاهرا عليه ﴾ بالتحريم وألف ﴿ تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ﴾ بالبقرة وألف ﴿ قالوا سحران تظاهرا ﴾ بالقصص وليس للداني حذف فيما اشتق من أفعال القتال سوى هذه الثمانية ولا فيما اشتق من مادة شبه وظهر سوى أولى تشابه ﴿ وإن تظاهرا ﴾ ﴿تظاهرون عليهم ﴾ ﴿ سحران تظاهرا ﴾ وأطلق أبو داود الحذف في كل ما اشتق من مادة قتل وشبه وظهر مماثلا للألفاظ السابقة في وقوع ألفه بعد القاف أو الشين أو الظاء نحو ما تقدم من الأمثلة ونحو ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ﴾ ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله ﴾ ﴿ قاتلهم الله ﴾ ﴿تشابهت قلوبهم ﴾، ﴿ متشابها وغير متشابه ﴾ ﴿ ولم يظاهروا عليكم أحدا ﴾ ﴿ وذروا ظاهر الإثم ﴾ ﴿ إلا مراء ظاهرا﴾ ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾ .

قال :

١٣٦ ـــ *والمنصف الأسبـاب والغمـام قل*
وابن نجـــاح مـــا ســـوى البكـــر نقل

أقول : وقع لفظ الأسباب والغمام في غير موضع من القرآن وقد أطلق صاحب المنصف الحذف في ألفيهما نحو ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾، ﴿ وظللنا عليكم الغمام ﴾، ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ﴾ بالبقرة ونحو ﴿فليرتقوا في الأسباب ﴾ ﴿ لعلي أبلغ الأسباب* أسباب السموات ﴾ ﴿ وظللنا عليكم الغمام ﴾ ﴿ ويوم تشقق السماء بالغمام ﴾ وقد نقل أبو داود حذف ألفهما سوى ما وقع منهما في البقرة فوافق البلنسي في غير ما وقع منهما في البقرة قال :

١٣٧ ـــ *ومع لام ذكـــره تتبعـــا*
نجل نجـــاح مـــوضعـــا فمـــوضعـــا

١٣٨ ـــ *كنحـــو الإصـــلاح ونحـــو عـــلام*
... ...

أقول : من هنا إلى تمام أربعة عشر بيتا شروع في حكم الألف المعانق للام وتجيء على قسمين : ما عانق لاما مفردة كالسلام وما وقع بين لامين كخلال . وبدأ بالأول فأخبر أن أبا داود تتبعها في مواضعها لفظا لفظا فنقل حذف ما وقع منها بعد لام مفردة نحو « الإصلاح » في ﴿ إن أريد إلا الإصلاح ﴾ بهود ونحو « علام » في ﴿ إنك أنت علام الغيوب ﴾ بالمائدة وفي ﴿ وأن الله علام الغيوب ﴾ بالتوبة وفي ﴿ يقذف بالحق علام الغيوب ﴾ في سبأ ومثلها ﴿ أولئك على هدى من ربهم﴾ وذلك بشرط أن تقع الألف وسطا متصلة باللام بحيث يكونان معا من كلمة تحقيقا أو تقديرا فخرج ما وقع طرفا كألا وكلاً وعلا ومثلها أولاء لتطرف الألف رسما بعدم تصوير همزته الأخيرة وخرج نحو الآخرة والآيات لانفصال الألف عن اللام في كلمة أخرى ودخل بقولنا تقديرا الآن لأنه لما لزمته أل نزل منها منزلة الكلمة الواحدة قال :

١٣٨ ... ...
ســـوى قل إصـــلاح وأولى ظـــلام

١٣٩ تـــ*ـلاوتـــه وسبل الســـلام*
ومثلهـــا الأول مـــن غـــلام

١٤٠ *وكـل حـــلاف غـــلاظ لاهيـــة*
ومثلهـــا التـــلاق مع عـــلانيـــه

١٤١ *ثـم فـــلانـــا لاثم ولازب*
وأطلقـت فـي منصف فـــالكـــاتب

١٤٤ مخير فى رسمها ... ...

... ...

أقول : بعد أن ذكر لأبى داود حذف الألف الواقع بعد اللام المفردة استثنى له ثلاثة عشر لفظا لم يتعرض لها بحذف ولا إثبات وهى « إصلاح » فى ﴿ قل إصلاح لهم ﴾ بالبقرة وقيده بقل لإخراج نحو ﴿ أو إصلاح بين الناس ﴾ وأولى ظلام فى ﴿ وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ بآل عمران واحترز بالأولى عن نحو ما فى الأنفال والحج وتلاوته فى ﴿ يتلونه حق تلاوته ﴾ بالبقرة و« السلام» فى ﴿ من اتبع رضوانه سبل السلام ﴾ بالمائدة وقيده بمجاورة سبل لإخراج نحو ﴿ لهم دار السلام ﴾ والأول من «غلام» فى ﴿ قال رب أنى يكون لى غلام ﴾ بآل عمران واحترز بالأول لإخراج ما وقع فى مريم وحلاف فى ﴿ ولا تطع كل حلاف ﴾ وليس غيره ـ و «غلاظ» فى ﴿ عليها ملائكة غلاظ ﴾ بالتحريم و« لاهية » فى ﴿ لاهية قلوبهم ﴾ بالأنبياء والتلاق فى ﴿ يوم التلاق ﴾ بغافر وعلانية حيث وقعت نحو ﴿ سرا وعلانية ﴾ و« فلانا » فى ﴿ لم أتخذ فلانا خليلا ﴾ بالفرقان ـ و « لائم » فى ﴿ ولا يخافون لومة لائم ﴾ بالمائدة و« لازب» فى ﴿ من طين لازب ﴾ بالصافات ـ وأطلق صاحب المنصف الحذف فيها فشمل ما ذكره أبو داود وما سكت عنه من هذه الألفاظ الثلاثة عشر وخير الناظم من عنده الكاتب فى رسمها وهو معارض بنص الدانى وصاحب المنصف على الحذف فى الأول من غلام وحذف ألف سبل السلام ولا يصح هذا التخيير خصوصا بعد نقل اللبيب إجماع المصاحف على الحذف فى سبل السلام ـ قال :

١٤٢ ... ... وحذفت

فى مقنع خلائفا حيث أتت

١٤٣ كيف ثلاثون ثلاثة ثلاث

سلاسل وفى النساء وثلاث

١٤٤ ثم خلاف بعد مقعدهم

لكن أولئك وقل لامستم

١٤٥ وفى الملاقاة سوى التلاق

وفى غلامين وفى الخلاق

١٤٦ وفى الملائكة حيث تأتى

واللات ثم اللائى ثم اللاتى

١٤٧ كذا إلاه وبلاغ وغلام

والآن إيلاف معا ثم سلام

١٤٨ وكلهم فى الجن الآن ذكروا

بألف حسبما قد أثروا

أقول : نقل أبو عمرو فى المقنع حذف الألف المعانق للام المفردة فى ثلاث وعشرين كلمة وهى « خلائف » حيث وقع نحو ﴿ جعلكم خلائف الأرض ﴾ بالأنعام و « ثلاثون » كيف وقعت مرفوعة أو منصوبة نحو ﴿ وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ﴾ ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ﴾ و « ثلاثة » حيث وقعت وكيف جاءت نحو ﴿ فصيام ثلاثة أيام فى الحج ﴾ ﴿ثلاثة قروء ﴾ ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾ و « ثلاث » حيث وقع نحو ﴿ ثلاث ليال سويا ﴾ و « سلاسل » كيف وقع نحو ﴿ إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل ﴾ بغافر ﴿ أعتدنا للكافرين سلاسلاً ﴾ بالدهر و« ثلاث» بضم الثاء فى ﴿ مثنى وثلاث ورباع ﴾ بالنساء وقيده بالسورة لإخراج مثله بفاطر وخلاف الواقع بعد مقعدهم فى ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ﴾ بالتوبة وقوله بعد مقعدهم لإخراج نحو ﴿أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ﴾ بالمائدة ـ و « لكن » حيث وقع نحو ﴿ ولكن لا يشعرون ﴾ ومثله ﴿ لكنا هو الله ربى ﴾ وأفاد قول الناظم لكن مخففة النون عدم اندراج لكن المشددة مع أن ألفها محذوفة عند أبى عمرو وأولئك حيث وقعت وكيف جاءت نحو ﴿أولئك على هدى من ربهم ﴾ ﴿وأولئكم جعلنا لكم ﴾ ولا يدخل فيه أولاء ولامستم فى ﴿ أو لامستم النساء ﴾ بالنساء والمائدة وألف كل لفظ اشتق من مادة « الملاقاة » حيث وقعت وكيفما تصرفت نحو (ملاقوا الله وملاقوه وملاقيه ويلاقوا) سوى التلاق .

واستثناه الناظم له لعدم ذكره فى المقنع . وينبغى استثناء «لاقيه» فى ﴿ فهو لاقيه ﴾ لعدم ذكره أيضا . وغلامين فى ﴿فكان لغلامين يتيمين ﴾ بالكهف و « الخلاق » فى ﴿ هو الخلاق العليم ﴾ بالحجر ويس . وهذا اللفظ مما استثنى لأبى عمرو من قول الناظم (ووزن فعال وفاعل ثبت) البيت ـ

و« الملائكـة » حيث وقع وكيف جـاء نحو ﴿ وإذ قـال ربك للمـلائكة ﴾، ﴿ من كـان عـدوا لله ومـلائكته ﴾ ، ﴿ عليهـا ملائكة﴾ ـ و« اللات » في ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ﴾ بالنجم ـ و « الـلائي » حيث وقـع نحـو ﴿ ومـا جعل أزواجكم الـلائي تظاهرون منهن أمهاتكم ﴾ بالأحزاب ـــ و« اللاتي» حيث وقع نحو ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة ﴾ بالنساء ـ و « إله » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ وإلهكم إله واحد ﴾ وترك الناظم « إلهين » في ﴿ لا تتخـذوا إلهين اثنين ﴾ ولا يدخـل في كلامـه لعدم اندراج المثنى في المفرد وكان ينبغي ذكره لوجوده في المقنع ـ و « بلاغ » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ هذا بلاغ للناس ﴾ ، ﴿ فإنما عليـك البلاغ ﴾ ـ و « غـلام » حيث وقع وكيف جـاء نحو ﴿ قـال رب أنى يكون لي غـلام ﴾ ﴿ وأما الغـلام ﴾ ـ و «الآن » حيث وقع وكيف جاء سوى موضع الجن نحو ﴿ قالوا الآن جئت بالحق ﴾ ﴿ الآن وقد كنتم ﴾ و « إيلاف » موضعي قريش في ﴿ لإيلاف قريش إيلافهم ﴾ ـ و « سلام » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ قالوا سلامـا قال سلام ﴾ ﴿ سبل السلام ﴾ ﴿ الملك القدوس السلام ﴾ ـ وسيأتي لأبي عمرو زيادة على هذه الكلمـات حذف ألف البلاء بالصـافات وبلاء بالـدخان وتقدم لـه حذف ألف الجلالـة واللهم ـ وقـد اتفق كل الشيوخ على نقل إثبـات ألف الآن في ﴿ فمن يستمـع الآن ﴾ بالجن وذلك قولـه (وكلهـم في الجن الآن ذكـروا) البيت ١٤٨ وهـو كالاستثناء . من قوله : (ومع لام ذكره تتبعا) البيت قال :

١٤٩ أو كـــــلاهمـــــا يخلف جـــــاء
وليس يـــــرسمــــــون فيـــــه يـــــاء

أقـول : اتفق الشيـوخ على نقـل خـلاف المصـاحف في حذف وإثبات ألف « كلاهما » في ﴿ أحدهما أو كلاهما ﴾ بالإسراء . وأنهم لـم يرسموا ياء في موضـع الألف المحذوفة . واختار في التنزيل إثبات الألف وعليه العمل قال :

١٥٠ فـإن يكن مـــــا بيـن لامين فقـــــد
حــــــــذف عـن جميعهـم حيث ورد

أقـول : شرع يتكلم على القسم الثـاني من قسمي الألف المعانق للام وهو ما وقع بين لامين فأخبر أن شيوخ النقل اتفقوا على حذف ألفه حيث وقع في القرآن نحو ﴿ في الكلالة ﴾ ، ﴿ لا خلال ﴾ ﴿ من خـلاله ﴾ ﴿ خـلالكم ﴾ ﴿ في ظلال ﴾ ﴿وظـلالهم ﴾ ﴿ أغلالا ﴾ ﴿ مـن سلالـة ﴾ بشرط أن تكـون الألف وسطا ـ خرج نحو ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ .

وخلاصة ما ذكر في الألف المعانق للام أنه إما أن يقع بين لامين وإمـا أن يقع بعد لام فقط فـإن وقع بين لامين فالحـذف اتفاقا وإن وقع بعد لام مفردة اختلف فيه على ثلاثة مذاهب :

الأول : مذهب البلنسي الحذف مطلقا .

الثـاني : مذهب أبي داود الحـذف مطلقـا في غير ثـلاث عشرة كلمة استثناها له النـاظم بقوله (سوى قل إصلاح البيت ١٣٨ إلى قوله لائم ولازب البيت ١٤١) .

الثالث مذهب الداني الحذف في ثلاث وعشرين كلمة في قولـه (وحذفت في مقنع إلى قوله ثم سـلام) (الأبيات ١٤٢ ـ ١٤٧) وذلك غيـر الآن مـوضع الجن فقـد اتفقت مصـاحف الأمصـار على إثبات ألفه وغير أو كـلاهمـا فقد اختلفت فيـه المصاحف بين الإثبات والحذف ـ وعلم مما تقدم موافقة أبي داود للداني في غير الأول من غلام قال :

١٥١ ومـــــا أتـى تنبيهـــــا أو نـــــداء
كقـــــولـــــه هـــــاتين يـــــا نســـــاء

١٥٢ وليس هـــــاؤم وهـــــاتـــــوا منهـــــا
لعـــــدم التنبيـــــه فـــــاعلم مـن هـــــنا

أقـول : اتفق شيـوخ النقل على حـذف ألف كل لفظ دل على تنبيـه أو نـداء فالأول نحـو (هـاتين وهـذا وهذه وهـذان وهؤلاء) بشرط ألا تكـون طرفا فلا تحـذف في نحو (يأيها) إلا ما سيذكـره الناظم بعد في قوله (وآيه الـزخرف) البيت والثاني نحو ﴿ يـا نسـاء النبي ﴾ ﴿ يأيهـا الناس ﴾ ﴿ يـا آدم﴾ ﴿ يـا إبراهيم ﴾ ﴿يا بنؤم ﴾ ولئلا يتوهم أن هاء « هاؤم » في ﴿ هاؤم اقرءوا كتابيه﴾ وهاء « هاتوا » في قوله ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ للتنبيه نفى ذلك بقوله : (وليس هاؤم وهاتوا منها) لعدم دلالة الهاء فيهما على التنبيه وإنما هي جـزء كلمة منهما كالزاي من زيد فهي ثابتة . قال :

١٥٣ ـــ ولفظ سبحـــــان جميعـــــا حـــــذفـــــا
لكـن قل سبحـــــان فيـــــه اختلفـــــا

أقـول : اتفق شيوخ النقل سـوى الدانى على حـذف ألف «سبحـان » حيث وقع نحـو ﴿ سبحـانك لا علم لنـا إلا مـا علمتنـا ﴾، ﴿ سبحان ربنـا ﴾، ﴿ فسبحان الله حين تمسـون وحين تصبحون ﴾ كما اتفقوا على نقل خلاف المصاحف بين الحـذف والإثبـات فى ألف (سبحـان ربى) الـواقع بعـد قل بالإسـراء وشهر اللبيب فيه الحـذف وشهر غيـره الإثبات ولفظ سبحان على وزن (فعلان) فهو من مستثنيات الدانى من قول الناظم (وذكر الدانى وزن فعلان) البيت قال :

١٥٤ وكـــاتبـــا وهـــو الأخيـــر عنهمـــا

ومقنـع لـــــدى الثـــــلاث مثل مـــــا

١٥٥ وابن نجـــاح ثـــالثـــا قـــد أثبتـــا

والأولان عنهمـــــا قـــــــد سكتـــــا

أقول : ورد لفظ« كاتب» فى القرآن فى أربعة مواضع كلها فى البقرة نقل الشيخان اختلاف المصاحف فى حذف وإثبات ألف الأخير منها وهو ﴿ ولم تجدوا كاتبا ﴾ واختلف عن أبى عمرو فى الثلاثة الباقية وهى ﴿ وليكتب بينكم كاتب بالعدل﴾ ﴿ ولا يأب كـاتب ﴾ ﴿ ولا يضار كاتب ولا شهيـد ﴾ وذلك قولـه : (ومقنع لدى الثـلاث مثل ما) أى مثل الحكـم الذى تقدم وهو الخلاف المستفاد من شطر البيت الأخير قبل هذين البيتين ــ وأثبت أبو داود ألف الثـالث منها وهـو ﴿ ولا يضار كاتب ﴾ وسكت عن الأولين .

وخـلاصة مـا فيهـا أن الألفاظ الأربعـة مختلف فيهـا عن الـدانى : وهى عند أبى داود على ثـلاثة أقسـام مسكوت عنـه وهو الأولان . ومثبـت وهو الثالث . ومختلـف فيه وهو الـرابع واختار الدانى فى المقنع إثبات الألف فى جميعها قال :

١٥٦ واحـــذف يضـــاعفهـــا لـــدى النســـاء

ومعـــــه للــــــدان ســـــواه جـــــاءى

١٥٧ وذكـــــر الخلـف بأولـى البقـــــره

ثــم بحـــــرفى الحـــــديـــــد ذكـــــره

١٥٨ ولأبـى داود جـــــــاء حيثمـــــــا

ألا يضـــــاعفهـــــا كمـــــا تقـــــدمـــــا

١٥٩ وفـى العقيلـــــة علـى الإطـــــلاق

فليـس لفـظ منـــــه بـــــاتفـــــاق

أقول : اتفق الشيوخ على حذف ألف يضاعف فى ﴿ وإن تك حسنة يضاعفها ﴾ بالنساء وجاء سوى موضع النساء معه أى مع مـوضع النسـاء بـالحذف عنـد الـدانى نحـو ﴿ والله يضاعف لمن يشاء ﴾ بالبقرة ﴿ يضاعف لهم العذاب ﴾ بهود ﴿ يضاعف له العذاب يوم القيامة ﴾ بالفرقان ﴿ يضاعف لها العذاب ضعفين ﴾ بالأحزاب ﴿ يضاعفه لكم ويغفر لكم ﴾ بالتغابن، واختلف عنه فى ثلاثة مواضع .

الأول : أولى البقرة وهى ﴿ فيضاعفه له أضعـافا كثيرة ﴾ خرج ثانيها وهو ﴿ والله يضاعف لمن يشاء ﴾ فبالحذف عنده من غير خلاف .

الثانى والثالث : ﴿ من ذا الذى يقـرض الله قرضـا حسنا فيضاعفـه له ﴾ ﴿ يضـاعف لهم ولهم أجر كـريم ﴾ كلاهما بالحـديد ــ ولا يدخل الاسم من المضاعفـة فى قولـه سواه إذ المراد بسواه خصوص أفعال المضاعفـة كما لا يدخل أضعافا أيضا . وجاء الخلاف عن أبى داود فى حذف ألف «يضاعفها» حيث وقع إلا يضاعفها الذى تقـدم اتفاق الشيوخ على حذف ألفه وهو ﴿ وإن تك حسنة يضـاعفها ﴾ بالنساء كما تقدم، ونسبة الناظم الخلاف لأبى داود بقوله (ولأبى داود جاء حيثما) أى الخلاف ليس على ما ينبغى فقـد حكى فى التنزيل إجماع المصاحف على حذف ألف جميع أفعال المضاعفة . وأطلق الشـاطبى الخلاف فى العقيلـة فلم يأت عنده لفظ منهـا متفق على حذف ألفـه وهذا الإطلاق من زيـادة العقيلة على المقنع والخلاصة أن فى ألف يضاعف ثلاثة مذاهب .

الأول : مـذهب أبى داود الحـذف مطلقـا على مـا فى التنزيل .

الثـانى : مـذهب الشاطبـى الخلاف مطلقـا على مـا فى العقيلة .

الثالث : مذهب الدانى الحذف مطلقا فى غير أولى البقرة وحرفى الحديد فبالخلاف عنده فى الثلاثة .

(متن مورد الظمآن فى رسم القرآن للعلامة محمد بن محمد الأموى الشريشى الشهير بالخراز - حققه وضبطه وعلق عليه محمد الصادق قمحاوى / ١٠ - ١٧ ، الأبيات ٧٩ - ١٥٩ ، ولطائف البيان فى رسم القرآن شرح مورد الظمآن - فضيلة الشيخ أحمد محمد أبى زيتحار ١ / ٢٢-٤٦) .

حذف اللام فى رسم المصحف

عن حذف إحدى اللامين جاء هذان البيتان للإمام الخراز فى منظومته « متن مورد الظمآن » ويعقبهما شرح فضيلة الشيخ أحمد محمد أبى زيتحار، الذى يميز الشرح بلفظ « أقول » ، والبيتان مرقمان وفقا لترتيبهما فى المنظومة ، قال الناظم :

٢٨٩ - *باب ورود حذف إحدى اللامين*
وهو مرجع بثانى الحرفين

٢٩٠ - *فى الليل واللائى التى واللاتى*
وفى الذى بأى لفظ ياتى

أقول : بعد أن فرغ من حذف الألف والياء والواو شرع يتكلم على حذف إحدى اللامين فذكر أن اللام تحذف فى خمس كلمات وهى « اليل » حيث وقع نحو ﴿ واختلاف اليل والنهار ﴾ و « اللائى » حيث وقع نحو ﴿ إلا اللائى ولدنهم ﴾ وقد ورد فى أربعة مواضع بالأحزاب والمجادلة وموضعين بالطلاق ، و « التى » حيث وقع نحو ﴿ والتى أحصنت فرجها ﴾ و « اللاتى » حيث وقع نحو ﴿ واللاتى يأتين الفاحشة ﴾ و « الذى » حيث وقع وكيف جاء نحو ﴿ اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم ﴾ ﴿ واللذان يأتيانها منكم ﴾ ﴿ ربنا أرنا اللذين أضلانا ﴾ وهل المحذوفة الأولى أو الثانية الأرجح عند الدانى حذف الثانية وتبعه الناظم، واختار أبو داود حذف الأولى .

تنبيه تنصيص الناظم على حذف إحدى اللامين فى هذه الكلمات الخمس دليل على أن غيرها مما فيه لامان متصلتان مرسوم بثبوتهما على الأصل باتفاق المصاحف نحو . الله واللهم واللطيف واللوامة .

وأما ألف مشدد اللام فيرسم بلام واحدة لمجيئه على الأصل ولذا سكت الناظم عنه . قال أبو داود فى التنزيل وألف بلام واحدة ولا يجوز غير ذلك . والألفاظ الخمسة التى حذفت منها إحدى اللامين هى مما تنزلت فيه أل منزلة الجزء للزومها إلا لفظ الل . واقتصارهم على الألفاظ الخمسة دليل على أنهم أجروها مجرى باب مدَّ وردَّ فى رسم المدغم فيه بحرف واحد ولا يرد إثبات اللامين فى اللات لأنه لما كثر دوره أجروه على الأصل ألا ترى إلى حذف اللام فى اليل مع أنها لم تنزل منزلة الجزء منه وذلك لكثرة دوره وتماثل أكثر حروفه ، وسكت الناظم عن مذهب النحاة فى حذف إحدى اللامين من لفظ الجلالة إذا جُرَّ باللام نحو ﴿ لله الأمر ﴾ لعدم ذكر أئمة الرسم له) .

(متن مورد الظمآن فى رسم القرآن للإمام محمد بن محمد الأموى الشريشى الشهير بالخراز - حققه وضبطه وعلق عليه محمد الصادق قمحاوى / ٢٨ ، ولطائف البيان فى رسم القرآن شرح مورد الظمآن - فضيلة الشيخ أحمد محمد أبى زيتحار ٢ / ١٥ ، ١٦) .

حذف من نسب قريش (كتاب .)

تأليف مؤرِّج بن عمرو السدوسى . قال عنه الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد فى مقدمته : كتاب « نسب قريش » أقدم كتاب وصل إلينا مما ألف عند العرب فى الأنساب .

سماه مؤرج « حذف من نسب قريش » فقال فى مقدمته «هذا كتاب حذف من النسب ، ولو كتبتُ كتاب استئصال لشغلتنى سيرة النبى ﷺ وسيرة بنى العباس دهراً » .

والحذف القطع من الطرف، والاستئصال القطع من الأصل . أراد أنه تكلم على نسب قريش من أطرافه فأوجز ، ولم يستوعبه كله مفصلا . وقد قال ابن خلكان : اختصر نسب قريش فى مجلد لطيف سماه « حذف نسب قريش » .

(ورد الاسم فى طبعة محيى الدين عبد الحميد من الوفيات « حذق » بالقاف ، وكذا عند خير الدين الزركلى فى الطبعة الجديدة من الأعلام . وهى بالفاء » .

وتكلم مؤرج على بنى هاشم بن عبد مناف وحلفائهم ، وبنى المطلب بن عبد مناف، وبنى عبد شمس وأحلافهم ، وبنى نوفل بن عبد مناف وأحلافهم ، وبنى عبد الدار بن قصى، وأحلافهم ، وبنى عبد بن قصى، وبنى عبد العزى بن قصى وأحلافهم ، وبنى زهرة بن كلاب، وبنى مخزوم ، وبنى تيم بن مرة ...

والمهم فى كتاب مؤرج هذا أمور كثيرة :

١ ـ أنه أقدم المصادر التى وصلت إلينا عن الأنساب . وسيكون بعد اليوم المرجع الأول لضبط ما أُلِّف بعده من كتب الأنساب مما وصل إلينا . وخاصة أن مؤرِّجا كان ثقة فى اللغة والنحو، وكان ابن الكلبى غير ثقة فى اللغة والنحو يغمز فيه .

٢ ـ يختلف نهج مؤرِّج فى كتابه عن سائر النسابين المؤلفين فهو لا يقنع بسرد الأسماء ، بل يذكر لصاحب الاسم ترجمة أو شبه ترجمة . فقد يبسط القول فيه ، وقد يعرّفه بأمر يدل عليه ، أو قصة وقعت له . وإذا كان له شعر أورد له بعض شعره ، فكأنه نواة صغيرة لما أُلِّف فى التراجم الموسَّعة بعدُ .



عنوان كتاب « حذف من نسب قريش » — خاتمة الكتاب

٣ ـ رتب مؤرج الأسماء ترتيبًا منطقيًا واضحا، هو أوضح وأسهل من ترتيب ابن الكلبي ومصعب .

٤ ـ تفرد في كتابه بضبط بعض الأسماء برواية له وحده لا نجدها عند غيره من المؤلفين في الأنساب. وهذه الروايات هي التي يجب أن تؤخذ، لبُعد عصر مؤرج، لاطلاعه الواسع على اللغة، ولتوثيق العلماء إيَّاه .

ثم يصف الدكتور صلاح الدين المنجد النسخة المخطوطة فيقول :

هذه المخطوطة كانت محفوظة في زاوية الناصري بتامكرود في جنوب المغرب وموقوفة عليها. أطلعنا عليها صديقنا العالم المغربي السيد إبراهيم الكتاني أثناء زيارتنا المغرب عام ١٩٥٨ ؛ وكان هو زار زاوية تامكرود ووضع فهرسًا لمخطوطاتها.

كتب هذه النسخة أبو إسحاق النجيرمي. واسمه إبراهيم ابن عبد الله بن محمد . وهو عالم معروف . كان نحويًّا أديبًا شاعرًا وراقًا كاتبًا ...

وهذا يدعونا إلى أن نطمئن إلى صحة النسخة. والحق أنه جهد غاية الجهد، كما سترى، لتكون النسخة أبعد ما تكون عن التصحيف والتحريف والخطأ. ولو قلنا إنها برئت في كل خطإ لصدقنا.

جاء في الورقة الأولى من النسخة، في عنوان الكتاب .

« كتاب حذف من نسب قريش عن مؤرِّج بن عمرو السدوسي .

بنو هاشم بن عبد مناف وحلفاؤهم. بنو المطلب بن عبد مناف وغيرهم .

بنو عبد شمس بن عبد مناف وأحلافهم . بنو نوفل بن عبد مناف وأحلافهم .

بنو عبد الدار بن قصي وأحلافهم . بنو عبد بن قصي وهم قليل.

بنو عبد العزى بن قصي وأحلافهم . بنو زهرة بن كلاب. بنو مخزوم .

بنو تيم بن مرة. وعدي بن كعب . وسهم بن عمرو وعامة جمح بن عمرو .

رواية أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي عن أبي جعفر أحمد بن محمد اليزيدي عن مؤرِّج بن عمرو السدوسي» .

وجاء في ختام النسخة :

تم الكتاب ...

وكتب إبراهيم بن عبد الله بن محمد النجيرمي الوراق .

وليس على النسخة تاريخ النسخ .

تقع النسخة في مائة وثلاث صفحات . في الصفحة ١٤ سطرًا وقد تبلغ أحيانًا ١٦ سطرًا، وفي السطر ست كلمات وقد تبلغ تسعًا.

كتبت النسخة بالخط الكوفي اللين، على الشكل الذي ظهر في القرن الثالث فكان مرحلة تطور نحو النسخ .

ونقطت الألفاظ، وشكلت الحروف بالشكل الكامل.

وخشية وقوع التباس في الحروف فقد ميز الكاتب بعض الحروف من بعض بعلامات صغيرة فارقة. وأكثر من وضع حرف صاد صغير فوق الكلمات دلالة على أنها صحيحة. والنسخة بخطها وشكلها ورسمها وعلاماتها الفارقة تعتبر وثيقة من الطراز الأول له لدراسة علم تطور الخط العربي (الباليوغرافيا).

ونحن نذكر ما ورد في النسخة من العلامات والرسم لتكون دليلاً لمن يقرأ المخطوطات القديمة، أو يعنى بتطور الخط العربي .

١ ـ الألف الممدودة أول الكلمة سبقت بهمزة منفردة . ءآ مثال : ءآلاف .

٢ ـ الألف المقصورة آخر الكلمة وضع تحتها نقطتان وفوقها سكون . يْ. مثال: عبد العُزّيْ، صلّيْ، ابيْ.

٣ـ الثاء: وضعت نقطها جنبًا إلى جنب: ت وقد توضع ∴.

٤ ـ الحاء: وُضع تحتها حاء صغيرة لتمييزها من الجيم والخاء.

٥ـ الدال : وضع تحتهانقطة لتميزها من الذال .

٦ـ الراء : وضع تحتها نقطة لتميزها من الزاى .

٧ ـ السين : وضع تحتها ثلاث نقط جنبًا إلى جنب لتمييزها من الشين ، وأحيانًا يضع حرف سين صغير. سـ

٨ـ الصاد : وُضع تحتها حرف صاد صغير.

٩ـ الطاء : وضع تحتها نقطة لتميزها من الظاء .

١٠ العين : الأولى والوسط ، وضع تحتها عين صغيرة .

١١ ـ القاف أول الكلمة ، وضع تحتها نقطة ، لتمييزها من الفاء .

١٢ـ الهاء المربوطة أُردفت بنقطتين : ـه : مثال : بيَّه :

١٣ ـ حذفت الألف من الحرث مرة وأثبتت مرة : الحارث وكذا فى سليمن حُذفت مرَّة وأثبتت مرة : سليمان .

وأثبتت الألف فى هـاؤلاء دائمًا فى كل مـوضع وردت . وكتبت الحيوة والصلوة بواو.

١٤ ـ اتخذ الكاتب لنهاية المعنى فى الجملة علامة ثلاث نقاط ∴ واحدة فوق أختيها ∴ واتخذ لنهاية المقطع أو الجملة علامة دائرة داخلها نقطة (.) .

١٥ ـ اتخذ الكاتب حرف صاد صغير، وضعه فوق الألفاظ دلالة على صحتها .

(حذف من نسب قريش عن مؤرج بن عمرو السدوسى ـ تحقيق د صلاح الدين المنجد/ ٧ ـ ١٥ مقدمة المحقق) .

حذف الواوات فى رسم المصحف:

يتناول الإمام محمد بن محمد الأموى الشريشى الشهير بالحزاز حذف الواوات فى رسم القرآن ، وذلك فى منظومته الموسومة بمورد الظمآن فى رسم القرآن ، وننقل لك هنا أبيات الناظم مرقمة وفقا لترتيبها فى المنظومة ، ومشفوعة بشرح فضيلة الشيخ أحمد محمد أبى زيتحار الذى يبدأ شرحه بلفظ « أقول » كما يبدأ أبيات الناظم بلفظ « قال » على النحو التالى :

قال :

٢٨٣ ـ *وهاك واوا سقطت فى الرسم*
فى أحرف للاكتفا بالضم

٢٨٤ ـ *ويدع الإنسان ويوم يدع*
فى سورة القمر مع سندع

٢٨٥ *ويمح فى حم مع وصالح*
الحذف فى الخمسة عنهم واضح

أقول : بعد أن فرغ من الكلام على حذف الألف والياء شرع يتكلم على حذف الواو اكتفاء بالضم قبلها فقال . وهاك واو سقطت فى الرسم أى خذ حكم واو سقطت فى المرسوم وبهذه العلة خرجت الواو التى حذفت للجازم نحو ﴿ **ومن يدع مع الله إلهًا آخر** ﴾ ، ﴿ **وإن تدع مثقلة إلى حملها** ﴾ ، ﴿**ومن يعش عن ذكر الرحمن** ﴾ والواو التى تحذف من الكلمة قسمان مفردة وغير مفردة ـ فالمفردة تحذف فى خمس كلمات : « يدع » فى ﴿ **ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير** ﴾ بالإسراء وقيده بمجاورة الإنسان لإخراج غيره نحو ﴿ **يدعو من دون الله**﴾ ، ﴿ **يدعو لمن ضره أقرب من نفعه** ﴾ كلاهما بالحج وواوهما ثابتة ، و « يدع » فى ﴿ **يوم يدع الداع** ﴾ بالقمر وقيده بلفظ يوم لإخراج موضعى الحج المتقدمين وسورة القمر ليست قيدًا بل للإيضاح ، و « سندع » فى ﴿ **سندع الزبانية** ﴾ بالعلق، و « يَمْحُ » فى ﴿ **ويمح الله الباطل** ﴾ فى شورى وقيده بحمٓ لإخراج ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت** ﴾ بالرعد . لثبوت واوه . و« صالح » فى ﴿ **وصالح المؤمنين** ﴾ بالتحريم على القول بأنه جمع مذكر حذفت نونه للإضافة ، أما على القول بأنه مفرد فلا حذف فيه .

تنبيه : أهمل الناظم حذف واو نسوا الله وإن ذكره أبو عمرو فى المقنع بسنده إلى الفراء لتغليطه الفراء فى نقل حذفها . قال :

٢٨٦ ـ *فَصْلٌ وقل إحداهما قد حذفت*
مما لجمع أو بناء دخلت

٢٨٧ ـ *كنحو ووري ويستوونا*
موءودة داود والغاوونا

٢٨٨ ـ *ورسم الأولى فى الجميع أحسن*
وفى يسوء واعكس هذا أبين

أقول : بعد أن فرغ من الكلام على القسم الأول شرع يتكلم على القسم الثانى وهو الواو غير المفردة فتحذف إحداهما سواء جيء بها للدلالة على الجمع أو لبناء الكلمة عليها .

فالأول نحو . « يستوون » فى ﴿ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقًا لا يستوون ﴾ بالسجدة، و« الغاوون » فى ﴿ فكبكبوا فيها هم والغاوون ﴾ ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾ كلاهما بالشعراء [الشعراء : ٩٤، ٢٢٤] ونحو ﴿ ولا تلوون على أحد﴾ بآل عمران ، ﴿ وإن تلووا أو تعرضوا ﴾ بالنساء . وفى تلك الكلمات واوان ثانيتهما للجمع ـ والثانى نحو « ووری » فى ﴿ ليبدى لهما ما ووری عنهما ﴾ بالأعراف . و «الموءودة» فى ﴿ وإذا الموءودة سئلت ﴾ بالتكوير ـ و « داود» حيث وقع فى القرآن وهذه الكلمات مما اجتمع فيه واوان أيضا ثانيتهما لبناء الكلمة غليها كبناء « ووری » مثلا للمجهول . وذلك الحذف مشروط بشرطين ــ أن تقع الثانية منهما بعد ضمة فخرج نحو ﴿ آووا ونصروا ﴾ و ﴿ لووا رءوسهم ﴾ لثبوت الواوين (لطائف البيان ٢/ ١٢، ١٣) .

ويفرد الإمام أبو عمرو الدانى بابًا فى نقط ما اجتمع فيه واوان، فحذفت إحداهما تخفيفًا ويعنى بالنقط تشكيل أحرف الكلمات بعلامات مختلفة، ويقول :

الثانى تلاصق الواوين فى الخط صورة وتقديرًا فدخل الموءودة، وليسوءوا لأن انفصال الواوين فيهما لفظا لا خطا وهمزتهما لا حظ لها من الصورة على المشهور وخرج تبوءوا الدار لأن الواوين وإن اتصلا صورة فهما منفصلان خطا على تقدير حذف صورة الهمزة بين الواوين لاجتماع الأمثال، وهو بخلاف الموءودة وليسوءوا كما علمت، وقد ذكر الناظم حذف إحدى الواوين إذا كانت أولاهما صورة للهمزة واقعة قبل واو جمع كمتكئون وبدءوكم وأنبئونى وليواطئوا عند قوله (وما يؤدى لاجتماع الصورتين) آخر باب الهمز. أما ذكره الموءودة هنا فباعتبار الواوين المكتنفين للهمزة، وهل المحذوفة الأولى أو الثانية ؟ الأحسن فى جميع ما تقدم إثبات الأولى وحذف الثانية فى غير ليسوءوا وجوهكم فإنه يترجح فيه حذف الأولى وإثبات الثانية عكس ما تقدم (وهذا على قراءة من ضم الهمزة مشبعة، أما على قراءة من نصب الهمزة فلا حذف) فإن كانت الأولى منهما صورة للهمزة كمتكئون وبابه فالمحذوف منهما صورة الهمزة عند أبى داود .

ويفرد الإمام أبو عمرو الدانى بابا فى نَقْط ما اجتمع فيه واوان فحذفت إحداهما تخفيفا، ويعنى بالنقط تشكيل أحرف الكلمات بعلامات مختلفة، وجاء فيه ما يلى :

اعلم أن المصاحف اجتمعت على حذف إحدى الواوين فى أربع كَلِم. وهنَّ قوله فى « سبحان » : ﴿ ليسئوا وجوهكم﴾ [الإسراء : ٧] وقوله فى [الأحزاب ٥١]: ﴿وتئوى إليك ﴾ وقوله فى [المعارج : ١٣] ﴿ التى تئويه ﴾ وقوله فى (كورت): ﴿ وإذا الموءدة ﴾ [التكوير : ٨] .

فأما « ليسوا » فإن كان مرسوما على قراءة من قرأه بالياء على التوحيد ، أو بالنون على الجمع فذلك حقيقة .

(قرأ أبو بكر وابن عامر وحمزة بالياء ونصب الهمزة على التوحيد. وقرأ الكسائى بالنون ونصب الهمزة على الجمع) إلا أن الألف رسمت فى آخره، على القراءتين، كما رسمت فى قوله تعالى : ﴿ أن تبوأ ﴾ [المائدة : ٢٩] صورة للهمزة . وإن كان مرسوما على قراءة من قرأ بالياء على الجمع فقد حذفت من رسمه إحدى الواوين اللتين الهمزة المضمومة بينهما، من حيث كانت الهمزة غير فاصلة، لخفائها وعدم صورتها (هذه القراءة هى مذهب الجمهور. ومذهب أبى بكر وابن عامر وحمزة بالياء ونصب الهمزة على التوحيد، ومذهب الكسائى بالنون ونصب الهمزة على الجمع) .

ويجوز أن تكون المحذوفة منهما الأولى التى هى عين من الفعل، إذ هى السابقة. ويجوز أن تكون الثانية التى هى علامة الجمع، من حيث كانت حرفا زائدًا دخيلا، وكانت الأولى من سِنْخ الحرف. والمذهب الأول أوجه. لأن معنى الجميع يختل بسقوط علامته ، وعدم دليله .

فإذا نقط ذلك على الأول المختار جعلت الهمزة نقطة بالصفراء، وحركتها نقطة بالحمراء أمامها، قبل الواو السوداء . ورسمت واو بالحمراء قبل الهمزة وبعد السين. فتحصل الهمزة بين الواوين الحمراء والسوداء. وإن شاء الناقط لم

يرسم تلك الواو، وجعل مطَّة في موضعها بين السين والهمزة . وصورة ذلك كما ترى: ﴿ ليَسُئُوا ﴾ .

وإذا نقط على الوجه الثانى جعلت الهمزة وحركتها بعد الواو السوداء . ورسمت واو بالحمراء بعدها، لابد من ذلك، ليتأدى بها المعنى الذى جاءت له فتحصل الهمزة بين الواوين السوداء والحمراء . وصورة ذلك كما ترى: ﴿ ليسوءُا ﴾ .

وإذا نقط ذلك على قراءة من قرأه بالياء على التوحيد ، والنون على الجمع جعلت الهمزة نقطة بالصفراء، وحركتها عليها نقطة بالحمراء، فى الألف المرسومة . لأنها صورة لها كما ذكرناه . وصورة ذلك كما ترى : ﴿ لِيَسُوأَ ﴾ .

وأما ﴿ وتئوى إليك ﴾ و ﴿ التى تئويه ﴾ فإنهما رسما بواو واحدة . وهى الثانية المكسورة التى هى عين الفعل، لا الأولى التى هى همزة ساكنة ، وفاء من الفعل .

وذلك لخمسة معان ـــ : أحدها أن الأولى هى السابقة منهما . والثانى أنها ساكنة، والثانية متحركة . والثالث أنها قد تستغنى عن الصورة، لأنها حرف قائم بنفسه، من حيث اشتركت مع الهاء والألف فى المخرج، ولحقتها الحركات والسكون . والرابع أنها قد تبدل واوا ساكنة ، لأجل ضمة التاء قبلها، ثم تدغم فى الواو التى بعدها للتماثل. فيمتنع تصويرها لذلك، كما يمتنع تصوير الأول من المثلين فى كلمة واحدة، إذا أدغم فى الثانى، نحو قوله : ﴿ عَـدُوى ﴾ [الممتحنة : ١] و ﴿ وليِّـى ﴾ [يوسف : ١٠١] و ﴿عدوَّكم﴾ [الأعراف : ١٢٩] و [الأنفال : ٦٠] و [الممتحنة : ١] و ﴿ وليُّكم ﴾ [المائدة : ٥٥] وشبهه . والخامس ثبوت الياء الساكنة فى اللفظ والرسم التى لا تليها إلا كسرة لا غير. وهى كسرة الواو التى هى عين .

فدل ذلك كله على أن الثابتة فى الرسم هى الواو الثانية ، وأن الساقطة هى الواو الأولى التى هى همزة ساكنة فى حال التحقيق .

فإذا نقط ذلك جعلت الهمزة نقطة بالصفراء، وعلامة السكون عليها ، بين التاء والواو السوداء فى بياض السطر. وجعلت تحت الواو السوداء نقطة بالحمراء علامة لكسرها .

وإن شاء الناقط رسم بعد التاء وقبل الواو السوداء بالحمراء واواً، وجعل الهمزة فيها . وألا يرسمها أحسن . وصورة ذلك كما ترى: ﴿ تئوى ﴾ و ﴿ تئويه ﴾ .

وأما ﴿ الموءُدَة ﴾ فرسمت فى جميع المصاحف بواو واحدة . وتحتمل أن تكون المرسومة الواو الأولى التى هى فاء من الفعل، والمحذوفة الواو الثانية التى جاءت لبناء (مفعولة) . وتحتمل أن تكون المرسومة الثانية، والمحذوفة الأولى ، من حيث كانت السابقة منهما .

وأن تكون المرسومة الأولى التى هى فاء أولى من ثلاثة أوجه ـ : أحدها أن الأولى من نفس الكلمة، والثانية زائدة فيها . والأصلى أولى بالإثبات من الزائد والثانى أن ضمة الهمزة الواقعة بين الواوين تدل على الواو الثانية، إذا حذفت من الرسم . ولا شيء فى الكلمة يدل على الأولى إذا حذفت . فلزم رسمها دون الثانية إذا وجب حذف صورة إحداهما . والثالث أن من العرب من إذا سهَّل الهمزة فى ذلك أسقطها والواو التى بعدها، طلبا للتخفيف، فيقول (المـوْدَةُ) على لفظ (الجوْزَة) و (المـوْزَة) وهى قراءة الأعمش فى ذلك . قرأت على عبد العزيز بن محمد، عن أبى طاهر بن أبى هاشم، قال نا قاسم المطرز والخثعمى، قالا حدثنا أبو كريب، قال نا أبو بكر قال : قرأ الأعمش « وإذا المودة » بغير همز مخففًا .

فإذا نقطت هذه الكلمة على المذهب الأول المختار جعلت الهمزة نقطة بالصفراء، وحركتها أمامها نقطة بالحمراء، بعد الواو السوداء . ورسمت واو بالحمراء بعد الهمزة . فتحصل الهمزة بذلك بين واوين سوداء وحمراء . وإن شاء الناقط لم يرسم تلك الواو من حيث كانت ضمة الهمزة دالة عليها . وصورة نقط ذلك كما ترى: « المْوءُدة » .

وإذا نقطت على المذهب الثانى جعلت الهمزة وحركتها قبل الواو السوداء ورسمت واو بالحمراء بعد الميم، وقبل الهمزة . فتحصل الهمزة أيضا بين واوين ، واو حمراء وواو سوداء . و لابد من تصوير الواو فى هذا الوجه ضرورة، لأن اللفظ والمعنى يختلان بحذفها . وصورة نقط ذلك كما ترى: «المَوْءُودة » .

فصل

. وكل همزة مضمومة جاءت قبل واو مرسومة، سواء كانت للجمع أو للبناء، وسواء تحرك ما قبل الهمزة أو سكن، فإن المصاحف اتفق رسمها على حذف صورة الهمزة، لما تقدم من كراهة توالى صورتين متفقتين فى الرسم.

وجائزة أن تحذف واو الجمع و واو البناء، وأن تثبت صورة الهمزة. والأول أقيس، لما قدمناه من استغناء الهمزة عن الصورة، ومن اختلال اللفظ والمعنى جميعا بحذف ما يدل على الجمع أو على البناء.

فالتى للجمع نحو قوله تعالى: ﴿ فادرءوا ﴾ [آل عمران: ١٦٨] و ﴿ يدرءون ﴾ [الرعد: ٢٢] والقصص: ٥٤] و ﴿ لا يطئون ﴾ [التوبة: ١٢٠]و ﴿ تطئوهم ﴾ [الفتح: ٢٥] و ﴿ مستهزءون ﴾ [البقرة: ١٤] و ﴿متكئون﴾ [يس: ٥٦] و ﴿ فمالئون ﴾ [الصافات: ٦٦] و ﴿ ليواطئوا ﴾ [التوبة: ٣٧] و ﴿ ليطفئوا ﴾ [الصف: ٨] و ﴿ أنبئونى ﴾ [البقرة: ٣١] و ﴿ يستنبئونك ﴾ [يونس: ٥٣] وشبهه.

والتى للبناء نحو قوله: ﴿ يئوسا ﴾ [الإسراء: ٨٣] و ﴿مذءوما ﴾ [الأعراف: ١٨] و ﴿ مسئولا ﴾ [الإسراء: ٣٤] و [الفرقان: ١٦] و [الأحزاب: ١٥] وشبهه.

فإذا نقط ذلك جعلت الهمزة نقطة بالصفراء، وحركتها أمامها نقطة بالحمراء، قبل الواو السوداء فى بياض السطر، على ما تراه فى الحروف المتقدمة.

وكل واو مضمومة جاء بعدها واو ساكنة، للجمع كانت أو للبناء، فالقول فى حذف إحداهما، وإثبات الثانية كالقول فى جميع ما تقدم.

فالتى للجمع نحو قوله تعالى: ﴿ الغاون ﴾ [الشعراء: ٩٤، ٢٢٤] و ﴿ لا تلون ﴾ [آل عمران: ١٥٣] و ﴿لا يستون ﴾ [التوبة: ١٩]، و [السجدة: ١٨] و ﴿فأوا إلى الكهف ﴾ [الكهف: ١٦] وشبهه.

والتى للبناء نحو قوله: ﴿ ما ورى ﴾ [الأعراف: ٢٠] و ﴿ داود ﴾ [البقرة: ٢٥١] ومواضع أخر وشبهه.

والأوجه هاهنا أن تكون المرسومة الواو الأولى لتحركها، والمحذوفة الواو الثانية لسكونها، من حيث كان الساكن أولى بالحذف من المتحرك فى ذلك، لتولده منه، ولدلالة حركة المتحرك عليه. وذلك بخلاف ما تقدم فى نظائر ذلك، من كون المرسومة من إحدى الواوين الثانية، دون الأولى، هو الأوجه. وذلك لسكونهما معا هناك. فلما اجتمعتا فى السكون كان الأولى بالإثبات منهما ما جاء لمعنى لا بد من تأديته. وهى الثانية لدلالتها على الجمع.

والناقط مخير فى رسم واو الجمع وواو البناء فى هذا الضرب، على ما تستحقه، وفى ترك رسمها، لدلالة الضمة عليها. وبالله التوفيق. (المحكم فى نقط المصاحف / ١٦٨ - ١٧٣).

(متن مورد الظمآن فى رسم القرآن للإمام محمد بن محمد الأموى الشريشى الشهير بالخراز - حققه وضبطه وعلق عليه محمد الصادق قمحاوى / ٢٧ - ٣٣، ولطائف البيان فى رسم القرآن شرح مورد الظمآن فضيلة الشيخ أحمد محمد أبو زيتحار ٢ / ١٢ ، ١٣، والمحكم فى نقط المصاحف لأبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى - عنى بتحقيقه د. عزة حسن. دار الفكر. دمشق. الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م / ١٦٨ - ١٧٣، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص).

حذف الياء فى رسم المصحف:

يتناول الإمام الخراز حذف الياء فى رسم القرآن، وذلك فى منظومته الموسومة بمورد الظمآن فى رسم القرآن. وننقل هنا أبيات الناظم مرقمة وفقا لترتيبها فى المنظومة، مشفوعة بشرح فضيلة الشيخ أحمد محمد أبى زيتحار الذى يبدأ الشرح بلفظ « أقول، وأبيات الناظم بلفظ « قال » :

قال صاحب المورد:

أقول:

٢٥٥ *القول فيما سلبوه الياء*

بكسرة من قبلها اكتفاء

أقول: بعد أن ذكر الناظم حذف الألف شرع يتكلم على حذف الياء فقال: هذا القول فى الكلمات القرآنية التى سلبت وحذفت منها الياء اكتفاء بكسرة قبلها (وحذف الياء لكسرة

قبلها لغة هذيل استعملت فى مواضع من القرآن وتركت فى مواضع أخرى وهذا كالتعليل لإخراج الكلمات التى حذفت ياؤها للجازم نحو ﴿ من يهد الله فهو المهتد ﴾ ﴿ إنه من يتق ويصبر ﴾ ، ﴿ إنه من يأت ربه مجرما ﴾ لأنه لا كلام لأهل الرسم عليه ثم شرع يتكلم على أنواع الياء المحذوفة .

فقال :

٢٥٦ ـــ *والياء تحذف من الكلام*
زائدة وفى محل اللام

أقول : الياء فى الكلمة إما أن تكون مفردة وهى التى تكلم الناظم على حذفها فى هذا الفصل وإما أن تكون مكررة والمفردة إما أن تكون زائدة عن بنية الكلمة كوعيدى ونكيرى أو أصلية والمراد بها الواقعة فى موقع اللام وتجىء ثالثة فى أصل الكلمة كالداعى والجوارى ويسرى ـ وقد تكلم الناظم فى هذا البيت والذى بعده على الياء المفردة وسيتكلم على الياء المكررة عند قوله (وقيل إحدى الحواريين) ـ وبدأ بالكلام على أصل الياء فقال :

٢٥٧ ـــ *فاللام يؤت الله ثم المتعال*
والداع مع يأت بهود ثم صال

أقول : هذا شروع فى الكلام على القسم الثانى وفيه عشرون كلمة سبع منها أفعال والباقى منها أسماء وفى هذا البيت منها خمس كلمات تحذف ياؤها وهى يؤت فى ﴿وسوف يؤت الله المؤمنين ﴾ بالنساء وقيده بما جاور لفظ الجلالة لإخراج . يؤتى الحكمة . لثبوت يائه . وليس منه ﴿ويؤت من لدنه أجراً عظيما ﴾ بالنساء لحذف يائه للجازم ـ والمتعال فى ﴿ الكبير المتعال ﴾ بالرعد ـ والداع فى ثلاثة مواضع ﴿ أجيب دعوة الداع ﴾ بالبقرة ﴿ يوم يدع الداع . مهطعين إلى الداع ﴾ كلاهما بالقمر ـ ولا يندرج فيه ﴿يتبعون الداعى﴾ فى طه . ﴿ أجيبوا داعى الله ﴾ بالأحقاف ـ لفتح يائهما وثبوتهما لفظا وخطا ـ ويأت فى ﴿ يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه ﴾ بهود وقيده بسورته لإخراج ﴿ فإن الله يأتى بالشمس﴾ ـ بالبقرة ـ ﴿ فسوف يأتى الله بقوم ﴾ ـ بالمائدة ونحوه مما ثبتت ياؤه ـــ وصال فى ﴿ صال الجحيم ﴾ بالصافات قال :

٢٥٨ ـــ *وغير أولى المهتدى والبادى*
يسر فما تغن وواد الواد

أقول : فى هذا البيت ست كلمات تحذف ياؤها وهى ـ «المهتد » غير ما وقع منه أولا فى الأعراف وذلك فى ﴿ ومن يهد الله فهو المهتد ﴾ بالإسراء ﴿ ومن يهد الله فهو المهتد ﴾ بالكهف أما ما وقع أولا بالأعراف وهو ﴿ من يهد الله فهو المهتدى ﴾ فياؤه ثابتة وإليه الإشارة بقوله (وغير أولى المهتدى) البيت .

و « الباد » فى ﴿ سواء العاكف فيه والباد ﴾ بالحج ويسر فى ﴿ والليل إذا يسر ﴾ بالفجر و « تُغْنِ » فى ﴿ فما تغن النذر﴾ بالقمر وقيده بلفظ فما لإخراج غيره نحو ﴿ لا تغنى شفاعتهم ﴾ ، ﴿ وما تغنى الآيات والنذر ﴾ وليس منه ﴿ إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم ﴾ لحذف يائه للجازم ـــ و « واد » فى ﴿ حتى إذا أتوا على واد النمل ﴾ بسورتها والواد فى أربعة مواضع ﴿ إنك بالواد المقدس طوى ﴾ فى طه ﴿ من شاطىء الواد الأيمن ﴾ بالقصص، ﴿ إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ﴾ بالنازعات ﴿ والذين جابوا الصخر بالواد ﴾ بالفجر قال :

٢٥٩ ـــ *وكالجواب والتلاق والتناد*
ثم الجوار وينادِ والمناد

أقول : فى هذا البيت ست كلمات تحذف ياؤها وهى ـ كالجواب فى ﴿ كالجواب وقدور راسيات ﴾ بسبأ ـــ و «والتلاق » و « التناد » فى ﴿ لينذر يوم التلاق ﴾ ﴿ إنى أخاف عليكم يوم التناد ﴾ كلاهما بغافر ـ و « الجوار » فى ثلاثة مواضع ـ ﴿ ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام ﴾ فى الشورى ﴿ وله الجوار المنشآت ﴾ بالرحمن ، ﴿ الخنس * الجوار الكنس ﴾ بالتكوير و« يناد المناد » فى ﴿ واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب ﴾ فى سورة ق .

تنبيه : لم يقيد الناظم « يناد » بما يخرج به ﴿ ينادى للإيمان ﴾ الثابتة ياؤه فى آل عمران أقول :

ولعل قرن يناد بالمناد قرينة على أن المحذوف ياؤه ينادى فى سورة ق دون غيره والله أعلم قال :

٢٦٠ ـــ *ونبغ فى الكهف وهاد الحجّ*
والروم ثانى يونس تُنجّ

أقول : فى هذا البيت ثلاث كلمات تحذف ياؤها وهى «نبغ » فى ﴿ ذلك ما كنا نبغ ﴾ بالكهف وقيده بالكهف لإخراج ﴿ ما نبغى هذه بضاعتنا ﴾ فى يوسف و « هاد » فى

﴿وإن الله لهاد الذين آمنوا﴾ بالحج ﴿وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم﴾ بالروم وقيده بالحج والروم لإخراج ﴿ وما أنت بهادى العمى ﴾ بالنمل لثبوت يائه ـ و « ننج » الثاني من سورة يونس وهو ﴿ حقا علينا ننج المؤمنين ﴾ وقيده بثاني يونس لإخراج الأول فيها وهو ﴿ ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا ﴾ [يونس : ١٠٣].

تنبيه لم يتعرض الناظم لحذف الياء من ﴿ إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين ﴾ عند من قرأها « يقضى » لأنه قصد في نظمه أن يكون على مقرأ نافع وهو يقرؤها ﴿يقص الحق ﴾ وهي محذوفة الياء عند من قرأها « يقص » ـ وإطلاق الحكم في كلمات هذا القسم دليل على اتفاق شيوخ النقل على حذف الياء في كلماته المذكورة قال :

٢٦١ ـــ *ومــا أنت زائدة فخــافــون*
وفــارهبـــون واتقـــون فـــاسمعـــون

أقول : بعد أن فرغ الناظم من الكلام على القسم الثاني وهو حذف الياء الأصلية الواقعة في محل اللام شرع يتكلم على القسم الأول وهو حذف الياء الزائدة التي هي ياء المتكلم فذكر في هذا البيت أربع كلمات تحذف ياؤها وهي « خافون » في ﴿ وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ بآل عمران و « فارهبون » في موضعين : ﴿ وإياي فارهبون ﴾ بالبقرة ﴿ فإياي فارهبون ﴾ بالنحل و « اتقون » في خمسة مواضع ﴿ وإياي فاتقون ﴾ ﴿واتقون يا أولي الألباب ﴾ كلاهما بالبقرة ﴿ لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ بالنحل ﴿ وأنا ربكم فاتقون ﴾ بالمؤمنون ﴿ يا عباد فاتقون ﴾ بالزمر ، و « فاسمعون » في ﴿ إني آمنت بربكم فاسمعون ﴾ في يس . قال :

٢٦٢ ـــ *ثم أطيعـــون تكلمـــون*
متـــاب يسقين وتكفـــرون

أقول : في هذا البيت خمس كلمات تحذف ياؤها وهي أطيعون في أحد عشر موضعا جاءت كلها بلفظ واحد أولاها ﴿فاتقوا الله وأطيعون ﴾ بآل عمران وثمانيه بالشعراء وواحد في الزخرف والحادي عشر ﴿ واتقوه وأطيعون ﴾ في نوح و «تكلمون » في ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ بالمؤمنون و «متاب » في ﴿ وإليه متاب ﴾ بالرعد و « يسقين » في ﴿والذى هو يطعمني ويسقين ﴾ بالشعراء و « تكفرون » في و ﴿واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ بالبقرة . قال :

٢٦٣ ـــ *يهـــدين يشفين يكـــذبـــون*
تـــؤتـــون يحيين وكـــذبـــون

في هذا البيت ست كلمات تحذف ياؤها وهي : «يهدين» في أربعة مواضع : ﴿ الذى خلقني فهو يهدين ﴾ ﴿إن معي ربي سيهدين ﴾ كلاهما بالشعراء ، ﴿ إني ذاهب إلى ربي سيهدين ﴾ بالصافات ﴿ إلا الذى فطرني فإنه سيهدين ﴾ بالزخرف و « يشفين » في ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾ بالشعراء « ويكذبون » في موضعين ﴿ إني أخاف أن يكذبون﴾ بالشعراء والقصص وهما بلفظ واحد و« تؤتون » في ﴿ حتى تؤتون موثقا من الله ﴾ في يوسف و « يحيين » في ﴿والذى يميتني ثم يحيين ﴾ بالشعراء و « كذبون » في ثلاثة مواضع ﴿ رب انصرني بما كذبون ﴾ موضعان بالمؤمنون ﴿رب إن قومي كذبون ﴾ بالشعراء . قال :

٢٦٤ ـــ *وفي العقود اخْشَون مع تستعجلون*
حضـــر أو غـــاب عقـــاب يقتلـــون

أقول : في هذا البيت أربع كلمات تحذف ياؤها وهي ﴿فلا تخشوهم واخشون ﴾ ﴿ فلا تخشوا الناس واخشون ﴾ كلاهما بالمائدة وقيده بالعقود لإخراج ﴿ فلا تخشوهم واخشوني ﴾ بالبقرة لثبوت يائه و « تستعجلون » بياء غيبة أو تاء خطاب (وضمير حضر أو غاب يرجع إلى « يستعجلون » والمعنى واحد سواء افتتح بياء لغائب أو تاء لحاضر) في موضعين ﴿ سأريكم آياتي فلا تستعجلون ﴾ بالأنبياء ﴿ فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون ﴾ بالذاريات و « عقاب » في ثلاثة مواضع ﴿ فكيف كان عقاب﴾ بالرعد ومثله في غافر ﴿ فحق عقاب ﴾ في سورة صّ و « يقتلون » في موضعين ﴿ فأخاف أن يقتلون ﴾ بالشعراء والقصص وهما بلفظ واحد . قال :

٢٦٥ ـــ *دعـــاء إبـــراهيم مع تبشـــرون*
ثـم تشَـــاقُّـــون دَعَـــان تُنظـــرون

أقول : في هذا البيت خمس كلمات تحذفَ ياؤَها وهي : « دعاء » في ﴿ ربنا وتقبل دعاء ﴾ بإبراهيم وقيده بإبراهيم لإخراج ﴿ فلم يزدهم دعائي إلا فرارا ﴾ بنوح لثبوت يائه و«تبشرون » من ﴿ فبم تبشرون ﴾ بالحجر و « تشاقون » في ﴿كنتم تشاقون فيهم ﴾ بالنحل .

تنبيه : عد « تبشرون » و « تشاقون » على قراءة من كسر

النون كنافع وهما خارجان على قراءة من فتحها و « دعان » فى ﴿ أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ بالبقرة و « تنظرون » فى ثلاثة مواضع ﴿ ثم كيدون فلا تنظرون ﴾ بالأعراف، ﴿ ثم اقضوا إلىَّ ولا تنظرون ﴾ بيونس ، ﴿ فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون﴾ بهود . قال :

٢٦٦ ـــ *أشركتمون اعتزلون تقربونْ*
ليعبدونَ تفضحون ترجُمون

أقول : فى هذا البيتَ ست كلمات تحذف ياؤها وهى «أشركتمون » فى ﴿ إنى كفرت بما أشركتمون ﴾ بإبراهيم و«اعتزلون » فى ﴿ وإن لم تؤمنوا لى فاعتزلون ﴾ بالدخان و«تقربون » فى ﴿ فلا كيل لكم عندى ولا تقربون ﴾ فى يوسف، و « ليعبدون » فى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ بالذاريات و « تفضحون » فى ﴿ إن هؤلاء ضيفى فلا تفضحون ﴾ بالحجر و « ترجمون » فى ﴿ وإنى عذت بربى وربكم أن ترجمون ﴾ بالدخان . قال :

٢٦٧ ـــ *وغير يسٓ اعبدون يحضرون*
آتانى الله ارجعون يطعمونْ

أقول : فى هذا البيت خمس كلمات تحذف ياؤها وهى «اعبدون » حيث وقع فى غير يسٓ وجاء فى ثلاثة مواضع : ﴿لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ ﴿ وأنا ربكم فاعبدون ﴾ كلاهما بالأنبياء ﴿ فإياى فاعبدون ﴾ بالعنكبوت وقيده بغير يسٓ لإخراج ما وقع فيها وهو ﴿ وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ﴾ لثبوت يائه و « يحضرون » فى ﴿ وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ بالمؤمنون و ﴿ آتان الله ﴾ من ﴿ فما آتانى الله خير مما آتاكم﴾ بالنمل (وعند من لم يقرأ بفتح الياء) وقيده بمجاورة لفظ الجلالة لإخراج ﴿ آتانى الكتاب ﴾ بمريم لثبوت يائه و«ارجعون» فى ﴿ رب ارجعون لعلى أعمل صالحا ﴾ بالمؤمنون و « يطعمون » فى ﴿ وما أريد أن يطعمون ﴾ بالذاريات قال :

٢٦٨ ـــ *تُردين إن يُردْن مع إن ترَن*
واتَّبعون زُخْرف ومؤمن

أقول : فى هذا البيت أربع كلمات تحذف ياؤها وهى «تردين » فى ﴿ تالله إن كدتَّ لتردين ﴾ بالصافات و « يردن » فى ﴿ إن يردن الرحمن بضر﴾ فى يسٓ و « ترن » فى ﴿ إن ترن أنا أقل منك مالا ﴾ بالكهف وإن فى أن ﴿ يردن ﴾ و ﴿ إن ترن﴾ ليست قيدًا ولكنها للإيضاح لعدم تعددهما و « اتبعون » فى موضعين ﴿واتبعون هذا صراط مستقيم ﴾ بالزخرف ﴿ يا قوم اتبعون أهدكم ﴾ بغافر وقيد السورتين لإخراج ﴿ فاتبعونى يحببكم الله﴾ بآل عمران ﴿ فاتبعونى وأطيعوا أمرى ﴾ فى طه لثبوت يائهما . قال :

٢٦٩ ـــ *أولى من اتبعنى فأرسلون*
ثم بهود تسألن ينقذون

أقول : فى هذا البيت أربع كلمات تحذف ياؤها وهى : اتبعن الأولى فى ﴿ أسلمت وجهى لله ومن اتبعن ﴾ بآل عمران (وإثبات ياء اتبعن على قراءة من أثبتها) وقيدها بالأولى لإخراج ﴿ على بصيرة أنا ومن اتبعنى ﴾ فى يوسف لثبوت يائها و « فأرسلون » من ﴿ فأرسلون * يوسف أيها الصديق ﴾ و «تسألن » من ﴿ فلا تسألن ما ليس لك به علم ﴾ بهود وقيده بهود لإخراج ﴿ فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء ﴾ بالكهف لثبوت يائها و « ينقذون » فى ﴿ لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون ﴾ فى يسٓ . قال :

٢٧٠ ـــ *ثم تُمدُّون مع تتبعن*
يهدينى فى الكهف مع تعلمن

أقول : فى هذا البيت أربع كلمات تحذف ياؤها وهى «تمدونن » فى ﴿ أتمدونن بمال ﴾ بالنمل ـ و « تتبعن » فى ﴿ألا تتبعن أفعصيت أمرى ﴾ فى طه ـ و« يهدين » فى ﴿عسى أن يهدين ربى ﴾ بالكهف وقيده بالكهف لإخراج ﴿عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل ﴾ بالقصص لثبوت يائه ، و « تعلمن » فى ﴿ هل أتبعك على تعلمن مما علمت رشدا ﴾ بالكهف . قال :

٢٧١ ـــ *ومع لئن أخَّرتن وعيد*
مآب كيدُون بغير هُود

أقول : فى هذا البيت أربع كلمات تحذف ياؤها وهى : «أخرتن » فى ﴿ لئن أخرتن إلى يوم القيامة ﴾ بالإسراء وقيده بمجاورة « لئن » لإخراج ما خلا عنها وهو : ﴿ لولا أخرتنى إلى أجل قريب ﴾ بالمنافقون لثبوت يائه ، و « وعيد » فى ثلاثة مواضع ﴿ ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد ﴾ بإبراهيم ﴿فحق وعيد ﴾ ، ﴿ فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾ كلاهما فى ق و « مآب » فى ﴿ إليه أدعو وإليه مآب ﴾ بالرعد

و«كيدون» فى موضعين ﴿ ثم كيدون فلا تنظرون ﴾ بالأعراف . ﴿ فإن كان لكم كيد فكيدون ﴾ بالمرسلات وقيده بغير هود لإخراج الواقع فيها وهو ، ﴿ فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون ﴾ لثبوت يائه . قال :

٢٧٢ ـــ *بشر عباد لى دين يؤتين*
نذر مع أهانن وأكرمن

أقول : فى هذا البيت ست كلمات تحذف ياؤها وهى «عباد» فى ﴿ فبشر عباد * الذين يستمعون القول ﴾ بالزمر [١٧، ١٨] وقيده بمجاورة بشر لإخراج غيره حيث وقع نحو ﴿ وإذا سألك عبادى عنى ﴾ بالبقرة لثبوت يائه و «دين» فى ﴿ لكم دينكم ولى دين ﴾ بالكافرون وقيده بمجاورة لى لإخراج غيره حيث وقع نحو ﴿ إن كنتم فى شك من دينى ﴾ بيونس لثبوت يائه و «يؤتين» فى ﴿ فعسى ربى أن يؤتين خيرًا ﴾ بالكهف و «نذر» فى ستة مواضع كلها بالقمر «وأهانن و أكرمن» فى ﴿ فيقول ربى أهانن ﴾ [الفجر : ١٦] ﴿ فيقول ربى أكرمن ﴾ [الفجر : ١٥] كلاهما بالفجر. قال :

٢٧٣ ـــ *ثم نذير ونكير تشهدون*
تخزون قد هدان مع تفندون

أقول : فى هذا البيت ست كلمات تحذف ياؤها وهى «نذير» من ﴿ فستعلمون كيف نذير ﴾ بالملك ونكير فى أربعة مواضع ﴿ فأخذتهم فكيف كان نكير ﴾ بالحج ، ﴿ فكذبوا رسلى فكيف كان نكير ﴾ بسبأ، ﴿ ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ﴾ بفاطر ﴿ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير ﴾ بالملك. و «تشهدون» فى ﴿ ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون ﴾ بالنمل ـــ و «تخزون» فى موضعين ﴿ ولا تخزون فى ضيفى ﴾ بهود ﴿ واتقوا الله ولا تخزون ﴾ بالحجر و «هدان» فى ﴿ أتحاجونى فى الله وقد هدان ﴾ بالأنعام وقيده بمجاورة «قد» لإخراج ﴿ قل إننى هدانى ربى ﴾ بالأنعام لثبوت يائه و «تفندون» فى ﴿ لولا أن تفندون ﴾ بيوسف قال :

٢٧٤ ـــ *إيلافهم ثم عذاب صاد*
وفى المنادى نحو يا عبادى

أقول : فى هذا البيت مما تحذف ياؤه كلمة واحدة وأصل مطرد وقد تبرع الناظم فى هذا البيت بكلمة ليست من هذه الترجمة وهى ﴿ إيلافهم ﴾ وذلك لأن ياءها ليست زائدة ولا لاما للكلمة وإنما هى فاؤها .

(وأصلها همزة فأبدلت ياء لسكونها بعد همزة مكسورة كما أبدلت فى إيمان وقد قرأها أبو جعفر بهمزة مكسورة من غير ياء وخرج بإيلافهم لإيلاف قريش لثبوت يائه وقد قرأه الشامى بغير ياء بعد الهمزة واعلم أن جملة الكلمات المحذوف منها الياء سوى «إيلافهم» وسوى المنادى أربع وستون كلمة وقعت فى مائة وسبعة مواضع وإطلاق الناظم الحكم فى تلك الكلمات يفيد اتفاق شيوخ النقل عليه) والكلمة التى ذكرها هى «عذاب» فى ﴿ لما يذوقوا عذاب ﴾ فى صَ وقيدها بسورتها لإخراج ﴿ وأن عذابى هو العذاب الأليم ﴾ بالحجر لثبوت يائه .

وأما الأصل المطرد فهو الحذف فى كل اسم منادى أضيف إلى ياء المتكلم سواء ذكرت معه ياء النداء نحو ﴿ يا عباد فاتقون ﴾ ﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ﴾ ﴿ يا بنى اركب معنا ﴾ (أصله يا بنيو مصغر ابن أبدلت الواو ياء وأدغمت فيها ياء التصغير على القياس ثم أضيف إلى ياء المتكلم ولكنها حذفت خطأ على قاعدة المنادى) أم حذفت منه نحو ﴿ رب اغفر وارحم ﴾ ﴿ رب احكم بالحق ﴾ ﴿ رب انصرنى ﴾ ولا يدخل فيه ﴿ يا بنى لا تدخلوا من باب واحد ﴾ وإن كان منادى وزيدت فيه ياء المتكلم لأن الترجمة معقودة لبيان ما حذفت منه الياء اكتفاء بالكسرة قبلها وهذا قبله ياء ساكنة مدغمة فيها إذ الأصل «بنين لى» حذفت النون للإضافة واللام للتخفيف فاجتمع ياءان الأولى علامة النصب وهى ساكنة والثانية ياء المتكلم فأدغمت الأولى فى الثانية فصار «يا بنى» قال :

٢٧٥ ـــ *وثبتت فى العنكبوت والزمر*
أخراهما وحرف زُخْرف أُثر

أقول : ذكر الناظم فى الأصل المطرد فى البيت السابق إطلاق الحكم بحذف ياء المنادى واستثنى فى هذا البيت من ذلك الإطلاق ثلاثة مواضع :

تثبت ياء المنادى فيها على خلاف فى الأخير منها وهى

﴿يـا عبادى الـذين آمنوا إن أرضى واسعـة﴾ الموضع الأخير بـالعنكبـوت [٥٦] ﴿ قل يـا عبـادى الـذين أسـرفـوا على أنفسهم﴾ الأخير بالزمر وقيده بالأخير فى السورتين لإخراج ﴿يا قوم اعبـدوا الله وارجوا اليـوم الآخر ﴾ بالعنكبوت و ﴿ يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم ﴾ و ﴿ يا عباد فاتقون ﴾ كلاهما بالزمر لحذف ياء المنادى فيهن وأمـا المختلف فيه فهو ﴿ يا عباد لا خوف عليكـم اليوم ﴾ بالـزخرف، ولا خلاف فى حـذف ياء ﴿وقيله يا رب ﴾ وفى كلام الناظم إجمال فى تعيين المراد من موضع الـزخرف أقـول: قد يفسره ويـدفعه أن المنـادى الأخير بالعنكبوت والـزمر محصور فى لفظ يا عبـادى وفى ذلك قرينة على أن مراده بمـوضع الزخرف المختلـف فيه ما كـان بلفظ يا عباد فلا إجمـال ولم يتعرض الناظم لذكر حـذف ياء الأسماء المنقوصة غير المنصوبـة إذا كانت منونة نحو ﴿ بواد غير ذى زرع ﴾ ﴿ بكاف عبده ﴾ ﴿ لعال فى الأرض ﴾ ؛ ﴿ ولكل قوم هاد ﴾ لموافقة ذلك للـرسم القياسى وهو إنما يتعـرض للرسم الاصطلاحى قال الجعبرى جملة المنادى المحذوف ياؤه مائة واثنان وعشرون مـوضعا : يا رب ورب سبعة وستون يـا قوم ستة وأربعون، ويا بنى ستة و﴿ يا عبـاد الذين آمنوا ﴾ و ﴿ يـا عباد فاتقون ﴾ بالزمر و ﴿ يا عباد لا خوف ﴾ بالزمر فى المصاحف العراقية) قال :

٢٧٦ ـــ فَصِـل وقل إحــدى الحـــواريين
محــــذوفــــة وإحــــدى الأميـين

٢٧٧ ــــــ ثـم النبييـن وربــــــانييـن
وأثبتــــوا اليـــــاءين فـى عليـين

٢٧٨ ـــ ورجـح الــدانى حـــذف الأولى
وابـنُ نجـــاح قـــال الأخـــرى أولَى

أقول : سبق أن الياء المحذوفة قسمان مفردة وغير مفردة. وغير المفـردة وهى ما اجتمعت مع مثلها قسمـان . ما اجتمع فيه الياءان وسطا وما اجتمع فيه الياءان طرفا .

وبدأ بالكلام على القسم الأول بعد أن فرغ من الكلام على الياء المفردة زائدة أو فى محل اللام . فأمر بأن تحذف إحدى اليـائين فى الحواريين والأميين والنبيين وربـانيين حيث وقعت هذه الكلمـات الأربع فى القرآن وقد أثبت كتـاب المصاحف اليائين فى « عليين » بالمطففين وتعيين الكلمات الأربع أخرج مـا عداهـا مما اجتمع فيـه ياءان وسطـا نحو يحييكم أفعيينـا حييتم، ويحييها، لثبـوت الياء فيهـا ــ وإنما نص على عليين مع أن الأصل إثبـات يـاءيها لممـاثلتهـا للكلمـات الأربع فى اجتمـاع ياءين ثـانيتهمـا علامـة جمع واختلف الشيخـان فى المحـذوف منهما بعـد اتفاقهمـا على جواز حـذف الأولى أو الثانية فرجح الدانى حذف الأولى واختار أبو داود حذف الثانية ــ أمـا مـا وقعت فيـه إحـدى اليـاءين صـورة للهمـزة نحـو ﴿متكئين﴾ وبابـه فقد رجح فيه أبـو داود أن تكون المرسـومة علامـة الجمع والمحذوفـة صورة الهمـزة وسيأتى حكمـه آخر باب الهمز عند قوله (وما يؤدى لاجتماع الصورتين) قال :

٢٧٩ ـــ ونحـــو يستحـى الأخيـــر فـاحـــذف
مـــــرجحــــــا إذ سكنـت فـى الطــــرف

٢٨٠ ــــ ورجحنــــه قبل مــــا تحـــركت
لغيـــــر يلحقهـــــا لـــــو أدغمـت

٢٨١ ـــــــ لــــــدى ولـى وحيـى يحيـى
لـــــدى القيــــــامــــــة وفـى لتحيـى

٢٨٢ ـــ وجـــاء فى يحيى إطـــلاق لـــدى
عقيلــــــــة ولابــن حـــــــرب وردا

أقول : بعـد أن فرغ من الكـلام على ما اجتمع فيـه الياءان وسطا شرع يتكلم على ما اجتمع فيه الياءان طرفا .

وهو نـوعان : مـا سكن فيه ثـانى اليـاءين وما تحـرك فيه ثانيهما .

فالأول : يتـرجح فيـه حذف الياء الأخيـرة منه علـى حذف الأولى نحـو ﴿ يستحـى ﴾ ممـا اجتمع فيه يـاءان متطرفـان ثانيتهما ساكنة . ولا فرق فى ترجيح حذف الثانية بين أن تكون أصليـة أو زائدة وقع بعدهـا متحـرك أو ساكن نحـو ﴿ يحيى ويميت ﴾ ﴿ أنـا أحيى وأميت ﴾ ﴿ يحيى الله المـوتى ﴾ ﴿ إن ذلك لمحى المــوتى ﴾ وعلل حـذف الأخيـرة على الأولى لسكونها طرفـا بعد كسرة تجانسها وتدل عليهـا حين حذفها.

ولـوقوعهـا طرفـا والأطـراف محل التغيير وقيل تحـذف الأولى وتبقى الثانيه .

الثاني : ما تحـرك فيه ثاني الياءين وحكمه أنـه يترجح فيه حذف الأولى علـى الثانية وذلك في أربـع كلمات : « وليى » في ﴿ إن وليى الله ﴾ بالأعراف (أصلها بثلاث ياءات : الأولى ساكنة والثانيـة مكسورة ، والثالثة مفتوحة فكتبـوها بياء واحدة معرفة) وحىّ في ﴿ ويحيى من حىَّ عن بينة ﴾ بالأنفال ، و«يحيى » في ﴿ أليس ذلك بقـادر علـى أن يحيى المـوتى ﴾ بالقيـامة وقيدهـا بالقيامـة لإخراج ﴿ بقـــادر علـى أن يحيى الموتى﴾ بالأحقاف لسكوت الشيخين عنها . وأطلق الشاطبي في العقيلـة الحـذف في « يحيى » فشمل مـا في القيـامـة والأحقاف وقد ورد الإطلاق كذلك عن أبي العباس بن حرب و الحـذف في «لنحيى » في ﴿ لنحيى به بلـدة ميتا ﴾ بالفرقان ورجح حـذف اليـاء الأولى على الثـانيـة لأجل التغييـر الـذى يلحقها لو قدر إدغامها في الياء الثانية وهو قوله (لغير يلحقها لـو أدغمت) أي لتغيير يلحقهـا على تقديـر إدغامهـا (لطائف البيان٢/ ٣ـ١١)

ويفرد الإمـام أبو عمرو الـداني في « المحكم » بابـا في ما اجتمع فيه ياءان ، فحذفت إحداهما إيجازًا يقول فيه :

اعلم أن كتـاب المصـاحف اتفقــوا على حـذف إحـدى الياءين من الرسم في قوله : « النبين » ، حيث وقع .

ويجـوز أن تكون المحـذوفة منهمـا الأولى التي هي زائدة للمد في بنـاء (فعيل) ، لزيـادتها ، وأنهـا أول الياءين ، لأن الهمزة بينهما ، لخفائها ، وأن لا صـورة لها ، ليست بفاصلة . فوجب لذلك حذفها من الرسم ، إذ كُره الجمع بينها وبين التي بعدها فيه .

ويجـوز أن تكون المحـذوفة من اليـاءين الثانيـة التي هي عـلامة الجمع ، من حيث كـان البناء يختل بحـذف الأولى . وكان الثقل والكـراهة للجمع بين صـورتين متفقتين إنما وجب بالثانية لا بالأولى .

والمذهب الأول أوجـه ، لما بينتـه ، ولأن الياء الثانيـة لما جاءت مؤدية عن معنى الجمع لزم إثباتها ليتأدى بذلك المعنى الذى جـاءت له . وأيضـا فإنها ملازمـة للنون ، لا تفـارقها ولا تنفصل عنهـا ، من حيث كانتـا معا عـلامة للجميع . فـوجب لذلك إثباتها ضرورة .

فإذا نقط ذلك ، على قـراءة من همز على الأصل (قـراءة الهمز فيه وفي « النبى » ومـا جاء منه هي قراءة نـافع . والباقون يقرؤون بغير همز) جعلت الهمزة نقطة بالصفراء ، وحركتها من تحتهـا نقطة بـالحمراء قبل اليـاء السوداء . ورسم قبل الهمـزة وبعـد اليـاء ، ياءٌ بـالحمـراء ، وهي يـاء (فعيل) . وإن شـاء الناقط لم يرسمها ، وجعل مطة في مـوضعها . هذا على الوجه الأول المختار . وصورة ذلك كما ترى : « النَّبِيِّينَ » .

وعلى الـوجـه الثـاني تُجعل الهمـزة وحـركتهـا بعـد اليـاء السوداء . وتلحق بعد الهمزة وقبل النون ياء بالحمراء ، وهي ياء الجمع . ولا بـد من إلحاق هـذه الياء في هـذا الوجـه ليتأدى بإلحاقها المعنى الذى جـاءت هي والنون لأجله . وصورة ذلك كما ترى : « النبيئن » .

وكذا تلحق الياء في هذه الكلمـة على الوجهين ، في قراءة من لم يهمزهـا (وهذه القراءة هـي مذهب الجمهور . وقـد قرأ نافع ذلك وأمثاله بالهمز على الأصل) .

وكذلك تلحق في نظائر ذلك من الجمع ، مما حذفت فيه إحدى الياءين كراهـة للجمع بينهما في الرسم ، على الوجهين جميعا . وذلك نحو قوله : ﴿ ربانيِّن ﴾ [آل عمران : ٧٩] و ﴿ الحوارين ﴾ [المـائدة : ١١١] و ﴿ في الأميِّن ﴾ [آل عمران : ٧٥] و [الجمعة : ٢] وشبهه .

فأما ما كان الحرف الواقـع فيه قبل الياء والنون همزة ، نحو قوله : ﴿ المستهزءين ﴾ [الحجـر : ٩٥] و ﴿ متكئين ﴾ ﴿خاسئين ﴾ [البقـرة : ٦٥ و الأعـراف : ١٦٦] وشبهـه فإن اليـاء المـرسومـة قبل النـون في ذلك تحتمل أن تكـون صـورة للهمزة ، لتحركها وتحرك مـا قبلها ؛ وأن تكون علامة للجمع ، وذلك الأوجه ، لمـا بيناه قبل ، ولأن الهمزة ، لكونها حـرفا من الحروف ، قد تستغنى عن الصورة .

* * *

وأما قوله في مريم : ﴿ أثاثا ورءيًا ﴾ [مريم : ٧٤] فإنه رُسم في جميع المصاحف بيـاء واحدة . فإن كـان رسمه على قراءة من لم يهمز فذلك حقيقة رسمه .

(هذه قراءة قالون وابن ذكوان بتشـديد الياء من غير همز.

وقد قرأ الباقون بالهمز) وإن كان على قراءة من همز فقد حذفت منه ياء واحدة . وهى الأولى التى هى صورة الهمزة الساكنة لا غير. وذلك لثلاثة معان :

أحدها : أن الهمزة فى حال تحقيقها قد تستغنى عن الصورة بالشكل، لأنها حرف كسائر الحروف.

الثانى : أنها إذا سهلت فى ذلك لزم إبدالها ياء ساكنة، لأجل كسرة الراء التى قبلها . ثم تدغم فى الياء التى بعدها للتماثل. وعلى هذا لا تصور رأسا.

والثالث أن الألف المعوضة من التنوين الذى يتبع الإعراب قد جاءت مثبتة فى آخر هذه الكلمة. فلزم أن تكون الياء المتصلة فى الرسم بها هى التى يلحقها الإعراب لا غير .

وإذا نقط ذلك جعلت الهمزة نقطة بالصفراء، وعليها علامة السكون ، بين الراء والياء فى البياض . وبالله التوفيق (المحكم/ ١٦٥_١٦٧) .

(متن مورد الظمآن فى رسم القرآن للإمام محمد بن محمد الأموى الشريشى الشهير بالخراز - حققه وضبطه وعلق عليه محمد الصادق قمحاوى/ ٢٥_٢٧ ، ولطائف البيان فى رسم القرآن شرح مورد الظمآن - فضيلة الشيخ أحمد محمد أبى زيتحار ٢ / ٣ - ١١، والمحكم فى نقط المصاحف لأبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى - عن بتحقيقه د . عزة حسن/ ١٦٥_١٦٧) .

حذيفة بن أسيد (-٤٢هـ) :

أبو سريحة (بمهملتين مفتوح الأول) حذيفة بن أسيد (بفتح الهمزة) ابن خالد بن الأغوز (بالغين المعجمة والزاى) وقيل (الأغوس) الغفارى .

شهد بيعة الرضوان بالحديبية. أخرج عنه مسلم حديثين، وخرج عنه الأربعة. وروى عنه الشعبى ، وأبو الطفيل ، والربيع بن عميلة. مات سنة اثنتين وأربعين رضى الله عنه ورحمه .

(الرياض المستطابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى - أشرف على ضبطه وتصحيحه عمر الديراوى أبو حجلة / ٥٦) .

أبو حذيفة بن عتبة :

ذكره ابن عبد البر فقال عنه :

أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى العبشمى، كان من فضلاء الصحابة من المهاجرين الأولين، جمع الله له الشرف والفضل، صلى القبلتين، وهاجر الهجرتين جميعا، وكان إسلامه قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم للدعاء فيها إلى الإسلام. هاجر مع امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو إلى أرض الحبشة، وولدت له هناك محمد بن أبى حذيفة، ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة ، فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة، وشهد بدرا، وأحدا، والخندق ، والحديبية، والمشاهد كلها. وقتل يوم اليمامة شهيدا، وهو ابن ثلاث أو أربع وخمسين سنة . يقال : اسمه مهشم . وقيل هشيم، وقيل هاشم. وكان رجلا طوالا حسن الوجه أحول أثعل، والأثعل الذى له سن زائدة، تدخلها من صلبها الأخرى، وفيه تقول أخته هند بنت عتبة، حين دعا أباه إلى البراز يوم بدر:

فما شكرت أبا رباك من صغر
حتى شبيت شبابا غير محجون
الأحول الأثعل المشئوم طائره
أبو حذيفة شر الناس فى الدين

بل كان من خير الناس فى الدين وكانت هى - إذ قالت هذا الشعر - من شر الناس فى الدين (الاستيعاب ٤/ ١٦٣١، ١٦٣٢).

قال ابن قتيبة :

وقد انقرض ولد « أبى حذيفة »، فلم يبق منهم أحد، وانقرض ولد أبيه : عتبة بن ربيعة، إلا ولد : المغيرة بن عمران ابن عاصم بن الوليد بن عتبة بن ربيعة، فإنهم بالشام (المعارف / ٢٧٢) .

(الاستيعاب لابن عبد البر - تحقيق على محمد البجاوى ٤ / ١٦٣١ ، ١٦٣٢ ، والمعارف لابن قتيبة - حققه وقدم له د . ثروت عكاشة/ ٢٧٢) .

حذيفة بن اليمان (-٣٦ هـ -٦٥٦م) .

قال الإمام النووى :

حذيفة بن اليمان الصحابى رضى الله عنهما تكرر فى هذه

الكتب هو أبو عبد الله بن اليمان وابن اليمان حِسْل بكسر الحاء وإسكان السين المهملتين ويقال حسيل بالتصغير بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروة بجيم مكسورة ابن الحرث بن مازن بن قطيعة بن عبس بن بغيض بفتح الموحدة وبغين وضاد معجمتين ابن ريث براء مفتوحة ثم مثناة من تحت ساكنة ثم مثلة بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بالعين المهملة ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان العبسى حليف بنى عبد الأشهل من الأنصار قالوا واليمان لقب حسل وقال الكلبى وابن سعد هو لقب جروة قالوا ولُقِّب باليمان لأنه أصاب دما فى قومه فهرب إلى المدينة فحالف بنى عبد الأشهل من الأنصار فسماه قومه اليمان لأنه حالف الأنصار وهم من اليمن أسلم حذيفة وأبوه وهاجر إلى رسول الله ﷺ وشهدا جميعاً أحداً وقتل أبوه يومئذ قتله المسلمون خطأ فوهب لهم دمه وأسلمت أم حذيفة وهاجرت. وفى كتاب الترمذى فى مناقب الحسن والحسين رضى الله عنهما حديث حسن يتضمن إسلامها .

روى عن حذيفة جماعة من الصحابة منهم عمر وعلى وعمار وجندب وعبد الله بن يزيد الخطمى وأبو الطفيل .

وروى عنه خلائق من التابعين منهم ابنه أبو عبيدة بن حذيفة . وكان صاحب سر رسول الله ﷺ فى المنافقين يعلمهم وحده وسأله عمر بن الخطاب رضى الله عنه هل فى عمالى أحد منهم قال نعم واحد قال من هو قال لا أذكره فعزله عمر كأنما دُل عليه وأرسله رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب سرية وحده ليأتيه بخبر القوم فوصلهم وجاء بخبرهم . وحديثه هذا فى الصحيح مشهور طويل مشتمل على معجزات وحضر حذيفة الحرب بنهاوند فلما قتل النعمان بن مقرن أمير الجيش أخذ الراية وكان فتح همذان والرى والدينور على يد حذيفة وشهد فتح الجزيرة ونزل نصيبين وولاه عمر رضى الله عنه المدائن وقال عمر رضى الله عنه لأصحابه تمنوا فتمنوا ملء البيت الذى هم فيه جوهرا لينفقوه فى سبيل الله فقال عمر لكنى أتمنى رجالا مثل أبى عبيدة ومعاذ بن جبل وحذيفة وأستعملهم فى طاعة الله تعالى .

وكان كثير السؤال لرسول الله ﷺ عن أحاديث الفتن والشر ليجتنبها وسأله رجل أى الفتن أشد قال إن يعرض عليك الخير والشر ولا تدرى أيهما تترك . توفى بالمدائن سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان بن عفان رضى الله عنهما بأربعين ليلة .

وقتل عثمان يوم الجمعة لثمانى عشرة خلون من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ولم يدرك حذيفة وقعة الجمل لأنها كانت فى جمادى الأولى سنة ست وثلاثين فى صحيحى البخارى ومسلم عن حذيفة قال « قام فينا رسول الله ﷺ مقاما ما ترك شيئا يكون من مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابى هؤلاء وأنه ليكون منه الشىء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه » وفى الصحيحين عنه قال « كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى » وفى صحيح مسلم عنه قال « أخبرنى رسول الله ﷺ بما كان إلى أن تقوم الساعة » وفى صحيح مسلم أيضا عنه قال « والله إنى لأعلم الناس بكل فتنة كائنة فيما بينى وبين الساعة » ومناقبه وأحواله كثيرة مشهورة رضى الله عنه (تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٥٣-١٥٥).

وقال ابن قتيبة :

وروى أشعث، عن : الحسن، أنه قال :

كان « حذيفة » رجلا من « عبس » فخيره رسول الله - ﷺ - فقال : إن شئت كنت من المهاجرين، وإن شئت كنت من الأنصار ؟ فقال : من الأنصار . قال : فأنت منهم .

ولـ « حُذيفة » عقب فى الأنصار، ولم يشهد « حذيفة » «بدرا » .

وأخوه « صفوان بن اليمان » شهد « أحدا » ولم يشهد «بدرا » .

وهلك « حذيفة » بالكوفة بعد مقتل « عثمان » .

وقال الواقدى :

مات بالمدائن ست وثلاثين ، وجاءه نعى « عثمان بن عفان » ولم يدرك « الجمل » - وكان الجمل لعشر ليال خلون من جمادى الأولى سنة ست وثلاثين.

وأختـه : « ليلى بنـت اليمـان » أم « سلمـة بن ثـابت بن وقش» وأخته : فاطمة بنت اليمان .

(المعارف/ ١٥٥) .

له فى كتب الحديث ٢٥٥ حديثـا . وكان نزيهاً عفيفاً بقى والياً على المدائن حتى توفى بها سنة ٣٦ هـ كمـا سبق القول (مرجع العلوم الإسلامية/ ٦٣) .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ / ١٥٣ ـ ١٥٥ ، والمعارف لابن قتيبة ـ حققه وقدم له د . ثروت عكاشة / ٢٦٣ ، ومرجع العلوم الإسلامية ـ د . محمد الزحيلى / ٦٣ . انظر أيضا «رجل المهام حذيفة بن اليمان رضى الله عنه » ـ الأستاذ زكريـا أحمد نور. مجلة الأزهر . الجزء الرابع السنة الثانية والستون ، ربيع الآخر ١٤١٠هـ ـ نوفمبر١٩٨٩م / ٣٣٢ـ ٣٣٥، ٤٠٣) .

قالت المؤلفة : لدى زيارتنا للمدائن يوم الجمعة ٥ أكتوبر ١٩٨٤ قمنا بزيارة ضريح حـذيفة بن اليمان، وقد سجلت فى مفكرتى هذه الملاحظات عن الزيارة : دخلنا مسجد « سلمان الفارسى » وهو مسجـد بديع توجد عند مدخلـه هذه الكتابة : «قال رسـول الله ﷺ : سلمان منا أهـل البيت » (لم أعثر على هـذا الحديث فى الجـامع الصغيـر للسيوطى ولا فى الجـامع الأزهر للمناوى) ويـؤدى إلى المسجد صحن مستطيل صغير مسقوف وقبابـه منقوشة . وعلى يسار ضـريح سلمان الفارسى ضريح حذيفـة بن اليمان أمين سر الرسـول وهو يقع إلى يمين الداخل ، وإلى اليسار ضريح عبد الله بن جابر الأنصارى من صحابة رسول الله ﷺ ، ويوجد خارج المسجد صحن شاسع الاتساع يحيط به سور ا هـ .

الحر :

الحـر بـالفتح والتشديـد لغـة الخلـوص وشرعـا خلـوص حكمى يظهـر فى الآدمى لانقطـاع حق الغيـر عنه والحـريـة بالضم مثله والحـر بالضم لغة من الحر بالفتح ويقـابله الرقيق ويقابل الحَرّ والحرية الرق هكـذا صرح فى جامع الرموزة وفى مجمع السلـوك والحريـة عند السـالكين انقطـاع الخاطـر من تعلق ما سـوى الله تعالى بالكلية والحـرية نهاية العبـودية فهى هداية العبـد عند ابتداء خلقته كـذا فى مجمع السلوك فى بيان الطريق .

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٢٩١، ٢٩٢) .

حراء :

جبل حراء، ويقال له « جبل النور » أيضا

قال ياقوت :

حِراءٌ : بالكسر، والتخفيف ، والمد : جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال، وهو معروف، ومنهـم من يؤنثه فلا يصرفه ؛ قال جرير:

ألسنــــــا أكـــــرم الثقلين طُـــــرا

وأعظمهـم، ببطـن حــــراء، نــــارًا ؟

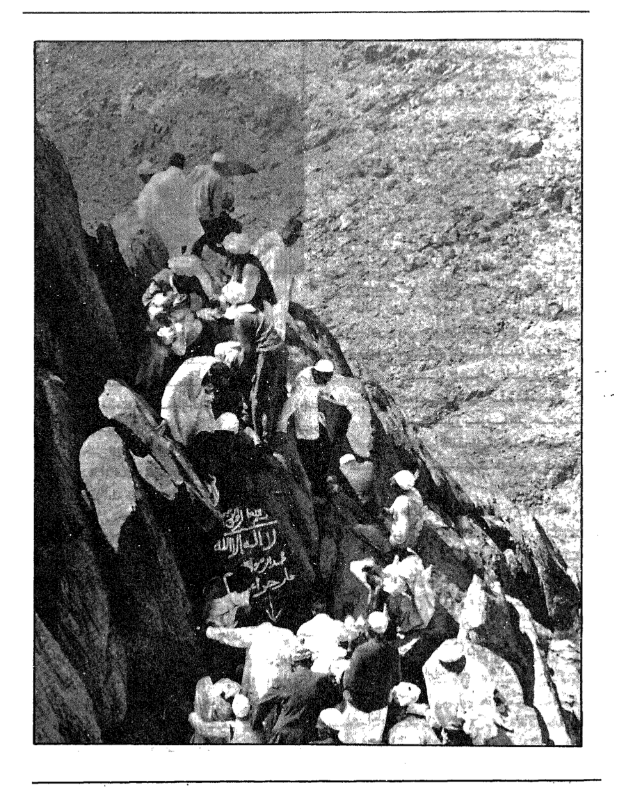
فلا يصرفـه لأنه ذهب به إلى البلدة التى حـراء بها ، وقال بعضهـم : للناس فيه ثلاث لغـات يفتحون حاءه وهى مكسورة ويقصرون ألفه وهـى ممدودة ويميلونها وهى لا تســوغ فيهـا الإمـالة لأن الـراء سبقت الألف ممـدودة مفتـوحة وهى حـرف مكـرر فقـامت مقام الحـرف المستعلى مثل راشـد ورافع فـلا تمال؛ وكان النبى ﷺ، قبل أن يأتيه الـوحى يتعبد فى غار من هذا الجبل، وفيـه أتاه جبرائيـل، عليه السلام؛ وقـال عرام بن الأصبغ : ومن جبال مكة ثبير، وهـو جبل شامخ يقابل حراء، وهو جبـل شامخ أرفع من ثبيـر فى أعلاه قلـة شامخـة زلوج، ذكـروا أن رسول الله ﷺ، ارتقى ذروتـه ومعه نفـر من أصحابـه فتحرك، فقـال رسول الله ﷺ : اسكن يـا حراء فمـا عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد؛ وليس بهما نباتٌ ولا فى جميع جبال مكـة إلا شىء يسيـر من الضهياء يكـون فى الجبل الشـامخ، وليس فى شىء منها ماءٌ، ويليها جبال عرفات، ويتصـل بهـا جبـال الطائف، وفيها مياه كثيرة (معجم البلدان٥/ ٢٣٣، ٢٣٤)

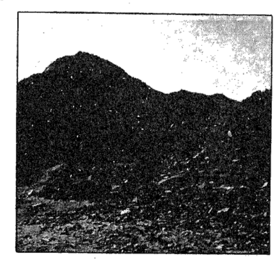
وقال عنه القزوينى :

جبل حـراء بمكة على ثـلاثـة أميال منهـا بـه غار كـان رســول الله ﷺ قبل الـوحى يأتيـه للخلوة فـأتاه جبـريل عليـه السـلام هنـاك وهـو مـوضع مبـارك يـزوره النـاس ، والله أعلم (عجائب المخلوقات/ ١١٢) .

وقد ذكر الأزرقى قصته وفضله وما جاء فيه فقال :

حدثنا أبـو الوليد قال : حـدثنى مهدى بن أبى المهدى، حدثنا عبد الله بن معاذ الصنعانى عن معمر أخبرنى الزهرى عن


لا إله إلا الله
غار حراء



جبل النور وبه غار حراء

عروة عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : أول ما بدى به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءته مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتى حراء فيتحنث فيه ــ وهو التعبد والتبرر الليالى ذوات العدد ـ ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة ابنة خويلد فيتزود بمثلها حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فيه فقال : اقرأ، قال : فقلت : ما أنا بقارئ، قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ، فقلت : ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى، فقال : اقرأ، فقلت ما أقرأ، فقال : **﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم ﴾** [العلق ١ ـ ٤] حتى بلغ **﴿ ما لم يعلم ﴾** [العلق : ٥] .

حدثنا أبو الوليد قال : حدثنى جدى أحمد بن محمد حدثنا عبد الجبار بن الورد المكى قال : سمعت ابن أبى مليكة يقول : جاءت خديجة إلى النبى ﷺ بحيس وهو بحراء فجاءه جبريل فقال : يا محمد هذه خديجة قد جاءت تحمل حيسا معها والله يأمرك أن تقرأها السلام وتبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب، فلما أن رقيت خديجة قال لها النبى ﷺ : يا خديجة إن جبريل قد جاءنى والله يقرؤك السلام ويبشرك ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب فقالت خديجة : الله السلام ومن الله السلام وعلى جبريل السلام (أخبار مكة ٢/ ٢٠٤) .

ثم ذكره ثانية فى الجبال فقال عنه :

جبل حراء وهو الجبل الطويل الذى بأصل شعب آل الأخنس مشرف على حايط مورش، والحايط الذى يقال له : حايط حراء على يسار الذاهب إلى العراق وهو المشرف القلة مقابل ثبير غيناء محجة العراق بينه وبينه، وقد كان رسول الله ﷺ أتاه واختبى فيه من المشركين من أهل مكة فى غار فى رأسه مشرف مما يلى القبلة، وقد كتبت ذكر ما جاء فى حراء وفضله فى صدر الكتاب مع آثار النبى ﷺ، قال مسلم بن خالد : حراء : جبل مبارك قد كان يؤتى، قال أبو محمد الخزاعى : وفى حراء يقول الشاعر:

تفرج عنها الهم لما بدا لها
حراء كرأس الفارسى المتوج
منعمة لم تدر ما عيش شقوة
ولم تعترر يوماً على عود عوسج

وجاء فى هامش ٣ للمحقق أن جبل حراء يقع فى الشمال الشرقى من مكة المكرمة، يشرف على طريق العدل فى منتهى مكة (أخبار مكة ٢/ ٢٨٨) .

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ١١٢ ، وأخبار مكة للأزرقى ـ تحقيق رشدى صالح ملحس ٢/ ٢٠٤، ٢٨٨ وهامش ٣ للمحقق. انظر أيضا نور الأبصار فى مناقب أهل بيت النبى المختار ـ الشيخ سيد الشبلنجى / ١١ ، و « حراء معتكف المتعبدين من العرب والاعتكاف الإسلامى » ــ نذير حمدان . مجلة الفيصل. العدد (١٦٥) ربيع الأول ١٤١١ هـ ــ أكتوبر ١٩٩٠م ، السنة الرابعة عشرة / ٣٥ـ ٣٨) .

حراء (جبل ـ) :

انظر : حراء .

حراء (غار ـ) :

انظر : حراء

الحرارة:

قال التهانوى : الحرارة بـالفتح ضد البرودة، وماهيتها من البـديهيات، ومـا ذكـر فى حقيقتهما فهـى من جملة الأحكـام وبعض الحكماء جعل البرودة عبارة عـن عدم الحرارة عما من شأنه أن يكون حارا وقيد من شأنه الاحتراز عن الفلك فإن عدم حرارتـه لا يسمى برودة إذ ليس مـن شأنه أن يكون حـارا فعلى هـذا التقـابل بينهما تقـابل العـدم والملكـة وهو بـاطل لأنهـا محسـوسة ولا شيئ من العـدم بمحسـوس واعترض عليـه بأن الانفصـال عـدم الاتصـال مع أنـه محسـوس، وأجيب بأن المحسوس هـو المنفصل وعوارضـه كاللون والانفصـال يدرك بالوهم التابع للحس الظاهر لا بالحس الظاهر فإن الحكم بأن العدم غيـر محسوس بـالحواس الظـاهرة بـديهية فـالحق أنها كيفية موجودة مضادة للحرارة من شأنها أن تجمع المتشاكلات وغيرها وههنا أبحاث .

الأول : كما يقـال الحار لما تحس حـرارته بالفعل كـالنار مثالا يقال أيضـا لما لا تحس حرارته بـالفعل ولكن تحس بها بعد مماسة البدن الحيوانى والتأثر منه كالأدوية والأغذية الحارة ويسمى حارا بالقوة وكذا البارد يطلق على البارد بالفعل والبارد بالقوة.

ولهم فى معـرفـة الحار والبـارد بـالقوة طـريقـان التجربـة والقياس من الاستدلال باللون والطعم والرائحة وسرعة الانفعال مع استواء القوام أو قوته .

والثانى الأشبة بـالصواب أن الحرارة الغريـزية أى الطبيعية الملايمة [المـلائمة] للحيوة الموجودة فى أبـدان الحيوانات ويسميها أفلاطون بالنار الإلٰهية والحرارة الكوكبية والنارية أنواع متخالفة الماهية لاختلاف آثارها الدالة علىٰ اختلاف ملزوماتها فى الحقيقــة فإنــه يفعل حــر الشمس فى عيـن الأغشىٰ من المضرة مـا لا يفعل حر النـار والحرارة الغريـزية أشـد الأشياء مقاومة للحرارة النارية التى ليست غريزية بل غريبة فإن الحرارة النارية إذا حاولت إبطال المزاج الحيوانى قاومتها الغريزية أشد مقاومة حتىٰ إن السموم الحارة والبـاردة لا يدافعها إلا الغريزية وهذا مذهب أرسطو وقال جالينوس الغـريزية والنارية من نوع واحد فالغريـزية هى النارية واستفادت بالمـزاج مزاجا معتدلا حصل بـه القيام فإذا أرادت الحرارة أو البرودة تفـريقها عسـر عليها ذلك التفريق.

والفـرق بين الحـار الغريـزى والغـريب أن أحـدهما جـزء المركب والآخر خارج عنه مع كونهما متوافقين فى الماهية .

الثالث قـال ابن سينا : الحرارة تفـرق المختلفات وتجمع المتمـاثـلات والبرودة بـالعكس أى تجمع بين المتشـاكـلات وغيـرها أيضـا لأن الحـرارة فيها مصعـدة فإذا أثـرت فى جسم مـركب من أجزاء مختلفـة فى رقة القـوام وغلظه ينفعل الجـزء اللطيف الـرقيق منه انفعـالا أسرع من الكثيف الغليظ فيتبـادر الألطف فالألطف إلى الصعـود دون الكثيف فإنه لا ينفعل إلا ببطء . وربما لم تفد الحرارة فيـه خفة تقوى علىٰ تصعده فيلزم بهذا السبب تفريق المختلفات ثم تلك الأجزاء تجتمع بالطبع إلىٰ ما يجـانسها فإن الجنسيـة علة الضم كما اشتهـر والحرارة معدة للاجتماع الصادر عن طبائعها بعد زوال المانع الذى هو الالتيام [الالتئـام] فنسب الاجتماع إليها كمـا نسبت الأفعال إلىٰ معـداتها هـذا إذا لم يكن الالتيـام [الالتئام] بين بسـائط ذلك المركب شـديداً . وأما إذا اشتـد وقوى التركيب لا تفـرقها لوجـود المانع فإن كانت الأجزاء اللطيفـة والكثيفة فى الجسم متقـاربة فى الكميـة كما فى الـذهب أفـادته الحـرارة سيلانـا وذوبـانا وكلمـا حـاول اللطيف صعـوداً منعه الكثيف فحـدث بينهمـا تمانع وتجـاذب فيحـدث من ذلك حـركة دوران كمـا نشاهد فى الذهب من حركته السريعة العجيبة فى البوتقة ولولا هـذا العـائق لفـرقـه النـار، وإن غلب اللطيف جـدا فيصعـد ويستصحب معه الكثيف لقلته كالنوشادر فإنه إذا أشرفته النار تفرقه النار وإن غلب الكثيف جدا لم يتأثر فلا يذوب ولا يلين كالطلق فإنه يحتاج فى تليينه إلىٰ حيل ولذا قيل من حل الطلق فقد استغنىٰ عن الخلق .

تنبيه : الفعل الأولى للحرارة هو التصعيد والجمع والتفريق لازمان له ولذا قال ابن سينا فـى كتاب الحدود إنها كيفية فعلية أى تجعل محلها فاعلا لمثلها فيما يجاوره فإن النار تسخن ما جاورهـا محركة لما تكـون تلك الكيفية فيه إلىٰ فوق لإحـداثها الخفة فيحدث عن هذا التحريك أن تفرق الحرارة المختلفات وتجمع المتماثلات وتحدث تخلخلا من باب الكيف وتكاثفا من باب الوضع لتحليله الكثيف وتصعيده اللطيف وفعلها فى الماء إحالته إلى الهواء لا تفريق بين أجزاء المتماثلات وفعلها فى البَيْض إحـالتها فى القـوام لا جمع للأجزاء المختلفـة فإن

النار بحرارتها توجب غلظا فى قوام الصفرة والبياض وأما الانضمام بينهما فقد كان حاصلا قبل تأثير الحرارة فيهما .

الرابع الحركة تحدث الحرارة والتجربة تشهده وأنكره أبو البركات مستدلا بأنه حينئذ يجب أن تسخن الأفلاك سخونة شديدة وتسخن بمجاورتها العناصر الثلاثة فتصير كلها بالتدريج نارا . والجواب أن مواد الأفلاك لا تقبل السخونة أصلا ولا بد فى وجود الحرارة مع المقتضى الذى هو الحركة من وجود القابل ولا تسخن العناصر فإن النار متحركة بمشايعة الفلك دون باقى العناصر وليس سخونة النار توجب سخونة الباقى لأن برودة الطبقة الزمهريرية تقاومها هذا كله خلاصة ما فى شرح المواقف وشرح التجريد.

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٢٩٢، ٢٩٣) .

حراريق الأمراء:

زوارق يركبها الأمراء فى احتفال كسر الخليج عند وفاء النيل ويلعبون بها فى وسط امتداد النيل ويرمون بمدافع النفط على قدامها ويسير السلطان معهم فى حراقته حتى يصل إلى السد فيقطع بحضوره .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ــ محمد قنديل البقلى / ١٠٤، عن صبح الأعشى للقلقشندى ٤/ ٤٧، ٤٨) .

ابن حرازم (-٥٥٩هـ):

من صوفية المغرب الذين ذكرهم عبد الله التليدى فى كتابه وقال عنه :

سيدى على بن حرازم من علماء فاس الكبار وصوفيته المشاهير أدرك أواخر دولة المرابطين وشارك فى الموافقة على حادث إحراق إحياء علوم الدين للإمام الغزالى رضى الله تعالى عنه وعاش مع الموحدين وفى دولتهم نحوا من ثنتين وعشرين سنة .

اسمه الكامل أبو الحسن على بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حِرزهم بكسر الحاء وسكون الراء وكسر الزاى والهاء كذا ضبطه بعضهم وضبطه آخرون حرازم والأول أصح والثانى هو المشهور على الألسنة ترجمه التادلى وابن الخطيب وأحمد بابا والناصرى فى الاستقصا وابن جعفر فى السلوة .

واتفقوا على أنه ولد بفاس وبها نشأ وتلقى العلوم وأنه كان من كبار العلماء فقها وحديثا وحفظا له مشاركة فى شتى العلوم وكان عابدا زاهدا ورعا متصوفا متحققا به يعد من تلامذة القاضى أبى بكر بن العربى وسيدى على بوغالب المتقدم وعنه أخذ جامع الترمذى ويعد أيضا فى جملة شيوخ سيدى أبى مدين الغوث رضى الله تعالى عنه وأنه انتفع به كثيرا .

وكان سيدى على فى ابتداء أمره قد قرأ الإحياء فور دخولها للمغرب وجرد ما فيها من المسائيل [المسائل] المنتقدة على الغزالى ليرد عليه فيها ووافق على إحراق الكتاب بعض من أفتى بذلك فرأى عقب ذلك رؤيا هائلة تأثر بها تأثرًا عظيما وكانت السبب فى تصوفه ورجوعه عن رأيه وفتواه الجائيرة [الجائرة] توفى سنة ٥٥٩ ودفن خارج باب الفتوح من فاس والدعاء عند قبره مستجاب كما ذكره غير واحد وعند ضريحه اجتمع القطب سيدى عبد العزيز الدباغ بالخضر ولقنه الورد .

من مناقبه ذكر التادلى فى التشوف قال سمعت أبا عمران موسى بن يوسف يقول أدركت ابن حرزهم وأنا صغير ودعا لى وكان يقول لن أصوم مع الناس هذا الشهر المقبل يعنى رمضان وذكر عن أحمد بن عيسى الأنصارى أنه قال سمعت أبا الحسن غير مرة يقول أموت فى العام الفلانى وفى ذلك العام نفسه مات وقبل وفاته دخل الحمام وقال لخدمته لم يبق لكم من خدمتى إلا هذا اليوم فلما خرج منه أتى منزله فاستلقى على فراشه فلما جاء وقت صلاة العصر أتاه بعض تلامذته ليوقظه للصلاة فوجده ميتا وذكر أيضا عن رجل آواه المبيت إلى رابطة للعباد خارج فاس فلما كان من السحر قام والعباد ما بين ذاكر ومصل وباك فذهب ليتوضأ . فوجد أسدا فرجع هاربا مرعوبا وأخبر بذلك رجلا من أولائيك [أولئك] فتقدم إلى الأسد وفتل أذنيه وضربه بالقضيب وقال له ألم أقل لك لا تروع أصحابى ففر الأسد أمامه فلما رجع الرجل إلى فاس ذهب ليخبر أبا الحسن بما حصل له فلما دخل من باب المسجد ابتدأه أبو الحسن وذكر له ما وقع له ليلته ثم قال له : أقام يعنى يعنى العابد فى مكان خال لا يشاهد فيه فتنة وظن أنه جاء بشيء لو أقام بفاس يعاين المعاجر أو البراقع الزرق على الأعين البلق لعلم هل يصير أم لا .

(جاء فى هامش ١ ، ٢ ما يلى :

فى هذا بيان أن العبادة فى مواقع الفتن وبين المجتمعات

أعلى وأرقى منهـا من الفلـوات والخلـوات وأن مـن كـان بين المفاتن والمغريات وملك نفسه كان على منزلة عظيمة ومقام كبير عند الله عز وجل جعلنا الله منهم ووقـانا شر الفتن ما ظهر وما بطن .

المعاجر جمع معجر بكسر الميم وهو ما تشده المرأة على رأسها والبراقع جمع برقع بضم الباء والقـاف غطاء لوجه المرأة والأعين البلق هى السود فى بيض، ولا أدرى ماذا كان يقول لو شاهد عصرنا هذا وما ظهر فيه فاللهم حفظك) .

مـلاحظة الضـريح المنسوب إليـه بقبيلـة أنجرة بضـواحى طنجة ليس له و إنما هو كما يقال منـزل كان قد نزل به فاتخذه الناس مـزارة يتبركون بـه وقد وجدوا لـه بركـة ظاهرة ويفـد إليه الكثيرون للاستشفاء فيعافون بإذن الله تعالى ثم ببركة هذا الولى ولا سيما مـن عاهة العقـل والمصابين بـالجنون ومن المتـواتر الذى لا يمكن إنكاره أن كل من يكون مصابا بالجنون ويذهب لزيارة ذلك الموضع فبمجرد وصوله إلى ضواحيه يصير ويبكى ويفر هاربـا ويمتنع من القرب من المكان وقد شـاهدت ذلك بنفسى ورأيته من خـلائيق [خلائق] ولله فى خلقه شئـون وقد أخبـر بعض أهل الكشف بأن روحانيـة سيـدى على تأتى إلى ذلك الموضع المرة بعد المرة والله أعلم .

(المطرب بـذكر بعـض مشاهيـر أولياء المغـرب ـ عبـد الله التليدى . مطابع الشمال طنجة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨٠ م/ ٤٣ـ٤٦)

الحرازى (أبو العباس) (ـ ٦٨٩ هـ) :

ذكره الإمام أبو عبد الله الطيب فى علماء عدن وقال عنه :

أبـو العباس أحمـد بن محمـد بن عيسى الحرازى، كـان فقيها فاضـلا محققا عارفا بالأصـول والفروع وغلب عليه علم الكلام واشتهر به وله فيه مصنفات جيدة على مذهب الأشعرى وكـان غالب قـراءتـه على البيلقانى بعـدن واخـذ عنه طـريق التصوف أيضا، وعنـه أخذ جماعة من أهل زبيـد وتعز وكانت مسكنه ومستقره، توفى فى سنة ٦٨٩ .

(تاريخ ثغر عدن وتراجم علمائهـا للإمام أبى عبد الله الطيب ـ اعتنى بـه على حسن على عبد الحميـد « الحلبى الأثارى » دار الجيل ، بيـروت ودار عمار، عمان . الطبعة الثانية . ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧ م/ ٤٦، ٤٧) .

الحراسة فى سبيل الله تعالى :

عن أبى هـريرة رضى الله عنـه أن النبى ﷺ قال: « طـوبى لعبد أخذ بعنان فرسـه فى سبيل الله تعالى أشعث رأسه، مغبرة قدمـاه، إن كان فى الحراسـة كان فى الحراسـة ، وإن كان فى الساقة كان فى الساقة (ساقة الجيش مؤخره) ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع ح (صحيح البخارى ٣/ ٢٢٣) وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : عينـان لا تمسهمـا النـار : عيـن بكت من خشيـة الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله » (صحيح الترمذى ٧/ ١٣٨) . وعن النبى ﷺ قـال : « حرس ليلـة فى سبيل الله تعالى، خيـر من ألف ليلة صيام نهـارها ، وقيام ليلها (الجامع الصغير ١ / ١٤٧) أخرجه الحاكم النيسابـورى وقال حديث صحيح . وعن رسول الله ﷺ قال : « حُرِّمت عين على النار سهرت فى سبيل الله عز وجل » (سنن النسائى ٦/ ١٥ والجامع الصغير ١/ ١٤٧) .

(مستند الأجياد فى آلات الجهاد لابن جماعة الحموى ـ تحقيق وشرح أسامة ناصر النقشبندى/ ٥١، ٥٢) .

الحرافشة :

بنو حرفوش : أمراء حكموا بلاد بعلبك (لبنان) فى العهد العثمانى حالفوا الأمير فخـر الدين الثانى المعنى (القرن ١٧) نشبت الخـلافـات بين الحـرافشـة بعـد ١٨٦٠ وحكم عليهم السلطان بالنفى إلى رودس ، بعد أن أمر بشنق الأمير سعد فى بعلبك .

الحراق (ـ ١٢٦١ هـ) :

من الصوفية ، وهو محمد بن عبد الواحد العلمى الشاذلى الدرقـاوى، وشهرته الحـراق . له « ديـوان العلمى » سلك فيه طريقـة ابن الفارض، ويشتمل على تواشيح وأزجـال، وشرح «الصلاة المشيشيـة » نسبة إلى عبـد السلام بن مشيـش الذى أخذ عنه الشاذلى التصوف، ومن تـلاميذه ابن العربى الدلائى المتوفى سنـة ١٢٨٥ هـ ـ كتب ترجمتـه بـاسم « النور الـلامع البراق فى ترجمة محمد الحراق » . وكانت وفاة الحراق بتطوان سنة ١٢٦١ هـ .

(الموسوعة الصوفية ـ د . عبد المنعم الحفنى/ ١٢٢)

انظر : تطوان (م ٩/ ٥٠٢ـ٥٠٧) .

الحراقة:

جمعها حراريق وحرارق، وهى نوع من السفن الحربية الخفيفة، كانت تستخدم لحمل الأسلحة النارية، كالنار الإغريقية ، وكان بها مرام تلقى منها النيران على العدو.

وكان فى مصر نوع آخر من الحراقات استخدم فى النيل لحمل الأمراء ورجال الدولة فى الاستعراضات البحرية والحفلات الرسمية .

ومما يدل على ذلك أنه عندما شرع السلطان الظاهر بيبرس فى إحياء البحرية المصرية بعد إهمالها فى عهد سلفه من المماليك استدعى رجال الأسطول ، وكان الأمراء قد استعملوهم فى الحراريق وغيرها . واستدعى شوانى الثغور إلى مصر فبلغت زيادة على أربعين قطعة ، سوى الحراريق والطرائد فإنها كانت عدة كثيرة، وذلك فى شوال سنة ٦٦٩ هـ . وفى نص ذكره المقريزى « أنه فى سنة ٧٠٢ هـ أعد السلطان الناصر محمد بن قلاون حملة بحرية لغزو جزيرة أرواد (رودس) وجهزت الشوانى والسلاح والنفطية والأزودة، وزينت الشوانى أحسن زينة فخرج معظم الناس لرؤيتها . وعدى الأمراء فى الحراريق إلى الروضة .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٠٤ ، عن المواعظ والاعتبار للمقريزى ٢/ ١٩٤، ١٩٥، وبدائع الزهور لابن إياس ٤/ ١٥٢، وصبح الأعشى للقلقشندى ٣/ ٢٧٧) .

الحراقة السلطانية :

سفينة ويطلق عليها « الذهبية » يركبها السلطان فى احتفال كسر الخليج عند وفاء النيل وتزين بأنواع الزينة ، ولها رئيس يسمى رئيس الحراقة يحكم على رجالها ويتولى أمرها وكان فى عهد الفاطميين يسمى رئيس الخلافة .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ـ محمد قنديل البقلى / ١٠٤، عن صبح الأعشى للقلقشندى ٤/ ٤٧، ٥/ ٤٦٧)

انظر : حراريق الأمراء ، الحراقة .

الحرالى (-٦٣٨هـ-١٢٤١م) :

ذكره ابن قنفذ القسنطينى فى وفيات سنة ٦٣٧ ـ وهى رواية ثانية ـ وقال عنه :

وفى سنة سبع وثلاثين وستمائة توفى الشيخ الفقيه الصالح الولى أبو الحسن على بن أحمد الحرالى وله تأليف حسن فى الفرائض ا هـ .

وهو أبو الحسن على بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرالى التجيبى : فقيه مالكى، مفسر، له مشاركة فى علوم النحو والمنطق والكلام . ولد بمراكش، ورحل إلى المشرق فدخل مصر والحجاز ثم عاد واستوطن بجاية بالمغرب الأوسط . وعاد إلى المشرق مرة ثانية فأخرج من مصر، فتوجه إلى مدينة حماه (بسورية) فتوفى بها . من كتبه « مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل » فى التفسير، قال ابن حجر: «جعله قوانين كقوانين أصول الفقه » وقال الغبرينى : « سلك فيه مسلك البيان والإيضاح على نحو ما يقتضيه علم العربية وعلم تنقيح المعقول، وما يبقى وراء هذا سوى علم الأسباب التى عند النزول، وعند الحاجة إليها لا بد من ذكرها » .

أما الحافظ الذهبى فقال : « كان فلسفى التصوف، ملأ تفسيره بحقائقه ونتائج فكره وزعم أنه يستخرج من علم الحروف وقت خروج الدجال ووقت طلوع الشمس من المغرب» .

وقد علق المقرى على ذلك بقوله : « وكلام الذهبى فى الشيخ يرده كلام الغبرينى ، إذ هو أعرف به » .

وقال المقرى : صنف فى كثير من الفنون كالأصول والمنطق والطبيعيات والإلهيات . وقد أطال الغبرينى فى الثناء عليه وإيراد أخباره، وقال : ما من علم إلا له فيه تصنيف .

وله أيضا « الستر المكتوم فى مخاطبة النجوم » و« الإيمان التام بمحمد عليه السلام » و « المعقولات الأول » منطق، و«الوافى » فرائض ، و « تفهيم معانى الحروف » و الحرالى نسبة إلى حرالة قرية من أعمال مرسية بالأندلس ، وقد وردت نسبته فى بعض المصادر بلفظ الحرانى وهو تصحيف « توفى فى حماة (بسورية) (الأعلام ٤/ ٢٥٦، ٢٥٧) .

له ترجمة فى : « نفح الطيب » ٢ / ٣٧٧ ، و « لسان الميزان » ٤ / ٢٠٤ ، و « العبر » للذهبى ج ٥ ، وفيات سنة ٦٣٨هـ ، و « شذرات الذهب » ٥ / ١٨٩ ، ووفاته فيه كما

فى بعض المصادر الأخرى سنة ٦٣٧ هـ ، وهى رواية ثانية . و « هدية العارفين » ١ / ٧٠٧ ، و « التكملة » لابن الأبار / ٦٨٧ ، و « تاج العروس » ٧/ ٢٧٧ ، و « ميزان الاعتدال » ٢/ ٢١٨ (كتاب الوفيات/ ٣١٤ ، ٣١٥) .

(الأعلام للزركلى ٤/ ٢٥٦ ، ٢٥٧ وما جاء بهامش (١) من مصادر، وكتاب الوفيات لأبى العباس أحمد بن حسن بن على بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى - تحقيق عادل نويهض / ٣١٤ ، ٣١٥ ، وهامش ٣ للمحقق) .

الحرام :

الحِرْمُ ، بالكسر، والحرام : نقيض الحلال ، وجمعه حُرُم ... والحرام : ما حرم الله (اللسان ١٠/ ٨٤٤ ، ٨٤٥) .

وقد أورده الإمام الذهبى باعتباره الكبيرة الثامنة والعشرين من الكبائر السبعين التى أحصاها . وذلك تحت عنوان « أكل الحرام وتناوله على أى وجه كان » وهو ما ننقله فيما يلى :

قال الله عز وجل : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ [البقرة : ١٨٨] أى لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : يعنى باليمين الباطلة الكاذبة يقتطع بها الرجل مال أخيه بالباطل ، والأكل بالباطل على وجهين :

أحدهما : أن يكون على جهة الظلم نحو الغصب والخيانة والسرقة .

والثانى : على جهة الهزل واللعب كالذى يؤخذ فى القمار والملاهى ونحو ذلك . وفى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « إن رجالا يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » (من حديث خولة الأنصارية) وفى صحيح مسلم حين ذكر النبى ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء : يا رب ... يا رب ... ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك . وعن أنس رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ... ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة .

فقال ﷺ : « يا أنس ... أطب كسبك تجب دعوتك ، فإن الرجل ليرفع اللقمة من الحرام إلى فيه فلا يستجاب له دعوة أربعين يوما » .

(ذكره المنذرى فى ترغيبه من حديث ابن عباس وأن الذى طلب دعوة الرسول فى إجابة دعوته هو سعد بن أبى وقاص وعزاه إلى الطبرانى) وروى البيهقى بإسناده إلى رسول الله ﷺ قال : « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطى الدين إلا من يحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ، ولا يكسب عبد مالاً حراماً فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق منه فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن » (عزاه فى الترغيب إلى رواية أحمد من حديث ابن مسعود وقال : قد حسنها بعضهم)

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «الدنيا حلوة خضرة ، من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه فى حقه أثابه الله وأورثه جنته ، ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفقه فى غير حقه أدخله الله تعالى دار الهوان ورب متخوض فيما اشتهت نفسه من الحرام له النار يوم القيامة » (رواه البيهقى قاله المنذرى فى الترغيب) وجاء عنه ﷺ أنه قال : «من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أى باب أدخله النار » وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « لأن يجعل أحدكم فى فيه ترابا خير من أن يجعل فى فيه حراما » (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير محمود بن إسحاق وقد وثق قاله الهيثمى فى مجمعه، وقال المنذرى : إسناده جيد) .

وقد روى عن يوسف بن أسباط رحمه الله قال : إن الشاب إذا تعبد قال الشيطان لأعوانه : انظروا من أين مطعمه فإن كان مطعم سوء قال : دعوه يتعب ويجتهد فقد كفاكم نفسه .إن اجتهاده مع أكل الحرام لا ينفعه ، ويؤيد ذلك ما ثبت فى الصحيح من قوله ﷺ عن الرجل الذى مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك (يعنى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة وقد تقدم) .

وقد روى فى حديث : أن ملكا على بيت المقدس ينادى كل يوم وكل ليلة : من أكل حراما لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا. الصرف : النافلة ، والعدل : الفريضة ، وقال عبد الله ابن المبارك : لإن أرد درهما من شبهة أحب إلى من أن أتصدق

بمائة ألف ومائة . وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « من حج بمال حرام فقال : لبيك، قال ملك : لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك » (رواه الطبراني من حديث أبي هريرة وفي مسنده سليمان بن داود اليمامي ضعيف ... اهـ مجمع الزائد) .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم من حرام لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه » .

(من حديث ابن عمر وفي سنده هاشم لم يعرفه الهيثمي وأشار المنذري إلى ضعفه) .

وقال وهب بن الورد : لو قمت قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لا يقبل الله صلاة امرئ وفي جوفه حرام حتى يتوب إلى الله تعالى منه . وقال سفيان الثوري : من أنفق الحرام في الطاعة فهو كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهره إلا الماء . والذنب لا يكفره إلا الحلال . وقال عمر رضي الله عنه : كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام .

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « لا يدخل الجنة جسد غذي بالحرام » .

(حديث كعب بن عجرة رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه بلفظ : « لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا على سحت، النار أولى به » وما في الكتاب هنا لفظ حديث أبي بكر الصديق رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط والبيهقي وبعض أسانيدهم حسن، أفاده المنذري في ترغيبه) وعن زيد بن أرقم قال : كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج ـ أي قد كاتبه على مال ـ وكان يجيئه كل يوم بخراجه فيسأله : من أين أتيت بها ؟ فإن رضيه أكله وإلا تركه، قال : فجاءه ذات ليلة بطعام وكان أبو بكر صائما فأكل منه لقمة ونسى أن يسأله ثم قال له : من أين جئت بهذا ؟ فقال : كنت تكهنت لأناس بالجاهلية وما كنت أحسن الكهانة إلا أني خدعتهم ، فقال أبو بكر: أف لك ... كدت تهلكني . ثم أدخل يده في فيه فجعل يتقيأ ولا يخرج ، فقيل له : إنها لا تخرج إلا بالماء فدعا بماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى قاء كل شيء في بطنه فقيل له : يرحمك الله، كل هذا من أجل هذه اللقمة؟ فقال رضي الله عنه : لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به » فخشيت أن ينبت بذلك في جسدي من هذه اللقمة رواه البخاري من حديث عائشة بدون الزيادة في آخره من شرب الماء ... إلخ)

وقد تقدم قوله ﷺ : « لا يدخل الجنة جسد غذي بحرام » وإسناده صحيح، قال العلماء رحمهم الله : ويدخل في هذا الباب المكاس والخائن والزغلي والسارق والبطال وآكل الرشوة ومنقص الكيل والوزن ومن باع شيئا فيه عيب فغطاه والمقامر والساحر والمنجم والمصور والزانية والنائحة والعشرية والدلال إذا أخذ أجرته بغير إذن من البائع ومخبر المشتري بالزائد ومن باع حرا فأكل ثمنه .

فصل :

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يؤتى يوم القيامة بأناس معهم من الحسنات كأمثال جبل تهامة حتى إذا جيء بهم جعلها الله هباء منثورا ثم يقذف بهم في النار، فقيل : يا رسول الله ... كيف ذلك ؟ قال : كانوا يصلون ويصومون ويزكون ويحججون غير أنهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه فأحبط الله أعمالهم » (رواه الطبراني من حديث أبي أمامة الباهلي من حديث طويل في سنده كلثوم بن زياد وبكر بن سهل الدمياطي وكلاهما وثق وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح ... اهـ مجمع الزوائد) وعن بعض الصالحين أنه رؤي بعد موته في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : خيرا ... غير أني محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها . فنسأل الله تعالى العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى أنه جواد كريم رؤوف رحيم ا هـ (الكبائر / ٨٨ـ ٩٠) .

(لسان العرب لابن منظور ١٠ / ٨٤٤، ٨٤٥، والكبائر للإمام أبي عبد الله محمد شمس الدين الذهبي الدمشقي ـ نقحه وراجعه محمد الأنور أحمد البلتاجي ط الكليات الأزهرية / ٩٠ـ ٩٣، وط دار التراث العربي / ٨٨ـ ٩٠).

حرام :

قال الإمام النووى :

بالراء لا بالزاى مذكور فى باب صول الفحل من المختصر والمهـذب هـو أبـو سعد وقيل أبـو سعيـد حـرام بن سعـد بن محيصة بن مسعود بن كعب بن عامـر بن عدى بن مجدعة بن حارثة بالحاء بن الحارث الأنصارى الحارثى المدنى التابعى. ويقـال حرام بن سـاعدة ويقـال حرام بن محيصـة ينسب إلى جـده . روى عن البـراء بن عـازب . وروى عنه الـزهـرى قـال محمد بـن سعد كان ثقـة قليل الحديـث توفى بـالمدينـة سنة ثلاث عشرة ومائة وهو ابن سبعين سنة .

واعلم أنه قـد وقع فى المختصر والمهـذب عن حرام بن سعـد أن ناقـة للبـراء بن عـازب دخلت حائط قـوم فأفسـدت فقضى رسول الله ﷺ أن على أهل الأموال حفظ أموالهم بالنهار إلى آخره فجعلا الحديث مرسلا لأن حراما تابعى لم يدرك هذه القضيـة وهذا تغيير للحديـث والحديث متصل محفـوظ فى سنن أبى داود والنسائى وابن ماجه وآخرين عن حرام عن البراء أن ناقة له دخلت وذكر الحديث والله أعلم .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بـن شرف النووى ١ / ١٥٥) .

أم حرام بنت ملحان (- ٢٧ هـ / - ٦٤٧ م) :

أخت أم سليم، أسلمت وبـايعت رسول الله ﷺ . وكـان يقيل فى بيتها (الرياض المستطابة / ٣٢٧) وهى بنت ملحان ابن خـالد بن زيـد النجاريـة الأنصارية . صحـابية . كـانت تخرج مع الغزاة وتشهد الوقائع ، وحضرت فتح قبرص (الأعلام ٢ / ١٧٢) .

روت أم حـرام فى الصحيحين حـديثـا واحـدا هـو متفق عليه .

خرج عنها الأربعة غير الترمذى . روى عنها ابن أختها أنس ويعلى بن شـداد وغيرهـم . ماتت غـازيـة بقبرص مع زوجهـا عبادة بن الصامت، وذلك عام سبع وعشـرين . وظهر بموتها هناك معجـزة نبويـة وهى ما ثبت فى الصحـاح : عن أنس بن مالك عن أم حرام أنها قالت : بينا رسول الله ﷺ قائل فى بيتى إذ استيقظ وهو يضحك فسألته عن ضحكـه فقال : ناس من أمتى عرضـوا على غزاة فى سبيل الله ملوكـا على الأسرَّة أو مثل الملوك على الأسرة . ثم نام ثـانية واستيقظ وهو يضحك وقال مثلها : فقـالت أم حرام : يـا رسو ل الله ، ادع الله أن يجعلنى منهم .

فقـال : أنت من الأولين . فغزت مـع عبادة بن الصـامت وكان زوجها كما سبق القول ، فوقصتها بغلة لها شهباء فوقعت فماتت (أخرجاه فى الصحيحين) .

(الرياض المستطابة / ٣٢٧، ٣٢٨) .

دفنت فى جزيـرة قبرص . قال الزبيرى : ولهـا مقام عظيم بظاهـر الجزيرة، اجتـزت بها فى البحر عنـد توجهى إلى بيت المقـدس، وأخبرت أن على مقـامها أوقـافـا هائلـة وخدمـا، وينقلون لها كـرامات وقالت جريدة « البلاد » : قبـرها معروف إلى الآن فى جـزيـرة قبرص، بـاسم « قبـر المـرأة الصالحـة » (الأعلام ٢ / ١٧٢) .

(الـريـاض المستطـابـة للإمـام يحـيى بـن أبـى بكـر العـامرى اليمنـى / ٣٢٧ ٣٢٨ ، والأعـلام للـزركلـى ٢ / ١٧٢ عن الإصـابـة ٨ / ٢٢٢، وكشـف النقـاب ــ مخطوط ، وطبقـات ابـن سعـد ٨ / ٣١٨، والتـاج ٤ / ٢١١، وجـريـدة البـلاد (بجـدة) ٢٥ / ١ / ١٣٧٩ ، وصفـة الصفـوة للإمام ابن الجـوزى - ضبطهـا وكتب هوامشها إبراهيـم رمضان وسعيد اللحـام ٢ / ٤٩ وقد ورد الحديث فيه بزيادة فى ألفاظه) .

الحرامية (المقامة —) :

المقامة الثامنة والأربعون من مقامات الحريرى، والمقامة - كمـا سبق أن زكريـا فى مواضع مختلفـة - أسلـوب من النثر العربى القصصى المسجع . وننقل إليك هنا طرفًا منها ، وقال الحريرى إنها أول مقامـة أنشأها وكذلك قال الشيخ زين الدين العراقى . وإليك بعض ما جاء فى المقامة الحرامية :

روى الحارث بـن همام عن أبى زيـد السروجى قـال : ما زلت مذ رحلت عنسى وارتحلت عن عرسى وغرسى (العرس : الـزوجـة والغـرس : الأولاد) أحن إلى عيـان البصـرة ، حنين المظلوم إلى النصرة لما أجمع عليه أرباب الدراية، وأصحاب الروايـة من خصائص معـالمها وعلمـائها ، ومآثـر مشاهـدها

وشهدائها، وأسأل الله تعالى أن يوطئنى ثراها، لأفوز بمرآها، وأن يمطينى قراها، لأقترى قراها، فلما أحلنيها الحظ، وسرح لى فيها اللحظ .

رأيت بهـا مـا يمـلأ العين قـرة

ويسلى عن الأوطـان كل غـريب

فغلّست فى بعض الأيام حين نصل خضاب الظلام، وهتف أبو المنذر (أبو المنذر : كنية الديك) بالنوام، لأخطو فى خططها، وأقضى الوطر، من توسطها، فأدانى الاختراق فى مسالكها، والانصلات فى سككها، إلى محلة موسومة بالاحترام، منسوبة إلى بنى حرام، ذات مساجد مشهودة، وحياض مورودة، ومبان وثيقة، ومغان أنيقة، وخصائص أثيرة، ومزايا كثيرة :

بهـا مـا شئت من دين ودنيـا

وجيـران تنـافـوا فى المعـانى

فمشغـوف بـآيـات المثـانى

ومفتـون بـرنـات المثـانى

ومضطلـع بتلخيص المعـانى

ومطلـع إلى تخليص عـانى

وكم من قـارئ فيهـا وقـار

أضـرا بـالجفـون وبـالجفـان

وكم من معلم للعلم فيهـا

ونـاد للنـدى حلـو المجـانى

قال فبينما أنا أنفض طرقها، وأستشف رونقها، إذ لمحت عند دلوك براح، وإظلال الرواح مسجدا مشتهرا بطرائفه، مزدهرا بطوائفه، وقد أجرى أهله ذكر حروف البدل، وجروا فى حلبة الجدل، فعجت نحوهم، لأستمطر نوءهم، لا لأقتبس نحوهم، فلم يك إلا كقبسة العجلان، حتى ارتفعت الأصوات بالأذان، ثم ردف التأذين بروز الإمام، فأغمدت ظبى الكلام، وحلت الحبى (الحبى : السيف) للقيام، وشغلنا بالقنوت عن استمداد القوت، وبالسجود، عن استنزال الجود، ولما قضى الفرض، وكاد الجمع ينفض، انبرى من الجماعة، كهل حلو البراعة، له مع السمت الحسن، ذلاقة اللسن، وفصاحة الحسن، وقال يا جيرتى، الذين اصطفيتهم على أغصان شجرتى، وجعلت خطتهم دار هجرتى، واتخذتهم كرشى وعيبتى وأعددتهم لمحضرى وغيبتى، أما تعلمون أن لبوس الصدق أبهى الملابس الفاخرة، وأن فصوح الدنيا أهون من فصوح الآخرة، وأن الدين إمحاض النصيحة، والإرشاد عنوان العقيدة الصحيحة، وأن المستشار مؤتمن، والمسترشد بالنصح قمن، وأن أخاك هو الذى عذلك لا الذى عذرك ، وصديقك من صَدَقَك، لا من صَدَّقَك، فقال له الحاضرون أيها الخل الودود، والخدن المودود ما سر كلامك الملغز، وما شرح خطابك الموجز، وما الذى تبغيه منا لينجز، فوالذى حبانا بمحبتك، وجعلنا من صفوة أحبتك، ما نألوك نصحا، ولا ندخر عنك نَصحا، فقال جزيتم خيرا، ووقيتم ضيرا فإنكم ممن لا يشقى بهم جليس، ولا يصدر عنهم تلبيس، ولا يخيب فيهم مظنون، ولا يطوى دونهم مكنون، وسأبثكم ما حاك فى صدرى، وأستفتيكم فيما عيل فيه صبرى اعلموا أنى كنت عند صلود الزند، وصدود الجد، أخلصت مع الله نية العقد وأعطيته صفقة العهد على أن لا أسبأ مداما، ولا أعاقر ندامى ولا أحتسى قهوة ولا أكتسى نشوة فسولت لى النفس المضلة، والشهوة المذلة المزلة، أن نادمت الأبطال وعاطيت الأرطال وأضعت الوقار وارتضعت العقار وامتطيت مطا الكميت وتناسيت التوبة تناسى الميت ثم لم أقنع بهاتيكم المرة فى طاعة أبى مرة (« أبو مرة » كنية إبليس) ، حتى عكفت على الخندريس (من أسماء الخمر) فى يوم الخميس، وبت صريع الصهباء فى الليلة الغراء وها أنا بادى الكآبة ، لرفض الإنابة، نامى الندامة، لوصل المدامة، شديد الإشفاق، من نقض الميثاق ، معترف بالإسراف فى عب السلاف .

فيـا قـوم هـل كفـارة تعـرفـونهـا

تبـاعـد من ذنبى وتـدنى إلى ربى ... إلخ

(المقامات الأدبية لأبى محمد القاسم بن على الحريرى البصرى ط مصطفى البابى الحلبى/ ٤٠٨ـ ٤١٣) .

حُرَان:

قال يا قوت :

حران : بالضم، وتخفيف الراء : سكة معروفة بأصبهان، ويروى بتشديد الراء أيضا؛ نسب إليها قوم، منهم عبد المنعم ابن نصر بن يعقوب بن أحمد بن على المقرى أبو المطهر بن أبى أحمد الحرانى الجوبارى الشامكانى من أهل أصبهان من سكة حران من محلة جوبار، وشامكان من قرى نيسابور، وكان شيخا صالحا من المعمرين من أهل الخير، سمع جده لأمه أبا طاهر أحمد بن محمود الثقفى، سمع منه أبو سعد، وكانت ولادته فى سنة ٤٥١، ومات فى رجب سنة ٥٣٥ .

وأبو الشكر حمد بن أبى الفتح بن أبى بكر الحرانى الأصبهانى، شيخ صالح، سمع أبا العباس أحمد بن محمد ابن الحسين الخياط وأبا القاسم عبد الرحمن بن أبى عبد الله ابن منده وأبا المظفر محمود بن جعفر الكوسج وغيرهم، قال السمعانى : كتبت عنه بأصبهان، وبها توفى فى رجب سنة ٥٤٣ . (معجم البلدان ٢/ ٢٣٦) .

حَرّان:

قال عنها ياقوت :

حران : بتشديد الراء، وآخره نون، يجوز أن يكون فعالاً من حرن الفرس إذا لم ينقد، ويجوز أن يكون فعلان من الحر، يقال : رجل حران أى عطشان، وأصله من الحر، وامرأة حرى، وهو حران يران، والنسبة إليها حرنانى، بعد الراء الساكنة نون على غير قياس، كما قالوا : منانى فى النسبة إلى مانى والقياس مانوى وحرّانى والعامة عليهما؛ قال بطليموس : طول حران اثنتان وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها سبع وعشرون درجة وثلاثون دقيقة، وهى فى الإقليم الرابع، طالعها القوس ولها شركة فى العواء تسع درج ولها النسر الواقع كله ولها بنات نعش كلها تحت ثلاث عشرة درجة من السرطان يقابلها مثلها من الجدى، بيت ملكها مثلها من الحمل بيت عاقبتها مثلها من الميزان ؛ وقال أبو عون فى زيجه : طول حران سبع وسبعون درجة، وعرضها سبع وثلاثون درجة؛ وهى مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهى قصبة ديار مضر، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، وهى على طريق الموصل والشام والروم ، قيل : سميت بهاران أخى إبراهيم، عليه السلام، لأنه أول من بناها فعرّبت فقيل حرّان، وذكر قوم أنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان، وكانت منازل الصابئة وهم الحرانيون الذين يذكرهم أصحاب كتب الملل والنحل؛ وقال المفسرون فى قوله تعالى : ﴿ إنى مهاجر إلى ربى ﴾ [العنكبوت : ٢٦] إنه أراد حران؛ وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ ونجيناه ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين ﴾ [الأنبياء : ٧١] هى حران؛ وقول سديف بن ميمون :

قد كنت أحسبنى جلداً، فضعضعنى
قبر بحران فيه عصمة الدين

يريد إبراهيم ابن الإمام محمد بن على بن عبد الله بن عباس، وكان مروان بن محمد حبسه بحران حتى مات بها بعد شهرين فى الطاعون، وقيل : بل قتل، وذلك فى سنة ٢٣٢ .

حدثنى أبو الحسن على بن محمد بن أحمد السرخسى النحوى قال : حدثنى ابن النبيه الشاعر المصرى قال : مررت مع الملك الأشرف بن العادل بن أيوب فى يوم شديد الحر بظاهر حران على مقابرها ولها أهداف طوال على حجارة كأنها الرجال القيام ، وقال لى الأشرف : بأى شىء تشبه هذه ؟ فقلت ارتجالاً :

هواء حرانكم غليظ،
مكدر مفرط الحرارهْ
كأن أجداثها جحيم،
وقودها الناس والحجارهْ

وفتحت فى أيام عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، على يد عياض بن غنم نزل عليها قبل الرها فخرج إليه مقدموها فقالوا له : ليس بنا امتناع عليكم ولكنا نسألكم أن تمضوا إلى الرها فمهما دخل فيه أهل الرها فعلينا مثله، فأجابهم عياض إلى ذلك ونزل على الرها وصالحهم، كما نذكره فى الرها، فصالح أهل حران على مثاله .

وينسب إليها جماعة كثيرة من أهل العلم، ولها تاريخ،

منهم : أبـو الحسن على بن عـلان بن عبد الـرحمن الحـرانى الحـافظ ، صنف تـاريخ الجـزيـرة ، وروى عـن أبى يعلى الـموصلى وأبى بكر محمـد بن أحمـد بن شيبـة البغـدادى وأبـى بكـر محمد بن على الباغنـدى ومحمد بن جـرير وأبى القاسم البغـوى وأبى عروبة الحـرانى وغيرهم كثيـر، روى عنه تمام بن محمد الدمشقى وأبو عبد الله بن منده وأبو الطبير عبد الرحمن بن عبد العزيز وغيـرهم ، وتوفى يوم عيد الأضحى سنة ٣٥٥، وكان حافظا ثقة نبيلاً .

وأبـو عـروبـة الحسن بن محمـد بن أبى معشـر الحـرانى الحافظ الإمام صـاحب تاريخ الجزيرة ، مـات فى ذى الحجة سنـة ٣١٨ عن ست وتسعين سنـة ؛ وغيـرهمـا كثيـر. وحـران أيضـا : من قـرى حلب . وحـران الكبـرى وحـران الصغـرى : قريتان بالبحرين لبنى عـامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيـز بن أفصى بن عبد القيس. وحران أيضا : قـرية بغوطة دمشق .

(معجم البلدان ٢/ ٢٣٥، ٢٣٦) .

وقد ذكرهـا ابن جبير فى رحلته وقال عنهـا يصفها ويصف أهلها وآثارها وجامعها الكبير:

بلد لا حسن لديه ولا ظل يتوسـط برديه قد اشتق من اسمه هواؤه فلا يألف البـرد ماؤه ولا تزال تتقد بلفح الهجير سـاحاته وأرجاؤه لا تجد فيـه مقيلا ولا تنفس منه إلا نفسا ثقيـلا قد نبذ بالعراء ووضع فى وسط الصحـراء فعدم رونق الحضارة وتعرف أعطافه من مـلابس التضارى أستغفر الله كفى بهذا البلـد شرفا وفضلا أنها البلدة العتيقة المنسوبة لأبينا إبراهيم ﷺ وله بقبليها بنحو ثلاثـة فراسخ مشهد مبارك فيه عين جاريـة كان مأوى له ولسارة صلوات الله عليهمـا ومتعبدا لهما ببركة هـذه النسبة قد جعل الله هـذه البلـدة مقـرًّا . للصالحيـن المتزهـدين ومثابـة للسائحين المتبتلين لقينا من أفرادهم الشيخ أبا البركات حيان ابن عبد العـزيز حذاء مسجـده المنسوب إليه وهـو يسكن منه فى زاوية بنـاها فى قبلته . وتتصـل بها فى آخر الجـانب زاوية لابنه عمـر قد التزمهـا وأشبه طريقـة أبيه فما ظلم وتعـرفت منه شنشنة أعرفهـا من أخزم فوصلنا إلى الشيخ وهـو قد نيف على الثمانين فصافحنا ودعا لنا وأمرنا بلقاء ابنه عمر المذكور فملنا إليه ولقينـاه ودعا لنـا ثم ودعناهمـا وانصرفنـا مسروريـن بلقاء رجلين من رجال الآخرة ولقينا أيضا بمسجد عتيق الشيخ الزاهد سلمة فلقينـا رجلا من الزهـاد الأفراد فـدعا لنا وسألنـا وودعناه وانصرفنا وبالبلد سلمة آخر يعرف بالمكشوف الرأس لا يغطى رأسه تواضعـا لله عز وجل حتى عرف بذلك ووصلنـا إلى منزله فأعلمنـا أنه خـرج للبرية سـائحا وبهـذه البلدة كثيـر من أهل الخير وأهلهـا هينون معتدلون محبـون للغرباء مؤثـرون للفقراء وأهل هذه البلاد من الموصل لديار بكر وديار ربيعة إلى الشام على هذه السبيل من حب الغـربـاء وإكرام الفقراء وأهل قـراها كذلك فمـا يحتاج الفقراء الصعـاليك معهم زادا لهم فى ذلك مقـاصد فى الكـرم مأثـورة وشأن أهل هـذه الجهات فى هـذا السبيل عجيب والله ينفعهم بما هم عليه وأما عبادهم وزهادهـم والسـائحون فى الجبـال منهم فأكثـر من أن يقيدهم الإحصـاء والله ينفع المسلمين ببركاتهم وصالح دعواتهم بمنه وكرمه .

ولهـذه البلدة المـذكـورة أسـواق حفيلة الانتظـام عجيبـة الترتيب مسقفة كلهـا بالخشب فلا يزال أهلهـا فى ظل ممدود فتختـرقهـا كأنك تختـرق دارا كبيرة الشـوارع قـد بنى عنـد كل ملتقى أربع سكك أسواق منها قبة عظيمة مرفوعة فشاهدنا من حسن بناء هذا الجامع وحسن ترتيب أسـواقه المتصلة به مرأى عجيبا قل ما يوجد فى المدن مثل انتظامه .

ولهذه البلـدة مدرسـة ومارستـان وهى بلـدة كبيرة وسـورها متين حصين مبنى بالحجارة المنحوتة المرصوص بعضها على بعض فى نهـاية من القـوة وكذلك بنيـان الجامع المكـرم ولها قلعة حصينة مما يلى الجهة الشـرقية منها منقطعة عنها بفضاء واسع بينهما ومنقطعة أيضا عن سورها بحفير عظيم يستدير بها قد شيدت حـافاته بالحجارة المركـومة فجاء فى نهاية الـوثاقة والقوة وسـور القلعة وثيق الحصـانة ولهـذه البلدة نهيـر مجراه بالجهة الشرقية أيضا منها بين سورها وجبانتها ومصبه من عين هى على بعد من البلد .

والبلـد كثيـر الخلـق واسع الـرزق حـاصل البـركـة كثيـر المساجد جم المرافق على أحفل ما يكون من المدن وصاحبه

مظفر الدين بن زين الدين وطاعته إلى صلاح الدين وهذه البلاد كلها من الموصل إلى نصيبين إلى الفرات المعروفة بدار ربيعة وحده من نصيبين إلى الفرات مع ما يلى الجنوب من الطريق وديار بكر التى تليها فى الجانب الجوفى كآمد وميافارقين وغيرها مما يطول ذكره ليس فى ملوكها من يناهض صلاح الدين فهم إلى طاعته وإن كانوا مستبدين وفضله يبقى عليهم ولو شاء نزع الملك منهم لفعله بمشيئة الله فكان نزولنا ظاهر البلد بشرقيه على نهيره المذكور وأقمنا مريحين يوم الإثنين ويوم الثلاثاء بعده وأثر الظهر منه كان اجتماعنا بسلمة المكشوف الرأس الذى فاتنا لقاؤه يوم الإثنين فلقيناه بمسجده فرأينا رجلا عليه سيما الصالحين وسمت المحبين مع طلاقة وبشر وكرم لقاء وبر فآنسنا ودعا لنا وودعناه وانصرفنا حامدين لله عز وجل على ما من به علينا من لقاء أوليائه الصالحين وعباده المقربين (رحلة ابن جبير/ ١٨٨ـ١٩١) .

والجامع الكبير بحران الذى وصفه ابن جبير وأوردناه أعلاه قد وصفه أيضا وصفا مفصلا العالم الأثرى ك. كريزويل مما نقله لك فيما يلى وقد جاء تحت عنوان « المسجد الكبير فى حران » :

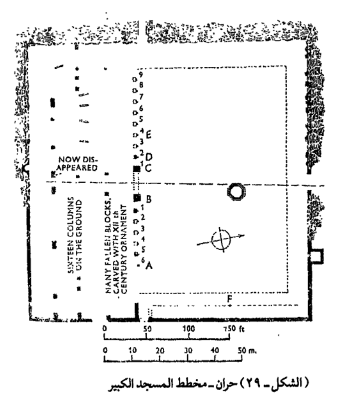
الوصف :

مسجد حران الكبير، مستطيل، مساحته ١٠٠ م٢ تقريبا، مبنى من الأحجار المربعة المنحوتة بمداميك، متوسط ارتفاعها ٣٧ سم . وأفضل جزء محفوظ منه هو الجدار الشرقى الذى نجد النصف الشرقى منه سليماً، تقريباً، ما عدا فجوة فى الوسط بطول ٦ أمتار تقريبا . والقسم الأخير منه قدره ٩,٤٢ مترا منحرف إلى الغرب مقدار ٦٠ سم . وهناك مدخل مهيب شمال واجهة الحرم مباشرة، كما فى دمشق . اختفى الجدار الغربى تقريبا، ولكن يبدو أنه كان هناك مدخل فى هذا الجانب مقابل للمدخل المذكور ، لأنه بالإمكان رؤية آثار جدارين متوازيين يبعدان عن بعضهما ٢,٧٥ مترا، يؤديان إلى هذه النقطة .

وقد بقيت عدة مداميك من النصف الشرقى من الجدار الشمالى كما بقيت فتحة المدخل الشمالى أيضا المتوضعة فى المنتصف تقريبا (شكل ـ ٢٩) .

ويوجد فى منتصف المسافة بينه وبين الزاوية الشمالية الشرقية عمود المئذنة المربع الطويل، الذى يبلغ قطره الخارجى ٥,٣ مترا وسطيا وقطره الداخلى ٣,٨٣ مترا .

وفى الصحن حوض مثمن محيطه الإجمالى ٦,١ مترا . يقول بروسر أن محيطه المثمن يحمل علامات قواعد الأعمدة الواضحة وقطع عديدة من الأعمدة (التى كان غرضها حمل القبة) ملقاة بالقرب منها .



(الشكل ـ ٢٩) حران ـ مخطط المسجد الكبير

وهذا كله يعززه ابن جبير الذى يقول عن المسجد (ابن جبير، الرحلة/ ١٩٠) .

« وهو عتيق مجدد قد جاء فى غاية الحسن، وله صحن كبير فيه ثلاث قباب مرتفعة على سوار رخام، وتحت كل قبة بئر عذبة، وفى الصحن أيضا قبة زابعة عظيمة قد قامت على عشر سوار من الرخام دور كل سارية تسعة أشبار وفى وسط القبة عمود من الرخام عظيم الجرم دوره خمسة عشر شبرا .

وهـذه القبـة من بنيـان الـروم ، وأعلاهـا مجـوف كأنـه البـرج المشيد، يقال : إنه كان مخزنا لعدتهم الحربية » .

وهكذا نجد أنهـا لم تكن مجرد قبة فوق أعمـدة، بل غرفة كروية فوق أعمدة . بل هو فى الحقيقة بيت مال مثل مثيله فى دمشق .

قالت المؤلفة : أوردنا صورة لقبة بيت المال فى مادة «بيت المال» م ٨/ ١٠٦، وصورة أخرى فى مـادة «الجامع الأموى بدمشق» م ١١/ ٤٧١ فانظر أيًّا منهما فى موضعها .

الحرم :

واضح من تفحص الوجـه الداخلى للجـدار الشرقى، أن الحـرم تألف من أربعة أروقـة، تمتـد من الشرق إلى الغـرب، ولكن كل مـا تبقى منـه الآن هـو عـدد من العضـائد ولا يـزال عموداه قـائمين مع عشرة أعمدة ملقـاة على الأرض. والقوس الوحيد الذى لا يـزال قائما هو القوس المركـزى الكبير للرواق الذى يلى الصحن. هـذا الرواق يمكن إعـادة تصميمه بفضل وصف ابن جبير له (ص ١٩٠) :

« والجـامع المكـرم سقف بجـوائز الخشب والحنـايـا، وخشبه عظـام طوال لسعـة البلاط وسعته ضمـن خمس عشرة خطوة، وهـو خمسة أبلطـة ما رأينا جامعـا أوسع حنايـا منه، وجداره المتصل بـالصحن الذى عليه المدخل إليـه مفتح كله أبوابـا، عددها تسعـة عشر بابـا : تسعة يمينا، وتسعـة شمالاً والتـاسع عشر منهـا بـاب عظيم وسط هذه الأبـواب، يمسك قـوسـه من أعلى الجـدار إلـى أسفلـه، يمنى المنظـر جميل الوضع، كأنه باب من أبواب المدن الكبار ولهذه الأبواب كلها أغلاق من الخشب بـديع الصنعة والنقش، فتنطق عليهـا شبه أبواب مجالس القصور » .

ولنحاول الآن إعادة تصميم الواجهة . فالقوس المركزى من النـوع المدبب، وذو منحن خـارجى متدرج . إنـه يرتكـز على عضـادتين عظيمتين، ويبلغ باعه ٨,٣٢ مترا وإلى الغرب منه عضادة أصغر D ملتصق بها تاج ولكن العمود العائد لها مرمى على الأرض. والوجه الخلفى لهـذه العضادة على خط واحد مع الوجه الخلفى للقوس الكبيـر. وإلى الغرب من العضادةD يوجد عمودE من الحجر الكلسى الزهـرى اللون والمسافة من الجانب الغربى للعضادةD إلى مركـز العمود تبلغ ٧,٣٢ مترا أى أن المسافة بين المركزين ٨,٠٢ مترا. والوجه الخلفى لهذا العمود على خط واحـد من الوجه الأمـامى للعضادة D لذلك فإنـه بكل تأكيـد يخص عضادة مشـابهـة اختفت كما أنـه من الواضح أنه كـان بكل تأكيد يخص عضادة مشـابهةبينها وبين العضـادة D وإذا أدخلنـا عضـادة أخـرى بعـرض ١,٤ متـرا نحصل على فتحتين كل منهمـا بعـرض ٢,٦١ متـرا، وهى المسافة التى نـريدها بالضبط ولو أدخلنـا العضادات الأخرى تبعا لذلك ، فإننا نجد أن هناك مكانا لتسعة أقواس بين القوس الكبير للاتصال بالـرواق الغربى، ويمكن إعادة نفس العملية فى الجانب الآخر وبهذا نحصل على أقواس ابن جبير التسعة عشر .

وكل فتحة من هذه الفتحات الثمـان عشرة الجانبية، كان يعلوها قوسان ، أحدهما يرتكز على العضائد، وآخر أكبر منها يرتكز على الأعمدة المتصلة. وهذه الأقواس الأخيرة كانت من نـوع يميل إلى حـدوة الفـرس قليـلا وتشكل إطـارا لـلأقـواس الأولى .

أمـا بخصـوص داخل الحرم فإننـى عاجـز عن تقـديم أى اقتراح لإعـادة تصميم له ، لأن الشذوذ هنـا غريب، لا يمكن تعليلـه . ويبـدو أن دعـائم الأروقـة المختلفـة لم تتـوافق مع بعضها، كما يبدو ، أنه لم يكن هناك نفس العدد من الأعمدة بين العضـائد المختلفة . وبـالإضافـة إلى ذلك فى حين يبلغ باع القوس المركـزى فى الواجهة ٨,٣٢ أمتـار فإن باع القوس التالى هو ٦ أمتار ، وبـاع القوس المركزى فى الصف الخلفى هو ٣,٣أمتار فقط . كمـا أن محور المحراب يبعد ٥ أمتار إلى غرب المركز. والتنقيب وحـده هو الذى يقرر الشكل الحقيقى للمحراب .

التاريخ :

تفحص الواجهة الغـربية يجعل المرء يفكر بـوضوح تام : علينا أن نتعامل مع فترتين على الأقل لأن هناك انقطاعًا كاملاً بالتـوصيل بين القسم الثانى والثـالث وارتفاع قاعـدة الجملون الحجرى إلى اليمين يصل إلى أكثر من ارتفاعه إلى اليسار.

ثانياً: الأقواس التى شكلت واجهة الحرم فى يوم من الأيام متوضعة فى حالتين تماما، كما سقطت واجهتها إلى الأمام فوق الأرض. ولكن الأحجار فى حالات أخرى تتوضع على جانبها أما الزخرفة فهى من طراز لا يمكن أن يكون أقدم من القرن الثانى عشر، لأن هنالك قطعا عديدة تحمل أجزاء من الكتابة بالخط النسخى، تعلوها حافة من الزخرفة المؤلفة من الخطوط المتشابكة على شكل قطع صغيرة، لا يمكن أن تكون أقدم من القرن الثانى عشر لأنه لا يعرف سوى نقش نسخى واحد قبل عام ١١٠٠م، أخيرا، رأى ساخو نقشا على يمين المدخل الشرقى باسم صلاح الدين. الذى كان فى حران فى الأعوام ١١٨٣ و ١١٨٦. ولكن بما أن ابن جبير رأى المسجد بعد إتمامه فى عام ١١٨٤ فعلى المرء أن يستنتج أنه أمر ببنائه فى عام ١١٨٣ على الأرجح.

كانت حران مشهورة بأنها مدينة الصابئين وقد اعتبر المسلمون الأوائل أهل المدينة وثنيين.

وأننى أشك كثيرا فى أن الوليد الأول أو أى خليفة آخر قبل مروان الثانى، قد فكر فى بناء مسجد هناك. ولكن الأخير هو آخر خليفة أموى (٧٤٤ ـ ٧٥٠ م) اتخذ من حران عاصمة له، ولا بد أن الحاجة لمسجد جامع هناك أصبحت ملحة. ولذلك فإنى أنسب أقدم جزء من المسجد له.

الأصول المعمارية :

إن المسجد الكبير فى حران ـ مثل كل الأوابد الأموية ـ يظهر خليطا من المؤثرات. فعمارته مأخوذة من شمال ما بين النهرين التى تشكل وحدة مع سورية الشمالية ... وأعمدته ذات المنحنى الخارجى المتدرج تعتبر امتدادا للتقاليد الكلاسيكية. ولكن مخططه المربع يتبع مخطط أقدم مساجد العراق. أما بالنسبة للواجهة المطلة على الصحن ذات الأعمدة المتصلة بالواجهات الأمامية للعضائد فإنها تذكر فورا عمل الإيناليديون فى المسجد الكبير فى ديار بكر بين عامى ٥١٠ و ٥٥٩ هـ (١١١٦ ـ ١١٦٤).

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٢/ ٢٣٥، ٢٣٦، ورحلة ابن جبير لأبى الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنانى ط عبد الحميد أحمد حنفى / ١٨٨ ــ ١٩١، والآثار الإسلامية الأولى، تأليف ك. كريزويل ـ نقله إلى العربية عبد الهادى عبلة، استخرج نصوصه وعلق عليه أحمد غسان سبانو / ٢٠٥ ـ ٢١٠).

حران (بيمارستان ـ) :

ذكر أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الرحالة المغربى فى رحلته إلى المشرق حوالى سنة ٥٨٠ هـ أن ببلدة حران مدرسة وبيمارستانا.

انظر : حران.

الحرب:

الحرب : المقاتَلة ونقيض السِّلم مؤنثة وقد تذكَّر؛ فمن التأنيث قوله تعالى فى سورة محمد عليه الصلاة والسلام : ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منًّا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها﴾ [محمد : ٤] (أى أثقالها) ومن التذكير على معنى القتال قول الشاعر :

وهو إذا الحرب هفا عقابه
كره اللقاء تلتظى حرابُه

وتصغير حرب (حُرَيْب) على كل حال بدون هاء لئلا تلتبس بمصغر حربة التى هى كالرمح كما فى القاموس وشارحه تاج العروس وغيرهما : (الرسالة الرشادية / ٢٠).

ويفرد ابن الأجدابى الطرابلسى فى كتابه « كفاية المتحفظ » بابا فى أسماء الحرب، وهو من الأمثلة العديدة التى تبرز ثراء اللغة العربية فى مفرداتها. وهذه هى :

الهيجاء : الحرب وهى تمد وتقصر.

الوغى : ضجة الحرب.

الرحى : معظمها.

المعركة : والمعترك، موضع القتال وكذلك :

المأْقِطُ : موضع القتال أو المضيق فى الحرب.

المأزق : المأزق المضيق. موضع الحرب ج مآزق.

حومة القتال : معظمه.

الملحمة : الوقعة العظيمة.

الغارة الشعواء : التى تأتى من كل الجهات .

الهرج : الفتنة والاختلاط وقد يسمى القتل هرجا .

الرهج : غبار الحرب وهو :

القَسْطَل : الغبار الساطع .

العجاج : الغبار إذا ثورته الريح .

النقع : الغبار الساطع المرتفع .

العثير : التراب : العجاج الساطع وهو العثيرة .

المصاع : الجلاد بالسيوف .

المداعسة : المطاعنة .

الوخض : الطعن فى الجوف . وخضه وخضا : طعنه بالرمح طعنًا جائفا أو غير جائف، أو غير مبالغ فيه .

الغموس : الطعنة النافذة . الغموس من الأيمان : التى تغمس صاحبها فى الإثم ثم فى النار. ومن الأمر: الشديد الغامس فى الشدة (كفاية المتحفظ/ ٥٣، ٥٤) .

ومن الناحية اللغوية أيضا نجد الثعالبى يفرد فصلا فى ترتيب العساكر عن أبى بكر الخوارزمى عن ابن خالويه يقول فيه : أقل العساكر الجريدة وهى قطعة جردت من سائرها لوجه . ثم السرية : وهى من خمسين إلى أربعمائة . ثم الكتيبة : وهى من أربعمائة إلى الألف . ثم الجيش وهو من الألف إلى أربعة آلاف . وكذلك الفيلق والجحفل ثم الخميس وهو من أربعة آلاف إلى اثنى عشر ألفا . والعسكر يجمعها .

ثم يقول الثعالبى فى فصل فى تقسيم نعوت الكثرة عليها من الأئمة والبلغاء والشعراء : كتيبة رجراجة . جيش لَجِب . عسكر جرار. جَحْفل لُهام . خميس عَرَمْرَم .

ثم يقول فى فصل فى سياقة نعوتها فى شدة الشوكة والكثرة عن الأصمعى : كتيبة شهباء إذا كانت بيضاء من الحديد، وخضراء إذا كانت سوداء من صدأ الحديد، ومُلملمة إذا كانت مجتمعة، ورمَّازة إذا كانت تموج من نواحيها، ورجْرَاجة إذا كانت تمخض ولا تكاد تسير، وجرارة إذا كانت لا تقدر على السير إلا رويدا من كثرتها (فقه اللغة/ ١٤٣، ١٤٤) .

قالت العرب : الحرب غشوم، لأنها تنال غير الجانى .

وقال الكميت :

النـاس فى الحـرب شتى وهى مقبلة

ويستـوون إذا مـا أدبـر القبل

كل بأمسيها طب موليـة

والعالمون بذى غدويها قُلُلُ

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لعمرو بن معد يكرب :

أخبرنى عن الحرب . قال : مرة المذاق إذا قلصت عن ساق، من صبر فيها عرف ومن ضعف عنها تلف .

كان يزيد بن عمر بن هبيرة يحب أن يضع من نصر بن سيار فكان لا يمده بالرجال ولا يرفع ما يرد عليه من أخبار خراسان، فلما كثر ذلك على نصر قال :

أرى خلل الرماد وميض جمر

ويوشك أن يكون له ضرام

فإن النار بالعودين تذكى

وإن الحرب أولها الكلام

فإن لم يطفها عقلاء قوم

يكون وقودها جثث وهام

فقلت من التعجب ليت شعرى

أأيقاظ أمية أم نيام

ونحو قوله : « الحرب أولها الكلام » قول حذيفة بن اليمان : إن الفتنة تلقح بالنجوى وتنتج بالشكوى .

العتبى عن أبيه قال : قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لابنه الحسن : يا بنى لا تدعون أحدا إلى البراز، ولا يدعونك أحد إليه إلا أجبته فإنه بغى (من كتاب عيون الأخبار/ ٧٩ ـ ٨١) .

ويفرد العلامة عبد الرحمن بن خلدون فصلا مسهبا من فصول مقدمته، وهو الفصل السابع والثلاثون يبحث فيه عن منشأ الحروب ويفصل مذاهب الأمم فى ترتيبها، كما يناقش فيه أسباب الغلبة والظفر وذلك تحت عنوان « فى الحروب ومذاهب الأمم وترتيبها » :

يبدأ ابن خلدون فصل الحروب ومذاهب الأمم فى ترتيبها

ببيان أصل الحروب، فيقول إنها إرادة انتقام بعض البشر من بعض، ويتعصب لكل منها أهل عصبته فإذا تنافروا لذلك وتضادت الطائفتان، إحداهما تطلب الانتقام والأخرى تدافع، كانت الحرب، وهو أمر طبيعي في البشر، لا تخلو منه أمة ولا جيل .

وينتقل ابن خلدون إلى ذكر أسباب الحروب، ويرجعها إلى أربعة أسباب:

الأول : يجرى عادة بين القبائل المجاورة والعشائر المتناحرة .

الثانى : العدوان الذى توجهه الأمم الوحشية الساكنة بالقفار، كالعرب والترك والأكراد وأشباههم ضد من يجاورهم بقصد القتل والنهب .

الثالث : هو الذى يعرف فى الشريعة الإسلامية بالجهاد .

الرابع : حروب الدول ضد الخارجين عليها والذين لا يطيعونها ويعتبر ابن خلدون النوعين الأخيرين حروب جهاد وعدل. ويهمنا هنا ما يتناوله ابن خلدون بعد ذلك عن كيفية تنفيذ الحروب، فنجده يقسم الأساليب إلى نوعين أساسيين، فيذكر: وصفه الحروب الواقعة بين أهل الخليقة منذ أول وجودهم على نوعين :

(أ) نوع بالزحف صفوفًا .

(ب) نوع بالكر والفر .

أما النوع الذى بالزحف، فهو قتال العجم كلهم على تعاقب الأجيال، وأما الذى بالكر والفر، فهو قتال العرب والبربر من أهل المغرب. ثم يوازن ابن خلدون بين هذين النوعين من الأساليب، ويبين رجحان قتال الزحف صفوفًا على قتال الكر والفر، ويشرح أسباب هذا قائلا :

ـ قتال الزحف أوثق وأشد من قتال الكر و الفر ذلك لأن قتال الزحف ترتد فيه الصفوف وتسوى، كما تسوى صفوف الصلاة، ويسيرون بصفوفهم إلى العدو قدما، فلذلك تكون أثبت عند القتال وأرهب للعدو.

وبعد ذلك، يؤيد حكمه بما ورد فى القرآن الكريم قائلا:

﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾ أى يشد بعضهم بعضا بالثبات .

وبعد ذلك يوضح ابن خلدون كيفية تنفيذ قتال الكر والفر، فيقول :

وأما قتال الكر والفر، فليس فيه من الشدة والأمن من الهزيمة ما فى قتال الزحف، إلا أنهم قد يتخذون خلفهم فى القتال مصاف ثابتا، يلجئون إليه فى الكر والفر، ويقوم لهم مقام الزحف .

ثم يوضح علامتنا كيفية ترتيب الجنود فى الحروب (وعرفت بالتعبئة فيما بعد) (انظر مادة « التعبئة فى العسكرية الإسلامية » فى م ٩/ ٥٣٧ـ ٥٤٩ من هذه الموسوعة) ويبين أسباب هذا الترتيب وأهدافه :

إن الدول القديمة (كاليونان والرومان) الكثيرة الجنود المتسعة الممالك، كانوا يقسمون الجنود أقساما يسمونها كراديس. ويسوون فى كل كردوس صفوفه، وسبب ذلك، أنه لما كثرت جنودهم استدعى ذلك أن يجهل بعضهم بعضا إذا اختلطوا خلال القتال واعتوروا مع عدوهم الطعن والضرب ، فيخشى من تدافعهم فيما بينهم وجهل بعضهم بعضا، فلذلك كانوا يقسمون العساكر جموعا ويضمون المتعارفين بعضهم لبعض، ويرتبونها قريبا من الترتيب الطبيعى، ورئيس العساكر جميعا ـ من سلطان أو قائد ـ فى القلب ـ ويسمون هذا الترتيب التعبئة، وقد ذكرت التعبئة فى أخبار فارس والروم وصدر الإسلام. ويجعلون بين يدى الملك عسكرا منفردا بصفوفه متميزا بقائده ورايته وشعاره، يسمونه المقدمة، ثم عسكرا آخر من ناحية اليمين عن موقف الملك وعلى سمته، ويسمونه الميمنة، وعسكرا آخر من ناحية اليسار، يسمونه بالميسرة، ثم عسكرا آخر من خلف العسكر، يسمونه الساقة، ويقف الملك وأعوانه فى القلب بين هذه الأربعة ويسمونه موقفه القلب، فإذا تم هذا الترتيب المحكم، إما فى مدى واحد للبصر أو على مسافة بعيدة، فحينئذ يكون الزحف من بعد هذه التعبئة .

ثم يذكر ابن خلدون بعد ذلك أن هذا الترتيب أهمل بعد ذلك لأسباب أهمها ضعف الإشراف على الحفاظ على تماسك الترتيب .

وبعـد الانتهاء من بحث التعبئة، ينتقل ابن خلـدون إلى طريقة ضرب المصاف وراء العسكر. وهذا الأسلوب يلجأ إليه فى كلا النوعين من الحرب، أى فى حرب الزحف بالصفوف، وحـرب الكر والفـر، ويقصـد تقويـة النفـوس، وشد العـزائم وزيادة الثقة خلال القتـال ... ويتألف هذا المصاف عند أهل الكر والفر من الشعوب البدوية من إبلهم والظهر الذى يحمل طعامهم ، ويتألف عند أهل الزحف بالصف من الفيلة أو من سرير الملك. ثم وضح ابن خلدون كل نوع على حدة، وذكر بهذه المناسبة ما حدث فى معـركة القادسية حينما لجأ الفرس إلى اتخاذ الفيلـة ونصب السرير فى آن واحـد... وانتهى الأمر بهزيمة الفرس .

ويـوضح ابن خلدون استخـدام العـرب فى فجر الإسـلام أسلوب الزحف صفا فيقول :

« كانت الحرب أول الإسلام كلهـا زحفا، وكان العرب إنما يعـرفـون الكـر والفـر، وحملهم على ذلك (أى على اختيـار أسلـوب الحرب زحفـا) أمران : أحـدهما أن أعـداءهم كانـوا يقاتلون زحفا ، فيضطرون إلى مقاتلتهم بمثل قتالهم .

وثانيهما أنهم كانوا مستميتين فـى جهادهم ، لما رغبوا فيه من الصبر، ولما رسخ فيهم من الإيمان .

ثم نعلم من ابن خلـدون أن أسلـوب الصف فى الحـروب أهمل فيمـا بعد حينما أبطلـه مروان بن محمـد بن الحكم فى قتال الضحاك الخارجى والجبيرى بعده .

ثم ينتقل ابن خلـدون إلى الكـلام على فـوائد الخنـادق وغاياتها فيقول :

كـان من مذاهب الأول فى حـروبهم حفـر الخنادق حـول معسكرهم عندمـا يتقاربون للزحف حـذرا من البيات (القتال الليلى) والهجـوم على العسكـر بـالليل لمـا فى الظلمـة ووحشيتها من مضاعفـة الخوف فيلوذ الجيش بالفـرار، فكانوا لـذلك يحفرون الخنـادق حول معسكـرهم ويـديرونهـا نطاقـا عليهم من جميع جهـاتهم حـرصـا من أن يخـالطهم العـدو بالبيات فيتخاذلوا .

وبهذه المنـاسبة يشيـر ابن خلدون إلـى ما جاء فـى وصية الخليفـة على رضى الله عنه وتحـريضه لأصحـابه يـوم معركـة صفين، ففيهـا كثير من علم الحـرب ولم يكن أحد أبصـر بها منـه قال : « سـووا صفوفكم كـالبنيـان المرصـوص، وقدِّمـوا الدارع وأخروا الحاسر وعضُّوا على الأضراس فإنه أنبى للسيوف عن الهام، والتووا على أطـراف الرماح، فإنه أصـون للأسنة ، وغضوا الأبصـار فإنه أربط للجأ ش وأسكن للقلـوب، واخفتوا الأصوات فإنه أطـرد للفشل وأولى بالوقار، وأقيمـوا راياتكم فلا تميلوها ولا تجعلوها إلا بأيـدى شجعانكم واستعينوا بالصدق والصبر فإنه بقدر الصبر ينزل النصر » .

وقال الأشتر يـومئذ يحرض الأزد : عضوا على النـواجذ من الأضراس، واستقبلوا القـوم بهامكم وشدوا شدة قـوم موتورين يثأرون بآبـائهم وإخوانهم حناقـا على عدوهم وقـد وطنوا على الموت أنفسهم لئلا يسبقوا بوتر ولا يلحقهم فى الدنيا عار .

وقد أشار إلى كثير من ذلك أبو بكر الصيرفى شاعر لمتونة وأهل الأندلس فى كلمة يمدح بها تاشفين بن على بن يوسف ويصف ثباته فى حـرب شهـدها ويـذكـره بأمور الحـرب فى وصايـا تحذيرات تنبهك على معـرفة كثير من سياسـة الحرب يقول فيها :

يـــــا أيهـــــا المـــــلأ الـــــذى يتقنـع
مـن منكـم الملـك الهمـــــــــــام الأروع

ومن الـــــذى غـــدر العـــدو بـــه دجى
فـــانفـض كـل وهـــو لا يتـــزعـــزع

تمضى الفـــوارس والطعـــان يصـــدهـــا
عنـــه ويـــدمـــرهـــا الـــوفـــاء فتـــرجع

والليـل مـن وضـح التـــــرائك إنـــــه
صبـح علـى هـــــام الجيـــــوش يلمـع

أنـى فـــزعتـم يـــا بنـى صنهـــاجـــة
وإليكـم فى الـــروع كـــان المفـــزع

إنســـــان عيـن لـم يصبهـــــا منكـم
حضـن وقلـب أسلمتـــــــه الأضلـع

وصددتم عن تاشفين وإنه
لعقابه لو شاء فيكم موضع
ما أنتم إلا أسود خفية
كل لكل كريهة مستطلع
يا تاشفين أقم لجيشك عذره
بالليل والعذر الذى لا يدفع

ومنها فى سياسة الحرب

أهديك من أدب السياسة ما به
كانت ملوك الفرس قبلك تولع
لا إننى أدرى بها لكنها
ذكرى تحض المؤمنين وتنفع
والبس من الحلق المضاعفة التى
وصى بها صنع الصنائع تبع
والهندوانى الرقيق فإنه
أمضى على حد الدلاص وأقطع
واركب من الخيل السوابق عدة
حُصْنًا حَصينا ليس فيه مدفعُ
خَندقْ عليك إذا ضربت محلّةً
سيَّان تتبع ظافرا أو تُتْبع
والواد لا تعبره وانزل عندهُ
بين العدو وبين جيشك يقطعُ
واجعل مناجزة الجيوش عشية
ووراءك الصدق الذى هو أمنع
وإذا تضايقت الجيوشُ بمعرك
ضنك فأطراف الرماحِ توسعُ
وأصدمه أول وهله لا تكترث
شيئا فإظهارُ النكول يضعضعُ
واجعل من الطلاع أهل شهامة
للصدق فيهم شيمة لا تخدع
لا تسمع الكذاب جاءك مرجفا
لا رأى للكذاب فيما يصنع

قوله * واصدمه أول وهلة لا تكترث * البيت مخالف لما عليه الناس فى أمر الحرب فقد قال عمر لأبى عبيد بن مسعود الثقفى لما ولاه حرب فارس والعراق فقال له اسمع وأطع من أصحاب النبى ﷺ وأشركهم فى الأمر ولا تجيبن مسرعا حتى تتبين فإنها الحرب ولا يصلح لها إلا الرجل المكيث الذى يعرف الفرصة والكف .

وقال له فى أخرى إنه لن يمنعنى أن أؤمر سليطا إلا سرعته فى الحرب وفى التسرع فى الحرب إلا عن بيان ضياع والله لولا ذلك لأمرته لكن الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث هذا كلام عمر وهو شاهد بأن التثاقل فى الحرب أولى : من الخفوف حتى يتبين حال تلك الحرب وذلك عكس ما قاله الصيرفى إلا أن يريد أن الصدم بعد البيان فله وجه والله تعالى أعلم .

ثم يقول ابن خلدون عن أسباب الظفر والنصر فى الحرب :

ولا وثوق فى الحرب بالظفر وإن حصلت أسبابه من العدة والعديد وإنما الظفر فيها والغلب من قبيل البحث والاتفاق وبيان ذلك أن أسباب الغلب فى الأكثر مجتمعة من أمور ظاهرة وهى الجيوش ووفورها وكمال الأسلحة واستجادتها وكثرة الشجعان وترتيب المصاف .

ومنه صدق القتال وما جرى مجرى ذلك ومن أمور خفية وهى إما من خداع البشر وحيلهم فى الإرجاف والتشانيع التى يقع بها التخذيل وفى التقدم إلى الأماكن المرتفعة ليكون الحرب من أعلى فيتوهم المنخفض لذلك وفى الكمون فى الغياض ومطمئن الأرض والتوارى بالكدى حول العدو حتى يتداولهم العسكر دفعة وقد تورطوا فيتلممون إلى النجاة وأمثال ذلك .

وإما أن تكون تلك الأسباب الخفية أمورا سماوية لا قدرة للبشر على اكتسابها تلقى فى القلوب فيستولى الرهب عليهم لأجلها فتختل مراكزهم فتقع الهزيمة وأكثر ما تقع الهزائم عن

هذه الأسباب الخفية لكثرة ما يعتمل لكل واحد من الفريقين فيها حرصا على الغلب فلا بد من وقوع التأثير فى ذلك لأحدهما ضرورة ولذلك قال ﷺ الحرب خدعة ومن أمثال العرب رب حيلة أنفع من قبيلة فقد تبين أو وقع الغلب فى الحروب غالبا عن أسباب خفية غير ظاهرة ووقوع الأشياء عن الأسباب الخفية هو معنى البخت فاعتبره وتفهم من وقوع الغلب عن الأمور السماوية كما شرحناه معنى قوله ﷺ نصرت بالرعب مسيرة شهر وما وقع من غلبه للمشركين فى حياته بالعدد القليل وغلب المسلمين من بعده كذلك فى الفتوحات فإن الله سبحانه وتعالى تكفل لنبيه بإلقاء الرعب فى قلوب الكافرين حتى يستولى على قلوبهم فينهزموا معجزة لرسوله ﷺ فكان الرعب فى قلوبهم سببا للهزائم فى الفتوحات الإسلامية كلها إلا أنه خفى عن العيون .

وقد ذكر الطرطوشى أن من أسباب الغلب فى الحرب أن تفضل عدة الفرسان المشاهير من الشجعان فى أحد الجانبين على عدتهم فى الجانب الآخر مثل أن يكون أحد الجانبين فيه عشرة أو عشرين من الشجعان المشاهير وفى الجانب الآخر ثمانية أو ستة عشر فالجانب الزائد ولو بواحد يكون له الغلب وأعاد فى ذلك وأبدى وهو راجع إلى الأسباب الظاهرة التى قدمنا وليس بصحيح وإنما الصحيح المعتبر فى الغلب حال العصبية أن يكون فى أحد الجانبين عصبية واحدة جامعة لكلهم وفى الجانب الآخر عصائب متعددة لأن العصائب إذا كانت متعددة يقع بينها من التخاذل ما يقع فى الوحدان المتفرقين الفاقدين للعصبية تنزّل كل عصابة منهم منزلة الواحد ويكون الجانب الذى عصابته متعددة لا يقاوم الجانب الذى عصبته واحدة لأجل ذلك فتفهمه واعلم أنه أصح فى الاعتبار مما ذهب إليه الطرطوشى ولم يحمله على ذلك إلا نسيان شأن العصبية فى حلة وبلدة وأنهم إنما يرون ذلك الدفاع والحماية والمطالبة إلى الوحدان والجماعة الناشئة عنهم لا يعتبرون فى ذلك عصبية ولا نسبا وقد بينا ذلك أول الكتاب مع أن هذا وأمثاله على تقدير صحته إنما هو من الأسباب الظاهرة مثل اتفاق الجيش فى العدة وصدق القتال وكثرة الأسلحة وما أشبهها فكيف يجعل ذلك كفيلا بالغلب ونحن قد قررنا لك الآن أن شيئا منها لا يعارض الأسباب الخفية من الحيل والخداع ولا الأمور السماوية من الرعب والخذلان الإلهى فافهمه وتفهم أحوال الكون والله مقدر الليل والنهار .

ويلحق بمعنى الغلب فى الحروب وأن أسبابه خفية وغير طبيعية حال الشهرة والصيت فقل أن تصادف موضعها فى أحد من طبقات الناس من الملوك والعلماء والصالحين والمتحلين للفضائل على العموم وكثير ممن اشتهر بالشر وهو بخلافه وكثير ممن تجاوزت عنه الشهرة وهو أحق بها وأهلها وقد تصادف موضعها وتكون طبقا على صاحبها والسبب فى ذلك أن الشهرة والصيت إنما هما بالإخبار والإخبار يدخلها الذهول عن المقاصد عند التناقل، ويدخلها التعصب والتشييع ويدخلها الأوهام، ويدخلها الجهل بمطابقة الحكايات للأحوال لخفائها بالتلبيس والتصنع أو لجهل الناقل، ويدخلها التقرب لأصحاب التجلة والمراتب الدنيوية بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك والنفوس مولعة بحب الثناء والناس متطاولون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة وليسوا من الأكثر براغبين فى الفضائل ولا منافسين فى أهلها وأين مطابقة الحق مع هذه كلها فتختل الشهرة عن أسباب خفية من هذه وتكون غير مطابقة وكل ما حصل بسبب خفى فهو الذى يعبر عنه بالبخت كما تقرر والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق (مقدمة ابن خلدون / ٢٧٠ ـ ٢٧٩) .

(الرسالة الرشادية فيما يجوز تذكيره وتأنيثه معا فى العربية ـ الشيخ محمد رشاد عبد الظاهر خليفة / ٢٠ ، وكفاية المتحفظ وغاية المتلفظ فى اللغة لابن الأجدابى الطرابلسى ـ تحقيق عبد الرزاق الهلالى / ٥٣ ، ٥٤ ، وفقه اللغة وأسرار العربية لأبى منصور الثعالبى / ١٤٣ ، ١٤٤ ، ومن كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة . ط وزارة الثقافة والإرشاد القومى . دمشق/ ٧٩، ٨٠ ، والحرب عند العرب ـ د . عبد الرحمن زكى . كتابك (٨٨) دار المعارف ١٩٧٧ م / ٢٣ ـ ٢٧ ، ٣١ ، ومقدمة ابن خلدون / ٢٧٥ ـ ٢٧٩ انظر أيضا لسان العرب لابن منظور ١٠ / ٨١٥ ، ٨١٦، والمفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١١٢) .

انظر : الحروب الإسلامية .

حرب:

قال ياقوت :

حَرْبٌ : بالفتح ثم السكون ، وباء موحدة : بلدة بين ينبم وبيشة على طريق حاج صنعاء ، ويقال أيضا بنات حرب وباب حرب ببغداد : محلة تجاور قبر أحمد بن حنبل ، رضى الله عنه ؛ ينسب إليها حربى .

(معجم البلدان ٢/ ٢٣٦) .

حرب البسوس :

من مخطوطات التاريخ فى المتحف العراقى

الرقم ١٤٥٩٧/ ٣

لم يعلم اسم المؤلف

الأول : (عن محمد بن إسحاق يرفعه إلى غير واحد من العلماء قالوا كان نزار بن معد بن عدنان لما حضرته الوفاة ...)

وهو كتاب فى أخبار العرب فى الجاهلية والحروب التى كانت تقع بين بكر وتغلب .

نسخة نفيسة كتبت بخط جيد مذهبة الأول مؤطرة الصفحات كتبت فى بغداد مدينة السلام سنة ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م .

القياس ١٢٦ ص ٢٥×١٥ سم ٢٦ س

طبع فى الهند سنة ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧ م بعنوان حرب بكر وتغلب معجم ٢٠٠٤ .

توجد نسخة أخرى :

الرقم ٢٧٨٧٠

تقع ضمن مجموع كتب سنة ١٢١١ هـ / ١٧٩٦ م .

القياس ١٤٨ ص ٢٤×١٥ سم ٢٥ س

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٥٤) .

حرب بنى شيبان مع كسرى وخبر الخرقة بنت النعمان :

من مخطوطات التاريخ فى مكتبة المتحف العراقى

الرقم ١٤٥٩٧/ ٤

لم يعلم اسم المؤلف

الأول : (حدثنا بشر بن مروان الأزدى ، حدثنا ذؤيب بن نافع القيمى قال كان النعمان بن المنذر ...) .

نسخة جيدة كتبت بخط جيد فى بغداد مدينة السلام سنة ١٢١٣ هـ ١٧٩٨ م .

القياس ٢٧ ص ٢٥×١٥ سم ٢٧ س

طبعت فى الهند سنة ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧ م معجم ٢٠٠٤ .

توجد نسخة أخرى :

الرقم ٢٧٨٧٠/ ٤

كتبت بقلم جيد سنة ١٢١١ هـ / ١٧٩٦ م .

القياس ٩٠ ص ٢٤×١٥ سم ٢٥ س

ونسخة ثالثة :

الرقم ١١٣٢٧

كتبها عبد الرزاق فليح البغدادى سنة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٧ م .

القياس ١٢٥ ص ٢٥×١٦,٥ سم ١٧ س

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى - أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٥٥) .

حرب صفين :

من مخطوطات التاريخ فى مكتبة المتحف العراقى

ورد منها فى الفهرس مخطوطان : الأول برقم تسلسلى ٢٨٨ أ ، ومنه نسخة برقم تسلسلى ٢٨٨ ب ، والثانى برقم تسلسلى ٢٨٩ وبيان كل منهما كما يلى :

٢٨٨ـ حرب صفين

الرقم ١٤٣٠

لأبى الفضل نصر بن مزاحم المنقرى العطار الكوفى المتوفى سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م .

الأول (أخبرنا الشيخ الحافظ شيخ الإسلام أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك ...) .

وهو كتاب فى واقعة صفين بين الإمام على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان .

نسخة جيدة حديثة الخط .

القياس ٦٦٥ص ٢١,٥×١٥سم ١٨س

طبعت بإيران سنة ١٣٠١ هـ/ ١٨٨٣ م وطبعة ترجمتها الفارسية الذريعة ١٥/ ٥٢ـ ٥٣ .

وطبع فى مصر بتحقيق عبد السلام هارون .

٢٨٨ـ ب نسخة أخرى :

الرقم : ٩٣١٧

كتبها بخط النسخ الجيد محمد الطالقانى سنة ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م

القياس ٣٤١ص ٢١,٥×١٣,٥سم ٢١س

٢٨٩ـ حرب صفين

الرقم ٢٢٢٧٩

لم يعلم اسم المؤلف

ينقل المؤلف فى هذا الكتاب معلومات وأخبار من الواقدى وأبى منصور بن شهردار بن شهرويه الديلمى وعن أبى البقاء هبة الله بن ناصر وعن مؤلف كتاب صفين الكبير ولعله يقصد أبى عبد الله محمد بن زكريا بن ديار مولى بنى غلاب البصرى المتوفى سنة ٢٩٨هـ/ ٩١٠م.

نسخة حديثة الخط ناقصة الأول والآخر.

القياس ٣٥٠ص ١٨×١١,٥سم ١٥س

الذريعة ١٥/ ٥٢

(مخطوطات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس/ ١٥٦، ١٥٧)

الحرباء:

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى علم الحيوان. ذكره الشيخ كمال الدين الدميرى فقال عنه : الحرباء : كنيته أبو خجادب وأبو الزنديق وأبو الشقيق وأبو قادم، ويقال جمل اليهود . قال الإمام القزوينى فى كتاب عجائب المخلوقات : لما كان الحرباء خُلِق بطىء النهضة، وكان لا بد له من القوت خلقه الله على صورة عجيبة، فخلق عينيه تدور إلى كل جهة من الجهات حتى يدرك صيده من غير حركة فى يديه ولا قصد إليه، ويبقى كأنه جامد، أو كأنه ليس من الحيوان . ثم أعطى مع السكون خاصية أخرى وهو أنه يتشكل بلون الشجرة التى يكون عليها حتى يكاد يختلط لونه بلونها ، ثم إذا قرب منه ما يصطاده من ذباب وغيره أخرج لسانه، ويخطف ذلك بسرعة كلحوق البرق، ثم يعود إلى حاله كأنه جزء من الشجرة وخلق الله لسانه بخلاف المعتاد ليلحق ما بعُد عنه بثلاثة أشبار ونحوها يصطاد به على هذه المسافة . وإذا رأى ما يروعه ويخوفه تشكل وتلون على هيئة وشكل يفر منه كل من يريده من الجوارح ويكرهه بسبب ذلك التلون انتهى .

والحرباء أكبر من العظامة ، وهى تستقبل الشمس وتدور معها كيفما دارت وتتلون بحر الشمس كما قال الإمام الغزالى ألوانا مختلفة، فتتلون إلى حمرة وصفرة وخضرة وما شاءت وهو ذكر « أم حبين » والجمع الحرابى والأنثى حرباء . قال رجل : خاصمت ابن أخى إلى معاوية فجعلت أحجه فقال أنت كما قال الشاعر :

إنى أتيح له حرباء تنضبة
لا يرسل الساق إلا ممسكا ساقا

أراد بالساق هنا الغصن من أغصان الشجرة ، والمعنى أنه لا تنقض له حجة حتى يتمسك بأخرى تشبيها بالحرباء . قال الجوهرى : ويقال حرباء تنضب كما يقال ذئب غضى، والتنضب شجر يتخذ منه السهام والتاء زائدة لأنه ليس فى الكلام فعلل ، وفى الكلام تفعل مثل تقتل وتخرج الواحدة تنضبة ، ويقال لها أيضا حرباء الظهيرة ...

ولسان هذا الحيوان طويل جدا مقدار ذراع ، وذلك دليل على أنه يكون مطويا فى حلقه ، وهو يبلغ به ما بَعُدَ عنه من الذباب ، والأنثى من هذا النوع تسمى « أم حبين » .

وقد سمى أبو النجم فى بعض شعره الحرباء بالشقى وليس الشقى باسم للحرباء وإنما سماه به لاستقباله الشمس . كذا ذكره فى المحكم فى العين والنون والباء . وهذا الحيوان يوصف بالحزم لأنه مع تقلبه مع الشمس لا يرسل يده من غصن حتى يمسك غيره . وهو يشبه رأس العجل وعلى هيئة السمكة الصغيرة ، وله أربعة أرجل . وذكر الشيخ جمال الدين ابن هشام فى شرح « بانت سعاد » أن للحرباء سناماً كسنام البعير، وأنه يتلون ألوانا ، ويكنى أبا قرة، وهى تتلون بلون

الشجرة التى تكون عليها حتى تختلط بلونها ، فإذا قرب منها الذباب ونحوه اختطفته بلسانها .

الحكم : قال فى الروضة إنها نوع من الوزغ غير مأكولة ، لكن مقتضى ما قاله الجاحظ والجوهرى من أنها ذكر « أم حبين » أنها تؤكل لأن « أم حبين » مأكولة . لكن قالوا إن الحرباء، من ذوات السموم فيكون هذا علة تحريمها لا إنها نوع من الوزغ .

الأمثال : قالوا « فلان يتلون تلون الرحباء » ، يضرب لمن لا يثبت على حالة . وقالوا « أجود من عين الحرباء » ، و«أحزم من الحرباء » لما تقدم ، والحزم الاحتراس والنظر فى الأمر قبل الإقدام عليه .

الخواص : دمها إذا نتف الشعر الثابت فى أجفان العين وجعل فى أصوله لم ينبت أبدا، ومرارتها إذا اكتحل بها أزالت غشاوة البصر. وشحمها إذا جعل على حديدة وأحرق بالنار وخلط بالدم مع شئ يسير من الماء، وجدد عليه الدم والشحم وطليت به قروح الرأس والأبثار فإنها يبرئها من أول طلية .

التعبير : الحرباء فى المنام وزير ملك أو خليفته لا يكاد يفارقه لأنها تدور أبدا مع الشمس ولا تفارقها كما تقدم ، وربما دلت على الخدمة للسلطان أو الفتنة فى الدين، أو المرأة المجوسية وربما دلت على الحرب والندب على الميت والله أعلم .

(حياة الحيوان الكبرى للشيخ كمال الدين الدميرى ١ / ٢١٠، ٢١١ انظر أيضا عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٢٩١، ٢٩٢) .

الحربى(١٩٨ـ ٢٨٥هـ/ ٨١٥ـ ٨٩٨) :

- إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله بن ديسم أبو إسحاق الحربى. والحربى بفتح الحاء : منسوب إلى الحربية، وهى محلة كبيرة ببغداد .

وهو العالم الكامل ، الفاضل ، اللغوى ، المحدث . ولد فى سنة ثمان وتسعين ومائة .

روى عن العالم الجم من العلماء، وروى عنه من الأدباء أبو بكر بن الأنبارى النحوى، و أبو عمر الزاهد صاحب ثعلب .

وكان إماما فى العلم، رأسا فى الزهد، عارفا بالفقه، بصير بالأحكام، حافظا للحديث، قيما بالأدب، جمَّاعا للغة . وصنف كتبا كثيرة؛ منها : « غريب الحديث » ، وهو أجل كتاب، وأكبر ما صنف فى هذا النوع .

وكان أصله من مرو. قال : أمى تغلبية، وكان أخوالى نصارى أكثرهم . وصحبت قوما من الكرخ على الحديث ـ وعندهم ما جاز قنطرة العتيقة من الحربية (العتيقة : محلة ببغداد إلى الجانب الغربى منها) فسمونى « الحربى » بذلك (أى لطلب الحديث . وعبارة ابن الجوزى فى صفة الصفوة : «وكان يقول: صحبت قوما من الكرخ فى طلب الحديث ، فسمونى الحربى ») .

وورث أموالا كثيرة، فأنفقها على طلب الحديث. ومن زهده أنه ما احتفل فى ملبسه ولا فى مأكله يوما قط، ولا شكا مرضا يجده إلى أحد من أهله . وأقام سنين ينظر بفرد عين، وما أعلم أحدا بذلك، وأفنى من عمره ثلاثين سنة لا يأكل سوى رغيفين؛ إن جاءته أمه وأخته بهما، وإلا بات جوعان. واقتنع ثلاثين أخرى برغيف فى كل يوم، إن جاءه أكل، وإلا بات جوعان، وربما مشى قطعة من زمانه بنصف رغيف وأربع عشرة تمرة .

وغابت امرأته عنه عند بنته زائرة لمرضها، فكانت مؤنته فى الشهر بدرهم ودانقين ونصف. واشترى صابونا، ودخل الحمام بدانقين، فقامت نفقة الشهر ـ وهو رمضان ـ بدرهم وأربعة دوانق [ونصف] (الدانق ـ بكسر النون ـ سدس الدرهم) .

وقال : ما كنا نعرف من هذه الصباغ شيئا سوى باذنجانة مشوية، أو لعيقة بن (اللعيقة : تصغير لعقة، بفتح اللام ، وهى الشىء القليل، والبن بالكسر: الشحم) أو باقة فجل . وما تروح بمروحة قط، ولا روح، ولا أكل من شىء واحد فى يوم مرتين .

وجاء إنسان إلى إبراهيم الحربى يشكو إليه ضائقة أدركته؛ فقال له إبراهيم : لا تقنط؛ فإن مع العسر يسرا، ولقد ضقت مرة حتى عدمنا القوت، فقالت لى امرأتى: إن الصبيين لا يصبران على ما نصبر عليه، فأعطنى شيئا من كتبك نبعه،

ونتفرج به، فشحّت نفسى بالكتب، وقلت لها : أمهلينى بقية اليوم والليلة، فالله مرجو الفرج، فما دخل الليل حتى دق الباب، فقلت : من ؟ قال : رجل، قلت : أدخل . قال أطف السراج ؛ قال : فكببت على السراج شيئا، ودخل فوضع شيئا كان معه إلى جانبى، وانصرف، فرفعت الغطاء عن السراج، فإذا شىء ملفوف، فكشفته فإذا هى أطعمة، وإذا فيها قرطاس فيه خمسمائة درهم، فقلت للمرأة : أنبهى الصبيين ليأكلا، وأوفى ما علينا من دين .

فلما أصبحت جلست على باب الدار، وإذا رجل معه جملان مُحمَّلان، وكان الحاج الخراسانى قد قدم (فى صفة الصفوة ٢ / ٢٦٤ : وكان وقت مجىء الحاج من خراسان فالحاج اسم بمعنى الحُجَّاج) وهو يسأل عن بيت إبراهيم الحربى، فقلت له : أنا إبراهيم، فقال : قد سير إليك رجل من خراسان هذين الحملين، وهما ورق خراسانى، فقلت : من هو ؟ فقال : قد أحلفنى ألا أذكر لك اسمه، فأخذتهما منه، ودعوت الله لمرسلهما وللحامل .

وسير إليه المعتضد عشرة آلاف درهم، فلم يقبلها، فقيل له : فرقها فى جيرانك، فقال للرسول: قل لأمير المؤمنين : هذا مال ما تعبنا فى جمعه، فلا نتعب فى تفريقه، فإن تركنا أمير المؤمنين، وإلا رحلنا من جواره .

وسير إليه المعتضد وهو مريض ألف دينار، فلم يقبلها وردها، فخاصمته بنته، فقال لها : أتخشين إذا مت الفقر؟ فقالت : نعم . قال لها : فى تلك الزاوية اثنا عشر ألف جزء حديثية ولغوية وغير ذلك، كتبتها بخطى، فبيعى منها كل يوم جزءا بدرهم . ومن له اثنا عشر ألف درهم ليس بفقير !

وقال ثعلب : ما فقدت إبراهيم الحربى من مجلس لغة أو نحو خمسين سنة . وقال له رجل ـ وقد رأى كتبه : كيف قويت على جمعها ؟ فغضب إبراهيم وقال : بلحمى ودمى، وبلحمى ودمى !

ومات إبراهيم الحربى ـ رحمه الله ـ يوم الإثنين لسبع بقين من ذى الحجة، ودفن يوم الثلاثاء لثمان بقين من ذى الحجة سنة خمس وثمانين ومائتين . وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضى فى شارع باب الأنبار، وكان الجمع كثيرا جدا . وكان يوم مطر، وحمل ودفن فى بيته (إنباه الرواة ١/ ١٥٥ـ ١٥٨) .

قال الإمام ابن الجوزى :

أسند إبراهيم الحربى عن أبى نعيم الفضل بن دكين، وعفان، ومسدد، وأحمد بن حنبل وخلق كثير لا يحصون (صفة الصفوة) وحدث عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : كان أبى يقول لى : امض إلى إبراهيم الحربى يلقى عليك الفرائض (فوات الوفيات ١/ ١٥) .

وتوفى ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين . وقبره ظاهر يتبرك الناس به . رحمه الله .

(صفة الصفوة ٢/ ٢٦٦) وفوات الوفيات ١/ ١٥) .

قال الإمام السيوطى، وقد ذكره فى الطبقة التاسعة من طبقات الحفاظ : سمع أبا نعيم، وعفان، والطبقة، وتفقه على الإمام أحمد فكان من جملة أصحابه . حدث عنه ابن صاعد، والنجاد، وأبو بكر الشافعى، والقطيعى (طبقات الحفاظ/ ٢٦٣) .

وإليك بيانا بمن سمع منهم ومن حدث عنه :

من سمع منهم :

طلب إبراهيم الحربى العلم وهو حدث صغير، فسمع من هوذة بن خليفة وهو أكبر شيخ لقيه، وعفان بن مسلم، وأبى نعيم وعمرو بن مرزوق، وعبد الله بن صالح العجلى، وأبى عمر الحوضى، وعمر بن حفص، وعاصم بن على، ومسدد ابن مسرهد، وموسى بن إسماعيل المنقرى، وشعيب بن محرز، وأبى عبيد القاسم بن سلام، وأحمد بن حنبل، وأحمد ابن شبيب، وابن نمير، والحكم بن موسى، وأبى معمر المقعد، وأبى الوليد الطيالسى، وغيرهم كثير ـ رحمهم الله .

من حدث عنه :

حدث عنه خلق كثير، منهم : أبو محمد بن صاعد، وأبو عمرو بن السماك، وأبو بكر النجاد، وأبو بكر الشافعى، وعمر بن جعفر الختلى، وأبو بكر أحمد بن جعفر القطيعى، وعبد الرحمن بن العباس والد المخلِّص، وسليمان بن إسحاق الجلاب، ومحمد بن مخلد العطار، وجعفر

الخلدى، ومحمد بن جعفر الأنبارى، وأبو بحر محمد بن الحسن البربهارى، وأمثالهم .

ومن الأحاديث التى رواها :

روايته عن مسدد عن سفيان عن الزهرى عن عطاء بن يزيد عن أبى أيوب : أن النبى ـ ﷺ ـ قال : « لا يهجر أحدكم أخاه فوق ثلاث، يلتقيان : فيصد هذا، ويصد هذا، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » أخرجه مسلم (٢٥٦٠) فى البر تحريم الهجر فوق ثلاث .

وروى عن سليمان بن داود الهاشمى بسنده إلى أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « كنت أغتسل معه ـ ﷺ ـ من إناء واحد » (صحيح البخارى ١ / ٢١٣) (لحظات طيبات / ١٢١٤، ١٢١٥) .

ومن مصنفاته كتاب « سجود القرآن » ، « مناسك الحج » « الهدايا والسنة فيها » . « الحمام وآدابه » كتاب « غريب الحديث » الذى خرج منه « مسند أبى بكر رضى الله عنه » ، «مسند عثمان رضى الله عنه » ، « مسند على رضى الله عنه » ، « مسند الزبير رضى الله عنه » ، « مسند طلحة رضى الله عنه » ، « مسند سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه » ، « مسند عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه » ، « مسند العباس رضى الله عنه » ، « مسند شيبة بن عثمان »، « مسند عبد الله بن جعفر»، « مسند المسور بن مخرمة »، « مسند المطلب بن ربيعة » ، « مسند السائب»، « مسند خالد بن الوليد » ، «مسند أبى عبيدة بن الجراح » ، « مسند ما روى عن عاصم ابن عمر » ، « مسند صفوان بن أمية » ، « مسند عمرو بن العاص » ، « مسند عمران بن حصين » ، « مسند حكيم بن حزام » ، « مسند عبد الله بن زمعة » ، « مسند عبد الرحمن بن سمرة » ، « مسند عبد الله بن عمرو » ، « مسند ابن عمر » ، «مسند معاوية » وغيره، « مسند عبد الله بن العباس » ، «مسند الموالى »، وهو آخر ما عمل ، وله بعد ذلك من الكتب : كتاب الأدب ، وكتاب المغازى، وكتاب التيمم (الفهرست / ٣٢٣، وفوات الوفيات ١ / ١٦ ، ١٧) .

ويضيف الزركلى إلى مؤلفات إبراهيم الحربى كتاب «إكرام الضيف » و « دلائل النبوة » ويقول عن كتاب « غريب الحديث » مخطوط الجزء الخامس منه وهو الأخير (كما فى تعليقات عبيد) كما يقول عن كتاب « مناسك الحج » أن الأستاذ حمد الجاسر رجح نسبته إلى إبراهيم الحربى، وصدَّره بكتاب آخر فى سيرته وأخباره (الأعلام ١ / ٣٢) .

وقد ذكر صاحب الرسالة المستطرفة كتاب « سجود القرآن» من بين الكتب المفردة فى أبواب مخصوصة وأسماه «سجدات القرآن » كما ذكر من بين هذه الكتب أيضا كتابا بعنوان « اتباع الأموات » قال إنه لإبراهيم الحربى (الرسالة المستطرفة / ٣٥، ٣٦) .

وقد ذكر إبراهيم الحربى من بين أصحاب خزائن الكتب القديمة ، إذ كان عنده كما سبق القول وكما قال عن نفسه «اثنا عشر ألف جزء فى اللغة وغريب الحديث كتبها بخطه (خزائن الكتب القديمة فى العراق / ٢٠٨ ، ٢٠٩) .

(إنباه الرواة للقفطى ـ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ١٥٥ ـ ١٥٨ ، وصفة الصفوة لابن الجوزى ـ ضبطها وكتب هوامشها إبراهيم رمضان وسعيد اللحام ٢ / ٢٦٦ ، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبى ـ تحقيق د . إحسان عباس ١ / ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، وطبقات الحفاظ للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى / ٢٦٣ ، و «لحظات طيبات مع الإمام إبراهيم الحربى ـ أبى إسحاق ـ إعداد عادل خفاجة . مجلة الأزهر ، الجزء العاشر . السنة الرابعة والستون، شوال ١٤١٢ هـ إبريل ١٩٩٢ م/ ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، والفهرست لابن النديم / ٣٢٣ ، والأعلام للزركلى ١ / ٣٢، والرسالة المستطرفة / ٣٥ ، ٣٦، وخزائن الكتب القديمة فى العراق ـ كوركيس عواد / ٢٠٨ ، ٢٠٩ . انظر أيضا البداية والنهاية لابن كثير ط دار الغد العربى م٦/ ١٠٢ ، ١٠٣) .

له ترجمة فى : الأنساب ١٦٢ أ ، وبغية الوعاة / ١٧٨ ، وتاريخ بغداد ٦ / ٢٧ ـ ٤٠ ، وتاريخ أبى الفدا ٢ / ٥٨ ، وتلخيص ابن مكتوم / ٢٧ ، وشذرات الذهب ٢ / ١٩٠ ، وطبقات الشافعية ٢ / ٢٦ ، ٢٧ ، وطبقات ابن قاضى شهبة ١/ ١٦٣ ، ١٦٤ ، ومرآة الجنان ٢ / ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ومعجم الأدباء ١/ ١١٢ ـ ١٢٩ ، والنجوم الزاهرة ٣ / ١١٦ ، ونزهة الألباء/ ٢٧٦ ـ ٢٧٨ ، والوافى ٥ / ٣٢٠ ، وطبقات أبى يعلى ١ / ٨٦ (إنباه الرواة ١ / ١٥٥ ، وفوات الوفيات ١ / ١٤) .

انظر الحربية .

حربى:

قال ياقوت :

حربى : مقصور والعامة تتلفظ به ممالا : بليدة فى أقصى دُجيل بين بغداد وتكريت مقابل الحظيرة، تنسج فيها الثياب القطنية الغليظة وتحمل إلى سائر البلاد؛ وقد نسب إليها قوم من أهل العلم والنباهة، منهم : أبو الحسن على بن رشيد بن أحمد بن محمد بن حسين الحربوى، سمع أبا الوقت السجزى وشهد بغداد وأقام بها وصار وكيل الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن المستضىء، وكان حسن الخط على طريقة أبى عبد الله بن مقلة ، وكتب الكثير، وكان محبا للكتب، مات ببغداد فى ثامن عشر شوال سنة ٦٠٥ ، وبباب حرب دفن .

الحربية:

قال ياقوت :

الحربية : منسوبة : محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب قرب مقبرة بشر الحافى وأحمد بن حنبل وغيرهما، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخى ويعرف بالراوندى أحد قواد أبى جعفر المنصور، وكان يتولى شرطة بغداد، وولى شرطة الموصل لجعفر بن أبى جعفر المنصور وجعفر بالموصل يومئذ، وقتلت الترك حربا فى أيام المنصور سنة ١٤٧ ، وذلك أن اشترخان الخوارزمى خرج فى ترك الخزر من الدربند فأغار على نواحى أرمينية فقتل وسبى خلقا من المسلمين ودخل تفليس فقتل حربا بها ، وخرب جميع ما كان يجاور الحربية من المحال وبقيت وحدها كالبلدة المفردة فى وسط الصحراء، فعمل عليها أهلها سورا وجيروها، وبها أسواق من كل شىء، ولها جامع تقام فيه الخطبة والجمعة، وبينها وبين بغداد اليوم نحو ميلين ؛ وقال أبو سعد : سمعت القاضى أبا بكر محمد بن عبد الباقى الأنصارى ببغداد يقول : إذا جاوزت جامع المنصور فجميع تلك المحال يقال لها الحربية مثل النصرية والشاكرية ودار بطيخ والعباسيين وغيرها؛ وينسب إليها طائفة من أهل العلم ، منهم : إبراهيم ابن إسحاق الحربى الإمام الزاهد العالم النحوى اللغوى الفقيه، أصله من مرو، وله تصانيف منها غريب الحديث، وروى عن أحمد بن حنبل وأبى نعيم الفضل بن دكين وغيرهما، روى عنه جماعة، وكانت ولادته سنة ١٩٨ ، ومات فى ذى الحجة سنة ٢٨٥ .

(انظر : الحربى) .

(معجم البلدان ٢ / ٢٣٧ ، ٢٣٨) .

حرز الأمانى ووجه التهانى فى القراءات السبع « الشاطبية » :

أوردها صاحب كشف الظنون تحت عنوان « حرز الأمانى ووجه التهانى فى القراءات السبع [للسبع] المثانى وقال عنها :

وهى القصيدة المشهورة بالشاطبية للشيخ أبى محمد القاسم بن فيُرُّه الشاطبى الضرير المتوفى بالقاهرة سنة ٥٩٠ تسعين وخمسمائة نظم فيه التيسير كما ذكره الجزرى فى التخبير وأبياته ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتا أبْدع فيه كل الإبداع فصار عمدة الفن . وله شروح كثيرة أحسنها وأدقها شرح الشيخ برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبرى المتوفى سنة ٧٣٢ اثنتين وثلاثين وسبعمائة وهو شرح مفيد مشهور «سماه كنز المعانى » أوله : الحمد لله مبدئ الأمم ومنشئ الرمم ... إلخ فرغ من تأليفه فى سلخ شعبان سنة ٦٩١ إحدى وتسعين وستمائة . وعليه تعليقة لشمس الدين أحمد بن إسماعيل الكورانى مات سنة ٨٩٣ ثلاث وتسعين وثمانمائة وسماها العبقرى. وحاشية للمولى شمس الدين محمد بن حمزة الفنادى المتوفى سنة ٨٣٤ أربع وثلاثين وثمانمائة. ومنها شرح علم الدين أبى الحسن على بن محمد السخاوى المصرى المتوفى سنة ٦٤٣ ثلاث وأربعين وستمائة وهو أول من شرحه وسماه فتح الوصيد فى شرح القصيد .

وشرح الشيخ أبى شامة عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقى المتوفى سنة ٦٦٥ خمس وستين وستمائة سماه إبراز المعانى من حرز الأمانى وهو تأليف متوسط لا بأس به ثم اختصره.

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى من إبراز المعانى تحقيق وتقديم وضبط إبراهيم عطوة عوض، ط مصطفى البابى الحلبى، رقم الإيداع ١٩٨٢ وتقع فى٧٦٣ صفحة .

وشرح الشيخ أبى عبد الله محمد بن أحمد المعروف بشعلة الموصلى الحنبلى المتوفى ٦٥٦ ست وخمسين وستمائة وسماه كنز المعانى أوله :

الحمد لله الذى أنزل القرآن على سبعة أحرف بنى كلامه على ثلاث قواعد مباد ولواحق ومقاصد : فالأول : فى اللغة . والثانى : فى الإعراب . والثالث : فى المقصود من الكلام، وجرى على ذلك فى شرح كل بيت .

وشرح الشيخ الإمام علاء الدين على بن عثمان بن محمد المعروف بابن القاصح العذرى البغدادى المتوفى سنة (٨٠١ إحدى وثمانمائة) سماه سراج القارى .

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى بعنوان « سراج القارئ المبتدى وتذكار المقرئ المنتهى » ط مصطفى البابى الحلبى الطبعة الثالثة ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م ، وتقع فى ٤١٣ صفحة و ٧ ص فهارس، وبذيل صحائف الكتاب « مختصر بلوغ الأمنية » شرح فضيلة الشيخ على محمد الضباع على نظم تحرير مسائل الشاطبية للشيخ حسن خلف الحسينى، وبالهامش «غيث النفع فى القراءات السبع لولى الله سيدى على النورى الصفاقسى .

وشرح الشيخ المحقق أبى عبد الله محمد بن الحسن بن محمد الفاسى المقرى المتوفى سنة ٦٧٢ اثنتين وسبعين وستمائة أوله : الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ... إلخ وهو شرح وسط سماه اللآلى الفريدة وفرغ منه فى صفر سنة ٦٧٢ اثنتين وسبعين وستمائة .

وشرح الشيخ جمال الدين حسين بن على الحصنى وهو شرح كبير فى مجلدين سماه الغاية ألفه سنة ٩٦٠ ستين وتسعمائة . وشرح الشيخ أبى العباس أحمد بن محمد القسطلانى المصرى المتوفى سنة ٩٢٣ ثلاث وعشرين وتسعمائة زاد فيه زيادات الجزرى مع فوائد كثيرة لا توجد فى غيره سماه فتح الدانى فى شرح حرز الأمانى وشرح أبى العباس أحمد بن على الأندلسى المتوفى تقريبا سنة ٦٤٠ أربعين وستمائة سماه بالمهند القاضى شرح قصيدة الشاطبى .

وشرح تقى الدين عبد الرحمن بن أحمد الواسطى المتوفى سنة ٧٨١ إحدى وثمانين وسبعمائة (قلت قال ابن الجزرى فى طبقات القراء شرح شرحين انتهى) وشرح الشيخ تقى الدين يعقوب بن بدران الدمشقى المعروف بالجرايدى المتوفى سنة ٦٨٨ ثمان وثمانين وستمائة اقتصر فيه على حل مشكلاته وسماه كشف الرموز (قلت قال ابن الجزرى فى طبقاته حل فيه رموز الشاطبية انتهى ولم يذكر شرح الشاطبى ولا الذهبى) وشرح العلامة شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبى المتوفى سنة ٧٥٦ ست وخمسين وسبعمائة أوله : الحمد لله الذى تفضل على العباد فى المبدأ والمعاد ... إلخ ذكر فيه أن الحرز المذكور أحسن ما وضع فى الفن وأحسن شروحه شرحا الشيخين الفاسى وأبى شامة غير أن كلا منهما أهمل ما عنى به الآخر مع إهمالهما أشياء مهمة فشرحه بما يوفى المقصود واجتهد فى بيان فك الرموز وإعراب الأبيات وجعل الشين علامة لأبى شامة والعين لأبى عبد الله الفاسى وسماه العقد النضيد فى شرح القصيد وذلك بعدما صنف إعراب القرآن .

وشرح شهاب الدين أحمد بن محمد بن جبارة المقدسى المتوفى سنة ٧٢٨ ثمان وعشرين وسبعمائة وهو شرح كبير حشاه بالاحتمالات البعيدة .

وشرح شمس الدين محمد بن أحمد الأندلسى وشرح محب الدين أبى عبد الله محمد بن محمود بن النجار البغدادى المتوفى سنة ٨٤٣ ثلاث وأربعين وثمانمائة وهو شرح كبير.

وشرح علاء الدين على بن أحمد المتوفى سنة ٧٠٦ ست وسبعمائة . وشرح شيخ مشايخ القراء بمصر أبى بكر بن إيدغدى بن عبد الله الشمسى الشهير بابن الجندى المتوفى سنة ٧٦٩ تسع وستين وسبعمائة وسماه الجوهر النضيد فى شرح القصيد وهو شرح حافل . قال ابن الجزرى كان شرحه يتضمن إيضاح شرح الجعبرى انتهى .

أوله : الحمد لله الذى ابتدع الإنسان بصنعه وصوره . وشرح أبى القاسم هبة الله بن عبد الرحيم البارزى المتوفى سنة ٧٣٨ ثمان وثلاثين وسبعمائة .

وشرح يوسف بن أبى بكر المعروف بابن خطيب بيت الأبار المتوفى سنة ٧٢٥ خمس وعشرين وسبعمائة وهو فى مجلدين ضخمين .

وشرح علم الدين قاسم بن أحمد اللورقى الأندلسى المتوفى سنة ٦٦١ إحدى وستين وستمائة سماه المفيد فى شرح القصيد. وشرح منتجب الدين حسين بن أبى العز بن رشيد الهمدانى المتوفى سنة ٦٤٣ ثلاث وأربعين وستمائة وهو شرح كبير سماه الدرة الفريدة فى شرح القصيدة أوله : الحمد لله بارئ الأنام ... إلخ .وشرح الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١ إحدى عشرة وتسعمائة وهو شرح ممزوج .

وشرح الإمام بدر الدين حسن بن القاسم المعروف بابن أم قاسم المرادى المصرى المتوفى سنة ٧٤٩ تسع وأربعين وسبعمائة .

وشرح الشيخ أبى عبد الله ... المغربى « محمد بن الحسن ابن محمد الفاسى المتوفى بحلب » النحوى المتوفى سنة « ٦٥٦ » سماه الفريدة البارزية فى حل القصيدة الشاطبية أوله : الحمد لله ذى الصفات العلية . وشرح السيد عبد الله بن محمد الحسينى المتوفى سنة ٧٧٦ست وسبعين وسبعمائة .

ومن شروح حرز الأمانى الوجيز والمحصى وجامع الفوائد وتبصرة المستفيد فيه نقول عن الجعبرى. وشرح منسوب إلى مصنف مصطلح الإشارات . وعلى الشاطبية نكت للشيخ برهان الدين إبراهيم بن موسى الكركى المقرى الشافعى المتوفى سنة ٨٩٣ ثلاث وتسعين وثمانمائة [٨٥٣] .

قالت المؤلفة : ومن شروح حرز الأمانى أيضا « مختصر بلوغ الأمنية » شرح فضيلة الشيخ على محمد الضباع على نظم تحرير مسائل الشاطبية للشيخ خلف الحسينى ، المطبوع بذيل كتاب سراج القارئ المبتدى للإمام ابن القاصح وقد سبقت الإشارة إليه ، و « تقريب النفع فى القراءات السبع » المطبوع بذيل حرز الأمانى . ط مصطفى البابى الحلبى . بدون تاريخ .

وللشاطبية مختصرات منها مختصر جمال الدين محمد ابن عبد الله بن مالك النحوى المتوفى سنة ٦٧٢ اثنتين وسبعين وستمائة سماه حوز المعانى فى اختصار حرز الأمانى وهو فى بحره وقافيته. ومختصر عبد الصمد بن التبريزى المتوفى سنة ٧٦٥ خمس وستين وسبعمائة وهو فى خمسمائة وعشرين بيتا. ومختصر مولانا بلال الرومى وهو قصيدة لامية يقال لها البلالية .

ومختصر أمين الدين عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقى الحنفى المتوفى سنة ٧٦٨ ثمان وستين وسبعمائة سماه نظم در الجلا فى قراءة السبعة الملا وهى دون الخمسمائة .

وللشاطبية تتمات منها التكملة المفيدة لحافظ القصيدة نظم الإمام المقرى أبى الحسن على بن إبراهيم الكنانى الفيجاطى المتوفى سنة ٧٢٠ عشرين وسبعمائة وهى قصيدة محكمة النظم فى وزنها ورويها فى مائة بيت نظم فيها ما زاد عليها من التبصرة والكفاية والوجيز أولها بحمدك يا رحمن أبدأ أولا ... إلخ .

ومنها تكملة فى القراآت الثلاث للشيخ المقرى شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد اليمنى الشرعبى وكان حيا فى حدود سنة ٨٣٠ ثلاثين وثمانمائة (توفى سنة ٨٣٩) زادها بين أبيات الشاطبية فى مواضعها بحيث امتزجت بها فصارا كأنهما لشخص واحد. وتكملة لمحمد بن يعقوب بن إسماعيل الأسدى المقدسى الشافعى سماها الدر النضيد فى زوائد القصيد أولها : الحمد لله الذى أحاط علمه بمخلوقاته ... إلخ ذكر فيه أنه طالع ما زاد عليه من كتب القراآت السبع فوجد أشياء زائدة على ما فى حرز الإمانى فأوردها .

ومنها نظيرة أحمد بن على بن أحمد المعروف بابن الفصيح الهمدانى المتوفى سنة ٧٥٥ خمس وخمسين وسبعمائة وهى على وزنه بلا رموز فجاءت أقصر منها . ومنها ترجمة الشاطبية لعبد الله بن محمد بن يعقوب بن عبد الحى (كشف الظنون ١/ ٦٤٦-٦٤٩) .

أما من حيث مخطوطات حرز الأمانى فلدينا عدد منها أهمها وأوفاها بالغرض مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) ويشتمل على إحدى وعشرين نسخة، ونورد بيانه فيما يلى، ونكتفى بتلخيص ما جاء عن بقية المخطوطات :

١-مخطوط دار الكتب الظاهرية (١/ ٣٥١-٣٦٥) :

الرقم ٥٢٠٠

المؤلف أبو محمد القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعينى الأندلسى الضرير المتوفى سنة ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م .

فاتحة المنظومة :

بـــدأت ببسم الله فى النظم أولا

تبارك رحمانا رحيما وموئلا

وثنيت صلى الله ربى على الرضى

محمد المهدى إلى الناس مرسلا

... ...

وإن كتاب الله أوثق شافع

وأغنى غناء واهبا متفضلا

وخير جليس لا يمل حديثه

وترداده يزداد فيه تجملا

خاتمة المنظومة :

وأبياتها ألف تزيد ثلاثة

ومع مائة سبعين زُهرا وكُمّلا

وقد كُسيت منها المعانى عناية

كما عريت عن كل عوراء مفصلا

وتمت بحمد الله فى الخلق سهلة

منزهة عن منطق الهُجر مِقْوَلا

... ...

وتبدى على أصحابه نعماتها

بغير تناه زرنبا وقرنفلا

قالت المؤلفة : فى نسختى ط مصطفى البابى الحلبى ص٢٠٧ فى البيت الأخير « نفحاتها » بدلا من « نغماتها » .

أوصاف الكتاب : نسخة قديمة من القرن التاسع، على الصفحة الأولى زخارف مذهبة وملونة، ولها إطار مذهب، كتبت بخط نسخى معتاد قديم، الأبواب وأسماء السور والقراء والرموز مكتوبة بالأحمر، على الورقة التى تلى الغلاف قيدا تملك : الأول باسم أحمد الرباط، والثانى باسم عبد الرحمن الاسطوانى سنة ١٢٤٨، وعلى الورقة الأولى وجه أ . منظومة فى سبعة أبيات تبين الرموز المشيرة إلى القراء نظمها يعقوب بدران، على الهوامش الكثير من التعليقات والشروح، وعلى الورقة الأخيرة جدول بأسماء القراء السبعة، أصيبت النسخة بالاتساخ والجفاف، وهى مرممة قديما، خرمت منها الورقتان الخامسة والسادسة وقد ألحقتا بخط مختلف .

ق	م	س
٦٠	٢١×١٥	٩

نسخة ثانية :

الرقم ٤٤٢٩

خاتمة المخطوط : تم الكتاب بعون الصمد الوهاب، والحمد المستحق الثناء، والصلاة على أفضل إنسان محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين الطيبين الطاهرين فى يوم ستة عشر فى شهر رمضان المبارك سنة سبع وتسعين وتسعماية الهجرية المصطفوية على يد أضعف عباد الله الغنى إبراهيم الأركوبى أصلح الله أحواله وغفر له .

أوصاف المخطوط : نسخة من أواخر القرن العاشر الهجرى كتبت بخط فارسى معتاد ، الأبواب وأسماء السور مكتوبة بالأحمر، أصابتها الرطوبة فى مواضع متعددة، وقد رممت قديما ، وهى مفروطة الأوراق منزوعة عن الغلاف، على الورقة الأخيرة فائدة مروية عن القرطبى يتحدث فيها عن ثواب من حفظ هذه القصيدة، يحتاج المخطوط إلى ترميم عاجل مع غلافه .

ق	م	س
٦٣	٢١×١٥	١٠

نسخة ثالثة :

الرقم ٥٧٤٥

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثامن الهجرى ، كتبت بخط نسخى جيد مشكول، الأبواب وأسماء السور والرموز مكتوبة بالمداد الأحمر، على الهوامش بعض الحواشى المختلفة والشروح .

على الورقتين الأولى والثانية الكثير من الكتابات فيها رموز معانى الشاطبية، ثم جدول بأسماء عشرين قارئا مع الرموز المشيرة إليهم ، على الورقة الثالثة عنوان الكتاب وبعض الشعر ...

أصيبت النسخة بالرطوبة والاتساخ والتمزيق، وقد رممت قديما، غلافها ممزق يحتاج إلى ترميم .

ق	م	س
٤٢	١٨ × ١٣	١٥

نسخة رابعة :

الرقم ٥٧٥٥

أوصاف المخطوط : نسخة حديثة من القرن الثالث عشر الهجري، كتبت بخط معتاد عليه بعض الشكل ، وضعت المنظومة في إطارات مرسومة بالمداد الأحمر، أسماء الأبواب والسور ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر، على الورقة الأولى الوجه ـ أ ـ أسماء القراء والرموز التي تشير إليهم موضوعة في جدول وعلى الوجه ـ ب ـ وفي الهامش قصيدة في القراءات .

أصيبت النسخة بالرطوبة في أكثر أوراقها ، وقد جفت أوراقها وأخذت تتكسر، فيها بعض التلف وقد رممت قديما، غلافها ممزق .

ق	م	س
٥٧	١٨,٥ × ١٣,٥	١١

نسخة خامسة :

الرقم ٥٨٤٣

فاتحة المخطوط:

هنالك يهنيه مقيلا وروضة ومن أجله في ذروة العز يجتلي

يناشد في إرضائه لحبيبه وأجدر به سؤلا إليه موصلا

خاتمة المخطوط : تمت القصيدة بحمد الله ومنه وحسن توفيقه والحمد لله وحده وصلواته على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلامه وكان الفراغ من نسخها ظهر الإثنين السابع عشر من شهر رجب الفرد سنة أربع وأربعين وثمانماية أحسن الله خاتمتها من تاريخ الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام . على يد أفقر عباد الله ... محمد بن موسى الناسخ عفا الله عنه .

أوصاف المخطوط : نسخة جيدة قديمة من أوائل القرن التاسع الهجري خرم منها ورقة واحدة، وقد كتبت بخط نسخي جيد مشكول أسماء الأبواب والسور مكتوبة بخط ثلث كبير، على الهوامش الكثير من التعليقات والشروح والفوائد أغلبها مكتوب بالمداد الأحمر . أصيبت النسخة بالرطوبة والتمزيق وقد رممت ترميما سيئا، كما أن الأرضة قد أثرت على أوراقها .

توجد النسخة في مجموع يحوي « عقيلة القصائد في أسنى المقاصد » لأبي عمرو الداني، وهي مخرومة من آخرها، يحتاج المجموع إلى ترميم ورقا وغلافا .

ق	م	س
٤٦ (١٢ ـ ٥٧)	٢٥,٥ × ١٦	١٣

نسخة سادسة :

الرقم ٦٣٨٣

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الحادي عشر الهجري، كتبت بخط نسخي جيد، وبالمداد الأسود . الأبواب وأسماء السور ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر، عليها بعض قيود التملك، لا تزال النسخة بحالة جيدة ورقا وخطا، على غلافها بعض الزخارف البسيطة .

ق	م	س
١١٢	١٥ × ١٠	١١

نسخة سابعة :

الرقم ٦٣٩٣

خاتمة المخطوط: والحمد لله وحده وكفى، والصلاة على النبي المصطفى .

كملت الشاطبية في خامس عشر ربيع الأول على يد العبد الضعيف حبيب بن أوليا بن مصطفى بن أمير يوسف سنة إحدى وأربعين وسبعماية أحسن الله عواقبهم ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات يا رب العالمين .

أوصاف المخطوط : نسخة قديمة قيِّمة من القرن الثامن الهجري كتبت بخط نسخي قديم جيد، الأبواب وأسماء السور ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر، على الهوامش بعض الشروح والتعليقات .

أصيبت بعض الأوراق بالتلف والتمزيق وقد رممت قديما، كما أن بعض الأوراق مفروطة على الورقة الأولى ـ ب ـ مناجاة ودعاء، يلي ذلك كتاب العقيلة في الرسم الشاطبي، وقد كتب بخطين مختلفين .

يحتاج المجموع إلى صيانة مع غلافه .

ق	م	س
٨٥ (١ـ ٨٥)	١٥,٥ × ١١,٥	٧

نسخة ثامنة :

الرقم ٦٤٠٤

أوصاف الكتاب : نسخة من القرن الثالث عشر الهجرى. كتبت بخط نسخى حسن ، الأبواب وأسماء السور وبعض الفقرات مكتوبة بالأحمر، فى كل صفحة إطار وجدول مرسومان بالأحمر، على الهوامش وبين الأبيات شروح وتعليقات وحواش كثيرة .

على الورقة الأولى جدول فيه أسماء القراء، وما لكل واحد من الحروف، ثم أسماء القراء مجتمعين .

يوجد الكتاب فى مجموع يحوى مقدمة ابن الجزرى، ثم نفيس الأساس فى القراءات الثلاث، ثم طيبة النشر فى القراءات العشر.

المجموع بحالة جيدة ورقا وخطا وغلافا .

ق	م	س
٧١ (١ـ ٧١)	١,٥ × ١١,٥	٩

نسخة تاسعة :

الرقم ٦٤٨٨

خاتمة المخطوط : كتبها العبد الضعيف الراجى رحمة ربه اللطيف يوسف الحجاوى بن أحمد بن محمد بن يوسف ابن أحمد بن فياض الحنبلى عامله الله بلطفه الخفى وذلك بتاريخ ثانى يوم محرم من سنة اثنتين وعشرين بعد مائة وألف بدمشق الشام .

أوصاف المخطوط : نسخة من بداية القرن الثانى عشر الهجرى، مخرومة من أولها مقدار سبع ورقات ، وقد عوضت بخط مختلف ، كتبت بخط معتاد مشكول، الأبواب وأسماء السور والرموز مكتوبة بالمداد الأحمر، على الهوامش الكثيرة من التعليقات والشروح، أصيبت النسخة بالرطوبة والاتساخ وقد رممت بعض أوراقها قديما . على الورقة الأولى قيد تملك باسم عبد الرزاق ابن الشيخ حسن البيطار تاريخه سنة ١٢٧٤هـ .

ق	م	س
٣٦	٢١ × ١٥	١٩

نسخة عاشرة :

الرقم ٦٤١٨

أوصاف المخطوط : نسخة حديثة من القرن الثالث عشر الهجرى، كتبت بخط نسخى معتاد مشكول فى أوائل النسخة . وضعت الكتابة فى أوائل المخطوط فى إطارات مرسومة بالأحمر، أسماء السور والأبواب وبعض الكلمات مكتوبة بالمداد الأحمر، الخط فى أوائله وحتى الورقة ١٤ـ أ ـ مختلف عن بقية الخطوط . مع حرز الأمانى كتاب آخر فى التجويد من القرن التاسع الهجرى .

ق	م	س
٤٧ (١ـ ٤٧)	١٨ × ١٣	١٣

نسخة حادية عشرة :

الرقم ٦٥٠٥

خاتمة المخطوط : وقد وقع الفراغ من تسويده فى رمضان المبارك سنة إحدى وعشرين ومائة وألف ، رحم الله امرأ نظر فيه، ودعا لكاتبه بحسن الخاتمة والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده .

أوصاف المخطوط : نسخة جيدة من القرن الحادى عشر كتبت بخط نسخى جميل مشكول، الأبواب وأسماء السور ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر وبخط أكبر، أحيطت الكتابة بإطارات مرسومة بالأحمر. على الورقة الأولى مجموعة من قيود التملك والقراءات، فقد تملكه محمد الطوسى سنة ١١٣٣ هـ وإبراهيم بن محمد البهنساوى سنة ١١٤٠ هـ وقرأ فيه مجموعة من الشيوخ منهم إبراهيم ابن الشيخ عباس الحافظ . على الورقة الأولى ـ ب ـ والثانية ـ أ ـ إجازة من الشيخ عبد الغنى النابلسى لحسين بن عبد الله الكورجى البغدادى الحنفى برواية حرز الأمانى ومجموعة من كتب التفسير والحديث وغيرها تاريخها سنة ١١٢٩ هـ ، على الورقة الثالثة ـ أ ـ أسماء القراء والرموز المشيرة إليهم ثم مجموعة من الفوائد المختلفة .

ق	م	س
٤٩	٢١ × ١٤	١٣

نسخة ثانية عشرة

الرقم ٦٥٤١

خاتمة المخطوط : تمت قصيدة حرز الأمانى ووجه التهانى بحمد الله وعونه وحسن توفيقه فى نهار الخميس المبارك فى نهار سبعة وعشرين خلا من ذى القعدة فى سنة ألف ومماية وتسع وثمانين ١١٨٩ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل التحية على يد محررها الفقير إلى مولاه الغنى القادر أحوج الورى إلى عفوه عبد القادر الخياط ابن الشيخ ياسين الكفرنورانى مولدا الجبلاوى سكنة برسم إبراهيم الدمياطى غفر الله لهم ولمن قرأ فيها ودعا لهم بالمغفرة .

أوصاف المخطوط : نسخة حديثة مصابة بالرطوبة والأرضة، كتبت على ورق سميك وبخط معتاد فيه بعض الشكل، الأبواب وأسماء السور مكتوبة بالأحمر وبخط أكبر، على الورقة الأولى بعض المختارات الشعرية ، فى نهاية المخطوط الدور الأعلى للشيخ محيى الدين بن عربى .

ق	م	س
٤٤(١ـ ٤٤)	٢١,٥ × ١٦	١٤

نسخة ثالثة عشرة :

الرقم ٦٨٩٧

خاتمة المخطوط : تمت القصيدة المباركة بحمد الله وعونه ولطفه وصونه على يد أفقر العباد لخالقهم وكاليهم ورازقهم أبى بكر بن شرف الدين ابن الحاج محمد قرة العبثاوى بلدا الأموى جواراً الشافعى مذهبا غفر الله له ولوالديه وأحسن إليهما وإليه يوم السبت ثانى صفر سنة ١٠٢٠هـ .

أوصاف المخطوط : نسخة جيدة ورقا وخطا كتبت بخط نسخى جيد مشكول، الأبواب وأسماء السور ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر، على الورقة الأولى فوائد فى القراءات، وعلى الورقة الأخيرة فوائد عن كلا الواقعة فى القرآن الكريم لأبى اللبيب التونسى يلى ذلك قصيدة فى التوسل .

تقع النسخة فى مجموع يحوى متن الحكم لابن عطاء الله السكندرى، ومعرفة المؤتلف والمختلف من أسماء الرجال لابن الصلاح، والشهاب فى الوصايا، ورسائل فى النحو والحساب والفرائض ، كتب المجموع فى فترات مختلفة وخطوط مختلفة .

ق	م	س
٤٣(١٢ـ ٥٤)	١٥ × ٢١	١٥

نسخة رابعة عشرة :

الرقم ٨٠١٦

خاتمة المخطوط : نجزت القصيدة بحمد الله ومنه وحسن توفيقه وعونه، وكان الفراغ من نسخها يوم الأحد خامس عشر شهر رجب الفرد سنة أربع وأربعين وثمانماية على يد العبد الفقير المعترف بالذنب والتقصير المؤمل بالجنات أن يدخلها والمسلمين ويرتقى، محمد بن على بن محمد الأزرقى حامدا لله ومصليا ومسلما .

أوصاف المخطوط : نسخة قديمة قيمة مضبوطة بالشكل، كتبت بخط نسخى جيد ، الأبواب وأسماء السور ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر وبخط أكبر، على الهوامش بعض الحواشى والشروح .

أصيبت النسخة بالرطوبة والتلف فى أوائلها، وقد رممت قديما . على الورقة الأولى دعاء ثم صورة وقف نقيب السادة الأشراف محمد سعيد آل حمزة على المكتبة الظاهرية ، كما يوجد قيدا تملك تاريخ أحدهما سنة ٩٩١ هـ على الورقة الأخيرة قيد تملك باسم محمد بن الأدهرى الشافعى المقرى... ثم قيد تملك آخر باسم محمد بن نور الدين الموقع سنة ٩٩١ . يلى ذلك عقيلة أتراب القصائد فى أسنى المقاصد لأبى عمرو الدانى .

المجموع بحالة جيدة ، الغلاف مزخرف .

ق	م	س
٤٩(١ـ ٤٩)	١٧ × ١٢	١٣

نسخة خامسة عشرة :

الرقم ٨٤٣٠

فاتحة المخطوط : قال الشيخ الإمام العالم البارع الفاضل أبو القاسم الشاطبى قدس الله روحه ونور ضريحه وأعاد علينا من بركاته .

خاتمة المخطوط : فرغ منه فى العشر الأخير من ذى القعدة من شهور سنة ثمانية وخمسين وثمانماية العبد الفقير إليه تعالى...

أوصاف المخطوط : نسخة قديمة أصابها التمزق والجفاف ، وبخاصة فى أوراقها الأولى، كتبت بخط نسخى

معتاد مشكول، العناوين وبعض الألفاظ مكتوبة بالأحمر، على قسم كبير من القصيدة شروح تداخلت مع أبياتها، وقد كتبت بالأحمر والأسود . على الورقة الأولى رموز الشاطبية وبعض الفوائد المختلفة، على الورقة الأخيرة قيد تملك مطموس، مع اسم الناسخ .

النسخة مفروطة ، وأوراقها جافة، عليها شطب في أوراقها الأولى تحتاج إلى صيانة .

ق	م	س
٦٨	٢٣ × ١٧	٩

نسخة سادسة عشرة :

الرقم ٩٢٣٤

خاتمة المنظومة :

ومن باطن السفلى للشفتين قل
وللشفتين اجعل ثلاثا لتعدلا
وفي أول من كلم بيتين جمعُها
سوى أربع فيهن كلمة أولا
أهاع حشاغا وخلا قارئٌ كما
جرى شرط يسرى ضارع لاح نَوْفلا

قالت المؤلفة : في نسختي ط مصطفى البابي الحلبي في صدر البيت الأولى « من الشفتين » بدلا من « للشفتين » .

أوصاف المخطوطه : نسخة عادية مخرومة من آخرها وهي من القرن الثاني عشر الهجري، كتبت بخط مستعجل، أسماء السور والأبواب ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر.

توجد النسخة في مجموع يحوى ديوان الحقيقة للشيخ عبد الغني النابلسي، ثم قصيدة ، ثم الهمزية في مدح خير البرية، ثم مجموعة مختارة من القصائد المختلفة .

كتب المجموع بخطوط مختلفة وهو مفروط الأوراق ، في أول النسخة رموز الشاطبية وأسماء القراء ...

ق	م	س
٣٠ (٨٥ـ ١١٤)	٢٠ × ١٥	٢٠

نسخة سابعة عشرة :

الرقم ١١١٢٧

خاتمة المخطوط :

فيا خير غفَّار ويا خير راحم
ويا خيرَ مأمول جداً وتفضلا
أقل عثرتي وانفع بها وبقصدها
حنانيك يا الله يا رافع العلا
وآخر دعوانا بتوفيق ربنا
أن الحمد لله الذي وحده علا

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثالث عشر الهجري، كتبت بخط معتاد مشكول، أسماء السور والرموز والآيات مكتوبة بالمداد الأحمر، مخرومة من آخرها مقدار ورقة واحدة .

أصابتها الرطوبة الشديدة فأثرت على معظم أوراقها وعلى الكتابة فيها . كما أن قسما من أوراقها بدأ يتفحم نتيجة الجفاف. على الورقة الأولى اسم الناسخ وهو أحمد ابن الشيخ حسين .

ق	م	س
٤٢	٢٠,٥ × ١٤,٥	١٥

نسخة ثامنة عشرة :

الرقم ٦٣٨١

خاتمة المخطوط : وقد تمت القصيدة بحمد الله وعونه على يد أفقر العباد إلى ربه الجليل محمد ابن الشيخ إسماعيل غفر الله له ... يوم الإثنين المبارك الرابع من شهر جماد الأول من شهور سنة ١١٤٦ من الهجرة النبوية ...

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن الثاني عشر الهجري، كتبت بخط نسخي جيد مشكول، وبالمداد الأسود. أسماء السور ورؤوس الفقر والفواصل ، كلها بالأحمر.

النسخة في مجموع يحوى المقدمة الجزرية، وجدولا بأسماء القراء ورموزهم، وموانع الصرف وبعض الشعر والفوائد المختلفة، وأرجوزة في أسماء ورموز القراء. المجموع مصاب بالرطوبة والتلوث وجفاف الأوراق ، يحتاج إلى صيانة وترميم .

ق	م	س
٤٣ (٦ـ ٤٨)	١٥ × ١٠	١٥

نسخة تاسعة عشرة :

الرقم ٧١٨٣

خاتمة المخطوط : وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة الشريفة يوم السبت المبارك من شهر ذى الحجة سنة ألف وماية وتسعة وستين على يد أضعف العباد إبراهيم ابن الحاج أحمد .

أوصاف النسخة : نسخة من القرن الثانى عشر الهجرى، كتبت بخط معتاد مشكول، وبالمداد الأسود. أسماء السور ورؤوس الفقر مكتوبة بالأحمر. على الهوامش بعض التعليقات والتصويبات .

النسخة فى مجموع يحوى شرح حرز الأمانى لعمر الأرمنازى ومنظومة فى القراء وفوائد فى القراءات وسؤال مع جوابه لابن حجر العسقلانى. المجموع مصاب بالرطوبة ثم جفاف الأوراق التى جعلت أوراقه تكاد تتكسر. على الورقة الأولى قيد تملك باسم أحمد زرقا سنة ١٣١٧ .

ق	م	س
٣٩ (٩٤-١٣٢)	٢٠ × ١٤	١٧

النسخة العشرون :

الرقم ١٠٧٦٦

خاتمة المخطوط : كملت القصيدة بحمد الله وعونه، وكان الفراغ من نسخها فى شهر محرم الذى هو من شهور سنة ألف وماية وتسعة عشر على يد أفقر العباد على بن علاء الدين ابن الشيخ عبد المجيد القشى الدمياطى .

أوصاف المخطوط: نسخة من القرن الثانى عشر الهجرى، كتبت بخط معتاد مشكول، الأبواب ورؤوس الفقر بالأحمر. على الورقة الأولى قيد تملك باسم حسن سليم الدجانى، وسؤال فى ترقيق الراء الساكنة مع جوابه، على الورقة الأخيرة ترجمة لصاحب المنظومة يلى ذلك جوهرة التوحيد للقانى ثم دعاء سورة الإخلاص ثم رموز الشاطبية وأخيرا قصيدة فى فضل العلم ومكانته .

المجموع مصاب بالرطوبة والتمزق وفيه أكل أرضة، أما غلافه فممزق يحتاج إلى ترميم .

ق	م	س
٣٥ (١-٣٥)	٢١ × ١٥	١٧

النسخة الحادية والعشرون :

الرقم ١١١٦٥

خاتمة النسخة : تمت بحمد الله ... وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة رابع عشر شهر شوال سنة ست وستين وثمانماية ... على يد العبد الفقير المعترف بالذنب ... محمد ابن على بن أبى الفتح الناركورى .

أوصاف المخطوط : نسخة من القرن التاسع الهجرى، كتبت بخط معتاد مشكول وبالمدادين الأسود والأحمر وبخطين مختلفين، على الهوامش بعض الشروح والتصويبات، أصيبت النسخة بالرطوبة والتلف وقد رممت بعض أوراقها قديما وبخاصة أوائل الأوراق .

ق	م	س
٥٨	٢٠ × ١٤	١٦

٢ ـ مخطوط مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض (٢/ ٤١) :

رقم الحفظ: ٤٣ ـ ف ، الفن : قراءات . العنوان الفرعى: الشاطبية .

تاريخ النسخ : القرن ٩هـ/ ١٥م .

بداية المخطوطة :

بـــدأت ببسم الله فى النظم أولا

تبـارك رحمـانـا رحيمـا ومـوئلا

نهاية المخطوطة :

وتبـدى على أصحـابـه نفحـاتهـا

بغيـر تنـاه زرنبًـا وقـرنفُـلا

مكان الحفظ : لاله لى ، برقم ٢٩

٣ـ مخطوط دار الكتب القطرية (ص ١٩) :

طبع حجر بالهند ١٢٧٨ هـ ، ثم طبعت بمصر سنة ١٢٨٦ .

أولها : كسابقه .

٦٣ ورقة ضمن مجموعة من ١ ـ ٦٣ .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٤٦ ـ ٦٤٩ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . علوم القرآن الكريم . المصاحف ـ التجويد ـ القراءات ـ وضعه صلاح محمد الخيمى ١ / ٣٥١ ـ ٣٦٥ ، وفهرس المصورات الميكروفيلمية بقسم المخطوطات . مركز الملك فيصل

للبحوث والدراسات الإسلامية . الرياض ، العدد الثانى ، السنة الثانية ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م / ٤١ ، والمنتخب من مخطوطات دار الكتب القطرية . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٣/ ١٩) .

الحرز المنسوب إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه :

أوله : اللهم يا من دلع لسان الصبح ... إلخ والشرح عليه لأحمد بن محمد المعروف بنشانجى زاده المتوفى سنة ٩٨٦ ست وثمانين وتسعمائة .

(كشف الظنون ١/ ٦٥٠) .

ابن حرزهم :

انظر : ابن حرازم .

حَرَس:

قال ياقوت :

حرس : بالتحريك : قرية فى شرقى مصر، وقال الدارقطنى : محلة بمصر؛ والحرس فى اللغة : حرس السلطان، وهو اسم جنس، واحده حرسى، ولا يجوز حارس إلا أن يذهب به إلى معنى الحراسة ؛ وقال الأزهرى : يقال حارس وحرس كما يقال خادم وخدم وعاس وعسس؛ وقد نسب إلى هذا الموضع جماعة كثيرة مذكورة فى تاريخ مصر، منهم : أبو يحيى زكريا بن يحيى بن صالح بن يعقوب القضاعى الحرسى كاتب عبد الرحمن بن عبد الله العمرى، يروى عن المفضل بن فضالة وابن وهب، مات فى شعبان سنة ٢٤٢ .

وابنه أبو بكر أحمد حدَّث، ومات فى ذى القعدة سنة ٢٥٤ .

و أحمد بن رزق الله بن أبى الجراح الحرسى، روى عن يونس بن عبد الأعلى، ومات سنة ٢٤٦، وغيرهم .

(معجم البلدان ٢/ ٢٤٠) .

حَرَسْتَا :

قال ياقوت :

حَرَسْتَا : بالتحريك ، وسكون السين، وتاء فوقها نقطتان : قرية كبيرة عامرة وسط بساتين دمشق على طريق حمص، بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ ؛ منها شيخنا القاضى عبد الصمد بن محمد بن أبى الفضل الأنصارى الحرستانى، إمام فاضل مدرس على مذهب الشافعى، ولى القضاء بدمشق فى كهولته ثم تركه ثم وليه وقد تجاوز التسعين عاما من عمره بإلزام العادل أبى بكر بن أيوب إياه، ومات وهو قاضى القضاة بدمشق، وكان ثقة محتاطا، وكان فيه عسر وملل فى الحديث والحكومة، ومولده سنة ٥٢٠، تكثر به والده فسمع من على بن أحمد بن قبيس الغسانى وعبد الكريم ابن حمزة والخضر السلمى وطاهر بن سهل الأسفراينى وعلى ابن المسلم، وتفرد بالرواية عن هؤلاء الأربعة زمانا، وسمع من غيرهم فأكثر، ومات فى خامس ذى الحجة سنة ٦١٤ عن أكثر من تسعين سنة ؛ وينسب إليها من المتقدمين حماد بن مالك ابن بسطام بن درهم أبو مالك الأسجعى الحرستانى، روى عن الأوزاعى وإسماعيل بن عبد الرحمن بن عبيد بن نفيع وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر وسعيد بن بشير وعبد العزيز بن حصين وإسماعيل بن عياش، روى عنه أبو حاتم الرازى وأبو زرعة الدمشقى ويزيد بن محمد بن عبد الصمد وهشام بن عمار ويعقوب بن سفيان ومحمد بن إسماعيل الترمذى، ومات سنة ٢٢٨ . وحرستا المنظرة : من قرى دمشق أيضا بالغوطة فى شرقيها .

وحرستا أيضا : قرية من أعمال رعبان من نواحى حلب، وفيها حصن ومياه غزيرة .

(معجم البلدان ٢/ ٢٤١، ٢٤٢) .

الحرص:

جاء فى اللسان : الحرص : شدة الإرادة والشره إلى المطلوب . وقال الجوهرى : الحرص : الجشع . وقد حَرَص عليه يحرِص (بالكسر) ويحرُص (بضم الراء) حِرصًا وحَرَصًا .

الأزهرى : قول العرب حريص عليك معناه حريص على نفعك، قال : واللغة العالية حَرَص يحرِص، وأما حرِص يحرَص فلغة رديئة، قال : والقراء مجمعون على ﴿ ولو حَرَصْتَ بمؤمنين ﴾ [يوسف : ١٠٣] (لسان العرب ١٠/ ٨٣٥) .

وفي تيسير الوصول :

١ ـ عن أنس رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : يهرم ابن آدم ويشب فيه اثنتان : الحرص على المال ، والحرص على العمر » أخرجه الشيخان والترمذى .

٢ ـ وعن كعب بن مالك رضى الله عنه : « قال رسول الله ﷺ : ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » أخرجه الترمذى وصححه .

ومعناه « أن حرص المرء على المال والشرف وحبهما مفسد لدينه كما يفسد الذئبان الجائعان الغنم إذا أرسلا فيها ولم يمنعا منها » .

٣ ـ وعن أنس رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى إليهما ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب » أخرجه الشيخان ، وهذا لفظهما ، والترمذى بمعناه . (تيسير الوصول ٢ / ٢١، ٢٢) .

وقال صاحب كشاف اصطلاحات الفنون :

فصل الصاد المهملة * الحرص بالكسر وسكون الراء المهملة عند السالكين ضد القناعة وهو طلب زوال نعم الغير وقيل طلب ما لا يقسم وقال أهل الرياضة الحرص فغير مذموم عند العقلاء كذا فى خلاصة السلوك * وفى اصطلاحات السيد الجرجانى الحرص طلب شيئ باجتهاد فى إصابة .

(كشاف ١/ ٣٠٨) .

(لسان العرب لابن منظور ١٠ / ٨٣٥، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٢ / ٢١ ، ٢٢، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٣٠٨) .

الحَرْف :

(بفتح الحاء)

قال الإمام الراغب الأصفهانى :

حرف : حَرْفُ الشىء طرفه وجمعه أحرف وحروف ، يقال حرف السيف وحرف السفينة وحرف الجبل ، وحروف الهجاء أطراف الكلمة والحروف العوامل فى النحو أطراف الكلمات الرابطة بعضها ببعض ، وناقة حرف تشبيها بحرف الجبل أو تشبيها فى الدقة بحرف من حروف الكلمة ، قال عز وجل : **﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾** [الحج : ١١] قد فسر ذلك بقوله بعده (فإن أصابه خير) الآية ، وفى معناه : **﴿مذبذبين بين ذلك﴾** [النساء : ١٤٣] وانحرف عن كذا وتحرف واحترف ، والاحتراف طلب حرفة للمكسب ، والحرفة حالته التى يلزمها فى ذلك نحو القعدة والجلسة ، والمحارف المحروم الذى خلا به الخير ، وتحريف الشىء إمالته كتحريف القلم ، وتحريف الكلام أن تجعله على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين ، قال عز وجل : **﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه﴾** [المائدة : ١٣] و **﴿ يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾** [المائدة : ٤١] **﴿ وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه﴾** [البقرة : ٧٥] والحرف ما فيه حرارة ولذع كأنه محرف عن الحلاوة والحرارة ، وطعام حريف . وروى عنه ﷺ : « نزل القرآن على سبعة أحرف » وذلك مذكور على التحقيق فى الرسالة المنبهة على فوائد القرآن (مفردات القرآن/ ١١٤) .

وجاء فى اللسان : الحرف من حروف الهجاء : معروف وأحد حروف التهجى . والحرف : الأداة التى تسمى الرابطة لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل كعن وعلى ونحوهما ، قال الأزهرى : كل كلمة بُنيت أداة عازية فى الكلام لتفرقة المعانى فاسمها حرف وإن كان بناؤها بحرف أو فوق ذلك مثل حتى وهل وبل ولعل (لسان العرب ١٠/ ٨٣٧) .

وقال الإمام النظام النيسابورى :

وأما الحرف : فهو الواحد من حروف المعجم ، سمى حرفا لقلته ودقته ، ولذلك قبل حرف الشىء لطرفه لأنه آخره والقليل منه . والحرف أيضا الناقة المهزولة وقد يقال للسمينة أيضا حرف فهو من الأضداد . والحرف اللغة أيضا ، قال ﷺ «أنزل القرآن على سبعة أحرف » والحرف أيضا القراءة بكمالها والقصيدة بتمامها . والحرف أيضا أحد أقسام الكلمة ، وذلك أن الكلمة إن احتاجت فى الدلالة على معناها الإفرادى إلى ضميمة نحو « من » و « قد » فهو حرف . وإلا فإن كانت فى أصل الوضع بهيئتها التصريفية على أحد الأزمنة الثلاثة الماضى والحال والاستقبال فهو فعل نحو نصر وينصر ، وإلا

فهو اسم كالإنسان فإن معناه لا يقترن بالزمان أصلا، ومثل اليوم والساعة والزمان فإن الزمان كل معناه، ومثل الصبوح والغبوق لأن الزمان جزء معناه، ومثل عِلْم وجَهْل وضَرْب فإن معناه يدل على الزمان عقلا لا بحسب الهيئة، ومثل ضارب ومضروب فإنه لو سلم أن معناه يدل على الزمان بحسب الهيئة إذ لكل منهما هيئة مخصوصة لكنها ليست فى أصل الوضع ولا يخرج من حد الفعل نحو عسى مما لا يدل على الزمان، لأن تجرده عن الزمان عرض لغرض الإنشاء، ولا الفعل المستقبل لكون معناه مقترنا بزمانين الحال والاستقبال لأن قولنا بأحد الأزمنة تحديد لأدنى درجات الاقتران، ولو سلم أنه يجب الاقتران بأحد الأزمنة فقط، فذلك فى أصل الوضع، ولا مانع من اقترانه بعد ذلك بزمان آخر مجازا (غرائب القرآن/ ٣٥).

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١١٤، ولسان العرب لابن منظور ١٠ / ٨٣٧، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنظام النيسابورى ــ تحقيق إبراهيم على سالم/ ٣٥).

قالت المؤلفة: يأتى تعريف الحرف فى مصنفات التراث الإسلامى فى علوم اللغة العربية وعلوم القرآن الكريم ــ من حيث هو أحد أقسام الكلمة ــ على المستوى الصوتى، ولا يسمى فى علم اللغة الحديث حرفا بل صوتا، فتوصف مخارج الحروف وصفاتها وصلتها الوثيقة بتلاوة القرآن الكريم، وعلى المستوى الصرفى من حيث معانيها ودلالاتها، كما تدرج الحروف من حيث عدد حروفها كالحروف الآحادية والثنائية ... إلخ. وفى المصنفات الحديثة أضيف المستوى الخطى من حيث استخدام الحرف فى فن الخطاطة والتصوير وتزيين جدران المساجد والمبانى بآيات من القرآن الكريم.

ويأتى ذلك كله فى مواضعه إن شاء الله تعالى.

انظر: الحروف.

حُرْف:

قال ياقوت:

حُرْفُ: بالضم ثم السكون، والفاء؛ وهو فى اللغة حب الرشاد؛ والاسم من الحرفة ضد السعادة: وهو رستاق من نواحى الأنبار؛ ينسب إليه أبو عمران موسى بن سهل بن كثير ابن سيار الوشا الحرفى، حدث عن إسماعيل بن عُلَيَّة ويزيد ابن هارون وغيرهما، روى عنه ابن السماك أبو بكر الشافعى، ومات فى ذى القعدة سنة ٢٧٨.

والحرف أيضا: آرام سود مرتفعات، قال نصر: أحسبها فى منازل بنى سليم.

(معجم البلدان ٢/ ٢٤٣).

الحُرْف:

(بضم الحاء)

مما يرد فى طب الأعشاب فى التراث الإسلامى. قال عنه القزوينى:

الحرف: هو حب الرشاد أكله يزيد فى الذهن والذكاء ... عصارته تحفظ الشَّعر قال ابن سينا: ينفع من الجرب المتقرح ومن عرق النسا والقوباء شربا وضمادا، وكذلك من نهش الهوام شربًا وضمادا مع العسل وإذا داومت على أكله الحبلى سقط جنينها (عجائب المخلوقات/ ١٨٤).

وقد أدرجه المظفر الرسولى فى الأدوية المفردة واستخدم لمصادره الرموز التالية:

ع: عبد الله بن البيطار مؤلف الجامع لمفردات الأدوية والأغذية.

ج: ابن جزلة مؤلف منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان.

ف: أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

«ع»: هو الذى يتداوى به، ويسمى الثفاء بالعربية، والمقلياثا بالسريانية. وقال: المقلياثا هو الحرف المقلو خاصة، وسفوف المقلياثا النافع من الزحير منسوب إليه، لأنه نقع فيه مقلوا، وقوته قوة تحرق، مثل بزر الحرمل، وهو يقطِّع الأخلاط الغليظة تقطيعا، كما يقطِّعها بزر الخردل، فإنه شبيه به فى كل شىء، ويقل الحرف نفسه إن جفف كانت قوته مثل قوة بزره، فأما ما دام طريا فهو بسبب الرطوبة المائية ناقص القوة عن البزر كثيرا، وقوة البزر فى الحرارة واليبوسة من آخر الدرجة الثالثة، إلى أول الرابعة، وهو مسخن حريف ردىء للمعدة، ملين للبطن، يخرج الدود، ويحلل أورام الطحال ويقتل الأجنة ...

ويشبه بزر الخردل وبزر الجرجير، وإذا طبخ فى الأحساء أخرج الفضول من الصدر، وإذا شرب نفع من نهش الهوام، ولسعها، وإذا دخن به فى موضع طرد عنه الهوام، ويمسك الشعر المتساقط، وإذا خلط بالسويق والخل، وتضمد به مع الماء والملح، أنضج الدماميل، وورقه يفعل ذلك. وقال: ينفع من الاسترخاء فى جميع البدن شربا، وهو يقتل الأجنة قتلا قويا جدا، شربا أو حمولا، وينشِّف القيح من الجوف، ويشهى الطعام، وإذا شرب بالماء الحار يحل القولنج، ويخرج الديدان وحب القرع، وإذا قلى أمسك الطبيعة، وإن شرب غير مقلو أسهلها، وإذا غسل بمائه العين نقاه من الأوساخ والرطوبات اللزجة، وينفع من تساقط الشعر، وإن سحق نيئا واستف نفع من البرص، وإن لطخ عليه وعلى البهق الأبيض بالخل نفعهما، وإذا ضمدت به لسعة العقرب نفعها. « ج » هو حب الرشاد، وقوته شبيهة بقوة بزر الفجل والخردل مجتمعين، وبزر الجرجير مع الخردل، ونصف مثقال منه يسهل المرة. ويسهل الدود، ويدر الحيض، والمقلو منه يحبس خاصة إذا لم يسحق، وثلاثة دراهم منه إذا سحقت بماء حار، تسهِّل وتحلل الرياح، وينفع من لسع الهوام شربا وضمادا بالعسل، وهو يسقط الأجنة، ويضر بالصدر. « ف » ينفع من البهق وعرق النسا، وينقى الصدر والرئة والمعدة، ويجبس الطبيعة، وينفع سحج الأمعاء، ويذهب بالمغص الشديد الحادث منها، والشربة منه: ثلاثة دراهم.

قال الشيخ عبد الغنى النابلسى: يزرع سقيًا وبعلاً، وهو أنواع، ويزرع فى شباط وآذار ونيسان، ويقلع إذا نما واستوى فى أيار... وهو حار يابس فى الثالثة، وقيل فى الرابعة (علم الملاحة فى علم الفلاحة/ ١٢٦).

(غرائب المخلوقات وعجائب الموجودات للقزوينى / ١٨٤، والمعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ـ صححه وفهرسه مصطفى السقا / ٩٣، ٩٤، وعلم الملاحة فى علم الفلاحة للشيخ عبد الغنى النابلسى / ١٢٦، انظر أيضا الطب النبوى لابن قيم الجوزية ـ كتب المقدمة وراجع الأصل وصحح وأشرف على التعليقات الأستاذ عبد الغنى عبد الخالق، وضع التعاليق الطبية د. عادل الأزهرى، وخرج الأحاديث محمود العقدة / ٢٣١، ٢٣٢، وتذكره أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١/ ١٢٢).

حرق النار:

من الطب الإسلامى ما جاء عن حرق النار وعلاجه فى كتاب تسهيل المنافع لابن الأزرق الذى يقول نقلا عن كتاب الرحمة للحكيم المقرى:

قال صاحب كتاب الرحمة: يطلى عليه على الفور بخل وخثير السمن يسكن الوجع ويخفف الورم وقال فى الدرة لحرق النار الاسفيداج الرصاصى إذا خلط بدهن ورد وطلى به على حرق النار أبرأه بياض البيض إذا لطخ به حرق النار ساعة يحترق نفعه ومنعه من النفط وكذا الصمغ العربى العفص إذا دق ناعما كالكحل وعجن بماء وطلى به حرق النار لم ينفط وبرأ البتة عجين الذرة إذا لطخ به على حرق النار نفعه قلت: وهو أقرب وأسهل وينبغى أن يفطن له وذلك أن النساء كثيرا ما يصيبهن حرق النار فى الخبز والتنور فينبغى لهن أن يتداوين من الخبز الذى يخبزنه حينئذ فإنه دواء متيسر حالا ومكانا والله أعلم. حرق النار: جرب له أن يطلى بالبيض المضروب بياضه فى صفرته وكرر إلى خمس مرات أو سبع مرات فإنه لا ينفط ويصح سريعا وإذا تقرح دهن بدهن ورد، وكذا إن يبس البيض على الحرق وأضر به لين بدهن ورد، وإن دهن وطبخ بسليط وماء ورد مرة أو مرات على قدر الحاجة وإذا قرح حرق النار فيؤخذ الحمر ويدق ويجعل عليه ذرورا فإنه يبرأ، وقال الماردينى فى رسالته: علاج حرق النار الماء والدهن ينفع من ذلك ومن تنفطه أن يطلى بصندل وماء ورد مع كافور وإذا لطخ الحرق بالخل والملح وذر عليه دقيق شعير منعه من النفط ولكن يحصل فيه لذع شديد ثم يسكن ويبرئه أو يطلى بالصمغ أو بياض البيض ودهن ورد يوضع فإذا أزمن ذر عليه ورق الهدس مدقوقا انتهى.

وقال فى مختصر المغنى: المر ووسخ الحديد جيد لحرق النار ضمادا فإذا سحق وحل بالزيت على النار كان مادة لجميع المراهم يقويها ويعينها وينفع من حرق النار وحرق الماء الحار منفعة عظيمة.

الملح إذا دق وخلط بـدقيق وعسل وزيت ووضع على حرق النار لم يدعه ينفط وينفعه .

مرارة الثور إذا سحقت وطلى بها على حرق النار نفع ؛ والماء الحار قبل قبل أن ينفط لم ينفط .

الحناء إذا طبخ ودق ناعما وخلط بزيت ووضع على حرق النار نفعه . رماد خشب الأثل : إذا ذر على القروح الرطبة قروح حرق النار نفعه .

الشبت : جميع أنواعه إذا خلطت بالماء ولطخ به على حرق النار نفعه .

غراء جلود البقر: إذا أذيب بالماء الحار ولطخ به حرق النار والماء الحار نفعه ولم ينفط .

الذهب : إذا كوى به لم ينفط موضع كيه وكان سريع البرء .

الحناء : إذا عجنت بماء الكزبرة الخضراء إذا وجدت ثم يطلى به حرق النار فى ابتدائه مع دهن الورد يضرب بالخل حتى يختلط نفعه ...

الحناء : يطبخ ورقه بالماء ويصب ماؤه على حرق النار فإنه ينفعه جدا .

صفرة البيض : إذا أخذت منه زية قطن وغمست فى الصفرة مع دهن ورد وضمد بها حرق النار والماء الحار نفع انتهى كلامه . وقال من أصابته الصاعقة فإن حكمه مثل حرق النار .

(تسهيل المنافع فى الطب والحكمة المشتمل على شفاء الأجسام وكتاب الرحمة لابن الأزرق/ ١٧٧) .

الحرقة :

من أمراض الجهاز الهضمى أو أمراض آلات الغذاء كما سماها صاحب النزهة المبهجة وقال عنها :

الحرقة هى : الإحساس باللذع والحدة وفساد الطعام (وسببها) التخليط وأكل ما له رطوبة سريعة التعفن كالفواكه وتحدث هذه بعد الطعام وزمن الامتلاء وقد تكون الحرقة لكثرة ما يدفعه الطحال من السوداء إلى المعدة وهذا النوع يكون وقت الجوع خاصة .

العلاج للأول بالقيء وأخذ ما يجفف البلة مثل الزنجبيل والأغذية الجافة والأملج المربى فإن أحس بحرارة فنحو البزر قطونا والمر وملعبة بماء الورد والسكر شربا وكذا الرجلة وإن كان هناك جشاء فبعض ما تقدم فيه وعلاج الثانى فصد أسيلم اليسار والسكنجبين البزورى أو العنصلى .

(النزهة المبهجة لداود بن عمر الأنطاكى المطبوع بذيل كتابه تذكرة أولى الألباب/ ٦٤ـ ٦٥) .

الحُرَقة :

قال ياقوت :

الحُرَقَةُ : بالضم ثم الفتح، والقاف : ناحية بعمان ؛ ينسب إليها أبو الشعثاء جابر بن زيد اليحمدى الأزدى الحرقى، أحد أئمة السنة من أصحاب عبد الله بن عباس، أصله من الحرقة، قالوا : ويقال له الجوفى، بالجيم والواو والفاء، لأنه نزل البصرة فى الأزد فى موضع يقال له درب الجوف، روى عن ابن عباس وابن عمرو، روى عنه عمرو بن دينار، وتوفى سنة ٩٣ .

(معجم البلدان ٢/ ٢٤٣) .

الحركة :

قال صاحب كشاف اصطلاحات الفنون :

الحركة بفتح الحاء والراء المهملة فى العرف العام النقل من مكان إلى مكان هكذا ذكر العلمى فى حاشية شرح هداية الحكمة وهذا هو الحركة الإينية المسماة بالنقلة : قال صاحب الأطول : لا تطلق الحركة عند المتكلمين إلا على هذه الحركة الإينية وهى المتبادرة فى استعمالات أهل اللغة وقد تطلق عند أهل اللغة على الوضعية دون الكمية والكيفية انتهى وهكذا فى شرح المواقف ويؤيد الإطلاقين ما وقع فى شرح الصحائف من أن الحركة فى العرف العام انتقال الجسم من مكان إلى مكان آخر او انتقال أجزائه كما فى حركة الرحىٰ انتهى .

وعند الصوفية الحركة السلوك فى سبيل الله تعالى كذا فى لطائف اللغات ثم المتكلمون عرفوا الحركة بحصول جوهر فى مكان بعد حصوله فى مكان آخر أى مجموع الحصولين والحصول فى الحيز الثانى المقيد بكونه بعد الحصول فى

الحيز الأول وإن كان متبادرا من ظاهر التعريف ولذا قيل الحركة كونان فى آنين فى مكانين والسكون كونان فى آنين فى مكان واحد ويرد عليه أن ما أحدث فى مكان واستقر فيه آنين وانتقل منه فى الآن الثالث إلىٰ مكان آخر لزم أن يكون كون ذلك الحادث فى الآن الثانى جزءًا من الحركة والسكون فإن هذا الكون مع الكون الأول يكون سكونا ومع الثالث يكون حركة فلا تمتاز الحركة عن السكون بالذات بمعنىٰ أنه يكون الساكن فى آن سكونه أعنى الآن الثانى شارعا فى الحركة فالحق هو المعنى المتبادر من التعريف ولذا قيل الحركة كون أول فى مكان ثان والسكون كون ثان فى مكان أول .

ويرد عليه وعلى القول الأول أيضا أن يكون فى أول زمان الحدوث لا يكون حركة ولا سكونا .

اعلم أن الأشاعرة علىٰ أن الأكوان وسائر الأعراض متجددة فى كل آن والمعتزلة قد اتفقوا على أن السكون كون باق غير متجدد واختلفوا فى الحركة هل هى باقية أم لا فعلى القول ببقاء الأكوان يرد على كلا الفريقين أنه لا معنى للكونين ولا لكون الكون أولا وثانيا لعدم تعدده اللهم إلا أن يفرض التجدد فرضا وعلى القول بعدم بقائها يرد أن لا يكون الحركة والسكون موجودين لعدم اجتماع الكونين فى الوجود اللهم إلا أن يقال يكفى فى وجود الكل وجود أجزائه ولو على سبيل التعاقب .

وقيل الحق أن السكون مجموع الكونين فى مكان واحد والحركة كون أول فى مكان ثان ومما يجب أن يعلم أن المراد بكونين فى مكان أن أقل السكون ذلك وبالكون الثانى فى مكان أول ما يعم الكون الثالث وعلى هذا قس سائر التعاريف .

واعلم أيضا أن جميع التعاريف لا يشتمل الحركة الوضعية لأنه لا كون للمتحرك بها إلا فى المكان الأول هكذا يستفاد مما ذكره المولوى عصام الدين والمولوى عبد الحكيم فى حواشيهما على شرح العقائد النسفية ويجيىء ما يدفع بعض الشكوك فى لفظ الكون .

واما الحكماء فقد اختلفوا فى تعريف الحركة فقال بعض القدماء هى خروج ما بالقوة إلى الفعل على التدريج بيانه أن الشيىء الموجود لا يجوز أن يكون بالقوة من جميع الوجوه والا لكان وجوده أيضا بالقوة فيلزم أن لا يكون موجودا فهو إما بالفعل من جميع الوجوه وهو البارىء تعالى أو بالفعل من بعضها وبالقوة من بعض فمن حيث إنه موجود بالقوة لو خرج ذلك البعض من القوة إلى الفعل فهو إما دفعة وهو الكون والفساد فتبدل الصورة النارية بالهوائية انتقال دفعى ولا يسمونه حركة بل كونا وفسادا ، و إما على التدريج وهو الحركة فحقيقة الحركة هو الحدوث أو الحصول أو الخروج من القوة إلى الفعل إما يسيرا يسيرا أو لا دفعة أو بالتدريج . وكل من هذه العبارات صالحة لإفادة تصور الحركة لكن المتأخرين عدلوا عن ذلك لأن التدريج هو وقوع الشيىء فى زمان بعد زمان فيقع الزمان فى تعريفه والزمان مفسر بأنه مقدار الحركة فيلزم الدور وكذا الحال فى اللادفعة وكذا معنى يسيرا يسيرا فقالوا الحركة كمال أول لما هو بالقوة من جهة ما هو بالقوة وهكذا قال أرسطو وتوضيحه أن الجسم إذا كان فى مكان مثلا وأمكن حصوله فى مكان آخر فله إمكانان إمكان الحصول فى المكان الثانى و إمكان التوجه إليه وكلما هو ممكن الحصول له فإنه إذا حصل كان كمالا له فكل من التوجه إلى المكان الثانى والحصول فيه كمال إلا أن التوجه متقدم على الحصول لا محالة فوجب أن يكون الحصول بالقوة ما دام التوجه بالفعل فالتوجه كمال أول للجسم الذى يجب أن يكون بالقوة فى كماله الثانى الذى هو الحصول .

ثم أن التوجه ما دام موجودا فقد بقى منه شيء بالقوة فالحركة تفارق سائر الكمالات بخاصتين :

إحديهما : أنها من حيث إن حقيقتها هى التأدى إلى الغير والسلوك إليه تسلتزم أن يكون هناك مطلوب ممكن الحصول غير حاصل معها بالفعل ليكون التأدى تأديا إليه وليس شيء من سائر الكمالات بهذه الصفة إذ ليست ماهيتها التأدى إلى الغير ولا يحصل فيها واحد من هذين الوصفين ، فإن الشيىء مثلا إذا كان مربعا بالقوة ثم صار مربعا بالفعل فحصول المربعية من حيث هو هو لا يستعقب شيئا ولا يبقى عند حصولها شيء منها بالقوة وأما الإمكان الاستعدادى و إن كان يستلزم أن لا يكون المقبول غير حاصل معه بالفعل فإن

التحقيق أن الاستعداد يبطل مع الفعل لكن حقيقتها ليس التأدى .

وثانيتهما أنها تقتضى أن يكون شيىء منها بالقوة فإن المتحرك إنما يكون متحركا إذا لم يصل إلى المقصد فإنه إذا وصل إليه فقد انقطع حركته وما دام لم يصل فقد بقى من الحركة شيىء بالقوة فهوية الحركة مستلزمة لأن يكون محلها حال اتصافه بها يكون مشتملا على قوتين قوة بالقياس إليها وقوة أخرى بالقياس إلى ما هو المقصود بها .

أما القوة التى بالنسبة إلى المقصد فمشتركة بلا تفاوت بين الحركة بمعنى القطع والحركة بمعنى التوسط فإن الجسم ما دام فى المسافة لم يكن واصلاً إلى المنتهى وإذا وصل إليه لم تبق الحركة أصلا .

وأما القوة الأخرى ففيها تفاوت بينهما فإن الحركة بمعنى القطع حال اتصاف المتحرك بها يكون بعض أجزائها بالقوة وبعضها بالفعل فالقوة والفعل فى ذات شيىء واحد .

والحركة بمعنى التوسط إذا حصلت كانت بالفعل ولم تكن هناك قوة متعلقة بذاتها بل بنسبتها إلى حدود المسافة وتلك النسبة خارجة عن ذاتها عارضة لها كما ستعرف فقد ظهر أن الحركة كمال بالمعنى المذكور للجسم الذى هو بالقوة فى ذلك الكمال وفيما يتأدى إليه ذلك الكمال .

وبقيد الأول تخرج الكمالات الثانية وبقيد الحيثية المتعلقة بالأول تخرج الكمالات الأولى على الإطلاق أعنى الصورة النوعية لأنواع الأجسام والصور الجسمية للجسم المطلق فإنها كمالات أولى لما بالقوة لكن لا من هذه الحيثية بل مطلقا لأن تحصيل هذه الأنواع والجسم المطلق فى نفسه انما هو بهذه الصور وما عداها من أحوالها تابعة لها بخلاف الحركة فإنها كمال أول من هذه الحيثية فقط وذلك لأن الحركة فى الحقيقة من الكمالات الثانية بالقياس إلى الصور النوعية وإنما اتصفت بالأولية لاستلزامها ترتب كمال آخر عليها بحيث يجب كونه بالقوة معها فهى أول بالقياس إلى ذلك الكمال وكونه بالقوة معها لا مطلقا فالحاصل أن الحركة كمال أول للجسم الذى هو بالقوة فى كماله الثانى بحيث يكون أوليته من جهة الأمر الذى هو له بالقوة بأن تكون أولية هذا الكمال بالنسبة إليه .

وههنا توجيهان آخران :

الأول أن يكون قولهم من جهة ما هو بالقوة متعلقا بما يتعلق به قولهم لما هو بالقوة كالثابت والحاصل فيكون المعنى كمال أول حاصل للجسم الذى يجب كونه معه بالقوة فى كماله الثانى ومتعلق به من جهة كونه بالقوة وذلك لأن الحركة كمال بالنسبة إلى الوصول أو بقية الحركة للجسم الذى يجب كونه معه بالقوة فى كماله الثانى وحصوله له من جهة كونه بالقوة إذ على تقدير الوصول أو بقية الحركة بالفعل تكون الحركة منقطعة غير حاصلة للجسم وبيان فائدة القيود مثل ما مر لكن بقى انتقاض تعريف الحركة بالإمكان الاستعدادى إذ يصدق أنه كمال بالنسبة إلى ما يترتب عليه سواء كان قريبا أو بعيدا للجسم الذى يجب كونه معه بالقوة فى الكمال الثانى من جهة كونه بالقوة فإنه إذا حصل ما يترتب عليه بطل استعداده وكذلك أولية الاستعداد بالنسبة إلى ما يترتب والثانى أن يكون متعلقا بلفظ الكمال ويكون المعنى أن الحركة كمال أول للجسم الذى هو بالقوة فى كماله الثانى من جهة المعنى الذى هو به بالقوة بأن يكون ذلك المعنى سببا لكماليته وذلك فإن الحركة ليست كمالا له من جهة كونه جسما أو حيوانا بل إنما هى كمال من الجهة التى باعتبارها كان بالقوة أعنى حصوله فى أين مخصوص أو وضع مخصوص أو غير ذلك وفيه نظر وهو أن الحركة ليست كمالا من جهة حصوله فى أين أو وضع أو غير ذلك فإن كماليتها إنما هو باعتبار حصولها بعد ما كان بالقوة .

ويرد على التوجيهات الثلاثة أنه يخرج من التعريف الحركة المستديرة الأزلية الأبدية الفلكية على زعمهم إذ لا منتهى لها إلا بالوهم فليس هناك كمالان أول هو الحركة وثان هو الوصول إلى المنتهى إلا إذا اعتبر وضع معين واعتبر ما قبله دون ما بعده إلا أن هذا منتهى بحسب الوهم دون الواقع المتبادر من التعريف وفى الملخص أن تصور الحركة أسهل مما ذكر فإن كل عاقل يدرك التفرقة بين كون الجسم متحركا وبين كونه ساكنا وأما الأمور المذكورة فمما لا يتصورها إلا الأذكياء من الناس وقد أجيب عنه بأن ما أورده يدل على تصورها بوجه والتصديق بحصولها للأجسام لا على تصور حقيقتها .

اعلم أنهم اختلفوا فى وجود الحركة فقيل بوجوده وقيل بعدم وجوده وحاكم بينهم أرسطو فقال الحركة يقال بالاشتراك اللفظى لمعنيين الأول التوجه نحو المقصد وهو كيفية بها يكون الجسم أبدا متوسطا بين المبدأ والمنتهى أى مبدأ المسافة ومنتهاها ولا يكون فى حيز آنين بل يكون فى كل آن فى حيز آخر وتسمى الحركة بمعنى التوسط .

وقد يعبر عنها بأنها كون الجسم بحيث أى حد من حدود المسافة يفرض لا يكون هو قبل الوصول إليه ولا بعده حاصلا فيه وبأنها كون الجسم فيما بين المبدأ والمنتهى بحيث أى آن يفرض يكون حاله فى ذلك الآن مخالفا لحاله فى آنين يحيطان به والحركة بهذا المعنى أمر موجود فى الخارج فإنا نعلم بمعاونة الحس أن للمتحرك حالة مخصوصة ليست ثابتة له فى المبدأ ولا فى المنتهى بل فيما بينهما وتستمر تلك الحالة إلى المنتهى وتوجد دفعة ويستلزم اختلاف نسب المتحرك إلى حدود المسافة فهى باعتبار ذاتها مستمرة وباعتبار نسبتها إلى تلك الحدود سيالة وبواسطة استمرارها وسيلانها تفعل فى الخيال أمرا ممتدا غير قار هو الحركة بمعنى القطع فالحركة بمعنى التوسط تنافى استقرار المتحرك فى حيز واحد سواء كان منتقلا عنه أو منتقلا إليه فتكون ضدًّا للسكون فى الحيز المنتقل عنه وإليه بخلاف من جعل الحركة الكون فى الحيز الثانى كما يجيىء فى لفظ الكون .

الثانى الأمر الممتد من أول المسافة إلى آخرها ويسمى الحركة بمعنى القطع ولا وجود لها إلا فى التوهم إذ عند الحصول فى الجزء الثانى بطل نسبته إلى الجزء الأول منها ضرورة فلا يوجد هناك أمر ممتدا من مبدأها إلى منتهاها نعم لما ارتسم نسبة المتحرك إلى الجزء الثانى الذى أدركه فى الخيال قبل أن يزول نسبته إلى الجزء الأول الذى تركه عنه أى عن الخيال يخيل أمر ممتد كما يحصل من القطرة النازلة والشعلة المدارة أمر ممتد فى الحس المشترك فيرى لذلك خطا ودائرة .

التقسيم : الحركة إما سريعة أو بطيئة فالسريعة هى التى تقطع مسافة مساوية لمسافة أخرى فى زمان أقل من زمانها ويلزمها أن تقطع الأكثر من المسافة فى الزمان المساوى أعنى إذا فرض تساوى الحركتين فى المسافة كان زمان السريعة أقل وإذا فرض تساويهما فى الزمان كانت مسافة السريعة أكثر فهذان الوصفان لازمان للسريعة مساويان لها ولذلك عرفت بكل واحد منهما وأما قطعها لمسافة أطول فى زمان أقصر فخاصة قاصرة والبطيئة عكسها فتقطع المساوى من المسافة فى الزمان الأكثر أو تقطع الأقل من المسافة فى الزمان المساوى وربما قطعت مسافة أقل فى زمان أكثر لكنه غير شامل لها والاختلاف بالسرعة والبطء ليس اختلافا بالنوع إذ الحركة الواحدة سريعة بالنسبة إلى حركة والبطيئة بالنسبة إلى أخرى ولأنهما قابلان للاشتداد والنقص .

فائدة : قالوا علة البطء فى الطبيعة ممانعة المخروق الذى فى المسافة فكلما كان قوامه أغلظ كان أشد ممانعة للطبيعة وأقوى فى اقتضاء بطء الحركة كالماء مع الهواء فنزول الحجر إلى الأرض فى الماء أبطأ من نزوله إليها فى الهواء .

وأما فى الحركات القسرية والإرادية فممانعة الطبيعة إما وحدها لأنه كلما كان الجسم أكبر أو كانت الطبيعة السارية فيه أكبر كان ذلك الجسم بطبيعته أشد ممانعة للقاسر والمحرك بالإرادة وأقوى فى اقتضاء البطء وإن اتحد المخروق والقاسر والمحرك الإرادى ومن ثم كانت حركة الحجر الكبير أبطأ من حركة الصغير فى مسافة واحدة من قاسر واحد أو ممانعة الطبيعة مع ممانعة المخروق كالسهم المرمى بقوة واحدة تارة فى الماء وتارة فى الهواء وكالشخص السائر فيهما بالإرادة وربما أحدهما أكثر والآخر أقل فتعادلا مثل أن يحرك قاسر واحد الجسم الكبير فى الهواء والصغير فى الماء الذى يزيد معارقة الهواء بمقدار الزيادة التى فى طبيعته .

وأيضا الحركة إما إينية وهى الانتقال من مكان إلى مكان تدريجا وتسمى النقلة وإما كمية وهى الانتقال من كم إلى كم آخر تدريجا وهو أولى مما ذكره الشارح القديم من أنها انتقال الجسم من كم إلى كم على التدريج إذ قد ينتقل الهيولى والصورة أيضا من كم إلى كم وهذه الحركة تقع على وجوه التخلخل والتكاثف والنمو والذبول والسمن والهزال وإما

كيفيـة وهى الانتقـال من كيفية إلـى أخرى تـدريجـا وتسمى بـالاستحالـة وإمـا وضعيـة وهى أن يكون للشىء حـركـة على الاستدارة فإن كلـواحد من أجـزاء المتحرك يفارق كلـواحد من أجزاء مكانـه لو كان له مكـان ويلازم كله مكانـه فقد اختلفت نسبة أجزائه إلى أجزاء مكانه على التدريج . وقولهم لو كان له مكان ليشمل التعريف فلك الإفلاك .

والمراد بـالحركـة المستديـرة ما هـو المصطلح وهـو ما لا يخرج المتحرك بها عن مكانه اللغوى فإن معناها اللغوى أعم من ذلك فإن الجسـم إذا تحـرك على محيـط دائرة يقـال إنـه متحرك بحـركة مستديـرة فعلى هذا حـركة الرحى وضعيـة وكذا حركة الجسم الآخـر الذى يدور حول نفسـه من غير أن تخرج عن مكانـه حركـة وضعية وقيل الحركـة الوضعيـة منحصرة فى حركة الكرة فى مكانهـا وليس بشيىء إذ الحركة فى الوضع هى الانتقال من وضع إلى وضع آخر تدريجـا وقيل حصر الوضعية فى الحـركة المستـديرة أيضـا ليس بشيىء على ما عـرفت من معنى الحركـة فى الوضع كيـف والقائم إذا قعد فقـد انتقل من وضع إلى وضع آخـر مع أنه لا يتحـرك على الاستدارة وثبـوت الحركة الإينية لا ينافى ذلك نعم لا تـوجد الوضعية هناك على الانفراد .

وبـالجملة فـالحق أن الحركـة الـوضعية هى الانتقـال من وضع إلى وضع كمـا عرفت فكان الحصـر المذكـور بناء على إرادة الحركة الـوضعية على الانفراد ولذا قيل الحركـة الوضعية تبدل وضع المتحـرك دون مكانه علـى سبيل التدريج وتسمى حركة دورية أيضا انتهى .

وهذا التقسيم بناء على أن الحركة عند الحكماء لا تقع إلا فى هذه المقـولات الأربع ، وأما بـاقى المقولات فـلا تقع فيها حركة لا فى الجوهر لأن حصوله دفعى ويسمى بالكون والفساد ولا فى باقى مقولات العرض لأنها تابعة لمعروضاتها فإن كانت معروضـاتها مما تقع فيه الحـركة تقع فى تلك المقولة الحـركة أيضا وإلا فلا .

ومعنى وقـوع الحركـة فى مقولـة عند جمـاعة هـو أن تلك المقولـة مع بقائها بعينهـا تتغير من حـال إلى حال على سبيل التـدريج فتكـون تلك المقـولـة هى المـوضع الحقيقى لتلك الحركة سـواء قلنا إن الجوهر الـذى هو موضوع لتلـك المقولة موصـوف بتلك الحركـة بالعـرض وعلى سبيل التبع أو لم نقل وهو بـاطل لأن التسود مثلا ليس هو أن ذات السـواد يشتد لأن ذلك السواد إن عدم عند الاشتداد فليس فيه اشتداد قطعا وإن بقى ولـم تحـدث فيـه صفـة زائدة فلا اشتـداد فيـه أيضـا وإن حدثت فيه صفة زائدة فلا تبدل ، ولا اشتداد قطعا ولا حركة فى ذات السواد بل فى صفة والمفروض خلافه وعند جماعة معناه أن تلك المقولة جنس لتلك الحركة قالوا إن من الأين ما هو قار ومنـه مـا هـو سيـال وكـذا الحـال فى الكم والكيف والـوضع فالسيـال من كل جنس من هـذه الأجناس هـو الحركـة فتكون الحـركـة نوعـا من ذلك الجنس وهـو بـاطل أيضـا إذ لا معنى للحركة إلا تغيـر الموضوع فى صفاتـه علـى سبيـل التدريـج ولا شك أن التغير ليس من جنس المتغير والمتبدل لأن التبدل حالة نسبية إضافية والمتبدل ليس كذلك فإذا كان المتبدل فى الحركـة فى هذه المقـولات لم يكن شيىء منها جنسـا للتبدل الواقع فيها والصواب أن معنى ذلك هو أن الموضوع يتحرك من نوع لتلك المقولة إلى نوع آخر أو من صنف إلى صنف آخر أو من فرد إلى فرد آخر .

وأيضا الحركة إمـا ذاتية أو عرضية قالوا ما يـوصف بالحركة إما أن تكـون الحركـة حاصلة فيـه بالحقيقـة بأن تكون الحـركة عـارضة لـه بلا تـوسط عروضهـا لشيىء آخر، أو لا تكـون بأن تكون الحركـة حاصلة فى شيىء آخـر يقارنه فيوصف بـالحركة تبعا لذلك والثانى يقال له إنـه متحرك بالعرض وبالتبع وتسمى حركته حركة عرضية وتبعيـة كراكب السفينة ، والأول يقال له إنه متحرك بالذات وتسمى حركته حركة ذاتية .

والحركة الذاتيـة ثلاثة أقسام لأنه إما أن يكـون مبدأ الحركة فى غيـره وهى الحركـة القسريـة أو يكـون الحركـة فيه إمـا مع الشعـور أى شعور مبـدأ الحـركة بتلك الحـركـة وهى الحركـة الإرادية أولا مع الشعور وهى الحـركة الطبيعية فالحركـة النباتية طبعية وكذلك حـركة النبض لأن مبدأ هاتين الحـركتين موجود فى المتحرك ولا شعور لـه بالحركة الصـادرة عنه وقد أخطأ من جعل الحركة الطبعية هى الصاعدة والهابطة وحصرها فيهما إذ

تخرج عنها حينئذ هاتان الحركتان وكذا أخطأ من جعل الحركة الطبعية هى التى على وتيرة واحدة من غير شعور بخروج هاتين الحركتين .

ومنهم من قسم الحركة إلى ذاتية وعرضية والذاتية إلى ستة أقسام لأن القوة المحركة إن كانت خارجة عن المتحرك فالحركة قسرية وإن لم تكن خارجة عنه فإما أن تكون الحركة بسيطة أى على نهج واحد وإما أن تكون مركبة لا على نهج واحد .

والبسيطة إما أن تكون بإرادة وهى الحركة الفلكية أو لا بإرادة وهى الحركة الطبعية .

والمركبة إما أن تكون مصدرها القوة الحيوانية أو لا، الثانية الحركة النباتية والأولى إما أن تكون مع شعور بها وهى الحركة الإرادية الحيوانية أو مع عدم شعور وهى الحركة التسخيرية كحركة النبض .

فائدة الحركة تقتضى أمور ستة :

الأول : ما به الحركة أى السبب الفاعلى الثانى ما له الحركة أى محلها الثالث ما فيه الحركة أى إحدى المقولات الأربع، الرابع ما منه الحركة أى المبدأ، والخامس ما إليه الحركة أى المنتهى وهما أى المبدأ والمنتهى بالفعل فى الحركة المستقيمة وبالغرض فى الحركة المستديرة، السادس المقدار أى الزمان فإن كل حركة فى زمان بالضرورة فوحدتها متعلقة بوحدة هذه الأمور فوحدتها الشخصية بوحدة موضوعها وزمانها وما هى فيه ويتبع هذا وحدة ما منه وما إليه ولا يعتبر وحدة المحرك وتعدده ، ووحدتها النوعية بوحدة ما فيه وما منه وما إليه ووحدتها الجنسية بوحدة ما فيه فقط فالحركة الواقعة فى كل جنس جنس من الحركة فالحركات الإينية كلها متحدة فى الجنس العالى وكذ الحركات الكمية والكيفية وترتب أجناس الحركات بترتب الأجناس التى تقع تلك الحركة فيها فالحركة فى الكيف جنس هى فوق الحركة فى الكيفيات المحسوسة وهى فوق الحركة فى المبصرات وهى فوق الحركة فى الألوان وهكذا إلى أن ينتهى إلى الحركات النوعية المنتهية إلى الحركات الشخصية وتضاد الحركتين ليس لتضاد المحرك والزمان وما فيه بل لتضاد ما منه وما إليه إما بالذات كالتسود والتبيض أو بالعرض كالصعود والهبوط فإن مبدأهما ومنتهاهما نقطتان متماثلتان عرض لهما تضاد من حيث أن إحداهما : صارت مبدأ والأخرى منتهى فالتضاد إنما هو بين الحركات المتجانسة المتشاركة فى الجنس الأخير ففى الاستحالة كالتسود والتبيض وفى الكم كالنمو والذبول وفى النقلة كالصاعدة والهابطة وأما الحركات الوضعية فلا تضاد فيها .

فائدة : انقسام الحركة ليس بالذات بل بانقسام الزمان والمسافة والمتحرك فإن الجسم إذا تحرك تحركت أجزاؤه المفروضة فيه والحركة القائمة بكل جزء غير القائمة بالجزء الآخر فقد انقسمت الحركة بانقسام محلها .

فائدة : ذهب بعض الحكماء كإرسطو وأتباعه والجبائى من المعتزلة إلى أن بين كل حركتين مستقيمتين كصاعدة وهابطة سكونا فالحجر إذا صعد قسرا ثم رجع فلا بد أن يسكن فيما بينهما فإن كل حركة مستقيمة لا بد أن تنتهى إلى سكون لأنها لا تذهب على الاستقامة إلى غير النهاية ومنعة غيرهم كأفلاطون وأكثر المتكلمين من المعتزلة وإن شئت تحقيق المباحث فارجع إلى شرح المواقف وشرح الطوالع والعلمى وغيرها .

تذنيب : الحركة كما تطلق على ما مر كذلك تطلق على كيفية عارضية للصوت وهى الضم والفتح والكسر ويقابلها السكون قال الإمام الرازى الحركات أبعاض المصوتات أما أولا فلأن الحروف المصوتة قابلة للزيادة والنقصان وكلما كان كذلك فله طرفان ولا طرف فى النقصان للمصوتة إلا بهذه الحركات بشهادة الاستقراء وأما ثانيا فلأن الحركات لو لم تكن أبعاض المصوتات لما حصلت المصوتات بتمديدها فإن الحركة إذا كانت مخالفة لها ومددتها لم يمكنك أن تذكر المصوت إلا باستئناف صامت آخر يجعل المصوت تبعا له لكن الحس شاهد بحصول المصوتة بمجرد تمديد الحركات كذا فى شرح المواقف فى بحث المسموعات .

حركات الأفلاك وما فى أجرامها لها أسماء .

الحركة البسيطة وتسمى متشابهة وبالحركة حول المركز

أيضا وبالحركة حول النقطة أيضا وهى حركة تحدث بها عند مركز الفلك فى أزمنة متساوية زوايا متساوية وبعبارة أخرى تحدث بها عند المركز فى أزمنة متساوية قسى متساوية .

والحركة المختلفة وهى ما لا تكون كذلك .

والحركة المفردة وهى الحركة الصادرة عن فلك واحد وقد تسمى بسيطة لكن المشهور أن البسيطة هى المتشابهة .

والحركة المركبة وهى الصادرة عن أكثر من فلك واحد وكل حركة مفردة بسيطة وكل مختلفة مركبة وليس كل بسيطة مفردة وليس كل مركبة مختلفة .

والحركة الشرقية وهى الحركة من المشرق إلى المغرب سميت بها بظهور الكوكب بها من الشرق وتسمى أيضا حركة إلى خلاف التوالى لأنها على خلاف توالى البروج، والبعض يسميها بالغربية لكونها إلى جهة الغرب .

والحركات الشرقية أربع :

الأولى الحركة الأولى وهى حركة الفلك الأعظم حول مركز العالم سميت بها لأنها أول ما يعرف من الحركات السماوية بلا إقامة دليل وتسمى بحركة الكل أيضا إذ الفلك الأعظم يسمى أيضا بفلك الكل لأن باقى الأجرام فى جوفه وتسمى أيضا بالحركة اليومية لأن دورة الفلك الأعظم تتم فى قريب من يوم بليلته على اصطلاح الحساب وتسمى أيضا بالحركة السريعة لأن هذه الحركة أسرع الحركات الثانية حركة مدير عطارد حول مركزه وتسمى حركة الأوج إذ فى المدير الأوج .

الثانى لعطارد فيتحرك هذا الأوج بحركة المدير ضرورة .

الثالثة حركة جوزهر القمر حول مركزة وتسمى بحركة الرأس والذنب لتحركهما بهذه الحركة .

الرابعة حركة مائل القمر حول مركزه وتسمى حركة أوج القمر لتحركه بحركته ولما كان الأوج كما يتحرك بهذه الحركة كذلك يتحرك بحركة الجوزهر أيضا ويسمى البعض مجموع حركتى الجوزهر والمائل بحركة الأوج، صرح به العلامة فى النهاية .

والحركة الغربية كحركة فلك الثوابت وهى الحركة من المغرب إلى المشرق وتسمى أيضا بالحركة إلى التوالى لأنها على توالى البروج والبعض يسميها شرقية أيضا لكونها إلى جهة الشرق وتسمى أيضا بالحركة البطيئة لأنها أبطأ من الحركة الأولى وبالحركة الثانية لأنها لا تعرف أولا بلا إقامة دليل وحركات السبعة السيارة أيضا تسمى بالحركة الثانية والبطيئة وإلى التوالى والغربية أو الشرقية فمن الحركات الغربية حركة فلك الثوابت ومنها حركات الممثلات سوى ممثل القمر حول مراكزها وتسمى حركات الأوجات والجوزهرات وحركات العقدة .

ومنها حركات الأفلاك الخارجة المراكز حول مراكزها وحركة خارج مركز كل كوكب يسمى بحركة مركز ذلك الكوكب اصطلاحا ولا تسمى حركة مركز التدوير كما زعم البعض وإن كانت يطلق عليها بحسب اللغة وحركة مركز القمر تسمى بالبعد المضعف أيضا .

اعلم أن خارج مركز مما سوى الشمس يسمى حاملا فحركة حامل كل كوكب كما تسمى بحركة المركز كذلك تسمى بحركة العرض لأن عرض مركز التداوير إنما حصل بها فلهذه الحركة دخل فى عرض الكوكب وهى أى حركة العرض هى حركة الطول بعينها إذا أضيفت وقيست إلى فلك البروج .

اعلم أن مركز التدوير إذا سار قوسا من منطقة الحامل فى زمان مثلا تحدث زاوية عند مركز معدل المسير ويعتبر مقدارها من منطقة معدل المسير وبهذا الاعتبار يقال لهذه الحركة المركز المعدل الوسطى وتحدث أيضا زاوية عند مركز العالم ويعتبر مقدارها من منطقة البروج وبهذا الاعتبار يقال لهذه الحركة حركة المركز المعدل وإذا أضيفت إلى حركة المركز المعدل حركة الأوج حصل الوسط المعدل فإذا زيد التعديل الثانى على الوسط المعدل أو نقص منه يحصل التقويم المسمى بالطول وهذا فى المتحيرة ويعلم من ذلك الحال فى النيرين فلهذا سميت بهذه الحركة المضافة إلى فلك البروج بحركة الطول . ومعنى الإضافة إلى فلك البروج أن تعتبر هذه الحركة بالنسبة إلى مركز فلك البروج الذى هو مركز العالم .

اعلم أن مجموع حركة الخارج والممثل فى الشمس والمتحيرة تسمى حركة الوسط وقد تسمى حركة المركز فقط بحركة الوسط وأهل العمل يسمون مجموع حركة الممثل وفضل حركة الحامل على المدير فى عطارد بالوسط فإنهم لما سموا فضل حركة الحامل على حركة المدير فى عطارد بحركة المركز سموا مجموع حركة الممثل والفضل المذكور بحركة الوسط وأما الوسط فى القمر فهو فضل حركة المركز على مجموع حركتى الجوزهر والمائل وتسمى حركة مركز القمر فى الطول أيضا وقد تسمى جميع الحركات المستوية وسطا .

وحركة الاختلاف : وهى حركة تدوير كل كوكب سميت بها لأن تقويم الكوكب يختلف بها فتارة تزداد تلك الحركة على الوسط وتارة تنقص منه ليحصل التقويم وتسمى أيضا حركة خاصة الكوكب لأن مركزه يتحرك بها بلا واسطة وهذه الحركة ليست من الشرقية والغربية لأن حركات أعالى التداوير لا محالة مخالفة فى الجهة لحركات أسافلها لكونها غير شاملة الأرض، فإن كانت حركة أعلى التدوير إلى التوالى أى من المغرب إلى المشرق كانت حركة الأسفل إلى خلافه وإن كانت بالعكس فبالعكس هذا كله مما يستفاد مما ذكره الفاضل عبد العلى البرجندى فى تصانيفه فى علم الهيئة والسيد السند فى شرح الملخص .

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١/ ٣٣٧ـ٣٤٦) .

الحركة الجسمية (علم -) :

انظر الحركة عند الإنسان والحيوان وغيره .

الحركة عند الإنسان والحيوان وغيره :

قالت المؤلفة : علم الحركة الجسمية عند الإنسان ، أو ما يسمى بعلم الكينات Kinesics علم حديث نسبيا ، وهو من العلوم التى انبثقت عن علم اللغة الحديث واتبعت منهجه فى التحليل، وقد وضع له العالم الأمريكى « بيردوسل » أبجدية وقوانين . والمادة التى نقدمها هنا للعالم اللغوى أبى منصور الثعالبى تنطوى تحت هذا العلم، ومن ثم يمكن تطبيق قوانينه عليها . وهى تبين كيف أن العلماء المسلمين قد طرقوا باب هذا العلم منذ زمن بعيد فقد توفى الثعالبى سنة ٤٣٠هـ .

وقد أثار هذا العلم اهتمامى منذ اطلاعى على ما كتب عنه ، وأوليته عناية خاصة لما يرتبط به من أسبقية العلماء المسلمين فى هذا المجال، وحاولت تطبيق قوانينه على ما صنفوه، ومن ثم كانت الأبحاث التالية التى نسوقها لكى تكون مكملة لهذه المادة، ومتاحة لمن يشاء الاطلاع عليها :

١ ـ اللكنة والحركة الجسمية من خلال البيان والتبيين (٨٧ـ١٠٦) .

٢ ـ علم اللغة وعلم الحركة الجسمية ، دراسات فى علم اللغة / ١٥٩ـ١٨٥ .

٣ـ القرآن وعلم الحركة الجسمية (١٨٧ـ ٢٠٥) .

٤ ـ المشية فى الشعر العربى . نشر بمجلة عالم الفكر الكويتية / ١١ـ ٥٦ .

وبعد هذه المقدمة ننتقل إلى ما أورده أبو منصور الثعالبى فى الباب التاسع عشر من كتابه النفيس، وما حداه من فصول، وهو « فى الحركات والأشكال والهيئات وضروب الرمى والضرب » .

مما يعطى صورة لثراء اللغة العربية البالغ فى مفرداتها . يقول الثعالبى :

فصل فى حركات أعضاء الإنسان من غير تحريكه اياها :

خفقان القلب . نبض العرق . اختلاف العين . ضربان الجرح . ارتعاد الفريصة . ارتعاش اليد. رمعان الأنف. يقال رمع الأنف إذا تحرك من غضب (عن أبى عبيدة وغيره) .

فصل فى حركات سوى الحيوان عن أدباء الفلاسفة :

حركة النار لهب. حركة الهواء ريح. حركة الماء موج. حركة الأرض زلزلة .

فصل فى تفصيل حركات مختلفة عن بعض الأئمة :

الارتكاض : حركة الجنين فى البطن . النوس : حركة الغصن بالريح . التدلدل: حركة الشىء المتدلى. الترجرج حركة الكفل السمين والفالوذج الرقيق. النسيم حركة الريح فى لين وضعف . الذماء : حركة القتيل ...

فصل فى تقسيم الرعدة

الرعدة للخائف والمحموم . الرعشة للشيخ الكبير

والمدمن للخمر. القفقفة لمن يجد البرد الشديد. العلز للمريض والحريص على الشيء يريده. الزمع للمدهوش والمخاطر.

فصل فى تفصيل تحريكات مختلفة عن الأئمة :

الانغاض تحريك الرأس. الطرف تحريك الجفون فى النظر . التزمزم تحريك الشفتين للكلام . اللجلجة والنجنجة تحريك المضغة واللقمة فى الفم قبل الابتلاع . وفى قولهم لا حجحجة ولا لجلجة أى لا شك ولا تخليط. التلمظ تحريك اللسان والشفتين بعد الأكل كأنه يتتبع بلسانه ما بقى بين أسنانه . المضمضة تحريك الماء فى الفم. الخضخضة تحريك الماء والشىء المائع فى الإناء وغيره . الهز والهزهزة تحريك الشجرة ليسقط ثمرها، ومنه قوله تعالى ﴿ **وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا** ﴾ [مريم : ٢٥] الزعزعة تحريك الريح النبات والشجر وغيرهما . الزفزفة تحريك الريح يبس الحشيش. الهدهدة تحريك الأم ولدها لينام. النضنضة تحريك الحية لسانها. البصبصة تحريك الكلب ذنبه. المزمزة والنزنزة أن يقبض الرجل على يد غيره فيحركها تحريكا شديدا . النص ، والإيضاع تحريك الدابة لاستخراج أقصى سيرها. الدعدعة تحريك المكيال وغيره ليسع ما يجعل فيه . الشغشغة تحريك السنان فى المطعون . المخض تحريك اللبن لاستخراج زبده .

فصل فيما تحرك به الأشياء :

الذى تحرك به النار مسعر. الذى تحرك به الأشربة مخوض. الذى يحرك به السويق مجدح . الذى تحرك به الدواة محراك . الذى يحرك به ما فى البساتين مسواط. الذى يسبر به الجرح مسبار .

فصل فى تقسيم الإشارات :

أشار بيده . أومأ برأسه. غمز بحاجبه . رمز بشفته . لمع بثوبه . ألاح بكمه (قال أبو زيد) . صبع بفلان وعلى فلان إذا أشار نحوه بأصبعه مغتابا .

فصل فى تفصيل حركات اليد وأشكال وضعها وترتيبها :

قد جمعت فى هذا الفصل بين ما جمع حمزة والأصبهانى وبين ما وجدته عن اللحيانى وعن ثعلب عن ابن الأعرابى وغيرهما : إذا نظر إنسان إلى قوم فى الشمس فألصق حرف كفه بجبهته فهو الاستكفاف. فإن زاد فى رفع كفه عن الجبهة فهو الاستشفاف. فان كان أرفع من ذلك قليلا فهو الاستشراف فإذا جعل كفيه على المعصمين فهو الاعتصام. فإذا وضعهما على العضدين فهو الاعتضاد. فإذا حرك السبابة وحدها فهو الإلواء. قال مؤلف الكتاب ولعل اللى أحسن فإن البحترى يقول :

لسوت بالسلام بنانا خضيبا
ولحظا يشوق الفؤاد الطروبا

فإذا دعا إنسانا بكفه قابضا أصابعها فهو الإيماء . فإذا حرك يده على عاتقه وأشار بها إلى ما خلفه أن كف فهو الإيباء. فإذا أقام أصابعه وضم بينهما فى غير التزاق فهو العقاص . فإذا جعل كفه تجاه عينيه اتقاء من الشمس فهو النشار . فإذا جعل أصابعه بعضها فى بعض فهو المشاحبة. فإذا ضرب إحدى راحتيه على الأخرى فهو التبلد. قال مؤلف الكتاب التصفيق أحسن وأشهر من التبلد. فإذا ضم أصابعه وجعل إبهامه على السبابة وأدخل رؤوس الأصابع فى جوف الكف كما يعقد حسابه على ٤٣ فهى القبضة فإذا ضم أطراف الأصابع فهى القبضة . فإذا أخذ ٣٠ فهى البزمة. فإذا أخذ ٤٠ وضم كفه على الشىء فهو الحفنة. فإذا جعل إبهامه فى أصول أصابعه من باطن فهو السفنة. فإذا حثا بيد واحدة فهى الحثية . فإذا حثا بهما جميعا فهى الكشحة. فإذا جعل إبهامه على ظهر السبابة وأصابعه فى الراحة فهو الجمع. فإذا أدار كفيه معا ورفع ثوبه فألوى به فهو اللمع . فإذا أخرج الإبهام من بين السبابة والوسطى ورفع أصابعه على أصل الإبهام كما يأخذ ٢٩ وأضجع سبابته على الإبهام فهو القصع . فإذا قبض الخنصر والبنصر وأقام سائر الأصابع كأنه يأكل فهو القبع . فإذا نكس أصابعه وأقام أصولها فهو القفع. فإذا أدار سبابته وحدها وقد قبض أصابعه فهو الفقع. فإذا جعل أصابعه كلها فوق الإبهام فهو العجس. فإذا رفع أصابعه ووضعها على أصل الإبهام عاقدا على ٩٩ فهو الضف. فإذا جعل الإبهام تحت السبابة كأنه يأخذ ٦٣ فهو الضبث. فإذا قبض أصابعه ورفع

الإبهام خاصة فهو الضويط . فإذا رفع يديه مستقبلا ببطونهما وجهه ليدعو فهو الإقناع . فإذا وضع سهما على ظفره وأداره بيده الأخرى ليستبين له اعوجاجه من استقامته فهو التنقير. فإن مد يده نحو الشيء كما يمد الصبيان أيديهم إذا لعبوا بالجوز فرموا بها في الحفرة فهو السدو ، والزدو لغة صبيانية في السدو . فإذا قال بظفر إبهامه على ظفر سبابته ثم قرع بينهما في قوله ولا مثل هذا فهو الزنجير وينشد :

وأرسلت إلى سلمى بأن النفس مشغوفه

فما جادت لنا سلمى بزنجير ولا فوفه

فإذا وضع يده على الشيء يكون بين يديه على الخوان كيلا يتناوله غيره فهو الجردبان وينشد :

إذا ما كنت في قوم شهاوى

فلا تجعل شمالك جردبانا

فإذا بسط كفه السؤال فهو التكفف وفي الحديث لأن تترك ولدك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون » .

فصل في أشكال الحمل :

(عن أبي عمرو عن ثعلب عن ابن الأعرابي وعن ابن نصر عن الأصمعي) .

الحفنة بالكف . الحثية بالكفين . الضبثة ما يحمل بين الكفين . الحال ما حملته على ظهرك . الثبان ما لففت عليه حجزة سراويلك من خلف . الضغمة ما حملته تحت إبطك . الكارة ما حملته على رأسك وجعلت يديك عليه لئلا يقع .

فصل في تقسيم المشي :

(على ضروب من الحيوان مع اختيار أسهل الألفاظ وأشهرها)

الرجل يسعى . المرأة تمشي . الصبي يدرج . الشاب يخطر. الشيخ يدلف . الفرس يجري . البعير يسير. الظليم يهدج . الغراب يحجل . العصفور ينقر. الحية تنساب . العقرب تدب .

فصل في ترتيب مشي الإنسان وتدريجه إلى العدو :

الدبيب . ثم المشي . ثم السعي . ثم الإيفاض . ثم الهرولة . ثم العدو. ثم الشد .

فصل في تفصيل ضروب مشي الإنسان وعدوه عن الأئمة :

الدرجان : مشية الصبي الصغير. الحبو مشي الرضيع ... الحجلان والرديان : أن يرفع الغلام ، رجلا ويمشي على أخرى . الخطران : مشية الشاب باهتزاز ونشاط . الدليف : مشية الشيخ رويدا ومقاربته الخطو. الهدجان : مشية المثقل . وكذلك الدلح والدرمان . الرسفان : مشية المقيد . الدألان : مشية النشيط وبالذال معجمة مشية في درجان ومنه اشتق الموكب . الاختيال والتبختر والتبيهس : مشية الرجل المتكبر والمرأة المعجبة بجمالها وكمالها . الخيزلى والخيزرى : مشية فيها تبختر . الخزل : مشية المنخزل في مشيه كأن الشوك شاك قدمه . المطيطاء : مشية المتبختر ومده يده من قوله تعالى ﴿ ثم ذهب إلى أهله يتمطى ﴾ [القيامة : ٣٣] الحيكان : مشية يحرك فيها الماشي أليتيه ومنكبيه (عن الليث وأبي زيد) القهقرى : مشية الراجع إلى خلف : العشزان : مشية المقطوع الرجل . القزل : مشي الأعرج . التخلج : مشية المجنون في تمايله يمنة ويسرة . الإهطاع : مشية المسرع الخائف من قوله تعالى ﴿ مهطعين مقنعي رءوسهم ﴾ [إبراهيم : ٤٣] الهرولة : مشية بين المشي والعدو. التألان : مشية الذي كأنه ينهض برأسه إذا مشى يحركه إلى فوق مثل الذي يعدو وعليه حمل ينهض به . التهادى : مشية الشيخ الضعيف والصبي الصغير والمريض والمرأة السمينة . الرفل : مشية من يجر ذيوله ويركضها بالرجل . الرمل والرملان كالهرولة . الهيدبى : مشية بسرعة . التذعلب : مشية في استخفاء . الحندفة والنعثلة : أن يمشي مفاجا ويقلب رجليه كأنه يغرف بهما وهي من التبختر. الترهول : مشية الذي يمشي كأنه يموج في مشيه . الحتك : أن يقارب الخطا ويسرع . الزوزأة : أن ينصب ظهره ويقارب الخطوة . الضكضكة والانكدار والانصلات والانسدار والإزراف والإهراع : الإسراع في المشي . الأتلان : أن يقارب خطوه في غضب . القطو : أن يقارب خطوه في نشاط . الإحصاف : أن يعدو عدوا فيه تقارب . الإحصاب : أن يثير الحصباء في عدوه . الكردحة والكمترة : عدو القصير

المتقارب الخطو. الهوزلة : أن يضطرب فى عدوه . اللبطة والكلظة عدو الأقزل.

فصل فى مشى النساء عن أبى عمرو عن الأصمعى :

تهالكت المرأة إذا تقتلت فى مشيتها. تأودت إذا اختالت فى تثن وتكسر بدحت وتبدحت إذا أحسنت مشيتها . كتفت إذا حركت كتفيها. تهزعت إذا اضطربت فى مشيتها. قرصعت قرصعة وهى مشية قبيحة . وكذلك مثعت مثعا .

فصل فى تقسيم العدو :

عدا الإنسان ، أحضر الفرس. أرقل البعير. خف النعام. عسل الذئب. مزع الظبى .

فصل فى تقسيم الوثب:

طفر الإنسان . ضبر الفرس. وثب البعير. قفز الصبى. نفز الظبى. نزا التيس. نقز العصفور. طمر البرغوث .

فصل فى تفصيل ضروب الوثب:

القفز انضمام القوائم فى الوثب. والنفز انتشارها. عن ابن دريد. الطمور وثب من أعلى إلى أسفل. والظفر وثب من أسفل إلى فوق (عن ثعلب) الضبر أن يثب الفرس فتقع قوائمه مجموعة ... البحظلة أن يقفز الرجل قفزان اليربوع والفأرة (عن الفراء) .

فصل فى تفصيل ضروب جرى الفرس وعدوه :

(عن أبى عمرو والأصمعى وأبى عبيدة وأبى زيد وغيرهم)

العنق أن يباعد الفرس بين خطاه ويتوسع فى جريه . الهملجة أن يقارب بين خطاه مع الإسراع . الارتجال أن يخلط الهملجة بالعنق. وكذلك الفلج. الخبب أن يستقيم تهاديه فى جريه ويراوح بين يديه ويقبض رجليه . التقذى أن يخلط الخبب بالعنق. الضبر أن يثب فتقع رجلاه مجموعتين. الضبع أن يلوى حافره إلى عضده . الخناف والخنيف أن يهوى بحافره إلى وحشيه. العجيلى أن يكون جريه بين الخبب والتقريب. التقريب أن يرفع يديه ويضعهما معا. التوقص أن ينزو نزوا مع مقاربة الخطو . الرديان أن يرجم الأرض رجما بحوافره. الدحو أن يرمى بيديه رميا لا يرفع سنبكه عن الأرض كثيرا. الإمجاج أن يأخذ فى العدو قبل أن يضطرم . الإحضار أن يعدو عدوا متداركا . الإهذاب والإلهاب أن يضطرم فى عدوه. المرطى فوق التقريب ودون الإهذاب. الإرخاء أشد من الإحضار. وكذلك الابتراك . الإهماج أن يجتهد فى بذل أقصى ما عنده من العدو .

فصل فى ترتيب عدو الفرس :

الخبب. ثم التقريب، ثم الإمجاج. ثم الإحضار ، ثم الإرخاء. ثم الإهذاب . ثم الإهماج .

فصل فى ترتيب السوابق من الخيل :

قال الجاحظ : كانت العرب تعد السوابق من الخيل ثمانية ولا تجعل لما جاوزها حظا . فأولها السابق، ثم المصلى، ثم المقفى. ثم التالى، ثم العاطف، ثم المزمر، ثم البارع، ثم اللطيم وكانت تلطم الآخر وإن كان له حظ . وقال أبو عكرمة أخبرنا ابن قادم عن الفراء، أنه ذكر فى السوابق عشرة أسماء لم يحكها أحد غيره. وهى السابق ثم المصلى، ثم المسلى. ثم التالى، ثم المرتاح، ثم العاطف ، ثم الحظى ، ثم المؤمل، ثم اللطيم، ثم السكيت .

فصل فى تفصيل ضروب سير الإبل عن الأئمة :

التهويد: السير الرقيق (عن الأصمعى) الميح : السير السهل (عن أبى عمرو) الزميل : السير اللين. الحوز : السير الرويد (عن أبى زيد) التطفيل أن تكون معها أولادها فيرفق بها حتى تدركها . الوخدان : أن ترمى بقوائمها كمشى النعام . التخويد : أن تهتز كأنها تضطرب. التعمج: التلوى فى السير. الإرفداد والارقداد: سير فى سهولة وسرعة . التبغيل والهرجلة: مشى فيه اختلاط بين الهملجة والعنق (عن الفراء والكسائى) . العجرفية : أن لا تقصد فى سيرها من النشاط. المعج: أن تسير فى كل وجه نشاطا. العرضنة: الاعتراض فى السير من النشاط. المرفوع: السير المرتفع عن الهملجة. الموضوع : سير كالرقصان، الهربذى: مشية تشبه مشى الهرابذة، الرتكان: عدو كعدو النعام، الجمز : أشد من العنق، الكوس: مشى على ثلاث، الملع والمزع والإعصاف والإجمار والنص: السير الشديد .

فصل فى ترتيب سير الإبل عن النضر بن شميل

أول سير الإبل الدبيب. ثم التزيد. ثم الزميل. ثم الرسيم. ثم الوخد. ثم العسيج. ثم الوسيج. ثم الوجيف. ثم الرتكان. ثم الإجمار. ثم الإرقال.

فصل فى مثل ذلك عن الأصمعى :

العنق من السير المسيطر ، فإذا ارتفع عنه قليلا فهو التزيد، فإذا ارتفع عن ذلك فهو الزميل، فإذا ارتفع عن ذلك فهو الرسيم، فإذا ادَّارك المشى وفيه قرمطة فهو الحفد. فإذا ارتفع عن ذلك وضرب بقوائمه كلها فذاك الارتباع والالتباط. فإذا لم يدع جهدا فذلك الادرنفاق.

فصل فى تفصيل سير الإبل إلى الماء فى أوقات مختلفة عن الأصمعى وغيره :

سيرها إلى الماء نهارا لورد الغب الطلق. سيرها ليلا لورد الغد القرب، سيرها إلى الماء يوما ويوما الغب. وورودها بعد ثلاث الربع. ثم الخمس. وورودها كل يوم مرة الظاهرة. وورودها كل وقت شاءت الرفه. وورودها يوما نصف النهار ويوما غدوة العريجاء. ومنه قولهم فلان يأكل العريجاء إذا أكل كل يوم مرة واحدة عن الكسائى. وورودها حتى تشرب قليلا التصريد صردها لترعى ساكنة. ثم ردها إلى الماء التندية وهى فى الخيل أيضا قال الأصمعى : اختصم حيان من العرب فى موضع فقال أحدهما مركز رماحنا ومخرج نسائنا ومسرح بهمنا ومندى خيلنا.

فصل فى السير والنزول فى أوقات مختلفة عن الأئمة :

إذا سار القوم نهارا ونزلوا ليلا فذلك التأويب فإذا ساروا ليلا ونهارا فهو الإسآد. فإذا ساروا من أول الليل فهو الإدلاج. فإذا ساروا من آخر الليل فهو الإدلاج بتشديد الدال. فإذا ساروا مع الصبح فهو التغليس. فإذا نزلوا للاستراحة فى نصف النهار فهو التغوير. فإذا نزلوا فى نصف الليل فهو التعريس.

فصل فيما يعن لك من الوحش ويجتاز بك :

إذا اجتاز من ميامنك إلى مياسرك فهو السانح. فإذا اجتاز من مياسرك إلى ميامنك فهو البارح. فإذا تلقاك فهو الجابه. فإذا قفاك فهو القعيد. فإذا نزل عليك من جبل فهو الكادس.

فصل فى تفصيل الطيران وأشكاله وهيئاته عن الأئمة :

إذا حرك الطائر جناحيه ورجلاه بالأرض ليطير قيل دفَّ. فإذا طار قريبا على وجه الأرض قيل أسف. فإذا كان مقصوصا وطار كأنه يرد جناحيه إلى ما خلفه قيل جدف ومنه سمى مجداف السفينة. فإذا حرك جناحيه فى طيرانه قريبا من الأرض وحام حول الشيء يكاد أن يقع عليه قيل رفرف.

فإذا طار فى كبد السماء قيل حلَّق. فإذا حلق واستدار قيل دوَّم. فإذا بسط جناحيه فى الهواء وسكَّنهما فلم يحركهما كما تفعل الحداء والرخم قيل صفَّ وفى القرآن ﴿والطير صافات﴾ [النور : ٤١] فإذا ترامى بنفسه فى الطيران قيل زفَّ زفيفا. فإذا انحدر من بلاد البرد إلى بلاد الحر قيل قطع قطوعا وقطاعا ويقال كان ذلك عند قطاع الطير.

فصل فى تقسيم الجلوس :

جلس الإنسان. برك البعير. ربضت الشاة. أقعى السبع. جثم الطائر. حضنت الحمامة على بيضها.

فصل فى أشكال الجلوس والقيام والاضطجاع وهيئاتها عن الأئمة :

إذا جلس الرجل على أليتيه ونصب ساقيه ودعمهما بثوبه أو بيديه قيل احتبى وهى جلسة العرب. فإذا جلس ملصقا فخذيه ببطنه وجمع يديه على ركبتيه قيل قعد القرفصاء. فإذا جمع قدميه فى جلوسه ووضع إحداهما تحت الأخرى قيل تربع فإذا ألصق عقبيه بأليتيه قيل أقعى. فإذا استوفز وقعد العقفزى فى جلوسه كأنه يريد أن يثور للقيام قيل احتفز واقعنفزى. فإذا ألصق إليتيه بالأرض وتوسد ساقيه قيل فرشط. فإذا وضع جنبه بالأرض قيل اضطجع. فإذا وضع ظهره بالأرض ومد رجليه قيل اسلَنْقَى. فإذا اسلنقى وفرَّج رجليه قيل انسدح. فإذا قام على أربع قيل بركع. فإذا بسط ظهره وطأطأ رأسه حتى يكون أشد انحطاطا من إليتيه قيل دبح بالحاء والخاء وفى الحديث نهى أن يدبح الرجل فى الصلاة كما يدبح الحمار. فإذا مد العنق وصوب الرأس قيل أهطع. فإذا رفع رأسه وغض بصره قيل أقمح. وقمح البعير إذا رفع رأسه عند الحوض وامتنع من الشرب ريا.

فصل فى هيئات اللبس

السَّدْلُ : إسبال الرجل ثوبه من غير أن يضم جانبيه بين يديه . التأبط : أن يدخل الثوب تحت يده اليمنى فيلقيه على منكبه الأيسر (وعن أبى هريرة أنه كانت رديته التأبط) الاضطباع مثل ذلك . التلبب أن يجمع ثوبه عند صدره تحزُّما ومن هذا قيل للذى لبس السلاح وشمر للقتال متلبب . التلفع : أن يشتمل بثوبه حتى يخلل به جسده وهو اشتمال الصماء عند العرب لأنه يرفع جانبا منه فتكون فيه فرجة . القبوع : أن يدخل رأسه فى قميصه أو ردائه كما يفعل القنفذ الازدمال : التغطى بالثوب حتى يستر البدن كله وكذلك الاستغشاء . الاستثفار أخذ الثوب من خلفه إلى الفخذين إلى قدام

فصل يناسبه فى ترتيب النقاب عن الفراء

إذا أدنت المرأة نقابها إلى عينيها فتلك الوصوصة . فإذا أنزلته دون ذلك إلى المحجر فهو النقاب . فإذا كان على طرف الأنف فهو اللفام . فإذا كان على طرف الشفة فهو اللثام .

فصل فى هيئات الدفع والقود والجر عن الأئمة

قاده إذا جره من أمامه . ساقه إذا دفعه من ورائه . جذبه إذا جره إلى نفسه . سحبه إذا جره على الأرض . دعه إذا دفعه بعنف . بهزه ونحزه وزبنه إذا دفعه بشدة وجفاء . لَبَّبه إذا جمع عليه ثوبه عند صدره وقبض عليه بحدة . عتله إذا ألقى فى عنقه شيئا وأخذ يقوده بعنف شديد . نهره إذا زجره بغلظ . طرده إذا نفاه بسخط : صده إذا منعه برفق . زخَّه وصكَّه ولكَمَه إذا دفعه وهو يضربه .

فصل فى ضروب ضرب الأعضاء

الضرب بالراحة على مقدم الرأس صقع . وعلى القفا صفع وعلى الوجه صك وبه نطق القرآن . (قالت المؤلفة : يقصد قوله تعالى : ﴿ فصكتْ وجهها ﴾ [الذاريات : ٢٩]) .

وعلى الخد ببسط الكف لطمٌ . وبقبض الكف لكمٌ وبكلتا اليدين لدم . وعلى الذقن والحنك وهز ولهز . وعلى الصدر والجنب بالكف وكز ولكز . وعلى الجنب بالإصبع وخز . وعلى الصدر والبطن بالركبة زَبْن . وبالرجل ركل ورفس . وعلى العجز بالكف نخس . وعلى الضرع كسع ...

فصل فى الضرب بأشياء مختلفة

قمعه بالمقمعة قنعه بالمقرعة . علاه بالدرة . مشقه بالسوط . خففه بالنعل ضربه بالسيف . طعنه بالرمح . وجأه بالسكين . دمغه بالعمود . نسأه بالعصا .

فصل فى ترتيب أشكال هيئات المضروب الملقى عن الأئمة

ضربه فجدَّله إذا ألقاه على الأرض . قطَّره إذا ألقاه على أحد قطريه أى جانبيه . أتكأه إذا ألقاه على هيئة المتكئ . سلقه إذا ألقاه على ظهره . بطحه إذا ألقاه على صدره . نكته إذا نكَّسه على رأسه . كبَّه إذا ألقاه على وجهه . تلَّه إذا ألقاه على جبينه ومنه فى القرآن ﴿ وتله للجبين ﴾ [الصافات : ١٠٣] كوَّره إذا قلعه من الأرض . أوهَطهُ إذا صرعه صرعة لا يقوم منها .

فصل فى الضرب المنسوب إلى الدواب

نفحت الدابة بيديها . رمحت برجليها . نطحت برأسها . صدمت بصدرها . خطرت بذنبها .

فصل فى تقسيم الرمى بأشياء مختلفة عن الأئمة

خذفه بالحصى . حذفه بالعصا . قذفه بالحجر . رجمه بالحجارة . رشقه بالنبل نشبه بالنشاب . زرقه بالمزراق . حثاه بالتراب . نضحه بالماء . لقعه بالبعرة قال أبو زيد ولا يكون اللقع فى غير البعرة مما يرمى به إلا أنه يقال لقعه بعينه إذا عانه أى أصابه بالعين .

فصل فى تفصيل ضروب الرمى عن الأئمة

الطَّحر رمى العين بقذاها . الحذف الرمى بحصاة أو نواة . الدهدهة رمى الحجارة من أعلى إلى أسفل . الزجل الرمى بالحمامة الهادية إلى المزجل . اللفظ الرمى بشىء كان فى فيك . المج الرمى بالريق . التفل أقل منه . النفث أقل منه النبذ الرمى بالشىء من يدك أمامك أو خلفك . ولما ورد قتيبة ابن مسلم خراسان قال لأهلها من كان فى يده شىء من مال عبد الله بن أبى حازم فلينبذه . فإن كان فى فيه فليلفظه . فإن كان فى صدره فلينفثه . فتعجب الناس من حسن ما فصل وقسَّم . الإيزاغ رمى البعير ببوله . القزح رمى الكلب ببوله .

الزرق ورمى الطائر بزرقه. المَتْرُ والمَتْسُ رمى الصبى بسَلْحِهِ. (عن ابن دريد قال الأزهرى لم أسمعها لغيره) التنخم والتنخع الرمى بالنخامة والنخاعة.

فصل فى تفصيل هيئات السهم إذا رمى به عن الأصمعى وأبى زيد وغيرهما

إذا مر السهم ونفذ فهو صادر. فإذا أخذ وجه الأرض فهو ذالج. فإذا عدل عن الهدف يمينا وشمالا فهو ضائف وصائف. وكذلك العاضه والعادل الذى يعدل عن الهدف. فإذا جاوز الهدف فهو طائش وعائر وزاهق. فإذا زحف إلى الهدف ثم أصاب فهو حاب. فإذا اضطرب عند الرمى فهو معظعظ. فإذا أصاب الهدف فهو مقرطس وخازق وخاسق وصائب. فإذا أصاب الهدف وانفضخ عوده فهو مرتدع. فإذا وقع بين يدى الرامى فهو حابض. فإذا التوى فى الرمى فهو معصل. فإذا قصر عن الهدف قاصر. فإذا خرج من الهدف فهو دابر. فإذا دخل من الرمية بين الجلد واللحم ولم يحز فيها فهو شاظف. فإذا خرج من الرمية ثم انحط فذهب فهو مارق. ومنه الحديث فى وصف الخوارج يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

فصل فى رمى الصيد.

رمى فأشوى إذا أصاب من الرمية الشوى وهى الأطراف. ورمى فأنمى إذا مضت الرمية بالسهم. ورمى فأصمى إذا أصاب المقتل. ورمى فأقعص إذا قتل مكانه. وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما كل ما أصميت ودع ما أنميت.

فصل فى أوصاف الطعنة عن الأئمة

إذا كانت مستقيمة فهى سلكى. فإذا كانت فى جانب فهى مخلوجة. فإذا كانت عن يمينك فهى الشزر. فإذا كانت حذاء وجهك فهى اليسر. فإذا كانت واسعة فهى النجلاء. فإذا فهقت بالدم فهى الفاهقة. فإذا قشرت الجلد ولم تدخل الجوف فهى الجالفة. فإذا خالطت الجوف ولم تنفذ فهى الواخضة. فإذا دخلت الجوف ونفذت فهى الجائفة.

(فقه اللغة وأسرار العربية لأبى منصور الثعالبى / ١١٩ - ١٣٣. انظر أيضا دراسات فى علم اللغة - د. فاطمة محجوب / ٨٧ - ١٠٦، ١٥٨ - ١٥٩، ١٨٧ - ٢٠٥، و «المشية فى الشعر العربى» - د. فاطمة محجوب. مجلة عالم الفكر الكويتية. آفاق المعرفة (٣) العدد ١، إبريل - مايو - يونية - ١٩٨٢ / ١١ - ٥٦).

الحركة (فى علم الميكانيكا):

أفرد الأستاذ الدكتور جلال شوقى الفصل الرابع من كتابه لمفهوم الحركة عند العرب، وجاء فيه ما يلى:

تعرض العلماء والفلاسفة العرب بتفصيل عظيم لحركة الأجسام، فأسهبوا فى الكتابة عن مفهوم الحركة وعناصرها وارتباطها بالزمان، كما قسموها إلى انتقالية ودورانية، كذا إلى طبيعية وقسرية، ونورد فيما يلى نماذج من كتاباتهم فى هذا المجال.

(أ) عناصر الحركة:

يحدد ابن سينا فى كتابه «الشفاء» (طبيعيات الشفاء - المقالة الثانية - الفصل الأول) الأمور المتعلقة بالحركة بكونها ستة أمور، فيقول:

«المتحرك، والمحرك، وما فيه، وما منه، وما إليه، والزمان».

بالمتحرك يقصد الشيخ الرئيس الجسم الذى به الحركة، وبالمحرك القوة المسببة للحركة، وبقوله ما فيه يقصد المكان والوضع، وما منه وما إليه مواضع الابتداء والانتهاء، أى طرفى مسافة الانتقال وتتضمن اتجاه الحركة، أما الزمان فالقصد منه الفترة الزمنية التى تتم فيها الحركة بقطع مسافة الانتقال، وارتباط الزمان بالمسافة يحدد سرعة الحركة.

ويقول أبو البركات هبة الله بن ملكا البغدادى فى كتابه «المعتبر فى الحكمة» (مخطوط مكتبة أحمد الثالث رقم ٣٢٢٢. المجلد الثانى. الفصل الثالث والعشرون، الورقة ٨٧).

«فاتصال الزمان لازم لاتصال الحركة، ووحدة الحركة هو باتصالها فى الزمان والمسافة».

(ب) أقسام الحركة:

قسم فلاسفة العرب الحركة إلى انتقالية ووضعية، كذلك إلى حركة طبيعية وحركة قسرية (غير طبيعية)، وتتضح هذه المفاهيم بجلاء فى كتاباتهم التى نورد نماذج منها فيما يلى:

١ ـ تقسيم الحركة إلى انتقالية ووضعية :

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى « الرسالة الأولى فى الطبيعيات من عيون الحكمة » (كتاب « تسع رسايل فى الحكمة والطبيعيات » للشيخ الرئيس ابن سينا، طبعة القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) ، مطبعة هندية بالموسكى بمصر)

« الحركة التى من أين إلى أين تسمى نقله .

الحركة التى من وضع إلى وضع تسمى وضعية » .

ويقول ابن سينا أيضًا فى كتابه « الإشارات والتنبيهات » .

(النمط السادس ـ الفصل السادس عشر) .

« فكل حركة فى مسافة تنتهى إلى حد ما، تنتهى إلى سكون فيه ، فتكون غير الحركة التى بها يستحفظ الزمان المتصل .

فالحركة الوضعية هى التى بها يستحفظ الزمان المتصل، وهى الدورية » .

أما هبة الله بن ملكا البغدادى فيقول فى كتابه : « المعتبر فى الحكمة » (مخطوط مكتبة أحمد الثالث رقم ٣٢٢٢، المجلد الثانى . الفصل التاسع . الورقة ٢٦) .

« ... وأعم أعراض الجسم الطبيعى وأحسها به من حيث هو جسم هى الحركة ، وهذا موضع الكلام فيها ، والحركة تقال على وجود، فمنها الحركة المكانية، وهى التى بها ينتقل المتحرك من مكان إلى مكان، ومنها الحركة الوضعية، وهى التى تتبدل بها أوضاع المتحرك، وتنتقل أجزاؤه فى أجزاء مكانه، ولا يخرجه عن جملة مكانه، كالدولاب والرحا ... » .

٣ ـ تقسيم الحركة إلى طبيعية وقسرية :

(أ) بالحركة الطبيعية : يقصد العرب حركة الجسم إلى موضعه الطبيعى بعد أن يخرج عنه قسرا، وذلك عند زوال القاسر عنه، وعلى ذلك فالحركة الطبيعية عندهم هى حركة الثقيل إلى السفل، وحركة الخفيف إلى العلو، إذا ما أخرج الجسم قسرا عن مكانه الطبيعى .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا فى « الرسالة الأولى فى الطبيعيات من عيون الحكمة » :

« وكل جسم متحرك فحركته إما من سبب من خارج، وتسمى حركة قسرية ، وإما من سبب فى نفس الجسم، إذ الجسم لا يتحرك بذاته ، وذلك السبب إن كان محركا على جهة واحدة على سبيل التسخير، فيسمى طبيعة، وإن كان محركا حركات شتى بإرادة أو غير إرادة، أو محركا حركة واحدة بإرادة فيسمى نفسا » .

ويقول هبة الله بن ملكا البغدادى فى كتابه « المعتبر فى الحكمة » (مخطوط مكتبة أحمد الثالث رقم ٣٢٢٢ . المجلد الثانى. الفصل الرابع عشر . الورقتان ٤٧، ٤٨) :

« ... فإن الحركة إما طبيعية وإما قسرية ، والقسرية يتقدمها الطبيعية ، لأن المقسور إنما هو مقسور عن طبعه إلى طبع قاسره، فإذا لم يكن حركه بالطبع لم يكن حركه بالقسر، والطبيعية إنما تكون عن مباين بالطبع إلى مناسب بالطبع ، أو إلى مناسب أنسب من مناسب ... » .

ويقول الإمام فخر الدين الرازى فى كتابه « المباحث المشرقية فى علم الإلهيات والطبيعيات » (الكتاب الثانى ـ الفن الخامس ـ الفصل الخامس والأربعون (طبعة حيدر آباد الدكن بالهند ، الصفحة ٦٢١) :

« ... وإن كانت الحركة حاصلة فيه ، فإما أن يكون سببه شيئا موجودا فى الجسم، أو يكون سبب تلك الحركة خارجا عن ذات المحرك، والقسم الأول هو الحركة الطبيعية، والقسم الثانى هو الحركة القسرية، وأما القسم الأول وهو الذى يكون مبدأ الحركة قوة موجودة فى ذلك الجسم، فقد عرفت فى باب القوى أن كل فعل يظهر من الجسم لا بالعرض ولا بالقسر، فلا بد وأن يكون لقوة موجودة فيه » .

(ب) بالحركة غير الطبيعية : يقصد الحركة التى تنشأ عن تعريض الجسم لمحرك من الخارج، وقد سمى الفلاسفة العرب هذا القسم بالحركة القسرية ، وفيها يمكن للمحرك أن يلازم الجسم المتحرك أثناء تحركه، أو أن يفارقه بعد أن يبدأ الحركة فيه .

يقول هبة الله بن ملكا البغدادى : الجزء الثانى من كتابه «المعتبر فى الحكمة » (مخطوط مكتبة أحمد الثالث رقم ٣٢٢٢ . الفصل السابع . الورقة ١٢٥).

« فنقول إن المحرك بـالذات لكل متحرك يكـون إما طبيعة وإمـا قسـرا وإمـا إرادة، ويخصون بـاسم الطبيعـة مـا يحـرك بالتسخير وعلـى سنن واحد، ويعنى بالتسخير أنـه تحرك بغير معرفة ولا رويـة منه، كالحجر فى هبوطـه، والإرادة فمعلومة، وهى معرفة الفاعل بما يفعله وعزيمته عليه .

والقسر فمن شيء خارج عن المتحرك بحركة على مقتضى طبـاع المحـرك أو رويتـه، لا علـى مقتضى طبـاع المتحـرك ورويته .

والسماء لا يجوز أن تكـون حركتها قسريـة، لأن القسر إذا دام تبطل الطبيعة، ويفسد المطبوع ويحيله إلى مقتضاه، وهو فعل الأضـداد بأضـدادها، والسمـاء لا ضـد لها، ولا تضـاد فيها، ولا فساد لهـا، وحركتها دائمة، كـذلك فليست بقسرية ومن القـاسـر، فإن كل قاسـر لجسم عن طبع آخـر، فأمـا أن القسر الدايم يبطل الطباع ويفسدهـا فمعلوم من جهة ما لدينا من المتضادات وإفساد بعضها بعضا، فما السماوات مقسورة على حركتها الدائمة، قالوا ولا حركتها بالطبيعة المسخرة ... »

(تراث العرب فى الميكانيكا ـ د . جلال شوقى / ٢٦ ـ ٣١) .

الحَرَمُ :

الحَرَمُ : بفتحتين ، الحرمان : مكة والمدينة، والنسبة إلى الحرم حِرمى، بكسر الحاء وسكون الراء، والأنثى حرمية على ـ غير قياس، ويقـال : حُرمى، بالضم، كأنهم نظـروا إلى حرمة البيت؛ عن المبرد فى الكامل ، وحَـرَمى، بالتحريك، على الأصل أيضا؛ وأنشد راوى الكسر :

لا تـأوين لحِـــرمى مـــررت بـــه

يـومـا، ولـو ألقى الحـرمى فـى النـار

وقال صاحب كتاب العين : إذا نسبوا غير الناس قالوا ثوب حَـرَمى، بفتحتين، فأمـا ما جاء فـى الحديث : إن فلانـا كان حرمـى رسول الله ، ﷺ، فإن أشـراف العرب الذيـن يتحمسون كـان إذا حج أحـدهم لم يأكل إلا طعـام رجل من الحـرم ولم يطف إلا فى ثيابه، فكان لكل شريف من أشراف العرب رجل من قريش، فكل واحد منهما حرمى صـاحبه، كما يقال كرى للمكـرى والمكتـرى وخصم للمخـاصمين، والحـرم بمعنى الحرام مثل زمن وزمان، فكأنه حرام انتهاكه وحرام صيده ورفثه وكذا وكذا؛ وحرم مكة له حـدود مضروبة المنار قديمة، وهى التى بينها خليل الله إبراهيم عليه السلام وحده نحو عشرة أميال فى مسيرة يوم، وعلى كله منار مضروب يتميز به عن غيره، وما زالت قـريش تعـرفها فى الجـاهليـة والإسلام لكـونهم سكـان الحرم، وقد علموا أن ما دون المنار من الحرم وما وراءها ليس منه، ولما بعث النبى، ﷺ، أقر قريشا على ما عرفوه من ذلك وكتب مع زيد بـن مربع الأنصارى إلى قـريش أن قروا قـريشا على مشـاعـركم فإنكم على إرث من إرث إبـراهيم، فمـا دون المنار فهو حرم لا يحل صيـده ولا يقطع شجره، وما كان وراء المنار فهـو حل إذا لـم يكن صائده محرما، فإن قـال قائل من الملحدة فى قول الله عز وجل : ﴿**أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف النـاس من حـولهم**﴾ [العنكبـوت : ٦٧] كيف يكون حرمـا آمنا وقد اختلفوا وقتلوا فى الحرم؟ فـالجواب أنه، جل وعز ، جعله حـرماً آمنا أمرا وتعبـدا لهم بذلك لا اختياراً، فمن آمن بذلك كف عما نهى عنه اتباعا وانتهاء إلى ما أمر به، ومن ألحد وأنكر أمر الحرم وحرمتـه فهو كافر مباح الدم، ومن أقر وركب المنهى وصاد صيد الحرم وقتل فيه فهو فاسق وعليه الكفارة فيما قتل من الصيد، فإن عـاد فإن الله ينتقم منه؛ فأما المواقيت التى سُهل منها للحج فهى بعيـدة من حدود الحرم، وهى من الحل، ومن أحـرم منهـا للحج فى أشهر الحج فهـو محرم مأمور بالانتهاء ما دام محرما عن الرفث وما وراءه من أمر النسـاء وعن التطيب بـالطيب وعن لبس الثـوب المخيط وعن صيد الصيد؛ وقول الأعشى :

بأجياد غربى الصَّفا فالمحرم

(فى لسان العرب « والمحرم »)

هو الحرم؛ تقول : أحرم الرجل فهو محرم وحرام، والبيت الحرام والمسجـد الحرام والبلد الحرام كلـه يراد به مكـة؛ قال البشارى : ويحدق بالحرم أعلام بيض، وهو من طريق الغرب التنعيم ثلاثة أميـال ومن طريق العراق تسعة أميـال ومن طريق اليمن سبعة أميال ومن طريق الطائف عشرون ميلا ومن طريق الجادة عشرة أميال. وحـرم رسول الله، ﷺ ، المدينة (معجم البلدان ٢ / ٢٤٣ ، ٢٤٤) ولسان العرب ١٠ / ٨٤٦ .

وعن حدود الحرم يقول الإمام محمد الزركشى :

أول من نصب حدود الحرم إبراهيم عليه السلام، يقال : أوحى الله عز وجل إلى الجبال تنحى فتنحت حين أرى الله إبراهيم موضع المناسك وهو قوله : ﴿ وأرنا مناسكنا ﴾ [البقرة : ١٢٨] ثم إن قريشا قلعوها فى زمن النبى ﷺ فشق ذلك عليه ثم إنهم أعادوها وجددها النبى ﷺ، قال البزار فى مسنده : حدثنا بشر بن معاذ ومحمد بن موسى الحرشى قالا: ثنا مقاتل بن سليمان ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن محمد ابن الأسود بن خلف عن أبيه أن النبى ﷺ أمره أن يجدد أنصاب الحرم عام الفتح . وقال مالك : عمر بن الخطاب هو الذى نصب معالم الحرم بعد أن بحث عن ذلك . وحده من طريق المدينة دون التنعيم عند بيوت نفار على ثلاثة أميال من مكة وقيل : أربعة ، ومن طريق اليمن طرف أضاة لبن (وهى مستنقع الماء) على ستة أميال . وقيل : سبعة ومن طريق الطائف عند أضاة لبن ، على طريق عرفة من بطن نمرة على أحد عشر ميلا كذا ذكره الأزرقى، وقال ابن أبى زيد : على تسعة، ومن طريق العراق على ثنية جبل المقطع على سبعة أميال : وقيل ثمانية . ومن طريق الجعرانة فى شعب آل عبد الله ابن خالد على تسعة، ومن طريق جدة منقطع العشائر على عشرة . وقال مالك : والحديبية فى الحرم . وقال الرافعى : هو من طريق المدينة على ثلاثة أميال، ومن العراق على سبعة، ومن الجعرانة على تسعة، ومن الطائف على سبعة، ومن جدة على عشرة . وهكذا حكاه أقضى القضاة الماوردى وجماعة، منهم صاحب البحر وعليه بنى الشاعر قوله :

وللحرم التحديد من أرض طيبة
ثلاثة أميال إذا رمت إتقانه
وسبعة أميال عراق وطائف
وجدة عشر ثم تسع جعرانه

وقال ابن سراقة فى كتاب الأعداد : والحرم فى الأرض موضع واحد وهو مكة وما حولها ومساحة ذلك ستة عشر ميلا فى مثلها، وذلك بريد واحد وثلث، فى بريد واحد وثلث على التقريب؛ انتهى . فإن قيل : ما الحكمة فى تحديد الحرم؟ قيل : فيه وجوه :

أحدها : التزام ما ثبت له من الأحكام، وتبيين ما اختص به من البركات .

الثانى : ذكر أن الحجر الأسود لما أتى به من الجنة كان أبيض مستنيرا أضاء منه نور، فحيثما انتهى ذلك النور كانت حدود الحرم، وهذا معنى مناسب، والأمر فوق ذلك .

الثالث : أنه أنوار موضوعة من العالم الأعلى الربانى، وسر روحانى وجه إلى تلك البقاع .

ويذكر أهل المشاهدات أنهم يشاهدون تلك الأنوار واصلة إلى حدود الحرم ، ولها منار ينبع منها ، ويكون منها فى الحرمين والأرض المقدسة ولكل أرض نور وصفة ولون لذلك النور، نسأل الله أن يمن علينا بصفاء القلوب، والظفر بشهود حقائق الأعيان .

فهذا حد ما جعله الله حرما لما اختص به من التحريم، وباين به سائر البلاد (إعلام الساجد / ٦٣ ـ ٦٥) .

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٢٤٣ ، ٢٤٤، ولسان العرب ١٠ / ٨٤٦ ، وإعلام الساجد بأحكام المساجد لمحمد بن عبد الله الزركشى ـ تحقيق فضيلة الشيخ أبى الوفا مصطفى المراغى / ٦٣ ـ ٦٥) .

الحرم الإبراهيمى :

يقع الحرم الإبراهيمى الشريف ، أو المسجد الإبراهيمى، فى مدينة الخليل خليل الرحمن نبى الله إبراهيم عليه السلام وهى إحدى مدن الضفة الغربية وقد زار الرحالة العربى ابن بطوطة المدينة ووصف مسجدها قائلا : و مسجدها أنيق الصنعة، محكم العمل، بديع الحسن، سامى الارتفاع ، مبنى فى الصخر المنحوت، فى أحد أركانه صخرة، أحد أقطارها سبعة وثلاثون شبرا، ويقال إن سليمان عليه السلام أمر الجن ببنائه . وفى داخل المسجد الغار المكرم المقدس، فيه قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب، صلوات الله على نبينا وعليهم ، ويقابلها قبور ثلاثة هى قبور أزواجهم، وعن يمين المقبر بلصق جدار القبلة موضع يهبط فيه على درج رخام محكمة العمل، إلى مسلك ضيق يفضى إلى ساحة مفروشة بالرخام، فيها صور القبور الثلاثة ويقال إنها محاذية لها، وكان هنالك مسلك إلى الغار المبارك وهو الآن مسدود .

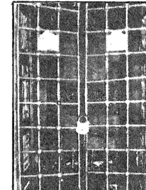
ويمضى ابن بطوطة فى وصفه فيقول: وقد نزلت بهذا الموضع مرات. ومما ذكره أهل العلم دليلاً على صحة كون القبور الثلاثة الشريفة هنالك، ما نقلته من كتاب على بن جعفر الرازى، الذى سماه « المسفر للقلوب »، عن صحة قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب » أسند فيه إلى أبى هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ: لما أسرى بى إلى بيت المقدس، مرَّ بى جبريل على قبر إبراهيم، فقال: انزل فَصَلِّ ركعتين، فإن هنا قبر أبيك إبراهيم، ثم مرّ بى على بيت لحم وقال: انزل فصلِّ ركعتين، فإن هنا وُلد أخوك عيسى (عليه السلام)، ثم أتى بى إلى الصخرة» (وذكر بقية الحديث).

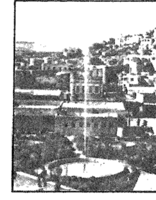
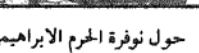
ولما لقيت بهذه المدينة المدرس الصالح المعمر الإمام الخطيب برهان الدين الجعبرى (انظر ترجمته فى م ١٢/ ١٨٩ - ١٩١) أحد الصلحاء المرضيين، والأئمة المشهورين، سألته عن صحة كون قبر الخليل عليه السلام هنالك فقال لى: كل من لقيته من أهل العلم يصححون أن هذه القبور قبور إبراهيم وإسحاق ويعقوب ـ على نبينا وعليهم السلام ـ وقبور زوجاتهم، ولا يطعن فى ذلك إلا أهل البدع، وهو نقل الخلف عن السلف، لا يشكُّ فيه. ويذكر أن بعض الأئمة دخل إلى هذا الغار، ووقف عند قبر سارة، فدخل شيخ فقال له:

أى هذه القبور هو قبر إبراهيم؟ فأشار له إلى قبره المعروف، ثم دخل شاب فسأله كذلك، فأشار له إليه، ثم دخل صبى فسأله أيضا، فأشار له إليه، فقال الفقيه: أشهد أن هذا قبر إبراهيم عليه السلام لا شك فيه. ثم دخل المسجد فصلى به، وارتحل من الغد (مهذب رحلة ابن بطوطة ١/ ٤٤، ٤٥)

يقول الأستاذ محمود الشرقاوى لم ينسب

رسم تقريبى للحرم الإبراهيمى الشريف يبين السور والمئذنتين وأماكن أضرحة الأنبياء وزوجاتهم والمحراب والمنبر ودكة المؤذنين ومدخل الغار

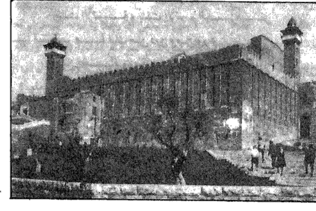

قبر إبراهيم الخليل



حول نوفرة الحرم الابراهيمي

وقد عنى بذلك أنه لم تعلم مواقع مقابر الأنبياء والرسل، فيما عدا قبرى محمد ﷺ وإبراهيم عليه السلام على وجه الجزم واليقين، أما قبر محمد ففى المدينة، أما قبر إبراهيم الخليل ففى «حبرون» (الأنبياء فى القرآن الكريم / ١٠٠).

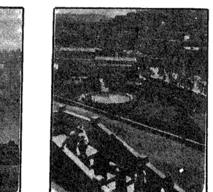
ويمضى ابن بطوطة فى وصفه الحرم الإبراهيمى فيقول :

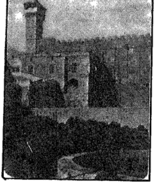
وبداخل هذا المسجد أيضا قبر يوسف عليه السلام، وبشرقى حرم الخليل تربة


الحرم الابراهيمي

لإبراهيم الخليل قبر غير هذا القبر الموجود فى المغارة، وقد أخذ المؤرخ المشهور الحافظ ابن حجر الهيثمى (انظر ترجمته فى م ١٣) الذى عاش فى أوائل القرن التاسع الهجرى، بالإجماع والتواتر على صحة وجود القبر فى هذه المغارة، وقال فى ذلك شعرا :

ولم تعلم مقابرهم بأرض
يقينا غير ما سكن الرسول


على درجات الحرم الابراهيمى


حديقة الحرم الابراهيمي

وفى «حبرون» أيضا ثم غار
به رسل كرام والخليل

لوط عليه السلام، وهى على تل مرتفع يشرف منه على غور الشام، وعلى قبره أبنية حسنة، وهو فى بيت منها حسن البناء مبيض ولا ستور عليه. وهنالك بحيرة لوط، وهى أجاج، يقال إنها موضع ديار قوم لوط. وبمقربة من تربة لوط مسجد اليقين، وهو على تل مرتفع، له نور وإشراق ليس لسواه، ولا يجاوره إلا دار واحدة يسكنها قيمه. وفى المسجد بمقربة من بابه، موضع منخفض، فى حجر صلد، قد هُيئ فيه صورة محراب، لا يسع إلا مصلِّيا واحداً. ويقال إن إبراهيم سجد

فى ذلك الموضع شكرا لله تعالى عند هلاك قوم لوط. وبالقرب من هذا المسجد مغارة فيها قبر فاطمة بنت الحسين ابن على وبأعلى القبر وأسفله لوحان من الرخام نقش فى أحدهما بخط بديع بسم الله الرحمن الرحيم لله العزة والبقاء وله ما ذرأ وما برأ وعلى خلقه كتب الفناء، وفى رسول الله أسوة هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين رضى الله عنها. وفى اللوح الآخر منقوش: صنعة محمد بن أبى سهل النقاش بمصر؛ وتحت ذلك هذه الأبيات :

أسكنت من كان فى الأحشاء مسكنه
بالرغم منى بين الترب والحجر
يا قبر فاطمة بنت ابن فاطمة
بنت الأئمة، بنت الأنجم الزُّهُر
يا قبر ما فيك من دين ومن ورع
ومن عفاف ومن صون ومن خفر؟

(مهذب رحلة ابن بطوطة ١/ ٤٤-٤٦).

وقد شيد مسجد إبراهيم الخليل أو الحرم الإبراهيمى فى أوائل عهد بنى أمية، وظل يحظى برعاية الخلفاء العباسيين والفاطميين وسلاطين الأيوبيين والمماليك تقديسًا للمسجد وتعظيما لشأنه فى نفوس الناس، فبداخله رفات الأنبياء الذين اصطفاهم الله سبحانه ليكونوا هداة للناس يخرجونهم من الظلمات إلى النور، ويرشدونهم إلى الطريق المستقيم، طريق الحق والهداية والرشاد. («الخليل وآثارها الإسلامية الخالدة» / ٥٢).

يشاهد الزائر إلى الحرم الشريف أول ما يشاهد سوره الضخم المبنى من الحجارة الصلدة البالغة الضخامة التى قد يصل طول الواحد منها سبعة أمتار وارتفاعه مترا ونصف المتر. ويعلو السور جزء يحتوى على شرفات، وقد بنى هذا الجزء فى وقت لاحق على بناء السور، وهو بناء إسلامى محض.

والحجارة الضخمة التى بنى بها السور منحوتة الأطراف مصقولتها، إلا أوسط الوجه الظاهر منها فقد ترك بارزاً مخشوشناً قليلا. وقد رص بعضها فوق بعض بدون ميلاط.

وتعلو السور منارتان: إحداهما فى الشرق منه، وثانيتهما فى جهة الغرب.

ويؤدى إلى داخل الحرم بابان، يقع أحدهما فى الجهة الجنوبية الغربية، ويقع ثانيهما فى الجهة الشمالية الغربية، ينفصل منها إلى مراق عظيمة تؤدى إلى رواق معقود فى الجهة الشرقية يحتوى على باب صغير للحرم فى وسط السور الشرقى.

فإذا دخلت الحرم من الباب الصغير الموجود فى وسط السور الشرقى رأيت على يمينك صحنا مكشوفا يقسم المكان إلى قسمين غير متساويين، أحدهما فى الجنوب، ويحتوى على الجامع المعقود الذى يضم ضريحى إبراهيم وسارة، فى قبتين مسدستى الأضلاع، بينهما رواق مربع صغير، معقود له فى جداره الجنوبى باب زينت جوانبه بالفسيفساء، يدخل منه الداخل إلى الجامع.

ويتصدر الجامع محراب بديع الصنعة مرخم زين أعلاه بالفسيفساء المذهبة، وفوقه فتحت نافذة ركب فيها زجاج ملون.

وإلى جانب المحراب يرتفع منبر يعود تاريخه إلى سنة ٤٨٤ هجرية، وهو مصنوع من خشب الجوز التركى المحفور، وبعض ألواحه الأمامية من خشب الأبنوس وهى مطعمة بالعاج تطعيما يعد غاية فى الفن والإتقان.

وتقول الكتابة الكوفية التى حفرت فيه أنه صنع فى زمن المستنصر بالله أبى تميم معد الفاطمى خليفة مصر ليوضع بمشهد عسقلان «قرية بالقرب من المجدل على بعد نحو ٢٠ كيلو متراً من شمال غزة، هى الآن فى فلسطين المحتلة» الذى قيل إن رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما موجود فيه.

وفى سنة ١٩٣٦ ظهر السوس فى بعض ألواح المنبر الخشبية، فاهتم المجلس الإسلامى الأعلى بالأمر، وأحضر مهندسا مصريا قام بإصلاح المنبر، واستغرق العمل فيه ثلاث سنوات، وتم إصلاحه على نسق ما كان عليه دون تغيير أو تبديل، ومنها الكلمات المحفورة عليه بالخط الكوفى المذهب على مدخل المنبر وهى :

(بسم الله الرحمن الرحيم. نصر من الله وفتح قريب.

لعبد الله ووليه معد أبى تميم عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه البررة الأكرمين، صلاة باقية إلى يوم الدين . مما أمر بعمل هذا المنبر السيد الأجل أمير الجيوش، سيف الإسلام، ناظر الإمام، كافل قضاة المسلمين، وهادى دعاة المؤمنين، أبى النجم بدر المستنصرى، عضد الله به الدين، وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين، أدام الله قدرته وأعلى كلمته، للمشهد الشريف . بثغر عسقلان، مسجد مولانا أمير المؤمنين أبى عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب فى شهور سنة أربع وثمانين وأربعمائة) (الأنبياء فى القرآن الكريم / ١٠٠، ١٠١) .

وكان السلطان صلاح الدين الأيوبى قد أمر بنقل هذا المنبر من ثغر عسقلان بعد تدميره ليحفظ بمقام إبراهيم عليه السلام ، وذلك بعد أن فتح بيت المقدس واستردها من الصليبيين إثر انتصاره على قواتهم فى معركة حطين سنة ٥٨٤ هـ (« الخليل وآثارها الإسلامية الخالدة » / ٥٤) (فى مصادر أخرى تاريخ موقعة حطين سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) .

أقيمت أضرحة فى ساحة الحرم، وهى ضريح إبراهيم، يقابله ضريح زوجته سارة، ويفصل بينهما رواق. وفى وسط الجزء المغطى داخل الجامع ضريح إسحاق عليه السلام، ومقابله ضريح زوجته رفقة فى غرفتين مربعتين صغيرتين متقابلتين .

وفى القسم الثانى من البناء الواقع فى الجهة الشمالية من الحرم يوجد ضريح يعقوب عليه السلام وآخر لزوجته « لائقة » فى قبتين متقابلتين أيضا بينهما رواق .

وبين الجزءين الشمالى والجنوبى من البناء رواق مستطيل إلى الجهة الغربية فيه مصلى للنساء. وفى وسط هذا الرواق باب يؤدى إلى ضريح يوسف عليه السلام ، نقل إليه بعد وفاته فى مصر. وهذا الضريح موجود داخل قبة جميلة واقعة خلف السور وملاصقة له من جهة الغرب، ويؤدى إلى هذا الضريح باب فتح فى السور تقع مراقد الأنبياء فى داخل المغارة، أو الغار الشريف كما يسمونه. وما الأضرحة العليا إلا إشارات لهذه المراقد، وللمغارة ثلاثة أبواب أو مداخل : اثنان منها مسدودان، أحدهما بإزاء المنبر، والثانى بين ضريحى إسحق وزوجته . أما الثالث فهو كما ذكرنا موجود تحت القبة وله غطاء من النحاس .

ويذكر ياقوت الحموى فى كتاب معجم البلدان نقلا عن الهروى أنه قال :

دخلت القدس فى سنة ٧٦٥، واجتمعت فيه وفى مدينة الخليل بمشايخ حدثونى أن فى سنة ٥١٣ ، فى أيام بردويل انخسف موضع فى مغارة الخليل، فدخل إليها جماعة من الفرنج بإذن الملك، فوجدوا فيه إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، وقد بليت أكفانهم ، وهم مستندون إلى الحائط، وعلى رءوسهم قناديل ورءوسهم مكشوفة، فجدد الملك أكفانهم ثم سد الموضع .

قال : وقرأت على السلفى أن رجلا يقال له الأرمنى، قصد زيارة الخليل، وأهدى لقيم الموضع هدايا جمة، وسأله أن يمكنه من النزول إلى جثة إبراهيم عليه السلام، فقال له أما الآن فلا يمكن، لكن إذا أقمت إلى أن ينقطع الجثل وينقطع الزوار فعلت. فلما انقطعوا قطع بلاطة هناك. وأخذ معه مصباحا ، ونزلا فى نحو سبعين درجة إلى مغارة واسعة، والهواء يجرى فيها، وبها دكة عليها إبراهيم ، عليه السلام، ملقى، وعليه ثوب أخضر، والهواء يلعب بشيبته، وإلى جانبه إسحاق ويعقوب. ثم أتى به إلى حائط المغارة فقال له : إن سارة خلف هذا الحائط ، فهم أن ينظر إلى ما وراء الحائط فإذا بصوت يقول. إياك والحرم قال : فعدوت من حيث نزلت .

بنى سور الحرم فى زمن بعيد فى القدم كما أسلفنا ، وقام بعض ملوك البيزنطيين ببناء بيعة لهم على جزء من الحرم وترك الباقى لتعبد غيرهم. ويذكر صاحب الأنس الجليل أن أعلى المسجد الحالى « المغطى » هو بقية بناء الروم، وأنهم الذين فتحوا باب السور بعد أن بقى مسدودا مدة طويلة. على هذا كان حال الحرم فى العهد السابق على الإسلام .

ولما فتح العرب فلسطين فى أيام الخليفة عمر بن الخطاب قام المسلمون بترميم مقام إبراهيم عليه السلام وكان الفرس قد خربوه فى إحدى غاراتهم سنة ٦١٤ ميلادية . وفى عهد الدولة الأموية تم تشييد القباب التى فوق مراقد إبراهيم

ويعقوب وزوجتيهما . أما فى العصر العباسى فقد فتح الخليفة المهدى باب السور الحالى من جهة الشرق وبنيت له المراقى الجميلة من ناحيتى الشمال والجنوب . وأمر المقتدر بالله ببناء القبة التى على ضريح يوسف الصديق .

احتل الصليبيون مدينة الخليل ، وجعلوا منها أسقفية ، كما حولوا الحرم إلى كنيسة ، ولكن صلاح الدين الأيوبى استعاد المدينة منهم عام ١١٨٧ م ، وجلب المنبر الفاطمى من عسقلان ، ووضعه فى الحرم ، كما عمر المحراب ودكة المؤذنين .

وأعاد الملك الظاهر بيبرس بناء مسجد الخليل وعمل له الشرفات الموجودة فوق السور. وقد حظر هذا الملك على غير المسلمين دخول الحرم (ذكر الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور فى كتابه « الظاهر بيبرس » أن بيبرس رمم مقام الخليل عليه السلام وجدد قبته وأصلح أبوابه) .

وقام الملك المنصور قلاوون بترخيم الحجرة الشريفة الخليلية سنة ٦٨٦ هـ . وأدخل ابنه السلطان محمد الناصر من العمارة والزينة على المسجد ما جعله من أفخم المساجد فى العالم . وذلك على يد الأمير تناكز، كفيل الممالك الشريفة الشامية . فهو الذى رخم جدران المسجد وزين محرابه بالرخام والفسيفساء، وفتح نافذتين زيتنا بالزجاج الملون، كما شيد القبة اللطيفة التى فوق باب الغار الشريف، وإلى هذا العهد أيضا يرجع إنشاء الرواق الشرقى، والأبواب المزخرفة والسبل التى بجوار الحرم .

وجدد اليغمورى، ناظر أوقاف الخليل، فى زمن السلطان الظاهر برقوق بناء ضريح يوسف عليه السلام بعد أن فتح له بابا فى السور الغربى .

وللحرم الشريف أوقاف كثيرة من جميع خلفاء المسلمين وملوكهم ، وهى منتشرة ، وقد أوقفت الضياع والعقارات على نفقة الحرم الإبراهيمى وتعميره. وهناك أراضى عشر قرى فى لواء الخليل، وقرى كثيرة يبلغ عددها المائتين فى ألوية أخرى يقع معظمها الآن فى الجزء المغتصب من فلسطين ، موقوفة وقفا صحيحا على الحرم الإبراهيمى بحجج شرعية ثابتة ومحفوظة فى صندوق فى الحرم اسمه « صندوق العمل » وهناك عشر عائلات خليلية تقوم على خدمة الحرم، منها المشايخ والمدرسون والمؤذنون والسدنة وحاملو الأعلام. وقد منحت هذه العائلات شرف خدمة الحرم منذ حوالى سبعمائة سنة .

والحرم تديره مديرية الأوقاف العامة التى يرأسها قاضى قضاة الأردن وتقوم هذه المديرية بانتقاء وتعيين موظفى الحرم الشريف (الأنبياء فى القرآن الكريم / ١٠٠ـ١٠٤) .

وأهم ما زيد فى الحرم من الخارج، المسجد الذى أنشأه أبو سعيد سنجر الجاولى ، وهو مرتفع على اثنتى عشرة سارية قائمة فى وسط يعلوه قبة جميلة .

وعلى الرغم من أن مدينة الخليل وجزءاً من قضائها لم تستعمر وتحتل من قبل إسرائيل بعد عام ١٩٤٨ م ، إلا أنه على أثر نكسة ١٩٦٧ م ، وقعت المدينة ولواؤها كغيرها من مدن وألوية الضفة الغربية وقطاع غزة تحت الاحتلال الإسرائيلى .

يقول الدكتور محمد عبد الرحمن : يتعرض الحرم الإبراهيمى الشريف فى الوقت الراهن إلى عملية تهديد سافرة، وذلك بتحويله إلى معبد يهودى، حيث وضعوا فى داخله خزانة بها كتبهم الدينية، كما وضعوا لافتات على أضرحة الأنبياء باللغة العبرية، ويخططون لإنشاء كنيس يهودى فى فناء المدرج الذى يصعد إلى الحرم الشريف (قصة مدينة ـ الخليل / ٩٢،٥٨) . وفى ٣ مارس ١٩٧٢ استدعى الحاكم العسكرى الإسرائيلى مدير أوقاف الخليل ورئيس قيمى الحرم وأبلغهما قراره بسقف صحن المسجد الداخلى المكشوف ، وتخصيصه لليهود، وزيادة عدد الكراسى، ووضع خزائن لحفظ التوراة، ومنع المسلمين من الصلاة على موتاهم فيه، وتقليص عدد الساعات المسموحة لهم للصلاة .

وفى فجر يوم الجمعة ١٥ رمضان سنة ١٤١٤ هـ / ٢٥ فبراير ١٩٩٤ م حدثت المذبحة فى الحرم الإبراهيمى، وارتكبها إرهابى إسرائيلى مسلح، فتح النار على جموع المصلين الذين كانوا يؤدون صلاة الفجر، وقد ذهب ضحية

هذه المجزرة حوالى تسعين شهيدا، وثلاثة أضعاف هذا العدد من الجرحى (مجلة الوعى العربى / ٦) فإنا لله و إنا إليه راجعون .

(مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ـ وقف على تهذيبه وضبط غريبه وأعلامه أحمد العوامرى بك ومحمد أحمد جاد المولى بك ١ / ٤٤ ـ ٤٦ ، و « الخليل وآثارها الإسلامية الخالدة » ـ الأستاذ محمد الحسينى عبد العزيز، مجلة الوعى الإسلامى . العدد (٥٨) . السنة الخامسة . شوال ١٣٨٩ هـ ـ ١٠ ديسمبر ١٩٦٩م / ٥٢ ، ٥٤ والأنبياء فى القرآن الكريم ـ محمود الشرقاوى / ١٠٠ ـ ١٠٤ ، وقصة مدينة ، الخليل ـ د . محمد عبد الرحمن . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية . سلسلة المدن الفلسطينية (١٩) / ٩٢ ، ٥٨ ، ومجلة الوعى الإسلامى . العدد (٣٣٨) . السنة الثلاثون ، شوال ١٤١٤ هـ ـ مارس ١٩٩٤ م / ٦ وانظر أيضا اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ بتحقيق محمد حامد الفقى / ٣٣١ ، ٣٣٢) .

الحرم الشريف :

اسم يطلق على أبنية المسجد الأقصى فى القدس الشريف ، (المنجد / ١٥٦) .

انظر : قبة الصخرة، المسجد الأقصى .

حرم المدينة المنورة

عن حدود حرم المدينة المنورة يقول الإمام الزركشى :

عن أبى هريرة قال : حرم رسول الله ﷺ ما بين لابتى المدينة (اللابة : أرض ذات حجارة سود . والمدينة بين لابتين شرقية وغربية) .

قال أبو هريرة : فلو وجدت الظباء ترتع بين لابتيها ما ذعرتها (ما أخفتها ونفرتها) وجعل اثنى عشر ميلا حول المدينة حمى . رواه مسلم وفى لفظ للبخارى عنه مرفوعا : حرم ما بين لابتى المدينة على لسانى . قال أبو عوانة فى صحيحه المخرج على مسلم . قال مالك : المدينة بريد فى بريد (البريد مسافة طولها ستة عشر فرسخا، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع) واللابتان من الحجر، وهما الحرتان . وفى الصحيحين من حديث أنس عن النبى ﷺ قال : المدينة حرم من كذا إلى كذا، لا يقطع شجرها (صحيح مسلم / ٩٩٤) الحديث . وفى مسند البزار من حديث يعلى بن عبيد ثنا أبو بكر، وهو المفضل، عن جابر قال : حرم رسول الله ﷺ المدينة بريدا من نواحيها . قال : والمفضل بن مبشر روى عنه يعلى بن عبيد ومروان بن معاوية، وزياد بن عبد الله وهو صالح الحديث، وأخرج أيضا عن سليمان بن كنانة قال : حدثنى عبد الله بن أبى سفيان عن عدى بن زيد، وكانت له صحبة قال : حمى رسول الله ﷺ كل ناحية من المدينة بريدا فى بريد لا يخبط شجره، ولا يعضد . وعن على : قال النبى ﷺ : المدينة حرام ما بين عائر إلى ثور . رواه البخارى (فى كتاب الفرائض) وفى رواية له ما بين عائر إلى كذا، وفى رواية لمسلم ما بين عير إلى ثور (مسلم / ٩٩٥) وقد استشكل هذه الرواية جماعة . وقالوا : ليس بالمدينة ثور إنما هو بمكة ، ولهذا جاء فى أكثر روايات البخارى من كذا، إلى كذا . وفى بعضها من عائر إلى كذا، ولم يبين النهاية . فكأنه يرى أن ذكر ثور وهم فأسقطه . ونقل مثل ذلك عن مصعب الزبيرى وأبى عبيد وقرره الحافظ أبو بكر الحازمى وغيرهم قال أبو عبيد . كأن الحديث من عير إلى أحد . وهكذا رواه الزبير بن بكار من حديث عبد الله بن سلام مرفوعا . وقال الحافظ الحازمى فى كتابه ـ المؤتلف فى أسماء الأماكن، فى الحديث حرم رسول الله ﷺ ما بين عير إلى أُحد . هذه الرواية صحيحة . وقيل إلى ثور، وليس له معنى انتهى . وقال النووى : يحتمل أن يكون ثور كان اسما لجبل هناك إما أُحد أو غيره ثم خفى اسمه انتهى . ولما ذكر ياقوت قول عياض قال بعضهم : ليس بالمدينة ولا على مقربة منها جبل يعرف بأحد هذين الاسمين . قال : قلت أنا : هذا وهم . فإن عيرا جبل مشهور بالمدينة انتهى .

وقال ابن السيد فى المثلث : عير اسم جبل بقرب المدينة . وهو بفتح العين المهملة وسكون الياء آخر الحروف . وذكر الإمام أبو محمد عبد السلام بن مزروع البصرى : أنه لما خرج رسولا من صاحب المدينة إلى العراق كان معه دليل يذكر له الأماكن والأجبل فلما وصلا إلى أحد إذا بقربه جبل صغير فسأله : ما اسم هذا الجبل ؟ قال : هذا يسمى ثورا انتهى . قال شيخنا : وسمعت الشيخ محمدا أبا المليحى

يقول: إن المحب الطبرى قال: ثور جبل بالمدينة رأيته غير مرة وحددته انتهى.

وقال المطرى: بل خلف جبل أُحد من شماليه تحته جبل صغير مدور يسمى ثورا، يعرفه أهل المدينة خلف عن سلف. ووعرة شرقيه وهما حد الحرم كما نقل. وقال الموفق ابن قدامة يحتمل أنه ﷺ أراد قدر ما بين ثور وعير اللذين بمكة شرفها الله تعالى أو يحتمل أنه أراد جبلين بالمدينة وسماهما عيرا وثورا تجوزا. وقال أبو العباس بن تيمية، عير جبل عند الميقات يشبه العير وهو الحمار، وثور هو جبل من ناحية أُحد وهو جبل ثور الذى بمكة انتهى. وقال بعض المتأخرين: لا ينبغى الإقدام على توهيم الرواة بمجرد عدم العرفان، فإن كثيرا من الأسماء تتغير أو تنسى أسماؤها أو لا يعلمها كثير من الناس باعتبار تطاول الأزمنة، ألا ترى الحديث المشهور فى إحرام النبى ﷺ من ذى الحليفة وهى ميقات إحرام المدينة ثم نسى هذا الاسم الآن وبقى مشهورا ببئر على، وكذلك بمكة، قزح جبل صغير آخر مزدلفة، وهو يتعلق به نسك عظيم، وهو لا يكاد يعرف هناك، ولا يعرفه كثير من أهل مكة ولقد حرصت على ذلك فلم أجد من يعرفه بل وما هو أشهر منه، وهو الأبطح. سألت هناك فلم أخبر عنه. وكذلك المأزمان ووادى محسر وغيره، فإذا جهل هذا مع تكرر الناس إليه وتعلق المناسك به مع تطاول الأزمنة فما ظنك بغيره، وأيضا فقد يكون للشيء اسمان أو أكثر فيعرف بأحدهما ويشتهر به دون الآخر، فيذكر فى الحديث بأحد اسميه كما يقال: قزح، والمشعر الحرام، وهو شيء واحد، وكما يقال: مزدلفة والمحصب والأبطح وكما يقال: ألال وجبل عرفات (جاء فى هامش المحقق أن « ألال » ليس اسما لعرفات كما قال المصنف وإنما هو اسم لموضع).

(إعلام الساجد بأحكام المساجد للإمام محمد بن عبد الله الزركشى- تحقيق فضيلة الشيخ أبى الوفا مصطفى المراغى / ٢٢٦-٢٢٩).

الحرم المكى :

انظر : الحرم.

الحرمل:

ذكره المظفر الرسولى فى الأدوية المفردة، وقد رمز لمصادره بالحروف التالية :

ع : عبد الله البيطار صاحب الجامع لقوى الأدوية والأغذية.

ج : ابن جزلة صاحب منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان.

ف : أبو الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى.

قال :

الحرمل : « ع » الحرمل نوعان : أبيض، وأحمر. فالأبيض هو الحرمل العربى، ويسمى باليونانية مولى، والأحمر هو الحرمل العامى المعروف ويسمى بالفارسية إسفند، وقوته لطيفة حارة فى الدرجة الثالثة. ولذلك صار يقطع الأخلاط الغليظة اللزجة، ويخرجها بالبول، وإذا سحق بالعسل والشراب ومرارة الدجاج والزعفران وماء الرازيانج الأخضر، وافق ضعف البصر، وهو يخرج حب القرع من البطن، وينفع من القولنج، وعرق النسا، ووجع الورك، إذا نُطِّل بمائه، ويجلو ما فى الصدر والرئة من البلغم اللزج، ويحلل الرياح العارضة فى الأمعاء، ويستعمل للسوداء، وهو غاية المصروعين وينفع من برد الدماغ والبدن. وقال : الحرمل يسدر ويصرع ويدُر الطمث والبول، ويصفى اللون، ويسمن ... وإذا استف منه وزنه مثقال ونصف غير مسحوق اثنتى عشرة ليلة ، شفى وجع عرق النسا، مجرب. وبدله : وزنه من القردمانا أو الحرمل العربى، وهو الأبيض . « ج » هو حار يابس فى الدرجة الثالثة، وقيل فى الرابعة، وهو مقطع ملطف، ينفع من وجع المفاصل طلاء، وإذا خلط بالعسل ومرارة القبج والدجاج وماء الرازيانج قوى البصر، وهو يدر البول والطمث، وينفع من القولنج شربا وطلاء، وهو يسكر ويقيئ بقوة. « ف » ينفع من الفالج، واللقوة، والتشنج، وعلل الكلى والمثانة، ويسهل مرارا أسود، وبلغما لزجا. والشربة منه : درهم ونصف (المعتمد ١ / ٩٢).

وقال عنه الأنطاكى :

الحرمل : نبت يرتفع ثلث ذراع ويفرع كثيرا، وله ورق كورق الصفصاف ومنه مستدير وزهره أبيض يخلف ظروفا مستديرة مثلثة داخلها بزر أسود كالخردل سريع التفرك ثقيل الرائحة يدرك أوائل حزيران وتبقى قوته أربع سنين وهو حار فى آخر الثانية يابس فى الثالثة يذهب الباردين وأمراضهما

كالصداع والفالج واللقوة والخدر والكزاز وعرق النسا والجنون ونحوه والصرع ووجع الوركين والمغص والإعياء والقولنج واليرقان والسدد والاستسقاء والنسيان ويحسّن الألوان ويزيل الترهل ... شربا وطلاء وإذا غسل بالماء العذب ثم سحق وضرب بالماء الحار والشيرج والعسل وشرب نقى المعدة والصدر والرأس وأعالى البدن من البلغم واللزوجات الخبيثة بالقيء تنقية لا يعدله فيها غيره وإن طبخ بالعصير أو الشراب وشرب ثلاثين يوما أبرأ من الصداع العتيق والصرع المزمن وأعاد الحمل بعد منعه وعلامة صلاحه القيء آخرا وإذا شرب اثنى عشر يوما متوالية قطع عرق النسا وإذا تسعط بعصارته أو ما طبخ فيه نقى حمرة العين وقطع النوازل، وإذا غلى فى ماء الفجل والزيت وقطر أزال الصمم ودوىّ الأذُن وقوى السمع ويجلو البياض كحلا والرمد ووجع الأسنان بخورا وإذا خلط مع البزر وعجن بالعسل ولوزم استعماله أذهب ضيق النفس فإن أضيف إليه الزجاج المحرق فتت الحصى وأدر الطمث والبول وغزر اللبن ومع ماء الرازيانج والزعفران والعسل والشراب ومرارة الدجاج يزيل ضعف البصر الكائن عن الامتلاء ويحبس البخار شربا وطلاء، وإذا طبخ بالخل ونطلت به الأعضاء قواها وسود الشعر وأزال الخدر أو بالماء والدهن بالغا وتمودى على شربه أزال السل وأمراض الكبد ... وهو يورث الغثيان والصداع ويصلحه الرمان المز والتفاح أو السكنجبين وشربته إلى مثقال وشرابه إلى أوقية، قيل وبدله القردمانا وقيل إن شرط شربه للنساء غير مسحوق وأن يدعك بالماء الحار بعد غسله وتجفيفه ويصفى ويشرب للقيء وأن المعمول منه للصرع جزء فى عشرين جزءا من الشراب أو العصير والمأخوذ كل يوم أوقيتان (تذكرة أولى الألباب ١ / ١٢١، ١٢٢).

قال الشيخ عبد الغنى النابلسى : والحرمل يزرع بزره فى آذار ولا يتحمل الماء الكثير ولا السزبل، ويجمع بزره فى حزيران وتموز، وهو ينبت وحده كثيرا وتناسبه الأرض المحجرة. ورقه كورق الخلاف، له نوار كنوار الياسمين أبيض طيب الرائحة، وهو حار يابس فى الرابعة، وقيل فى الثالثة ، ينفع من وجع المفاصل طلاء ... إلخ (علم الملاحة / ١٥٣، ١٥٤).

(المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى ــ صححه وفهرسه مصطفى السقا ١ / ٩٢، وتذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٢١، ١٢٢، وعلم الملاحة فى علم الفلاحة للشيخ عبد الغنى النابلسى / ١٥٣ . انظر أيضا عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ١٨٤) .

الحُرمة :

الحرمة : بالضم وسكون الراء فى الشرع هو الحكم بطلب ترك فعل ينتهض فعلة سببا للعقاب ويسمى بالتحريم أيضا وذلك الفعل يسمى حراما ومحظورًا قالوا الحرمة والتحريم متحدان ذاتا ومختلفان اعتبارا فالطلب احتراز عن غير الطلب وبقيد ترك فعل خرج الواجب والمندرب وبقولنا ينتهض فعله ... إلخ خرج المكروه وفى قولنا سببا للعقاب إشارة إلى أنه يجوز العفو على الفعل وقيد الحيثية معتبر أى ينتهض فعله سببا للعقاب من حيث هو فعل فخرج المباح المستلزم فعله ترك واجب كالاشتغال بالأكل والشرب وقت الصلاة إلى أن فاتت فإن فعل مثل هذا المباح ليس سببا للعقاب من حيث إنه فعل مباح بل من جهة إنه مستلزم لترك واجب إن قيل يخرج من الحد المحظور المخير وهو أن يكون المحرم واحدا لا بعينه من أمور متعددة كما إذا قال الشارع هذا حرام أو هذا فلا ينتهض فعل البعض وترك البعض سببا للعقاب بل يكون فعل الجميع سببا له فاختص الحد بالمحظور المعين قلت المراد بانتهاض فعله سببا للعقاب هو الانتهاض بوجه ما وهو فى المحظور المخير أن يفعل جميع الأمور ولهذا قيل الحرام ما ينتهض فعله سببا للذم شرعا بوجه ما من حيث هو فعل له فالقيد الأول احتراز عن الواجب والمندوب والمكروه والمباح، والثانى أى قوله بوجه ما ليشتمل المحظور المخير وقيد الحيثية للاحتراز عن المباح المستلزم فعله ترك واجب .

اعلم أن أبا حنيفة وأبا يوسف رحمهما الله لم يقولا بإطلاق الحرام على ما ثبت حرمته بدليل قطعى أو ظنى ومحمد رحمه الله يقول إن ما ثبت حرمته بدليل قطعى فهو حرام ويعرّف الحرام بما كان تركه أولى من فعله مع منع الفعل وثبت ذلك بدليل قطعى فإن ثبت بدليل ظنى يسمى مكروها كراهة التحريم . ثم الحرام عند المعتزلة فيما تدرك جهة قبحه بالعقل هو ما اشتمل على مفسدة .

التقسيم : الحرام قد يكون حراما لعينه وقد يكون حراما لغيره . توضيحه أنه قد يضاف الحل والحرمة إلى الأعيان كحرمة الميتة والخمر والأمهات ونحو ذلك وكثير من المحققين على أنه مجاز من باب إطلاق اسم المحل على الحال أو هو مبنى على حذف المضاف أى حرم أكل الميتة وشرب الخمر ونكاح الأمهات لدلالة العقل على الحذف . وذهب بعضهم إلى أنه حقيقة لوجهين : أحدهما أن الحرمة معناها المنع ومنه حرم مكة وحريم البئر فمعنى حرمة الفعل كونه ممنوعا بمعنى أن المكلف منع من اكتسابه وتحصيله ومعنى حرمة العين أنها منعت من العبد تصرفا فيها فحرمة الفعل من قبيل منع الرجل عن الشيء كما يقال للغلام لا تشرب هذا الماء ومعنى حرمة العين منع الشيء عن الرجل بأن يصب الماء مثلا وهو أوكد .

وثانيهما أن معنى حرمة العين خروجها عن أن يكون محلا شرعا كما أن معنى حرمة الفعل خروجه عن الاعتبار شرعا فالخروج عن الاعتبار متحقق فيهما فلا يكون مجازا وخروج العين عن أن يكون محلا للفعل يستلزم منع الفعل بطريق أوكد وألزم بحيث لا يبقى احتمال الفعل أصلا فنفى الفعل فيه وإن كان طبعا أقوى من نفيه إذا كان مقصودا ولما لاح على هذا الكلام أثر الضعف بناء على أن الحرمة فى الشرع قد نقلت عن معناه اللغوى إلى كون الفعل ممنوعا عنه شرعا وكونه بحيث يعاقب فاعله وكان مع ذلك إضافة الحرمة إلى بعض الأعيان مستحسنة جدا كحرمة الميتة والخمر دون البعض كحرمة خبز الغير سلك صدر الشريعة فى ذلك طريقة متوسطة وهو أن الفعل الحرام نوعان :

أحدهما ما يكون منشأ حرمته عين ذلك المحل كحرمة أكل الميتة وشرب الخمر ويسمى حراما لعينه .

والثانى ما يكون منشأ الحرمة غير ذلك المحل كحرمة أكل مال الغير فإنها ليست لنفس ذلك المال بل لكونه ملك الغير، فالأكل ممنوع لكن المحل قابل للأكل فى الجملة بأن يأكله مالكه بخلاف الأولى فإن المحل قد خرج عن قابلية الفعل ولزم من ذلك عدم الفعل ضرورة عدم محله ففى الحرام لعينه المحل أصل والفعل تبع بمعنى أن المحل قد أخرج أولا من قبول الفعل ومنع ثم صار الفعل ممنوعا ومخرجا عن الاعتبار فحسن نسبة الحرمة وإضافتها إلى المحل دلالة على أنه غير صالح للفعل شرعا حتى كأنه الحرام لنفسه، ولا يكون ذلك من إطلاق المحل وإرادة الفعل الحال فيه بأن يراد بالميتة أكلها لما فى ذلك من فوات الدلالة على خروج المحل عن صلاحية الفعل بخلاف الحرام لغيره فإنه إذا أضيفت الحرمة فيه إلى المحل يكون على حذف المضاف أو إطلاق المحل على الحال . فإذا قلنا الميتة حرام فمعناه أن الميتة منشأ لحرمة أكلها وإذا قلنا خبز الغير حرام فمعناه أن أكله حرام أما مجازا أو على حذف المضاف وذكر فى الأسرار أن الحل والحرمة صفتا فعل لا صفتا محل الفعل لكن متى أثبت الحل أو الحرمة لمعنى العين أضيف إليها لأنها سببه كما يقال جرى النهر لأنه سبيل الجريان وطريق يجرى الماء فيه فيقال حرمت الميتة لأنها حرمت لمعنى فيها ولا يقال حرمت شاة الغير لأن الحرمة هناك لاحترام الملك كذا فى التلويح .

(كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣٦٧-٣٦٩) .

حرملة (١٦٦-٢٤٣ هـ / ٧٨٢-٨٥٨ م) :

حرملة بن يحيى التجيبى ، مولاهم ، المصرى، أبو عبد الله ، فقيه ، من أصحاب الشافعى . كان حافظا للحديث، له فيه « المبسوط » و « المختصر » . مولده ووفاته بمصر (الأعلام ٢ / ١٧٤) .

قال عنه الإمام النووى :

حرملة : صاحب الإمام الشافعى رضى الله عنه حقيقة أحد رواة كتبه تكرر فى المهذب والوسيط والروضة وقولهم قال فى حرملة أو نص فى حرملة معناه قال الشافعى فى الكتاب الذى نقله عنه حرملة فسمى الكتاب باسم راويه مجازا كما يقال قرأت البخارى ومسلما والترمذى والنسائى وسيبويه والزمخشرى وشبهها . وهو أبو عبد الله وقيل أبو حفص حرملة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة بن عمران بن قراد المصرى التجيبى بتاء مثناة فوق ثم جيم مكسورة والمشهور ضم التاء وقيل بفتحها منسوب إلى تجيب قبيلة معروفة من العرب فى اليمن قال السمعانى هو نسبة إلى تجيب وهى اسم امرأة وهى أم عدى وسعد ابنى أشرس بن شبيب بن السكون قاله أحمد بن الحباب النسابة قال وهذه القبيلة نزلت مصر وبها محلة تنسب إليها .

سمع حرملة جماعات من الأئمة منهم الشافعى وابن وهب وأبوه يحيى وغيرهم .

روى عنه جماعات من الأئمة منهم مسلم بن الحجاج فى صحيحه وأكثر عنه وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان وابن ماجه والحسن بن سفيان وآخرون وكان إماما حافظا للحديث والفقه ويكفيه جلالة إكثار مسلم بن الحجاج عنه فى صحيحه وصنف المبسوط والمختصر قال ابن ماكولا ولد حرملة سنة ست وستين ومائة وتوفى فى شوال سنة ثلاث وأربعين ومائتين . وقال ابن عدى توفى سنة أربع وأربعين ومائتين رحمه الله تعالى . روينا عن أبى سليمان الخطابى فى أول كتابه معالم السنن شرح سنن أبى داود أن أصحاب الشافعى المتقدمين يعتمدون روايات المزنى والربيع المرادى عن الشافعى ما لا يعتمدون حرملة والربيع الجيزى رحمهم الله أجمعين (تهذيب الأسماء واللغات ١ / ١٥٥ ، ١٥٦) .

وقال عنه الإمام ابن عبد البر وقد ذكر أن وفاة حرملة سنة ٢٦٦ : يُكنى أبا حفص وكان جليلاً نبيل القدر، ويقال إن الشافعى نزل عنده . وروى عن الشافعى من الكتب ما لم يروه « الربيع » منها كتاب « الشروط » ثلاثة أجزاء ، ومنها كتاب «السنن » عشرة أجزاء ، ومنها كتاب « ألوان الإبل والغنم وصفاتها وأسنانها » ، ومنها كتاب « الشجاج » وكتب كثيره انفرد بروايتها سوى سماعه مع « الربيع » توفى بمصر سنة ست وستين ومائتين وكان أسن أصحاب الشافعى (الانتقاء / ١٠٩) .

(الأعلام للزركلى ٢ / ١٧٤ ، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ / ١٥٥ ، ١٥٦ ، والانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء للإمام ابن عبد البر / ١٠٩) .

الحرمين (علماء -) :

من بين العلماء الذين أحصاهم وترجم لهم القنوجى علماء الحرمين وهم :

الشيخ على بن محمد بن عريق .
الشيخ أبو الحسن البكرى .
الشيخ أبو بكر بن سالم اليمنى الحضرمى .
شهاب الدين أحمد بن حجر المكى الهيثمى .
الشيخ أحمد أبو الحرام .
الشيخ محمد البهنسى .
جعفر المدنى .
الشيخ أحمد بن على بن عبد القدوس الشناذى .
الشيخ أحمد القشاشى .
عبد الرحمن الإدريسى، المحجوب .
الشيخ شمس الدين محمد بن العلاء البابلى .
الشيخ عيسى الجعفرى المغربى .
الشيخ إبراهيم الكردى .
محمد بن محمد بن سليمان المغربى .
الشيخ حسن العجيمى .
الشيخ أبو طاهر محمد بن إبراهيم الكردى .
الشيخ تاج الدين الحنفى القلعى .
الشيخ محمد حياة السندى المدنى .
الشيخ صالح بن محمد بن نوح .
الشيخ محمد عابد السندى .

(أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى - أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار ٣ / ٢٩٨ ، ٢٩٩) .

الحَرّة :

قال ياقوت تحت عنوان : ذكر الحرار فى ديار العرب :

قال صاحب كتاب العين : الحرة أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار، والجمع الحرات والأحرّون والحرار والحُرُّون؛ وقال الأصمعى : الحرة الأرض التى ألبستها الحجارة السود، فإن كان فيها نجوة الأحجار فهى الصخرة، وجمعها صخر، فإن استقدم منها شىء فهو كراع؛ وقال النضر ابن شميل: الحرة الأرض مسيرة ليلتين سريعتين أو ثلاث، فيها حجارة أمثال الإبل البروك كأنها تشطب بالنار، وما تحتها أرض غليظة من قاع ليس بأسود و إنما سوّدها كثرة حجارتها وتدانيها؛ وقال أبو عمرو: تكون الحرة مستديرة فإذا كان فيها شىء مستطيل ليس بواسع فذلك الكراع واللابة والحرة بمعنى، ويقال للظلمة الكبيرة، وهى الخبزة التى تنضج بالملة: حرة ، والحرة أيضا: البثرة الصغيرة، والحرة أيضا:

العذاب الموجع ؛ والحرار في بلاد العرب كثيرة، أكثرها حوالى المدينة إلى الشام، وأنا أذكرها مرتبة على الحروف التي في أوائل ما أضيفت الحرة إليه اهـ .

ثم يحصيها كما قال ونكتفي فيما يلي بأسمائها فحسب ومن شاء التفاصيل فليرجع إلى معجم البلدان ٢ / ٢٤٥ ـ ٢٥٠) وإليك أسماءها :

حرة أوطاس، حرة تبوك، حرة تقدة، حرة حقل، حرة الحمارة، حرة راجل، حره راهص، الحرة الرجلاء ، حرة رماح ، حرة سُليم، حرة شرج، حرة شوران، حرة طرغد، حرة عبّاد، حرة عذراء، حرة عسعس، حرة غُلاس، حرة قباء، حرة القوس، حرة لُبن، حرة لفلف، حرة ليلى، حرة معشر، حرة ميطان، حرة النار، حرة واقم، وفيها كانت وقعة الحرة المشهورة، ويأتي بيانها فيما بعد، وحرة الوبرة، وحرة بني هلال.

(معجم البلدان، / ٢٤٥ـ ٢٥٠) .

حرة واقم :

انظر : الحرة ، الحرة (وقعة ـ) .

الحَرّة (وقعة ـ) (٦٣ هـ / ٦٨٣ م) :

خلع أهل المدينة المنورة طاعة الخليفة يزيد إلا القليل منهم ، وحاصروا الأمويين هناك. فأرسل يزيد بن معاوية جيشا لحربهم بقيادة مسلم بن عقبة المزني. فجاء إلى المدينة وأقام خارجها في الحرة ودعا القوم للطاعة ثلاثة أيام، فلما أبوا إلا القتال حاربهم وهزمهم رغم أنهم أقاموا بينهم وبينه خندقا. ثم استباح المدينة لجنده ثلاثة أيام كما أمره يزيد. فقتلوا الكثير من أهل المدينة وأغلظ مسلم في معاملة أهلها، واستبيحت في أموالها ونسائها . لذلك يقول السلف في مسلم: مُسرف بن عقبة لأنه أسرف في القتل في مدينة رسول الله ﷺ وكلهم من المهاجرين والأنصار (معجم المعارك الحربية / ١٢٤) .

وقد ذكر يا قوت هذه الوقعة الشنيعة تحت عنوان « حرة واقم » فقال عنها :

حَرَّةُ واقم : إحدى حرتي المدينة، وهي الشرقية، سميت برجل من العماليق اسمه واقم، وكان قد نزلها في الدهر الأول، وقيل : واقم اسم أُطُم من آطام المدينة إليه تضاف الحرة، وهو من قولهم : وقمت الرجل عن حاجته إذا رددته، فأنا واقم ؛ وقال المرار:

بحـــرة واقـم ، والعيس صُعْـــر
تـــرى للُحَى جمـــاجمها تبيعـــا

وفي هذه الحرة كانت وقعة الحرة المشهورة في أيام يزيد ابن معاوية في سنة ٦٣ وأمير الجيش من قبل يزيد مسلم بن عقبة المري، وسموه. لقبيح صنيعه مُسرفا، قدم المدينة فنزل « حرة واقم » وخرج إليه أهل المدينة يحاربونه ، فكسرهم وقتل من الموالي ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل ومن الأنصار ألفا وأربعمائة، وقيل ألفا وسبعمائة، ومن قريش ألفا وثلاثمائة، ودخل جنده المدينة فنهبوا الأموال وسبوا الذرية واستباحوا [النساء] وحملت منهم ثمانمائة حرة وولدن، وكان يقال لأولئك الأولاد أولاد الحرة، ثم أحضر الأعيان لمبايعة يزيد بن معاوية فلم يرض إلا أن يبايعوه على أنهم عبيد يزيد ابن معاوية، فمن تلكأ أمر بضرب عنقه، وجاؤوا بعلي بن عبد الله بن العباس، فقال الحصين بن نمير: يا معاشر اليمن عليكم ابن أختكم، فقام معه أربعة آلاف رجل، فقال لهم مسرف: أخلعتم أيديكم من الطاعة ؟ فقالوا : أما فيه فنعم ، فبايعه عليٌّ علَى أنه ابن عم يزيد بن معاوية، ثم انصرف نحو مكة وهو مريض مدنف فمات بعد أيام وأوصى إلى الحصين ابن نمير، وفي قصة الحرة طول، وكانت بعد قتل الحسين، رضي الله عنه ، ورمى الكعبة بالمنجنيق من أشنع شيء جرى في أيام يزيد؛ وقال محمد بن بحرة الساعدي :

فإن تقتلـــونـــا يـــوم حـــرة واقـم ،
فنحـن علـى الإســــلام أول مـن قَتَـلْ
ونحـن تـــركنـــاكم ببـــدر أذلـــة ،
وأبنـــا بأسيـــاف لنـــا منكم نفَـلْ
فإن ينج منكم عـــائذ البيت ســالمـــا ،
فمـــا نـــالنـــا منكم، وإن شفّنـــا، جلل

عائذ البيت : عبد الله بن الزبير؛ وقال عبيد الله بن قيس الرُّقيات :

وقالت : لو أنا نستطيع لزاركم
طبيبان منا عالمان بدائكا
ولكن قومى أحدثوا بعد عهدنا
وعهدك أضعافا، كلفن نسائكا
تذكرنى قتلى بحرة واقم
أصبن ، وأرحاما قطعن شوائكا

(معجم المعارك الحربية ـ ماجد اللحام / ١٢٤ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ٢ / ٢٤٩، ٢٥٠).

انظر : الحَرَّة .

الحروب الإسلامية :

يلخص الأستاذ الدكتور أحمد شوقى الفنجرى مفهوم الحرب فى الإسلام، أو العقيدة العسكرية الإسلامية فى عدد من النقاط الرئيسية :

(أولا) أن السلام هو الغاية والهدف ... والحرب إحدى وسائل تحقيق السلام وفى ذلك يقول القرآن الكريم .

ـ ﴿ ادخلوا فى السلم كافة ﴾ [البقرة : ٢٠٨] .

ـ ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ﴾ [الأنفال : ٦١] .

ـ ﴿ فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ﴾ [النساء : ٩٠] .

(ثانيا) أن الحرب فى الإسلام نوعان :

أ ـ دفاعية : لحماية أرض المسلمين وعقيدتهم : وفى ذلك يقول القرآن : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ [البقرة : ١٩٤] ﴿ ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ﴾ [النساء : ١٠٢] .

ـ ﴿ وخذوا حذركم ﴾ [النساء : ١٠٢] .

ـ ﴿ أُذِن للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا ﴾ [الحج : ٣٩] .

ب ـ هجومية : وليس الهدف منها الغزو والاستعمار وقهر الشعوب وليس الهدف هو إكراه الأمم على اعتناق الدين : ولكن الهدف تحرير إرادتها وحريتها لكى تختار الدين الحق ... دون قهر من الحكام أو الغزاة وفى ذلك يقول تعالى :

ـ ﴿ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

ـ ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾ [البقرة : ٢٥] .

ثالثا : أن الشدة فى القتال لا تعنى القسوة ولا الوحشية ولا الظلم : فقد أمر المسلمون بالشدة فى القتال بمعنى العزم والحزم وعدم التراجع فقال :

﴿ فلا تولوهم الأدبار ﴾ [الأنفال : ١٥] .

﴿ حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ﴾ [محمد : ٤٧] .

﴿ جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ [التوبة : ٧٣] و [التحريم : ٩] .

ب ـ وفى نفس الوقت أمروا بالرحمة والعدل والرفق بعد الانتصار فقال تعالى :

﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ﴾ [الإنسان : ٨] .

﴿ فإما منًّا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ [محمد : ٤٧] .

﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ [النساء : ٥٨] .

﴿ ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ [البقرة : ١٩٠]

كان هذا هو الجانب العقائدى تحدثنا عنه بإيجاز شديد (العلوم الإسلامية ٣ / ٣١، ٣٢) .

ويوضح ذلك كله فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت رحمه الله فيقول عن الحرب فى الإسلام :

﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض، ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾ [البقرة : ٢٥١] .

الإسلام دين الحجة والبرهان . دين الأمن والسلام، دين التعاون والتآخى، دين التعمير والبناء، وهو لا يعدل عن الحجة ما وجد منها سبيلا إلى هدفه، وهو إقرار الحق فى نصابه، وتمتع الناس بحريتهم الطبيعية، وثمار العدل والمساواة، فإذا ما التوت بالعقول السبل واختلس الإنسان من

سكـان الكهـوف، والمغـاور أخلاقهـم وطيشهم، فعبث بالحياة، وأراق الدماء، وسخر الضعفاء، وتحكم بجبروته فى الحقوق، وانقض على الهادئين فزلـزل عليهم أمنهم، وعلى المالكين فاغتصب حقـوقهم، وانتزع منهم أوطانهم، وفتنهم فى دينهم ودنياهم.

فهنا وهنا فقط ـ حفظا لعرض الإنسانية أن يثلم، ولحكمة الله فى خلق الإنسـان أن تـذهب ـ لا يجـد بـدا من ارتكـاب الصعب وهـو خوض معـامع الحرب والقتـال فيأذن بها لأهلـه حتى يرد أهل البغى والعناد وليحترموا حقوق الإنسانية المكرمة ﴿ ولـولا دفع الله النـاس بعضهم ببعض لفسـدت الأرض ﴾ [البقرة: ٢٥].

الإسلام دين الواقع:

وما كـان للإسـلام، وهو دين عملى واقعى، أن يتجـاهل سنة الاجتماع البشرى التى كثيرا ما يندفع بها الناس إلى التنازع وارتكـاب المظالم، والتنكـر للحق والاعتـداء على الحريـات على هذا ﴿إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى ﴾ [العلق: ٦، ٧] اعتـرف الإسـلام بالحـرب، واتخـذهـا حيث لا تنفع الحجة والبرهـان وسيلة عملية لمكافحـة البغى ورد العدوان، وإزالة العقبـات، والقضاء على المفاسـد والطغيان ﴿ فقاتل فى سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا ﴾ [النساء: ٨٤] ﴿ فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفـوا أيديهم فخـذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ﴾ [النساء: ٩١].

اعتـرف الإسـلام بالحـرب فى تلك الـدائرة وجعلهـا ذروة سنـامـه وأفرغ عليهـا صبغـة الجهـاد فى سبيل الله، يقيم بهـا العـدل والميـزان ويمهـد بهـا سبل الحيـاة الطيبـة السعيـدة، وحينما يصل المسلمـون بالحرب إلى هذه الغـاية، أوجب أن تضع الحرب أوزارهـا، وأوجب الكف عنها ﴿ فإن انتهـوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ [البقرة: ١٩٣] ﴿ فإن اعتزلوكم فلم يقـاتلـوكم وألقـوا إليكـم السلم فمـا جعل الله لكم عليهم سبيلا ﴾ [النساء: ٩٠].

وهو إذ يقررها ويدعو إليهـا وسيلة لإقامة العدل والميزان، يحـوطها بـالتشـريع الذى من شأنـه أن يحقق هـدفها، وهـو إخضاع قوى الشر والفساد، والـذى من شأنه فى الوقت نفسه أن يخفف من ويـلاتها ويضمـد من جراحهـا: لا يترك أهلـه يفتحون بهـا على الناس، أبواب الجحيـم من كل جانب، لا يترك لهـم أن يبقروا فيها بطـون الحبالى، ولا أن يمثلـوا بجثث الشيوخ والرضع.

هذا الجحيم الذى نرى دعـاة الحضارة والمدنية، وحقوق الإنسان، يدقون ناقوسه لسبب ولغير سبب، ويوقدون ناره فى جميع الآفاق، فلا تلبث أن تلتهم المشرق والمغرب، ويصير الناس فيهـا كمثل قوم فـى سفينة، أخذتهـا الأعاصيـر من كل جانب، واضطـربت بهم فى بحر لجى، يغشاه موج من فـوقه موج، من فـوقه سحاب، ظلمـات بعضها فـوق بعض، يكاد اليم يبتلعها بمن فيها. أو كمثل قوم حوصروا بالنار ذات الوقود فى بيت مغلق النـوافـذ، وقـد تقطعت بهم أسبـاب النجـاة، فجمدوا فى أمـاكنهم، شاخصـة أبصارهم، يشهـدون التهام النـار متاعهم ونفـائسهم وأمـوالهم وأبنـاءهم وأنفسهم، ثم لا يستطيعون أن يحركوا ساكنـا، أو يلتمسوا طريقا للخلاص من هول ما هم فيه سوى العويل والصياح، والاستغاثة من الخطر الـذى دهمهم وحل بهم وبـدارهم، إلى أن تخمـد أنفـاسهم ويصيروا جثثا هامدة تحت أنقاض البيوت وعروش العمائر!!

حرب المدنية:

هذه هى مدينة القرن العشـرين مدنية العلم الذى أنعم الله بـه على الإنسان، ليسعـد بـه الإنسانيـة فأشقـاها، ويحييهـا فأماتهـا. هذا هـو حربها، وهـذا هو سـلامها الـذى يتغنى به الخراصون الأفاكون، والذى نسجـوا من اسمه أحبولة يكيدون بها للسلام الحق، وبها يفسـدون حكمة الله فى خلق الإنسان (من توجيهات الإسلام/ ٢٢٥ ـ ٢٢٧).

وعن الإسلام بين الحرب والسلام جاء هذا البيان للناس:

إن الـدعـوة الإسلاميـة دعـوة الـرحمة والسـلام والأمـان، والإسـلام لـم ينتشـر بـالسيف، ومـا كـان القتـال فـى حيـاة المسلمين إلا دفاعا أو تأمينا لطريق الدعوة، وإذا كانت هناك نصـوص تـدل بظـاهرهـا على الأمـر المطلق بـالقتـال فهنـاك نصوص أخرى تقيدها.

ونريد أن نؤكد هنا أن القتال إذا شرع فى الإسلام للأغراض المشـروعـة، فإنـه روعى فيـه القـدرة عليـه والاضطـرار إليـه،

والظروف القائمة حينذاك، فعندما أمر الله المؤمنين بالقتال بقوله : ﴿ **يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون** ﴾ قال بعد ذلك : ﴿**الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين** ﴾ [الأنفال : ٦٥ ، ٦٦] وأعفى الضعفاء وذوى الأعذار من الجهاد فقال : ﴿ **ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل** ﴾ [التوبة : ٩١] .

وحبب الإسلام فى السلام وكان من ضمن تشريعاته : قبول الصلح إذا عرض على المسلمين، والوفاء بالعهد المأخوذ بينهم وبين العدو، والإخلاص عند عقد المواثيق، فلا تتخذ الأيمان دخلا تنقض حسب الأهواء والمصالح الشخصية، حتى لو اتخذها العدو خداعا فليعمل المسلمون على منع الحرب ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ﴿ **وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله** ﴾ [الأنفال : ٦٢] .

وإذا كان الإسلام بهذه الصورة الداعية إلى السلام فلماذا جاءت نصوص تنهى وتمنع المسلمين أن يدعوا إليه، وتشدد فى قتال العدو دون قيد أو شرط؟ ولماذا عاهد النبى ﷺ الأعداء وعقد معهم صلحا لوقف القتال؟ لا بد من العلم أن لكل نص ظروفه وغرضه، وأن العام قد يكون له مخصص، والمطلق قد يكون له مقيد، وذلك بنص آخر أو بتطبيق النبى ﷺ لهذه النصوص. وتطبيقه تشريع كما هو معروف، مراعيا فيه الظروف القائمة التى تتلاقى مع نصوص القرآن الكريم ولا تعارضها، فإذا كانت بالمسلمين قوة بقوا على أصل دعوتهم السلمية، ولم يبادروا بطلب الصلح من عدوهم حتى لا يسىء بهم الظن أو يعتقد أن فيهم ضعفا ﴿ **فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم** ﴾ [محمد : ٣٥] ولكن مع ذلك إذا جاءت المبادرة من العدو فلا يرفضون المصالحة حتى لو كان يريد بها خداعهم ﴿ **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم * وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين** ﴾ [الأنفال : ٦١ ، ٦٢] .

أما إذا كان بالمسلمين ضعف أيا كان نوعه، وإذا كانت الظروف لا تساعد على خوض المعركة لسبب أو لآخر، فلو بادر العدو بطلب الصلح كان قبولهم له أولى من قبوله وهم أقوياء، فإن لم يبادر هل يسعى المسلمون إليه أو لا ؟ قال بعض المسلمين : لا يجوز السعى إلى الصلح مهما كان حال المسلمين، ففى ذلك ذلة ومهانة وإطماع للعدو فيهم ، وقال بعض آخر : لا مانع من المبادرة بطلب الصلح تحقيقا للمصلحة ومنعا للضرر، مستأنسين بمعاهدة النبى ﷺ لليهود عند هجرته إلى المدينة، وبالسعى للتصالح مع العدو فى غزوة الأحزاب ليرجع دون قتال، فى مقابل عوض يدفع إليه من تمر المدينة .

واختصارا للحديث فى هذا الموضوع نكتفى بنقل ما جاء فى « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبى، عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله** ﴾ [الأنفال : ٦١] حيث قال ما خلاصته : إن هذه الآية مختلف فيها ، هل هى منسوخة أم لا ، فقيل منسوخة بقوله تعالى : ﴿**فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ﴾ [التوبة : ٥] وقوله تعالى : ﴿ **وقاتلوا المشركين كافة** ﴾ [التوبة : ٣٦] أو بقوله تعالى : ﴿ **فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم** ﴾ [محمد : ٣٥] وقيل : ليست منسوخة، بل أراد قبول الجزية من أهل الجزية، وقد صالح أصحاب رسول الله ﷺ فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ومن بعده من الأئمة كثيرا من بلاد العجم على ما أخذوه منهم ، وتركوهم على ما هم فيه وهم قادرون على استئصالهم ، وكذلك صالح رسول الله ﷺ كثيرا من أهل البلاد على مال يؤدونه، من ذلك خيبر.

ثم نقل القرطبى كلاما لابن العربى يقول فيه : فإذا كان المسلمون على عزة وقوة ومنعة وجماعة عديدة وشدة شديدة فلا صلح، كما قال الشاعر :

فلا صلح حتى تطعن الخيل بالقنا
وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم

وإن كان للمسلمين مصلحة فى الصلح لنفع يجلبونه أو ضرر يدفعونه فلا بأس أن يبتدئ المسلمون به إذا احتاجوا إليه، وقد صالح رسول الله ﷺ أهل خيبر على شروط نقضوها فنقض صلحهم، وقد صالح الضمرى وأكيدر دومة وأهل

نجران، وقد هادن قريشا لعشرة أعوام حتى نقضوا عهده، وما زالت الخلفاء والصحابة على هذا السبيل التى شرعناها سالكة، وبالوجوه التى شرحناها عاملة. اهـ.

بقيت نقطة أخرى وهى: هل هناك تحديد للمدة التى يتم عليها الصلح وتقف الحرب؟

جاء أيضا فى تفسير القرطبى (٨ / ٤٠): قال القشيرى: إذا كانت القوة للمسلمين فينبغى ألا تبلغ الهدنة سنة، وإذا كانت القوة للكفار جاز مهادنتهم عشر سنين، وقد هادن رسول الله ﷺ أهل مكة عشر سنين. وجاء فى «ص٤١»: وقال ابن حبيب عن مالك رضى الله عنه: تجوز مهادنة المشركين السنة والسنتين والثلاث وإلى غير مدة، كما جاء فيه: ويجوز عند الحاجة للمسلمين عقد الصلح بمال يبذلونه للعدو، لموادعة النبى ﷺ عيينة بن حصن الفزارى والحارث ابن عوف المرى يوم الأحزاب على أن يعطيهما ثلث تمر المدينة وينصرفا بمن معهما من غطفان ويخذلا قريشا ويرجعا بقومهما عنهم، وكانت هذه المقاولة مراوضة ولم تكن عقدا، ولم يقبل الأنصار ذلك، فنزل النبى ﷺ عند رأيهم اهـ

وبهذا التوضيح يمكن أن يفهم ما أعلنه ـ المؤتمر الرابع للمجمع ـ عن رفض الصلح مع العدو، وما أعلنه بعد ذلك عن جواز هذا الصلح، فلكل مقام مقال (بيان للناس من الأزهر الشريف ٢ / ٣٦٨-٣٧١).

ويرتبط بهذا كله ما يمكن أن يسمى آداب الحروب الإسلامية، ومن ذلك ما كتبه اللواء أ. ح محمد جمال الدين محفوظ عن الحرب العادلة فى الإسلام حيث يقول بعد أن تكلم عن الغاية من الجهاد:

والحق أن الجهاد فضيلة إنسانية عليا، وأن الباعث إليه فضيلة أيضا، إذ هو إعلاء كلمة الله، ورد الاعتداء، ويستقيم مع هذا المعنى أن تكون الفضيلة الإسلامية واجبة الرعاية فى الجهاد سلما وحربا، ورعايتها فى الحروب تعلى من قدر من يتمسك بها، لأنه يتمسك بها فى أصعب الظروف وأشد المواقف. ويراعى الفضيلة فى موقف أبيحت فيه النفوس.

من أجل ذلك فلا غرابة فى أن تكون حروب الإسلام حروبا فاضلة. فهى حروب مقيدة بقانون السماء. ولا يمكن أن يبيح قانون الله انتهاك الحرمات وإهدار الكرامة الإنسانية.

وهكذا انطوت حرب الإسلام العادلة على الآداب والفضائل مثل منع قتل غير المحاربين ومنع التخريب ومنع قتل الضعفاء والشيوخ والنساء والأطفال وحسن معاملة الأسرى والقتلى ومنع تعذيب الجرحى أو قتلهم. والوفاء بالعهد والتأمين للمحارب ومجاملة رسل العدو. وعدم التعرض بالأذى لهم وحسن معاملة الشعوب المغلوبة وكان للإسلام فضل سبق القانون الدولى فى هذا المجال.

وقد اتفق رجال الاستراتيجية على أن الغرض من الحرب يجب أن يكون الحصول على «سلام أفضل» (أى أفضل من حالة ما قبل الحرب) وأنه من الضرورى أن يضع القادة فى اعتبارهم باستمرار ـ وهم يديرون دفة الحرب ـ السلام الذى يرغبون فيه ومن أجل ذلك عليهم أن يراعوا أن تحدث «ضرباتهم» أقل ما يمكن من الأضرار «الدائمة» وذلك لأن عدو اليوم هو حليف المستقبل وينبه «الاستراتيجيون» إلى أنه كلما زادت وحشية الوسائل، فإن مقاومة الخصم سوف تزداد وأنه عند بلوغ الهدف العسكرى «أى النصر» فإن المنتصر إذا زاد من مطالبه تجاه الجانب الآخر واستخدم أساليب القهر والتسلط الغاشم، فإنه لن يحصل على «سلام حقيقى ومستقر» بعد انتهاء الحرب ...

ويصف «الاستراتيجيون» تلك الحالة من السلم بأنها «سلم مشوه يحتوى على جراثيم حرب تالية»!!

والتاريخ حافل بأدلة قاطعة على أن الشطط والمبالغة فى إدارة الحروب لا يهيئان مناخا لقيام سلام مستقر أو دائم:

فهناك سلسلة الحروب الواسعة ـ وعلى رأسها الحرب الثلاثينية ـ التى دفعت رجال السياسة فى القرن الثامن عشر إلى إدراك هذه الحقيقة، وإلى إدراك ضرورة كبح أطماعهم وأهوائهم الخاصة، وتجنب الشطط والمبالغة فى كل الأعمال التى قد تطيح بالآمال المعقودة على حالة ما بعد الحرب.

وهناك حروب نابليون التى امتدت قرابة العشرين عاما... وقد كان نابليون يتصور تحقيق سلم دائم عن طريق الحرب تلو الحرب، فجاءت النتيجة على عكس تصوره، بل وصل الأمر إلى حد انهيار الإمبراطورية النابليونية!

وهناك الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ التى رفع فيها المنتصرون شعار «ويل للمغلوب» فكانت قسوتهم فى

معاملة ألمانيا وكان فرضهم للعقوبات الاقتصادية التي أثقلت كاهل الاقتصاد الألماني سببا في أن السلام الذي حصلوا عليه جاء « مشوها يحمل جراثيم حرب تالية »... فإن تلك القسوة بالذات كانت الدافع الرئيسي لهتلر في العمل بكل الوسائل على إنهاض ألمانيا، وبالتالي سرعة نشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ .

حروب الإسلام :

أما حروب الإسلام، فقد كانت « خالية من جراثيم حرب تالية » ولم تنطو على ما يقطع الأمل في سلام حقيقي ومستقر، بل كانت تجعل جراح المغلوبين « تلتئم بسرعة » وكان الحصول على مثل هذا النوع من السلام هدفا من أهم الأهداف العسكرية الإسلامية .

وغزوة الفتح خير مثل يضرب في هذا المجال، فلقد كانت كل الظروف مهيأة أمام المسلمين لتحقيق نصر عسكري ساحق على قريش، ولو كان هم رسول الله ﷺ أن يحقق النصر على أعدائه دون أدنى اعتبار لما بعد النصر، ما نفذ ذلك المخطط العبقري الذي وضعه وحقق به فتح مكة بلا قتال ...

وإذا كان من شأن المنتصر أن يستبد ويملي شروطه بدافع الغيظ والانتقام والغرور بالقوة فإن الرسول القائد ﷺ ـ رغم كل ما فعلت قريش ضد الإسلام والمسلمين ـ لم يفعل شيئا من ذلك، بل كان كل همه أن يؤلف قلوب المشركين ويجعلها تقبل على الإسلام الذي هو دين السلام .

ومن ثم كان تصرفه في أهل مكة بعد الفتح وهم ينتظرون ما هو فاعل بهم تطبيقا لمبادئ الإسلام السمحة وفضيلة الجهاد العليا، بل كان مثلا فذا للعبقرية السياسية والعسكرية معا، فقد قال لهم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ... ولقد حققت تلك السماحة آثارها الاستراتيجية في قريش فإن قريشا تحولت وتحولت اتجاهاتها من أشد الناس عداوة للإسلام، إلى أحرص الناس عليه وعلى رفع راية الجهاد في سبيله، وليس هذا فحسب، بل كان من عرب شبه الجزيرة قادة عسكريون أفذاذ، قدر لهم ـ كما يقول مونتجمري : أن يكونوا من أعظم القادة العسكريين مثل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص .

الفتوح الإسلامية :

وقد سار المسلمون على هذا النهج بعد عصر النبوة، فها هو ذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه أول خليفة للمسلمين يوصي قائد الجيش وهو يستعد للخروج .

« إذا سرت فلا تعنف أصحابك في السير ولا تغضبهم وشاور ذوي الآراء منهم، واستعمل العدل وباعد عنك الجور، فإنه ما أفلح قوم ظلموا، ولا نصروا على عدوهم : ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار * ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله**﴾ .

« وإذا نصرتم فلا تقتلوا شيخا ولا امرأة ولا طفلا » .

« ولا تحرقوا زرعا ولا تقطعوا شجرا، ولا تذبحوا بهيمة، إلا ما يلزمكم للأكل، ولا تغدروا إذا هادنتم، ولا تنقضوا إذا صالحتم، وستمرون على قوم في الصوامع رهبان ترهبوا لله، فدعوهم وما انفردوا إليه، وارتضوه لأنفسهم، ولا تهدموا صوامعهم، ولا تقتلوهم، والسلام » .

وعلى نفس النهج أوصى عمر سعد بن أبي وقاص قائده ـ رضي الله عنهما ـ الذي وجهه لفتح فارس فقال :

« أما بعد فإني أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى الله في كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب، وأن تكون أنت ومن معك أشد احتراسا من المعاصي من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم نكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية، كان لهم الفضل علينا في القوة، وإن لم ننصر عليهم بطاعتنا لم نغلبهم بقوتنا. واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله، يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم، وأقم بمن معك في كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم، وأبعد منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق به » .

وهكذا كانت الشعوب المختلفة ترحب بالمسلمين

الفاتحين، وتنضم إليهم أحيانا لتنجو من عسف الفرس والروم وتستظل بوارف من العدل والسماحة والحرية، ولقد تحقق لهذه الشعوب ما أملته، وسرعان ما دان أكثرها بالإسلام عن رغبة واختيار، وسرعان ما صارت البلاد المفتوحة موئلا للإسلام، وصار أهلها من دعاته وحملة لوائه ومن المجاهدين فى سبيله، حتى لقد أثار ذلك دهشة (مونتجمرى) فى كتابه « الحرب عبر التاريخ » فقال : « من العجيب أن القوة الرئيسية للجيوش الإسلامية فى فتح أسبانيا بين عامى ٧١٠ ــ ٧١٣ كانت مشكلة من الليبيين والتونسيين » ...

وقد علل مونتجمرى نفسه سر هذه الفتوحات الإسلامية وكيف وصلت مداها الواسع بأن المسلمين كانوا يستقبلون فى كل مكان يصلون إليه كمحررين للشعوب من العبودية وذلك لما اتسموا به من تسامح وإنسانية وحضارة، فزاد إيمان الشعوب بهم ... وقد ظلت جميع المناطق التى فتحوها فى القرن السابع حتى يومنا هذا ـ ما عدا أسبانيا ـ تحتفظ بالدين الإسلامى وكذلك بالعادات والتقاليد والتراث الإسلامى .

شهادة الأجانب :

ويقول جوستاف لوبون « إن القوة لم تكن عاملا فى نشر القرآن وإن العرب تركوا المغلوبين أحرارا فى أديانهم، فإذا كان بعض النصارى قد أسلموا واتخذوا العربية لغة لهم، فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذى لم يكن للناس بمثله عهد، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التى لم تعرفها الأديان الأخرى . وقد عاملوا أهل سورية ومصر وأسبانيا وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم، تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم غير فارضين سوى جزية زهيدة فى مقابل حمايتهم لهم وحفظ الأمن بهم . والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب ... » .

(« الآثار الاستراتيجية للحرب العادلة فى الإسلام » / ٦٢٠ ـ ٦٢٣) .

قالت المؤلفة : لما كان قد فاتنا إدراج مادة « الجزية » فى موضعها فى حرف الجيم، رأينا إدراجها هنا لارتباطها بما جاء أعلاه على لسان « جوستاف لوبون » :

لقد ورد لفظ « الجزية » فى القرآن الكريم فى آية واحدة فى قوله تعالى : ﴿ حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ [التوبة : ٢٩] ، وتعرف الجزية فى هذه الآية الكريمة بأنها الخراج المقدر على رءوس أهل الذمة (كلمات القرآن / ١١٠) .

وثمة تعريف آخر هو : الجزية ضريبة مالية تؤخذ من أهل الذمة، فى مقابل أن يسكنوا تحت حماية المسلمين، ويدفعها المحاربون ، ويعفى منها العاجزون عن الحرب بصرف النظر عن أسنانهم ، وتختلف باختلاف يسار الذمى وإعساره (مختصر الأحكام الفقهية / ٢١٠) .

وجاء فى اللسان ما يلى : الجزية : خراج الأرض ... وجزية الذمى منه . الجوهرى : والجزية ما يؤخذ من أهل الذمة ... وقد تكرر فى الحديث ذكر الجزية فى غير موضع ، وهى عبارة عن المال الذى يعقد الكتابى عليه الذمة ... ومنه الحديث : « ليس على مسلم جزية » أراد أن الذمى إذا أسلم، وقد مر بعض الحول ، لم يطالب من الجزية بحصَّة ما مضى من السنة ، وقيل : أراد أن الذمى إذا أسلم وكان فى يده أرض صولح عليها بخراج، توضع عن رقبته الجزية ــ وعن أرضه الخراج، ومنه الحديث : « من أخذ أرضا بجزيتها » ، أراد به الخراج الذى يؤدى عنها ، كأنه لازم لصاحب الأرض كما تلزم الجزية الذمى، قال ابن الأثير : هكذا قال أبو عبيد ، هو أن يسلم وله أرض خراج ، فترفع عنه جزية رأسه ، وتترك عليه أرضه يؤدى عنها الخراج (لسان العرب ٨ / ٦٢١ ، ٦٢٢) .

ونعود بعد هذا الاستطراد إلى آداب الحروب الإسلامية ، جاء فى عيون الأخبار لابن قتيبة ما يلى :

حدثنا القاسم بن الحسن عن الحسن بن الربيع عن ابن المبارك عن حيوة بن شريح قال :

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا بعث أمراء الجيوش أوصاهم بتقوى الله العظيم ، ثم قال عند عقد الألوية (أى تعيين القواد وتسليمهم الأعلام) : بسم الله وعلى عون الله وامضوا بتأييد الله بالنصر وبلزوم الحق والصبر، فقاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . لا تجبنوا عند اللقاء ولا تمثلوا عند القدرة. ولا تسرفوا عند الظهور (أى الغلبة) ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا . وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند حمة النهضات وفى شن الغارات . ولا تغلوا عند الغنائم (غل فى الغنيمة : جعلها لنفسه ولم يوزعها) .

انظر : الغلـول ونزهوا الجهـاد عن عرض الدنيـا ، وأبشروا بالرياح فى البيع الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ...

وقال بعض الحكمـاء : قد جمع الله لنـا أدب الحرب فى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الـذين آمنوا إذا لقيتم فئة فـاثبتوا واذكروا الله كثيـرا لعلكم تفلحـون * وأطيعـوا الله ورسولـه ولا تنـازعـوا فتفشلـوا وتـذهب ريحكم واصبـروا إن الله مع الصـابـرين ﴾ [الأنفال: ٤٥ ، ٤٦] (من كتاب عيون الأخبار / ٤٠ ، ٤١) .

(العلوم الإسلامية ــ د . أحمد شـوقى الفنجرى ٣ / ٣١، ٣٢، ومن توجيهات الإسـلام ـ فضيلة الإمام الأكبـر الأسبق الشيخ محمود شلتوت / ٢٢٥ ــ ٢٢٧، وبيان للنـاس من الأزهـر الشـريف ٢ / ٣٦٨ ــ ٣٧١ ، و «الآثار الاستراتيجية للحرب العادلـة فى الإسلام ـ لواء أ . ح محمد جمال الدين محفوظ . مجلة الأزهر . الجزء الخامس، السنة التاسعة والستون ، جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ ـ يناير ١٩٨٧ م/ ٦٢٠ ـ ٦٢٣ ، وكلمات القرآن ـ تفسير وبيان ــ فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف / ١١٠ ، ومختصر الأحكـام الفقهيـة لعلى بن فـريد الكشجنـورى الهنـدى ــ تحقيق يـوسف البدرى، مراجعـة د . محمد أحمد عـاشور / ٢١٠ ، ولسـان العرب لابن منظـور ٨ / ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ومن كتـاب عيــون الأخبـار لابن قتيبـة . وزارة الثقافـة والإرشاد القومى . المختار من التراث العربى (١٠) مديرية إحياء التراث العربى . دمشق ١٩٧٧ / ٤٠، ٤١) .

حروب الإيرانيين فى العراق:

من مخطوطات التاريخ بمكتبة المتحف العراقى .

الرقم ١٩٥٢

لسليمـان فـائق بن طـالب أغـا المتـوفى سنة ١٣١٤ هــ ١٨٩٦ م .

الأول (الحمـد لله الــذى قيض للتـاريخ رجــالا ضبطـوا لأخلافهم أخبار أسلافهم ...) .

وهو كتاب فى أخبار الوزير أحمـد باشا وولده حسن باشا ومـا حدث فى أيـامهم وضعه المـؤلف باللغـة التركيـة وعربـه محمـد خلوصـى بن سعيد التكـريتى النـاصـرى ... بدأ فيـه المـؤلف بحــوادث سنـة ١١٣٢ هــ/ ١٧١٩ م وانتهى منـه بحوادث سنة ١١٤٠ هـ/ ١٧٢٧ م .

نسخة عليها تعليقات حديث الخط .

القياس ٦١ ص　　٣٤,٥ × ٢١,٥ سم　　١٩ س

معجم المؤلفين العراقيين ٢ / ٦٢ .

(مخطوطـات التاريخ والتراجم والسير فى مكتبـة المتحف العراقى ـ أسامة ناصر النقشبندى وظمياء محمد عباس / ١٥٧) .

الحروب الصليبية :

يقـدم الأستاذ الـدكتور حسيـن مؤنس فى أطلسـه النفيس دراسة مستفيضة عن الحروب الصليبيـة رأينا أن نجعلها الجزء الرئيسى فى هذه المادة ، وهى كما يلى :

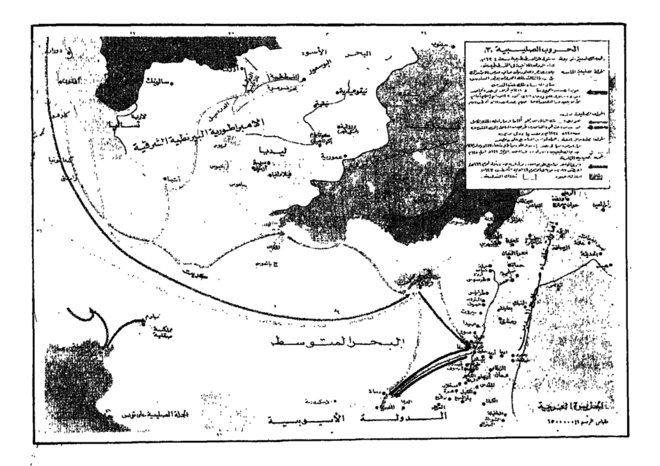
تعتبر الحـروب الصليبية من أعاظم الحـوادث فى التاريخ الإسـلامى العـام ، وهى كـذلـك من أكبـر حـوادث التـاريخ العالمـى ، لأن الذى فكـر فى الحروب الصليبيـة وقام بهـا هو الغرب المسيحى بتـوجيه أوّلى من البابويـة ، بغرض الاستيلاء على المقـدسـات المسيحيـة فى فلسطين وبخـاصـة مـدينـة القدس وقبر المسيح عيسى ابن مريم فى بيت لحم القريبة من القدس . والحركـة بدأت فى أواخر القرن الخـامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى، واستمرت فى عنف إلى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى .

أصل الحروب الصليبية .

وليس هنا مكـان دراسة أسباب هذه الحـروب وتطور هذه الأسباب ، ولكننـا نكتفى بأن نقول إن أصل الحـركة كلهـا عند البابوية ، وكان من أول أهدافها تقويـة مركز البابوية فى العالم المسيحى ، وتـوحيد العالم المسيحـى كله تحت سلطـانها ، وأول من فكـر فى ذلك كان البـابـا جريجـورى السابع ، وهـو ألمـانى اسمـه الأول هلـدبرانـد وكـان رجـلا واسع الطمـوح والنشـاط ، وكـان قـد شجع رهبـان ديـر كلـونى ، وهـو دير كـاثوليكى فى فـرنسا ، نشأت فيـه حركـة حماس دينى وتجـرد رجـالـه لنشـر المسيحيـة بين قبـائل وسط أوروبـا من المجـر وشمالها من الشعوب النورماندية ، وأحس البابا جريجورى أن تحت يـده قوة يمكن أن يستخـدمها لفـرض إرادته على بـلاد الغرب الأوروبية وتوحيدها تحت لوائه ، وفى ذلك الوقت تلقى البابا استغاثة من الإمبراطور ألكسيوس كومنين إمبراطور الدولة البيزنطية يطلب فيها أن يمده الغـرب الأوروبى بجنود يعاونونه على دفع الخطر السلجوقى .

وكـان السلطان السلجـوقى ألب أرسـلان قد انتصـر على الإمبراطـور البيزنطى رومانـوس الرابع فى مـوقعة ملاذكـرد سنة

١٠٧١ م فى أقصى شمالى أذربيجان، وفتح الطريق أمام قبائل الأتراك لتدخل آسيا الصغرى التى كانت معتبرة إذ ذاك من أراضى الدولة البيزنطية، بما فى ذلك جزء كبير من بلاد الأرمن، وكان الأرمن إذ ذاك منتشرين على مساحات واسعة تمتد من شرق البحر الأسود جنوبا إلى شمالى بلاد الجزيرة والموصل، وعقب انتصار ملاذكرد تدفقت جموع من الأتراك السلاجقة فدخلت آسيا الصغرى، واستقرت فى شرقها، وأنشأت فيها سلطنة سلجوقية عرفت باسم سلطنة سلاجقة الروم، وأولهم قلج أرسلان، وأخذت هذه السلطنة تمتد شرقا حتى استحوذت على النصف الشرقى من آسيا الصغرى، وجعلت عاصمتها فى مدينة قونية، وأخذت تزحف إلى الغرب، وهذا هو الخطر الذى جعل ألكسيوس كومنين يستغيث بالبابوية، على الرغم من أنه كان هناك انشقاق دينى وسياسى بين الدولة البيزنطية والكنيسة الكاثوليكية فى روما منذ



سنة ١٠٥٤ م . وهذا هو الانشقاق الديني الواسع الذي يوصف بالكبير وبدلاً من أن يبادر البابا جريجوري بالاستجابة لما طلبه الإمبراطور البيزنطي فكر في استنهاض همم الرهبان الكونيين وبقية رجال الكنيسة في الغرب للدعوة إلى توحيد الغرب الأوروبي تحت لواء البابوية وإنشاء مملكة مسيحية دينية واحدة يسيطر عليها البابوات .

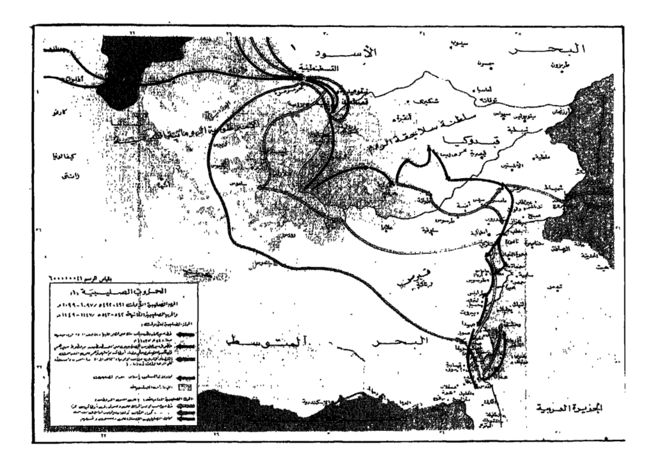
ولم تسنح الفرصة للبابا جريجوري السابع بالسير في مشروعه إلى أكثر من ذلك فقد توفي سنة ١٠٨٥ م وخلفه البابا أوربان الثاني، وكان تلميذا للبابا جريجوري ومتحمسا لآرائه .

حرب الاسترداد في الأندلس :

وفي ذلك الوقت كانت الحرب بين الإسلام والنصرانية في الأندلس - وهي شبه الجزيرة الأيبيرية - قد تطورت إلى ما يعرف بحرب الاسترداد « الريكونكيستا » أي استرداد بقية أرض شبه الجزيرة من المسلمين وذلك عقب سقوط الخلافة الأموية الأندلسية سنة ١٠٣١ م وانقسام الأندلس الإسلامي إلى

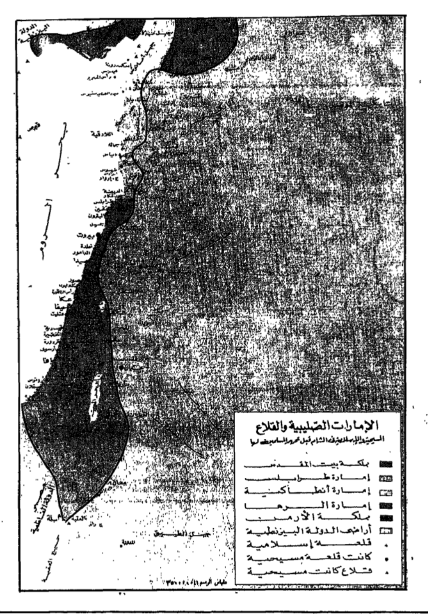


دويلات متنازعة عرفت باسم دول الطوائف، أو ممالك الطوائف، وقد بدأ حرب الاسترداد هذه فرناندو الأول ملك ليون وقشتالة سنة ١٠٥٧ م وصارت السياسة الرئيسية للممالك النصرانية المتاخمة للأندلس. ثم صارت حقيقة واضحة المعالم في الاستراتيجية والتاكتيك عندما استولى ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون على مملكة طليطلة في ٦ مايو سنة ١٠٨٥ م واستعاد عاصمة القوط القديمة ونقل عاصمة مملكته إليها، وتطورت الحرب بين المسلمين والنصارى تطورا حاسما واتجهت همة المسيحيين في الغرب بقيادة الممالك المسيحية في إسبانيا إلى القيام بحرب عامة على الأندلس الإسلامي أخذت طابعا دينيا، ووضع المقاتلون فيها شارة الصليب على صدورهم وظهورهم ودروعهم، وأصبحت كل قوة عسكرية من أولئك الذين يحملون شارة الصليب تسمى حملة صليبية « بالإسبانية Cruzada » ومن هنا جاء اسمها في اللغات الأوروبية (Kreuzzug - Crusade - Groisade - Cruciatae) وفي نفس الوقت تمكن



النورمان من استعادة صقلية من أيدى المسلمين « ١٠٦١ ـ ١٠٩١ م » وعمت الغرب الأوروبى روح من الحماس الدينى زادها قوة أن سكان الغرب الأوروبى زادوا خلال القرنين العاشر والحادى عشر الميلاديين زيادة تقدر بضعف عدد السكان واحتاجوا إلى أراض جديدة يتوسعون فيها ويزرعونها ، وتلك هى الظروف التى انتهزها البابا أوربان الثانى للدعوة إلى القيام بحرب مسيحية شاملة على بلاد الإسلام، وبخاصة بلاد الشام وفلسطين لاستعادة المقدسات المسيحية والأراضى التى عاش ودعا فيها المسيح ابن مريم .

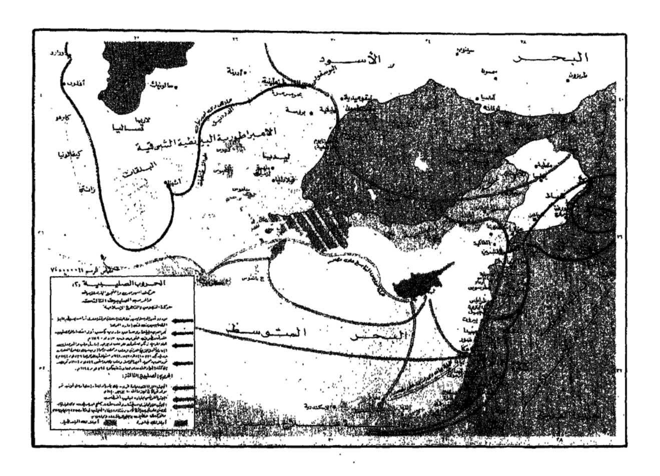
وشجع على نشاط هذه الحملة زيادة عدد الحجاج النصارى إلى الأراضى المقدسة المسيحية زيادة كبيرة، وما شاع فى ذلك الحين من أن الأتراك السلاجقة ـ وبخاصة سلاجقة الروم ـ يعترضون قوافل الحجاج المسيحيين القادمين من الغرب ويعتدون عليها ، وقيل كذلك ـ وهو غير صحيح



قطعا ـ إن المسلمين يعتدون على المقدسات المسيحية ، وقد بـدأت الحركـة الصليبية فى سنـة ١٠٨٨ م عنـدما دعـا البابـا أوربان الثـانى إلى توثيق الروابط بين الغرب المسيحى والـدولة البيزنطية وشد أزرها بمعاونتها بالجنود لمحاربة المسلمين .

بدء الحملات الصليبية .

وفى سنة ١٠٩٥ م دعا البابا أوربان الثانى فى مجمع دينى عقد فى مدينة كليرمونت إلى تجنيد جيش مسيحى وتسييره إلى بـلاد المسلمين لتحقيق ذلك الغرض، ومن ذلك الحين بـدأ مـا يسمى بـالحروب الصليبية أو الحـركة الصليبيـة، لأنها فى الحقيقة حركة طويلة المدى استمرت من أواخر القرن الحادى عشـر إلى أواخر القـرن الخامـس عشر الميـلادى، بل لدينـا أخبـار عن حملات مسيحيـة بعـد ذلك، وخلال الفتـرة التى ذكـرناهـا قام الغـرب الأوروبى بإرسـال أكثر من خمس عشـرة حملة صليبية كبيرة على بلاد المسلمين اشتركت فيها كل بلاد أوروبا المسيحيـة ، من إنجلترا و إسكتلنـدا إلى بـلاد المجر، وعمت كل بلاد الأناضول والشام ومصر، ولم تخمد الحركة إلا





جيوش المسلمين.

حركة نهوض وتجمع واسعة المدى، بدأت فى بلاد الجزيرة والموصل ثم اتسع نطاقها فشملت بلاد الشام، بفضل أتابكة الموصل وحلب، ثم بلغت النهضة الإسلامية أوجها فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى بعد انضمام مصر

بعد أن تأكد الغرب الأوروبى من عجزه عن الاستيلاء على بلاد المسلمين فى الشرق .

وفى أثناء الفترة الطويلة التى استمرت فيها الحركة الصليبية دخلت عوامل وأهداف أخرى لا علاقة لها بالأراضى المقدسة، منها طمع الكثيرين من نبلاء الغرب فى إنشاء ممالك لهم فى بلاد المسلمين ، وتطلع الفرسان والمقاتلين الأوروبيين إلى الغارات على بلاد المسلمين ونهبها ، وسلب ما تيسر لهم سلبه من خيراتها .

حملتان صليبيتان وصحوة إسلامية .

وفى العادة يكتفى المؤرخون للحروب الصليبية فى الغرب بتفصيل الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية لأنهما كانتا بالفعل حملتين عسكريتين بحريتين بريتين استنفدتا كل جهود أوروبا خلال قرنين كاملين من الزمان . وكان العالم الإسلامى ضعيفا مفككا عند وصول الحملة الصليبية الأولى إلى بلاد الشام سنة ١٠٩٩ م بسبب انهيار سلطنة السلاجقة وخلو بلاد الإسلام من دولة موحدة تجمع المسلمين لمواجهة الخطر الصليبى، مما شجع الغرب على بذل أقصى جهده فى الحروب الصليبية فى الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية بعد أن تمكن المسيحيون من الاستيلاء على بيت المقدس وإنشاء مملكة صليبية مسيحية فى فلسطين عاصمتها القدس، وثلاث إمارات مسيحية ، اثنتان منها فى الشام، هما أنطاكية وطرابلس، والثالثة فى بلاد الجزيرة من شمال العراق، وهى إمارة الرها، ثم استيقظ العالم الإسلامى من سباته، ودخل فى



فارس من فرسان صلاح الدين.

إلى الحركة على يد نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى، ثم انتقال قيادة الحركة إلى مصر عند قيام الدولة الأيوبية على يد السلطان صلاح الدين الأيوبى وانتصاره الحاسم على الصليبيين فى بلاد الشام فى معركة حطين، فى صيف سنة



فنقول: إن الاستجابة الرسمية من ملوك الغرب الأوروبى وأمرائه فاقت كل ما كان البابا أوربان الثانى يتوقع، فقد أثارت الدعوة حماسا شديدا فى فرنسا وإيطاليا، ونهض عدد من أشراف نواحى فرنسا بفرسانهم لقيادة الحركة، لهذا كانت الحملة الصليبية الأولى فى جملتها حملة فرنجية على بلاد المسلمين، ولذا فإن المؤرخين المسلمين يسمون كل المشاركين من الأوربيين فى الحملات الصليبية كلها بالفرنجة.

ويطلق على الصليبيين عموما اسم الفرنجة عندنا، وهو يقابل مصطلح Les Francs الذى تستعمله النصوص الغربية، لأن الفرنسيين كانوا من أكثر الناس حماسة للحملات الصليبية، وإليك بيانا بأهم قادة الحرب الصليبية الأولى، وهم الذين سيدخلون بيت المقدس، وينشئون مملكة بيت المقدس، والإمارات الصليبية الثلاث التى سنذكرها. ولولا نجاح هذه الحملة الأولى لما استمرت الحركة الصليبية، ولتوقفت مسيرتها بعدها:

ريمون الرابع كونت تولوز وكان أكبر فرسان الصليبيين وأعتاهم، وكان أول الأمر شبه قائد عام لجيوش الحملة الصليبية الأولى لأن لقبه كان: ادفو كاتور Advocator أى المدافع والمحامى عن بيت المقدس.

وقد رافقه الأسقف أدهماردى مونتيل أسقف لى بويه.

وكذلك أخوه بولدوين البولونى دوق اللورين السفلى.

وذهبت من شمال فرنسا جماعة أخرى يقودها روبرت الثانى كورتوز دوق نورماندى وروبرت الثانى كونت فلاندر واستيفان هنرى كونت بلوا وهيو كونت فيرمندو ومن إيطاليا الكونت بوهيموند بن روبرت جيسكارد دوق أبوليا.

وقد وصلت الحملة الأولى إلى القسطنطينية، واخترقت

١١٨٧ م، واستعادته القدس، وبذلك انكسرت حدة الموجة الصليبية ابتداء من الحملة الصليبية الثالثة كما سنرى.

وفى خرائط هذا الفصل بالحروب الصليبية اجتهدنا فى تصوير الحملتين الصليبيتين: الأولى والثانية، وكذلك حركة النهوض والتجمع الإسلامى.

خريطة ١٢٨

الحروب الصليبية (١)

الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية.

صورنا فى هذه الخريطة الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية، وكذلك الحملة الصليبية التى قادها بطرس الناسك الفرنسى، وتكونت من جمهور غير منظم من المسيحيين، خدعهم بطرس بخطبه الحماسية، وصور لهم بلاد المسلمين على أنها أرض مفتوحة لا يحميها أحد، وغنية بالخيرات التى تنتظر من يغتنمها، إلى جانب سهولة الوصول إلى بيت المقدس، واستعادة كنيسة القيامة وقبر السيد المسيح ابن مريم من أيدى المسلمين، وهذه الحملة وصلت فعلا إلى آسيا الصغرى وتوغلت فيها، حتى لاقتها جيوش سلاجقة الروم وأبادتها سنة ٤٩٠ هـ/ ١٠٩٦ م.

الحملة الأولى.

ونبدأ بالكلام - باختصار - عن الحملة الصليبية الأولى

بلاد سلاجقة الروم وهزمتهم عند دورويليوم فى يوليو ١٠٩٧ م ووصلت إلى أنطاكية وحاصرتها .

وقبل الوصول إليها انفصل عن كتلة الحملة الصليبية بولدوين أخو جودفروا عند مرعش، واتجه شرقا فى الجزيرة الفراتية واستولى على الرها، وأنشا فيها أول إمارة صليبية فى بلاد المسلمين فى مارس ١٠٩٨ م و كانت منطقة تسكنها غالبية من الأرمن المسيحيين، وذلك هو الذى سهل له الاستيلاء على البلد وإنشاء الإمارة .

خريطة ١٢٩

الإمارات الصليبية والقلاع المسيحية والإسلامية قبل تحرير المسلمين لها

سقوط القدس

وسارت كتلة الجيش الصليبى حتى أنطاكية وحاصرتها فى أكتوبر ١٠٩٧ م واستمر الحصار إلى يونيو ١٠٩٨ م وسقطت أنطاكية فى أيدى الصليبيين فى ٣ يونيو ١٠٩٨ م وعندما حاول الأمير كربوغا أتابك الموصل إغاثة أنطاكية انهزم أمام الصليبيين فى ٢٨ يونيو ١٠٩٨ م، وتقدم الصليبيون نحو الجنوب دون أن يجدوا مقاومة تذكر، نحو بيت المقدس، واقتحموا أسوارها فى ١٥ يوليو ١٠٩٩م وأنزلوا بأهلها مذبحة قتل فيها سبعون ألفا من سكانها، وبعد ذلك بقليل توفى جودفروا صاحب بولونيا، فاستدعى أخوه بولدوين صاحب الرها وعين ملكا على بيت المقدس، وبذلك قامت مملكة بيت المقدس، وبعد ذلك أنشئت إمارتان صليبيتان أخريان، الأولى فى أنطاكية والثانية فى طرابلس فيما بين سنتى ١١٠٢ و ١١٠٩ م، وبذلك أصبح فى بلاد الشام والجزيرة الفراتية مملكة صليبية وثلاث إمارات صليبية أيضا .

وبعد ذلك وصلت إلى بلاد الشام الحملة الصليبية الثانية بقيادة لويس السابع ملك فرنسا وكونراد الثالث ملك ألمانيا، وتجمعت الجيوش عند بيت المقدس، ثم ساروا للاستيلاء على دمشق، ولكنهم فشلوا فى ذلك، وبذلك تنتهى الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية .

خريطة ١٣٠

الحروب الصليبية (٢)

حركة النهوض والتجمع الإسلامية والحرب الصليبية الثالثة

أثار سقوط القدس واحتلال الصليبيين لسواحل الشام وإنشاء الإمارات الصليبية مخاوف المسلمين جميعا، وإذا كان الملوك والأمراء قد تقاعسوا فى الدخول فى حرب مع المحتلين والمعتدين فإن جماهير المسلمين أخذت تتحرك مطالبة أولياء الأمور بالقيام لحرب المعتدين وتخليص القدس الشريف ثالث الحرمين، وهو من مقدسات المسلمين، وتجمهر الناس فى بغداد، وهاجموا قصر الخليفة العباسى يطالبونه بإعلان الجهاد، وتحريض الأمراء على التجمع لحرب الفرنجة المعتدين ، وخطب الخطباء فى المساجد منادين بالجهاد إلى أن تحرك الأمراء . هذا إلى أن الصليبيين لم يكتفوا باحتلال ما ذكرناه من الأراضى الإسلامية وحكم من فيها من المسلمين والاعتداء على المقدسات الإسلامية وجباية الأموال من المسلمين، بل زادوا على ذلك بالتعرض لتجار المسلمين وقوافلهم ونهبها، مما أثار عواطف المسلمين وحفزهم على التجمع تحت راية الجهاد، وأخيرا تحرك أمراء المسلمين، وكان أول من تحركوا هو مودود أتابك الموصل، وهو تركى، فجمع جنوده واقتحم أراضى إمارة الرها فى بلاد الجزيرة، وخرب الكثير من بلاد الأرمن الساكنين هناك، وأسر عددا من جنود الصليبيين، فكان هذا فاتحة لحركة النهوض الإسلامية والتجمع لحرب الفرنجة .

التحرك المضاد ضد الصليبيين .

وكان أول من تشجع على مهاجمة أراضى الصليبيين ومواجهة قواتهم فى ميدان القتال هو نجم الدين إيلغازى صاحب ماردين - من بلاد الجزيرة - ودخل الأراضى التى كانت تسيطر عليها إمارة الرها، والتقى بقوة صليبية عند بلدة قسطون جنوبى حلب سنة ٥١٣ هـ/ ١١١٩ م وانتصر عليها، وكان هذا أشبه ببداية لحركة الجهاد الإسلامى التى أخذت تشتد قوة من ذلك الحين، فقد كان لانتصار نجم الدين إيلغازى على الصليبيين صدى بعيد فى بلاد الإسلام وإن كان الانتصار فى ذاته صغيرا، ولكنه دل على أن مواجهة الفرنجة والانتصار عليهم أمر ممكن. بعبارة أخرى انكسرت الأسطورة الفرنجية، وتطلع المسلمون لكسب المزيد من النصر، وعقب ذلك تشجع عماد الدين زنكى أمير الموصل فاستولى على حلب

ووحد إمارتى الموصل وحلب، ودعا للجهاد فخف المجاهدون المسلمون من كل مكان إليه، حتى تجمعت تحت لوائه قوات إسلامية كبيرة من المجاهدين، ما بين فرسان ومشاة، وكانت إمارته واسعة تشمل الجزيرة الفراتية ـ عدا ما احتلته إمارة الرها من أراض ـ حلب وحمص وحماة وبعلبك ومعرة النعمان وديار بكر، فسار على رأس جيش قوى واستولى على إمارة الرها وما يتبعها من بلاد سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م وكان هذا نصرا عظيما ارتجت له جوانب العالم الإسلامى، وتطلعت نفوس المسلمين للمزيد من النصر. وفى نفس الوقت أثار ذلك الحادث مخاوف المسيحيين فى بلاد الغرب، فبدأت الدعوة هناك إلى حملة صليبية جديدة، وشيئا فشيئا تجمعت القوات التى تكونت منها الحملة الصليبية الثالثة.

نور الدين وصلاح الدين.

فى أثناء ذلك استطاع نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى أمير الموصل أن يضم إمارة حلب إلى بلاده بعد أن كانت قد تفرقت بعد موت أبيه، ومضى هذا الرجل يعمل أكثر من عشر سنوات مناضلا الصليبيين فى كل ناحية من نواحى الشام، حتى تمكن فى سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م من ضم إمارة دمشق إلى بلاده، وكانت تلك الإمارة وصاحبها معين الدين أنور معادية لجبهة الجهاد ومحالفة فى أحيان كثيرة للفرنجة المعتدين، وكانت تقف عقبة أمام توحيد الجبهة الإسلامية، وبضم دمشق أصبحت جبهة الجهاد عريضة واسعة تشمل بلاد العراق والجزيرة الفراتية بما فى ذلك الموصل وبلاد الشام، واستمر نور الدين فى جهاده يستكمل توحيد بلاد المسلمين، وقد بينا على الخريطة حدود الجبهة الإسلامية حتى وفاة عماد الدين زنكى، وحدودها عند وفاة نور الدين محمود سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م، وأكبر ما عمله نور الدين بعد ضم دمشق إلى جبهة الجهاد هو اجتهاده فى القضاء على دولة الفاطميين التى كانت حليفة أو مهادنة للصليبيين، وقد تمكن نور الدين من الانتصار على الصليبيين ومن كان يؤيدهم من الفاطميين ورجالهم، والفوز بمصر بمعاونة قائده أسد الدين شيركوه، وابن أخيه صلاح الدين بن نجم الدين أيوب الذى تمكن من أن يفرض نفسه وزيرا للخليفة الفاطمى الشيعى العاضد، وبعد وفاة نور الدين محمود اختلف خلفاؤه وأمراؤه على الوصاية على ابنه إسماعيل للفوز بالولاية من بعده، ولكن صلاح الدين الأيوبى تمكن من التغلب على كل المنافسين، واستطاع أن يعلن نفسه سلطانا على بلاد المسلمين الموحدة التى وقفت متأهبة لإكمال العمل العظيم، وهو الاستيلاء على القدس، واستعادتها من أيدى الفرنجة، أى القضاء على مملكة بيت المقدس الصليبية، وبقية الإمارات الصليبية فى الشام.

وواصل صلاح الدين الجهاد وتجمعت حوله القوات الإسلامية من كل ناحية، وكذلك انضمت إلى قواته ألوف بعد ألوف من المتطوعة، وهم المسلمون المجاهدون فى سبيل الله دون أجر ودون أن يكونوا جندا سلطانيا، وفى ربيع الآخر ٥٨٣ هـ / يونيو ١١٨٧ م كسب صلاح الدين نصر حطين على القوات الصليبية التى تجمعت لحربه، وبعد ذلك النصر الكبير دخلت قوات الإسلام بيت المقدس فى رجب ٥٨٣ هـ / سبتمبر ١١٨٧ م. وقد بينا على الخريطة السابقة مملكة بيت المقدس والإمارات الصليبية.

الإمارات الصليبية ومملكة بيت المقدس قبل معركة حطين واستعادة القدس على يد صلاح الدين الأيوبى سنة ١١٨٧ م.

وقد بينا فى الخريطة معظم مواقع بلاد الشام المهمة التى يرد ذكرها فى تاريخ الحروب الصليبية، كما بينا حدود مملكة بيت المقدس، وإمارات أنطاكية وطرابلس والرها قبل أن يبدأ المسلمون فى القضاء عليها.

لم يكن ما قام به صلاح الدين من جهد لكسب نصر حطين باليسير، فإن قوات الصليبيين كانت قبل حطين فى مركز عسكرى ممتاز، فهى تملك مملكة بيت المقدس التى تصل شمالا إلى جنوبى دمشق وجنوبا إلى قلعة الكرك، وتصل إلى البحر الأحمر وتحتل ميناء العقبة، وتصل كذلك أراضيها إلى البحر المتوسط جنوبى غزة عند الداروم، وتصل فى الشمال حتى شمالى بيروت، وكل هذه الأراضى كانت محمية بالقلاع الحصينة التى يسكن فيها الألوف من الفرسان المسلحين بأحسن سلاح، وإلى شمالى أراضى مملكة بيت المقدس وإمارة طرابلس الصليبية على ساحل البحر كانت تمتد أراضى إمارة أنطاكية التى كانت تصل شمالا إلى جبل أماتوس على حدود مملكة الأرمن فى آسيا الصغرى وجنوبا

إلى اللاذقية على البحر، وتليها إلى الجنوب إمارة طرابلس التى كانت تصل إلى جبالة، ويلى إمارة أنطاكية شمالا فى مداخل آسيا الصغرى وجزء كبير من سواحلها الجنوبية الشرقية مملكة إرمينية الصغرى التى توسعت أراضيها بمساعدة الصليبيين حتى أصبحت مملكة كبيرة ذات قوة يحسب لها كل حساب، أما بقية آسيا الصغرى فقد كانت بيد الإمبراطورية البيزنطية التى انتعشت بفضل الصليبيين، وإن كانت على علاقات سيئة معهم لأنها كانت تخشاهم على أراضيها، إلى جانب ذلك كانت إمارة أنطاكية تضع يدها على جزيرة قبرص.

الحملة الصليبية الثالثة .

ومن هذا يتبين أن ما كان الصليبيون يملكونه من أراضى الشام قبل حطين يفوق من الناحيتين الاقتصادية والاستراتيجية ما كان المسلمون يملكونه من أراضى الشام، ومن المعروف أن أراضى المنطقة الساحلية من بلاد الشام أغنى بكثير من الأراضى الداخلية، وبخاصة فى الجنوب، أى فى أرض فلسطين فيما بين البحر الميت والبحر المتوسط، فهناك كانت توجد أخصب بلاد الشام التى استولت عليها مملكة بيت المقدس، لذلك لا ندهش من أن سقوط مملكة بيت المقدس، واستعادة المسلمين لبيت المقدس ــ بما له من الأهمية الكبرى الدينية والمعنوية عند المسلمين خاصة ـ كان لهما وقع شديد جدا فى بلاد الغرب المسيحى، فلم تكد الأخبار تصل إلى الغرب حتى أسرع البابا سلستين جريجورى الثالث الذى خلف البابا كليمنت الثالث يدعو إلى إرسال حملة صليبية قوية إلى بلاد الشام لاستعادة بيت المقدس، واستجاب للدعوة نفر من ملوك أوروبا فى مقدمتهم ريتشارد الأول ملك إنجلترا الملقب بقلب الأسد لشجاعته، فترك مملكته لأخيه يوحنا وجمع جيشا قويا واتجه إلى الشرق، وكذلك فعل فيليب الثانى أغسطس ملك فرنسا، وفردريك الأول برباروسا إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة الألمانية، وحتى ذلك أن أوروبا كلها تجمعت فى هذه الحملة الصليبية الثالثة وسارت لحرب المسلمين واستعادة بيت المقدس.

وكان من أول من سار من أولئك الملوك بجيشه فردريك بربارورسا الذى بدأ رحلته على رأس جيش قوى فى مايو ١١٨٩م واخترق أوروبا ووصل إلى آسيا الصغرى ودخل القسطنطينية حيث استقبله الإمبراطور البيزنطى، ومن هناك اتجه بطريق البر عبر آسيا الصغرى قاصدا بلاد الشام، وفى طريقه انتصر على بقايا السلاجقة عند قونية سنة ١١٩٠ م ولكنه غرق فى نهر يسمى بنهر سالف، الذى يسمى كاليكادنوس « حاليا جوق صو » قرب سلوقية فى ولاية قيلقيا بآسيا الصغرى فى ١٠ يونيو ١١٩٠ م وعقب ذلك تفرق معظم جيشه وعاد إلى ألمانيا، ولم يكمل الرحلة إلى بلاد الشام إلا عدد قليل من الألمان، على رأسهم ابنه فردريك أمير سوابيا الذى اشترك فى الاستيلاء على عكا سنة ١١٩١ م وتوفى بعد ذلك .

سقوط عكا وصلح الرملة .

أما ريتشارد قلب الأسد فقد كان يملك إلى جانب إنجلترا مقاطعات كثيرة فى نورمانديا بشمال فرنسا، وأملاكه هذه كانت سببا فى نزاعات طويلة بينه وبين فيليب أغسطس ملك فرنسا الذى اشترك فى هذه الحملة بجيش كبير، ولم يكن بين ريتشارد والملك الفرنسى ثقة كبيرة، ولهذا فقد سار كل منهما فى طريق مع أنهما بارحا القسطنطينية بطريق البحر فى شهر واحد هو يوليو ١١٩٠ م، ومر ريتشارد قلب الأسد فى طريقه بجزيرة قبرص ومنها أبحر إلى عكا واشترك فى الاستيلاء عليها مع الملك الفرنسى، وكان صلاح الدين قد استعادها بعد حطين، وكانت عودة عكا إلى سلطان الصليبيين فى عام ١١٩١ م، وبدأ الملكان الصليبيان فى حصارها مع ملك بيت المقدس الذى كان قد انتقل إلى إمارة طرابلس بعد سقوط بيت المقدس ونقل إليها مقر تلك المملكة، مع أن هذا الرجل كان قد عاهد صلاح الدين على ألا يعتدى على بلاد المسلمين، ولكنه ما كاد يسمع بتجدد نشاط الغرب لحرب المسلمين فى الشام حتى نقض عهده وتقدم يحاصر عكا فى أغسطس ١١٨٩ م. وسقطت عكا فى أيدى جيوش الصليبيين المتحدة فى ١٢ يوليو ١١٩١ م بعد دفاع مستميت من جانب أهلها الذين أقسموا على الحرب حتى الموت، وبالفعل لم تسقط البلدة حتى هلك معظم رجالها، ويعتبر سقوط عكا على هذه الصورة من أكبر أحداث الحروب الصليبية، وعقب استيلاء الصليبيين على عكا استولوا على ما جاورها من موانى المسلمين ومدنهم مثل : حيفا وقيصرية وأرسوف والخضيرة وعتليت، ثم دخلوا فى مفاوضات مع صلاح الدين انتهت

بعقد صلح الرملة الذى نص على أن يترك للصليبيين شريط من الساحل يمتد من صور إلى يافا مع السماح لهم بالحج إلى بيت المقدس . وبهذا العمل عادت مملكة بيت المقدس ـ التى انتقلت إلى إمارة طرابلس ـ إلى القوة بعد أن كانت قد انتهت ، وتمكن ملوكها من استعادة الساحل حتى بيروت ، وهذا الجزء الذى أضافته الحملة الصليبية الثالثة على الساحل من البترون حتى حيفا إلى الجنوب هو الذى عرف فيما بعد بمملكة بيروت ، وبعد أن استولى المسلمون على طرابلس وأنهوا مملكة بيت المقدس فى عصرها الثانى كان عليهم أن يستولوا على مملكة بيروت كما سنرى .

وهنا وبعد عقد صلح الرملة اعتبر فيليب أغسطس أن مهمته قد انتهت ، وأنه بر بقسمه « أن يفتح الطريق إلى بيت المقدس » وأقلع إلى بلاده من ميناء عكا فى ٨ يونيو ١١٩٢ م

أما ريتشارد فقد بقى فى بلاد الشام وأتم الاستيلاء على الموانئ الواقعة جنوب عكا حتى عسقلان ، ثم عقد صداقة مع صلاح الدين الذى اعتبره من أعاظم ملوك المسلمين ، وأتم حجه إلى بيت المقدس ووضع يده على قبرص ، وأعطاها إقطاعا للفارس جى دى لوزنيان ثم عاد إلى بلاده فى أكتوبر ١١٩٢ م .

وبذلك تكون معظم المكاسب التى حققها صلاح الدين فيما عدا استعادته لبيت المقدس قد ضاعت بسبب تنافس الأمراء الأيوبيين واختلاف كلمتهم .

خريطة ١٣١

الحروب الصليبية (٣)

الحملات الصليبية من الرابعة إلى الثامنة

الحملة الصليبية الرابعة .

لم يكف البابـاوات عن تحريض الغربيين على القيام بحملة صليبية جديدة تستعيد بيت المقدس وتعيد إنشاء مملكة مسيحية فيه ، وأخيرا تمكن تيبو الثالث كونت شامبانيا ونفر آخر من نبلاء الغرب المسيحى أكبرهم بونيفاس دى مونتسرات بولدوين صاحب فلاندر من تكوين حملة صليبية جديدة باركها البابا إينوسنت الثالث ١١٩٨ ـ ١٢١٦ م واشترك فى تجهيزها دوج (هذه هى صورة لقب الدوق فى جمهورية البندقية ويراد به رئيس مجلس العشرة الذى يحكمها) البندقية إنريكو داندولو ، وعندما تجمعت الجيوش الصليبية فى البندقية وجد قادة الحملة أنهم لا يملكون المال الكافى للإبحار ، وبعد مجادلات طويلة تم الاتفاق بينهم على أن تتوجه هذه الحملة أولا نحو مدينة زارا لانتزاعها من ملك المجر على ساحل دلماشيا ، ورغم اعتراض البابا فقد توجهت الحملة إلى زارا واستولت عليها سنة ١٢٠٢م ، واحتج الإمبراطور أنجيلوس الثالث ، ووقع النزاع بينه وبين الصليبيين ، وانتهى الأمر باتجاههم نحو القسطنطينية والاستيلاء عليها فى ١٢ أبريل ١٢٠٤م وإقامة دولة لاتينية فيها ، وبذلك تكون الحملة قد خرجت عن هدفها تماما ولم تصبح حملة صليبية ، ولهذا فإن مؤرخى الحروب الصليبية من أهل الغرب لا يعدون هذه الحملة صليبية ، أما نحن ـ العرب والمسلمين ـ فنعدها حملة صليبية ، ونسميها الحملة الصليبية الرابعة .

وعقب احتلال الصليبيين الذين يسمون باللاتين للقسطنطينية أقاموا فارسا من فرسانهم إمبراطورا على القسطنطينية ، وأنشأ أمير بيزنطى ـ طامع فى العرش ـ إمارة بيزنطية شمال شبه جزيرة البلقان ، تسمى بلاد الأبيروس .

أما الإمبراطور البيزنطى فقد اتجه إلى قلب آسيا الصغرى وأقام لنفسه إمبراطورية بيزنطية عرفت باسم دولة نيقية ، وكذلك أقام بعض أمراء أسرة كومنين دولة بيزنطية حول مدينة طرابزون على البحر الأسود .

الحملة الصليبية الخامسة .

يعتبر المؤرخون الأوروبيون هذه الحملة الرابعة لا الخامسة ، وقد دعا إلى هذه الحملة البابا إينوسنت الثالث ، وتم تنفيذها فى عهد خليفته هونوريوس الثالث ، ونجح فى جمع عدد من الفرسان تكون منهم جيش أقيم على رأسه الفارس جان دى بريين الذى كان مرشحا من البابوية ليكون ملكا على بيت المقدس إذا استعادها الصليبيون ، وقد رأى هذا الرجل أن خير وسيلة للقضاء على قوة المسلمين هى غزو مصر ، لأنها قلب القوة الإسلامية ، ولذلك فقد نزل جان دى بريين برجاله فى قبرص ، و منها اتجهت الحملة إلى مصر ونزلت عند دمياط سنة ١٢١٨ م وكان المفروض إذا استولوا عليها أن يحصلوا من المصريين على التنازل لهم عن بيت المقدس

لإقامة مملكتهم فيها فى مقابل الجلاء عن دمياط . وقد طال حصار دمياط وعانى الصليبيون فيه شقاء ومتاعب جمة لمدة سبعة عشر شهرًا، وفى نفس الوقت اشتدت مخاوف السلطان الأيوبى الكامل فوافق على التنازل عن بيت المقدس بحدودها القديمة غربى نهر الأردن فى مقابل جلاء الصليبيين عن دمياط ، لكن الكاردينال بيلاجوس دى ألبانو الرئيس المعين للحملة من قبل البابا رفض ذلك، لأنه كان يأمل فى الوصول إلى القاهرة واحتلالها، وقد استولت الحملة على دمياط فى نوفمبر ١٢١٩ م ، وبدأ الاستعداد للمسير نحو القاهرة ، وضاع فى ذلك وقت طويل زاد على واحد وعشرين شهرا، وعندما وصل الجيش إلى قرب المنصورة فتح المصريون سدود القنوات فاندفعت مياه الفيضانات وغطت الأرض، ولم يستطع الصليبيون التقدم فعادوا إلى دمياط بعد أن تحملوا خسائر جسيمة، ومن دمياط عادوا إلى عكا فى أغسطس ١٢٢١ م ، وبهذا انتهت هذه الحملة بكارثة للصليبيين .

الحملة الصليبية السادسة .

توقف نشاط الحملات الصليبية بعض الوقت حتى حركها الإمبراطور فردريك الثانى إمبراطور الدولة الجرمانية المقدسة فى سنة ١٢١٥ م بأن لبس شارة الصليب وأعلن أنه خارج فى حملة صليبية، وكان الخلاف بينه وبين البابا هونوريوس الثالث شديدا، لأن البابا عندما تَوَّجَه إمبراطورا سنة ١٢٢٠ م حصل منه على وعد بالقيام بحملة صليبية ، ولكن فردريك تراخى فى الوفاء بوعده ، وبدلا من ذلك توجه إلى صقلية وإلى لومبارديا فى إيطاليا لتأكيد سلطانه وسلطان أسرته ـ وهى أسرة الهوهنشتاوفن ــ على إيطاليا، ولم يطمئن البابا لذلك لأن البابوية فى ذلك العصر كانت ترى أن إيطاليا وصقلية داخلتان فى الأملاك البابوية، ولهذا فقد اجتهد البيوس وخليفته البابا جريجورى التاسع فى إخراجه من إيطاليا وتوجيهه نحو الأراضى المقدسة وبلاد المسلمين . وأخيرا عندما تزوج الإمبراطور فردريك من بولندا بزوجته التى تسمى إيزابيلا ابنة جان دى برين قائد الحملة الصليبية الخامسة ـ الذى كان مرشحا لأن يكون إمبراطورا على بيت المقدس ـ زعم فردريك أن نتيجة لهذا الزواج يصبح مرشحا لأن يكون إمبراطورا على بيت المقدس ، ولهذا قرر الخروج فى حملة صليبية لكى يستعيد مملكته . وفى سبتمبر ١٢٢٧ م أبحر نحو سواحل الشام، ولكنه لم يلبث أن عاد مسرعا بحجة أنه لم يتحمل دوار البحر، فى حين أن أسطوله بما فيه من جنود وصل إلى سواحل الشام . وقد أغضب البابا هذا التصرف فأصدر قرارا بحرمان فردريك وطرده من الكنيسة ، ورغم ذلك فقد رحل فردريك إلى سواحل الشام فى صيف ١٢٢٨ م للقيام بحملة ثانية رغم أنه كان طريد الكنيسة ، ووصل إلى عكا واستعد للمسير إلى بيت المقدس، وبدلا من الدخول فى صراع مع المسلمين دخل فى مفاوضات مع الملك الكامل سلطان مصر والشام ، وكان الكامل فى ذلك الحين فى نزاع شديد مع ابن أخيه الناصر صاحب دمشق، وفى هذه الظروف سارع الملك الكامل بعقد معاهدة مع الإمبراطور فردريك تنازل فيها عن بيت المقدس وبيت لحم والناصرة وصيدا واللود، ولكن البابوية رفضت قبول هذه الشروط ، وقالت : إن الفرسان الصليبيين يذهبون إلى بلاد الشام لحرب المسلمين لا للتفاوض معهم ، وأعلن البابا عن عزمه على إرسال حملة صليبية ضد أملاك فردريك فى إيطاليا، وعندما سمع فردريك بذلك أسرع بالحج إلى بيت المقدس لكى يزعم أنه دخلها وأصبح ملكها، وعاد مسرعا إلى أوروبا، وهذه الحوادث أضرت بسمعة الحروب الصليبية فى الغرب، ودلت على أنها فى جملتها لم تعد صليبية ولا دينية، وكانت البابوية تؤكد أن فردريك الثانى زنديق ملحد، وقد اشتهر فى أوروبا كلها بلقب الزنديق الأعظم ، بسبب التفاهم الذى كان بينه وبين المسلمين سواء فى صقلية أو فى بلاد الشرق .

وبعد ذلك بقليل تمكن الأيوبيون من تجنيد جيش من الأتراك الخوارزميين واستعادوا بيت المقدس وكل ما كان السلطان الكامل قد تنازل عنه للصليبيين .

الحملة الصليبية السابعة .

كان المحرك الأكبر لهذه الحملة الصليبية هو ملك فرنسا لويس التاسع الذى يلقب بلويس التقى ، فقد تحمس وجمع جيشا صليبيا ، وأعلن فى ديسمبر ١٢٤٤ م أنه خارج فى حملة صليبية وحمل شارة الصليب .

وقد أعد حملته بعناية كبيرة وزودها بخيرة الفرسان الفرنسيين والخيول والسلاح، ورحل إلى الشام فى ١٢٤٨م

وقد اختار لويس التاسع أن يذهب بحملته إلى دمياط ليقضى على القوة العسكرية المصرية ، وهناك من يقول : إنه كان ينوى الاستيلاء على دمياط فيستبدلها ببيت المقدس ، وبالفعل تمكن من الاستيلاء على دمياط بعد قتال شديد فى يونيو ١٢٤٩م وقد بذل السلطان الصالح أيوب جهدا كبيرا فى الاستعداد لمواجهة الصليبيين، ولكنه فى نفس الوقت كان مستعدا لمبادلة دمياط ببيت المقدس، وتقدم الملك الصليبى نحو المنصورة محاذرا الاقتراب من ضفة فرع دمياط حتى لا يجرى له ما جرى لجان دى بريين قائد الحملة الصليبية الخامسة، ولكن جماهير المصريين هرعت لمهاجمة الجيش الصليبى، والقيام بما يشبه حرب العصابات ، حتى أنهكت القوات الصليبية ، وعندما اقترب الجيش الصليبى من المنصورة وعند بلدة شارم ساح لقيته القوات الأيوبية ، وفى تلك الأثناء مات الملك الصالح أيوب ، واستدعت زوجته السيدة شجرة الدر ابنه توران شاه من العراق فأقبل، وقبل أن يصل إلى جبهة القتال كان المصريون وفرسان الأيوبيين قد هزموا الجيش الصليبى وحاصروه وأرغموا الملك لويس التاسع على الاستسلام وأخذوه أسيرا، حيث سجن فى دار ابن لقمان بالمنصورة، واضطر لويس التاسع إلى افتداء نفسه بفدية كبيرة، ورحل عن دمياط بما تبقى له من جيشه فى مايو ١٢٥٠م بعد أن تعهد وأقسم على ألا يعود لحرب المسلمين .

نهاية الحملة السابعة .

ورحل لويس التاسع إلى فلسطين حيث نزل عكا وبقى فيها أربع سنوات يحاول أن يجمع جيشا صليبيا جديدا يستعيد به القدس، ودخل فى مفاوضات مع السلطان عز الدين أيبك المملوكى، وكان الخلاف شديدا بينه وبين الملك الناصر الأيوبى صاحب حلب ودمشق، وحاول الملك لويس التقى الذى حنث بقسمه الاتصال بالحشاشين الشيعيين أعداء الخلافة العباسية، وكذلك مع مونكوخان المغولى، لكنه لم يفلح فى شىء من ذلك رغم أن النساطرة من المسيحيين فى بلاد الشام والعراق بذلوا أقصى ما استطاعوا لمعاونته، وأخيرا اتجه لويس التاسع نحو فرنسا يرجو أن تبعث له قوة صليبية، ولكن جهوده لم تفلح، لأن البابا إينوسنت الرابع (١٢٤٣ - ١٢٥٤م) كان مشغولا بإعداد حملة عسكرية ضد الملك كونراد الرابع ملك الدولة الرومانية المقدسة وهو ابن فردريك الثانى، وأخيرا عاد لويس التاسع إلى فرنسا سنة ١٢٥٤م وتلك كانت آخر حملة صليبية كبيرة اتجهت إلى مصر والشرق، ولما كان العصر فى أوروبا عصر تدين شديد فقد انصرف الناس عن فكرة الحروب الصليبية ، وشاع بينهم أن الله لا يرضى عن هذه الحروب ولا يؤيدها .

وبعد ذلك بقليل تغيرت الأحوال فى بلاد المسلمين لأن دولة المماليك الأولى « البحرية » قامت فى مصر والشام سنة ١٢٥٠م وأنشأت قوة عسكرية عظيمة ظلت تحمى مصر والشام حتى قيام الدولة العثمانية، وهذه القوة المملوكية هى التى استعادت ما كان بيد الصليبيين من بلاد الشام ، وتمكنت من تصفية الوجود الصليبى فى الشام، هذا بالإضافة إلى ما قام به المماليك من جهود فى إنقاذ بلاد مصر والشام والمشرق العربى من إغارات المغول .

الحملة الصليبية الثامنة .

رغم ما مر به لويس التاسع من هزائم وخيبة أمل فى محاولاته للتغلب على المسلمين ظل يأمل فى قيام حرب صليبية جديدة ضدهم، وفى هذه المرة شعر أنه لا يستطيع مواجهة المماليك فوجه حملته نحو بلاد تونس، حاسبا أنه يستولى عليها دون مشقة، وبالفعل أعد حملة صليبية جديدة اتجهت نحو تونس سنة ١٢٧٠م وأيده فى ذلك أخوه شارل أنجو ملك صقلية، ولكن الجيش الصليبى عندما وصل إلى تونس وجد أنه يواجه هناك قوات يخشى بأسها من الأعراب المقاتلين، بالإضافة إلى قوة جيش السلطان المستنصر سلطان الحفصيين، وبعد قليل من وصوله أصابته الحمى ومات ، وعاد جيشه برفاته إلى فرنسا .

وكان وصول لويس التاسع إلى قرطاجنة إلى جوار تونس فى آخر ذى القعدة سنة ٦٦٨ هـ/ ٢١ يوليو ١٢٧٠م وكانت وفاة لويس التاسع فى ١٠ محرم ٦٦٩ هـ/ ٣٠ أغسطس ١٢٧٠م .

خريطة ١٣٢

تصفية الوجود الصليبى فى الشام بعد صلح الرملة .

انتهت بالفعل الموجات الكبيرة للحروب الصليبية بوفاة

لويس التاسع وبقيام دولة المماليك القوية فى مصر والشام ، ثم قامت بعد ذلك الدولة العثمانية واستولت بقواتها الكبيرة على بلاد مصر والشام وقضت على الدولة البيزنطية ، بل قامت بمحاربة البلاد المسيحية نفسها فى شرق أوروبا ووسطها، وغزتها، ومدت سلطانها حتى فيينا فى قلب أوروبا، وفى مثل هذه الظروف انقطعت آمال المسيحيين فى الغرب فى العدوان على بلاد الشرق الإسلامى، ولكن البابوات لم ينصرفوا قط عن فكرة العدوان المسلح على بلاد المسلمين، فما زالوا يحرضون أهل الغرب على القيام بغارات على بلاد المسلمين تحت شعار الصليب، ففى سنة ١٣٦٥ ميلادية وقعت غارة شديدة على الإسكندرية خربت البلد تخريبا بالغا نجد تفاصيله فى كتب الحوليات المصرية .

احتضار الوجود الصليبى .

وعندما نهضت الدولة العثمانية واشتد تهديدها للدولة البيزنطية نجح البابوات فى تكوين حملة صليبية اتجهت إلى بلاد العثمانيين ، ولكنها لقيت هزيمة شديدة عند نيقوبوليس فى آسيا الصغرى سنة ١٣٩٦ م ولكن القوة الصليبية تراجعت بعد ذلك التقدم فى بلاد العثمانيين حيث انهزمت مرة أخرى عند فارنا على سواحل البحر الأسود سنة ١٤٤٤م. ونشط فرسان القديس يوحنا الذين كانوا يحتلون جزيرة رودس، وأقاموا فيها دولة فرنجية ثم مدوا سلطانهم على قبرص سنة ١٤٨٩م وأيدهم بعد ذلك البندقيون وشدوا أزرهم وظلوا يقومون بغارات على سواحل بلاد المسلمين، وظلت الفكرة الصليبية فى أذهان المسيحيين وظهرت فيما قام به ملوك النصرانية من أعمال العدوان على شواطئ بلاد المسلمين كما نرى ذلك فيما قام به الأمير هنرى الملاح البرتغالى من العدوان على بلاد المغرب، وكذلك حملة ألفونس دى البوكرك على بحار العرب، وفى المجمع الدينى الذى عقده فى أوجزبورج سنة ١٥٣٠م .

وقد انضم اللوثريون البروتستانت إلى البابوية فى فكرة حرب الأتراك العثمانيين ، ولكننا نستطيع القول بأن فكرة الحروب الصليبية نفسها انتهت بموت لويس التاسع .

وبعد قيام دولة المماليك اتجهت جهود سلاطينهم نحو القضاء على بقايا الإمارات الصليبية على سواحل الشام، وكان لويس التاسع أثناء مقامه فى بلاد الشام قد استولى على بعض الحصون الداخلية فيها ، أهمها صافيتا وقلعة صلاح الدين التى تسمى حصن الأكراد، كما أنشأ الصليبيون قلعة صليبية كبيرة تهدد المسلمين تسمى مونتفورت .

وعندما ثبت السلطان الظاهر بيبرس ملكه فى مصر والشام « ١٧ من ذى القعدة ٦٥٨ ـ المحرم ٦٧٦ هـ / أكتوبر ١٢٦٠ ـ يونيو ١٢٧٧م » اجتهد فى إنشاء قوة بحرية كبيرة جعل مراكزها فى دمياط والإسكندرية، وعندما اتجه السلطان بيبرس إلى بلاد الشام سنة ١٢٦٣م أخذ يستعد للاستيلاء على ما يمكن الاستيلاء عليه من حصون ومراكز الصليبيين الباقية فى بلاد الشام .

وتمكن من الاستيلاء على قيصرية ثم أرسوف فى جنوبها فى سنتى ١٢٦٥ و١٢٦٦م ، ثم استولى على صفد وكانت مركز أعمال العدوان التى كان يقوم بها فرسان الداوية على بلاد المسلمين .

وأخافت أعمال بيبرس هذه الصليبيين حتى سارعت الملكة إيزابيلا ملكة بيروت إلى عقد هدنة مع بيبرس سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٦٨م مدتها عشر سنوات .

وفى سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ م استولى السلطان بيبرس على مدينة يافا، وفى نفس السنة استولى على أنطاكية وكل البلاد الداخلة فى إمارتها .

وفى سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠م هاجم بيبرس طرابلس، فبدأ بالاستيلاء على بعض حصونها مثل حصن الأكراد وحصن عكا .

وعندما تولى السلطان المنصور قلاوون (٦٧٨ ـ ٦٨٩ هـ / ١٢٧٩ ـ ١٢٩٠م) استعاد مدينة اللاذقية سنة ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م. وكانت آخر المعاقل التابعة لإمارة أنطاكية . وبعد ذلك بقليل (سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م) استولى المنصور قلاوون على طرابلس، وهى قاعدة ثالثة الإمارات الصليبية فى الشام .

وبعد موت المنصور قلاوون تولى عرش السلطنة المملوكية ابنه الأشرف خليل (٦٨٩ ـ ٦٩٣ هـ / ١٢٩٠ ـ ١٢٩٤ م) ووجه همته إلى القضاء على آخر قواعد الصليبيين فى الشام، وهى عكا التى كانت الميناء الرئيسى للصليبيين فى الشام، وقد سقطت فى يده فى ٦٩٠ هـ / ١٨ مايو ١٢٩١ م ،

وبسقوط عكا تمت تصفية بقية القواعد الصليبية القريبة منها مثل صور وصيدا وحيفا وبيروت وطرسوس، وهذه المجموعة من المدن هى التى سميت قبل ذلك بمملكة بيروت .

تصفية الوجود الصليبى فى جزائر شرق البحر المتوسط قبرص ورودس .

ظلت جزيرة قبرص قاعدة صليبية تهدد أمن المسلمين، وقد سبق أن ذكرنا أن الملك ريتشارد قلب الأسد استولى على هذه الجزيرة التى كان البيزنطيون يزعمون أنها من أملاكهم، وأقطعها لجى دى لوزنيان فأنشأ فيها مملكة صليبية كرست كل جهودها لحرب المسلمين ومعاونة الصليبيين، وكان الكثيرون من مقاتلى الصليبيين يلجئون إليها بعد سقوط قواعدهم فى الشام. ومن هؤلاء فرسان الداوية وهم المسمون فى النصوص الغربية باسم The Templars أى فرسان المعبد ، وكانوا من ألد أعداء المسلمين . وشيئا فشيئا تحولت هذه الجزيرة إلى قاعدة صليبية خطيرة، واشتهر من ملوكها اثنان بالجرأة على المسلمين والغارة على شواطئهم وقطع البحر على سفنهم ، وخاصة فى أيام أخطر هؤلاء المسمى بطرس الأول لوزينيان (١٣٥٠ - ١٣٦٩ م) وهذا الرجل هو الذى نظم وقاد الحملة المخربة التى نزلت مدينة الإسكندرية وأنزلت بها وبأهلها تدميرا وخرابا بعيدى المدى فى أكتوبر ١٣٦٥م وقد اقتحمت هذه الحملة الإسكندرية وخربت الكثير من أسواقها، وقتلت الألوف من أهلها بينما هرب ألوف آخرون، وقد ألف فيها كاتب مصرى هو محمد بن قاسم النويرى المالكى السكندرى كتابا سماه « الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية فى وقعة الإسكندرية » (يوجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة فى الهند وصورت منها صورة توجد فى مكتبة جامعة الإسكندرية وألف فيها الفارس الفرنجى جيوم دى مانشو قصيدة أشبه بالملحمة فى تسعة آلاف بيت) .

إغارة القبارصة على الإسكندرية .

ويستوقف النظر فى مجال إهمال المسلمين لسواحلهم - بصفة عامة - أن ملك قبرص نفسه ظل فى الإسكندرية أسبوعا كاملا، أما رجاله فمكثوا فيها نحو الأيام العشرة يدمرون ويقتلون ويحرقون وينهبون قبل أن تصل النجدة المملوكية إلى الإسكندرية. وقد كان لهذه الغارة صدى بعيد فى عالم الإسلام حتى بلغت الأندلس فتحرك أهل مملكة غرناطة وهاجموا مدينة جيان التى كانت قد وقعت فى أيدى الإسبان .

وردا على هذه الغارة قام الأمير يلبغا الخاصكى والى الإسكندرية بإعداد أسطول ضخم وجيش قوى من البحارة والمقاتلة والنفاطين، وقد زاد عدد السفن على مائتين، ولكن هذا الرجل مات مقتولا على أيدى مماليكه قبل أن ينفذ حملته سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م ولكنها نبهت سلاطين المماليك إلى الخطر الصليبى، وضرورة تحصين الموانىء الإسلامية والمزيد من العناية بالأساطيل، وقد بدأ ذلك بالفعل من أيام الأشرف شعبان. فشرع فى تحصين كل موانئ مصر والشام وتقويتها بالجنود والسفن، ونجح السلطان الأشرف شعبان فى فك أسر المسلمين الذين أسرهم القبرصيون فى تلك الغارة، فى مقابل وعد من السلطان المملوكى بعقد معاهدة صلح مع قبرص، ولكن السلطان سوّف فى عقد تلك المعاهدة لأنه كان قد قرر الانتقام من ملك قبرص. وأراد بطرس دى لوزينيان أن يخيف السلطان المملوكى فقاد غارة على ميناء طرابلس فى أول ٧٦٩ هـ / سبتمبر ١٣٦٧م، ولكنه وجد الميناء محصنا والمسلمين متأهبين له ، فارتد دون نجاح، بل حاول مجاهد مسلم قتله فرمى نفسه عليه وأخذ يضربه بالسيف فلم يصب منه مقتلا ولكنه أصابه بجراح كثيرة قبل أن يقتله حرس الملك، وحاول بطرس بعد ذلك الإغارة على اللاذقية، ولكن المسلمين أسروا إحدى سفنه وقتلوا كل من فيها وغرقت الاثنتان الباقيتان ، ثم أرسل حملة على بانياس باغتت البلد ودخلته وأشعلت فيه النار، لكن المسلمين تمكنوا من اللحاق بالقوة المهاجمة وقتل معظم رجالها .

إغارة المماليك على قبرص والاستيلاء عليها .

وقد رد الأشرف شعبان على ذلك بحملة أرسلها إلى قبرص يقودها قائد بحر يسمى إبراهيم الغازى فى رجب ٧٦٩ هـ / فبراير ١٣٦٩ م ، فأغارت على ساحل الجزيرة وقتلت ونهبت وعادت بأسرى من بينهم راهب كهل، ثم لم يلبث الملك بطرس أن مات قتيلا على أيدى بعض رجاله سنة ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م، وفى نفس السنة حاول الأسطول القبرصى الإغارة على الإسكندرية فتصدت له سفن الريس إبراهيم الغازى وأغرقت معظم سفنه فولت البقية هاربة .

وكـان من الضـروري القضاء على ذلك الـوكـر الصليبي . فلما تـولى الملك الأشـرف بارسبـاى، وهو آخر العظمـاء من سلاطيـن المماليك في دولتهم الثـانية وهي البـرجية (٨٢٥ ـ ٨٤١ هـ / ١٤٢٢ ـ ١٤٣٧ م) قرر تنفيذ ذلك فاحتفل احتفالا كبيرا بـإعداد السفن بشتى أنـواعها وإعـداد المقاتلـة والبحارة والمجاهـدين والخيل والمؤن. وقـد تم لبارسباى مـا أراد بعد ثلاث حملات : الأولى تمهيـدية ٨٢٧ هـ / ١٤٢٤ م أبحرت من دميـاط وأغارت علـى الجزيـرة واقتحمت ميناء ليماسـول «اللمسـون » وخـربتـه ونهبت وأسـرت واستكشفت أوكـار القراصنة على ساحل الجـزيرة. وكانت الثانية سنة ٨٢٨ هـ / ١٤٢٥ م وكانت أكبـر من الأولى، وقد اتجهت إلـى طرابلس حيث انضمت لها سفن أخرى صنعـت في طرابلس وبيروت، ومقاتلون آخـرون كثيرون. وقد تمكنت الحملة مـن النزول عند ميناء كـوريـاس على السـاحل الشمـالى الشرقي للجـزيـرة واستولت عليها ، ثم نزلت قـوات المسلمين على ثلاثين ميلا من فاما جوستا « الماغوصية » فاستولت عليها ، ورفع حاكمها علم السلطـان بارسبـاى على قلعة البلـد، ثم اتجه الأسطـول نحو ناحية الملاحة جنوبي الجزيرة واستولى عليها وقضى على أسطول قبرص قرب سـاحلها. ثم واصل الأسطول سيره ووقف قبالة مـدينة لارناكا جنـوبي الجزيرة واستولى عليهـا ، ثم أخذ المجـاهدون ليمـاسـول « اللمسون » ورفعـوا العلم السلطـاني عليها، ثم اتجه المسلمون نحو العاصمة نيقوسيا، ولكن قائد الحملـة وهو الأميـر سيف الديـن جريـاش الظاهـري علم أن جـانوس لـوزينيان ملك الجـزيرة استنجـد بالبنـدقية ، وأنهـا أرسلت قوة بحـرية كبيـرة لمعاونـة القبرصيين فقـرر العودة إلى مصر، وعاد الأسطول محملا بالغنائم والأسرى .

وكانت الحملـة الثالثة والأخيرة التي استـولت على قبرص سنـة ٨٢٩ هـ / ١٤٢٦م، وقد هيأ لهـا الأشـرف شعبـان كل وسـائل النصر، وقـد أبحرت سفن الأسطـول من الإسكندريـة واتجهت منها إلى قبرص رأسـا، وتمكن المسلمون من دخول نيقوسيا التـي تسمى في النصوص العربية بـالأنقسية، وحاول الملك جانوس التعرض للمسلمين في موضع يسمى خيرو كيتا فهزم وأسر. ودخل قائد الحملـة الأمير تغري بردي المحمودي نيقـوسيـا، وأعلن أن الجـزيـرة أصبحت من أراضي السلطـان الأشرف سيف الدين بارسباى، ورفع العلم السلطاني عليها ، واقتيد الملك جـانوس لوزينيان إلى الإسكنـدريـة حيث افتدى نفسه بمائتي ألف دينار، وهكـذا تم القضاء على تلك القاعدة الصليبية .

وقـد ظلت قبرص تـابعة لسلطنـة المماليك حتى استـولى العثمانيـون على مصر في ذي الحجة سنة ٩٢٢ هـ / ديسمبر ١٥١٧ م، فـانتقلت ملكيتها إليهم ، وظلـت تابعـة لهم حتى تنازل العثمانيـون عنها للإنجليز بمقتضى اتفـاق تم في مؤتمر بـرلين سنة ١٨٧٨م ، وظل الإنجليز يحتلونها حتى أسلمـوها لليونـان بعد الحرب العـالمية الأولى . وبذلك بـدأت مشكلة قبـرص لأن الأتـراك القبـارصـة المسلمين ثـاروا على الحكم اليونـاني بقيادة الزعيم التـركي المجاهد رءوف دنكتـاش الذي نجح بمعاونة تركيا في الاستقـلال بالجزء الشمالي الإسلامي، وما زالت المشكلة قائمة .

الاستيلاء على رودس :

كـان الصليبيون قـد انتزعـوا جـزيرة رودس من البيـزنطيين عقب استيـلائهم على عكـا بمسـاعـدة آل لـوزينيـان ملـوك قبـرص، فمنحهـا ملك قبـرص لفـرسان الاسبتـاريـة . وكـان الاسبتارية من ألـد أعداء المسلمين، وقد قامـوا بغارات كثيرة على بلاد المسلمين، ولهذا أعلن السلطان بارسباى عن عزمه على الاستيـلاء على رودس بعد حصـوله على قبـرص، فشرع فـرسـان الاسبتاريـة في تحصين جـزيـرتهم ، ولكن الأشـرف بارسباى لم يعش حتى يحقق حلمه .

وكان بارسباى مجاهدا عظيمـا ، فإلى جانب ما ذكرناه من أعماله قام بجهد كبيـر لإبعاد شاه رخ ملك فارس عن العراق . وقد قام بفتح رودس خليفته السلطان سيف الدين جقمق ٨٤٢ ـ ٨٥٧ هـ / ١٤٣٨ ـ ١٤٥٣م ولم يتم لجقمق الاستيلاء على رودس إلا بعد ثـلاث حملات. الأولى سنة ١٤٤٠ م، والثانية سنة ١٤٤٣م ، والثالثة سنة ١٤٤٤م ، وفي هذه الحملة الثالثة تم فتح رودس وضمهـا إلى أمـلاك سلطنـة الممـاليك . وقـد قادها اثنـان من كبار أمراء المماليك : إينـال العلائي للقوات البريـة ، وتمرباى للأسطـول والقوات البحرية. وقـد خرجت هـذه الحملة البحـرية الكبيـرة من دمياط وانضمت لهـا سفن أخرى من الشام في قبرص. ولم تستطع هذه الحملة الاستيلاء على رودس بسبب شـراسة فـرسان الاسبتاريـة في الدفـاع عن

جزيرتهم ، وعلى الرغم من معاونة البندقية للمماليك فى محاولتهم الاستيلاء على رودس فإن الأوضاع البحرية كانت قد تغيرت بسبب دخول الإسبان والبرتغاليين والأتراك العثمانيين ميدان الصراع فى البحر المتوسط . وأخيرا تمكن تاجر فرنسى كبير كانت له مصالح تجارية ضخمة مع مصر من عقد صلح بين أهل رودس وسلطنة المماليك . وهذا التاجر يسمى جاك كير ثم إن الأتراك العثمانيين غزوا مصر سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٧ م ، ودخلت مصر بكل أملاكها فى الدولة العثمانية ، وانتقلت مسئولية فتح رودس إلى الأتراك العثمانيين ، وقد حاول السلطان محمد الثانى الاستيلاء على الجزيرة سنة ١٤٨٠م فلم يوفق ، ولكن سليمان القانونى تمكن من ذلك سنة ١٥٢٢م ، بعد أن تكبد خسائر فادحة . وقد ظلت الجزيرة تابعة لتركيا حتى غزاها الإيطاليون سنة ١٩١٢م أثناء الحرب التى شنوها على الدولة العثمانية انتهازا لضعفها ، وفى نفس الوقت استولى الإيطاليون على جزر الدوديكانيز المجاورة . وكانت تابعة لتركيا أيضا ، وفى معاهدة الصلح التى أعقبت الحرب العالمية الثانية أعطيت رودس وجزر الدوديكانيز لليونان سنة ١٩٤٧م وظلت تحكم حكما عسكريا محليا حتى سنة ١٩٥٥م ، ثم أصبحت مقاطعة يونانية عادية عاصمتها مدينة رودس (أطلس تاريخ الإسلام / ٢٦٧ ـ ٢٧٢) .

وقد انتهت الحروب الصليبية بعد أن استمرت نحو قرنين ، ولم يتم للصليبيين شىء من بغيتهم مع ما أريق فيها من الدماء وبدد من الأموال . ولفشلهم هذا عدة أسباب منها :

أولا ـ اختلاف ملوكهم وأمرائهم فيما بينهم وتظاهر بعضهم على بعض ، مما أدى كثيرا إلى وقوع القتال بينهم .

ثانيا ـ وجود عدد عظيم من اللصوص والمجرمين والمتشردين بين جيوشهم ، فجر ذلك إلى الاختلال وقلة النظام .

ثالثا ـ اتحاد المسلمين وائتلافهم فى أكثر أزمان الحروب الصليبية وخاصة زمن صلاح الدين وما بعده .

رابعا ـ حسن نظام الجيوش الإسلامية وشجاعتها (تاريخ مصر إلى الفتح العثمانى ١ / ٢٤١) .

وتأثر المسلمون بالحروب الصليبية ، إذ أحسوا لأول مرة بالخطر الأوروبى المشترك ، وعملوا على تكوين جبهة إسلامية متحدة مثلما حدث أيام صلاح الدين . وغذى هذا الإحساس طائفة من الشعراء والفقهاء والعلماء ، فظهرت القصائد والخطب والمواعظ التى تحض على القتال فى سبيل الوطن الإسلامى . وظهرت كذلك الكتب التى تناولت الجهاد والفروسية والسير التاريخية التى تشجع المسلمين على التفانى فى الدفاع عن البلاد والدين (تاريخ العالم الإسلامى / ٣٢٣) .

ويمكن القول إنه نشأ عن الحروب الصليبية ما يصح أن يسمى أدب الحروب الصليبية ، وقد أطلق بعضهم عليه اسم الجهاد باللسان وهو الحث على القتال والصمود والاستشهاد .

يقول الأستاذ الدكتور محمد على الهرفى عن شعر الجهاد فى الحروب الصليبية وقد جمع منه الكثير فى كتابه الذى يحمل هذا الاسم : تبين لى من دراسة شعر الجهاد أن هذا الشعر واكب الحروب الصليبية منذ بدايتها حتى نهايتها . وقد تحدث شعراء هذه الفترة عن الحروب الصليبية ، منذ بدأها عماد الدين زنكى ، وحتى انتهت بإخراج الصليبيين نهائيا من بلاد الشام .

وقد وصف هؤلاء الشعراء فى قصائدهم احتلال الصليبيين للبلاد الإسلامية فى بداية قدومهم لبلاد الشام ، كما وصفوا المعارك الهائلة التى خاضها قادة المسلمين لاسترجاع بلادهم ومقدساتهم .

وقام شعراء المسلمين في هذه الفترة بجهود مشكورة فى حث المجاهدين على القتال ، ودفعهم للتضحية بأنفسهم فى سبيل الله ، وتشجيعهم على طرد الصليبيين من بلاد المسلمين .

وحمل الشعراء كذلك على بعض أمراء المسلمين الذين تركوا الجهاد ومالأوا الصليبيين ، كما هجوا الضعفاء والمتقاعسين ، وكشفوا خيانات الأعداء وحثوا على قتالهم .

وشعر الجهاد يعد وثيقة تاريخية هامة لدارسى الحروب الصليبية ، لأن شعراء المسلمين فى تلك الفترة وصفوا معظم المعارك التى وقعت بين المسلمين وأعدائهم ، كما تحدثوا عن أسلحة هذه المعارك ، وأماكنها التى وقعت فيها ، وأنواع الأسلحة التى استعملت فيها ، كما أشاروا فى قصائدهم إلى أسماء الشخصيات الهامة التى اشتركت في هذه الحروب (شعر الجهاد فى الحروب الصليبية / ٩١) .

ونسوق فيما يلى نماذج من شعر الجهاد الذى نحن بصدده.

حين شاع خبر مجىء الصليبيين إلى بلاد الشام عام تسعين وأربعمائة كانت البلاد الإسلامية مفككة الأوصال، وقد اشتغل أمراء المسلمين بالمنازعات التى كانت دائرة بينهم، ولم يعدوا العدة لمقاومة الجيوش الغازية، وقد حاول الشاعر الدمشقى ابن الخياط (٤٥٠ - ٥١٧) تحريك همة عضب الدولة زعيم الجيوش فى دمشق (عَضُبَ السيف: صار قاطعا، فهو عضب. المعجم الوجيز / ٤٢٢) فقال قصيدة طويلة يحثه على إعداد العدة للجهاد مطلعها قوله:

فـداتك الصـواهل قُبّـا وجـردا
وشمُّ القبـائل شيبـا ومُـرْدا
وذلت لأسيـافك البيض قُضبـا
ودانت لأرمـاحك السمـر مُلْـدا

إلى أن يقول:

وإنى لمهـد إليك القـريض
يطـوى على النصح والنصح يهـدى
إلى كم وقـد زخـر المشـركون
بسيل يُهـال لـه السيل سـدا
وقـد جـاش مـن أرض إفـرنجـة
جيـوش كمثل جبـال تـردا
أنـومـا على مثل هـدِّ الصفـاة
وهـزلا وقـد أصبح الأمـر جـدا
وكيف تنـامـون عن أعيـن
وتـرتم فـاسهـرتمـوهـن حقـدا
بنـو الشـرك لا ينكـرون الفسـاد
ولا يعـرفـون مع الجـور قصـدا
ولا يـردعـون عـن القتل نفسـا
ولا يتـركـون من الفتك جُهـدا
فكـم مـن فتـاة بهم أصبحت
تـدق من الخـوف نحـرا وخـدا
وأمٍّ عـواتق مـا إن عـرفـن
حـرا ولا ذقن فى الليل بـردا
تكـاد عليهن مـن خيفـة
تـذوب وتتلف حـزنـا ووجـدا

(ديوان ابن الخياط / ١٨٢ وما بعدها)

وبعد أن وصف الشاعر حال المشركين وقسوتهم، وحال المسلمين معهم بدأ يحرض عضب الدولة على الجهاد فقال:

فحـامـوا عـن دينكم والحـريم
محـامـاة مـن لا يـرى الموت فقـدا
وسُـدُّوا الثغـور بطعـن النحـور
فمن حقِّ ثغـر بكم أن يُسَـدَّا
فقـد أينعت أرؤس المشـركين
فـلا تغفلـوهـا قطـافـا وحصـدا
فـلا بـد مـن حـدهـم أن يفـل
ولا بـد مـن ركنهـم أن يهـدا

وفى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة فتح عماد الدين زنكى حصن بارين الذى وصفه ابن الأثير بأنه كان من أضر بلاد الفرنج على المسلمين، فمدحه ابن منير الطرابلسى، وذكر هزيمته للفرنج، بقصيدة حاول أن يقلد فيها أبا العتاهية فى قصيدته ألتى يقول فيها:

أتتـه الخـلافـة منقـادة
إليـه تُجـرِّر أذيـالهـا
فلـم تـك تصلـح إلا لـه
ولـم يـك يصلـح إلا لهـا

فقال ابن منير:

فـدتك الملـوك وأيـامهـا
ودام لنقضك إبـرامهـا
وزلـت لعيشك أقـدامهـا
وزال لبطشك إقـدامهـا
ولـو لـم تُسلِّـم إليك القلـو
بُ هـواهـا لمـا صح إسلامهـا
أيـا محيى الـدين لمَّـا نعـا
ه أيـامَى البـرايـا وأيتـامهـا
ومستنقـذ الـدين من أمـة
أزال المحـاريب أصنـامهـا

دلفت لهـــا تقتفيك الأســـو
د والبيض والسمـــر آجـــامهـــا
جـــزرت جـــزيـــرتهـــا بـــالسيـــو
ف حتى تشـــاءمهـــا شـــامهـــا
وصـــارت عـــواري أكنـــافـــه
متى شئت أرخص مستـــــامهـــا

(الروضتين ١/ ٣٥).

تحدث ابن منير عن حبه لممدوحه ودعا الله أن يجعل ملوك الصليبيين فداء له ، وأن يزلزل أقدامهم ، ثم تحدث عن جهاده، وأنه أحيا الدين وأنقذه عندما تخلى عنه الآخرون .

وقصيدة أخرى لابن منير قالها سنة أربع وأربعين وخمسمائة بمناسبة انتصار نور الدين زنكي على الإفرنج في معركة حصن فامية « وهو حصن منيع على تل مرتفع عال، من أحصن القلاع وأمنعها، وكان من به من الفرنج يغيرون على أعمال حماة وشيزر وينهبونها، فأهل تلك الأعمال معهم تحت الذل والصغار » فسار إليه نور الدين وحاصره حتى فتحه وأنقذ المسلمين مما هم فيه .

وقد مدحه ابن منير الطرابلسي بقصيدة طويلة مطلعها :

أسنى الممـــالك مـــا أطلت منـــارهـــا
وجعلت مـــرهفـــة الشفـــار دثـــارهـــا
وأحـق مـن ملـك البـــلاد وأهلهـــا
رءوف تكنّف عـــدلـــه أقطـــارهـــا

وقد أشار ابن منير في هذه القصيدة إلى الوضع المتدهور الذي كان عليه المسلمون في السابق، وكيف أن الله أعزهم بنور الدين فقال :

آل الـــرعيـــة وهي تجهل آلهـــا
وتعـــاف نطفتهـــا وتكـــره دارهـــا
فـأقـــر ضجعتهـــا وأنبت نيهـــا
وأســـاغ جـــرعتهـــا وأثبت زارهـــا

وقد وصف الشاعر هذه المعركة، فذكر أن نور الدين أدرك ثأره من الصليبيين، واستطاع أن يقضي على الصليب وأهله، كما كانت هذه المعركة طريقا لإحلال العدل، وسلما لوضع مهابة المسلمين في قلوب أعدائهم، يقول في ذلك :

أدركـت ثأرك فـي البغـــاة وكنت يـــا
مختـــار أمـــة أحمـــد مختـــارهـــا
... ...
خـــر الصليب وقـــد علت نغمـــاتُهـــا
واستـــويلت صلـــواتـــه تكـــرارهـــا
... ...
مـــاض إذا قـــرع الـــركـــاب لبلـــدة
ألقـت لـــه قبل القـــراع إزارهـــا
... ...
مـــلأ البـــلاد مـــواهبـــا ومهـــابـــة
حتـى استـــرقـت آيـــة أحـــرارهـــا

(الروضتين ١ / ٦٢، ٦٣).

وفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة هاجم نور الدين حصن حارم « وهـو للفرنج فحصره، وخرب ربضـه، ونهب سواده، ثم رحل عنه إلى حصن آنب فحصره، فاجتمعت الفرنج مع البرنس صاحب أنطاكية، وساروا إليه ليرحلوه عن آنب فلم يرحل، بل لقيهم، وتصاف الفريقان، واقتتلوا وصبروا، وظهر من نور الدين من الشجاعة والصبر في الحرب على حداثة سنه ما تعجب منه الناس، وانجلت الحرب عن هزيمة الفرنج، وقتل المسلمون منهم خلقا كثيرا. وفيمن قتل البرنس صاحب أنطاكية، وكان عاتيا من عتاة الفرنج، وذوى التقدم فيهم » .

(الروضتين ١ / ٥٨) .

وقد مدح الشعراء نور الدين بعدة قصائد، وهنأوه بهذا الفتح . ومن جملة هؤلاء ابن القيسراني الذي قال قصيدة جميلة تذكرنا بقصيدة أبي تمام في مدح المعتصم عندما فتح عمورية التي مطلعها :

السيـف أصـــدق أنبـــاء مـن الكتب
فـي حـــده الحـــدُّ بين الجـــد واللعب

فقال ابن القيسراني قصيدته التي مطلعها :

هـــذي العـــزائم لا مـــا تـــدعي القضب
وذي المكـــارم لا مـــا قـــالت الكتب
وهـــذه الهمـم الـــلاتي متى خطبت
تعثـــرت خلفهـــا الأشعـــار والخطب

ثم قال فى وصف المعركة :

أغـــرت سيــوفـك بــالإفـــرنج راجفـــة
فـــؤاد روميـــة الكبـــرى لهـــا يجب

ضـــربت كبشهـم منهـا بقـاصمـــة
أودى بهـــا الصلب وانحطت بهـــا الصلب

قـل للطغـــاة وإن صمت مســـامعهـــا
قـــولا لصم القنـــا فـى ذكـــره أرب

أغـــركـم خـــدعـــة الآمـــال ظنكـم
كـم أسلم الجهـل ظنـــا غـــرة الكـــذب

غضبت للـــــدين حتى لـم يفتك رضـى
وكـــان دين الهـــدى مـرضـــاتـــه الغضب

طهَّــــرت أرض الأعـــادى من دمـــائهـم
طهـــارة كـل سيف عنـــدهـــا جنب

حتى استطـــار شـــرار الـــزنـد قـــادحـــه
فـــالحـــرب تضـــرم والآجـــال تحتطب

والخيل مـن تحت قتـــلاهـــا تقـــر لهـــا
قـــوائم خـــانهن الـــركض والخبب

والنقـع فـــوق صقـــال البيض منعقـــد
كـمـــا استقل دخـــان تحتـــه لهـب

... ...

والنبل كـــالـــوبل هطـــال وليس لـــه
ســـوى القسى وأيـــد فـــوقهـــا سحب

خـــانـــوا فخـــانـت رمـــاح الطعن أيـــديهم
فـــاستسلمـــوا وهى لا نبع ولا غـــرب

كـــذاك مـن لم يـــوق الله مهجتـــه
لاقى العـــدى والقنـــا فـى كفـــه قصب

وختم ابن القيسرانى قصيدته بدعوة نور الدين إلى استرجاع بيت المقـدس وتطهيـر المسجـد الأقصى من نجاســات المشركين ، فقال :

فـانهض إلى المسجـد الأقصى بـذى لجب
يـوليك أقصى المنى فـالقـدس مـرتقب

وائذن لمـــوجك فـى تطهيـــر ســـاحلـــه
فـإنمـــا أنت بحـــر لجُّـــه لجب

(الروضتين ١ / ٥٩) .

يقـول الدكتـور محمد على الهـرفى : نـلاحظ أن الشاعـر وصف المعـركـة وصفـا دقيقـا ، فتحـدث عن الأسلحـة التى استعملت فيهـا ، كـالسيف ، والرمح ، والنبـال ، كمـا وصف حالة المشركين البائسة وهم يلاقون هذه الهزيمة المنكرة ، فلا يملكون إلا الاستسلام ، بعد أن لعب الموت فيهم ، يقول :

خـــانـــوا فخـــانـت رمـــاح الطعن أيـــديهم
فـــاستسلمـــوا وهى لا نبع ولا غـــرب

... ...

أجســـادهم فـى ثيـــاب مـن دمـــائهـم
مسلـــوبـــة وكـأن القـــوم مـــا سُلُبـــوا

وقد تحـدث ابن منير الطـرابلسى عن هذا الفتـح بقصيدة طويلة ، فذكـر أن نور الدين أعاد إلى الإسلام عـزته وكرامته ، وأعاد المسلمين إلى عصورهم الذهبية ، قال :

أقـــوى الضـــلالُ وأقفـــرت عـــرصـــاتُـــه
وعـــلا الهـــدى وتبلجت قسمـــاتـــه

وانتـــاش ديـن محمـــد محمـــوده
من بعـــد مـــا غلبت دمًـــا عبـــراتـــه

فتـح تعممـت السمـــاء بفخـــره
وهفت علـى أغصـــانهـــا عـــذبـــاتـــه

سبغت علـى الإســـلام بيض حجـــولـــه
واختـــال فـى أوضـــاحهـــا جبهـــاتـــه

(الروضتين ١ / ٦٠) .

ووصف الشاعـر المعركة التى خـاضها نـور الدين ، والتى استطاع فيها أن ينتصـر على الصليب وأهله ، وأن يقتل البرنس صاحب أنطاكيـة ، ويلقيه فى العراء فريسـة للذئاب والطيور ، يقول :

صـــدم الصليبَ علـى صـــلابـــة عـــوده
فتفـــرقت أيـــدى سبـــا خشبـــاتـــه

وسقى البـرنس وقـد تبـرنس ذلـة
بـالـروح ممقـر مـا جنت غـدراتـه
فـانقـاد فى خطم المنيـة أنفـه
يـوم الخطيم وأقصـرت ثـرواتـه
تمشى القنـاة بـرأسـه وهـو الـذى
نظمت مـدار النيـرين قنـاتـه
مـا انقـاد قبلك أنفـه بخـزامـه
كـلا ولا همت لهـا هـدراتـه
والآن ملقى بـالعـرا يقتـاتـه
مـا كـان قبل بصيـده يقتـاتـه

(الروضتين ١ / ٦١، ٦٢).

(شعر الجهاد فى الحروب الصليبية / ٩١-٩٣، ٩٦-١٠١).

وفى سنة ٥٧٥ هـ نازل صلاح الدين الصليبيين قرب «بانياس» وأسر فرسانهم، وشجعانهم، وانهزمت جموعهم فى أول لقاء فكان من جملة الأسرى مقدم الداوية، ومقدم الاسبتارية، وصاحب طبرية، وأخو صاحب جبيل، وابن القميصية، وابن بارزال صاحب الرملة وغيرهم، ولذا مدح «ابن سناء» السلطان صلاح الدين بقصيدة نونية مطلعها: -

أبى صـدهـا أن يجمع الحسن والحسنى
ووجـدى بهـا أن أجمع الجفن والجفنـا
ولمـا رأوه أدبـروا حين عـاينـوا
أعنـة خيل لا تعـود ولا تثنى
وقـد وقفـوا لكن لأسـر رقـابهم
وقطـف رءوس منهـم آن أن تجنـى
ثبت لهم والسيف قـد كـره الطلى
وجـالـدتهم والقـرن قـد سئم القـرنـا
بضـرب يـذيب الشمس فى الأفق حـره
ويحـرق مـا بين القلـوب من الشحنـا
مضى ملكهم فى أول الأمـر هـاربـا
يحس قفـاه الطعن فيـه ولا طعنـا
ولم يقـرع النـاقـوس بعـد انهـزامـه
ولكنـه من بعـده قـرع السنـا
وأضحى أسيـرا بـادويل وغيـره
قـرون ملـوك كم أبـادوا لهم قـرنـا
أسـارى جبـارى لا يـرجـون فـديـة
ولا يأملـون الـدهـر فكـا ولا أمنـا
بكى «الكنـد» والبسكنـد لا وحشـه لهم
ولكـن على نفسيهمـا أسبـلا الجفنـا
غـدا «بـادويل» وهـو يلعن نفسـه
وحق لتلك النفس أن تـربح اللعنـا

(ابن سناء الملك / ١٠٠، ١٠١).

قالت المؤلفة: ولعل أروع النظم من شعر الجهاد فى الحروب الصليبية هو ذلك الذى جاء فى مدح صلاح الدين الأيوبى، ووصف أمجاده وانتصاراته والمعارك التى خاضها ضد الصليبيين. ويخص الشعراء بعنايتهم فتح القدس الشريف، أعاده الله ديار إسلام، بل إن للشاعر الحكيم أبى الفضل عبد المنعم بن عمر بن حسان الأندلسى الجليانى قصائد طوال عرفت بالقدسيات، منها القصيدة التائية، ومنها القدسية الكبرى وعدد أبياتها مائة واثنان وخمسون بيتا اهـ.

لقد وقف صلاح الدين أمام الصليبيين سدًّا منيعًا وصخرة عاتية، تكسرت عليها آمالهم، وانهارت مطامعهم، وكانت قصائد ابن سناء الملك التسع التى مدح بها صلاح الدين، وقصائد غيره من الشعراء، كما نبين فيما بعد، سجلا رائعا لتلك المعارك. وهذه الانتصارات قد سجل بها صلاح الدين اسمه فى سجل الخلود، وأملى على الأحداث تاريخه المشهود، وبهر الشعراء جميعا، وهزت مواقفه نفوسهم، وخلق بمواقفه البطولية فى صد الصليبيين نوعا من الشعر الدينى الحماسى الذى يلهب المشاعر.

والنماذج التى نسوقها فيما يلى قد أوردها صاحب الروضتين، ونورد هنا من كل قصيدة بعض أبياتها.

قال العماد يهنىء صلاح الدين بفتح القدس وهو مخيم عليه، ويعدد انتصاراته:

أطيب بأنفـاس تطيب لكم نفسـا
وتعتـاض من ذكـراكم وحشتى أنسـا

وأسأل عنكم عافيات دوارس
غدت بلسان الحال ناطقة خرسا

... ...

رأيت صلاح الدين أفضل من غدا
وأشرف من أضحى وأكرم من أمسى
وقيل لنا فى الأرض سبعة أبحر
ولسنا نرى إلا أنامله الخمسا
سجيته الحسنى وشيمته الرضى
وبطشته الكبرى وعزمته القعسى
فلا عدمت أيامنا منه مشرقا
ينير بما يولى ليالينا الدمسا
جنودك أملاك السماء وظنهم
عداتك جن الأرض فى الفتك لا الإنسا
فلا يستحق القدس غيرك فى الورى
فأنت الذى من دونهم فتح القدسا
ومن قبل فتح القدس كنت مقدسا
فلا عدمت أخلاقك الطهر والقدسا
وطهرته من رجسهم بدمائهم
فأذهبت بالرجس الذى ذهب الرجسا
نزعت لباس الكفر عن قدس أرضها
وألبستها الدين الذى كشف اللبسا
وعادت ببيت الله أحكام دينه
فلا بطركا أبقيت فيها ولا قسا
وقد شاع فى الآفاق عنك بشارة
بأن أذان القدس قد بطل النقسا
جرى بالذى تهوى القضاء وظاهرت
ملائكة الرحمن أجنادك الحمسا
وكم لبنى أيوب عبد كعنتر
فإن ذكروا بإلهاس لا يذكروا عبسا
وقد طاب ريانا على طبرية
فياطيبها مغنى ويا حسنها مرسى
وعكا وما عكا فقد كان فتحها
لإجلائهم عن مدن ساحلهم كنسا
وصيدا وبيروت وتبنين كلها
بسيفك ألفى أنفه الرغم والتعسا
ويافا وأرسوف وتبنى وغزة
تخذت بها بين الطلى والظبى عرسا
وفى عسقلان الكفر ذل بملككم
فنظره بل أمره اربد وأرجسا
وصار بصور عصبة يرقبونكم
فلا تبطئوا عنها وحسوهم حسا
توكل على الله الذى لك أصبحت
كلاءته درعا وعصمته ترسا
ودمر على الباقين واجتث أصلهم
فإنك قد سيرت دينارهم فلسا
ولا تنس شرك الشرق غربك مرويا
بماء الطلى من صاديات الظبى الخمسا
وأن بلاد الشرق مظلمة فخذ
خراسان والنهرين والترك والفرسا
وبعد الفرنج الكرك فاقصد بلادهم
بعزمك واملأ من دمائهم الرمسا
أقامت بغاب الساحلين جنودكم
وقد طردت عنه ذئابهم الطلسا

وللعماد أيضا من جملة القصيدة التى مدح بها حسام الدين بن لاجين:

قل للمليك صلاح الدين أكرم من
يمشى على الأرض أو من يركب الفرسا
من بعد فتحك بيت القدس ليس سوى
صور فإن فتحت فاقصد طرابلسا
أثر على يوم أنطرسوس ذا لجب
وابعث إلى ليل أنطاكية العسسا

وأخل ساحل هذا الشام أجمعه
من العداة ومن في دينه وكسا
ولا تدع منهم نفسا ولا نفسا
فإنهم يأخذون النفس والنفسا
نزلت بالقدس فاستفتحته ومتى
تقصد طرابلسا فانزل على قُدسا

ومن قصيدة أخرى له أنفذها إلى الخليفة الناصر :

أحيا الهدى وأمات الشرك صارمه
لقد تجلى الهدى والشرك منجاب
بفتحه القدس للإسلام قد فتحت
في قمع طاغية الإشراك أبواب
ففي موافقة البيت المقدس للـ
ـبيت الحرام لنا تيه وإعجاب
والصخر والحجر الملثوم جانبه
كلاهما لاعتمار الخلق محراب
نفى من القدس صلبانا كما نقيت
من بيت مكة أزلام وأنصاب

وللشريف النسابة المصرى محمد بن أسعد بن على بن معمر الحلبى المعروف بالجوانى نقيب الأشراف بالديار المصرية من قصيدة :

أترى مناما ما بعيني أبصر
القدس يفتح والفرنجة تكسر
وقمامة قمت من الرجس الذي
بزواله وزوالها يتطهر
ومليكهم في القيد مصفود ولم
يُر قبل ذاك لهم مليك يؤسر
قد جاء نصر الله والفتح الذي
وعد الرسول فسبحوا واستغفروا
فتح الشآم وطهر القدس الذي
هو في القيامة للأنام المحشر
من كان هذا فتحه لمحمد
ماذا يقال له وماذا يذكر
يا يوسف الصديق أنت لفتحها
فاروقها عمر الإمام الأطهر
ولأنت عثمان الشريعة بعده
ولأنت في نصر النبوة حيدر
ملك غدا الإسلام من عجب به
يختال والدنيا به تتبختر
نثر ونظم طعنه وضرابه
فالرمح ينظم والمهند ينثر
حيث الرقاب خواضع حيث العيو
ن خواشع حيث الجباه تعفر
غاراته جمع فإن خطبت له
فيها السيوف فكل هام منبر
إذ لا ترى إلا طلى بسنابك
تحذى نعالا أو دماء تهدر
وصوافنا تختار أن تطأ الثرى
فيصدها عنه طلى وسنور
تمشى على جثث العدا عرجا ولا
عرج بها لكنها تتعثر

(الروضتين ٢ / ١٠١-١٠٣، ١٠٥) .

وبعد ، فإن المؤرخين للحروب الصليبية يقفون بأحداثها عند نهايتها في الحقبة الزمنية التي حدثت فيها ، ومن ثم يقولون إن الحروب الصليبية قد انتهت . بيد أن المراقب للأحداث اليوم يرى أن الشعور السائد لدى المسلمين، الخاصة منهم والعامة على السواء، هو أن الحروب الصليبية لم تنته بعد، وإن كانت تتخذ أشكالا مختلفة، ودليلهم في هذا حرب الإبادة التي يشنها صرب يوغوسلافيا السابقة على مسلمي البوسنة والهرسك، وتلك التي يشنها الروس على دولة تشيشنيا المسلمة والتي لم يخمد أوارها حتى يومنا هذا،

الخميس ١٥ شوال ١٤١٥ هـ/ ١٦ مارس ١٩٩٥م، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

(أطلس تاريخ الإسلام ـ د . حسين مؤنس / ٢٦٧ ـ ٢٧٢، وتاريخ مصر إلى الفتح العثماني ـ عمر الإسكندرى و أ . ج سفدج ١ / ٢٤١، وتاريخ العالم الإسلامى ـ د. إبراهيم أحمد العدوى / ٣٢٣، وشعر الجهاد فى الحروب الصليبية ـ د. محمد على الهرفى / ٩١ ـ ٩٣ ، ٩٦ ـ ١٠١ ، وابن سناء الملك ـ محمد إبراهيم نصر. أعلام العرب (٩٦) الهيئة العامة للتأليف والنشر ١٩٧١ / ١٠٠ ، ١٠١ ، والروضتين فى أخبار الدولتين لشهاب الدين أبى محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبى شامة المقدسى، دار الجيل . بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٤م ، ١ / ٣٥، ٥٩، ٦٠ ـ ٦٣ ، ٢ / ١٠١ ـ ١٠٣ ، ١٠٥ . انظر أيضا « أرناط ... الفارس اللص » ـ د. برهان العابد . مجلة تاريخ العرب والعالم . السنة العاشرة . العددان ١١٩ ـ ١٢٠ محرم ـ صفر ١٤٠٩ هـ ـ سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٨٨ م / ١٢ ـ ٢٣ ، و « الجهاد باللسان فى عصر النبوة » ـ لواء أ . ح محمد جمال الدين محفوظ . مجلة الأزهر الجزء الثالث ، السنة الخامسة والستون ، ربيع الأول ١٤١٣ هـ ـ سبتمبر ١٩٩٢ م / ٣٣١ ـ ٣٣٦ ، والفن الحربى للجيش المصرى فى العصر المملوكى البحرى، عميد أ . ح محمود نديم أحمد فهيم / ١٨٢ ـ ١٩٢ ، والمجتمع الإسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ـ د. أحمد رمضان أحمد محمد / ٣١٠ ـ ٣٣٠ ، والإعلام والتبيين فى خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين لأحمد بن على الحريرى ـ حقق نصه وعلق عليه وقدم له د. سُهيل زكار) .

حَرَوْراء:

قال ياقوت :

حَـرَوراء : بفتحتين، وسكون الواو، وراء أخرى، وألف ممدودة؛ يجوز أن يكون مشتقا من الريح الحرور، وهى الحارة، وهى بالليل كالسموم بالنهار، كأنه أنث نظرا إلى أنه بقعة؛ قيل: هى قرية بظاهر الكوفة، وقيل: موضع على ميلين منها نزل به الخوارج الذين خالفوا على بن أبى طالب، رضى الله عنه، فنسبوا إليها، وقال ابن الأنبارى: حروراء كورة، وقال أبو منصور : الحرورية منسوبون إلى موضع بظاهر الكوفة نسبت إليه الحرورية من الخوارج، وبها كان أول تحكيمهم واجتماعهم حين خالفوا عليه، قال : ورأيت بالدهناء رملة وعثة يقال لها رملة حروراء .

(معجم البلدان ٢ / ٢٤٥) .

الحَرُورِيّة :

قال المقريزى ، وقد عد الحرورية الفرقة السادسة من النوع الثانى من الفرق وهو فرق أهل الإسلام : الحرورية : الغلاة فى إثبات الوعيد والخوف على المؤمنين والتخليد فى النار مع وجود الإيمان ، وهم قوم من النواصب الخوارج ، وهم مضادون المرجئة فى النفى والإثبات والوعد والوعيد . ومن مفرداتهم أن من ارتكب كبيرة فهو مشرك، ومذهب عامة الخوارج أنه كافر وليس بمشرك. وقال بعضهم هو منافق فى الدرك الأسفل من النار، فعند الحرورية أن الاسم يتغير بارتكاب الكبيرة الواحدة فلا يسمى مؤمنا بل كافرا مشركا، والحكم فيه أنه يخلد فى النار، واتفقوا على أن الإيمان هو اجتناب كل معصية، وقيل لهم « الحرورية » لأنهم خرجوا إلى حروراء لقتال على بن أبى طالب رضى الله عنه وعدتهم اثنا عشر ألفا، ثم سار على رضى الله عنه إليهم وناظرهم ثم قاتلهم وهم أربعة آلاف فانضم إليهم جماعة حتى بلغوا اثنَىْ عشر ألفا (المواعظ والاعتبار ٢ / ٣٥٠) .

قال ياقوت :

الحرورية : منسوب فى قول النابغة الجعدى حيث قال :

أيا دار سلمى بالحرورية أسلمى
إلى جانب الصمان، فالمتثلم
أقامت به البردين ثم تذكرت
منازلها ، بين الدخول فجرثم

(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ٢ / ٣٥٠ ، ومعجم البلدان لياقوت ٢ / ٢٤٥) .

الحروف:

قال ابن الحاجب فى تعريف الحرف: الحرف ما دل على معنى فى غيره، ومن ثمت احتاج فى جزئيته إلى اسم أو فعل (الكافية / ٤٢٢) .

ويعرف سيبويه حد الحرف بقوله : « وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو : ثم ، وسوف وواو القسم ، ولا الإضافة ، ونحوها » .

وذكر أبو حيان الأندلسى صاحب « اللمحة البدرية » علامة الحرف المميزة، وهى تعريه من علامات كل من الإسم

والفعل فقـال : ويعرف الحـرف بأن يعرى عن خـواص الاسم والفعل .

ويقول ابن هشام الأنصارى فى شرحه قول أبى حيان هذا :

أقول : لما انتهى تعريف الاسم والفعل ، شرع فى تعريف الحرف، فذكر العلامة المشهورة له ، وهى أن لا يقبل شيئا من علامات الأسماء ، ولا من علامات الأفعال كـ (هل) و(قد)، ألا تـرى أنهمـا لا يقبـلان الألـف والـلام، ولا الجـر، فليسـا باسمين، ولا يقبلان تاء التأنيث الساكنة، ولا ياء المخاطبة ، فليسا فعلين؛ وإذا انتفت الاسمية والفعلية، تعينت الحرفية إذ لا رابع .

ونظير جعل النحـاة عدم العلامات علامـة للحرف، جعل واضع الخط علامة (الحاء إخلاؤها من النقطة، لأنه لما وضع صورتها، وصورة الجيم، وصـورة الخاء متحدة، وأراد التفريق بينهن، جعل للجيم نقطة سفلى، وللخاء نقطة عليا، فتميزت كل منهما عن الأخرى؛ فجعل إهمال الحاء من النقطة علامة لها .

واعلم أن قـول المصنف، بأن يعـرى عن خـواص الاسم والفعل إما أن يـريد جميع خواصها ، أو الخـواص المذكورة؛ فإن أراد الأول فهو إحـالة على مجهـول، لأنه لم يـذكر جميع الخـواص، وإن أراد الثـانى، قلنـا هنـاك كلمـات لا تقبل الخواص التـى ذكرها، وليسـت حروفا بـالاتفاق، بل هـى إما أسماء نحو : إذ ، ولُكاع ، وغدار ولُكع وغدر: أو أفعال نحو « أفعل » فى التعجب، وخلا، وعدا، وحاشى، إذا نصبت ، والخواص جمع خـاصة ، والخاصة عـرض لازم لطبيعة واحدة كالضحك بالقوة للإنسان (شرح اللمحة البدرية / ١٧٥ ـ ١٧٧) .

قال أبو القاسم الحريرى فى تعريفة للحرف :

والحـــرف مـــا ليست لــــه عـــلامـــةْ
فقس على قــــولى تكن عـــلامـــةْ
مثـــــالـــــه حتى ولا وثـمـــــا
وهـل وبلـى ولــــو ولـم ولمــــا

(ملحة الإعراب / ٣).

فالحـريرى لا يـرى للحرف علامـة . أما الآثـارى فيرى أن للحرف ثلاث علامات فيقول فى تعريف الحرف وعلاماته :.

وهى ثلاث :

مـــا لا يـــرى الإسنـــاد فيـــه العـــرف
أو جـــاب فى ســـواه فهـــو الحـــرف
وجعلــــه واسطـــة بين الحـــدث
والـــذات بـــرهـــان لمن بـــه اكتـــرث
ومـن يقـل ليست لــــه عـــلامـــه
حقـت على صـــاحبـــه المــــلامـــه

ثم يقول عن صفة الحرف :

الحـــرف ركن بـــالبنـــا قـــد اتصف
ولقبـــوه الحـــرف إذ كـــان الطـــرف

(ألفية الآثارى / ٦٣) .

وجدير بالذكـر أن لفظ « حرف » يجىء فى التراث اللغوى الإسـلامى معبرا عن مستـويـات اللغـة جميعهـا ، فهـو على المستـوى الصـوتى « حـرف » ويطلق عليـه فى علـم اللغـة الحديث اسم « صوت » وفى الجمع يسميها « حروف الهجاء » أو حـروف التهجى أو حـروف المعجم، وهـو على المستـوى الصرفى « حرف » ويميزونه فى الجمع باسم حروف المعانى، وعلى المستوى الخطى هو أيضا « حرف » ولكن يميزونه باسم حـروف الكتـابـة ونحن فى هـذه المـادة نستخـدم مسميـات المصنفات اللغوية فى التراث .

وفى الكـلام على الحروف بصفـة عامـة يقال إن الحـروف كلهـا مبنية، وهى قليلـة بحيث لا يتجـاوز عـددها ثمـانين، ويقال لها حروف المعانى، أما حروف الهجاء فيقال لها حروف المبانى.

والحـروف على المستوى الصـوتى للغة تعـالج من حيث مخارجهـا وصفاتهـا وأكثر مـا يعنى بذلك علم التجـويد لكى تتحقق صحة التلاوة، وعلى المستوى الصرفى تقسم الحروف إلى خمسـة أقسام وفقـا للعدد، فهى إمـا أحاديـة او ثنائيـة أو ثلاثية أو ربـاعية ، وهو تقسيم الرمـانى، وتضيف كتب قواعد اللغـة العـربيـة الحـروف الخمـاسيـة ولم يأت منهـا إلا لكن للاستدراك ويأتى بيانها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

أما على المستوى الخطى فيعالج الحرف من حيث طريقة كتابته وفقا لموضعه من اللفظ أى إن وقع فى أول الكلمة أو وسطها أو آخرها، وطريقة كتابته إن وقع بمفرده، كما يعالج من الناحية الجمالية باعتبار أن الحرف العربى يدخل فى متن كتابة المصاحف وفن الزخرفة وفن تزيين جدران المساجد والمنازل وفنون النقش بأنواعها ويأتى بيان هذا فى مادة « الخط (علم ـ) إن شاء الله تعالى .

وقد أفرد صاحب اللسان بابا فى ألقاب الحروف ، أى صفاتها كأصوات ، وطبائعها وخواصها جاء فيه ما يلى :

ذكر ابن كيسان فى ألقاب الحروف : أن منها المجهور والمهموس .

ومعنى المجهور منها أنه لزم موضعه إلى انقضاء حروفه، وحبس النفَس أن يجرى معه، فصار مجهورا، لأنه لم يخالطه شىء يغيره . وهو تسعة عشر حرفا : الألف، والعين، والغين، والقاف، والجيم، والباء، والضاد، واللام، والنون، والراء، والطاء، والدال، والزاى، والظاء، والذال، والميم، والواو، والهمزة ، والياء .

ومعنى المهموس منها أنه حرف لأنّ مخرجه دون المجهور، وجرى معه النفس، وكان دون المجهور فى رفع الصوت، وهو عشرة أحرف : الهاء، والحاء، والخاء، والكاف، والشين، والسين، والتاء، والصاد، والثاء، والفاء .

وقد يكون المجهور شديدا، ويكون رخوا، والمهموس كذلك .

وقال الخليل بن أحمد : حروف العربية تسعة وعشرون حرفا، منها خمسة وعشرون حرفا صحاح، لها أحياز ومدارج؛ وأربعة أحرف جوف : الواو والياء، والألف اللينة، والهمزة، وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف؛ فلا تخرج فى مدرجة من مدارج الحلق، ولا مدارج اللهاة ، ولا مدارج اللسان، وهى فى الهواء، فليس لها حيز تنسب إليه إلا الجوف .

وكان يقول : الألف اللينة والواو والياء هوائية، أى أنها فى الهواء . وأقصى الحروف كلها العين؛ وأرفع منها الحاء، ولولا بحة فى الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها منها ؛ ثم الهاء، ولولا هتة فى الهاء ـ وقال مرة أخرى هَهَّة فى الهاء ـ لأشبهت الحاء لقرب مخرجها منها؛ فهذه الثلاثة فى حيز واحد .

ولهذه الحروف ألقاب أُخر . الحلقية : العين ، والهاء، والحاء، والخاء، والغين؛ اللهوية : القاف، والكاف؛ الشجرية : الجيم، والشين، والضاد (والشجر مفرج الفم)؛ الأسلية : الصاد، والسين، والزاى، لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهى مستدق طرفه؛ النطعية : الطاء، والذال، والتاء، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى؛ اللثوية : الظاء، والدال، والثاء، لأن مبدأها من اللثة؛ الذلقية : الراء، واللام، والنون الشفوية : الفاء، والباء، والميم (وقال مرة شفهية)؛ الهوائية : الواو ، والألف، والياء .

وأما ترتيب « كتاب العين » وغيره، فقد قال الليث بن المظفر: لما أراد الخليل بن أحمد الابتداء فى« كتاب العين » أعمل فكره فيه ، فلم يمكنه أن يبتدئ فى أول حروف المعجم، لأن الألف حرف معتل . فلما فاته أول الحروف كره أن يجعل الثانى أولا، وهو الباء، إلا بحجة وبعد استقصاء؛ فدبر ونظر إلى الحروف كلها وذاقها، فوجد مخرج الكلام كله من الحلق، فصير أولاها، فى الابتداء، أدخلها فى الحلق. وكان إذا أراد أن يذوق الحرف فتح فاه بألف ثم أظهر الحرف ثم يقول : اب، ات، اث، اج، اع فوجد العين أقصاها فى الحلق وأدخلها، فجعل أول الكتاب العين؛ ثم ما قرب مخرجه منها بعد العين، الأرفع فالأرفع، حتى أتى على آخر الحروف، فقلب الحروف عن مواضعها، ووضعها على قدر مخرجها من الحلق .

وهذا تأليفه وترتيبه : العين والحاء والهاء والخاء والغين والقاف والكاف والجيم والشين والضاد والصاد والسين والزاى والطاء والدال والتاء والظاء والذال والثاء والراء واللام والنون والفاء والباء والميم والياء والواو والألف .

وهذا هو ترتيب « المحكم » لابن سيده، إلا أنه خالفه فى الأخير، فرتب بعد الميم الألف والياء والواو. ولقد أنشدنى شخص بدمشق المحروسة أبياتا فى ترتيب « المحكم » ، هى أجود ما قيل فيها :

عليك حروفا هن خير غوامض — قيود كتاب جل شأنا ضوابطه

صراط سوى زل طالب دحضه — تزيد ظهورا ذا ثبات روابطه

لـــــــذلكم نلتـــــــذ فـــــــوزا بمحكـــم
مصنفـــــه أيضـــا يفـــــوز وضـــــابطـــــه

وقد انتقد هذا الترتيب على من رتبه .

وترتيب سيبـويه على هذه الصورة : الهمـزة والهاء والعين والحاء والخاء والغين والقـاف والكاف والضاد والجيم والشين واللام والراء والنون والطاء والـدال والتاء والصاد والزاى والسين والظاء والذال والثاء والفاء والباء والميم والياء والألف والواو .

وأما تقارب بعضهـا من بعض وتباعدها، فإن لهـا سرا فى النطق نكشفـه متى تمعنـاه، كمـا انكشـف لنـا سـره فى حل المترجمات، لشـدة احتياجنا إلى معرفة مـا يتقارب بعضه من بعض ويتباعد بعضه من بعض، ويتركب بعضه مع بعض ولا يتركب بعضه مع بعض .

فإن من الحـروف ما يتكـرر ويكثر فى الكـلام استعمالـه، وهو : ا، ل ، م ، ه ،و ، ى ،ن .

ومنها ما يكون تكراره دون ذلك، وهو ر ، ع ، ف ، ت ، ب ، ك ، د ، س ، ق ، ح ، ج .

ومنها ما يكون تكراره أقل من ذلك، وهو : ظ ، غ، ط ، ز ، ث ، خ ، ض ، ش ، ص ، ذ .

ومن الحروف ما لا يخلو منه أكثر الكلمات، حتى قالوا إن كل كلمة ثلاثيـة فصاعدا لا يكون فيها حرف أو حـرفان منها، فليست بعربية؛ وهى ستة أحرف: د ، ب ، م ، ن ، ل ، ف

ومنها مـا لا يتركب بعضه مـع بعض، إذا اجتمع فى كلمة إلا أن يقـدم، ولا يجتمع إذا تأخر، وهـو : ع ، ه ، فإن العين إذا تقدمت تركبت، وإذا تأخرت لا تتركب .

ومنهـا ما لا يتـركب إذا تقدم، ويتـركب إذا تأخر، وهـو : ض، ج ، فإن الضـاد إذا تقـدمت تـركبت، وإذا تأخـرت لا تتركب فى أصل العربية .

ومنها ما لا يتركب بعضه مع بعض لا إن تقدم ولا إن تأخر وهو : س ، ث ، ض ، ز ، ظ ، ص ؛ فاعلم ذلك .

وأما خواصها : فإن لها أعمالا عظيمة تتعلق بأبواب جليلة من أنواع المعـالجات وأوضاع الطلسمات ، ولهـا نفع شريف بطبائعها، ولهـا خصوصية بالأفـلاك المقدسة وملاءمـة لها ، ومنافع لا يحصيها من يصفها ليس هـذا موضع ذكرهـا؛ لكنـا لا بد أن نلوح بشىء من ذلك ، ننبه على مقدار نعم الله تعالى على من كشف له سـرها، وعلمـه علمها، وأباح لـه التصرف بها. وهو أن منهـا ما هو حار يـابس طبع النار، وهو : الألف والهاء ، والطـاء ، والميم ، والفاء ، والشين ، والـذال ، وله خصـوصية بـالمثلثة النـاريـة؛ ومنها مـا هـو بارد يـابس طبع التـراب، وهو : البـاء، والواو ، واليـاء ، والنون ، والصـاد ، والتاء ، والضاد، وله خصـوصية بالمثلثة الترابية؛ ومنهـا ما هو حـار رطب طبع الهـواء، وهو : الجيم، والـزاى، والكـاف ، والسين، والقاف، والثـاء ، والظاء ، ولـه خصوصية بـالمثلثة الهوائية؛ ومنهـا ما هو بارد رطب طبع المـاء، وهو : الدال، والحـاء، والـلام ، والعين ، والـراء، والخـاء، والغين ، ولـه خصوصية بالمثلثة المائية .

ولهذه الحروف فى طبائعها مـراتب ودرجات ودقائق وثوان وثوالث وروابع وخـوامس يوزن بهـا الكلام، ويعـرف العمل به علماؤه؛ ولـولا خوف الإطالـة، وانتقاد ذوى الجهالـة، وبعد أكثر النـاس عن تأمل دقائق صنع الله وحكمتـه، لذكـرت هنا أسرارا مـن أفعال الكـواكب المقدسـة ، إذا مازجتهـا الحروف تحرق عقـول من لا اهتدى إليهـا ، ولا هجم به تنقيبـه وبحثه عليها .

ولا انتقاد عليَّ فى قـول ذوى الجهالة؛ فإن الـزمخشرى، رحمه الله تعـالى ، قال فى تفسيـر قولـه عز وجل: ﴿ **وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون** ﴾ [الأنبياء : ٣٢] قـال : عن آيـاتهـا ، أى عمـا وضع الله فيهـا من الأدلـة والعبر، كالشمس والقمر، وسائر النيرات، ومسايرها وطلوعها وغروبهـا على الحساب القويم ، والتـرتيب العجيب ، الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة .

قـال : وأى جهل أعظم من جهل من أعرض عنهـا ، ولم يذهب بـه وهمه إلى تدبـرها والاعتبار بهـا ، والاستدلال على عظمـة شأن من أوجـدهـا عن عـدم، ودبـرهـا ونصبهـا هـذه النصبة، وأودعهـا ما أودعها ممـا لا يعرف كنهـه إلا هو جلت قدرته، ولطف علمه . هذا نص كلام الزمخشرى، رحمه الله .

وذكر الشيخ أبو العباس أحمـد البونى، رحمه الله ، قال : منازل القمر ثمـانية وعشرون ، منها أربعـة عشر فوق الأرض؛ ومنها أربعـة عشر تحت الأرض . قـال : وكـذلـك الحروف :

منها أربعة عشر مهملة بغير نقط، وأربعة عشر معجمة بنقط؛ فما هو منها غير منقوط فهو أشبه بمنازل السعود؛ وما هو منها منقوط فهو منازل النحوس والممتزجات؛ وما كان منها له نقطة واحدة فهو أقرب إلى السعود؛ وما هو بنقطتين فهو متوسط فى النحوس، فهو الممتزج؛ وما هو بثلاث نقط فهو عام النحوس. هكذا وجدته .

والذى نراه فى الحروف أنها ثلاثة عشر مهملة وخمسة عشر معجمة، إلا أن يكون كان لهم اصطلاح فى النقط تغير فى وقتنا هذا .

وأما المعانى المنتفع بها من قواها وطبائعها فقد ذكر الشيخ أبو الحسن على الحرالى والشيخ أبو العباس أحمد البونى والبعلبكى وغيرهم، رحمهم الله ، من ذلك ما اشتملت عليه كتبهم من قواها وتأثيراتها، ومما قيل فيها أن تتخذ الحروف اليابسة وتجمع متواليا، فتكون متقوية لما يراد فيه تقوية الحياة التى تسميها الأطباء الغريزية ، أو لما يراد دفعه من آثار الأمراض الباردة الرطبة ، فيكتبها ، أو يرقى بها ، أو يسقيها لصاحب الحمى البلغمية والمفلوج والملووق، وكذلك الحروف الباردة الرطبة، إذا استعملت بعد تتبعها، وعولج بها، رقية أو كتابة أو سقيا، من به حمى محرقة، أو كتبت على ورم حار، وخصوصا حرف الحاء لأنها، فى عالمها، عالم صورة. وإذا اقتصر على حرف منها كتب بعدده، فيكتب الحاء مثلا ثمانى مرات ، وكذلك ما تكتبه من المفردات تكتبه بعدده. وقد شاهدنا نحن ذلك فى عصرنا، ورأينا ، من معلمى الكتابة وغيرهم، من يكتب على خدود الصبيان ، إذا تورمت ، حروف أبجد بكمالها، ويعتقد أنها مفيدة ، وربما أفادت .

وليس الأمر كما اعتقد، وإنما لما جهل أكثر الناس طبائع الحروف، ورأوا ما يكتب منها ، ظنوا الجميع أنه مفيد فكتبوها كلها .

وشاهدنا أيضا من يقلقه الصداع الشديد ويمنعه القرآن ، فيكتب له صورة لوح، وعلى جوانبه تاءات أربع ، فيبرأ بذلك من الصداع .

وكذلك الحروف الرطبة ، إذا استعملت رقى أو كتابة أو سقيا ... أدامت الصحة ...

وإذا كتبت للصغير حسن نباته، وهى أوتار الحروف كلها .

وكذلك الحروف الباردة اليابسة، إذا عولج بها من نزف دم بسقى أو كتابة أو بخور، ونحو ذلك من الأمراض . وقد ذكر الشيخ محيى الدين بن العربى فى كتبه من ذلك جملا كثيرة .

وقال الشيخ على الحرالى، رحمه الله : إن الحروف المنزلة أوائل السور، وعدتها بعد إسقاط مكررها ـ أربعة عشر حرفا، وهى : الألف والهاء والحاء والطاء والياء والكاف واللام والميم والراء والسين والعين والصاد والقاف والنون، قال: إنها يقتصر بها على مداواة السموم، وتقاوم السموم بأضدادها، فيسقى للدغ العقرب حارها، ومن نهشة الحية باردها الرطب، أو تكتب له ؛ وتجرى المحاولة فى الأمور على نحو من الطبيعة، فتسقى الحروف الحارة الرطبة للتفريح وإذهاب الغم؛ وكذلك الحارة اليابسة لتقوية الفكر والحفظ، والباردة اليابسة للثبات والصبر، والباردة الرطبة لتيسير الأمور وتسهيل الحاجات وطلب الصفح والعفو .

وقد صنف البعلبكى فى خواص الحروف كتابا مفردا، ووصف لكل حرف خاصية يفعلها بنفسه، وخاصية بمشاركة غيره من الحروف على أوضاع معينة فى كتابه؛ وجعل لها نفعا بمفردها على الصورة العربية ، ونفعا بمفردها إذا كتبت على الصورة الهندية ، ونفعا بمشاركتهما فى الكتابة؛ وقد اشتمل من العجائب على ما لا يعلم مقداره إلا من علم معناه .

وأما أعمالها فى الطلسمات فإن الله سبحانه وتعالى فيها سرا عجيبا، وصنعا جميلا، شاهدنا صحة أخبارها ، وجميل آثارها .

وليس هذا موضع الإطالة بذكر ما جربناه منها ، ورأيناه من التأثير عنها، فسبحان مسدى النعمة، ومؤتى الحكمة ، العالم بمن خلق، وهو اللطيف الخبير .

(لسان العرب ١/ ١٧ـ ٢٠) .

هذا ويأتى وصف الحروف باعتبارها أصوات عند إدراج كل حرف من هذه الحروف إن شاء الله تعالى .

واستكمالا لما جاء فى اللسان نضيف هنا ما أورده السيد العيدروسى عن الحروف العربية من حيث يقول ألقابها ، كما يعرج على طريقة نطقها فى اللهجات العربية فيقول :

الحروف التى تتكون منها الكلمات العربية تسمى حروف المعجم وحروف الهجاء وألف باء، وهى الألف والباء والتاء والثاء والجيم والحاء والخاء والدال والذال والراء والزاى والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين والفاء والقاف والكاف واللام والميم والنون والهاء والواو والياء

وأما الألف فتطلق على الألف فى نحو أمر، وسأل. وتسمى بالألف اليابسة والهمزة. وتطلق على الألف فى نحو قال. وتسمى بالألف اللينة وألف المد. ولإظهار هذه الأخيرة، زاد بعضهم فى حروف الهجاء: لام ألف لأن ألف المد لا يمكن النطق بها إلا إذا سبقها حرف مفتوح (لام ألف مركب إضافى وقيل مركب مزجى ثم أعرب بإضافة أحد الجزئين إلى الآخر على أحد الوجوه) .

وإنما ذكرت الألف اللينة مع اللام ولم تذكر مع الحروف الأخرى من حروف المعجم قيل لخفة اللام فى النطق. وقال الأستاذ المرحوم الشيخ آدم إن فيها نكتة غامضة وهى المناسبة الخفية بين اللام والألف فى الحرف الأوسط حين ينطقان باسمهما لأن الألف هى الحرف الأوسط من اللام كما أن اللام حرف أوسط من الألف (وكان الأستاذ المرحوم من كبار علماء الهند تولى منصب العميد لكلية الباقيات الصالحات العربية فى مقاطعة مدراس مع منصب الإفتاء الشرعى. وكان فرضيا مشهورا وله مقدرة عجيبة لحل العويص من المسائل الفرضية وكان هو المرجع الأخير فى مثل هذه المسائل عند الحكومة وتوفى رحمه الله سنة ١٩٦٠م وله كتاب الفتاوى الآدمية تعتبر موسوعة علمية) .

وقيل إنهم خصوا اللام من حيث إنهم لما احتاجوا لسكون لام التعريف إلى حرف يقع الابتداء به أتوا بالهمزة فقالوا : الغلام فكما أدخلوا الألف قبل اللام كذلك أدخلوا اللام قبل الألف. ليكون ذلك ضربا من التقارض (انظر خزانه الأدب طبعة السلفية ١ / ١٠٢ والمراد بالهمزة الألف لأن بعضهم يطلق الهمزة على الألف المتحركة ولو كانت تزول فى الدرج فعلى هذا يندفع اعتراض الدمامينى فى شرح المغنى) .

والوجه الأوفق ما قاله شيخنا الأستاذ المرحوم فيما يظهر ومن الأمر المدهش أننا نجد بعض الوضاعين حاك حول هذا الحرف رواية نسبت إلى الرسول عليه الصلاة والسلام. لعله أراد بها إفحام المناقضين لوجود ألف لام فى الهجاء. وصورة الرواية هكذا : عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه أنه قال : سألت رسول الله ﷺ . فقلت يا رسول كل رسول يرسل . بم يرسل ؟ قال بكتاب منزل. قلت يا رسول الله . أى كتاب أنزله الله على آدم ؟ قال : كتاب المعجم. ألف باء تاء ثاء إلخ ... قلت يا رسول الله كم حرف ؟ قال تسعة وعشرون قلت يا رسول الله ، عددت ثمانية وعشرين فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت عيناه ثم قال يا أبا ذر والذى بعثنى بالحق نبيا . ما أنزل الله على آدم إلا تسعة وعشرين حرفا قلت أليس فيها ألف ولام؟ فقال ﷺ ألف لام حرف واحد. قال أنزله الله تعالى على آدم فى صحيفة واحدة ومعه سبعون ألف ملك. من خالف لام ألف فقد كفر بما أنزل علىَّ. من لم يعد لام ألف فهو برىء منى وأنا برىء منه. ومن لم يؤمن بالحروف وهى تسعة وعشرون لا يخرج من النار أبدا. قال العراقى سئل عنه ابن تيمية فقال لا أصل له . ولوائح الوضع عليه ظاهرة ولا سيما فى آخره فهو كذب قطعا (انظر خزانة الأدب ١ / ١٠١، وانظر للحديث محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر/ ٦٥) .

قالت المؤلفة : ذكر الإمام النووى الصفاقسى هذا الحديث (انظر تنبيه الغافلين/ ٤٢، ٤٣) وحمل على من قال إنه موضوع .

وتعودوا على أن يكتبوا ألف لام مضفورة هكذا « لا » ثم اختلف الخليل وسيبويه فى الألف فيها فقال سيبويه. الألف هى الشعبية الشمالية وقال الخليل هى اليمينية .

وكما أن الألف تطلق على ما ذكر كذلك تطلق الواو على الواو فى نحو صفوا وعلى فى نحو محمود. وتسمى الثانية واو المد. والياء تطلق على الياء فى نحو « سعيا » و « جميل » وتسمى الأخيرة ياء المد. والجمهور لم يعدوا ألف المد من الهجاء كما لم يعدوا حرفى الياء والواو للمد اكتفاء ببيان أن الألف والواو والياء يجئن حروف مد. كما يجئن حروفا أصلية بغير مد .

وتسمى حروف المد حروفا مصوتة وباقى الحروف صامتة سواء أكانت متحركة أو ساكنة وعلى هذا تكون الحروف ثمانية وعشرين وإذا اعتبرت حروف مد مستقلة تكون إحدى وثلاثين

والحركات التى تصور بها الحروف أربع وهى : الفتحة

والضمة والكسرة والسكون، وإطلاق الحركة على السكون تغليب .

والتحقيق أن الحركة جزء من حرف المد فالفتحة جزء من ألف المد، والضمة جزء من واو المد، والكسرة جزء من ياء المد، ولولا هذه الأجزاء لما أمكن تحريك الحروف، فإذا طالت الحركة وجدت حروف المد كلها وظهرت، وعلى هذا يقال إن الحرف الساكن بسيط والمتحرك مركب من أمرين الأول جوهر الحرف ومادته، والثانى جزء من حرف المد، لكنهم فرقوا فى الكتابة بأن تكتب حروف المد، مثل جمال، ونذور، وكليم وأما جزء حروف المد التى توجد فى الحروف المتحركة فلا تكتب مثل جمل، ونذر وكلم ، للفرق بينهما فى النطق والمعنى .

وهذه الحروف والحركات تعرف بالأصلية لوجودها فى جميع ألسنة قبائل العرب بخلاف المتفرعة . فإنما هى لا توجد إلا فى لسان بعض القبائل فى مواضع خاصة . فإذا جاوزت هذه المواضع تعد لحنا . ولم يضعوا للمتفرعات شكلا مخصوصا كما وضعوا للأصلية .

والحروف المتفرعة أربعة عشر حرفا على ما ذكره أبو حيان (٦٥٤ - ٧٤٥ هـ) فى ارتشاف الضرب فى لسان العرب ستة منها مستحسنة ، لوقوعها فى فصيح الكلام وستة منها مستقبحة لقلة ورودها فى لغة من ترضى عربيته . ولا تستعمل فى القرآن وفصيح الكلام كما ذكره سيبويه ، واثنان مستحسنان فى موضع مستهجنان فى آخر . فالحروف المستحسنة الستة :

(١) حرف بين الصاد والزاى ينطق به بدل الصاد قياسا إذا كانت ساكنة وتلاها دال كأصدق وتصدير ويجوز النطق بها زايا خالصة كأزدق . كما يجوز جعل السين الساكنة زايا فى نحو أزدل فى أسدل . ويقل إذا كانت الصاد متحركة أو لم تكن الدال تالية . وصورته شبيهة بالزاى المفخمة كما ينطق الترك فى ضاد نحو رمضان . يقولون رمزان وكنطق عوام المصريين بالظاء فى مثل ظالم وظاهر .

(٢) تسهيل الهمزة بين صوتها الأصلى وبين الألف إذا كانت مفتوحة كسأل . وكذلك بعد ألف كتساءل .

(٣) التسهيل بين الهمزة والياء إذا جاءت الهمزة مكسورة وبعد أية حركة كانت كسئم ، ومستهزئين ، وسئل . وكذلك الهمزة المكسورة بعد الألف كقائل .

(٤) التسهيل بين الهمزة والواو إذا وقعت مضمومة وبعد أية حركة كانت كرؤف، ومستهزؤن، ورؤس ، وكذلك المضمومة بعد الألف . كتساؤل، يعنى أن الهمزة فى هذه المواضع تنطق حرفا بين الهمزة وبين حرف حركتها .

والتسهيل من أنواع تخفيف الهمزة والأصل فيها التحقيق، وهو لغة تميم وقيس، والتخفيف لغة قريش وأكثر الحجازيين، وهم لميل طبيعتهم للسهولة يكرهون الهمزة المحققة . لأنها نبرة فى الحلق . روى أن واحدا سأل رجلا من قريش أتهمز الفأرة يريد به هل تحقق الهمزة فى الكلام ، فلم يفطن المسئول مراد السائل، فأجاب ساخرا : إنما يهمزها القط .

وجاء عن على كرم الله وجهه أنه قال : نزل القرآن بلغة قريش، ليسوا بأصحاب نبر، ولولا أن جبريل عليه السلام نزل بالهمزة على النبى ﷺ ما همزنا (تاريخ الأدب لحفنى ناصف / ١٣، الطبعة الثانية) .

(٥) حرف بين الألف والياء بدل الألف الخالصة ويسمى ألف الإمالة ، وهى فى الأصل الميل بالفتحة إلى جانب الكسرة فيستلزم الميل بالألف إلى جانب الياء وهى لغة تميم وسائر العرب ما عدا الحجازيين ، وتكون لأسباب ثلاثة :

الأول : التناسب بين الفتحة الممالة وكسرة سابقة، كعماد أو لاحقة كعالم أو ياء سابقة كبيان وشيبان .

الثانى : التنبه على أصل الألف إذا كانت منقلبة عن ياء كباع أو واو مكسورة كخاف، أو على مصيرها عند التثنية كحبلى أو عند الإسناد للتاء كاستغنى .

الثالث : مراعاة فواصل الآى كما فى ﴿ والضحى والليل إذا سجى ﴾ [الضحى : ١] .

قال سيبويه : تجوز الإمالة قبل هاء التأنيث عند الوقف كميم فاطمة ورحمة وقال إنها لغة فاشية بالبصرة والكوفة وما قرب منهما يقال فى سبب ذلك أن معظم العرب الذين نزلوا فى هذين البلدين من غير الحجازيين الذين يخالفونهم فى الإمالة وأيضا اشتهر بالإمالة من القراء حمزة المتوفى سنة ١٥٦ هـ

وكان إمام القراء فى الكوفة . والكسائى المتوفى سنة ١٨٩هـ الذى ورث إمامة القراءة بالكوفة بعد حمزة . وكذلك خلف الذى توفى سنة ٢٢٩هـ وهو أيضا كوفى .

وللإمام الكسائى مذهب خاص فى الإمالة كما فى كتب القراءات . قال أبو عبيد المتوفى سنة ٢٢٤ فى كتاب القراءات: كان الكسائى يتخير القراءات فأخذ من قراءة حمزة بعضا وترك بعضا .

وبعض العرب يميل بالفتحة قبل ألف إمالة خفيفة كعابد، ويسمى ترفيقا أو إمالة صغرى .

(٦) حرف بين الألف والواو . ويسمى ألف التفخيم كما فى الصلاة والزكاة والحياة . وقد يكتبونها بالواو إشارة لذلك . وكما فى قام وسلام ودعى وغزا وساع وهى لغة أهل الحجاز .

الحروف المستهجنة الستة :

(١) حرف بين الجيم والكاف ينطق فى ثلاثة مواضع :

الأول بدل الكاف فى لغة اليمن وبغداد فيقولون : جامل، وجافر، فى كامل وكافر ومثل الجيم القاهرية .

الثانى بدل الجيم فى لغة البحرين وعكل . وهكذا ينطق عامة أهل القاهرة كالكاف الفارسية التى ترسم بالخطين .

الثالث بدل القاف وهى لغة أهل البوادى . وتسمى قافا معقودة وتفخم كتفخيم القاف . قال فى الارتشاف : وهى الغالبة فى لسان أهل البوادى حتى لا يكادون ينطقون بالقاف الخالصة المنقولة من أهل القرآن .

(٢) حرف بين الصاد والسين ينطق به بدل الصاد فى نحو صابر وصبغ وعليه أهل القاهرة .

(٣) حرف بين الطاء والتاء ينطق به بدل الطاء الخالصة . وهو كثير فى كلام العجم لأن الطاء معدومة فى لغتهم فيتكلفونها فتخرج بين الطاء والتاء وهكذا عامة أهل القاهرة أيضا . فى مثل سلطان . وطبق .

(٤) حرف بين الضاد والظاء ويسمى بالضاد الضعيفة . قال الفارسى كما إذا قلت ضرب ولم تشبع مخرجها ولا اعتمدت عليه ولكن تخفف وتختلس فيضعف انطباقها . وقال السيرافى : فى لغة قوم ليس فى لغتهم ضاد فإذا احتاجوا للتكلم بها فى العربية اعتاصت عليهم فربما خرجوها ظاء أو بين الضاد والطاء . وأقول والعرب أيضا يعوص عليهم النطق بالضاد صحيحة إلا من يجيد القراءة كما صرح به علماء القراءة ، ولاعتياص النطق بالضاد قال الرسول ﷺ أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنى من قريش .

(٥) حرف بين الضاد والثاء ينطق به بدل الطاء فى نحو ظالم ويجيء ذلك من المبالغة فى إخراج اللسان فكأن الناطق يقول ثالم بالثاء مع التفخيم .

(٦) حرف بين الباء والفاء ينطق به بدل الباء الصريحة فى نحو بلخ، وإصبهان قال السيرافى : هى كثيرة فى لغة العجم، وهى على ضربين أحدهما ما لفظ الباء أغلب عليه من الفاء والآخر ما لفظ الفاء أغلب عليه من الباء وقد جعلا حرفين من حروفهم سوى الباء والفاء الخالصتين . ثم قال : وأظن أن العرب إنما أخذوا ذلك من العجم لمخالطتهم إياهم .

الحروف المستهجنة فى موضع والمستحسنة فى آخر اثنان

أولهما حرف بين الشين والجيم وينطق به بدل الشين استحسانا إذا كانت ساكنة وتلاها دال كأشدق ومشدود لأن الشين مهموسة رخوة والدال مجهورة شديدة فإذا أشربت الشين صوت الجيم تناسب صوت الحرفين، وينطق به بدل الجيم استهجانا إذا كانت ساكنة وتلاها دال أو تاء نحو أجدر. واجتمعوا . ومن اللحن النطق بها هكذا إذا كانت متحركة كجميل. أو لم يتلها تاء ولا دال كأجمل كما ينطق المغاربة وأهل الشام .

وثانيهما : حرف بين الواو والياء ينطق به استحسانا بدل الواو الخالصة أو الياء الخالصة فى نحو قيل وبيع واختير عند كثير من قيس وأكثر بنى أسد كفقعس ودبير وهم يشممون فى مثل هذه المواضع . وأما قريش ومن جاورهم فينطقون فيها بالكسرة الخالصة والهذيل بإخلاص الضم .

وينطق به استهجانا بدل واو المد التى بعدها راء مكسورة نحو مذعورين . فتميل بالضمة إلى جهة الكسرة ويتبع ذلك ميل الواو إلى جهة الياء قاله سيبويه .

وأما الحركات الفرعية فمتفرعة فى حقيقة الأمر عن الحروف الفرعية وهى ثلاثة اثنتان منها مستحسنتان أولاهما حركة بين الفتحة والكسرة ينطق بها بدل الفتحة الخالصة فى نحو عماد

وعالم وبيان، وشيبان وباع وخاف وحبلى والضحى ورحمة ، وتسمى فتحة ممالة كما مر، والأخرى حركة بين الفتحة والضمة كما هى لغة الحجاز فى نحو الصلاة والزكاة والحياة كما سبق .

وواحدة مستحسنة فى موضع ومستهجنة فى آخر، وهى الحركة بين الضمة والكسرة استحسانا بدل الضمة الخالصة فى نحو قيل، وبيع ، واختير، وليست ضمة خالصة ولا كسرة صريحة . فالبينية على الشيوع كما رواه الشاطبى .

روى المرادى عن بعض المتأخرين أنها تتركب من جزئين : جزء من الضمة سابق وجزء من الكسرة لاحق فالبينية عنده على الإفراز .

وهى مستهجنة بدل الضمة الخالصة فى نحو مذعورين كما تقدم (العرب والعربية-العيدروسى/ ١٣١ ، ١٣٦) .

ويعطينا التهانوى صاحب كشاف اصطلاحات الفنون وصفا شافيا للحروف بمعنى أصوات اللغة وكذلك للحروف بمعنى الوحدات الصرفية (المورفيمات) ، كما يعرج على تعريف الحروف فى اصطلاحات الصوفية فيقول :

الحرف بالفتح وسكون الراء المهملة فى العرف أى عرف العرب كما فى شرح المواقف يطلق على ما يتركب منه اللفظ نحو ا ب ت لا ألف وباء وتاء فإنها أسماء الحروف لا أنفسها كما فى النظامى شرح الشافية ويسمى عرف التهجى وحرف الهجاء وحرف المبنى وماهيته واضحة بديهية وجميع ما ذكر فى تعريفها المقصود منها التنبيه على خواصها وصفاتها وبهذا الاعتبار عرفه القراء بأنه صوت معتمد على مقطع محقق وهو أن يكون اعتماده على جزء معين من أجزاء الحلق واللسان والشفة أو مقطع مقدر وهو هواء الفم إذ الألف لا معتمد له فى شىء من أجزاء الفم بحيث إنه ينقطع فى ذلك الجزء ولذا يقبل الزيادة والنقصان ويختص بالإنسان وضعا وعرفه ابن سينا بأنه كيفية تعرض للصوت بها أى بتلك الكيفية يمتاز الصوت عن صوت آخر مثله فى الحدة والثقل تمييزا فى المسموع فقوله كيفية أى هيئة وضعية وقوله تعرض للصوت أراد به ما يتنازل عروضها له فى طرفه عروض الآن للزمان فلا يرد ما قيل إن التعريف لا يتناول الصوامت كالتاء والطاء والدال فإنها لا توجد إلا فى الآن الذى هو بداية زمان الصوت أو نهايته فلا تكون عارضة له حقيقة إذ العارض يجب أن يكون موجودا مع المعروض وهذه الحروف الآنية لا توجد مع الصوت الذى هو زمانى .

وتوضيح الدفع أنها عارضة للصوت عروض الآن للزمان والنقطة للخط فإن عروض الشىء للشىء قد يكون بحيث يجتمعان فى الزمان وقد لا يكون وحينئذ يجوز أن يكون كالواحد من الحروف الآنية طرفا للصوت عارضا له عروض الآن للزمان .

وقوله مثله فى الحدة والثقل ليخرج عن التعريف الحدة والثقل فإنهما وإن كانتا صفتين مسموعتين عارضتين للصوت يمتاز بهما ذلك الصوت عما يخالفه فى تلك الصفة العارضة إلا أنه لا يمتاز بالحدة صوت عن صوت آخر يماثله فى الحدة ولا بالثقل صوت عما يشاركه فيه .

وقوله تمييزا فى المسموع ليخرج الغنة وهى التى تظهر من تسريب الهواء بعضها إلى جانب الأنف وبعضها إلى الفم مع انطباق الشفتين والبحوحة التى هى غلظ الصوت الخارج من الحلق فإن الغنة والبحوحة سواء كانتا ملذتين أو غير ملذتين صفتان عارضتان للصوت يمتاز بهما عما يشاركه فى الحدة والثقل لكنهما ليسا مسموعين فلا يكون التمييز الحاصل منهما تمييزا فى المسموع من حيث هو مسموع ونحوهما كطول الصوت وقصره وكونه طيبا وغير طيب فإن هذه الأمور ليست مسموعة أيضا . أما الطول والقصر فلأنهما من الكميات المحضة والمأخوذة مع الإضافة ولا شىء منهما بمسموع وإن كان يتضمن ههنا المسموع فإن الطول إنما يحصل من اعتبار مجموع صوتين صوت حاصل فى ذلك الوقت وهو مسموع وصوت حاصل قبل ذلك الوقت وهو ليس بمسموع . وأما كون الصوت طيبا أى ملائما للطبع أو غير طيب فأمر يدركه الوجدان دون السمع فهما مطبوعان لا مسموعان إذ قد تختلف هذه الأمور أعنى الغنة والبحوحة ونحوهما والمسموع واحد وقد تتحد والمسموع مختلف وذلك لأن هذه الأمور وإن كانت عارضة للصوت المسموع إلا أنها فى أنفسها ليست مسموعة فلا يكون اختلافها مقتضيا لاختلاف المسموع ولا اتحادها مقتضيا لاتحاده، بخلاف العوارض المسموعة فإن اختلافها يقتضى اختلاف المسموع

الذى هـو مجموع الصـوت وعارضـه واتحادهـا يقتضى اتحاد المسموع لا مطلقـا بل باعتبار ذلك العـراض المسموع والحق أن معنى التمييـز فى المسمـوع ليس أن يكـون مـا بـه التمييـز مسمـوعـا بل أن يحصل بـه التمييـز فى نفـس المسمـوع بأن يختلف بـاختلافـه ويتحد بـاتحـاده كالحـرف بخلاف الغنـة والبحوحة ونحوهما كذا فى شرح المواقف فى مبحث الأصوات

ويعـرف الحرف عنـد أهل الجفـر بأنـه بناء مفـرد مستقل بالدلالة وتسمى دلالة الحـروف دلالة أولية ودلالة الكلمة دلالة ثـانية وهـو موضع علم الجفـر وبهـذا صرح فى بعض رسـائل الجفر ولذا يسمى علم الجفر بعلم الحروف .

تقسيمـات حـروف الهجـاء الأول إلى المعجمـة وهى المنقوطة وغير المعجمة وهى غيـر المنقوطة وتسمى بالمهملة أيضا .

الثـانى إلى نـورانى وظلمـانى قـال أهل الجفـر الحـروف النورانيـة حروف فـواتح السور ومجمـوعها « صـراط على حق نمسكه » والباقيـة ظلمانية ومنهم من يسمى الحـروف النورانية بحروف الحق والظلمانية بحروف الخلق .

الثالث إلى المسرورى والملبوبى والملفوظى .

الرابع إلى المنفصلة وغيرها .

الخامس إلى المفـردة والمتزاوجة التى تسمى بالمتشـابهة أيضا .

السادس إلى المصوتـة والصامتة فالمصوتـة حروف المد واللين أى حروف العلة الساكنة التى حركة ما قبلها مجانسة لها والصامتـة ما سواها سـواء كانت متحركة أو سـاكنة ولكن ليس حركة مـا قبلها من جنسها فالألف أبـدا مصوته لوجـوب كونها سـاكنة ومـا قبلهـا مفتـوحا وإطـلاق اسم الألف على الهمـزة بالاشتراك اللفظى وأمـا الواو والياء فقد تكونـان صامتتين أيضا كذا فى شرح المواقف .

السابـع إلى زمانيـة وآنية وفى شـرح المواقف الحـروف إما زمانية صرفة كـالمصوتة فإنها زمانية عارضـة للصوت باقية معه زمانـا بلا شبهة وكـذا بعض الصوامت كالفـاء والقاف والسين والشين ونحـوهـا مما يمكن تمـديـدهـا بلا تـوهم تكـرار فإن الغالب على الظن أنها زمانية أيضا .

وإما آنية صرفة كالتـاء والطاء وغيرهما من الصوامت التـى لا يمكن تمديـدها أصـلا فإنها لا تـوجد فى آخـر زمان حبس النفس كما فى لفظ بيت وفرط أو فى أوله كما فى لفظ تراب أو فى آن يتـوسطهمـا كما إذا وقعت تلك الصـوامت فى أوسـاط الكلم فهى بـالنسبة إلـى الصوت كـالنقطـة والآن بالنسبـة إلى الخط والزمـان . وتسميتها بالحروف أولى من تسميتهـا بغيرها لأنها أطراف الصوت والحرف هو الطرف .

وإما آنية تشبه الزمانيـة وهى أن تتوارد أفرادا آنية مرارا فيظن أنها فرد زمانى كالـراء والحاء والخاء فإن الغالب على الظن أن الراء فى آخر الدار مثلا راءات متوالية كالواحد منها آنى الوجود الا أن الحس لا يشعر بامتياز أزمنتها فيظنهـا حرفا واحداً زمانيا وكذا الحال فى الحاء والخاء كذا فى شرح المواقف .

الثامن إلى المتماثلة والمتخالفـة فالمتماثلة ما لا اختلاف بينها بذواتها ولا بعوارضها المسماة بـالحركة والسكون كاليائين المتحركتين بنوع واحد من الحركة . والمتخالفة ما ليس كذلك سواء كانت متخالفة بالذات والحقيقة كالياء والميم أو بالعرض كاليـاء الساكنـة والمتحركـة كذا فى شـرح المواقف هـذا لكن المذكور فى فن الصرف أن المتمـاثلة هى المتفقة فى الحقيقة وإن كانت مختلفة بالعوارض قال فى الإتقان فى بحث الإدغام نعنى بـالمتماثلين مـا اتفقا مخرجـا وصفة كـاليائين والـلامين وبالمتجـانسين ما اتفقـا مخرجـا واختلفا صفـة كالطـاء والتاء والظاء والثاء وبـالمتقاربين ما تقـاربا مخرجا أو صفـة كالدال والسين والضاد والشين انتهى فالحـروف على هذا أربعة أقسام المتماثلة والمتجانسة والمتقاربة وما ليس شيئا منها .

التاسع إلى المجهـورة والمهموسة فالمجهـورة ما ينحصر جرى النفس مع تحركـه والمهموسة بخلافهـا أى ما لا ينحصر جـرى النفس مع تحـركـه والانحصـار الاحتبـاس وهى السين والشين والحـاء والخاء والثـاء المثلثة والتـاء المثناة الفـوقانيـة والصاد المهملة والفـاء والهاء والكاف . والمجهورة مـا سواها ففى المجهورة يشبع الاعتماد فى مـوضعه فمن إشباع الاعتماد يحصل ارتفاع الصوت والجهر هـو ارتفاع الصوت فسميت بها وكذا الحال فى المهموسة لانه بسبب ضعف الاعتماد يحصل الهمس وهو الإخفاء فإذا أشبعت الاعتمـاد وجرى الصوت كما فى الضاد والزاء [والـزاى] والعين والغين والياء فهى مجهورة رخـوة وإذا أشبعته ولم يجـر الصوت كـالقاف والجيم والطـاء

والدال فهى مجهورة شديدة قبل المجهورة تخرج أصواتها من الصدر والمهموسة تخرج أصواتها من مخارجها فى الفم وذلك مما يرخى الصوت فيخرج الصوت من الفم ضعيفا . ثم إن أردت الجهر بها وإسماعها أتبعت صوتها بصوت من الصدر لتفهم وتمتحن المجهورة بأن تكررها مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة رفعت صوتك بها أو أخفيته سواء أشبعت الحركات حتى تتولد الحروف نحو قا قا قا أو قو قو قو أو قى قى قى أو لم تشبعها نحو ققق فإنك ترى الصوت يجرى ولا ينقطع ولا يجرى النَّفس الا بعد انقضاء الاعتماد وسكون الصوت . وإما مع الصوت فلا يجرى وذلك لأن النفس الخارج من الصدر وهو مركب الصوت يحتبس إذا اشتد اعتماد الناطق على مخرج الحرف إذ الاعتماد على موضع من الحلق أو الفم يحبس النفس وإن لم يكن هناك صوت وإنما يجرى النَّفَس إذا ضعف الاعتماد .

وإنما كررت الحروف فى الامتحان لأنك لو نطقت بواحد منها غير مكرر فعقيب فراغك منه يجرى النفس بلا فصل فيظن أن النفس إنما خرج مع المجهورة لا بعده فإذا تكرر وطال زمان الحرف ولم يخرج النفس مع تلك الحروف المكررة عرفت أن النطق بالحروف هو الحابس للنفس وإنما جاز إشباع الحركات لأن الواو والألف والياء أيضا مجهورة فلا يجرى مع صوتها النفس .

وأما المهموسة فإنك إذا كررتها مع إشباع الحركة أو بدونها فإن جوهرها لضعف الاعتماد على مخارجها لا يحبس النفس فيخرج النفس ويجرى كما يجرى الصوت نحو ككك وقس على هذا .

العاشر إلى الشديدة والرخوة وما بينهما فالشدة ما ينحصر جرى صوته فى مخرجه عند إسكانه فلا يجرى الصوت والرخوة بخلافها . وأما ما بينهما فحروف لا يتم لها الانحصار ولا الجرى . وإنما اعتبر إسكان الحروف لأنك لو حركتها والحركات أبعاض الحروف من الواو والياء والألف وفيها رخاوة ما لجرت الحركات لشدة اتصالها بالحروف الشديدة إلى شيء من الرخاوة فلم يتبين شدتها فقيد الإسكان لامتحان الشديدة من الرخوة . فالحروف الشديدة الهمزة والجيم والدال والطاء المهملتان والباء الموحدة والتاء المثناة الفوقانية والكاف والقاف . والرخوة ماعدا هذه الحروف المذكورة وما عدا حروف لم يروعنا فإنها ليست شديدة ولا رخوة فهى مما بينهما وإنما جعل هذه الأحرف الثمانية أى اللام والميم والياء المثناة التحتانية والراء المهملة والواو والعين المهملة والنون والألف مما بينهما أى بين الشديدة والرخوة لأن الشديدة هى التى ينحصر الصوت فى مواضعها عند الوقف وهذه الأحرف الثمانية ينحصر الصوت فى مواضعها عند الوقف أيضا لكن يعرض لها أعراض توجب حصر الصوت من غير مواضعها أما العين فينحصر الصوت عند مخرجه لكن لقربه من الحاء التى هى من المهموسة ينسل صوته قليلا فكأنك وقفت على الحاء وأما اللام فمخرجها أعنى طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه من الحنك عند النطق به فلا يجرى منه صوت لكن لما لم يسد طريق الصوت بالكلية كالدال بل انحرف طرف اللسان عند النطق به خرج الصوت عند النطق به من متشدق اللسان فويق مخرجه وأما الميم والنون فإن الصوت لا يخرج عن موضعهما من الفم لكن لما كان لهما مخرجان فى الفم والخيشوم جرى الصوت من الأنف دون الفم لأنك لو أمسكت أنفك لم يجر الصوت بهما .

وأما الراء فلم يجر الصوت فى ابتداء النطق به لكنه جرى شيئًا لانحرافه وميله إلى اللام كما قلنا فى العين المائل إلى الحاء وأيضا والراء مكرَّر فإذا تكرر جرى الصوت معه فى أثناء التكرير . وكذلك حروف العلة لا يجرى الصوت معها كثيرا لكن لما كان [كانت] مخارجها تتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرها من المهجورة كان الصوت معها يكثر فيجرى منه شيء واتساع مخرج الألف لهواء صوته أكثر من اتساع مخرجى الواو والياء لهواء صوتهما فلذلك سمى الهاوى أى ذا الهواء كالناشب والنابل وانما كان الاتساع للألف أكثر لأنك تضم شفتيك للواو فتضيق المخرج وترفع لسانك قبل الحنك للياء وأما الألف فلا يعمل له شيء من هذا فأوسعهن مخرجا الألف ثم الياء ثم الواو فهذه الحروف أخفى الحروف لاتساع مخارجها وأخفاهن الألف لسعة مخرجها أكثر .

اعلم أن الفرق بين الشديدة والمجهورة أن الشديدة لا يجرى الصوت بها بل إنك تسمع به فى آن ثم ينقطع والمجهورة لا اعتبار فيها لعدم جرى الصوت بل الاعتبار فيها

لعدم جرى النفس عند التصويت بها هذا كله ما ذهب اليه ابن الحاجب واختاره الرضى وبعضهم أخرج من المجهورة الأحرف السبعة التى هى من الرخوة أى الضاد والطاء والذال والزاء [و الزاى] والعين والغين والياء فيبقى فيها الحروف الشديدة وأربعة أحرف مما بينهما وهى اللام والميم والواو والنون فيكون مجموع المجهورة عنده اثنى عشر حرفا وهى حروف ولمن أجدك قطبت وهذا القائل ظن أن الرخاوة تنافى الجهر وليس بشيىء لأن الرخاوة أن يجرى الصوت بالحرف والجهر رفع الصوت بالحرف سواء جرى الصوت أو لم يجر .

الحادى عشر إلى المطبقة والمنفتحة فالمطبقة ما ينطبق معه الحنك على اللسان لأنك ترفع اللسان إليه فيصير الحنك كالطبق على اللسان فتكون الحروف التى يخرج بينهما مطبقا عليهما وهى الصاد والضاد والطاء والظاء . وأما ما قال ابن الحاجب من أنها ما ينطبق على مخرجه الحنك فليس بمطرد لأن مخرج الضاد حافة اللسان وحافته ينطبق عليها الأضراس وباقى اللسان ينطبق عليه الحنك . قال سيبويه لولا الإطباق فى الصاد لكان سينا وفى الظاء لكان ذالا وفى الطاء لكان دالا ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيىء من الحروف فى موضعها غيرها والمنفتحة بخلافها لأنه ينفتح ما بين اللسان والحنك عند النطق بها وهى ما سوى الحروف الأربعة المطبقة .

الثانى عشر إلى المستعلية والمنخفضة فالمستعلية ما يرتفع بسببها اللسان وهى الحروف الأربعة المطبقة والخاء والغين المعجمتان والقاف لأنه يرتفع بهذه الثلاثة أيضا اللسان لكن لا إلى حد انطباق الحنك عليها والمنخفضة ما ينخفض معه اللسان ولا يرتفع وهى ما عدا المستعلية . وبالجملة فالمستعلية أعم من المطبقة إذ لا يلزم من الاستعلاء الإطباق ويلزم من الإطباق الاستعلاء ولذا يسمى الأحرف الأربعة المطبقة مستعلية مطبقة .

الثالث عشر إلى حروف الذلاقة والمصمتة فحروف الذلاقة ما لا ينفك عنه رباعى أو خماسى إلا شاذا كالعسجد والدهدقة والزهزقة والعسطوس وهى الميم والراء المهملة والباء الموحدة والنون والفاء واللام والمصمتة بخلافها وهى حروف ينفك عنها رباعى وخماسى وهى ما سوى حروف الذلاقة والذلاقة الفصاحة والخفة فى الكلام وهذه الحروف أخف الحروف ولذا لا ينفك عنها رباعى وخماسى فسميت بها والشىء المصمت هو الذى لا جوف له فيكون ثقيلا فسميت بذلك لثقلها على اللسان .

الرابع عشر إلى حروف القلقلة وغيرها فحروف القلقة ما ينضم إلى الشدة فيها ضغط فى الوقف وذلك لاتفاق كونها شديدة مجهورة معا فالجهر يمنع النَّفَس أن يجرى معها والشدة تمنع الصوت أن يجرى معها فلذلك يحصل ما يحصل من الضغط للمتكلم عند النطق بها ساكنة فيحتاج إلى قلقلة اللسان وتحريكه عن موضع حتى يجرى صوتها فيسمع وهى القاف والدال المهملة والطاء المهملة والباء الموحدة والجيم . وقال المبرد ليس القاف منها بل الكاف وغيرها ما سواها .

الخامس عشر إلى حروف الصفيرة وغيرها فحروف الصفيرة ما يصفر بها أى يصوت بها وهى الزاء [الزاى] المعجمة والصاد والسين المهملتان سميت بها لوجود الصفير عند النطق بها وغيرها غيرها .

السادس عشر إلى حروف العلة وغيرها فحروف العلة الألف والواو والياء سميت بها لكثرة دورانها على لسان العليل فإنه يقول واى وغيرها غيرها وحروف العلة تسمى بالحروف الجوفية أيضا لخروجها من الجوف ثم إن حروف العلة إذا سكنت تسمى حروف لين ثم إذا جانسها حركة ما قبلها فتسمى حروف مد فكل حرف مد لين ولا ينعكس والألف حرف مد أبدا والواو والياء تارة حرفا مد وتارة حرفا لين هكذا ذكر فى بعض شروح المفصل . وكثيرا ما يطلقون على هذه الحروف حرف المد واللين مطلقا فهو إما محمول على هذا التفصيل أو تسمية الشىء باسم ما يئول إليه هكذا فى جاربردى شرح الشافية فى بحث التقاء الساكنين .

وقيل بتباين المد واللين وعدم صدق أحدهما على الآخر لكن من المحققين من جعل بينهما عموما وخصوصا مطلقا كذا فى تيسير القارى .

السابع عشر إلى حروف اللين والمد وغيرها وقد عرفت قبيل هذا .

الثامن عشر إلى الأصلية والزائدة فالأصلية ما ثبت فى تصاريف اللفظ كبقاء حروف الضرب فى متصرفاته والزائدة ما

سقط فى بعضهــا كــواو قعـود فى قعــد ثم إذا أريــد تعليم المتعلمين فالطريق أن يقال إذا وزن اللفظ فمـا كان من حروفه فى مقابلة الفاء والعين واللام الأولى والثانية والثالثة فهو أصلى وما ليـس كذلك فهـو زائد وليس المراد من الـزائد ههنا مـا لو حـذف لـدل الكلمة علـى ما دلت عليـه وهـو فيهـا فإن ألف ضارب زائدة لـو حذفت لم يدل الباقى على اسم الفـاعل كذا فى جاربردى حاشية الشافية .

وحروف الـزيادة حروف اليـوم تنساه أعنى أنـه إذا وجد فى الكلمة زائد لا يكون إلا من تلك الحروف لا من غيرها ولمعرفة الـزائد من الأصلى طـرق كالاشتقـاق وعـدم النظيـر وغيرهمـا يطلب من الشافية وشروحه فى بحث ذى الزيادة .

والحـروف فى اصطلاح الصـوفيـة الصـورة المعلوميـة فى عرصـة العلم الإلٰهى قبل انصباغهـا بالـوجود العينى كـذا قال الشيخ الكبير صدر الدين فـى النفحات وفى الإنسان الكامل فى باب أم الكتـاب : أما الحـروف فالمنقـوطة منهـا عبارة عن الأعيان الثـابتة فى العلم الإلهى والمهملـة منها نوعـان مهملة تتعلق بهـا الحــروف ولا تتعلق هى بهـا وهـى خمسـة الألف والدال والراء والواو واللام فالألف إشارة إلى مقتضيات كمالاته وهى خمسة الذات والحيـاة والعلم والقدرة والإرادة إذ لا سبيل إلى وجود هذه الأربعة إلا للذات فلا سبيل إلى كمالات الذات إلا بها ومهملـة تتعلق بها الحروف وتتعلق هى بهـا وهى تسعة فالإشارة بهـا إلى الإنسان الكامل لجمعه بيـن الخمسة الإلٰهية والأربعة الخلقية وهى العناصر الأربعة مع ما تولد منها فكانت أحرف الإنســان الكامل غير منقوطـة لأنه خلقها على صـورته ولكن تميـزت الحقائق المطلقة الإلٰهيـة عن الحقـائق المقيدة الإنسـانية لاستنـاد الإنسان إلى مـوجد يـوجده ولمـا كان هـو الموجد فإن حكمه أن يستند إلى غيره ولذا كانت حروفه متعلقة بالحروف وتتعلق الحروف بها . ولما كان حكم واجب الوجود أنه قائم بذاته غير محتاج فى وجوده إلى غيره مع احتياج الكل إليه كانت الحروف المشيرة إلى هذا المعنى من الكتاب مهملة تتعلق بها الحـروف ولا تتعلق هى الحروف منهـا ولا يقـال إن لام ألف حـرفـان فإن الحديـث النبوى قـد صـرح بأن لام ألف حرف واحد فافهم .

(قالت المـؤلفة : انظـر ما سبق أن أوردنـاه من القول بأن هذا الحديث موضوع) .

واعلم أن الحـروف ليست كلمـات لأن الأعيان الثـابتـة لا تـدخل تحت كلمة كن إلا عنـد الإيجاد العينى وأمـا هى ففى أوجهها وتعيينهـا العلمى فلا يدخل عليهـا اسم التكوين فهى حق لا خلق لأن الخلق عبــارة عمــا دخل تحت كلمــة كن وليست الأعيان فى العلم بهذا الوصف لكنها ملحقة بالحدوث إلحاقا حكميا لما تقتضيه ذواتها من استناد وجود الحادث فى نفسـه إلى قديم فـالأعيان المـوجـودة المعبر عنهـا بالحـروف ملحقة فى العالم العلمى بالعلم الـذى هو ملحق بالعالم فهى بهذا الاعتبار الثانى قديمة انتهى كلامه .

والحـرف فى اصطـلاح النحـاة كلمـة دلت على معنى فى غيـره ويسمى بحــرف المعنى أيضـا وبـالأداة أيضــا يسميـه المنطقيون بالأداة ومعنى قولهم على معنى فى غيره على معنى ثابت فى لفظ غيره فإن الـلام فى قولنا الرجل مثـلا يدل بنفسه على التعريف الذى هو فى الرجل وهل فى قـولنا قام زيد يدل بنفسه على الاستفهام الذى هو فى جملة قام زيد وقيل المعنى على معنى حاصل فى غيـره أى باعتبار متعلقه لا بـاعتباره فى نفسه وهذا هو التحقيق ثم الحروف بعضهـا عاملة جارة كانت أو جازمة أو نـاصبة صرفة كأن وأخواتها أو مع الـرفع كالحروف المشبهـة بـالفعل وهى إن وأن وكأن وليت ولعل ولكـن فإنهـا تنصب الاسـم وتـرفع الخبــر على عكس « مــا » و « لا » المشبهتين بليس وبعضها غيـر عاملة كحروف العطف كـالواو وأو وبل ونحوها مما يحصل به العطف وحروف الزيادة التى لا يختل بتـركهـا أصل المعنى كإنْ المكسـورة المخففـة وتسمى بحروف الصلة وحروف النفى الغير العاملة وحروف النداء التى يحصل بها النداء كـ « يا » وحروف الاستثناء وحروف الاستفهام وحروف الإيجاب كنعم وبلى وحـروف التنبيه كها وألا وحروف التحضيض كهـلاَّ ألا وحروف التفسيـر كأى وحـروف التنفيس كـالسين وسوف وحـرف التوقع كقـد وحرف الـردع أى الزجـر والمنع وهو كلا وغير ذلك (كشاف اصطلاحات الفنون ١ / ٣١٨ـ ٣٢٦) وسيأتى بيان كل منها فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وثمة تقسيم آخر للحروف هو ذلك الذى أورده ابن المظفر الرازى فى أحد فصول رسالته فى حروف العربية إذ يقول :

الحروف ثلاثة أنواع :

فكرية ، ولفظية ، وخطية .

فالحروف الفكرية ، هى صور روحانية فى أفكار النفوس، مصورة فى جوهرها قبل إخراجها ، معانيها : الألفاظ .

والحروف اللفظية ، هى : أصوات محمولة فى الهواء ، مدركة بطريق الأذنين بالقوة السامعة .

والحروف الخطية هى : نقوش خطت بالأقلام فى وجوه الألواح، وبطون الطوامير، مشركة بالقوة الناظرة ، بطريق العينين .

والحروف الخطية وضعت ليدل بها على الحروف اللفظية ، والحروف اللفظية وضعت ليدل بها على الحروف الفكرية التى هى الأصل .

والحروف اللفظية إنما هى أصوات تحدث فى الحلقوم والحنكين وفى اللسان والشفتين عند خروج النفس من الرئة ، بعد ترويحها الحرارة الغريزية التى فى القلب .

وهى ثمانية وعشرون فى العربية ، وتزيد وتنقص فى سائر اللغات .

(يعلق الدكتور العبيدى محقق الرسالة على ذلك فى هامش ٣ فيقول :

(إذا جعلنا الألف حرفا ، فإنها تكون تسعة وعشرين حرفا، ولذلك قال الخليل بن أحمد : « حروف العربية تسعة وعشرون حرفا ؟ منها خمسة وعشرون حرفا صحاح لها أحياز ومدارج وأربعة أحرف جوف : الواو والياء والألف اللينة والهمزة) .

ثم يعقد المؤلف فصلا يسوق فيه أبياتا من تأليفه مشتملة على ذكر بعض الحروف فيقول :

قد اتفقت لى أبيات مشتملة على ذكر بعض الحروف، فأردت أن لا أخلى عنها الكتاب .

وقد ذكر المؤلف عشر قطع نختار منها ما يلى :

القطعة الأولى : (من الطويل ، قافية المتواتر) :

زماني رماني بالنوى وأذاقني — سموما وأبكاني الدماء كما النصل

وأسقطني عن كل جمع ووصلة — كأني نون الجمع أو ألف الوصل

الثانية : (من الوافر ، قافية المتواتر) :

أرى ذا المال فى الدنيا مهيبا — وبعد الياء باء ليس نون

فإما مال عنه المال فانقط — فويق الباء وانظر ما يكون

السابعة : (من البسيط ، قافية المتراكب) :

الناس شتى وفى الأيام معتبر — من بين مختلف فوضى ومؤتلف

فنائم محرز للألف ماله — وقائم مفلس فى العرى كالألف

الثامنة : (من الطويل ، قافية المتدارك) :

ومن كان جهميا فزد بعد هائه — إذا شئت نونا ثم منه تجهّم

(يريد : صيره : جهنميا ، بزيادة النون على « جهميا »

فلا خير فى جهم بن صفوان عندنا — وجهم سيصلى النار نار جهنم

(رسالة فى حروف العربية / ٩٣ـ٩٦) .

انظر مادة « الجهمية » فى م ١٢ / ٤٢٥ ـ ٤٣١ من هذه الموسوعة .

ويحصى ابن الحاجب الحروف كما يلى : حروف الجر، الحروف المشبهة بالفعل، الحروف العاطفة ، حروف التنبيه ، حروف النداء، حروف الإيجاب، حروف الزيادة ، حروف التفسير، حروف المصدر، حروف التحضيض، حرف التوقع، حرفا الاستفهام ، حروف الشرط (الكافية / ٤٢٤ـ٤٢٨) .

(الكافية لابن الحاجب . مجموع مهمات المتون . ط مصطفى البابى الحلبى / ٤٢٢ ـ٤٢٨ ، وشرح اللمحة البدرية فى علم العربية لأبى حيان الأندلسى ـ ابن هشام الأنصارى ـ تحقيق وشرح وتعليق وتبويب د. صلاح رواى . الطبعة الثانية رقم الإيداع ١٨٨٤ ، ١ / ١٧٥ ـ ١٧٧ ، وملحة الإعراب لأبى القاسم الحريرى / ٣ ، وألفية الآثارى لزين الدين شعبان بن محمد القرشى الآثارى ـ حققه وقدم له د. زهير زاهد والأستاذ هلال ناجى / ٦٣ ، ولسان العرب لابن منظور ١ / ١٧ ـ ٢٠ ، والعرب والعربية ـ السيد عبد الرحمن السيد محمد العيدروسى / ١٣١ ـ ١٣٩ ،

وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٣١٨ ـ ٣٢٦، ورسالة فى حروف العربية لأحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازى ـ تحقيق د. رشيد عبد الرحمن العبيدى . مجلة معهد المخطوطات العربية . المجلد العشرون . الجزء الأول ربيع الآخر ١٣٩٤ هـ ـ مايو ١٩٧٤ م / ٩٣-٩٧) .

انظر الأدوات :

حروف الاستفهام :

حرفا الاستفهام : الهمزة وهل ، لهما صدر الكلام ، تقول: أزيد قائم ، وأقام زيد، وكذلك هل، والهمزة أعم تصرفا، تقول : أزيدا ضربت، وأتضرب زيدا ، وهو أخوك، وأزيد عندك أم عمرو، وأثم إذا ما وقع، وأفمن كان، وأوَمَن كان، دون هل .

(الكافية لابن الحاجب. مجموع مهمات الفنون ط مصطفى البابى الحلبى / ٤٢٧) .

الحروف (ألقابها) :

انظر : الحروف .

حروف الإيجاب :

حروف الإيجاب : نعم، وبلى، وإى، وأجل، وجير ، وإن، فنعم مقررة لما سبقها ، وبلى مختصة بإيجاب النفى، وإى: إثبات بعد الاستفهام، ويلزمها القسم، وأجل، وجير، وإن تصديق للمخبر.

(الكافية لابن الحاجب . مجموع مهمات المتون / ٤٢٦) .

حروف التحضيض:

حروف التحضيض : هلا، وألا ، ولولا، ولوما لها صدر الكلام ، ويلزم الفعل لفظا أو تقديرا.

(الكافية لابن الحاجب . مجموع مهمات المتون / ٤٢٣) .

الحروف (ترتيبها) :

انظر : ترتيب حروف التهجى .

حروف التفسير :

هما حرفان : أى ، وأن ، فأن مختصة بما فى معنى القول

(الكافية لابن الحاجب . مجموع مهمات المتون / ٤٢٧) .

حروف التنبيه :

هى ألا ، وأما ، وها .

(الكافية لابن الحاجب . مجموع مهمات المتون / ٤٢٦) .

حروف التهجى فى فواتح السور :

انظر : الحروف المقطعة فى أوائل السور.

حروف التوقع :

هو حرف واحد : قد ، وفى المضارع للتقليل .

(الكافية لابن الحاجب . مجموع مهمات المتون / ٤٢٧) .

حروف الجر :

قال ابن الحاجب :

حروف الجر ما وضع للإفضاء بفعل أو معناه إلى ما يليه ، وهى : من ، وإلى ، وحتى ، وفى ، والباء ، واللام ، ورب ، وواوها ، وواو القسم ، وباؤه ، وتاؤه ، وعن ، وعلى ، والكاف ، ومذ ، ومنذ ، وحاشا ، وعدا، وخلا .

فمن للابتداء والتبيين والتبعيض وزائدة فى غير الموجب خلافا للكوفيين والأخفش ، وقد كان من مطر وشبهة متأول . وإلى للانتهاء، وبمعنى مع قليلا، وحتى كذلك ، وبمعنى مع كثيرا ، وتختص بالظاهر خلافا للمبرد . وفى للظرفية ، وبمعنى على قليلا ، والباء للإلصاق ، والاستعانة ، والمصاحبة ، والمقابلة ، والتعدية ، والظرفية ، وزائدة فى الخبر فى الاستفهام ، والنفى قياسا ، وفى غيره سماعا ، مثل : بحسبك زيد ، وألقى بيده . واللام للاختصاص والتعليل وزائدة، وبمعنى عن مع القول، وبمعنى الواو فى القسم للتعجب . ورب للتقليل، ولها صدر الكلام مختصة بنكرة موصوفة على الأصح، وفعلها ماض محذوف غالبا ، وقد تدخل على مضمر مبهم مميز بنكرة منصوبة ، والضمير مفرد مذكر خلافا للكوفيين فى مطابقة التمييز، وتلحقها ما ، فتدخل على الجمل . وواوها تدخل على نكرة موصوفة . وواو القسم إنما تكون عند حذف الفعل لغير السؤال مختصة بالظاهر. والتاء مثلها مختصة باسم الله تعالى . والباء أعم منهما فى الجميع ويتلقى القسم باللام . وإن وحرف النفى ، ويحذف جوابه إذا اعترض ، أو تقدمه ما يدل عليه ، وعن للمجاوزة . وعلى للاستعلاء وقد يكونان اسمين بدخول من

عليهما . والكاف للتشبيه وزائدة ، وقد يكون اسما ، وتختص بالظاهر. ومذ، ومنذ للابتداء فى الزمان الماضى ، والظرفية فى الحاضر، نحو : ما رأيته مذ شهرنا ،ومنذ يومنا . وحاشا، وعدا وخلا للاستثناء (الكافية / ٤٢٣ ، ٤٢٤) .

وقد صيغت حروف الجر نظما فى كل من ألفية ابن مالك وملحة الإعراب، أما ألفية ابن مالك فقد جاء فيها ما يلى، مع ملاحظة أن الحرف (ص) يرمز إلى النص ، وأن الحرف (ش) يرمز إلى شرح ابن عقيل . قال الناظم :

(ص) هاك حروف الجر وهى من إلى
حتى خلا حاشا عدا فى عن على
مذ منذ رب اللام كى واو وتا
والكاف والبا ولعل ومتى

(ش) هذه الحروف العشرون كلها مختصة بالأسماء وهى تعمل فيها الجر وتقدم الكلام على خلا وحاشا وعدا فى الاستثناء وقل من ذكر (كى ولعل ومتى) فى حروف الجر فأما (كى) فتكون حرف جر فى موضعين : أحدهما إذا دخلت على ما الاستفهامية نحو « كيمه » أى لمه فما استفهامية مجرورة بكى وحذفت ألفها لدخول حرف الجر عليها وجىء بالهاء للسكت الثانى قولك جئت كى أكرم زيدا فأكرم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد كى وأن والفعل مقدران بمصدر مجرور بكى والتقدير جئت كى إكرام زيد أى لإكرام زيد وأما (لعل) فالجر بها لغة عقيل ومنه قوله

* لعل أبى المغوار منك قريب *

وقوله :

لعل الله فضلكم علينا
بشىء أن أمكم شريم

فأبى المغوار والاسم الكريم (الله) مبتدآن وقريب وفضلكم خبران و (لعل) حرف جر زائد دخل على المبتدأ فهو كالباء فى بحسبك درهم وقد روى على لغة هؤلاء فى لامها الأخيرة الكسر والفتح وروى أيضا حذف اللام الأولى فتقول «عل » بفتح اللام ، وكسرها وأما (متى) فالجر بها لغة هذيل، ومن كلامهم: أخرجها متى كمه، يريدون من كمه

ومنه قوله :

شربن بماء البحر ثم ترفعت
متى لجج خضر لهن نئيج

وسيأتى الكلام على بقية العشرين عند كلام المصنف عليها ولم يعد المصنف فى هذا الكتاب (لولا) من حروف الجر وذكرها فى غيره ، ومذهب سيبويه أنها من حروف الجر لكن لا تجر إلا المضمر، فتقول : لولاى، ولولاك، ولولاه، فالياء والكاف والهاء عند سيبويه مجرورات بلولا وزعم الأخفش أنها فى موضع رفع بالابتداء ووضع ضمير الجر موضع ضمير الرفع فلم تعمل (لولا) فيها شيئا كما لم تعمل فى الظاهر نحو : لولا زيد لأتيتك ، وزعم المبرد أن هذا الترتيب (فى طبعة المعاهد الأزهرية) « التركيب » أعنى لولاك ونحوه لم يرد من لسان العرب وهو محجوج بثبوت ذلك عنهم كقوله :

أتطمع فينا من أراق دماءنا
ولولاك لم يعرض لأحسابنا حسن

وقول الآخر :

وكم موطن لولاى طحت كما هوى
بأجرامه من قنة النيق منهوى

(ص) بالظاهر اخصص منذ مذ وحتى
والكاف والواو ورب والتا
واخصص بمذ ومنذ وقتا وبرب
منكرا والتاء لله ورب
وما رووا من نحو ربه فتى
نزر كذا كها ونحوه أتى

(ش) من حروف الجر ما لا يجر إلا الظاهر وهى هذه السبعة المذكورة فى البيت الأول فلا تقول منذه ولا مذه وكذا الباقى ولا تجر منذ ومذ من الأسماء الظاهرة الا أسماء الزمان فإن كان الزمان حاضرا كانت بمعنى (فى) نحو (ما رأيته منذ يومنا) أى فى يومنا و إن كان الزمان ماضيا كانت بمعنى (من) نحو « ما رأيته مذ يوم الجمعة » أى من يوم الجمعة وسيذكر المصنف هذا فى آخر الباب وهذا معنى قوله « واخصص بمذ

ومنذ وقتا » وأما (حتى) فسيأتى الكلام على مجرورها عند ذكر المصنف له وقد شذ جرها الضمير كقوله :

فـــلا والله لا يلفــى أنـــاس
فتـى حتَّــاك يــا ابـن أبى زيــاد

ولا يقاس على ذلك خلافا لبعضهم ، ولغة هذيل إبدال حائها عينا وقرأ ابن مسعود « فتربصوا به عتى حين » وأما الواو، فمختصة بالقسم وكذلك (التاء) ولا يجوز ذكر فعل القسم معهما فلا تقول : أقسم والله ولا أقسم تالله ، ولا تجر التاء إلا لفظ الله ، فتقول : تالله لأفعلن ، وقد سمع جرها لرب مضافا إلى الكعبة ، قالوا تربِّ الكعبة وهذا معنى قوله .

« والتاء لله ورب » وسمع أيضا : تالرحمن ، وذكر الخفَّاف في شرح الكتاب ، أنهم قالوا : تحياتك ، وهذا غريب ، ولا تجر (رب) إلا نكرة نحو : رب رجل عالم لقيت وهذا معنى قوله : وبرب منكرا، أى واخصص برب النكرة ، وقد شذ جرها ضمير الغيبة كقوله :

واه رأبت وشيكــا صــدع أعظمـــه
وربـــه عطبــا أنقـــذت من عطبـــه

كما شذ جر الكاف كقوله :

خلى الـــذنـــابـــات شمـــالا كثبــا
وأم أو عـــال كهـــا أو أقـــربـــا

وقوله :

ولا تـــرى بعـــلا ولا حـــلائلا
كـــه ولا كهـن إلا حـــاظـــلا

وهذا معنى قوله : وما رووا البيت أى والذى روى من جر (رب) المضمر نحو « ربه فتى » قليل وكذلك جر الكاف المضمر نحو « كها » .

(ص) بعض وبيـن وابتـــدئ فى الأمكنـــه
بمـن وقـــد تأتى لبـــدء الأزمنـــه
وزيـــد فـى نفى وشبهـــه فجـــر
نكـــرة كمـــا لبـــاغ مـن مفـــر

(ش) تجيء من للتبعيض ولبيان الجنس ولابتداء الغاية في غير الزمان كثيرا وفى الزمان قليلا وزائدة فمثالها للتبعيض قولك : أخذت من الدراهم ومنه قوله تعالى : ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله** ﴾ ومثالها لبيان الجنس قوله تعالى ﴿**فاجتنبوا الرجس من الأوثان** ﴾ ومثالها لابتداء الغاية فى المكان قوله تعالى ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى** ﴾ ومثالها لابتداء الغاية فى الزمان قوله تعالى ﴿ **لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه** ﴾ وقول الشاعر :

تخيـــرن مـن أزمـــان يـــوم حليمـــة
إلى اليـــوم قـــد جُـــرِّبن كل التجـــارب

ومثال الزائدة « ما جاءنى من أحد » ولا تزاد عند جمهور البصريين إلا بشرطين : أحدهما : أن يكون المجرور بها نكرة، الثانى : أن يسبقها نفى أو شبهه ، والمراد بشبه النفى : النهى ، نحو « لا تضرب من أحد » والاستفهام نحو « هل جاءك من أحد » ولا تزاد فى الإيجاب ، ولا يؤتى بها جارة لمعرفة فلا تقول : « جاءنى من زيد » خلافا للأخفش ، وجعل منه قوله تعالى ﴿ **يغفر لكم من ذنوبكم** ﴾ وأجاز الكوفيون زيادتها فى الإيجاب بشرط تنكير مجرورها ، ومنه عندهم قد كان من مطر أى قد « كان مطر » .

(ص) لـــلانتهـــا حتـى ولام وإلـى
ومـن وبـــاء يفهمـــان بـــدلا

(ش) تدل على انتهاء الغاية : إلى ، وحتى ، واللام ، والأصل من هذه الثلاثة إلى ، فلذلك تجر الآخر وغيره نحو «سرت البارحة إلى آخر الليل ، أو إلى نصفه ولا تجر (حتى) إلا ما كان آخرا أو متصلا بالآخر كقوله تعالى : ﴿ **سلام هى حتى مطلع الفجر** ﴾ ولا تجر غيرهما فلا تقول : « سرت البارحة حتى نصف الليل » واستعمال اللام للانتهاء قليل ومنه قوله تعالى : ﴿ **كل يجرى لأجل مسمى** ﴾ وتستعمل من والباء بمعنى بدل فمن استعمال من بمعنى بدل قوله عز وجل ﴿**أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة** ﴾ أى بدل الآخرة وقوله تعالى : ﴿ **ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون**﴾ أى بدلكم ، وقول الشاعر :

جـــــاريــــــة لم تــأكل المــــرقَّقـــا
ولــم تــــــذق من البقــــول الفُستُقـــا

أى بدل البقـول ومن استعمال الباء بمعنى بـدل ما ورد فى الحـديث « مـا يسرنى بهـا حمـر النعم » أى بـدلهـا . وقـول الشاعر:

فليت لى بهـم قـــــومـــا إذا ركبـــــوا
شنـــوا الإغــارة فــرســانــا وركبــانــا

أى بدلهم .

(ص) والـــــلام للملـك وشبهـــــه وفـى
تعــــديــــــة أيضـــــا وتعليـل قفـى
وزيـــــد والظــــرفيـــة أستبـن بيـــا
وفـى وقــــد يبينـــــان السببـــــا

(ش) تقدم أن الـلام تكون للانتهـاء وذكر هنا أنهـا تكون للملك ، نحو ﴿ لله ما فى السموات وما فى الأرض ﴾ والمال لـزيـد ، ولشبـه الملك ، نحـو الجل للفـرس والبـاب للـدار وللتعدية نحو وهبت لزيد مالا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فهب لى من لدنك وليا * يرثنى ويرث من آل يعقوب ﴾ وللتعليل ، نحو جئتك لإكرامك وقوله :

وإنـى لتعــــرونـى لـــــذكــــراك هـــزة
كمـــا انتفـض العصفـــور بللـــه القطـــر

وزائدة قياسا نحو لزيد ضربت ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إن كنتم للرؤيا تعبرون ﴾ وسماعا نحو : ضـربت لزيد ، وأشار بقولـه « والظرفية استبن إلى آخره » إلى معنى الباء وفى فـذكر أنهما اشتركا فى إفادة الظرفية والسببية فمثال الباء للظرفية قوله تعالى ﴿وإنكم لتمـرون عليهم مصبحين وبـالليل﴾ أى وفـى الليل ومثالها للسببية قـوله تعالى : ﴿ فبظلم من الـذين هادوا حـرمنـا عليهم طيبـات أحلت لهم وبصـدهم عن سبيل الله كثيرا﴾ ومثال فى للظـرفية قولك زيد فى المسجـد وهو الكثير فيها ومثـالها للسببيـة قولـه ﷺ: « دخلت امرأة النـار فى هرة حبستها فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض »

(ص) بـــالبـــا استعن وعـــدِّ عـــوِّض ألصق
ومثـل مـــع ومـــن وعـــن بهـــــــا انطق

(ش) تقدم أن الباء تكون للظرفيـة وللسببية وذكر هنا أنها تكون لـلاستعانـة نحو : كتبت بالقلـم ، وقطعت بالسكين ، وللتعديـة ، نحو ذهبت بزيـد ، ومنه قولـه تعالى ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ وللتعويض نحو اشتريت الفرس بألف درهم، ومنه قوله تعالى ﴿ أولئك الـذين اشتروا الحيـاة الدنيـا بالآخـرة ﴾ وللإلصـاق نحو : مـررت بزيد ، وبمعنـى مع ، نحو : بعتك الثوب بطـرازه ، أى مع طرازه ، أو بمعنى مـن كقوله : شـربن بماء البحر ، أى من ماء البحر ، أو بمعنى عن ، نحو ﴿ سأل سـائل بعـذاب ﴾ أى عن عـذاب ، وتكـون البـاء أيضـا للمصاحبة ، نحو ﴿ فسبح بحمد ربك ﴾ .

(ص) على لـــــلاستعـــــلا ومعنى فـى وعن
بعـن تجـــــاوزًا عنى مـن قـــــد فطـن
وقــــــد تجى مـــــوضـع بعـــــد وعلـى
كمـــا علـى مـــــوضـع عـن قـــد جعـــلا

(ش) تستعمل على للاستعـلاء كثيرا، نحـو ، زيد على السطح وبمعنى فى نحـو قوله تعـالى ﴿ ودخل المدينـة على حين غفلـة من أهلهـا ﴾ أى فى حين غفلـــة وتستعمل عن للمجاوزة كثيرا نحـو رميت السهم على القوس ، وبمعنى بعد نحو ، قوله تعالى ﴿ لتـركبن طبقـا عن طبق ﴾ أى بعد طبق وبمعنى على ، نحو قوله :

لاه ابـــن عمـــك لا أفضلـت فــى حســب
عنـى ولا أنـت ديــــــانـى فتخـــــــزونـى

أى لا أفضلت فـى حسب على ، كمـــا استعملـت على بمعنى عن فى قوله :

إذا رضيـت علـى بنــــــو قشيـــــــر
لعمــــــر الله أعجبنـى رضـــــاهــــــا

أى إذا رضيت عنى

(ص) شبــــه بكـــاف وبهـــا التعليل قـــد
يعنـى وزائدا لتــــــوكيـــــــد ورد

(ش) تأتى الكاف للتشبيـه كثيرا كقـولك زيد كـالأسد، وقد تأتى للتعليل كقوله تعالى ﴿ واذكروه كمـا هداكم ﴾ أى

لهدايته إياكم ، وتأتي زائدة للتوكيد ، وجعل منه قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ أي ليس مثله شيء ومما زيد فيه قول رؤبة

* لواحق الإقراب فيها كالمقق *

أي فيها المقق ، أي الطول وما حكاه الفراء أنه قيل لبعض العرب كيف تصنعون الأقط فقال كهين أي هينا .

(ص) واستعمل اسما وكذا عن وعلى
من أجل ذا عليهما من دخلا

(ش) استعملت الكاف اسما قليلا كقوله :

أتنتهون ولن ينهى ذوى شطط
كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

فالكاف اسم مرفوع على الفاعلية والعامل فيه ينهى والتقدير ولن ينهى ذوى شطط مثل الطعن واستعملت على وعن ، اسمين عند دخول من عليهما وتكون على ، بمعنى فوق ، وعن بمعنى جانب ومنه قوله :

غدت من عليه بعد ما تم ظمؤها
تصل وعن قيض بزيزاء مجهل

أي غدت من فوقه وقوله :

ولقد أراني للرماح دريئة
من عن يميني تارة وأمامي

أي من جانب يميني (ص)

ومذ ومنذ اسمان حيث رفعا
أو أوليا الفعل كجئت مذ دعا
وإن يجرا في مضى فكمن
هما وفي الحضور معنى استبن

(ش) تستعمل مذ ومنذ اسمين إذا وقع بعدهما الاسم مرفوعا أو وقع بعدهما فعل فمثال الأول ما رأيته مذ يوم الجمعة أو مذ شهرنا فمذ مبتدأ خبره ما بعده وكذلك منذ وجوز بعضهم أن يكونا خبرين لما بعدهما ومثال الثاني جئت مذ دعا فمذ اسم منصوب المحل على الظرفية والعامل فيه جئت وإن وقع ما بعدهما مجرورا فهما حرفا جر بمعنى من إن كان المجرور ماضيا نحو « ما رأيته مذ يوم الجمعة » أي من يوم الجمعة وبمعنى في إن كان حاضرا نحو ما رأيته مذ يومنا أي في يومنا

(ص) وبعد من وعن وباء زيد ما
فلم يعق عن عمل قد علما

(ش) تزاد ما بعد من ، وعن ، والباء ، فلا تكفها عن العمل كقوله تعالى : ﴿ مما خطاياهم أغرقوا ﴾ [قراءة] وقوله تعالى ﴿ عما قليل ليصبحن نادمين ﴾ وقوله تعالى ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ﴾ .

(ص) وزيد بعد رب والكاف فكف
وقد يليهما وجر لم يكف

(ش) تزاد « ما » بعد الكاف ورب فتكفهما عن العمل ، كقوله :

فإن الحُمُرَ من شر المطايا
كما الحبطات شر بني تميم

وقوله :

ربما الجامل المؤبل فيهم
وعناجيج بينهن المهار

وقد تزاد بعدهما فلا تكفهما عن العمل وهو قليل كقوله :

ماوي يا ربتما غارة
شعواء كاللذعة بالميسم

وقوله :

وننصر مولانا ونعلم أنه
كما الناس مجروم عليه وجارم

(ص) وحذفت رب فجرّت بعد بل
والفا وبعد الواو شاع ذا العمل

(ش) لا يجوز حذف حرف الجر وإبقاء عمله إلا في رُب ، بعد الواو فيما سنذكره وقد ورد حذفها بعد الفاء ، وبل ، قليلا فمثاله بعد « الواو » قوله :

* وقاتم الأعماق خاوي المخترقن *

ومثاله بعد « الفاء » :

فمثلك حُبلى قد طرقت ومرضع
فألهيتها عن ذي تمائم محول

ومثاله بعد « بل » قوله :

بـل بلـــــد ملء الفجـــــاج قتمــــــه

لا يشتـــــرى كتــــانـــــه وجهـــــرمــــه

والشائع من ذلك حذفها بعد الواو ، وقد شذ الجر برب محذوفة من غير أن يتقدمها شيء كقوله :

رســم دار وقفــت فــى طللــــــــــــــه

كــــــدت أقضى الحيـــــاة من جللـــــه

(ص) وقـــد يجـــر بســوى رب لــــدى

حـــــذف وبعضــــه يـــــرى مطــــردا

(ش) الجر بغير رب محذوفا على قسمين : مطرد وغير مطرد فغير المطرد كقول رؤبة لمن قال له كيف أصبحت ؟ «خير والحمد لله » التقدير على خير، وقول الشاعر:

إذا قيـل أى النـــــاس شـــــــر قبيلــــة

أشـــــارت كليـب بــــالأكـف الأصـــابـع

أى أشارت إلى كليب وقوله :

وكـــــــريمـــــــة من آل قيس ألفتـــــه

حتـى تبـــــذخ فــــــارتقى الأعــــــلام

أى فارتقى إلى الأعلام والمطرد كقوله بكم درهم اشتريت هذا فدرهم مجرور بمن محذوفة عند سيبويه والخليل وبالإضافة عند الزجاج فعلى مذهب سيبويه والخليل يكون الجار قد حذف وأبقى عمله وهذا مطرد عندهما فى مميز «كم» الاستفهامية إذا دخل عليها حرف الجر (شرح ابن عقيل / ٩٧ـ ١٠٠) .

ومن النظم أيضا ما ورد فى ملحة الإعراب حيث يقول الحريرى عن حروف الجر:

والجــــر فـى الاسم الصحيح المنصـــرف

بأحــــــرف هن إذا مـــــا قيـل صِف

مــــن وإلــــى وفــــى وحتــــى وعلــــى

وعـن ومنـــذ ثـم حـــاشــــا وخــــلا

والبـــــاء والكــــاف إذا مــــا زيــــدا

والـــــلام فــــاحفظهــــا تكـن رشيـــــدا

ورُب أيضـــا ثُـم مُـــذ فيمـــا حضـــر

من الـــزمـــان دون مـــا منـــه غبـــر

تقـــول مــــا رأيتـــه مـــذ يـــومنـــا

ورُب عبــــــد كيس مــــــرَّ بنــــــا

ورُب تـأتـى أبــــــــدا مصـــــدَّره

ولا يليهـــــــا الاسـم إلا نكـــــــره

وتــــــارة تضمـــــر بعــــد الـــواو

كقـــــــولهـم وراكـب بجــــــاوى

(ملحة الإعراب / ١٠ ، ١١) .

(الكافية لابن الحاجب . مجموع مهمات المتون / ٤٢٣ ، ٤٢٤، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ط أمين عبد المجيد محمد الديدى / ٩٧ ـ ١٠١ ، وط الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية / ١٨٧ ـ ١٩٥، وملحة الإعراب لأبى القاسم الحريرى / ١٠، ١١ .

انظر أيضا تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ـ حققه وقدم له محمد كامل بركات / ١٤٤ـ ١٤٩) .

الحروف الزائدة فى رسم المصحف :

إن ما يزاد من حروف الهجاء فى رسم المصاحف ثلاثة : الألف، والياء ، والواو .

ولا بد لزيادة هذه الحروف من علامة تدل على أنها ساقطة خطا ولفظا (وعند بعض المشارقة هكذا × وهو ضعيف) . والصحيح المعمول به أنها دارة صغيرة توضع فوق الحرف المزيد منفصلة عنه على الصحيح هكذا ﴿لأاْذبحنه﴾ (وقيل متصلة به) .

الألف : أما الألف التى تحتاج إلى علامة تدل على زيادتها فقد وقعت فى عشرة أنواع :

وتنحصر فى ثلاثة أشياء :

الأول ـ إذا جاورت الألف همزة مفتوحة أو مكسورة سواء وقعت قبل الهمزة أم بعدها ـ وهو ثلاثة أنواع :

(١) إذا وقعت بعد همزة مفتوحة معانقة للام على

الراجح ــ وذلك فى ﴿ لأا ْذبحنه ﴾ بالنمل [٢١] اتفاقا ﴿ولأاوْضعوا خلالكم ﴾ بالتوبة [٤٧] عند الأكثرين ﴿لأأتوها﴾ بالأحزاب [١٤] ﴿ لأا ْنتم ﴾ بالحشر [١٦] على بعض الأقوال فيهما .

(٢) إذا وقعت الألف قبل همزة مكسورة معانقة لـلام ـ وذلك فى ﴿ لإا ْلى الله ﴾ بآل عمران ﴿ لإا ْلى الجحيم ﴾ بالصافات .

(٣) إذا وقعت الألف قبل همزة مفتوحة وقبل الألف كسرة وذلك فى (ما ْئة ـ وما ْئتين وثلثما ْئة) .

الثانى ـ إذا وقع بعد الألف ياء وهو نوعان :

(١) أن تقع بعد الألف ياء متولدة من كسرة قبل الألف وذلك فى ﴿ وجا ْىء بالنبيين ﴾ [الزمر : ٦٩] ﴿ وجا ْىء يومئذ بجهنم ﴾ [الفجر : ٢٣] .

(٢) أن تقع بعد الألف ياء ساكنة وقبل الألف فتحة وذلك فى ﴿ ولا تا ْيئسوا إنه لا يا ْيئس ﴾ بيوسف [٨٧] و ﴿ أفلم يا ْيئس الذين آمنوا ﴾ بالرعد [٣١] وكذا ﴿ فلما استا ْيئسوا منه ﴾ [يوسف : ٨٠] ﴿ حتى إذا استا ْيئس الرسل ﴾ فى يوسف [١١٠] على القول بإثبات الألف فيهما (والعمل فيهما عندنا على حذف الألف) ﴿ ولا تقولن لشا ْىء ﴾ بالكهف .

الثالث ـ إذا وقعت الألف بعد واو متطرفة وهو خمسة أنواع :

(١) أن تقع تقع الألف بعد واو الجمع نحو ﴿ قالوا ْ ﴾ .

(٢) أن تقع الألف بعد واو الفرد نحو ﴿ إنما أدعوا ْ ربى ﴾ [الجن : ٢١] .

(٣) أن تقع الألف بعد واو وقعت صورة للهمزة على غير قياس وذلك فى (تفتؤا ْ) ، و (جزؤا ْ) وبابهما .

(٤) أن تقع الألف بعد واو وقعت عوضا عن ألف متطرفة نحو ﴿ الربوا ْ ﴾ (ومثله من ربا على القول بكتابته بالواو شاذا)

(٥) أن تقع الألف بعد واو وقعت صورة للهمزة على القياس وذلك فى ﴿ إن امرؤا ْ ﴾ ومثله ﴿ لؤلؤا ْ ﴾ مرفوعا ومجرورا عند من زادها .

وقد اختلف فى احتياج ما بقى من أنواع زيادة الألف إلى هذه العلامة . وهو أربعة أنواع :

الأول : « لأهب » على قراءة الياء .

الثانى : « ابن » .

الثالث : « إذا » و « لنسفعا » و « ليكونا » .

الرابع : لكنا وأنا والظنونا والرسولا والسبيلا .

والعمل على تجريد الأنواع الثلاثة الأول من العلامة ووضع دارة صغيرة مستطيلة هكذا (٥) على النوع الرابع بشرط ألا يقع بعد الألف ساكن ، فإن وقع بعدها ساكن أهملت مطلقا نحو ﴿ أنا النذير ﴾ [الحجر : ٨٩] (السبيل / ٤٧ ، ٤٨)

ويفرد الإمام أبو عمرو الدانى بابا فى نقط ما زيدت الألف فى رسمه ـ وقد ذكر بعضا مما سبقت الإشارة إليه ـ يقول فيه :

اعلم أن كتّاب المصاحف زادوا الألف فى الرسم بإجماع منهم فى أصل مطرد ، وخمسة أحرف مفترقة . فأما الأصل المطرد فهو ما جاء من لفظ « مائة » و « مائتين » [الأنفال : ٦٥ ، ٦٦] وأما الخمسة الأحرف فأولها فى [التوبة : ٤٧] : ﴿ ولأاوضعوا خلالكم ﴾ وكذا فى [النمل : ٢١] : ﴿ أو لأاذبحنه ﴾ وفى [يوسف : ٨٧] : ﴿ ولا تايئسوا من روح الله إنه لا يايئس من روح الله ﴾ وفى [الرعد : ٣١] : ﴿ أفلم يايئس الذين آمنوا ﴾ .

وحكى محمد بن عيسى الأصبهانى أن فى المصاحف كلها ﴿ ولا تقولن لشاىء ﴾ فى [الكهف : ٢٣] بألف بين الشين والياء . قال : وكذلك ذلك فى مصاحف عبد الله فى كل القرآن .

وفى مصاحف أهل بلدنا القديمة المتبع فى رسمها مصاحف أهل المدينة ﴿ وجاىء بالنبيين ﴾ فى [الزمر : ٦٩] و ﴿ جاىء يومئذ بجهنم ﴾ فى [الفجر : ٢٣] بألف زائدة بين الجيم والياء . وفيها أيضا فى [آل عمران : ١٥٨] : ﴿لإالى الله تحشرون ﴾ وفى [الصافات : ٦٨] : ﴿ لإالى الجحيم ﴾ بزيادة ألف . ولم أجد أنا ذلك كذلك مرسوما فى شىء من مصاحف أهل العراق القديمة .

فأما زيادتهم الألف في « مائة » فلأحد أمرين . إما للفرق بين « مائة » وبين « منه » ، ومن حيث اشتبهت صورتهما . ثم ألحقت التثنية بالواحد ، فزيدت فيها الألف ، لتأتيا معا على طريقة واحدة من الزيادة . وهو قول عامة النحويين . قال القتبي : زادوا الألف في « مائة » ليفصلوا بها بينها وبين « منه » ألا ترى أنك تقول : « أخذت مائة » و « أخذت منه » . فلو لم تكن الألف لالتبس على القارئ . وإما تقوية للهمزة ، من حيث كانت حرفا خفيا بعيد المخرج . فقووها بالألف، لتتحقق بذلك نبرتها . وخصت الألف بذلك معها من حيث كانت من مخرجها، وكانت الهمزة قد تصور بصورتها . وهذا القول عندي أوجه لأنهم قد زادوا الألف بيانا للهمزة وتقوية لها في كلم لا تشتبه صورهن بصور غيرهن . فزال بذلك معنى الفرق، وثبت معنى التقوية والبيان . لأنه مطرد في كل موضع .

فإذا نقط هذا الضرب جعلت الهمزة نقطة بالصفراء، وحركتها من فوقها نقطة بالحمراء، في الياء نفسها . وجعل على الألف دارة صغرى، علامة لزيادتها في الخط وسقوطها من اللفظ . سواء جعلت فرقا بين مشتبهين في الصورة ، أو تقوية وبيانا .

وقد غلط بعض أئمتنا في لفظ هذا الضرب غلطا فاحشا . فزعم أن الهمزة تقع فيه على الألف دون الياء، إذ الألف صورتها، من حيث كانت متحركة بالفتح ، والياء هي المزيدة وهذا ما لم يتقدمه إلى القول به أحد من الناس، ممن علم وممن جهل .

هذا مع علم هذا الرجل بأن الألف في ذلك زيدت للفرق، فكيف تكون مع ذلك صورة للهمزة، وبأن الهمز إنما ترسم صوره على حسب ما تؤول في التسهيل، دلالة على ذلك . والهمزة في ذلك إذا سهلت أبدلت ياء مفتوحة، لانكسار ما قبلها؛ فالياء صورتها، لا شك . ولا تجعل بين الهمزة والألف رأسا، لأن الألف لا يكون ما قبلها مكسورا . فكذلك لا يكون ما قرب بالتسهيل منها . وهذا قول جميع النحويين . والله يغفر له .

وأما زيادتهم الألف في ﴿ ولأاوضعوا ﴾ و ﴿ أو لأاذبحنه ﴾ فلمعان أربعة . هذا إذا كانت الزائدة فيهما المنفصلة عن اللام . وكانت الهمزة المتصلة باللام . وهو قول أصحاب المصاحف .

فأحدها أن تكون صورة لفتحة الهمزة، من حيث كانت الفتحة مأخوذة منها . فلذلك جعلت صورة لها ، ليدل على أنها مأخوذة من تلك الصورة، وأن الإعراب قد يكون بهما معا .

والثاني أن تكون الحركة نفسها . لا صورة لها . وذلك أن العرب لم تكن أصحاب شكل ونقط . فكانت تصور الحركات حروفا، لأن الإعراب قد يكون بها كما يكون بهن . فتصور الفتحة ألفا ، والكسرة ياء، والضمة واوا . فتدل هذه الأحرف الثلاثة على ما تدل عليه الحركات الثلاث، من الفتح والكسر والضم .

ومما يدل على أنهم لم يكونوا أصحاب شكل ونقط، وأنهم كانوا يفرقون بين المشتبهين في الصورة بزيادة الحروف، وإلحاقهم الواو في « عمرو » فرقا بينه وبين «عمر» وإلحاقهم إياها في « أولئك » فرقا بينه وبين « إليك » وفي « أولي » فرقا بينه وبين « إلى » . وإلحاقهم الياء في قوله تعالى : ﴿والسماء بنيناها بأييد ﴾ [الذاريات : ٤٧] فرقا بين « الأيد » الذي معناه القوة وبين « الأيدي » التي هي جمع « يد » . وإلحاقهم الألف في « مائة » فرقا بينه وبين « مِنْهُ » و « مِنَّةٌ » و « مَيَّة » من حيث اشتبهت صورة ذلك كله في الكتابة .

وحكى غير واحد من علماء العربية ، منهم أبو إسحاق إبراهيم بن السري وغيره، أن ذلك كان قبل الكتاب العربي . ثم ترك استعمال ذلك بعد، وبقيت منه أشياء لم تغير عما كانت عليه في الرسم قديما، وتركت على حالها . فما في مرسوم المصحف من نحو ﴿ ولأاوضعوا ﴾ [التوبة : ٤٧] هو منها .

والثالث أن تكون دليلا على إشباع فتحة الهمزة وتمطيطها في اللفظ، لخفاء الهمزة وبعد مخرجها، وفرقا بين ما يحقق من الحركات وبين ما يختلس منهن . وليس ذلك الإشباع

والتمطيط بالمؤكد للحروف، إذ ليس من مذهب أحد من أئمة القراءة. وإنما هو إتمام الصوت بالحركة لا غير.

والرابع أن تكون تقوية للهمزة وبيانا لها، ليتأدى بذلك معنى خفائها. والحرف الذى تقوى به قد يتقدمها، وقد يتأخر بعدها.

وإذا كانت الزائدة من إحدى الألفين المتصلة فى الرسم باللام، وكانت الهمزة المنفصلة عنها، وهو قول الفراء وأحمد ابن يحيى وغيرهما من النحاة، فزيادتها لمعنيين :-

أحدهما الدلالة على إشباع فتحة اللام وتمطيط اللفظ بها

والثانى تقوية للهمزة، وتأكيدا لبيانها بها. وإنما قويت بزيادة الحرف فى الكتابة، من حيث قويت بزيادة المد فى التلاوة، لخفائها وبعد مخرجها وخصت الألف بتقويتها وتأكيد بيانها، دون الياء والواو، من حيث كانت الألف أغلب على صورتها منهما، بدليل تصويرها، بأى حركة تحركت من فتح أو كسر أو ضم، بها دونهما، إذا كانت مبتدأة. هذا مع كونها من مخرجها. فوجب تخصيصها بذلك دون أختيها.

فإذا نقط ذلك على المذهب الذى تكون فيه الهمزة المختلطة باللام، وتكون الألف الزائدة المنفصلة عنها جعلت الهمزة نقطة بالصفراء فى الطرف الأول من طرفى اللام ألف، لأنه الألف التى هى صورة الهمزة. وجعلت حركتها نقطة بالحمراء فى رأس الألف الزائدة المنفصلة، إذا جعلت صورة لها (يعنى إذا جعلت صورة لحركة الهمزة).

وإذا جعلت الحركة نفسها (يعنى إذا جعلت الألف الزائدة الحركة نفسها، أى حركة الهمزة) لم تجعل النقطة عليها، ولا على الهمزة. وأعريتا معا منها، لأن الحرف لا يحرك بحركتين، إحداهما نقط والثانية خط.

وإذا جعلت بيانا للهمزة، أو علامة لإشباع فتحتها، جعلت النقطة الحمراء التى هى الحركة على الهمزة نفسها. وجعل على الألف دارة صغرى، علامة لزيادتها فى الخط وسقوطها من اللفظ، من حيث رسمت لمعنى يتأدى بصورتها فقط.

وصورة نقط ذلك على الأول كما ترى: ﴿ولأأوْضعوا﴾ ﴿أو لأاذبحنه﴾ وعلى الثانى: ﴿ولأاوضعوا﴾ ﴿أو لأاذبحنه﴾ وعلى الثالث والرابع: ﴿ولأ اوْضعوا﴾ ﴿أو لأاذبحنه﴾.

وإذا نقط ذلك على المذهب الذى تكون فيه الهمزة المنفصلة عن اللام. وتكون الألف الزائدة المختلطة بها، جعلت الهمزة نقطة بالصفراء، وحركتها عليها نقطة بالحمراء، على الألف المنفصلة. وجعل على الألف المختلطة باللام دارةٌ صغرى، علامةً لزيادتها. سواء جعلت تقوية للهمزة، أو علامة لإشباع حركتها. وصورة نقط ذلك كما ترى: ﴿ولا أوضعوا﴾ ﴿أو لا أذبحنه﴾.

وجاء ما يلى فى هامش (١) للمحقق:

وقع هاهنا خرم فى الأصل المخطوط مقداره عشر ورقات، وهى الكراسة الثامنة بأكملها من الأصل.

ويبدو أن هذا الخرم يشمل الأبواب الآتية:

١ - قسم من آخر (باب ذكر نقط ما زيدت الألف فى رسمه).

٢ - باب ذكر نقط ما زيدت الواو فى رسمه.

وقد أجمع كتاب المصاحف على زيادة واو بعد الهمزة فى قوله:

﴿أولئك﴾ و ﴿أولئكم﴾ و ﴿أولى﴾ و ﴿أولوا﴾ و ﴿أولت﴾ و﴿أولاء﴾ حيث وقع ذلك. وصرح أبو عمرو الدانى أنه وجد فى مصاحف أهل المدينة وسائر العراق ﴿سأوريكم دار الفاسقين﴾ فى [الأعراف: ١٤٢] و ﴿سأوريكم ءاياتى﴾ فى [الأنبياء: ٣٧] بواو بعد الألف. وذكر أيضًا أن هذه المصاحف قد اختلفت فى قوله تعالى: ﴿ولأصلبنكم﴾ فى [طه: ٧١]، و [الشعراء: ٤٩]، وأنه فى بعضها بإثبات واو بعد الهمزة، وفى بعضها بغير واو. (انظر فى ذلك كله المقنع ٥٦ - ٥٧).

٣ - باب ذكر نقط ما زيدت الياء فى رسمه

وقد زاد كتاب المصاحف الياء فى تسعة مواضع. فى قوله: ﴿أفأين مات أو قتل﴾ فى [آل عمران: ١٤٤]، وفى قوله تعالى: ﴿من نبأى المرسلين﴾ فى [الأنعام: ٣٤]، وفى قوله

تعالى: ﴿من تلقائى نفسى﴾ فى [يونس: ١٥] ، وفى قوله تعالى: ﴿وإيتائى ذى القربى﴾ فى [النحل: ٩٠]، وفى قوله تعالى: ﴿ومن ءانائى الليل﴾ فى [طه: ١٣٠]، وفى قوله تعالى: ﴿أفأين مت﴾ فى [الأنبياء: ٣٤]، وفى قوله تعالى: ﴿أو من ورائى حجاب﴾ فى [الشورى: ٥١]، وفى قوله تعالى: ﴿والسماء بنينها بأييد﴾ فى [الذاريات: ٤٧]، وفى قوله تعالى: ﴿بأييكم المفتون﴾ فى [القلم: ٦] .

وذكر أبو عمرو الدانى أن فى كتاب الغازى بن قيس ﴿بلقائى ربهم﴾ ﴿ولقائى الآخرة﴾ فى [الروم: ١٦] بالياء فى الحرفين. وصرح أيضًا أنه رأى فى مصاحف أهل المدينة وأهل العراق وغيرهما ﴿وملإيه﴾ ﴿وملإيهم﴾ فى جميع القرآن بالياء بعد الهمزة. (انظر فى ذلك كله المقنع ٥٠ ـ ٥٢).

٤ ـ قسم من أول (باب ذكر نقط ما نقص هجاؤه).

وقد ذكر المؤلف كيفية نقط أكثر هذه الحروف باختصار فى (باب ذكر أحكام نقط ما نقص هجاؤه) وفى (باب ذكر أحكام نقط ما زيد فى هجائه) من «كتاب النقط» (١٤٦ ـ ١٤٩) الذى ألحقه بكتاب «المقنع ») . (المحكم: ١٧٤ ـ ١٨٠).

الياء: أما الياء التى تحتاج إلى علامة تدل على زيادتها فقد وقعت فى ثلاثة أنواع:

أولاً: زيدت بعد همزة مكسورة لم يتقدمها ألف وذلك فى ﴿أفإين مات﴾ بآل عمران و ﴿أفإين مت﴾ بالأنبياء و﴿من نبإىء المرسلين﴾ بالأنعام وفى ملأ المجرور والمضاف إلى الضمير على الراجح .

ثانيا: زيدت بعد همزة مكسورة قبلها وذلك فى (تلقاءى) وأخواته كآناءى ـ ومثله اللاءى على القول بزيادة الياء فيه .

ثالثا: زيدت بعد ياء ساكنة وذلك فى ﴿تأييد﴾ فى الذاريات على ما هو المختار .

أما ﴿بأييكم المفتون﴾ فى سورة [ن] فضبطه أن تعرى الياء الأولى من العلامة مع تشديد الثانية للإدغام وهو الصحيح المعمول به .

الواو: وأما الواو التى تحتاج إلى علامة تدل على زيادتها فقد اتفق الرسام على أنها وقعت فى أربع كلمات مبدوءة بهمزة مضمومة وهى (أولو ـ وأولت ـ وأولى ـ وأولاء) كيف تصرفت وفى ﴿سأوريكم﴾ بالأعراف والأنبياء ﴿ولأوصلبنكم﴾ فى طه والشعراء على بعض الأقوال .

وكذا (هؤلاء) عند النحاة وصورته عندهم هكذا: (هؤلاء) لأن الواو عندهم زائدة مثلها فى (أولاء) و (أولى) وليس معمولا به عندنا) (السبيل / ٤٧ ـ ٤٩) .

أما عن الدارة التى سبقت الإشارة إليها، والتى تجعل على الحروف الزوائد والحروف المخففة، وأصلها ومعناها فيقول عنها الإمام أبو عمرو الدانى:

اعلم أن نُقاط سلف أهل المدينة وأهل بلدنا اصطلحوا على جعل دارة صغرى بالحمراء على الحروف الزوائد فى الخط، المعدومة فى اللفظ، وعلى الحروف المخففة باتفاق أو اختلاف، علامة لذلك، ودلالة على حقيقة النطق به .

فالحروف الزوائد نحو الألف فى قوله: ﴿مائة﴾ و ﴿مائتين﴾ [الأنفال: ٦٥ ، ٦٦] و ﴿لا تايئسوا﴾ [يوسف: ٨٧] و ﴿إنه لا يايئس﴾ [يوسف: ٨٧] و ﴿أفلم يايئس﴾ [الرعد: ٣١] وكذلك: ﴿تفتؤا﴾ [يوسف: ٨٥] و ﴿يعبؤا﴾ [الفرقان: ٧٧] و ﴿يبدؤا﴾ . وكذلك: ﴿لن ندعوا﴾ [الكهف: ١٤] و ﴿ليبلوا﴾ [محمد: ٤]، وكذلك: ﴿أنا ومن اتبعنى﴾ [يوسف: ١٠٨] و ﴿أنا ورسلى﴾ [المجادلة: ٢١] و ﴿أنا ربك﴾ [طه: ١٢] وشبهه . ونحو الياء فى قوله: ﴿من نبإى المرسلين﴾ [الأنعام: ٣٤] و ﴿أفأين مت﴾ [الأنبياء: ٣٤] و ﴿أفأين مات﴾ [آل عمران: ١٤٤] و ﴿ملإيه﴾ [الأعراف: ١٠٢] و [يونس: ٧٥] و ﴿ملإيهم﴾ [يونس: ٨٣] وشبهه، على مذهب من جعل الألف قبلها هى الهمزة .

ونحو الواو فى قوله: ﴿أولئك﴾ و ﴿أولى﴾ و ﴿أولوا﴾ و ﴿أولت﴾ [الطلاق: ٤ ، ٦] وشبهه .

والحروف المخففة باتفاق نحو قوله: ﴿العادون﴾ [المؤمنون: ٧] و ﴿من العالين﴾ [ص: ٧٥] و ﴿وصدق المرسلون﴾ [يس: ٥٢] و ﴿قطعنا دابر﴾ [الأعراف: ٧٢] و ﴿ترى الذين كذبوا﴾ [الزمر: ٦٠] و ﴿ربت﴾ [الحج: ٥]

و[فصلت: ٣٩] و ﴿مكروا﴾ [آل عمران: ٥٤] و ﴿مكرنا﴾ [النمل: ٥٠] و ﴿من ثلثى الليل﴾ [المزمل: ٢٠] و ﴿يا صاحبى السجن﴾ [يوسف: ٣٩، ٤١] و ﴿تعيها﴾ [الحاقة: ١٢] و ﴿حملناه﴾ [القمر: ١٣] و ﴿حملت الأرض﴾ [الحاقة: ١٤] وشبهه .

والمخففة باختلاف نحو: ﴿وخرقوا له﴾ [الأنعام: ١٠٠] (وقد قرأ نافع «وخرّقوا» بتشديد الراء، والباقون بتخفيفها) و﴿أمن هو قانت﴾ [الزمر: ٩] (وقد قرأ الحرميان وحمزة «أمن هو» بتخفيف الميم والباقون بتشديدها) .

و﴿ما كذب الفؤاد﴾ [النجم: ١١] . (وقد قرأ هشام «ما كذّب الفؤاد» بتشديد الذال، والباقون بتخفيفها) و ﴿فقدّرنا﴾ [المرسلات: ٢٣] (وقد قرأ نافع والكسائى «فقدَّرنا» بتشديد الدال، والباقون بتخفيفها، و ﴿عرَّف بعضه﴾ [التحريم: ٣] (وقد قرأ الكسائى «عَرَف بعضه» بتخفيف الراء، والباقون بتشديدها) و ﴿فقَدر عليه﴾ [الفجر: ١٦] (وقد قرأ أبو جعفر وابن عامر «فقدَّر» بتشديد الدال، والباقون بتخفيفها) و ﴿جمَع مالاً﴾ [الهُمزة: ٢] (وقد قرأ ابن عامر وحمزة والكسائى «جمَّع مالاً» بتشديد الميم، والباقون بتخفيفها) وشبهه .

وقد كان بعض شيوخنا من أهل النقط لا يجعلون الدارة إلا على الحروف الزوائد لا غير، لعدمها فى النطق. ولا يجعلونها على الحروف المخففة، من حيث كان عدمها من علامة التشديد دليلاً على تخفيفها. فلم تحتج لذلك [إلى] علامة أخرى. وهو مذهب حسن .

غير أنى بقول أهل المدينة أقول، وبما جرى عليه استعمالهم أنقُط. كما حدثنا أحمد بن عمر، قال نا محمد بن أحمد، قال نا عبد الله بن عيسى، قال نا قالون، قال: فى مصاحف أهل المدينة ما كان من حرف مخفف فعليه دارة حمرة .

***

قال أبو عمرو: وهذه الدارة التى تجعل على الحروف الزوائد، وعلى الحروف المخففة هى الصفر اللطيف الذى يجعله أهل الحساب على العدد المعدوم فى حساب الغبار، دلالة على عدمه، لعدم الحرف الزائد فى النطق، وعدم التشديد فى الحرف المخفف سواء. فمن الصفر أخذت الدارة، وهو أصلها .

وليس شيء من الرسم، ولا من النقط اصطلح عليه السلف، رضوان الله عليهم، إلا وقد حاولوا به وجهًا من الصحة والصواب، وقصدوا فيه طريقًا من اللغة والقياس، لموضعهم من العلم، ومكانهم من الفصاحة . علم ذلك من علمه، وجهله من جهله. والفضل بيد الله، يؤتيه من يشاء. والله ذو الفضل العظيم . (المحكم/ ١٩٣-١٩٦) .

أما ما جاء عن الحروف الزائدة فى رسم المصحف من نظم فقد أورد الإمام الخراز صاحب «مورد الظمآن» بابا فى الحروف الزائدة ننقله فيما يلى، مع ملاحظة أننا احتفظنا بأرقام الأبيات كما وردت فى النص :

باب الحروف الزائدة

٣٣٦ وهاك ما زيد ببعض أحرف — من واو أو من ياء أو من ألف

٣٣٧ فمائة ومائتين فارسمن — بألف للفرق مع لأاذبحن

٣٣٨ ومع لكنا لشيء وهما — فى الكهف وابن وأنا قل حيثما

٣٣٩ لا تايئسوا يايئس وقل عن بعضهم — فى استايئسوا استايئس أيضا قد رسم

٣٤٠ لأ اوضعوا وابن نجاح نقلاً — جيء لأانتم لأاتوها لاإلى

٣٤١ وجاء أيضًا لا إلى جائ معا — لدى العقيلة وكل نسفعا

٣٤٢ إذًا يكونا لأهب ونونا — لدى كأين رسموا التنوينا

٣٤٣ وزيد بعد فعل جمع كاعدلوا — واستعوا وواو كاشفوا ومرسلوا

٣٤٤ لكن من باءوا وتبوءو رووا — إسقاطها وبعد واو من سعو

٣٤٥ فى سبأ ومثلهــا إن فــاءوا
عتــوا عتــوًا وكــذاك جــاءو

٣٤٦ وبعــد واو الفــرد أيضًــا ثبتت
وبعــد أن يعفــو مع ذو حــذفت

٣٤٧ ولــؤلــؤًا منتصبــا يكــون
بألـف فيــه هــو التنــوين

٣٤٨ وزاد بعض فى ســوى ذا الشكـل
تقــويــة للهمــز أو للفصـل

فصل زيادة الياء

٣٤٩ فصل ويــاء زيــد من تلقــاىء
وقبـل ذى القــربى أتى إيتــاىء

٣٥٠ وقبل فى الأنعـام قـل من نبــاىء
ومــا خفضت من مضــاف مـــلإ

٣٥١ بـأييكـم أو مــن وراىء ثــم مـن
ءانــاىء مع حـرف بـأييـد أفــائن

٣٥٢ والغــاز فى الـروم معًـا لقــاىء
واليــــاء عـن كـلٍّ بلفظ الثنى

فصل زيادة الواو

٣٥٣ فصل وفى أولى أولـــوا أولات
واو وفى أولاء كيف يــــاتى

٣٥٤ وعن خــلاف سأوريكم دون ميْن
ولأصلبنكـم فى الآخــــريـن

(متن ورد الظمآن/ ٣٢ ، ٣٣).

وقال بعضهم :

القــول فيمــا زاد فى الهجــاء
مــن ألـف أو واو أو مــن يـــاء
فكـل مـا الألـف فيــه أدخـــلا
كقـــولـــه لا أذبحـن لإ الى
وشبهــه ممــا بقى فــالمتصل
بـالــلام صـورة وقيل المنفصل
وزيــد فى مــائة وجــائ
وتــايئســوا وشبهــه مجيئــا
وبعــد واو الفــرد ثم تفتــؤا
وبــابــه وفى الــربــوا وفى امــرؤا
وزيــد أيضًــا يــاء مـن آنــاءى
وبــابــه والــواو فى أولاء
وآخـــر اليـــاءين من بأييـــد
للفــرق بينــه وبين الأيـــدى
فــدارة تلــزم ذا المــزيــدا
من فــوقــه عــلامــة إن زيــدا
وشـــدد الثـــانى من بأييكم
وعَــرٍّ أولا لمــا قــد يــدغـم

(السبيل/ ٤٩).

(السبيل إلى ضبط كلمات التنزيل ــ فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد محمد أبى زيتحار / ٤٧ ـ ٤٩ ، والمحكم فى نقط المصاحف لأبى عمرو الدانى ــ عنى بتحقيقه د. عزة حسن/ ١٧٤ ـ ١٨٠ ، ١٩٣ ــ ١٩٦ ، وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص ، ومتن مورد الظمآن للإمام محمد بن محمد الأموى الشريشى الشهير بالخراز ـ حققه وضبطه وعلق عليه محمد الصادق قمحاوى/ ٣٢ ، ٣٣).

انظر : حذف الألفات فى رسم المصحف ، حذف اللام فى رسم المصحف ، حــذف الـواوات فى رسم المصحف ، حذف الياءات فى رسم المصحف .

الحروف (صفاتها)

مما يتصل بعلم التجويد والتلاوة معرفة صفات الحروف ، وعن هـذه الصفـات يقول الأستـاذ الـدكتـور/ شعبان محمد إسماعيل :

المخرج للحرف كالميزان تعرف به ماهيته وكميته ، والصفة كـالمحك والناقـد تعـرف بها هيئتـه وكيفيتـه ، فببيان مخـرج الحرف يعرف مقداره فلا يـزاد فيه ولا ينقص ، وإلا كان لحنًا ، وببيـان صفتـه تعـرف كيفيتـه عنـد النطق بـه من سليم الطبع كجرى الصوت وعدمه .

وتحقيق ذلك : أن الهواء الخارج من الرئة وهو موضع النفس، والقلب كالغشاء، إن خرج بدفع الطبع من غير أن يسمع يسمى «نَفَسًا» ـ بفتح الفاء ـ وإن خرج بالإرادة وعرض له تموج يسمع بسبب جسمين يسمى «صوتا» وإن عرض للصوت كيفيات مخصوصة بسبب اعتماده على مقطع أى مخرج محقق ، وهو الذى ينقطع فيه الصوت كجزء من الحلق، أو اللسان، أو الشفتين، أو الخيشوم، أو اعتماده على مخرج مقدر وهو الذى لم ينقطع فيه الصوت، بل قدروا له مخرجا هو الجوف والحلق والفم سمى ذلك الصوت «حروفا» .

وإن عرض للحروف كيفيات أخر بسبب جرى الصوت وعدمه ، أو قوة الاعتماد على المخرج وعدمها أو نحو ذلك سميت تلك الكيفيات «صفات» ثم إن النفس الخارج إن تكيف بكيفية الصوت ، وكان ذلك الصوت قويا كان الحرف مهموسًا ، وإذا انحصر صوت الحرف فى مخرجه انحصارًا تامًّا حتى لا يكون له جريان أصلا سمى الحرف شديدًا، فإذا وقفت على «حجج» ـ مثلا ـ وجدت صوتك محصورًا حتى لو أردت مد صوتك لا تستطيع إلى ذلك سبيلاً .

وأما إذا جرى جريانا تاما بحيث لا يكون له انحصار أصلاً فإن ذلك الحرف يسمى رخوًا ، كما لو وقفت على «العرش» فإنك تجد صوت الشين جاريًا تستطيع أن تمده حيث شئت .

فإن لم يكن الانحصار تاما، ولا الجرى كاملا فإن هذا الحرف يكون متوسطا بين الشدة والرخاوة، كما لو وقفت على « الظل » فإنك تجد أن صوتك لا ينحصر انحصاره فى الوقف على « حجج »، ولا يجرى جريه فى الوقف على « العرش » بل يكون معتدلا متوسطا وقس ما لم تذكره على ما ذكرناه .

فائدة معرفة الصفات :

لمعرفة صفات الحروف فوائد :

الأولى : تمييز الحروف المشتركة فى المخرج .

قال الإمام ابن الجزرى : « كل حرف شارك غيره فى المخرج فإنه لا يمتاز عنه إلا بالصفات، وكل حرف شارك غيره فى الصفات فإنه لا يمتاز عنه إلا بالمخرج ولولا ذلك لاتحدت أصوات الحروف فى السمع ، فكانت كأصوات البهائم لا تدل على معنى، ولما تميزت ذواتها .

وهذا معنى قول المازنى : « إذا همست وجهرت، وأطبقت وفتحت اختلفت أصوات الحروف التى من مخرج واحد » .

وقال الرمانى وغيره : لولا الإطباق لصارت الطاء دالا، لأنه ليس بينهما فرق إلا الإطباق، ولصارت الظاء ذالا، ولصارت الصاد سينا .

الفائدة الثانية : معرفة القوى من الضعيف، ليعلم ما يجوز إدغامه وما لا يجوز فإن ما له قوة ومزية على غيره لا يجوز إدغامه فى ذلك الغير، لئلا تذهب تلك المزية .

الفائدة الثالثة : تحسين لفظ الحروف المختلفة المخارج .

فقد اتضح لك بهذا أن فائدة معرفة الصفات التمييز والتحسين ومعرفة القوة والضعف .

معنى الصفة :

والصفة فى اللغة ما يقوم بغيره كالعلم والجهل، والفرح والحزن ، والصبر والجزع . وما إلى ذلك من الصفات التى تقوم بالإنسان . وكالسواد والبياض، والزرقة والاصفرار، إلى غير ذلك من الصفات التى تقوم بالإنسان وغيره، فلا فرق فى الصفة بين أن تكون معنوية أو حسية .

وفى الاصطلاح : كيفية يوصف بها الحرف عند حلوله فى مخرجه وتوجب مراعاتها تحسين النطق بالحرف : كالهمس، والجهر، والاستعلاء والاستفال. إلى غير ذلك .

وبهذه الصفات تتميز الحروف المشتركة فى المخرج بعضها من بعض .

تقسيم الصفات :

تنقسم الصفات باعتبار اللزوم والعروض إلى قسمين :

القسم الأول ـ الصفات الذاتية اللازمة للحرف، بحيث لا تنفك عنه مطلقا سواء كان ساكنا أم متحركا بأية حركة .

القسم الثانى ـ الصفات العرضية التى تعرض للحرف حينا وتفارقه حينا .

فأما الصفات الذاتية :

فقد اختلف العلماء قديما وحديثا فى عددها على مذاهب متعددة ، والذى جنح إليه إمام الفن العلامة ابن الجزرى أنها سبع عشرة صفة ، وقد اقتفى أثره جمهور من أتى بعده من العلماء فعدوها سبع عشرة أيضا . ولنبدأ ببيان الصفات الذاتية وما يتعلق بها ، ثم نثنى ببيان الصفات العرضية ـ إن شاء الله تعالى فنقول :

تنقسم الصفات الذاتية بحسب التقابل وعدمه إلى قسمين : قسم له ضد ، وهو خمس صفات ، وضده كذلك ، وقسم لا ضد له وهو سبع صفات . فالصفات الخمس التى لها ضد : الهمس وضده الجهر ، والشدة ، وضدها الرخاوة ، والاستعلاء وضده الاستفال ، والإطباق وضده الانفتاح ، والاذلاق وضده الإصمات فتلك عشر صفات .

والصفات التى لا ضد لها سبع وهى . الصفير ، والقلقلة ، واللين ، والانحراف ، والتكرير ، والتفشى ، والاستطالة ، فتكون جملة الصفات سبع عشرة صفة كما ذكرنا وعلى هذا لا يكون التوسط بين الشدة والرخاوة صفة وهذا مذهب ابن الجزرى ومن حذا حذوه ، والذى أراه أن التوسط صفة مستقلة لأن حقيقته تغاير حقيقة غيره من الصفات .

واعلم أن كل حرف من حروف الهجاء لا بد أن يتصف بخمس صفات من المتضادة ، فيتصف بالهمس أو الجهر ، وبالشدة أو الرخاوة أو التوسط ، وبالاستعلاء أو الاستفال ، وبالإطباق أو الانفتاح ، وبالإذلاق أو الإصمات ، فيكمل له خمس صفات وأما غير المتضادة فقد يتصف منها بصفة ، وقد يتصف بصفتين ، وقد لا يتصف منها بشىء ، فحينئذ لا تقل صفات أى حرف عن خمس صفات . ولا تزيد عن سبع .

(أ) الصفات التى لها ضد :

هى : ١ ـ الهمس ٢ ـ الجهر ٣ ـ الشدة ٤ ـ الرخاوة (انظر كلا تحت عنوانه) ٥ ـ التوسط بين الشدة والرخاوة :

التوسط معناه فى اللغة : الاعتدال وفى الاصطلاح : اعتدال الصوت عند النطق بالحرف ، وحروفه خمسة جمعها بعضهم فى قوله : « لن عمر » وهى اللام ، والنون ، والعين ، والميم ، والراء .

ووصفت هذه الحروف بالتوسط لتوسط أمر الصوت والنفس معها ، حيث إنهما لم ينحبسا مع هذه الحروف انحباسهما مع حروف الشدة ، ولم يجريا معها جريانهما مع حروف الرخاوة ، بل يكونان فى حال متوسطة بين الإحباس والجرى . قال بعض الكاتبين : وبالمثال يظهر الفرق فلو نطقت بالجيم ساكنة بأن وقفت على « الحج » لوجدت صوتك راكدا محصورا ، ولو أردت أن تمده لم يمكنك ، ولو نطقت بالسين ساكنة كأن وقفت على « الناس » لوجدت صوتك جاريا غير محصور تستطيع أن تمده حيث تريد . ولو نطقت باللام ساكنة بأن وقفت على « يعمل » لوجدت صوتك بين بين أى : ليس محصورا انحصاره مع الشدة ، ولا جاريا جريانه مع الرخاوة ، بل يكون فى حال متوسطة بين الصفتين : الشدة والرخاوة .

واعلم أن كلا من حروف الشدة وحروف الرخاوة ينقسم إلى مجهورة ومهموسة . أما الشديدة المجهورة فهى ستة أحرف الهمزة وحروف « قطب جد » وأما الشديدة المهموسة فالكاف والتاء الفوقية .

وأما الرخوة المجهورة فثمانية أحرف ، الضاد ، والظاء ، والذال ، والغين المعجمة والزاى والألف والواو والياء سواء كانا مديين أم لا .

وأما الرخوة المهموسة فثمانية أحرف ، وهى حروف الهمس ما عدا الكاف والتاء ، وأما الحروف البينية فكلها مجهورة .

فظهر من هذا التفصيل أن كلا من المجهورة والمهموسة تنقسم إلى شديدة ورخوة وإن كان للمجهورة قسم آخر وهو البينية .

ثم أعلم أن مبدأ أصوات جميع الحروف عند الجهر بالقراءة جهرى . ولو كان الحرف مهموسا ، وأن صوت الحرف ولو كان مجهورا لا يتحقق بدون النفس ؛ لأن حقيقة الصوت هو النفس المسموع ، فاحتباس الصوت يستلزم احتباس النفس معه ، وجريه يستلزم جريه .

وأن نفس الحرف وإن كان مهموسا لا ينفك عن الصوت؛ لأن حقيقة الحرف هو الصوت المعتمد على المخرج ــ كما سبق ــ وأن نفس الحرف المجهور قليل، ونفس الحرف المهموس كثير، فما ذكر أنه قد يجرى النفس ولا يجرى الصوت كالكاف والتاء فمعناه أنه يجرى النفس الكثير ولا يجرى الصوت القوى الذى حصل فى مبدأ الحرف، وليس المراد نفى جريان الصوت بالكلية، ألا ترى أنه ذكر أن صوت الشين فى « العرش » يجوز لك أن تمده إن شئت، مع أن الشين مهموس كالكاف والتاء .

وما ذكر أنه قد يجرى الصوت ولا يجرى النفس كالضاد والغين المعجمتين فمعناه أنه يجرى القوى ولا يجرى معه نفس كثير كما يجرى مع المهموس وليس المراد نفى جريان النفس بالكلية . ألا ترى أن الرخاوة جريان الصوت والنفس معا ؟

إذا علمت هذا فاعلم أن صوت الحروف ونَفَسه إما أن تحتبسا بالكلية فيحصل صوت شديد، وذلك فى حروف الشدة، أو لا يحتبسا أصلا بل يجريان جريانا كاملا، وذلك فى حروف الرخاوة ، أو يتوسطا بين كمال الاحتباس وكمال الجرى وذلك فى الحروف البينية ، فهذه ثلاثة أنواع :

ففى النوع الأول : إن جرى بعد ذلك الاحتباس نَفَسٌ كثير فالحرف شديد مهموس، وإن لم يجر فالحرف شديد مجهور.

وفى النوع الثانى : إن كان صوت الحرف جاريا كله مع نفس قليل فالحرف رخو مجهور، وإن كان جاريا كله مع نفس كثير فالحرف رخو مهموس .

وقد عرفت أن المهموس فى اصطلاحهم ما كان بعض صوته خفيا عند الجهر بالقراءة، وهو آخره، لأن مبدأه جهرى ألبتة، ولا تجد حرفا كل صوته خفى عند الجهر بالقراءة، فمن عد الكاف والتاء من المجهورة بناء على أن الشدة تؤكد الجهر فقد وهم . إذ لو كان كذلك لكانت جميع الحروف مجهورة .

والنوع الثالث : مجهور كله .

فإن قيل : الهمس جريان النفس وهو يستلزم جريان الصوت والشدة احتباس الصوت وهو يستلزم احتباس النفس فبين الهمس والشدة تناقض فكيف تكون الكاف والتاء، مهموستين شديدتين ؟

قلت : الشدة فى وقت والهمس فى وقت آخر، فشدتهما باعتبار الابتداء وهمسهما باعتبار الانتهاء، فإن الصوت يجرى معهما آخراً، وشرط التناقض أن تكون الزمن متحدا، وهنا قد اختلف فلم يوجد تناقض . ففى كل منهما صوتان : الأول : قوى، والثانى : ضعيف .

وقولنا : والثانى ضعيف احتراز عن حروف القلقلة، فإنها وإن كان فيها صوتان إلا أن ثانيهما قوى .

٦ ـ الاستعلاء : سبق أن أوردناه فانظره فى موضعه فى م ٤/ ٢٧٤ .

٧ ـ الاستفال : سبق أن أوردناه فانظره فى موضعه فى م ٤/ ٢٨٢ .

٨ ـ الإطباق : سبق أن أوردناه فانظره فى موضعه فى م ٥/ ٢٦٢، ٢٦٣ .

٩ ــ الانفتاح، ومعناه فى اللغة : الافتراق، وفى الاصطلاح : افتراق اللسان عن الحنك الأعلى بحيث يخرج الريح من بينهما عند النطق بحروفه، وحروفه خمسة وعشرون حرفا. وهى ما عدا حروف الإطباق الأربعة ووصفت هذه الحروف بالانفتاح لافتراق وتجافى اللسان عن الحنك الأعلى عند النطق بها حتى لا يكون الصوت محصورا بينهما .

والانفتاح أعم من الاستفال، فكل مستفل منفتح ولا عكس، لأن القاف والخاء والغين المعجمتين منفتحة وليست مستفلة .

قال بعضهم : إن الحنك الأعلى ينطبق على وسط اللسان وينحصر الصوت بينهما عند خروج الجيم ، فكان مقتضى هذا أن تعد من حروف الإطباق فَلِمَ لَمْ تعد من حروفه وعدت من حروف الانفتاح ؟

ثم أجاب عن ذلك : بأن حقيقة الإطباق لا تتحقق إلا باستعلاء أقصى اللسان عند النطق بالحرف. ولما كان هذا المعنى منتفيا عند النطق بالجيم لم تعد من حروف الإطباق .

١٠ ـ الذلاقة : سبق أن أوردناها تحت عنوان « الإذلاق » فانظرها فى موضعها فى م ٣/ ٥٠١، ٥٠٢ .

١١ ـ الإصمات : الإصمات ، ومعناه فى اللغة : المنع ، لأنه من صمت إذا منع نفسه من الكلام ، وفى الاصطلاح : منع انفراد هذه الحروف أصولا فى كلمة تزيد عن ثلاثة أحرف بأن كانت أربعة أو خمسة ، وذلك أن كل كلمة عربية بنيت على أربعة أحرف أو خمسة أصول لا بد أن يكون فيها مع الحروف المصمتة حرف أو أكثر من الحروف المذلقة ، وإنما وصفت هذه الحروف ، بالإصمات لأنها حروف ، أصمت ، أى منعت أن تختص ببناء كلمة فى لغة العرب إذا كثرت حروفها بأن كانت أربعة أو خمسة من غير أن يوجد معها حرف من حروف الإذلاق .

وعلة ذلك : أن حروف الإصمات صعبة على اللسان ، وحروف الإذلاق سهلة عليه ، فمنعوا انفراد حروف الإصمات واشترطوا أن يكون معها حرف أو أكثر من حروف الإذلاق ، لتعادل خفة المذلق ثقل المصمت ، ومن ثم قيل : إن كلا من كلمة « عسجد » اسم للذهب ، وكلمة « عسطوس » اسم للخيزران ـ دخيل فى كلام العرب لتمخض تركبه من الحروف المصمتة ومثل ذلك كل كلمة رباعية أو خماسية لم يوجد فيها حرف مذلق .

واعلم أن هاتين الصفتين الإذلاق والإصمات ، لا دخل لهما فى تجويد الحروف فكان الأولى عدم عدِّهما من الصفات ، لأن الكلام فى الصفات إنما يعنى الصفات التى يطلب من القارئ مراعاتها من تحقيق التلاوة وجودة الأداء ، ومراعاة هاتين الصفتين لا يترتب عليه شىء من ذلك ، ومن أجل هذا أهمل ذكرهما كثير من المحققين منهم : الإمام الشاطبى رضى الله عنه .

واعلم أن كل صفة من هذه الصفات الإحدى عشرة تضاد الأخرى ويوصف الحرف بإحدى الصفتين المتضادتين ، فالهمس يضاد الجهر ، والشدة تضاد التوسط والرخاوة ، والاستعلاء يضاد الاستفال ، والإطباق يضاد الانفتاح ، والإذلاق يضاد الإصمات .

فكل حرف لا بد أن يأخذ صفة من الصفتين المتضادتين فيكمل له خمس صفات حتما ما عدا الألف والواو والياء المديتين فإن هذه الأحرف الثلاثة لا تتصف بشىء من هذه الصفات الإحدى عشرة .

وإلى هنا تم الكلام على الصفات التى لها ضد .

(ب) الصفات التى لا ضد لها :

هى : ١٢ الصفير ١٣ ـ القلقلة ١٤ ـ اللين (انظر كلا تحت عنوانه) .

١٥ ـ الانحراف : ومعناه فى اللغة : الميل عن الشىء والعدول عنه ، وفى الاصطلاح : الميل بالحرف عن مخرجه حتى يتصل بمخرج غيره ، وهو صفة لازمة لحرفين ، اللام والراء . وإنما وصفا بالانحراف لأنهما انحرفا عن مخرجهما حتى اتصلا بمخرج غيرهما ، فاللام فيها انحراف وميل إلى طرف اللسان ، والراء فيها انحراف إلى ظهر اللسان جانحة قليلا إلى جهة اللام .

١٦ ـ التكرير : ومعناه فى اللغة : إعادة الشىء مرة بعد أخرى ، وفى الاصطلاح ارتعاد رأس اللسان ـ أى اهتزازه ـ عند النطق بالحرف وهو صفة لازمة للراء ، ووصفت الراء بالتكرير لقبولها له . فهو وصف لها بالقوة لا بالفعل ، كوصفهم إنسانا بالضحك إذا كان غير ضاحك بالفعل ، باعتبار كونه قابلا لهذه الصفة ، وكوصفهم أميا بالقراءة والكتابة نظرا لكونه مستعدا لهما ، ومهيأ لقبولهما .

قال الإمام مكى فى الرعاية : والراء حرف قابل للتكرير ، ويظهر تكريره جليا إذا كان مشددا فيجب على القارئ أن يخفى تكريره ولا يظهره فمتى أظهره فقد جعل من الحرف المشدد حروفا ، ومن المخفف حرفين . ثم قال : والتكرير فى الراء المشددة أظهر وأحوج إلى الإخفاء منه فى المخففة انتهى .

وقال العلامة الجعبرى : وطريق السلامة منه ـ أى التكرير ـ أن يلصق اللافظ به رأس لسانه بأعلى حنكه لصقا محكما ، مرة واحدة بحيث لا يرتعد لأنه متى ارتعد حدث من كل مرة راء ، فهذه الصفة يجب أن تعرف لتجتنب ولا يؤتى بها ، وذلك كالسحر يعرف ليجتنب ، بخلاف سائر الصفات فإنها تعرف ليعمل بها . انتهى .

وقال المرعشى : ليس معنى إخفاء تكريره إعدام تكريره بالكلية بإعدام ارتعاد رأس اللسان بالكلية ، لأن ذلك لا يمكن إلا بالمبالغة فى إلصاق رأس اللسان باللثة بحيث ينحصر

الصوت بينهما بالكلية كما فى الطاء المهملة وذلك خطأ لا يجوز ؛ لأن ذلك يؤدى إلى أن تكون الراء من الحروف الشديدة مع أنه من الحروف المتوسطة ، بل معناه تقوية ذلك الإلصاق بحيث لا يتبين التكرار والارتعاد فى السمع لئلا يتولد من الراء مثلها انتهى .

١٧ ـ التفشى ، ومعناه فى اللغة : الانتشار والانبثاث ، وقيل : معناه لغة : الاتساع ، يقول : تفشت القرحة إذا اتسعت ، وفى الاصطلاح : انتشار الريح فى الفم عند النطق بالشين حتى يتصل بمخرج الظاء المشالة ، ووصفت الشين بالتفشى لأنها لرخاوتها ينتشر الريح فى الفم عند اللفظ بها حتى يتصل بمخرج الظاء ، ولكن هذا على سبيل التخيل والتوهم لا على سبيل الحقيقة ؛ لأن الريح لم يتصل بمخرج الظاء حقيقة بل كان قريبا من مخرجها ، فلقربه من مخرجها يخيل للسامع أنه متصل به .

قال الإمام مكى فى الرعاية : معنى التفشى : كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك وانبساطة فى الخروج عند النطق بالحرف .

وجعل بعض العلماء التفشى صفة لبعض الحروف غير الشين وهى الفاء ، والثاء والصاد ، والضاد ، والسين ، والراء ، انتهى .

وقال المرعشى : وبالجملة فالحروف المذكورة مشتركة فى كثرة انتشار خروج الريح ، ولكن الانتشار فى الشين أكثر ، ولذلك اتفق العلماء على تفشيه ، وفى الباقى من الحروف المذكورة قليل بالنسبة إلى الشين ، ولذلك لم يصفها أكثر العلماء بالتفشى . انتهى .

١٨ ـ الاستطالة :

قالت المؤلفة : سبق أن أوردنا نبذة قصيرة عن الاستطالة تحت عنوانها فى م ٤ / ٢٦١ ، ٢٦٢ ، وندرجها هنا مستوفاة لارتباطها بالموضوع ، وإتماما للفائدة .

الاستطالة ، ومعناها فى اللغة : الامتداد . وفى الاصطلاح : امتداد الصوت من أول إحدى حافتى اللسان إلى آخرها وهى صفة لازمة للضاد المعجمة ، ووصفت بالاستطالة لامتدادها فى مخرجها حتى تتصل بمخرج اللام .

والفرق بين الاستطالة والمد مع أن فى كل منهما امتداد ـ أن الاستطالة امتداد الحرف فى مخرجه المحقق مع انحصاره فيه ، وأما المد فهو امتداد الصوت عند النطق بجروفه دون انحصار فى المخرج إذ ليس له مخرج محقق حتى ينحصر فيه ، بل مخرجه مقدر ، فلا ينقطع المد إلا بانقطاع الهواء . هذا وقد أوصل الإمام مكى بن أبى طالب فى كتابه « الرعاية » صفات الحروف إلى أربع وأربعين صفة ، وعد منها الثمانى عشرة صفة التى سبق شرحها .

ومنها صفة الجرس : وتوصف بها الهمزة ، فيقال : الهمزة حرف جرس ، وصفت بذلك لأن الصوت يعلو عند النطق بها ، ولذلك استثقلت فى الكلام فجاز فيها التحقيق ، والتخفيف بالبدل ، والحذف ، والتسهيل إلى غير ذلك . والجرس فى اللغة : الصوت ، وجميع الحروف وإن كان يصوت بها عند النطق ولكن للهمزة مزية على غيرها فى ذلك .

ومنها صفة الهتف : وتوصف بها الهمزة أيضا فيقال : الهمزة حرف مهتوف وصفت بذلك لخروجها من الصدر ، فيحتاج إلى ظهور صوت قوى شديد ، والهتف : الصوت ، يقال : هتف به إذا صوت .

وهو فى المعنى بمنزلة تسميتهم الهمزة حرفا جرسيا ؛ لأن الجرس : الصوت الشديد ، والهتف الصوت الشديد ، فوصفت الهمزة بذلك لشدة الصوت بها وقوته ، وذكر بعض العلماء فى موضع « المهتوت » بتاءين . قال لأن الهمزة إذا وقف عليها لانت ، وصارت إما واوا ، وإما ياء ، وإما ألفا .

ومنها صفة الإمالة : أوردناها تحت عنوانها فى م ٦ / ٣٤ فانظرها فى موضعها .

وكما قلنا أنها توصف بها الحروف الثلاثة : الألف ، والراء ، وهاء التأنيث ، وسميت حروف الإمالة لأن الإمالة فى

كلام العرب لا تكون إلا فيها ، لكن الألف وهاء التأنيث لا يمكن إمالتهما إلا بإمالة الحرف الذى قبلهما . وهاء التأنيث لا تمال إلا فى الوقف، والراء تمال وصلا ووقفا، ومثلها الألف إذا وقعت قبل محرك .

ومنها صفة المزج والخلط : وتوصف بها بعض الحروف الفرعية مثل الهمزة المسهلة ، والصاد التى مزج صوتها بصوت الزاى، والألف الممالة وسميت هذه الحروف بذلك لما فيها من مزج وخلط أحد حرفين أصليين بالآخر حتى تولد منهما حرف فرعى ويقال لها : الحروف المشربة والمخالطة - بكسر اللام وفتحها - لما فيها من إشراب حرف بحرف آخر، ومخالطة كل من الحرفين للآخر .

ومنها صفة التفخيم ، وتوصف بها حروف الإطباق ، وحروف الاستعلاء، والراء ، واللام ، والألف فى بعض أحوالهن (مختصر أحكام التجويد / ٨١-١٠٣) .

قالت المؤلفة : أوردنا مادة التفخيم والترقيق فى م ١٠/ ٩٨ - ١٠٢ فانظرها فى موضعها .

ومنها صفة الغُنَّة ، ونفرد لها مادة خاصة إن شاء الله تعالى وقد صاغ صفات الحروف هذه نظما الإمام ابن الجزرى فقال :

صفاتها جهر ورخو مستفل
منفتح مصمتة والضد قُل
مهموسها فحثه شخص سكت
شديدها لفظ أجد قط بكت
وبين رخو والشديد لن عمر
وسَبْعُ عُلْو لن خَصَّ ضَغْط قِظْ حَصِر
وصاد ضاد طاء ظاء مطبقه
وفر من لُبِّ الحروف المذلقه
صفيرها صاد وزاى سين
قلقلة قطب جد، واللين:
واو وياء سكنا وانفتحا
قبلهما والانحراف صححا
فى اللام والراء بتكرير جعل
وللتفشى الشين ضادا استطل

(إيضاح تحفة الأطفال / ١٣ ، ومتن الجزرية / ١١-١٤) .

كما قال الإمام ابن الجزرى أيضا فى استعمال الحروف :

وهمز الحمد أعوذ اهدنا
الله ثم لام لله لنا
وليتلطف وعلى الله ولا الضـ
والميم من مخمصة ومن مرض
وباء برق باطل بهم بذى
فاحرص على الشدة والجهر الذى
فيها وفى الجيم كحب الصبر
وربوة اجتثت وحج الفجر
وبين مقلقلا إن سكنا
وإن يكن فى الوقف كان أبينا
وحاء حصحص أحطت الحق
وسين مستقيم يسطو يسقو

(متن الجزرية / ١٧ ، ١٨) .

وقال الإمام الشاطبى فى صفات الحروف :

وغنة تنوين ونون وميم إن
سكن ولا إظهار فى الأنف يجتلى
وجهر ورخو وانفتاح صفاتها
ومستفل فاجمع بالأضداد أشملا
فمهموسها عشر حثث كسف شخصه
أجدت كقطب للشديدة مُثلا
وما بين رخو والشديدة عمر فل
وواى حروف المد والرخو كملا

وقظ خص ضغط سبع غلـــو ومطبق
هــو الضـاد والظـا أعجمـا وإن أهمــلا
وصـــاد وسين مهمــلان وزايهـــا
صفيــر وشين بــالتفشى تعمَّــلا
ومنحـــرف لام وراء وكـــررت
كمـا المستطيل الضـاد ليس بأغفـلا
كمـا الألـف الهـاوى وآوى لعلـة
وفـى قطب جـد خمس قلقلـة عـلا
وأعـرفهـن القـاف كـل يعـدهـا
فهـذا مع التـوفيق كـاف محصـلا

(متن الشاطبية / ١٧٩ ، ١٨٠) .

ومن المنظومات أيضا منظومة الشيخ إبراهيم بن سعد تلميذ الشيخ حسن الجرسى الكبير الموسومة بإغاثة الملهوف فى عدد صفات الحروف .

قالت المؤلفة : ورد عنوانها فى مجموع مهمات المتون ط مصطفى البابى الحلبى ص ٢١٩ « إغاثة الملهوف فى مخارج الحروف » وهو خطأ فلزم التنويه . قال الناظم :

الحمـد لله على الـدوام
منـزِّل القـرآن بـالأحكـام
ثـم الصـلاة والسـلام دائمـا
علـى نبى قـد سَمَـا ثُـم نمـا
محمـد وصحبـه والآل
ومقـرئ القـرآن ثـم التـالى
وبعـد هـذا النظم فى الصفـات
لكـل حـرف عـد فى الآيـات
تصـريح مـا قـد قـرر ابن الجـزرى
فى نظمـه المقـدمـه فـاستقـرى
سميتـه : إغـاثـة الملهـوف
فـى عـدد الصفـات للحـروف
للحـرف قـل بخمسـة أو ستـة
أو سبعـة فعى لهـذا واثبت
وإن لحـرف قلت وسَّط عنـده
مـابين رخـو والشـديـد عُـدَّه
أرجـو بـه أن ينفـع المحتـاجـا
بفهمـه يكـن لـه سـراجـا
للهمـز جهـر شـدة ثم استفل
وافتح وأصمت قل لـه خمس نقل
للبـاء جهـر شـدة مستفلـه
كـذا افتحن وأذلقن مقلقلـة
ست لـه والتـا لـه خمس نقل
فـاهمس وشـد افتح لـه كـذا استفل
وأصمت كـذا لثـا أهمس رخـاء وافتحـا
واستفل اصمت خمسـة قـد صححـا
والجيم فـاجهـر شُـدَّ واستفل بهـا
كـذا افتح اصمت قلقلن ستٌّ لهـا
ثـم اهمس الحـاء رخ واستفـل كـذا
وافتـح وأصمت خمسـة قـد أخـذا
والخـا اهمسن مع رخـوة واستعـلا
فتـح واصمـات بخمس تجلـى
ثم اجهـر الـدال شـديـدا مستفل
وافتـح وأصمـت قلقلـن ست جعـل
للـذال جهـر ثـم رخـو واستفـا
لـه فتح واصمـات فخمس يكتفى

للـراء قل سبع فـاجهـر وسطا
كذا استفله ثم فافتح أذلقا [وسطن ، أذلقن]
كـذا انحـراف ثم تكـريـر جعل
فـذا تمـام سبعـة لهـا نقل
وخـذ صفـات الـزاي يـا من يعقل
جهـر ورخـو ثم فتح مستفل [مسفل]
وأصمتن وتم بـالصفيـر
ست لهـا أتت بـلا نكيـر
واهمـس لسيـن ثـم رخ واستفـل
وافتح وأصمت واصفـرن ست نقل
وبعـد همس الشين رخ واستفل
وافتح وأصمت والتفشي قـد جعل
فهـذه ست وقل للصـاد
همس ورخـو أطبقن يـا بـادي
مستعليـا زد الصفيـر مصمتـا
ست لهـا فـاحفظ لقـولي يـافتى
للضـاد سـتـة بـلا شقـاق
جهـر ورخـو ثم بـالإطبـاق
مستعليـا ومصمتـا مستطـلا
فـاقبل وخـذ للطـاء ستـا تجمـلا
جهـرا وشـدة كـذا الاستعـلا
وأطبقـن وأصمتـن مقلقـلا
والظـا اجهـرن بـالـرخـو والإطبـاق
مستعليـا ومصمتـا يـا راقي
بـالخمس خـذ والعين فـافتح واجهـرا
كـذا استفل وسط وأصمت تظفـرا

فهـذه خمس وقل للغين
خمس أتت أيضـا بغيـر مين
فـاجهـر ورخ وافتحن مستعليـا
وأصمتن وكن لقـولي صـاغيـا
ثم اهمس الفـاء رخـاء مـذلقـا
كـذا استفلهـا وافتحن خمسـا ثقـا
للقـاف جهـر شـدة والصمت
واستعـل وافتـح قلقلـن ذي سـت
واهمس بشـدة لكـاف وأصمتن
واستفل افتح خمسـة لهـا اثبتن
واحفظ لست قـد أتت لـلام
فـاجهـر ووسط واستفل يـا سـامي
وافتح وأذلقن بـالانحـراف
والميم والنـون بـلا خـلاف
فـاجهـرهمـا وسطهمـا أسفلهمـا
وافتحهمـا أذلق فخمس لهمـا
للهـاء صمت ثم رخـو همس
واستفل افتحهـا فتلك خمس
للـواو سـتـة كمـا لليـاء
جهـر ورخـو واستفل يـا رائي
كـذا افتحن وأصمتن بـاللين
واحفظ لنظمي تـبـدع بـالفطين
أبيـاتـه در زكي فـاحسب
مقـال إبـراهيم سعـد المـذنب
يغفـر لـه ذنـوبـه الغفـار
فـإنـه مهيمن ستـار
ثم الصـلاة والسـلام سـرمـدا
على ختـام الأنبيـاء أحمـدا

والآل والصحب والأنصار

وكل عالم وكل قارى

ما هبت النسيم فى الأسحار

أو مالت الأغصان بالأشجار

(مجموع مهمات المتون/ ٢١٩ـ ٢٢١، وكفاية المستفيد/ ٢٨٠ـ ٢٨٢). وعن تقسيم الصفات يقول الأستاذ الدكتور شعبان محمد إسماعيل :

تنقسم الصفات من حيث القوة والضعف إلى قسمين : قوية وضعيفة .

فالقوية : إحدى عشرة صفة وهى : الجهر، الشدة، الاستعلاء، الإطبَاق، الصفير، القلقلة . الانحراف، التكرير، التفشى، الاستطالة ، الغنة .

والضعيفة : ست : الهمس، الرخاوة ، الاستفال، الانفتاح، اللين ، الخفاء .

وتنقسم الحروف الهجائية من حيث القوة والضعف إلى خمسة أقسام :

وذلك أن الحرف إما أن تكون صفاته كلها قوية أم لا ، فإن كانت صفاته كلها قوية فهو أقوى الحروف، وإن لم تكن صفاته كلها قوية ، بل كان بعضها قويا ، وبعضها ضعيفا ، فإن كان معظمها قويا فإن الحرف حينئذ يكون قويا ، ويوصف بالقوة ، وإن كان معظمها ضعيفا فإن الحرف يكون ضعيفا ويوصف بالضعف. وإن تعادلت فيه صفات القوة وصفات الضعف فإنه يكون متوسطا ويوصف بالتوسط ، وإن كانت صفاته كلها ضعيفة فإنه يكون أضعف ويوصف بكونه من أضعف الحروف، فحينئذ تكون الأقسام خمسة ـ كما ذكرنا .

القسم الأول : الحرف الذى صفاته كلها قوية وهو الطاء فهو أقوى الحروف على الإطلاق .

القسم الثانى : الحروف التى معظم صفاتها قوى فتوصف بالقوة ويقال فيها : حرف كذا قوى أو من الحروف القوية وهى ثمانية أحرف : الباء ، الجيم ، الدال ، الراء، الصاد ، الضاد الظاء، القاف .

القسم الثالث : الحروف التى معظم صفاتها ضعيف فتوصف بالضعف ويقال فيها : حرف كذا ضعيف، أو من الحروف الضعيفة وهى عشرة أحرف: التاء، الخاء، الذال، الزاى، السين ، الشين ، العين ، الكاف، الواو ، الياء .

القسم الرابع : الحروف التى تعادلت فيها صفات القوة وصفات الضعف، فتوصف بكونها متوسطة ويقال فيها : حرف كذا متوسط وهى خمسة أحرف: الهمزة، الغين، اللام، الميم ، النون .

القسم الخامس : الحروف : التى صفاتها كلها ضعيفة فتوصف بكونها أضعف الحروف. ويقال فيها : حرف كذا أضعف أو من أضعف الحروف وهى سبعة أحرف: الثاء، الحاء، الفاء، الهاء، وحروف المد الثلاثة وهى : الألف ، والواو الساكنة المضموم ما قبلها ، والياء الساكنة المكسورة ما قبلها (ملخص أحكام التجويد/ ١٠٥، ١٠٦) .

قال الشيخ السمنودى فى منظومته ، تحت عنوان ، «تقسيم الحروف» :

قوى أحرف الهجاء ضاد

باقاف جيم دال ظا را صاد

والطاء أقوى والضعيف سين

ذال وزاى تا وعين شين

واو وياء ثم خاء كافها

والمد مع «فحثه» أضعفها

والوسط همز غين مع لام أتت

والميم والنون فخمسا قسمت

(تلخيص لآلئ البيان/ ٥) .

الحرف	عدد صفاته	بيـــــان						
		(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)	(٦)	(٧)
الغين	٥	جهري	رخوي	مستعل	منفتح	مصمت		
الفاء	٥	مهموس	,,	مستفل	,,	مذلق		
القاف	٦	جهري	شديد	مستعل	,,	مصمت	مقلقل	
الكاف	٥	مهموس	,,	مستفل	,,	,,		
اللام	٦	جهري	متوسط	,,	,,	مذلق	منحرف	
الميم	٥	,,	,,	,,	,,	,,		
النون	٥	,,	,,	,,	,,	,,		
الهاء	٥	مهموس	رخوي	,,	,,	مصمت		
الواو الصحيحة	٥	جهري	رخوي	,,	,,	,,		
الياء الصحيحة	٥	,,	,,	,,	,,	,,		
حروف المد الثلاثة	٥	جهرية	رخوية	مستفلة	منفتحة	مصمتة		
الواو والياء اللينان	٦	جهريان	رخويان	مستفلان	منفتحتان	مصمتان	لينان	

الحروف (صفاتها)

الحرف	عدد صفاته	بيـــــــانها (١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)	(٦)	(٧)
الهمز	٥	جهري	شديد	مستفل	منفتح	مصمت		
الباء	٦	,,	,,	,,	,,	مذلق	مقلقل	
التاء	٥	مهموس	,,	,,	,,	مصمت		
الثاء	٥	,,	رخوى	,,	,,	,,		
الجيم	٦	جهري	شديد	,,	,,	,,	,,	
الحاء	٥	مهموس	رخوى	,,	,,	,,		
الخاء	٥	,,	,,	مستعل	,,	,,		
الدال	٦	جهري	شديد	مستفل	,,	,,	,,	
الذال	٥	,,	رخوى	,,	,,	,,		
الراء	٧	,,	متوسط	,,	,,	مذلق	منحرف	مكرر
الزاى	٦	,,	رخوى	,,	,,	مصمت	صفيرى	
السين	٦	مهموس	,,	,,	,,	,,	,,	
الشين	٦	,,	,,	,,	,,	,,	متفش	
الصاد	٦	,,	,,	مستعل	مطبق	,,	صفيرى	
الضاد	٦	جهري	,,	,,	,,	,,	مستطيل	
الطاء	٦	,,	شديد	,,	,,	,,	مقلقل	
الظاء	٥	,,	رخوى	,,	,,	,,		
العين	٥	,,	متوسط	مستفل	منفتح	,,		

(ملخص أحكام التجويد ــ د . شعبان محمد إسماعيل / ٨١ ـ ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، وإيضاح تحفة الأطفال ــ الشيخ محمد أحمد إبراهيم الطنطاوى / ١٣ ، ومتن الجزرية للشيخ محمد بن الجزرى / ١١ـ ١٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ومتن الشاطبية المسمى حرز الأمانى ووجه التهانى فى القراءات السبع للقاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الشاطبى الرعينى ـ صححه وراجعه متولى عبد الله الفقاعى ـ مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده / ١٧٩ ، ١٨٠ ومجموع مهمات المتون / ٢١٩ ـ ٢٢١ ، وكفاية المستفيد فى فن التجويد ـ الحاج محب الدين عبد القادر الخطيب / ٢٨٠ ـ ٢٨٢ . انظر أيضا هداية المستفيد فى أحكام التجويد ـ الشيخ محمد المحمود المشهور بأبى ريمه ، صححه وراجعه وضبطه الشيخ أحمد محمد شاكر / ٢٩ ، ٣٠ ، وفتح المجيد ـ شرح كتاب العميد فى علم التجويد للشيخ محمود على بسه ــ شرح وتعليق وضبط وتحقيق محمد الصادق قمحاوى / ٦١ ـ ٧٠ وقد نقلنا منه الجدول المصاحب لهذه المادة ، وتلخيص لآلئ البيان فى تجويد القرآن ـ الشيخ إبراهيم على على شحاته السمنودى / ٤ ، ٥) .

الحروف العاطفة :

انظر : حروف العطف .

الحروف العربية :

انظر : الحروف .

حروف العطف:

قال ابن الحاجب : الحروف العاطفة : الواو، والفاء، وثم، وحتى، وأو، وإما، وأم، ولا، وبل، ولكن، فالأربعة الأول للجمع ، فالواو للجمع مطلقا ولا ترتيب فيها ، والفاء للترتيب ، وثم مثلها بمهلة ، وحتى مثلها ، ومعطوفها جزء من متبوعه ، ليفيد قوة أو ضعفا . وأو، وإما، وأم لأحد الأمرين مبهما، فأم المتصلة لازمة لهمزة الاستفهام يليها أحد المستويين ، والآخر الهمزة بعد ثبوت أحدهما لطلب التعيين ، ومن ثمت لم يجز، أرأيت زيدا أم عمرا، ومن ثمت كان جوابها بالتعيين دون نعم أو لا، والمنقطعة كبل، والهمز، مثل : إنها لإبل أم شاء، وإما قبل المعطوف عليه لازمة مع إما، جائزة مع أو . ولا وبل ولكن لأحدهما معينا، ولكن لازمة للنفى (الكافية / ٤٢٥، ٤٢٦) .

أما عن النظم فلدينا النماذج التالية :

١ ــ ملحة الإعراب للحريرى وقد أوردها تحت عنوان «حروف العطف» .

٢ ـ ألفية ابن مالك (شرح ابن عقيل) وقد أوردها تحت عنوان « عطف النسق » .

٣ـ ألفية الآثارى وقد أوردها تحت عنوان « عطف النسق »

٤ ــ ألفية السيوطى النحوية وقد أوردها تحت عنوان «حروف العطف » (ص ٥٦ ــ ٥٨) وسوف نكتفى بالثلاثة نماذج الأولى .

١ ـ قال صاحب ملحة الإعراب :

وأحرف العطف جميعا عشرة — محصورة مأثورة مسطرة

الواو والفاء وثم للمهل — ولا وحتى ثم أو وأم وبل

وبعدها لكن وإما إن كسر — وجاء فى التخيير فاحفظ ما ذكر

٢ ــ وقد أورد بيانها ابن مالك فى ألفيته تحت عنوان «عطف النسق » مما نقله لك فيما يلى مشفوعا بشرح ابن عقيل ، مع ملاحظة أن الحرف (ص) يرمز إلى النص ، والحرف (ش) يرمز إلى الشرح . قال الناظم :

(ص) تال بحرف متبع عطف النسق — كاخصص بود وثناء من صدق

(ش) عطف النسق هو التابع المتوسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف التى ستذكر كاخصص بود وثناء من صدق فخرج بقوله : المتوسط إلى آخره بقية التوابع :

(ص) فالعطف مطلقا بواو ثم فا — حتى أم أو كفيك صدق ووفا

(ش) حروف العطف على قسمين أحدهما ما يشرك المعطوف مع المعطوف عليه مطلقا أى لفظا وحكما وهى الواو نحو : جاء زيد وعمرو، وثم ، نحو : جاء زيد ثم عمرو، والفاء، نحو جاء زيد فعمرو، وحتى ، نحو قدم

الحجاج حتى المشاة ،وأم ، نحو: أزيد عندك أم عمرو؛ وأو، نحو جاء زيد أو عمرو، والثانى : ما يشرك لفظا فقط وهو المراد بقوله :

(ص) وأتبعت لفظا فحسب بل ولا

لكن كلم يبد امرؤ لكن طلا

(ش) هذه الثلاثة تشرك الثانى مع الأول فى إعرابه ، لا فى حكمه . نحو: ما قام زيد بل عمرو، وجاء زيد لا عمرو، ولا تضرب زيدا لكن عمرا .

(ص) فاعطف بواو سابقا أو لاحقا

فى الحكم أو مصاحبا موافقا

(ش) لما ذكر حروف العطف التسعة شرع فى ذكر معانيها فالواو لمطلق الجمع عند البصريين فإذا قلت جاء زيد وعمرو دل ذلك على اجتماعهما فى نسبة المجىء إليهما واحتمل كون عمرو جاء بعد زيد أو جاء قبله أو جاء مصاحبا له، وإنما يتبين ذلك بالقرينة نحو جاء زيد وعمرو بعده وجاء زيد وعمرو قبله، وجاء زيد وعمرو معه، فيعطف بها اللاحق والسابق المصاحب ومذهب الكوفيين أنها للترتيب ورد بقوله تعالى : ﴿ إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ﴾ [المؤمنون : ٣٧] .

(ص) و اخصص بها عطف الذى لا يغنى

متبوعه كاصطف هذا وابنى

(ش) اختصت الواو من بين حروف العطف بأنها يعطف بها حيث لا يكتفى بالمعطوف عليه نحو : اختصم زيد وعمرو، ولو قلت : اختصم زيد لم يجز، ومثله اصطف هذا وابنى، وتشارك زيد وعمرو، ولا يجوز أن يعطف فى هذه المواضع بالفاء ولا بغيرها من حروف العطف فلا تقول: اختصم زيد فعمرو ولا ثم عمرو .

(ص) والفاء للترتيب باتصال

وثم للترتيب بانفصال

(ش) أى تدل الفاء على تأخر المعطوف عن المعطوف عليه متصلا به ، وثم على تأخره عنه منفصلا أى متراخيا عنه ، نحو : جاء زيد فعمرو ومنه قوله تعالى : ﴿ الذى خلق فسوى﴾ [الأعلى : ٢] وجاء زيد ثم عمرو، ومنه قوله تعالى ﴿ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ﴾ [فاطر : ١١] .

(ص) واخصص بفاء عطف ما ليس صلة

على الذى استقر أنه الصلة

(ش) اختصت الفاء بأنها تعطف ما لا يصلح أن يكون صلة لخلوه عن ضمير الموصول، على ما يصلح أن يكون صلة لاشتماله على الضمير نحو : الذى يطير فيغضب زيد الذباب، ولو قلت : ويغضب زيد أو ثم يغضب زيد لم يجز، لأن الفاء تدل على السببية فاستغنى بها على الرابط ولو قلت : الذى يطير ويغضب منه زيد الذباب، جاز، لأنك أتيت بالضمير الرابط .

بعضا بحتى اعطف على كل ولا

يكون إلا غاية الذى تلا

(ش) يشترط فى المعطوف بحتى أن يكون بعضا مما قبله وغاية له فى زيادة أو نقص، نحو : مات الناس حتى الأنبياء، وقدم الحجاج حتى المشاة .

وأم بها اعطف إثر همز التسوية

أو همزة عن لفظ أى مغنية

(ش) أم على قسمين ، منقطعة وستأتى ومتصلة وهى التى تقع بعد همز التسوية، نحو : سواء على أقمت أم قعدت ومنه قوله تعالى : ﴿ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ﴾ [إبراهيم : ٢١] والتى تقع بعد همزة مغنية عن أى نحو : أعندك زيد أم عمرو ؟ أى أيهما عندك .

(ص) وربما أسقطت الهمزة إن

كان خفا المعنى بحذفها أمن

(ش) أى قد تحذف الهمزة يعنى همزة التسوية والهمزة المغنية عن أى عند أمن اللبس وتكون أم متصلة كما كانت والهمزة موجودة ومنه قراءة ابن محيصن «سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم» بإسقاط الهمزة من أنذرتهم، وقول الشاعر:

لعمرك ما أدرى وإن كنت داريا

بسبع رمين الجمر أم بثمان

أى أبسبع .

(ص) وبـــانقطـــاع وبمعنى بل وَفَتْ
إن تـك ممـــا قيـــدت بـــه خلت

(ش) أي إذا لم يتقدم على أم همزة التسوية ولا همزة مغنية عن أي فهي منقطعة وتفيد الإضراب كبل، كقوله تعالى: ﴿لا ريب فيه من رب العالمين * أم يقولون افتراه﴾ [يونس: ٣٧، ٣٨] أي بل يقولون افتراه ومثله: إنها لإبل أم شاء أي بل هي شاء.

(ص) خَيِّـــر أبح قسِّم بـأو وأبهم
وأشكُك وإضـراب بهـا أيضًـا نمي

(ش) أي تستعمل أو للتخيير نحو: خذ من مالي درهما أو دينارًا، وللإباحة نحو جالس الحسن أو ابن سيرين، والفرق بين الإباحة والتخيير أن الإباحة لا تمنع الجمع والتخيير يمنعه، وللتقسيم نحو: الكلمة اسم أو فعل أو حرف، وللإبهام على السامع نحو: جاء زيد أو عمرو، إذا كنت عالما بالجائي منهما وقصدت الإبهام على السامع، ومنه قوله تعالى: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ [سبأ: ٢٤] وللشك نحو: جاء زيد أو عمرو إذا كنت شاكا في الجائي منهما، وللإضراب كقوله:

ماذا ترى في عيال قد برمت بهم
لم أُحصِ عدتَّهم إلا بعـــدَّاد
كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية
لـولا رجاؤك قد قتلت أولادي

أي بل زادوا.

(ص) وربمـــا عـــاقبت الـــواو إذا
لم يلف ذو النطق للبس منفـــذا

(ش) قد تستعمل «أو» بمعنى الواو عند أمن اللبس، كقوله:

جـاء الخـلافـة أو كـانـت لـه قـدرًا
كمـا أتى ربـه مـوسى على قـدر

أي وكانت له قدرًا.

(ص) ومثل أو في القصـد إما الثـانيـة
في نحـو إمـا ذي وإمـا النـائيـة

(ش) يعني أن «إما» المسبوقة بمثلها تفيد ما تفيده «أو» من التخيير نحو «خذ من مالي إما درهما وإما دينارًا» والإباحة نحو «جالس إما الحسن وإما ابن سيرين» والتقسيم نحو: «الكلمة إما اسم وإما فعل وإما حرف»، والإبهام والشك نحو: «جاء إما زيد وإما عمرو» وليست «إما» هذه عاطفة ـ خلافا لبعضهم ـ وذلك لدخول الواو عليها وحرف العطف لا يدخل على حرف العطف.

(ص) وأول لكـن نفيـــا أو نهيـــا ولا
نـــداء أو أمـــرًا أو إثبـاتـــا تــلا

(ش) أي: إنما يعطف بلكن بعد النفي نحو: «ما ضربت زيدا لكن عمرا» وبعد النهي نحو «لا تضرب زيدًا لكن عمرا» ويعطف بلا بعد النداء نحو: «يا زيد لا عمرو» وبعد الأمر نحو: «اضرب زيدا لا عمرا» وبعد الإثبات نحو: «جاء زيد لا عمرو» ولا يعطف بلا بعد النفي نحو: «ما جاء زيد لا عمرو» ولا يعطف بلكن في الإثبات نحو: «جاء زيد لكن عمرو».

(ص) وبل كلكـن بعـــد مصحـــوبيهـــا
كلم أكـن في مـــربـع بـل تيهـــا
وانقـل بهـــا للثـــان حكـم الأول
فـي الخبـــر المثبت والأمـــر الجلي

(ش) يعطف ببل في النفي والنهي فتكون كلكن في أنها تقرر حكم ما قبلها وتثبت نقيضه لما بعدها نحو «ما قام زيد بل عمرو» «ولا تضرب زيدا بل عمرا» فقررت النفي والنهي السابقين وأثبتت القيام لعمرو والأمر بضربه، ويعطف بها في الخبر المثبت والأمر فتفيد الإضراب عن الأول وتنقل الحكم إلى الثاني حتى يصير الأول كأنه مسكوت عنه نحو: «قام زيد بل عمرو»، «واضرب زيدا بل عمرا».

(ص) وإن علـى ضميـــر رفـع متصـل
عطفت فـــافصل بـالضميـــر المنفصل
أو فـــاصل مـــا وبـــلا فصل يـــرد
في النظـم فـــاشيـــا وضعفـــه اعتقـــد

(ش) إذا عطفت على ضمير الرفع المتصل وجب أن

تفصل بينه وبين ما عطفت عليه بشيء، ويقع الفصل كثيرا بالضمير المنفصل نحو قوله تعالى: ﴿قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين﴾ [الأنبياء: ٥٤] فقوله: ﴿وآباؤكم﴾ معطوف على الضمير في ﴿كنتم﴾ وقد فصل بأنتم، وورد أيضا الفصل بغير الضمير وإليه أشار بقوله أو فاصل ما، وذلك كالمفعول به نحو: أكرمتك وزيد، ومنه قوله تعالى: ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح﴾ [الرعد: ٢٣] فمن معطوف على «الواو» في «يدخلونها» وصح ذلك للفصل بالمفعول به وهو «الهاء» من يدخلونها ومثله الفصل بلا النافية كقولها تعالى: ﴿ما أشركنا ولا آباؤنا﴾ [الأنعام: ١٤٨] فآباؤنا معطوف على «نا» وجاز ذلك للفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بلا، والضمير المرفوع المستتر في ذلك كالمتصل نحو: اضرب أنت وزيد ومنه قوله تعالى: ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ [البقرة: ٣٥] فزوجك معطوف على الضمير المستتر في اسكن، وصح ذلك للفصل بالضمير المنفصل، وهو أنت، وأشار بقوله: وبلا فصل يرد إلى أنه قد ورد في النظم كثيرًا العطف على الضمير المذكور بلا فصل، كقوله:

قلت إذ أقبلت وزهر تهادى

كنعاج الفلا تعسفن رملا

فقوله وزهر معطوف على الضمير المستتر في أقبلت، وقد ورد ذلك في النثر قليلا، حكى سيبويه رحمه الله، مررت برجل سواء والعدم برفع العدم بالعطف على الضمير المستتر في سواء، وعلم من كلام المصنف أن العطف على الضمير المرفوع المنفصل لا يحتاج إلى فصل نحو: زيد ما قام إلا هو وعمرو وكذلك الضمير المنصوب المتصل والمنفصل نحو: زيد ضربته وعمرا، وما أكرهت إلا إياك وعمرا، وأما الضمير المجرور فلا يعطف عليه إلا بإعادة الجار له نحو: مررت بك وبزيد ولا يجوز مررت بك وزيد: هذا مذهب الجمهور، وأجاز ذلك الكوفيون، واختاره المصنف وأشار إليه بقوله:

(ص) وعود خافض لدى عطف على

ضمير خفض لازما قد جُعِلا

وليس عندي لازمًا إذ قد أتى

في النظم والنثر الصحيح مثبتا

(ش) أي جعل جمهور النحاة إعادة الخافض إذا عطف على ضمير الخفض لازمة، ولا أقول به، لورود السماع نثرًا ونظما بالعطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض فمن النثر قراءة حمزة ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامِ﴾ [النساء: ١] بجر الأرحام عطفا على «الهاء» المجرورة بالباء، ومن النظم ما أنشده سيبويه رحمه الله تعالى:

فاليوم قد بِتَّ تهجونا وتشتمنا

فاذهب فما بك والأيام من عجب

بجر الأيام عطفا على الكاف المجرورة بالباء.

(ص) والفاء قد تحذف مع ما عطفت

والواو إذ لا لبس وهي انفردت

بعطف عامل مزال قد بقي

معموله دفعا لوهم اتقي

(ش) قد تحذف الفاء مع معطوفها للدلالة، ومنه قوله تعالى: ﴿فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ [البقرة: ١٨٤] أي: فأفطر فعليه عدة من أيام أخر فحذف «أفطر» والفاء الداخلة عليه، وكذلك الواو، ومنه قولهم: راكب الناقة طليحان أي: راكب الناقة والناقة طليحان، وانفردت الواو من بين حروف العطف بأنها تعطف عاملا محذوفا بقي معموله ومنه قوله:

إذا ما الغانيات برزن يوما

وزججن الحواجب والعيونا

فالعيون مفعول بفعل محذوف والتقدير: وكحلن العيون والفعل المحذوف معطوف على زججن.

(ص) وحذف متبوع بدا هنا استبح

وعطفك الفعل على الفعل يصح

(ش) قد يحذف المعطوف عليه للدلالة عليه وجعل منه قوله تعالى: ﴿أفلم تكن آياتي تتلى عليكم﴾ [الجاثية: ٣١]

قال الزمخشرى: التقدير: ألم تأتكم آياتى «فلم تكن تتلى عليكم» فحذف المعطوف عليه وهو ألم تأتكم وأشار بقوله: وعطفك الفعل إلى آخره إلى أن العطف ليس مختصًا بالأسماء بل يكون فيها وفى الأفعال نحو: يقوم زيد ويقعد، زيد مشى وركب، واضرب زيدا وقم.

(ص) *واعطف على اسم شبه فعل فعلا*
وعكسا استعمل تجده سهلا

(ش) يجوز أن يعطف الفعل على الاسم المشبه للفعل كاسم الفاعل ونحوه، ويجوز أيضًا عكس هذا وهو أن يعطف على الفعل الواقع موقع اسم فمن الأول قوله تعالى: ﴿فالمغيرات صبحا * فأثرن به نقعا﴾ [العاديات: ٣، ٤] وجعل منه: قوله تعالى: ﴿إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله﴾ [الحديد: ١٨] ومن الثانى قوله:

فألفيته يوما يبير عدوه
ومجر عطاء يستحق المعابرا

(شرح ابن عقيل/ ١٣٣ ـ ١٣٧).

٣ ـ وقال الأثارى فى ألفيته:

واعطف بواو مطلقا عطف النسق
وألفا لترتيب وعقِّب ما سبق
مع اتصال ثم للإمهال
وحذف ترتيب مع انفصال
واعطف بحتى بعض مذكور على
كل وأم فى الوصل همزة تلا
وفى انقطاعه يكون مثل بل
واجهل بأو واعلم بأم معها وهل
إما كأو إذا بمثل تسبق
لكن بنفى أو بنهى تعلق
وبل كلكن وبأمر أو خبر
لا، فى الندا والأمر أيضا والخبر
ومضمر الرفع بمضمر فصل
واعطف بحذف خافض أو يتصل
ويعطف الفعل على فعل سبق
واسم على اسم ومع الخلف اتفق

(الكافية لابن الحاجب مجموع مهمات المتون/ ٤٢٥، ٤٢٦، وملحة الإعراب لأبى القاسم الحريرى/ ٣٤، ٣٥، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ط أمين عبد المجيد محمد الديدى/ ١٣٣ ـ ١٣٧، وط الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية / ٢٤٨ ـ ٢٥٣، وألفية الآثارى: كفاية الغلام فى إعراب الكلام لابن الآثارى ـ حققه وقدم له د. زهير زاهد والأستاذ هلال ناجى/ ١٠١، ١٠٢ . انظر أيضا ألفية السيوطى النحوية/ ٥٦ ـ ٥٨، وشرح شذور الذهب لابن هشام الأنصارى/ ١٠٩، ١١٠).

حروف العلة

وعن حروف العلة يقول أبو القاسم الحريري فى منظومته:

والواو والياء جميعا والألف
هن حروف الاعتلال المكتنف

أى الواو التى قبلها ضمة والياء التى قبله كسرة والألف التى قبلها فتحة تسمى حروف العلة وحروف المد واللين.

(ملحة الإعراب لأبى القاسم الحريرى / ٧).

انظر: الإعلال.

حروف الفواتح:

انظر الحروف المقطعة فى أوائل السور

الحروف فى اللهجات العربية:

انظر: اللهجات العربية

حروف القراء:

انظر القراءات

حروف القرآن الكريم:

انظر القرآن الكريم

حروف القسم:

حروف القسم ثلاثة، هى الباء والواو والتاء، وهى تجر الاسم المقسم به، إلا أن الباء تدخل على المظهر والمضمر

نحـو: أقسم بالله، والـواو لا تدخل إلا على المظهـر، والتاء تختص باسم الله . يقول عنها صاحب ملحة الإعراب :

ثـم تجـــــــر الاسـم بــــــاء القسم
وواوه والتـــــاء أيضًـــا فـــاعلـم
لكـن تخـص التـــــاء بـــاسم الله
إذا تعجبت بـــــلا اشتبـــــاه

(ملحة الإعراب لأبى القاسم الحريرى/ ١١) .

الحروف (كتاب):

كتـاب «الحروف» رسـالة فى حـروف العـربية لأحمـد بن محمد بن المظفـر بن المختار الرازى، تحقيق الدكتـور رشيد عبـد الـرحمن العبيـدى الذى يقـول عنهـا : ولقـد رأيت تنـوع أغراضهـا، وتعدد مراميهـا ومقاصـدها، وفائدة فصـولها التى عقـدها المـؤلف فى كل مـا يمت إلى حروف المعجم بصلـة وخصـوصًـا فى مجـاميع الحـروف، وأحيازهـا، وأصـواتهـا، وخطها وإعجامها، وإهمالها، وإدغامها وإبدالها، والحروف المقطعة فى أوائل سور القرآن وغير ذلك ... وقد ضم الكتاب الفصول التالية :

ـ مقدمة .

ـ الفصل الأول فى ابتداء خلق الحرف .

ـ فصل فى أنواع الحروف واستعمـالاتها وإبدالاتها، بدون تمثيل .

ـ فصل فى أبجـد هـوز ... ضظغ . . علـى حسـاب الجمـل .

ـ فصل فى مخارج الحروف .

ـ فصل فى نظم حروف المعجم .

ـ فصل فى معانى الحروف .

ـ فصل فى نظم مـؤلـف الكتـاب فى معـانى الحـروف، وتفسيرها .

ـ فصل فى اجتمـاع أربعة نفر يتذاكـرون فى الحروف على سبيل التلطف، والاستظراف .

ـ فصل فى (الحرف) ومعناها .

ـ فصل أنواع الحروف : الفكرية ـ اللفظية ـ الخطية .

ـ فصل فى شعـر للمـؤلف يشتمـل على ذكـر بعض الحروف .

ـ فصل فى أنـواع الحروف واستعمـالاتها وإبـدالاتها، مع التمثيل .

ـ فصل فى النقط والإهمال .

ـ فصل فى حروف المعجـم فى أوائل السور، وأنهى هـذا الفصل بأبيات قيلت فى هذه الحروف .

ـ وبذلك يكـون مجموع فصول هذا الكتـاب خمسة عشر فصلا موزعة فى كل ما يتصل بحروف المعجم من استعمال أو معنى .

تلك كانت مقدمة المحقق / ١٠ ، ٦١ .

وجاء فى خطبة الكتاب ما يلى بعد البسملة والحمدلة :

وبعد . .

فهذا كتاب فى «حروف المعجم» ، ينفع العرب والعجم، والفصيح والأعجـم، ومن أقـدم ومن أحجـم، والــروامح والأجم، والـراتـع فى الأجم، فهـو كـالمـاء الجم، والفـرس المسرج والملجم .

ورتبته على فصول :

الفصل الأول : فى ابتداء هذا الأمر :

قـال كعب الأحبار : خلق الله القلـم من نور أخضـر ، ثم أنطقه بثمانية وعشرين حرفًا هن أصل الكلام، وهيأها بالصوت الذى يسمع وينطق بـه، فنطق بها القلم، فكـان أول ذلك كله نقطـة، فنظرت إلـى نفسها، فتصـاغـرت وتواضعـت لربهـا، وتمايلت هيبة له وسجـدت، فصارت همزة، فلما رأى الله عز وجل ـ تواضعها، مدَّها وطوَّلها، فصارت ألفا، فتكلم بها، ثم جعل القلم ينطق بحـرف حـرف إلى ثمانيـة وعشـرين حرفـا، فجعلها مـدار الكلام والكتب والأصوات واللغـات والعبارات كلها إلى يـوم القيامة . وجمعهـا كلها فى «أبجد» (انظـر مادة «أبجد») وجعل الألف، لتواضعه مفتاح أول أسمائه، ومقدما على الحروف كلها .

ثم يعقد الرازى فصلا جاء فيه ما يلى :

الحروف المهموسة : ص، ك، هـ، س، ح .

الحروف المجهورة : أ، ل، م، ز، ع، ط، ق، ى، ن .

الحروف الشديدة : أ، ط، ك، ق .

الحروف الرخوة : ل، م، ر، ص، ع، غ، س، ح، ن، ى .

الحروف المطبقة : ص، ط .

الحروف المنفتحة : أ، ل، م، ر، ك، ع، س، ح، ق، ن، ى .

الحروف المستعلية : ق، ص، ط (وفى التهذيب هى خمسة : ط، ض، ص، ظ، ق).

الحروف المنخفضة : أ، ل، م، ز، ك، ى، ع، س، ج، ن (عن الخليل أنها تسعة حروف وهى : ك، ج، ش، ز، س، ر، ت، ذ، ث، التهذيب ١/ ٥١ وهى مختلفة عما هنا) .

ويعلق المحقق على ما قاله المؤلف عن الحروف المهموسة فيقول إنها ناقصة، والصواب أنها عشرة كما فى اللسان ٧/ ٣ .

قالت المؤلفة : ذكر الأستاذ الدكتور/ محمد كمال بشر أن عددها اثنا عشر وهى : ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، هـ (علم الأصوات/ ٨٧).

(رسالة فى حروف العربية لأحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازى - تحقيق د. رشيد عبد الرحمن العبيدى : مجلة معهد المخطوطات العربية . المجلد العشرون . الجزء الأول . ربيع الآخر ١٣٩٤ هـ - مايو ١٩٧٤م/ ٥١، ٥٢، ٦٠، ٦١، ٦٣، وعلم الأصوات - د . محمد كمال بشر/ ٨٧).

انظر : الحروف . الحروف (كتب فى) .

الحروف (كتب فى):

يذكر الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدى فى مقدمة تحقيق كتاب الحروف للرازى الكتب المؤلفة فى الحروف العربية فيقول :

بدأ التصنيف فى : « الحروف» العربية ، منذ عهد مبكر، فى تاريخ اللغة العربية ودراساتها، وإذا صح ما ينسب للخليل ابن أحمد الفراهيدى : (١٠٠ ـ ١٧٧ هـ) فى هذا الموضوع كتاب «الحروف» فإن فى ذلك ما يدل على أن العناية بهذا الفن من علوم العربية كان قد بدأ ببداية التفكير فى تقعيد اللغة ووضع أصولها وقوانينها (كتاب الحروف هذا نشره الدكتور رمضان عبد التواب فى القاهرة عام ١٩٦٩ ، ط جامعة عين شمس) .

والواضح أن الدراسات الأولى فى الحرف العربى كانت تدور حول خصائص الحرف العربى، وتصويته ، وميزات كل حرف فى إخراجه من مخرجه الأصلى من أول الحلق إلى الشفة ، وكانت دراسة الخليل فى كتاب «العين» هى الرائدة فى هذا المضمار، بحيث وضعت لكل حرف ميزته ، وقسمت الحروف إلى مجاميع ، وهى : ع ح هـ خ غ حروف الحلق، ق ك حرفان لهويان، ج ش ض الحروف الشجرية ، (والشجر مفرج الفم) ص س ز حروف الأسلية (لأن مبدأها من أسلة اللسان)، ط د ت حروف نطعية (لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى)، ظ ذ ث حروف لثوية ، ر ل ن حروف ذولقية ، ف ب م حروف الشفة ، أ و ى حروف هوائية أو جوفية .

ولقد عنى بهذا الترتيب المخرجى جماعة من المصنفين فى المعاجم بعد الخليل كالبشتى (٣٢٥ هـ) وأبى الأزهر البخارى (٣٤٨ هـ)، وأبى تراب إسحاق بن الفرج، والأزهرى (٣١٨ هـ) وجماعة غيرهم ، فوضعوا معاجم لغوية مرتبة على هذا النهج ، ونظم بعض الشعراء هذا الترتيب شعرًا، فقال (هو أبو الفرج سلمة بن عبد الله المعافرى) :

يا سائلى عن حروف العين دونكها | *فى رتبة ضمها وزن وإحصاء*

العين والحاء ثم الهاء والخاء | *والغين والقاف ثم الكاف أكفاء*

والجيم والشين ثم الضاد يتبعها | *صاد وسين وزاى بعدها طاء*

والـــدال والتـــاء ثم الظـــاء متصل
بـــالظـــاء ذال وثـــاء بعـــدهـــا راء
والـــلام والنـــون ثـم الفـــاء والبـــاء
والميم والـــواو والمهمـــوز واليـــاء

هذه الدراسة الخاصة بالحروف هى نوع من أنواع العنايات المختلفة الأخرى ، وهى دراسة ذوقية صرفة لا علاقة لها بخواص الحروف فى إفرادها وتركيبها، وعلاقتها بأمور الفلاكة والنجوم وحساب الجمل، مما خصه علماء كثيرون برسائل ومؤلفات، وكانت العرب تضع لكل حرف رقمًا وحسابًا مرتبة ذلك على : أبجد هوز، حطى، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ . تبتدىء من الألف وحسابه : واحد وتنتهى بالغين، وحسابه : ألف (انظر مادة «أبجد» فى م ٢/ ٨٤ ـ ٨٨ من هذه الموسوعة).

وهذه الدراسات تدخل فى باب الطلسمات والرموز والمعانى الخفية التى لا يعرفها إلا المتخصصون فى هذا الموضوع . ولقد نقل حاجى خليفة فى الكشف فى أول «باب علم الحروف والأسماء» (انظر مادة «الحروف والأسماء (علم ـ)») كلامًا طويلاً فى خواص الحروف فى إفرادها وتركيبها، وتعلقها بأمور الفلك والتنجيم . وفى طبائعها . . عن داود الأنطاكى وابن خلدون والبونى . ثم ذكر أن له كتابًا خاصًا فى هذا الباب أسماه : «روح الحروف»، وذكر بعده جملة من التصانيف فى هذا الموضوع ؛ تزيد على المائتين والثلاثين كتابًا مرتبة على حروف الهجاء .

قالت المؤلفة : عددها فى نسختى مائتان وثلاثة وعشرون كتابًا، ثم خص ثلاثة منها باسم : «الحروف» وهى «الحروف السبعة فى الكلام» لأبى عبد الله الحسين بن جعفر المراغى، ضمنه الرد على المعتزلة من أهل البدع .

و «الحروف الوضعية فى الصور الفلكية» لعبد الحق بن إبراهيم بن سبعين المتوفى سنة ٦٦٩ هـ .

و «الحروف المدغمة» لأبى محمد مكى بن أبى طالب القيسى . ثم ذكر مجموعة أخرى فى خواص الحروف تحت عناوين رمزية .

والواضح من اسم الكتابين الأول والثانى أنهما خاصان بموضوع التنجيم والرموز، ومن هذا النوع كتاب ابن عربى : «الحروف فى علم الموصوف» .

أما الدراسات اللغوية الصرفة التى تعنى بمخارج الحرف وإصانته، وكيفية نطقه، وقواعد إبداله وإدغامه، فهى التى سبقت عناية علماء اللغة فى القرن الأول ومطلع القرن الثانى بها، وهى التى وضعت فيها الكتب والرسائل اللغوية فروى فيها كتاب للخليل باسم الحروف، وثان لأبى عمرو الشيبانى : (٩٤ هـ ـ ٢١٣ هـ) باسم الحروف ـ أيضًا ـ وكتاب الحروف للكسائى : (١٨٩ هـ)، والحروف لابن السكيت : (٢٤١ هـ)، والحروف فى معانى القرآن (إلى سورة طه)، لمحمد بن يزيد المبرد : (٢١٠ هـ ـ ٢٨٥ هـ)، والحروف للحسن بن على الدورقى، كما روى لسائر أئمة اللغة رسائل فى هذا الجانب من علم اللغة .

ومن الطبيعى أن نجد أن هناك تمايزًا واختلافا بين مناهج المؤلفين فى هذا الضرب من التأليف، وإن كانت جميعها فى اللغة، فقد قيل عن كتاب «الحروف» لأبى عمرو الشيبانى أنه «اللغات» وهو كتاب فى نوادر الحروف، ويقصد بالحروف : الألفاظ والكلمات، أسماء كانت أو أفعالاً، كما يقصد بالحروف معناها الاصطلاحى المتعارف عليه بين النحاة، وهو القسم الثالث من تقسيم الكلام إلى الاسم والفعل والحرف . ويسمونها حروف المعانى .

وربما قصدوا بحروف القرآن . قراءاته . قال الأزهرى : «وكل كلمة تقرأ على وجوه من القرآن تسمى حرفًا، يقرأ هذا فى حرف ابن مسعود، أى : فى قراءة ابن مسعود» .

وفى حديث النبى ﷺ : «نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف . .» أراد : وجوه القراءات .

قالت المؤلفة : ورد هذا الحديث الشريف فى الجامع الأنور بلفظ : «نزل القرآن على سبعة أحرف، المراء فى القرآن كفر ثلاث مرات فما عرفتم فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه» للإمام أحمد بن حنبل بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح .

يصدقه حديثه ﷺ الآخر: «أتاه جبريل عليه السلام وهو عند أضاة بنى غفار، فقال: إن الله تعالى يأمرك أن تقرئ أمتك على سبعة أحرف» (الفائق للزمخشرى ١/ ٤٦) وفسر أبو عبيد القاسم «سبعة الأحرف» باللغات (انظر مادة الأحرف السبعة فى م ٢/ ٥٥١ ـ ٥٥٤ من هذه الموسوعة).

هذا كله فضلاً عن معنى الحرف ـ فى الأصل ـ من حروف الهجاء. وكتاب الحروف للرازى (انظر مادة «الحروف (كتاب)») يختص بالنوع الأخير من هذه الأنواع، فهو يعنى بدراسة الحرف الهجائى، ومعنى كل حرف، وطرق استعماله حرف معنى وأحياز الحروف، ودراسة أصواتها، ومخارجها، وإدغامها، وإبدالها. والحروف المقطعة فى أوائل سور القرآن.

(رسالة فى حروف العربية لأحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازى ـ تحقيق د. رشيد عبد الرحمن العبيدى. مجلة معهد المخطوطات العربية. المجلد العشرون. الجزء الأول. ربيع الآخر ١٣٩٤ هـ ـ مايو ١٩٧٤م/ ٥٦ ـ ٦٠، والجامع الأزهر فى حديث النبى الأنور للحافظ المناوى ٣/ ٥٧ ورقة ب).

الحروف التى تحذف من الكتابة:

أفرد الأستاذ عبد العليم إبراهيم الباب الرابع من كتابه القيم للحروف التى تحذف من الكتابة، وقد جاء فيه ما يلى:

أشهر هذه الحروف: الألف، وأل، والميم، والنون، والواو، والياء.

حذف الألف:

الألف التى تحذف من أول الكلمة:

أولا: تحذف الألف من كلمة «ابن» وكلمة «ابنة»:

١ ـ إذا كانت كل منهما مفردة، وواقعة بين علمين متصلين، وكانت نعتًا للعلم الأول، ولم تقع فى أول السطر؛ وتفصيل هذه الشروط كما يلى:

(أ) أن تكون كلمة «ابن» أو «ابنة» مفردة، مثل: فتح مصر عمرو بن العاص، وسميت أسماء بنت أبى بكر ذات النطاقين، فإذا ثنيت أو جمعت لا تحذف ألفها، مثل: اشتهر العباس وحمزة ابنا عبد المطلب، وتفوق على وأحمد وأسامة أبناء مصطفى، ونجحت فاطمة وخديجة ابنتا حسين.

(ب) أن تقع بين علمين لا يفصل بينهما شىء آخر غيرها، أما نحو: الفلاح ابن الفلاح أدرى من غيره بشئون الزراعة فلا تحذف ألف ابن؛ لأنها وقعت بين اسمين غير علمين، ونحو: فتح الأندلس طارق هو ابن زياد: لا تحذف ألف ابن؛ لأن كلمة «هو» قد فصلت بين العلمين:

ويشمل العلم الاسم الذى وضع علمًا، مثل: إسماعيل وزينب، والكناية عن شخص لا يعرف اسمه، مثل: فلان بن علان؛ والكنية المعروفة فى النحو بأنها ما صدرت بأب أو أم، مثل: حضر أبو الفضل بن أبى المجد، ونجحت أم الخير بنة أم العز؛ واللقب مثل: قابلت الهادى بن زين العابدين.

(جـ) أن تكون كلمة «ابن» أو «ابنة» نعتًا للعلم قبلها، فإذا كانت خبرًا مثلاً لا تحذف ألفها، مثل: يوسف ابن يعقوب، جوابا لمن سأل: ابن من يوسف؟ ومثل: السيدة سكينة ابنة الحسين، جوابا لمن سأل: ابنة من السيدة سكينة؟

(د) ألا تقع كلمة «ابن» أو «ابنة» فى أول السطر، وإلا بقيت الألف.

٢ ـ إذا دخلت عليها همزة الاستفهام، نحو أبن البواب هذا؟ أى هل هذا ابن البواب؟ ومثل أبنة الريف تفوق ابنة المدينة فى التعليم الجامعى؟

٣ ـ إذا وقعت بعد حرف النداء «يا» مثل: يا بن الأكرمين، يا بنة النيل.

ثانيًا: تحذف همزة الوصل إذا وقعت بعد همزة الاستفهام، مثل: أسمه مجدى؟ ومثل ﴿أصطفى البنات على البنين؟﴾ [الصافات: ١٥٣] إلا إذا كانت همزة الوصل هى همزة أل التعريفية فإنها لا تحذف بعد همزة الاستفهام، وإنما تكتب هى وهمزة الاستفهام ألفا عليها مدة، مثل: آلشاهد قال هذا؟

ثالثا: تحذف الألف من كلمة «اسم» فى البسملة الكاملة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أما نحو: باسم الوطن، وباسم العلى القادر، وباسمك اللهم فلا تحذف.

رابعا : تحذف ألف «أل» إذا دخل عليها اللام، سواء أكانت مكسورة ؛ مثل : لام الجر فى : للفنون أثر فى الأمم، أم كانت مفتوحة ، مثل لام الابتداء فى ﴿وللآخرة خير﴾ [الضحى: ٤] ﴿إن علينا للهدى﴾ [الليل: ١٢] ولام الاستغاثة، نحو يا للرجال، واللام بعد يا التعجبية، نحو : يا للماء ! ويا للسماء ! .

الألف التى تحذف من وسط الكلمة :

١ ـ تحذف الألف من لفظ الجلالة «الله» ومن كلمة «إله» بدون أل أو مع أل «الإله» .

٢ ـ وتحذف من كلمة «الرحمن» إذا كانت علمًا مقرونا بأل، أما نحو: لا زلت كريما رحمانا فلا حذف ؛ لأنها ليست علمًا، وخالية من أل .

٣ ـ تحذف من بعض كلمات أخرى، أشهرها : «لكن» ساكنة النون، أو مشددة النون، والسموات، وأولئك، ومن «طه» (الألف الوسطى) .

ملاحظة :

اقتصرنا هنا على الكلمات التى يجب حذف ألفها من الكتابة، وتركنا الكلمات التى يكون هذا الحذف جائزًا فيها لا واجبًا، مثل: ثلثمائة وثلاثمائة، ومثل: هرون وهارون .

الألف التى تحذف من آخر الكلمة :

١ ـ تحذف الألف من ما الاستفهامية إذا سبقت بحرف جر، مثل: فيم تفكر ؟ لم سافرت ؟ عم تسأل ؟ مم تعبت ؟ بم تكتب ؟ علام عولت ؟ حتام تنتظر ؟ إلام الخلف بينكم ؟ أو سبقت بمضاف، مثل: بمقتضام تصرفت هذا التصرف ؟

ويشترط فى هذا الحذف ألا تركب «ما» مع «ذا» فإذا ركبت لا تحذف ألفها ، مثل : لماذا ـ بماذا ؟ .

٢ ـ وتحذف أيضا من آخر كلمة « طه » .

٣ ـ ومن حرف النداء « يا » إذا دخل على علم مبدوء بهمزة غير ممدودة، زائد على ثلاثة ولم يحذف منه شىء، وهو حذف جائز لا واجب نحو: يأنور ، يأسعد ، يأحمد . فإذا كانت همزة العلم ممدودة، مثل : آدم وآزر لا تحذف ألف « يا » فتكتب يا آدم، يا آزر، وإذا حذف من العلم شىء بقيت ألف يا ، مثل: يا إبرهيم، يا إسمعيل، يا إسحق (على رأى من يحذفون الألفات المتوسطة من هذه الأسماء) .

أو إذا دخلت « يا » على كلمة « أهل » أو « أى » أو « أية » نحو : يأهل المروءة . يأيها الإنسان . يأيتها المربية .

٤ ـ وتحذف الألف أيضا من كلمة « ذا » إذا كانت اسم إشارة مقرونا باللام الدالة على البعد . مثل : ذلك . ذلكما ـ ذلكم ـ ذلكن .

٥ـ وتحذف الألف من « ها » التنبيهية إذا دخلت على :

(أ) اسم إشارة ليس مبدوءا بالتاء أو الهاء، وليس بعده كاف، مثل: هذا، هذه، هذى، هؤلاء .

أما اسم الإشارة المبدوء بتاء فلا تحذف معه ألف (ها) مثل : هاتا ـ هاتى، هاتان، وكذلك المبدوء بهاء، مثل : هاهنا .

وكذلك اسم الإشارة الذى لحقته كاف الخطاب لا نحذف معه ألف « ها » مثل : هاذاك .

(ب) ضمير مبدوء بهمزة، مثل: هأنا، هأنتما، هأنتم ـ هأنتن .

٦ ـ تحذف ألف الضمير « أنا » إذا دخلت عليه « ها » التنبيهية ، وجاء بعده كلمه « ذا » مثل : هأنذا .

حذف أل

تحذف أل إذا سبقت بلام، وكان بعدها لام ، سواء أكانت اللام السابقة مكسورة مثل : لليمون فوائد، أما لليل من آخر ؟ أم كانت مفتوحة ، مثل : للهو البرىء أمتع للنفس، وللعفو أليق بالأحرار.

وتشمل هذه القاعدة الاسم الموصول للمثنى وجماعة الإناث، فإذا دخلت عليه اللام مكسورة أو مفتوحه حذفت أل من أوله، مثل :.

الجائزة للذين يسبقان، للذان شهدا زورا أحق بالعقاب، الفضل للتين سهرتا على راحة المريض. للتان تتطوعان لخدمة المرضى جديرتان بالثناء. المجد للاتى (للائى) يحسن تربية الأطفال . للاتى (للائى) يحسن إدارة منازلهن ويسعدن أزواجهن خير من العاملات المهملات .

حذف الميم

يحـذف من الفعل « نعـم » المكسـور العين إذا أدغمت ميمة فى « ما » نحو : ﴿ نعمّا يعظكم به ﴾ [النساء : ٥٨] .

حذف النون

١ ـ تحذف من كلمتى « عن ، مِن » إذا دخلتا على « مَن » نحـو : عمن ، ممـن ، أو على « مـا » سواء أكـانت « مـا » استفهامية . نحـو : عم تبحث ؟ ومم تنفق ؟ أم كانت زائدة ، نحو : عما قليل أعود ، و ﴿ مما خطيئاتهم أغرقوا ﴾ [نوح : ٢٥] أم كانت موصولة ، نحـو : تجاوزت عمـا قلته ، وأنفق مما كسبتـه ، أم كانـت مصدرية نحـو : عفوت عمـا أسأت ، وعجبت مما أسرعت .

٢ ـ وتحذف ـ كذلك ـ من إن الشرطية إذا جاء بعدها « ما » الزائدة نحو : ﴿ فإما ترين من البشر أحدًا ﴾ [مريم : ٢٦] ﴿ إما يبلغن عنـدك الكبر أحـدهما أو كـلاهما ﴾ [الإسراء : ٢٣] أو جـاء بعدهـا « لا » النـافيـة ، مثـل إلا تثبتـوا فـاتكم النصـر .

٣ ـ وتحذف أيضا من أن المصـدرية الناصبة للمضارع إذا جـاء بعـدهـا « لا » النـافيـة مثل : يجب ألا تتسـرع ، أمـا أن المخففة من الثقيلة وبعـدها « لا » النافية فلا تحـذف نونها ، مثل : أشهد أن لا إله إلا الله ، وكذلك أنْ المفسرة وبعدها لا النـافية ، لا تحـذف نونهـا مثل : أوحيْت إليه أن لا فـائدة من الإلحاح .

حذف الواو

تحذف تخفيفا من الكلمات :

داود ، طاوس ، نـاوس (مقبرة النصارى) هاون (مـا يدق فيه) .

حذف الياء

١ ـ تحذف من الكتـابة اليـاء الناشئـة من إشباع الحـرف المكسور فى الشعر ، مثل لفظى العلم والحرم فى قول الشاعر :

ريـم على القـــاع بيـن البـــان والعلـم
أحـل سفك دمى فى الأشهـــر الحـــرم

٣ ـ وتحـذف ياء الاسم المنقـوص المعـرف بأل إذا وقف عليه بإسكان ما قبل اليـاء فى لغة ، نحو : الداع . والمتعال . والتلاق ، فى الداعى ، والمتعالى ، والتلاقى .

(الإملاء والترقيم فى الكتابة العربية ـ عبد العليم إبراهيم / ٧٥ ـ ٨٠)

الحروف التى تزاد فى الكتابة :

يقول الأستاذ عبد العليم إبراهيم :

زيادة الألف

الألف لا تقع إلا فى وسط الكلمة ، أو فى آخرها :

١ ـ فتزاد وسطـا فى كلمة « مائة » مفردة أو مـركبة ، مثل : ثـلاثمـائة ، أربعمـائة ، خمسمـائة ، ستمـائة ، سبعمائة ، ثمانمائة ، تسعمائة ، وكذلك إذا كانت مثناة نحو ، مـائتان ، مـائتين ، أما المجمـوعة فـلا تزاد فيهـا ألف ، مثل : مئات ، مئون ، مئين ، وكذلك المنسوب إليها لا تزاد فيه ألف . مثل النسبة المئوية ، والعيد المئوى .

٢ ـ وتزاد طرفا فى المواضع الآتيه :

(أ) بعد واو الجمـاعة . نحـو : جلسوا ، ولـم يتكلموا ، وقلت لهم تحدثـوا . أما الواو التى هى حـرف علة ولام الفعل فـلا تكتب بعدهـا ألف ؛ مثل : يـدعو . نـرجـو وكذلك الـواو علامـة الرفع فـى جمع المذكر السـالم المضاف والملحـق به المضاف . لا يكتـب بعدها ألـف ، مثل : مهندسـو المشروع ضـاربو المثل فى الصبـر والإخـلاص . وبنو العـروبة يأبـون العار ، والحق يعرفه ذوو الإنصاف وانتهت سنو الشدة .

(ب) فى آخر بيت الشعر إذا كانت للإطلاق نحو :

قفـى يـا أخت يـوشـع خبـرينـا
أحـاديث القـرون الغـابـرينـا

(جـ) فى آخر الاسم المنصـوب المنـون ، نحو تنـزهت عصراً . بشرط ألا يكون الاسم منتهيا بتـاء التأنيث المربوطة . فلا زيادة فى تنزهت فترةً أو منتهيـا بهمزة فوق ألف ، فلا زيادة فى : أصلحت خطـأً ، وبنينـا مخبأً . أو منتهيـا بهمـزة قبلهـا ألف ، فلا زيادة فى : لقيت جزاءً . وسمعت نداءً .

زيادة الواو

لا مجال لزيادة الواو إلا فى وسط الكلمة أو فى آخرها .

فتزاد وسطا فى :

(أ) « أولى » الإشارية . وكذلك « أولاء » بدون الكاف ، أو معها « أولئك » أما « الألى » اسما موصولا فلا تزاد فيها الواو . مثل : نحن الألى سبقوا بالفضل . (يفهم من هذا ومما سبق أن كلمة « أولئك » فيها حرف زائد لا ينطق به وهو الواو ، ومنها حرف محذوف ينطق به وهو الألف بعد اللام) .

(ب) وفى كلمتى « أولو . أولى » بمعنى أصحاب . وهما الملحقتان بجمع المذكر السالم ، مثل : ﴿ نحن أولو قوة ﴾ [النمل : ٣٣] إن أولى النعم محسودون . هذه تذكرة لأولى الألباب .

(جـ) وفى كلمة « أولات » بمعنى صاحبات ، وهى الملحقة بجمع المؤنث السالم فى إعرابه ، مثل : الأمهات أولات الأطفال واجبهن ثقيل .

٢ ـ وتزاد طرفا فى كلمة « عمرو » مرفوعة أو مجرورة؛ للتفرقة بينها وبين كلمة « عمر » مثل : كان عمرو بن العاص من دهاة العرب، ومعاوية مدين لعمرو بن العاص فى نجاح خطته .

أما عمرو المنصوبة فلا تشتبه بكلمة عمر المنصوبة ، ولذا لا تزاد فيها الواو ، فنقول: إن عمرًا داهية، ونقول : إن عُمر عادل، ففى آخر عمرًا المنصوبة ألف لأنها منونة ، أما عُمر فهى غير منونة؛ فلا تلحقها ألف، وذلك كاف للتفرقة بينهما، وتزاد الواو فى عمرو المنصوبة إذا كانت غير منونة . وذلك فى حالة وصفها بكلمة « ابن » مثل : إن عمرو بن هند قد أثار عمرو بن كلثوم ؛ وذلك لأن حذف الواو فى هذه الحالة يجعلها تلتبس بكلمة « عُمر » .

ويشترط فى زيادة الواو فى كلمة عمرو ما يأتى :

(أ) أن تكون كلمة « عمرو » علما على شخص، فإذا لم تكن علما بأن كانت مصدرا، مثل: مصدر الفعل « عَمَرَ » «عَمْر » لا تزاد فيها الواو وكذلك كلمة « عَمْر » بمعنى اللحمة المتدلية من الأسنان .

(ب) ألا تضاف إلى ضمير .

(جـ) ألا تصغر .

(د) ألا تقرن بأل .

(هـ) ألا تكون منسوبة .

فإذا فقد أحد هذه الشروط لا تزاد الواو فى آخرها .

(الإملاء والترقيم فى الكتابة العربية ـ عبد العليم إبراهيم/ ٨١ـ٨٣)

حروف المبانى :

هى حروف الهجاء .

انظر : حروف المعانى .

الحروف (مخارجها) :

مخارج الحروف أى موازينها جمع مخرج .

تعريف المخرج :

والمخرج لغة . محل الخروج . واصطلاحا محل خروج الحرف الذى ينقطع عنده صوت النطق به فيتميز عن غيره (ومعرفة المخرج للحرف كمعرفة الوزن والمقدار، ومعرفة الصفة كالمحك والمعيار) .

طريقة معرفة مخرج الحرف :

والطريقة لمعرفة مخرج حرف هو النطق به ساكناً أو مشددا بعد همز وصل محرك بأية حركة ثم تصغى إليه فحيث ما انقطع صوت النطق بالحرف فهو مخرجه .

مخارج الحروف العامة والخاصة :

والمخارج إما عامة وهى المشتملة على مخرج فأكثر، وأما خاصة وهى المحددة التى لا تشتمل إلا على مخرج واحد .

اختلاف العلماء فى عدد مخارج الحروف :

وقد اختلف علماء التجويد واللغة فى عدد المخارج العامة والخاصة .

رأى الجمهور فى عدد مخارج الحروف :

ذهب الجمهور ومنهم ابن الجزرى والخليل بن أحمد إلى أن المخارج الخاصة سبعة عشر مخرجا تنحصر فى خمسة مخارج عامة وهى :

١ ـ الجوف : ويشتمل على مخرج واحد .

٢ ـ الحلق : ويشتمل على ثلاثة مخارج .

٣ ـ اللسان : ويشتمل على عشرة مخارج .

٤ ـ الشفتان : ويشتمل على مخرجين .

٥ـ الخيشوم : ويشتمل على مخرج واحد .

رأى الشاطبى وسيبويه وموافقيهما فى عدد مخارج الحروف :

وذهب بعض علماء التجويد واللغة ومنهم الشاطبى وسيبويه إلى أن المخارج الخاصة ستة عشر مخرجا (قالت المؤلفة : وكذلك ابن الحاجب كما سيأتى) تنحصر فى أربعة مخارج عامة وهى :

١ـ الحلق بمخارجه الثلاثة .

٢ـ اللسان بمخارجه العشرة .

٣ـ الشفتان بمخرجيهما .

٤ـ الخيشوم بمخرجه .

وأسقطوا الجوف ، ووزعوا الحروف التى تخرج منه وهى حروف المد على مخارج أخرى ، فجعلوا الألف المدية مع الهمزة من أقصى الحلق ، والياء المدية مع غير المدية من وسط اللسان ، والواو المدية مع غير المدية من الشفتين (فتح المجيد/ ٥٠، ٥١) .

ذكر ابن حاجب فى الشافية أن عددها ستة عشر ، وذكر ابن الجزرى فى الجزرية أن عددها سبعة عشر . قال ابن الحاجب :

ومخارج الحروف ستة عشر تقريبا ، وإلا فلكل حرف مخرج ، فللهمزة والهاء والألف أقصى الحلق ، وللخاء والعين وسطه ، وللغين والخاء أدناه ، وللقاف أقصى اللسان وما فوقه من الحنك ، وللكاف منهما ما يليهما ، وللجيم والشين والياء وسط اللسان ، وما فوقه من الحنك ، وللضاد أول إحدى حافتيه ، وما يليهما من الأضراس ، وللام ما دون طرف اللسان إلى منتهاه وما فوق ذلك ، وللنون ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا ، وللراء منهما ما يليهما ، وللطاء والدال والتاء طرف اللسان وأصول الثنايا ، وللصاد والزاى والسين طرف اللسان والثنايا ، وللظاء والذال والثاء طرف اللسان وطرف الثنايا ، وللفاء باطن الشفة السفلى وطرف الثنايا العليا ، وللباء والميم والواو ما بين الشفتين . ومخرج المتفرع واضح (الشافية / ٥٤٤،٥٤٥) .

قال ابن مالك فى فصل فى باب مخارج الحروف :

لهذه الحروف فروع تستحسن ، وهى الهمزة المسهلة ، والغنة ومخرجها الخيشوم ، وألفا الإمالة والتفخيم ، والشين كالجيم ، والصاد كالزاى ؛ وفروع تستقبح وهى كاف كجيم ، وبالعكس ، وجيم كشين ، وصاد كسين ، وطاء كتاء ، وظاء كثاء ، وباء كفاء ، وضاد ضعيفة .

(فصل) : من الحروف مهموسة ، يجمعها : « سكت فحثه شخص » ، وما عداها مجهورة ، ومنها شديدة يجمعها : « أجدك تطبق » ، ومتوسطة يجمعها : « لم يروعنا » ؟ (فى مصادر أخريل« لم يروُعنا») وما عداها رخوة . والصاد والضاد والطاء والظاء مطبقة ، وما عداها منفتحة . والمطبقة مع الغين والخاء والقاف مستعلية ، وما عداها منخفضة ، وأحرف القلقلة : « قطب جد » ، واللينة : « واى » والمعتلة هن والهمزة ، والمنحرف اللام ، والمكرر الراء ، والهاوى الألف ، والمهتوت الهمزة ، وأحرف الذلاقة : « مر بنفل » ، والمصمتة ما عداها ، وما سوى هذه من ألقاب الحروف نسب إلى مخارجها أو ما جاورها (تسهيل الفوائد/ ٣١٩، ٣٢٠) .

رأى الفراء وموافقيه فى عدد مخارج الحروف :

وذهب بعض علماء التجويد واللغة ومنهم الفراء ويحيى وقطرب والجرمى إلى أن المخارج الخاصة أربعة عشر مخرجا تنحصر فى أربعة مخارج عامة وهى :

١ـ الحلق بمخارجه الثلاثة .

٢ـ اللسان بمخارجه الثمانية .

٣ـ الشفتان بمخرجيهما .

٤ـ الخيشوم بمخرجه .

وأسقطوا الجوف ، ووزعوا الحروف التى تخرج منه كالمذهب السابق وزادوا أن اللام والنون والراء تخرج من مخرج واحد وهو طرف اللسان ، وبذلك جعلوا مخارج اللسان ثمانية بدلا من عشرة .

تعدد مخارج الحروف بعدد الحروف فى الحقيقة :

والحقيقة كما أرى أن الاختلاف السابق فى عد مخارج

الحروف مبنى على التقريب لا على التحديد، إذ أن المخارج لا بد أن تتعدد بتعدد الحروف الهجائية التى لا بد لكل منها مخرج خاص به يميزه عن غيره من الحروف، فالأقوال السابقة المبنية على خروج حرفين أو ثلاثة من مخرج واحد إنما هى على سبيل التجوز والتقريب لا على سبيل الحقيقة والتحديد.

تفصيل مخارج الحروف :

واليك فيما يلى مخارج الحروف تفصيلا على مذهب الجمهور لأنه المختار مرتبة بترتيبها فى نظم الجزرى :

الجوف وحروفه وما تسمى به ووجه هذه التسمية :

أما الجوف ففى اللغة : الخلاء . وفى الاصطلاح : الخلاء الواقع داخل الحلق والفم ، ومنه تخرج الألف المدية المفتوح ما قبلها نحو (قال) والباء المدية المكسور ما قبلها نحو (قيل) والواو المدية المضموم ما قبلها نحو (يقول) وتسمى جوفية لخروجها من الجوف ، وتسمى مدية لامتداد الصوت فى يسر عند النطق بها ، وتسمى حروف العلة لتأوه العليل أى المريض بها .

مخارج الحلق وحروفه وما تسمى به ووجه هذه التسمية :

وأما الحلق ففيه ثلاثة مخارج تخرج منها ستة أحرف، وهى :

١ ـ أقصى الحلق : ومنه تخرج الهمز فالهاء .

٢ ـ وسط الحلق : ومنه تخرج العين فالحاء .

٣ ـ أدنى الحلق : ومنه تخرج الغين فالخاء .

وتسمى جميعا بالحروف الحلقية لخروجها من الحلق . والمراد بأقصى الحلق أبعده من الداخل، وبأدناه أقربه إلى الخارج، وبوسط الحلق ما بين الأقصى والأدنى .

مخارج اللسان وحروفه وما تسمى به ووجه هذه التسمية :

وأما اللسان ففيه عشرة مخارج تخرج منها ثمانية عشر حرفا ، وهى :

١ ـ أقصى اللسان من فوق مما يلى الحلق مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، ومنه تخرج القاف .

٢ ـ أسفل أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، ومنه تخرج الكاف وتسميان لهويتين لخروجهما من قرب اللهة .

٣ ـ وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى ، ومنه تخرج الجيم فالشين مطلقا فالياء بشرط أن تكون متحركة بالفتح نحو (يعلمون) أو بالكسر نحو (هين) أو بالضم نحو (يؤمنون) أو ساكنة مفتوح ما قبلها نحو (خير) . أما الياء الساكنة المكسور ما قبلها فقد تقدم أنها تخرج من الجوف على المذهب المختار. ومن وسط اللسان على غيره ، وأما الياء الساكنة المضموم ما قبلها فلم ترد فى القرآن ولا فى اللغة، وتسمى الجيم والشين والياء التى تخرج من وسط اللسان شجرية لخروجها من شجر الفم أى مقدمه .

٤ ـ حافة اللسان مما يلى الأضراس العليا ، أى جانبه من الداخل، ومنها تخرج الضاد . فالضاد تخرج من إحدى حافتى اللسان مما يلى الأضراس العليا من اليسرى أو من اليمنى، من اليسرى أيسر وأكثر استعمالا. وتسمى مستطيلة لاستطالة مخرجها، والنطق بالضاد كاملا من مميزات العربى، إذ لا توجد الضاد فى أية لغة غير اللغة العربية ، ولذلك تسمى لغة الضاد، وقد تميز النبى ﷺ بكمال نطقه بها، فقال : « أنا أفصح من نطق بالضاد » ويقول الشاعر فى مدحه بذلك :

ثم صلاة الله ما ترنم
حاد بسوق العيس فى أرض الحمى
على نبينا الحبيب الهادى
أجل كل ناطق بالضاد

٥ ـ أدنى حافة اللسان إلى منتهاها مما يلى الأنياب، أى جانبه من الخارج مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا، ومنه تخرج اللام، فاللام تخرج من أدنى حافة اللسان إلى منتهاها مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا والأنياب من اليمنى أو من اليسرى، من اليمنى أيسر وأكثر استعمالا، ومن اليسرى أصعب وأقل استعمالا، ومنهما مما أعز وأقل استعمالا.

٦ ـ طرف اللسان تحت مخرج اللام قليلا مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا ومنه تخرج النون .

٧ ــ أدنى اللسان من ظهره أدخل من النون قليلا مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا، ومنه تخرج الراء وتسمى اللام والنون والراء حروفا ذلقية لخروجها من ذلق اللسان أى من طرفه

٨ ــ طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، ومنه تخرج الطاء والدال والتاء، وتسمى نطعية لخروجها من نطع الفم أى غاره ونهاية تجويفه.

٩ ــ طرف اللسان مع ما فوق الثنايا السفلى ـ أو مع ما بين الثنايا السفلى والعليا، ولا فرق بينهما، لأن ما فوق الثنايا السفلى هى بالضبط ما بين الثنايا السفلى والعليا، وقد جاء فى بعض الكتب بيان هذا المخرج بالتعبير الأول كالجزرية، وفى بعضها بالتعبير الثانى كالشاطبية، والعلة فى اختلاف التعبيرين ضرورة الشعر التى دعت كلاًّ إلى التعبير بما يتسع له نظمه. ومن هذا المخرج تخرج الصاد والزاى والسين، وتسمى أسلية لخروجها من أسلة اللسان أى مستدقه.

١٠ ــ طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، ومنه تخرج الظاء والذال والثاء، وهى الحروف التى جرت عادة القراء على النصح بإخراج اللسان عند النطق بها، وتسمى لثوية لقرب مخرجها من لثة الأسنان.

مخرجا الشفتين وحروفهما :

وأما الشفتان ففيهما مخرجان :

١ ــ بطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا، ومنه تخرج الفاء.

٢ ــ الشفتان معا، ومنهما تخرج الباء والميم مع انطباق، والواو مع انضمام أو انفتاح. والمراد بالواو التى تخرج من الشفتين الواو المتحركة بفتح نحو (ذروا) أو كسر نحو (وقرا) أو ضم نحو (ولد) والساكنة المفتوح ما قبلها نحو (خوف) أما الواو الساكنة المضموم ما قبلها فقد تقدم أنها تخرج من الجوف على المذهب المختار ومن الشفتين على غيره.

وأما الواو الساكنة المكسور ماقبلها فلا توجد فى القرآن ولا فى اللغة، وتسمى الفاء والباء والميم والواو شفوية لخروج الفاء من بطن الشفة السفلى، وخروج الباقى من الشفتين معا.

الخيشوم وما يخرج منه :

وأما الخيشوم وهو أعلى الأنف وأقصاه من الداخل فمنه تخرج الغنة المركبة فى جسم النون ولو تنوينا والميم فقط (فتح المجيد/ ٥٠ـ٥٥).

أما عن المنظومات فى مخارج الحروف فلدينا النماذج التالية :

١ ــ الشاطبية : قال الإمام الشاطبى فى باب مخارج الحروف وصفاتها التى يحتاج القارئ إليها :

وهاك موازين الحروف وما حكى
جهابذة النقاد فيها محصلا
ولا ريبة فى عينهن ولا ربا
وعند صليل الزيف يصدق الابتلا
ولا بد فى تعيينهن من الأولى
عنوا بالمعانى عاملين وقولا
فأبدأ منها بالمخارج مردفا
لهن بمشهور الصفات مفصلا
ثلاث بأقصى الحلق واثنان وسطه
وحرفان منها أول الحلق جمِّلا
وحرف له أقصى اللسان وفوقه
من الحنك احفظه وحرف بأسفلا
ووسطهما منه ثلاث وحافة الـ
لسان فأقصاها لحرف تطولا
إلى ما يلى الأضراس وهو لديهما
يعز وباليمنى يكون مقللا
وحرف بأدناها إلى منتهاه قد
يلى الحنك الأعلى ودونه ذو ولا
وحرف يدانيه إلى الظهر مدخل
وكم حاذق مع سيبويه به اجتلى
ومن طرف هن الثلاث لقطرب
ويحيى مع الجرمى معناه قُوِّلا

ومنـــه ومن عُلْيَـــا الثنـــايــا ثـــلاثـــة
ومنـــه ومن أطــرافهـــا مثلهـــا انجلى
ومنـــه ومن بيـن الثنـــايــا ثـــلاثـــة
وحـــرف من أطـــراف الثنايـــا هى التعـــلا
ومـن بـــــاطـن السفلى مـن الشفتيـن قـل
وللشفتيـن اجعل ثـــلاثـــا لتعـــدلا
وفـى أول مـــن كلـم بيتيـن جمعهـــــــا
ســـــوى أربـع فيهـن كلمــــــة أوّلا
أهـــاع حشـا (غـــاو) خـــلا قـــارئٌ كمـــا
جـرى شـرط يسـرى ضـارع لاح نـــوفـــلا
رعـى طهـــــر دين تمـــه ظـل ذى ثنـــا
صفـــا سجـل زهـــد فـى وجـــوه بنـى مـــلا

(متن الشاطبية / ١٧٧ ـ ١٧٩) . .

٢ ـ الجزرية : قال الإمام ابن الجزرى فى مخارج الحروف وقد جعلها ـ بخلاف ابن الحاجب ـ سبعة عشر :

مخـــارج الحـــروف سبعــــة عشـــر
علـى الـــــذى يختـــاره مـن اختبـــــر
فـألف الجـــــوف وأختـــاهـــا وهـى
حـــــروف مـــــد للهـــــواء تنتهى
ثـم لأقصى الحلـق همـــــز هـــــاء
ثـم لـــــوسطـــــه فعيـن حـــــاء
أدنـــــاه غيـن خـــاؤهـــا والقـــاف
أقصى اللســـان فـــوق ثـم الكـــاف
أسفـل والـــــوسط فجيـم الشيـن يـــا
والضـــاد مـن حـــافتـــه إذ وليـــا
الأضـــراس مـن أيســـر أو يمنـــاهـــا
والـــلام أدنـــاهـــا لمنتهـــاهـــا
والنـــون من طـــرفـــه تحت اجعلـــوا
والـــرا يـــدانيـــه لظهـــر أدخلـــوا
والطـــاء والـــدال وتـــا منـــه ومـن
عليـــا الثنـــايـــا والصفيـــر مستكـن
منـــه ومـن فـــوق الثنـــايـــا السفلى
والظـــاء والـــذال وثـــا للعليـــا
مـن طـــرفيهمـــا ومـن بطـن الشفـــه
فـــالفـــا مـع أطـراف الثنـايـــا المشـرفـــه
للشفتيـن الــــــواو بـــــاء ميـم
وغنـــة مخـــرجهـــا الخيشـــوم

(فتح المجيد ـ شرح كتاب العميد فى علم التجويد ـ الشيخ محمود على بسه . شرح وتعليق وضبط وتحقيق محمد الصادق قمحاوى / ٥٠ ـ ٥٥ ومتن الشافية لابن الحاجب . مجموع مهمات المتون / ٥٤٤، ٥٤٥ ، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ـ حققه وقدم له محمد كامل بركات / ٣١٩، ٣٢٠ ، ومتن الشاطبية المسمى حرز الأمانى ووجه التهانى فى القراءات السبع للقاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الشاطبى الرعينى ـ صححه وراجعه متولى عبد الله الفقاعى . مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده ـ د . ت / ١٧٧ ـ ١٧٩ ، ومتن الجزرية فى معرفة تجويد الآيات القرآنية للعلامة الشيخ محمد بن الجزرى / ٧ ـ ١١ .

انظر أيضا تلخيص لآلئ البيان فى تجويد القرآن ـ إبراهيم على على شحاته السمنودى / ٢ ـ ٤ ، والعرب والعربية ـ السيد عبد الرحمن السيد محمدالعيدروسى / ١٣٩ ـ ١٤٧ ، ورسالة فى الحروف العربية لأحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازى ـ تحقيق د . رشيد عبد الرحمن العبيدى . مجلة معهد المخطوطات العربية . المجلد العشرون . الجزء الأول ، ربيع الآخر ١٣٩٤ هـ ـ مايو ١٩٧٤ م / ٧٨ ـ ٨١) .

الحروف المشبهة بالفعل :

عن الحروف المشبهة بالفعل يقول ابن الحاجب :

إنَّ ، وأنَّ ، وكأن ، ولكن ، وليت ، ولعل لها صدر الكلام سوى أنَّ فهى بعكسها ، وتلحقها ما فتلغى على الأفصح ، وتدخل حينئذ على الفعل ، فإن لا تغير معنى الجملة ، وأن مع جملتها فى حكم المفرد ، ومن ثمت وجب الكسر فى موضع الجمل والفتح فى موضع المفرد فكسرت ابتداء ، وبعد القول والموصول ، وفتحت فاعلة ، ومفعولة ، ومبتدأة ، ومضافا إليها ، وقالوا : لولا أنك لأنه مبتدأ ، ولو أنك لأنه فاعل ، فإن جاز التقديران جاز الأمران ، مثل : من يكرمنى فإنى أكرمه .

و * إذا أنه عبد القفا واللهازم *

وشبهه، ولذلك جاز العطف على اسم المكسورة لفظا أو حكما بالرفع دون المفتوحة، مثل: إن زيدا قائم وعمرو، ويشترط مضى الخبر لفظا، أو حكما خلافا للكوفيين، ولا أثر لكونه مبنيا خلافا للمبرد والكسائى فى مثل: إنك وزيد ذاهبان. ولكنَّ كذلك ولذلك دخلت اللام مع المكسورة دونها على الخبر، أو على الاسم إذا فصل بينه وبينها، أو على ما بينهما، وفى لكن ضعيف، وتخفف المكسورة فيلزمها اللام، ويجوز إلغاؤها، ويجوز دخولها على فعل من أفعال المبتدإ خلافا للكوفيين فى التعميم، وتخفف المفتوحة، فتعمل فى ضمير شأن مقدر، وتدخل على الجُمل مطلقا، وشذ إعمالها فى غير، ويلزمها مع الفعل السين، أو سوف، أو قد، أو حرف النفى. وكأن للتشبيه وتخفف فتلغى على الأفصح، ولكن للاستدراك، تتوسط بين كلامين متغايرين معنى، وتخفف فتلغى، ويجوز معها الواو. وليت للتمنى، وأجاز الفراء: ليت زيدا قائما، ولعل للترجى، وشذ الجر بها.

(الكافية لابن الحاجب. مجموع مهمات المتون / ٤٢٤، ٤٢٥)

حروف المصدر:

حروف المصدر: ما، وأنْ، وأنَّ، فالأولان للفعلية، وأن للاسمية.

(الكافية لابن الحاجب. مجموع مهمات المتون / ٤٢٧).

حروف المعانى:

سبق أن ذكرنا أن الحروف تقسم فى مصنفات التراث اللغوى إلى: حروف المعانى، وحروف الهجاء أو التهجى ويقال لها حروف المبانى.

فأما عن حروف المعانى فيسميها علم اللغة الحديث «مورفيمات»، أى الوحدات الصرفية ذات الدلالة، وتقسم فى التراث الإسلامى وفقا للعدد، فهى إما آحادية، أو ثنائية، أو ثلاثية، أو رباعية، وهو تقسيم الرمانى فى كتابه «معانى الحروف».

ونورد أولا سردًا بأسماء حروف المعانى التى أوردها الرمانى، ثم نتبعه ببيان تلك التى وردت فى مصدر آخر وزيد فيها على إحصاء الرمانى:

الحروف الأحادية: الهمزة، الباء، التاء، السين، الفاء، الكاف، اللام، الواو.

(فى كتاب قواعد اللغة العربية عددها ثلاثة عشر).

الحروف الثنائية: أل، أم، أن، إن، أو، أى، لا، ما، وا، ها، يا، بل، عن، فى، مِنْ، قد، كى، لن، لم، لو، هل، مذ.

الحروف الثلاثية: منذ، نعم، بلى، ثم، جير، خلا، رُبَّ، على، سوف، إنَّ، أنَّ، ليت، ألا، إلى، إذا، أيا، هيا.

الحروف الرباعية: حاشا، حتى، كأنَّ، كلاَّ، لولا، لوما، لعل، إلا، أما، إما، هلاَّ، لما، لكن (معانى الحروف / ١٩٨، ١٩٩).

وإليك بيانها كما ورد فى كتاب قواعد اللغة العربية، مع ملاحظة الفرق بينه وبين إحصاء الرمانى:

أما الأحادية فثلاثة عشر وهى الهمزة والألف والباء والتاء والسين والفاء والكاف واللام والميم والنون والهاء والواو والياء (فالهمزة) للاستفهام وللتسوية وللنداء نحو ﴿ أقريب أم بعيد ما توعدون ﴾ [الأنبياء: ١٠٩] ﴿ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ [البقرة: ٦].

* أجارتنا إنا مقيمان هاهنا *

والألف: للاستغاثة وللتعجب وللندبة وللفصل بين النونين وللدلالة على التثنية نحو يا يزيدا لآمل نيل بر. يا ما آو يا عُشْبا. واحسينا. وقد أسلماه مبعد وحميم.

والباء: للإلصاق وللسببية وللقسم وللاستعانة نحو أمسكت بأخى.

﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ﴾ [المائدة: ٣] أقسم بالله وآياته. كتبت بالقلم.

وتجىء زائدة نحو ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ [الزمر: ٣٦].

والتاء: للتأنيث وللقسم نحو ﴿ قالت امرأة العزيز ﴾ [يوسف: ٥١]﴿ تالله لقد آثرك الله علينا ﴾ [يوسف: ٩١].

والسين : للاستقبال نحو :

* ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا *

والفاء : للترتيب مع التعقيب ولربط الجواب نحو دخل عند الخليفة العلماء فالأمراء . ﴿ إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبيكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ [آل عمران : ٣١] وتجىء زائدة لتحسين اللفظ نحو خذ سبعة فقط .

والكاف : للتشبيه وللخطاب نحو العلم كالنور . ﴿ إن فى ذلك لعبرة ﴾ [آل عمران : ١٣] و [النور : ٤٤] .

وتجىء زائدة نحو ﴿ ليس كمثله شىء ﴾ [الشورى : ١١] .

واللام : للأمر وللابتداء وللقسم وللاختصاص نحو ﴿لينفق ذو سعة من سعته ﴾ [الطلاق : ٧] ﴿ ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ﴾ [يوسف : ٨] ﴿ لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ﴾ [الحشر : ١٢] الجنة للطائعين .

والميم : للدلالة على جمع الذكور نحو ﴿ ذلك بما كنتم تفرحون فى الأرض ﴾ [غافر : ٧٥] .

والنون : للوقاية من الكسر وللتوكيد نحو ﴿ وأوصانى بالصلاة ﴾ [مريم : ٣١] ﴿ لنسفعن بالناصية ﴾ [العلق : ١٥] .

والهاء : للسكت فى الوقف نحو لِمَهْ وقِهْ وعِهْ وللغيبة نحو إياه وإياهم فإن الضمير هو إيا فقط وما بعده لواحق تدل على الغيبة كما هنا أو على الخطاب كما فى إياك وإياكم أو على التكلم كما فى إياى وإيانا .

والواو : لمطلق الجمع وللاستئناف وللحال وللمعية وللقسم نحو يسود الرجل بالعلم والأدب . ﴿ لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء ﴾ [الحج : ٥] ﴿ خرجوا من ديارهم وهم ألوف ﴾ [البقرة : ٢٤٣] سرت والجبلَ .

﴿ والتين والزيتون ﴾ [التين : ١] .

والياء : للتكلم نحو إياى .

وأما الثنائية : فستة وعشرون وهى آ وإذ وأل وأم وأن وإن وأو وأى وإى وبل وعن وفى وقد وكى ولا ولم ولن ولو وما ومذ ومن وها وهل ووا ويا والنون الثقيلة .

آ للنداء نحو آ عبد الله .

و إذ : للمفاجأة بعد بينا وبينما وللتعليل نحو .

... ...

فبينما العسر إذ دارت مياسير
فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم
إذ هم قريش وإذ ما مثلهم بشر

و أل لتعريف الجنس أو جميع أفراده أو فرد منه معين نحو الرجل خير من المرأة . ﴿ إن الإنسان لفى خسر * إلا الذين آمنوا ﴾ [العصر : ٢، ٣] ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾ [الحشر : ٧] وتجىء زائدة نحو الآن والنعمان .

وأم : للمعادلة بعد همزة الاستفهام أو التسوية نحو ﴿أقريب أم بعيد ما توعدون ﴾ [الأنبياء : ١٠٩] ﴿ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم ﴾ [البقرة : ٦] وتجىء بمعنى بل نحو ﴿ هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور ﴾ [الرعد : ١٦] .

وأن : تكون مصدرية ومفسرة وزائدة ومخففة من أنَّ نحو ﴿ وأن تصوموا خير لكم ﴾ [البقرة : ١٨٤] ﴿ فأوحينا إليه أن اصنع الفلك ﴾ [المؤمنون : ٢٧] ﴿ فلما أن جاء البشير ﴾ [يوسف : ٩٦] ﴿ علم أن سيكون منكم مرضى ﴾ [المزمل : ٢٠] .

و إن : للشرط وللنفى وتجىء زائدة ومخففة من إنَّ نحو إن تَرحم ترُحم . إن هم إلا فى غرور .

ما إن ندمت على سكوت مرة
ولقد ندمت على الكلام مرار

﴿ وإن نظنك لمن الكاذبين ﴾ [الشعراء : ١٨٦] .

و أو : لأحد الشيئين نحو خذ هذا أو ذاك . وتجىء فى مقابلة إما نحو العدد إما زوج أو فرد وبمعنى بل نحو ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ﴾ [الصافات : ١٤٧] .

وأى : للنداء وللتفسير نحو أى رب . هذا عسجد أى ذهب وإى للجواب ويذكر بعده قسم دائما نحو ﴿ ويستنبئونك

أحق هو قل إى وربى إنه لحق ﴾ [يونس : ٥٣] والغالب وقوعها بعد الاستفهام كما رأيت .

وبل : للإضراب عن المذكور قبلها وجعله فى حكم المسكوت عنه نحو ما ذهب خالد بل يوسف .

وعن : للمجاوزة وللبدلية نحو خرجت عن البلد . ﴿ لا تجزى نفس عن نفس شيئا ﴾ [البقرة : ١٢٣] .

وفى للظرفية وللمصاحبة وللسببية نحو فى البلد لصوص . ادخلوا فى أمم . دخلت امرأة النار فى هرة حبستها .

وقد : للتحقيق وللتقليل وللتوقع نحو ﴿ قد أفلح من زكاها﴾ [الشمس : ٩] قد يجود البخيل . قد يقدم المسافر الليلة .

وكى : للتعليل أو للمصدرية وهذه مع ما بعدها فى تأويل مصدر كأن نحو أخلصوا النيات كى تنالوا أعلى الدرجات . جد لكى تجد .

ولا : تكون ناهية وزائدة ونافية نحو ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ [الزمر : ٥٣] ﴿ ما منعك ألا تسجد ﴾ [الأعراف : ١٢] ﴿ فلا صدَّق ولا صلى ﴾ [القيامة : ٣١] وقد تقع النافية جوابا وعاطفة وعاملة عمل إن نحو قالوا أتصبر ؟ قلت لا . أكرم الصالح لا الطالح . لا سمير أحسن من الكتاب .

ولم : لنفى المضارع وجزمه وقلبه إلى المضى نحو ﴿ لم يلد ولم يولد ﴾ [الإخلاص : ٣] .

و لن : لنفى المضارع ونصبه وتخليصه للاستقبال نحو .

لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

ولو : للشرط وللمصدرية نحو لو أنصف الناس استراح القاضى . ﴿ يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ﴾ [البقرة : ٩٦] ويقال لها فى نحو المثال الأول حرف امتناع لامتناع أى انتفاء الجواب لانتفاء الشرط .

وما : تكون نافية وزائدة وكافة عن العمل ومصدرية نحو ﴿ ما هذا بشرا ﴾ [يوسف : ٣١] ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ﴾ [آل عمران : ١٥٩] . ﴿ كأنما يساقون إلى الموت ﴾ [الأنفال : ٦] ﴿ وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ﴾ [التوبة : ٢٥] وقد يلحظ الوقت مع المصدرية فيقال لها مصدرية ظرفية نحو ﴿ وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا﴾ [مريم : ٣١] .

ومذ : للابتداء أو الظرفية نحو ما كلمته مذ سنة ولا قابلته مذ يومنا .

ومن : للابتداء وللتبعيض وللتعليل نحو ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾ [الإسراء : ١] ﴿ منهم من كلم الله ﴾ [البقرة : ٢٥٣] ﴿مما خطيئاتهم أُغرقوا ﴾ [نوح : ٢٥] وتجىء زائدة بعد النفى والنهى .

والاستفهام نحو . لا يبرح من أحد ﴿ هل من خالق غير الله ﴾ [فاطر : ٣] .

وها : للتنبيه تدخل على أسماء الإشارة كهذا وهذه والضمائر كهأنذا وهأنتم والجمل نحو ها إن صاحبك بالباب .

وهل : للاستفهام نحو هل طلع النهار ؟ وتفارق الهمزة فى أنها لا تدخل على نفى ولا شرط ولا مضارع حالى ولا إن .

و وا : للندبة نحو واحسيناه .

ويا : للنداء وللندبة وللتنبيه نحو ﴿ يأيها الناس ﴾ [البقرة: ٢١] وغيرها يا حسيناه . ﴿ يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ﴾ [يسٓ : ٢٧] .

و النون الثقيلة : تدخل على الفعل لتوكيده نحو ﴿ليسجنن ﴾ [يوسف : ٣٢] ولا تلحق الماضى أبدا .

وأما الثلاثية : فخمسة وعشرون وهى آى وأجَلْ وإذا وإذن وألاَ وإلى وأما وأن وإنَّ وأيا وبلى وثم وجلل وجير وخلا ورب وسوف وعدا وعلَّ وعلى ولات وليت ومنذ ونعم وهيا .

وآى : للنداء نحو آى صاعد الجبل .

وأجل : للجواب نحو .

يقولون لى صفها فأنت بوصفها

خبير أجل عندى بأوصافها علم

وإذا للمفاجأة نحو ظننته غائبا إذا إنه حاضر وتربط الجواب بالشرط نحو ﴿ وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ﴾ [الروم : ٣٦] . والأشهر أنها ظرف .

وإذن : للجواب والجزاء نحو إذن تبلغ القصد فى جواب (سأجتهد) مثلا .

وألا : للتنبيه والاستفتاح وللطلب برفق وهو العرض أو بحث وهو التحضيض نحو ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم﴾ [يونس : ٦٢] ألا تحل بنادينا ، ألا تجتهد .

وإلى : للانتهاء نحو ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾ [الإسراء : ١] .

وأما : للتنبيه ويكثر بعدها القسم نحو أما والله لأعاتبنه .

وأن للتوكيد والمصدرية نحو أعطيته لأنه مستحق وتلحقها ما فتنكف عن العمل وتفيد الحصر نحو ﴿ يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد ﴾ [الكهف : ١١٠] .

وإن : للتوكيد نحو ﴿ إن الله على كل شىء قدير ﴾ [البقرة : ٢٠] وغيرها وتلحقها ما فتنكف أيضا وتفيد الحصر نحو ﴿ إنما يتذكر أولو الألباب ﴾ [الزمر : ٩] وقد تجىء للجواب نحو .

ويقلن شيب قد علا *ك وقد كبرت فقلت إنَّهْ*

وأيا للنداء نحو .

أيا جبلى نعمان بالله خليا *نسيم الصبا يخلص إلىَّ نسيمها*

وبلى : للجواب نحو ﴿ ألست بربكم قالوا بلى ﴾ [الأعراف : ١٧٢] وأكثر ما تقع بعد الاستفهام ويجاب بها بعد النفى كما رأيت .

وثم : للترتيب مع التراخى نحو خرج الشبان ثم الشيوخ .

وجَلَلْ : للجواب كنعم قالوا نظمت عقود الدرِّ قلت جَلَلْ

وجَيْرِ : للجواب أيضا نحو أتقتحم المنون فقلت جَيْر .

وخلا : للاستثناء نحو رافق الناس خلا المضلين .

ورب : للتقليل وللتكثير نحو رب أمنية جلبت منية . رب ساع لقاعد . وقد تحذف الواو ويبقى عملها نحو .

وليل كموج البحر أرخى سدوله *علىَّ بأنواع الهموم ليبتلى*

ويقال للواو واو رب

وسوف : للاستقبال نحو سوف يرى .

وعدا : للاستثناء نحو حسِّن الظن بالناس عدا الخائنين .

وَعلَّ : للترجى والتوقع نحو .

لاتهين الفقير علَّك أن تر *كع يوما والدهر قد رفعه*

وعلى : للاستعلاء والمصاحبة نحو ﴿ وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾ [المؤمنون : ٢٢] . ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ [الرعد : ٦] .

ولات للنفى كليس نحو .

ندم البغاة ولات ساعة مندم *والبغى مرتع مبتغيه وخيم*

وليت للتمنى نحو .

ألا ليت الشباب يعود يوما *فأخبره بما فعل المشيب*

ومنذ : للابتداء أو الظرفية كمذ نحو ما كلمته منذ سنة ولا قابلته منذ يومنا .

ونعم : للجواب فتكون تصديقا للمخبر ووعدا للطالب وإعلاما للسائل تقول نعم فى جواب . البغى آخره ندم . و﴿افعل ما تؤمر ﴾ [الصافات : ١٠٢] . وهل أديت ما عليك . ومثلها فى ذلك أجل وجير .

وهيا : للنداء نحو هيا ربنا ارحمنا .

وأما الرباعية : فخمسة عشر وهى إذما وألا وإلا وأمّا وإمّا وحاشا وحتى وكأن وكلا ولكن ولعل ولما ولولا ولوما وهلا .

فـإذ ما : للشرط نحو إذ ما تتق ترتق .

وألا : للتحضيض نحو ألا راعيتم حق الأخوة .

وإلا : للاستثناء نحو لكل داء دواء إلا الموت .

وأمّا : للشرط والتفصيل والتوكيد نحو ﴿ فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق ﴾ [البقرة : ٢٦] .

وإما : للتفصيل نحو ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴾ [الإنسان : ٣] .

وحاشا للاستثناء نحو أقدموا على البهتان حاشا واحد .

وحتى : تقع حرف جر للانتهاء نحو ﴿ حتى مطلع الفجر﴾ [القدر : ٥] ﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض ﴾ [البقرة : ١٨٧] وحرف عطف للغاية نحو قدم الحجاج حتى المشاة وحرف ابتداء نحو :

* فواعجبا حتى كليب تسبنى *

وكأن : للتشبيه وللظن نحو كأن لفظه الدر المنثور. كأنه ظفر ببغيته ، وقد تخفف نحو ﴿ كأن لم تغن بالأمس ﴾ [يونس: ٢٤] .

وكلا للردع والزجر نحو ﴿ كلا إنها كلمة هو قائلها ﴾ [المؤمنون : ١٠٠] وقد تجىء للتنبيه والاستفتاح نحو ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ [المطففين : ١٥]

ولكن : للعطف أو الاستدراك نحو ما قام زيد لكن عمرو

ولعل : للترجى والتوقع نحو لعل الجو يعتدل .

ولما : لنفى المضارع وجزمه وقلبه إلى الماضى نحو أشوقا ولما يمضى لى غير ليلة . وتجىء للشرط نحو ﴿ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ﴾ [يوسف : ٦٥] ويقال لها حينئذ حرف وجود لوجود والأشهر فى نحو هذا أنها ظرف بمعنى حين .

ولولا : للتحضيض وللشرط نحو ﴿ لولا تستغفرون الله ﴾ [النمل : ٤٦] ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾ [البقرة : ٢٥١] ويقال لها حينئذ حرف امتناع لوجود أى انتفاء الجواب لوجود الشرط .

ولوما : كلولا فى معنييها المذكورين نحو ﴿ لوما تأتينا بالملائكة ﴾ [الحجر : ٧] .

لوما الإصاخة للوشاة لكان لى
من بعد سخطك فى رضاك رجاء

وهلا : للتحضيض نحو : هلا ترسل إلى صديقك .

(وأما الخماسية) فلم يأت منها إلا « لكن » وهى للاستدراك ، نحو فلان عالم لكنه جبان ، والاستدراك رفع وهم نشأ من الكلام السابق.

ومما تقدم يعلم أن الحروف تنقسم إلى أصناف فكل طائفة منها اشتركت فى معنى أو عمل تنسب إليه فيقال :

أحرف الجواب لا ونعم وبلى وإى وأجل وجلل وجير وإنْ

وأحرف النفى : لم ولما ولن وما ولا ولات وإنْ .

وأحرف الشرط : إنْ وإذما ولو ولولا ولوما وأما .

وأحرف التحضيض : ألا وألاَّ وهلا ولولا ولوما .

والأحرف المصدرية : أنْ وأنَّ وكى ولو وما .

وأحرف الاستقبال : السين وسوف وأن وإن ولن وهل .

وأحرف التنبيه : ألا وأما وها ويا .

وأحرف التوكيد : إن وأن والنون ولام الابتداء وقد .

ومن ذلك حروف الجر والعطف والنداء ونواصب المضارع وجوازمه وقد مر بيانها .

وتنقسم الحروف إلى عاملة كان وأخواتها وغير عاملة كأحرف الجواب .

وتنقسم أيضا إلى مختصة بالأفعال كأحرف التحضيض ومختصة بالأسماء كحروف الجر ومشتركة كما ولا النافيتين والواو والفاء العاطفتين .

(قواعد اللغة العربية / ٩١-١٠١) .

أما من حيث النظم فلدينا ما يلى :

١ - ألفية السيوطى النحوية / ٣٩ ، ٤٠ .

٢ - ألفية الآثارى / ٦٣ ، ٦٤ .

٣ - منظومة الشيخ معروف النودهى الموسومة بفتح الرءوف فى معانى الحروف، أو القطوف الدوانى فى حروف المعانى ونقتصر على ما أورده الإمام السيوطى فى ألفيته النحوية ، مع ملاحظة أن كل ما كان بين قوسين فهو من زيادات السيوطى على ألفية ابن مالك . قال الناظم :

إلى لانتها (ومعنى فى ومع
ومن وعند ولتبيين تقع)
والباء للإلصاق والتعدية
والسببية والاستعانة

ومثـل مـع ومـن وعـن وفـى علـى
وبـدلا وزائدا وكـإلـى
حتـى لـلانتهـاء فى اسم ظـاهـر
(وخصت الآخـر أو كـالآخـر
ورب للتقليـل والتكثيـر)
وخصت المنكـر (مع ضميـر)
علـى تكـون اسمـا (كفـوق) يلْفَى
وتُعطى الاستعـلا (كثيـرا) حـرفـا
ومثل عـن (ومـع ومـن والـلام) فـى
(والبـا ولكـن ومـزيـدة تفـى)
بعن تجـاوز (ابتـدا) استعـل (ابـدل
أو خـذ كفـى والبـا) وبعـد (علـل)
وفـى لظـرفـى المكـان والـزمـن
(وكـإلـى علـى ومـع) والبـا (ومـن)
بـالكـاف شبـه زد وعلل وتخص
بمظهـر واسمـا أتت فـاجـرر بنص
وكـى (لتعليـل وتختص بمـا
وأن مـن المصـدر مـا مستفهمـا)
لـلاختصـاص الـلام والتعـديـة
والملـك والتـوكيـد (والصيـرورة)
والعلـة (التمليـك أو كفـى علـى
وعنـد بعـد من وعـن ومـع) إلـى
مـن ابتـدا بهـا وبيـن (علـل)
بعـض (وللفصـل أتت) والبـدل
(والنـص للعمـوم أو مثـل إلـى
وعـن وفـى وعنـد والبـا وعلـى)
وزيـد فـى نفى وشبهـه (فخص)
نكـرة (واسمـا أتت مفعـول نـص)
ومـذ ومنـذ ولـوقت ذات جـر
كمـن بمـاض وكفى فيمـا حضـر
واسمـان إن تليهمـا الجملـة أو
رفـع وجـر غيـر مظهـر أبـوا

وزيـد مـا فـى مـن وعـن ليس يكـف
والبـا وفـى الغـالب رب الكـاف كف
وأُضمـرت رُب فجُـرت بعـد بـل
واو وفـا وهـو بغيـر رب قـل

(ألفية السيوطى النحوية / ٣٩ ، ٤٠) .

(معانى الحروف للرمانى ـ حققه وخرّج شواهده وعلق عليه وقدم له د. عبد الفتاح إسماعيل شلبى / ١٩٨ ، ١٩٩ ، وقواعد اللغة العربية ـ حفنى ناصف وزملائه / ٩٢ ـ ١٠١ ، وألفية السيوطى النحوية / ٣٩ ، ٤٠ . انظر أيضا ألفية الآثارى : كفاية الغلام فى إعراب الكلام لزين الدين شعبان بن محمد القرشى الآثارى ـ حققه وقدم له د . زهير زاهد والأستاذ هلال ناجى / ٦٣ ، ٦٤ ، والأعمال الكاملة للشيخ معروف النودهى ـ دراسة وتحقيق السيد بابا على بن الشيخ عمر القرداغى ، والسيد محمود أحمد ، والشيخ محمد عمر القرداغى . المجموعة الأصولية ، القسم الخامس / ٣٢٠ ـ ٣٧٠ ، والوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية لحسين المرصفى ـ حققه وقدم له د . عبد العزيز الدسوقى ١ / ٨٠ ـ ٩٣ ، والإتقان فى علوم القرآن للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ١ / ١٩٨ ـ ٢٣٤ وقد جعل معرفة الحروف وما شاكلها التى يحتاج إليها المفسر النوع الأربعين من علوم القرآن) .

حروف المعجم :

انظر : الحروف .

الحروف المقطعية فى أوائل بعض السور :

يقول فضيلة الشيخ محمود عبد الحليم الرفاعى :

لهـذه الحروف فى أوائل بعض سور القرآن معان جمة وفوائد لطيفة جليلة الشأن ، وما كان الله سبحانه لينزل فى كتابه ما لا فائدة فيه ولا ليخاطب نبيه ولا من اصطفاهم بما لا يفهمونه وقد أنزل القرآن بيانا للناس وشفاء لما فى الصدور وفى تخصيص هذه الحروف وهى أربعة عشر حرفا حكمة بل حكم وفى إنزالها مقطعة على هيئة التهجى فوائد لا تحصى وفى تخصيصها بأوائل السور مقاصد سامية .

وقال الآلوسى فى تفسيره وفهم المراد منها : علم مستور وسر محجوب عجزت العلماء عن إدراكه وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه « لكل كتاب سر وسر القرآن أوائل

السور » وقال الشعبى : « هو سر الله فلا تطلبوه » ولا يعرفه بعد رسول الله ﷺ إلا الأوليـاء وجهل أمثالنـا بالمراد منهـا لا يضر، فإن من الأفعال التى كلفنا الله بها ما لا نعرفه ولا نعرف الحكمة منـه كـرمى الجمـرات والسعى بين الصفـا والمـروة وكـالـرمل والاضطباع (انظر مادة « الاضطباع » فى م ٥ / ٢٥٧ ، ٢٥٨) وغير ذلك (البيان المبين / ٥٩) .

قال الإمام الصفـاقسى : الحروف المقطعة المرسـومة فى أوائل بعض السور الشريفة . هى سر القـرآن وصفوته كما قال الصديق رضى الله عنه : فى كل كتاب سر، وسر الله فى القرآن فى أوائل السور وقال على رضى الله عنه : إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى اهـ (تنبيه الغافلين / ٤٥) .

ونبدأ بالإحصاء التالى الذى أورده المختار الرازى صاحب كتـاب الحـروف حيث يقـول فـى فصل بعنـوان « فى حـروف المعجم فى أوائل السور » مع مـلاحظة أننـا أدخلنا فى النص هـوامـش المحقق الـدكتـور رشيـد عبـد الـرحمـن العبيـدى ووضعناها بين أقواس .

يقـول المؤلف : هى فى أوائل تسع وعشرين سـورة (فى إعجاز القرآن للباقلانى ـ حاشية الإتقان للسيوطى / ٦٥ ، ٦٦ أنها ثمان وعشرون سورة) .

الٓمٓ : [البقرة : ١] .

الٓمٓ : [آل عمران : ١] .

الٓمٓصٓ : [الأعراف : ١] .

الٓر : ﴿ الٓر تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾ [يونس : ١] .

الٓر : ﴿ الٓر كتاب أحكمت آياتُه ثم فُصِّلت من لدُنْ حكيم خبير ﴾ [هود : ١] .

الٓر : ﴿ الٓر تلك آيات الكتاب المبين ﴾ [يوسف : ١] .

الٓمٓر : ﴿ الٓمٓر تلك آيات الكتاب ﴾ [الرعد : ١] .

الٓر : ﴿ الٓر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾ [إبراهيم : ١] .

الٓر : ﴿ الٓر تلك آيات الكتاب وقرءانٍ مبين ﴾ [الحجر: ١]

كٓهيعٓصٓ : ﴿ مريم : ١] .

طه : [طه : ١] .

طسٓمٓ : [الشعراء : ١] .

طسٓ : ﴿ طسٓ تلك آيات القرآن وكتاب مبين ﴾ [النمل : ١] .

طسٓمٓ : [القصص : ١] .

الٓمٓ : [العنكبوت : ١] .

الٓمٓ : [الروم : ١] .

الٓمٓ : [لقمان : ١] .

الٓمٓ : [السجدة : ١] .

يسٓ : [يسٓ : ١] .

صٓ : ﴿ صٓ والقرآن ذى الذكر ﴾ [صٓ : ١] .

حمٓ : [غافر : ١] .

حمٓ : [فصلت : ١] أو [حمٓ السجدة : ١] .

حمٓ عٓسٓقٓ : ﴿ حمٓ * عٓسٓقٓ ﴾ [الشورى : ١ ، ٢].

حمٓ : [الزخرف : ١] .

حمٓ : [الدخان : ١] .

حمٓ : الجاثية : ١] .

حمٓ : [الأحقاف : ١] .

قٓ : ﴿ قٓ والقرآن المجيد ﴾ [قٓ : ١] .

نٓ : ﴿ نٓ والقلم وما يسطرون ﴾ [القلم : ١] أو [نٓ : ١]

وهى كلهـا سبعة وسبعـون حرفـا ، والـذى لم يتكرر منهـا حرفان : ك (فى قوله تعالى ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم : ١])، ن (فى قوله تعالى : ﴿نٓ والقلم وما يسطرون﴾ [القلم: ١]) .

والذى تكرر مرتين أربعة :

ع : فى قوله تعالى : ﴿حمٓ * عٓسٓقٓ﴾ [الشورى : ١ ، ٢] .

ق : فى قولـه تعالى : ﴿ قٓ والقرآن المجـيد ﴾ [قٓ : ١]، و ﴿عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١] .

هـ : فى قوله تعالى : ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم : ١] و ﴿طه﴾ [طه : ١] .

ى: فى قوله تعالى: ﴿كهيعص﴾ [مريم: ١] و ﴿يس﴾ [يس: ١].

ص: والذى تكرر ثلاث مرات حرف واحد: ص: (فى قوله تعالى: ﴿كهيعص﴾ [مريم: ١]، و ﴿ص والقرآن ذى الذكر﴾ [ص: ١]، و ﴿المص﴾ [الأعراف: ١]).

ط: والذى تكرر أربع مرات حرف واحد: ط (فى قوله تعالى: ﴿طه﴾ [طه: ١]، و ﴿طسم﴾ [الشعراء: ١] و ﴿طسم﴾ [القصص: ١] و ﴿طس﴾ [النمل: ١]).

س: والذى تكرر خمس مرات حرف واحد: س (فى قوله تعالى: ﴿حم * عسق﴾ [الشورى: ١] و ﴿يس﴾ [يس: ١] و ﴿طسم﴾ [الشعراء: ١] و ﴿طسم﴾ [القصص: ١] و ﴿طس﴾ [النمل: ١]).

ر: والذى تكرر ست مرات حرف واحد: (فى قوله تعالى: ﴿الر﴾ [يونس: ١] و ﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ [هود: ١] و ﴿الر تلك الآيات الكتاب المبين﴾ [يوسف: ١] و ﴿المر تلك آيات الكتاب﴾ [الرعد: ١] و ﴿الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ [إبراهيم: ١] و ﴿الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ [الحجر: ١]).

ح: والذى تكرر سبع مرات حرف واحد: ح فى قوله تعالى: ﴿حم﴾ [غافر: ١] و ﴿حم﴾ [فصلت: ١] أو [حم السجدة: ١] و ﴿حم * عسق﴾ [الشورى: ١, ٢] و ﴿حم﴾ [الزخرف: ١]، و ﴿حم﴾ [الدخان: ١] و ﴿حم﴾ [الجاثية: ١] و ﴿حم﴾ [الأحقاف: ١].

والذى تكرر ثلاث عشرة مرة حرفان: أ، ل.

تكرر الألف ﴿الر﴾ خمس مرات، وفى ﴿الم﴾ ست مرات، وفى ﴿المص﴾ مرة، وفى ﴿المر﴾ مرة، وتكررت اللام فيها جميعًا والذى تكرر سبع عشرة مرة حرف واحد: م: فى ﴿الم﴾ ست مرات، و ﴿المر﴾ و ﴿المص﴾ مرتين، و ﴿حم﴾ سبع مرات، و ﴿طسم﴾ مرتين. المجموع سبع عشرة مرة.

والمنقوط منها ثلاثة: ق، ن، ى.

وغير المنقوط أحد عشر: أ، ح، ر، س، ص، ط، ع، ك، ل، م، هـ.

ومدار الكل نصف حروف المعجم: أربعة عشر: أ، ح، ر، س، ص، ط، ع، ق، ك، ل، م، ن، هـ، ى.

وعدد سورها عدد حروف المعجم (وهى التسعة والعشرون حرفا) ومنها من الحروف المهموسة، نصفها، وهى: ص، ك، هـ، س، ح، ومن المجهورة نصفها: أ، ل، م، ر، ع، ط، ق، ى، ن، ومن الشديدة نصفها: أ، ط، ك، ق، ومن الرخوة، نصفها، وهى: ل، م، ر، ص، هـ، غ، س، ح، ز، ى، ومن المطبقة نصفها: ص، ط، ومن المنفتحة نصفها: أ، ل، م، ر، ك، هـ، ع، س، ح، ق، ن، ى.

ومن المستعلية نصفها، وهى: ق، ص، ط، ومن المنخفضة نصفها: أ، ل، ر، م، ر، ك، هـ، ى، ع، س، ح، ن، ومن حروف القلقلة نصفها، وهى: ق، ط (انظر مادة «الحروف (صفاتها)»).

وهذه الحروف على خمسة أعداد، وحدان، وثنائى، وثلاثى، ورباعى، وخماسى.

فالوحدان: ثلاث: ص، ق، ن (سورة ص، وسورة ق، وسورة القلم).

والثنائى تسع: طه، طس، يس، حم، حم، حم، حم، حم، حم، حم، (السور: طه والنمل ويس وغافر والسجدة والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف فهذه عشر سور وليست تسعا كما ذكر المؤلف).

والثلاثى ثلاثة عشر: الم، الم، الم، الم، الم، الم، الر، الر، الر، الر، الر، طسم، طسم، (السور: البقرة، آل عمران، يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر، الشعراء، القصص، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة).

والرباعى اثنان: المص، المر (سورتا الأعراف والرعد).

والخماسى اثنان: كهيعص، حم عسق (سورتا مريم والشورى).

وسبعة منها آية آية، وهى: ﴿كهيعص﴾، ﴿المص﴾،

﴿الٓمٓ﴾ ، ﴿طسٓمٓ﴾، ﴿يسٓ﴾، ﴿حمٓ﴾، فيكون ثمانى عشرة آية، (مريم - الأعراف - العنكبوت والروم ولقمان والسجدة - الشعراء والقصص - طه - يس - والحواميم وهى: غافر - فصلت - الشورى - والزخرف والدخان - والجاثية - والأحقاف. وفى الشورى آيتان فيكون المجموع ثمانى عشرة كما ذكر المؤلف).

وستة منها ليست بآية، وهى: المر ، الر، طس، ق، ن . (وهى: الٓر: يونس، والٓر : هود، و الٓر : يوسف، والٓمر: الرعد، والٓر: إبراهيم، والٓر: الحجر، وطٓسٓ: النمل، و: صٓ، و: قٓ، و نٓ: القلم . ويلاحظ أن المتكرر بعد آية واحدة فى إحصاء هذه الحروف المقطعة . أى أن مثل ﴿الٓرٓ﴾ يعد آية واحدة، وإن تكرر).

وواحد آيتان، وهى: ﴿حمٓ * عسٓقٓ﴾ (وهما آيتا الشورى، كل مقطع منهما آية ﴿حمٓ﴾ آية و ﴿عسٓقٓ﴾ آية .

فإن قيل: كيف عد ما هو فى حكم كلمة واحدة آية، قلنا: كما عد ﴿الرحمن﴾ وحده - آية تامة . و ﴿مدهامتان﴾ آية . وهو على طريق التوقيف (أى: أن ما وصلنا فى آى القرآن الكريم إنما هو توقيف من الله على البشر لا اصطلاحى ولا عرف، وهو كالأمور التشريعية من صيام وصلاة وحج).

فإن قيل: كيف عد ﴿يسٓ﴾ آية ولم تعد: ﴿طسٓ﴾ آية، قلنا: إن ﴿طسٓ﴾ أشبه : «قابيل» من حيث الوزن والحروف الصحاح، و ﴿يسٓ﴾ أوله حرفا علة، وليس مثل ذلك فى الأسماء المفردة، فأشبه الجملة والكلام التام، وشاكل ما بعده من رؤوس الآى (فى معانى القرآن للفراء ٢/ ٣٧١: أن ﴿يسٓ﴾ بمعنى: يا رجل، وهو فى العربية بمنزلة حرف الهجاء، كقولك: حم ... وأشباهها).

فإن قيل: كيف عد: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ آية واحدة تامة، و ﴿حمٓ * عسٓقٓ﴾ آيتين ؟ قلنا: لأن أهل التأويل لم يختلفوا فى: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ وأخواتها أنها حروف التهجى لا غير ، واختلفوا فى ﴿حمٓ﴾ فأخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلوها فعلا، وقالوا: معناها: «حُمَّ» ، أى، قضى ما هو كائن، فيكون، ﴿حمٓ * عسٓقٓ﴾ فى تقدير كلامين .

(قال فى الإتقان: ١/ ٦٦ : «إن الآية إنما تعلم بتوقيف من الشارع، كمعرفة السورة قال: فالآية طائفة من حروف القرآن علم بالتوقيف انقطاعها معنى عن الكلام الذى بعدها فى أول القرآن، وعن الكلام الذى قبلها فى آخر القرآن وعما قبلها وما بعدها فى غيرهما غير مشتمل على مثل ذلك ... وقال الزمخشرى: الآيات علم توقيفى لا مجال للقياس فيه ولذلك عدوا: الٓمٓ آية، حيث وقعت، والمٓصٓ ولم يعدوا: المر والر، وعدوا: حم : آية فى سورها، وطه ويس ولم يعدوا: طس. قال السيوطى ومما يدل على أنه توقيفى ما أخرجه أحمد فى مسنده . . عن ابن مسعود: قال: أقرأنى رسول الله ﷺ - سورة من الثلاثين من آل حم، قال: يعنى الأحقاف، وقال: كانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت الثلاثين . . الحديث).

فإن قيل: فكيف لم يقطع : ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ وقطع: ﴿حمٓ * عسٓقٓ﴾، قلنا: لأنها بين سور أوئلها: ﴿حمٓ﴾ فجرى مجرى نظائرها قبلها وبعدها، فكان ﴿حمٓ﴾ مبتدأ، و ﴿عسٓقٓ﴾ خبره، ولأنهما عدا آيتين، وعدت أخواتها آية واحدة، فكتبت موصولة، وكتبت: ﴿حمٓ * عسٓقٓ﴾ مفصولة ليعلم أنهما آيتان .

فإن قيل: فهل يمكن من مجموع هذه الحروف تخريج كلام مفهوم، ومعنى معلوم ؟! قلنا: نعم! أما الحروف التى عليها مدار هذه الحروف وهى: أربعة عشر : أ : ح: ر : س: ص: ط : ع: ق: ك: ل: م: ن: هـ : ى. تخرج منها - بحذف الصاد - كلام مفهوم: بتقديم البعض: وتأخيره: وهو: «أحرس قطع كل منهى» وإن ضممت: ﴿الٓرٓ﴾ إلى ﴿حمٓ﴾ و ﴿نٓ﴾ يخرج منه: ﴿الرحمن﴾ : ويجوز أن تقول: «الرحمن حق» بتكرير الحاء، كما هو مكرر فى الأصل، ويخرج منه «قطع الرحم نقص» بتكرير القاف: كما هو مكرر فى الأصل، أو يخرج منه «قنص المرء حكمة» أو يخرج منه: «احرص على العلم» بتكرير العين واللام: كما هو مكرر فى الأصل .

أو يخرج منه: «حرم الله كل منهى» وإن حسبت الحروف

التى عليها مدار هذه الحروف: تجىء ستمائة وثلاثا وتسعين: سبعمائة إلا سبعًا (يعنى إذا حسبت لكل حرف قيمته فى حساب الجُمّل كالألف وهو واحد واللام وهو ثلاثون، والراء وهو مائتان ... إلخ الحروف. كان مجموعها: ٦٩٣. وحساب الجمل يكون على الترتيب الأبجدى، وهو أبجد هوز حطى .. إلخ).

وذلك قريب مما قيل: أن تكون مدة بقاء هذه الآية إلى قيام الساعة، فقد ذكروا أن فى المائة السابعة تظهر الآيات الكبرى، والعلامات العظمى، والله أعلم.

(حاشية الأصل بيتان هما:

إذا بلغ الـــــزمــــــان إلى حـــــروف

ببسم الله مع ميم تمــــــــامــــــــا

فـــذاك عـــلامـــة المهـــدى حقـــا

فمن عنـــدى تبلغـــه الســـلامـــا)

وقد وردت أبيات فى هذه الحروف المقطعة، فى أوائل السور، فمن ذلك قول شريح بن أوفى العبسى: (من الطويل ـ قافية المتدارك).

تُـذكّـرنى حاميم والـرمح شـاجـر

فهـلاّ تـلا حـاميم، قبل التقـدُّم

(رسالة فى حروف العربية / ١١٣ ـ ١٢١).

وقد أدرج الإمام البدر الزركشى ضمن النوع السابع من أنواع علوم القرآن الكريم أسرار الفواتح والسور، ومن بينها الاستفتاح بحروف التهجى، وننقله لك فيما يلى:

استفتاح السور بحروف التهجى نحو: الٓمٓ، الٓمٓصٓ، الٓمٓر، كٓهيعٓصٓ، طه، طٓسٓ، طسٓمٓ، حمٓ، حمٓ عٓسٓقٓ، قٓ، نٓ. وذلك فى تسع وعشرين سورة.

قال الزمخشرى: (الكشاف ١/ ١٣، ١٤) «وإذا تأملت الحروف التى افتتح الله بها السور وجدتها نصف أسامى حروف المعجم، أربعة عشر: الألف، واللام، والميم، والصاد، والراء، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والطاء، والسين، والخاء، والقاف، والنون. فى تسع وعشرين عدد حروف المعجم. ثم تجدها مشتملة على أصناف أجناس الحروف: المهموسة والمجهورة والشديدة والمطبقة والمستعلية والمنخفضة وحروف القلقلة. ثم إذا استقريت الكلام تجد هذه الحروف هى أكثر دورًا مما بقى، ودليله أن الألف واللام لما كانت أكثر تداورًا جاءت فى معظم هذه الفواتح، فسبحان الذى دقت فى كل شىء حكمته!». انتهى.

(يعلق محقق الكتاب الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم على ذلك بقوله فى هامش ١:

كذا نقله المؤلف؛ وفى الكلام اختصار؛ وعبارة الكشاف: «ثم إذا نظرت فى هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة عى أنصاف أجناس الحروف؛ بيان ذلك: أن فيها من المهموسة نصفها: الصاد والكاف والهاء والسين والحاء. ومن المجهورة نصفها: الألف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون. ومن الشديدة نصفها: الألف والكاف والطاء والقاف. ومن الرخوة نصفها: اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون. ومن المطبقة نصفها: الصاد والطاء. ومن المنفتحة نصفها: الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون. ومن المستعلية نصفها: القاف والصاد والطاء. ومن المنخفضة نصفها: الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون. ومن حروف القلقلة نصفها: القاف والظاء. ثم إذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التى ألغى الله ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها؛ فسبحان الذى دقت فى كل شىء حكمته!»).

قيل: وبقى عليه من الأصناف: الشديدة والمنفتحة، وقد ذكر تعالى نصفها. أما حروف الصفير فهى ثلاثة ليس لها نصف؛ فجاء منها السين والصاد، ولم يبق إلا الزاى. وكذلك الحروف اللينة ثلاثة، ذكر منها اثنين: الألف والياء، أما المكرر وهو الراء، والهاوى وهو الألف، والمنحرف وهو اللام فذكرها؛ ولم يأت خارجًا عن هذا النمط إلا ما بين الشديدة والرخوة؛ فإنه ذكر فيه أكثر من النصف. وهذا التداخل موجود فى كل قسم قبله، ولولاه لما انقسمت هذه الأقسام كلها. ووهم الزمخشرى فى عد حروف القلقلة؛ إنما ذكر نصفها، فإنها خمسة ذكر منها حرفان: القاف والطاء.

وقال القاضي أبو بكر: إنما جاءت على نصف حروف المعجم ؛ كأنه قيل: من زعم أن القرآن ليس بآية فليأخذ الشطر الباقى، ويركب عليه لفظا معارضة للقرآن . وقد علم ذلك بعض أرباب الحقائق .

واعلم أن الأسماء المتهجاة فى أول السور ثمانية وسبعون حرفا، فالكاف والنون كل واحد فى مكان واحد، والعين والياء والها والقاف كل واحد فى مكانين، والصاد فى ثلاثة، والطاء فى أربعة، والسين فى خمسة، والراء فى ستة، والحاء فى سبعة، والألف واللام فى ثلاثة عشر ، والميم فى سبعة عشر، وقد جمع بعضهم ذلك فى بيتين وهما :

كن واحد عيهق اثنان ثلاثة صا

د الطاء أربعة والسين خمس علا

والراء ست وسبع الحاء آل ودج

وميمها سبع عشر تم واكتملا

(كلمة «ودج» تعنى العدد ثلاثة عشر بحروف الجُمَّل) .

وهى فى القرآن فى تسعة وعشرين سورة، وجملتها من غير تكرار أربعة عشر حرفًا ؛ يجمعها قولك : «نص حكيم قاطع له سر» ؛ وجمعها السهيلى فى قوله : «ألم يسطع نور حق كره» .

وهذا الضابط فى لفظه ثِقَل، وهو غير عذب فى السمع ولا فى اللفظ ؛ ولو قال : «لم يكرها نص حق سطع» لكان أعذب .

ومنهم من ضبط بقوله : «طرق سمعك النصيحة» ، و «صن سرا يقطعك حمله»، و «على صراط حق يمسكه» . وقيل : «من حرص على بطه كاسر» وقيل : «سر حصين قطع كلامه» .

ثم بنيتها ثلاثة حروف موحدة : صَ قَ نَ، وعشرة مثنى : طه، طَسَ، يَس، حَم أ. واثنا عشر مثلثة الحروف : الٓمٓ، الٓر، طَسَمَ، واثنان حروفها أربعة : الٓمٓصٓ، الٓمٓر . واثنان حروفها خمسة : كهيعص ، حمٓ عسٓقٓ .

وأكثر هذه السور التى ابتدئت بذكر الحروف ذكر منها : ما هو ثلاثة أحرف، وما هو أربعة أحرف سورتان، وما ابتدئ بخمسة أحرف سورتان .

وأما ما بدىء بحرف واحد فاختلفوا فيه، فمنهم من لم يجعل ذلك حرفا وإنما جعله اسما لشىء خاص . ومنهم من جعله حرفا وقال : أراد أن يتحقق الحروف مفردها ومنظومها .

فأما ما ابتدئ ثلاثة أحرف ففيه سر، وذلك أن الألف إذا بدئ بها أولاً كانت همزة، وهى أول المخارج من أقصى الصدر، واللام من وسط مخارج الحروف، وهى أشد الحروف اعتمادا على اللسان، والميم آخر الحروف ومخرجها من الفم . وهذه الثلاثة هى أصل مخارج الحروف ؛ أعنى الحلق واللسان والشفتين، وترتبت فى التنزيل من البداية، إلى الوسط، إلى النهاية .

فهذه الحروف تعتمد المخارج الثلاثة، التى يتفرع منها ستة عشر مخرجًا ؛ ليصير منها تسعة وعشرون حرفًا ؛ عليها مدار كلام الخلق أجمعين، مع تضمنها سرا عجيبا، وهو أن الألف للبداية، واللام للتوسط، والميم للنهاية ؛ فاشتملت هذه الأحرف الثلاثة على البداية، والنهاية ، والواسطة بينهما .

وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف فهى مشتملة على مبدأ الخلق ونهايته وتوسطه، مشتملة على خلق العالم وغايته، وعلى التوسط بين البداية من الشرائع والأوامر . فتأمل ذلك فى البقرة ، وآل عمران، وتنزيل السجدة، وسورة الروم .

وأيضًا فلأن الألف واللام كثرت فى الفواتح دون غيرها من الحروف لكثرتها فى الكلام .

وأيضًا من أسرار علم الحروف أن الهمزة من الرئة ؛ فهى أعمق الحروف، واللام مخرجها من طرف اللسان ملصقة بصدر الغار الأعلى من الفم ؛ فصوتها يملأ ما وراءها من هواء الفم، والميم مطبقة ؛ لأن مخرجها من الشفتين إذا أطبقا، ويرمز بهن إلى باقى الحروف ؛ كما رمز ﷺ بقوله : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» إلى الإتيان بالشهادتين وغيرهما مما هو من لوازمها . (نقله السيوطى فى الجامع الصغير ١/ ١١٠ عن البخارى ومسلم ؛ ولفظه : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» . عن أبى هريرة) .

وتأمل اقتران الطاء بالسين والهاء فى القرآن، فإن الطاء جمعت من صفات الحروف خمس صفات لم يجمعها غيرها: وهى الجهر والشدة والاستعلاء والإطباق والإصمات. والسين مهموس رخو مستفل صفير منفتح، فلا يمكن أن يجمع إلى الطاء حرف يقابلها، كالسين والهاء؛ فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف.

وتأمل السورة التى اجتمعت على الحروف المفردة: كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف؛ فمن ذلك: ﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [قٓ: ١] فإن السورة مبنية على الكلمات القافية: من ذكر القرآن، ومن ذكر الخلق، وتكرار القول ومراجعته مرارًا، والقرب من ابن آدم، وتلقى الملكين، وقول العتيد، وذكر الرقيب، وذكر السابق، والقرين، والإلقاء فى جهنم، والتقدم بالوعد، وذكر المتقين، وذكر القلب، والقرن، والتنقيب فى البلاد، وذكر القتل مرتين، وتشقق الأرض، وإلقاء الرواسى فيها، وبُسوق النخل، والرزق، وذكر القوم، وخوف الوعيد، وغير ذلك.

وسر آخر وهو أن كل معانى السورة مناسب لما فى حرف القاف من الشدة والجهر والقلقلة والانفتاح.

وإذا أردت زيادة إيضاح فتأمل ما اشتملت عليه سورة «صٓ» من الخصومات المتعددة؛ فأولها خصومة الكفار مع النبى ﷺ. وقولهم: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ...﴾ [صٓ: ٤]، إلى آخر كلامهم، ثم اختصام الخصمين عند داود، ثم تخاصم أهل النار، ثم اختصام الملأ الأعلى فى العلم، وهو الدرجات، والكفارات، ثم تخاصم إبليس واعتراضه على ربه وأمره بالسجود، ثم اختصامه ثانيا فى شأن بنيه وحلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم.

وكذلك سورة ﴿نٓ وَالْقَلَمِ﴾؛ فإن فواصلها كلها على هذا الوزن، مع ما تضمنت من الألفاظ النونية.

وتأمل سورة الأعراف زاد فيها «ص» لأجل قوله تعالى: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ [الأعراف: ٢] وشرح فيها قصص آدم فمن بعده من الأنبياء، ولهذا قال بعضهم: معنى ﴿الٓمٓصٓ﴾، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الانشراح: ١] وقيل: معناه المصور، وقيل: أشار بالميم لمحمد، وبالصاد للصديق؛ وفيه إشارة لمصاحبة الصاد الميم، وأنها تابعة لها كمصاحبة الصديق لمحمد ومتابعته له.

وجعل السهيلى هذا من أسرار الفواتح، وزاد فى الرعد «راء» لأجل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ﴾ [الرعد: ٣] ولأجل ذكر الرعد والبرق وغيرهما.

واعلم أن عادة القرآن العظيم فى ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها ما يتعلق بالقرآن كقوله: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ [البقرة: ١، ٢] وقد جاء بخلاف ذلك فى العنكبوت والروم فيسأل عن حكمة ذلك.

ثم يسوق الإمام الزركشى هذه التنبيهات فيقول:

ثم لا بد من التنبيه على أحكام تختص بهذه الفواتح الشريفة:

الأول: أن البصريين لم يعدوا شيئا منها آية؛ وأما الكوفيون فمنها ما عدوه آية، ومنها ما لم يعدوه آية؛ وهو علم توقيفى لا مجال للقياس فيه؛ كمعرفة السورة؛ أما ﴿الٓمٓ﴾ فآية حيث وقعت من السور المفتتحة بها، وهى ست (سورة البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة)، وكذلك ﴿الٓمٓصٓ﴾ آية، و﴿الٓمٓر﴾ لم تعد آية، و﴿الٓر﴾ ليست بآية من سورها الخمس، و ﴿طسٓمٓ﴾ آية فى سورتيها، و ﴿طه﴾ و ﴿يسٓ﴾ آيتان، و ﴿طسٓ﴾ ليست بآية، و ﴿حمٓ﴾، آية فى سورها كلها، و ﴿حمٓ عسٓقٓ﴾ آيتان، و ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ آية واحدة، و ﴿صٓ﴾، و ﴿قٓ﴾؛ و ﴿نٓ﴾ لم تعد واحدة منها آية؛ وإنما عد ما هو فى حكم كلمة آية، كما عد ﴿الرَّحْمَٰنُ﴾ [الرحمن: ١] وحده، و ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٤] وحدها آيتين على طريق التوقيف.

وقال الواحدى فى «البسيط» فى أول سورة يوسف: لا

يعد شيء منها آية إلا فى ﴿ طه ﴾، وسره أن جميعها لا يشاكل ما بعده من رءوس الآى، فلهذا لـم يعد آية؛ بخلاف ﴿ طه ﴾ فإنها تشاكل ما بعدها .

الثانى : هذه الفواتح الشريفة على ضربين : أحدهما ما لا يتأتى فيه إعراب، نحو ﴿ كهيعص ﴾ . و الثانى ما يتأتى فيه؛ وهو إما أن يكون اسما مفردًا كصّ، و قّ، و نّ، أو أسماء عدة مجموعها على زنـة مفرد كـ « حمّ »، و « طس » ، و « يس » فإنها مـوازنة لقـابيل وهابيل ، وكذلك « طسم » يتأتى فيها أن تفتح نـونهـا فتصير (ميم) [ميمـا] مضمـومـة إلى « طس » فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد .

فالنوع الأول محكى ليس إلا .

أما النوع الثانى فسائغ فيه الأمران : الإعراب والحكاية (ذكره الزمخشرى فى الكشاف ١ / ١١ ونقله عن سيبويه فى بـاب أسمـاء السـور ـ ٢ / ٣٠، ٣١) .

الثالث : أنه يوقف على جميعها وقف التمام ؛ إن حملت على معنى مستقل غيـر محتـاج إلـى مـا بعـده، وذلك إذا لم تجعل أسمـاء للسـور، وينعق بهـا كما ينعق بـالأصـوات؛ أو جعلت وحدها أخبار ابتداء محذوف؛ كقوله تعالـى : ﴿الٓمٓ * الله ﴾ [آل عمـران : ١، ٢] أى هذه السـورة « الٓمٓ » ثم ابتـدأ فقال : ﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم ﴾ .

الـرابع : أنها كتبت في المصـاحـف الشـريفة على صـورة الحـروف أنفسهـا، لا على صـورة أسـاميهـا، وعلل ذلك بأن الكلمة لما كانت مركبـة من ذوات الحروف، واستمرت العادة متى تهجيت، ومتى قيل للكـاتب : اكتب : كيت وكيت، أن يلفظ بـالأسماء، وتقع فى الكتـابـة الحروف أنفسهـا؛ فحمل على ذلك للمشاكلة المألـوفة فى كتابة هـذه الفواتح . وأيضا فإن شهرة أمرها، وإقامة ألسنة الأحمر والأسود لها؛ وأن اللافظ بهـا غير متهجـاة لا يجيء بطـائل فيهـا، وأن بعضها مفـرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده أمنت وقوع اللبس فيها . وقد اتفقـت فى خط المصحف أشياء خـارجة عن القيـاسات التى يبنى عليها علم الخط والهجاء، ثم ما عاد ذلك بنكير ولا نقصـان لاستقـامـة اللفظ وبقـاء الحفظ، وكـان اتبـاع خط المصحف سنة لا تخالف . أشار إلى هـذه الأحكام المذكورة صاحب الكشاف .

وقد اختلف الناس فى الحروف المقطعة أوائل السور على قولين .

أحـدهما أن هـذا علم مستور، محجـوب استأثر الله بـه، ولهذا قال الصديق رضى الله عنه : فى كل كتاب سر، وسره فى القرآن أوائل السـور. قال الشعبى : إنهـا من المتشابـه، نؤمن بظاهرها، ونكل العلم فيها إلى الله عز وجل .

قال الإمام الرازى : وقد أنكر المتكلمون هذا القول وقالوا : لا يجـوز أن يـرد فى كتـاب الله مـا لا يفهمـه الخلق، لأن الله تعـالى أمـر بتدبـره، والاستنبـاط منـه؛ وذلك لا يمكن إلا مع الإحاطة بمعنـاه، ولأنه كما جاز التعبـد بما لا يعقل معناه فى الأفعال ، فلم لا يجوز فى الأقوال بأن يأمرنا الله تارة بأن نتكلم بما نقـف على معناه، وتارة بمـا لا نقف على معنـاه، ويكون القصد منه ظهور الانقياد والتسليم !

القول الثانى أن المراد منها العلوم، وذكروا فيه ما يزيد على عشرين وجها؛ فمنها البعيد، ومنها القريب.

أحـدها : ويـروى عن ابن عبـاس رضى الله عنهمـا أن كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه سبحانـه، فالألف مـن « الله » ، واللام من « لطيف » والميم من « مجيد »، أو الألف من « آلائه »، واللام من « لطفه » ، والميم من « مجده » . قال ابن فارس : وهذا وجه جيد، وله فى كلام العرب شاهد :

* قلنا لها قفى فقالت قّ *

فعبر عن قولها « وقفت » بقّ .

قالت المؤلفة : جاء فى لسان العرب (١ / ١٥) :

* قلتُ لها قفى فقالت قِ *

فنطق بقاف فقط، تريد أقف. وأنشد أيضا :

نـــــــــاديتهـم أن ألجمـــــوا ألا تــــــــا !
قــــالـــــوا جميعـــا كلهـم : ألا فـــــا !

قال تفسيره : نادوهم أن ألجموا ألا تركبون ؟

قالوا جميعـا : ألا فاركبوا ؛ فإنما نطق بتـاء وفاء كما نطق الأول بقاف اهـ .

الثانى : أن الله أقسم بهذه الحروف بأن هذا الكتاب الذى يقرؤه محمد هو الكتاب المنزل لا شك فيه ، وذلك يدل على جلالة قـدر هذه الحروف إذ كانت مـادة البيان . وما فى كتب الله المنزلـة باللغـات المختلفة ، وهى أصـول كلام الأمـم بها يتعارفون ، وقد أقسم الله تعالى بـ ﴿ الفجر ﴾ ﴿ والطور ﴾ ؛ فكذلك شأن هذه الحروف فى القسم بها .

الثـالـث : أنهـا الدائرة مـن الحروف التسعـة والعشـرين ؛ فليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه عز وجل ، أو آلائه ، أو بـلائه ، أو مدة أقـوام أو آجـالهم ، فالألف سنـة ، واللام ثلاثون سنة ، والميم أربعون ؛ روى عن الربيع بن أنس . قال ابـن فارس : وهو قـول حسن لطيف ، لأن الله تعالـى أنزل على نبيه الفـرقان ، فلم يدع نظمـا عجيبا ، ولا علما نـافعا إلا أودعه إياه ، علم ذلك من علمه ، وجهله من جهله .

الرابع : ويروى عن ابن عباس أيضـا فـى قولـه تعالـى : ﴿ الٓمٓ ﴾ . أنا الله أعلم ، وفى ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ أنا الله أفصل . و ﴿الٓر﴾ أنـا الله أرى ، ونحـوه من دلالة الحـرف الـواحـد على الاسم العام ، والصفة التامة .

الخامس : أنها أسمـاء للسور فـ ﴿ الٓمٓ ﴾ اسم هذه ، و ﴿حمٓ ﴾ اسم لتلك ، وذلك أن الأسمـــاء وضعت للتمييـــز ؛ فهكذا هـذه الحروف وضعـت لتمييز هذه السـور من غيـرها ، ونقله الزمخشرى عن الأكثرين وأن سيبويه نص عليه فى كتابه (٢ / ٣٠) وقال الإمام فخر الـدين : هو قول أكثر المتكلمين فإن قيل : فقـد وجدنـا ﴿ الٓمٓ ﴾ افتتح بهـا عدة سـور ، فأين التمييز ؟ قلنا : قد يقع الـوفاق بين اسمين لشخصين ثم يميز بعد ذلك بصفة وقعت ، كما يقال : زيد وزيد ، ثم يميزان بأن يقال : زيد الفقيـه ، وزيد النحوى ، فكذلـك إذا قرأ القارئ : ﴿الٓمٓ * ذلك الكتـاب ﴾ [البقـرة : ١ ، ٢] فقـد ميـزها عـن ﴿ الٓمٓ * الله لا إلـه إلا هـو الحى القيـوم ﴾ [آل عمـران : ١ ، ٢] .

السادس : أن لكل كتاب سرا ، وسر القرآن فواتح السور ، قـال ابن فـارس : وأظن قائل ذلـك أراد أنه من السـر الـذى لا يعلمه إلا الله والـراسخون فى العلم . واختاره جماعـة ، منهـم أبو حاتم بن حبان .

قلت : وقد استخرج بعض أئمة المغرب من قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ * غلبت الروم ﴾ [الروم : ١ ، ٢] فتوح بيت المقدس واستنقاذه من العدو فى سنة معينة ، وكان كما قال .

السابع : أن العرب كانوا إذا سمعـوا القرآن لغوا فيـه ، وقال بعضهـم : ﴿ لا تسمعوا لهذا القـرآن والغوا فيه ﴾ [فصلت : ٢٦] فأنـزل الله هــذا النظم البـديع ليعجبـوا منــه ، ويكـون تعجبهم سببا لاستمـاعهم ، واستماعهم لـه سببا لاستمـاع ما بعده ، فترق القلوب وتلين الأفئدة .

الثـامن : أن هـذه الحروف ذكـرت لتـدل على أن القـرآن مـؤلـف من الحـروف التى هـى : أ ، ب ، ت ، ث ... فجـاء بعضها مقطعـا ، وجاء تمامها مـؤلفا ، ليدل القوم الـذين نزل القرآن بلغتهـم أنه بالحـروف التى يعقلـونها ، ويبنون كـلامهم منها .

التـاسع : واختـاره ابن فـارس وغيـره أن تجعل هـذه التأويلات كلها تأويلا واحدا ؛ فيقال : إن الله جل وعلا افتتح السور بهـذه الحروف إرادة منه للـدلالة بكل حـرف منها على معان كثيرة ، لا على معنى واحد ، فتكون هذه الحروف جامعة لأن تكون افتتـاحا ، لأن يكون كل واحد منهـا مأخوذا من اسم من أسماء الله تعالى ، وأن يكون الله عـز وجل قد وضعها هذا الوضع فسمى بهـا ، وأن كل حرف منها فى آجـال قوم وأرزاق آخرين ، وهى مع ذلك مأخوذة من صفات الله تعالى فى إنعامه وإفضاله ومجده ، وأن الافتتاح بها سبب لأن يسمع القرآن من لم يكن سمع ، وأن فيهـا إعلامـا للعرب أن القرآن الـدال على نبوة محمد ﷺ بهذه الحـروف ، وأن عجزهم عن الإتيان بمثله مع نزوله بالحروف المتعـالمة بينهم دليل على كفرهم وعنادهم وجحودهم ، وأن كل عدد منها إذا وقع أول كل سورة فهو اسم لتلك السـورة .

قال : وهذا القول الجامع للتأويلات كلها . والله أعلم بما أراد من ذلك .

العاشر : أنها كالمهيجة لمن سمعها من الفصحاء، والموقظة للهمم الراقدة من البلغاء لطلب التساجل، والأخذ فى التفاضل ، وهى بمنزله زمجرة الرعد قبل النظر فى الأعلام لتعرف الأرض فضل الغمام ، وتحفظ ما أفيض عليها من الإنعام . وما هذا شأن خليق بالنظر فيه ، والوقوف على معانيه بعد حفظ مبانيه .

الحادى عشر : التنبيه على أن تعداد هذه الحروف ممن لم يمارس الخط، ولم يعان الطريقة، على ما قال تعالى : **﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذًا لارتاب المبطلون﴾** [العنكبوت : ٤٨] .

الثانى عشر : انحصارها فى نصف أسماء حروف المعجم، لأنها أربعة عشر حرفا على ما سبق تفصيله ؛ وهذا واضح على من عدَّ حروف المعجم ثمانية وعشرين حرفا، وقال « لا » مركبة من اللام والألف؛ والصحيح أنها تسعة وعشرون حرفا ، والنطق « بلا » فى الهجاء كالنطق فى « لا رجل فى الدار » ، وذلك لأن الواضع جعل كل حرف من حروف المعجم صدر اسمه إلا الألف، فإنه لما لم يمكن أن يبتدأ به لكونه مطبوعا على السكون فلا يقبل الحركة أصلا توصل إليه باللام ؛ لأنها شابهته فى الاعتداد والانتصاب ، ولذلك يكتب على صورة الألف إلا إذا اتصل بما بعده .

فإن قلت : فقد تقدم اسم الألف فى أول حروف الهجاء ؟ قلت : ذلك اسم الهمزة لوجهين : أحدهما أنه صدره، والثانى أنها صدر ما تصدر من حروف المعجم لتكون صورته ثلاثا؛ وإنما كانت صدره لأن صورتها كالمتكررة أربع مرات ؛ لأنها تلبس صورة العين وصورة الألف والواو والياء لما يعرض من الحركة والسكون، ولذلك أخروا ما بعد الطاء والظاء والعين ؛ لأن صورتها ليست متكررة. وجوابه على هذا المذهب أن الحرف لا يمكن تنصيفه ، فيتعين سقوط حرف لأنه الأليق بالإيجاز .

الثالث عشر : مجيئها فى تسع وعشرين سورة بعدد الحروف . فإن قلت : هلا روعى صورتها كما روعى عددها؟ قلت : عرض لبعضها الثقل لفظا فأهمل .

ثم يعقد الزركشى فصلا جاء فيه ما يلى :

اعلم أنه لما كانت هذه الحروف ضرورية فى النطق، واجبة فى الهجاء، لازمة التقدم فى الخط والنطق — إذ المفرد مقدم على المركب ـ فقدمت هذه المفردات على مركباتها فى القرآن، فليس فى المفرد ما فى المركب، بل فى المركب ما فى المفرد وزيادة. ولما كان نزول القرآن فى أزمنة متطاولة ، تزيد على عشرين سنة ، وكان باقيا إلى آخر الزمان ؛ لأنه ناسخ لما قبله، ولا كتاب بعده، جعل الله تعالى حروفه كالعلائم، مبينة أن هذه السورة هى من قبيل تلك التى أنزلت من عشر سنين مثلا ، حتى كأنها تتمة، لها وإن كان بينهما مدة .

وأما نزول ذلك فى مدد وأزمنة، أو نزول سور خالية عن الحروف فبحسب تلك الوقائع . وأما ترتيب وضعها فى المصحف ـ أعنى السور ـ فله أسباب مذكورة فى النوع الثالث عشر (انظر البرهان ١/ ٢٣٣ـ ٢٤٣) .

وأما زيادة بعض الحروف فى بعض السور وتغيير بعضها، فليعلم أن المراد الإعلام بالحروف فقط؛ وذلك أنه متى فرض الإنسان فى بعضها شيئا، مثل ﴿ الٓمٓ ﴾ السجدة لزمه فى مثلها مثله ، كألف لام ميم البقرة؛ فلما لم يجد دله ذلك الثانى على بطلان الأول، وتحقق أن هذه الحروف هى علامات المكتوب والمنطوق . وأما كونها اختصت بسورة البقرة فيحتمل أن ذلك تنبيه على السور، وأنها احتوت على جملة المنطوق به من جهة الدلالة ؛ ولهذا حصلت فى تسعة وعشرين سورة بعدد جملة الحروف، ولو كان القصد الاحتواء على نصف الكتاب لجاءت فى أربع عشرة سورة؛ وهذا الاحتواء ليس من كل وجه ، بل من وجه يرجع إلى النطق والفصاحة وتركيب ألفاظ اللغة العربية؛ وما يقتضى أن يقع فيه التعجيز. ويحتمل أن يكون لمعان أخر، يجدها من يفتح الله عليه بالتأمل والنظر؛ أو هبة من لدنه سبحانه .

ولا يمتنع أن يكون فى بقية السور أيضا كما فى ذوات

الحروف، بل هذه خصصت بعلامات لفضيلة وجب من أجلها أن تعلم عليها السور، لينبه على فضلها، وهذا من باب الاحتمال. والأولى أن الأحرف إنما جاءت فى تسعة وعشرين سورة لتكون عدة السور دالة لنا على عدة الحروف، فتكون السور من جهة العدة مؤدية إلى الحروف من جهة العدة؛ فيعلم أن الأربعة عشر عوض عن تسعة وعشرين (البرهان ١ / ١٦٥ـ١٧٨).

(البيان المبين فى كتاب الله رب العالمين ـ فضيلة الشيخ محمود عبد الحليم الرفاعى . هدية مجلة الأزهر . جمادى الآخرة ١٤١١ هـ/ ٥٩ ، وتنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين لأبى الحسن على بن محمد النورى الصفاقسى / ٤٥ ، ورسالة فى حروف العربية لأحمد بن محمد بن المظفر ابن المختار الرازى ـ تحقيق د. رشيد عبد الرحمن العبيدى . مجلة معهد المخطوطات العربية . جامعة الدول العربية . المجلد العشرون . الجزء الأول . ربيع الآخر ١٣٩٤ هـ ـ مايو ١٩٧٤م / ١١٣ ـ ١٢١ ، والبرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشى ـ تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ١ / ١٦٥ ـ ١٧٨ وقد وضعنا تعليقات المحقق بين أقواس فى ثنايا النص . انظر أيضا كتاب الأسماء والصفات للإمام البيهقى . دار الكتب العلمية . بيروت . د . ت / ١١٩ ١٢٠ ، وتأريخ القرآن ـ إبراهيم الإبيارى / ١٥٨ ـ ١٦٢ ، ومناهل العرفان فى علوم القرآن ـ فضيلة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ١ / ٢٢٥ ـ ٢٢٨ ، وفضائل القرآن وآداب التلاوة للإمام القرطبى ـ تحقيق د. أحمد حجازى السقا / ٨٩ ، ٩٠ ، وتفسير النسفى ١ / ٨ ،٩ والإنصاف فيما يجب اعتقاده، ولا يجوز الجهل به للقاضى أبى بكر محمد بن الطيب الباقلانى ـ عرف الكتاب وقدمه للقراء وكتب هوامشه صاحب الفضيلة الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثرى / ١٠٧ ـ ١٠٩ ، ومفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لفخر الدين الرازى، دار الغد العربى م ٢ / ٣٣٦ ـ ٣٣٨).

الحروف المقطوعة والموصولة فى رسم المصحف :

أفرد الإمام أبو عمرو الدانى بابا فى ذكر ما رسم فى المصاحف من الحروف المقطوعة على الأصل والموصولة على اللفظ، وقد نقلنا بعضه فى مواضعه من هذه الموسوعة ونبينه فيما يلى ، ثم نسوق ما لم يسبق ذكره : أن لا ، أن لن ، أم من ، أينما ، إن ما ، أن ما ، ابن أم .

أما ما لم يسبق ذكره فهو كما يلى : قال الإمام أبو عمرو الدانى :

« مِن ما » بالنون :

أخبرنا الخاقانى قال أخبرنا الأصبهانى قال حدثنا الكسائى قال حدثنا ابن الصباح قال : قال محمد بن عيسى « فمن ما » مقطوعة ثلاثة أحرف : فى النساء [س ٤ ـ آ ٢٥] ﴿ فمن ما ملكت أيمٰنكم ﴾ وفى الروم (س ٣٠ آ ٢٨) ﴿ من ما ملكت أيمنكم من شركاء ﴾ وفى المنافقين [س ٦٣ آ ١٠] ﴿ من ما رزقنكم ﴾ قال أبو عمرو : فأما قوله تعالى ﴿ من مال الله ﴾ و ﴿ من ماء ﴾ وشبهه من دخول « من » على اسم ظاهر فمقطوع حيث وقع ، فأما إذا دخلت على « من » نحو قوله ﴿ممن منع﴾ و ﴿ ممن افترى ﴾ و ﴿ ممن كذب ﴾ و ﴿ ممن دعا ﴾ و ﴿ ممن معك ﴾ وشبهه فلا خلاف فى شىء من المصاحف فى وصل ذلك وحذف النون منه ، وكذا كتبوا ﴿مم خلق ﴾ [س ٨٦ آ ٥] .

« عن ما » .

قال أبو عمرو : وكل ما فى كتاب الله عز وجل من ذكر «عما» فهو بغير نون إلا حرفا واحدا فى الأعراف (س ٧ آ ١٦٦) قوله تعالى ﴿ عن ما نهوا عنه ﴾ فإنه بالنون. حدثنا فارس بن أحمد المقرئ قال حدثنا جعفر بن أحمد قال حدثنا محمد بن الربيع وحدثنا الخاقانى قال حدثنا أحمد بن أسامة قال حدثنا أبى قالا حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال : قال لى على بن كيسة « عن ما نهوا عنه » فى الكتاب « عن » وحدها و « ما » وحدها ، وحدثنا محمد بن على قال حدثنا ابن الأنبارى قال ﴿ عن ما نهوا عنه ﴾ حرفان ولم يقطع فى كتاب الله عز وجل غيرهما .

« وإن ما » :

قال محمد بن عيسى عن إسحاق بن الحجاج عن عبد الرحمن بن أبى حماد عن حمزة بن حبيب الزيات وأبى حفص الخزاز : ليس فى القرآن « وإن ما » بالنون إلا حرفا واحدا فى الرعد (س ١٣ آ ٤٠) ﴿ وإن ما نرينك ﴾ وحدثنا محمد بن على قال حدثنا ابن الأنبارى قال حدثنا إدريس قال حدثنا

خلف قال : لم يقطع من « إن » « ما » فى المصحف إلا حرف واحد فى آخر سورة الرعد ﴿ وإن ما نرينك ﴾ .

« فإن لم » :

قال أبو عمرو : وكتب فى كل المصاحف فى هود (س ١١ آ ١٤) ﴿ فإلم يستجيبوا لكم ﴾ بغير نون ، وفى القصص (س ٢٨ آ ٥٠) ﴿ فإن لم يستجيبوا لك ﴾ بالنون ، قاله لنا محمد بن أحمد عن ابن الأنبارى ، وقاله محمد عن نصير فى اتفاق المصاحف .

« عن من » :

قال أبو عمرو : وكتبوا فى كل المصاحف فى النور (س ٢٤ آ ٤٣) ﴿ ويصرفه عن من يشاء ﴾ وفى النجم (س ٥٣ آ ٢٩) ﴿ عن من تولى ﴾ بالنون وليس فى القرآن غيرهما . فأما قوله تعالى ﴿ عمـــا قليل ﴾ (س ٢٣ آ ٤٠) و ﴿ عم يتساءلون﴾ (س ٧٨ آ ١) فموصولان بلا خلاف .

« فى ما » مقطوع :

قال محمد بن عيسى : وعدوا « فى ما » مقطوعا أحد عشر حرفا ، وقد اختلفوا فى البقرة (س ٢ آ ٢٤٠) ﴿ فى ما فعلن أنفسهن من معروف ﴾ وفى المائدة (س ٥ آ ٤٨) ﴿ ليبلوكم فى ما آتكم ﴾ وفى الأنعام ﴿ ليبلوكم فى ما آتكم ﴾ (س ٦ آ ١٦٥) و ﴿ قل لا أجد فى ما أوحى إلىّ محرما ﴾ (آ ١٤٥) وفى الأنبياء (س ٢١ آ ١٠٢) ﴿ فى ما اشتهت أنفسهم ﴾ وفى النور (س ٢٤ آ ١٤) ﴿ فى ما أفضتم فيه ﴾ وفى الشعراء (س ٢٦ آ ١٤٦) ﴿ فى ما هٰهنا ءامنين ﴾ وفى الروم (س ٣٠ آ ٢٨) ﴿ فى ما رزقنٰكم ﴾ وفى الزمر (س ٣٩ آ ٣) ﴿ فى ما هم فيه يختلفون ﴾ وفيها أيضا ﴿ فى ما كانوا فيه يختلفون ﴾ (آ ٤٦) وفى الواقعة (س ٥٦ آ ٦١) ﴿ وننشئكم فى ما لا تعلمون ﴾ قال : ومنهم من يصل كلها ويقطع التى فى الشعراء ﴿ فى ما هٰهنا آمنين ﴾ وروى محمد بن يحيى عن سليمان بن داود عن بشر بن عمر عن معلى قال : كنا إذا سألنا عاصما عن المقطوع والموصول قال سواء لا أبالى أقطع ذا أم وصل ذا إنما هو هجاء . قال أبو عمرو : وأحسبه يريد المختلف فى رسمه من ذلك دون المتفق على رسمه منه .

« كل ما »

قال محمد : و ﴿ كل ما ﴾ مقطوع حرفان : فى النساء (س ٤ آ ٩١) ﴿ كل ما ردوا إلى الفتنة ﴾ وفى إبراهيم (س ١٤ آ ٣٤) ﴿ من كل ما سألتموه ﴾ قال : ومنهم من يصل التى فى النساء . حدثنا محمد بن على قال حدثنا محمد بن يحيى عن ابن سعدان قال : فى مصحف عبد الله « كل ما » منقطعة فى كل القرآن .

« لكى لا » :

قال محمد : « لكيلا » موصولة ثلاثة أحرف : فى الحج (س ٢٢ آ ٥) ﴿ لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ﴾ وفى الأحزاب (س ٣٣ آ ٥٠) ﴿ لكيلا يكون عليك حرج ﴾ وفى الحديد (س ٥٧ آ ٢٣) ﴿ لكيلا تأسوا ﴾ قال أبو عمرو وقال محمد عن نصير فى اتفاق المصاحف فى آل عمران (س ٣ آ ١٥٣) ﴿ لكيلا تحزنوا ﴾ موصولة ، وكذلك رسمه الغازى بن قيس فى كتابه .

« يوم هم » :

قال أبو حفص الحراز ﴿ يوم هم ﴾ مقطوع حرفان ليس فى القرآن غيرهما : فى المؤمن [غافر] (س ٤٠ آ ١٦) ﴿ يوم هم بٰرزون ﴾ وفى والذاريات (س ٥١ آ ١٣) ﴿ يوم هم على النار يفتنون ﴾ وكذلك قال معلى بن عيسى الوراق ، وقال لنا ذلك محمد بن على عن ابن الأنبارى قال أبو عمرو : و « هم » فيهما فى موضع رفع فى الابتداء وما بعده خبر فلذلك فصل «اليوم» منه و « هم » فيما عداها فى موضع خفض بالإضافة فلذلك وصل « اليوم » به .

« فمال » :

قال أبو عمرو : وكتبوا فى كل المصاحف فى النساء (س ٤ آ ٧٨) ﴿ فمال هٰؤلاء القوم ﴾ وفى الكهف (س ١٨ آ ٤٩) ﴿ مال هذا الكتب ﴾ وفى الفرقان (س ٢٥ آ ٧) ﴿ مال هذا الرسول ﴾ وفى المعـــارج (س ٧٠ آ ٣٦) ﴿ فمال الذين كفروا﴾ هذه الأربعة المواضع بقطع لام الجر مما بعده على المعنى، وقال محمد بن عيسى « فمال » مقطوع أربعة مواضع فذكرها .

« ويكأن » :

وكتبوا أيضا ﴿ ويكأن الله ﴾ و ﴿ ويكأنه ﴾ فى موضعين فى القصص (س٢٨ آ٨٢) بوصل الياء بالكاف . قاله لنا محمد عن ابن الأنبارى .

« ولات حين » :

وكتبوا ﴿ ولات حين مناص ﴾ فى صٓ (س ٣٨ آ٣) بقطع التاء من الحاء وحدثنا خلف بن إبراهيم قال حدثنا أبو عبيد قال فى الإمام مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه « ولا تحين مناص » التاء متصلة بـ« حين » قال أبو عمرو : ولم تجد ذلك كذلك فى شىء من مصاحف أهل الأمصار، وقد رد ما حكاه أبو عبيد غير واحد من علمائنا إذ عدموا وجود ذلك كذلك فى شىء من المصاحف القديمة وغيرها . قال لنا محمد بن على قال لنا ابن الأنبارى : كذلك هو فى المصاحف الجدد والعتق بقطع التاء من « حين » وقال نصير: اتفقت المصاحف على كتابة ﴿ ولات حين مناص ﴾ بالتاء ـ يعنى منفصلة .

قال أبو عمرو : وكتبوا فى جميع المصاحف « على ال ياسين » فى الصافات (س ٣٧ آ ١٣٠) بقطع اللام من الياء .

وكتبوا ﴿ كالوهم أو وزنوهم ﴾ المطففين (س ٨٣ آ٣) موصولين من غير ألف بعد الواو. قاله لنا الخاقانى عن أحمد عن على عن أبى عبيد وبالله التوفيق .

(المقنع/ ٧٤ـ ٨١) .

وإليك ما جاء فيها من نظم :

١ ـ منظومة مورد الظمآن للإمام الخراز :

قال فى باب المقطوع والموصول :

بـــاب حـــروف وردت بـــالفصل
فى رسمهـــا على وفـــاق الأصل
أن لا يقـــولـــوا لا أقـــول فصـــلا
ثـم معـــا بهـــود ليس الأولا
وآخـــر التـــوبـــة مع يسٓ
والحـج والـــدخـــان ثـم نٓ
والامتحـــان وكـــذاك رويـــا
عـن بعضهم أيضـــا بحـــرف الأنبيـــا
فصل وغيـــر النـــور مـن مـــا ملكت
وفـى المنـــافقين من مـــا قطعت
والخُلف للـــدانى فى المنـــافقين
ولأبـى داود فـى الـــروم يبين
وقطع من مع ظـــاهـــر مع إنَّ مـــا
مـن قبل تـــوعـــدون الأولى عنهمـــا
وعـن من الحـــرفـــان قل وعن مـــا
نهـــوا وفـى الـــرعـــد أتى وإن مـــا
كـــذاك أن لـم مع إن لـم قُصـــلا
إلا فـألّـم يستجيبـــوا الأولا
ومـع غنمتم كثـــرت بـــالـــوصل
وإنمـــا عنـــد كـــذا فى النحل
لكنـــه لـم يـأت فـى الأنفـــال
لابـن نجـــاح غيـــر الاتصـــال
وأن مـــا تـــدعـــون عنـــه يُقطع
ثـــان وبـــالحـــرفين جـــاء المقنع
فصـل وأمَّـن قطعـــوه فـى النســـا
أم مـن خلقنـــا ثـم أم مـن أسَّســـا
كـــذاك أم مـن رسمـــوا فى فُصِّلت
ومثلهـــا ولات حين شُهِّـــرت
فصـل فمـــال هـــؤلاء فـــاقطعـــا
مـــال الـــذين مـــال هـــذا الأربعـــا
وحيث مـــا ثم بطـــول يـــوم هـم
والـــذاريـــات وكـــذا قـــال ابن ام
فصـل وقـل من كـل مـــا سألتمـــوه
بـــالقطع من غيـــر اختـــلاف رسمـــوه
لكـن فـى النســـــاء قبل ردوا
وجـــاء أمـــة بخُلف عـــدُّوا

وكلمـــا ألقى أيضـــا نُقـــلا
واختـــار فى تنـــزيلـــه أن يـــوصـــلا
والخلـــف فـــى المقنـــع قبـــل دخلـــت
وظـــاهـــر التنـــزيل وصل إذ سكت
فصل وفيمـــا واحـــد وعشـــرة
فى مـــا فعلن ثـــانيـــا فى البقـــرة
ووسط العقـــود حـــرف ومعـــا
فى ســـورة الأنعـــام كل قطعـــا
والأنبيـــا والشعـــرا ووقعت
والنـــور والـــروم كـــذاك وقعت
ومثلهـــا الحـــرفـــان أيضـــا فى الـــزمـــر
وخُلـــف مُقنـــع بكـــل يستطـــر
وخلف تنـــزيـــل بغيـــر الشعـــرا
والأنبيـــا واقطعهمـــا إذ كثـــرا

ثم قال عن الموصول :

القـــول فى وصل حـــروف رسمت
علـــى وفـــاق اللفظ إذ تـألفت
فـأينمـــا فى البكـــر والنحل فصل
وفى النســـاء عن سليمـــان نُقل
وعنـــه أيضـــا جـــاء فى الأحـــزاب
وذان للـــدانى بـإضـــراب
وعنهمـــا معـــا خـــلاف أثـــرا
فى مـــوضع وهـــو الـــذى فى الشعـــرا
فصل وقل بـالـــوصل بئسمـــا اشتـــروا
وعن أبى عمـــرو فى الأعـــراف رووا
وخُلفُـــه لابن نجـــاح رسمـــا
وعنهمـــا كـــذاك فى قل بئسمـــا
فصل لكيـــلا جـــاء من ذا البـــاب
فى الحج والحـــديـــد والأحـــزاب
ثـــان وعن خلف بـــآل عمـــران
وبـــاتفـــاق ويكأن الحـــرفـــان
فصل وصل ألـن معـــا فى الكهف
وفى القيـــامـــة بغيـــر خُلف
كـــذاك فى المـــزمل الـــوصل ذكـــر
فى مقنع عن بعضهم ومـــا شُهـــر
فصل وربمـــا وممـن فيم ثـم
أمـــا نعمـــا عم صل ويبنـــؤم
كـــالـــوهم أو وزنـــوهم ممـــا
خلق مع كـأنمـــا ومهمـــا

(متن مورد الظمآن / ٣٧ـ ٤٠) .

٢ـ منظومة الجزرية لابن الجزرى :

قال الإمام ابن الجزرى تحت عنوان « باب المقطوع والموصول وحكم التاء » :

واعـــرف لمقطـــوع ومـــوصـــول وتـــا
فى مصحف الإمـــام فيمـــا قـــد أتى
فـــاقطع بعشـــر كلمـــات أن لا
مع ملجـأ ولا إلـــه إلا
وتعبـــدوا يس ثـــانى هـــود لا
يشـــركن تشـــرك يـــدخلن تعلـــوا على
أن لا يقـــولـــوا لا أقـــول إن مـــا
بـــالـــرعـــد والمفتـــوح صل وعن مـــا
نُهـــوا اقطعـــوا من مـــا بـــرُوم والنســـا
خُلف المنـــافقين أم من أســـسا
فصلت النســـا وذبح حيث مـــا
وأن لم المفتـــوح كســـر إن مـــا
الأنعـــام والمفتـــوح يـــدعـــون معـــا
وخلف الأنفـــال ونحل وقعـــا
وكل مـــا سألتمـــوه واختلف
ردوا كـــذا قل بئسمـــا والـــوصل صِف
خلفتمـــونى واشتـــروا فيمـــا اقطعـــا
أوحى أفضتم اشتهت يبلـــو معـــا

ثـــانى فعلن وقعت روم كـــلا
تنــزيل شعـــرا وغيــر ذى صـــلا
فأينمـــا كـــالنحل صل ومختلف
فى الشعـــرا ، والأحـــزاب والنســا وصف
وصل فإن لم هـــود أن لـن نجعـــلا
نجمع كيـــلا تحـــزنـوا تأســـوا على
حـج عليـك حــــــرج وقطعهـم
عـن من يشــــاء من تـــولى يـــوم هـم
ومـــال هــــذا والــــذين هــــؤلاء
تحيـن فـى الإمـــام صل ووهَّـــلا
ووزنـــوهم وكـــالـــوهم صل
كـــذا مـن ال وهـــا ويـــا لا تفصل

(متن الجزرية / ٣٢ـ٣٧) .

قالت المؤلفـة : البيت الذى يبدأ بـ « فأينمـا النحل » يبدأ عجزه بلفظ « فى الظلـة » بـدلا من « فى الشعـرا » وذلك فى مجموع مهمات المتون ط مصطفى البابى الحلبى / ٢١١) .

(المقنع فى رسم مصاحف الأمصار للإمام أبى عمرو الدانى ـ تحقيق محمد الصادق قمحاوى / ٧٤ ـ ٨١ ، ومتن مورد الظمآن فى رسم القرآن للإمام الخراز / ٣٧ ـ ٤٠ ، ومتن الجزرية فى معرفة تجويد الآيات القرآنية للشيخ محمـد بن الجـزرى / ٣٢ ـ ٣٧ ، ومجمـوع مهمـات المتـون ط مصطفى البابى الحلبى / ٢١٠ ، ٢١١ ، وكفاية المستفيد فى فن التجويد ـ الحاج محيى الدين عبد القادر الخطيب / ٢٧٨) .

الحروف النورانية والظلمانية :

قال فـى مدينـة العلوم : إن الحـروف قسمان : أحـدهما حروف نورانية تستعمل فى أعمال الخير، وهى : نص حكيم له سر قاطع ، والآخر حروف ظلمـانية تستعمل فى الشر، وهى ما عـدا الحـروف النـورانيـة ؛ وأجمعـوا على أنـه ليس فى سـورة الفاتحـة ولا فى المقطعات فى أوائل السور القـرآنية شىء من الحـروف الظلمانيـة . وتفصيل هـذا العلم فى كتـاب (غايـة المغنم فى أسرار العلم الأعظم) انتهى (أبجد العلوم جـ ٢ ق ١ / ٢٨٩) .

قـال صـاحب مفتـاح السعـادة : وتفصيل هـذا العلم فى كتب الشيخ أحمد البونى ، يجدها من يطلبها (مفتاح السعادة ٢ / ٥٤٨) .

(أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكـار جـ٢ ق ١ / ٢٨٩ ، ومفتـاح السعادة ومصبـاح السيادة لطاش كبرى زاده ٢ / ٥٤٨) .

حروف الهجاء :

انظر : الحروف .

حروف الهجاء فى فواتح السور :

انظر : الحروف المقطعة فى أوائل بعض السور .

الحروف الهجائية (فى فن الخط العربى) :

انظر : الخط (فى الفنون الإسلامية)

الحروف والأسماء (علم ـ) :

قال صاحب كشف الظنون :

قال الشيخ داود الأنطاكى : وهـو علم باحث عن خواص الحروف إفـرادا وتركيبا ؛ ومـوضوعه الحـروف الهجائية ومـادته الأوفاق والتراكيب وصورته تقسيمها كما وكيفا وتأليف الأقسام والعزائم وما ينتج منها وفاعله المتصرف ؛ وغايته التصرف على وجـه يحصل بـه المطلوب إيقـاعـا وانتـزاعـا . ومرتبتـه بعـد الروحانيات والفلك والنجامة . قال ابن خلدون فى المقدمة : علم أسـرار الحروف وهـو المسمى لهذا العهـد بالسيميـا نقل وصفه الطلسمات إليه فى اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة فاستعمل استعمال العام فى الخاص ، وحدث هذا العلم فى الملـة بعـد الصـدر الأول عنـد ظهـور الغـلاة من المتصـوفـة وجنـوحهم إلى كشف حجـاب الحس وظهـور الخـوارق على أيديهـم والتصرفات فـى عالم العنـاصر ، وزعمـوا أن الكمال الأسمـائى مظـاهـره أرواح الأفـلاك والكـواكب ، وأن طبـائع الحروف وأسرارها سارية فى الأسماء فهى سارية فى الأكوان ، وهو مـن تفاريع علـوم السيميا لا يوقـف على موضـوعه ، ولا تحاط بـالعدد مسائله تعـددت فيه تآليف البـونى وابن العربى وغيرهما . وحاصله عندهم وثمرته تصرف النفوس الربانية فى عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى والكلمات الإلهية الناشئة عن

الحروف المحيطة بالأسرار السارية فى الأكوان . ثم اختلفوا فى سر التصرف الذى فى الحروف بم هو ؟ فمنهم من جعله للمزاج الذى فيه وقسم الحروف بقسمة الطبائع إلى أربعة أصناف كما للعناصر ، واختصت كل طبيعة بصنف من الحروف يقع التصرف فى طبيعتها فعلا وانفعالا بذلك الصنع فتنوعت الحروف بقانون صناعى يسمونه التكسير ، ومنهم من جعل هذا السر للنسبة العددية فإن حروف (أبجد) دالة على أعدادها المتعارفة وضعا وطبعا، وللأسماء أوفاق كما للأعداد، ويختص كل صنف من الحروف بصنف من الأوفاق الذى يناسبه من حيث عدد الشكل أو عدد الحروف، وامتزج التصرف من السر الحرفى والسر العددى لأجل التناسب الذى بينهما فأما سر هذا التناسب الذى بينهما يعنى بين الحروف وأمزجة الطبائع أو بين الحروف والأعداد فأمر عسر على الفهم إذ ليس من قبيل العلوم والقياسات وإنما مستندهم فيه الذوق والكشف . قال البونى : ولا تظن أن سر الحروف مما يتوصل إليه بالقياس العقلى، وإنما هو بطريق المشاهدة والتوفيق الإلهى، وأما التصرف فى عالم الطبيعة بهذه الحروف والأسماء المركبة فيها وتأثر الأكوان عن ذلك فأمر لا ينكر لثبوته عن كثير منهم تواترا، وقد يظن أن تصرف هؤلاء وتصرف أصحاب أسماء الطلسمات واحد، وليس كذلك. ثم ذكر الفرق بينهما وأطال ؛ وقد ذكرنا طرفا من التفصيل فى كتابنا المسمى (بروح الحروف) والكتب المصنفة فى هذا العلم كثيرة جدا انتهى ما فى كشف الظنون قال القنوجى وقد أطال ابن خلدون فى بيان هذا العلم إلى ثلاثة عشر ورقا ، وعقد له فصولا لسنا بصدد ذكره لقلة الفائدة منه فى هذا العصر، وعدم الحاجة إليه فى ذلك الدهر (كشف الظنون ١ / ٦٥٠ ، ٦٥١ ، وأبجد العلوم جـ ٢ ق ١ / ٢٨٧-٢٨٩) .

وذكر صاحب كشف الظنون عددا من الكتب المؤلفة فى هذا العلم عددها ٢٢٣ كتابا نسوق بعضا منها فيما يلى :

أزهار الآفاق -

أساس العلوم والمعانى -

أسرار الحروف -

الأسرار الشافية الروحانية -

الإشارة المعنوية -

إظهار الرموز

إكسير الأسماء -

ألواح الذهب -

الإيماء إلى علم الأسماء -

الباقيات الصالحات -

بحر الفوائد الحرفية -

بحر الوقوف -

بدر رياض المعارف -

برقة الأنوار -

البرقة الربانية -

بروق الأنوار -

بغية الطالب -

البهاء الأمجد -

بهجة الأسرار

بهجة الآفاق -

بيان المغنم -

التعليقة الكبرى -

تمييز الصرف -

تنزيل الأرواح -

التوسلات الكتابية -

تيسير العرف -

تيسير المطالب -

جامع اللطائف -

جنة الأسماء -

الجواهر الخمس -

الحائز للعون الناجز -

حدائق الأسماء -

حديقة الأحداق -

الحديقة السندسية -

الحرز الأسنى -

حرز الأقسام -

حرز الأمان-
الحروف الوضعية-
حقائق الحروف-
حقائق السبوحية-
حل رموز الأسماء-
حل الرموز-
حلة الكمال-
خافية أفلاطون وجعفر الصادق وهرمس-
خواص الأسرار-
خواص الأسماء-
خواص القرآن-
الخواطر السوانح-
الدر المنظم-
الدر المنظوم-
الدر النظيم-
درة الأسرار-
درة الآفاق-
درة تاج السعادة-
درة فنون الكتاب-
درة المعارف-
الدرة الناصعة-
الرسالة اللاهوتية-
رسالة الخفاء-
الرمز الأعظم-
رمز الحقائق-
رموز دلكشا-
روض الأسرار-
روض المعارف-
روضة الأسرار-
روضة الأنوار-
زبدة المصنفات-
سر الصرف-
سجل الأرواح-
سجنجل الأرواح-
سجنجل الجمال-
السر الأبجدى-
سر الأسرار-
السر الأسنى-
السر الأفخر-
سر الأنس-
السر الجامع-
سر الجمال-
السر الخفى-
السر الربانى-
سر السعادة-
سر الصون-
السر الغامض-(كشف الظنون ١/ ٦٥٠-٦٥٤).

هذا بيان بأربعة وثمانين كتابا، وإذا شئت معرفة المزيد يمكنك الرجوع إلى كشف الظنون ١/ ٦٥٥- ٦٦٠.

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٥٠ - ٦٥٤، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى - أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار جـ٢ق ١/ ٢٨٧-٢٨٩).

الحروفية :

فرقة شيعية نشأت فى القرن الرابع عشر الميلادى . انضم إليها الدراويش البكاشية لقِّبوا بالحروفية لأن لهم حساب مستخرج من حساب الجمال بالأحرف، وله شأن كبير فى معتقداتهم . يقولون إن الكون أبدى يتحرك حركة أبدية (المنجد/ ١٥٦).

ومؤسس الحروفية فضل الله بن عبد الرحمن الحسينى ، الشاعر الفارسى المتخلص بنعيمى، وهو الداعية، وولادته بشروان سنة ٧٤٠ هـ من أسرة صوفية من الاتحادية ... له فى عقائدهم ثلاثة كتب هى «الجاودان نامه»، أي كتاب الخلود، و «محبة نامه» و «عرش نامه»، وهما أشعار مقدسة، وكتب أخرى غير مقدسة، ولما قتل فضل الله تفرق

من بقى من أتباعه ، واستمر دعوتهم حتى دخلت الحروفية الكثير من التفاسير الصوفية ، وكان ابن عربى من الحروفيين، وضمن « الفتوحات المكية » من الباب الثانى إلى السابع بعض هذه المعارف الحروفية ، مطابقا بين عدد الحروف الثمانى والعشرين ، ومنازل القمر ، ومطابقا السباعات للكواكب السيارة، ورابطا عدد الأسماء الحسنى بعدد العوالم، وحقيقتها بحقيقة هذه العوامل يجمعها الاسم الأعظم المستغرق لكل الحقائق ووحدة الوجود .

وللحلاج عند الحروفيين مقام سام حتى جعلوه رأسا من رءوسهم ، وكذلك الشبلى ، وابن عربى ، والعطار ، وابن أدهم ، وفى ذلك يقول الشاعر نسيمى :

الشبلى قطـــرة من بحـــرنـــا

وأدهم نقطـــة من حـــروفنـــا

وقد بدأ نقد الحروفية الصوفية باعتبار مذهبهم أوسع من التصوف ، ثم زادوا فنقدوا المُثل الصوفية ، وسموا الصوفية بأهل الظاهر (الموسوعة الصوفية/ ١٢٣ ، ١٢٤) .

(المنجد / ١٥٦ ، والموسوعة الصوفية ـ د. عبد المنعم الحفنى / ١٢٣ ، ١٢٤) .

أبو حريبة (جامع ـ) :

انظر : قجماس الإسحاقى (جامع ـ) .

أبو حريبة (الشيخ ـ) ١٢١٨ـ١٢٦٨هـ / ١٧٩٣ـ١٨٥١م) :

أبو حريبة . هو الشيخ أحمد الشنتناوى من قرية بأعمال المنوفية تعرف بشنتنا ، وأصله من مدينة قنا بالصعيد الأعلى . يقال إن نسبه ينتهى إلى سيدى عبد الرحيم القناوى رضى الله عنه ، قرأ القرآن ثم اشتغل فى صغره بالفلاحة ونسج الصوف ونحوه واشتغل بالسلوك فى طريق القوم فأخذ طريقة الخلوتية عن الشيخ الشنتناوى ، ثم طريق الشاذلية عن الشيخ أبى النجا بطنتدا، وأخذ طريق القادرية والرفاعية، ثم أذن له فى التسليك ، ثم حضر إلى القاهرة وفتح دكان عطارة ، ثم اشتغل بحرفة الكتابة عند نصرانى فى مخبز بحارة درب سعادة، ثم أخذ طريق الختمية عن بعض خلفاء الشيخ عثمان المرغنى المعروف بالختم ، فرأى بركة ذلك الشيخ وتعلقت آماله بالاجتماع به فتوجه إلى مكة المشرفة واجتمع به وأخذ عنه مباشرة وأقام معه أياما ، وبعد أداء فريضة الحج وزيارة قبر النبى ﷺ رجع إلى مصر وقد فتح الله عليه فتحا إلهيا ، وطار صيته واعتقده الخاص والعام وأخذ عنه الطريق جم غفير ، منهم : شيخ الإسلام الشيخ حسن القويسنى، وشيخ الإسلام الشيخ إبراهيم البيجورى، والشيخ الخنانى ، وكان لا يسأل عن مسألة إلا بين حكم الله فيها بالنصوص الصحيحة من غير أن يمارس العلم ، وسئل عن اللوح المحفوظ فقال : هو صدر العارف متى توجه لشيء وجده أمامه ، وكان يقول : علم النحو كذب فلا أشتغل به ومع ذلك له مؤلفات عديدة منها قصيدة فى أسماء الله الحسنى نحو مائة بيت ، وأخرى نحو ثلاثين ، وتائية تحكى تائية ابن الفارض لكنها أكبر منها فإنها نحو ألف ومائتى بيت، وتائية ابن الفارض ثمانمائة بيت، وتفسير صغير الحجم للقرآن العظيم (ذكر الزركلى أن اسمه « فتح الرحمن فى معانى القرآن» وأنه فى الخزانة التيمورية ٣/ ٧٤) وكتاب يشتمل على نحو سبعين فنا ، وله شرح على حكم شيخه نحو سبعين كراسة، وذيل قصيدة شيخه المرغنى وشرحها بنحو ثمانى عشرة كراسة ، وله توسلات ومناجاة وأوراد وصلوات وغير ذلك، وكان يرى النبى ﷺ كثيرا ومن كلامه فى ذلك :

تجلى الجمـــال الفـــرد بـــالعلم الفـــردى

فأشهـــدنى غيبى وأوجـــدنى فقـــدى

إلى أن قال :

أشـــاهـــده فى كل غيـب وحـــاضـــر

والحظـــه بـــالعين فى القـــرب والبعـــد

فهـــا أنـــا فى حـــان المحبين حـــاكم

أنفـــذ أحكـــام المـــدامـــة فى جنـــدى

وكان كريم النفس باذلا للفقراء زاهدا ورعا لا يقبل من أحد شيئا ، أرسل له العزيز محمد على الأكبر خمسمائة جنيه مصرية فردها ، وأنعم عليه المرحوم عباس باشا بأطيان فلم يقبلها ، وقد أسلم على يديه أكثر من ستين نفسا ، ولعل ذلك هو حكمة إقامته فى المخبز. ولم يزل فى ترق فى إنعامات إلى أن توفى قبيل فجر يوم الأحد لخمس عشر خلت من ربيع

الأول سنة ثمان وستين ومائتين وألف وعمره ستون سنة ، ودفن بجامع قجماس وعمل له بعض تلامذته مقصورة بالصدف وعمل له مولد كل سنة وله حضرة وزيادة. هكذا أملاه بعض تلامذته الشيخ سيد البيجورى الشافعى أحد مدرسى الأزهر .

(الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك ٤/ ١٠٣، ١٠٤، والأعلام ١/ ١٣٦) .

الحرير :

عن تحريم لبس الحرير جاء ما يلى مما أورده الإمام ابن الديبع ، وقد احتفظنا بالأرقام كما وردت فى النص :

١ ــ عن أبى عثمان النهدى قال : « كتب إلينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ونحن بأذربيجان مع عتبة بن فرقد . فقال : يا عتبة ، إنه ليس من كدك ولا كد أبيك ، ولا كد أمك ، فأشبع المسلمين فى رحالهم مما تشبع منه فى رحلك ، وإياكم والتنعم ، وزى أهل الشرك ولبوس الحرير ، فإن رسول الله ﷺ نهى عن لبوس الحرير إلا هكذا ، ورفع لنا رسول الله ﷺ الوسطى والسبابة وضمهما » أخرجه الخمسة .

٢ ــ وعن على رضى الله عنه قال : « أخذ رسول الله ﷺ حريرا فجعله فى يمينه ؛ وذهبا فجعله فى شماله فقال : إن هذين حرام على ذكور أمتى » أخرجه أبو داود والنسائى .

وفى أخرى للترمذى والنسائى ، عن أبى موسى : « حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتى ، وأحل لإناثهم » .

٣ ــ وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « قال رسول الله ﷺ : إنما يلبس الحرير فى الدنيا من لا خلاق له فى الآخرة » أخرجه الشيخان والنسائى .

٤ ــ وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ: من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة » أخرجه الشيخان .

٥ ــ وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « رأى عمر رضى الله عنه حلة من استبرق تباع فأتى بها النبى ﷺ فقال : يا رسول الله : ابتع هذه فتجمل بها للعيد والوفود فقال رسول الله ﷺ : إنما هذه لباس من لا خلاق له . ثم لبث عمر ما شاء الله أن يلبث فأرسل إليه بجبه ديباج فأتى عمر رضى الله عنه ؛ فقال : يارسول الله ، قلت : إنما هذه لباس من لا خلاق له ، ثم أرسلت إلى بهذه ؟ فقال ﷺ : إنى لم أرسلها إليك لتلبسها ، ولكن لتبيعها وتصيب بها حاجتك » أخرجه الستة إلا الترمذى . (الإستبرق) ما غلظ من الديباج .

٦ ــ وعن على رضى الله عنه قال : « كسانى رسول الله ﷺ حلة سيراء فخرجت بها ، فرأيت الغضب فى وجهه فأطرتها خمرا بين نسائى » أخرجه الخمسة إلا الترمذى .

٧ ــ وفى رواية لمسلم : « أن أكيدر دومة الجندل أهدى إلى النبى ﷺ ثوب حرير فأعطاه عليا ، وقال : شققه خمرا بين الفواطم » .

والفواطم : جمع فاطمة ، وهن : فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، وفاطمة بنت أسد : أم على بن أبى طالب ، وفاطمة بنت حمزة . وقيل الثالثة فاطمة بنت عتبة بن ربيعة ، وكانت قد هاجرت . (الحلة السيراء) المخططة بالإبريسم والقز و(أطرتها) شققتها وقسمتها بينهن (تيسير الوصول ٤ / ١٤٤، ١٤٥) .

كما أورد الحافظ ابن حجر العسقلانى عن لبس الحرير ما يلى، وقد احتفظنا بالأرقام كما وردت فى النص :

٨٢٢ ــ وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : رأى رسول الله ﷺ جبة مجيبة بحرير . فقال : طوق من نار يوم القيامة . رواه البزار ، والطبرانى فى الأوسط . ورواته ثقات .

قوله : مجيبة ــ بالجيم والمثناة والموحدة : أى لها جيب من حرير .

٨٢٣ ــ وعن أبى أمامة رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريرا ولا ذهبا . رواه أحمد ورواته ثقات .

٨٢٤ ــ وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : من مات من أمتى وهو يشرب الخمر حرم الله عليه شربها فى الجنة . ومن مات من أمتى وهو يتحلى بالذهب حرم الله عليه لباسه فى الجنة رواه أحمد ورواته ثقات ، والطبرانى .

٨٢٥ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه، وقال يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيطرحها في يده . فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك ، وانتفع به ، فقال : لا والله لا آخذه ، وقد طرحه رسول الله ﷺ . رواه مسلم .

٨٢٦ـ وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يمنع أهل الحلية والحرير، ويقول : إن كنتم تحبون حلية الجنة وحريرها فلا تلبسوها في الدنيا . رواه النسائي والحاكم .

٨٢٧ـ وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : قال الله عز وجل : من ترك الخمر وهو يقدر عليه لأسقينه منه في حظيرة القدس ، ومن ترك الحرير وهو يقدر عليه لأكسونه إياه في حظيرة القدس . رواه البزار بسند حسن . (الترغيب والترهيب/ ٢٤٠ ، ٢٤١) .

أما المباح من لبس الحرير فقد أورده الإمام ابن الديبع كما يلي :

١ ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « إنما نهى رسول الله ﷺ عن الثوب المصمت من الحرير ، وأما العلم وسدى الثوب فلا بأس به » أخرجه أبو داود .

٢ ـ وعن أنس رضى الله عنه قال : « رخص رسول الله ﷺ للزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه عنهما في لبس الحرير لحكة كانت بهما » .

٤ ـ وعن سويد بن غفلة قال : « خطب عمر رضى الله عنه بالجابية ، فقال : نهى رسول الله ﷺ عن لبس الحرير إلا موضع إصبع أو إصبعين أو ثلاث أو أربع » . أخرجه مسلم .

(تيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيباني ٤/ ١٤٤ ـ ١٤٦ ، والترغيب والترهيب ، انتقاء شهاب الدين أحمد بن على ابن حجر العسقلاني ـ صححه وضبطه محمد المجدوب/ ٢٤٠ ، ٢٤١) .

الحريرة:

من الأطعمة المغربية التي ذكرها الطبيب المغربي عبد القادر بن شقرون في أرجوزته الطبية المعروفة بالشقرونية ، والحريرة هي الحساء التقليدي بالمغرب ، ومكوناتها كما يلي :

دقيق أبيض ، خميرة ، عدس ، بسلة صغيرة ، طماطم ، بصل ، زيت ، كزبرة ، بقدونس ، فلفل ، ملح ، زعفران ، زنجبيل . وننقل فيما يلي الأبيات التي جاءت عنها ، وقد احتفظنا بأرقامها كما وردت في النص . قال الناظم :

١٤٨ *خير الحريرة التي قد وقفت*
على شرائط لها قد عُرفت

١٤٩ *أفضلها من خالص الخمير*
مفوها بنعنع يسير

١٥٠ *تجود الهضم لكل آكل*
وتبعث الشهوة للمآكل

١٥١ *لا سيما إن شربت بالتين*
أو الزبيب الأحمر الثمين

(الطب العربي في القرن الثامن عشر من خلال الأرجوزة الشقرونية ـ تحقيق وتعليق د. بدر التازي ، تعريب وتقديم د . عبد الهادي التازي/ ٩٥) .

الحريري (٤٤٦ ـ ٥١٦ هـ/ ١٠٥٤ ـ ١١٢٢م):

نشأته وحياته :

محمد القاسم بن على البصرى عربي صميم من بني حرام . ولد بقرية يقال لها المشان ، ونشأ بالبصرة وتخرج على فضلائها . وكان في أول أمره يبيع الحرير أو يصنعه فلقب بالحريري ، وصرفه عن ذلك شغفه بالعلم وولوعه بالأدب ، فجد في الدرس والتحصيل حتى سمت منزلته واستطارت شهرته في وقوفه على أساليب العرب وحفظه لأخبارهم وأشعارهم فقربه الأمراء وأمه الأدباء يستفيدون من علمه ويستزيدون من أدبه .

صفاته وأخلاقه

كان الحريري دميما قصيرا بخيلا قذر الثوب مولعا بنتف لحيته عند التفكير فعاضه الله من ذلك برائع أدبه ، ورقيق

ملحه، وسعة صدره واعترافه بالحق لأهله . ولذلك كان الحديث عنه خيرا من النظر إليه . سمع بشهرته رجل غريب فجاءه يتلقى عنه الأدب ، فلما رآه استزرى شكله ، وفهم الحريرى منه ذلك . فلما التمس منه أن يملى عليه قال له اكتب :

ما أنت أول سار غره قمر
ورائد أعجبته خضرة الدمن
فاختر لنفسك غيرى إننى رجل
مثل المعيدى فاسمع بى ولا ترنى

فخجل الرجل وانصرف .

نثره وشعره

الحريرى كاتب مكثر وشاعر مقل كالبديع . وهو من ساقة أتباع ابن العميد ومن الممهدين لظهور الطريقة الفاضلية بالقصد إلى البديع ، والمبالغة فى الصنعة ،والإفراط فى تدبيج اللفظ ، والتفريط فى جانب المعنى ، حتى تراءت معانيه من خلال ألفاظه عليلة ضئيلة كالعروس المسلولة جمّلوها بالأصباغ وأثقلوها بالغلائل والحلى . وشعره كنثره فى الكلف بالبديع والعناية باللفظ . وضع منه كثيرا فى ثنايا المقامات وجمع فى ديوان خاص .

مؤلفاته

له من المؤلفات كتاب « درة الغواص فى أوهام الخواص » انتقد فيه أهل عصره فى خروجهم عن حدود العربية فى بعض الألفاظ والتراكيب . وكتاب ملحة الإعراب فى النحو ، وديوان رسائل ، ثم المقامات وهى أجود آثاره (تاريخ الأدب العربى / ٢٤٥ ، ٢٤٦) سماها مقامات أبى زيد السروجى ، وصدور زمان الفتور وفتور زمان الصدور ، فى التاريخ ، وتوشيح البيان، نقل عنه الغزولى (الأعلام٥/ ١٧٧) .

قالت المؤلفة نسختى من « ملحة الإعراب » ط محمد على صبيح وأولاده . د . ت . كما أن نسختى من المقامات الحريرية ط مصطفى البابى الحلبى . الطبعة الثالثة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠ م . وقد أوردنا لك نبذا من المقامة الإسكندرانية، والبصرية ، والحرامية وغيرها فانظرها فى مواضعها .

مقاماته :

له خمسون مقامة نحلها أبا زيد السروجى على لسان الحارث بن همام ونسجها على منوال البديع . جمع فيها من اللغة والأمثال والأحاجى ما لا غاية بعده فهى ديوان ممتع للألفاظ العربية ، والنوادر اللغوية ، والصناعة اللفظية ، ولعل ذلك هو السبب فى عناية الأدباء من العرب والفرنج بها وانتشارها بينهم . فقد ترجمها أكثر من عشرين مستشرقا من الفرنسيين والألمان والإنجليز ، . وطبعت بالإنجليزية فى لندن سنة ١٨٥٠ ، وباللاتينية فى هبسبرج سنة ١٨٣٢، ونقلت إلى الفارسية سنة ١٢٦٣، ثم التركية وطبعت بالآستانة . ولا تزال تدرس فى بعض جامعات أوربا بالشرح الذى وضعه لها رأس المستشرقين سلفستر دساسى سنة ١٨٢٢ .

عيوبها :

مما ينتقدها به عليها قصرها ، ووحدة مغزاها ، وأن المؤلف لم يعن فيها بتصوير الأشخاص على نحو ما ألفه اليونان والرمان قديما ، وإنما صرف همه إلى تحسين اللفظ وتزيينه . هى بعد ذلك تكاد لا تخرج عن خيال متكرر فى صور مختلفة ، وإن فى إنشائها تكلفا لا تسمح به طبيعة البدوى الذى قيلت على لسانه .

سبب وضعها :

سبب وضع المقامات أن الحريرى كان جالسا بمسجد بنى حرام بالبصرة ، فدخل المسجد شيخ ذو طمرين عليه أهبة السفر ، رث الجال ، فصيح المقال . فسأله الحاضرون : من أين الشيخ ؟ فقال : من سروج . فاستخبروه عن كنيته ، فقال أبو زيد . فأنشأ الحريرى المقامة الحرامية (انظر الحرامية المقامة ـ) وعزاها إلى أبى زيد وجعل الراوى فيها الحارث بن همام مريدا نفسه آخذا بالحديث المأثور : كلكم حارث وكلكم همام . واشتهرت تلك المقامة حتى بلغ خبرها شرف الدين وزير المسترشد بالله ، فأعجب بها وأشار على الحريرى أن يضم إليها أمثالها فأتمها خمسين .

مختار من كلامه :

قال يشكر أحد الوزراء : دعاء العبد للوزير دامت جدوده سعيدة ، وسعوده جديدة، وعلياؤه محسودة ، وأعداؤه محصودة . دعاء من يتقرب بإصداره ، على بعد داره، ويقصر عليه ساعاته ، مع قصور مسعاته . وشكره للإنعام الذى أوصله إلى التجميل والتأميل ، وجمع له بين التنويه والتنويل ، شكر من أطلق من أسره، وأذيق طعم اليسر بعد عسره. ولو نهضت به القدمان ، وأسعده عون الزمان ، لقدم اعتمار الباب المعمور، وأسرع إليه إسراع العبد المأمور ، ليؤدى بعض حقوق الإحسان ، ويقرأ صحف الشكر باللسان ولكن أنى ينهض المقعد ؟ ومن له بأن يصعد فيسعد ؟

ومن شعره فى الحكم قوله :

لا تزر من تحب فى كل شهر — غير يوم ولا تزده عليه

فاجتلاء الهلال فى الشهر يوم — ثم لا تنظر العيون إليه

وقال أيضا :

لا تقعدن على ضر ومسغبة — لكى يقال عزيز النفس مصطبر

وانظر بعينيك هل أرض معطلة — من النبات كأرض حفها الشجر؟

فعد عما تشير الأغبياء به — فأى فضل لعود ما له ثمر ؟

وارحل ركابك عن ربع ظمئت به — إلى الجناب الذى يهمى به المطر

واستنزل الرى من در السحاب فإن — بلت يداك به فليهنك الظفر

(تاريخ الأدب العربى / ٢٤٥ - ٢٤٧) .

قالت المؤلفة : ومن شعر الحريرى أيضا النموذجان التاليان مما كان مقررا على المدارس الابتدائية فى زماننا حيث كانت النصوص تهدف إلى ترسيخ القيم الإسلامية ، ومن ثم تسوق الموعظة للناشئة ، وتزجى لهم النصيحة : يقول الحريرى :

سامح أخاك إذا خلط — منه الإصابة بالغلط

وتجاف عن تعنيفه — إن زاغ يوما أو قسط

واحفظ صنيعك عنده — شكر الصنيعة أو غمط

وأطعه إن عاصى وهن — إن عز وادن إذا شحط

واقن الوفاء ولو أخلّ — لَ بما اشترطت وما اشترط

واعلم بأنك إن طلبـ — ـت مهذبا رمت الشطط

من ذا الذى ما ساء قط — ومن له الحسنى فقط؟

البيت ٣ - غمط : لم يشكر.

البيت ٤ - شحط : بعُد

البيت ٥ - اقن : قناه يقنيه احتفظ به .

اسمع أخى وصية من ناصح — ما شاب محض النصح منه بغشه

لا تعجلن بقضية مبتوتة — فى مدح من لم تبلُه أو خدشه

وقف القضية فيه حتى تجتلى — وصفيه فى حالى رضاه وبطشه

فهناك إن تر ما يشين فواره — كرما وإن تر ما يزين فأفشه

واعلم بأن التبر في عرق الثرى

خاف إلى أن يستثار بنبشه

وفضيلة الدينار يظهر سرها

من حكه لا من ملاحة نقشه

ومن الغباوة أن تعظم جاهلا

لصقال ملبسه ورونق رقشه

أو أن تهين مهذبا في نفسه

لدروس بزته ورثة فرشه

البيت ١ : شاب : خلط ، محض : خالص .

البيت ٢ : مبتوتة : بحكم بات أى قاطع ، تبله : تختبره، خدشه : ذمّه .

البيت ٣ : تجتلى : تتبين .

البيت ٤ : يشين : يزرى ، فسواره : فداره ، فأفشه : فأظهره .

البيت ٥ : التبر : الذهب فى تراب معدنى ، الثرى : التراب والأرض ، يستثار : يستخرج ، نبشه : إخراج الشيء المستور .

البيت ٧ : رقشه : نقشه .

البيت ٨ : لدروس بزته : لخلوقة ثيابه (مجموعة من النظم والنثر / ١٧ ، ١٨) .

له ترجمة فى : « وفيات الأعيان » ٣ / ٢٢٧ ـ ٢٣١ ، و «شذرات الذهب» ٤ / ٥٠ ـ ٥٣ ، و « خزانة الأدب » ٣ / ١١٧ و « إنباه الرواة » ٣ / ٢٣ ، و « نزهة الجليس » ٢ / ٢ وما بعدها ، و « طبقات الشافعية الكبرى » ٤ / ٢٩٥ ، و «معجم الأدباء » ٦ / ١٦٧ ـ ١٨٤ ، و « دائرة المعارف الإسلامية » ٧ / ٣٦٥ ـ ٣٦٧ ، و « الفلاكة والمفلوكون » ١١٨ ، و « بغية الوعاة » ٣٧٨ ، و « مرآة الجنان » ٣ / ٢١٣ ، و « اللباب » لابن الأثير ١ / ٢٩٥ ، و « معاهد التنصيص » ٣ / ٢٧٢ (كتاب الوفيات / ٢٦٩) .

(تاريخ الأدب العربى ـ أحمد حسن الزيات / ٢٤٥ ـ ٢٤٧ ، والأعلام للزركلى ٥ / ١٧٧ ، ١٧٨ وما جاء بالهامش من مراجع ، ومجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع / ١٧ ، ١٨ ، وكتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى ـ تحقيق عادل نويهض / ٢٦٩ ، ٢٧٠ وهامش المحقق) .

الحريم :

قال ياقوت :

الحريم : بالفتح ثم الكسر، وياء ساكنة، وميم؛ أصله من حريم البئر وغيرها، وهوما حولها من حقوقها ومرافقها ثم اتسع فقيل لكل ما يتحرم به ويمنع منه حريم؛ وبذلك سمي حريم دار الخلافة ببغداد، ويكون بمقدار ثلث بغداد، وهو في وسطها ودور العامة محيطة به، وله سور يتحيز به، ابتداؤه من دجلة وانتهاؤه إلى دجلة كهيئة نصف دائرة، وله عدة أبواب، وأولها من جهة الغرب باب الغربة، وهو قرب دجلة جدًّا، ثم باب سوق التمر، وهو باب شاهق البناء أغلق فى أول أيام الناصر لدين الله بن المستضيء واستمر غلقه إلى هذه الغاية، ثم باب البدرية ثم باب النوبى، وعنده باب العتبة التى تقبلها الرسل والملوك إذا قدموا بغداد، ثم باب العامة، وهو باب عمورية أيضًا، ثم يمتد قرابة ميل ليس فيه باب إلا باب بستان قرب المنظرة التى تنحر تحتها الضحايا، ثم باب المراتب بينه وبين دجلة نحو غلوتى سهم فى شرقى الحريم، وجميع ما يشتمل عليه هذا السور من دور العامة ومحالها وجامع القصر، وهو الذى تقام فيه الجمعة ببغداد يسمى الحريم، وبين هذا الحريم المشتمل على منازل الرعية وخاص دار الخلافة الذى لا يشركه فيه أحد سور آخر يشتمل على دور الخلافة وبساتين ومنازل نحو مدينة كبيرة ؛ وقرأت فى كتاب بغداد تصنيف هلال بن المحسن الصابى : حدثنى خواشاذه خازن عضد الدولة قال : طفت دار الخلافة عامرها وخرابها وحريمها وما يجاورها ويتاخمها فكان مثل شيراز، قال : وسمعت هذا القول من جماعة آخرين أولى خبرة .

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٢/ ٢٥٠ ، ٢٥١) .

حريم دار الخلافة ببغداد:

انظر: الحريم.

الحريم الطاهرى:

قال ياقوت:

الحريم الطاهرى: بأعلى مدينة السلام بغداد فى الجانب الغربى، منسوب إلى طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق، وبه كانت منازلهم، وكان من لجأ إليه أمن، فلذلك سمى الحريم، وكان أول من جعلها حريما عبد الله بن طاهر بن حسين، وكان عظيما فى دولة بنى العباس، ولا أعلم أحدا بلغ مبلغه فيها حديثا ولا قديما، وكان أديبا شاعرًا شجاعا جوادا ممدحا، وكانت إليه الشرطة ببغداد وهى أجلُّ ما يلى يومئذ، وكان يلى خراسان وبها نوابه والجبال وبها نوابه وطبرستان وبها نوابه والشام ومصر وبها نوابه، ولما أراد عمارة قصره ببغداد وهو الحريم هذا، وقد كانت العمارات متصلة وهو فى وسطها، وأما الآن فقد خرب جميع ما حوله وبقى كالبلدة المفردة فى وسط الخراب، وهو عامر، فيه دور وقصر مطل متصل به شارع دار الرقيق، وبعضه عامر، وفيه أسواق، وله سور يحيزه، بصر برجل يستغيث وبيده قصة، فأمر من أخذها منه، فقرأها فإذا فيها أن وكيله أخذ داره غصبًا وهدمها وأدخلها فى قصره، فأحضر الوكيل وسأله عن القصة فقال: إن تربيع القصر لا يتم إلا بها وقيمتها ثلاثمائة دينار فبذلتها له فامتنع فبلغنا ألف دينار، فأخبرت قاضى المسلمين خبرة فرأى الحجر عليه ونصب أمينا فباع الدار وقبضناه المال، وهو عنده، فقال عبد الله: أتعرف موضع الدار؟ قال: نعم، فإذا هى قد وقعت فى شمالى حجرة، فأمر عبد الله بهدم البنيان، فلما رأى صاحبها الجد منه فى الهدم قال: لا حاجة لى فى ذلك وقد أذنت فى البيع، فقال: هيهات بعد الشكوى والمطالبة! ولم يزل جالسًا والشمس تبلغ إليه وينفتل عنها وينفض التراب عن وجهه وموكبه واقف حتى كشف عن العرصة وجرد الأساس القديم وأمر برد بناء الدار وتأديب الوكيل واستحل الرجل بماله وبقيت الدار طاعنة فى داره إلى الآن ترى بروزها من البناء؛ ثم رأى يومًا دخانًا مرتفعًا كريه الرائحة فتأذى به فسأل عنه فقيل له: إن الجيران يخبزون بالبعر والسرجين، فقال: إن هذا لمن اللؤم أن نقيم بمكان يتكلف الجيران شراء الخبز ومعاناته، اقصدوا الدور واكسروا التنانير واحصوا جميع من بها من رجل وامرأة وصبى وأجروا على كل واحد منهم خبزه وجميع ما يحتاج إليه، فسميت أيامه الكفاية.

والحريم أيضًا: موضع بالحجاز كانت به وقعة بين كنانة وخزاعة. والحريم أيضًا: قرية لبنى العنبر باليمامة. والحريم أيضًا: واد فى ديار بنى نمير فيه مياه لهم. والحريم أيضًا: موضع فى ديار بنى تغلب قريب من ذى بهدا.

(معجم البلدان لياقوت الحموى ٢/ ٢٥١، ٢٥٢).

الحرية فى الإسلام:

الحرية خلوص الإنسان من ضيق الحجر، وتمتعه بكل حق إنسانى سوغه العقل، وقضى به الشرع، وهى حق طبعى للناس إذا حرموه فقد سلبوا إرادتهم، وفقدوا إنسانيتهم؛ لهذا قررها الإسلام ورفع من شأنها ومنع من العبث بها. وجعل الإنسان:

١ـ حر النفس. ٢ـ حر العقل.

حرية النفس:

قرر الإسلام للناس حرية نفوسهم، وأخرجهم من ذل العبودية إلا لله تعالى، ومن الخضوع إلا لشرعه القويم، فلا سلطان لأحد من رؤساء الدين والدنيا على روح المسلم، ولا سيطرة لهم على سريرته، ولا واسطة بينه وبين ربه إلا العمل بكتابه، وما بينه رسوله ﷺ، ولا يستطيع أحد من هؤلاء حرمانه من ثواب الله ورحمته، ما دام مستقيما على طريقته، ولا يملكون غفران ذنبه إذا خالف أمر ربه، بل ذلك كله لله وحده، يقول الله تعالى مبينا وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام: ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾ [الأنعام: ٤٨] فلا سيطرة لهم على سرائر الناس، وليس لهم حق إكراههم وإجبارهم. بل أمرهم إلى ربهم بعد تبشيرهم وإنذارهم. ويقول عز وجل لمحمد ﷺ: ﴿فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢]. ويقول رسول الله ﷺ: «يا عباس بن عبد المطلب لا أُغنى عنك من الله شيئًا: يا صفية بنت عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئًا: يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئًا».

نعم تجب على المسلمين طاعة الرسول وأولى الأمر ، ولكن فيما ينفذون من شرع الله تعالى لأنها طاعة له عز وجل ؛ لهذا يقول تعالى : ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء : ٨٠] . أما فى غير ذلك فقد كان للصحابة حرية الرأى مع الرسول فى المصالح العامة التى لم ينزل فيها وحى . وكان عليه الصلاة والسلام يرجع إلى رأى الواحد منهم إذا تبين له صوابه . وفى أمر الله تعالى له بالمشاورة فى الشئون الدنيوية ما يرشدك إلى هذا ؟ فإنه لا تكون مشاورة إلا مع حرية ، وإذا كان هذا شأن المسلمين مع الرسول صلوات الله عليه ، فأولى أن يكون هذا حالهم مع غيره من الخلفاء والرؤساء . وقد كانوا كذلك فى عهد الخلفاء الراشدين : عليهم الطاعة فيما أمر الله تعالى ، ولهم الحرية فيما وراء ذلك .

وهذا أبو بكر رضى الله عنه يقول فى أول خطبة له بعد الخلافة :

« أيها الناس إنى وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى » . وفيها يقول : « أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم» . ومن كلام عمر فى بعض خطبه : « أيها الناس ! من رأى فىّ اعوجاجا فليقومه » . فقام إليه رجل فقال : « والله لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » . فقال عمر : «الحمد لله الذى جعل فى المسلمين من يقوم اعوجاج عمر بسيفه » . فانظر إلى أى حد بلغت حرية الضمائر فى المسلمين فى الصدر الأول وبها عزوا وسادوا .

حرية العقل

كما جعل الإسلام الناس أحرار النفوس أطلق لهم حرية العقول ، فأباح التفكر فى ملكوت السموات والأرض ، بل حث على ذلك وأغرى به ، بل جعل النظر الصحيح أساس الاعتقاد الصحيح . وأثنى القرآن على الذاكرين المتفكرين ونعى على الغافلين الضالين ، فقال فى الأولين : ﴿ **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب* الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾ [آل عمران : ١٩٠ ــ ١٩١] وقال فى الآخرين : ﴿ **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون** ﴾ [البقرة : ١٧٠] والكتاب الكريم من أوله إلى آخره يناشد العقل ، ويحاكم إليه ، ويهيب بالفكر إلى التأمل ، ويحفزه إلى البحث ؛ ليستدل الإنسان ببديع الصنع على عظمة الصانع جل وعز ؛ وليتعلم ويبتكر وينتفع بما خلق الله فى السموات والأرض ، وما أودع الكون من قوى وأسرار (الدين الإسلامى ٢ / ١٠٨ ـ ١١٢) .

ولفضيلة الشيخ محمد أحمد أبى زهرة رحمه الله بحث من أبحاثه النفيسة بعنوان « المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام» تكلم فيه على الحرية فى الإسلام مما ننقله فيما يلى . قال فضيلته رحمه الله :

الإسلام جاء باحترام الشخصية الإنسانية ، والشخصية الإنسانية لا تكون إلا مع الحرية ، حرية الإقامة ، وحرية الانتقال ، وحرية التدين ، وحرية الفكر والرأى ، وحرية الدولة . ولذلك كان الإسلام والتحكم نقيضين لا يجتمعان ، فليس لإنسان أن يتحكم فى غيره ، وليس للدولة أن تتحكم فى الناس ، ولكن لها أن تحكم عليهم إن اشتطوا أو تجاوزوا حدودهم ، وحتى العقوبات فى الإسلام كانت لا تتجه إلى تقييد الحرية ، لأن التقيد دائما منع للحركة ، والحركة هى الحياة ، والإسلام دين الحياة .

إن كل النظم الاجتماعية والقانونية فى الإسلام تتجه إلى حماية الحريات العادلة وكذلك كل النظم الدولية التى سنها الإسلام ، إنما هى لمنع الاعتداء على الغير ولتثبيت دعائم العدل ، فلم يدخل الإسلام فى الحرب إلا لمنع الفتنة فى الدين ، وإطلاق حرية التدين ، وترك الدعوة الإسلامية تسير فى طريقها من غير تدخل فى حرية الاعتقاد ، فهو لا يُكره الناس على الدين ولكنه يمنع الوقوف أمام الدعوات الدينية السليمة ، والناس بعد بيانه أحرار فى اعتناقها ، إن شاءوا ، وإن الإسلام حمى الحريات بكل أنواعها ، وهى تتناول حرية الملك ، وحرية الاعتقاد ، وحرية الفكر ، وحرية

العمل، والقـول، والتصـرف، والحريـة السياسيـة والاجتماعيـة .

حرية الملك :

منح الله الأشخاص حق الامتلاك الفردى، ولكنه مقيد فى موضوعـه، ومقيد فى حدوده وتترتب عليه حقوق ثـابتة للغير، أما تقييده فى موضوعه، فـلأنه ليس كل شئ قابلا للامتلاك، فمن الأشيـاء ما يضـر امتلاكـه، كالمعـادن التى فى الأرض، سواء أكـانت سائلة أم كانت جـامدة، وسواء أكانت الجـامدة فلزات قـابلة للطرق والسحب والانصهـار بالنار أم كـانت غير قابلة، ويشمل ذلك الجواهـر التى تلفظها البحار أو تصطاد، فإن هذه الأنواع كلها لا تقبل الامتلاك، لأنها تجئ بغير جهد يتناسـب مع الفائدة منهـا، وامتلاكهـا يوجد تفـاوتا كبيـرا بين الناس من الناحية المالية عن غير عمل واضح بين.

وأما من ناحية القيود، فإنه ككل حق من الحقوق مقيد بألا يضر بحق الغير، فإذا كانت حـرية الانتفاع بالملك تؤدى إلى الاضرار بـالغير، فإنها تمنع حتى تكون فى حـدود منع الضرر، لأن النبى ﷺ يقول: لا ضرر ولا ضرار.

ولـولى الأمر أن يتـدخل بالمنع إذا تجاوز المالك حـدود التصرف العـادل فى ملكه، وروى فـى ذلك الإمام أبـو جعفر الصادق محمد الباقر عن أبيه الإمـام علـى زين العابديـن أنـه قـال: « كـان لسمـرة بن جنـدب نخل فى حـائط رجل من الأنصار (أى بستـانه) وكان يدخـل هو وأهله فيؤذيـه، فشكا الأنصـارى ذلك إلى رسـول الله ﷺ ، فقـال عليـه السـلام لصـاحب النخل: « بعه فأبى فقـال لـه الرسول عليه السـلام فاقطعـه ... فأبى . قال : فهبه له ولك مثلـه فى الجنة فأبى، فـالتفت إليـه النبى ﷺ. قـال: أنت مضـار. ثم التفت إلى الأنصارى، وقال : اذهب فـاقطع نخلـه » ونرى من هـذا أن النبى صلى الله تعـالـى عليـه وسلم لم يحترم تلـك الملكية المعتدية ، ومنع حرية المالك إذا أدت إلى الإضرار بالغير .

وليس للمـالك حريـة المنع عن ملكه منعـا مطلقا، فقـد يتعلق حق الغير بـالملك فلا يكون حق المنع عنـه، والأساس فى ذلك هو أن الحقوق مهما تكن شخصية لا يمكن أن تكون منفصلة انفصالا كاملا عن حقوق النـاس، فثمة شركة إنسانية فى الأملاك، وإن كـانت تختفى قضاء فإنها تظهر ديـانة، بل تظهر أحيانا فى القضاء، فالجيـران لهم حقوق مشتركة دينا بلا ريب، وإذا اضطرت الحاجة تكون قضاء .

ومن هذه الحقوق حق مرور الماء إذا كان لا يضر صاحب الأرض، يـروى فى موطأ الإمـام مـالك رضى الله عنه أن رجـلا اسمـه الضحاك سـاق خليجـا من العريض (الخليج مجـرى صغيـر) فأراد أن يمـر بـه فى أرض محمـد بن مسلمـة فأبى، فكلم فيه عمـر رضى الله عنه ، فأمر أن يخلى سبيلـه، فقال : لا والله، فقال عمـر: لِمَ تمنع أخاك مـا ينفعه وهـو لك نافع؟ تسقى أولا وآخـرا، وهو لا يضـرك، فقـال محمد: لا، فقـال عمر: « والله ليمرن ولو على بطنك، فأمره عمر أن يمـر بـه » .

وإنه كلمـا اشتدت الحـاجة عظم حق النـاس فى الأموال المملـوكة، وضيقت حـرية التصـرف والانتفـاع وحريـة المنع والامتناع، ويروى أن عمر بن الخطـاب رضى الله عنه قال بعد عام الرمادة: لو كانت السَّنَة مرة أخرى لأدخلت على أهل كل بيت مثلهم ، لأن الناس لا يهلكون على أنصاف بطونهم » .

ويروى أبـو سعيد الخدرى فيقـول: « كنا فى سفـر، فقال النبى ﷺ : « من كان عنده فضل زاد، فليعد به على من لا زاد له، ومن عنده فضل ظهر فليعد بـه على من لا ظهر له، وأخذ يعدد أصنـاف الأموال حتى ظننا أن ليـس لنا من أموالنـا إلا ما يكفينا » .

وأن من تحت يده أرض زراعية سواء أكانت ملكا أم كانت يـده يد اختصـاص لا تنـزع من يـده، إلا لمصلحة راجحـة، ويعوض عنها إذا كان قد كسبها بكسب طيب لا خبث فيه .

وقد تنزع منه لأحد أمرين، أحدهما لأنها قد يؤدى استمرار يده عليها إلى الاحتكـار، كالذين كانت فى أيـديهم إقطاعات كبيرة ولا يتمكن الضعفاء من أن ينالـوا من الأراضى شيئا فكان من الحق أن يأخذوا .

والثانى أن يكون فى النزع نفع عام ، وقد روى أن النبى ﷺ حمى أرضا بـالمدينة ومنع ملكيتهـا الخاصة ، وجعلها لعـامة المسلمين ينتفعـون بها ، كمـا منع أرضا أخـرى يسترعى فيهـا خيول المسلمين .

وقد نهج عمر رضى الله عنه نهج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحمى أرضا بالربذة ، « أى منع حيازتها » وجعل كلأها لكل المسلمين، وجاء إليه أهلها يشكون إليه قائلين : يا أمير المؤمنين إنها أرضنا، قاتلنا عليها فى الجاهلية ، وأسلمنا عليها ، علام تحميها ، فأطرق الإمام العادل ، وقال «المال مال الله، والعباد عباد الله، والله لولا ما أحمل فى سبيل الله ما حميت من الأرض شبرا فى شبر » .

ولقد جعل عمر هذه الأرض للفقراء ترعى فيها ماشيتهم ، ومنع منها الأغنياء ، وقال لواليه الذى أرسله لتنفيذ ما قرره، اضمم جناحك على الناس، واتق دعوة المظلوم فإنها مجابة، وأدخل رب الصريمة (وهى الإبل القليلة) والغُنَيْمة (الغنم القليلة) وامنع نعم بن عفان وابن عوف، فهما إن هلكت ماشيتهما رجعا إلى نخل وزرع، وإن هذا المسكين إن هلكت ماشيته جاءنى ببنيه يصرخ يا أمير المؤمنين أفتاركهم أنا؟ لا أب لك ، فالكلأ أيسر علىَّ من الذهب والورق (أى الفضة) وأنها لأرضهم قاتلوا عليها فى الجاهلية وأسلموا عليها، وإنهم ليرون أنى ظلمتهم ولولا النعم التى يحمل عليها فى سبيل الله ما حميت على الناس شيئا من بلادهم .

وننتهى من هذا إلى أن الملكية حق ثابت، وأن حرية التملك ثابتة إذا اتخذت أسبابها المشروعة ، وأن المالك حر فيما يملك لا يمنع من حق انتفاع بملكيته بالوسائل التى لا ضرر فيها لأحد وإن كان الضرر منعت حريته فى التصرف أو الانتفاع ، منعا للإضرار، فإن كل ضرر فى الإسلام مدفوع، وأنه لا تنزع الملكية من يده إلا لدفع ضرر مؤكد أو يغلب على الظن وقوعه، أو لتأكد مصلحة أكبر من مصلحة المالك فى الانتفاع بملكه، وفى الحالين يجب تعويضه ما دام قد كسب الملكية بسبب مشروع لا خبث فيه، وإذا لم تكن مصلحة ولا دفع ضرر لا يجوز التعرض للمالك فى حرية الملك، يقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : « لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه » وقد روينا ذلك من قبل .

حرية التدين :

احترم الإسلام حرية الاعتقاد ، وقاتل من أجلها ، واعتبر الفتنة فى الدين أكبر من القتل، وجعل الأساس فى الاعتقاد أن يكون بالاختيار الحر الخالى من كل إكراه، أو حمل على الاعتقاد بأى وسيلة من وسائل الحمل، وأن يكون أساس الاختيار سليما ، فلا يكون إغراء ، وأن يقوم بكل ما يوجبه عليه دينه طائعا مختارا إن أراد، وعلى ذلك تتكون حرية الاعتقاد من عناصر ثلاثة :

أولها ـ تفكير حر غير خاضع للتقليد ، أيا كان من يقلده، سواء أكان الآباء الأولين ، أم الأقوياء الحاضرين .

ثانيها ـ منع الإكراه على عقيدة معينة بتهديد أو تعذيب .

ثالثها ـ أن يكون حرا فى العمل بمقتضى دينه، لا يمنعه اضطهاد من الظهور بدينه وإقامة شعائره، وقد حمى الإسلام هذه العناصر الثلاثة ، فدعا إلى التحرر من ربقة التقليد، ودعا إلى التفكير على أساس الدليل والبرهان ، وتعرف الحقائق من آيات الله تعالى الكونية فى السموات والأرض، وإنك تفتح المصحف فتجد الآيات القرآنية تدعو إلى التأمل الحر فى السموات والأرض وما بينهما من غير أى تقيد، إلا بالأدلة العقلية الهادية المرشدة، ولقد منع الإسلام الإكراه فى الدين ، فقال تعالى : ﴿ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ﴾ [البقرة : ٢٥٦] وقد أراد أحد الأنصار أن يحمل ابنين له على الإسلام كرها، فنهاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك .

وإن المسلمين الأولين كانوا حريصين كل الحرص على ألا يُكرهوا أحدا، وأنه ليروى فى ذلك أن عجوزا نصرانية قابلت عمر بن الخطاب رضى الله عنه لحاجة لها عنده، وبعد أن أداها دعاها إلى الإسلام فامتنعت فخشى عمر أن يكون فى كلامه وهو الإمام القوى إكراه لها ، فقال : اللهم إنى لم أكرهها ثم تلا قوله تعالى :

﴿ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ﴾ .

غير المسلمين فى ظل الإسلام :

إن غير المسلمين الذين يعيشون مع المسلمين قسمان : المستأمنون، وهم الذين يقيمون مع المسلمين إقامة مؤقتة غير دائمة، وقد أشرنا إلى ما ينبغى لهم من معاملة فى أثناء كلامنا فى العدالة الدولية ، والقسم الثانى الذميون الذين يقيمون مع المسلمين إقامة دائمة ، وسموا ذميين ، لأنهم أقاموا مع

المسلمين على أساس أن لهم عهدا وذمة، على أن يكون لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم .

والأصل أن المسلمين كانوا إذا دخلوا بلدا وأقاموا فيه كانوا يعلنون أن من يرضون بالإقامة مع المسلمين على أن يكون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ـ ما عدا ما يتعلق بالدين ـ يكونون ذميين ما داموا لم يعترضوا على ذلك، ويكون هذا بمثابة عقد بينهم وبين المسلمين .

وأنهم بهذا يلتزمون أمرين: أحدهما ـ التزام التكليفات المالية على القادرين منهم لكى يسهموا فى بناء الدولة، ويشتركوا فى ميزانها المالى .

ثانيهما ـ أن يلتزموا أحكام الإسلام فى المعاملات المالية وفى الخضوع للعقوبات الإسلامية ليكون لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، أما نظام الأسرة من زواج وطلاق فإنهم يتركون وما يدينون، وذلك لصلة أحكام الأسرة بأصل الدين، فكان من المحافظة على حريتهم فى التدين أن يتركوا فى العبادات وأحكام الأسرة إلى دينهم الذى ارتضوا البقاء عليه، ولقد قرر بعض الفقهاء وهم أبو حنيفة وأصحابه أن يعفوهم من عقوبة الخمر، لزعمهم أن ذلك مما يتعلق بالتدين، ولكن الجمهور الأعظم من الفقهاء على غير ذلك، لأن الخمر محرمة فى كل الديانات السماوية ولأن شربها جريمة، وعقوبتها لتطهير المجتمع من أدران هذه الرذيلة، ولحماية العقول من آثارها، ولأن من لا عقل له يكون كَلاًّ على المجتمع، وما داموا قد صاروا أعضاء فى الدولة الإسلامية فلا بد أن تتوافر فيهم السلامة التى يجب توافرها فى كل رعايا هذه الدولة .

وقد قرر كثيرون من الفقهاء أن المجوسى المستظل براية الدولة الإسلامية إن تزوج ابنته أو أمه لا يتعرض له ما دامت أحكام الأسرة قد تركت لهم، ولكن إذا ترافعا أو ترافع أحدهما إلى القاضى قال جمهور الفقهاء: تطبق أحكام الإسلام فيحكم ببطلان الزواج، لأن نظام المحرمات فى الزواج من النظام العام لا يطبق سواه، ولكن أبا حنيفة قال: إذا كان الخلاف فى أصل وجود العقد تطبق الأحكام الإسلامية، وإن كان يتعلق بالنفقة التى تطالب بها الزوجة، فإن القاضى المسلم يحكم حتى لا تتعرض المرأة للجوع والعرى وعدم المأوى .

وإن النظم الإسلامية فى هذا قد ارتفعت إلى مستوى فى حماية الحرية الدينية لم ترتفع إليه أى دولة من دول العالم المتحضر الآن، فليس فى دولة أيا كانت من تترك من هم على غير دينها من الرعايا يتمتعون بأحكام دينهم فى الزواج ولقد صدر منذ بضع سنين فى إنجلترا قانون يمنع الاعتراف بأى زواج يصدر بمقتضى الشريعة الإسلامية، ولو كان بين اثنين مسلمين، فلو تزوج مسلم بمسلمة فى إنجلترا، فإن المحاكم لا تعترف بهذا الزواج، ولو تزوج مسلم بمسيحية كذلك، بل إنها لو تزوجت غيره، وهى تعاشره يصح الثانى ما دام على مقتضى الشريعة الإنجليزية، ولا يلتفت إلى الأول مع أنه الصحيح، والثانى هو الباطل، بينما الإسلام لا يسمح لأى إنسان أن يتزوج المجوسية المتزوجة، ولو كان مسيحيا أو يهوديا، لأنها مهما يكن زواجها باطلا، فإنه قد أوجد حقوقا بين الزوجين .

وإن الإسلام تسامح فى الأسرة فى ولم يتسامح فى المعاملات المالية والعقوبات، لأن المعاملات فى الدولة تجرى بين المسلمين وغير المسلمين، فيكون التبادل قائما بين كل الرعايا، ثم إن المعاملات المالية أساس النظام الاقتصادى، وتبادل المنافع بين آحادها، وليس من المعقول أن ينحاز غير المسلمين فى محلة يتعاملون فيها دون سائر الناس، وإلا كانوا دولة فى داخل دولة وإن ذلك لا يتفق مع الاندماج الذى قبله، إذ قبل أن يكون جزءا من كيان الدولة، فيجب أن يعتبر كذلك فيما يتعلق بالنظام الاقتصادى والاجتماعى، والعقوبات لإصلاح النظام الاجتماعى، وتطهيره من أرجاس الرذائل .

والأسرة ليست كذلك، لأنها لا تتجاوز الشخص وزوجه وذوى قرابته، ولا تتصل بالمجتمع، وهى كالعقيدة وإقامة الشعائر الدينية، يكونان عادة منقطعين عن الجماعة، ولا تبادل فيهما بينه وبين المسلمين .

ولهذا كان من حماية الحرية الدينية، أن يترك أمر الأسرة

والعقيدة فى الناس لما يدينون به ، على أنه يلاحظ أن ذلك حق أعطيه غير المسلم بمقتضى أحكام الإسلام، ولذلك كان الرجوع فيه إلى الأحكام الإسلامية ، فإن شكا من مظلمة فإنصافه من واجب الحاكم المسلم، وليس له أن يستعين بدولة أخرى لإنصافه، لأن ذلك يكون نقضا لعقد الذمة، ولأنه لا توجد دولة تعامل رعاياها تلك المعاملة العادلة فيما يتعلق بنظام الأسرة .

هذه حقوق أعطيها غير المسلم المستظل بالدولة الإسلامية ، وهى قائمة إلى اليوم وهناك واجب آخر ، وهو أوضح الواجبات التى يلتزم بها الذمى، وهو الجزية ، وقد حسب بعض الكتاب أنها مفروضة عليهم لإذلالهم ، أو أنها مظهر السيطرة عليهم ، والحق أن إعطاءها مظهر الطاعة، ولكن العدالة أوجبتها، وهى جزء من العدالة الاجتماعية فى الدولة الإسلامية، ذلك أنها فرضت على الذمى فى نظير ما يفرض على المسلم من زكوات وكفارات ونذور وفديات لترك العبادات كما أشرنا .

وإن الجزية إذا نظر إليها نظرة حسابية يتبين له أنها تقل عما يؤديه المسلم من واجبات مالية بمقتضى دينه، فإنه يؤدى عما يملك من أموال منقولة ما مقدار ربع العشر من رأس المال ويؤدى العشر من صافى غلات الأموال الثابتة ثم إن الدولة تشاركه فيما يغنمه من الحروب، فتأخذ الخمس، وعلى المسلم كفارات ونذور، فكفارة اليمين إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم إذا حلف وحنث، وكفارة الإفطار فى نهار رمضان متعمدا إطعام ستين مسكينا ... وهكذا غير ذلك من الكفارات التى يؤديها بمقتضى دينه، وهى مصادر لتمويل التكافل الاجتماعى الذى ينتفع منه المسلم وغير المسلم فى أحيان كثيرة .

وإنه لا يمكن تكليف غير المسلم بهذه التكليفات المالية المأخوذة من أحكام العبادات الإسلامية، حتى لا يتدخل ولى الأمر فى حريته الدينية، ولا بد أن يسهم فى بناء الدولة التى يعيش فى ظلها ، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا بفريضة لا تخضع للدين، فكانت الجزية .

وهى تصرف على المرافق العامة للدولة الإسلامية، وتصرف فى معونة من يحتاج من غير المسلمين، ولا يأخذ المحتاجون من المسلمين شيئا منها ، ولها بيت مال قائم بذاته ، ويسمى بيت مال الخراج والجزية ، ومن بيت المال هذا تجرى الوظائف على الفقراء العاجزين من أهل الذمة ، إذ تكون لهم مرتبات منها ، كما فعل الإمام عمر، وكما كان يفعل من بعده .

وإن حماية غير المسلمين واجبة على الدولة الإسلامية ، فدَمُهُ مصون، ومن اعتدى عليه يقتص منه ؛ وأمواله مصونة ، وحريته الشخصية مصونة ليس لأحد أن يمسها ، وكرامته محترمة ، لأنه إنسان معصوم الكرامة كالمسلم على سواء .

ولا شك أن تنفيذ هذه المبادئ مع اختلاف الدين قد يكون صعبا على بعض النفوس، ولذلك كانت المبالغة فى احترام حقوق الذميين، حتى لا تذهب الحماسة الدينية الرعناء إلى الاعتداء ولذلك شدد النبى ﷺ، فى احترام حقوق الذميين، وقال عليه السلام : « من آذى ذميا فأنا خصمه يوم القيامة » .

وعمر بن الخطاب كان يبث العيون على ولاته ليعرف مقدار إقامتهم للعدل فى رعاياهم، وأول ما يهتم بالسؤال عنه معاملتهم لأهل الذمة ، وإذا جاءته الوفود من الأقاليم ، أو التقى بهم فى الحج يسألهم عن حكامه ، وأول ما يسأل عنه معاملتهم لأهل الذمة ، فحسن المعاملة لهم دليل على العدالة للجميع .

وكان لا يمتنع عن القصاص ممن يظلمهم ، ويروى فى ذلك أن ابن عمرو بن العاص والى مصر تسابق مع شاب قبطى فسبقه الشاب فضربه ابن عمرو بالسوط، وقال له أتسبق ابن الأكرمين فذهب الشاب القبطى إلى عمر فى المدينة ، فأحضر عَمرا وابنه . وأمر الشاب القبطى أن يضرب حتى يشتفى لنفسه ، فأخذ يضربه ، وعمر يطلب الزيادة كلما سكت، ويقول زد ابن الأكرمين، فلما اشتفى الشاب لنفسه أزاح عمر العادل عمامة عمرو عن رأسه ، وقال للشاب القبطى اضرب على صلعة عمرو، فباسمه ضربك، فامتنع الشاب، وقال عمرو ما علمت بهذا، فقال الحاكم الحر حقا وصدقا : «متى يا عمرو تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » وهذه كلمة يتحدث بها الأحرار فى كل مكان، لأنها شعار الحرية ، إذا الحر هو الذى لا يستعبد غيره ولا يرضى بالضيم .

وقد كان الفقهاء فى كل أدوار الاجتهاد الفقهى حريصين

كل الحرص على أن يوصوا حكام المسلمين بالعدل مع أهل الذمة، ومن ذلك ما جاء فى كتاب الخراج لأبى يوسف .

« وقد ينبغى يا أمير المؤمنين آترك الله أن تتقدم بالرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، والتفقد لأحوالهم حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ، ولا يكلفوا فوق طاقتهم ، ولا يؤخذ شىء من أموالهم إلا بحق يجب عليهم، فقد روى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « من ظلم معاهدا أى ذميا، أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة » وكان فيما تكلم به عمر بن الخطاب رضى الله عنه عند وفاته « أوصى الخليفة من بعدى بذمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من وراءهم ولا يكلفهم فوق طاقتهم » (الخراج لأبى يوسف / ١٤٦ ، والحاكم الذى يخاطبه هرون الرشيد) .

وهكذا نجد الرفق فى المعاملة مع غير المسلمين الذين يعيشون فى ظل الإسلام يستمتعون بالحرية الكاملة فى شئون دينهم ولا يكرهون ، ولا يؤذون، ولا يخصون بمعاملة إلا أن تكون أرفق وأنصف ولذلك بقيت منهم ذرية إلى اليوم تعلن سماحة الإسلام ، ورعايته لحرية من يكونون من رعاياه من غير نظر إلى دينهم ، فإن العدل مطلوب دائما، ومن أسلم منهم فقد أسلم عن رضا واختيار واطمئنان، والله سبحانه وتعالى يتولى عباده برحمته . .

حرية الرأى والفكر :

الرأى هو الثمرة التى ينتجها الفكر السليم، والاتجاه المستقيم إلى طلب الحقائق وإعلانها، والإسلام يقرر أن حقائق الكون وطبائع الأشياء تجب دراستها، وإعلان ما ينتهى إليه العقل والفكر الحر غير المأسور بتقاليد سابقة لأن الإسلام نهى عن التقليد، وأمر المؤمن أن يفكر فيما تحت يده فى الأرض، وما فوقه من أفلاك، ليتعرف كنهها، لأنها سخرت له وذللت لإرادته، اقرأ قوله تعالى :

﴿ ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ﴾ [الحج : ٦٥] .

وإن العقيدة الإسلامية بنيت براهينها على النظر فى الكون ودراسته، وإذا كان قد ظهر بعض الذين يظهرون التشدد فى التدين، وضاق صدرهم حرجا ببعض الدراسات ، فسبب ذلك أحد أمرين : إما عجز منهم ستروه بالاستنكار، وإما أنهم رأوا الذين يتكلمون فى الكون قد نقلوه عن فلاسفة اليونان، وظهر منهم انحراف عن العقيدة، ومهما يكن، فقد ظهر علماء متدينون متشددون فى تدينهم قد درسوا الكون وما فيه، ومن هؤلاء الكندى، وقد ذكر أنه تلقى الكثير منه عن الإمام جعفر الصادق رضى الله عنه .

ولا يمكن أن يدرس الكون دراسة علمية إلا إذا كانت حرية الفكر المستقيم، وإذا كانت دراسة الكون يطلبها الإسلام على سبيل الفرض الكفائى، فإن حرية الرأى وإعلانه واجبة .

وإن الإسلام أعلى شأن العقل فى إدراك المسائل، حتى لقد قال علماء الإسلام : إن معرفة الله تعالى واجبة بالعقل، وقالوا : إن الأساس فى فهم المعجزات والأدلة الشرعية هو العقل .

وإن الإسلام حرر الفكر من سلطان الجماعات التى لا تدرك، وأوجب على المؤمن أن يفكر طالبا الهداية من الله تعالى، وأن يتبع ما تهديه إليه الدراسة، وافق على ذلك من حوله أم خالفوه، وقال تعالى ، ﴿ وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴾ [الأنعام : ١١٦] .

وقد يقول قائل كيف يكون التفكير الحر ولو خالف الجماعة سائغا فى الإسلام ؟ مع أن الإجماع فى الإسلام حجة، ومع أن من يستقل بعقله قد يضل عن الحقائق الدينية؟ ونقول فى الجواب عن ذلك :

بالنسبة للأمر نقول : إن ذلك فى الأحكام التكليفية الشرعية لا فى الدراسات الكونية، إذ الأولى أساسها العقل، وفهم العقل، والإجماع على فهم العقل يجعله حجة قطعية لا سبيل لإنكارها ، أما الأمور الكونية، فالأساس فيها النظر الفاحص والدراسات العقلية ، وقد ينتهى الباحث إلى أمور قطعية، وما عند الناس ظنون واحتمالات، وأما ضلال بعض الباحثين فى الكون ، وانحرافهم عن الدين فليس منشأ ذلك الدراسة العقلية المستقيمة إنما منشؤه انحراف الفكر ابتداء

فهو قد درس بقلب غير سليم ، وإعلانه ما هو ضد الدين ، ليس فيه إضافة علم بالأكوان مستمر جديد، إنما يكون فيه عقم فى الإدراك .

إن حرية الرأى فى الإسلام لا تكون مستقيمة إلا إذا قامت على النظر العلمى القويم، ولا يعلن منها إلا ما يكون قطعيا، بالدليل، لا ما يكون خيالا يتخيل أو ظنا يظن، وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا، ولا يعلن منها إلا ما يكون فى إعلانه فائدة مؤكدة للناس، وإذا توهم متوهم من الباحثين أمرا يخالف العقيدة اليقينية ، أيكون الخير نشر وهمه ، إن ذلك يكون تضليلا، ولا يكون تعليما . .

الحرية السياسية :

صان الإسلام الحرية السياسية بأمور ثلاثة : أولها ـ أنه جعل أمر المسلمين شورى فيما بينهم، وهذا يجعلهم شركاء فى الحكم يتحملون مغبة اختيارهم ، فيستمتعون بحسن الاختيار، ويذوقون سوءه إن كان، وعليهم حينئذ أن يعالجوا جماعتهم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وثانيها ـ أنه ليس فى الإسلام من ذاته مصونة لا تمس، بل الجميع أمام الشرع سواء، وكل يخطئ ويصيب، حتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، كان فيما يعمله برأيه من غير وحى يوحى به إليه يخطئ ويصيب، وينبه إلى خطئه إن كان الأمر يتعلق بمبدأ من مبادئ الإسلام .

وإن اضطهاد الآراء منشؤه أن يعتقد الحاكم فى نفسه النزاهة عن الخطأ، أو يزين له من حوله من المنافقين ذلك ، أو يجعلون ذلك أساسا من أسس العلاقة بينه وبين الناس، وحينئذ يكون التضييق على الأفكار وعلى الآراء .

ثالثها ـ ما أوجبه الإسلام من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فإن ذلك الواجب سهل على الناس إبداء آرائهم ، ولقد أباح الإسلام للناس أن يبدوا آراءهم فى أعمال الحاكمين، من غير فتنة ولا تحريض على الفساد، ولقد كان بعض الناس يتطاولون على مقام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويعترضون على بعض ما يقوم به من أعمال، ومع ما انطوت نفوسهم عليه من مرض النفاق، ما كان يلومهم على قولهم ، حتى لا يتخذه بعض الأمراء من بعده مسوغا لمنع الناس من إبداء آرائهم ، فكان يتحمل صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك مع مرارته، ويأخذهم بالرفق خشية أن يفتح الباب لمن يجىء بعده، ولقد سجل القرآن ذلك ، فأشار إلى ما كان يقوله المنافقون ، فقال تعالى ، ﴿ **ومنهم من يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون** ﴾ [التوبة : ٥٨] .

ولقد كان الخلفاء من بعده يدعون الناس إلى نقدهم ، دعا إلى ذلك خليفة رسول الله الصديق، ودعا إلى ذلك أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، وكان يقبل النقد من كل من يخالفه ويستمع إليه ، ولقد وقف مرة يدعو إلى وضع حد أعلى للمهور منعا للمغالاة فيها لأن هذه المغالاة تصعب الزواج على من يبتغيه فعارضته امرأة وقالت له : « ليس هذا لك يا أمير المؤمنين » ، وتلت قوله تعالى : ﴿ **وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا** ﴾ [النساء : ٢٠] فطأطأ الإمام العظيم رأسه، وقال « كل الناس يعلم القرآن إلا أنت يا عمر» .

ولقد كان يعارض رضى الله عنه فى تصرفاته وأقواله، ولا يجد غضاضة فى معارضته، بل إنه كان يقبل الاتهام أحيانا، ويتلقاه بصدر رحب، ويناقش من يتهمه ، حتى يقنعه أو يستغفر الله عما فعل، يروى فى ذلك أنه جاءته غنائم فيها ثياب، ومن بينها ثوب ممتاز بجودته، فأعطاه بعض الشبان، فظن سعد بن أبى وقاص ذلك محاباة، فحلف ليضربن رأس عمر بثوبه الذى وزع عليه وقال لأمير المؤمنين تكسونى البرد (أى الثوب) وتكسو ابن أخى بُرْداً أفضل منه، فقال الفاروق يا أبا اسحاق إنى كرهت أن أعطيه أحدكم ، فيغضب الآخرون ، فأعطيته فتى نشأ نشأة حسنة ، لا يتوهم فيها أحد أنى أفضله عليكم فقال سعد : لقد حلفت أن أضرب بالبرد الذى أعطيتنى رأسك، فمال عمر برأسه، وقال رأسى عندك يا أبا أسحاق وليرفق الشيخ بالشيخ، فضرب رأسه بالبرد .

ولقد لاقى الإمامان العادلان الشهيدان عثمان ، وعلى من معارضيهما أشد النقد واللوم والسب، فما استخدما سطوة الحاكم ، ولا غلبة السلطان .

وقد كان على كرم الله وجهه يصدم بالكلمة النابية، وهو يخطب فلا يهيج ولا يثور بل يرد فى رفق وأناة وبيان للحق، يروى فى ذلك أنه كان يخطب، فقال له بعض الخوارج : لا حكم إلا الله، فأجابهم على الإمام الحكيم بقوله :

« كلمة حق يـراد بها باطـل نعم إنه لا يحكم إلا لله ، ولكن هؤلاء يقولون : لا إمرة إلا لله ، وإنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر، يعمل فـى إمرته المؤمن، ويستأمن فيهـا الكافر، ويبلغ فيها الأجل، ويقاتـل بها العدو، وتأمن به السبل، ويـؤخذ به للضعيف من القوى، حتى يستريح بره ويستراح من فاجر » .

وهكذا تكون قوة الاحتمال للرأى الحر، و لو كان من غير صالح.

تقرير المصير:

و إذا كانت حـرية الآحاد مكفولـة ، فإن حرية الجمـاعات أشد ضمانا ، و إذا كان الآحـاد يقررون مصيرهم فى ظل الدولة أو الإسلام، فالـدول تقرر مصيرها فى ظل الله تعـالى والعدل، والأمن والسلام .

وقد تبين ممـا سقنا من نصـوص أن أساس العـلاقات بين النـاس العـدل والسـلام والتعارف، ومنهـا التعـاون الإنسـانى الكامل، وقد نهى الإسلام المسلمين عن الخضوع للذل أينما كانوا، فقد نهاهم عن أن يقيمـوا فى ظل من لا يرعون حـريتهم الدينية ، ولا يمكنونهم من إقامة شعائرهم .

وبالنسبـة لغير المسلمين فإن المسلمين لم يـرهقوهم ولم يظلموهم ، ولم يفسدوا عليهم أمورهم بأن يتركوهم ما تركوهم يقررون مصيـرهم ، و إذا توقع المسلمون اعتـداء، طلبوا إليهم أن يعاهدوهم أو يدخلوا فى دينهم أو يقاتلوهم ، و إن الذميين الـذين عـاهــدهم المسلمـون كـانـوا يتـركـون لهم الأمـر إذا عجزوا . عن حمايتهم أو الوفـاء بعهدهم ، و إنه يروى فى ذلك أن أبا عبيدة عـامر بن الجراح عند دخول الشام قـد عاهد أهل حمص على أن يـدافع عنهم فى نظيـر مـال يدفعـونـه لجيش المسلمين، وقد دفعوا المال، فلمـا تفشى الطاعون فى جيشه عجز عن الـدفاع عنهم ، فأرسل إليهم يرد أمـوالهم لعجزه عن الدفاع عنهم ، فردوا المال إليـه ، وهبُّوا مع المسلمين لمقاتلة الرومان .

وفى الجملة إن الإسلام لا يرهق الشعوب من أمرها عسرا، بل يسير بها فى أمن وسلام، وكل يختار لنفسه من يتفق معه، ومن يختاره له وليـا ، والشعوب كالآحاد حـرة فى اختيارها من تنضم إليه ومن تبتعد عنه ، وكل تدخل فى ذلك ضد الحرية ، وإكراه، وحرمان للاختيار . (« المجتمع الإنسانى فـى ظل الإسلام » / ٤٣٥_٤٤٨).

ولفضيلـة الشيخ صادق إبـراهيم عرجـون بحث فى حريـة الـرأى فى الإسـلام وممـا جاء فيـه مـا يلى : كـان المسلمـون الأولون يعظمـون حريـة الرأى تعظيمـا جعل منهم أمة نـاهضة مدت سلطانها على أقطار الأرض فى زمن لا يمكن أن ينهض بهذا السلطان القـاهر لو كانت الأمة القائمـة على أمره حبيسة العقل مقيدة التفكير. وليس مبدأ الشورى الذى جاء به الإسلام وجعله منـاط الثناء على المـؤمنين فقال : ﴿ **وأمرهـم شورى بينهم** ﴾ [الشورى : ٣٨] وأمر الله به نبيه ﷺ وليجعله دستورا بينه وبين أمته فقال : ﴿ **وشاورهم فى الأمر** ﴾ [آل عمران : ١٥٩] إلا قاعدة من قـواعد حرية الرأى وتقـديسها ، فاستمع الرسـول أمر ربه ، وجـرى على هذه السنن فيما لم ينـزل عليه وحى فيه .

روى البخارى فـى صحيحه « أن رسول الله ﷺ قـام حين جاء وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم ، فقـال رسـول الله ﷺ : معى من تـرون ، وأحب الحـديث إلىَّ أصدقه ، فاختاروا إحدى الطائفتين .

إما السبى ، و إمـا المال ، وقد كنت استأنيت بكم ـــ وكان أنظرهم رسول الله ﷺ بضع عشـرة ليلة حين قفل من الطائف ـ فلمـــا تبين لهم أن رســـول الله ﷺ غيـر راد إليهم إلا إحــدى الطائفتين، قـالوا : فإنا نختار سبينا ، فقـام رسول الله ﷺ فى المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد، فإن إخوانكم قد جاءونا تائبين و إنى قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكـون على حظـه حتى نعطيـه إيـاه من أول مـا يفئ الله علينـا فليفعل، فقال الناس :

قد طيبنـا ذلك يا رسـول الله ، فقال رسـول الله ﷺ : إنا لا نـدرى من أذن منكم ممن لم يأذن فـارجعـوا حتى يـرفع إلينـا عرفاؤكم أمـركم، فرجع الناس، فكلمهم عرفـاؤهم، ثـم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا » .

هـذا الحـديث الشريف يصـور أقصى مـا تبلغ إليـه الأمم النـاهضـة من حـريـة الـرأى ونظام النيـابـة الفـاضلـة ومحـو الاستبداد. وفيه من الفـوائد العظيمة التى تدنو منـا فى عصرنا

هذا ، عصر الحرية الفكرية واستقلال الرأى، ما يجل عن الوصف. ولنتحدث منه فيما يمس موضوع (حرية الرأى) الذى عقدنا هذا المقال لأجله :

أول ما يبده القارئ من هذا الحديث قول النبى صلوات الله عليه لهؤلاء الذين دخلوا فى الإسلام جددا : « معى من ترون ، وأحب الحديث إلىّ أصدقه » ليشعرهم بقانون الإسلام العام ، وهو احترام الحقوق وتقديس حرية الرأى، والتجافى عن روح الاستبداد، والحكم الفردى، فكأنه يقول: إن الأمر صار إلى الأمة، ولا بد من أخذ رأيها، مع أنه لو فعل شيئا ما طرفت عين بمخالفته ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾ [النساء : ٦٥].

ثانيا ــ لم يشأ صلوات الله عليه أن يجبر هوازن بعد أن استأنى بها وقطع عذرها على قبول طائفة بعينها، بل خيرهم بين إحدى الطائفتين: إما المال، وإما السبى، وفى ذلك من احترام الرأى ما لا يحتاج إلى بيان .

ثالثا ــ عرض الأمر على أصحابه ، وذكر لهم توبة إخوانهم، وقال لهم : إنى قد رأيت أن أرد عليهم سبيهم ،ثم أطلق لهم حرية الرأى، وأبان أنه لا يحكم إلا بما تطيب به نفوسهم ، فقالوا قد طيبنا ذلك ، أفتراه ـ وهو الرسول الأمين ـ قام إلى سبى هوازن فرده إليهم اتكالا على إجابة عامة من حشد المسلمين، كيف؟ ولعل فى غمار المسلمين من لم يؤبه له، ولا يعرف رأيه فى هذا الجمع العظيم، والمسلمون سواء أمام التشريع العام، لكل مسلم رأيه، ولكل رأى اعتباره، لا ، لم يتفرد النبى برأيه، ولكنه عمد إلى أدق نظم حرية الرأى، وأحراها بالعدالة فجرى عليها : أمرهم أن يرجعوا إلى أنفسهم، ويتعرفوا منها الرضا، أو الإباء، وينضجوا رأيهم، ويتفاوضوا مع نوابهم ، ثم يرفعوا إليه ما استقر عليه رأيهم .

نظام بلغ أسمى آيات (الديمقراطية) كما يقولون فى أمة حديثة ناشئة، أليس هو أحدث ما تطمح إليه الأمم الناهضة لتعيش فى ظله ؟ فليتبصر الذين لا يعرفون من الإسلام إلا قشورا منثورة هنا وهناك ليست من الإسلام فى الصميم .

اشترع النبى ﷺ هذه الشرعة النقية الطاهرة فى حرية الرأى، فاستن بسنته خلفاؤه الراشدون من بعده ، فهذا هو الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه قد ملّكه المسلمون رقابهم وأموالهم، وبايعوه بالخلافة بيعة رضا واطمئنان .

ولقد سرت تعاليم الإسلام فى المسلمين، فكان من أثرها أن يقوم رجل من عرض المسلمين يقول لأمير المؤمنين عمر ابن الخطاب بعد قوله : من رأى منكم فىَّ اعوجاجا فليقومه : «والله ولو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » فيقول عمر : الحمد لله الذى جعل فى أمة محمد من يقوّم عوج عمر ! إنما حمد الله عمر لأنه رأى فى الأمة روح الاعتداد بالنفس ساريا فاطمأن على أنه يتأمر أمة لا تلين لها فى الحق قناة .

وإذا تأملنا فى أن رسول ﷺ صعد إلى الرفيق الأعلى ولم يخلف على المسلمين رجلا بعينه، وهذا كان ميسورا وحاسما، علمنا أن ذلك أثر من آثار حرية الرأى فى الإسلام . وأبو بكر رضى الله عنه لم يخلف عمر بن الخطاب إلا بعد أن فوض إليه المسلمين ذلك. روى ابن الجوزى « أنه لما ثقل أبو بكر واستبان له من نفسه جمع الناس إليه فقال : إنه قد نزل بى ما ترون ، ولا أظننى إلا ميتا لما بى، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتى، وحل عنكم عقدتى ، ورد عليكم أمركم، فأمّروا عليكم من أحببتم ، فإنكم إن أمّرتم فى حياة منى كان أجدر أن لا تختلفوا بعدى » فقاموا فى ذلك وخلوا عليه ، فلم تستقيم لهم ، فرجعوا إليه ، فقالوا : رأينا يا خليفة رسول الله رأيك ، قال : فلعلكم تختلفون ، قالوا : لا، قال : فعليكم عهد الله على الرضا، قالوا : نعم ، قال : فأمهلونى حتى أنظر لله ولدينه ولعباده .

فإذا كانت حرية الرأى فى الإسلام تتجلى فى أخطر مسألة يدور عليها كيان الأمة، ويترك لكل مسلم أن يقول فيها رأيه فى أحرج المواقف، كانت أحرى أن تتمشى مع الأمة فى مراحلها التشريعية والاجتماعية : فأما التشريع فحسب القارئ الاطلاع على تاريخ فجر النهضة الإسلامية ليعلم كم كان من المجتهدين الذين لا يصدرون فى رأى إلا عن كتاب الله أو سنة الرسول الصحيحة، حتى إن الأصوليين يختلفون فى أصحاب رسول الله : هل جميعهم مجتهدون ؟ وكتب الفقه

والأصول مليئة بالفروع التى وقع فيها الخلاف بين الأئمة، وما عاب أحد منهم على أحد اجتهاده، ولا حجر عليه رأيه .

حرية الرأى أساس فهم عمومية الدين ، وهيمنته على سائر الأديان، وصلاحية الشريعة لكل زمان ومكان، وأنه لا حاجة معها إلى قانون آخر. قال العلامة ابن القيم : « ومن له ذوق فى الشريعة واطلاع على كمالاتها، وأنها لغاية مصالح العباد فى المعاش والمعاد، ومجيئها بغاية العدل الذى يفصل بين الخلائق، وأنه لا عدل فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ماتضمنته من المصالح، وعرف أن السياسة العادلة جزء من أجزائها وفرع من فروعها ، وأن من له معرفة بمقاصدها ووضعها مواضعها، وحسن فهمه فيها ، لم يحتج معها إلى سياسة غيرها ألبتة » .

ومن البداهة بالمكان الأول أننا لا نعنى بحرية الرأى ما يفهم من كلمة « الفوضى » حتى يباح لكل متعلم فضلا عن شبه المتعلم أن يقول في الشريعة برأيه، وإنما نعنى أن العالم الثقة إذا فهم فى الشريعة فهما وساق بين يديه دليله، فلا سبيل عليه ، ولا تحجير على فضل الله (« حرية الرأى فى الإسلام» / ٦٠٠-٦٠٢) .

(الدين الإسلامى - الشيخ حسن منصور ، والشيخ عبد الوهاب خير الدين، والشيخ مصطفى عنانى ٢ / ١٠٨ - ١١٢، و « المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام » - فضيلة الشيخ محمد أحمد أبو زهرة . المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية. الأزهر . جمادى الآخرة ١٣٨٦ هـ - أكتوبر ١٩٦٦ م/ ٤٣٥-٤٤٨ ، و « حرية الرأى فى الإسلام » - فضيلة الشيخ صادق إبراهيم عرجون ، إعداد عبد الفتاح حسين الزيات، مجلة الأزهر - الجزء السادس ، السنة الثانية والستون، جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ٦٠٠-٦٠٢) .

* **الحزب :**

حزب : الحزب جماعة فيها غلظ، قال عز وجل : ﴿أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا﴾ [الكهف : ١٢] وحزب الشيطان وقوله تعالى ﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب ﴾. [الأحزاب : ٢٢] عبارة عن المجتمعين لمحاربة النبى ﷺ ﴿فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ [المائدة : ٥٦] يعنى أنصار الله وقال تعالى ﴿ يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب ﴾ [الأحزاب : ٢٠] وبُعيده ﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب ﴾ [الأحزاب : ٢٢] (المفردات/ ١١٥) .

والحزب أيضا أحد أقسام المصحف الشريف، إذ بعد تجزئة القرآن ثلاثين جزءا ، كان تقسيم الأجزاء الثلاثين إلى أحزاب، كل جزء ينقسم إلى حزبين، ثم تقسيم الحزب إلى أرباع، كل حزب ينقسم إلى أربعة أرباع، وذلك كله تيسيراً على الحافظين. وعلى هذا التقسيم طبعت المصاحف وهى تحمل الإشارات الجانبية الدالة على مكان الأجزاء والأحزاب وأرباع الأحزاب (تاريخ القرآن / ١٥٢ ، ١٥٣) وقد بسطنا الكلام فى تجزئة القرآن فى مادة أجزاء القرآن (م ٢ / ٤٣٢ - ٤٤٢) فانظرها فى موضعها .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى - تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١١٥ ، وتاريخ القرآن - إبراهيم الإبيارى / ١٥٢ ، ١٥٣) .

* **الحزب :**

قال عبد الله التليدى : الحزب هو الورد المعمول به تعبدا ونحوه ، وهو فى الاصطلاح مجموع أذكار وأدعية وتوجهات وضعت للذكر والتذكير، والتعوذ من الشر، وطلب الخير، واستنتاج المعارف، وحصول العلم ، مع جمع القلب على الله سبحانه بذلك. ولم تكن فى الصدر الأول ولا من بعدهم بقريب، لكن جرت على أيدى مشايخ الصوفية وصالحى الأمة لحكم التصريف والنظر السديد إشغالا للبطالين، وإعانة للمريدين، وتقوية للمحبين ، وحرمة للمنتسبين ، وترقية لهمم المجتهدين من العباد والزهاد. ذكره سيدى أحمد زروق فى شرح حزب البحر للشاذلى ، وعنه نقله الفاسى فى المرآة ص ٧٤، ٧٥ .

(المطرب بذكر بعض مشاهير أولياء المغرب - عبد الله التليدى / ١٧٦ هامش ١) .

* **الحزب الأعظم والورد الأفخم :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف . قال حاجى خليفة :

الحزب الأعظم والورد الأفخم : للعالم الفاضل على ابن سلطان محمد الهروى القارى نزيل مكة المكرمة المتوفى سنة ١٠١٦ ست عشرة وألف جمع فيه ما ورد فى الحديث من

الأدعية وعليه شرح الشيخ الإسكندراني المكى الضرير (هو محمد بن سلامة بن إبراهيم) المالكى نزيل مكة المتوفى سنة ١١٤٤ أربع وأربعين ومائة وألف تقريبا [١١٤٩] وهو شرح حافل فى مجلدين . أوله : الحمد لله الذى منح أهل العلم رفعة وشرفا إلخ . وشرح إبراهيم الساقزى سماه فيض الأرحم وفتح الأكرم وشرح فى حاشيته رؤياه النبى ﷺ على حالة الضيافة للأنبياء عليهم السلام وطولها وحكى فيها ما رأى . قال فى آخر الشرح تم هذا الشرح فى رجب سنة ١١٣٤ أربع وثلاثين ومائة وألف . وشرح الشيخ عثمان العريانى الكليسى الراحل إلى مكة فى سنة ١١٦٨ ثمان وستين ومائة وألف للمجاورة بها أوله : الحمد لله الذى أجاب دعوة المضطرين وهو شرح مضبوط فرغ عنه فى شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائة وألف سماه « رمز الكامل » (كشف ١ / ٦٦٠، ٦٦١) .

يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو مكتبة الأسد) وقد أدرج فى فهرس التصوف وجاء بيانه كما يلى :

لما رأى المؤلف تعلق بعض السالكين بأوراد المشايخ المعتبرين ، وبأحزاب العلماء المكرمين كالدعاء السيفى وأربعين الأسماء وجد بعض العوام يحرفون بعض الأدعية فألف هذا الحزب ...

المؤلف : نور الدين على بن سلطان محمد الهروى، القارى الحنفى المتوفى سنة ١٠٦٤ هـ / ١٦٠٦ م .

أوله : الحمد لله الذى دعا للإيمان، وهدانا بالقرآن ، وأجاب دعوتنا بالفضل والإحسان ، والصلاة والسلام على سيد الخلق الداعى إلى دعوة الحق ...

آخره : اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبى الأمى الذى آمن بك وبكتابك وأعطه أفضل رحمتك ...

الخط نسخى جميل، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بماء الذهب .

اسم الناسخ : مصطفى الكاملى .

ملاحظات : نسخة خزائنية مذهبة ومزخرفة الورقة الأولى .

وتوجد أربع نسخ أخرى أرقامها على التوالى هى ٣٦٢٩ ، ٩٧٢٤، ١٩٦، ٣٦٢٣ .

مصادر عن الكتاب : معجم المطبوعات / ١٧٩٢ مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٧ / ١٠٠ ، البدر الطالع ١ / ٤٤٥ . طبعات الكتاب : ١ ـ أستانه على الحجر سنة ١٢٦٢ هـ ، ٢ ـ بولاق سنة ١٣٠٠ هـ ، ٣ ـ بولاق سنة ١٣٠٧ ، ٤ ـ حجر بمكة سنة ١٣٠٧ هـ .

(مخطوطات الظاهرية ١ / ٤١٤ ـ ٤١٧) .

ويوجد أيضا مخطوطه فى مكتبة متحف « مولانا » فى قونيا وجاء بيانه كما يلى ، تحت عنوان « الحزب الأعظم » :

لعلى بن سلطان محمد الهروى القارى المتوفى (١٠١٦هـ ١٦٠٧ م) .

انظر معجم المؤلفين ٧ / ١٠٠ ، بروكلمان ٢ / ٣٩٤ ـ ٣٩٨، وذيله ٢ / ٥٣٩ ـ ٥٤٣، مطبوع ، انظر معجم سركيس ص ١٧٩٢ .

واسم الكتاب كاملا: الحزب الأعظم والورد الأفخم، جمع فيه ما ورد فى الحديث من الأدعية سبعة أجزاء . كل جزء مجلد لوحده وقد جمع داخل محفظة .

فى الورقة الأولى من كل جزء صورة وقفية داخل دائرة ذهبية .

الحزب الأعظم الأول يوم السبت ٧ أوراق ، فى كل ورقة ١٣ سطرا. الورقة الأولى معنونة بالذهب . حافات الأوراق مجدولة بالذهب ومكتوبة بخط أسود. كتب هذا الجزء : السيد أحمد نهالى من تلاميذ محمود المشتهر بجلال الدين سنة ١٢٧٩ هـ .

الحزب الأعظم الثانى كتبه نفس كاتب الجزء الأول وبنفس التاريخ . وهذا الحزب فى يوم الأحد ، ٨ أوراق .

الحزب الأعظم الثالث يوم الإثنين ٨ أوراق لم يذكر اسم الكاتب ولكنها بنفس الخط .

الحزب الأعظم الرابع يوم الثلاثاء ٨ أوراق كتبه « نهالى » نفسه وبنفس التاريخ .

الحزب الأعظم الخامس فى يوم الأربعاء ٨ أوراق .

الحزب الأعظم السادس فى يوم الخميس ٦ أوراق .

الحزب الأعظم السابع فى يوم الجمعة (وقد ذكر مؤلف

الفهرست بأنه فى يوم الأحد وهو خطأ) ٩ أوراق كتبه « نهالى » بنفس المواصفات ونفس السنة .

(لم نجد ترجمة أحمد نهالى . أما أستاذه محمود جلال الدين فهو من داغستان . ومدفون فى حضرة الشيخ مرادى . توفى فى ١٢٤٥ هـ / ١٨٢٩ م) .

مقياس المجلد : ١٩,٥ × ١٢,٣ .

مقياس الكتابة : ١٣ × ٧ .

رقمه فى الخزانة : ١١١٥ - ١١٢١ .

رقم المجلد : ١١٢ (مخطوطات متحف قونيا / ١٨١ ، ١٨٢) .

ويوجد مخطوط بدار الكتب القطرية .

أوله : « الحمد لله الذى دعانا للإيمان ، وهدانا للقرآن ... » ٦٤ ورقة ضمن مجموعة من ١ - ٧٤ .

الكتاب الأول فى المجموعة رقم ٣٢٤ (مخطوطات دار الكتب القطرية / ٤٣) .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٦٠ ، ٦٦١ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٤١٤ - ٤١٧ ، والمخطوطات العربية فى مكتبة متحف « مولانا » فى قونيا ، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٥ / ١٨١ ، ١٨٢ ، والمنتخب من مخطوطات دار الكتب القطرية . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٣ / ٤٣) .

* **حزب الإمام النووى :**

مخطوط بدار الكتب القطرية جاء بيانه كما يلى :

حزب الإمام النووى (ت ٦٧٦ هـ) أوله : « بسم الله أكبر ... أقول على نفسى وعلى دينى » ورقتان ضمن مجموعة من ١١ - ١٣ . المقاس ١٦ × ١١ سم . مسطرتها ١٣ سطرا .

الكتاب الثالث ضمن المجموعة رقم ٢٢٧ .

وتوجد نسخة أخرى فى ورقة واحدة . مسطرتها ١٥ سطرا . رقم ٩ فى المجموعة رقم ٢٦٣ من ٨٧ - ٨٨

(المنتخب من مخطوطات دار الكتب القطرية . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٣ / ٤٤) .

انظر حزب النووى .

* **حزب الأنس :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ٩٣٢١ .

أحزاب وأوراد وأدعية .

المؤلف : أبو الحسن نور الدين على بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلى نزيل الإسكندرية المتوفى سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م .

أوله : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ...

آخره : اللهم صل على جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وعلى حملة العرش الكروبين وعلى زوار البيت المعمور من المقربين وعلى سائر الملائكة أجمعين وعلى عباد الله الصالحين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ...

الخط نسخ معتاد، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ملاحظات : نسخة عادية .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٤١٧) .

* **حزب البحر :**

حزب البحر - للشيخ نور الدين أبى الحسن على بن عبد الله بن عبد الحميد المغربى الشاذلى اليمنى المتوفى سنة ٦٥٦ ست وخمسين وستمائة وهو دعاء مشهور سمى به لأنه وضع فى البحر وللسلامة فيه حين سافر فى بحر القلزم فتوقف عليهم الريح أياما فرأى النبى ﷺ فى مبشرة فلقنه أياه فقرأه فجاء الريح ويسمى أيضا بالحزب الصغير .

أوله يا الله يا على يا عظيم يا حليم ... إلخ قال العلماء بالله تعالى إن فيه اسم الله الأعظم . وجاء عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى أنه قال : لو ذكر حزبى فى بغداد لما أخذت وهو العدة الكافية التى فيها تفريج الكروب، وما قرئ فى مكان إلا سلم من الآفات، وفى ذكره لأهل البدايات أسرار شافية ، ولأهل النهايات أنوار صافية ، ومن ذكره كل يوم عند طلوع الشمس أجاب الله سبحانه وتعالى دعوته، وفرج كربته، ورفع

بين الناس قدره ، وشرح بالتوحيد صدره، وسهَّل أمره، وكفاه شر الإنس والجن، ولا يقع عليه بصر أحد إلا أحبه، و إذا قرأه عند جبار أمن من شره، ومن قرأه عقيب كل صلاة أغناه الله سبحانه وتعالى عن خلقه، وآمنه من حوادث دهره، وييسر له أسباب السعادة فى جميع حركاته وسكناته. ومن ذكره فى الساعة الأولى من يوم الجمعة ألقى الله محبته فى القلوب.
وقال بعضهم : من كتبه على شىء كان محفوظا بحول الله سبحانه وتعالى، ومن استدام على قراءته لا يموت غريقا ولا حريقا، ومن كتبه على سور مدينة أو حائط دار دائرا عليها حرسها الله سبحانه وتعالى من شر طوارق الحوادث والآفات، وله منفعة جليلة فى الحروب، ومن وضعه فى رق طاهر والمريخ فى شرفه أو فى الساعة الأولى من يوم السبت والقمر زائد النور بجمع همة وحسن حال شاهد من بديع سر الله سبحانه وتعالى ما تقصر عنه الألسنة. وهو دعاء النصر والغلبة على الخصوم وخواصه كثيرة.

وله شروح منها شرح الشيخ أبى سليمان داود بن عمر الشاذلى نزيل الإسكندرية المتوفى بها سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة سماه الرسالة المرضية فى شرح دعاء الشاذلية .
وشرح الشيخ شهاب الدين أحمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسى الشهير بزروق المتوفى سنة ٨٩٩ تسع وتسعين وثمانمائة . وشرح على بن سلطان محمد الهروى القارى (كشف ١ / ٦٦١ ، ٦٦٢) .

يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) ، وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٧٩٥٨

حزب مشهور الدعاء به عند جميع الطوائف الصوفية ومجرب عندهم لتفريج الكروب .

المؤلف : أبو الحسن نور الدين على بن عبد الله الشاذلى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م .

أوله : بسم الله الرحمن الرحيم يا الله يا على يا عظيم يا حليم يا عليم أنت ربى وعلمك حسبى فنعم الرب ربى ونعم الحسب حسبى ...

آخره : اللهم اجعل لى نورا فى قلبى ونورا فى قبرى ونورا فى سمعى ونورا فى بصرى ونورا فى لحمى ...

الخط نسخ معتاد الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

نسخة ثانية .

أولها : كالسابقة .

الرقم ١١٣٤٤ .

آخرها : إن وليى الله الذى نزَّل الكتاب وهو يتولى الصالحين ثلاثا حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

الخط نسخ معتاد سىء، الحبر : أسود مجدولة بالأحمر.

كما توجد سبع نسخ أخرى أرقامها على التوالى هى : ١٠٩٤٨ ، ٤٠١٢ ، ١١١٤٢ ، ٦٤٤٤ ، ٨٠١٥ ، ٩٧٢٤ ، ١١٣٩٢ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٧ / ١٣٧ ، الأعلام ٥ / ١٢٠ .

طبعة الرسالة : طبعت كثيرا منها :

١ ـ ضمن مجموع الأوراد الكبير ص ٧٦ طبع صبيح .

٢ ـ ضمن أوراد منسوبة للشيخ الطيب ص ٩ طبع أكثر من خمس مرات .

٣ ـ ضمن الأوراد الأسبوعية لابن عربى ص ٥٧ طبع استانبول .

٤ ـ ضمن الأوراد الأسبوعية طبع حلب ص ٥٦٩ ـ بليبيا ضمن النفحة العلية فى أوراد الشاذلية ص ٩ ـ ١١ جمع عبد القادر زكى بعض نسخ الكتاب : الأوقاف ببغداد ٢٧٦ و٢٨٩ و ٢٩٧ (فهرس الظاهرية ١ / ٤١٧ ـ ٤٢٠) .

وتوجد نسخة بدار الكتب القطرية .

ورقتان ضمن مجموعة من ٨ ـ ١٠ . المقاس ١٦ × ١١ سم مسطرتها ١٣ سطرا .

الكتاب الثانى فى المجموعة رقم ٢٢٧ .

وتوجد نسخة أخرى مجموعة ٣١ ـ ٣٢ . المقاس ١٦×١١ سم ـ مسطرتها ١٣ سطرا.

الكتاب السادس فى المجموعة رقم ٢٢٧ (المنتخب ق ٣/ ٤٣) .

كما توجد نسختان بمكتبة الأوقاف المركزية فى العراق ، النسخة الأولى رقم ت / مجاميع / ٢٢١ ـ ٢٢٢ ، والنسخة الثانية رقم ت / ٢٢١ ، ٢٢٢ (فهرس المركزية ١ / ٢٠٦ ، ٢٠٧)

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٦١ ، ٦٦٢ ، وفهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤١٧ ـ ٤٢٠ ، والمنتخب من مخطوطات دار الكتب القطرية . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٣ / ٤٣ ، وفهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية بالسليمانية ـ إعداد محمود أحمد محمد ، ١ / ٢٠٦ ، ٢٠٧) .

*** حزب البحر :**

من مصنفات التراث الإسلامى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ٦٨٩٩ .

أدعية وأوراد على مشرب السادة الصوفية .

المؤلف : قطب الدين مصطفى بن كمال الدين البكرى الصديقى الحنفى الخلوتى القادرى المتوفى سنة ١١٦٢ هـ / ١٧٤٩ م .

أوله : الحمد لله رب العالمين الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين وسيرنا فى البر والبحر بسلطانه المبين ... وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها .

آخره : اللهم سق لنا النسائم الطيبة والروائح الحاملة للغادى والرايح وحملنا حمل العناية إلى منازل الهداية ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ١٢ / ٢٧١ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٢١) .

*** حزب البر :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ١٠٢٢٤ .

المؤلف : أبو الحسن نور الدين على بن عبد الله الشاذلى نزيل الإسكندرية المتوفى سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م .

أوله : **﴿إذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم بديع السماوات والأرض﴾ ...**

آخره : **﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له ﴾ ...**

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود .

تاريخ النسخ : ٩ رمضان سنة ١٢٥٣ هـ .

ملاحظات : قوبل على المطبوعة فوجد صحيحا .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٧ / ١٣٧ ، جامع كرامات الأولياء للنبهانى ٢ / ١٧٥ .

طبعات الكتاب : طبع كثيرا مقرونا مع حزب البحر وطبع ضمن مجموع وظائف وأحزاب على الحجر سنة ١٣٢٦ هـ من ص ١٤ ـ ٢٣ .

٢ ـ وضمن مجموعة الأوراد من ص ٦٥ ـ ٧٦ طبع صبيح بمصر بدون تاريخ .

٣ ـ وطبع فى النفحة العلية من ص ١٦١ ، ١٦٢ على أنه حزب البر للشاذلى ولكن يختلف بالحجم والصياغة .

بعض نسخ الكتاب : الأوقاف ببغداد ٢٩٦ و ٣٢٢ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٢١ ، ٤٢٢) .

*** حزب البر :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ٩٣٢١ .

المؤلف : أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عمر المرسى المتوفى سنة ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م .

أوله : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم **﴿ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ ...**

آخره : وسخر لنا كل شىء يا من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه يا على يا عظيم يا حليم يا عليم... قاف آدم حم ها آمين والحمد لله رب العالمين .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

ملاحظات : نسخة عادية .

مصادر عن المؤلف : الأعلام ١ / ١٧٩ ، أعلام الإسكندرية ١٩٢ ـ ٢١٢ طبعة الرسالة طبعت ضمن النفحة العلية فى أوراد الشاذلية ١٢٣ ـ ١٣١ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٢٢ ، ٤٢٣) .

*** حزب التوسل :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) الرقم ١١٣٤٤ .

توسلات بالله عز وجل وببعض آياته .

المؤلف : أبو الحسن نور الدين على بن عبد الله الشاذلى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م .

أوله : اللهم إنى أتوسل بك إليك ، اللهم إنى أقسم بك عليك، اللهم كما كنت دليلنا عليك ، فكن شفيعنا إليك ، اللهم إن حسناتى من عطائك ...

آخره : اللهم إنى سمعى وبصرى وأمامى وقلبى وعقلى بيدك، لم تملكنى شيئا من ذلك ، فإذا قضيت بشىء فكن أنت وليى واهدنى إلى أقرب سبلك ...

الخط نسخ معتاد، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر

اسم الناسخ : رسلان التقى .

تاريخ النسخ سنة ١٢٨٢ هـ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٧ / ١٣٧ ، الأعلام ٥ / ١٢٠ .

طبعة الكتاب : طبع ضمن النفحة العلية فى أوراد الشاذلية لعبد القادر زكى من ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٢٣ ، ٤٢٤) .

*** حزب الحفظ والحراسة من الهموم الدافع الرافع ضر سجف الغموم :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصوف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية (أو بمكتبة الأسد) الرقم ٦٨٩٩ .

المؤلف : قطب الدين مصطفى بن كمال الدين البكرى الصديقى الدمشقى الحنفى المتوفى سنة ١١٦٢ هـ / ١٧٤٩ م

أوله : لك الحمد يا من هو المحمود باللسان المطلق ... وبعد فهذا ورد يتلى للحفظ والحماية واللحظ والرعاية ...

آخره : اللهم مدنا بمددهم أجمعين وأعد علينا من بركاتهم يا رب العالمين ، واحرسنا واحفظنا بإسعافاتهم ياقوى يا متين ، ما ذكر ذاكر اسم الجلالة ...

الخط نسخ واضح، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

مصادر عن الكتاب : عقود الجوهر ٧٤ ، فهرس الخديوية ٧ / ١٩ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ١٢ / ٢٧١ ، الأعلام ٨ / ١٤١ .

بعض نسخ الرسالة : دار الكتب المصرية مجموعة ٩ / ٤٩ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٢٤ ، ٤٢٥) .

*** حزب الحفظ والصون وسر تسخير عالم الكون :**

حزب الحفظ والصون وسر تسخير عالم الكون : للشيخ أبى الحسن الشاذلى أوله بسم الله افتتحت .

(كشف الظنون ١ / ٦٦٢) .

*** حزب الحماية والاعتصام ـ الذى هو لسرب الغواية قصام :**

من مصنفات التراث الإسلامى فى التصرف .

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو مكتبة الأسد) الرقم ٦٨٩٩ .

ألف هذا الحزب سنة ١١٥٨ و ذلك بعد أن ألف ورد

الأيام والليالى فمزقه ولم ينشره فألف هذا الحزب على نسقه .

المؤلف : قطب الدين مصطفى بن كمال الدين البكرى الصديقى المتوفى سنة ١١٦٢ هـ / ١٧٤٩ م .

أوله : الحمد لله المنعم المنان بجزيل الإكرام ، الملهم الحنان تجميل الأفهام والإعلام ، والصلاة والسلام على إمام كل إمام ومقدام كل مقدام همام ضرغام ...

آخره : والصلاة والسلام على صاحب الإسعاف والإتحاف ، جد الأشراف ومستند أهل الإشراف ... وأتباعه وأشياعه وأحزابه ما احتبس محتبس حلال زلال الخندريس ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ملاحظات : جاء فى آخره : بلغ مقابلة على نسخة صححها المؤلف قدس الله سره .

مصادر عن الكتاب : عقود الجوهر / ٧٥ ، فهرس الخديوية ٧ / ٢٠ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ١٢ / ٢٧١ ، الأعلام ٨ / ١٤١ .

بعض نسخ الكتاب : دار الكتب المصرية مجموعة رقم ٩ / ٥٧ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٢٥) .

*** حزب الحمد :**

لأبى الحسن الشاذلى وهو ورده بعد العصر . أوله الفاتحة وآية الكرسى (كشف ١ / ٦٦٢) .

*** حزب أبى حمزة الغزالى :**

من مخطوطات التصوف والآداب الشرعية بدار الكتب القطرية .

٩ ورقات ضمن مجموعة من ١٤ ــ ٢٣ . المقاس ١٦×١١سم ، مسطرتها ١٣ سطرا .

الكتاب الرابع فى المجموعة رقم ٢٢٧ .

(المنتخب من مخطوطات دار الكتب القطرية . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٣ / ٤٤) .

*** حزب الخلوتية :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٧٠٨١ .

رسالة تتضمن أذكار طائفة الطريقة الخلوتية وأحزابها .

المؤلف : ؟

أولها : الحمد لله جابر كسر من أناب ، وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأحباب ، وعلى آله وصحبه الأنجاب وبعد : فيبدأ التالى بقوله : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم مرة ثم الفاتحة ...

آخرها : اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وعلى أصحاب الحقوق علينا وأتباعهم وارض عنهم ، وارض عنها بهم ...

الخط نسخ معتاد الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

تاريخ النسخ : سنة ١٢٧٦ هـ .

ملاحظات : نسخة مراجعة .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٢٦) .

*** حزب الرجاء والانتهاء :**

حزب الرجاء والانتهاء : للشيخ عبد القادر بن أبى صالح الكيلانى المتوفى سنة ٥٦١ إحدى وستين وخمسمائة أوله : سبحان الله تسبيحا يليق بحال من ... إلخ (كشف ١ / ٦٦٢) .

*** حزب الرغبة والرهبة :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق ؟ أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٣٨٥٨ .

المؤلف : أبو محمد عبد السلام بن مشيش المتوفى سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م .

أولها : اللهم صل على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار ، وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فأعجزت الخلائق ...

آخرها : ﴿ إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴾ ﴿ ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا ﴾ ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى ﴾ ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود .

مصادر عن المؤلف : النبهانى جامع كرامات الأولياء ٢ / ٦٩ .

طبعة الرسالة : طبعت ضمن النفحة العلية في أوراد الشاذلية ص ١٥ ـ ١٨ وتتفق المخطوطة مع المطبوعة .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٢٦ ، ٤٢٧) .

انظر : شرح صلاة ابن مشيش ، شرح صلوات ابن مشيش ، صلاة ابن مشيش .

*** حزب الرفاعي :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٨٢٢٢ .

حزب مكون من آيات وأدعية وأذكار يشبه الحزب الصغير له .

المؤلف : السيد أحمد بن علي بن يحيى الحسيني الرفاعي الأنصاري صاحب الطريقة الرفاعية المتوفى سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م .

أوله : ﴿ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ...

آخره : كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ، أعداؤنا لن يصلوا إلينا بالنفس ولا بالواسطة ، لا قدرة لهم على إيصال السوء إلينا بحال من الأحوال ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود .

تاريخ النسخ : سنة ١٢٤٧ هـ .

الرقم ٥٢٣٣ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : يوسف أفندي .

تاريخ النسخ : الأحد ٢٣ رمضان سنة ١٢٦٢ هـ .

ملاحظات : نسخة عادية ليس عليها تملكات .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٢ / ٢٥ ، الأعلام ١ / ١٦٩ .

طبعة الكتاب : طبع ضمن مجموعة الأوراد ص ٨٦ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٢٨) .

*** حزب الشكوى :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٥٦٦١ .

أدعية صوفية وأوراد والمؤلف أحد أساتذة الإمام الشعراني .

المؤلف : أبو السعود محمد الجارحي المتوفى سنة ٩٣٣ هـ / ١٥٢٧ م .

أوله : وصلى الله على سيدنا محمد ... يا من عاقبة أمري ومآلي رب إني ناصيتي بيدك وأموري كلها ترجع إليك وأحوالي لا تحصى عليك ...

آخره : فأطلقني من سجن الحجاب ، وامنن علي بما مننت به على الأولياء الأحباب ، وطهر قلبي من الشك والشرك والارتياب وثبتني في الحياة الدنيا وعند الممات ...

الخط نسخ واضح ، الحبر أسود مجدولة بالأحمر .

مصادر عن الكتاب : إيضاح المكنون ١ / ٤٠١ ، معجم المؤلفين ٩ / ١٤٦ ، فهرس الخديوية ٧ / ١٢٢ .

مصادر عن المؤلف : الشعراني : الطبقات الكبرى ٢ / ١٢٧ .

بعض نسخ الرسالة : دار الكتب المصرية مجموعة ٨٦/ ٦ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٢٨ ، ٤٢٩) .

*** الحزب الصغير :**

انظر : حزب البحر .

*** حزب ابن عربي :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٦١٣٩ .

المؤلف : أبـو عبد الله محمد بن على الطـائى الأندلسى المشهور بـالشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى المتـوفى سنة ٦٣٨ هـ/ ١٢٤٠ م .

أوله : اللهم يا حيى يا قيوم بك تحصنت فاحمنى بحماية كفاية وقاية حقيقية برهان حرز أمان بسم الله ...

آخره : واجعل لى نورا أمشى به فى الناس ...

الخط نسخ على القاعـدة المغربية ، الحبـر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : على بن شماخ الدهمشى .

تاريخ النسخ : سنة ١٣١٤ هـ .

نسخة ثانية .

الرقم ٤١٣٤ .

أولها : كالسابقة .

آخرهـا : يا الله يـا الله يا الله يا نـافع يا رحمن يـا رحمن يا رحمن يا رحيم يا رحيم يا رحيم أسألك بحرمة هذه الأسماء ...

الخط نسخ واضح ، الحبر أسود وبعض كلمـاته بالأحمر مجدولة بالأحمر .

ملاحظات : نسخة عادية .

مصادر عن الكتاب : عقود الجوهر / ٣٢ .

مصـــادر عن المـــؤلـف : الأعــلام ٧ / ١٧٠ ، معجم المؤلفين ١١ / ٤٠ .

طبعـات الرسـالة : استـانبـول بدون تـاريخ بآخـر الأوراد الأسبـوعيـة من ص ٥٧ . ٦٣ . ٢ ـــ بحلب ضمن الأوراد الأسبوعية ٦٠ ـ ٦٧ . ٣ ـ مطبعة العلم بدمشق سنة ١٣٨٥ هـ .

(فهرس مخطوطـات دار الكتب الظاهرية . التصـوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٢٩ ، ٤٣٠) .

* **حزب ابن عربى :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ١٢٣ .

أدعية وصلوات وأذكار للفتح والترغيب للمريد .

المؤلف : أبـو عبد الله محمد بن على بن محمـد الطائى الأنـدلسى المشهـور بالشيخ الأكبـر محيى الـدين بن عـربى المتوفى سنة ٦٣٨ هـ/ ١٢٤٠ م .

أوله : وربنا الفتاح العليم ﴿ وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ﴾ [غافر : ٦٠] ﴿ وإن من شيء إلا عندنـا خزائنه ﴾ [الحجر : ٢١] ﴿ وعنده مفاتح الغيـب لا يعلمها إلا هو ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

آخـره : وأفضل الصـلاة والسـلام والتسليم على سيـدنـا محمد منبع الكمـالات والآيات ومشـرع السعادات وعلى كل منسوب لجنابه المجيد ...

الخط نسخ معتاد الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : محمد بن أحمد بن سعد الكلشنى .

تاريخ النسخ : الجمعة ١٥ ربيع الثانى سنة ١٠٣٧ هـ .

ملاحظات : نسخة جيدة بخط أحـد العلماء وترجمته فى خلاصة الأثر للمحبى ٣ / ٤٦٨ .

مصادر عن الكتاب : عقود الجوهر / ٣٢ .

مصـــادر عن المـــؤلـف : الأعــلام ٧ / ١٧٠ ، معجم المؤلفين ١ / ٤٠ .

(فهرس مخطوطـات دار الكتب الظاهرية . التصـوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٣٠ ، ٤٣١) .

* **حزب الفتح :**

من مخطوطات التصوف فى دار الكتب الظـاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٩٢٠٥ .

ـ حزب افتتحه مؤلفه بالآيات ثم بالأدعية والابتهالات وغير ذلك .

المـؤلف : قطب الـدين مصطفى بن كمـال البكـرى الصديقى المتوفى سنة ١١٦٢ هـ/ ١٧٤٩ .

أوله : ﴿ الحمد لله رب العـالمين ، الرحمن الـرحيم مالك يوم الـدين ، إياك نعبـد وإياك نستعين ﴾ ... ثم فاتحة البقرة وألهكم التكاثر ...

آخـره : اللهم اجعل حبك أحب الأشيـاء إلينـا ، واجعل

خشيتك أخوف الأشياء عندنا ، واقطع عنا حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك واقرر أعيننا بك مع أهل اصطفائك يا الله ...

الخط نسخي واضح ، الحبر أسود .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٣١) .

*** حزب الفتح من مانح النجح :**

حزب الفتح من مانح النجح : للشيخ أبى العباس أحمد ابن يوسف الحريثى المدنى الزبيدى وفى فتحه تأليف للشيخ كمال الدين محمد بن أبى الوفا بن الموقع سماه الفتح لمغلق حزب الفتح (كشف ١ / ٦٦٢) .

*** حزب الفتح والنور وتجلى الرحمانية بالرحمة فى عالم الظهور :**

حزب الفتح والنور وتجلى الرحمانية بالرحمة فى عالم الظهور : للشيخ أبى محمد عبد الحق ابن سبعين المتوفى سنة ٦٦٩ تسع وستين وستمائة أوله : بسم الله فاتح الوجود ... إلخ (كشف ١ / ٦٦٢) .

*** حزب الفرج الطيب الأرج :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٦٨٩٩ .

خطر ببال المؤلف غب مضى شهر المولد أن يؤلف وردا يتلوه الوالد أى وقت أراد لنيل أرج الفرج .

المؤلف : قطب الدين مصطفى بن كمال الدين البكرى الصديقى الحنفى المتوفى سنة ١١٦٢ هـ / ١٧٤٩ م .

أوله : نحمد الله على فيض جلاله ، ومدد عز قدسه ونواله ، ونشكره على نعمه وأفضاله ، وجوده ومنّه وإقباله ونصلى ونسلم على مظهر جماله ...

آخره : وامددنا اللهم بمددهم أجمعين لننجوا بهم من عذاب الجبار وارض اللهم عن الأئمة الأربعة المجتهدين الأبرار ومن مقلديهم وأتباعهم إلى يوم القرار ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

مصادر عن الكتاب : عقود الجوهر / ٧٤ .

مصادر عن المؤلف . معجم المؤلفين ١٢ / ٢٧١ ، الأعلام ٨ / ١٤٢ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٣٢) .

*** حزب الفرج والاستخلاص بسر تحقيق كلمة الإخلاص :**

حزب الفرج والاستخلاص بسر تحقيق كلمة الإخلاص : لابن سبعين أوله : إلهى وسعت كل شىء رحمة وعلما ... إلخ (كشف ١ / ٦٢٢) .

*** حزب الفلاح :**

للشريف الجزولى أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن (ت ٨٧٠ هـ)

خط لا بأس به .

المقاس ١٦ × ١٠ سم مسطرتها ١٣ سطرا .

(المنتخب من مخطوطات دار الكتب القطرية . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ق ٣ / ٤٤) .

*** الحزب الكبير :**

الحزب الكبير : للشيخ أبى الحسن الشاذلى صاحب حزب البحر (انظره فى موضعه) أوله إن الله اشترى من المؤمنين الآية (كشف ١ / ٦٦٢) .

يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٩٧٢٤ .

المؤلف : أبو الحسن نور الدين على بن عبد الله الشاذلى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م .

أوله : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ... ﴾ .

آخره : ﴿ وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ﴾ [المؤمنون : ١١٨] هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين والحمد لله رب العالمين ...

قالت المؤلفة : نص الآية فى [غافر : ٦٥] بدون واو قبل لفظ « الحمد » .

الخط نسخى جميل جداء الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر مجدولة بماء الذهب .

ملاحظات : نسخة خزائنية مذهبة قيمة .

نسخة ثانية .

الرقم ٩٣٢١ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٧ / ١٣٠ ، الأعلام ٥ / ١٢٠ .

طبعة الكتاب : طبع ضمن النفحة العلية فى أوراد الشاذلية من ص ٢ ـ ٩ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٣٢ ، ٤٣٣) .

* **الحزب الكبير :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٨٠٨٩ .

يتضمن أدعية وابتهالات وصلوات .

المؤلف : أبو محمد محيى الدين عبد القادر بن موسى الكيلانى الحسنى المتوفى سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٦ م .

أوله : الفاتحة ثم افتتاح سورة البقرة وألهكم التكاثر إلى آخرها ...

آخره : يا حبيب التوابين تب عليَّ وعلى عبادك المسلمين أجمعين بحق جاه سيدنا محمد سيد المرسلين وخاتم الأنبياء والمرسلين المصطفى الأمين حبيب رب العالمين ...

الخط نسخى واضح ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر.

مصدرها : هدية الأستاذ محمد سعيد حمزة .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٥ / ٣٠٧، جامع كرامات الأولياء للنبهانى ٢ / ٨٩ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٣٣ ، ٤٣٤) .

* **حزب الكيلانى :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٦٣٠٢ ، أوراد ١٦ .

أدعية واستغفارات .

المؤلف : أبو محمد محيى الدين عبد القادر الكيلانى الحسنى المتوفى سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٦ م .

أوله : هذا الحزب الكبير الأعظم الأفخم سيدى الشيخ محيى الدين عبد القادر الكيلانى ... بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ...

آخره : فإنه يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

ملاحظات : ملحق به بعض أوراد ابن عربى والنابلسى وغيرهم بصورة غير مرتبة .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٣٤ ، ٤٣٥) .

* **حزب اللطف :**

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ٩٧٢٤ .

صلوات وأدعية وتوسلات .

المؤلف : أبو الحسن نور الدين على بن عبد الله الشاذلى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م .

أوله : اللهم اجعل أفضل صلواتك وأنمى البركات فى أكمل الأوقات على سيدنا محمد أكمل أهل الأرضين والسماوات وسلم عليه يا ربنا بأزكى التحيات فى جميع الحضرات .

آخره : اللهم صل على من أرسلته رحمة للعالمين سيدنا

محمد وآله وصحبه أجمعين وارض عن السادة الخلفاء الراشدين أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ... لهم بإحسان إلى يوم الدين .

الخط نسخى جميل جدا، الحبر أسود مجدولة بماء الذهب.

ملاحظات : نسخة خزائنية قيمة مذهبة .

مصادر عن الكتاب : فهرس الخديوية ٧/ ١٢٥ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٧/ ١٣٧ ، الأعلام ٥/ ١٢٠ .

بعض نسخ الرسالة : دار الكتب المصرية مجموعة رقم ٨٨/ ٤ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٣٥) .

* **حزب النصر :**

من مخطوطات التصوف فى دار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) .

الرقم ١٠٩٤٨ .

أدعية وتوسلات فى الانتصار بالله عز وجل وطلب نصره .

المؤلف : أبو الحسن نور الدين على بن عبد الله الشاذلى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م .

أوله : اللهم بسطوة جبروت قهرك ، وبسرعة إغاثة نصرك ، وبغيرتك لانتهاك حرماتك ، وبحمايتك لمن احتمى بآياتك ، نسألك يا الله يا الله يا سميع يا مجيب ...

آخره :

إن أبطأت غارة الأرحام وابتعدت

فأقرب الشىء منا غارة الله

يا غارة الله جدى السير مسرعة

فى حل عقدتنا يا غارة الله

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود معنونة بالأحمر .

نسخة ثانية .

الرقم : ١١٣٤٥

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط فارسى واضح ، الحبر : أسود .

ملاحظات : بهامشه فضائل قراءة حزب النصر .

نسخة ثالثة .

الرقم ١٠٢٢٤

أولها : وآخرها كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود .

ملاحظات : بعض كلماته مشكلة .

نسخة رابعة .

الرقم ٥٢٣٣ .

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر أسود وبعض كلماته بالأحمر .

اسم الناسخ : يوسف ؟

تاريخ النسخ : الأحد ٢٣ رمضان سنة ١٢٦٢ هـ .

نسخة خامسة .

الرقم : ٥٩٥٠

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر.

اسم الناسخ : المجموع بخط محمد بن عبد الرحمن الزواوى .

تاريخ النسخ : رجب سنة ١١٧٠ .

مصادر عن الرسالة : فهرس الخديوية ٧/ ٥١٢ و٥٧٣ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٧/ ١٢٧ ، الأعلام ٥/ ١٢٠ .

طبعات الرسالة : طبع كثيرا مقرونا مع حزب البحر منها :

١ ـ ضمن مجموعة الأوراد ص ٨٠ طبع صبيح بمصر .

٢ ـ ضمن النفحة العلية فى أوراد الشاذلية ١٣ ـ ١٥ وغير ذلك .

بعض نسخ الرسالة : دار الكتب المصرية مجموعة رقم ٥/ ٦ و ٨٧/ ٢ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١/ ٤٣٦ ـ ٤٣٨) .

* حزب النور :

حزب النور : للشيخ أبى الحسن الشاذلى ويسمى أيضا حزب البحر (انظره فى موضعه) وهو ورده بعد صلاة الفجر يقال إنه السبب فى الفتح عليه ، أوله : يا الله يا نور ... إلخ ... (كشف ١ / ٦٦٢) .

يوجد مخطوطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد) وجاء بيانه كما يلى :

الرقم ٩٣٢١ .

المؤلف : أبو الحسن نور الدين على بن عبد الله الشاذلى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م .

أوله : يا الله يا نور يا حق يا مبين افتح قلبى بنورك وعلمنى من علمك وفهمنى عنك وأسمعنى منك وبصرنى بك وأقمنى بشهودك ، وعرفنى الطريق إليك وهونها على بفضلك وألبسنى التقوى منك وبك ...

آخره : جل ربى أن يوجد بشىء، أو يفقد بشىء، إنه لن يضر معه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم والحمد لله رب العالمين ...

الخط نسخ معتاد ، الحبر: أسود وبعض كلماته بالأحمر.

ملاحظات نسبه فى النفحة العلية لابن عطاء الله الإسكندرى صاحب الحكم .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ٧ / ١٣٧ ، الأعلام ٥ / ١٢٠ .

طبعة الرسالة : طبع ضمن النفحة العلية من ص ١٤٧ ـ ١٥٠ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، التصوف ـ وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٣٨ ، ٤٣٩) .

* حزب النووى :

من مخطوطات التصوف بدار الكتب الظاهرية بدمشق (أو بمكتبة الأسد)

الرقم ٨٠٨٩ .

أوراد وأحزاب وأدعية ضمنها كثيرا من الآيات والأخبار .

المؤلف : أبو زكريا محيى الدين يحيى بن شرف النووى الدمشقى الشافعى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م .

أوله : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم بسم الله الله أكبر الله أكبر أقول على نفسى وعلى دينى وعلى أهلى وعلى أولادى ...

آخره : **﴿وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا﴾ [الإسراء : ٤٦] ﴿ فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾** [التوبة : ١٢٩] لا طاقة لمخلوق مع قدرة الخالق حسبى الله ونعم الوكيل .

الخط نسخ واضح ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر .

نسخة ثانية :

أولها وآخرها : كالسابقة .

الرقم ٥٨٥٧ : أوراد ٤٦ .

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود .

نسخة ثالثة .

الرقم ٣٦٠٢ أوراد : ١٦

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخ معتاد ، الحبر : أسود وبعض كلماته بالأحمر

نسخة رابعة .

الرقم ٩٧٢٤

أولها وآخرها : كالسابقة .

الخط نسخى جميل : الحبر : أسود مجدولة بماء الذهب

ملاحظات : نسخة خزائنية قيمة مذهبة .

مصادر عن الرسالة : فهرس الخديوية ٧ / ٥١١ .

مصادر عن المؤلف : معجم المؤلفين ١٣ / ٢٠٢ .

بعض نسخ الرسالة : الأوقاف ببغداد ٢٨٩ ، دار الكتب المصرية مجموعة ٥ / ٤ قال واضع الفهرس : وأحتفظ بشرح الشيخ حسن المدابغى .

طبعة الرسالة : طبعة ضمن مجموعة الأوراد .

٢ ـ وطبعة المرحوم عزة حصرية فى مطبعة العلم بدمشق سنة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، التصوف - وضع محمد رياض المالح ١ / ٤٣٩، ٤٤٠) .

انظر : شرح حزب النووى .

*** ابن حزم (٣٨٤-٤٥٦ هـ / ٩٩٤-١٠٦٤ م)**

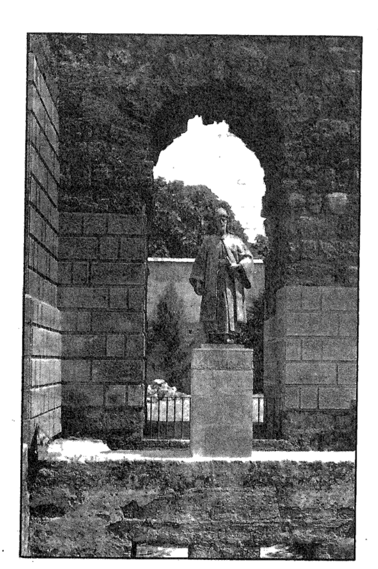
ترجم له الأستاذ عبد السلام هارون فقال عنه :

ابن حزم هو أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسى ، مولى يزيد بن أبى سفيان بن حرب ، القرشى بالولاء، الأندلسى الدار . وكان جده يزيد أول من أسلم من أجداده. كما كان جده خلف أول من دخل الأندلس من آبائه .

ولد بقرطبة من بلاد الأندلس فى سلخ شهر رمضان سنة ٣٨٤، ونشأ فى نعمة سابغة وجاه عريض؛ إذ كان أبوه « أحمد» عالما جليلا ، ووزيرا من وزراء المنصور محمد بن أبى عامر ، وابنه المظفر .

أما صاحبنا فقد استوزره صديقه الخليفة المستظهر بالله عبد الرحمن بن هشام، عندما بويع بالخلافة سنة ٤١٤ ولكن ذلك لم يدم طويلا؛ إذ قتل عبد الرحمن بعد توليته بسبعة أسابيع، وسجن ابن حزم إثر ذلك دهرا، ثم وزر ثانية للخليفة هشام المعتد بالله بن محمد بن عبد الملك ابن عبد الرحمن الناصر . ثم نبذ الوزارة وأقبل على العلم فطلبه أشد ما يكون الطلب .

وكان حافظا لعلوم الحديث وفقهه، مستنبطا للأحكام من الكتاب والسنة ضاربا بسهم وافر فى المعرفة



تمثال ابن حزم تتزين به مدينة قرطبة

بالسير والأخبار، كما شارك فى المنطق وألف فيه «التقريب لحد المنطق والمدخل إليه » ، وجعله بألفاظ أهل العلم لا بألفاظ أهل الفلسفة ، جاعلا أمثلته فيه من الأمثلة الفقهية . ولكنه أعرض بعد عن علم المنطق وأقبل على علوم الإسلام فنال ما لم ينله أحد، كما يقولون .

وسمع ابن حزم سماعا جما ، وجمع من الكتب شيئا كثيرا، وألف قدرا كبيرا فى مختلف العلوم لم يفقه أحد قبله فيه، إلا ما كان من أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى؛ فإنه كان أكثر أهل الإسلام تصنيفا .

وقد درس فى أول أمره فقه المالكية كما قرأ الموطأ، ثم درس مذهب الشافعى وتعصب له ، ثم انتقل بعد إلى مذهب الظاهرية . مذهب داود بن على بن خلف الأصبهانى (٢٠٢ - ٢٧٠) ، الذى كان كذلك من أكثر الناس تعصبا للشافعى .

وقد عمل ابن حزم على تنقيح مذهب داود . وجادل عنه جدالا، وصنع الكتب فى بسطه وتفسيره، ثم اتخذ لنفسه مذهبا خاصا وأقوالا تفرد بها ، (أتباعه يسمون « الحزمية » الموسوعة الصوفية / ١٢٤) أشار إليها أبو بكر بن العربى فى كتابه « العواصم من القواصم » ، وتولى ابن العربى فى هذا الكتاب الرد عليه . كما أن أحد أسباطه وهو أحمد بن محمد ابن حزم ، ألف فى الرد عليه كتابا سماه « الزوائغ والدوامغ » تابع فيه أبا بكر بن العربى فى كتابه الآخر الذى رد فيه على ابن حزم . وسماه « الدواهى والنواهى » . كما فى البغية للسيوطى (بغية الوعاة / ١٥٨) .

وقد عرف ابن حزم بالجدل والمناظرة ، ويذكر المؤرخون ما كان بينه وبين أبى الوليد سليمان الباجى الفقيه المالكى من مناظرات ، وكان ابن حزم يقول فيه : « لو لم يكن لأصحاب المذهب المالكى بعد عبد الوهاب إلا مثل أبى الوليد الباجى لكفاهم » كما يذكر المؤرخون جرأته على تخطئ أعلام العلماء والطعن فيهم بلسان قيل كان هو وسيف الحجاج بن يوسف شقيقين؛ وذلك لكثرة وقوعه فى الأئمة ، فتمالأ عليه علماء وقته وأجمعوا على تضليله ، وحذروا سلاطينهم من فتنه ، ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه . فتعرض بذلك لسخط الولاة، فعملوا على إيذائه وإبعاده ونفيه ، ومحاربة كتبه وتمزيقها ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فأحرقوا كتبه علانية ، فقال يذكر ما أحرق ابن عباد له من كتبه :

فإن يحرقوا القرطاس لا يحرقوا الذى
تضمنه القرطاس، بل هو فى صدرى
يسير معى حيث استقلت ركائبى
وينزل إن أنزل ويدفن فى قبرى
دعونى من إحراق رق وكاغد
وقولوا بعلم كى يرى الناس من يدرى

(جمهرة أنساب العرب / ٥ - ٧) .

وما أشبه ما جرى له بما جرى للإمام ابن تيمية ، فكلاهما لم يصانع أحدا (الموسوعة الصوفية / ١٢٥) فرحل إلى بادية لبلة (من بلاد الأندلس) فتوفى فيها (الأعلام ٤ / ٢٥٤) .

وكانت وفاة ابن حزم فى لبلة ، لليلتين بقيتا من شهر شعبان ست وخمسين وأربعمائة ، وقيل إنه توفى فى مَنْتَ ليشم، وهى قرية كانت ملكا له ، وكان يتردد إليها . كما ذكر ابن خلكان (جمهرة أنساب العرب / ١٢) ، وقيل توفى فى قرية « أوفيه » إذ يقول الأستاذ الكنونى :

ومات أبو محمد بن حزم رحمه الله فى قرية أوفيه بعد أن ملأ دنياه دويا وشغل أهل زمانه . وترك من تراثه ما سلم من الاضطهاد والمصادرة وديعة للأجيال (المدرسة القرآنية فى المغرب / ٢٢٠) .

شيوخه وتلاميذه :

قرأ ابن حزم على أبى عمر أحمد بن الحسين ، ويحيى ابن مسعود ، وأبى الخيار مسعود بن سليمان الظاهرى ، ويونس بن عبد الله القاضى، ومحمد بن سعيد بن سانى، وعبد الله بن الربيع التميمى، وعبد الله بن يوسف بن نامى ، وغيرهم ممن يمكن تعقبهم بمطالعة فهرس الأعلام الذى صنعته لهذا الكتاب .

وروى عنه أبو عبد الله الحميدى صاحب جذوة المقتبس، فأكثر الرواية عنه ، كما روى عنه بالإجازة سريج بن

محمد بن سريج المقبرى، فكان خاتمة من روى عنه . ونشر علمه بالمشرق ولده أبو رافع، كما روى عنه ابناه : أبو أسامة يعقوب، وأبو سليمان المصعب . وممن تلمذ له الوزير الإمام أبو محمد بن المغربى، صحبه سبعة أعوام سمع فيها جل مصنفاته، واستمرت قراءته عليه إلى سنة وفاته سنة ٤٥٦ (جمهرة أنساب العرب / ٥-٧) .

ومن شيوخ ابن حزم أيضا هؤلاء الذين ذكرهم الشيخ عبد السلام أحمد الكنونى (بالكاف المغربية) إذ يقول : أخذ ابن حزم العلم عن شيوخ الأندلس فى زمانه منهم :

أحمد بن إسماعيل بن دليم الحضرمى (ت ٤٤٠) .

أحمد بن عمر بن أنس العذرى بن الدلائى المرى المحدث المسند توفى ٤٧٣ .

أحمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ القرطبى المحدث (ت٤٣٠) حمام بن أحمد بن حمام القرطبى أبو بكر القاضى المحدث (ت ٤٢١) . . عبد الله بن ربيع التميمى المحدث اللغوى (ت ٤١٥) .

عبد الله بن عبد الرحمن بن حجاف البلثى حيدرة القاضى الفقيه المحدث (٤١٧) .

عبد الله بن يوسف بن تامى الرهونى القرطبى المقرئ الصالح (ت ٤٣٥) .

المهلب بن أحمد أسيد بن أبى صفرة الأسدى أبو القاسم المرى الفقيه المحدث العالم (ت ٤٣٦) .

يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمرى إمام عصره ، وفريد دهره صاحب التصانيف (ت ٤٦٣) .

محمد بن سعيد بن محمد بن عمر بن سعيد بن نبات الأموى القرطبى الحافظ (ت ٤٢٩) (المدرسة القرآنية فى المغرب / ٢١٩، ٢٢٠).

بعض أقوال العلماء فيه :

يقول الذهبى فى تذكرة الحفاظ منصفا له : « ابن حزم رجل من العلماء الكبار . فيه أدوات الاجتهاد كاملة . تقع له المسائل المحررة والمسائل الواهية كما يقع لغيره، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك . إلا رسول الله ﷺ » .

ويقول فيه أبو حامد الغزالى : « وقد وجدت فى أسماء الله تعالى كتابا ألفه أبو محمد بن حزم، يدل على عظم حفظه، وسيلان ذهنه » .

ويقول تلميذه الحافظ أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدى : « ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ، وكرم النفس والتدين، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه » .

وقال عز الدين بن عبد السلام : « ما رأيت فى كتب الإسلام مثل المحلى لابن حزم، والمغنى للشيخ الموفق » .

ويقول المراكشى (كان حيا سنة ٦٢١) صاحب المعجب، بعد ذكر ترجمته : » وإنما أوردت هذه النبذة من أخبار الرجل وإن كانت قاطعة للنسق، مزيحة عن بعض الغرض لأنه أشهر علماء الأندلس اليوم . وأكثرهم ذكرا فى مجالس الرؤساء وعلى ألسنة العلماء، وذلك لمخالفته مذهب مالك بالمغرب، واستبداده بعلم الظاهر، ولم يشتهر به قبله عندنا أحد ممن علمت . وقد أكثر أهل مذهبه وأتباعه عندنا بالأندلس اليوم » (جمهرة أنساب العرب / ٨) .

قال ابن بشكوال فى حقه : كان أبو محمد أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام ، وأوسعهم معرفة مع توسعه فى علم اللسان، ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار. كتب بخطه من تأليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة .

(أبجد العلوم ٣/ ١٥٠) .

وقال عنه المؤرخ الأندلسى ابن حيان (٣٧٧-٤٤٩ هـ) وهو معاصر له :

« كان أبو محمد حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب وما يتعلق بأذيال الأدب مع المشاركة فى كثير من أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة، وله فى بعض تلك الفنون كتب كثيرة . وكان يحمل عمله هذا ويجادل عنه من خالفه فيه ولا يدع المثابرة عليه والمواظبة على التأليف والإكثار من التصنيف . حتى كمل من مصنفاته فى فنون العلم وقر بعير: إن تحرك بالسؤال تفجر منه بحر علم لا يكدره الدلاء ولا يقصر عنه الرشاء » .

وقـال القـاضى صاعـد بن أحمـد الأندلسـى (٤٢٠ - ٤٦٢ هـ) فى طبقات الأمم :

« كان أبو محمد بن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام ، وأوسعهم معرفة فى علوم اللسان ، ووفر حظه من البلاغة والشعر والخطابة والمعرفة بالسير والأخبار » .

وقال الحافظ ابن كثير : (٧٠١ - ٧٧٤ هـ) .

« ابن حزم الظاهرى الإمام الحافظ العلامة، اشتغل بالعلوم الشرعية النـافعة ، وبرز فيها وفـاق أهل زمانه، وصنف الكتب المشهـورة، وكـان أديبـا طبيبا شـاعـرا فصيحـا لـه فى الطب والمنطق كتب، وكـان من بيت وزارة ورئاسـة ووجـاهـة ومـال ونزوة» (المدرسة القرآنية فى المغرب / ٢٢٠ ، ٢٢١) .

كما قيل عنـه : كان فقيهـا، مفسرا، محـدثا ، أصـوليا، متكلما، منطقيا، طبيبا، أديبا، شاعرا، مؤرخا، عاملاً بعلمه (مرجع العلوم الإسلامية / ٤٧٧) .

وقد أبطل ابن حزم ما لا يستند إلى القرآن والحديث، ولم يأخذ إلا بظـاهر لفظهمـا ، وأنكر التـوسل بالأوليـاء ومذاهب المتصـوفـة الـذيـن ادعـوا أن الـولى أفضل مـن النبى ومن الملائكـة، أو قالوا إن من عـرف الله حق معرفتـه فقد سقطت عنـه التكاليف والشـرائع، أو قالـوا بحلـول البارى تعـالى فى أجسام خلقه كالحـلاج وغيره، أو ذهبوا إلى تأويل كلام الله ، وادعاء النبوة، أو تلاعبوا فقرروا صلوات غير الصلاة، أو عددا لهـا غيـر عددهـا . ويقـول ابن حـزم محذرا منهم جمـاعـات المسلمين : فلا يغـرنكم أهل الكفر والإلحاد ومن مـوَّه الكلام بغير برهـان على خلاف ما أتى به كتاب الله وكـلام نبيه، فلا خير فيما سواهما ، فدين الله تعـالى ظاهر ولا باطن فيه ، وهو جهر ولا سـر تحته، وكله بـرهان ولا مسامحـة فيه ، وكل من يدعو أو يتبع بلا برهان فهو متهم ، وكل من ادعى للديانة سرا وباطنا فهى دعاوى ومخارق، ورسول الله لم يكتم من الشريعة كلمـة، إلا أطلع أخص الناس بـه من زوجـة أو ابنـة، أو ابن عم، أو صـاحب، على شيء من الشريعـة كتمه عن الأحمـر والأسود ورعاة الغنم ، ولا كان عنده عليه السلام سر، ولا رمز، ولا باطن ، غير ما دعا الناس كلهم إليه ، ولو كتمهم شيئا لما بلغ كما أمر، ومن قال هذا فهـو كافر، فإياكم وكل قول لم تبن سبيله، ولا وضح دليله ، وتعوجـا عما مضى عليه نبيكم ﷺ، وأصحابه رضى الله عنهم، فالزموا ما نص عليه ربكم تعالى فى القرآن بلسان عربى مبين ، لم يفرط فيه من شىء ، تبيانا لكل شىء، ومـا صح عن نبيكم بـروايـة الثقاة من أئمـة أصحـاب الحديث، مسند إليه عليه السلام، فهمـا طريقتان يوصلانكم إلى رضا ربكم عز وجل .

وكان فقيهـا حافظا يستنبط الأحكام من الكتـاب والسنة ، ودافع عن سنن السلف الصـالح بأدلـة لم يسبق إليها مع أنهـا مستقـاة من القـرآن والحـديث، إلا أن حـريتـه فى الجـدل والمنـاظـرة جلبت عليـه عـداوة الكثيـرين من علمـاء سـائر المذاهب ومشايخ الصوفية (الموسوعة الصوفية / ١٢٤، ١٢٥) .

ولكن ذلك لم يفت فى عزيمته أو يجعله يتحول عنه ، بل قال قـولته : « اللهم إنى أقـول كما قـال عامر: أكون والله مع القـرآن أحيا متمسكـا به، وأمـوت إن شـاء الله متمسكا بـه ولا أبـالى بمن سلك غيـر القـرآن ولـو أنهم جميعـا أهل الأرض غيرى» .

(المـدرسـة القـرآنيـة فى المغـرب / ٢٢٠ عن معجم فقـه ابن حـزم الظاهرى - محمد المنتصر الكتابى ١ / ٣٥) .

مؤلفاته :

قال الأستاذ عبد السلام هارون : روى عن ولده الفضل أبى رافع أنه اجتمع عنده بخط أبيه أبى محمد من تواليفه أربعمائة مجلد، تحتوى على نحو من ثمانين ألف ورقة .

ويذكر التاريخ أن معظم كتب ابن حـزم قد أحرق علانية ، ومعنى هذا أنه حدث عدوان على مكتبته ومراجعه، شمل قدرا من مؤلفاتـه التى أكملها أو شرع فيها . ومع هذا قـد استنقذ له التاريخ بقـايا من ذلك النشاط العلمى الـذى نسوق ما بـدا لنا منه فيما يلى، وهو مقدار جليل :

١ - إبطـال القياس والرأى والاستحسـان والتقليد والتعليل (لخص ابن حزم هـذا الكتاب نفسه . وقد نشـر هذا الملخص بتحقيق الأستـاذ سعيد الأفغـانى بمطبعـة جـامعة دمشق سنـة ١٣٧٩) .

٢ - الإجماع ومسائله علـى أبواب الفقه . ذكره الحميدى، وابن خلكان .

٣ - الإحكـام فى أصول الأحكام . ياقـوت ، وابن خلكان (نشر بتحقيق المغفور له الشيخ أحمـد شاكر بمطبعة السعادة سنة ١٣٤٥ - ١٣٤٨ فى ثمانية أجزاء) .

٤ ـ الأخلاق والسير، فى مداواة النفوس. طبع عدة طبعات باسم مداواة النفوس .

٥ ـ أسماء الخلفاء والولاة وذكر مدهم ، نشر محققا فى ذيل جوامع السيرة له من ص ٣٥٣ . ٣٨٠ بعناية محققيها .

٦ ـ أسماء الصحابة والرواة، وما لكل واحد من العدد. نشر محققا فى ذيل جوامع السيرة له من ص ٢٧٥ ـ ٣١٥ . بعناية محققيها .

قالت : المؤلفة : نشرت مجلة الأزهر فى الهدية المجانية جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ ، كتابا بعنوان « الرسائل الخمس » لأبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى ـ أعدها وقدم لها وعلق عليها فضيلة الشيخ أحمد حسن جابر رجب ، ومن بين هذه الرسائل الخمس الرسالة رقم ٦ بعنوان «أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد من ص ١٣ ـ ٦١ ، وقد نقلنا لك معظم محتوياتها فى المجلد الخامس / ١٥٢ ـ ١٧٣ من هذه الموسوعة مبتدئين بلفظ « أصحاب » ـ فانظرها فى موضعها أما رقم ٥ فى الفاتحة أعلاه وهو « أسماء الخلفاء والولاة وذكر عددهم » فقد نشر باعتباره الرسالة الخامسة فى الجزء الثانى من كتاب « الرسائل الخمس » الذى نحن بصدده (شعبان ١٤١٣ هـ) .

٧ ـ أسماء الله تعالى . وهو الكتاب الذى قرظه الغزالى . نفح الطيب .

٨ ـ أصحاب الفتيا، من الصحابة ومن بعدهم عن مراتبهم فى كثرة الفتيا .

نشر محققا فى ذيل جوامع السيرة له من ص ٣١٩ ـ ٣٣٥ بعناية محققى جوامع السيرة .

قالت المؤلفه : هذه هى الرسالة الثالثة من الرسائل الخمس لابن حزم التى أشرنا إليها آنفا ، نشرت فى الجزء الثانى من هدية مجلة الأزهر شعبان ١٤١٣ هـ .

٩ ـ إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل، وبيان تناقض ما بأيديهم منها مما لا يحتمل التأويل . الحميدى ، والذهبى. وقد طبع مضمنا فى كتابه الفِصَل ج١ : ١٦٦ و٢ : ١ ـ ٩١ .

١٠ ـ الإمامة والسياسة، فى قسم سير الخلفاء ومراتبها، والندب والواجب منها . ذكره ياقوت .

١١ ـ الإمامة والمفاضلة ، مضمن فى كتابه الفصل ٤ : ٨٧ ـ ١٧٨ .

١٢ ـ الإيصال إلى فهم الخصال، الجامعة لجمل شرائع الإسلام ، فى الواجب والحلال والحرام ، والسنة والإجماع . فى أربعة وعشرين مجلدا .

(وقد اختصر بعض هذا الكتاب ابنه أبو رافع، ليكمل بعض أجزاء المحلى. انظر فهرس دار الكتب المصرية ١ / ٥٥١) الحميدى، وياقوت ، والذهبى، وابن خلكان .

١٣ ـ التقريب بحد المنطق والمدخل إليه . الحميدى، والقفطى، والذهبى وابن خلكان .

١٤ ـ التلخيص والتخليص، فى المسائل النظرية وفروعها، التى لا نص عليها فى الكتاب ولا فى الحديث، ياقوت، والذهبى، والمقرى .

قالت المؤلفة : أورده الأستاذ الكتبونى (انظر ثبت المراجع) تحت عنوان « التخليص والتحصيل » (ص ٢٢٢) وتحت عنوان « رسالة التلخيص لوجوه التخليص » (ص)

١٥ ـ الجامع فى صحيح الحديث، باختصار الأسانيد والاقتصار على أصحها ، واجتلاب أكمل ألفاظها وأصح معانيها . ياقوت، والذهبى .

١٦ ـ جمل فتوح الإسلام بعد رسول الله ، نشر محققا فى ذيل جوامع السيرة من ص ٣٣٩ ـ ٣٥٠ بعناية محققى الجوامع .

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى طبعت تحت عنوان «الفتوحات الإسلامية بعد رسول الله ﷺ » مكتبة التراث الإسلامى. رقم الإيداع ١٩٧٧ .

كما طبعت باعتبارها الرسالة الرابعة من الرسائل الخمس لابن حزم التى سبقت الإشارة إليها ، الجزء الثانى ـ أعدها وقدم لها وعلق عليها فضيلة الشيخ أحمد حسن جابر رجب . شعبان ١٤١٣ هـ / ٩١ ـ ١٠٤ .

١٧ ـ جمهرة أنساب العرب، وقد أفرد له قولا الأستاذ عبد السلام هارون فى مقدمة تحقيقه (ص ١٣ ـ ١٨) ونقلناه لك فى مادة « جمهرة الأنساب » م ١٢ / ٣٤٥ ـ ٣٤٨ فانظره فى موضعه .

قالت المؤلفة : النسخة التى عندى تحقيق وتعليق

عبـد السلام محمد هارون . ط دار المعـارف . رقـم الإيـداع ١٩٨٢ .

ومما هو جـديرا بالذكر أن الأستاذ كـامل سلمان الجبورى قـد قام بتشجيـر جمهـرة أنساب العـرب فى كتـاب له بعنـوان «قلائد الذهـب فى جمهرة أنساب العرب» وقد نقلنـا لك منه شجرة عـن ولد عدنـان والصريح من ولـد إسماعيل فـى مادة «إسمـاعيل عليـه السـلام» فى م ٤ / ٥٨٤ ، وشجـرة نسب السيدة آمنة بنت وهب فى م ٢ / ١٩ .

١٨ ـ جوامع السيرة، ذكره الـذهبى فى قوله : «وله السيرة النبوية فى مجلـد» طبع فى دار المعارف سنة ١٩٥٦ بتحقيق إحسان عباس، وناصر الأسد .

قـالت المـؤلفـة : أدرجـه الأستـاذ الكتـونى (انظـر ثبت المراجع) بلفظ «السير» (ص ٢٢٤) .

١٩ ـ حجـة الوداع . طبع فى دار اليقظـة العربيـة بدمشق سنة ١٩٥٩ .

بتحقيق ممدوح حقى .

٢٠ ـ رسالة فى فضل الأندلس، أثبت نصها المقريزى فى نفح الطيب (٤ / ١٥٤ ـ ١٧٠) بتحقيق الشيخ محمد محيى الدين .

٢١ ـ شـرح أحـاديث المـوطأ . يـاقـوت، والـذهبى، والمقرى .

٢٢ ـ الصادع والرادع، على من كفر أهل التأويل من فرق المسلمين ، والرد على من قال بالتقليد . ياقوت ، والذهبى . والمقرى .

٢٣ ـ طـوق الحمامة ، فى الألفة والألاف . لم يـذكره من ترجموا له . وقد كشف عنه المستشرق دوزى . وطبع لأول مرة فى ليدن ١٩١٤ بعنـاية المستشرق بتروف، ثم أعيـد طبعه فى مصر ودمشـق (وقد طبع طبعة شعبيـة باسم «أصـول الحب» نشره فائق الجوهرى فى سلسلة كتب للجميع سنة ١٩٥٣) .

٢٤ ـ الفِصَل ، فى الملل والأهواء والنحل . وهو من أشهر كتبه . ذكره ياقوت بعنوان «الفصل بين أهل الآراء والنحل» ، والمقرى بعنوان .

«الفصل ، بين أهل الأهواء والنحل» . وقد طبع لأول مرة بـالعنوان الأول فى المطبعـة الأدبية ١٣١٧ ، وأعيد طبعـه بعد ذلك .

٢٥ ـ القـراءات المشهـورة فـى الأمصـار، الآتيـة مجىء التواتر . نشـر محققا فى ذيل جوامع السيرة ص ٢٦٩ ـ ٢٧١ . بعناية محققى الجوامع .

قالت المؤلفـة : نشر هذا الكتاب باعتباره الـرسالة الأولى فى كتاب بعنوان «الرسائل الخمس» لابن حـزم ـ أعدها وقدم لها وعلق فضيلة الشيخ أحمد حسن جابر رجب . هدية مجلة الأزهر الجزء الأول، جمادى الآخرة / ٧ ـ ١٠ .

٢٦ ـ قصيـدة فى الهجـاء ذكـرهـا السبكـى فى طبقـات الشـافعية (٢ / ١٧٩ ـ ١٨٩)، رد فيها على قصيدة هجـائية وردت من نقفور فوقاس الثانى، إمبراطور بيزنطة .

٢٧ ـ كتـاب فيما خالف فيـه أبو حنيفة ومـالك والشافعى جمهور العلماء، وما انفرد به كل واحد ولم يسبق إلى مثاله . ذكره ابن حزم فى المحلى فى أثناء الكلام على الفرائض، كما ذكره الذهبى فى التذكرة .

٢٨ ـ كشف الالتبـاس، مـا بيـن الظـاهـريـة وأصحـاب القياس . ياقوت، والذهبى، والمقرى .

٢٩ ـ المجلّى ، وهـو المتن الذى عمل عليه شرحـا سماه بالمحلى، وهو التالى لهذا .

٣٠ ـ المحلى بالآثار، فى شرح المجلى بالاختصار . طبع لأول مـرة بتحقيق الشيخ أحمـد شاكـر والشيخ عبـد الـرحمن الجزيرى، وأتمه محمد منير الدمشقى، فى ١١ مجلدا .

ـ مـداواة النفـس، فى تهـذيب الأخـلاق، والـزهـد فى الـرذائل . طبع عـدة طبعات أشـار إليهـا سـركيس فى معجم المطبوعات / ٨٦ . وانظر : الأخلاق والسير .

٣١ ـ مـراتب الإجمـاع فـى العبـادات والمعـامـلات والاعتقـادات . نشره القـدسى سنة ١٩٥٧ م ومعه نقـد مراتب الإجماع لابن تيمية .

٣٢ ـ مسائل أصول الفقه . طبع بالقاهرة مع تعليقات لابن الأمير الصغانى والقاسمى . كما ذكر سركيس .

٣٣ ـ معرفـة الناسخ والمنسوخ . ويبدو أنـه لابن حزم آخر غيره، فإن اسم المؤلف فى النسخة المطبوعة منه على هامش

تفسير الجلالين، طبع ١٣٠٨ ، ١٣٢١ ، هو « أبو عبد الله محمد بن حزم » .

٣٤ ـ منتقى الإجماع وبيانه، من جملة ما لا يعرف فيه اختلاف . ياقوت والذهبي، والمقرى . وانظر رقم (٣١) فلعله هو .

ـ الناسخ والمنسوخ . انظر : معرفة الناسخ والمنسوخ .

٣٥ ـ النصائح المنجية ، من الفضائح المخزية والقبائح المردية ، من أقوال أهل البدع : المعتزلة والخوارج والمرجية والشيع . وهذا الكتاب مضمن فى كتاب الفصل ٤ / ١٧٨ ـ ٢٢٧ باسم « ذكر العظائم المخرجة إلى الكفر أو إلى المحال من أقوال أهل البدع المعتزلة والخوارج والمرجية والشيع » . وانظر الكلام عليه بتفصيل فى دائرة المعارف الإسلامية ١ / ١٤٠ .

٣٦ ـ نقط العروس ، فى تواريخ الخلفاء، ذكره ابن خلكان . نشره زيبولد سنة ١٩١١ م فى مجلة الدراسات التاريخية بغرناطة، ثم نشره محققا عن نسخة أوفى وأتم من الأولى صديقنا الأستاذ الدكتور شوقى ضيف، فى مجلة كلية الآداب بالجزء الثانى من المجلد ١٣ فى ديسمبر سنة ١٩٥١ .

٣٧ ـ نكت الإسلام، ذكره الذهبى، ونقل كلاما فيه لأبى بكر بن العربى . (جمهرة أنساب العرب / ٥ ـ ١٢) نشر وترجم إلى الإسبانية فى غرناطة (المدرسة القرآنية فى المغرب / ٢٢٥) .

وقد قدم الأستاذ الكنونى سردا بمؤلفات ابن حزم بدأه بقوله :

ونلفت إلى ما يشهد به تراث ابن حزم من خصب العطاء وسخاء الجهد، وسعة المجال، ورحابة الأفق، وقد أحصيت كتبه فلقيت سبعين كتابا فى مختلف الدراسات الفقهية والأصولية والمذاهب والكلام والمنطق والملل والنحل. والتاريخ والسير والأنساب والسياسة والأدب (المدرسة القرآنية فى المغرب / ٢٢١) .

ويمكنك الرجوع إلى هذا السرد فى كتابه المدرسة القرآنية فى المغرب / ٢٢١ ـ ٢٢٦، مع مراعاة مقابلة أسماء المؤلفات مع تلك التى أوردها الأستاذ عبد السلام هارون أعلاه إذ وقعت بالكتاب الأول بعض الأخطاء المطبعية ومن المصادر التى أحصت مؤلفات ابن حزم أيضا كتاب المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب للدكتور أحمد بكير محمود (ص ٣٨ ـ ٤٠) ويمكنك الرجوع إليه أيضا لمعرفة المذهب الظاهرى أو الفرقة « الحزمية » وقد فصل المؤلف فيها القول فى الكتاب كله

وقد رأينا كيف أن الفقهاء تألبوا على ابن حزم إلى أن نفوه وأخرجوه من قرطبة ، وأتم حياته مشردا يعلِّم صبيان القرية المنفى فيها ، وألف بعض الفقهاء فى نقص كتبه ، مثل ابن زرقون الفقيه المالكى المتوفى سنة ٥٠٣ الذى ألف كتابه «المعلى فى الرد على كتاب المحلى » ، وكثيرا ما سمى هذا الكتاب « المخلى » بالخاء المعجمة ، ومن أكبر الرادين على ابن حزم أبو الوليد الباجى، وقد كان هذا الموضوع رسالة أطروحة دكتوراه بالفرنسية (عبد المجيد التركى : الجدل بين الباجى وابن حزم . ط الجزائر) (المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب / ٥٥) .

يقول الأستاذ قدرى حافظ طوقان رحمه الله : ترك ابن حزم مؤلفات ضخمة تدل على سعة اطلاعه وغزير علمه وعظيم أدبه ، وقد ملأ المغرب بعلمه وكتبه ومذهبه ، وشغل أهله طرفا صالحا من حياته أحقابا طوالا، حتى لكأنه أمة وحده لا فرد من أمة ... اعتز به الأندلس، وباهى بفضله العراق الذى كان يومئذ يعج بحضارة ما رأى التاريخ لها مثيلا، ويتجلى من كتبه ورسائله أنه كان يتمتع بفكر ثاقب، وبصيرة نافذة، وملاحظة دقيقة (العلوم عند العرب / ١٧١) .

له ترجمة فى : « جذوة المقتبس » / ٣٠٨ ـ ٣١١ ، الترجمة رقم ٧٠٨ ، و « الصلة » ٢ / ٤١٥ ـ ٤١٧، الترجمة رقم ٨٩٤ ، و « بغية الملتمس » الترجمة رقم ١٢٠٤، ورقم ٤١٢ ، و« تذكرة الحافظ » ٣ / ٣٤١ طبعة حيدر آباد، و «وفيات الأعيان» ٣ / ١٣ ـ ١٧ ، و « أخبار الحكماء » / ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، و « معجم الأدباء » ٥ / ٨٦ ـ ٩٧، و « دائرة المعارف الإسلامية » ١ / ١٣٦ ـ ١٤٤ وما بها من مراجع ، و «نفح الطيب » ١ / ٣٦٤ وما بعدها ، طبعة بولاق ، و « لسان الميزان » ٤ / ١٩٨ ـ ٢٠٢ ، و « الذخيرة » المجلد الأول من القسم الأول / ١٤٠ وما بعدها ، و « اللباب » ١ / ٢٩٧ ، و«الاعلام » ٥ / ٥٩ ، و « مقدمة ابن خلدون » / ٣٥٧ و ٤٦٧ و ٨٠١ ، و « دائرة معارف وجدى » ٣ / ٤٣٠ ـ ٤٣٢ ، و « شذرات الذهب » ٣ / ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، و « فوات الوفيات»

٢/ ٢٧١ ، و « الكامل فى التاريخ » انظر فهرسته ، و«التكملة» لابن الأبار الترجمة رقم ٤٣٢ ، و « دائرة المعارف البريطانية » ١٢ / ٣٥ ، و « فهرست ما رواه عن شيوخه » / ٤٨٦ و ٤٩٢ و ٥١٢ و ٥١٧ ، و « المغرب فى حلى المغرب» ١٢ / ٣٥٤، و « النجوم الزاهرة » ٥ / ٧٥ ، و «المعجب فى تلخيص أخبار المغرب » / ٣٢ ، و « مطمح الأنفس » / ٥١١ طبعة الجوائب سنة ١٣٠٢ هـ ، و « تاريخ آداب اللغة العربية » ٣ / ١٠٤ ، ١٠٥ طبعة ١٩٥٧ ، و « علم التاريخ عند المسلمين » لفرانز روزنثال ترجمة الدكتور صالح العلى / ٥٤، ٥٥ وانظر فهرسته . و « ابن حزم » لمحمد أبى زهرة (كتاب الوفيات / ٢٤٧ـ٢٤٩) .

(جمهرة أنساب العرب لأبى محمد على بن سعيد بن حزم الأندلسى ـ تحقيق وتعليق عبد السلام هارون / ٥ ـ ١٢ ، والموسوعة الصوفية ـ د . عبد المنعم الحفنى / ١٢٥ ، ومرجع العلوم الإسلامية / ٤٧٧، والمدرسة القرآنية فى المغرب ـ عبد السلام أحمد الكنونى (بالجيم المغربية وهى كاف فوقها ثلاث نقط) ١ / ٢١٩ ـ ٢٢١ ، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار ٣ / ١٥٠، والموسوعة الصوفية ـ د. عبد المنعم الحفنى / ١٢٤ ، ١٢٥ و الأعلام للزركلى ٤ / ٢٥٤، والمدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب ـ د. أحمد بكير محمود . دار قتيبة ، . بيروت ، دمشق . الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ١٩٩٠م / ٥٥، والعلوم عند العرب ـ قدرى حافظ طوقان / ١٧١ ، وكتاب الوفيات لابن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطينى ـ تحقيق عادل نويهض / ٢٤٧ ـ٢٤٩ هامش ٢ للمحقق . انظر أيضا « التربية عند ابن حزم ـ إعداد الأستاذ سعيد الأفغانى . من أعلام التربية العربية الإسلامية . مكتب التربية العربى لدول الخليج ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م ، ٢ / ٢٦٥ـ ٢٩٠) .

*** الحُزن :**

جاء فى اللسان : الحُزن بالضم والحزن ـ بالفتح ـ نقيض الفرح ، وهو خلاف السرور ، قال الأخفش : والمثالان يعتقبان هذا الضرب باطراد، والجمع أحزان ، لا يُكسَّر على غير ذلك ... الجوهرى : حزنه لغة قريش ، وأحزنه لغة تميم ، وقد قرئ بهما . وفى الحديث : أنه كان إذا حزنه أمر صلى ، أى أوقعه فى الحزن . ويروى بالباء ... وفلان يقرأ بالتحزين إذا أرق صوته . وقال سيبويه : أحزنه جعله حزينا ، وحزنه جعل فيه حزنا ... وعام الحزن : العام الذى ماتت فيه خديجة ، رضى الله عنها ، وأبو طالب ، فسماه رسول الله ﷺ، عام الحزن ، حكى ذلك ثعلب عن ابن الأعرابى ، قال : وماتا قبل الهجرة بثلاث سنين الليث : للعرب فى الحزن لغتان ، إذا فتحوا ثقَّلوا، وإذا ضموا خففوا، يقال : أصابه حزن شديد (بفتح الحاء) وحزن شديد (بضمها) . أبو عمرو : إذا جاء الحزن منصوبا فتحوه ، وإذا جاء مرفوعا أو مكسورا ضموا الحاء كقول الله عز وجل : ﴿ **وابيضت عيناه من الحزن** ﴾ [يوسف : ٨٤] ، أى أنه فى موضع خفض، وقال تعالى فى موضع آخر : ﴿**تفيض من الدمع حزنا**﴾[التوبة : ٩٢] ، أى أنه فى موضع نصب . وقال تعالى فى موضع آخر: ﴿ **إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله** ﴾[يوسف : ٨٦] ضموا الحاء ههنا... وقوله تعالى : ﴿ **وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن** ﴾ [فاطر : ٣٤] قالوا : فيه : الحزن هم الغداء والعشاء، وقيل هو كل ما يحزن من حزن معاش أو حزن عذاب أو حزن موت، فقد أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان (لسان العرب ١٠ / ٨٦١) .

قال الإمام الراغب الأصفهانى :

قوله تعالى : ﴿ **ولا تحزنوا** ﴾ ﴿ **ولا تحزن** ﴾ فليس ذلك بنهى عن تحصيل الحزن فالحزن ليس يحصل بالاختيال ولكن النهى فى الحقيقة إنما هو عن تعاطى ما يورث الحزن واكتسابه وإلى معنى ذلك أشار الشاعر بقوله :

من سره أن لا يرى ما يسوءه
فلا يتخذ شيئا يبالى له فقدا

وأيضا يجب للإنسان أن يتصور ما عليه جبلت الدنيا حتى إذا ما بغتته نائبة لم يكترث بها لمعرفته إياها، ويجب عليه أن يروض نفسه على تحمل صغار النوب حتى يتوصل بها إلى تحمل كبارها (المفردات / ١١٥، ١١٦).

وقد عقد اللغوى أبو منصور الثعالبى فى كتاب فقه اللغة فصلا فى تفصيل أوصاف الحزن قال فيه :

الكمد حزن لا يستطاع إمضاؤه . البث أشد من الحزن . الكرب الغم الذى يأخذ بالنفس . السدم هم فى ندم . الأسى واللهف حزن على الشيء يفوت . الوجوم حزن يسكت صاحبه . الأسف حزن مع غضب . من قوله تعالى ﴿ **ولما**

رجع موسى إلى قـومه غضبـان أسفا ﴾ [الأعـراف : ١٥٠] الكآبة سوء الحال والانكسار مع الحزن . الترح ضد الفرح (فقه اللغة وأسرار العربية / ١١٨) .

وقد أفرد الإمـام القشيرى فى رسالته بابا فى الحـزن جاء فيه ما يلى :

قال الله عز وجل : ﴿ وقالـوا الحمد لله الـذى أذهب عنا الحزن ﴾ أخبرنا على بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد قـال حدثنا على بن حبيـش قال حدثنـا أحمد بن عيسى قـال حدثنـا ابن وهب قـال حدثنـا أسـامة بن زيـد الليثى عن محمـد بن عمرو بن عطـاء قـال سمعت عطـاء بن يسار قـال سمعت أبا سعيد الخدرى يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما من شىء يصيب العبد المؤمن من وصب أو نصب حزن أو هم يهمه إلا كفر الله تعـالى عنه من سيآته » . الحـزن حال يقبض القلب عن التفـرق فى أودية الغفلـة والحزن من أوصـاف أهل السلوك . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول صاحب الحزن يقطع من طريق الله تعـالى فى شهر ما لا يقطعه من فقـد حزنه سنين وفى الخبر أن الله تعـالى يحب كل قلب حزين . وروى أن رسول الله ﷺ كـان متواصل الأحزان دائم الفكر . وقـال بشر ابن الحٰرث : الحزن ملك فإذا سكـن فى موضع لم يـرض أن يسـاكنه أحـد وقيل القلب إذا لم يكن فيه حـزن خرب كمـا أن الدار إذا لم يكن فيهـا ساكن تخرب وقال أبو سعيـد القرشى : بكاء الحزن يعمى وبكاء الشوق يغشى البصر ولا يعمى قال الله تعالى : ﴿وابيضت عينـاه من الحزن فهـو كظيم ﴾ وقال ابن خفيف : الحـــزن حصـــر النفس عن النهـــوض فى الطـــرب وسمعت رابعـة العدوية رجـل يقول واحزنـاه فقالت قـل واقِلّة حزنـاه لو كنت محزونا لم يتهيأ لك أن تتنفس وقـال سفيان بن عيينة : لو أن محـزونا بكى فى أمة لرحم الله تعـالى تلك الأمة ببكـائه . وكان داود الطـائى الغالـب عليه الحـزن وكان يقـول بالليل : إلهى همك عطل علىَّ الهموم وحال بينى وبين الرقاد وكــان يقــول : كيف يتسلى من الحــزن من تتجــدد عليــه المصائب فى كل وقت .

وقيل الحــــزن يمنع من الطعـــام ، والخـــوف يمنـع من الذنـوب ، وسئل بعضهم بم يستدل على حزن الـرجل : فقال بكثرة أنينـه . وقال سرى السقطى : وددت أن حـزن كل الناس أُلقى علىَّ . وتكلم الناس فى الحـزن فكلهم قالوا إنمـا يحمد حـزن الآخرة ، وأمـا حـزن الدنيـا فغيـر محمـود إلا أبا عثمـان الحيرى فإنه قال : الحزن بكل وجـه فضيلة وزيادة للمؤمن ما لم يكن بسببه معصية لأنه إن لم يـوجب تخصيصا فإنه يوجب تمحيصـا . وعن بعض المشايخ أنـه إذا كان سـافر واحـد من أصحابه يقول له إن رأيت محـزونا فأقرئه منى السلام . سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : كان بعضهم يقول للشمس عند غروبها : هل طلعت اليوم على محزون ؟ وكان حسن البصرى لا يراه أحد إلا ظن أنه حديث عهد بمصيبة . وقال وكيع : لما مات الفضيل : ذهب الحزن اليوم من الأرض .

وقال بعض السلف : أكثـر ما يجده المـؤمن فى صحيفته من الحسنـات الهمُّ والحـزن ، سمعت أبا عبـد الله الشيـرازى يقـول سمعت على بن بكـران يقــول سمعت محمـد بن على المـروزى يقول سمعت أحمـد بن أبى روح يقـول سمعت أبى يقول سمعت الفضيل بن عياض يقـول كان السلف يقولون إن على كل شىء زكـاة وزكاة العقل طول الحـزن ، سمعت الشيخ أبا عبـد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن أحمـد الفراء يقول سمعت أبا الحسين الوراق يقول سألت أبا عثمان الحيرى يوما عن الحزن فقال الحزن لا يتفـرغ إلى سؤال الحزن فاجتهد فى طلب الحزن ثم سل (الرسالة القشيرية / ١١٠ ، ١١١) :

كما أفـرد الإمام ابن الجوزى البـاب الثامن عشر من كتـابه «الطب الروحانى » فى دفع فضول الحزن قال فيه :

اعلم أن العاقل لا يخلو من الحزن ؛ لأنه يتفكر فى سالـف ذنوبـه فيحزن على تفـريطه ، وفيما قـال العلماء والصـالحون فيحزن لفوته .

بسنده إلى مالك بن دينـار قال : إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خـرب ، كما أن البيت إذا لم يسكن خـرب (أخرجـه أبو نعيم فى الحلية ٢ / ٣٦٠ عن مالك بن دينار بلفظ : « إذا لم يكن فى القلب حزن خرب ، كمـا إذا لم يكن فى البيت ساكن يخرب »)

وبسنده إلى إبـراهيم بن عيسى قال : ما رأيت أطول حـزنا من الحسن ومـا رأيته قط إلا حسبتـه حديث عهـد بمصيبـة . (أبو نعيم فى الحليـة ١٠ / ٣٩٣ قـال أبو نعيم : إبـراهيم بن عيسى الـزاهـد صحب معـروفـا الكـرخى وسمع من أبى داود الطيالسى ومحمد بن المقرئ) .

وبسنده إلى مالك بن دينار قال بقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج هم الآخرة من قلبك وإذ قد تبين أن الحزن لا يزال ملازما قلوب المتقين فينبغى أن يتقى إفراطه لأن الحزن إنما يكون على الفائت وقد عرفنا طريق الاستدراك .

وجاء فى الحديث : « بقية عمر المؤمن لا قيمة له يستدرك فيه ما فات » فإن كان المحزون عليه لا يمكن استدراكه لم ينفع الحزن ، وإن كان دينا فينبغى أن يقاومه برجاء الفضل والرحمن ليعتدل الحال ، فأما إذا كان الحزن لأجل الدنيا وما فات منها فذلك الخسران المبين ، فليدفعه العاقل عن نفسه . وأقوى علاجه أن يعلم أنه لا يرد فائتا و إنما يضم إلى المصيبة فتصير اثنتين ، والمصيبة ينبغى أن تخفف عن القلب وتدفع ، فإذا استعمل الحزن والجزع زادت ثقلا ، قال ابن عمرو إذا استأثر الله بشيء فاله عنه ثم فى الخلف عن الفائت ما يسلى ، فإن عدم ما يسلى اجتهد فى صرف ذلك عن قلبه ، وليعلم أن الداعى إلى الحزن الهوى ، لا العقل ، لأن العقل لا يدعو إلى ما لا ينفع ، وليعلم أنه سيسلو بعد حين ، فليجتهد فى تقديم المؤخر ، وليرتح ما بين الزمانين ، ومما يمحق الحزن العلم بأنه لا يفيد ، والإيمان بالثواب ، ويذكر من أصابه أكثر من مصيبته . (الطب الروحانى / ٤٠ ، ٤١) .

(لسان العرب لابن منظور ١٠ / ٨٦١ ، وفقه اللغة وأسرار العربية لأبى منصور الثعالبى / ١١٨ ، والرسالة القشيرية للإمام أبى القاسم القشيرى / ١١٠ ، ١١١ ، والطب الروحانى للعلامة الحافظ جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ـ تحقيق أبى هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول / ٤٠ ، ٤١ . انظر أيضا المنتخب من السنة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة . الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٦ م / ٤٨٦ ، والمفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ـ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١١٥ ، ١١٦) .

حَزن بن أبى وهب (ـ ١١ هـ) :

قال صاحب الرياض المستطابة : حزن بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ المخزومى العائذى .

جد سعيد بن المسيب سيد التابعين ، اختلف فى هجرته والصواب أنه من مسلمة الفتح الطلقاء ، سماه النبى صلى الله عليه وآله وسلم سهلا فقال « حزن » : لا أغير اسما سمانيه أبى ، السهل يوطأ ويمتهن . قال سعيد بن المسيب : فثبتت الحزونة فينا حتى الساعة .

أخرج له البخارى حديثين أحدهما مسند ، وهو قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « أنت سهل » ؛ والآخر موقوف ، وهو قوله : « جاء سيل فى الجاهلية فكسا ما بين الجبلين » ، وخرَّج عنه أبو داود . وعنه ، ابنه المسيب . وقد استشهد «حزن» فى قتال أهل الردة ، قيل ببزاخة ، وقيل باليمامة ، فى خلافة الصديق رضى الله عنه ، سنة إحدى عشرة .

(الرياض المستطابة فى جملة من روى فى الصحيحين من الصحابة للإمام يحيى بن أبى بكر العامرى اليمنى / ٥٥ ، ٥٦) .

الحُزُنْبُل :

مما يرد فى مصنفات التراث الإسلامى فى طب الأعشاب . قال عنه داود الأنطاكى :

حزنبل هو كف النسر ويقال كف الدبة ويعرف فى الكتب القديمة بالمريافلن وقد شحنت الكتب بوصفه وذكر منافعه نظما ونثرا وهو حرى بذلك وهو نبات متراكم الأوراق العريضة الشبيهة بورق اللفاح لكنها مزغبة وفى وسطها قصبة مجوفة بين صفرة وحمرة مزغبة يحيط بها أوراق صغار وزهر إلى بياض وصفرة وترتفع فوق ذراعين ثم يتكون فى رأسها جسم إسفنجى داخله رطوبة يسيرة وفى أطرافه شوك صغار ويبلغ هذا النبات باغشت أعنى آب ومسرى وتبقى قوته إلى عشرين سنة وأجوده الحاد الرائحة اللين كالشمع الحلو الضارب إلى مرارة يسيرة وهو حار فى أول الثالثة يابس فى وسط الثانية يحل الصداع العتيق ويمنع تصاعد الأبخرة حتى يقوى الدماغ به على الأشياء الشاقة كحمل الثقيل والصبر فى الحمام ويقطع النزلات والرمد وأوجاع اللهات واللثة والصدر والسعال والربو وضيق النفس وضَعف المعدة والرياح الغليظة والقولنج والسدد وضعف الكبد والطحال ويفتت الحصى شربا بالعسل وإن أخذ كل يوم على الريق إلى أسبوعين قطع الاستسقاء اللحمى وأسهل الزقى وفى أسبوع يخرج الريحى وإن شرب بالسكنجبين لطَّف الأخلاط وحسَّن الألوان والأبدان وكساها بهجة وإشراقا ومع لب البطيخ يصلح الكلى ومع الجلنار يقطع الدم وإذا شرب بماء الكراث أسقط البواسير من غير قطع .

ومع الصبر يقطع وجع المفاصل والنسا وإن طبخ مع السذاب والثوم فى الزيت حتى يتهرى كان طلاء مجربا فى النسا والفالج واللقوة والخدر والكزاز وإن قطر فى الأذن فتحها وإن سحق واكتحل به قطع البياض والظفرة والسلاق وأما فعله فى السموم فأمر إجماعى خصوصا بالشراب أكلا وطلاء وإن نقع فى اللبن وشرب أمن من السم سنة وقيل الدهر وقيل إنه يضر الرئة ويصلحه الأنيسون وشربته إلى ثلاثة ولا بدل له ومن النعم كثرة وجوده خصوصا بطرسوس والمقدس .

(تذكرة أولى الألباب لداود بن عمر الأنطاكى ١ / ١٢٣ . انظر أيضا المعتمد فى الأدوية المفردة للمظفر الرسولى . صححه وفهرسه مصطفى السقا ، ١ / ٩٥) .

* **حزيران :**

من شهور الروم (الشهور السريانية) قال عنه القزوينى :

(حزيران) ثلاثون يوما ، فى الحادى عشر منه نوروز الخليفة ببغداد فيه اللعب ورش الماء وغيرهما مما هو مشهور، وفى السادس عشر يتنفس نيل مصر وتفور المياه ، وفى الثامن عشر غاية طول النهار وقصر الليل وهو الامتلاء الأكبر يعظمه العرب والعجم وهو الانقلاب الصيفى ، وفى الثانى والعشرين يوضع المنجل فى الزرع وتدرك الفاكهة والبطيخ والتين والعنب ويشتد الحر، وفى الخامس والعشرين مولد يحيى بن زكريا عليهما السلام وابتداء السمائم بالهبوب وهى أحد وخمسون يوما ويمتد جيحون ، وفى الثامن والعشرين آخر البوارح ، وفى التاسع والعشرين ينظر أصحاب التجارب بمصر فإن كثر فيه الندى قالوا يمتد النيل وإن لم يكثر قالوا لا يمتد .

(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى / ٥٧ ، ٥٨) .

وشهر حزيران يقابله من الشهور الميلادية شهر يونيه .

انظر : أسماء الشهور .

* **الحساب :**

قال الراغب الأصفهانى فى مادة « حسب » :

حسب : الحساب استعمال العدد، يقال حسبت أحسب حسابا وحسبانا قال تعالى : ﴿ لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ [يونس : ٥] وقال تعالى : ﴿ وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ﴾ [الأنعام : ٩٦] وقيل لا يعلم حسبانه إلا الله . وقال عز وجل : ﴿ ويرسل عليها حسبانا من السماء ﴾ [الكهف : ٤٠] قيل نارا وعذابا وإنما هو فى الحقيقة ما يحاسب عليه فيجازى بحسبه وفى الحديث أنه قال ﷺ فى الريح « اللهم لا تجعلها عذابا ولا حسبانا » وقال : ﴿فحاسبناها حسابا شديدا ﴾ [الطلاق : ٨] إشارة إلى نحو ما روى : من نوقش فى الحساب معذب ، وقال . ﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾ [الأنبياء : ١] نحو ﴿ وكفى بنا حاسبين﴾ [الأنبياء : ٤٧] وقوله عز وجل : ﴿ ولم أدر ما حسابيه ﴾ [الحاقة : ٢٦] ﴿ إنى ظننت أنى ملاق حسابيه ﴾ [الحاقة : ٢٠] فالهاء منها للوقف نحو : ماليه وسلطانيه وقوله تعالى : ﴿ إن الله سريع الحساب ﴾ [إبراهيم : ٥١] وقوله عز وجل: ﴿ جزاء من ربك عطاء حسابا ﴾ [النبأ : ٣٦] فقد قيل كافيا وقيل ذلك إشارة إلى ما قال : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ [النجم : ٣٩] وقوله تعالى : ﴿ يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ [البقرة : ٢١٢] و [النور : ٣٨] ففيه أوجه .

الأول : يعطيه أكثر مما يستحقه .

والثانى : يعطيه ولا يأخذه منه .

والثالث : يعطيه عطاء لا يمكن للبشر إحصاؤه كقول الشاعر :

* عطاياه يحصى قبل إحصائها القطر *

والرابع : يعطيه بلا مضايقة من قولهم حاسبته إذا ضايقته .

والخامس : يعطيه أكثر مما يحسبه .

والسادس : أن يعطيه بحسب ما يعرفه من مصلحته لا على حسب حسابهم وذلك نحو ما نبه عليه بقوله تعالى : ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن﴾ الآية [الزخرف : ٣٣] .

والسابع : يعطى المؤمن ولا يحاسبه عليه ، ووجه ذلك أن المؤمن لا يأخذ من الدنيا إلا قدر ما يجب وكما يجب وفى وقت ما يجب ولا ينفق إلا كذلك ويحاسب نفسه فلا يحاسبه

الله حسـابا يضـره كما روى « من حـاسب نفسـه فى الدنيـا لم يحاسبه الله يوم القيامة » .

والثـامن : يقـابل الله المـؤمنين فى القيـامـة لا بقـدر استحقاقهم بل بأكثر منه كما قـال عز وجل : ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ﴾ [البقرة : ٢٤٥] وعلى نحـو هـذه الأوجـه قـولـه تعـالى : ﴿ فأولئك يدخلون الجنـة يرزقون فيها بغيـر حساب ﴾ [غـافـر : ٤٠] وقوله تعالى : ﴿ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ﴾ [ص : ٣٩] وقد قيل : تصرف فيه تصرف من لا يحاسب أى تنـاول كمـا يجب وفى وقت مـا يجب على مـا يجب وأنفقـه كـذلك . والحسيب والمحاسب من يحـاسبك ، ثم يعبر بـه عن المكافى بالحسـاب ، وحسب يستعمل فى معنى الكفاية ﴿ حسبنا الله ﴾ [آل عمران : ١٧٣] أى كافينا هو و﴿حسبهم جهنم ﴾ [المجادلة : ٨] ﴿ وكفى بالله حسيبا ﴾ [النساء : ٦] و[الأحـزاب : ٣٩] أى رقيبـا يحـاسبهم عليـه . وقـولـه تعالى : ﴿ مـا عليك من حسابهم مـن شىء وما من حسـابك عليهـم من شـىء ﴾ [الأنعـام : ٥٢] فنحـو قـولـه تعـالى ﴿عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ [المائدة : ١٠٥] ونحوه ﴿ وما علمى بما كانوا يعملون * إن حسابهم إلا على ربى ﴾ [الشعـراء : ١١٢، ١١٣] وقيل معنـاه مـا من كفايتهم عليك بل الله يكفيهم وإياك من قوله تعالى : ﴿ عطاء حسابا ﴾ [النبأ : ٣٦] أى كافيا من قولهم حسبى كذا ، وقيل أراد منه عملهم فسماه بالحساب الذى هو منتهى الأعمال .

وقيل احتسب ابنا له : أى اعتد به عند الله والحسبة فعل ما يحتسب بـه عنـد الله تعـالى ﴿ الٓمٓ * أحسـب النـــاس ﴾ [العنكبوت : ١، ٢] .

﴿ أم حسب الذين يعملون السيئات ﴾ [العنكبوت : ٤] ﴿ ولا تحسبن الله غافـلا عما يعمل الظـالمون ﴾ [إبراهيم : ٤٢] ﴿ فـلا تحسبن الله مخلف وعده رسلـه ﴾ [إبراهيم : ٤٧] ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ﴾ [البقرة : ٢١٤] فكل ذلك مصدره الحسبان ، والحسبـان أن يحكم لأحد النقيضين من غير أن يخطـر الآخر ببالـه فيحسبه ويعقـد عليه الأصبع ، ويكون بعـرض أن يعتريه فيـه شك ، ويقارب ذلك الظن لكن الظن أن يخطـر النقيضين ببالـه فيغلب أحـدهما على الآخر (المفردات / ١١٦ ـ ١١٨) .

أمـا عن يوم الحسـاب فقد ورد ذكـره فى الآيـات الكريمـة الآتية :

قـوله تعـالى : ﴿ وقـالـوا ربنـا عجل لنـا قِطَّنـا قبل يـوم الحساب﴾ [ص : ١٦] ، وقـولـه تعـالى : ﴿ لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ [ص : ٢٦] ، وقوله تعالى : ﴿ هذا مـا توعدون ليـوم الحساب ﴾ [ص : ٥٣] ، وقـولـه تعالى : ﴿ من كل متكبـر لا يؤمن بيـوم الحساب ﴾ [غافر : ٢٧] .

يقـول الإمـام القرطبى رضـى الله عنه عن يـوم الحسـاب : معناه أن البارى سبحانه يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان وإسـاءه يعـدد عليهم نعمه ، ثم يقـابل البعض بـالبعض فمـا يشف منهـا على الآخر حكم للمشفـوف بحكمـه الذى عينـه للخير بالخير وللشر بالشر .

وعن محاسبته تعالى للمكلفين معا يقول رحمه الله : وجاء عن النبى ﷺ أنـه قال : « مـا منكم من أحد إلا وسيكلمـه الله ليس بينه وبينه ترجمان » فقيل إن الله يحاسب المكلفين بنفسه ويخاطبهم معـا ولا يحاسبهم واحـدا بعد واحد ، والمحـاسبة حكم . فلذلك تضاف إليه كمـا يضاف الحكم إليه . قال الله تعالى : ﴿ ألا له الحكم ﴾ [الأنعـام : ٦٢] وقال تعـالى : ﴿وهو خير الحاكمين ﴾ [يوسف : ٨٠] .

ثم يقول القرطبى رحمه الله عن مدى كرم الله : وفى الخبر: أنه يـوقف شيخ للحساب فيقول الله له : يـا شيخ ، ما أنصفت غذوتك بالنعم صغيرا فلما كبَّرتك عصيتنى . أمـا إنـى لا أكون لك كما كنت لنفسك . اذهب فقد غفرت لك مـا كـان قبل ، وإنه ليؤتـى بالشاب كثير الذنـوب ، فـإذا وقـف تضعضعت أركانـه ، واصطكت ركبتاه ، فيقـول الرب جـل جلالـه : أما استحييتنى ، أما راقبتنى ، أما خشيت نقمتـى ، أما علمت أنى مطلع عليك . خذوه إلى أمـه الهاويـة .

وقيل إن الملائكة يحاسبون بأمر الله ، كما أن الحكام يحكمون بأمر الله تعالى . وقد قال الله تعالى : ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ ولا يكلمهم الله ﴾ [آل عمران : ٧٧] وإن لم يكن بهذه الصفة فإن الله تعالى يكلمه فيكلم المؤمنين ويحاسبهم حسابا يسيرا من غير ترجمان إكراما لهم ، كما أكرم موسى عليه السلام فى الدنيا بالتكلم، ولا يكلم الكفار فتحاسبهم الملائكة ، ويميزهم بذلك عن أهل الكرامة فتتسع قدرته لمحاسبة الخلق كلهم معا كما تتسع قدرته لإحداث خلائق كثيرة معا . قال الله تعالى : ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ﴾ [لقمان : ٢٨] أى إلا كخلق نفس واحدة .

ثم يقول الإمام القرطبى رحمه الله عن محاسبة الخلق فى ساعة واحدة : ويروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وسئل عن محاسبة الخلق فقال : « كما يرزقهم فى غداة واحدة ، كذلك يحاسبهم فى ساعة واحدة » (التذكرة / ٢٦٨ ، ٢٦٩) .

قال الإمام اللقانى فى جوهرة التوحيد :

وفى الزمن قولان والحساب

حقٌ وما فى حقٍّ ارتياب

فالسيآت عنده بالمثل

والحسنات ضوعفت بالفضل

وفى شرحه للمنظومة المسمى « تحفة المريد على جوهرة التوحيد » يقول شيخ الإسلام إبراهيم البيجورى :

(قوله والحساب حق) أى ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ففى الكتاب ﴿ سريع الحساب ﴾ وفى السنة « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » وأجمع المسلمون عليه وهو لغة العدد واصطلاحا توقيف الله الناس على أعمالهم خيرا كانت أو شرا قولا كانت أو فعلا تفصيلا بعد أخذهم كتبهم ويكون للمؤمن والكافر إنسا وجنا إلا من استثنى منهم ففى الحديث «يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا ليس عليهم حساب فقيل له هلا استزدت ربك فقال استزدته فزادنى مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا فقيل له هلا استزدت ربك فقال استزدته فزادنى ثلاث حثيات بيده الكريمة » أو كما ورد والثلاث حثيات ثلاث دفعات من غير عدد فهؤلاء يدخلون الجنة بغير حساب وإذا كان من المؤمنين من يكون أدنى إلى الرحمة فيدخل الجنة من غير حساب وإذا كان من الكافرين من يكون أدنى إلى الغضب فيدخل النار من غير حساب فطائفة تدخل الجنة بلا حساب وطائفة تدخل النار بلا حساب وطائفة توقف للحساب فلا تنافى بين النصوص فى مثل ذلك وقد اختلف فى المراد بتوقيف الله الناس على أعمالهم فقيل المراد به أن يخلق الله فى قلوبهم علوما ضرورية بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب وهذا قول الفخر وقيل المراد به أن يوقفهم بين يديه ويؤتيهم كتب أعمالهم فيها سيآتهم وحسناتهم فيقول هذه سيآتكم وقد تجاوزت عنها وهذه حسناتكم وقد ضاعفتها لكم وهذا القول نقل عن ابن عباس وفيه قصور لأن الحساب غير قاصر على هذا المقدار، وقد ورد أن الكافر ينكر فتشهد جوارحه وقيل المراد به أن يكلمهم فى شأن أعمالهم وكيفية ما لها من الثواب وما عليها من العقاب فيسمعهم كلامه القديم وهذا هو الذى تشهد له الأحاديث الصحيحة ولا يشغله تعالى محاسبة أحد عن أحد بل يحاسب الناس جميعا معا حتى إن كل أحد يرى أنه المحاسب وحده وكيفيته مختلفة فمنه اليسير والعسير والسر والجهر والتوبيخ والفضل والعدل وحكمته إظهار تفاوت المراتب فى الكمال وفضائح أهل النقص ففيه ترغيب فى الحسنات وزجر عن السيآت (قوله وما فى حق ارتياب) أى ليس فى وقوع حق شك أى لا ينبغى أن يقع فيه ذلك (قوله فالسيآت عنده بالمثل) أى جزاؤها عنده تعالى مقدر بمثلها إن جازاه عليها وله أن يعفو عنها إن لم تكن كفرا وإلا خلد فى النار والسيآت جمع سيئة وهى ما يذم فاعله شرعا صغيرة كانت أو كبيرة وسميت سيئة لأن فاعلها يساء عند المقابلة عليها يوم القيامة والمراد التى

عملها العبد حقيقة أو حكما بأن طرحت عليه إظلامة الغير بعد نفاد حسناته فإنه يؤخذ من حسنات الظالم ويعطى للمظلوم فإذا نفدت حسنات الظالم طرح عليه من سيآت المظلوم ثم قذف بالظالم فى النار.

وقوله والحسنات ضوعفت بالفضل أى ضاعفها الله تعالى بفضله لا وجوبا عليه والحسنات جمع حسنة وهى ما يمدح فاعله شرعا وسميت حسنة لحسن وجه صاحبها عند رؤيتها يوم القيامة والمراد الحسنات المقبولة الأصلية المعمولة للعبد أو ما فى حكمها بأن عملها عنه غيره كما إذا تصدق غيرك عنك بصدقة لا المأخوذة فى نظير ظلامة فخرج بالمقبولة المردودة بنحو رياء فلا ثواب فيها أصلا وبالأصلية الحاصلة بالتضعيف فلا تضاعف ثانيا وبالمعمولة أو ما فى حكمها الحسنة التى هم بها فتكتب واحدة من غير تضعيف وكذلك من إذا صمم على المعصية ثم تركها فله حسنة مضاعفة وبقولنا لا المأخوذة فى نظير ظلامة الحسنة التى يأخذها المظلوم من ظالمه فلا تضاعف والتضعيف من خصائص هذه الأمة وأما غيرها من الأمم فكانت حسنتهم بحسنة واحدة وأقل مراتب التضعيف عشرة وقد تضاعف إلى سبعين إلى سبعمائة أو أكثر من غير انتهاء إلى حد تقف عنده وتفاوت مراتب التضعيف بحسب ما يقترن بالحسنة من الإخلاص وحسن النية .

(تحفة المريد / ١٠٧ ، ١٠٨) .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١١٦ ، ١١٨ ، والتذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبى ـ حققه وعلق عليه وضبطه الأستاذ حمدان جعفر / ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، وتحفة المريد على جوهرة التوحيد لشيخ الإسلام إبراهيم ابن محمد البيجورى / ١١٤ ، ١١٥) .

انظر : أسماء يوم القيامة فى م ٤ / ٥٧٣ ، ٥٧٤ .

*** الحساب الإسلامى (علم -) :**

العناصر الرئيسة التى منها تكوّن علم الحساب الإسلامى هى : حساب الستين ، وحساب اليد، والحساب الهندى . انظر كلا تحت عنوانه .

(رسالتان فى الحساب العربى ــ تحقيق د. أحمد سليم سعدان. مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية . م ١٣ حـ ١ ، ربيع الأول ١٣٧٨ هـ ـ مايو ١٩٦٧ م/ ٤٣) .

جدول ١ ـ نظاما الرمز إلى العدد بحروف الهجاء فى المشرق والمغرب العربيين .

	الأعداد ورموزها								
	واحد	اثنان	ثلاثة	أربعة	خمسة	ستة	سبعة	ثمانية	تسعة
في المشرق	أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط
في المغرب									
	عشرة	عشرون	ثلاثون	أربعون	خمسون	ستون	سبعون	ثمانون	تسعون
في المشرق	ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
في المغرب						ص			ض
	مائة	مائتان	ثلاثمائة	أربعمائة	خمسمائة	ستمائة	سبعمائة	ثمانمائة	تسعمائة
في المشرق	ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ
في المغرب			س					ظ	غ
	ألف	ألفان	ثلاثة آلاف	أربعة آلاف	خمسة آلاف	ستة آلاف	سبعة آلاف	ثمانية آلاف	تسعة آلاف
في المشرق	غ	بغ	جغ	دغ	هغ	وغ	زغ	حغ	طغ
في المغرب	ش	بش	جش	دش	هش	وش	زش	حش	طش

*** حساب الجمل:**

قالت المؤلفة : كنا قد أوردنا بعض المعلومات عن حساب الجُمَّل فى مادة « أبجد » مع بعض النماذج ، وذلك فى م ٢ / ٨٤ ـ ٨٨ . وقد رأينا أن نفرد مادة خاصة لحساب الجُمّل ، حيث إنه يرتبط بمادة « أبجد » ويعد توضيحا وتفصيلا لها.

جاء فى اللسان : حساب الجمل، بتشديد الميم : الحروف المقطعة على أبجد ، قال ابن دريد : لا أحسبه عربيا ، وقال بعضهم: هو حساب الجمل، بالتخفيف، قال ابن سيده: ولست منه على ثقة (اللسان ٨ / ٦٨٦) .

قال الخوارزمى صاحب مفاتيح العلوم : حروف حساب الجمل وهى أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ هذا على ما يستعمله المنجمون والحساب : فأما على ما تعرفه العرب فأبو جاد هواز حطى كلمون يعفص قرشات ويزعمون أنها أسماء ملوك كانوا للعرب العاربة وقد وضعت الحروف على نحو ما يستعمله المنجمون فى جدول ووضعت عدد كل حرف منها بإزائه وهذا هو الجدول :

ا	ب	جـ	د	ه	و	ز	ح	ط	
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	
يا ١١	يب ١٢	يج ١٣	يد ١٤	يه ١٥	يو ١٦	يز ١٧	يح ١٨	يط ١٩	ى ١٠
كا ٢١	كب ٢٢	كج ٢٣	كد ٢٤	كه ٢٥	كو ٢٦	كز ٢٧	كح ٢٨	كط ٢٩	ك ٢٠
لا ٣١	لب ٣٢	لج ٣٣	لد ٣٤	له ٣٥	لو ٣٦	لز ٣٧	لح ٣٨	لط ٣٩	ل ٣٠
ما ٤١	مب ٤٢	مج ٤٣	مد ٤٤	مه ٤٥	مو ٤٦	مز ٤٧	مح ٤٨	مط ٤٩	م ٤٠
نا ٥١	نب ٥٢	نج ٥٣	ند ٥٤	نه ٥٥	نو ٥٦	نز ٥٧	نح ٥٨	نط ٥٩	ن ٥٠
سا ٦١	سب ٦٢	سج ٦٣	سد ٦٤	سه ٦٥	سو ٦٦	سز ٦٧	سح ٦٨	سط ٦٩	س ٦٠
عا ٧١	عب ٧٢	عج ٧٣	عد ٧٤	عه ٧٥	عو ٧٦	عز ٧٧	عح ٧٨	عط ٧٩	ع ٧٠
فا ٨١	فب ٨٢	فج ٨٣	فد ٨٤	فه ٨٥	فو ٨٦	فز ٨٧	فح ٨٨	فط ٨٩	ف ٨٠
صا ٩١	صب ٩٢	صج ٩٣	صد ٩٤	صه ٩٥	صو ٩٦	صز ٩٧	صح ٩٨	صط ٩٩	ص ٩٠
قا ١٠١	قب ١٠٢	قج ١٠٣	قد ١٠٤	قه ١٠٥	قو ١٠٦	قز ١٠٧	قح ١٠٨	قط ١٠٩	ق ١٠٠
ق ١٠٠	ر ٢٠٠	ش ٣٠٠	ت ٤٠٠	ث ٥٠٠	خ ٦٠٠	ذ ٧٠٠	ض ٨٠٠	ظ ٩٠٠	غ ١٠٠٠
غ ١٠٠٠	بغ ٢٠٠٠	جغ ٣٠٠٠	دغ ٤٠٠٠	هغ ٥٠٠٠	وغ ٦٠٠٠	زغ ٧٠٠٠	حغ ٨٠٠٠	طغ ٩٠٠٠	يغ ١٠٠٠٠

عشرات	يغ	كغ	لغ	مغ	نغ	سغ	عغ	فغ	صغ
الألوف	١٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٤٠٠٠٠	٥٠٠٠٠	٦٠٠٠٠	٧٠٠٠٠	٨٠٠٠٠	٩٠٠٠٠
مئات	قغ	رغ	شغ	تغ	ثغ	خغ	ذغ	ضغ	ظغ
الألوف	١٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠	٧٠٠٠٠٠	٨٠٠٠٠٠	٩٠٠٠٠٠

جدول ٢ ـ حساب الجُمَّل فى المشرق العربى

ا واحد	ب اثنان	ج ثلاثة	د اربعة	هـ خمسة
و ستة	ز سبعة	ح ثمانية	ط تسعة	
ى عشرة	ك عشرون	ل ثلاثون	م اربعون	ن خمسون
س ستون	ع سبعون	ف ثمانون	ص تسعون	
ق مائة	ر مائتان	ش ثلاثمائة	ت اربعمائة	ث خمسمائة
خ ستمائة	ذ سبعمائة	ض ثمانمائة	ظ تسعمائة	

أو ما يسمونه بالنظام العشرى (تراث العرب العلمى / ٤٧) هذا وتختلف أرقام الجمل عن الأرقام الهندية فى أنها تكتب بالمعكوس إذ تكون آحادها على اليسار، وعشراتها على اليمين مفتاح الحساب / ٢٨٩ هامش ٥٠)

فإذا ركبت منها اثنين ـ أو ثلاثة فإن سبيلك أن تقدم الأكثر وتؤخر الأقل مثال ذلك يب اثنا عشر وكذلك قكج مائة وثلاثة وعشرون وقد يكتب بهذه الحروف كما يكتب حساب الهند وهو أن تكتب بتسعة أحرف منها الألف إلى الطاء وتوضع هذه العلامة فى المواضع الخالية مكان الصفر فى حساب الهند كى يحفظ بها الترتيب فقط (مفاتيح العلوم / ١١٤ ، ١١٥) .

وقال الأستاذ قدرى حافظ طوقان رحمه الله :

اقتبس العرب فكرة حساب الجُمّل عن البلاد التى استولوا عليها فى إبان الفتح الإسلامى . وقد وجدوا أن المصريين يستعملون نظام الترقيم بالحروف القبطية بينما فى سوريا تستعمل الحروف اليونانية . فوضعوا لكل حرف رقما خاصا يدل عليه . (انظر الجداول) .

ورمزوا الأعداد التى تزيد على الألف بضم الحروف بعضها إلى بعض فكان يقابل ٢٠٠٠ بع و ٣٠٠٠ جغ و ٢٠٠٠٠ كغ وهلم جرا .

ولم يعد لهذا النظام أية قيمة . فقد تركه العرب واستعاضوا عنه بالنظام الهندى فى الترقيم ، القائم على الوضعية للأرقام

وعن الرمز إلى العدد بحروف الهجاء جاء ما يلى فى كتاب العلوم الرياضية فى الحضارة الإسلامية :

ترجع فكرة استعمال حروف الهجاء كرموز دالة على الأعداد إلى عهد سحيق ، كما تدل على ذلك مثلا النقوش اليونانية القديمة منذ حوالى القرن الخامس قبل الميلاد، كذلك نجد أن هذه الفكرة وجدت طريقها أيضا عند الساميين (كما ورد فى المزمور) من يهود وسريان وأحباش وعرب .

ولقد كان الرمز إلى العدد يتبع عادة إما حروف الأبجدية بترتيبها الأصلى كما كان الحال فى الرموز اليونانية مثلا ، وإما يتبع حروفا تدل على مختصرات من أسماء الأعداد (مثل حروف خ للدلالة على خمسة ، وحرف ع للدلالة على عشرة وحرف م للدلالة على مائة فى اللغة العربية الجنوبية قبل الإسلام) .

وضع العرب أرقامهم ـ عموما ـ على ترتيب حروف : أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ . وذلك عند أهل المشرق العربى . أما بالنسبة لأهل المغرب فقد كان هناك خلاف فى دلالة بعض حروف الهجاء على الأعداد كما هو

موضح بالجدول رقم ١ . وقد أطلق العرب على هذا النظام «حساب أبجد» أو «حساب الجُمَّل» حيث إنه مبنى على استعمال حروف الهجاء حسب ترتيبها فى الأبجدية السامية القديمة (جدول ١) .

وقد فرق العرب بين الحاء والجيم بأن كتبوا الجيم بلا ذيل : حـ ، وتركوا الحاء على أصلها : ح ، كذلك لم ينقطوا الباء والجيم على وجه العموم سواء أفرد هذان الحرفان أو تركبا ، وأما النون والفاء والقاف والشين والتاء والثاء والخاء والضاد والظاء والغين فينقطونها سواء أفردت أو تركبت ، وقد اتجهت الكتابات العربية فى القرون المتأخرة إلى بيان النقط لكل الحروف . هذا وتكاد تكون كل الحروف فى مخطوطات كتب البيرونى منقطة بالرغم من أنها تنتمى إلى فترة الصدارة فى الحضارة العربية .

كذلك التزم العرب تقدم الأكثر على الأقل . فرقم ستة وثلاثون مثلا يكتب : لـو ، ورقم تسعة وخمسون يكتب : نط (جدول ٢) ، وإذا كان العدد من تضاعف الألوف قدم عدد التضعيف على غيره ، فيقال فى خمسة آلاف مثلا : هغ ، وفى تسعة آلاف : طغ عند أهل المشرق العربى .

ولنورد فى هذا المجال ما كتبه العالم الجليل أبو الريحان البيرونى (٩٧٣ - ١٠٥١ م) فى مصنفه «كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم» (مخطوط المتحف البريطانى رقم : شرقى ٨٣٤٩ ، الصحيفة ٤٠ وما بعدها) .

كيف يمكن إثبات الأعداد كحروف العرب

هذا مواضعة واصطلاح ، فقد كان يمكن أن يجعل ترتيب العدد فى حروف المعجم المنضودة على أ ب ت ث ، فإنها تستوفى عدة الآحاد التسعة والعشرات التسع والمائتين التسع والألف معها ، لأن عدتها ثمانية وعشرون . ولكن القوم جعلوا ترتيب هذه الأعداد فى حروف الجمل ، لأن هذا الترتيب هو الفاشى فيما بين من تقدم العرب من أهل الكتاب وهو : أبجد، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص، قرشت ، ثخذ ، ضظغ . وحصصها من العدد مثبتة فى هذا الجدول (وهنا يورد البيرونى جدولا يقابل فيه بين حروف الهجاء والأعداد التى ترمز إليها هذه الحروف) .

هل اختلف فيها

الغرض فى هذه الحروف هو اختصار فى إثبات الأعداد فى الجدول . ومن أولى الجداول هم المنجمون ، ولم يختلفوا فيما بينهم ، وإنما خالفهم من ليس هذه صناعته . فجعل مكان سعفص صعفض ، وجعل الضاد غير المعجمة ستين ، والمعجمة تسعين ، وجعل مكان قرشت ، قرست غير معجمة السين ، وإنما حدا بعضهم على ذلك أبينه للكلام لغوية . وبعضهم تأويلات لأغراض فى اعتقاد ، وهو كالهذيان . ولولا إطباق المستعملين على هذا الترتيب لجوزنا خلافهم ولكنه خروج عن العادة .

كيف يكون تركيبها

إذا جمع من العدد مراتب كالآحاد والعشرات والمائتين . فابدأ بالأعظم أعنى بالمايين ثم بالعشرات ثم بالآحاد .

مثال ذلك : مائة وخمسة عشر، فاكتبه قيه ، وخط فوقه خطا يدل على أنه حساب لا كلمة .

فإذا كان العدد مائة وخمسة ، فاكتبه قه .

وإن كان اثنين وأربعين ، فاكتبه مب .

فإن كان ألف واثنين ، فاكتبه غب، فإن احتجنا إلى كتبه ألفين ، فاكتبه بغ، لأن تقدم الأصغر على الأعظم تفصله عن غب، ويدل على أنه لأمر ما .

والعادة جارية فى هذه الحروف أن لا يعطف الجيم فرقا بينها وبين الحا . وقل ما يحتاج إلى الخا لأن حسابات النجوم تقصر على ثلثمائة وستين . وأن يعطف اليا إلى الورا، لأن ما يشابه النون مع النقطة ، ويكون الكاف مبسوطة غير مشابه للام . وتكون النون أكبر من الزاء ومنقوطا للفرق بينهما . فإن الزاء منقوطة ، والراء غير منقوطة والفرق بين السين والشين أن الشين منقوطة، وساير ما بعدها كذلك معجمة ، ومتى تركب النون والياء مع آحاد تشابها ، تكون نقطة النون فاصلا بينهما ، والاحتياط يوجب بإعجام الياء أيضا .

وإن احتيج إلى كتابة صفر ليملأ الموضع الفارغ ، عملت دايرة وفوقها خط يماسها ليفرق بينه وبين الهاء .

(يظهر فى كتاب البيرونى على هذه الصورة : ، ويشير رضا إيرانى فى بحثه المنشور فى مجلة ستورس عام ١٩٥٥ بنسبة هذا الشكل إلى الإغريق، ولكن هذا غير صحيح كما يقطع بذلك كلام البيرونى حيث إن هذا الشكل ما هو إلا الدائرة الممثلة للصفر يماسها خط فوقها حتى لا يحدث لبس بينها وبين الهاء) .

فأما فى الأرقام الهندية فليس يحتاج إلى الخط المماس إذ ليس هناك ها .

تابع جدول ٢ - حساب الجمل فى المشرق العربى

عشرات	يغ	كغ	لغ	مغ	نغ	سغ	عغ	فغ	صغ
الألوف	١٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٤٠٠٠٠	٥٠٠٠٠	٦٠٠٠٠	٧٠٠٠٠	٨٠٠٠٠	٩٠٠٠٠
مئات	قغ	رغ	شغ	تغ	ثغ	خغ	ذغ	ضغ	ظغ
الألوف	١٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠	٧٠٠٠٠٠	٨٠٠٠٠٠	٩٠٠٠٠٠

قد نكون قد أسهبنا بعض الشيء فى الكلام عن الرمز إلى العدد بحروف الهجاء، إلا أنه هناك ما يبرر ذلك إذ أنه بالرغم من ذيوع استعمال الرموز الهندية الأصل فى الحساب العربي، إلا أن الفلكيين والمنجمين دأبوا فى كتاباتهم على استعمال حساب الجمل، وذلك طيلة فترة امتداد الحضارة العربية كما تشهد على ذلك أزياجهم وحساباتهم الفلكية .

هذا ومن الواضح أن الرمز إلى العدد بحروف الهجاء نظام معقد توقف بسببه علم الحساب عن إحراز تقدم ذى بال فى الحضارة الإغريقية ، حتى جاء أهل الهند بالرموز التسع، وطلع العرب على العالم بالنظام العشرى .

إنه عند تركيب الجمل يراعى أن يكون الحرف ذو العدد الأكثر هو المقدم، ثم يليه العدد الأصغر فالأصغر وهكذا. ولنقدم بعض الأمثلة التى توضح هذا الأسلوب :

رب = ٢٠٠ + ٢ = ٢٠٢ ذلك لأن ر = ٢٠٠، ب = ٢

خس = ٦٠٠ +٦٠ = ٦٦٠ ذلك لأن خ = ٦٠٠، س = ٦٠

ريح = ٢٠٠ + ١٠ + ٨ = ٢١٨ ذلك لأن ر = ٢٠٠، ى = ١٠، ح = ٨

ثمة = ٤٠٠ + ٤٠ + ٥ = ٤٤٥ ذلك لأن ث = ٤٠٠، م = ٤٠، هـ = ٥

شعب = ٣٠٠ + ٧٠ + ٢ = ٣٧٢ ذلك لأن ش = ٣٠٠، ع = ٧٠، ب = ٢

وقد بقى هذا الأسلوب يتبعه العرب فى العلوم لمدة طويلة، ويظهر تأثيره بوجه خاص فى الجداول الفلكية، وحساب الأوزان المختلفة للفلزات. ففى كتاب (القانون المسعودى) لأبى الريحان البيرونى يكثر استعمال طريقة حساب الجمل. من ذلك يتضح أن علماء العرب والمسلمين ظلوا يستعملون طريقة حساب الجمل حتى بعد ظهور الأرقام الهندية العربية .

يقول محمد عبد الرحمن مرحبا فى كتابه (الموجز فى تاريخ العلوم عند العرب) : « إن الأمم لم تعرف الأعداد دفعة واحدة، فقد عبرت عنها بالألفاظ أولا، غير أن الألفاظ لا يمكن أن تأتلف وطرائق الجمع والطرح والضرب والقسمة، فكان لا بد من وضع رموز ترمز إليها ، وكانت هذه الرموز حروف الهجاء، إذ الألفاظ تتألف من حروف، ومن هنا نشأت الأرقام الحرفية، فحرف الألف يرمز إلى الواحد، وحرف الباء يرمز إلى الاثنين، وحرف الجيم يرمز إلى الثلاثة ، وحرف الياء يرمز إلى العشرة إلخ . (العلوم الرياضية ١ / ٢٩ ـ ٣٦) .

وقد تناول السيد محمد رشيد رضا موضوع حساب الجمل وما شاع من الاستدلال به على عمر الدنيا وقيام الساعة وذلك فى المحاورة الثالثة من المحاورات الثانية عشرة التى تضمنها كتابه الطريف « الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية » . وتدور المحاورات بين شخصين : شيخ مقلِّد، وشاب مصلح .

وقبل أن ننقل لك المحاورة الثالثة التى نحن بصددها نشير إلى أن المؤلف ذكر فى نهاية المحاورة الثانية قضية اليهود الذين أرادوا أن يفسروا الحروف المقطعة فى أوائل بعض السور (انظر هذه المادة فى موضعها) باستخدام حساب الجمل. يقول المؤلف على لسان « المقلِّد » :

لا أراك تقوى على إبطال حساب الجمَّل لأنه استعمال قديم. روى عن أبى العالية رضى الله عنه أنه كان يرى أن أوائل السور تدل على مدد أقوام وآجالهم مستدلا بحديث اليهود وهو أن النبى ﷺ قرأ على اليهود لما جاءوه (آلّمَ البقرة) فحسبوه وقالوا : كيف ندخل فى دين مدته إحدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله ﷺ فقالوا : فهل غيره ؟ فقال « آلّمَصَ والّر والّمَر » فقالوا : خلطت علينا فلا ندرى بأيها نأخذ . ووجه الدلالة أنه أقرهم على استنباطهم بعدم الاعتراض وبتلاوته لا لّمَصَ وما بعدها على هذا الترتيب .

وينتقل المؤلف إلى المحاورة الثالثة وإليك بعضا مما جاء فيها :

(المصلح) لا أنكر أن هذا الشيء الذى يسمونه الجمل قديم وأنه انتقل إلى العرب من السريانيين والعبرانيين ولكن دلالته ليست عقلية ولا طبيعية وإنما تكون بالمواضعة والاصطلاح ولم يتفق للعرب ولا لغيرهم اصطلاح يصح أن تؤخذ أية كلمة وتحسب ويحكم بعددها على أنه تحديد لزمن أمة من الأمم فى وجودها واستقلالها بل لا يوجد فى اللغة رموز حسابية أو غير حسابية تدل على الحوادث المستقبلة وقصارى ما يمكن أن يستفاد من هذا الحساب بطريقة وضعية اصطلاحية يفهمها كل من يعرف الاصطلاح الوضعى فيها هو نحو ما جرى عليه الناس من التاريخ بها بأن تذكر كلمة أو كلام يعين بوقوعه بعد لفظ مخصوص كالألفاظ المركبة من مادة (أرخ) ويجعل ما يحصل من حروفها بالجمل بيان سنة حدث فيها شيء يراد توقيته ومعرفته ولا بد من ذكر ذلك الشيء بعبارة يفهم منها كل من تلقى إليه ما يراد منها . ومن هذا النحو قول بعضهم فى بيان تاريخ مولد الأئمة الأربعة المجتهدين ووفاتهم ومدة حياتهم وهو :

تاريخ نعمان يكن صيف سطا

٧٠ ١٥٠ ٨٠

ومالك فى قطع جوف ضبطا

٨٩ ١٧٩ ٩٠

والشافعى صين ببر نـد

٥٤ ٢٠٤ ١٥٠

وأحمد يسبق أمر جعد

٧٧ ٢٤١ ٦١٤

فخذ على ترتيب نظم الشعر

ميلادهم فموتهم فالعمر

فلولا البيت الأخير الذى أرشد إلى المراد لما اتضح لقارئه وسامعه وحينئذ لا تكون دلالته صحيحة ولا يصح أن يقصد ألعاقل ما ليس بصحيح لأنه لغو فكيف يصح أن يكون مثل هذا اللغو مضافا إلى كتاب الله تعالى وهو نقص ومناف للبيان الذى وصف الله به القرآن بمثل قوله تعالى : ﴿ طسٓمٓ * تلك آيات الكتاب المبين ﴾ [الشعراء : ١، ٢] وقوله عز وجل ﴿حمٓ * والكتاب المبين ﴾ [الدخان : ١، ٢] فلو كانت هذه الحروف رموزا ومعميات لما وصلت بهذا الوصف الشريف الذى هو من أخص أوصاف القرآن، وقد أنكر علماء الكلام أن يكون فى القرآن كلام غير مفهوم للناس واستدلوا على ذلك بالنقل والعقل فلا يصح للمقلد أن يترك كلامهم وهم حماة العقائد وأنصار الدين لكلام القاصين والدجالين ...

وأما ما روى عن اليهود وذكرته فى مجلسنا الماضى فلا يصح وقد أخذه المفسرون الذين لا يتحرون فى النقل من كتب السير والمغازى وأكثر ما فى تلك الكتب لا يعتمد عليه كما علمت وقد رأيت فى شرح الإحياء ما نصه : « وقال السهيلى لعل عدد الحروف التى فى أوائل السور مع حذف المكرر للإشارة إلى مدة بقاء هذه الأمة قال الحافظ ابن حجر وهذا باطل لا يعتمد عليه فقد ثبت عن ابن عباس النهى عن (أبا جاد) والإشارة إلى أن ذلك من جملة السحر وليس ذلك ببعيد فإنه لا أصل له فى الشريعة ا هـ ولو سلمنا صحته رواية لكان لنا أن نبحث فيه من حيث الدراية بمثل ما ذكرناه مختصرا وأطال فيه بعض المتكلمين والمفسرين كالإمام الرازى على أنه لا يدل على ما ذكرت إذ يجوز أن يكون ما أجاب به ﷺ ياسرا وحيا ابنى أخطب مرادا به إبطال دلالتهما ودحض شبهتهما لعلمه بأنهما يقصدان التلبيس والإبهام فاضطرهما إلى التصريح بالتلبيس حيث قال حى « قد لبس علينا أمرك يا محمد » .

(المقلد) إن فى بعض كلامك حجة عليك وهو قولك إن (أبا جاد) الذى هو أصل حساب الجمل مأخوذ من اللغة السريانية وهى لغة الملائكة فأى مانع يمنع أن يكون فى القرآن شيء من لغة الملائكة يدل على الأمور الغيبية ويكون فهمه مخصوصا بالخواص الذين يعرفون كلام الملائكة كالأنبياء والأولياء، فقد روى عن سيدى القطب الغوث الشيخ عبد العزيز الدباغ قدس الله سره العزيز : إن أهل الديوان الباطنى لا يتكلمون إلا بالسريانية لاختصارها فإن الحرف الواحد منها يدل على معانى كثيرة لا سيما حروف أوائل السور ولعلك اطلعت على هذا فى كتاب (الذهب الإبريز) .

(المصلح) : إننى لم أعن بقولى « السريانيين » الملائكة

وإنما أعنى جيلا من النـاس أمرهم معروف فـى التاريخ كـانوا يسمـون يـوم السبت أبجـد ويـوم الأحـد هـوز والإثنين حطى والثلاثاء كلمن والأربعـاء سعفص والخميس قرشت والجمعة العروبة . وقـد وضع السريـان هـذه الكلمات مشتملـة على حـروف الهجاء عنـدهم وأخذهـا العرب عنهم وأضـافوا إليهـا كلمتين مؤلفتين من باقى حروف الهجـاء العربية التى لا توجد فى اللغة السـريانيـة وهما ثخـذ وضظغ وسموهـا الروادف أى اللواحق ووافقوا السريان أيضا فى ضبط مراتب الحساب بهما وزادوا عليهم بمـا فى لغتهم من الحـروف الـزائدة بجعل كل حرف يزيـد على مـا قبله ١٠٠ فـالثاء ٥٠٠ والخاء ٦٠٠ إلخ وساعدهم الجد أن وافق الحرف الأخير (غ) آخر مراتب العدد عنـدهم وهـو الألف وزعم بعض المـؤرخين أن العرب كـانـوا يسمون أيام الأسبوع بما ذكرناه عن السريان أيضا .

أما الملائكة فـاعتقادى فيهم أنهم عالم روحانى غيبى وأن قياسهم على عالم المادة الذى يتفاهم عقلاؤه بأصوات تكيفها الحروف قياس غيـر صحيح أو كما يقول الأصوليـون قياس مع الفارق وأن كـل ما غاب علمـه عن الناس ولم ينلـه كسبهم لا يقبل فيـه إلا قول عالم الغيـب وهو الله تعالى ، وليـس عندى نص قطعى فى تفاهم المـلائكة وتخاطبهم وأما مـا ذكرت عن أهل الـديوان البـاطنى فـلا أخـوض فيه الآن بل أدعـه للبحث التفصيلى فى أمـراض الأمـة الإسـلاميـة إن دخلت معى فيـه وأكتفى الآن بأن أقـول إن ما ذكـرت عنهم لا تقـوم عليه حجـة مرضية ولا بينة شرعية . فإن خالفتنى طالبتك بالنص .

ثم يـذكر السيـد محمد رشيد رضـا على لسـان « المقلد » كيف أن بعضهـم استخـرج من قوله تعـالـى : ﴿ الٓمٓ * غُلبت الروم ﴾ [الروم : ١، ٢] أن البيت المقـدس يفتحة المسلمون فى سنة ٥٨٣ (وفقـا لحساب الجمل) وأنـه ذكر ذلك لبعض علمـاء الحنفيـة فقـال : إن هـذه الروايـة مـذكـورة فى البحـر وعبارته هكـذا ـ وأخرج الشيخ من جيبه ورقة وقرأ فيهـا ما نصه «كان شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير يحكى عن أبى الحكم ابن برجان أنه استخـرج من قوله تعالى ﴿ الٓمٓ * غلبت الروم﴾ إلى قوله ـ ﴿سنين ﴾ [الروم : ١، ٤] افتتـاح المسلمين بيت المقدس معينـا زمانه ويـومه، وكان إذ ذاك بيت المقـدس قد غلبت عليه النصارى ، وأن ابن برجـان مات قبل الوقت الذي عينه للفتح وأنـه بعد موته بـزمان افتتحه المسلمـون فى الوقت الذى عينه أبو الحكم » فتعين الاعتماد على هذا والأخذ به .

ويفند « المصلح » هذا الكلام بقـوله إن التاريخ إنما يثبت لنا الوقـائع الجزئية ، ونحن نحكم عليها بمـا يعطينا العقل من القـواعد العـامة ، فـإذا صحت رواية أبى الحكم فصحتهـا لا تثبت لنـا قـاعـدة عـامـة وهى على مـا هى عليـه من الإبهـام والغموض بل هى إلى الاتفاق الذى يسمونه « الصدفة » أقرب (الوحدة الإسلامية / ١٣ ـ ١٨) .

(لسان العرب لابن منظور ٨ / ٦٨٦ ، ومفاتيح العلـوم للخوارزمى / ١١٤ ، ١١٥ ، وتراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ـ قدرى حافظ طوقان / ٤٧ ، والعلوم الرياضية فى الحضارة الإسلامية ـ د. جلال شوقى ، ود. على الدفاع ١ / ٢٩ ـ ٣٦ ، والوحدة الإسلامية والأخوة الدينيـة ـ السيد محمد رشيد رضا / ١٣ ـ ١٨ .

انظر أيضـا مفتاح الحساب لجمشيـد غياث الدين الكـاشى ـ تحقيق وشـرح الأستاذ أحمـد سعيـد الـدمرداش ، ود. محمـد حمـدى الحفنى الشيـخ / ٢٨٨ ـ ٢٨٩ هامش التحقيق) .

انظر : أبجد ، الأرقام العربية .

*** حساب الخطأين :**

من الطرق الحسابية التى كانت شائعة عند العرب .

يقول الأستاذ الدكتور جـلال شوقى تحت عنوان استخراج المجهولات بحساب الخطأين : لقد عـرفت هذه الطريقة منذ فجر الحضارة الإسـلامية ، حيث ظهرت فى مؤلفـات رياضية كثيرة ، فقد وردت ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ فى كتابات قسطا بن لوقا البعلبكى (٢٠٥ ـ ٣٠٠ هـ / ٨٢٠ ـ ٩١٢ م) ، وأبى كامل شجـاع بن أسلم الحاسب المصـرى (من القرن ٣ هـ / القرن ٩ م) ، وأبى يوسـف يعقوب بن محمـد الرازى ، وأبى يوسف يعقـوب بن محمد المصيصى (من القرن ٤ هـ / القـرن ١٠ م) ، وأبى الحسن بن أبى المعـالى الـدسكـرى المنجم ، وكمال الـدين ـ يونس الصـدفى المصرى (٣٣٩ ـ ٣٩٩ هـ / ٩٥٠ ـ ١٠٠٩ م) ، والحسن بن الهيثم (٣٥٤ ـ ٤٣٠ هـ) (منظومات ابن الياسمين / ١٩٣) .

ويقـول محققـا كتـاب « مفتـاح الحسـاب » (انظـر ثبت المراجع) :

وأول مخطوط قديم احتوى على طريقة الخطأين هو كتاب « الرياضة فى تسعة أجزاء » الصينى، وبعد ذلك تظهر هذه الطريقة مرة أخرى فى الرياضة الإسلامية (العربية) ثم ينتقل استخدام هذه الطريقة بعد أن طورها الرياضيون العرب إلى رياضة أوروبا فى عصر النهضة وما بعده ، وظلت هذه الطريقة تستخدم كقاعدة أساسية فى جميع الكتب التعليمية الأوروبية حتى نهاية القرن الثامن عشر، وفى بعض الأحيان نجدها حتى فى كتب القرن التاسع عشر، ويرجع شيوع هذه الطريقة على نطاق واسع إلى أنها ما هى إلا الجوريثم ـ منهج ـ حسابى بسيط لحل أى معادلة خطية ذات مجهول واحد، دون حاجة إلى تحليل حسابى ودون حاجة أيضا إلى استخدام الرموز الجبرية والتى لم تظهر إلا فى وقت متأخر وتدريجيا ابتداء من القرن السادس عشر ولم تدخل فى برامج المدارس المتوسطة إلا فى القرن التاسع عشر ومن ثم انتفت الحاجة إلى قاعدة الخطأين وألغيت من مناهج مقررات الحساب، ومن الشيق أن نعرف أنه من السهل استخدام قاعدة الخطأين فى المسائل الأكثر تعقيدا والمشتملة على مجموعة من المعادلات الخطية فى أكثر من مجهول .

ولقد استخدمت هذه الطريقة فى « الرياضة فى تسعة أجزاء » فى حل المعادلات ذات المجهولين (مفتاح الحساب / ٣١٤).

وقد عد صاحب « مفتاح السعادة » حساب الخطأين من فروع علم العدد وهو علم الحساب وقال عنه :

وهو علم يتعرف منه استخراج المجهولات العددية إذا أمكن صيرورتها فى أربعة أعداد متناسبة . ومنفعته : نحو منفعة الجبر والمقابلة ، إلا أنه أقل عموما منه وأسهل عملا ، وإنما سمى حساب الخطأين لأنه يفرض المطلوب فيه شيئا ويختبر، فإن وافق ، فذاك ، وإلا حفظ الخطأ وفرض المطلوب شيئا آخر، ويختبر ، فإن وافق، فذاك ، وإلا حفظ الخطأ الثانى، ويستخرج المطلوب منهما ومن المقدارين المفروضين. وعلى هذا إذا اتفق وقوع المسألة أولا فى أربعة أعداد متناسبة، أمكن استخراجها بخطأ واحد .

ومن الكتب الكافية فيه :

كتاب لزين الدين المغربى وبرهن ابن الهيثم على طرقه (مفتاح السعادة ١ / ٣٧٠) .

وقد ذكره صاحب « مفاتيح العلوم » فقال : هو من تدابير الحساب لاستخراج مسائل الوصايا ونحوها يسمى ذلك لأنه يؤخذ عدد ما يستعمل فيه شرائط المسئلة فإن خرجت وإلا حفظ مقدار ما وقع فيها من الخطأ وأخذ عدد آخر وعمل به مثل ذلك فإن خرجت وإلا حفظ مقدار الخطأ الثانى ثم يستخرج من هذين الخطأين حقيقة الصواب (مفاتيح العلوم / ١١٦ ، ١١٧).

وقد عرفه صاحب « مفتاح الحساب » فقال عن استخراج المجهول بالخطأين :

وهو يصح إذا سئل عن مجهول عمل عليه كذا وكذا صار عددا معينا ، مثل أن نصف أو ضوعف أو زيد عليه أو نقص منه نصفه أو ضعفه، أو ضرب فى عدد معلوم غير المجهول، وإن أوتى فى المسألة ضرب مجهول آخر أو قسمة مجهول على مجهول آخر، واحتيج إلى استخراج جذر أو كعب أو مثلهما لا يصح به : [١٦٥] :

وهو أن نفرض المجهول أى عدد شئنا ، ونعمل عليه ما فهمنا من كلام السائل حتى يحصل حاصل، فإن وافق العدد المعلوم فهو المطلوب ، وإلا نأخذ التفاضل بين ما حصل من عملنا والعدد المعلوم وهو المسمى بالخطأ الأول .

ثم نفرض المجهول عددا آخر، ونعمل عليه كما عملنا حتى يحصل حاصل ثان، فإن وافق المعلوم فهو المطلوب ، وإلا فنأخذ التفاضل بينه وبين المعلوم وهو المسمى بالخطأ الثانى ثم نستخرج من هذين الخطأين صوابا بأن نضرب المفروض الأول فى الخطأ الثانى ، وكذا المفروض الثانى فى الخطأ الأول ، فإن كان الخطآن زايدين معا على المعلوم أو ناقصين معا منه ، فنقسم التفاضل بين حاصلى الضربين على التفاضل بين الخطأين فما خرج فهو المجهول المطلوب .

وإن كانا مختلفين فى الزيادة والنقصان ، نقسم مجموع الحاصلين على مجموع الخطأين فما خرج فهو المطلوب (مفتاح الحساب / ٢٠٢) .

ويسوق ابن الهائم هذه المسألة كمثال للحل بطريقة حساب الخطأين .

فلو قيل : مال زيد عليه ثلثان ودرهم فكان عشرة، كم هو؟

فافرضه ما شئت، فكأنه تسعة . فإذا زدت عليه ثلثيه ودرهما كان المجتمع ستة عشر، وكان ينبغى أن يكون عشرة ، فالخطأ بستة بالزيادة، فافرض آخر وكأنه ستة فإذا زدت عليه ثلثيه ودرهما كان المجتمع أحد عشر. فالخطأ بواحد وهو زائد أيضا . فاضرب المال الأول فى الخطأ الثانى، والمال الثانى فى الخطأ الأول ، واقسم الفضل بين الحاصلين وهو سبعة وعشرون على الفضل بين الخطأين وهو خمسة ، يخرج خمسة وخمسان وهو المطلوب .

ولو فرضت المال الأول درهما ونصفا ، والثانى ثلاثة ، لكان الخطآن ناقصين ، والأول ستة ونصفا، والثانى أربعة . فإذا ضربت المال الأول فى الخطأ الثانى، والمال الثانى فى الخطأ الأول ، وقسمت الفضل بين الحاصلين ، وهو ثلاثة عشر ونصف، على الفضل بين الخطأين ، وهو اثنان ونصف يخرج المطلوب .

كذلك ولو فرضت المال الأول ستة، والثانى ثلاثة ، لكان الخطآن مختلفين ، فاقسم مجموع حاصلى الضرب وهو سبعة وعشرون ، على مجموع الخطأين وهو خمسة ، يخرج المطلوب. فقس على هذا المثال ما يرد من أشباهه (المعونة فى علم الحساب / ٣٠٤) .

ويسوق الأستاذ قدرى حافظ طوقان رحمه الله مسألة أخرى لتوضيح طريقة « حساب الخطأين » التى كانت شائعة عند العرب ، ومستعملة فى كتبهم الرياضية القديمة ، وقد استعملوها فى كثير من معاملتهم قائلا :

ويجد القارئ فى طريقة حساب الخطأين طرافة كما يجد فيها الراغبون فى الرياضيات متاعا وانتفاعا. ونحن هنا نورد المثال الآتى : ـ « أوجد العدد الذى إذا أضيف إليه ثلثاه وثلاثة كان الناتج ١٨ » لحل هذه المسألة على طريقة الخطأين تفرض المجهول ما شئت وتسميه المفروض الأول ثم تتصرف فيه بحسب السؤال فإن طابق فهو المطلوب وإن لم يطابق وكان الخطأ بالزيادة أو النقصان فهو الخطأ الأول . ثم تفرض مجهولا آخر وهو المفروض الثانى فإن أخطأ حصل الخطأ الثانى . بعد ذلك اضرب المفروض الأول فى الخطأ الثانى وتسميه المحفوظ الأول ، والمفروض الثانى فى الخطأ الأول وتسميه المحفوظ الثانى فإن كان الخطآن زائدين أو ناقصين فاقسم الفضل (الفرق) بين المحفوظين على الفضل بين الخطأين وإن اختلفا فمجموع المحفوظين على مجموع الخطأين ليخرج المجهول، أى أن : ـ

المفروض الأول ٣ وإذا تصرفنا فيه بحسب السؤال ينتج

$$٣ + ٣ \times \frac{٢}{٣} + ٣ = ٣ + ٢ + ٣ = ٨$$

∴ يكون الخطأ الأول ١٨ − ٨ = ١٠ ناقص .

وإذا فرضنا المفروض الثانى ٦ وتصرفنا فيه بحسب السؤال ينتج $٦ + ٦ \times \frac{٢}{٣} + ٣ = ١٣$

∴ يكون الخطأ الثانى ١٨ − ١٣ = ٥ ناقص .

وعلى هذا فالمحفوظ الأول = ٣ × ٥ = ١٥

والمحفوظ الثانى = ٦ × ١٠ = ٦٠

والفرق بين ٦٠ و ١٥ هو ٤٥ والفرق بين الخطأين ١٠−٥= ٥

وعلى هذا فالجواب هو $\frac{٤٥}{٥} = ٩$

(تراث العرب العلمى / ٥٦) .

وأما ما جاء من النظم فى حساب الخطأين فلدينا منه ما أورده السيد محمد حسين الموسوى فى منظومته حيث يقول عنه :

خذ ما تشا مصرفا بذ العمل
فرضا به اتبع سؤال من سئل
فحين يحظى القدر الذى يرد
فدعه وافرض ثانيا مما تجد
فإن يكن أخطأ فاضرب ما سبق
من فرضه بالخطأ الذى لحق

واحفظــه واضــرب مـا فـرضت بعــد
فـي الخطأ الأول واحفـظ عـــــد
ثـم إذا مـــا الخطـــآن اختصـا
فـــاختلفـــا زيـــادة ونقصـــا
فـاقسم علـى مجمـوع مــا أخطى بـه
مجمــوع مــا حفظتـــه من ضــربـه
أمـــا إذا يتفقـــان فــاعتبـــر
بفضـل مـــا بينهمـــا فيمـــا سطـــر
وخــــذ بفضـل بيـن محفــــوظيــــه
واجعلـــه مقســـومـا هنـــا عليـــه
فخـــــارج القسمـــــة حيـن يحصـل
ينبئ عمـــا فـي الســـؤال يجهـل

(منظومة شعرية / ٧٢) .

(منظومات ابن الياسمين فى أعمال الجبر والحساب ـ تحقيق ودراسة د. جلال شوقى / ١٩٣ ، ومفتاح الحساب لجمشيد غياث الدين الكاشى ـ تحقيق وشرح الأستاذ أحمد سعيد الدمرداش ود. محمد حمدى الحفنى الشيخ / ٣١٤، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٨٩ هـامش ٥٠ للمحققين، ومفتـاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٣٧٠، ومفاتيح العلوم للخوارزمى / ١١٦ ، ١١٧ ، والمعونة فى الحساب الهوائى لابن الهائم ـ دراسة وتحقيق خضير عباس محمد المنشداوى / ٣٠٤ ، وتراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ـــ قـدرى حافظ طـوقـان / ٥٦ هـامش ١ ، ومنظـومة شعـريـة فى الحساب للسيد محمد حسين الموسوى القـزوينى ـ إعداد وتصويب ونشر نورى محمد حسين / ٧٢) .

*** حساب الدرهم والدينار (علم ـ) :**

علم حسـاب الدرهم والـدينار هـو علم يتعرف منـه كيفية استخـراج المجهـولات العــددية التى تـزيـد عـدتها على المعـادلات الجبريـة ، ولهذه الـزيـادة لقبوا تلك المجهـولات بالدرهم والدينار والفلس وغير ذلك .

ومنفعته كمنفعـة الجبر والمقابلـة فيما يكثر فيـه الأجناس المعادلة ومن الكتـب المؤلفة فيه كتاب لابن فلـوس إسماعيل ابن إبـراهيم بن غـازى الماردينى الحنبلى المتـوفى سنـة سبع وثـلاثين وستمائة ، والـرسالـة المغـربية ، والـرسالـة الشاملـة للخرقى ، والكافى للكـرخى ومختصره للسموءل بن يحيى بن عبـاس المغـربى الإسـرائيلى المتـوفى سنـة ست وسبعين وخمسمائة . كـذا فى (إرشاد القاصـد) وكتاب لابن المحلى الموصلى . ومن المبسوطة فيه : الكافى والكامل لأبى القاسم ابن السمح .

(أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى حـ٢ ق ١ / ٢٩٢ ، ٢٩٣، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٣٧١) .

*** حساب الدور والوصايا (علم ـ) :**

علم حساب الدور والوصايا هـو علم يتعرف منه مقدار ما يـوصى به إذا تعلق بـدور فى بـادئ النظـر. مثالـه رجل وهب لمعتقه فى مرض موته مئة درهم لا مال له غيرها فقبضها ومات قبل موت سيـده وخلف بنتا والسيد المذكور ثـم مات السيد؛ فظاهر المسألة أن الهبة تمضى من المائة فى ثلثها، فإذا مات المعتق رجع إلى السيد نصف الجـائز بالهبة فيزداد مـال السيد من إرثه وهلم جـرا . وبهذا العلم يتعين مقدار الجائز بـالهبة . وظاهـر أن منفعة هذا العلم جليلـة ، وإن كانت الحاجـة إليه قليلة .

ومن كتبـه كتـاب لأفضل الديـن الخونجى . أقـول : هـذا العلم يؤول إلى علم الجبر والمقابلة ، وفيه تأليف لطيف لأبى حنيفة أحمـد بن داود الدينورى المتـوفى سنة إحـدى وثمانين ومائتين ، وكتـاب نافع لأحمد بن محمد الكـرابيسى، وكتاب مفيـد لأبى كامل شجـاع بن مسلم . ذكر فيـه كتاب الـوصايـا بالجزور للحجاج بن يوسف .

(أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى جـ٢ ق ١ / ٢٩٢، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٣٧٠، ٣٧١) .

انظر : حساب الفرائض (علم ـ) .

*** حساب الستين :**

من العنـاصـر الـرئيسيـة التى تكـون منهـا علم الحسـاب الإسلامى ، ويسمى أيضا حساب المنجمين .

يقول الدكتور أحمد سليم سعدان عن حساب الستين :

يبنى هذا الحساب على نظام للعد تقوم فيه الستون بالدور الذى تقوم به العشرة فى النظام العشرى الدارج .

ففى السلم العشرى تكون كل منزلة عشرة أمثال المنزلة التى دونها وعشر المنزلة التى فوقها .

وفى السلم الستينى تكون كل منزلة ٦٠ ميلا من المنزلة التى دونها و $\frac{١}{٦٠}$ من التى فوقها .

ففى السلم العشرى نتخذ العدد ٩٣٢ على أنه ٢ ×١ +٣×١٠+٩ × ١٠ ٢ .

وفى السلم الستينى نتخذه على أنه ٢ × ١ + ٣ × ٦٠ + ٩ × ٦٠ ٢ .

والمنزلة فى السلم العشرى قد يكون فيها أى رقم من الواحد إلى التسعة ، ولكن المنزلة فى السلم الستينى قد تحوى عددا ذا رقمين بين ١٠ و ٥٩ .

والنظام الستينى قديم ، استعمله البابليون، وعنهم أخذه الإغريق ، واستعملوه فى حساباتهم الفلكية ، أما فى شئون حياتهم العامة فقد آثروا أن يعبروا عن الأعداد الصحيحة بنظام العد الطبيعى ، أى العشرى، واستعملوا سلم الستين للتعبير عن الكسور. ثم هم أدخلوا على النظام البابلى تعديلين: فقد اتخذوا الإشارة Ō لتدل على الصفر، ولم يكن لدى البابليين إشارة خاصة به ؛ وقد استعاضوا عن الرموز المسمارية البابلية للأعداد بحروف من أبجديتهم .

ويبدو أن العرب وجدوا هذا النظام قائما فى العالم الذى بسطوا نفوذهم عليه . فقد استعملوا من قبل أن يتصلوا اتصالا مباشرا بالكتب الإغريقية ، وسموه حساب الستين، أو حساب الدرج والدقائق، أو طريق المنجمين ، والتسمية الأخيرة تشير إلى أن هذا النظام كان عند العرب أيضا خاصا بالفلكيين .

وقد سمى العرب المنازل الستينية من منزلة الآحاد نزولا: درجا ودقائق وثوانى ... إلخ .

وفى المخطوطات التى كتبها فلكيون نجد المنازل التى تلى منزلة الآحاد صعودا تسمى مرفوعات ، فمرفوع أول، ومرفوع ثانٍ (أو مثانى) ومرفوع ثالث (أو مثالث) ... إلخ .

وقد استعمل العرب الإشارة الإغريقية للصفر، وهى تظهر فى المخطوطات بأشكال شتى كلها مما ينجم عن كتابتها باليد على عجل . واستعملوا للدلالة على الأعداد حروف الأبجدية العربية بالترتيب المعروف بالجمل ، وهو :

أبجد ، هوز، حطى، كلمن ، سعفص، قرشت ، ثخذ، ضظغ . وهذا جدول بهذه الحروف ودلالاتها العددية :

أ ١	ى ١٠	ق ١٠٠	غ ١٠٠٠
ب ٢	ك ٢٠	ر ٢٠٠	
ج ٣	ل ٣٠	ش ٣٠٠	
د ٤	م ٤٠	ت ٤٠٠	
هـ ٥	ن ٥٠	ث ٥٠٠	
و ٦	س ٦٠	خ ٦٠٠	
ز ٧	ع ٧٠	ذ ٧٠٠	
ح ٨	ف ٨٠	ض ٨٠٠	
ط ٩	ص ٩٠	ظ ٩٠٠	

فإذا أرادوا أن يكتبوا ١٠ كتبوا ى ، وإذا أرادوا أن يكتبوا ١١ كتبوا يا .

وإذا أرادوا أن يكتبوا ١١١ كتبوا قيا ، وإذا أرادوا أن يكتبوا ١١١١ كتبوا غقيا .

وإذا أرادوا أن يكتبوا ٢٣٤٥ كتبوا بغشمه، حيث بغ تشير إلى الألفين .

وإذا أرادوا أن يكتبوا ٢٢ درجة و٣٠ دقيقة و٥٩ ثانية كتبوا كب ل نط .

وقلما وضعوا النقط على الحروف؛ وفى هذا ما فيه من لبس(انظر : حساب الجمل) .

ولم تصل إلينا رسالة عربية عن حساب الستين وحده ، ولكننا نجد سلمه العشرى فى كتب حساب اليد . ورسالة أصول حساب الهند لكوشيار تستهدف فى الثانية من مقالتيها استعمال الأرقام الهندية فى حساب الستين . وفى كتاب

التكملة فى الحساب لأبى منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادى (القرن ١١ م) فصل عن حساب الستين نجد فيه أثرا واضحا للحساب الهندى .

من هذا التراث نستنتج أن سلم الستين الكامل، للصحاح والكسور، كان استعماله قاصرا على الفلكيين، وكان هؤلاء يجرون بعض العمليات الحسابية عقليا، كما فى حساب اليد، ويستعينون فى بعضها بجداول لضرب الأعداد من ١×١ إلى ٥٩ × ٥٩ ، وجداول لتعيين منازل حاصل الضرب وخارج القسمة ، وهذه تقابل القانونين :

$$٦٠^{م} \times ٦٠^{ن} = ٦٠^{م+ن}$$

$$٦٠^{م} \div ٦٠^{ن} = ٦٠^{م-ن}$$

أما غير الفلكيين فيبدو أنهم لم يستعملوا هذه الجداول بل اكتفوا بحساب اليد (« رسالتان فى الحساب العربى » / ٤٣-٤٥) .

وقد جعله الكاشى فى « مفتاح الحساب » المقالة الثالثة، وأدرجه تحت عنوان « فى طريقة حساب المنجمين » ، وجعل المقالة تشتمل على ستة أبواب هى : الباب الأول : معرفة أرقامهم وكيفية وضعها ، الباب الثانى فى التضعيف والتنصيف والجمع والتفريق، الباب الثالث فى الضرب، الباب الرابع فى القسمة ، الباب الخامس فى استخراج الضلع الأول من المضلعات ، والباب السادس فى تحويل الأرقام الستينية إلى الهندية .

وقد جمع الموسوى القزوينى معظم هذه الأبواب فى مقدمة منظومته فى الحساب فقال :

الجمع ضم عدد إلى عدد
والطرح أن تنقصه عما ورد
وسمة التضعيف أن يكرر
بمرة من مثله لا أكثر
والضرب أن تزيده تكرارا
بعدة من غيره مرارا
ويعرف التنصيف والتقسيم
بأن يجزى العدد المعلوم
جزئين فى ذا متساويين
وذاك فى أكثر من جزئين

(منظومة شعرية فى الحساب / ٦٢) .

وقبل أن نتطرق إلى الأبواب المذكورة آنفا ننقل ما أورده محققا كتاب « مفتاح الحساب » عن ماهية وتاريخ الحساب الستينى، وهو كما يلى مع ملاحظة أن الكاشى قد أدرجه تحت عنوان « حساب المنجمين » :

يرمز الكاشى للصفر فى النظام الستينى بالرمز δ وهذا الرمز انحدر من علامة الصفر عند علماء العصر الهلينى، الذين استخدموا الكسور الستينية فى حساباتهم الفلكية وكانوا يكتبون أرقامهم مستخدمين حروف لغتهم من ١ إلى ٥٩ ، وعندما كانوا يريدون الدلالة على أن الحرف يدل على رقم كانوا يضعون شرطة فوقه، وكان الصفر فى الكسور الستينية يكتب هكذا ō (أو ميكرون) حيث أن هذا الحرف هو أول حروف الكلمة الإغريقية التى تعنى « لا شيء » ثم تحورت هذه العلامة إلى δ ، وفى هذا النظام كانت لا توجد رموز للتعبير عن الرقم ٧٠ فى الكسور الستينية .

أما النظام الستينى للكسور والأعداد الصحاح المبنى على استخدام علامتين مركبتين للواحد الصحيح والعشرة فقد ظهر فى بابل منذ أكثر من ألفى عام قبل الميلاد .

ولقد كان هذا النظام نظاما غير كامل نظرا لعدم وجود علامة للدلالة على الصفر ، وبناء على ذلك فإن الرمز ١٢ ، ٢٥ حسب طريقتنا الحالية يمكن أن تدل فى ذلك النظام على العدد $١٢ \times ٦٠^{ن} + ٢٥ \times ٦٠^{م}$ حيث م ، ن أى عددين صحيحين (ولكن م> ن) ، أما القيم المطلقة للأرقام فكان يحددها النص المرافق .

وحوالى منتصف الألف سنة الأولى بعد الميلاد ظهرت علامة الصفر لتدل على خلو إحدى الخانات، وهكذا أصبح الرمز ١٣ ، ٥ ، ٢٥ يدل على $١٢ \times ٦٠^{ن} + ٢٥ \times ٦٠^{ن+٢}$

وفى العصر الهلينى استخدم الرياضيون كسورا ستينية أيضا غير أنهم كانوا يكتبون الأعداد الصحاح مستخدمين فى

كتابتها النظـام العادى (شبه العشرى) المتبع لـدى الإغريق، وهذه الطريقة المختلفة فى كتابة الصحاح، والكسور هى التى اتبعها كل من بطليمـوس وتيمون الإسكندرى، كما نـرى هذه الطريقة (مع استخدام رموز وأصفـار أخرى) مستخدمة لدى كل من محمـد الخـوارزمـى ويـوحنـا الإشبيلى، أمـا النظـام الستينى المـوحد بـالنسبة للصحـاح والكسور فمـرده للعلماء العـرب، وممـا لا شك فيـه أن هـذا النظام قـد ظهـر كنتيجـة للتحليل الـواعى والدراسـة المنطقيـة للأفكـار التى وردت فى الحساب الهندى والتى قام بها محمد الخوارزمى، وكذا دراسة النظـام الستينى القـديم الذى كـان منتشـرا فى المنـاطق التى كانت تابعة فى يوم ما لمملكة بابل .

وأقدم وصف لهـذا النظام الستينى الموحد نـراه قد ورد فى الجزء الثانى من الـرسالة الصغيرة المسمـاة « أصول الحسـاب الهندى » لمـؤلفها قشيار بن لبـان الجيلى المولـود فى جيلان (جنوب البحـر الكسبى) والـذى عاش نحـو ٩٧١ ــ ١٠٤٢ ميلادية .

وفى كتاب الجيلى نرى الرقم ٣٧ (ثانية) ، ٨ ، ١٦ ، صفر ، ٤٣ تعنى .

٤٣ × ٦٠^٢ + صفر × ٦ + ١٦ × ٦٠^صفر + ٨ × ٦٠^-١ + ٣٧ × ٦٠^-٢ أمـا الأرقام من ١ إلى ٥٩ فكانت تكتب حسب الجدول الـذى أوردناه فيما سبق من أرقام الجمل، وكـان هذا الـرقم يقرأ فيمـا بعد كمـا هو متبع لـدى الكاشى على النحـو التالى ٤٣ مـرفوعـة مرتين، صفـرا مرفـوعا، ١٦ درجـة وثمان دقائق وسبع وثلاثون ثانية .

وبـالمثل نـرى أن الكـاشى كـان يستخـدم الـدرجـات التصاعدية والتنازلية للعدد الستينى .

أما لدى الخوارزمى ويوحنا الإشبيلى فلم تكن هناك حاجة للخانات المرفوعة، حيث إن الأرقام الصحاح كان يعبر عنها بالنظام العشرى الذى آحاده درجات .

ولا شك أن استخدام هذا النظام الموحد (رغم صعوبته) كـان له أثـر كبيـر فى وضع أسس المنطق الـريـاضى ونظريـة الأعـداد مما كـان له بعـد ذلك فضل استخدام النظم الأخـرى والتى ثبتت قيمتها العملية فى عصرنـا الحالى إذ يستخدم عدة نظم مثل النظام الثنـائى (أى الذى أساسـه اثنين) على نطاق واسع فى الآلات الحاسبة الإلكترونية ــ النوع الرقمى ـ وكذلك تستخـدم النظم الثمانيـة والأربع والستينيـة فى تـرجمة الأرقـام الثنائية التى تتعامل بها هذه الآلات .

انظـر ــ حل المسـائل الهندسيـة على الآلات الحـاسبـة الرقمية ـ باللغة الروسية .

تأليف كاجان ــ ترميكائيليان ــ مطبعة الطاقة ــ موسكو ـ لينتجراد ١٩٦٤ . فى نظرية الأعداد انظر كذلك .

الجبر العالى ـ تأليف هول، نايت ـ الترجمة العربية ـ وزارة المعارف العموميـة ـ الجزء الثالث ـ المطبعـة الأميرية ١٩٢٦ ص ٣٧٣ وما يليها .

ولقـد أورد الجيلى فى رسالتـه جدول الضـرب حتى ٥٩ × ٥٩ الذى يجب أن يحتفظ بـه الحُسَّـاب فى حـوزتهم ، ذلك أن تذكـر حواصل الضرب الـداخلة فيه وعـددها ٥٩ × ٣٠ = ١٧٧٠ حـاصـلا ليس بمستطاع فى حين أن جـدول الضـرب العشرى يحتاج لتذكر ٩ × ٥ = ٤٥ حاصلا وهو أمر هين .

ويتكلم الكـاشى عن هـذا الجـدول فى البـابين الثـالث والـرابع من المقالـة الثـالثة من « مفتـاح الحساب » ، ويـورد الجيلى أيضا قواعد تحديـد منازل (درجات) حاصل الضرب على الأساس الستينى المـوحد وكـذلك ناتج القسمـة (كانت هذه القواعـد موجودة أيضا لدى الخوارزمى ، غيـر أنها كانت خاصة بالجزء الكسـرى فقط حيث أن الصحاح كانت عشرية النظام) .

انظر ــ الرسالة الحسـابية لمحمد بن مـوسى الخـوارزمى ـ باللغة الروسية .

أعمال معهـد تاريخ العلـوم والمعارف التكنيكية ــ الجزء الأول ـ ١٩٥٤ .

تأليف يوسسكيفتش ـ ص ٢١٢ .

أما خواص وقواعد حساب المتوالية الهندسية الناتجة عن استخـدام هذه الكسـور فتـرجع إلى أرشميدس ، وقـد وردت

هـذه القواعـد أيضا فى مفتـاح الحسـاب فى البابين الثـالث والرابع من المقالة الثالثة .

ونرى كذلك أن الجيلى رغم أنـه قام بحساباتـه مستخدما النظـام الستينى المـوحـد عنـدمـا يقـوم بـالضـرب والقسمـة واستخـراج الجـذر التـربيعى فإنـه عنـدمـا يستخـرج الجـذر التكعيبى فإنه يستخدم النظام العشرى .

ولا ينسب الجيلى إلى نفسه إنشاء النظام الستينى الموحد رغم أنـه لـلآن لم يكتشف أى نص لأى مـؤلف قبل الجيلى استخدام النظام الموحد .

ومن المرجح أن النظـام الستينى الموحد كـان مقصورا فى استخدامه على الحسابات الفلكية وحدها ، ويعزز هذا الرأى ما قرره النسوى ـ تلميذ الجيلى ـ فى مقدمة مؤلفه « الكفاية فى الحسـاب الهندى » أن كتـاب الجيلى هو مـؤلف موضـوع فى مسائل الفلك .

ولا نجـد أى شىء يتعلق بـالنظـام الستينى المـوحـد فى المـؤلفات التى ظهـرت فى الفترة بين الجيلى والكـاشى والتى امتدت نحـو أربعة قرون ، ولا يظهر هـذا النظام إلا فى بعض المؤلفات الرياضية العربيـة المنسوبة إلى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى . من كل هذا ومن كتاب الكاشى نفسه يمكن افتراض أن هذا النظـام الموحد كان مقصـورا على الاستخدام فى علم الفلك .

ولذا نجد أن الكثير من الـرياضيين الأوروبيين يستخدمون النظام الستينـى فى حساباتهـم فى الفترة الممتدة حتـى القرن السادس عشر ـ استخدمه فينة فى ١٥٥٥ .

ونلاحظ أن الكاشى لا يستخدم ألفاظ « منازل » و « أبراج » ... إلخ ممـا لا يتسق مع وحدة وبسـاطـة الاستخدام للنظـام الستينى إلا فى القليل النـادر ــ مثل وصفـه لعملية الضـرب ـ مقتـرحـا تحـويل أرقـام هـذه الخـانـات إلى النظـام الستينى العادى .

وننقل فيمـا يلى بعض مـا جـاء فى الأبـواب التى ذكـرهـا الكـاشـى ، مع إدخـال مـا ورد فى كل منهـا من نظـم فـى مواضعـه :

١ ـ الباب الأول : فى معرفة أرقامهم وكيفية وضعها :

أرقام أعدادهم على ترتيـب حروف أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ وهى ثمانية وعشرون حرفا ، تسعة آحاد وتسعة عشرات ، وتسعة مئات وواحد ألف .

وتركيب باقى الأعداد من هذه الحروف، فتقدم الأكثر على الأقل ، وإذا تكرر عدد الألوف قدم عددها على حرف الغين ، وهو معروف بحساب الجمل ، مشهور مستعمل فى الزيجات وسـائر كتبهم فى العمل ، ولا يوضـع نقط الباء والجيم والـزاء والياء ولا يتم بدون الجيم ليتميز عن الحاء [٥٠] .

واعلم أن محيط الـدائرة يجـزون بثـلاثمـائة وستين قسمـا متساويـة ، ويسمون كل قسم درجة ، وكل ثـلاثين درجة من دائرة البروج تسمى برجا ، وهكذا فى الدوائر التى فى مفهومها حركـة تجوزا سوى معدل النهـار ، فيكون كل اثنى عشر بـرجا دورا ، ويقسمون كـل درجة بستين قسمـا متساويـة ، يسمون الدقائق وكل دقيقة بستين ثانية ، وكل ثانية بستين ثالثة ، وكل ثالثة بستين رابعة ، وهكذا إلى ما لا نهاية له .

والدرجـات إما توضع بتـركيب الحروف كما ذكـرنا ، وإذا جاوزت عن ثلاثمـائة وستين تطرح عنها ، وإما تـوضع ما كان أقل من بـرج ، ويـرفعون البـروج إلى يمين الـدرجـات ، وإذا جاوزت البروج عن اثنى عشر يطرحون عنها فى أكثر الحال .

ويضعـون الدقـائق على يسار الـدرجات ، والثـوانى على يسـار الدقـائق ، وعلى هذا بـالغا مـا بلغ فى جانب النـزول ، ونجعل هذا فى جانب الصعود ، يرفعون فى محاسباتهم لكل ستين درجـة أو غيـرهـا من الأعـداد الصحـاح بـواحـد تسمى بالمرفوع مرة .

ويـرفعون لكل ستين من المـرفـوع مرة إلى المـرفوع مـرتين وبعدهـا على الولاء ، وبـالمرفـوع ثلاث مرات ثـم أربع مرات وهكذا .

وبعضهم يسمونهـا بالمرفـوع والمثانى والمثـالث والمرابع إلى ما لا نهاية له .

ومواضعها فى الكتابة على يمين الدرج على الولاء .

فكما أن فى الحساب بالأرقام الهندية يرفع بكل عشرة إلى

اليسار ، فهاهنا يرفع بكل ستين إلى اليمين وكما أن هناك يسمى أول مراتب الصحاح بالآحاد ، فهاهنا يسمى بالدرج باسم المكان ، وكما أن سلسلة « ٦٩ » المراتب هناك كانت واحدة فهاهنا سلسلتان إحداهما فى جانب الصعود والأخرى فى جانب النزول ، والدرج وسط بين السلسلتين ، ونحن جعلناك هناك أيضا سلسلتين .

فمراتب المتسلسلتين كلها متوالية على نسبة واحدة ، ويضعون فى كل مرتبة لا يكون فيها العدد صفرا لئلا يتخلل ، وإذا وضعوا الأرقام فى الجدول يكتبون أسامى كل مرتبة فوق الجدول بإزاء تلك المرتبة ، وإلا يعينون أولى المراتب أو آخرتها ليتعين البواقى ، إلا إذا كانت القرينة دالة عليها .

ويسمى مفردا ما كان فى مرتبة واحدة فى أى متسلسلة كان ، ومجردا ما كان عقده واحدا ومركبا ما كان فى مرتبتين أو أزيد .

٢ ـ الباب الثانى : فى التصنيف والتضعيف والجمع والتفريق :

(أ) التضعيف (يأتى النظم عن التضعيف فيما بعد) :

أما التضعيف فنضع الأرقام ونبدأ من اليسار ونضعف ما فى كل مرتبة بصورته ، ونضع الحاصل تحته إن كان من الستين ، وإلا فما زاد عليه نرفع الستين بواحد إلى حاصل تضعيف ما فى يمينه ، ويكون رفع الدرجات إلى البروج بكل ثلاثين درجة .

مثال :

أردنا أن نضعف سبعة بروج وثمانى عشرة درجة ، واثنتين وعشرين دقيقة وتسع ثوان وثلاثا وخمسين ثالثة ، وضعناه هكذا فى الجدول .

بروج	درجات	دقائق	ثوان	ثوالث
ر	يح	كب	ط	نحـ
حـ	و	مد	نط	مو

ج ١

ولو نخط بين كل مرتبتين خطا فهو أولى ، فبدأنا من اليسار وضعفنا نحـ حصل ا مو ، وضعنا مو نخط نحـ وحفظنا للرفع فى الذهن ، ثم ضعفنا ط حصل يح زدنا عليه الواحد المحفوظ فى الذهن حصل ط وضعناه تحت ط ، ثم ضعفنا كب صار مد وضعناه تحت كب ، ثم ضعفنا يح وهو درج فرفع برجا وبقى وضعناه تحت يح ، وضعفنا ر البروج ، وأسقطنا الدور من الحاصل بقى ب زدنا عليه الواحد الذى حصل «٧٠» بالرفع بلغ حـ وضعناه تحت ر فما حصل تحت العدد فهو المطلوب .

(ب) التنصيف :

وأما التنصيف فبدأنا من جانب اليمين وننصف ما فى كل مرتبة ، ونضع نصفه تحته إن كان زوجا وإلا الصحيح من النصف ، ويحفظ لكسر النصف الذى مع الصحيح إن كان برجا خمسة عشر فى الذهن وإلا يحفظ ثلاثين فى الذهن حتى إذا ننصف ما فى يساره نزيد المحفوظ على نصفه إن كان فى يساره عدد وإلا نضع المحفوظ تحت يساره .

مثاله هكذا :

ز	يح	كب	ط	نحـ	
حـ	كد	ىا	د	نو	ل

ج٢

وأما الجمع فإن كان المزيد والمزيد عليه غير متفقين فى واحد من المراتب ، نضع ما كان مراتبه أعلى مراتب الآخر على يمينه ، ونربط بينهما بالأصفار إن احتيج إليها وهو ظاهر ، وإن كانا متفقين فى المراتب أو فى بعضها نضعهما بحيث يكون البروج حذاء البروج والدرج حذاء الدرج ، وكذا كل مرتبة حذاء جنسها ، ثم نبدأ من الجانب الأيسر ، ونزيد ما فى مرتبة على ما تحاذيه ، ونضع الحاصل تحتهما إن كان أقل من الستين ، وإلا فما زاد عليه ، ونرفع الستين بواحد إلى اليمين كما ذكرنا فى التنصيف ، ونخط بينهما وبين الحاصل خطا للتمييز :

مثاله هكذا :

أسامي المراتب	بروج	درجات	دقائق	ثواني
العددان اللذان نريد أن نجمعهما	د ط	كه يه	م كب	يح حـ
الحاصل	ب	ما	ب	كا

ح٣

مثال آخر فى الأعداد الكثيرة هكذا :

أسامي المراتب	مرفوع مرتيب	مرفوع مرة	درجات	دقائق	ثواني
الأعداد التى نريد أن نجمعهما		كـ مب ل	يح ن يز	م مح يو	نا لو ے
الحاصل	أ	لحـ	كو	مه	لز

ح٤

مثال آخر فيما لا يرفع الدرج إلى البروج هكذا :

مرفوع مرتين مرفوع من درجات

علامات المراتب	درجات المطالع	دقائق	ثواني	ثوالث
العددان اللذان نريد أن نجمعهما	قضب رعد	يح كـ	ما يحـ	ل م
الحاصل	قو	لح	نه	ے

ح٥

حاشيـة : أقول وتصحيح الجدول الذى الـدرج لم ترفع، أن نجمع ل م فيصير ا ب ، فوضعنا ے تحتـه وحفظنا الواحد للرفع، ثم جمعنا ما يحـ وزدنا عليه الواحد المحفوظ فصار نه، فجمعنا يح كـ فصار لح ، فجمعنا ب د فصـار و ، ثم جمعنا ص ع فضـار ق س ثم جمعنـا ق ر فصـار ق ش، وصـورة المجموع هكـذا ق س ق ش و وإذا أسقطنا الـدور شس يبقى قو وهو الذى رقمه فى سطر الحاصل (مفتاح الحساب / ٢٨٩ - ٢٩١) .

قال الموسوى القزوينى فى منظومته ، المشار إليها آنفا ، عن التنصيف :

ابـــدء بمـــا على اليســار إن تــرد
تنصيف أى عـــدد ممـــا تجـــد
وضـع لكـلٍّ نصفـــه مـــا تحتـــه
إن كـــان زوجـــا فيـــه مـــا نصَّفتـــه
وإن يكـن فـــردا فخـــذ صحيح مـــا
فـى نصفـــه وارسم كمـــا تقـــدمـــا
واحفـظ لكســـر النصف خمســـة تضم
لنصـف مـــا على يمينـــه ارتسم
فـإن خـــلا اليميـن أو مـــا وجـــدا
فيـــه يكـــون واحـــدا لا أزيـــدا
فـــارسم بـــه الخمســـة عينـــا وإذا
تنصف الـــواحـــد فـــاعمـل هكـــذا
وارسـم علـى مخـــرجـــه إذا فضـل
لـــديك كســـرحين ينتهـى العمـل

(حـ) التفريق :

يقول الكاشى : وأمـا التفريق فنضع العددين كمـا ذكرنا ، ونبدأ من الجانب الأيسر وننقص ما فى كل مرتبة من المنقوص عما يحاذيـه من المنقوص منه، وإن لم يمكن « ٧١ » نقصان ما فى مرتبـه عما يحاذيه نأخذ واحـدا مما فى يمين المنقوص منه فيكـون بالنسبـة إلى تلك المرتبة ستين فننقصـه منه ونـزيد الباقى على المحاذى من المنقوص منه .

مثاله :

أردنا أن ننقص هذا العدد د كب ما مح ثانية عن هذا ح ط حـ ن ثانية .

وضعناهما كما ذكرنا ، وبدأنا من اليسار ، ونقصنا مح عن ن بقى ب وضعنـاه تحتـه ، ولما لم يمكـن نقصان بـا من حــ أخذنا عن ط واحدا كان ستين بالنسبة إلى مرتبة حـ و نقصنا ما منه ، وما بقى زدنا عليه حـ نب وضعناه تحت حـ ، ولا يمكن نقصان كب عن ح .

الباقى أخـذنا من البـروج واحدا كـان ثلاثين درجـة نقصنا كب منه ، وما بقى زدناه على ح الباقى عن ط صار يو وضعناه تحت ط ثم نقصنا د عن ر الباقى من البـروج بقى حـ وضعناه تحت ح هكذا .

أسامي المراتب	بروج	درجات	دقائق	ثواني
المنقوص والمنقوص منه	د ح	كب ط	ما حـ	مح ن
الباقي	حـ	نو	نب	ب

وإن لم يكن المنقوص والمنقوص منه متفقين في المراتب أو في بعضها ، ننقص من آخر مراتب المنقوص منه واحدا، ونضع على يساره نط واحدا بعد واحد إلى أن يبلغ إلى مرتبة يكون آخر مراتب المنقوص ، فنضع هناك س ، ثم ننقص المنقوص من المنقوص منه .

ومن يقدر على هذه الأعمال لم يحتج إلى وضع الأعداد، ووضع الحواصل تحتها أو فوقها بل ينظر إلى الجداول التي فيها الأعداد، ويضع الحواصل في جداول أخرى، لكن للمبتدئين والمتعلمين هكذا أسهل، فلهذا بسطنا الكلام فيها (مفتاح الحساب/ ١٠٦ ، ١٠٧) .

يقول عن التفريق الموسوي القزويني في منظومته المشار إليها آنفا :

ضع تحت كل مثله إذا وجد
وضع به صفرا إذا منه فقد
وفرق المنقوص إما تلا
أو كان للمنقوص منه مثلا
وان يزد فاطرح من المنقوص ما
بقدر المنقوص منه رسما
وما من المنقوص بعد ذا فضل
فاستثنه من بعد إتمام العمل
أما إذا المنقوص منه جاءا
بصورة بها ترى استثناءا
فاجمع لذاك الفضل ما يستثنى
فيه وصيره معا مستثنى
وإن يك المنقوص وحده ورد
مستثنيا فيه من الجنس عدد
فكل ما استثنى فيه وضعا
يضم للمنقوص منه جمعا
ففيه جبر للذى منه سقط
بقدر ما زيد على الثانى فقط
وبعد ذا تجرى به ما مرا
من عمل به القياس يجرى
على إذا استثنى فيهما معا
تفعل ما مر عليك أجمعا

د ـ الجمع :

كما يقول عن الجمع :

حاصل جمع بعضها لبعض
ترسمه ما تحت خط عرضى
مراعيا فيها على القياس
حكم المحاذاة من الأجناس
واجمع لكل مثله إذا اتفق
واعطف إذا ما اختلفت عطف النسق
والزائد ارسمه بجمع منفرد
ومثله الناقص كيفما وجد
واستثن ما يفضل بعد أن يحط
ما اشتركا فيه من الجنس فقط

(منظومة شعرية/ ٧٣ ، ٧٤).

ويقول عن الجمع والتضعيف :

ارسم لدى الجمع سطورا ما ورد
مراعيا فيها مراتب العدد
وضم كل عدد منها إلى
ما في محاذيه وخذ ما حصلا
وانقل لسطر الجمع عين ما تجد
منه إذا كان محاذيه فقد
وارسم به حاصل ذاك الضم
مخصصا آحاده بالرسم

واحفظ لـــديك واحـــدا ممـــا حصل
لكل عشـــرة فـــذا عنهـــا بـــدل
وزده فـى المـــــرتبــــــة التى تلى
وهكـــــذا إلى انتهـــــاء العمل
فإن خلت عن عـــــدد منهـــا فضع
صـــورتـــه عينـــا بسطـــر مـــا اجتمع
وهكـــــذا تعمل فى ســـــواهـــــا
مـــرتبـــة مـــرتبـــة تـــرعـــاهـــا
مبتــــــــدئا من اليمين فيـــــه
ومثل ذا تضعيف مـــــا تبغيـــــه
فـــاجمع إلى أمثـــالهـــا المـــراتب
فيـــــه ورسم المثل غيـــــر واجب

(منظومة شعرية / ٧٣ ، ٧٤ ، ٦٣) .

ونكتفى بمـا ذكرنـاه من البـابين الأول والثانى من حسـاب الستين كما أورده الكاشى فى « مفتاح الحساب » ويمكنك إن شئت الاستزاده الرجوع إلى المصدر ص ١١٣ ـ ١٢٨ .

(« رسالتان فى الحساب العربى » ـ تحقيق د. أحمد سليم سعدان . مجلة معهـد المخطوطات العربيـة ، جامعة الدول العـربية . م ١٣ جـ ١ ربيع الأول ١٣٧٨ هـ ـ مايو ١٩٦٧ م / ٤٣ ـ ٤٥ ، ومنظومة شعـرية فى الحساب للسيد محمد حسين الموسوى القـزوينى ـ إعداد وتصويب ونشر نورى محمد حسين / ٦٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٦٣ ، ومفتـاح الحساب لجمشيد غياث الدين الكـاشى ـ تحقيق وشرح الأستاذ أحمد سعيـد الدمرداش ود. محمـد حمـدى الحفنى الشيخ / ٢٨٩ ـ ٢٩١ هـامش ٥١ للمحققين ، ١٠٣ ـ ١٠٧) .

*** الحساب (علم ـ) :**

يعـدد صـاحب مفتاح السعـادة هـذه الفـروع وهى : علم الجبر والمقابلة (انظـر فى موضعه) علم حساب الخطأين ، علم حساب الدور والوصايا ، علم حساب الدرهم والدينار ، علم حسـاب الفرائض ، علم حسـاب الهواء ، علم حسـاب العقود ، ونـوردها تحت عناوينها مع تأخيـر لفظ « علم » كما تعودنا ، وعلم أعداد الوفق وقد أوردناه فـى حـرف الألف فـى م ٥ / ٣١١ ، ٣١٢ ، وعلم خواص الأعداد المتحابة ويأتى فى حـرف الخـاء إن شـاء الله تعـالى وعلم التعـابى العـدديـة فى الحروب وقد أوردناه فى مادة « التعبئة فى العسكرية الإسلامية » م ٩ / ٥٣٣ ـ ٥٤٩ .

وقد أورده القنوجى فجمع بين ما جاء فى مفتاح السعادة ، وكشف الظنون ، ومدينة العلوم ، ومقدمة ابن خلدون فقال .

علم الحساب هـو علم بقواعـد تعرف بها طـرق استخراج المجهولات العددية من المعلومـات العددية المخصوصة من الجمع والتفـريق والتضعيف والضـرب والقسمـة والمـراد بالاستخراج معرفة كمياتها .

ومـوضوعـه العدد ؛ إذ يبحث فيـه عن عوارضـه الذاتيـة ، والعدد هـو الكمية المتألفـة من الوحـدات ، فالـوحدة مقـومة للعدد ، وأما الواحد فليس بعدد ولا مقوم له . وقد يقال لكل ما يقع تحت العد فيقع على الواحد .

ومنفعته ضبط المعـاملات وحفظ الأمـوال وقضاء الـديون وقسمة المـواريث والتركات وضبـط ارتفاعات الممـالك وغير ذلك ، ويحتاج إليه فى العلوم الفلكيـة وفى المساحة والطب وقيل : يحتـاج إليه فى جميع العلـوم بالجملـة ، ولا يستغنى عنـه ملك ولا عـالم ولا سـوقة ، وزاد شـرفـا بقـوله سبحـانـه وتعالى : ﴿ وكفى بنـا حـاسبين ﴾ [الأنبيـاء : ٤٧] وبقولـه تعالى : ﴿ ولتعلموا عـدد السنين والحساب ﴾ [يـونس : ٥] وقولـه تعالى : ﴿ فـاسأل العـادين ﴾ [المـؤمنـون : ١١٣] ولذلك ألف فيه الناس كثيرا ، أو تـداولوه فى الأمصار بالتعليم للولـدان . ومن أحسن التعليم عند الحكمـاء الابتداء بـه لأنه معارف متضحـة وبراهينـه منتظمة فينشأ عنه فـى الغالب عقل مضىء يـدل على الصـواب ، وقـد يقال : إن من أخـذ نفسـه بتعلم الحساب أول أمره يغلب عليـه الصدق لما فى الحساب من صحة المبانى ومنافسة النفس فيصير له ذلك خلقا ويتعود الصدق ويلازمه مذهبـا ، وهو مستغلق على المبتدئ إذا كان من طريق البرهان .

وهذا شأن علوم التعاليم لأن مسـائلها وأعمالها واضحة ، وإذا قصـد شـرحها وهـو التعليل فى تلك الأعمـال ظهـر من

العسر على الفهم ما لا يوجد فى أعمال المسائل . وهو فرع علم العدد المسمى بالأرتماطيقى (انظره فى م ٣ / ٥٥٩ ـ ٥٦١) وله فروع أوردها صاحب « مفتاح السعادة » بعد أن جعل علم العدد أصلا وعلم الحساب مرادفا له مع كونه فرعا حيث قال : الشعبة الثامنة فى فروع علم العدد ، وقد يسمى بعلم الحساب فعرفه بتعريف مغاير لتعريف علم العدد . قال فى (مدينة العلوم) : ولعلم الحساب فروع منها علم حساب التخت والميل وهو علم يتعرف منه كيفية مزاولة الأعمال الحسابية برقوم تدل على الآحاد وتغنى عما عداها بحفظ المراتب، وتنسب هذه الأرقام إلى الهند انتهى .

وقال صاحب الكشف : بل هو علم بصور الرقوم الدالة على الأعداد مطلقا ، ولكل طائفة أرقام دالة على الآحاد كالأرقام الهندية والرومية والمغربية والإفرنجية والنجومية وغيرها . ويقال له : التخت والتراب أيضا انتهى (فى كشف الظنون ١ / ٦٦٣ » التخت « بالحاء المهملة ، وكذلك فى مفتاح السعادة ١ / ٣٦٨) .

ونفع هذا العلم ظاهر؛ ولابن الهيثم كتاب برهن فيه بمعرفة أصول أعماله ببراهين عددية لما فيه من تسهيل الأعمال الحسابية . ومن الكتب الشاملة فيه كتاب نصير الدين الطوسى ، وكتاب البهائية وشرحه، وكتاب المحمدية لعلى القوشجى وغير ذلك من الكتب التى لا تحصى . ولأهل المغرب طرق ينفردون بها فى الأعمال الجزئية من هذا العلم فمنها قريبة المآخذ كطرق ابن الياسمين ، ومنها بعيدة كطرق الحضار. كذا فى المدينة .

(أبجد العلوم جـ ٢ ق ١ / ٢٨٩ ـ ٢٩١) .

لقد أولى علماء المسلمين العمليات الحسابية اهتماما كبيرا ، إذ أنهم اعتبروا علم الحساب من أهم العلوم التى يحتاج إليها فى المعايش اليومية والمعاملات والمبادلات التجارية وقسمة الإرث وما إلى ذلك من أمور، وقد وردت كتابات كثيرة فى التعريف بعلم الحساب وفضل هذا العلم وعظم نفعه ، وتشتمل عمليات الحساب الأساسية على عمليات التضعيف والجمع والطرح والضرب والتنصيف والتفريق والقسمة ، كما أن عمليات الحساب هذه يمكن إجراؤها على الأعداد الصحيحة ، فتعرف بحساب الصحاح، كذلك يمكن إجراؤها على الكسور فتعرف بحساب الكسور .

وسنشير هنا بإيجاز إلى مفهوم العرب للعمليات الحسابية عموما :

التضعيف هو زيادة مثل العدد ، أى أن تضرب العدد فى اثنين .

الجمع أو الضم : هو ضم عدد إلى عدد أو أكثر ليعبر عن الحاصل بجملة واحدة .

الطرح : هو رمى أو إلقاء أو إسقاط عددمن عدد مرة أو أكثر، عرفه ابن البناء المراكشى (١٢٥١ ـ ١٣٢١ م) بقوله هو طلب الباقى بعد إسقاط أحد العددين من الآخر .

الضرب : هو تضعيف أى تكرير أحد المضروبين بعدة آحاد الآخر، وعملية الضرب على أنواع ، فمنها ضرب بتنقيل، وضرب بلا تنقيل ، وضرب بنصف تنقيل .

التنصيف : هو أخذ نصف العدد، أى أن تقسم العدد الذى تريد تنصيفه على اثنين .

التفريق أو القسمة : هو حل المقسوم إلى أجزاء متساوية، عدتها كعدة آحاد المقسوم عليه ، وهى نوعان : أحدهما القمسة على غير مجانس ، كقسمة دراهم على رجال، والغرض من هذا النوع معرفة ما يخص الواحد منهم ، والنوع الثانى القسمة على مجانس كقسمة دراهم على دراهم، والغرض منه معرفة نسبة أحد المقدارين إلى الآخر. قسمة القليل على الكثير تلقبها المغاربة بالتسمية لتسمية القليل من الكثير .

هذا وقد فرق علماء المسلمين بين إجراء عمليات الحساب بطريق التدوين وبين إجرائها عملا بالفكر دون تدوين ، فسموا النوع الأول « حساب التخت أو الغبار » وسموا النوع الثانى « بالحساب الهوائى » فالنوع يقصد به الحساب المكتوب حيث يستعمل الورق أو التخت يفرش عليه رمل أو غبار، ومن هنا جاءت تسميته بالغبار، وأما النوع الثانى فهو

الحساب الذهنى الذى يتم بإعمال الفكر دون استخدام القلم، ويسمى أيضا « بالحساب المفتوح » .

ونسوق فيما يلى بعض الكتابات العربية التى تعرف بعلم الحساب وتشيد بفضله وعلو نفعه .

وعن التعريف بعلم الحساب وفضله يقول المؤلفان :

يقول ابن خلدون فى الفصل الرابع عشر من مقدمته : «فى العلوم العددية » معرفا بعلم الحساب :

« ومن فروع علم العدد صناعة الحساب .

وهى صناعة علمية فى حساب الأعداد بالضم والتفريق : فالضم يكون فى الأعداد بالإفراد وهو الجمع .

وبالتضعيف تضاعف عددا بآحاد عدد آخر، وهذا هو الضرب .

والتفريق أيضا يكون فى الأعداد إما بالإفراد مثل إزالة عدد من عدد، ومعرفة الباقى، وهو الطرح .

أو تفصيل عدد بأجزاء متساوية تكون عدتها محصلته، وهو القسمة .

وسواء كان هذا الضم والتفريق فى الصحيح من العدد أو الكسر.

ومعنى الكسر نسبة عدد إلى عدد، وتلك النسبة تسمى كسرا .

وكذلك يكون بالضم والتفريق فى الجذور، ومعناها العدد الذى يضرب فى مثله ، فيكون منه العدد المربع ، فإن تلك الجذور أيضا يدخلها الضم والتفريق .

وهذه الصناعة حادثة احتيج إليها للحساب فى المعاملات، وألف الناس فيها كثيرا، وتداولوها فى الأمصار بالتعليم للولدان . ... »

ويقول الشيخ عبد الله الشنشورى فى شرحه على كتاب «الوسيلة فى علم الحساب » لابن الهائم (مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب رقم ١٢٤٢ ، الصحيفة ٣) .

« علم الحساب هو مزاولة الأعداد بنوعى التفريق والجمع، وقال بعضهم هو عبارة عن كيفية استخراج المجهولات العددية من معلوماتها ، وهو قسمان : الأول حساب المعلوم ، والثانى حساب المجهول .

وإنما كان علم الحساب على قسمين، لأنه إما أن يكون الغرض منه معرفة المجهولات من المفروضات المعلومات كلها ابتداء، أو يكون الغرض منه معرفة المجهولات من المفروضات المعلوم بعضها والمجهول بعضها الآخر، إذا كانت بينها وصلة تقتضى ذلك .

فالقسم الأول ويسمى بالمعلوم وبالمفتوح أيضا نوعان ، لأنه إما أن يكون محسوبا بالفكر من غير قلم ، فهو العلم الهوائى ، وإما أن يكون محسوبا بالقلم بوضع أشكال هندية أو غبارية ، فهو علم الغبار، ورسموه بأنه علم يعرف منه كيفية مزاولة الأعمال الحسابية وسرعتها بوضع الأشكال الهندية أو الغبارية .

والقسم الثانى ويسمى بالمجهول نوعان أيضا ، لأنه إما أن يفرض فيه المجهول مبهما كالشىء والمال والكعب وغيرها، أو لا يفرض فيه كذلك ، فإن كان الأول فهو علم الجبر والمقابلة، وإن كان الثانى فهو ما يستخرج بالنسبة ، والخطأين، وغيرهما ، مما استخرجوا به المجهولات » .

كذلك يعرض الشيخ عبد الله بن بهاء الدين محمد العجمى الشنشورى الشافعى (ت ٩٩٩ هـ/ ١٥٩٠ م) إلى بيان فضيلة علم الحساب، فيقول فى كتابه « بغية الراغب فى شرح مرشدة الطالب » (مخطوط بالمكتبة الأحمدية بحلب ـ رقم ١٢٤٢ ، الصحيفة الأولى) .

« اعلم أيها الطالب، وفقنى الله وإياك ، أن علم الحساب من العلوم القديمة المطلوبة ، ويحتاج إليه فى كثير من العلوم، واتفق العلماء وأهل المدن قديما وحديثا على محبته ومدحه والاعتناء به » ...

وقال القحطانى (مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب ـ رقم ١٢٤٢ ، الصحيفة الأولى) .

« *لولا الحساب وضربه وكسوره*
لتخاصم البنتان والولدان »

كذلك جاء فى ذكر فضائل علم الحساب النظم التالى :

(عن مخطوط مكتبة الأوقاف الإسلامية بحلب ـ رقم ٩٨٥ بعد متن رسالة برهان الدين الشربينى : « تشنيف السامع بعلم حساب الأصابع ») .

« وبعد فالحساب علم نافع ... ولا يشك فى مقالى سامع

وإنه عند عزيز الفهم ... أشرف قدرا من كثير العلم

به يقوم القسط فى المصارى ... ويعرف الحق بلا تمارى

وتقسم الزكاة فى الأموال ... والإرث للنساء والرجال

هذا وإن العلما صنفوا ... فى علم ذاك كتبا وألفوا

حتى أتوا بكل تصنيف بهى ... ينفع به كل مبتد ومنتهى »

هذه بعض نماذج مما سطره العرب والمسلمون نثرا ونظما فى فضل علم الحساب وأهمية تعلمه، ومدى فائدته فى معاملات الناس، ومن ثم فإن الحضارة الإسلامية تزخر بعدد هائل من المصنفات الخاصة بعلم الحساب فى شتى نواحيه (العلوم الرياضية فى الحضارة الإسلامية / ٦٧ ـ ٧٢) .

ونحن نجد أن الإمام لابن غلبون، فى شرحه على الرحبية، يحرص على إفراد باب للحساب الحقيقى (أى غير حساب الفرائض) ، وذلك لأهميته ، وباعتبار أن صاحب الرحبية قد أغفله ، ومن ثم يقول : اعلم أن علم الفرائض مشتمل على ثلاث جمل : الفقه، والحساب ، والعمل . وهو الذى ذكره المصنف فى هذا الباب وأطلق عليه أنه حساب لأجل تأصيل المسائل وتصحيحها .

وحاصله أن المصنف ذكر اثنين : الفقه، والعمل، ولم يذكر الحساب الحقيقى، مع أنه لا بد للخائض فى هذا الفن (أى فن الفرائض) من معرفته لعدم استغناء مسائل الفرائض عنه . فينبغى تعلمه وإتقانه لكون ذلك وسيلة إلى المطلوب .

وها أنا أذكر لك نبذة صالحة منه والله الموفق للصواب .

ثم يبدأ ابن غلبون فى الكلام على علم الحساب وأبوابه مما ننقله لك فيما يلى بتمامه إذ ينبنى عليه نظم الأخضرى الذى يعقبه مع ملاحظه أننا تركنا الأرقام المستعملة فى المغرب العربى يقول ابن غلبون :

واعلم قبل ذلك أيها الطالب أن علم الحساب من العلوم القديمة المطلوبة، ويحتاج إليه فى كثير من العلوم .

واتفق العلماء وأهل الرأى قديما وحديثا على محبته والاعتناء به قال الإمام الشافعى رضى الله عنه : من تعلم الحساب جزل رأيه . وقال الفقيه أبو الحجاج الطرطوشى :

إن علم الحساب علم رفيع ... فيه عون أن تشترى وتبيع

لم يضع قط درهم بحساب ... وألوف بلا حساب تضيع

وقال بعضهم :

إن الحساب من العلوم جليل ... وعلى دقيقات الأمور دليل

فاحرص على [علم] الحساب فإنه ... برياضة المستضعفين كفيل

لولا الحساب لعلم كل فريضة ... لم يعلم التحريم والتحليل

وقال ابن هيدور:

الحساب ركن من أركان الدين ، وبه تعرف القبلة وأوقات الصلاة، وبه حساب الأعوام والشهور والأيام، وجرى الشمس فى البروج، وحركات الكواكب، وحلول القمر فى المنازل، ومعرفة الساعات النهارية والليلية . وأكثر مسائل علم الفقه الشرعى يدخل فيها الحساب، من العبادات وغيرها وبين ذلك وأطال ثم قال : وأكثر المسائل الفقهية يدخلها العدد.

وكفى بالحساب جلالة وشرفا أنه صفة من صفات الكمال إذ اتصف به الجليل جل جلاله فأضافه إليه تعالى فى قوله :

﴿ وكفى بنا حاسبين ﴾ [الأنبياء : ٤٧] وقال تعالى :

﴿وهو أسرع الحاسبين﴾ [الأنعام : ٦٢] وقال تعالى مضعفا لعلم الحساب : ﴿ وهو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ [يونس : ٥] .

فهذا كله دليل على فضل الحساب وجلالته والله أعلم.

أبواب الحساب

وقد اشتمل علم الحساب على سبعة أبواب :

الأول : فى صورة حروفه .

الثانى : فى الجمع .

الثالث : فى الضرب .

الرابع : فى القمسة .

الخامس : فى الطرح .

السادس : فى الاختيار.

السابع : فى التسمية .

وها أنا أذكرها لك جميعا إلا باب التسمية ، وهو باب الكسور فانظره فى محله إن شئت .

وأما باب الاختيار فألحق كل باب اختباره ولم أجعل له من النثر بابا .

الباب الأول : فى صور حروفه وهى تسعة .

هندية هكذا : ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩

وغبارية هكذا : 1 2 3 4 5 6 7 8 9

ثم مراتبها أربعة : آحاد، وعشرات، ومئون، والآف فالأولى مرتبة الآحاد والثانية مرتبة العشرات ، والثالثة مرتبة المئين، والرابعة مرتبة الآلاف .

وهذا معنى قولهم أحد، عشر، مائة، ألف .

ثم تعود مرتبة الآلاف أحادا بالنسبة لما بعدها .

تقول : آحاد آلاف، عشرة آلاف، مئو الآف/آلاف آلاف .

ثم ألف ألف آحاد لما بعدها وهكذا ما تناهت المراتب وامتدت .

فصورة الواحد، والعشرة ، والمائة ، والألف واحدة والمراتب تبين، . فإن وجدته فى المرتبة الأولى فواحد، وفى الثانية عشرة وفى الثالثة مائة، وفى الرابعة ألف، وفى الخامسة عشرة آلاف، وفى السادسة مائة ألف ... إلخ .

وهكذا الاثنان إلى التسعة .

فإذا قيل لك نزل أحد عشر ومائة ألف وعشرة آلاف ومائة ألف فضعها هكذا (111111) أو اثنين وعشرين ومائتين وألفين وعشرين ألفا ومائتى ألف هكذا : (222222)

وكذلك الثلاثة وما بعدها قياسا على الواحد والاثنين ولا يخفى .

الباب الثانى فى الجمع :

وهو ضم الأعداد بعضها إلى بعض ليتلفظ بها بلفظ واحد وهذا الباب على ثلاثة أقسام :

[أ] الأول : يرفع من المجموعين آحادا لا غير .

[ب] الثانى : أن يرفع منهما عشرات لا غير .

[جـ] الثالث : أن يرفع منهما آحادا وعشرات .

والعمل فيه أن تجمع الآحاد إلى الآحاد، والعشرات إلى العشرات كل واحدة إلى نظيرتها، وكذلك المئون والآلاف إلى آخر الأعداد .

مثال : ما إذا ارتفع لك من المجموعين آحادا لا غير إذا قيل لك جمع أربعة وخمسين وسبعمائة، إلى خمسة وثلاثين ومائتين .

فضع ذلك هكذا .

$$\begin{array}{r} 754 \\ \underline{235} \\ 989 \end{array}$$

واجعل خطا تحت الجمع اجمع الأربعة مع الخمسة تكن تسعة . ضعها تحت الخط مسامتة للمجموعين .

ثم الخمسة مع الثلاثة تكن ثمانية ضعها تحتها .

ثم السبعة مع الاثنين تكن تسعة ضعها أيضا تحتها ، يكن الخارج تسعة وثمانين وتسع مائة .

واختباره

إنك تطرح الخارج تسعة ، وما فضل فاجعله فوق ناحية خط مقطوع بخط . وإن لم يبق شىء فضع صفرا .

ثم احسب جميع المجموع واجعله كله آحادا وأسقطه

أيضـا تسعة تسعـة فإن بقى لك شيء مثل ما بقى من الخـارج فضعه على نـاحية الخط المقطوع الثـانية ، والعمل صحيح ، وإلا ففاسد .

ففى المثـال المذكـور طرحنـا الخـارج تسعة تسعـة بقيت ثمانيـة وضعناهـا هكذا : 8 | 8 ثم طـرحنـا المجمـوعتين كذلك ، فوجدنا الباقى ثمانيـة وهى المقابلة للثمانية وضعناها على ناحية الخط الثانية . فعلمنا أن العمل صحيح .

وهذا اختبار الجمع فى جميع ما يرد عليك .

ومثال ما إذا ارتفع لك من المجمـوعين عشرات لا غير إذا قيل لك : اجمع ثلاثة وسبعين وأربعمـائة إلى سبعة وعشرين وخمسمائة فضع ذلك هكذا :

473
527
――――
1000

ثم اجمع الثلاثة إلى السبعة يجتمع لك عشرة، ضع تحت الخط صفرا ، وادخل أيضا بالعشرة بصورة الواحد على السبعة تكن ثمانيـة مع الاثنين يجتمع عشرة ضع أيضـا صفرا وادخل بـالعشـرة على الأربعـة تكن خمسـة مع الخمسـة يجتمع لك عشرة أيضا ضـع تحتها صفرا واجعل العشرة صـورة واحد بعد الصفر تحت الخط يكن الخارج ألفا . واختباره كالأول .

ومثـال مـا إذا اجتمع لك آحـاد وعشـرات ، إذا قيل لك اجمع سبعـة وستين وثلاثمـائة إلى ثمـانية وتسعين وتسعمـائة فضع ذلك هكذا :

367
998
――――
1 365

ثم اجمع السبعة مع الثمانيـة تكن خمسة عشر ضع تحت الخط خمسـة ، وادخل بـالعشرة بصـورة الـواحد على الستـة والتسعـة تكن ستـة عشـر ، ضـع تحت الخط الستـة ، وادخل أيضا بـالعشرة بصورة الواحـدعلى الثلاثة والتسعة تكن ثـلاثة عشر ضع الثلاثة تحتها بصورة الواحد بعدها يكن الخارج ألفًا وثلاثمائة وخمسة وستين . واختباره كالأول أيضًا .

والـدخـول بالعشـرة بصـورة الـواحد ، والعشـرين بصـورة الاثنين ، والثلاثين بصورة الثلاثة ... إلخ .

فإذا قيل لك انزل واحدًا ضعه هكذا (1) وعشرة هكذا (10) ومائة (100) هكذا وألفا هكذا (1000) إلى آخر المراتب .

والصفـر لا يحسب بل يـدل على منزلتـه ويحفظهـا وقس على ذلك والله الموفق للصواب .

الباب الثالث : في الضرب الصحيح

وهو: تضعيف العدد بقدر ما في الآخر من العدد .

فإذا قيل لك اضـرب اثنين في اثنين ، فكرر الاثنين مـرتين يكن الحاصل أربعة .

والثلاثة في الثلاثة تسعـة ، والأربعة في الأربعة ستة عشر ، والتسعة في التسعة واحد وثمانون ، إلى آخر ما أردت .

وله أنواع أفيدها ضرب المجنح .

وهو: أن تجعل أحـد المضروبين فى سطر أعلا كل مـرتبة فى مرتبتها .

والثانى فى سطر آحاده تحت آخـر السطر الأول . وعشراته بعد ذلك ... إلخ .

وتجعل علـى الأول خطـا إلى أن تنتهى إلى آخـره . ثم تجنحه وتمده على السطر الثانى ... إلخ .

ثم تضرب آخر الأول فى آخر الثـانى ، وما خرج ضعه فوق الخط ، آحاده مسـامتة لآخر الثـانى ، وعشراته بعـد ذلك يسرة على الخط .

ثم كـذلك التى قبلهـا إلى أن تنتهى جميع مـراتب الثـانى كلها مع آخر الأول .

ثم تحـوز آخـر الأول مع جميع الثـانى بخط وتقهقـره بأن تجعل آخر الثانى تحت الذى يليـه يمنته ثم الذى تحت الذى يليه يمنته .

ثم الذى يليـه تحت الذى يليه أيضـا إلى أن تجعل آحاده تحت الذى يلى الآخر ، واضربـه فى الآخر كما فعلت فى آخر الأول بدءا ووضعـا إلى أن تنتهى جميع مراتب الثـانى مع ثانى الأول .

ثم كذلك تقهقره ذلك فى جميع مراتب الأول إلى أن تنتهى ولا خفاء .

مثـالـه : إذا قيل لك اضـرب خمسـة وسبعين فى أربعـة وثلاثين فضع ذلك .

هكذا :

```
      2550
     -----
        20
       15
       28
  21 | 7 | 5
   3 4 |
  ------
      3 4
```

ثم اضرب السبعـة آخر الأول فى الثلاثة آخر الثـانى يخرج واحد وعشرون .

ضع الـواحد مسـامتا للثـلاثة على الخط والعشـرين على صورة الاثنين يسرته .

ثم اضرب السبعة فى الأربعة يخرج ثمانية وعشرون . ضع الثمانية على الخط مسامتة للأربعة والعشرين على الواحد فى المراتب يسـرته على صورة الاثنين . ثم تحز السبعـة مع كامل الثانى وتقهقـر الثلاثة بأن تجعلهـا تحت الأربعة تحت الخط والأربعة تحت الخمسة أول الأول .

وتضـرب الخمسـة فى الثـلاثة يخـرج خمسـة عشـر ضع الخمسة مسامته للثلاثة فوق الثمـانية والعشرة فوق التى يسرتها على صورة الواحد فوق الاثنين والواحد .

ثم تضرب الخمسـة فى الأربعة يخرج عشـرون . ضع فوق الخط سمت الأربعـة صفرا والعشـرين على صورة اثنين فـوق التى يسـرتهـا فـوق الخمسـة والثمـانيـة ثم تجعل خطـا فـوق المجموع الذى فوق الخط .

وتجمع مـا فـوق الخط كـالجمع الأول يكن الخـارج فى المثال المذكور ألفين وخمسمائة وخمسين .

واختباره :

بأن تطرح الخارج تسعا تسعا وما بقى فاحفظه .

ثم اطـرح السطـر الأعلى المضـروب الـذى تحت الخط كذلك وما بقى فاحفظه ثم صحح .

ثم اطرح السطـر الثانى المضروب فيه كـذلك وما بقى من السطر الثانى فاضربـه فيما بقى من السطر الأول واسقطه أيضا تسعا تسعا .

وما بقى فقابـل ما بقى من الخارج بعد الطـرح . فإن ماثله فالعمل صحيح ، وإلا ففاسد .

ففى المثال المذكور وجدنا الخارج خمسة وخمسة واثنين المجمـوع اثنا عشـر طرحنـا منها تسعـة بقى ثلاثـة وضعناهـا هكذا :

3|3

ثم وجدنا السطر الأول المضروب خمسة وسبعة المجموع اثنا عشر طرحنا تسعة بقى ثلاث خفضناها . ثم وجدنا السطر الثانى الأصل المضروب فيه أربعـة وثلاثة ، المجموع سبعة . ضـربناهـا فيما بقى من السطـر الأول وهى ثلاثـة خرج واحـد وعشرون .

طرحناهـا تسعة بقى ثلاثة ضعها مقابلـة لما فى الخارج ، فعلمت أن العمل صحيح . وهكذا اختبار كل مجنح .

واضرب وقس على هذا ما يرد عليك . اختباراً وضرباً .

تنبيه

اعلم أنك إذا وجـدت صفرا فى وسط مـراتب السطر الأول المضـروب وقبله عـدد فقهقـر له ، واجعل صفـرا فـوقه فـوق الخط ، وحزه بخط مع جميع الثانى ، وقهره للذى يلى إلى آخر ما تقدم .

وإذا وجـدت صفرا أو أصفـارا متطرفـة فـلا تقهقر لهـا بل اجعل كل صفر سمته فوق الخط .

مثال : مـا إذا توسط صفر أو تطـرف فى أى منزلـة كان إذا قيل لك اضرب :

عشـرين وألفين فى أربعين وعشـرة آلاف فـاجعل ذلك هكذا :

```
          20280800
         ----------
               08
             00000
      2  8 |2| 0 | 2 0        2|2
  2 0 0    | |
  1 0 0 4 0| |
   1 0 0 4 0 |
      1 0 0 4 0
```

ثم اضرب الاثنين آخر الأول فى الواحد آخر الثانى يخرج اثنان، لأن المضروب فى الواحد أبدا هو المضروب عينه . مسامتة للواحد فوق الخط .

ثم الاثنين من الصفر قبل آخر الثانى بصفر، لأن المضروب فى الصفر أبدا صفر، ضعه فوق ثم كذلك الصفر الثانى ... إلخ الثانى .

وتحزه وتقهقر الواحد بأن تجعله تحت الصفر، والصفر تحت الصفر الثانى ، والثانى تحت الأربعة والأربعة تحت الصفر والصفر تحت الصفر الأعلى الذى يلى آخره، وضع صفرا مسامتا للأعلى فوق الخط ثم تحزه أيضا مقهقرا للاثنين وتضربها كما تقدم .

ثم تجعل الصفر المتطرف فى الأول فوقه ولا تقهقر له وتجمع وتختبر كما تقدم يكن الخارج فى المثال المذكور عشرين ألف ألف ومائتى ألف وثمانين ألفا وثمانمائة .

واختباره : اثنان صحيح .

وإذا قيل لك اضرب مائة فى مائة فاجعل ذلك هكذا :

```
 10000
 -----
   000
10|1 00
   100
```

وقس على ذلك ولا يخفاك .

الباب الرابع : فى القسمة

وهو باب مهم ، والعمل فيها أن تضع المقسوم فى سطر وتجعل تحته خطا .

وتضع تحت آخر المقسوم المقسوم عليه إن ساواه أو كان أقل منه .

وإن كان المقسوم عليه أكثر فضعه تحت الذى يلى الآخر والآخر عدد عشرات .

ثم تفنى ذلك العدد المقوم عليه، وتجعل عدد مرات الفنى تحت السطر مسامتة لذلك المُفْنَى .

وإن زاد شيء تجعله فوق المفنى .

ثم تجعل المقسوم عليه تحت الذى يليك يمنته من المقسوم .

والزائد يكون بالنظر لذلك عشرات .

فإن لم يكن زائدا وساوى المقسوم عليه المقسوم المسامت له أو كان أكثر منه فنيته به ، وجعلته كالمتقدم .

وإلاَّ ضع تحته صفرا واجعل المقسوم عليه تحت الذي يمنته من المقسوم الذي انتقلت منه يكون عدده عشرات وتفنى ذلك كذلك إلى آخر المقسوم .

مثال ذلك :

إذا قيل اقسم : ألفين ومائتين وعشرة على أربعة فضع ذلك هكذا .

```
21|2
----
2210
 444
----
 552
```

ثم اجعل الأربعة المقسوم عليها تحت التى تلى آخر المقسوم، لأن آخر المقسوم اثنان أقل من المقسوم عليه .

ثم تفنى به اثنين وعشرين ففيها خمس مرات ضعها تحت الخط مسامتة ويبقى اثنان .

ضعها فوق الاثنين مسامتة أيضا .

ثم ضع المقسوم عليه الأربعة يمنة تحت الواحد وافنى بها واحدا وعشرين فتفنى ذلك خمس مرات ضعها أيضًا تحت الخط يبقى واحد ضعه فوق الواحد على رأسه ثم ضع الأربعة المقسوم عليها تحت الصفر يمنة وافنى فيها العشرة تفنيهًا مرتين . ضعها يمين الخمسة ويبقى لك اثنان اخرجهما زائدين .

يكن الحاصل لكل واحد من الأربعة ما تحت الخط وهو خمسمائة واثنان وخمسون .

والاثنان المذكوران زائدان .

واختبار ذلك : إن تضرب بالمجنح الأربعة المقسوم عليها فيما خرج وزده الزائد بعد الضرب ، إن كان صحيحا يخرج لك كل المقسوم وإلا ففاسد .

[مثال ثان]

وإن قيل لك اقسم: ألفا وخمسمائة وثمانية على أربعة وعشرين فضع ذلك هكذا:

6|20
1508
2424
62

ثم تجعل الأربعة والعشرين المقسوم عليه تحت الصفر وافنى بها مائة وخمسين لأن الواحد أقل من الأربعة والعشرين، وكذلك الخمسة عشر كما عرفت فتفنيها ست مرات؛ يبقى ستة ضعها على رأسها.

واجعل الأربعة والعشرين تحت الثمانية وافني بها ثمانية وستين تفنيها مرتين ضعها يمين الستة تحت الخط تبقى عشرون زائدة. ؟

يكن الحاصل لكل واحد اثنان وستون من غير الزائد.

مثال ثالث

وكذلك إذا قيل لك اقسم ثلاثة الآف وخمسمائة على أربعة وعشرين فضع ذلك هكذا:

111420
3500
242424
145

ثم تفنى الخمسة والثلاثين بالأربعة والعشرين، تفنيها مرة ضعها تحت الخط ويبقى أحد عشر ضعها على رأس الخمسة واجعل الأربعة والعشرين تحت الصفر يمنته وافن بها مائة وعشرة لأن الأحد عشر بالنظر إلى الصفر مائة تفنيها أربع مرات ضعها تحت الخط يمين الواحد وتبقى أربعة عشر ضعها يمين الأحد عشر فوق الخط ثم اجعل الأربعة والعشرين تحت الصفر الثاني وافن بها مائة وأربعين تفنيها خمس مرات وتبقى عشرون زائدة.

يكن الخارج لكل واحد من الأربعة والعشرين مائة وخمسة وأربعين من غير العشرين الزائدة. واختباره كما عرفت.

وافعل كذلك في جميع ما يرد عليك، وقس على ذلك والله الموفق.

الباب الخامس: في الطرح

وهو إسقاط قليل من كثير لتعلم الفضلة بينهما. والعمل فيه: أنك تضع المطروح منه في سطر أعلى وتضع المطروح تحته، كل مرتبة مسامتة لنظيرتها آحادا أو غيرها إن وجدت وإلا فصفر.

ثم تجعل خطا تحت السطرين.

وتبدأ بطرح الآحاد، فإن تساويا فضع تحت الخط صفرا وإن زاد عدد المطروح منه على المطروح فاجعل ذلك الزائد تحت الخط مسامتة.

وإن زادت مرتبة المطروح على المطروح منه فزدها عشرة هوائية، واطرح من الجميع ذلك العدد، وما بقى ضعه تحت السطر.

ثم تدخل بالعشرة الهوائية المذكورة بصورة الواحد تجمعه مع التي تليها يسرته من المطروح، واسقط الجميع من المرتبة العليا إن تساويا أو كان أقل، وإلا فزد أيضا عشرة وافعل كما تقدم.

والحاصل متى ما أخذت عشرة هوائية فإنك تدخل بها بصورة الواحد على التي تليها من المطروح ولا بد أن يكون آخر المطروح أقل من التي قبل الآخر من المطروح منه.

مثال ذلك:

إذا قيل لك اطرح من ثلاثين ألفا وثلاثين، واحدا وعشرين ألفا وثلاث مائة وسبعة وعشرين فضع ذلك هكذا:

30030
21327
08703
30030

ثم تطرح السبعة من الصفر لا تنطرح لأن الصفر علامة الخلا فخذ عشرة هوائية واطرح منها السبعة يبقى ثلاثة ضعها تحت الخط مسامته للسبعة.

ثم تدخل بالعشرة الهوائية المذكورة تحت الاثنين بصورة الواحد يجتمع ثلاثة مساوية للثلاثة.

المطروح منـه والمطروح ضع صفـرا مسامتـا تحت الخط أيضا ثم اطرح الثـلاثة يسرته من عشرة هوائيـة أيضا لأن الذى فوقها صفر تبقى سبعة ضعها مسمتة تحت الخط .

ثم تدخل بالعشرة الهوائية أيضا بصورة الواحد على الواحد يسرته يجتمع اثنان اطرحهما من عشرة هوائية لأن الأعلى صفر تبقى ثمانية .

ضعها تحت الخط أيضا مسامتة ثم تدخل بالعشرة الهوائية بصورة الواحـد أيضا على الاثنين يسرته يجتمع ثلاثـة مطروحة من الثلاثة أعلاه مساوية . ضع صفرا تحت الخط .

يكن الفاضل ثمانية آلاف وسبعمائة وثلاثة .

واختباره

بأن تجعل تحت الخارج الفاضل خطا ، وتجمع المطروح والفاضل يخرج المطروح منه ، وإلا ففاسد .

ففي المثال المذكرو جمعنا السبعـة مع الثلاثة خرج عشرة جعلنا صفرا تحت الخط مقابلا للصفر الأعلى المطروح منه ، ودخلنـا بالعشـرة بصـورة الواحـد مع الاثنين صـارت ثلاثـة ، وضعناها تحت الخط .

وافعل كذلك كما عرفت في الجمع .

مثال ثان

وإن قيل لك اطـرح سبعـة وتسعيـن ومـائتين . من ألف ، فضع ذلك هكذا .

1000
0297
———
603

يكن الفاضل سبعمائة وثلاثة .

واختباره كما تقدم .

وقس على ذلك طرحا واختبارا .

ثم ينهى ابن غلبـون باب الحساب بهـذا الدعـاء الطريف الذي يلقى ضـوءا على أسلوب الخاتمة فى مصنفـات التراث الإسلامى ، وارتباط المؤلف بقارئه فيقول :

وأدخلني يا أخي في صالح دعواتك فى خلواتك وجلواتك فإنى فقير إلى ذلك .

وشد يـدك على هذه النبـذة فَقَلَّ ما تجـدها مبينـة هكذا ، رزقنى الله وإياك العلـوم النافعة ، والعمل بها والقبـول وسعادة الدارين مع كفاية همهما فهو المتفضل المنعم سبحانه وتعالى لا رب غيره ولا معبود سواه .

(التحفة فى علم المواريث / ١٥٣ - ١٦٧)

وهـذا الـذى أورده الإمـام ابن غلبـون عن الحسـاب جـاء منظوما فى أحد متون العلوم ، وهو « رسالة فى علم الحساب » لعبد الرحمـن بن محمد الأخضرى ، من علماء القـرن العاشر يذكر فيهـا جميع أبواب الحساب التى ذكرهـا ابن غلبون ، بما فيها باب « التسمية » وهو بـاب الكسور التى آثر ابن غلبون أن يضرب صفحـا عنها . ونحن ننقل لك هنا هذه المنظـومة التى يهـدف بها النـاظم ـ كما هـو الحال دائمـا بـالنسبة للعلمـاء المسلمين ـ إلى تيسيـر الحفظ على الدارسين ، وقد جعلنـاها المـرجع الـذى نحيل إليـه عنـد ورود كل بـاب من الأبـواب الحساب فى هذه الموسوعة .

يقول الناظم رحمه الله بادئا بحروفه ، وهى حروف الغبارى التى سبق الكلام عليها :

الباب الأول : فى حروف الغبارى :

حـروفـه معلـومـة مشهـوره ... من واحـد لتسعـة مـذكـوره

وجعلـوا صفـرا عـلامـة الخـلا ... وهـو مـدور كحلقـة جـلا

وأربـع مـراتـب الأعـداد ... أولهـا مـرتبـة الآحـاد

والعشـرات بعـدهـا المئـونـا ... من بعـدهـا الآلاف يـذكـرونـا

ومـن هنـا تبـدَّل الأعـداد ... وتـرجع الآلاف كـالآحـاد

الجمع ضـم عـدد لعـدد ... لكـى تعـده بلفـظ مفـرد

فتجمـع الآحـاد لـلآحـاد ... وهكـذا البـاقى على التمـادى

ضنف كل رتبـة إلى المـوضـوع ... من تحتهـا وانظـر إلى المجمـوع

فـإن يكـن تسعـا فـأدنـى فلتضع ... جملتـه فـوق الـذي منـه اجتمع

وما يكون زائدا عليها
فانزل به تحت الذي تليها
واجمعها مع أعدادها بالضبط
فخارج ما كان فوق الخط
وإن جمعت عددا لصفر
فاطلع إذا بعدد لتدري
فإن جمعت ههنا صفرين
فاطلع بواحد من الاثنين
وإن تكرر الذي قد نزلا
به لكون الجمع قد تسلسلا
فاجمعه مع أعداد ما به عَرَى
من دون تغيير له كذا جرى

الباب الثالث: في الطرح

الطرح إسقاط قليل من كثير
وهو على ستة أقسام يصير
فإن طرحت القدر من كثير
فالطرح فيه واضح التقدير
والحمل في قسمين إن صفر علا
أو كان الأعلى أدن مما سفلا
فاحمل عليهما بعشر وافيه
واطرح وأدخل واحدا في الثانيه
والصفر كاف إن طرحت العددا
من مثله كالصفر من صفر بدا
وإن يك الصفر الذي من أسفلا
فاقنع إذا بعدد قد اعتلى
وكل ما ذكرت من أقسام
فيما عدا الآخر ذي الإتمام
لأنه حتما يكون أكثرا
من الذي من تحته قد شهرا

الباب الرابع: في الضرب

اعلم بأن الضرب تضعيف العدد
بقدر ما في آخر من العدد
فاجعلهما سطرين كل مرتبه
مقرونة بأختها مرتبه
فكل رتبة لأعلى تنسب
في رتبة الآخر طرًّا تضرب
واحسب من المضروب للمضروب فيه
والترك لا مين واحد تكن نبيه
ولتجعل الخارج فوق الأسطر
بقدر ذلك الحساب الأشهر
ويجمع الخارج ثم يجعل
من فوقه وبعد ذاك يفعل
وإن ضربت واحدا في واحد
فقوله واحد يكون دون زائد
وإن ضربت الآحاد في الأعداد
فقدر ما فيها من الآحاد
فاقنع بصفر إن ضربت الصفر في
نظيره أو عدد فلتقتفي

الباب الخامس: في القسمة

وعمل القسمة في الحساب
من أحسن الفصول والأبواب
فلتجعل المقسوم فوق الآخر
وتجعل الإمام تحت الآخر
ولا يجوز أن يكون الأكثر
تحت الأقل منه بل يقهقر
ثم تروم عددا بضرب فيه
من تحته تفني به الذي عليه
وما بقي فضعه فوق ذاكا
وقهقر الإمام من هنا كذا
فإن تعدى رتبة فلتجعلا
صفرا قبالة المعدَّى أسفلا
وافعل كما ذكرته إلى التمام
فخارج ما تحت ذلك الإمام

ومـــــا بقـى مـن الكســـــور يطلب
فـــــوق الأمـــــام ثم منــــــه ينسب

فصل

وإن تشأ فتأخـــــذ الـــــوفقين
واعمـل عليهمــــا بغيــــر مين
أو حـل مقســـومـــا عليــه واقسمــا
علـى أئمـــــة لـــــه لتعلمـــــا
أو تقسم المقســـــوم بـــــالتفضيل
وتجمـع الخـــارج بـــالتعـــــديل

الباب السادس : في التسمية

تسميـــــــة نسبتك القليـــــــلا
مـن الكثيـــر فـــاعـــرف التمثيـــلا
فـالقــــــه أئمـــــة لتقسمـــــا
مـن بعـــــد أن تحلــــه فلتعلمـــــا
والبــــدء في تنــزيلهـــا بـــالأكبـــر
والبــــدء فـي قسمتهـــا بـــالأصغـــر
ومــــا بقـى من الكســـور يـــرسم
فـــوق الأمـــــام ثـم منـــــه يعلم
واقسم على الـــذي يليـــه مـــا خـــرج
وافعل كمـــا ذكـــرتـــه فـــلا حـــرج
فكـل مـــــا علـى الأئمـــــة تصب
هــــو المسمى مثل كســــر ينتسب
وإن تشأ فـــانظــــر إلى الأوفـــاق
واعمـل عليهـــا عنـــد الاتفـــاق

فصل : في حل الأعداد

قـــد ذكـــروا لحلــه مقـــدمـــه
لازمــــــة لكـل مــن تعلمـــــــه
النصـف والعشـــر مع الخمس لمــا
الصفـــر فـي أولــه تقـــدمـــا

وإن يكـن مفتتحـــا بـــالخمســـه
فـــذاك ذو خمس تفهـم اســـه
واعلـم بـأن جملـــة الأعـــداد
مقســـومـــة للـــزوج والإفـــراد
وليطـــرح الـــزوج بطـــرح التسعـــة
مـع الثمـــان ثـم طـــرح السبعـــة
فـإن طـــرحتـــه بتسع فـــالســـدس
لـــه وتسـع مـع ثلـث فـــاقتبس
وحيـث ست أو ثـــلاث عَبَـــرَا
فـــالســـدس والثلث لــه قـــد شهـــرا
وإن بقى ثـــلاثـــة فـــالســدس لـــه
والثلث أيضـــا فـــادر تلك المسئلـــه
واطـــرحـــه إن بقـى غيـــر ذلـك
طـــرح الثمـــان تتبع المســـالك
فـــالثمـن والـــربع لــــه إن انطــرح
وإن بقـى ربـع فـــربـع اتضـح
وإن بقى مـــا عـــدا مـــا قـــد شـــرح
فـــاطـــرحـــه طـــرح سبعـــة إن انطـرح
فـــذاك ذو سبع وإن لـم ينطـــرح
فليس إلا النصف فـــردا يتضـح
وفـــردهـــا بطـــرح تسع يطـــرح
وطـــرح سبعـــة بـــذاك يـــوضـح
فـإن طـــرحتـــه بتسع فـــالتُّسع
لـــــه وثلـث فتفهَّـم واتبـع
وإن بقـى ثـــلاثـــة أو ستـــة
فـــذاك ذو ثلـث فحسب يثبت
وإن بقى غيـــر مـــا قـــد ذكـــرا
فـــاطـــرحـــه طـــرح سبعـــة واعتبـــرا
فـإن طـــرحتـــه بـــذاك الطـــرح
فـــذاك ذو سبع تفهم شـــرحي

وإن يكن لم ينطرح فهو الأصم
فسم من أجزائه ما قد علم

الباب السابع : في الاختبار

الاختبار آلة قد علما
يفيد في جمع ما تقدما
فاختبار الجمع ذو وجهين
إما بطرح أحد السطرين
من خارج فاعلم ويبقى الآخر
فواضح بيانه وظاهر
أو تطرح الخارج والباقي الجواب
فجيما اجعل فوقه بلا ارتياب
ثم اطرح السطرين واجمع ما بقي
واطرحه يبقى كالجواب السابق
واختبر الطرح بجمع الطرفين
لكي يكون وسطا بغير مَيْنِ
كذا بطرح ما بقي من أوسط
يبقى كمثل وسط بلا شطط
أو تطرح الباقي فباقيه الجواب
واطرح بذاك الآخرين باحتساب
واطرح بقيَّ أسفل مما بقي
من أوسط وبعد ذاك وفِّق
فإن يكن أقل منه فاحملا
عليه مثل ما به الطرح جلا
والضرب في اختباره وجهان
فاحفظهما تصل إلى البيان
فاختبروا بقسم خارج على
سطر من السطرين فاعلم مسجلا
كذا بطرح كل سطر منهما
بواحد من الطروح فاعلما
فما بقي في واحد فاضربه في
ما قد بقي لآخر لتقتفي
فما بدا فاطرحه مثل ما أُلف
فما بقي فهو الجواب قد عرف
واطرح بذاك خارج الحساب
يبقى كمثل ذلك الجواب
وإن ترد كيف اختبار القسمة
فاعمل على قولي تكن ذا همة
فتضرب الخارج في الأمام
فيخرج المقسوم بالتمام
أو تطرح المقسوم والباقي المرام
واطرح بذاك خارجا مع الأمام
واضرب بقي واحد فيما بقي
لواحد واطرحه مثل السابق
فإن يكن ما بقي كالجواب
فهو صحيح دون ما ارتياب
والسبع حيثما كسور تقع
فخارج الباقيين تجمع
وإن تسل عن اختبار التسميه
فافعل كما أقوله بالتسويه
فابدأ بضرب أول المسمى
فما يلي ما تحت ذا المسمى
واجمعه للذي عليه وافعلا
في خارج كما فعلت أولا
فإن يك المجموع كالمنسوب
فهو صحيح العمل المطلوب
هذا اختبار التسمية المعهودهْ
واختبر الأئمة الموجوده
بضرب ما قدمته فيما أتى
من بعده على الولاء يا فتى
وخارجا فيما قد استقرا
من بعده إلى هلمَّ جرا
فيخرج المنسوب منه بالتمام
واحفظ جميع ما ذكرت والسلام

باب الكسور ويشتمل على فصلين.

قالت المؤلفة : قال الأستاذ قدرى حافظ طوقان (تراث العرب العلمى / ٥٥) عن الكسور إن طرق العرب فيها لا تختلف عن الطرق المعروفة الآن .

الفصل الأول فى أقسامها .

والكسر منه مفرد ومختلف
مبعّض منتسب كذا عرف
فذو اختلاف مثل ثلث وربع
وذو انتساب مثل خمس وسبع
خمس وذو التبعيض ينتسب
بالعكس من كسر أمامه نُسب
وبسط ذى الإفراد وافق الأمام
وبسط ذى التبعيض فافهم الكلام
بضرب ما على الأمام الأول
فى كل ما يليه فليكمل
وذو انتساب كاختبار النسبةْ
وقد مضى تقديره بالجملةْ
والمختلف بضرب بسط ما قصد
فى كل ما من تحت غيره عهد
وضرب بسط ذاك فى أمام ذا
ويحمل المجموع فافعل هكذا
وإن يكن هنا صحيح يدرى
كأنه بسط الكسور شهرا

الفصل الثانى فى أعمال الكسور:

وإن ترد ضرب الكسور فاضربا
البسط فى البسط وكن مرتبا
فقدم الكبير فى الأئمة
يبدو لك المطلوب بعد القسمة
ووصف قسمة الكسور هكذا
بضرب بسط ذاك فى أمام ذا
والعكس واقسم خارج المقسوم
عن خارج الأمام كالمعلوم
وهكذا تسمية الكسور
ويقسم الأدنى على الكثير
ومثل ذاك الجمع لكن تجمع
والخارجات بعده تـوزع
والطرح يطرح الأقل منهما
من الكثير فيه ثم تقسما
واختبر الطرح بطرح بسط ما
بدا وسطريه كما تقدما
وخارجا فابسطه كالمقسوم فى
جمع وقسمة ونسبة تفى
يطرح بسط ما بقى وما ظهر
من ذينك الشطرين طرحا يختبر

(رسالة فى علم الحساب / ٢٢٥ ـ ٢٣٣) .

وننتقل الآن إلى مآثر العلماء المسلمين فى علم الحساب .

يقول الدكتور محمد جمال الدين الفندى عن استخدام المسلمين للحساب العشرى، ونبذ الحساب الستينى (انظره فى موضعه) :

عندما نزل القرآن الكريم كانت هناك عدة طرق للحساب والترقيم، فقد كان هناك الحساب الستينى الذى لا يزال يستخدم فى قياس الزمن، حيث نقول إن الساعة ٦٠ دقيقة والدقيقة ٦٠ ثانية ... كما كان هناك أيضا الحساب العشرى وفيه تستعمل تسعة أرقام فقط هى الأرقام من ١ إلى ٩ ، وللرقم الواحد قيم مختلفة تتوقف على الخانة التى يشغلها، فمثلا الرقم ٤ فى خانة العشرات هو ٤٠، وفى خانة المئات هو ٤٠٠، وفى خانة الألوف هو ٤٠٠٠ وهكذا ...

وقد أخذ القرآن الكريم بالحساب العشرى ونبذ الحساب الستينى وهكذا فعل المسلمون وأدخلوا الصفر (زيرو) ليملأ الخانة الخالية من الأرقام ويدل عليها . كما استخدموا

الكسور العشرية ، وهى أكبر خطوة حقيقية أدت إلى تقدم علوم الرياضة . وقد تم كل ذلك بإيحاء من القرآن . انظر مثلا إلى قوله تعالى :

١ - ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ [الأنعام : ١٦٠] .

٢ - ﴿ فى كل سنبلة مائة حبة ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

٣ - ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا ﴾ [الأنفال : ٦٥]

٤ - ﴿ وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم ﴾ [سبأ : ٤٥] .

٥ - ﴿ إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة ﴾ [ص : ٢٣] وتقرر هذه الآية الأخيرة مبدأ حساب النسبة المائوية حيث إن مجموع ٩٩ + ١ = ١٠٠ (« تراث المسلمين فى ميدان العلوم » / ٢٥٠) .

ثم يقول :

الحساب العشرى والحساب الستينى :

بعد الذى قدمناه ، وبيان كيف أخذ القرآن الكريم بالحساب العشرى نضرب مثلا بسيطا من أجل زيادة الفهم وإدراك الفرق فى سهولة الحساب فى حالة الحساب العشرى : مثلا العدد ١٥٧ , ١ هو :

$$١ + \frac{١}{١٠} + \frac{٥}{١٠٠} + \frac{٧}{١٠٠٠}$$

أما العدد ١٥٧ , ١ فى الحساب الستينى فهو :

$$١ + \frac{١}{٦٠} + \frac{٥}{٣٦٠٠} + \frac{٧}{٢١٦٠٠٠}$$

وأولئك الذين يعرفون معنى الأس يمكنهم كتابة هذا العدد على النحو الآتى :

$١ + ١٠^{-١} + ٥ + ١٠^{-٢} + ٧ + ١٠^{-٣}$ فى الحساب العشرى .

وبرع المسلمون بعد ذلك فى إجراء عمليات الضرب والقسمة . وقد وضح جمشيد بعض تلك الطرق فى كتابه (مفتاح الحساب) الذى حقق ونشر فى مصر، كما وضح العديد من عمليات حساب المواريث ، والتركات والزكاة ونحوها مما اهتم به المسلمون (« تراث المسلمين فى ميدان العلوم » / ٢٥٠ ، ٢٥٢) .

ويقول الأستاذ قدرى حافظ طوقان رحمه الله معددا مآثر المسلمين فى علم الحساب :

برع العرب فى العلوم الرياضية وأجادوا فيها وأضافوا إليها إضافات هامة أثارت الإعجاب والدهشة لدى علماء الغرب ، فاعترفوا بفضل العرب وأثرهم الكبير فى تقدم العلم والعمران . لقد اطلع العرب على حساب الهنود فأخذوا عنه نظام الترقيم ، إذ رأوا أنه أفضل من النظام الشائع بينهم - نظام الترقيم على حساب الجمَّل وكان لدى الهنود أشكال عديدة للأرقام ، هذَّب العرب بعضها وكونوا من ذلك سلسلتين ، عرفت إحداهما : بالأرقام الهندية وهى التى تستعملها هذه البلاد وأكثر الأقطار الإسلامية والعربية ، وعرفت الثانية : باسم الأرقام الغبارية وقد انتشر استعمالها فى بلاد المغرب والأندلس . وعن طريق الأندلس وبوساطة المعاملات التجارية والرحلات التى قام بها بعض علماء العرب ، والسفارات التى كانت بين الخلفاء وملوك بعض البلاد الأوربية ، دخلت هذه الأرقام إلى أوربا وعرفت فيها باسم الأرقام العربية (انظر هذه المادة فى م ٣ / ٦٢٥ - ٦٣٣ من هذه الموسوعة) ، وليس المهم هنا تهذيب العرب للأرقام وتوفيقهم فى اختيار هاتين السلسلتين أو إدخالهما إلى أوربا ، بل المهم إيجاد طريقة جديدة لها - الإحصاء العشرى - واستعمال الصفر لنفس الغاية التى نستعملها الآن .

ولقد كان الهنود يستعملون (سونيا) أو الفراغ لتدل على معنى الصفر. ثم انتقلت هذه اللفظة الهندية إلى العربية باسم (الصفر) ، ومن هنا أخذها الأفرنج واستعملوها فى لغاتهم فكان من ذلك Gipher و Ghiffre ، ومن الصفر أتت الكلمة Zyphyr و Gipher ثم تقلصت عن طريق الاختصار فأصبحت Zero وعلى ذكر الأرقام العربية أو الأرقام الهندية نقول : إن لهذه الأرقام مزايا عديدة ؛ منها : أنها تقتصر على عشرة أشكال بما فيها الصفر. ومن هذه الأشكال يمكن تركيب أى عدد مهما كان كبيرا، بينهما نجد أن الأرقام الرومانية تحتاج

إلى أشكال عديدة وتشتمل على أشكال جديدة للدلالة على بعض الأعداد . أما الأرقام اليونانية والعربية القديمة القائمة على حساب الجمل ، فإن عددها كان بقدر عدد حروف الهجاء .

ومن مزايا الأرقام العربية أو الهندية أنها تقوم على النظام العشرى ، وعلى أساس القيم الوضعية بحيث يكون للرقم قيمتان ، فى نفسه وقيمة بالنسبة إلى المنزلة التى تقع فيها .

ولعل من أهم مزايا هذا النظام ، إدخال الصفر فى الترقيم واستعماله فى المنازل الخالية من الأرقام .

ومما لا شك فيه : أن هذا النظام هو من المخترعات الأساسية والرئيسية ذات الفوائد الجُلّى التى توصل اليها العقل البشرى ، فلم تنحصر مزاياه فى تسهيل الترقيم وحده ، بل تعدته إلى تسهيل جميع أعمال الحساب ، ولولاه لما رأينا سهولة فى الأعمال الحسابية ولاحتاج المرء إلى استعمال طرق عويصة وملتوية لإجراء عمليتى الضرب والقسمة ، حتى أن هاتين العمليتين كانتا تقتضيان جهدا كبيرا ووقتا طويلا ، ولو قدر لأحد علماء اليونان من الرياضيين أن يبعث ، فقد يعجب من كل شىء ولكن عجبه سيكون على أشده إذ يرى أن أكثر سكان الأقطار فى أوربا وأميركا يتقنون عمليتى الضرب والقسمة ويجرونهما بسرعة ودون عناء .

ولسنا بحاجة إلى القول إنه لولا الصفر واستعماله فى الترقيم لما فاقت الأرقام العربية والهندية غيرها من الأرقام ، ولما كان لها أية ميزة بل لما فضلتهما الأمم المختلفة على الأنظمة الأخرى المستعملة فى الترقيم . ، والنظام المستعمل والشائع الآن يقضى بجعل قيمة الرقم تتغير منزلته ، أى أنهم أوجدوا منازل للأرقام تكسب الرقم الواحد قيما مختلفة إذا نقل من منزلة إلى أخرى ، فالرقم الذى على اليمين يدل على الآحاد والذى يليه على العشرات والذى يليه على المئات وهكذا ... وإذا أردنا أن نكتب العدد (ثلاثة وأربعين) فإننا نضع الثلاثة فى المنزلة الأولى أى منزلة الآحاد والأربعة فى المنزلة الثانية أى منزلة العشرات وتكتب هكذا (٤٣) وهنا نجد أن الثلاثة رفعت الأربعة إلى المنزلة الثانية إلى اليسار وأعطتها قيمة الأربعين . ولكن إذا أردنا أن نكتب بالرقم العدد (أربعين) فمعنى ذلك أنه علينا أن نجد رقما يدفع الأربعة إلى المنزلة الثانية إلى اليسار وبذات الوقت لا يزيد فى المجموع شيئا ، ومن هنا استعمل الصفر ، ووضع علماء الهند علامة له لتملأ المرتبة الخالية ، فجاءت مكملة لطريقة كتابة الأعداد بالأرقام (للاستزادة من المعرفة عن فوائد الصفر مفصلة انظر كتاب المؤلف « بين العلم والأدب » فى فصل (فضل الصفر على المدنية) .

وللصفر فوائد أخرى : هى من عظم الشأن فى مكان عظيم لا يقل خطرها عن التى ألمحنا إليها ؛ فلولاه لما استطعنا أن نحل كثيرا من المعادلات الرياضية من مختلف الدرجات بالسهولة التى نحلها بها الآن ؛ ولما تقدمت فروع الرياضيات تقدمها المشهود ، وبالتالى لما تقدمت المدنية هذا التقدم العجيب . ومن الغريب أن الأوربيين لم يتمكنوا من استعمال هذه الأرقام إلا بعد انقضاء قرون عديدة من اطلاعهم عليها ، أى أنه لم يعم استعمالها فى أوروبا والعالم إلا فى أواخر القرن السادس عشر للميلاد .

والعرب هم الذين وضعوا علامة الكسر العشرى وعرفوا شيئا عنه . فقد أعلن الأستاذ لوكى الألمانى أن اختراع الكسور العشرية يجب أن ينسب إلى العالم الرياضى غياث الدين جمشيد الكاشى الذى عاش قبل ستيفن بحوالى ١٧٥ سنة .

وفى كتاب الكاشى « الرسالة المحيطية » وردت النسبة بين محيط الدائرة وقطرها — وهى التى يطلق عليها ط — بالكسر العشرى . وقد أعطى قيمة (٢ ط) صحيحة لستة عشر رقما عشريا كما يلى :

٦,٢٨٣١٨٥٠٧١٧٩٥٨٦٥ = ٢ ط . ولم يسبقه أحد فى إيجاد هذه النسبة بهذه الدقة المتناهية .

وكذلك أدخل فى كتابه « مفتاح الحساب » فصولا فى الكسور الستينية والعشرية واستعمالها .

قالت المؤلفة : نفرد مادة خاصة لهذا الكتاب الجليل إن شاء الله تعالى :

وقد وضع العرب مؤلفات كثيرة فى الحساب وترجم

الغربيون بعضها وتعلموا منها وكان لها أكبر الأثر فى تقدمه . ومن هذه المؤلفات كانوا يقسمون الحساب إلى أبواب : منها ما يتعلق بحساب الصحاح ، ومنها ما يتعلق بحساب الكسور ، ويذكرون فى كل منهما أعمالا مختلفة يضعونها فى فصول : الأول فى الجمع والتضعيف ، والثانى فى التنصيف ، والثالث فى التفريق (الطرح) ، والرابع فى الضرب ، والخامس فى القسمة ، والسادس فى التجذير واستخراج الجذور . وكان لهم أسلوب خاص فى إجراء هذه العمليات ، ويذكرون لكل منها طرقا عديدة ومن هذه الطرق ما هو خاص بالمبتدئين وما يصح أن يتخذ وسيلة للتعليم . ولقد انتبه بعض رجال التربية فى أوروبا إلى قيمة هذه الأساليب المسطورة فى كتب الحساب العربية من وجهة التربية ، فأوصوا بها وباستعمالها عند تعليم المبتدئين . جاء فى مجلة التربية الحديثة : « ... وهذا ما حدا بنا إلى درس الأساليب المتنوعة المذكورة فى كتب الحساب القديمة بشىء من التوسع والتعمق ، وفعلا قد وجدنا بينها طرقا عديدة يحسن الاستفادة منها فى التعليم » ولهذا السبب أتت المجلة على بعض هذه الأساليب ودللت على فوائدها فى أحد أعدادها ليستفيد منها الأساتذة والمعلمون فى تدريس الحساب .

وتوسعوا فى بحوث النسبة وقالوا بأنها على ثلاثة أنواع : العددية والهندسية والتأليفية ، وأبانوا كيفية استخراج الأنغام والألحان من الأخيرة . وكذلك أجادوا فى موضوعات التناسب وكيفية استخراج المجهول بوساطتها ، وعدوا بعض خاصيات النسبة يتعلق بالأبعاد والأثقال من العجائب التى تثير الاستغراب والدهشة ومن الأمثلة التى وردت فى « رسائل إخوان الصفا » وكتب الحساب ؛ يتبين أن العرب كانوا يستعينون بقوانين الحساب أو مبادئه فى حل مسائل العلوم الطبيعية والمثلثات والفلك ، ويرون أنه لولا ذلك لما أمكن الاستفادة من هذه العلوم التى ذكرناها والتوسع فيها . وقد جاء فى « رسائل إخوان الصفا » بعد إيراد أمثلة مختلفة عملية على النسبة والتناسب « ... فقد بان أن علم نسبة العدد علم شريف جليل ، وأن الحكماء جميع ما وضعوه من تأليف حكمتهم فعلى هذا الأصل أسسوه وأحكموه وقضوا لهذا العلم بالفضل على سائر العلوم ، إذ كانت كلها محتاجة إلى أن تكون مبنية عليه . ولولا ذلك لم يصح عمل ولا صناعة ولا ثبت شىء من الموجودات على الحال الأفضل » .

أما الكسور فإن طرق العرب فيها لا تختلف عن الطرق المعروفة الآن .

وقد بحثوا استخراج المجهولات وبرعوا فى الطرق التى اتبعوها لذلك ، فقالوا باستخراج المجهولات بالأربعة المتناسبة ، وبحساب الخطأين ، وبطريقة التحليل والتعاكس ، وبطريقة الجبر والمقابلة وكانوا يكثرون من الأمثلة والتمارين فى مؤلفاتهم ، ويأتون بمسائل عملية تتناول ما كان يقتضيه العصر ، ويدور على المعاملات التجارية والصدقات وإجراء الغنائم والرواتب على الجيوش ، كما تطرق إلى البريد واللحاق به وإلى طرق البيع والشراء . وهذه ميزة امتازت بها المؤلفات العربية القديمة . فلقد كان رياضيو العرب يفضلون المسائل العملية التى تتعلق بحاجات العصر ومقتضياته .

وحبذا لو يتبع المؤلفون الطرق التى كان يسير عليها العرب فى وضع المسائل الرياضية ، ففى ذلك ما يعود على الطلاب بأكبر الفوائد مما يجعلهم يدركون أهمية العلوم الرياضية عمليا فى نواحى الحياة المختلفة ، واتصالها الوثيق بحياة الإنسان المادية .

ولم يقف العرب عند هذا الحد ، بل أخذوا الأعداد وتعمقوا فى نظرياتها وأنواعها وخواصها . وكانوا — كما كان اليونان من قبلهم — يرون فى علم العدد والأعداد نوعا من القداسة ، ولكن هذه القداسة لم تمنعهم من تطبيق الأعداد والرياضيات فى شئون الحياة العملية . ولقد قدم الحكماء النظر فى علم العدد قبل النظر فى سائر العلوم الرياضية « ... لأن هذا العلم مركوز فى كل نفس بالقوة . وإنما يحتاج الإنسان إلى التأمل بالقوة الفكرية من غير أن يأخذ لها مثالا فى علم آخر ، بل منه يؤخذ المثال على كل معلوم ... » .

قال علماء العرب فى خواص بعض الأعداد ما يلى : ما من عدد إلا وله خاصية أو عدة خواص . ومعنى الخاصية أنها الصفة المخصوصة للموصوف الذى لا يشاركه فيها غيره .

فخاصية الواحد أنه أصل العدد ومنشؤه، وهو يعد العدد كله الأزواج والأفراد جميعا . ومن خاصية الاثنين أنه أول العدد مطلقا وهو يعد نصف العدد الأزواج دون الأفراد . ومن خاصية الثلاثة أنها أول عدد الأفراد وهي تعد ثلث الأعداد تارة وتارة الأزواج . ومن خاصية الأربعة أنها أول عدد مجذور.

وتحفل كتب الحساب والرسائل التي وضعها علماء العرب بتفسيرات لهذه الخاصيات .

لقد قسموا الأعداد إلى قسمين : أزواج وأفراد، وبينوا معنى كل منهما ، وذكروا أنواعها بالتفصيل، وأن العدد من جهة أخرى ينقسم إلى ثلاثة أنواع : فإما أن يكون تاما أو زائدا أو ناقصا وأن هناك أعدادا متحابة وكذلك عرفوا المتواليات الحسابية والهندسية على أنواعها ، وذكروا قوانين خاصة لجمعها كما أتوا على قواعد لاستخراج الجذور ولجمع المربعات المتوالية والمكعبات، وبرهنوا على صحتها وتوصلوا إلى نتائج طريفة فيها متاع وانتفاع ، تتجلى لنا في كثير منها قوة الاستنباط والاستنتاج عند العرب ولقد ظهر لنا في بعض المخطوطات والمؤلفات، أنهم استعملوا مسائل يجد فيها من يحاول حلها ما يشحذ الذهن ويقوي الفكر، وأبدعوا في المربعات السحرية، يعترف بذلك « دي فو » وغيره من علماء الإفرنج (تراث العرب العلمي / ٤٧ - ٥١ ، ٥٣ - ٦٠) .

ويقدم لنا الأستاذ الدكتور جلال شوقي نماذج من المسائل الحسابية المنظومة ننقل لك بعضا منها فيما يلي مع ترقيمها وفقا للنماذج التي اخترناها :

(١) جاء على هامش أحد المخطوطات المسألة المنظومة الآتية وجوابها، وهي مذيلة باسم بدر الدين الزركشي (عن مخطوط مكتبة الأوقاف الإسلامية بحلب - رقم ٩٨٥ هامش الصفحة ٣٦ . هامش متن كتاب ابن الهائم : النزهة في الحساب) :

« عجبت المال صار ثلثان ثلثه

[وثلثا] ثلث الثلث ثلث ودرهم

أيا معشر الحساب هذي فضيلة

فكم كان هذا المال قبل انقسامه»

الجواب :

« قل المال قبل القسم دالا وقد أتى

جوابك في رمز فكن متفهما

وضابطه بسط غدا منه مقامه

كنسبة لذي الجهل والعما

مجموع هذا المال تنصيف تسعة

وهذا جواب الشيخ والله أعلما

بدر الدين الزركشي »

(٧٤٥ - ٧٩٤ هـ)

(١٣٤٤ - ١٣٩٢ م)

يبين من الشطر الأول للبيت الأول أن الحد الأول من المعادلة الواردة بالبيت يحوي الكسر.

$\frac{٢}{٣} \times \frac{١}{٣}$ المال الأصلي (قبل انقسامه) فلنفرضه تسعة .

حتى يكون الناتج عددا صحيحا، وبذلك فإنه حسب منطوق المسألة :

ثلثا ثلث المال = $\frac{٢}{٣} \times \frac{١}{٣} \times ٩$ (المال المفروض) = ٢

ثلثا ثلث ثلث المال = $\frac{٢}{٣} \times \frac{١}{٣} \times \frac{١}{٣} \times ٩$ (المال المفروض) = $\frac{٢}{٣}$

فيكون المجموع : ٢ $\frac{٢}{٣}$ ولما كان المجموع حسب منطوق المسألة هو ١ $\frac{١}{٣}$ فقط، فإن المال لا بد وأن يساوي $\frac{٩}{٢}$ كما جاء بالجواب المنظوم .

(٢) على هامش متن كتاب ابن الهائم المصري : «مرشدة الطالب إلى أسنى المطالب » جاءت المسألة الآتية (مخطوط مكتبة الأوقاف الإسلامية بحلب - رقم ٩٨٥ ، هامش الصفحة ٤٦) :

« دفعت إليه ثلث داري هديـة

وربعا وسدسا فاستقل عطيتي

فقلت له والثمن خذه فلم يجب

فضفت إليه نصف ربع هديتي

وأبقيت لي عشرين بيتا لحاجتي

وبيتا لأضيافي وأهل مودتي

فقـل لـى كـم فـى الـــــــدار بيت وقسم
البيـــــــوت علـى تـأصيـل أصـل قضيتـى »

«إنه بحسب البيت الأول تكون الهدية المقترحة .

($\frac{١}{٣} + \frac{١}{٤} + \frac{١}{٦}$) عدد البيوت

زيد عليها $\frac{١}{٨}$ العدد حسب الشطر الأول من البيت الثانى ، وبذلك تكون جملة البيوت المقترحة .

($\frac{١}{٣} + \frac{١}{٤} + \frac{١}{٦} + \frac{١}{٨}$) أى $\frac{٧}{٨}$ ما يملك ، فإذا أضيف إلى هذه الهدية نصف ربعها ـ طبقا لما جاء بالشطر الثانى من البيت الثانى ـ

تصبح الهدية $\frac{٧}{٨} \times \frac{٩}{٨}$ مجموع البيوت أى $\frac{٦٣}{٦٤}$ جملة البيوت ، أى أن ما تبقى لمقدم الهدية يمثل $\frac{١}{٦٤}$ فحسب مما عنده ، وهذا يساوى ٢١ بيتا ، وبالتالى فإن الدار تتكون من ٦٤ × ٢١ = ١٣٤٤ بيتا .

هذا ويمكن التحقق من ذلك بتطبيق ما جاء بنص النظم ، حيث $\frac{١}{٣} + \frac{١}{٤} + \frac{١}{٦} + \frac{١}{٨}$ البيوت = $\frac{٧}{٨}$ × ١٣٤٤ = ١١٧٦ بيتا .

يضاف إلى ذلك نصف ربع هذا العدد، أى ١٤٧ بيتا .

فإن نحن احتسبنا ما تبقى وهو عشرون بيتا لحاجة الواهب وبيت واحد للضيوف ، صار أصلا عدد البيوت : ١١٧٦ + ١٤٧ + ٢١ = ١٣٤٤ بيتا ...

(٣) وعلى هامش مخطوط آخر نجد هذه المسألة (كتاب « رد الجواب فى علم الحساب » للشيخ عبد القادر الحلاق الحلبى . مخطوط مكتبة الأوقاف الإسلامية بحلب ـــ رقم ١٧٧١ : هامش المخطوط فى موضع الفصل الثامن من الباب الخامس) :

« خــذوا ثلث مــالى بعــد إسقـاط عشْـره
وخصـــوا بـــه أهل التقـى والبصـــائر
وثلـث الـــذى يبقـى وخمس جميعـــه
لآل رســول الله خيـــر الأواخـــر
ويبقـى إذا أمضيـت بعـــــد وصيتـى
ثمـــان وعُشـــر بين عمـــر وعـــامـــر »

فإذا رمزنا لأصل المال بالرمز الحديث س لمجرد اليسر فى التعبير، فإن المال بعد إسقاط عشره يساوى $\frac{٩}{١٠}$ س .

ويكون ما يؤخذ حسب ما جاء بالبيت الأول هو :

$\frac{١}{٣} \times \frac{٩}{١٠}$ س = $\frac{٣}{١٠}$ س ...

وبذلك يبقى من المال $\frac{٦}{١٠}$ س .

ويكون ما يؤخذ ـ حسب البيت الثانى فحسب ـ هو ($\frac{١}{٣} \times \frac{٦}{١٠}$ س + $\frac{١}{٥}$ جميع ما أخذ)

أى ($\frac{٢}{١٠}$ س + $\frac{١}{٥}$ [$\frac{٣}{١٠}$ س + $\frac{٢}{١٠}$ س]) = $\frac{٣}{١٠}$ س ...

وبذلك تصل جملة ما أخذ كما جاء بالبيتين الأولين (مجموع (١) ، (٢)) هو $\frac{٦}{١٠}$ س

ويصير ما تبقى من أصل المال = $\frac{٩}{١٠}$ س − $\frac{٦}{١٠}$ س = $\frac{٣}{١٠}$ س

وهذا يساوى ـ حسب ما جاء بالبيت الثالث ـ ثمانية وعشر ∴ $\frac{٣}{١٠}$ س = ٨ $\frac{١}{١٠}$ = $\frac{٨١}{١٠}$ ، وبالتالى تكون س أصل المال = ٢٧

(٤) نظم بعضهم هـذه المسألـة (مخطوط المكتبـة الأحمدية بحلب ـ رقم ١٢٤٢ : الصفحة ١٨٥ ب) :

« إذا قيـل رطل منهمـــا بثـــلاثـــة
وخمســـة أرطـــال بـــدرهـم واحـــد
فخـذ مـن كـلا النـوعين إن كنت حـاسبـا
بـــدرهم رطـــلا واحـــدا غيـــر زايـــد »

قيل هـذا النظم فى المسألة التاسعة من النوع الخامس عشر من باب التكملة فيما يتعلق باستخراج المجهول فى كتاب ابن الهائم « مرشدة الطالب إلى أسنى المطالب » ، ونص المسألة كالآتى (نفس المخطوط السابق : الصفحات ١٨٤ أ حتى ١٨٥ أ) . « نوعان متفاضلان فى السعر، الرطل من أحدهما بثلاثة دراهم ، ومن الآخر بخمسة دراهم ، بيع رطل منهما بدرهم ، كم فيه من كل نوع ، وكم ثمنه .

فاضرب الرطل فى كل من السعرين ، فإن أردت ثمن الأعلى ، فاضرب سعره فى فضل الدرهم ـــ مجموع الثمنين ـ على الخمس، وذلك أربعة أخماس ، واقسم الحاصل ـ وهو

اثنان وخمسان ـ على الفضل بين السعرين ـ وهو اثنان وأربعة أخماس ـ يخرج ستة أسباع درهم ، فاقسم ذلك على ثلاثة يخرج سبعا رطل .

وإن أردت ثمن الأدنى ، فاضرب سعره فى فضل الثلاثة أكثرالخارجين على الدرهم ـ مجموع الثمنين ـ وذلك اثنان وسمٌ الحاصل ـ وهو خمسان ـ مجموع الثمنين وذلك اثنان ، وسمٌ درهم ، فسمه من خمس الدرهم ، يخرج خمسة أسباع رطل »

يبين الشارح أن النوعين يختلفان من حيث الكمية بحيث إن نسبة كمية الأعلى إلى كمية الأرخص تساوى نسبة فضل سعر الخليط ـ وهو درهم ـ على سعر الأرخص وهو $\frac{١}{٥}$ إلى فضل سعر الأغلى ـ وهو ثلاثة ـ على سعر الخليط وهو درهم واحد .

أى أن $\frac{\text{كمية النوع الأغلى}}{\text{كمية النوع الأرخص}} = \frac{(١ - \frac{١}{٥})}{(٣ - ١)}$

وينص الحل على أن :

ثمن النوع الأغلى = $٣ \frac{(١ - \frac{١}{٥})}{(٣ - \frac{١}{٥})}$ درهم

وثمن النوع الأرخص = $\frac{١}{٥} \frac{(٣ - ١)}{(٣ - \frac{١}{٥})}$ درهم

وبقسمة كل من الثمنين على سعر كل نحصل على كمية كل منهما على الوجه التالى :

كمية النوع الأغلى = $\frac{١ - \frac{١}{٥}}{٣ - \frac{١}{٥}} = \frac{\frac{٤}{٥}}{٢\frac{٤}{٥}} = \frac{٢}{٧}$ رطل

وكية النوع الأرخص = $\frac{٣ - ١}{٣ - \frac{١}{٥}} = \frac{٢}{٢\frac{٤}{٥}} = \frac{٥}{٧}$ رطل

هذا ويمكن حل هذه المسألة بمعادلة جبرية من الدرجة الأولى كما يلى :

	النوع الغالى	الخليط	النوع الرخيص
الكمية :	س	١ رطل	(١ − س) رطل
السعر :	٣	١ درهم	$\frac{١}{٥}$ درهم
فضل السعر:	(٣ − ١)		($١ - \frac{١}{٥}$) درهم
فضل سعر الغالى على سعر الرخيص :		($٣ - \frac{١}{٥}$) درهم	

وحيث إن مجموع ثمنى الكميتين = ثمن رطل واحد من المزيج .

∴ $٣ س + \frac{١}{٥} (١ - س) = ١$ درهم × ١ رطل .

أى أن س كمية النوع الأعلى سعرا = $\frac{٢}{٧}$ رطل .

وكمية النوع الأدنى سعرا = $\frac{٥}{٧}$ رطل

ومن الواضح أن الحل الذى أورده الشارح الفاضل حل صحيح .

من الطريف أن التعبيرات الرياضية لم يقتصر استخدامها على المسائل الحسابية ذات الطابع العلمى، وإنما تعدى ذلك إلى جوانب أخرى ، نسوق منها المثال التالى فى معرض الغزل :

(عن مخطوط مكتبة الأوقاف الإسلامية بحلب ـ رقم ٩٨٥ هامش صفحة ٤٤ هامش متن كتاب ابن الهائم : « مرشدة الطالب إلى أسنى المطالب) .

« عروس بدا فى غلسة الصبح وجهها
فأخجل منها كل من رام رؤيتى
فناديتها والقلب منى محرق
تقرظنى على الوجنات منك ثلاثتى
ميات أتى من قبلها مثل عشريها
ومثل خمس العشر فافهم إشارتى »

(فى المخطوط : « عشرها » ، ونرى أنه تحريف تكشفه إشارة الشاعر إلى جميع أيام السنة) .

يشير الشاعر هنا بطريق خفى إلى تقريظ على الوجنات يبلغ عدده عدد أيام السنة ، حيث تبدأ إشارة العد من نهاية البيت الثانى بثلاث مئات ، يليها عشراها أى .

$\frac{٢}{١٠} \times ٣٠٠ = ٦٠$

ثم تختتم بخمس عشرها أى $\frac{١}{٥} \times \frac{١}{١٠} \times ٣٠٠ = ٦$

وبذلك يبلغ مجموع هذه الأعداد ٣٦٦، وهو عدة أيام السنة الكبيسة (العلوم الرياضية فى الحضارة الإسلامية ـ د. جلال شوقى ود. على الرفاع / ٢٩٤ـ٢٩٦، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠١ـ٣٠٣) .

(كشف الظنون لحاجى خليفة ١ / ٦٢٢ـ ٦٦٥، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٣٦٨ ـ ٣٧٥، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى ـ أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار ذكار جـ٢ ق ١ / ٢٨٩ ـ ٢٩١، والعلوم الرياضية فى الحضارة الإسلامية ـ د. جلال شوقى ود. على الرفاع ١ / ٦٧ ـ ٧٢، ٢٩٤ ـ ٢٩٦، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠١ـ٣٠٣، والتحفه فى علم المواريث لابن غلبون ـ حقق نصوصه وقدم له وعلق عليه السائح على حسين / ١٥٣ ـ ١٦٧، ورسالة فى علم الحساب لعبد الرحمن بن محمد الأخضرى، المطبوعة فى مجموع مهمات المتون ط مصطفى البابى الحلبى / ٢٢٥ ـ ٢٣٣، و « تراث المسلمين فى ميدان العلوم » ـ د. محمد جمال الدين الفندى، دراسات فى الحضارة الإسلامية . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥، ٢/ ٢٥٠ـ٢٥٢، وتراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ـ قدرى حافظ طوقان / ٤٧ ـ ٥١ انظر أيضا أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية : فى العلوم والطبيعة د. عبد الحليم منتصر / ١٩٥ـ١٩٧) .

*** حساب العقود (علم -) :**

والمراد بالعقود : عقود الأصابع . وقد وضعوا كلا منها بإزاء أعداد مخصوصة ، ثم رتبوا لأوضاع الأصابع ، آحاد وعشرات ومئات وألوف، حتى وضعوا قواعد يتعرف بها حساب يمكن معرفة عشرة آلاف بيد واحدة، وهذا عظيم النفع للتجار، سيما عند استعجام كل من المتبايعين لسان الآخر، وعند عدم حضور آلات الكتابة . والعصمة عن الخطأ فى هذا العلم أكثر من حساب الهواء . وكان هذا العلم يستعمله الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين . كما وقع فى الحديث، فى كيفية وضع اليد على الفخذين فى التشهد، أنه عقد خمسا وخمسين ، يعنى : أن النبى ﷺ، عقد أصابع اليد غير السبابة والإبهام ، وحلق الإبهام معها . وهذا الشكل فى علم العقود دال على العدد المذكور. فراوى الحديث، ذكر مدلول ذلك الوضع فى الأصابع ، وأراد داله ، أعنى الهيئة الموضوعة للعدد المذكور، وهذا دليل على شيوع علم العقود عندهم . وكذا السلف، لما ذكروا أقسام الدلالات من أنها طبيعية أو وضعية؛ وكل منهما إما لفظية أو غير لفظية . مثلوا للطبيعية اللفظية كلمة « أُحْ » ـ بضم الهمزة وسكون المهملة ـ الدالة على السعال : وهو وجع الصدر...

ومثلوا بالطبيعية الغير اللفظية بحركة النبض . ومثلوا بالوضعية اللفظية بالألفاظ المستعملة . ومثلوا للوضعية الغير اللفظية بالخطوط والعقود والإشارات والنصب . وأرادوا بالخطوط: نقوش الكتابة، فإنها ليست بلفظ، وموضوعة بإزاء الألفاظ. وأرادوا بالإشارات : الإشارة باليد والشفة والحاجبين وأمثالها. وبالنصب: الأحجار المنصوبة للدلالة على موضع العبور فى الأنهار العظام . وعلى موضع تمييز الأراضى بعضها عن بعض . وأرادوا بالعقود: عقود الأصابع الموضوع كل منها بإزاء عدد مخصوص .

قال صاحب مفتاح السعادة : وفى هذا العلم أرجوزة لابن الحرب أورد فيها مقدار الحاجة . وفيها رسالة لشرف الدين اليزدى أورد فيها الكفاية . وسمعت فى هذا العلم كتابا مطولا لكن ما رأيته .

(مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٣٧٢، ٣٧٣) .

انظر : حساب اليد .

*** حساب الفرائض (علم -) :**

قال القنوجى :

علم حساب الفرائض : هو معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة مما تصح باعتبار فروضها الأصول أو مناسختها ، وذلك إذا هلك أحد الورثة وانكسرت سهامه على فروض ورثته فإنه حينئذ يحتاج إلى حساب يصحح الفريضة الأولى حتى يصل أهل الفروض جميعا فى الفريضتين إلى فروضهم من غير تجزئة . وقد تكون هذه المناسخات أكثر من واحد واثنين، وتتعدد لذلك بعدد أكثر، وبقدر ما تتعدد تحتاج إلى الحسبان ، وكذلك إذا كانت فريضة ذات وجهين مثل أن يقر بعض الورثة بوارث وينكره الآخر فتصح على

الوجهين حينئذ ، وينظر مبلغ السهام ثم تقسم التركة على نسب سهام الورثة من أصل الفريضة ؛ وكل ذلك يحتاج إلى الحسبان ، وكان غالبا فيه وجعلوه فنا مفردا . وللناس فيه تآليف كثيرة أشهرها عند المالكية من متأخرى الأندلس كتاب ابن ثابت ومختصر القلحوفى ثم الجعدى ومن متأخرى إفريقية ابن النمر الطرابلسى وأمثالهم ، وأما الشافعية والحنفية والحنابلة فلهم فيه تآليف كثيرة وأعمال عظيمة صعبة شاهدة لهم باتساع الباع فى الفقه والحساب .

وقد يحتج الأكثر من أهل الفن على فضله بالحديث المنقول عن أبى هريرة رضى الله عنه أن الفرائض ثلث العلم ، وأنها أول ما ينسى ، وفى رواية : نصف العلم . خرجه أبو نعيم الحافظ ، واحتج به أهل الفرائض بناء على أن المراد بالفرائض فروض الوراثة . والذى يظهر أن هذا المحمل بعيدَ ، وأن المراد بالفرائض إنما هى الفرائض التكليفية فى العبادات والعادات والمواريث وغيرها ، وبهذا المعنى يصح فيها النصفية والثلثية ؛ وأما فروض الوراثة فهى أقل من ذلك كله بالنسبة إلى علم الشريعة كلها ، ويعين هذا المراد أن حمل لفظ الفرائض على هذا الفن المخصوص أو تخصيصه بفروض الوراثة إنما هو اصطلاح ناشئ للفقهاء عند حدوث الفنون والاصطلاحات ، ولم يكن صدر الإسلام يطلق على هذا إلا على عمومه مشتقا من الفرض الذى هو لغة التقدير أو القطع ، وما كان المراد به فى إطلاقه إلا جميع الفروض كما قلناه ، وهى حقيقته الشرعية فلا ينبغى أن يحمل إلا على ما كان يحمل فى عصرهم فهو أليق بمرادهم منه والله سبحانه وتعالى أعلم ، وبه التوفيق . انتهى كلام ابن خلدون ملخصا (أبجد العلوم جـ ٢ ق ١ / ٢٩٣ ، ٢٩٤) .

وقال صاحب مفتاح السعادة :

وهو علم يتعرف منه قوانين تتعلق بحساب الفرائض المتعلقة بقسمة التركة ، وهذا وإن كان من فروع العلوم الشرعية لتعلقه بالفرائض ، ولكنه - من حيث كونه قواعد حسابية - يكون من فروع علم العدد (مفتاح السعادة ١ / ٣٧١) .

وقد ذكرنا فى بداية هذه المادة أن حساب الفرائض هو معرفة فروض الوراثة ، وتصحيح سهام الفريضة باعتبار الأصول أو مناسختها . وتنقل لك فيما يلى ما ورد فى منظومة الرحبية عن ذلك ونتبعها بشرح سبط المارديني وقد رقمنا الأبيات ليسهل الرجوع إليها قال الإمام الرحبى رحمه الله تحت عنوان «باب الحساب» :

١ - *وإن ترد معرفة الحساب* \
لتهتدى به إلى الصواب

٢ - *وتعرف القسمة والتفصيلا* \
وتعلم التصحيح والتأصيلا

٣ - *فاستخرج الأصول فى المسائل* \
ولا تكن عن حفظها بذاهل

٤ - *فإنهن سبعة أصول* \
ثلاثة منهن قد تعول

٥ - *وبعدها أربعة تمام* \
لا عول يعروها ولا انثلام

٦ - *فالسدس من ستة أسهم يرى* \
والثلث والربع من اثنى عشرا

٧ - *والثمن إن ضم إليه السدس* \
فأصله الصادق فيه الحدس

٨ - *أربعة يتبعها عشرونا* \
يعرفها الحُسَّاب أجمعونا

٩ - *فهذه الثلاثة الأصول* \
إن كثرت فروعها تعول

١٠ - *فتبلغ الستة عقد العشرهْ* \
فى صورة معروفة مشتهره

١١ - *وتلحق التى تليها بالأثر* \
فى العول إفرادا إلى سبع عشر

١٢ - *والعدد الثالث قد يعول* \
بثمنه فاعمل بما أقول

١٣ - *والنصف والباقى أو النصفان* \
أصلهما فى حكمهم اثنان

١٤ ـــ *والثلث من ثـــلاثـــة يكـــون*
والـــــربع من أربعـــة مسنـــون
١٥ ـــ *والثمن إن كـــان فمن ثمـــانيـــه*
فهـــذه هي الأصـــول الثـــانيـــه
١٦ ـــ *لا يـدخل العـــول عليهـــا فـــاعلم*
ثم اسلـك التصحيح فيهـــا واقسم
١٧ ـــ *وإن تكـن من أصلهـــا تصح*
فتـــرك تطـــويل الحســـاب ربح
١٨ *فـأعط كـــلا سهمـــه مـن أصلهـــا*
مكمّـــلا أو عـــائلا من عـــولهـــا

وجاء شرح سبط المارديني على النحو التالي :

الأبيات ١ ـ ٥ :

أي : حساب مسائل الفرائض وهو تأصيلها وتصحيحها لا علم الحساب المعروف مع أنه لا بد من معرفته لمن يريد إتقان علم الفرائض .

هذه الأبيات الثلاثة الأول كلها حشو والغرض بيان أصول المسائل أولا ، وأصل كل مسألة هو أقل عدد يصح منه فرضها أو فروضها وأصول مسائل الفرائض المتفق عليها (سبعة) اثنان وثلاثة وأربعة وستة وثمانية واثنا عشر وأربعة وعشرون وهي قسمان : قسم منها قد يعول وهو ثلاثة أصول، وقسم منها لا يعول وهو الأربعة الباقية وقوله : (ولا انثلام) كمل به البيت لأجل القافية (الثلمة : الخلل في الحائط وغيره) .

الأبيات ٦ ـ ١٢ :

كل مسألة فيها (سدس) وما بقي أصلها من (ستة) كأم وابن ، وكأبوين وابن فأصلها من ستة ، وكذلك إذا كان مع السدس نصف أو ثلث أو ثلثان كأم وبنت وعم وكأم وولديها وعم وكأم وبنتين وعم ، وكذلك إذا كان فيها نصف وثلث كزوج وأم وعم ، وكل مسألة فيها ربع وسدس فأصلها من اثنى عشر كزوج و أم وابن ، وكذلك إذا كان مع الربع ثلث أو ثلثان كزوجة وأم وعم ، وكزوج وبنتين وعم فأصلها من اثنى عشر وفي كثير من النسخ .

(والثلث والربع من اثنى عشر) وهي صحيحة كأم وزوجة وعم وكل مسألة فيها ثمن وسدس فأصلها من أربعة وعشرين وهو معنى قوله : (أربعة يتبعها عشرونا) كابن وزوجة وأم وكذلك إذا كان مع الثمن ثلثان كزوجة وبنتين ومعتق . وقوله : (الصادق فيه الحدس) حشو لأجل القافية (والحدس) في اللغة الظن والتخمين (فهذه الأصول الثلاثة) تعول إذا كثرت فروضها فزاد مجموعها إلى المال كزوج وأختين لأم وأختين لأب فإن فيها نصفا وثلثا وثلثين فيتحاصص أصحاب الفروض في المال على نسبة فروضهم فتجمع سهامهم من أصل المسألة ويقسم المال على مجموع السهام يخرج حصة كل سهم وهذا هو العول لأن العول في اللغة الارتفاع والزيادة ، وفي الاصطلاح زيادة في عدد سهام أصل المسألة ونقصان من مقادير الانصباء .

شرع يبين عول هذه الأصول الثلاثة وما يبلغه كل أصل منها بالعول فـ (الستة) تعول إلى سبعة وإلى ثمانية وإلى تسعة وإلى عشرة فتعول أربع مرات على توالي الأعداد إلى أن تبلغ (عشرة) وذلك (في صورة معروفة مشهورة) بأم الفروخ بالخاء المعجمة وستأتي فتعول إلى سبعة في زوج وأختين لأبوين أو لأب ، أو مختلفين فللزوج النصف ثلاثة وللأختين الثلثان أربعة ومجموعها سبعة فسم المال بينهما أسباعا للزوج نصف عائل وهو ثلاثة أسباع وللأختين ثلثان عائلان وهما أربعة أسباع وفي أم وأخوين لأم وأختين لغيرها وتعول إلى ثمانية كزوج وأم وأختين لغيرها وكزوج وأم وأخت شقيقة أو لأب وتلقب هذه الصورة بالمباهلة ويصير نصف الزوج في الصورتين ربعا وثمنا ويصير فرض الأم في الأولى ثمنا وفي الثانية ربعا وتعول إلى تسعة كزوج وأم وثلاث أخوات متفرقات للزوج النصف وللشقيقة النصف ولكل واحد من الثلاث الباقيات السدس . وكزوج وأختين لأم وأختين لأبوين أو لأب وتلقب هذه الصورة بالغراء لاشتهارها كالكوكب الأغر وإلى عشرة كزوج وأم وأختين لأم وأخت شقيقة وأخت لأب وكزوج وأم وأختين منها وأختين من غيرها وتلقب هذه الصورة بأم الفروخ بالخاء المعجمة لكثرة ما فرخت بالعول والاثنى عشر تعول ثلاث مرات على توالي (الأفراد) إلى ثلاثة عشر وإلى خمسة عشر و (إلى سبعة عشر) فتعول إلى ثلاثة عشر كبنتين وأم وزوج ، وكزوجة وأم وأخت لأم وأخت لغيرها وإلى خمسة عشر كبنتين وزوج وأبوين ، وكزوجة وأختين لأم وأختين لغيرها ، وإلى سبعة عشر كزوجة وأم وولديها وأختين لغيرها

وكجدتين وثلاث زوجات وأربع أخوات لأم وثمان أخوات لأبوين أو لأب وتلقب هذه الصورة بأم الأرامل وبأم الفروج بالجيم لأنوثة الجميع وبالسبعة عشرية بفتح العين والأربعة والعشرون وهو الأصل الثالث من الأصول العائلة قد تعول وتلقب بالمسألة البخيلة لقلة عولها مرة واحدة بثمنها إلى سبعة وعشرين كأربع بنات ابن وأربع جدات وجد وثلاث زوجات كزوجة وبنتين وأبوين وتلقب هذه الصورة بالمنبرية .

الأبيات ١٣ - ١٦ :

لما فرغ من بيان القسم الأول من أصول المسائل وهى الأصول الثلاثة التى تعول شرع الآن فى بيان القسم الثانى وهو الأصول الأربعة التى لا تعول فكل مسألة فيها نصف وما بقى كزوج وعم أو نصف ونصف كزوج وأخت شقيقة أو لأب فأصلها (اثنان) والصورتان الأخيرتان تلقبان بالنصفيتين لأن كلا منهما فيها نصف ونصف ، وباليتيمتين لأنهما لا نظير لهما وكل مسألة فيها ثلث وما بقى كأم وعم أو ثلثان وما بقى كبنتين وعم أو ثلث وثلثان كأختين لأم وأختين لأب فأصلها ثلاثة وكل مسألة فيها ربع وما بقى كزوج وابن أو ربع ونصف وما بقى كزوج وبنت وعم فأصلها أربعة وكل مسألة فيها ثمن وما بقى كزوجة وابن أو ثمن ونصف وما بقى كزوجة وبنت وعم فأصلها ثمانية وقوله : (من أربعة مسنون) السنن هى الطريقة فهذه الأصول الأربعة لا يدخلها العول كما تقدم فإذا عرفت أصل المسألة فاسلك طريق (التصحيح) بعد ذلك تسلم من الخطأ فى القسمة فقد تصح المسألة من أصلها وقد تحتاج إلى ضرب .

البيتان ١٧ ، ١٨ :

إذا كانت المسألة (تصح) من أصلها بأن انقسم نصيب كل فريق على عدد رءوسه كأم وعمين وكزوج وثلاثة بنين وكثلاث زوجات وأم وخمسة أعمام وكأم الأرامل فيقتصر فى القسمة على تأصيلها ولا يحتاج إلى تصحيح فلا تضرب بعض الرءوس فى بعض والحاصل فى أصل المسألة ولا تنظر بين الرءوس والسهام لأن هذا كله (تطويل) فى (الحساب) من غير فائدة فتركه (ربح) للراحة (فأعط) كل وارث (سهمه من أصلها) كاملا إن لم تكن المسألة عائلة و (عائلا) إن كانت عائلة ففى ثلاث زوجات وأم وخمسة أعمام أصلها اثنا عشر ومنها تصح ربعها ثلاثة أسهم على ثلاث زوجات منقسمة عليهن لكل زوجة سهم وثلثها أربعة للأم والباقى خمسة منقسمة على الأعمام لكل عم سهم وفى المباهلة وهى زوج وأم وأخت لغيرها أصلها ستة وتعول إلى ثمانية للأم ثلث عائل وهو سهمان من ثمانية فهو فى الحقيقة ربع و لكل من الزوج والأخت نصف عائل وهو ثلاثة أثمان وفى أم الأرامل وهى وجدتان وثلاث زوجات وأربع أخوات لأم وثمان أخوات لأبوين أو لأب أصلها اثنا عشر وتعول إلى سبعة عشر للجدتين السدس عائلا وهو سهمان من سبعة عشر سهما لكل جدة سهم وللزوجات الربع عائلا وهو ثلاثة أسهم من سبعة عشر لكل زوجة سهم وللأخوات للأم الثلث عائلا وهو أربعة لكل أخت سهم وللأخوات الباقيات الثلثان عائلان وهما ثمانية لكل منهن سهم فتعول إلى سبعة عشر وعدة الورثة سبعة عشر وكانت التركة فيها سبعة عشر دينارا ولذلك تلقب بالسبعة عشرية .

باب السهام : ثم ينتقل الناظم إلى الكلام على السهام فيقول رحمه الله :

١ ـ *وإن تر السهام ليست تنقسم*
على ذوى الميراث فاتبع ما رسم

٢ ـ *واطلب طريق الاختصار فى العمل*
بالوفق والضرب يجانبك الزلل

٣ ـ *واردد إلى الوفق الذى يوافق*
واضربه فى الأصل فأنت الحاذق

٤ ـ *إن كان جنسا واحدا أو أكثرا*
فاتبع سبيل الحق وأطرح المرا

٥ ـ *وإن تر الكسر على أجناس*
فإنها فى الحكم عند الناس

٦ ـ *تحصر فى أربعة أقسام*
يعرفها الماهر فى الأحكام

٧ ـــ ممـــائل مـن بعـــده منـــاسب
وبعــــده مـــــوافق مصـــــاحب
٨ ـــ والـــرابع المبـــاين المخـــالف
ينبيــك عـن تفصيلهـن العـــــــارف
٩ ـــ فخـــذ من الممـــاثلين واحـــدا
وخـــذ مـن المنـــاسبين الـــزائدا
١٠ ـــ واضــرب جميع الـوفق فى المــوافق
واسلـك بـــــذاك أنهـج الطــــرائق
١١ ـــ وخـــذ جميع العـــدد المبـــاين
واضــــربـــه فى الثـــانى ولا تـــداهن
١٢ ـــ فــذاك جــزء السهم فـــاحفظنـــه
واحـــذر هـــديت أن تـــزيغ عنــــه
١٣ ـــ واضــربــه فى الأصل الــذى تأصـلا
وأحص مـــا انضم ومـــا تحصّــــلا
١٤ واقسمــــــه فـــــالقسم إذا صحيح
يعـــــــرفـــــــه الأعجم والفصيح
١٥ ـــ فهـــذه مـن الحســـاب جمـل
يـأتـى علـى مشــــــالهـن العمـل
١٦ ـــ من غيـــر تطـــويل ولا اعتســـاف
فـــاقنع بمــا بيِّـن فهـــو كــــاف

ويشرح سبط النماردينى الأبيات على النحو التالى :

إذا لم (تنقسم) سهـام كل فريق من أصل المسألـة على عدد رءوس فريقـه من الورثة قسمة صحيحـة من غير كسر بأن انكسـر نصيب فريق أو أكثـر عليـه (فاتبع مـا رسم) أى اتبع الأثر الذى رسمه العلماء (واطلب طريق الاختصار فى العمل بالوفق) وهو طلب الموافقة بين سهام كل فريق وعدد رءوسهم وبين الـرءوس بعضهـا مع بعض واضـربـه فى أصل المسألـة واعمل بالوفق (والضرب) لأن كل مسألة إذا ما ضربت رءوس فريقهـا بعضها فى بعض ، والحاصل فى أصلهـا صح قسمها من الحـاصل سواء كان فيهـا انكسار على كل الفـرق أو على بعضها على جهة التباين أو التوافق أو لم يكن فيها انكسار فإن لم يكن فيهـا انكسار تصح من أصلهـا ولا تحتاج إلى ضـرب كمـا عرفت وإن كـان فيها انكسـار فقـد لا تحتاج إلى ضـرب الـرءوس فى الـرءوس كمـــا إذا خلف خمس جـدات وخمس أخوات لأم وخمسـة أعمام أصلها من ستة للجدات السدس سهم يباين عددهن ، وللأخوات الثلث سهمان يباين عددهن والباقى ثـلاثة لـلأعمام يبـاين عددهم فـرءوس الفرق الثـلاثة متماثلـة فاضـرب عدد الرءوس إحـدى الفرق وهـو خمسة فى أصل المسألـة وهـو ستـة فتصح مـن ثـلاثين ، ولـو ضـربت الرءوس بعضهـا فى بعض والحاصل فى أصلهـا لصحت من سبعمائة وخمسين ، وإذا كـانت المسألة تصح فـى عدد قليل فتصحيحها من عـدد أكثر منه خطأ فى الصناعة الحسـابية .
فإذا سلك الحاسب طـريق الاختصار بـالوفق والضرب جـانبه الخطأ وذلك بأن تنظر إن وقع الكسر على فـريق واحد وكانت السهام تباين رءوس الفريق المنكسـر عليه كأم وخمسة أعمام فاضـرب عدد رءوسهم فى أصل المسألة إن لم تكن عـائلة أو فى مبلغهـا بالعول إن عـالت يحصل المطلوب ، ففـى المثال اضرب عـدد الأعمام وهـو خمسة فى أصلهـا ثلاثـة تصح من خمسـة عشر ، وفى زوج وثـلاث أخوات لأبـوين أصلها ستـة وتعول إلى سبعـة ثلاثة للـزوج منقسمة عليه وأربعة لـلأخوات تبـاين عددهن فـاضرب عـددهن وهو ثـلاثة فى مبلغ أصلهـا بالعول وهـو سبعة تصح من أحد وعشرين للـزوج تسعة ولكل أخت أربعة وإن كانت السهام تـوافق رءوس الفريق فـ (اردد) الفريق الموافق إلى وفقه (واضـربه فى) أصل المسألـة إن كان المنكسر عليه فريقا واحـدا يحصل المطلوب كأم وستة أعمام أصلهـا من ثـلاثـة لـلأم سهـم صحيح ينقسم عليهـا ويفضل سهمان على ستة أعمام لا ينقسمـان عليهم ويوافقان عددهم بالنصف فرد عدد رءوسهم إلى نصفه ثـلاثة واضربه فى أصلها فتصح من تسعـة وفى زوج وعشـرين أختـا لأب أصلهـا ستـة وتعـول إلى سبعة ثـلاثة للـزوج صحيحـة تنقسم عليه وأربعـة للأخوات لا تنقسم عليهن وتوافق عددهـن بالربع فرد عددهن إلى ربعه خمسة واضرب الخمسة فى مبلغ أصلها بالعول وهو سبعة تصح من خمسـة وثلاثين وقوله (أو أكثـر) يأتى حكمه

عقبه . إذا وقع الكسر على أكثر من صنف واحد بأن انكسر على كل من الفريقين أو أكثر نصيبه وهو قوله : (وإن الكسر على أجناس) فانظر الفريق الذى تباينه سهامه وتحفظه كاملا والفريق الذى توافقه سهامه ترده إلى وفقه وتحفظ وفقه ثم تنظر فى المحفوظين أو فى محفوظ من المحفوظات فأحوالهما منحصرة (فى أربعة أقسام) إما أن يكونا متماثلين وهما المتساويان كخمسة وخمسة وإما أن يكونا متناسبين وهو أن يكون أقلهما جزءا من أكثرهما أى ينسب إلى الأكثر بالجزئية كنصفه وثلثه وعشره ونصف ثمنه وهذا تعبير العراقيين من المتقدمين ، والمتأخرون يعبرون عنهما بالمتداخلين وإما أن يكونا متوافقين وهو أن يكون بينهما موافقة بجزء من الأجزاء كالأربعة والستة فإنهما متوافقان بالنصف وإما أن يكونا متباينين وهو أن لا يكون بينهما موافقة بجزء من الأجزاء كالخمسة والثمانية ، فإذا علمت ذلك فقد يكون الانكسار على فريقين فقط وقد يكون على ثلاث فرق ، وقد يكون على أربعة ولا يتجاوزها ولكل حالة حكم اقتصر المصنف على بيان ما إذا وقع الانكسار على فريقين فقط .

يضيف الأستاذ كمال يوسف الحوت محقق الكتاب تعليقا على البيت السابع فيقول فى هامش (١) :

العددان المتماثلان مثل خمسة وخمسة أو ستة مع ستة وهكذا فى كل عدد ، والعددان المتناسبان ، كالثمانية مع الأربعة ، والثلاثة مع الستة ويسمى مثل هذا العدد متداخلا أيضا لدخول قليله فى كثيره ولأن أقله يغنى عن أكثره ، والعددان المتوفقان كالثمانية مع الستة لأن لكل واحد منهما نصفا يوافق به الآخر ، والعددان المتباينان كالخمسة مع الثلاثة أو مع الأربعة أو الستة وهكذا ، فالمتماثلان يكتفى باحدهما عن الثانى ، والمتناسبان يكتفى بالأكبر منهما لدخول الأصغر فيه ، والمتوافقان بضرب وفق أحدهما فى جميع الآخر والمتباينان يضرب كل واحد منهما فى كل الآخر فما حصل يصح منه التقسيم . انتهى من الحاشية .

ويمضى سبط المارديني فى شرحه للأبيات فيقول :

إذا كان الكسر على فريقين فقط وحفظت عدد الفريق الذى باينته سهامه ووفق الفريق الذى وافقته سهامه فانظر إلى المحفوظين المثبتين فإن كانا متماثلين فـ (خذ) أحدهما وإن كانا متناسبين فـ (خذ الزائد) منهما وإن كانا متوافقين فـ (اضرب) وفق أحدهما فى جميع الآخر ، وإن كانا متباينين فاضرب جميع أحدهما فى جميع الآخر ؛ فالحاصل فى كل حالة من الحالات الأربع هو جزء سهم المسألة فاضربه فى أصلها إن لم تكن عائلة وفى مبلغها بالعول إن كانت عائلة يحصل التصحيح وهو (العدد) الذى يصح منه قسم المسألة فاقسمه على الورثة كما سنبينه . فالمحفوظات المتماثلات كأم وخمسة إخوة لأم وخمسة أعمام أو خمسة عشر عمًّا وكأم وعشرة إخوة لأم وخمسة عشر عما جزء سهمهما خمسة فى الصور الثلاث وتصح من ثلاثين فالمتناسبان كأم وأربعة إخوة لأم وأربعة أعمام أو اثنى عشر عما جزء سهمهما أربعة وتصحان من أربعة وعشرين ، والمتوافقان كأم وخمسة عشر أخا لأم وعشرة أعمام أو ثلاثين عما وكأم وثلاثين أخا لأم وعشرة أعمام أو ثلاثين عما والتوافق فيها كلها بين المحفوظين بالخمس وجزء سهم كل صورة منها ثلاثون وتصح من مائة وثمانية ، والمتباينات كأم وثلاثة إخوة لأم وعمين أو ستة أعمام وكأم وستة إخوة لأم وعمين أو ستة أعمام جزء سهم كل صورة منها ستة وتصح من ستة وثلاثين فاقسم كل صورة ما صحت منه المسألة على الورثة بأن تضرب (جزء) سهم المسألة فى نصيب كل فريق من أصل المسألة وتقسم الحاصل على عدد رءوس ذلك الفريق يحصل نصيب كل رأس منه من جملة التصحيح وإن وقع الانكسار على ثلاث فرق أو على أربع فرق فانظر ما بين كل فريق وسهامه واحفظ عدد رءوس الفريق المتباين ووفق رءوس الفريق الموافق ثم انظر المحفوظات فإن كانت كلها متماثلة فأحدها هو جزء سهم وإن كانت متداخلة فأكثرها جزء السهم ، وإن كانت متباينة فاضرب بعضها فى بعض فالحاصل جزء السهم وإن كانت كلها متوافقة أو مختلفة فانظر فى محفوظين منها وخذ أحدهما إن تماثلا وأكبرهما إن تناسبا والحل من ضرب أحدهما فى وفق الآخران توافقا وفى جميعه إن تباينا ثم انظر بين ما أخذته وبين محفوظ ثالث وخذ أحدهما أو أكبرهما أو الحاصل من ضرب أحدهما فى وفق الآخر أو فى كله على ما سبق فالمأخوذ ثانيا هو جزء سهم المسألة إن كانت

المحفوظات ثلاثة فإن كانت أربعة فانظر بين ما أخذته ثانيا وبين المحفوظ الرابع وخذ أحدهما أو أكبرهما أو مضروب أحدهما فى وفق الآخر أو فى كله فهو جزء سهم المسألة اضربه فى أصلها كما تقدم يحصل التصحيح، فلو خلف خمس جدات وخمسة إخوة لأم وخمسة أعمام فجزء سهمها خمسة للتماثل وتصح من ثلاثين، أو خلف خمسة إخوة لأم وعشر جدات ، وعشرين عما فجزء سهمها عشرون للتداخل وتصح من مائة وعشرين، أو خلف عشر جدات وخمسة عشر أخا لأم وخمسة وعشرين عما فجزء سهمها مائة وخمسون للتوافق بين الرءوس بالخمس وتصح من تسعمائة ، ولو خلف جدتين وثلاث إخوة لأم وخمسة أعمام أو جدتين وستة إخوة لأم وخمسة عشر عما فجزء سهم كل من الصورتين ثلاثون لتباين المحفوظات . وتصح من مائة وثمانين ولو خلف أربع زوجات وثمان جدات وستة عشر أخا لأم وأربعة أعمام فأصلها اثنى عشر ووقع الكسر فيها على أربع فرق وجزء سهمها أربعة لتماثل المحفوظات وتصح من ثمانية وأربعين ، ولو خلف زوجتين وست جدات وعشرة إخوة لأم وسبعة أعمام لكان جزء سهمها مائتين وعشرة لتباين المحفوظات وصحت من ألفين وخمسمائة وعشرين ، وإن خلف أربع زوجات وخمس جدات وسبع بنات وجدا فأصلها أربعة وعشرون وتعول إلى سبعة وعشرين وجزء سهمها مائة وأربعون وتصح من ثلاثة آلاف وسبعمائة وثمانين .

تنبيه :

(الجزء) بضم الجيم مهموز الآخر ويجوز فى الزاى السكون والضم (والحذر) بالحاء المهملة والذال المعجمة الاحتراز (والزيغ) بالزاى وآخره غين معجمة هو الميل والإحصاء الضبط (والضم) هنا الجمع و(القسم) بفتح القاف مصدر قسم وبكسر القاف النصيب وكلامه يحتملهما والأظهر الفتح (والأعجم) الذى لا يفصح عن مقصوده ولا يبينه (والفصيح) ضده وغالب ذلك حشو .

(الجمل) بفتح الميم جمع جملة بسكونها أى : (فهذه جمل من الحساب) مجردة عن المثل يأتى بها (العمل) على هذه الصفة المطلوبة (من غير تطويل) فى العبارة ولا ارتكاب غير طريق العمل ، والمثال الصفة التى تصف المراد، والتطويل هنا ضد الاختصار ، (والاعتساف) بكسر الهمزة هو الأخذ على غير الطريق (واقنع) من القناعة وهى الرضا بالقسم والماضى قنع على وزن فرح فهو قنع وقانع قنوع وقنيع و (بين) مضموم الأول مكسور الثانى مشدد مبنى لما لم يسم فاعله أى وضح ، (والكافى) المغنى عن غيره ، والبيتان كلاهما حشو وتطويل لا يحتاج إليهما .

باب المناسخة (أو المناسخات) ثم ينتقل الإمام الرحبى رحمه الله إلى الكلام على المناسخة فيقول :

وإن يمت آخر قبل القسمهْ
فصحح الحساب واعرف سهمهْ
واجعل له مسألة أخرى كما
قد بُيِّن التفصيل فيما قُدِّما
وإن تكن ليست عليها تنقسم
فارجع إلى الوفق بهذا قد حُكِمْ
وانظر فإن وافقت السهاما
فخُذ هُديت وفقها تماما
واضربه أو جميعها فى السابقهْ
إن لم تكن بينهما موافقهْ
وكل سهم فى جميع الثانيهْ
يضرب أو فى وفقها علانيهْ
وأسهُمُ الأخرى ففى السهام
تضرب أو فى وفقها تمام
فهذه طريقة المناسخهْ
فارق بها رتبة فضل شامخه

ويشرح سبط المارديني الأبيات فيقول :

هذا باب نوع من تصحيح المسائل لكن الذى قبله تصحيح بالنسبة إلى ميت واحد وهذا تصحيح بالنسبة إلى ميتين فصاعدا فلهذا ذكره عقبه ، والمناسخة فى الاصطلاح أن يموت إنسان ثم لم تنقسم تركته حتى يموت من ورثته وارث أو

أكثر سميت مناسخة لأن المسألة الأولى انتسخت بالثانية أو لأن المال ينتقل فيها من وارث إلى وارث ، والنسخ فى اللغة الإزالة أو النقل ومنه نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه .

إذا مات إنسان ثم مات (آخر) من ورثة الأول (قبل قسمة) تركته (فصحح) مسألة الميت الأول (واعرف) سهام الميت الثانى منها واعمل للثانى (مسألة أخرى) بأن تصحح مسألته وتقسمها كما تقدم ثم اقسم سهام هذا الميت الثانى من مسألة الأول على مسألته هو فإن انقسمت فواضح لأنها لا تحتاج إلى عمل، مثاله : ماتت امرأة عن زوج وأم وعم ثم مات الزوج عن ثلاثة بنين أو عن أبوين فمسألة الميت الأول تصح من أصله ستة ، للزوج ثلاثة ، وللأم سهمان، وللعم سهم ، ومسألة الثانى وهو الزوج فى الصورتين تصح من ثلاثة وسهامه من الأولى ثلاثة منقسمة على مسألته فتصح المناسخة كلها من الستة وهذا مراده بقوله : (كما قد بين التفصيل فيما قدما) وإن لم (تنقسم) سهام الثانى على مسألته (فارجع إلى الوفق) بأن تنظر هل بين سهام الثانى ومسألته موافقة أو مباينة (فإن وافقت) سهام مسألته (فخذ) وفق مسألته (واضربه) فى المسألة السابقة وهى مسألة الميت الأول ، و(إن لم يكن) بين سهام الميت الثانى وبين مسألته (موافقة) بأن تباينا فاضرب مسألته جميعها فى السابقة ، يحصل فى الحالين تصحيح المناسخة ، مثاله والمسألة الأولى بحالها مات الزوج عن ستة بنين أو عن أم وأخوين لأم وأخ لأب فمسالته فى الصورتين تصح من أصلها ستة وسهامه من الأولى ثلاثة لا تنقسم على مسألته بل توافقها بالثلث فاضرب ثلث مسألته وهو سهمان فى مسألة الأول وهى ستة تصح المناسخة من اثنى عشر للأم فى الأولى أربعة ولعمها سهمان ولورثة الزوج ستة ، وإن مات الزوج فيها عن عشرة بنين أو عن بنت وخمسة إخوة لأبوين أو لأب، صحت مسألته فيها من عشرة ، لكل ابن سهم وللبنت خمسة ، ولكل أخ سهم ، وسهامه أى الزوج من الأولى ثلاثة تباين العشرة فاضرب العشرة جميعها فى الأولى تصح (المناسخة) من ستين ، لعم الأولى منها عشرة، ولأمها عشرون ولورثة الزوج ثلاثون ، فإذا أردت أن تقسم المناسخة فاضرب سهام كل وارث من المسألة الأولى فى جميع المسألة الثانية عند مباينتها لسهام صاحبها وفى وفق الثانية عند موافقتها واضرب سهام كل وارث من الثانية فى جميع سهام مورثه عند التباين، وفى وفقها عند التوافق ففى صورة زوج وأم وعم مات الزوج عن ستة بنين تقدم أنها تصح من اثنى عشر لموافقة مسألة الثانى سهامه بالثلث لأم الميتة الأولى من مسألتها سهمان، فى وفق الثانية وهو سهمان ، فلها أربعة ولعمها سهم فى السهمين يحصل له سهمان ، ولكل من أولاد الزوج من الثانية سهم فى ثلث سهام مورثه وهو سهم يحصل له سهم ، وفى صورة زوج وأم وعم مات الزوج عن بنت وخمسة إخوة تقدم أنها تصح من ستين لمباينة سهام الثانى مسألته فاضرب لأم الأولى سهمين فى عشرة جميع الثانية يحصل لها عشرون ، ولعمها سهما فى العشر فله عشرة واضرب لبنت الميت الثانى وهو الزوج خمسة من مسألته فى سهامه الثلاثة فلها خمسة عشر، واضرب لكل من إخوته سهما فى الثلاثة فله ثلاثة أسهم وقس على ذلك وقد اختصر المصنف رحمه الله تعالى ولم يذكر سوى ما إذا مات ميتان فقط لأجل التسهيل على المبتدى ولم يذكر كيفية قسمة التركات وهى الثمرة المقصودة بالذات فنحن نذكرها وذلك أن التركة إذا كانت من الأمور المعدودة المتساوية قدرا وقيمة كالدراهم والدنانير ففيها طرق منها أن تضرب سهام كل وارث من المسألة فى التركة وتقسم الحاصل على المسألة يحصل نصيبه من التركة فلو مات عن أم وزوجة وعم وترك مائة دينار، فالمسألة من اثنى عشر سهما . للزوجة : ثلاثة وللأم أربعة ، وللعم خمسة ، فاضرب للزوجة ثلاثتها فى المائة واقسم الحاصل وهو ثلاثمائة على المسألة ، يخرج لها خمسة وعشرون دينارا واضرب للأم أربعتها فى المائة واقسم الحاصل وهو أربعمائة على المسألة يخرج لها ثلاثة وثلاثون وثلث، واضرب للعمل خمسة فى المائة واقسم الحاصل على المسألة، يخرج له أحد وأربعون دينارا وثلثان ، ومنها أن تقسم التركة على المسألة ، وتضرب الخارج فى سهام كل وارث يحصل نصيبه ففى المثال اقسم المائة على المسألة ، وهى اثنى عشر يخرج ثمانية وثلث، اضربها فى ثلاثة للزوجة ، وأربعة للأم ، وخمسة للعم ، يحصل لكل واحد ما ذكرناه ،

ومنها أن تنسب سهام كل وارث من المسألة إليها وتأخذ من التركة بتلك النسبة ، فالمأخوذ حصته فنسبة ثلاثة للزوجة إلى المسألة ربعها فخذ لها ربع المائة وهو خمسة وعشرون ونسبة أربعة الأم إلى المسألة ثلث فلها ثلث المائة وهو ثلاثة وثلاثون وثلث ونسبة خمسة العم ربع وسدس فله ربع المائة خمسة وعشرون وسدسها ستة عشر وثلثان وهذا الوجه يعمل به في التركة المعدودة وغيرها سواء كانت أجزاؤها متصلة أو منفصلة وهي متساوية القيمة أو مختلفتها (شرح الرحبية في الفرائض / ٥٦ - ٦٧) .

وثمة منظومة أخرى في الفرائض بعنوان « خلاصة الفرائض» لعبد الملك الفتني وجاء فيها عن المناسخات ما يلي :

هناك المناسخات في الميراث
وتلك موت أحد الوراث
قبل اقتسامهم عن الدنيا
قد غايروا قسمة الأولينا
فاعرف نصيب الثان من مصحح
لأول ثم لثان صحح
مسألة واقسم عليها سهمه
فإن وفى فأول للقسمة
صح لثلاثين وإن لم ينقسم
لكنه وافقها فقد حكم
بضرب أول بوفق ما تلا
وإن يباينها فبالكل انجلى
وحاصل الضرب يسمى جامعة
وقسمة الوراث فيها واقعة
فاضرب سهام وارث من أول
في وفق تصحيح تلا أو أكمل
واضرب سهام وارث الأخير في
وفق لحظ الثان أو كل وفي
فحاصل لوارث نصيبه
واجمع له من ذين ما يصيبه
واجعل بموت ثالث ذي الجامعة
مسألة أولى وصحح شافعة

(مجموع مهمات المتون / ٧٥) .

(أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي - أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار ، جـ ٢ ق ١ / ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٣٧١ ، وشرح الرحبية في الفرائض لأبي عبد الله محمد بن علي الرحبي ، شرح الشيخ محمد بن محمد سبط المارديني / ٥٦ - ٦٧ ، ومجموع مهمات المتون ط مصطفى البابي الحلبي / ٧٥ . انظر أيضا التحفة في علم المواريث لأبي غلبون - حقق نصوصه وقدم له وعلق عليه السائح علي حسين / ١٦٧ - ١٧٠) .

*** الحساب (كتاب -) :**

كتاب الحساب : لابن البناء المراكشي وهو مفيد لخص فيه ضوابط أعماله ثم شرحه بكتاب سماه رفع الحجاب وهو مستغلق على المبتدي لما فيه من البراهين الوثيقة المباني وهو كتاب جليل القدر كان المشايخ في المغرب يعظمونه وهو جدير بذلك ساوق فيه المؤلف كتاب فقه الحساب والكامل ولخص براهينهما وغيرها عن اصطلاح الحروف فيها إلى علل معنوية ظاهرة وهي سر الحروف وزبدتها وهي كلها مستغلقة . وكتاب الحساب لابن محلي الموصلي ولابن فلوس (شمس الدين إسماعيل بن إبراهيم) المارديني المتوفى سنة ٦٣٧ سبع وثلاثين وستمائة ولسموءل بن يحيى توفى بمراغة سنة ٥٧٠ .

(كشف الظنون ٢ / ١٤١١ ، ١٤١٢) .

*** حساب الكفات :**

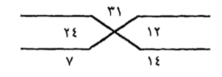
قال عنه الأستاذ قدري حافظ طوقان رحمه الله : هناك طريقة في الحساب تعتمد على حساب الخطأين (انظر في موضعه) .

استعملها بعض علماء العرب في مؤلفاتهم الحسابية فكانوا يطلقون عليها اسم « حساب الكفتين أو حساب الكفات » وقد وجدتها مذكورة في كتاب حساب قديم «للقلصادي » الذي أفرد لها بابا سماه « باب العمل في الكفات » .

ونورد هنا مسألة وردت في كتاب « القلصادي » (ص ٣٠)

مع حلها على طريقة العمل فى الكفات إذا قيل لك مال جمع ثلثه وربعه فكان واحدا وعشرين ... » وجاء الحل على الصورة الآتية : ـ

« فضع الواحد والعشرين على القبة واتخذ إحدى الكفتين من اثنى عشر والثانى أربعة وعشرين هكذا .



ثم قابل الجزء من الاثنى عشر بها على القبة [إذا فرضت المال ١٢ فإن ثلثه وربعه = ٧] نجد الفضل بينهما [أى بين ٧ و ٢١] أربعة عشر ضعها تحت الكفة . ثم افعل كذلك فى الكفة الثانية تجد الفضل بينهما ٧ ضعها تحت الكفة الثانية أيضا . ثم اضرب فضل الكفة الأولى وهو ١٤ فى الكفة الثانية يخرج لك ستة وثلاثون وثلاثمائة [٣٣٦] . احفظه ثم اضرب فضل الكفة الثانية وهو ٧ فيما فى الكفة الثانية يخرج لك أربعة وثمانون اطرحها من المحفوظ يتولد اثنان وخمسون ومائتان [٢٥٢] اقسم على ٧ وهو الفضل بين الكفة الأولى والثانية يخرج لك ستة وثلاثون وهو العدد المجهول » .

أى أنك إذا فرضت المال ١٢ فإن $\frac{١}{٣} \times ١٢ + \frac{١}{٤} \times ١٢ = ٧$

ثم تفرض المال ٢٤ فإن $\frac{١}{٣} \times ٢٤ + \frac{١}{٤} \times ٢٤ = ١٤$

٢١ − ١٤ = ٧ تضعه فى أسفل الكفة اليسرى

ولإيجاد المال نجرى العمل هكذا

$$\frac{١٤ \times ٢٤ - ٧ \times ١٢}{١٤ - ٧} = ٣٦$$ وهو المال المطلوب

(تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ـ قدرى حافظ طوقان / ٥٦ ، ٥٧) .

*** حساب المثلثات (علم ـ) :**

يعتبر علم المثلثات علما عربيا ، فرياضيو العرب فصلوا علم المثلثات عن علم الفلك بعدما كانا علمين متداخلين ، ونظموه تنظيما فيه الكثير من الدقة . وقد كان اليونان يستعملون وتر ضعف القوس فى قياس الزوايا ، فاستعاض رياضيو العرب عن الوتر بالجيب ، فأدت هذه الاستعاضة إلى تسهيل كثير من الأعمال الرياضية .

والرياضيون العرب كانوا السباقين إلى إدخال « الظل » فى عداد النسب المثلثية ، والظل هو المماس ، غير أن لفظة الظل تستعمل اليوم فى علم المثلثات ، ولفظة المماس تستعمل فى الهندسة . كما استخدم العرب « الظلال » «وظلال التمام » و « القواطع » و « قواطع التمام » و «الجيوب» و « جيوب التمام » ، وذلك فى قياس الزوايا والمثلثات .

من جهة ثانية اكتشف الرياضيون العرب العلاقات النسبية بين الجيوب وجيوب التمام ، والظلال وتمامها ، والقواطع وتمامها .

واكتشفوا طريقة مكنتهم من حساب مساحة المثلثات الكروية وهى مثلثات تحد أقواس من الدائرة الكبرى للكرة .

(علماء العرب ـ إعداد وتحقيق د. يوسف فرحات / ٣٦ ، ٣٧) .

*** حساب المنجمين :**

انظر : حساب الستين .

*** حساب النجوم (علم ـ) :**

علم حساب النجوم فهو علم يتعرف منه قوانين حساب الدرج والدقائق والثوانى والثوالث بالضرب والقسمة والتجذير والتفريق ومراتبها فى الصعود والنزول ، وفيه كتب مفردة غير ما بين فى مبسوطات الكتب الحسابية .

(أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجى جـ٢ ق ١ / ٢٩٥) .

*** الحساب الهندى :**

منذ القرن التاسع الميلادى أخذ ينتشر فى العالم الإسلامى فن جديد لإجراء العمليات الحسابية بالأرقام الهندية ، سماه العرب الهندى أو حساب الهند ، وسموه أيضا حساب التخت أو التراب أو الغبار .

والتسميتان الأوليان تشيران إلى أن العرب اعتبروا هذا الفن هندى المنشأ والأسماء الأخرى اقتضاها أن النظام الجديد

يتطلب استعمال لوحة (تخت) يبسط عليها الحاسب الرمل أو التراب ثم يخط عليه بالقلم ما شاء من أعداد .

والحساب الهندى كما يبدو فى أقدم المخطوطات العربية أخذه العرب لمزايا محددة قدروها ولكنهم وجدوا فيه نقائص حاولوا تلافيها .

أما المزايا فمنها أن النظام الهندى عشرى يعتمد فى الدلالة على الأعداد على تسعة إشارات للأرقام من الواحد إلى التسعة بالإضافة إلى إشارة للصفر .

ثم هو يشتمل على طرق بينة محددة للعمليات الحسابية من جمع وطرح وضرب وقسمة واستخراج جذور، فى حين أن هذه العمليات تجرى فى حساب اليد عقليا، ومن ثم فهى غير واضحة المعالم ويجرى بعضها فى حساب الستين باستعمال جداول لا تتوفر فى كل حين .

يضاف إلى ذلك أن الحساب الهندى يشتمل على فكرة واضحة عن الكسر العادى المطلق الذى لا يتقيد بقيود حساب اليد أو حساب الستين .

وأبرز نقائص الحساب الهندى أنه يعتمد فى كل عملياته على التخت والمحو ، فالعمليات تجرى بحيث تمحى الأرقام تدريجيا باليد فلا يبقى فى النهاية سوى الجواب . ومن ثم لا يبقى مجال لمراجعة خطوات الحل أو رؤيتها ككل .

فلجمع ٥٤ إلى ٧٦ يكتب العددان على التراب أحدهما تحت الآخر، ثم يجمع الحاسب ٥ إلى ٧ فيمحوها بالأصابع ويضع فى مكان أعلاهما١٢ ، ثم هو يجمع ٤ إلى ٦ فيمحوها ويضع فى مكان الأعلى صفرا ، ويمحو الاثنين من ١٢ ويضع فى مكانها ٣ ، وهكذا يصير ما على التخت ١٣٠ ، وهو حاصل الجمع .

إن عرض العملية الحسابية كخطوات متتالية تتجلاها العين ويتابعها الذهن أمر لم يتوفر إذن فى الحساب الهندى . فإذا اعتبرنا حساب اليد فنا شفهيا ، والحساب الحالى (الإسلامى) كتابيا ، فإن الحساب الهندى ، كان مرحلة وسطا بين الاثنين .

وفى أقدم كتاب عربى وصل إلينا عن الحساب الهندى ، وهو كتاب الفصول لأبى الحسن أحمد بن إبراهيم الأقليدسى (كتبه فى دمشق سنة ٣٤١ هـ) نجد ذكرا لهذه النقائص ومحاولة جادة لتلافيها .

* * *

واستكمالا للعناصر الرئيسية التى تكون منها علم الحساب الإسلامى ، نضيف هنا أن العرب عندما اطلعوا على التراث الإغريقى عرفوا ما كان الإغريق يسمونه بالأرثماتيكا وأضافوه إلى ذخيرتهم الحسابية . والأرثماتيكا تتكون من موضوعات تدخل تحت ما نسميه اليوم بنظرية الأعداد .

ثم إن العرب اتصلوا بالصينيين ، وكان لدى هؤلاء معرفة بالكسور العشرية وطريقة لاستخراج الجذر الرابع وما بعده ، ولكن نرجح أن العرب اكتشفوا هذه الطريقة ، كما اكتشفوا الكسور العشرية ، مستقلين عن الصينيين . وقد أخذ العرب من الصينيين فكرة المربعات السحرية ولكنهم استعملوها فى الكيمياء وكتابة الحجب ولم يستعملوها كمادة حسابية .

(« رسالتان فى الحساب العربى » ـ تحقيق د. أحمد سليم سعيداى. مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية . م ١٣ جـ ١ ، ربيع الأول ١٣٧٨ هـ ـ مايو ١٩٦٧ / ٤٨ ، ٤٩) .

* **حساب الهواء :**

انظر : حساب اليد .

* **حساب اليد (علم ـ) :**

من العناصر الرئيسية التى تكون منها الحساب الإسلامى .

لا يتضمن هذا النظام أى رموز للأرقام ، بل تكتب الأعداد بألفاظها كاملة .

والنظام أصلا عشرى، وعملياته الحسابية تجرى شفهيا ويستعين الحاسب فى إجرائها على أصابع اليدين ، فيعقدها بأشكال مختلفة لتدل على الأعداد المختلفة ، وقد كان يستطيع أن يعبر بأصابعه عن أى عدد بين الواحد و ٩٩٩٩ .

فإذا هو أراد أن يجمع ١٧ إلى ٢٣ مثلا؛ عقد بأصابعه ٢٣ ، ثم يضيف إليها ١٠ عقليا ويغير العقد إلى ٣٣، ثم يضيف ٧ فيغير العقد إلى ٤٠ .

وأقدم المخطوطات التى تحمل اسم الحساب بدون تمييز

إنما تختص بهذا النظام فهو الذى كان شائعا . أما التمييز فقد صار ضروريا بعد شيوع الحساب الهندى ، فميز الأقليدسى (القرن ١٠ م) حساب اليد بأن سماه حساب الروم والعرب ، لأنه كان شائعا أيضا لدى البيزنطيين ؛ وسماه البغدادى المشار إليه آنفا حساب اليد ، وسماه بعض المتأخرين الحساب الهوائى بالمقارنة مع الحساب الهندى الذى كان يسمى حساب التراب أو الغبار .

ومخطوطات حساب اليد لا تشرح طريقة عقد الأصابع للدلالة على الأعداد المختلفة ، بل تعتبر أن القارئ يعرفها . وهى تعنى خاصة بالضرب والقسمة والنسبة ويدور معظمها حول المقادير الكسرية . ذلك أن حساب اليد كان ينطوى على ثلاثة أنظمة كسرية .

النظام الأول هو الكسور الستينية ، وكل كتاب فى حساب اليد يخصص صفحات لتحويل الكسور إلى النظام الستينى (انظر الحساب الستينى) .

والنظام الكسرى الثانى يستهدف تحويل أى كسر إلى مجموعة كسور بسوطها وحدة ، ومقاماتها من ٢ إلى ١٠ فالكسر $\frac{٣}{٤}$ مثلا يعبر عنه بنصف وربع ، والكسر $\frac{١}{١٥}$ يعبر عنه بثلث خمس . ونجد إلحاحا على هذا النوع من التعبير وقواعد موضوعة لذلك ، وجداول . حتى إن كسرا مثل $\frac{٣}{١١}$ لا يمكن تحويله بدقة تعطى له قيمة تقريبية حسب قواعد مبينة .

وهم يبررون هذا الإجراء بقولهم : إن العربية تحوى تسعة أسماء للكسور هى النصف والثلث ... إلى العشر ، فينبغى إذن أن يعبر عن كل كسر عدا هذه بدلالتها ، إما بالإضافة كما فى نصف سدس ، أو بالعطف كما فى ثلث وربع ، أو بالاستثناء كما فى نصف إلا سبع .

من هذا نستدل على أن هذا النظام الكسرى قد يكون عربى المنشأ إلا أن المصريين القدماء كانوا أيضا يلحون على تحويل الكسر إلى مجموعة كسور بسوطها واحدة .

والنظام الكسرى الثالث الذى نجده فى حساب اليد يستهدف التعبير عن أى كسر بأجزاء من وحدات القياس المحلية . فإذا كان الدرهم ٢٤ قيراطا والقيراط ٨ حبات ، والحبة ٦ أرزات ، مثلا ، عبروا عن الأعداد الصحيحة بالدراهم ، وعن الكسور بالقراريط والحبات والأرزات . فالقيراط $\frac{١}{٢٤}$ ، والحبة $\frac{١}{٢٤ \times ٨}$ ، والأرزة $\frac{١}{٢٤ \times ٨ \times ٦}$ من الوحدة .

ولما كانت وحدات القياس تختلف من مكان إلى مكان ، وتختلف فى المكان الواحد من جيل إلى جيل ، فإن دراسة هذا النظام الكسرى بالنسبة إلى الباحث المعاصر ترتبط بدراسة تاريخ وحدات القياس فى العالم الإسلامى .

ومع انتشار الحساب الهندى ، وما ينطوى عليه من فكرة واضحة عن الكسرى العادى المطلق ، تناقص الاهتمام بهذه الأنظمة الكسرية حتى لنجد الكتب المتأخرة فى حساب اليد تكاد تقتصر على قواعد مختصرة للضرب والقسمة .

لقد اختفى حساب اليد ، أو هو اندمج فى الحساب الهندى فخلفا معا علم الحساب الإسلامى ، ولكن دراسة حساب اليد ونشر مخطوطاته أمر يبقى على جانب كبير من الأهمية ، لأن علم الجبر الإسلامى نما فى بيئة حساب اليد وتحت ظله .

وأهم ما وصل إلينا من كتب فى حساب اليد — قبل أن ينكمش بتأثير الحساب الهندى - كتابان هما كتاب الكافى فى الحساب للكرجى (القرن ١١ م) وكتاب المنازل السبع لأبى الوفاء البوزجانى (القرن ١٠ م) .

أما كتاب الكافى فنجد فيه عرضا شاملا لهذا النظام وللجبر الإسلامى فى مراحله الأولى كما نجد أن مؤلفه لا يجهل الحساب الهندى . وقد عنى المتقدمون بهذا الكتاب ووضعوا له عدة شروح وصل إلينا بعض منها .

قالت المؤلفة : كتاب « الكافى فى الحساب » لأبى بكر محمد بن الحسن الكرجى عندى نسخة منه ، دراسة وتحقيق وشرح د. سامى شلهوب . منشورات جامعة حلب ، معهد التراث العلمى العربى . سلسلة مصادر دراسات فى تاريخ الرياضيات العربية (٥) ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

وأما كتاب المنازل السبع فاسمه الكامل : ما يحتاج إليه

العمال والكتاب من صناعة الحساب . وفيه أيضا عرض شامل لنظام حساب اليد ولكنه يعنى في الدرجة الأولى باستعراض المشاكل الحسابية التي يجابهها موظفو الدولة من جباة ومحاسبين ومساحين ومثمنين ... إلخ . ولذا فللكتاب عدا قيمته الرياضية قيمة كبيرة لدراسة الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في العصر الإسلامي .

ولكن هذين الكتابين كبيرا الحجم تحتاج دراستهما إلى جهد وافر . ولذا آثرنا في هذه المرحلة نشر رسالة في حساب اليد أقل حجما وأقل تأثرا بالحساب الهندي لتعطي فكرة تمهيدية عن هذا النظام قبل القيام بنشر كتاب مثل الكافي أو المنازل السبع (« رسالتان في الحساب العربي » / ٤٥ـ٤٨) .

قالت المؤلفة : ذكر المؤلف آنفا أن بعض المتأخرين سمى حساب اليد « الحساب الهوائي » وقد وجدنا تلك التسمية في كتاب « مفتاح السعادة » لطاش كبرى زاده (ونقله عنه القنوجي) إذ يقول : علم حساب الهواء علم يتعرف منه كيفية حساب الأموال العظيمة من الخيال بلا كتابة ولها طرق خاصة وقوانين عجيبة . وهذا النفع للتجار في الأسفار ، وفي مواضع لا تتيسر فيها الكتابة . وأعظم منافعها لأهل السوق من العوام الذين لا يعرفون الكتابة أصلا ، وللخواص إذا عجزوا عن إحضار آلات الكتابة . وفي هذا العلم رسائل شريفة يعرفها أهلها .

ومن الكتب المختصرة فيه :

كتاب لابن محلي الموصلي ومختصر لابن فلوس الماريديني ؛ ومختصر السموءل بن يحيى المغربي .

ومن المبسوطة :

« الكافي » [للكرجي] و « الكامل » لأبي القاسم بن السمح ؛ و « شرح شمسية الحساب » ؛ و « شرح مختصر الصلاحي » .

و « أساس القواعد في شرح أصول الفوائد البهائية » لكمال الدين حسن الفارسي ؛ وغير ذلك مما لا يدخل تحت الضبط (مفتاح السعادة ١ / ١٣٧ ، ٣٧٢ ، وأبجد العلوم جـ ٢ ق ١ / ٢٩٤) .

(« رسالتان في الحساب العربي » - تحقيق د. أحمد سليم سعيدان . مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية م ١٣ جـ ١ ، ربيع الأول ١٣٧٨ هـ - مايو ١٩٦٧ م / ٤٥ ـ ٤٨ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١ / ٣٧١ ، ٣٧٢ ، وأبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي جـ ٢ ق ١ / ٢٩٤) .

انظر : حساب العقود .

*** حسام الحكام المحققين لصد البغاة المعتدين عن أوقاف المسلمين :**

إحدى مجموعة رسائل « التحقيقات القدسية والنفحات الرحمانية الحسنية في مذهب السادة الحنفية » لأبي الإخلاص حسن بن عمار بن يوسف الوفائي الشرنبلالي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ - ١٦٥٩ م .

أحد مخطوطات الفقه الحنفي بدار الكتب الظاهرية بدمشق (بمكتبة الأسد الآن) .

لخص المؤلف هذه الرسالة من رسالته : حسناء الأوصاف في حفظ الأوقاف ، لما سئل عن بيع وقف عامر من غير مسوغ لبيعه وقد وقفه مشتريه بعد تكرر البيع والشراء .

أولها بعد البسملة : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه الأمين .

آخرها : وهذا حق الفقراء قد أقمنا البرهان والحجة لإثباته ، ودفعنا عنه تمويهات الظن وشبهاته .

تمت تأليفا سنة ١٠٥٠ هـ عليها مقابلة على نسخة المؤلف سنة ١١٥٦ هـ .

من الورقة ٢٧٩ ـ ٢٩٧ .

(فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية . الفقه الحنفي - وضع محمد مطيع الحافظ ١ / ١٧١ ، ١٧٢ ، والعنوان فيه بلفظ « المحقين ») .

توجد منه نسخة بمكتبة البلدية بطنطا .

(مجلة معهد المخطوطات العربية . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . القاهرة . الطبعة الثانية م ٤ جـ ٢ / ٣٧١ ، والعنوان فيه بلفظ « المحققين ») .

*** حسام أمير المؤمنين :**

من الألقاب الإسلامية حسام أمير المؤمنين : مرادف للقب « سيف أمير المؤمنين » وإن كان أقل منه في المرتبة في عرف كتاب ديوان الإنشاء المملوكي .

وقد أطلق على أبى سعيد بورى بن أتابك فى نص إنشاء بتاريخ سنة ٥١٤ هـ فى جبانة دحداح بدمشق . ويلاحظ أنه فى النص أطلق لقب « سيف أمير المؤمنين » على قتلغ أتابك أبى سعيد طغتكين .

وقد أورد ابن شيث لقب « حسام أمير المؤمنين » ضمن ألقاب الأمراء الأعيان فى عصره وجعله ابن فضل الله العمرى فى « عرف التعريف » مع « الجناب الشريف » « والجناب الكريم » « والجناب العالى » ، ولم يورد لقبا أدنى منه بالإضافة إلى « أمير المؤمنين » ، بل اقتصر على ما يضاف إلى « الملوك والسلاطين » وأما تقى الدين بن ناظر الجيش فقد أورده مع « المجلس العالى » أى أنه أنزله رتبة عن ابن فضل الله .

وقد حاول القلقشندى تعليل انخفاض «حسام أمير المؤمنين» عن «سيف أمير المؤمنين » على أساس لغوى: فقال إن الحسام مأخوذ عن الحسم وهو القطع ، أما السيف فمأخوذ من (ساف) إذا هلك ، ومعنى الإهلاك أبلغ من معنى القطع الذى قد يقع فى بعض البدن مما لا يتضمن الإهلاك .

(الألقاب الإسلامية د. حسن الباشا/ ١٩٩).

* **الحسامية (خانقاه) (٥٨٥ هـ):**

من خانقاوات دمشق

أوقفتها الخاتون ست الشام ، أخت صلاح الدين ، وأم حسام الدين ، وهى التى أوقفت الشامية البرانية ، وكان وقفها فى حدود سنة ٥٨٥ هـ

وكانت هذه الخانقاه بالصالحية شمال المدرسة الشلبية البرانية ، قرب تربة العفيف أبى الفوارس . وقد أسرع الخراب إليها ، بعكس المدرسة ، واندثرت تربة العفيف أيضا ، ونقلت التربة الشلبية لتستقر على ضفاف نهر ثورا ، الى الغرب مما يعرف اليوم بـ « دوار الميسات» .

وثمة « الخانقاه الحسامية » فى الشرف القبلى ، مكان مبانى الجامعة اليوم ، وهى غير هذه .

(خطط دمشق ـ أكرم حسن العلبى / ٣٩٦) .

* **الحسامية (مدرسة) :**

قال المقريزى : هذه المدرسة بخط المسطاح من القاهرة قريبا من حارة الوزيرية . بناها الأمير حسام الدين طرنطاوى المنصورى نائب السلطنة بديار مصر إلى جانب داره وجعلها برسم الفقهاء الشافعية ... ويسلك منها إلى درب العداس وإلى حارة الوزيرية وإلى سويقة الصاحب وباب الخوخة وغير ذلك .

(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ٢ / ٣٨٦ ، والخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك ٦ / ١٣) .

* **حسان بن ثابت (ـ٥٤ هـ / ـ٦٧٤ م) :**

قال عنه الإمام النووى :

حسان بن ثابت الصحابى رضى الله عنه شاعر رسول الله ﷺ مذكور فى المهذب فى الشهادات وجواز الشعر هو أبو عبد الرحمن ويقال أبو الوليد ويقال أبو الحسام حسان ابن ثابت بن المنذر بن حرام بالراء بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصارى النجارى المدنى . وأمه الفريعة بنت خالد . روينا عن محمد بن إسحاق وآخرين بأسانيد قالوا عاش حسان بن ثابت وأبوه ثابت وأبوه المنذر وأبوه حرام كل واحد من الأربعة مائة وعشرين سنة وهذه طرفة عجيبة لا تعرف فى غيرهم كذا قاله أبو نعيم وجماعات من الأئمة قالوا عاش حسان ستين سنة فى الجاهلية وستين فى الإسلام وتوفى بالمدينة سنة أربع وخمسين وشاركه فى هذا حكيم بن حزام فعاش ستين سنة فى الجاهلية وستين سنة فى الإسلام وتوفى بالمدينة سنة أربع وخمسين ولا يعرف لهما ثالث فى هذا (وجد فى نسخة ما نصه . ولهما ثالث أيضا حويطب بن عبد العزى مات سنة أربع وخمسين ابن مائة وعشرين سنة وهو مثل حكيم بن حزام وهو من مسلمة الفتح ومن المؤلَّفة وممن حضر دفن عثمان وممن أمره عمر بتجديد أنصاب الحرم. قال له مروان بن الحكم : تأخر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث فقال الله المستعان والله لقد هممت به غير مرة كل ذلك يعوقنى عنه أبوك وينهانى يقول كيف تترك شرفك ودين آبائك

لديـن محـدث وتصير تبعـا فأسكت مـروان ونـدم علـى مـا قـال اهـ) .

والمراد بالإسلام من حين انتشر وشاع فى الناس وذلك قبل هجرة رسـول الله ﷺ بنحو ست سنين . روى عن حسـان ابنه عبـد الرحمن وسعيـد بـن المسيب . وثبت فى الصحيح أن رسـول الله ﷺ قـال لحسـان : اهج المشـركين وروح القـدس معك » يعنى جبـريل عليـه السلام . وفى روايـة « اللهم أيـده بروح القـدس » والأحاديث الصحيحة بمعنى مـا ذكرتـه كثيرة قالوا ويقال له أبو الحسام لمناضلته عن رسول الله ﷺ وتقطيعه الكفار بشعره وتمزيق أعراضهم قـال العلماء : كان المشركون يهجون الصحابة والإسلام فانتدب لهجوهم ثلاثة من الأنصار حسان بن ثابت وكعب بن مـالك وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم فكـان حسـان وكعب يعـارضـانهم فى الـوقـائع والأيـام والمآثر ويذكران مثالبهم وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وبعبادة الأوثان فكان قوله أهـون عليهم من قول صاحبيه فلما أسلموا وفقهوا كـان قول عبد الله أشد عليهم . وقـال أبو عبيدة أجمعت العـرب على أن أشعر أهل المـدر أهل يثرب ثم عبـد القيس ثم ثقيف وعلى أن أشعر أهل المدن حسان .

(تهذيب الأسماء ١ / ١٥٦) .

قال أبو عبيدة : فضل حسان الشعـراء بثلاثة : كان شاعر الأنصار فى الجـاهلية ، وشاعـر النبى ﷺ فى النبوة ، وشـاعر اليمانيين فى الإسلام . وكان شديد الهجاء فحل الشعر . قال المبرد فى « الكامل » : أعرق قوم كانوا فى الشعراء آل حسان ، فإنهم يعدون ستـة فى نسق ، كلهم شاعـر ، وهم : سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام . توفى فى المدينة (الأعلام ٢ / ١٧٦) وجاء فى الإصابة : مات حسان قبل الأربعين فى قـول خليفة وقيل سنـة أربعين وقيل خمسين وقيل أربع وخمسين وهو قول ابن هشام حكاه عنه ابن البرقى وزاد : وهو ابن عشـرين ومائة سنة أو نحوها . وذكـر ابن إسحاق أن النبى ﷺ قدم المدينة ولحسان ستون سنة . قلت : فلعل هذا يكـون على قـول من قـال إنـه مـات سنـة أربعين بلغ مـائة أو دونهـا ، أو فى سنـة خمسين مـائة وعشـرة ، أو سنـة أربع وخمسين مـائة وأربـع عشـرة ، والجمهـور أنـه عـاش مـائة وعشرين سنـة ، وقيل عاش مائة وأربع سنين جـزم به ابن أبى خيثمة عن المـدائنى . وقال ابن سعـد : عاش فى الجـاهلية ستين وفى الإسـلام ستين ، ومـات وهـو ابن عشـرين ومـائة (الإصابة ٢ / ٨، ٩) .

وبقى حسان شطر حياته الأخير فى الإسلام يعيش فى زمن رسـول الله مما اقتنى وخلف لـه أهلـه ، ومما كـان يقسمه لـه رسـول الله من الغنائم والهـدايا . وقـد وهب له سيـرين أخت ماريـة القبطية أم ولد رسول الله (انظـر إبراهيم ابن النبى ﷺ) وهما من الهـدية التى بعث بها المقـوقس إليه فأولدهـا حسان ابنه عبد الرحمن .

وكـان له اطـم (أى بناء عـال) يسكنـه بالمـدينـة يسمى فارعا .

وكان الخلفاء يفرضون لـه فى العطاء بعد رسول الله مثل ما كان يفرض لكبار الصحابة المقيمين بالمدينة .

شعره ـ كان آل حسان من أعـرق بيوت العرب فى الشعر ؛ فكان أبـوه وجده شـاعرين ، وكان ابنـه عبد الـرحمن وحفيده سعيد بن عبد الرحمن شاعرين ، وكان هو أشعر أهل بيته ... وأجمعت العرب على أن حسان أشعـر أهل المدر، وهم أهل المدينة ومكة والطائف وأهل قرى البحرين من عبد القيس .

وكان أجزل شعره وأقواه وأحصفه ما قاله فى شبيبته وكهولته فى الجـاهلية ، أى من مثل مـا ناقض بـه قيس بن الخطيم فى وقـائع الأوس ، والخزرج ومـدح بـه آل جفنة وآل النعمـان بن المنذر. ولما أسلـم كان قد مضى من عمره ستـون سنة ولكنها لم تطفئ من شعلة خاطره ولم تقل من غرب لسانه .

ووجد فيه رسول الله ﷺ بقيه من النكـاية لأعدائه أبقاها فيه انطبـاعه على الهجـاء منذ شب ، ودعـا الله أن يؤيـد فيه هـذه البقية بروح القدس وحكمة الدعاء بتأييد الله له فى الهجاء وهو سباب أن الهجاء كان عند العرب من أقوى الأسباب فى خضد شـوكـة أعـدائهم وكسـر حـدتهم وإدخـال الغم والـذل على نفـوسهم ، فهو سـلاح من أقـوى الأسلحـة فى توهين العـدو وكف غربه .

وكان رسول الله إذا سمع هجاءه فى أعدائه يقول : لهذا أشد عليهم من وقع النبل .

ولذلك يرى العارفون أن شعره فى الإسلام كان لا يزال كعهده فى زمن الشباب قويا حصيفا رصيفا فى مواضع خاصة فى هجائه المشركين ، وعند هيجه بمعارضة شعرهم، وفى فخره وحماسته . ويرون أيضا أن كثيرا مما وجد فيها من شعره لينا ضعيفا لم تكن نسبته إليه صحيحة وإنما هو مما وضعه المتكثرون من الشعر من رواة المغازى والسير . قال الأصمعى مرة : حسان أحد فحول الشعراء ، فقال أبو حاتم : تأتى له أشعار لينة ، فقال الأصمعى : تنسب له أشياء لا تصح عنه .

(وقد بيَّن بعض هذا المنحول لحسان المؤرخ المحقق ابن هشام صاحب السيرة النبوية التى اختصرها من سيرة ابن إسحاق الكبيرة فبعد أن يأتى ابن هشام على بعض قصائد نسبت لحسان أو على أبيات منها ناقلا لها عن ابن إسحاق يعقِّب عليها فيقول فى موضع : وأهل العلم بالشعر ينكرونها لحسان ، وفى موضع آخر : وتروى هذه الأبيات لفلان ، أى لغير حسان ، وكرر هذا القول فى غير موضع وكذلك قال فى قصائد نسبت لغيره من الصحابة أو من المشركين) .

وأما ما يُستلان من شعره فهو بعض ما قاله فى وصف عقائد الإسلام وشعائره وتعداد فضائله ، أو قاله فى توحيد الله وتنزيه صفاته وتهجين عبادة الأوثان وما أعد الله للمؤمنين من الثواب وللمشركين من العقاب ، أو بعض ما قاله فى مدح رسول الله وأصحابه ، أو بعض ما قاله فى رثاء من استشهد فى الغزوات من أصحابه ومن مات من الخلفاء بعد رسول الله أو من أصحابه .

ويمكن تعليل ذلك بأسباب :

١ ـ منها أن سبب لينه فيما يتعلق بعقائد الإسلام انبهاره بما قال القرءان الكريم ، ونطق به رسول الله أبلغ العرب من خُطبه ومواعظه وأحاديثه فى مثل هذه الأغراض ، والمعروف أن الضعيف إذا أحس من نفسه العجز عن محاكاة ما يأتى به العظيم ازدادت نفسه خورا وفسولة عند ما يرغب أن يخوض فى حديث من مثله .

٢ ـ ومنها أن الأصمعى يعلل لينه فى غير الهجاء وقوته فى الهجاء بأن الشعر نكد يقوى فى الشر ويضعف فى الخير. وهو تعليل مقبول فى جملته .

٣ ـ ومنها أن لين شعره الإسلامى علله حسان نفسه فيما روى عنه ، وقد قيل له : لان شعرك أو هرم فى الإسلام يا أبا الحسام (وكان يكنى بذلك أحيانا) فأجاب : إن الإسلام يحجز عن الكذب والشعر يزينه الكذب .

٤ ـ ومنها أن كثيرا من شعره الإسلامى قاله بعد ما بلغت منه السن، والشعر صورة من صورة النفس يشيخ إذا شاخت .

٥ ـ ومنها أن كثيرا من شعره الإسلامى قاله ارتجالا عند حدوث الوقائع الداعية إليه .

أغراض شعره

وقد قال حسان الشعر فى أكثر أغراضه ، وأهمها فى شعره الهجاء والمدح والفخر والحكمة .

فأما الهجاء فأول ما قاله منه فى الجاهلية مناقضته لقيس ابن الخطيم ، ولم يكن متناول الذم فيها بين الشاعرين معايبها الشخصية بل معايب القبيلتين الأوس والخزرج حقا أو باطلا .

ولما نافح عن رسول الله بشعره لم يكن متناول الهجو قريشا كلها بل المشركين منها بعامة وأشدهم على رسول الله بخاصة : من مثل أبى جهل وأبى لهب وأبى سفيان . وهم من أقرب قريش نسبا إليه ، فكان هجاؤه لأحدهم ليس بالطعن فى أصل نسبه وذم عشيرته بل فى نفى نسبه عن نسبهم وأنه دعى فيهم أو لصيق أو متبنى أو عبد ، ثم يذكر ما يستقبح من صفاته الخَلقية والخُلقية فيصفه باللؤم وقطع الرحم والجهل وخفة الحلم والبخل والجبن والفرار عن إنقاذ الأحبة من وهْدة الموت فى المعارك ، وأكثر ما يذكر من ذلك وقعة بدر وهزيمة قريش فيها ، وربما أقذع .

وأما مدحه فى الإسلام فقلما أتى فيه بقصائد مطولة مستقلة بالمدح خاصة به على مثال لامية كعب بن زهير، وإنما يأتى بمدحه النبى ـ صلوات الله عليه ـ متصلا بهجائه أعداءه من قريش فيعير المهجو بمعاداة نبى أتى بكذا وكذا وصفته كذا وكذا .

ومدح كثيرا من أصحاب رسول الله وخلفائه وفرسان المسلمين بمقطعات بليغة تراها فى ديوانه .

وأما فخره فكثير ، فتارة يكون بذكر مآثر قومه الأنصار إذا هاجى قريشا أو ثقيفا أو هذيلا فيذكر تنكيلهم بقريش فى وقعة بدر ويكون بذكر مآثر الخزرج أو رهطه بنى النجار إذا لاحى قيس بن الخطيم شاعر الأوس فى الجاهلية .

والحق أن فخره من أفخر شعره حتى ما قاله منه بعد الإسلام وشيخوخته .

وأما حكمته وضربه المثل فذلك كان عزيزة فيه منذ الجاهلية وزادهما الإسلام رونقا وصوابا ، وقلما تخلو قصيدة من شعره من حكمة أو ضرب مثل أو موعظة رائعة .

وله رثاء يشجو القلب ويستذرف الدمع ، ومنه بضع قصائد مطولة رثى بها رسول الله ﷺ وقصائد متوسطة أو قصيدة رثى بها الخلفاء وكبار الصحابة .

أسلوب شعره ومعانيه :

ويختلف أسلوب شعر حسان وعبارته فى شعره عن أسلوب معاصريه فى الجاهلية والإسلام بقلة تكلفه وتنوقه فى تجويد الرصف وتنقيح اللفظ وتهذيبه ، كما كان يفعل النابغة والأعشى وخاصة الحطيئة ، بل يرسل الشعر كما تجود به القريحة وعلى ما خيلت ، فيكون منه الجيد البالغ الغاية ، والمفجج الكثير الثغر للطاعن والناقد .

ومن هنا تعرف سبب قلة اطراد الغريب فى شعره ، فتجد لفظ غريبا بجانب ألفاظ كثيرة سهلة لينة .

ودخل فى شعره كثير جدا من ألفاظ القرآن الكريم وضرب أمثاله وكناياته وألفاظ العبادة والشعائر الدينية مما لم يكن مستعملا ولا معروفا فى الجاهلية ، وسمى بعد بالألفاظ الإسلامية .

وأكثر معانيه فى الإسلام مستمد من معانى القرآن الكريم والآيات التى نزلت فى غزوة بدر وأحد والخندق وحكاية حجج المشركين والرد عليهم ومن إرشاد القرآن ووعظه وحكمته وضرب مثله .

والخلاصة أن شعر حسان مظهر من مظاهر تأثير الإسلام والقرآن فى الأدب العربى ، ويكاد هذا التأثير يفقد فى شعر الحطيئة مع أنه من المخضرمين ، لأن الحطيئة أسلم ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام على طمع وجشع ورقة دين وقلة وفاء ، فلم يتملأ بالروح الإسلامى كغيره (المفصل فى تاريخ الأدب العربى ١ / ١٠٧-١١٣) .

وفيما يلى نموذج من شعره وهو ما قاله يوم فتح مكة ، وقد رقمنا الأبيات ليسهل الرجوع إليها :

قال حسان رضى الله عنه :

١ ـ *عفت ذات الأصابع فالجواء*
إلى عذراء منزلها خلاء

٢ ـ *ديار من بنى الحسحاس قفر*
تُعَفِّيها الروامس والسماء

٣ ـ *وكانت لا يزال بها أنيس*
خلال مروجها نعم وشاء

٤ ـ *فدع هذا ، ولكن من لطيف*
يؤرقنى إذا ذهب العشاء ؟

٥ ـ *عدمنا خيلنا إن لم تروها*
تثير النقع موعدها كداء

٦ ـ *يبارين الأسنة مصغيات*
على أكتافها الأسل الظماء

٧ ـ *تظل جيادنا متمطرات*
تلطمهن بالخمر النساء

٨ ـ *فإما تعرضوا عنا اعتمرنا*
وكان الفتح وانكشف الغطاء

٩ ـ *وإلا فاصبروا لجلاد يوم*
يعين الله فيه من يشاء

١٠ ـ *وقال الله : قد يسرت جندا*
هم الأنصار عرضتها اللقاء

١١ ـ *لنا فى كل يوم من معدٍّ*
قتال أو سباب أو هجاء

١٢ ـــ فنحكم بالقوافى من هجانا
ونضرب حين تختلط الدماء

١٣ ـــ وقال الله : قد أرسلت عبدا
لحق القول إن نفع البلاء

١٤ ـــ شهدت به ، وقومى صدقوه
فقلتم : ما نجيب ، وما نشاء

١٥ ـــ وجبريل أمين الله فينا ،
وروح القدس ليس له كفاء

١٦ ـــ ألا أبلغ أبا سفيان عنى
فأنت مجوف نخب هواء

١٧ ـــ بأن سيوفنا تركتك عبدا
وعبد الدار سادتها الإماء

١٨ ـــ هجوت محمدا ، فأجبت عنه
وعند الله فى ذاك الجزاء

١٩ ـــ أتهجوه ، ولست له بكفء
فشركما لخيركما الفداء

٢٠ ـــ فمن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء

٢١ ـــ فإن أبى ووالده وعرضى
لعرض محمد منكم وفاء

وإليك شرح معانى بعض الألفاظ :

البيت ١ : ذات الأصابع ، والجواء ، وعذراء مواضع بالشام .

البيت ٢ : الروامس : الرياح التى تدفن الآثار ، والمراد بالسماء الأمطار .

البيت ٣ : النَّعم : الإبل والشاة ، أو خاص بالإبل .

البيت ٤ : العشاء من المغرب : إلى العتمة ، والمعنى دع الحديث فى الأطلال ، وأرشدنى إلى من يدفع عنى طيف الخيال الذى يؤرقنى إذا اشتد ظلام الليل .

البيت ٥ : كداء : ثنية بالقرب من مكة ، وجملة عدمنا : دعائية .

البيت ٦ : المباراة : المسابقة . والأسنة : جمع سنان ، وهو حديد الرمح ، والأسل : الرماح ، أى أن الخيل تسابق الأسنة التى يضعها الفرسان حذاء عنقها ظنا منها أن الأسنة تجرى معها شوطا ، ومصغيات : حال من الأسنة أى مائلات للطعن ، وظمأ الرماح : شدة شغفها بالدم والقتال .

البيت ٧ : تمطرت الخيل : جاءت يسبق بعضها بعضا ، ولطمه : ضربه ، والخمر: جمع خمار، وهو الثوب تغطى به المرأة رأسها . أى أن النساء يمسحن بخمرهن على الخيل لما أصابها من الجهد . ولما غشيها من عرق وغبار .

البيت ٨ : فإما : أصلها إن ما ، وهى إن الشرطية المدغمة فى ما الزائدة ، واعتمرنا : أدينا العمرة وهى زيارة البيت الحرام، أى إن أعرضتم عنا تركنا الحرب وزرنا البيت وتم فتح مكة بلا قتال .

البيت ١٠ : عرُضتها : أى همتها وقوتها ، أى أن الأنصار قوتها فى اللقاء والقتال .

البيت ١٢ : حكم الفرس : جعل للجامه حكمة ، فأخضعه ، أى نخضع بشعرنا من هجانا ، ونقاتل بشجاعة حينما تختلط دماؤنا بدماء أعدائنا ، فنحن أقوياء اللسان والقلب .

البيت ١٣ : البلاء : الاختبار مصدر بلاه يبلوه .

البيت ١٥ : الكفاء : أى المكافئ أى المساوى .

البيت ١٦ : المجوف : من لا قلب له ، والنخب : الجبان ، والهواء : الفارغ (المنتخب ١ / ٤٤ ـ ٤٦) .

(تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى ١ / ١٥٦ ، ١٥٧ ، والأعلام للزركلى ٢ / ١٧٦ ، والإصابة فى تمييز الصحابة لشيخ الإسلام أحمد بن حجر العسقلانى ٢ / ٨ ، ٩ ، والمفصل فى تاريخ الأدب العربى ـ أحمد الإسكندرى وزملائه ١ / ١٠٧ ـ ١١٣ ، والمنتخب من أدب العرب ـ طه حسين وزملائه ١ / ٤٤ ـ ٤٦) .

*** حسان (جامع ـ) (٥٥٧ هـ) :**

من المساجد الجامعة بدمشق . فى قصر حجاج إلى الشمال من حمام الزين وينسب إلى الأمير الأجل أبى طالب محمد بن على بن كرد الذى بناه سنة ٥٥٧ هـ .

وفى سنة ١٣٢٨ كان يسمى مدرسة الشيخ محمد القاسمى الحلاق وكان فيه ثمانى عشرة غرفة وثلاثون طالبا .

وقد تعرض المسجد للهدم فى مناسبات كثيرة ، لكنه رُمِّم وبقى قائما حتى اليوم ، وهو يُعدّ من المساجد القديمة التى بنيت فى عصر نور الدين (خطط دمشق / ٣٢٤) .

على باب المسجد عتبة فيها « بسم الله الرحمن الرحيم ». عمره الأمير الأجل الاسفهسلار الكبير المقرب نجم الدين مجد الإسلام أبو طالب محمد بن على كرد ، لوجه الله ، فى سنة سبع وخمسين وخمسمائة » .

وقد سكن فيه الخطيب عبد الله بن حسان ، فنسب إليه . وتوفى فى سنة ٦٥٠ هـ قال صاحب الشذرات : « وفيها الخطيب العدل عبد الله بن حسان بن رافع خطيب المصلى : توفى بقصر حجاج بالمسجد المعروف به ودفن بسفح قاسيون (دور القرآن فى دمشق / ٤٩) .

(خطط دمشق ـ أكرم حسن العلبى / ٣٢٤ ، ودور القرآن فى دمشق لعبد القادر بن محمد النعيمى ـ صححه وعلق عليه وذيله د. صلاح الدين المنجد / ٤٩) .

* **ابن الحسبانى (٧٤٨ - ٨١٥ هـ / ١٣٤٦ - ١٤١٢ م) :**

هو أحمد بن إسماعيل بن خليفة بن عبد العال ، قاضى القضاة شهاب الدين أبو العباس الدمشقى الشافعى المعروف بابن الحسبانى .

مولده فى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

كان إماما عالما فقيها ، بارعا فى الفقه ، والعربية ، والحديث ، وغير ذلك ، تصدر للإقراء والتدريس والفتيا عدة سنين ، وولى قضاء القضاة الشافعية بدمشق وخطابتها غير مرة ، وقدم القاهرة مرارا عديدة .

قال المقريزى : وتفقه بأبيه وغيره ، وسمع من أصحاب الفخر ، وطلب بنفسه فأكثر جدا بدمشق والقاهرة ، ولم يزل يسمع حتى سمع ممن هو دون شيوخه مع ذكاء وتفنن ، وكتب تفسيرا أجاد فيه لو كمل ، وعلق على الحاوى فى الفقه شرحا ، وخرج أحاديث الرافعى وسماه « شافى العى فى تخريج أحاديث الرافعى » وشرح ألفية ابن مالك فى النحو ، وناب فى الحكم بدمشق مدة ، ثم ولى قضاء القضاة بها غير مرة ، فلم تحمد سيرته ، وكان لا يزال يخرج على السلطان ويترامى على الشر ، ويلج فى مضايق الفتن حبا فى الرئاسة ، انتهى كلام المقريزى .

توفى بدمشق فى يوم الأربعاء عاشر شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وثمانمائة ، عن خمس وستين سنة وسبعة أشهر وأيام .

وله ترجمة فى : الدليل الشافى ١ / ٤٠ رقم ١٢٩ ، النجوم الزاهرة ١٤ / ١١٤ ، إنباء الغمر ٢ / ٥٢٣ رقم ٣ ، قضاة دمشق / ١٣١ ، السلوك ٤ / ٢٥٤ ، الضوء اللامع / ٢٣٧ ، شذرات الذهب ٧ / ١٠٨ .

(المنهل الصافى لابن تغرى بردى ـ حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين ، تقديم د. سعيد عبد الفتاح عاشور، ١ / ٢٤٢ ، ٢٤٣) .

* **الحسبة :**

من خصائص النظم الاجتماعية فى القرون الوسطى مراقبة المصالح العامة للتأكد من أنها تسير طبقا للمبادئ كما جاءت فى القرآن وفسرتها الشريعة ، وهذه المراقبة كانت تسمى بنظام الحسبة ، وهى وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بما فرض على من ولى أمور المسلمين ، فكان يجب عليه أن يعين لذلك محتسبا يراه أهلا للقيام بهذه الوظيفة ، وعلى المحتسب أن يتخذ الأعوان لمراقبة ما يجرى من المنكرات وتعزير الناس وتأديبهم وحملهم على التمسك بأهداب الشريعة وتجنب كل ما من شأنه أن يضر بمصلحة الجمهور .

(الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عن العرب / ٣١٦) .

ولم يكن لبلاد الإسلام عهد بدار الحسبة قبل أن ينشئها أمير المؤمنين عمر « رضى الله عنه » بالمدينة المنورة ، فقد رأى بثاقب بصره وما حباه الله به من فطرة سليمة غذاها بما نهله من المعين الصافى بالصحبة الصادقة لرسول الهدى «ﷺ» أن ما وصلت إليه الفتوحات الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها يتطلب وضع نظام ينفع ديار المسلمين وينشر عليهم لواء العدل والأمن والرخاء الذى كفله الإسلام

لكل فرد فى المجتمع مهما كانت جنسيته أو عقيدته ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ [الحجرات : ١٣] فأنشأ رضى الله عنه ديوانا أسماه « دار الحسبة » - البلدية - ، وجعل عليها رئيسا أسماه « المحتسب » - رئيس البلدية - وبذلك يكون قد سبق الزمن بإنشائها .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن الحسبة « جميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر سواء فى ذلك عن ولاية الحرب مثل نيابة السلطان ، والصغرى مثل نيابة الشرطة وولاية الحكم أو ولاية المال وهى ولاية الدواوين المالية وولاية الحسبة » (المدينة المنورة / ١٣ ، ١٤) .

ويقول الإمام الماوردى : الحسبة هى أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهى عن المنكر إذا أظهر فعله . وقال الله تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ [آل عمران : ١٠٤] (الأحكام السلطانية / ٢٠٧) .

لقد وضع العرب فى تنظيمهم للصناعات والمهن وعلاقات العمل تشريعا لقمع الغش ، ومراقبة أصحاب الصنائع والحرف يسمى « الحسبة » وسمى القائم بها « المحتسب » وهذه الوظيفة دينية ، وهى من باب الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ويقتصر عمل المحتسب على ما يتعلق بالغش والتدليس (الطب عند العرب / ٢٧٧ ، ٢٧٨) .

والحسبة وظيفة جليلة رفيعة الشأن وموضوعها التحدث فى الأمر والنهى والتحدث على المعايش والصنائع والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح فى معيشته وصناعته . قال الماوردى فى الأحكام السلطانية : وهو مشتق من قولك حسبك بمعنى اكفف لأنه يكفى الناس مؤونة من يبخسهم حقوقهم . قال النحاس : وحقيقة المحتسب فى اللغة المجتهد فى كفاية المسلمين ومنفعتهم ، إذ حقيقة افتعل عند الخليل وسيبويه بمعنى اجتهد (تاريخ البيمارستانات فى الإسلام / ٥١) .

ويقول ابن خلدون فى مقدمته مجملا الكلام على الحسبة:

أما الحسبة فهى وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى هو فرض على القائم بأمور المسلمين يعيِّن لذلك من يراه أهلا له فيتعين فرضه عليه ويتخذ الأعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة فى المدينة مثل المنع من المضايقة فى الطرقات ومنع الحمالين وأهل السفن من الإكثار فى الحمل والحكم على أهل المبانى المتداعية للسقوط بهدمها وإزالة ما يتوقع من ضررها على السابلة والضرب على أيدى المعلمين فى المكاتب وغيرها فى الإبلاغ فى ضربهم للصبيان المتعلمين ولا يتوقف حكمه على تنازع أو استعداء بل له النظر والحكم فيما يصل إلى علمه من ذلك ويرفع إليه وليس إمضاء الحكم فى الدعاوى مطلقا بل فيما يتعلق بالغش والتدليس فى المعايش وغيرها فى المكاييل والموازين وله أيضا حمل المماطلين على الإنصاف وأمثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة ولا إنفاذ حكم وكأنها أحكام ينزه القاضى عنها لعمومها وسهولة أغراضها فتدفع إلى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها فوضعها على ذلك أن تكون خادمة لمنصب القضاء وقد كانت فى كثير من الدول الإسلامية مثل العُبيدِيين بمصر والمغرب والأمويين بالأندلس داخلة فى عموم ولاية القاضى يولى فيها باختياره ثم لما انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصار نظره علما فى أمور السياسة اندرجت فى وظائف الملك وأفردت بالولاية (مقدمة ابن خلدون / ٢٢٥ ، ٢٢٦) .

وقال فضيلة الشيخ أحمد مصطفى المراغى :

الحسبة لغة كما فى لسان العرب اسم من الاحتساب وهو البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالأخذ بأنواع البر والخير والقيام بها على الوجه المرسوم لها ابتغاء الأجر المرجو منها ، وفى حديث عمر رضى الله عنه :

أيها الناس احتسبوا أعمالكم فإن من احتسب عمله كتب له أجر عمله وأجر حسبته ؛ واسم الفاعل المحتسِب أى طالب الأجر .

وفى القاموس واحتسب عليه الأمر إذا أنكره عليه ومنه المحتسب . فظاهر عبارة اللسان تدل على أن المحتسب

مأخوذ من احتسب أجرا عند الله إذا اعتده وادخره ، وصريح عبارة القاموس ترشد إلى أنه من احتسب عليه الأمر إذا أنكره عليه ، ومن البين أن المناسبة جلية فى أخذه من المعنى الأول كما أشار إليه صاحب اللسان إذ طلب الأجر أسبق فى الفكر لدى المحتسب من إنكار عمل غيره ومنعه من فعله وإن كان هذا يحصل تبعا وعرضا لا قصدا أوليا من العمل .

معنى الحسبة شرعا :

أصل الحسبة الشرعية مشارفة السوق (شارف الشىء : قاربه ودنا منه) والنظر فى مكاييله وموازينه ، ومنع الغش والتدليس فيما يباع ويشترى من مأكول ومصنوع ، ورفع الضرر عن الطريق بدفع الحرج عن السابلة من الغادين والرائحين ، وتنظيف الشوارع والحارات والأزقة إلى نحو ذالك من الوظائف التى تقوم بها الآن المجالس البلدية . ومفتشو الصحة ومفتشو الطب البيطرى ومصلحة المكاييل والموازين وقلم المرور، ورجال الشرطة الموكول إليهم المحافظة على الآداب العامة إلى غير ذلك .

ثم اتسعت أعمالها فيما بعد حتى كانت من أهم الشئون التى عنى بها الخلفاء والسلاطين وصار لها ولاية خاصة (مصلحة خاصة) شملت كل أمر بمعروف، ونهى عن منكر، كإقامة الصلاة فى مواقيتها والنظر فى أحوال أئمة المساجد والمؤذنين وإلزامهم بأداء وظائفهم على حسب مقتضى الشرع ، ومن ثم قال بعض العلماء : الحسبة أمر بمعروف ظهر تركه ، ونهى عن منكر ظهر فعله ، وإصلاح بين الناس.

(المعروف كل فعل أو قول أو قصد حسن شرعا ، والمنكر كل فعل أو قول أو قصد قبيح شرعا ، والإنكار فى ترك الواجب وفعل الحرام واجب ، وفى ترك المندوب وفعل المكروه مندوب) .

وأول من أحدثها فى الإسلام عمر بن الخطاب كما سبق القول ، فقد ولى عبد الله بن عقبة على النظر فى الأسواق والتفتيش على المكاييل والموازين ومنع الغش فيما يباع ويشترى وقد كان الخلفاء والولاة فى الصدر الأول يباشرون أعمالها بأنفسهم يبتغون إصلاح الرعية ويرجون جزيل الثواب، فقد كان عمر يقوم بوظائف المحتسب ويشارف السوق ويراقب المكاييل والموازين ويأمر بإماطة الأذى عن الطريق .

(دفع الضرر ويشمل هذا كل ما يضر المارة من ازدحام فيها ووجود أنقاض وهدم يمنع من السير فيها ووجود مبان متداعية للسقوط فى جوانبها) .

روى المسيب بن دارم قال : رأيت عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يضرب حمالا ويقول : حملت جملك ما لا يطيق (مفتش قلم المرور الآن والرفق بالحيوان) .

وفى كنز العمال عن زيد بن فياض عن رجل من أهل المدينة قال : دخل عمر ـ رضى الله عنه ـ السوق وهو راكب فرأى دكانا (دكة) قد أحدث فى السوق فكسره (الحسبة فى الإسلام / ٤ ـ ٧) .

إلا أن لفظ « المحتسب » لم يستعمل إلا فى عهد الخليفة المهدى العباسى (١٥٨ ـ ١٦٩ هـ) (حضارة الدولة العربية / ١٤٤) .

وقبل أن نفصل هذين الأساسين اللذين بنيت عليهما الحسبة ، وهما الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر نسوق الأحاديث النبوية الشريفة الآتية :

١ ـ عن طارق بن شهاب « أن أول من بدأ بخطبة العيد قبل الصلاة مروان فقام إليه رجل فقال : الصلاة قبل الخطبة ، فقال قد ترك ما هنالك ، فقال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أما هذا فقد قضى ما عليه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » أخرجه الخمسة إلا البخارى وهذا لفظ مسلم .

وعند الترمذى فقام رجل فقال : يا مروان خالفت السنة .

زاد أبو داود : أخرجت المنبر فى يوم عيد ولم يكن يخرج فيه ، وبدأت بالخطبة قبل الصلاة ، وليس عند النسائى إلا المسند فقط .

٢ ـ وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : «ما من نبى بعثه الله تعالى فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من

بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن . ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » . أخرجه مسلم .

« حوارى الرجل » خاصته وناصروه .

« والخلوف » جمع خلف بسكون اللام ، وهم الذين يأتون بعد من مضى ويكونون شرا منهم .

٣ ـ وعنه رضى الله عنه قال « قال رسول الله ﷺ لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله تعالى قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود (الآية) ثم جلس وكان متكئا فقال لا : والذى نفسى بيده حتى تأطروهم على الحق إطرا » ومعنى « تأطروهم » تعطفوهم وتردوهم .

٤ ـ وعن قيس بن أبى حازم قال : قال أبو بكر رضى الله عنه ، بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه : يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ [المائدة : ١٠٥] وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول : «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب ، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم يقدرون على أن يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب » أخرجهما أبو داود والترمذى . ومعنى « يوشك » يقرب ويسرع .

٥ ـ وعن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » أخرجه الترمذى .

٦ ـ وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم منصورون ومصيبون ومفتوح عليكم : فمن أدرك ذلك منكم فليتق الله تعالى وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر، ومن كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

٧ ـ وعن عرس بن عميرة الكندى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا عملت الخطيئة فى الأرض كان من شهدها فأنكرها كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها » أخرجهما أبو داود .

٨ ـ وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر » أخرجه أبو داود والترمذى (تيسير الوصول ١ / ٣٢ ، ٣٣) .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر دعامة من دعائم الدين وبه بعث الله النبيين أجمعين ، ولولاه لنشطت الضلالة وعمت الجهالة وانتشر الفساد وخربت البلاد وهلك العباد .

وإنا لنرى الناس الآن بعد أن استولت على قلوبهم مداهنة الخلق وضعفت مراقبة الخالق، قد استرسلوا فى الشهوات وركنوا إلى اللذات ، وقلّ أن تجد مؤمنا صادقا لا تأخذه فى الله لومة لائم ، فمن شمر عن ساعد الجد وسد هذه الثغرة وأدى عمل الحسبة ابتغاء مرضاة ربه أو قلد وظيفتها وقام بأعبائها مراقبا ربه فقد قام بقسط وافر فى خدمة دينه ونال رضوان ربه ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ [التوبة : ٧٢] (الحسبة فى الإسلام / ٤ـ٧) .

يقول الإمام ابن قدامة :

اعلم : أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين ، وهو المهم الذى بعث الله به النبيين ، ولو طوى بساطه ، لاضمحلت الديانة ، وظهر الفساد، وخربت البلاد .

قال الله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ [آل عمران : ١٠٤] وفى هذه الآية بيان أنه فرض على الكفاية لا فرض عين ، لأنه قال : ﴿ ولتكن منكم أمة ﴾ ولم يقل : كونوا كلكم آمرين بالمعروف ، فإذا قام به من يكفى سقط عن الباقين ، واختص الفلاح بالقائمين المباشرين له . وفى القرآن العظيم آيات كثيرة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « مثل القائم على حدود

الله والواقع فيها والمداهن فيها . مثل قوم ركبوا سفينة فأصاب بعضهم أسفلها وأوعرها وشرها، وأصاب بعضهم أعلاها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فآذوهم ، فقالوا : لو خرقنا فى نصيبنا خرقا فاستقينا منه ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وأمرهم هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعا » .

فصل فى مراتب الإنكار وبعض ما ورد فيه

فقد جاء فى الحديث المشهور من رواية مسلم . أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .

وفى حديث آخر : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » .

وفى حديث آخر : « إذا رأيت أمتى تهاب الظالم أن تقول له : أنت ظالم، فقد تودع منهم » .

وقام أبو بكر رضى الله عنه ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال : أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ [المائدة : ١٠٥] وإنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعذاب » .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله شراركم على خياركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » .

فصل فى أركانه وشروطه ودرجاته وآدابه ونحو ذلك

اعلم : أن أركان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أربعة :

أحدها : أن يكون المنكِر مكلفا مسلما قادرا، وهذا شرط لوجوب الإنكار . فإن الصبى المميز ، له إنكار المنكر، ويثاب على ذلك، لكن لا يجب عليه .

وأما عدالة المنكِر، فاعتبرها قوم وقالوا : ليس للفاسق أن يحتسب، وإنما استدلوا بقوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ [البقرة : ٤٤] وليس لهم فى ذلك حجة .

واشترط قوم كون المنكر مأذونا فيه من جهة الإمام أو الوالى، ولم يجيزوا لآحاد الرعية الحسبة ، وهذا فاسد، لأن الآيات والأخبار عامة تدل على أن كل من رأى منكرا فسكت عنه عصى، فالتخصيص بإذن الإمام تحكم .

ومن العجب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا : لا يجوز الأمر بالمعروف ما لم يخرج الإمام المعصوم ، وهؤلاء أخس رتبة من أن يتكلموا ، لكن جوابهم أن يقال لهم إذا جاؤوا إلى القاضى طالبين حقوقهم : نصرتكم أمر بالمعروف ، واستخراج حقوقكم من يد من ظلمكم نهى عن المنكر، ولم يجىء زمان ذلك لأن الإمام لم يخرج بعد .

فإن قيل : فى الأمر بالمعروف إثبات سلطنة وولاية على المحكوم عليه ، ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم، مع كونه حقا ، فينبغى أن لا يثبت لآحاد الرعية إلا بتفويض من السلطان .

قلنا : أما الكافر فممنوع من ذلك لما فيه من السلطة والعز، وأما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة (مختصر منهاج القاصدين / ١٢٣ ، ١٢٤) .

ويقسم الإمام الماوردى كلا من الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ثلاثة أقسام فيقول :

فأما الأمر بالمعروف فينقسم ثلاثة أقسام : أحدها يتعلق بحقوق الله تعالى . والثانى ما يتعلق بحقوق الآدميين ، والثالث ما يكون مشتركا بينهما .

فأما المتعلق بحقوق الله عز وجل فضربان : أحدها يلزم الأمر به فى الجماعة دون الانفراد كترك الجمعة فى وطن مسكون ، فإن كانوا أعددا قد اتفق على انعقاد الجمعة بهم كالأربعين فما زاد فواجب أن يأخذهم بإقامتها ويأمرهم بفعلها ويؤدب على الإخلال بها وإن كانوا عددا اختلف فى انعقاد الجمعة بهم فله ولهم أربعة أحوال :

أحدها أن يتفق رأيه ورأى القوم على انعقاد الجمعة بذلك العدد فواجب عليه أن يأمرهم بإقامتها وعليهم أن يسارعوا إلى

أمره بها ويكون فى تأديبهم على تركها ألين من تأديبه على ترك ما انعقد الإجماع عليه .

والحالة الثانية أن يتفق رأيه ورأى القوم على أن الجمعة لا تنعقد بهم فلا يجوز أن يأمرهم بإقامتها وهو بالنهى عنها لو أقيمت أحق .

والحالة الثالثة أن يرى القوم انعقاد الجمعة بهم ولا يراه المحتسب، فلا يجوز له أن يعارضهم فيها ولا يأمر بإقامتها لأنه لا يراه ، ولا يجوز أن ينهاهم عنها ويمنعهم مما يرونه فرضا عليهم .

والحالة الرابعة أن يرى المحتسب انعقاد الجمعة ولا يراه القوم فهذا مما فى استمرار تركة تعطيل الجمعة مع تطاول الزمان وبعده وكثرة العدد وزيادته ، فهل للمحتسب أن يأمرهم بإقامتها اعتبارا بهذا المعنى أم لا ؟ على وجهين لأصحاب الشافعى رضى الله عنه .

أحدهما وهو مقتضى قول أبى سعيد الإصطخرى أنه يجوز له أن يأمرهم بإقامتها اعتبارا بالمصلحة لئلا ينشأ الصغير على تركها فيظن أنها تسقط مع زيادة العدد كما تسقط بنقصانه ، فقد راعى زياد مثل هذا فى صلاة الناس فى جامعى البصرة والكوفة ، فإنهم كانوا إذا صلوا فى صحنه فرفعوا من السجود مسحوا جباههم من التراب فأمر بإلقاء الحصى فى صحن المسجد الجامع وقال لست آمن أن يطول الزمان فيظن الصغير إذا نشأ أن مسح الجبهة من أثر السجود سُنة فى الصلاة .

والوجه الثانى لا يتعرض لأمرهم بها لأنه ليس له حمل الناس على اعتقاده ولا أن يأخذهم فى الدين برأيه مع تسويغ الاجتهاد فيه وأنهم يعتقدون أن نقصان العدد يمنع من إجراء الجمعة . وأما أمرهم بصلاة العيد فله أن يأمرهم بها ، وهل يكون الأمر بها من الحقوق اللازمة أو من الحقوق الجائزة؟ على وجهين من اختلاف أصحاب الشافعى فيها هل هى مسنونة أو من فروض الكفاية ؟ فإن قيل إنها مسنونة كان الأمر بها ندبا، وإن قيل إنها من فروض الكفاية كان الأمر بها حتما .

فأما صلاة الجماعة فى المساجد وإقامة الأذان فيها للصلوات فمن شعائر الإسلام وعلامات التعبد التى فرق بها رسول الله ﷺ بين دار الإسلام ودار الشرك فإذا اجتمع أهل بلد أو محلة على تعطيل الجماعة فى مساجدهم وترك الأذان فى أوقات صلواتهم كان المحتسب مندوبا إلى أمرهم بالأذان والجماعة فى الصلوات ، وهل ذلك واجب عليه يأثم بتركه أو مستحب له يثاب على فعله ؟ على وجهين من اختلاف أصحاب الشافعى فى اتفاق أهل بلد على ترك الأذان والإقامة والجماعة، وهل يلزم السلطان محاربتهم عليه أم لا ؟

فأما ترك صلاة الجمعة من آحاد الناس أو ترك الأذان والإقامة لصلاته فلا اعتراض للمحتسب عليه إذا لم يجعله عادة وألفا لأنها من الندب الذى يسقط بالأعذار إلا أن يقترن به استرابة أو يجعله إلفا وعادة ويخاف تعدى ذلك إلى غيره فى الاقتداء به فيراعى حكم المصلحة به فى زجره عما استهان به من سنن عبادته ويكون وعيده على ترك الجماعة معتبرا بشواهد حاله ، كالذى روى عن النبى ﷺ أنه قال :

« لقد هممت أن آمر أصحابى أن يجمعوا حطبا وآمر بالصلاة فيؤذن لها وتقام ثم أخالف إلى منازل أقوام لا يحضرون الصلاة فأحرقها عليهم » .

وأما ما يأمر به آحاد الناس وأفرادهم كتأخير الصلاة حتى يخرج وقتها فيذكر بها ويأمر بفعلها ويراعى جوابه عنها ، فإن قال تركتها لنسيان حثه على فعلها بعد ذكره ولم يؤدبه ، وإن قال تركتها لتوان وهوان أدبه زجرا وأخذه بفعلها جبرا، ولا اعتراض على من أخرها والوقت باق لاختلاف الفقهاء فى فضل التأخير ولكن لو كانت الجماعات فى بلد قد اتفق أهله على تأخير صلواتهم إلى آخره والمحتسب يرى فضل تعجيلها فهل له أن يأمرهم بالتعجيل على وجهين لأن اعتبار الناس لتأخيرها يفضى بالصغير الناشىء إلى اعتقاد أن هذا هو الوقت دون تقدم ولو عجلها بعضهم ترك من أخرها منهم وما يراه من التأخير .

فأما الأذان والقنوت فى الصلوات إذا خالف فيه رأى المحتسب فلا اعتراض له فيه بأمر ولا نهى وإن كان يرى إذا ما يفعل مسوغا فى الاجتهاد لخروجه عن معنى ما قدمناه وكذلك الطهارة إذا فعلها على وجه سائغ يخالف فيه رأى المحتسب

من إزالة النجاسة بالمائعات والوضوء بماء تغير بالمذرورات الطاهرات ، أو اقتصار على مسح أقل الرأس أو العفو عن قدر الدرهم من النجاسات فلا اعتراض له فى شىء من ذلك بأمر ولا نهى ، وكان له فى اعتراضه عليهم فى الوضوء بنبيذ التمر عند عدم الماء وجهان ، لما فيه من الإفضاء إلى استباحته على كل حال فإنه ربما آل إلى السكر من شربه ثم على نظائر هذا المثال تكون أوامره بالمعروف فى حقوق الله تعالى :

(فصل) فأما الأمر بالمعروف فى حقوق الآدميين فضربان : عام وخاص .

فأما العام فكالبلد إذا تعطل شربه أو استهدم سوره أو كان يطرقه بنو السبيل من ذوى الحاجات فكفوا عن معونتهم ، فإن كان فى بيت المال مال لم يتوجه عليهم فيه ضرر أمر بإصلاح شربهم وبناء سورهم وبمعونة بنى السبيل فى الاجتياز بهم ، لأنها حقوق تلزم بيت المال دونهم ، وكذلك لو استهدمت مساجدهم وجوامعهم ، فأما إذا أعوز بيت المال كان الأمر ببناء سورهم وإصلاح شربهم وعمارة مساجدهم وجوامعهم ومراعاة بنى السبيل فيهم متوجها إلى كافة ذوى المكنة منهم ولا يتعين أحدهم فى الأمر به ، وإن شرع ذوى المكنة فى عملهم وفى مراعاة بنى السبيل وباشروا القيام به سقط عن المحتسب حق الأمر به ولم يلزمهم الاستئذان فى مراعاة بنى السبيل ولا فى بناء ما كان مهدوما ، ولكن لو أرادوا هدم ما يعيدون بناءه من المسترم والمستهدم لم يكن لهم الإقدام على هدمه فيما عم أهل البلد من سوره وجامعهم إلا باستئذان ولى الأمر دون المحتسب ليأذن لهم فى هدمه بعد تضمينه القيام بعمارته وجاز فيما خص من المساجد فى العشائر والقبائل ألا يستأذنوه، وعلى المحتسب أن يأخذهم ببناء ما هدموه وليس له أن يأخذهم بإتمام ما استأنفوه ، فأما إذا كف ذوى المكنة عن بناء ما استهدم وعمارة ما استردم ، فإن كان المقام فى البلد ممكنا وكان الشرب وإن قل مقنعا تركهم وإياه. وإن تعذر المقام فى البلد لتعطيل شربه واندحاض سوره نظر، فإن كان البلد ثغرا يضر بدار الإسلام تعطيله لم يجز لولى الأمر أن يفسخ فى الانتقال عنه وكان حكمة حكم النوازل إذا حدثت فى قيام كافة ذوى المكنة به وكان تأثير المحتسب فى مثل هذا إعلام السلطان به ، وترغيب أهل المكنة فى عمله، وإن لم يكن هذا البلد ثغرا مضرا بدار الإسلام كان أمره أيسر وحكمه أخف ولم يكن هذا للمحتسب أن يأخذ أهله جبرا بعمارته ، لأن السلطان أحق أن يقوم به ، ولو أعوزه المال فيستجده فيقول لهم المحتسب ما استدام عجز السلطان عنه أنتم مخيرون بين الانتقال عنه أو التزام ما يصرف فى مصالحه التى يمكن معها دوام استيطانه ، فإن أجابوه إلى التزام ذلك كلف جماعتهم ما تسمح به نفوسهم ولم يجز أن يأخذ كل واحد منهم فى عينه أن يلتزم جبرا ما لا تسمح به نفوسهم من قليل ولا كثير ويقول : ليخرج كل واحد منكم ما سهل عليه وطاب نفسا به ومن أعوزه المال أعان العمل حتى إذا اجتمعت كفاية المصلحة أو يلوح اجتماعها لضمان كل واحد من أهل المكنة قدرا طاب به نفسا شرع حينئذ فى عمل المصلحة وأخذ كل ضامن من الجماعة بالتزام ما ضمنه ، وإن كان مثل هذا الضمان لا يلزم فى المعاملات الخاصة ، لأن حكم ما عم من المصالح موسع فكان حكم الضمان فيه أوسع . وإذا عمت هذه المصلحة لم يكن للمحتسب أن يتقدم بالقيام بها حتى يستأذن السلطان فيها لئلا يصير بالتفرد مفتاتا عليه إذ ليست هذه المصلحة من معهود حسبته، فإن قلت وشق استئذان السلطان فيها أو خيف زيادة الضرر لبعد استئذانه جاز شروعه فيها من غير استئذان .

وأما الخاص فكالحقوق إذا مطلت والديون إذا أخرت فللمحتسب أن يأمر بالخروج منها مع المكنة إذا استعداه أصحاب الحقوق ، وليس له أن يحبس بها لأن الحبس حكم، وله أن يلازم عليها لأن لصاحب الحق أن يلازم ، وليس له الأخذ بنفقات الأقارب لافتقار ذلك إلى اجتهاد شرعى فيمن تجب له ، ويجب عليه إلا أن يكون الحاكم قد فرضها فيجوز له أن يأخذ له بأدائها ، وكذلك كفالة من تجب كفالته من الصغار والاعتراض له فيها حتى يحكم بها الحاكم فيجوز حينئذ للمحتسب أن يأمر بالقيام بها على الشروط المستحقة فيها .

وأما قبول الوصايا والودائع فليس له أن يأمر فيها أعيان الناس وآحادهم ، ويجوز أن يأمر بها على العموم حثا على التعاون بالبر والتقوى . ثم على هذا المثال تكون أوامره بالمعروف فى حقوق الآدميين .

(فصل) وأما الأمر بالمعروف فيما كان مشتركا بين حقوق

الله تعـالى وحقـوق الآدميين فكأخـذ الأوليـاء بنكـاح الأيـامى أكفـائهن إذا طلبن وإلزام النسـاء أحكام العِـدد إذا فورقن ولـه تأديب من خـالف فى العـدة من النسـاء وليس لـه تأديب من امتنع من الأولياء .

ومن نفى ولـدا قـد ثبت فـراض أمـه ولحـوق نسبـه أخـذه بأحكام الآباء جبرا وعزره عن النفى أدبا، ويأخذ السادة بحقوق العبيـد والإمـاء وأن لا يكلفـوا مـن الإعمـال مـا لا يطيقـون ، وكـذلك أرباب البهـائم يأخـذهم بعلـوفتها إذا قصـروا وأن لا يستعملوها فيما لا تطيق .

ومن أخـذ لقيطـا وقصر فى كفـالتـه أمـره أن يقوم بحقـوق التقاطه من التزام كفالته أو تسليمـه إلى من يلتزمها ويقوم بها، وكـذلك واجـد الضوال إذا قصـر فيهـا يأخـذه بمثل ذلكم من القيام بها ويكون ضـامنا للضالة بالتقصير ولا يكـون به ضـامنا اللقيط .

وإذا أسلم الضـالة إلى غيـره ضمنهـا ؛ ولا يضمن اللقيط إلى غيره ، ثم على نظائر هذا المثـال يكون أمره بالمعروف فى الحقوق المشتركة .

(فصل) وأما النهى عن المنكرات فينقسم ثلاثة أقسام :

أحدها : ما كان من حقوق الله تعالى .

والثانى : ما كان من حقوق الآدميين .

والثالث : ما كان مشتركا بين الحقين .

فأما النهى عنها فى حقوق الله تعالى فعلى ثلاثة أقسام :

أحدها ما تعلق بالعبادات .

والثانى ما تعلق بالمحظورات .

والثالث ما تعلق بالمعاملات .

فأمـا المتعلق بـالعبـادات فكالقـاصـد مخـالفة هيئـاتهـا المشروعـة والمعتمد تغيير أوصافهـا المسنونة مثـلا من يقصد الجهر فى صلاة الإسرار، والإسرار فى صلاة الجهر أو يزيد فى الصلاة أو فى الأذان أذكارا غير مسنونة ، فللمحتسب إنكارها وتأديب المعاند فيها إذا لم يقل بما ارتكبه إمام متبوع، وكذلك إذا أخل بتطهير جسده أو ثوبه أو موضع صلاته أنكره عليه إذا تحقق ذلك منـه ، ولا يؤاخـذه بـالتهم ولا بالظنـون ، كالـذى حكى عن بعض الناظرين فى الحسبة أنه سأل رجلا داخلا إلى المسجد بنعلين هل يـدخل بهما بيت طهارته فلمـا أنكر ذلك أراد إحـلافه عليـه ، وهذا جهل من فـاعله تعـدى فيه أحكـام الحسبة وغلب فيه سـوء الظنة ، وهكذا لو ظن بـرجل أنه يترك الغسل من الجنابـة أو يترك الصلاة والصيام لم يؤاخـذه بالتهم ولم يعامله بـالإنكار ، ولكن يجوز له بـالتهمة أن يعظ ويحذر من عذاب الله على إسقاط حقوقـه والإخلال بمفروضاته، فإن رآه يأكل فى شهـر رمضان لم يقدم على تأديبـه إلا بعد سـؤاله عن سبب أكله إذا التبست أحواله فربمـا كان مريضا أو مسافرا ويلـزمه السـؤال إذا ظهرت منـه أمـارات الريب، فإن ذكـر من الأعذار ما يحتملـه حاله كف عن زجره وأمره بإخفـاء أكله لئلا يعرض نفسه للتهمـة ولا يلزم إحلافه عنـد الاسترابة بقولـه لأنه موكـول إلى أمانتـه، فإن لم يذكـر عذرا جاهـر بالإنكـار عليه مجاهـرة ردع وأدبه تأديب زجر، وهكذا لـو علم عذره فى كل أنكر عليه المجـاهرة بتعريض نفسه للتهمة ، ولئـلا يقتدى به من ذوى الجهالة ممن لا يميز حال عذره من غيره .

وأمـا الممتنع من إخـراج الـزكـاة ، فإن كـان من الأمـوال الظاهرة فعـامل الصدقة يأخـذها منه جبرا أخص وهـو بتعزيره على الغلـول إن لم يجـد عـذرا أحق . وإن كـان من الأمـوال الباطنة فيحتمل أن يكون المحتسب أخـص بالإنكار عليه من عامل الصدقـة . لأنه لا اعتراض للعامل فى الأمـوال الباطنة، ويحتمل أن يكون العامل بالإنكار عليه أخص لأنه لو دفعها له أجزاه ويكون تأديبه معتبرا بشواهـد حاله فى الامتناع من إخراج زكاته ، فإن ذكر أنه يخرجها سرا وكل إلى أمانته فيها . وإن رأى رجلا يتعـرض لمسألة الناس فى طلب الصدقـة وعلم أنه غنى إما بمال أو عمل أنكره عليه وأدبـه فيه وكان المحتسب بإنكاره أخص من عامل الصدقة قد فعل عمر رضى الله عنه مثل ذلك بقوم من أهل الصدقة ولو رأى عليه آثار الغنى وهو يسأل الناس أعلمه تحريمها على المستغنى عنهـا ولم ينكره عليه لجواز أن يكون فى الباطن فقيرا وإذا تعـرض للمسألة ذو جلد وقوة على العمل زجره وأمره أن يتعرض لـلاحتراف بعمله ، فإن أقام على المسألة عـزره حتى يقلع عنها . وإن دعت الحالة عنـد إلحاح

من حرمت عليه المسألة بمال أو عمل إلى أن ينفق على ذى المال جبرا من ماله ويؤجر ذا العمل وينفق عليه من أجرته لم يكن للمحتسب أن يفعل ذلك بنفسه لأن هذا حكم والحكام به أحق فيرفع أمره إلى الحاكم ليتولى ذلك أو يأذن فيه .

وإذا وجد من يتصدى لعلم الشرع وليس من أهله من فقيه أو واعظ ولم يأمن اغترار الناس به فى سوء تأويل أو تحريف جواب أنكر عليه التصدى لما ليس هو من أهله وأظهر أمره لئلا يغتر به . ومن أشكل عليه أمره لم يقدم عليه بالإنكار إلا بعد الاختبار . قد مر على بن أبى طالب عليه السلام بالحسن البصرى وهو يتكلم على الناس فاختبره ، فقال له ما عماد الدين ؟ فقال الورع ، قال فما آفته ؟ قال الطمع ، قال تكلم الآن إن شئت . وهكذا لو ابتدع بعض المنتسبين إلى العلم قولا خرق به الإجماع وخالف فيه النص ورد قوله علماء عصره أنكره عليه وزجره عنه ، فإن أقلع وتاب وإلا فالسلطان بتهذيب الدين أحق وإذا تعرض بعض المفسرين لكتاب الله تعالى بتأويل عدل فيه عن ظاهر التنزيل إلى باطن بدعة تتكلف له غمض معانيه أو تفرد بعض الرواة بأحاديث مناكير تنفر منها النفوس أو يفسد بها التأويل كان على المحتسب إنكار ذلك والمنع منه ، وهذا إنما يصح منه إنكاره إذا تميز عنده الصحيح من الفاسد والحق من الباطل ، وذلك من أحد وجهين ، إما أن يكون بقوته فى العلم واجتهاده فيه حتى لا يخفى ذلك عليه ، وإما بأن يتفق علماء الوقت على إنكاره وإبتداعه فيستعدون فيه فيعول فى الإنكار على أقاويلهم وفى المنع منه على اتفاقهم .

(فصل) وأما ما تعلق بالمحظورات فهو أن يمنع الناس من مواقف الريب ومظان التهمة فقد قال النبى ﷺ « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » .

قالت المؤلفة : الحديث بتمامه أخرجه الإمام السيوطى بألفاظ مختلفة أربع مرات بيانها كما يلى :

١ ــ « دع ما يريبك إلا ما يريبك » رواه أنس والنسائى والحسن بن على والطبرانى فى الكبير عن وابصة بن معبد عن الخطيب عن ابن عمر وقال حديث صحيح .

٢ ــ « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فإن الصدق ينجى» رواه ابن قانع عن الحسن .

٣ ــ « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فإن الصدق طمأنينة ، وإن الكذب ريبة »

رواه أحمد فى مسنده والترمذى وابن حبان فى صحيحه عن الحسن وقال : حديث صحيح .

٤ ـ « دع ما يريبك إلا ما لا يريبك ، فإنك لن تجد فقد شيء تركته لله » .

لأبى نعيم فى الحلية والخطيب عن ابن عمر وقال : حديث حسن .

ونستكمل الكلام بعد هذا الاستطراد على ما جاء به الإمام الماوردى عن الحسبة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، حيث يقول بعد أن أورد ذلك الحديث الشريف .

وإن كانت الوقفة فى طريق خال فخلو المكان ريبة فينكرها ولا يعجل بالتأديب عليها حذرا من أن يكون ذات محرم ، وليقل إن كانت ذات محرم فصنها عن مواقف الريب ، وإن كانت أجنبية فخف الله تعالى من خلوة تؤديك إلى معصية الله تعالى .

وإذا جاهر رجل بإظهار الخمر، فإن كان مسلما أراقها عليه وأدبه ، وإن كان ذميا أدبه على إظهارها .

واختلف الفقهاء فى إراقتها عليه ، فذهب أبو حنيفة إلى أنها لا تراق عليه ، لأنها عنده من أموالهم المضمونة فى حقوقهم . ومذهب الشافعى أنها تراق عليهم لأنها لا تضمن عنده فى حق مسلم ولا كافر .

وأما المجاهرة بإظهار النبيذ، فعند أبى حنيفة أنه من الأموال التى يقر المسلمون عليها فيمتنع من إراقته ومن التأديب على إظهاره . وعند الشافعى أنه ليس بمال كالخمر وليس فى إراقته غرم، فيعتبر والى الحسبة بشواهد الحال فيه فينتهى فيه عن المجاهرة ويزجر عليها إن كان لمعاقرة ولا يريقه عليه إلا أن يأمره بإراقته حاكم من أهل الاجتهاد ، لئلا يتوجه عليه غرم إن حوكم فيه . وأما السكران إذا تظاهر بسكره وسخف بجهره أدبه على السكر والجهر تعزيرا لا حدا لقلة مراقبته وظهور سخفه .

وأما المجاهرة بإظهار الملاهى المحرمة فللمحتسب أن يفصلها حتى تصير خشبا لتزول عن حكم الملاهى، ويؤدب على المجاهرة بها ، ولا يكسرها إن كان خشبها يصلح لغير الملاهى .

وأما اللعب فليس يقصد بها المعاصى وإنما يقصد بها الف البنات لتربية الأولاد وفيها وجه من وجوه التدبير تقارنه معصية بتصوير ذوات الأرواح ومشابهة الأصنام ، فللتمكين منها وجه وللمنع منها وجه ، وبحسب ما تقتضيه شواهد الأحوال يكون إنكاره وإقراره ...

وأما ما لم يظهر من المحظورات فليس للمحتسب أن يتجسس عنها ولا أن يهتك الأستار حذرا من الاستتار بها ، قال النبى عليه الصلاة والسلام : « من أتى من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله، فإنه من يبد لنا صفحته نقم حد الله تعالى عليه » .

فإن غلب على الظن استتار قوم بها لأمارات دلت وآثار ظهرت فذلك ضربان : أحدهما أن يكون ذلك فى انتهاك حرمة يفوت استدراكها مثل أن يخبره من يثق بصدقه أن رجلا خلا بامرأة ليزنى بها أو برجل ليقتله ، فيجوز له فى مثل هذه الحالة أن يتجسس ويقدم على الكشف والبحث حذرا من فوات ما لا يستدرك من انتهاك المحارم وارتكاب المحظورات، وهكذا لو عرف ذلك قوم من المتطوعة جاز لهم الإقدام على الكشف والبحث فى ذلك والإنكار، كالذى كان من شأن المغيرة بن شعبة .

والضرب الثانى ما خرج عن هذا الحد وقصر عن حد هذه الرتبة ، فلا يجوز التجسس عليه ولا كشف الأستار عنه .

حكى أن عمر رضى الله عنه : دخل على قوم يتعاقرون على شراب ويوقدون فى أخصاص فقال نهيتكم عن المعاقرة فعاقرتم ونهيتكم عن الإيقاد فى الأخصاص فأوقدتم ، فقالوا يا أمير المؤمنين قد نهاك الله عن التجسس فتجسست ونهاك عن الدخول بغير إذن فدخلت ، فقال عمر رضى الله عنه : هاتان بهاتين ، وانصرف ولم يتعرض لهم فمن سمع أصوات ملاهٍ منكرة من دار تظاهر أهلها بأصواتهم أنكرها خارج الدار ولم يهجم عليه بالدخول ، لأن المنكر ظاهر وليس أن يكشف عما سواه من الباطن .

(فصل) وأما المعاملات المنكرة كالزنا والبيوع الفاسدة وما منع الشرع منه مع تراضى المتعاقدين به إذا كان متفقا على حظره فعلى والى الحسبة إنكاره والمنع منه والزجر عليه وأمره فى التأديب مختلف بحسب الأحوال وشدة الخطر.

وأما ما اختلف الفقهاء فى حظره وإباحته فلا مدخل له فى إنكاره إلا أن يكون مما ضعف الخلاف فيه وكان ذريعة إلى محظور متفق عليه كربا النقد فالخلاف فيه ضعيف وهو ذريعة إلى ربا النساء المتفق على تحريمه ، فهل يدخل فى إنكاره بحكم ولايته أم لا ؟ على ما قدمناه من الوجهين .

وفى معنى المعاملات وإن لم تكن منها عقود المناكح المحرمة ينكرها إن اتفق العلماء على حظرها ، ولا يتعرض لإنكارها إن اختلف الفقهاء فيها إلا أن يكون مما ضعف الخلاف فيه وكان ذريعة إلى محظور متفق عليه كالمتعة فربما صارت ذريعة إلى استباحة الزنا ، ففى إنكاره لها وجهان ، وليكن بدل إنكاره لها الترغيب فى العقود المتفق عليها .

ومما يتعلق بالمعاملات غش المبيعات وتدليس الأثمان فينكره ويمنع منه ويؤدب عليه بحسب الحال فيه . وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « ليس منا من غش » .

فإن كان هذا الغش تدليسا على المشترى ويخفى عليه فهو أغلظ الغش تحريما وأعظمها مأثما فالإنكار عليه أغلظ والتأديب عليه أشد، وإن كان لا يخفى على المشترى كان أخف مأثما وألين إنكارا ، وينظر فى مشتريه ، فإن اشتراه ليبيعه من غيره توجه الإنكار على البائع لغشه وعلى المشترى بابتياعه ، لأنه قد يبيعه لمن لا يعلم بغشه ؛ فإن كان يشتريه ليستعمله خرج المشترى من جملة الإنكار وتفرد البائع وحده، وكذلك القول فى تدليس الأثمان .

ويمنع من تصرية المواشى وتحفيل ضروعها عند البيع للنهى عنه فإنه نوع من التدليس .

ومما هو عمدة نظره المنع من التطفيف والبخس فى المكاييل والموازين والصنجات لوعيد الله تعالى عليه عند نهيه

عنه ، وليكن الأدب عليه أظهر والمعاقبة فيه أكثر . ويجوز له إذا استراب بموازين السوقة ومكاييلهم أن يختبرها ويعايرها ولو كان له على ما عايره منها طابع معروف بين العامة لا يتعاملون الا به كان أحوط وأسلم .

فإن فعل ذلك وتعامل قوم بغير ما طبع بطابعه توجه الإنكار عليهم إن كان مبخوسا من وجهين : أحدهما لمخالفته فى العدول عن مطبوعه وإنكاره من الحقوق السلطانية والثانى للبخس والتطفيف فى الحق وإنكاره من الحقوق الشرعية ، فإن كان ما تعاملوا به غير المطبوع سليما من بخس ونقص توجه الإنكار عليهم بحق السلطنة وحدها لأجل المخالفة ، وإن زوّر قوم على طابعه كان المزور فيه كالمبهرج على طابع الدراهم والدنانير فإن قرن التزوير بغش كان الإنكار عليه والتأديب مستحقا من وجهين : أحدهما فى حق السلطنة من جهة التزوير. والثانى من جهه الشرع فى الغش وهو أغلظ التكوين ، وإن سلم التزوير من غش تفرد بالإنكار السلطانى منهما فكان أحقهما ، وإذا اتسع البلد حتى احتاج أهله فيه كيالين ووزانين ونقادين تخيرهم المحتسب ومنع أن ينتدب لذلك إلا من ارتضاه من الأمناء الثقات وكانت أجورهم من بيت المال إن اتسع لها ، فإن ضاق عنها قدّرها لهم حتى لا يجرى بينهم فيها استزادة ولا نقصان فيكون ذلك ذريعة إلى الممايلة والتحيف فى مُكيَّل أو موزون . وقد كان الأمراء يقومون باختيارهم وترتيبهم لذلك ويثبتونهم بأسمائهم فى الدواوين حتى لا يختلط بهم غيرهم ممن لا تؤمن وساطته ، فإن ظهر من أحد هؤلاء المختارين للكيل والوزن تحيف فى تطفيف أو ممايلة فى زيادة أدِّب وأخرج عن جملة المختارين ومنع أن يتعرض للوساطة بين الناس وكذلك القول فى اختيار الدلالين يقر منهم الأمناء ويمنع الخونة ، وهذا مما يتولاه ولاة الحسبة إن قعد عنه الأمراء

وأما اختيار القسام والزراع فالقضاة أحق باختيارهم من ولاة الحسبة لأنهم قد يستنابون فى أموال الأيتام والغيب .

وأما اختيار الحراسيين فى القبائل والأسواق فإلى الحماة وأصحاب المعاون .

وإذا وقع فى التطفيف تخاصم جاز أن ينظر المحتسب إن لم يكن مع الخصم فيه تجاحد وتناكر ، فإن أفضى إلى تجاحد وتناكر كان القضاة أحق بالنظر فيه من ولاة الحسبة لأنهم بالأحكام أحق وكان التأديب فيه إلى المحتسب ، فإن تولاه الحاكم جاز لاتصاله بحكمهم . ومما ينكره المحتسب فى العموم ولا ينكره فى الخصوص و الآحاد التبايع بما لم يألفه أهل البلد من المكاييل والأوزان التى لا تعرف فيه وإن كانت معروفة فى غيره ، فإن تراضى بها اثنان لم يعترض عليهما بالإنكار والمنع ، ويمنع أن يرتسم بها قوم من العموم لأنه قد يعاملهم فيها من لا يعرفها فيصير مغرورا .

(فصل) وأما ما ينكر من حقوق الآدميين المحصنة فمثل أن يتعدى رجل فى حد لجاره أو فى حريم لداره أو فى وضع أجذاع على جداره فلا اعتراض للمحتسب فيه ما لم يستعده الجار لأنه حق يخصه فيصح منه العفو عنه والمطالبة به ، فإن خاصمه فيه كان للمحتسب النظر فيه إن لم يكن بينهما تنازع وتناكل وأخذ المتعدى بإزالة تعديه وكان له تأديبه عليه بحسب شواهد الحال ، فإن تنازعا كان الحاكم بالنظر فيه أحق ، ولو أن الجار أقر جاره على تعديه وعفا عن مطالبته بهدم ما تعدى فيه ثم عاد مطالبا بعد ذلك كان له ذلك وأخذ المتعدى بعد العفو عنه بهدم ما بناه، ولو كان قد ابتدأ البناء ووضع الأجذاع بإذن الجار ثم رجع الجار فى إذنه لم يؤخذ الثانى بهدمه ، و لو انتشرت أغصان الشجرة إلى دار جاره كان للجار أن يستعدى المحتسب حتى يعديه على صاحب الشجرة ليأخذه بإزالة ما انتشر من أغصانها فى داره ولا تأديب عليه ، لأن انتشارها ليس من فعله ، ولو انتشرت عروق الشجرة تحت الأرض حتى دخلت فى قرار أرض الجار لم يؤخذ بقلعها ولم يمنع الجار من التصرف فى قرار أرضه وإن قطعها وإذا نصب المالك تنورا فى داره فتأذى الجار بدخانه لم يعترض عليه ولم يمنع منه ، وكذلك لو نصب فى داره رحى أو وضع فيها حدادين أو قصارين لم يمنع لأن للناس التصرف فى أملاكهم بما أحبوا وما يجد الناس من مثل هذا بدًّا . وإذا تعدى مستأجر على أجير فى نقصان أجرة أو استزادة عمل كفه عن تعديه وكان الإنكار عليه معتبرا بشواهد حاله ، ولو قصَّر الأجير فى حق

المستأجر فنقصه من العمل أو استزاده فى الأجرة منعه منه وأنكره عليه إذا تخاصما إليه ، فإن اختلفا وتناكرا كان الحاكم بالنظر بينهما أحق .

ومما يؤخذ ولاة الحسبة بمراعاته من أهل الصنائع فى الأسواق ثلاثة أصناف : منهم من يراعى عمله فى الوفور والتقصير ، ومنهم من يرعى حاله فى الأمانة والخيانة ومنهم من يراعى عمله فى الجودة والرداءة .

فأما من يراعى فى الوفور والتقصير فكالطبيب والمعلمين لأن للطبيب إقداما على النفوس يفضى التقصير فيه إلى تلف أو سقم ، وللمعلمين من الطرائق التى ينشأ الصغار عليها ما يكون نقلهم عنها بعد الكبر عسيرا فيقر منهم من توفر عمله وحسنت طريقته ويمنع من قصر وأساء من التصدى لما يفسد به النفوس وتخبث به الآداب .

وأما من يراعى حاله فى الأمانة والخيانة فمثل الصاغة والحاكة والقصارين والصباغين لأنهم ربما هربوا بأموال الناس، فيراعى أهل الثقة والأمانة منهم فيقرهم ويبعد من ظهرت خيانته ويشهر أمره لئلا يغتر به من لا يعرفه ، وقد قيل إن الحماة وولاة المعاون أخص بالنظر فى أحوال هؤلاء من ولاة الحسبة وهو الأشبه، لأن الخيانة تابعة للسرقة .

وأما من يراعى عمله فى الجودة والرداءة فهو مما ينفرد بالنظر فيه ولاة الحسبة . ولهم أن ينكروا عليهم فى العموم فساد العمل ورداءته وإن لم يكن فيه مستعد . وأما فى عمل مخصوص اعتاد الصانع فيه الفساد والتدليس فإذا استعداه الخصم قابل عليه بالإنكار والزجر، فإن تعلق بذلك غرم روعى حال الغرم ، فإن افتقر إلى تقدير أو تقويم لم يمكن للمحتسب أن ينظر فيه لافتقاره إلى اجتهاد حكمى وكان القاضى بالنظر فيه أحق ، وإن لم يفتقر إلى تقدير ولا تقويم وإستحق فيه المثل الذى لا اجتهاد فيه ، ولا تنازع فللمحتسب أن ينظر فيه بإلزام الغرم والتأديب على فعله لأنه أخذ بالتناصف وزجر عن التعدى .

ولا يجوز أن يسعر على الناس الأقوات ولاغيرها في رخص ولاغلاء وأجازه مالك فى الأقوات مع الغلاء (الأحكام السلطانية / ٢١٠-٢٢١) .

و اعلم أن الحسبة لها خمس مراتب :

التعريف :

والوعظ بالكلام اللطيف .

الثالثة : السب والتعنيف ، ولسنا نعنى بالسب الفاحشة ، بل نقول له : يا جاهل يا أحمق ،ألا تخاف من الله تعالى ! ونحو ذلك .

والرابعة : المنع بالقهر ، ككسر الملاهى وإراقة الخمر .

والخامسة التخويف والتهديد بالضرب ، أو مباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه ، فهذه المرتبة تحتاج الى الإمام دون ما قبلها لأنه ربما جر إلى فتنة .

واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاة قاطع بإجماعهم على الاستغناء عن التفويض .

فان قيل : تثبت الحسبة للولد على الوالد ، والعبد على السيد ، والزوجة على الزوج ، والرعية على الوالى ؟ .

قلنا : أصل الولاية ثابت للكل . وقد رتبنا للحسبة خمس مراتب .

فللولد من ذلك الحسبة بالتعريف ، ثم بالوعظ والنصح باللطف .

وله من الرتبة الخامسة : أن يكسر العود، ويريق الخمر، ونحو ذلك ، وهذا الترتيب ينبغى أن يجرى فى العبد والزوجة

وأما الرعية مع السلطان ، فالأمر فيه أشد من الولد ، فليس معه إلا التعريف والنصح .

ويشترط كون المنكر قادرا على الإنكار ، فأما العاجز، فليس عليه إنكار إلا بقلبه ،ولا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسى ، بل يلتحق به خوف مكروه يناله ، فذلك فى معنى العجز .

وكذلك إذا علم أن إنكاره لا ينفع ، فينقسم إلى أربعة أحوال :

أحدها : أن يعلم أن المنكر يزول بقوله أو فعله من غير مكروه يلحقه ، فيجب عليه الإنكار .

الحالة الثانية : أن يعلم أن كلامه لا ينفع وأنه إن تكلم ضرب، فيرتفع الوجوب عنه .

الحالة الثالثة : أن يعلم أن إنكاره لا يفيد ، لكنه لا يخاف مكروهـا ، فلا يجب عليه الأمر لعـدم الفائدة ، لكن يستحب لإظهار شعائر الإسلام والتذكير بالدين .

الحالة الرابعـة : أن يعلم أنه يصاب بمكروه ، ولكن يبطل المنكر بفعلـه ، مثل أن يكسر العود ، ويـريق الخمر، ويعلم أنه يضرب عقيب ذلك ، فيرتفع الوجوب عنه ، ويبقى مستحبا لقولـه فى الحديث : « أفضل الجهـاد كلمة حق عنـد سلطان جائر » .

ولا خلاف أنه يجوز للمسلم الواحد أن يهجم على صفوف الكفار ويقاتل، وإن علم أنه يُقتـل، لكن إن علم أنه لا نكاية له فى الكفار، كالأعمى يطرح نفسه على الصف ، حرم ذلك، وكذلك لو رأى فـاسقا وحده وعنده قـدح خمر وبيده سيف، وعلم أنه لو أنكر عليه لشرب الخمـر لضرب عنقه، لم يجز له الإقـدام على ذلك . لأن هـذا لا يؤثـر فى الـدين أثـرا يفديـه بنفسه، وإنما يستحب له الإنكار إذا قدر على إبطال المنكر، وظهر لفعله فائدة ، كمن يحمل فى صف الكفار ونحوه .

وإن علم المنكـر أنه يضـرب معه غيـره من أصحابـه، لم تجز لـه الحسبة ، لأنه عجز عن دفع المنكـر إلا بإفضائه إلى منكـر آخـر، وليس ذلك من القـدرة فى شـىء . ولسنـا نعنى بالعلم فى هذه المواضيع إلا غلبة الظن ، فمن غلب على ظنه أنـه يصيبه مكـروه ، لم يجب عليه الإنكـار . وإن غلب على ظنـه أنـه لا يصيبـه وجب، ولا اعتبـار بحـالـة الجبـان ، ولا بـالشجـاع المتهـور، بل الاعتبـار بـالمعتـدل الطبع ، السليم المزاج . ونعنى بـالمكروه : الضـرب أو القتل ، وكذلك نهب المال، و الإشهـار فى البلد مـع تسويد الـوجه . فأمـا السب والشتم ، فليس بعذر فى السكوت ، لأن الآمر بالمعروف يلقى ذلك فى الغالب .

الركن الثـانى : أن يكون ما فيـه الحسبة منكرا مـوجودا فى الحال ظاهـرا، فمعنى كونه منكرا أن يكون محـذور الوقوع فى الشـرع، والمنكـر أعم من المعصية ، إذ مـن رأى صبيـا أو مجنونا يشرب الخمر، فعليه أن يريق خمزه ويمنعه ...

وقولنا : موجودا فى الحال، احتراز ممن شرب الخمر وفرغ من شربهـا ، ونحو ذلك ، فإن ذلك ليس إلى الآحـاد ، وفيه أيضا احتـراز عما سيوجـد فى ثانى الحال، كمن يعلم بقـرينة حاله أنه عازم على الشرب الليلة ، فلا حسبة عليه إلا بالوعظ

وقـولنا : ظـاهرا ، احتـراز ممن تستـر بالمعصيـة فى داره وأغلق بابـه ، فإنه لا يجوز أن يتجسس عليه ، إلا أن يظهـر ما يعرفه من هو خارج الدار، كأصوات المزامير والعيدان . فلمن سمع ذلك أن يـدخل ويكسـر الملاهى ، فإن فـاحت رائحـة الخمر، فالأظهر جواز الإنكار .

ويشترط فى إنكار المنكر أن يكون معلـوما كونه منكرا بغير اجتهاد ، فكل ما هو محل الاجتهـاد ، فلا حسبة فيه ، فليس للحنفى أن ينكـر على الشـافعى أكلـه متـروك التسميـة ، ولا للشافعى أن ينكـر على الحنفى شربـه يسير النبيـذ الذى ليس بمسكر .

الـركن الثالث : فى المنكـر عليه ، ويكفى فى صفتـه أن يكون إنسانا ، ولا يشترط كونه مكلفـا كما بينا قبله من أنه ينكر على الصبى والمجنون .

الركن الرابع : نفس الاحتساب ، وله درجات وآداب .

الدرجة الأولى : أن يعرف المنكر، فلا ينبغى له أن يسترق السمع على دار غيره ليسمع صـوت الأوتار، ولا يتعرض للشم ليدرك رائحـة الخمر، ولا أن يمـس ما قـد ستر بثـوب ليعرف شكل المزمار ، ولا أن يستخبر جيرانه ليخبروه بما يجرى، بل لو أخبـره عدلان ابتداء أن فـلانا يشرب الخمـر، فله إذ ذاك أن يدخل وينكر.

الدرجة الثانية : التعريف ، فإن الجاهل يقدم على الشىء لا يظنه منكرا، فإذا عرف أقلع عنه ، فيجب تعريفه باللطف ، فيقال له : إن الإنسان لا يولد عالما . ولقد كنا جاهلين بأمور الشـرع حتى علّمنـا العلمـاء ، فلعل قـريتك خـاليـة من أهل العلم. فهكـذا يتلطف به ليحصل التعـريف من غير إيـذاء . ومن اجتنب محـذور السكـوت عـن المنكـر، واستبـدل عنـه محذور الإيـذاء للمسلم مع الاستغنـاء عنه ، فقد غسـل الدم بالبول .

الدرجة الثالثة : النهى بـالوعظ والنصح والتخويف بالله ، ويورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد ، ويحكى له سيرة السلف،

ويكون ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب ، وها هنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوقاها ، وهو أن العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم ، وذل غيره بالجهل .

ومثال ذلك مثال من يخلص غيره من النار بإحراق نفسه ، وهو غاية الجهل ومذلة عظيمة ، وغرور من الشيطان ، ولذلك محك ومعيار، فينبغى أن يمتحن به المحتسب نفسه ، وهو أن يكون امتناع ذلك الإنسان عن المنكر بنفسه ، أو باحتساب غيره عليه . أحب إليه من امتناعه عنه باحتسابه، فإن كانت الحسبة شاقة عليه ، ثقيلة على نفسه ، وهو يود أن يكفى بغيره، فليحتسب فإن باعثه هو الدين ، وإن كان الأمر بالعكس ، فهو متبع هوى نفسه ، متوسل إلى إظهار جاهه بواسطة إنكاره، فليتق الله وليحتسب أولا على نفسه .

وقيل لداود الطائى : أرأيت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر ؟ قال : أخاف عليه السوط . قيل : هو يقوى على ذلك ، قال : أخاف عليه السيف ، قيل : هو يقوى على ذلك ، قال : أخاف عليه الداء الدفين : العجب .

الدرجة الرابعة : السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن ، وإنما يعدل إلى هذا عند العجز عن المنع باللطف ، وظهور مبادئ الإصرار، والاستهزاء بالوعظ والنصح ، ولسنا نعنى بالسب : الفحش والكذب ، بل نقول له : يا فاسق ، يا أحمق ، يا جاهل، ألاتخاف الله ، قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴾ [الأنبياء : ٦٧] .

الدرجة الخامسة : التغيير باليد ، ككسر الملاهى ، وإراقة الخمر، وإخراجه من الدار المغصوبة ، وفى هذه الدرجة أدبان :

أحدهما : أن لا يباشر التغيير ما لم يعجز عن تكليف المنكر عليه ذلك ، فإذا أمكنه أن يكلفه الخروج عن الأرض المغصوبة ، فلا ينبغى أن يجره ولا يدفعه .

والثانى : أن يكسر الملاهى كسرا يبطل صلاحيتها للفساد، ولا يزيد على ذلك ، ويتوقى فى إراقة الخمور كسر الأوانى إن وجد إليه سبيلا ، وإن لم يقدر إلا بأن يرمى ظروفها بحجر أو نحوه ، فله ذلك ، وتسقط قيمة الظروف، ولو ستر الخمر بيديه ، فإنه يقصد يديه بالضرب ليتوصل إلى إراقة الخمر، ولو كانت الخمر فى قوارير ضيقة الرؤوس ، بحيث إنه إذا اشتغل بإراقتها طال الزمان وأدركه الفساق فمنعوه ، فله كسرها ، لأن هذا عذر، وكذلك إن كان يضيع الزمان فى صبها ، وتتعطل أشغاله ، فله كسرها ولو لم يحذر من الفساق .

فإن قيل : فهلا يجوز الكسر زجرا ، وكذلك الجر بالرجل فى الإخراج من الدار المغصوبة زجرا ؟

قلنا : إنما يجوز مثل ذلك للولاة ، ولا يجوز لآحاد الرعية ، لخفاء وجه الاجتهاد فيه .

الدرجة السادسة : التهديد والتخويف كقوله : دع عنك هذا وإلا فعلت بك كذا وكذا ، وينبغى أن يقدم هذا على تحقيق الضرب إذا أمكن تقديمه .

والأدب فى هذه الرتبة أن لا يهدد بوعيد لا يجوز تحقيقه ، كقوله : لأنهبن دارك ، ولأسبين زوجتك ، لأنه إن قال ذلك عن عزم، فهو حرام ، وإن قاله عن غير عزم ، فهو كذب .

الدرجة السابعة : مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه إشهار سلاح ، وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة ، فإذا اندفع المنكر فينبغى أن يكف .

الدرجة الثامنة : أن لا يقدر على الإنكار بنفسه ويحتاج إلى أعوان يشهرون السلاح . فإنه ربما يستمد الفاسق أيضا بأعوانه ويؤدى إلى القتال ، فالصحيح أن ذلك يحتاج إلى إذن الإمام ، لأنه يؤدى إلى الفتن وهيجان الفساد .

وقيل : لا يشترط فى ذلك إذن الإمام .

(مختصر منهاج القاصدين / ١٢٥ـ١٢٩) .

المحتسب :

وهو الذى يقوم بوظيفة الحسبة وهو من أرباب الوظائف الدينية الست المشهورة ، وكان عندهم من وجوه العدول وأعيانهم . وكان من شأنه أنه إذا خلع عليه قرئ سجله بمصر

والقاهرة على المنبر . ويده مطلقة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على قاعدة الحسبة، ولا يحال بينه وبين مصلحة أرادها ويتقدم إلى الولاة بالشد منه ، ويقيم النواب عنه بالقاهرة ومصر وجميع الأعمال كنواب الحكم ، ويجلس بجامعى القاهرة ومصر يوما بيوم ، قال : ورأيت فى بعض سجلاتهم إضافة الحسبة بمصر والقاهرة إلى صاحبى الشرطة بهما أحيانا (تاريخ البمارستانات فى الإسلام / ٥١ ، ٥٢) .

لقد ذكر العلماء تعريفات عن المحتسب كثيرة ، منها ما جاء فى كتاب معالم القربة للقرشى ، ما نصه (المحتسب إمام للمجتمع الإسلامى الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ومن الوظائف المتصلة بالأحكام الشرعية وظيفة المحتسب وكان يلقب « بالشيخ » ويتلخص عمل المحتسب فى المحافظة على النظام العام والآداب فى الجامعة وإلزام الناس باحترامها) ومما جاء فى كتاب الحسبة فى الإسلام لابن تميمة [تيمية] ما يلى : « ويأمر المحتسب بالجمعة والجماعات وبصدق الحديث وأداء الأمانات وينهى عن المنكرات من الكذب والخيانة وما يدخل فى ذلك من تطفيف المكيال والميزان والغش فى الصناعات والبياعات والديانات ونحو ذلك . ولئن كان أمير المؤمنين عمربن الخطاب «رضى الله عنه » أول من أنشأ « دار الحسبة » البلدية ـ كما سبق القول ـ فإنه رضى الله عنه لم يكن أول من استعمل المحتسب فى نظامه ، فقد ثبت أن رسول الله « ﷺ » تولى ذلك الأمر بنفسه ؛ فكان يتفقد الأسواق ويأمر وينهى ، فقد ورد أنه « ﷺ» مر بالسوق فرأى صبرة طعام (الصبرة : ما صنع من الطعام بلا كيل ولا وزن بعضه فوق بعض) فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال ﷺ : « يا صاحب الطعام، ما هذا » فقال أصابته السماء يا رسول الله ، قال « ﷺ أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ؟ » ثم قال ﷺ « من غشنا فليس منا » (رواه الترمذى عن أبى هريرة) كما ثبت أنه ﷺ استعمل من أصحابه من يقوم بهذا الأمر حيث استعمل سعيد بن العاص على سوق « مكة المكرمة » واستعمل عمر بن الخطاب على سوق «المدينة المنورة » وكان رضى الله عنه يشارف السوق ويراقب الموازين والمكاييل والرفق بالحيوان فقد رؤى يضرب جمَّالا ويقول : « حملت جملك ما لا يطيق » وإنه رضى الله عنه استعمل عبد الله بن عتبة على السوق .

من هذا يتضح أن وظيفة المحتسب كانت لرسول الله «ﷺ» أول الأمر . ثم استعمل من رآه أهلا لها ، وكان الخلفاء الراشدون معنيين بها إذ كان الخليفة يتولاها بنفسه أو يعين لها من يراه أهلا للقيام بها على نهج النبى « ﷺ » واقتداء بأمره ، وهذا يشير إلى شرف ذلك المنصب بانتسابه إلى رسول الله «ﷺ » ثم الخلفاء الراشدين ، ولذلك اهتم العلماء والفقهاء بعد عصر الراشدين بوضع المؤلفات فى قواعدها ودراسة أحكامها وكان ذلك بدء التأليف عن الحسبة فى كل الأقطار التى كانت فى ظل الإسلام (المدينة المنورة ٢ / ١٤ـ١٦) .

ويعقد الإمام ابن قدامة فصلا فى صفات المحتسب فيقول : وجملتها ثلاث صفات :

الأول : العلم بمواقع الحسبة ، وحدودها ليقتصر على حد الشرع .

والثانى : الورع ، فإنه قد يعلم شيئا ولا يعمل به لغرض من الأغراض .

والثالث : حسن الخلق ، وهو أصل ليتمكن من الكف، فإن الغضب إذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع فى قمعه ما لم يكن فى الطبع خلق حسن .

ومن الآداب : تقليل العلائق ، وقطع الطمع عن الخلق لتزول المداهنة ، فقد حكى عن بعض السلف أنه كان له سنور، وكان يأخذ لسنوره فى كل يوم من قصاب فى جواره شيئا من الغدد : فرأى على القصاب منكرا ، فدخل الدار فأخرج السنور، ثم جاءه فأنكر على القصاب، فقال : لا أعطيك بعد هذا شيئا لسنورك ، فقال : ما أنكرت عليك إلا بعد إخراج السنور وقطع الطمع منك ، وهذا صحيح، فإن لم يقطع الطمع من الناس من شيئين لم يقدر على الإنكار عليهم .

أحدهما : من لطف ينالونه به .

والثانى : من رضاهم عنه وثنائهم عليه .

وأما الرفق فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فمتعين، قال الله تعالى ﴿ **فقولا له قولا لينا** ﴾ [طه : ٤٤] .

وروى أن أبا الدرداء رضى الله عنه مر على رجل قد أصاب ذنبا والناس يسبونه ، فقال : أرأيتم لو وجدتموه فى قليب ، ألم تكونوا مستخرجيه ؟ قالوا : بلى ، قال : فلا تسبوا أخاكم ، واحمدوا الله الذى عافاكم . فقالوا : أفلا تبغضه ؟ فقال : إنما أبغض عمله ، فإذا تركه ، فهو أخى .

ومر فتى يجر ثوبه ، فهم أصحاب صلة بن أشيم أن يأخذوه بألسنتهم أخذا شديدا ، فقال صلة : دعونى أكفكم أمره ، ثم قال : يا ابن أخى ، إن لى إليك حاجة . قال ما هى؟ قال : أحب أن ترفع إزارك ، قال : نعم ونعمى عين (أى قرة عين ، يعنى : أقر عينك بطاعتك واتباع أمرك) فرفع إزاره ، فقال صلة لأصحابه : هذا كان أمثل مما أردتم ، فإنكم لو شتمتموه وآذيتموه لشتمكم .

ودعى الحسن إلى عرس ، فجيء بجام من فضة فيه خبيص ، فتناوله وقلبه على رغيف ، فأصاب منه ، فقال رجل: هذا نهى فى سكون (مختصر منهاج القاصدين / ١٢٩ ، ١٣٠) .

يقول المقريزى عن الحسبة والمحتسب فى القاهرة (أو دكة الحسبة) : وكان بجوار حبس المعونة دكة الحسبة مكانها اليوم يعرف بالأبازرة ومكسر الحطب بجوار سوق القصارين والفحامين ، قال ابن الطوير : وأما الحسبة فإن من تسند إليه لا يكون إلا من وجوه المسلمين وأعيان المعدلين لأنها خدمة دينية ، وله استخدام النواب عنه بالقاهرة ومصر وجميع أعمال الدولة كنواب الحكم وله الجلوس بجامعى القاهرة ومصر يوما بعد يوم ، ويطوف نوابه على أرباب الحرف والمعايش ويأمر نوابه بالختم على قدور الهراسين ونظر لحمهم ومعرفة من جزاره ، وكذلك الطباخون . ويتتبعون الطرقات ويمنعون من المضايقة فيها ويلزمون رؤساء المراكب أن لا يحملوا أكثر من وسق السلامة ، وكذلك مع الحمالين على البهائم ، ويأمرون السقائين بتغطية الروايا بالأكسية ولهم عيار وهو أربعة وعشرون دلوا كل دلو أربعون رطلا ، وأن يلبسوا السراويلات القصيرة الضابطة لعوراتهم وهى زرق ، وينذرون معلمى المكاتب بأن لا يضربوا الصبيان ضربا مبرحا ولا فى مقتل ، وكذلك معلموا العوم بتحذيرهم من التغرير بأولاد الناس ويقفون على من يكون سيئ المعاملة فينهونه بالردع والأدب ، وينظرون المكاييل والموازين ، وللمحتسب النظر فى دار العيار ، ويخلع عليه ويقرأ سجله بمصر والقاهرة على المنبر ، ولا يحال بينه وبين مصلحة إذا رآها . والولاة تشد معه إذا احتاج إلى ذلك ، وجاريه ثلاثون دينارا فى كل شهر (المواعظ والاعتبار ١ / ٤٦٣ ، ٤٦٤) .

ويفرد الإمام تاج الدين السبكى (انظر ترجمته فى م ٨ / ٣١٦ ـ ٣١٨) فى كتابه النفيس . « معيد النعم » المثال الخامس والأربعين للكلام على المحتسب وبخاصة فى بلاد الشام فيقول :

وعليه النظر فى القوت ، وكشف غُمة المسلمين فيما تدعو إليه حاجتهم من ذلك ، والاحتراز فى المشروب والطعام؛ فطالما أوهم الطباخ أن لحم الكلاب لحم ضأن فليتق الله ربه ، ولا يكن سببا فى إدخال جوف المسلمين ما كرهه الله لهم من الخبائث ويحرم عليه التسعير فى كل وقت على الصحيح، وقيل : يجوز فى زمان الغلاء، وقيل : يجوز إذا لم يكن مجلوبا ، بل كان مزروعا فى البلد ، وكان عند الشتاء وإذا سعر الإمام انقادت الرعية لحكمه ، ومن خالفه استحق التعزير ومن مهمات المحتسب ـ لا سيما فى بلاد الشام ـ أمران ارتبطا به : أحدهما النقود من الذهب والفضة المضروبين ، ولا يخفى أن فى زغلهما هلاك أموال البشر، فعليه اعتبار العيار بمحك النظر ، والتثبت فى سكة المسلمين . وثانيهما المياه ، فعليه الاحتراز فى سياقتها . وقد جرت عادة أناس فى الشام أن يشترى بعضهم قدرا معلوما من ماء نهر ثورى أو باناس مثلا ، ويتحيَّل لصحته بأن يورد العقد على مقره بما له فيه من حق الماء ، وهو كذا إصبعا ثم يسوقه، ويحمله على مياه الناس برضا طائفة يسيرة منهم . وكان الشيخ الإمام رحمه الله يشدد النكير فى هذا وله فيه تصنيف سماه الكلام على أنهار دمشق ، والحاصل أن الخلق فى أنهار دمشق سواء يقدم الأعلى منهم فالأعلى . ولا يجوز بيع شيء من الماء ولا مقره (معيد النعم / ٦٥ ، ٦٦) .

وكان للمحتسب أعوان يدعون العرفاء ، تطابق وظيفته فى أيامنا تقريبا موظف التموين وشرطى البلدية ، والمفتش

القضائى مجتمعين فكان يتفقد نظافة البلاد ، ومراقبة السوقة والأسواق ، وكشف أنواع الغش والتدليس لأصحاب الحرف والصناعات فى مبيعاتهم ومعاملاتهم ، وكان يشرف على القضاء أحيانا ، بل كان يقصد مجالس الأمراء والولاة ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويعظهم بالشفقة على الرعية ، وكان المحتسب ينظر أيضا فى أمور عديدة تتعلق بالصحة والطب ، منها منع الدجالين من الشعوذة والتوجيل ومنع الناس من تصديقهم ، والإشراف على بيع العقاقير ، وعدم صرفها إلا بوصفة طبية ، لمرض معين . وكان المحتسب فوق ذلك ينظم اختيار الأطباء ويفحص معلوماتهم، ويشرف على امتحاناتهم ويتعرف على مقدرتهم وكفايتهم ، ودرجة إتقانهم للصناعة (الطب عند العرب / ٢٧٨)

ومع تطور المجتمع وتشعب المرافق العامة وتعددها احتاج المحتسب للقيام بوظيفته إلى مراجع توضح له نطاق عمله وتحدد بدقة مقتضيات المهن والصنائع الخاضعة للرقابة . فأخذ بعض العلماء يدونون هذه البيانات ويرتبونها فصولا متسلسلة بحيث يكون فى متناول المحتسب نوع من «الدستور» يستطيع الرجوع إليه . ولنذكر على سبيل المثال بعض هذه المؤلفات التى نشرت أخيرا :

١ ـ نهاية الرتبة فى طلب الحسبة : تأليف عبد الرحمن بن نصر الشيزرى المتوفى سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م وقد نشره سنة ١٩٤٦ الأستاذ السيد الباز العرينى (لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة) .

٢ ـ معالم القربة فى أحكام الحسبة لضياء الدين محمد ابن الإخوة الذى عاش فى مصر . وقد نشره الأستاذ روبين ليفى فى لندن سنة ١٩٣٨ .

٣ ـ رسالة ابن عبدون فى القضاء والحسبة .

٤ ـ رسالة أحمد بن عبد الرؤوف فى آداب الحسبة والمحتسب .

٥ ـ رسالة الجرسيفى فى الحسبة (انظر مؤلفات أخرى جاءت فى ثبت المراجع فى نهاية هذه المادة) .

وقبل أن نتكلم بالذات عن مراقبة الصيادلة نورد أسماء الصناعات التى وردت فى كتاب نهاية الرتبة للشيزرى .

الباب الأول مخصص لذكر ما يجب على المحتسب من شروط الحسبة ولزوم مستحباتها .

والباب الثانى : فى النظر فى الأسواق والطرقات .

والثالث والرابع : فى معرفة القناطير والأرطال والمثاقيل والدراهم والموازين والمكاييل ، وعيار الأرطال والمثاقيل . وابتداء من الباب الخامس يخصص الشيزرى بابا على حدة لكل من رجال الصناعة الآتى ذكرهم .

الحبوبيون والدقاقون ، الخبازون ، الفرانون ، صناعة الزلابية ، الجزارون والقصابون ، الشواؤون ، الرواسيون ، قلاؤو السمك ، الطباخون ، الهرائسيون ، النقانقيون ، الحلويون ، الصيادلة ، العطارون ، الشرابيون ، السمانون، البزارون، المنادون والدلالون ، الحاكة ، الخياطون ، القطانون ، الكتانيون ، الحريريون، الصباغون ، الأساكفة، الصيارف ، الصاغة ، النحاسون ، والحدادون ، البياطرة ، نخاسو العبيد والدواب، الحمامات وقوامها ، الفصادون والحجامون ، الأطباء والكحالون والمجبرون والجرائحيون، مؤدبو الصبيان ، أهل الذمة (الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة / ٣١٦ ـ ٣١٨) .

الحسبة فى الطب :

جاء فى كتاب « نهاية الرتبة فى طلب الحسبة » للشيزرى خاصا بالأطباء وصناعتهم ما يلى :

قال : وينبغى للمحتسب أن يأخذ عليهم عهد أبقراط الذى أخذه على سائر الأطباء ، ويحلفهم أن لا يعطوا أحدا دواء مرا، ولا يركبوا له سما ، ولا يصنعوا السمائم عند أحد من العامة ، ولا يذكروا للنساء الدواء الذى يسقط الأجنة ، ولا للرجال الدواء الذى يقطع النسل ، وليغضوا من أبصارهم عن المحارم عند دخولهم على المرضى ، ولا يفشوا الأسرار ولا يهتكوا الأستار، وينبغى للطبيب أن يكون عنده جميع آلات الطب على الكمال مما يحتاج إليه فى صناعة الطب، غير آلة الكحالين والجرائحيين وللمحتسب أن يمتحن الأطباء بما ذكره حنين فى كتابه المعروف بمحنة الطبيب فأما « محنة الأطباء » لجالينوس فلا يكاد واحد يقوم بما شرط عليهم.

وأما الكحالون فيمتحنهم المحتسب بكتاب حنين بن إسحاق ، أعنى العشر المقالات فى العين . (هذا الكتاب قد علق عليه الأستاذ الدكتور مايرهوف العالم المستشرق الرمدى بالقاهرة وطبع لحساب الحكومة المصرية) فمن وجده فيما امتحنه به عارفا بتشريح العين وعدد طبقاتها السبع ، وعدد رطوباتها الثلاث ، وعدد أمراضها الثلاثة ، وما يتفرع من ذلك من الأمراض ، وكان خبيرا بتركيب الأكحال وأمزجة العقاقير أذن له المحتسب بالتصدى لمداواة أعين الناس ، وألا ينبغى أن يفرط فى شىء من آلات صنعته مثل سنانير السبل والظفرة ومحك الجرب ومباضع الفصد ودرج المكاحل وغير ذلك (السبل : داء فى العين شبه غشاوة ، والظفرة : زيادة من الملحمة) .

وأما كحالو الطرقات فلا يوثق بأكثرهم ، إذ لا دين لهم يصدهم عن التهجم على أعين الناس بالقطع والكحل بغير علم وخبرة بالأمراض والعلل الحادثة ، فلا ينبغى لأحد أن يركن إليهم فى معالجة عينه ولا يثق بأكحالهم وشيافاتهم (الشياف : نوع من الأدوية السائلة لأمراض العيون) فإن منهم من يضع أشيافا أصلها من النشا والصمغ ويصبغها ألوانا مختلفة فيصبغ الأحمر بالإسريقون ، والأخضر بالكركم ، والنيل والأسود بالقاقيا ، والأصفر بالزعفران ، ومنهم من يجعل أشياف « ماميتا » أو يجعل أصله من ألبان المصرى ويعجنه بالصمغ المحلول ومنهم من يعمل كحلا من نوى الإهليلج المحرق والفلفل وجميع غشوش أكحالهم لا يمكن حصر معرفتها ، فيحلفهم المحتسب على ذلك إذ لا يمكن منعهم من الجلوس لمعالجة الناس .

وأما المجبرون فلا يحل لأحد أن يتصدى للجبر إلا بعد أن يحكم معرفة المقالة السادسة من كناش فولوس فى الجبر (وهو ترجمة حنين بن إسحاق) وأن يعلم عدد عظام الآدمى وهو مئتا عظم وثمانية وأربعون عظما ، وصورة كل عظم فيها وشكله وقدره حتى إذا انكسر منها شىء أو انخلع رده إلى موضعه على هيئته التى كان عليها فيمتحنهم المحتسب فى جميع ذلك .

وأما الجرائحيون فيجب عليهم معرفة كتاب جالينوس المعروف بقطاجانوس فى الجراحات والمراهم ، وأن يعرفوا التشريح وأعضاء الإنسان ، وما فيه من العضل والعروق والشرايين والأعصاب ، ليتجنب ذلك فى وقت فتح المواد وقطع البواسير، ويكون معه دست المباضع فيه مباضع مدورات الرأس والموربات وفأس الجبهة ومنشار القطع ومجرفة الأذن وورد السلع (السلع : مفردها سلعة : زائدة تحدث فى الجسد ، وتبدو فى أول الأمر صغيرة ثم تكبر تدريجيا ووردة السلع آلة لقطع هذه الزائدة) ومرهمدان المراهم ، ودواء الكندر القاطع للدم . وقد يبهرجون على الناس بعظام تكون معهم فيدسونها فى الجرح ثم يخرجونها منه بمحضر من الناس ويزعمون أن أدويتهم القاطعة أخرجتها ومنهم من يضع مراهم من الكلس المغسول بالزيت ثم يصبغ لونه أحمر بالمغرة أو أخضر بالكركم والنيل أو أسود بالفحم المسحوق . فيعتبر عليهم العريف جميع ذلك .

(تاريخ البيمارستانات / ٥٢-٥٥) .

وكان على المحتسب أيضا أن يشرف على العطارين ، وفى ذلك يقول الشيزرى ، صاحب كتاب « نهاية الرتبة فى طلب الحسبة » : « غشوش العطر كثيرة ، مختلفة أيضا لاختلاف أجناس الطيب وأنواعه وتجانس العقاقير الطبية وتقاربها من الرائحة » ثم يسرد ما اشتهر غشه ، وصنعته ، ويعرض عما خفى غشه وصنعه ولا يتعاطاه كثير من الناس .

وفى الحسبة على الشرابيين يقول : « لا يعقد الأشربة ويركب المعاجين والجوارشنات (هى الأطعمة الهاضمة) إلا من اشتهرت معرفته ، وظهرت خبرته ، وكثرت تجربته ، وشاهد تجريب العقاقير ، ومقاديرها من أربابها وأهل الخبرة لها . . ولا يركبها الشرابى إلا من الكناشات المشهورة ، والأقراباذنيات المعروفة ، قيل أقرباذى سابور وغير ذلك مما يوثق به وعلى أن يتقى الله عز وجل ، ويخشى اليوم الآخر من التهاون بها ، والتفريط بأوزانها ، وأن يدخل عليها ما ينافيها ويلبسها خاصيتها ... وينبغى أن يعتبر المحتسب الأشربة فى رأس كل شهر .

الحسبة على الصيادلة

تفيد المراجع أن العرب ، أول من فرض الرقابة على أعمال

الصيادلة ، فمنذ أيام المأمون ، الخليفة العباسى ، خضع الصيادلة للامتحان ثم اشترط المعتصم بعد ذلك على مزاولى هذه المهنة الحصول على رخصة عمل ثم ما لبثت هذه المهنة أن خضعت لرقابة المحتسب .

وكان الصيادلة ، كالأطبا يخضعون لامتحان يجريه عليهم رئيس الأطباء وكان المحتسب يقوم بدور المشرف على هذه الامتحانات ، إلى جانب تقويمه أعمال الصيادلة ومراقبة الصيدليات (الطب عند العرب / ٢٨٠ ـ ٢٨٢) .

وفيما يلى النص الكامل الخاص بالصيادلة لكى يتبين القارئ طريقة المراقبة التى كان يتبعها المحتسب فى تأدية وظيفته (انظر كتاب نهاية الرتبة فى طلب الحسبة للشيزرى ط العرينى ص ٤٢ ـ ٤٧) :

« تدليس هذا الباب والذى بعده كثير، لا يمكن حصر معرفته على التمام . فرحم الله من نظر فيه ، وعرف استخراج غشوشه ، فكتبها فى حواشيه تقربا إلى الله تعالى ، فهى أضر على الخلق من غيرها لأن العقاقير والأشربة مختلفة الطبائع والأمزجة ، والتداوى على قدر أمزجتها ، فمنها ما يصلح لمرض ومزاج ، فإذا أضيف إليها غيرها أحرفها عن مزاجها فأضرت بالمريض لا محالة فالواجب على الصيادلة أن يراقبوا الله عز وجل فى ذلك .

وينبغى للمحتسب أن يخوفهم ويعظهم وينذرهم العقوبة والتعزير، ويعتبر عليهم عقاقيرهم فى كل أسبوع . فمن غشوشهم المشهورة أنهم يغشون الأفيون المصرى بشياف ما ميتا (الشياف فى اللغة نوع من الأدوية يتخذ قمعا أو تلبيسة لمعالجة أمراض المستقيم ، أو دواء لأمراض العيون والماميتا نبات ذكره ابن البيطار وعصارة النبات شيان ماميتا . ويغشونه أيضا بعصارة ورق الخس البرى ويغشونه أيضا بالصمغ ، وعلامة غشه أنه إذا أذيب فى الماء ظهرت له رائحة كرائحة الزعفران إن كان مغشوشا بالماميتا ، وإن كانت رائحته ضعيفة، وهو خشن ، كان مغشوشا بعصارة الخس، والذى هو مر صافى اللون ضعيف القوة يكون مغشوشا بالصمغ . وقد يغشون الرواند بنبتة يقال لها راوند الدواب تنبت بالشام . وعلامة غشه أن الرواند الجيد هو الأحمر الذى لا رائحة له ، ويكون خفيفا ، وأقواه الذى يسلم من السوس ، وإذا نقع فى الماء كان فى لونه صفرة ، وما خالف هذه الصفة كان مغشوشا بما ذكرناه .

وقد يغشون الطباشير بالعظام المحروقة بالأتاتين ، ومعرفة غشها أنها إذا طرحت فى الماء رسب العظم وطفا الطباشير . وقد يغشون اللبان الذكر بالقلفونية والصمغ ومعرفة غشه أنه إذ طرح فى النار التهبت القلفونية ودخنت وفاحت رائحتها .

وقد يغشون التمر هندى بلحم الأجاص وقد يغشون الحضض بعكر الزيت ومرائر البقر ، فى وقت طبخه ومعرفة غشه أنه إذا طرح منه شىء فى النار فإن الخالص يلتهب ، ثم إذا أطفيته بعد الالتهاب يصير له رغوة كلون الدم ، وأيضا فإن الجيد منه أسود ويرى داخله ياقوتى اللون ، وما لا يلتهب وما لا يرغى يكون مغشوشا بما ذكرناه .

وقد يغشون القسط بأصول الراسن ومعرفة غشه أن القسط له رائحة وإذا وضع على اللسان يكون له طعم ، والراسن بخلاف ذلك . وقد يغشون زغب السنبل بزغب القلقاس . ومعرفة غشه أنه بوضعه فى الفم يغثى ويحرق . وقد يغشون الأفربيون بالباقلاء اليابس المدقوق ، وقد يغشون المصطكى بصمغ الأبهل ومنهم من يغشون المقل بالصمغ القوى .

ومعرفة غشه أن الهندى تكون له رائحة ظاهرة إذا نجر به ، وليس فيه مرارة والأفتيمون الإقريطشى يغشونه بالشامى ، وليس بضار ، ويغشونه أيضا بزغب البسبايج ومنهم من يغش المحمودة بلبن اليتوع المجمد ومعرفة غشها أن توضع على اللسان ، فإن قرصته فهى مغشوشة . ومنهم من يغشها أيضا بنشارة القرون ، وتعجن بماء الصمغ على هيئة المحمودة ، ومنهم من يغشها بدقيق الباقلاء ودقيق الحمص، ومعرفة غش ذلك كله أن الخالصة صافية اللون مثل الغرى، والمغشوشة بخلاف ذلك ، وقد يغشون المر بالصمغ المنقوع فى الماء ، وصفة غشه أن الخالص يكون خفيفا ولونه واحدا وإذا كسر ظهر فيه أشياء كشكل الأظفار ملساء ، أشبه الحصى وتكون له رائحة طيبة ، وما كان منه ثقيلا ولونه لون الزفت فلا خير فيه . ومنهم من يغش قشر اللبان بقشور شجر الصنوبر، وصفة غشه أن يلقى فى النار، فإن التهب وفاحت له رائحة طيبة فهو

خالـص ، وإن كان بالضـد فهو مغشـوش . ومنهم من يغش المرزنجوش ببذر الحندقوق .

وقد يغشون الشمع بشحم المعز وبـالقلفونية ، وقد يذرون فيـه عنـد سبكه دقيـق الباقـلاء أو الـرمل النـاعم ، أو الكحل الأسود المسحوق ، ثم يجعل ذلك بطانة فى الشمعة ثم يغشى بالشمع الخالص ، ومعرفة غشه أنك إذا أشعلت الشمعة ظهر فيها ذلك . وقد يغشون الزنجار بـالرخام والقلقند ومعرفة غشه أن تبل إبهامك وتغمسهـا فيه ، ثم تدلك بها السبـابة فإن نعم وصار كالزبد فهو خالص . وإن ابيض وتحبب فهو مغشوش ، وأيضا يتـرك منه شىء بين الأسنان ، فإن وجـدته كالـرمل فهو مغشـوش بالـرخام ، وأيضـا تحمى صفيحـة فى النار ثم يـذر عليها فإن احمر فهو مغشوش بالقلقند وإن اسود فهو خالص .

وقـد يختـارون من الإهليلج الأسـود إهليلجـا أصفـر ، ويبيعـونـه مع الكـابلى ، ويختـارون من الإهليلـج الأصفـر المعصب حباشـة الكابلى ويبيعـونه مع الكـابلى وقد يـرشون الماء على الخيـار شنبير وهو ملفوف فى الأكيسـة عند بيعه ، فيزيد رطلـه نصف رطل . ومنهم من يأخذ اللك ويسبكه على النار ويخلط معـه الآجر المسحوق والمغرة ثم يعقـده ويبسطه أقراصـا . ثم يكسره بعـد جفافـه ويبيعه على أنـه دم الأخوين ومنهم من يـدق العلك دقا جـريشـا ، ثم يجعل فيه شيئـا من الجاوشير ويطبخه على النـار فى عسل النحل ويلقى فيه شيئا من الزعفران فإذا غلى وأرغى ، طرح فيه العلك، وحركه إلى أن يشتد ثم يعمله أقـراصا إذا برد ويكسره ويخلط معـه الجاوشير فلا يظهر فيه .

وأما جميـع الأدهان الطبية وغيـرها فإنهـم يغشونها بـدهن الخل بعد أن يغلى على النـار ويطرح فيه جوز ولـوز مرضوض ليزيل رائحته وطعمـه ثم يمزجونه بـالأدهان ، ومنهم من يأخذ نوى المشمش والسمسم ثم يعجنهمـا بعد دقهما ويعصـرهما ويبيع دهنهمـا على أنـه دهن لـوز . ومنهـم من يغش دهن البلسان بدهن السـوسن ومعرفة غشه أن يقطـر منه شىء على خـرقـة صوف ثـم يغسل ، فإن زال عنهـا ولم يؤثـر فيهـا فهـو خالص ، وإن أثر فيها كان مغشوشا ، وأيضا فإن الخالص منه إذا قطر فى الماء ينحل ويصير فى قوام اللبن والمغشوش يطفو مثل الزيت ويبقى كواكبا فوق الماء .

ويضيف المؤلف : وقد أعرضـت عن أشياء كثيرة فى هذا الباب لم أذكرهـا لخفى غشها ولامتزاجها بالعقاقيـر مخافة أن يتعلمهـا من لا دين لـه فيـدلس بهـا على المسلمين . وإنمـا ذكرت فى هـذا الباب وفى غيره مـا قد اشتهر غشـه بين الناس ويتعاطاه كثير منهم . وأمسكت عن أشياء غير مشهورة قد ذكر أكثرها صـاحب كتاب كيمياء العطر فـرحم الله من وقع فى يده ذلك الكتاب ، فمزقه وحرقه تقربا إلى الله عز وجل .

ولم يكتف البعض بـالتدليس والغش ، بل كانـت تذهب بهـم الجرأة والاستهتـار إلى أبعد من ذلك ، فيدعـون أن لديهم جميع أصناف الأدوية ويدفعون لمن طلب منهم دواء أى دواء آخر معتمدين على أن الطالب عـادة غير ملم بمعرفة الأدوية . وقد ورد فى عيون الأنباء خبر فى غاية الطرافة يزيح الستار عن تصـرف مشين لأنـاس جهلـة تطفلوا على مهنـة الصيـدلـة وجعلوها شبكـة لاصطياد السذج من الناس . وختـاما لبحثنا ننقل هـذا الخبر حـرفيا لطرافته : قـال يوسف بن إبـراهيم : حدثنى زكريا بن الطيفورى قال :

« كنت مع الأفشين (قائد جيـوش المعتصم) والظافر فى وقعة عمورية سنة ٨٣٨ م) فى معسكـره . و هو فى محـاربة «بابـك » (زعيم فرقـة إسماعيليـة متطرفة تـدعى الخـدمية ، حاربه المعتصم وقهـره فقطع وصلـب سنـة ٨٣٨ م) . فـأمـر بإحصاء جميع من فى عسكـره من التجار وحوانيتهم وصنـاعة رجل رجل منهم . فـرفع ذلك فلما بلغت القـراءة بالقـارئ إلى موضـع الصيادلـة قال لى : « يـا زكريا ضبـط هؤلاء الصيـادلة عندى أولى ما نقدم فيه . فامتحنهم حتى تعرف منهم الناصح من غيره ومن له دين ومن لا دين له .

فقلت : « أعـز الله الأمير إن يـوسف لقـوة الكيميائى كـان يدخل على المأمـون كثيرا ويعمل بين يديـه . فقال له يـوما : «ويحك يا يوسف ليس فى الكيمياء شىء » فقال له : « بلى يا أمير المؤمنين وإنما آفة الكيمياء الصيادلة » .

قال له المأمون : « ويحك وكيف ذلك » ؟

فقال : « يا أمير المؤمنين إن الصيدلانى لا يطلب منه إنسان شيئا من الأشياء كان عنده أو لم يكن إلا أخبره بأنه عنده ودفع إليه شيئا من الأشياء التى عنده وقال هذا الذى طلبت فإن رأى أمير المؤمنين أن يضع اسما لا يعرف ويوجه جماعة إلى الصيادلة فى طلبه ليبتاعه فليفعل » .

قال له المأمون : « قد وضعت الاسم وهو «سقطيثا» وسقطيثا ضيعة بقرب مدينة السلام . ووجه المأمون جماعة من الرسل يسألهم عن سقطيثا فكلهم ذكر أنه عنده وأخذ الثمن من الرسل ودفع إليهم شيئا من حانوته فصاروا إلى المأمون بأشياء مختلفة فمنهم من أتى ببعض البذور ومنهم من أتى بقطعة من حجر . ومنهم من أتى بوبر . فاستحسن المأمون نصح يوسف لقوة عن نفسه ، وأقطعه ضيعة على النهر المعروف بنهر الكلبة . فهى فى أيدى ورثته ومنها معاشهم فإن رأى الأمير أن يمتحن هؤلاء الصيادلة بمثل محنة المأمون فليفعل .

فدعا الأفشين بدفتر من دفاتر الأسروشنية فأخرج منها نحوا من عشرين اسما ووجه إلى الصيادلة من يطلب منهم أدوية مسماة بتلك الأسماء فبعضهم أنكرها ، وبعضهم ادعى معرفتها وأخذ الدراهم من الرسل ودفع إليهم شيئا من حانوته . فأمر الأفشين بإحضار جميع الصيادلة فلما حضروا كتب لمن أنكر معرفة تلك الأسماء منشورات أذن لهم فيها بالمقام فى عسكره ونفى الباقين عن المعسكر ولم يأذن لأحد منهم فى المقام ونادى المنادى بنفيهم وبإباحة دم من وجد منهم فى معسكره وكتب إلى المعتصم يسأله البعثة إليه بصيادلة لهم أديان ومذهب جميلا ومتطببين كذلك . فاستحسن المعتصم منه ذلك ووجه إليه بما سأل » (الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب / ٣١٨_٣٢٣) .

الحسبة على الفصادين والحجامين

نظرا لخطورة عملية الفصد ودقتها ، فقد وضع العرب شروطا على الفصادين ، وأخضعوا أعمالهم لمراقبة المحتسب . وفى ذلك يقول الشيزرى : « لا يتصدى للفصد إلا من اشتهرت معرفته بتشريح الأعضاء ، والعروق ، والعضل ، والشرايين وأحاط بمعرفة تركيبها وكيفيتها لئلا يقع المبضع فى عرق غير مفصود أو فى عضلة أو شريان ، فيؤدى إلى زمانة العضو وهلاك المفصود ، فكثير هلك من ذلك — ومن أراد تعلم صناعة الفصد فليدمن فصد ورق السلق — اعنى العروق التى فى الورقة — حتى تستقيم يده . وينبغى للفاصد أن يمنع نفسه من عمل صناعة مهينة تكسب أنامله صلابة وعسر حس ... وأن يراعى بصره بالأكحال المقوية له . وألا يفصد عبدًا إلا بإذن مولاه ، ولا صبى إلا بإذن وليه . « وينبغى للمحتسب أن يأخذ عليهم العهد والميثاق إلا يفصدوا إلا بعد مشاورة الأطباء . وينبغى أن يكون مع الفاصد مباضع كثيرة من ذوات الشعيرة وغيرها ، وكبة من حرير أو خز . أو شىء من آلة القىء ، من خشب أو ريش ، ووبر الأرنب ودواء الصبر والكندر... وأن يوسع الفاصد البضع فى الشتاء لئلا يجمد الدم ، ويضيقه فى الصيف لئلا يسرع الغشى ... » (نهاية الرتبة فى طلب الحسبة / ٨٩_٩٥) .

وقد حذق العرب بهذه الصناعة لدرجة المفاخرة والتحدى لاثبات الأحذق بينهم . وفى ذلك يقول الشيزرى : « ولم أر فى صناعة الفصد أحذق من رجلين رأيتهما بمدينة حلب ، افتخر كل واحد منهما على صاحبه بالحذق فأما أحدهما فإنه لبس غلالة وشد يده من فوق الغلالة ، وانغمس فى بركة ثم فصد يده فى قاع الماء من فوق الغلالة ، وأما الآخر فمسك المبضع بإبهام رجله اليسرى ثم فصد يده » (نهاية الرتبة / ٩٠) .

أما الحجامة فهى عظيمة المنفعة ، وأقل خطرا من الفصادة ، وقد اشترط فى الحجام أن يكون رشيقا ، خبيرا بالصناعة ، ويخضع الحجام لرقابة المحتسب فيمتحنه بالصاق ورقة على أجرَّة ، ثم يأمره بشرطها ، فإن نفذ الشرط ، كان ثقيل اليد سىء الصناعة . وعلامة حذق الحجام خفة يده ، وألا يوجع المحجوم ، وتستحب الحجامة وسط الشهر إذا تكامل النور فى جرم القمر ، لأن الأخلاط تكون هائجة وتكون الأدمغة زائدة فى الأقحاف (القحف هو العظم الذى فوق الدماغ من الجمجمة) وأفضل أوقات الحجامة الساعة الثانية والثالثة من النهار (الطب عند العرب / ٢٨١ _ ٢٨٤) .

ويتضح من وظائف المحتسب التى أوردناها آنفا مدى الشبه الكبير بينها وبين النظم الحديثة التى تقوم بتطبيقها بلدية

المدينة المنورة وباقى بلديات المملكة السعودية وكذلك جميع البلديات فى العالم ، ولهذا لم يكن مبالغا فيه ما جاء بكتاب « عمر بن الخطاب وأصول السياسة والإدارة الحديثة » للدكتور سليمان محمد الطماوى الذى يقول : « إن كثيرا من النظم السياسية والاجتماعية التى يعتز بها أبناء العصر الحاضر، ليست إلا صياغات جديدة لأصول نادى بها آباؤنا وأجدادنا منذ قرون عدة وشغلتنا عنها عصور التخلف التى فرضها علينا الاستعمار ... » .

لقد ظلت دار الحسبة فى المدينة المنورة ساهرة على تطبيق تلك النظم التى تعود بالنفع العام على المجتمع الإسلامى، يقوم بتنفيذها محتسب إثر محتسب حتى العهد العثمانى الذى استبدل فيه بإسم دار الحسبة اسم (البلدية) وباسم المحتسب (رئيس البلدية) . وكان ذلك إيذانا بتغيير فى بعض الصلاحيات التى كانت مخولة للمحتسب فسلخت بعض اختصاصاته وألحقت بأجهزة أخرى تقوم على تنفيذها وزيد على الباقى الذى لا يظل معمولا به إلى الآن ما قضت به ضرورة العصر .

(المدينة المنورة ٢ / ١٣ ـ ٢٣) .

(الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب بإشراف د . محمد كامل حسين / ٣١٦ ـ ٣٢٣، المدينة المنورة وأول بلدية فى الإسلام ـ صدقه حسن خاشقجى ومحمد عبد الجليل النمر ٢ / ١٣ ـ ٢٣ ، والطب عند العرب ـ د. حنيفة الخطيب / ٢٧٧ ـ ٢٨٤ ، وتاريخ البيمارستانات فى الإسلام ـ د . أحمد عيسى / ٥١ ـ ٥٥ ومقدمة ابن خلدون / ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، والحسبة فى الإسلام ـ صاحب الفضيلة الشيخ أحمد مصطفى المراغى / ٤ ـ ٧ ، وحضارة الدولة العربية فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين والدولة الأموية ـ د. أحمد رمضان أحمد محمد / ١٤٤ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ١ / ٣٢ ، ٣٣ ، ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ـ قدم له الأستاذ محمد أحمد دهمان. علق عليه شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤط / ١٢٣ ـ ١٣٠ والأحكام السلطانية لعلى بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى / ٢٠٧ ـ ٢٢١ والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقى الدين المقريزى ١ / ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ومعيد النعم ومبيد النقم لتاج الدين عبد الوهاب السبكى. دار الحداثة. بيروت . الطبعة الثانية ١٩٨٥/ ٦٥ ، ٦٦) .

انظر أيضا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق وتعليق الشيخ إبراهيم إسماعيل عصر ، ومختصر كتاب رياض الصالحين للإمام يحيى بن شرف الدين النووى ـ اختصره ورتبه الشيخ النبهانى / ٢٠٢ ـ ٢٠٤ ، ومختصر شعب الإيمان للبيهقى ـ اختصار القزوينى / ٨٦ ـ ٨٩ ، ومن توجيهات الإسلام للإمام الأكبر الأسبق الشيخ محمود شلتوت / ١٨٤ ـ ١٩٠ ، وإحياء علوم الدين لحجة الإسلام أبى حامد الغزالى ٢ / ٢٦٩ ـ ٢٩٤ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ١ / ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، والحسبة فى الإسلام لشيخ الإسلام أحمد عبد الحليم ابن تيمية ـ تحقيق وتعليق أبى المنذر سامى أنور) انظر : آداب الحسبة (علم ـ) ، الاحتساب) علم ـ) .

* **الحسد :**

الحسد تمنى زوال نعمة من مستحق لها وربما كان مع ذلك سعى فى إزالتها . وروى « المؤمن يغبط والمنافق يحسد» قال تعالى : ﴿ حسدا من عند أنفسهم ﴾ [البقرة : ١٠٩] ﴿ ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ [الفلق : ٥] (المفردات فى غريب القرآن / ١١٨) .

وقال تعالى : ﴿ فسيقولون بل تحسدوننا ﴾ [الفتح : ١٥] وقال تعالى ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾ [النساء : ٥٤].

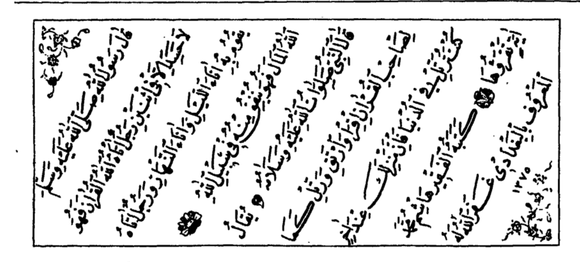
أما فى السنة المشرفة فقد وردت الأحاديث النبوية التالية :

١ ـ عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها ، ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق» أخرجه الشيخان .

٢ ـ وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا حسد إلا على اثنتين : رجل آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل أعطاه الله تعالى مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » . أخرجه الشيخان والترمذى .

٣ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : إياكم والحسد ، فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، أو قال العشب » أخرجه أبو داود .

٤ ـ وعن الزبير رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : دب إليكم داء الأمم قبلكم : الحسد والبغضاء، وهى الحالقة، أما إنى لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين ، والذى نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا



٣٠٤ ـ لوحة بخط الثلث والنسخ بقلم هاشم البغدادي سنة ١٣٧٥ هجرية.

حتى تحابوا ، ألا أدلكم على ما تحابون به أفشوا السلام بينكم» أخرجه الترمذي (تيسير الوصول ٢ / ٢١) .

وعن أنس في صحيح مسلم : « لا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تقاطعوا ، وكونوا عباد الله إخوانا » (مختصر شعب الإيمان / ٧١) .

وقد أدرج صاحب مفتاح السعادة « الحسد » في الأصل الثاني من ربع المهلكات وقال عنه تحت عنوان « في الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه » :

اعلم : أن الحسد فرع الحقد، وهو فرع الغضب ، ليس الحسد إلا على نعمة : فإما أن تريد زوالها عن المنعم عليه وهو حرام، إلا نعمة لفاسق أو ظالم جعلها آلة للشر، لكن لا تريد زوالها من حيث أنها نعمة بل من حيث أنها آلة الفساد ؛ أو لا تريد زوالها ولكن تشتهي لنفسك مثلها ، وهذا يسمى غبطة وهذه ليست بحرام ، بل ربما تكون واجبة كما في نعمة العلم ، أو مندوبة كما في نعمة التصدق ، أو مباحة كما في النعم المباحة .

ومذمة الحسد في الآثار والأخبار بل في الطباع شهيرة لا نحتاج إلى تفصيلها . وأما مراتبه فأربع :

إحداها : أن يحب زوال النعمة عنه وإن كانت لا تنتقل إليه ، وهو غاية الخبث ، وأنه مذموم محض .

وثانيتها : أن يحب زوال النعمة إليه فرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو ولاية نافذة ، وهذا أيضا مذموم .

وثالثتها : أن لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها ، فإن عجز عن مثلها أحب زوالها ، وهذا أيضا مذموم إلا أنه أخف من الثاني .

ورابعتها : أن يشتهي لنفسه مثلها فإن لم يحصل فلا يحب زوالها منه وهذا هو المعفو عنه إن كان في الدنيا ، والمندوب إليه إن كان في الدين .

ثم إن للحسد أسبابا :

الأول : العداوة والبغضاء ، وهذه أشد أسبابه .

الثاني : التعزز؛ وهو أن يثقل عليه أن يرتفع عليه غيره ، ولا يريد التكبر بل غرضه أن يدفع كبره، وهذا إذا نال بعض أقرانه ولاية أو علما أو مالا وهو لا تحتمل نفسه صلفه وتفاخره فيتعزز عليه .

الثالث : أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في أغراضه ، فإذا نال نعمة خاف ألا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته ، أو ربما يتشرف على مساواته ، أو إلى أن يترفع عليه فيعود متكبرا بعد إن كان متكبرا عليه .

الرابع : التعجب ؛ كما أخبر الله تعالى عن الأمم الماضية

إذ : ﴿ قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا ﴾ [يس : ١٥] فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحى والقرب من الله بشر مثلهم فحسدوهم وأحبوا زوال النعمة عنهم ، جزعا أن يفضل عليهم من هو مثلهم فى الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة وأسباب أخر .

الخامس : الخوف من فوت المقاصد ، وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد ، وذلك مثل الضرات عند زوجهن والتلامذة عند الأستاذ .

السادس : حب الرياسة وطلب الجاه نفسه من غير توصل به إلى مقصود ؛ وذلك كتحاسد العلماء ، فإن واحدا منهم لو سمع نظيره فى أقصى العالم لساءه ذلك وأحب موته وزوال نعمته من غير عداوة ولا تعزز ولا تكبر بينهما ولا خوف من فوات مقصود .

السابع : خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله . إذا وصف له اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوات مقاصدهم فرح به ، فهو أبدا يحب الإدبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذونها من ملكه وخزانته ، ويختص مثله باسم الشحيح .

وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها فى شخص واحد فيعظم فيه الحسد لذلك ، والأكثر اجتماع الأسباب وقلما ينفرد واحد منها .

ولما كان الحسد اقتضى سابقة الارتباط بين الشخصين كثر بين الأمثال والأقران والإخوة وبنى العم والأقارب دون شخصين فى بلدتين متباعدتين . ثم لما اشترط فى الحسد التزاحم حسد العالم العالم دون التاجر، والشجاع الشجاع دون الإسكاف، ونحو ذلك . نعم : من أحب الصيت ربما يزاحمه من فى أقصى العالم فى هذا دون الغرض فيحسده وأما أبناء الآخرة فلا يقع بينهم التحاسد إذ لا مزاحمة بينهم ولا ضيق فيها ، وكذا العلم إذ المعلوم الواحد يعرفه ألف إنسان .

المطلب السادس

دواء الحسد

وهو : أن تعرف أولا أنه ضرر عليك فى الدين والدنيا ، ولا ضرر به على المحسود فى الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما جميعا .

أما ضرره فى الدين :

لأنه سخط لقضاء الله وكراهة لنعمه ، وهذا قذى فى عين الإيمان ، وانضم إليه غش المسلم وترك نصحه ومشاركة إبليس ، وهذه خبائث فى القلب تأكل الحسنات وتمحوها .

وأما فى الدنيا : فهو أنه الألم الحاضر والعذاب الدائم ، وأنت تريد الألم لعدوك فتنجزت فى الحال .

وأما أنه لا ضرر على المحسود فى دينه ودنياه فواضح ، لأن النعمة لا تزول بحسدك .

وأما منفعته فى الدنيا : فهو أن أهم مقاصد أبناء الدنيا إيصال الهم إلى أعدائهم وهو حاصل بالحسد، وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ، فأنت عدو لنفسك وصديق لعدوك ، ومع هذا كله قد أدخلت السرور فى إبليس وهو أعدى عدوك .

وإذا عرفت : فعليك أن تكلف نفسك نقيض الحسد، إذ كل مرض يعالج بضده ؛ مثلا يكلف لسانه بمدحه وثنائه ، ويتكلف التواضع له والاعتذار إليه ، ويلزم نفسه الإنعام عليه إن قدر، وهذه الأفعال تطيب قلب المحسود ويحب الحاسد، ومهما ظهر حبه أحبه الحاسد ويتولد منه الموافقة ، ويصير ما يتكلفه أولا طبعا آخر، ولا يصدنك عن ذلك قول الشيطان : إن هذا عجز ونفاق وخوف ، لأن ذلك من خدع الشيطان ومكايده ، وهنا دواء الحسد إلا أنه مر، فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء .

ثم إن لك فى أعدائك ثلاثة أحوال :

أحدها : أن تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك إليه بعقلك ، وتمقت نفسك عليه وتود لو كان لك حيلة فى إزالة ذلك الميل منك ، وهذا معفو عنه لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه .

الثانى : أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته إما بلسانك أو بجوارحك ، فهذا هو الحسد المحظور.

الثالث : وهو بين الطرفين : أن تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ، ومن غير إنكار منك على

قلبك، ولكن تحفظ جوارحك ، عن طاعة الحسد، وهذا محل الخلاف : والظاهر أنه لا يخلو عن إثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه ، والله المستعان (مفتاح السعادة ٣ / ٣٦٩ - ٣٧٣).

قال معاوية كل إنسان أقدر على أن أرضيه إلا الحاسد فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة ، ويقال الحاسد ظالم غشوم لا يبقى ولا يذر وقال عمر بن عبد العزيز : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد غم دائم ، ونفس متابع . وقيل : من علامات الحاسد أن يتملق إذا شهد ، ويغتاب إذا غاب ، ويشمت بالمصيبة إذا نزلت وقال معاوية : ليس فى خلال الشر خلة أعدل من الحسد تقتل الحاسد قبل المحسود ...

وقيل الحاسد إذا رأى نعمة بهت وإذا رأى عثرة شمت وقيل إذا أردت أن تسلم من الحاسد فليس عليه أمرك وقيل الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له ، بخيل بما لا يملكه . وقيل إياك أن تتمنى فى مودة من يحسدك فإنه لا يقبل إحسانك ، وقيل إذا أراد الله تعالى أن يسلط على عبد عدوا لا يرحمه سلط عليه حاسده وأنشدوا :

وحسبك من حادث بامرئ
ترى حاسديه له راحمينا

وأنشدوا :

كل العداوة قد ترجى إماتتها
إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال ابن المعتز :

قل للحسود إذا تنفس طعنة
يا ظالما وكأنه مظلوم

وأنشدوا :

وإذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود

(الرسالة القشيرية / ١٢٣ ، ١٢٤) .

وقد أفرد الإمام ابن الجوزى الباب الحادى عشر لدفع الحسد فقال :

الحسد تمنى زوال نعمة المحسود ، وإن لم يصر للحاسد مثلها . وسبب ذلك حب الميزة على الجنس ، وكراهة المساواة . فإذا حصلت للغير نعمة تميز بها تألم هذا الإنسان لتلك الميزة أو بمساواته له فيها ؛ فلا يزيل ذلك الألم إلا زوال تلك النعمة عن المحسود ، وهذا أمر لا يكاد أحد ينفك منه فى باطنه ، ولا يأثم الإنسان بوجود ذلك بل يأثم بالتمنى لزوال النعمة عن أخيه المسلم .

واعلم أن الحسد يوجب طول السهر، وقلة الغذاء، ورداءة اللون ، وفساد المزاج ، ودوام الكمد .

قيل لأعرابى عاش مائة وعشرين سنة ما أطول عمرك فقال : تركت الحسد فبقيت .

واعلم أنه لا يقع الحسد إلا فى أمور الدنيا؛ فإنك لا ترى أحد يحسد قوّام الليل ولا صوّام النهار ، ولا العلماء على العلم بل على الصيت والذكر .

وعلاج هذا المرض أن يعلم الإنسان أولا أن الأقدار السابقة لابد أن تجرى، وأن الاحتيال فى صرف المقدور غير ممكن ، وأن القسام حكيم ، ثم هو مالك ؛ يعطى ، ويحرم، فهو الذى خلق الطرف السابق والكودن (الطرف : الكريم من الخيل ، والكودن : الفرس الهجين المعجم الوسيط ١ / ٥٥٥ ، ٧٨٠) وكأن الحاسد مضاد لإرادة المعطى سبحانه ؛ وقال بعض الحكماء :

ألا قل لمن كان لى حاسدا
أتدرى على من أسأت الأدب
أسأت على الله فى فعله
لأنك لم ترض لى ما وهب
فجازاك عنى بأن زادنى
وسد عليك وجوه الطلب

ثم إن المحسود لم ينقص الحاسد من رزقه ، ولم يأخذ شيئا من يده ، فقصد الحاسد زوال ما أعطيه ظلم محض . ثم ينبغى للحاسد أن ينظر فى حال المحسود ، فإن كان إنما نال الدنيا فقط ، فهذا ينبغى أن يرحم ؛ لا أن يحسد ، لأن الذى ناله فى الغالب عليه ، لا له ، وهل فضول الدنيا إلا هموم كما قال المتنبى :

ذكـــر الفتى عمـــره الثـــانى وحـــاجتـــه
مـــا قـــاتـــه وفضـــول العيش أشغـــال

وبيان هذا ، أن الكثير المال شديد الخوف عليه ، والكثير الجوارى شديد الحذر عليهن ، قوى الاهتمام بهن، أو لهن ، والوالى خائف من العزل. ثم ليعلم أن النعم كثيرة الأكدار، ثم هى قليلة اللبث ، والمصائب تردفها ، فإن صاحب النعمة ينتظر زوالها ، أو زواله عنها ، ثم ليوقن أن ما يحسد عليه المحسود ليس هو عند المحسود كما هو عند الحاسد ، فإن الناس يظنون فى أرباب المناصب أنهم فى غاية اللذة ، ولا يدرون أن الإنسان يسمو إلى أمر فإذا ناله برد عنه وصار عادة له، فهو يسمو إلى ما هو أعلى منه . وهذا الحاسد يرى الأمر بعين الجدة والغبطة . وليعلم الحاسد أنه لو عاقبه المحسود لما ناله بأشد من الأذى الذى هو فيه ، فإن لم ينتفع بشىء من هذا العلاج فليسع فى التسبب إلى مثل ما نال المحسود .

فقد قال بعض السلف : لقد خشيت الهم حتى فى الحسد، فإن الرجل إذا حسد جاره على الغنى سافر وتاجر ليصير مثله ، أو على العلم سهر وتعلم ، فقد صار الناس يحبون البطالة ، ثم يذمون الواصل إلى المعالى ، وما أحسن ما قال الرضى :

ذنبى إلى البهم الكـــوادن أننى الطـــــ
ـــرف المطهم والأغـــر الأقـــرح
يـــولـــوننى خـــزر العيـــون لأننى
غلست فى طلب العلى وتصبحـــوا
وجـــذبت بـــالطّـول الـذى لم يجـذبـوا
ومتحت بـــالغـــرب الـــذى لم يمتحـــوا
لـــو لـم تكن لـى فى العيـــون مهـــابـــة
لـم يطعن الأعـــداء فىَّ ويقـــدحـــوا

فإن لم ينل ما نال المحسود فلتكن مجاهدته إمساك لسانه عن ثلبه ، وحبس ما فى قلبه (الطب الروحانى / ٢٣ ـ ٢٥) .

وفى كلامه على معاصى القلب يحدد الإمام الغزالى ثلاثا من خبائث القلب إذ هى أمهات لجملة من الخبائث سواها ، وهى الحسد ، والرياء، والعجب فيقول عن الحسد:

أما الحسد : فهو متشعب من الشح، فإن البخيل هو الذى يبخل بما فى يده على غيره، والشحيح : هو الذى يبخل بنعمة الله وهى فى خزائن قدرته لا فى خزائنه على عباد الله تعالى، فشحه أعظم . والحسود : هو الذى يشق عليه إنعام الله تعالى من خزائن قدرته على عبد من عباده بعلم أو مال أو محبة فى قلوب الناس ، أو حظ من الحظوظ، حتى إنه ليحب زوالها عنه وإن لم يحصل له من ذلك مصلحة، وهذا منتهى الخبث، فلذلك قال رسول الله ﷺ : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » .

قالت المؤلفة : سبق ورود هذا الحديث فى بداية المادة نقلا عن تيسير الوصول ٢ / ٢١ فارجع إليه .

والحسود : هو المعذب الذى لا يرحم ، ولا يزال فى عذاب دائم فى الدنيا ، فإن الدنيا لا تخلو قط عن خلق كثير من أقرانه ومعارفه فمن أنعم الله عليهم بعلم أو مال أو جاه ، فلا يزال فى عذاب دائم فى الدنيا ، إلى موته ، ولعذاب الآخرة أشد وأكبر ، بل لا يصل العبد إلى حقيقة الإيمان ما لم يحب لسائر المسلمين ما يجب لنفسه ، بل ينبغى أن يساويهم فى السراء والضراء ، فالمسلمون كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وكالجسد الواحد إذا شكا منه عضو اشتكى سائر الجسد ، فإن كنت لا تصادف هذا من قلبك ، فاشتغالك بطلب التخلص من الهلاك أهم من اشتغالك بنوادر الفروع وعلم الخصومات (بداية الهداية / ٥٨ ، ٥٩) .

ويبسط الإمام الماوردى الكلام فى الحسد باعتباره من أحوال أدب الرياضة ، وذلك حين تناول موضوع أدب النفس فى كتابه النفيس « أدب الدنيا والدين » ويفرق بين الحسد والمنافسة فيقول :

اعلم أن الحسد خلق ذميم مع إضراره بالبدن وإفساده للدين حتى لقد أمر الله بالاستعاذة من شره فقال تعالى : ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ [الفلق : ٥] وناهيك بحال ذلك شرا. وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « دب إليكم داء الأمم قبلكم البغضاء والحسد ، هى الحالقة ، حالقة الدين لا

حالقة الشعر والذى نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بأمر إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم » .

قالت المؤلفة : أخرج هذا الحديث الإمام السيوطى فى الجامع الصغير بلفظ : « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء ، وهى الحالقة ، حالقة الدين لا حالقة الشعر ، والذى نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أفلا أنبئكم بشىء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » من رواية أحمد فى مسنده والترمذى والضياء عن الزبير بن العوام وقال : حديث صحيح (الجامع الصغير ٢ / ١٤) .

فأخبر ﷺ بحال الحسد وإن التحابب ينفيه وأن السلام يبعث على التحابب فصار السلام إذن نافيا للحسد . وقد جاء كتاب الله تعالى بما يوافق هذا القول وقال الله تعالى : ﴿ **ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم** ﴾ [فصلت : ٣٤] قال مجاهد : معناه ادفع بالسلام إساءة المسىء، وقال الشاعر:

قد يلبث الناس حينا ليس بينهم
ود فيزرعه التسليم واللطف

وقال بعض السلف : الحسد أول ذنب عصى الله به فى السماء يعنى حسد إبليس لآدم عليه السلام وأول ذنب عصى الله به فى الأرض يعنى حسد ابن آدم لأخيه حتى قتله . وقال بعض الحكماء : من رضى بقضاء الله تعالى لم يسخطه أحد ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد . وقال بعض البلغاء : الناس حاسد ومحسود ولكل نعمة حسود . وقال بعض الأدباء : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحسود : نفس دائم ، وهم لازم، وقلب هائم . فأخذه بعض الشعراء فقال :

إن الحسود الظلوم فى كرب
يخاله من يراه مظلوما
ذا نفس دائم على نفس
يظهر منها ما كان مكتوما

ولو لم يكن من ذم الحسد إلا أنه خلق دنئ يتوجه نحو الأكفاء والأقارب ويختص بالمخالط والمصاحب لكانت النزاهة عنه كرما والسلامة منه مغنما فكيف وهو بالنفس مضر وعلى الهم مصر حتى ربما أفضى بصاحبه إلى التلف من غير نكاية فى عدو ولا إضرار بمحسود . وقد قال معاوية رضى الله عنه : ليس فى خصال الشر أعدل من الحسد يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود .

وقال بعض الحكماء : يكفيك من الحاسدأنه يغتم فى وقت سرورك .

وقيل فى منثور الحكم : عقوبة الحاسد من نفسه .

وقال الأصمعى : قلت لأعرابى ما أطول عمرك ! قال : تركت الحسد فبقيت . وقال رجل لشريح القاضى : إنى لأحسدك على ما أرى من صبرك على الخصوم ووقوفك على غامض الحكم فقال : ما نفعك بذلك ولا ضرنى . وقال عبد الله بن المعتز رحمه الله تعالى :

اصبر على كيد الحسو
د فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها
إن لم تجد ما تأكله

وحقيقة الحسد شدة الأسى على الخيرات تكون للناس الأفاضل وهو غير المنافسة وربما غلط قوم فظنوا أن المنافسة فى الخير هى الحسد وليس الأمر على ما ظنوا لأن المنافسة طلب التشبه بالأفاضل من غير إدخال ضرر عليهم والحسد مصروف إلى الضرر لأن غايته أن يعدم الأفاضل فضلهم من غير أن يصير الفضل له فهذا الفرق بين المنافسة والحسد فالمنافسة إذن فضيلة لأنها داعية إلى اكتساب الفضائل والاقتداء بأخبار الأفاضل وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : «المؤمن يغبط والمنافق يحسد » وقال الشاعر :

نافس على الخيرات أهل العُلا
فإنما الدنيا أحاديث
كل امرئ فى شأنه كادح
فوارث منهم وموروث

وأعلم أن دواعي الحسد ثلاثة :

أحدها بغض المحسود فيأسى عليه بفضيلة تظهر أو منقبة (المنقبة : الفعل الكريم) تشكر فيثير حسدا قد خامر بغضا وهذا النوع لا يكون عاما و إن كان أضرها لأنه ليس يبغض كل الناس .

والثاني : أن يظهر من المحسود فضل يعجز عنه فيكره تقدمه فيه واختصاصه به فيثير ذلك حسدا لولاه لكف عنه وهذا أوسطها لأنه لا يحسد الأكفاء من دنا و إنما يختص بحسد من علا وقد يمتزج بهذا النوع ضرب من المنافسة ولكنها مع عجز فلذلك صارت حسدا .

والثالث : أن يكون في الحاسد شح بالفضائل وبخل بالنعم وليست إليه فيمنع منها ولا بيده فيدفع عنها لأنها مواهب قد منحها الله من شاء فيسخط على الله عز وجل في قضائه ويسد على ما منح من عطائه ، وإن كانت نعم الله عز وجل عنده أكثر ومنحه عليه أظهر . وهذا النوع من الحسد أعمها وأخبثها إذ ليس لصاحبه راحة ولا لرضاه غاية فإن اقترن بشرٍّ وقدرة كان بورا وانتقاما و إن صادف عجزا ومهانة كان جهدا وسقاما . وقد قال عبد الحميد :الحسود من الهم كساقي السم ، فإن سرى سمه زال عنه همه .

واعلم أنه بحسب فضل الإنسان وظهور النعمة عليه يكون حسد الناس له فإن كثر فضله كثر حساده وإن قل قلوا ، لأن ظهور الفضل يثير الحسد وحدوث النعمة يضاعف الكمد، ولذلك قال النبي ﷺ : « استعينوا على قضاء الحوائج بسترها فإن كل ذي نعمة محسود » .

قالت المؤلفة : هذا الحديث الشريف أخرجه الإمام المناوي في الجامع الأزهر بلفظ : « استعينوا على نجاح حوايجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود » للطبراني في الكبير عن معاذ بن جبل (الجامع الأزهر ١ / ٥٥ ورقة أ) وأخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير بلفظ « استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان ، فإن كل ذي نعمة محسود » من رواية العقيلي في الضعفاء ، وابن عدي في الكامل ، والطبراني في الكبير ، وأبي نعيم في الحلية ، والبيهقي في شعب الإيمان عن معاذ بن جبل الخرائطي في اعتلال القلوب عن عمر عن الخطيب عن ابن عباس الخلعي في فوائده عن علي وقال عنه : حديث ضعيف (الجامع الصغير ١ / ٤٠) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما كانت نعمة الله على أحد إلا وجه (وردت « وجد » في نسخ أخرى) لها حاسدا فلو كان الرجل أقوم من القدح لما عدم غامزا وقد قال الشاعر :

إن يحسدوني فإني غير لائمهم
قبلي من الناس أهل الفضل قد حُسِدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم
ومات أكثرنا غيظا بما يجد

وربما كان الحسد منبها على فضل المحسود ونقص الحسود كم قال أبو تمام الطائي :

وإذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود
لولا التخوف للعواقب لم يزل
للحاسد النُّعمى على المحسود

فأما ما يستعمله من كان غالبا عليه الحسد وكان طبعه إليه مائلا لينتفي عنه ويكفاه ويسلم من ضرره وعدواه فأمور هنّ له حسم ، إن صادفها عزم ، فمنها : اتباع الدين في اجتنابه والرجوع إلى الله عز وجل في آدابه فيقهر نفسه على مذموم خلقها وينقلها عن لئيم طبعها ، . وإن كان نقل الطباع عسرا لكن بالرياضة والتدريج يسهل منها ما استصعب ويحبب منها ما أتعب وإن تقدم قول القائل من ربه خلقه كيف يخلي خلقه، غير أنه إذا عانى تهذيب نفسه تظاهر بالتخلق دون الخلق ثم بالعادة يصير كالخلق . قال أبو تمام الطائي :

فلم أجد الأخلاق إلا تخلقا
ولم أجد الإفضال إلا تفضلا

ومنها العقل الذي يستقبح به من نتائج الحسد ما لا يرضيه

ويستنكف من هجنة مساويه فيذلل نفسه أنفة ويطهرها حمية فتذعن لرشدها وتجيب إلى صلاحها . وهذا إنما يصح لذى النفس الأبية ، والهمة العالية وإن كان ذو الهمة يجل عن دناءة الحسد . وقد قال الشاعر :

أبى لـــه نفســـان : نفس زكيـــة

ونفس إذا مـــا خـــافت الظلم تشمس

ومنها أن يستدفع ضرره، ويتوقى أثره، ويعلم أن مكانته فى نفسه أبلغ ومن الحسد أبعد فيستعمل الحزم فى دفع ما كده وأكمده ليكون أطيب نفسا وأهنا عيشا . وقد قيل : العجب لغفلة الحساد عن سلامة الأجساد . وقد قال الشاعر .

بصيـــر بـأعقـــاب الأمـــور كـأنمـــا

يـــرى بصـــواب الـــرأى مـــا هـــو واقع

ومنها من يرى من نفور الناس عنه وبعدهم منه فيخافهم إما على نفسه من عداوة أو على عرضه من ملامة فيتألفهم بمعالجة نفسه ، ويراهم إن صلحوا أجدى نفعا وأخلص ودا . وقال ابن العميد رحمه الله تعالى :

داوى جـــوى بجـــوى وليس بحـــازم

مـــن يستكف النـــار بـــالحلفـــاء

وقال المؤمل بن أميل :

لا تحسبـــونى غنيـــا عن مـــودتكم

إنى إليكـم وإن أيســـرت مفتقـــر

ومنها أن يساعد القضاء ويستسلم للمقدور ولا يرى أن يغالب قضاء الله فيرجع مغلوبا، ولا أن يعارضه فى أمره فيرد محروما مسلوبا . وقد قال أردشير بن بابك : إذا لم يساعدنا القضاء ساعدناه . وقال محمود الوراق :

قـــــدر الله كـــــائن

حيـــــن يقضـــــى وروده

قـــد مضـى فيك علمـــــه

وانتهى مـــا يـــريـــده

وأخـــو الحـــزم حـــزمـــه

ليس ممـــا يـــزيـــده

فـأرد مـــا يكـــون إن

لـم يكـن مـــا تـــريـــده

فإن أظفرته السعادة بأحد هذه الأسباب وهدته المراشد إلى استعمال الصواب سلم من سقامه وخلص من غرامه واستبدل بالنقص فضلا واعتاض من الذم حمدا فإن استنزل نفسه عن مذمة وصرفها عن لائمة فهو أظهر حزما وأقوى عزما ممن كفته النفس جهادها ، وأعطته قيادها ولذلك قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : خياركم كل مُفَتَّن [أى مُمْتَحن] تواب . وإن صدته الشهوة عن مراشده ، وأضله الحرمان عن مقاصده فانقاد للطبع اللئيم ، وغلب عليه الخلق الذميم ، حتى ظهر حسده واشتد كمده فقد باء بأربع مذام :

إحداهن : حسرات الحسد، وسقام الجسد، ثم لا يجد لسحرته انتهاء ، ولا يؤمل لسقامه شفاء . وقال ابن المعتز : الحسد داء الجسد .

والثانية : انخفاض المنزلة وانحطاط المرتبة ، لانحراف الناس عنه ، ونفورهم منه . وقد قيل منثور الحكم : الحسود لا يسود .

والثالثة : مقت الناس له حتى لا يجد فيهم محبا ، وعداوتهم له حتى لا يرى فيهم وليا ، فيصير بالعداوة مأثورا ، وبالمقت مزجورا . ولذلك قال النبى ﷺ : « شر الناس من يبغض الناس ويبغضونه » .

والرابعة : إسخاط الله تعالى فى معارضته ، واجتناء الأوزار فى مخالفته ، إذ ليس يرى قضاء الله تعالى عدلا ولا لنعمه من الناس أهلا . ولذلك قال النبى ﷺ : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » (قالت المؤلفة : سبق تخريج هذا الحديث بتمامه فى أول المادة نقلا عن « تيسير الوصول » ٢ / ١) وقال عبد الله بن المعتز : الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له ، بخيل بما لا يملكه ، طالب ما لا يجده. وإذا بلى الإنسان بمن هذه حاله من حساد النعم وأعداء الفضل ، استعاذ بالله من شره ، وتوقى مصارع كيده ، وتحرز من غوائل حسده ، وأبعد عن ملابسته ، وإدنائه لعضل دائه . وإعواز دوائه ، فقد قيل : حاسد النعمة لا يرضيه إلا زوالها . وقال بعض الحكماء : من ضر بطبعه فلا تأنس بقربه، فإن قلب الأعيان صعب المرام . وقال عبد الحميد : أسد تقاربه خير من حسود تراقبه . وقال محمود الوراق :

أعطيت كـل النـــاس من نفسـى الـــرضـــا

إلا الحســـود فـإنـــه أعيـــانى

مـــا إن لي ذنبـــا إليـــه علمتـــه

إلا تظـــاهـــر نعمـــة الـــرحمن

وأبى فمـــا يـــرضيـــه إلا ذلتي

وذهـــاب أمـــوالي وقطع لســـاني

وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : « ثلاثة لا يسلم أحد منهن : الطيرة ، وسوء الظن ، والحسد . فإذا تطيرت فلا ترجع ، وإذا ظننت فلا تحقق [تتحقق] وإذا حسدت فلا تبغ » (أدب الدنيا والدين / ٢٤١ ـ ٢٤٧ ، ٣٢٣ ـ ٣٢٩) .

وجاء للطغرائي ما يأتي في الأعداء والحساد :

جـــامل عـــدوك مـــا استطعت فإنـــه

بـــالـــرفق يطمع في صـــلاح الفـــاســـد

واحـــذر حســـودك مـــا استطعت فإنـــه

إن نمت عنـــه فليس عنك بـــراقـــد

إن الحســـود وإن أراك تـــوددا

منـــه أضـــر من العـــدو الحـــاقـــد

ولـــربمـــا رضي العـــدو إذا رأى

منك الجميل فصـــار غيـــر معـــانـــد

ورضـــا الحســـود زوال نعمتك التي

أوتيتهـــا من طـــارف أو تـــالـــد

فـــاصبـــر على غيظ الحســـود فنـــاره

تـــرمي حشـــاه بـــالعـــذاب الخـــالـــد

أو مـــا رأيت النـــار تـــأكل نفسهـــا

حتى تعـــود إلى الـــرمـــاد الهـــامـــد

تصفـــو على المحســـود نعمـــة ربـــه

ويـــذوب من كمـــدٍ فـــؤاد الحـــاســـد

(المنتخب ٢ / ٣١٧) .

وعن المبرد أنه أنشد :

عين الحســـود عليك الـــدهـــر حـــارســـة

تبـــدي المســـاوئ والإحســـان تخفيـــه

يلقـــاك بـــالبشـــر يبـــديـــه مكـــاشـــرة

والقلـــب منكتم فيـــه الـــذي فيـــه

إن الحســـود بـــلا جـــرم عـــداوتـــه

وليس يقبل عـــذرا في تجنيـــه

(مختصر شعب الإيمان / ٧٢) .

ومن شعر أبي زيد الفازازي الأندلسي هذه الأبيات في ذم الحسد :

إن الكبـــائر للطـــاعـــات مفســـدة

وإن أفســـدهـــا للطـــاعـــة الحســـد

لا تضمـــرن على ذي نعمـــة حســـدا

إن الحســـود مـــن الـــرحمن مبتعـــد

واقنع بـــرزقـك فـــالأرزاق قـــد قسمت

سيـــان في الـــرزق بطَّـــال ومقتصـــد

فإن حســـدت امـــرأ فيمـــا يخص لـــه

فـــاذهب فمـــا لك إلا الإثم والكمـــد

خلق ذميم وأغـــراض مـــذممـــة

ومقصـــد بلســـان الشـــرع منتقـــد

كـــرهت حـــالا أراد الله ثـــروتهـــا

فـــاقنع بمـــا قـــد قضـــاه الـــواحـــد الأحـــد

وقال في مثل ذلك :

يـــا حـــاســـد النعمـــة في غيـــره

وذا هبـــا في الغنى من مـــذهبـــه

بحـــر العطـــايـــا أنت في لجـــه

وتحســـد المسكين في مـــذنبـــه

وقـــد هـــدى جفنك بـــدر الـــدجى

وأنت لا تطـــرف عن كـــوكبـــه

تحســـده في كل أحـــوالـــه

وربمـــا زدت على مكسبـــه

في أكلـــه الطيب في شـــربـــه

في لبســـه النعم في مـــركبـــه

يـــا نـــائمــا يحســـد إخـــوانـــه
الله قـــــد فضلهم فــــانتبـــــه
انظـــــر بعين الفكـــــر فـى ذا وذا
مـــا سنن التحقيق بـــالمشتبـــه
حـــالـك لا تبقى ولا حــــالـــه
مـــا أقـــرب الظـــامئ من مشـــربـــه
والبـــــدر إن راقـك إشـــراقـــه
فــإنـــه يشجيك فـى مغـــربـــه

(آثار أبى زيد الفازازى الأندلسى / ٦٧) .

ملاحظـة : الصورة المصـاحبة لهـذه المادة أخـذت من كتاب نفائس الخط العربى ـ حسن قاسم حبش / ١٩٢ .

(المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١١٨ ، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للإمام ابن الديبع الشيبانى ٢ / ٢١ ، ومختصر شعب الإيمانى للبيهقى ــ اختصار القزوينى / ٧١ ، ٧٢ ، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده ٣ / ٣٦٩ ـ ٣٧٣ ، والرسالة القشيرية لأبى القاسم القشيرى / ١٢٣ ، ١٢٤ ، والطب الروحانى للحافظ ابن الجوزى ـ تحقيق أبى هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول / ٢٣ ـ ٢٥ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٣ / ٣٦٩ ـ ٣٧٣ ، وبداية الهداية لحجة الإسلام الإمام أبى حامد الغزالى / ٥٨ ، ٥٩ ، وأدب الدنيا والدين لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى ط المطبعة الأميرية / ٢٤١ ــ ٢٤٧ ، وط الدار المصرية اللبنانية ـ حققه وعلق عليه وطبع فهارسه محمد فتحى أبو بكر / ٣٢٣ ـ ٣٢٩ ، والمنتخب من أدب العرب ــ طه حسين وزملائه ٢ / ٣١٧ وآثار أبى زيد الفازازى الأندلسى ــ تقديم وتحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة / ٦٧ ، ٦٨ .

انظر أيضا شرح البيجورى على الجوهرة المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد لشيخ الإسلام إبراهيم البيجورى ـ تصحيح وتعليق حسين عبد الرحيم مكى ٢ / ١٩٤ ، ومنهاج المسلم ـ أبو بكر جابر الجزائرى / ١٨٦ ، ١٨٧) .

*** الحسد بالعين :**

عن حكم الدين فى الحسد بالعين يقول فضيلة الشيخ عطية صقر :

الحسد بالعين حقيقة ملموسة لا ينكرها أحد . وهى ظاهرة موجودة من قديم الزمان . وأن عجز بعض الناس عن تفسيرها تفسيرا علميا ، وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال : « العين حق ، ولو كان شىء سابق القدر لسبقته العين » رواه مسلم . وقد اتخذ النبى ﷺ لها إجراء وقائيا وإجراء علاجيا ، فقد ورد عن أبى سعيد أن النبى ﷺ كان يتعوذ من الجان وعين الإنسان .

كما روى الترمذى وصححه أن أسماء بنت عميس قالت : يا رسول الله ، إن بنى جعفر تصيبهم العين ، فأسترقى لهم ؟ فقال : « نعم ، ولو كان شىء يسبق القضاء لسبقته العين » .

وجاء فى مسند أبى داود عن عائشة قالت : كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين ، وروى مالك أن عامر ابن ربيعة رأى سهل بن حنيف يغتسل ، فقال : والله ما رأيت كاليوم ولا جلد مُخَبَّأة . قال : فلبط سهل ، فأتى رسول الله ﷺ عامرا فتغيظ عليه وقال « علام يقتل أحدكم أخاه ، ألا برَّكت ، اغتسل له » فغسل له عامر وجهه ويده ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره فى قدح ، ثم صب عليه ، فراح مع الناس ...

وقد ذكر ابن القيم فى كتابه « زاد المعاد ج٣ ص ١١٦ » عدة أحاديث في هذا الموضوع، علق عليها بقوله : أبطلت طائفة ممن قل نصيبهم من السمع والعقل أمر العين، وقالوا : إنما ذلك أوهام لا حقيقة لها . وهؤلاء من أجهل الناس بالسمع والعقل، ومن أغلظهم حجابا، وأكثفهم طباعا، وأبعدهم معرفة عن الأرواح والنفوس وصفاتها وأفعالها وتأثيراتها .

وعقلاء الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع أمر العين ولا تنكره وان اختلفوا في سببه ووجهة تأثير العين . ثم ذكر ابن القيم وجهات نظر مختلفة وتفسيرات لكيفية الإصابة بالعين، منها قوله : ان العائن اذا تكيف نفسه بالكيفية الرديئة انبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين، فيتضرر. قالوا : ولا يستنكر هذا، كما لا يستنكر انبعاث قوة سمية من الأفعي تتصل بالإنسان فيهلك . وهذا أمر قد اشتهر عن نوع من الأفاعي إنها إذا وقع بصرها على الإنسان هلك ، فكذلك العائن . ثم قال : وهو يلتقي مع قول النبي ﷺ في الأبتر وذى الطفيتين من الحيات أنهما يلتمسان البصر ويسقطان الحبل

ويؤمن ابن القيم بـذلك حتى قال : إن نفس العـائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية ، بل قد يكون أعمى فيوصف له شيء فتؤثر نفسه فيه وإن لم يره .

وذكـر ابن القيم عـلاج الإصـابـة بـالعيـن مستـوحى من الأحاديـث النبوية ، مـع أدعية واردة تفيـد في هذا المـوضوع ، وأفاض في بيـان تأثير العـلاج النبوى بالاغتسـال بالمـاء الذي اغتسل به العائن بما لا يـدع للشك في أهميته ، فارجع إليه إن شئت .

هذا ، والأبحاث النفسية الحديثة لا تنكر أثر العين ، بل أثر القوى الأخرى ، وهي تثبت صدق الـرسول ﷺ في قوله ، وأثر الاستعاذة والتحصين في تقوية الروح لتدفع خطر العين .

(أحسن الكـلام فى الفتـاوى والأحكـام ــ فضيلـة الشيخ عطية صقر ٢ / ١٢٤ ، ١٢٥)

* **الحسن :**

قال الإمام الراغب الأصفهانى :

حسن : الحسن عبـارة عن كل مبهج مـرغوب فيـه وذلك ثـلاثة أضـرب : مستحسن من جهـة العقل ، ومستحسن من جهة الهوى ، ومستحسن من جهة الحس . والحسنة يعبر بها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان فى نفسه وبدنه وأحواله ، والسيئة تضادها ، وهما من الألفاظ المشتركة كالحيوان الواقع على أنواع مختلفة كـالفرس والإنسان وغيرهما فقـوله تعالى : ﴿ **وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله** ﴾ [النساء : ٧٨] أى خصب وسعة وظفر ﴿ **وإن تصبهم سيئة** ﴾ [النساء : ٧٨] أى جدب وضيق وخيبة وقال تعالى : ﴿ **فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنـا هذه** ﴾ [الأعـراف : ١٣١] وقولـه تعـالى : ﴿ **ما أصابك مـن حسنة فمن الله** ﴾ [النساء : ٧٩] أى من ثواب ﴿ **وما أصابك من سيئة** ﴾ [النسـاء : ٧٩] أى من عتـاب ، والفـرق بين الحسن والحسنـة والحسنى أن الحسن يقـال فى الأعيـان والأحـداث ، وكذلك الحسنـة إذا كـانت وصفـا وإذا كانت اسما فمتعارف فى الأحداث ، والحسنى لا يقال إلا فى الأحـداث دون الأعيـان ، والحسن أكثر مـا يقـال فى تعـارف العـامة فى المستحسن بـالبصـر ، يقال رجل حسن وحسـان وامـرأة حسناء وحُسَّـانة وأكثـر مـا جاء فى القـرآن من الحسن فللمستحسن من جهـة البصيـرة ، وقـولـه تعـالى : ﴿ **الذين يستمعون القول فيتبعـون أحسنه** ﴾ [الزمـر : ١٨] أى الأبعـد عن الشبهة كما قال ﷺ : « إذا شككت فى شىء فدع » وقولوا للناس حسنا أى كلمة حسنة وقال تعالى : ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه حسنا** ﴾ [العنكبوت : ٨] وقوله عز وجل : ﴿ **قل هل تربصـون بنا إلا إحـدى الحسنيين** ﴾ [التوبـة : ٥٢] وقولـه تعالى : ﴿ **ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون** ﴾ [المائدة : ٥٠] إن قيل حكمـه حسن لمن يـوقن ولمن لا يـوقن فلم خص؟ قيل القصـد إلى ظهـور حسنـه والاطـلاع عليـه وذلك يظهر لمن تـزكى واطلع على حكمة الله تعـالى دون الجهلة ، والإحسان يقـال على وجهين أحدهما الإنعام على الغيـر يقال أحسن إلى فـلان ، والثـانى إحسـان فى فعلـه وذلك إذا علم علما حسنا أو عمل عملا حسنا وعلى هذا قول أمير المؤمنين رضى الله عنه : « الناس أبناء ما يحسنون » أى منسوبون إلى ما يعلمـون وما يعملـونـه من الأفعال الحسنـة . وقـولـه تعـالى : ﴿ **الذى أحسن كل شىء خلقه** ﴾ [السجدة : ٧] .

والإحسان أعـم من الإنعام ، قال تعـالى : ﴿ **إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم** ﴾ [الإسراء : ٧] ، وقوله تعالى : ﴿ **إن الله يأمـر بالعـدل والإحسان** ﴾ [النحل : ٩٠] فـالإحسـان فـوق العـدل وذاك أن العـدل هـو أن يعطى ما عليـه ويأخـذ مـالـه والإحسـان أن يعطى أكثـر ممـا عليـه ويأخـذ أقـل ممـا لـه فـالإحسـان زائد على العـدل فتحـرى العـدل واجب وتحـرى الإحسان ندب وتطوع ، وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ **ومن أحسن دينـا ممن أسلم وجهه لله وهـو محسن** ﴾ [النسـاء : ١٢٥] وقولـه عز وجل : ﴿ **وأداء إليه بـإحسان** ﴾ [البقـرة : ١٧٨] ولذلك عظم الله تعالى ثـواب المحسنين فقال تعالى : ﴿ **وإن الله لمع المحسنين** ﴾ [العنكبوت : ٦٩] وقال تعالى : ﴿ **إن الله يحب المحسنين** ﴾ [المائدة : ١٣] وقـال تعالى : ﴿ **ما على المحسنين من سبيل** ﴾ [التوبة : ٩١] ﴿ **للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة** ﴾ [النحل : ٣٠] .

(المفـردات فى غريب القـرآن للـراغب الأصفهانى ــ تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى / ١١٨ ، ١١٩) .

* **أبو الحسن :**

محمــد بن الحسين . قـال صــاحب الفهــرست : من مصنفـاته كتـاب شـرح الجرمى ، وكتـاب الهـداية ، وكتـاب العلل .

(الفهرست لابن النديم / ١٢٨) .

* **حُسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله فى النسوة :**

أحد مـؤلفات صـديق حسن خان القنوجى ، وهو كتـاب فريـد فى نوعه إذ لم يـؤلف مثله قط ، حيث لم يتـرك المؤلف خلة من خلال النساء إلا أحصاها واستشهد لها بآية كريمة أو بحـديث شــريف . والكتـاب ينقسم إلى مقـدمــة وكتـابين وخاتمة ؛ طبعة الجوائب ١٣٠١ هـ ، طبعـة مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٧٩ م .

(مقدمـة تحقيق كتاب « العلم الخفـاق من علم الاشتقاق » لصـديق حسن خـان ـ تحقيق نذير محْمد مكتبى مجلة البصائر ١ / ١٧٣ هامش ٣) .

* **أبو الحسن الأشعرى (٢٦٠ ـ ٣٢٤ هـ / ٨٧٤ ـ ٩٣٦ م) :**

على بن إسمــاعيل بن أبى بشــر إسحـاق بن ســالم بن إسماعيل بن عبـد الله بن موسى بن بـلال بـن أبـى بــرده بـن أبــى مـوسى الأشعـرى صــاحب رسـول الله ﷺ أبـو الحسن المتكلم . ولد بالبصرة سنة ٢٦٠ هـ ، وقضى أواخر أيام حياته ببغداد وتوفى فيها سنة ٣٢٤ هـ .

كـان مـالكيـا ، صنف لأهـل السنـة التصـانيف ، وأقـام الحجج على إثبات السنن ، ومـا نفاه أهل البـدع من صفات الله تعالى ورؤيته وقدم كلامـه وقدرته عز وجل ، وأمور السمع الواردة من الصـراط والميزان ، والشفاعة ، والحـوض ، وفتنة القبر الذى نفتـه المعتزلة ، وغير ذلك من مـذاهب أهل السنة والحـديث ، فأقــام الحجج الـواضحـة عليهـــا من الكتـاب والسنة ، والدلائل الواضحة العقلية ، ودفع شبه المبتدعة ومن بعدهم من الملحـدة والرافضة ، وصنـف فى ذلك التصانيف المبســوطـة التى نفع الله بها الأمـة ، ونـاظـر المعتزلـة وظهـر عليهم .

وكان أبو الحسن القابسى يثنى عليـه . وله رسالة فى ذكره لمن سأله عن مذهبه فيه ، أثنى عليه وأنصفه ، وأثنى عليه أبو محمد بن أبى زيد وغيره من أئمة المسلمين (طبقات المفسرين للداودى ١ / ٣٩٠ ، ٣٩١) .

وكان يغشى مجالس الفقهاء والمحدثين إلا أن أغلب وقته كان مع أستـاذه أبى على الجبائى ليتلقى عنه العقـائد ، ولهذا نشأ على مذهب الاعتزال ، وتتلمذ لـرئيس المعتزلة فى عصره أبى على الجبائى ، ولفصاحته كـان يتولى الجدل والمناظرات عن شيخـه ، لأن الجبــائى كـان يجيــد التصنيف ولا يجيـد المنـاظرة ، واستمـر على مذهب الاعتـزال أربعين عامـا ، ثم اختلف مع أستاذه فى بعـض المسائل ، ومنها مسألـة وجوب الصلاح والأصلح التى عجز أستاذه عن الإجابة على بعض ما وجهه الأشعرى إليه وهى :

ما قولك فى ثلاثة إخوة مـات أحدهم صغيرا ومات الثانى كبيرا صـالحا ، ومـات الثالث كـافرا ، فلـو سأل الصغيـر ربه فقـال : لم لم تبقنى حتى أنال منـزلـة أخى فى الجنة ؟ مـاذا يقول لـه الرب ؟ فقال الجبـائى : يقول علمت أنك لـو كبرت لكفرت ، فكـان الأصلح لك أن تموت صغيـرا ، فقال لـه أبو الحسن : فلو سألـه الثالث وقال : يـا رب لِمَ لَمْ تمتنى صغيرا وأنـا راض بما دون منـزلة أخى ؟ مـاذا يقـول له الـرب ؟ فبهت الجبائى (مذكرة الفرق / ١٢) .

ومثل هذه الأسئلة جعلته يبدأ البحث فى مسائل الاعتزال ، ووجد من نفسه ميلا إلى آراء الفقهاء والمحدثين .

فعكف فى بيته مدة قارن فيها بين أدلة الفريقين حتى اقتنع بمبادئ جمـاعته التى أعلنها حين خرج إلى المسجـد الجامع بالبصرة فى يوم جمعة وصعد على المنبر ونادى بأعلى صوته : أيها الناس من عـرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فأنـا أعرِّفه بنفسى : أنا « فـلان ابن فلان » كنت أقـول بخلق القرآن ، وأن الله لا يُرى بـالأبصار ، وأن أفعـال الشر أنـا أفعلها (أى بـدون إرادة الله) وأنـا تــائب مقلع للـرد علـى المعتـزلــة ، مخـرج لفضائحهـم . معـاشر النـاس : إنما تغيبت عنكم هـذه المدة لأنى نظـرت فتكافأت عنـدى الأدلـة ولم يترجح عنـدى شىء على شىء فاستهديت الله تعالى فهدانى إلى اعتقاد ما أودعته

كتبى هـذه . وقـد انخلعت من جميع مـا كنت أعتقـد كمـا انخلعت من ثوبى هـذا . وانخلع من ثوب كـان عليه ، ودفع إلى النـاس مـا كتبـه على طـريقـة الجمـاعـة من الفقهـاء والمحدثين.

وقد تعقب الأشعرى خصومه من المعتزلة وأهل الأهواء فى كل مكـان ، وبث أنصاره فى الجهـات ، ولقبه أكثر العلماء بإمام أهل السنة والجماعة ، لأنـه أخذ بكل ما جاء به الكتاب والسنة من عقائد، وأخذ بظواهر النصوص فى الآيات الموهمة للتشبيه من غير أن يقع فى التشبيه .

فلمـا قرأ أهل الفقـه والحديث اتخـذوه إمامـا لهم ونسب مذهبهم إليه ، وقد اشتهر أتباعه باسم الأشاعرة نسبة إليه(مذكرة الفرق / ١٣) .

يقول الأشعرى نفسه فى أسباب تحوله إن السبب فى هذا التحول إنما يعود إلى رؤيته للنبى ﷺ ثلاث مرات فى نومه آمرا له بنصرة المذاهب المروية عنه فإنها الحق وواعدا له فى المرة الأخيرة بتأييد الله له .

نشاطه العلمى بعد التحول :

يقول الدكتور حمودة غرابة :

وليس من شك فى أن فترة حيـاته بعـد تحوله كـانت تعتبر أخصب أيـام عمره فقـد أخذت دروسـه فى المسجد الجـامع بـالبصـرة تعج بطـلاب العلم من كل فج ولعل ممـا زاد فى إقبالهم عليـه ما كـان يتمتع به الأشعـرى من نفس طيبة وروح مرحـة ودعابـة لطيفة كـانت تبدد الملل وتجـدد نشاط الأرواح يضاف إلى ذلك هذا الصوت الحنـون الذى كان يأسر النفوس ويأخذ بمجامع الألباب .

ولم تكن الدروس وحـدها هى مظهر نشاطه فقـد كان إلى جـانب ذلك يجيب على كل مسألة أو استيضـاح يرد إليـه من سائر البـلاد الإسلامية أمـا عن مؤلفـاته فحدث مـا شئت وفرة إنتـاج وعمق بحث وتنـوع درس وسعـة أفق ووفـرة معلـومـات وحسبك أن تلقى نظرة علـى كتابه « العمـد » الذى تـدث فيه عن مؤلفـاته كمـا نقله ابن عساكـر لتعرف أى رجل هـو ، فقد كتب فى (أدب الجـدل) و(الحث على البحث) والـرد على أرسطو فى كتابـه السماء والعالم وكتاب الآثار العلـوية كما رد على أصحـاب التنـاسخ والـدهـريـة والمجـوس والمشبهـة والخوارج وبقية الفـرق الإسلامية ، وخص المعتزلـة بالنصيب الأوفـر من نشاطـه فقد ألف كتبـا عـدة فى الرد على الجبـائى والبلخى والإسكافى وأبى الهزيل وأبى هـاشم والوراق وغيرهـم بل أكثـر من ذلك أنـه كتب كتبا للـرد على نفسـه يوم أن كـان معتزليا .

ولم يكن الأشعرى أستـاذا فى علوم العقيـدة فقط بل كان مـؤرخـا للعقـائد من الصف الأول أيضـا ، وحسبك كتـابـه «مقـالات الإسلاميين » للبـرهنـة على ذلك حيـدة واطلاعـا ، والأعجب من ذلك أن الـرجل كانت لـه قدم راسخة فـى علوم الشريعة أيضاً فقد ألـف كتاب « القياس » وكتاب « الاجتهاد » وألف فى « خبـر الواحـد » والرد على ابن الـراوندى فى إنكـار التواتر ومسائل فى إثبات الإجماع وألف أيضا فى تفسير القرآن وفى الأخبار .

الأشعرى والمعتزلة :

لقد أدى منهج المعتزلة فى رأيهم إلى نفى الصفات عن الله فليس لله علم ولا قدرة مع أن ذلك مخالف للبداهة من جهة ، ويؤدى إلى نفى كونـه عالما قادرا من ناحية أخـرى ، لأن كونه عالما قـادرا معلل فى العقل بأن له علما وقـدرة فإذا انتفيا كما يقول المعتزلة انتفى كونه عالما قادرا ، لأن انتفاء الأصل والعلة يؤدى إلى انتفاء المعلوم قطعا وقد أداهم ذلك إلى وضع الله فى صورة مجردة لا يستطيع العقل أن يتصور وجودها . على أنهم قالـوا أيضا إن الله لا يـريد الشـر مع أنه مـوجود فى العـالم بل وغـالب فيـه ، ومعنى ذلك أن الله لا يـريـد أغلب مـا يقع فى ملكه من أفعال وهذا يستلزم أن يكون موصوفا إما بالضعف فلا يستطيع أن يحول بين الشر وبين الوجود والغلبة ، وإما بالغفلة فهو لا يدرى ما يقع فى ملكه .

وإذا كان النـاس باسم العقل عنـد المعتزلة هم الخـالقون لأعمالهم خيرا كـانت تلك الأعمال أم شرا فمعنى ذلك أن الله تعالى قد شاركه فى أخص صفاته وهى الخلق ملايين الشركاء

من البشر الذين يعتبرون فى هذه الصفة أقدر منه لأنه لا يخلق إلا الخير وهم يخلقون النوعين ولذلك كان مذهب المعتزلة فى رأى ـ الأشعرى ـ شرا من مذهب المجوس الذين جعلوا له شريكا واحدا هو الشيطان ولم يجعلوه أوسع اختصاصا من الخالق لأنه لا يخلق إلا الشر فى رأيهم ، ومن ناحية أخرى فإن الله فى رأى المعتزلة لا يملك الخيار حتى فى دائرة الخير من أعماله المخصصة له منهم بل واجبه أن يفعل الصلاح والأصلح حتما ومن واجبه أن يضع الطائعين فى الجنة وأن يقذف بالعصاة إلى النار من غير استثناء كما أن من واجبه أن يلطف بعباده فينصب الآيات الدالة على وجوده ويرسل الرسل وينزل الكتب التى تساعد على الهداية ويجب عليه أيضا وإلا لم يكن إلها أن يعوض الناس عن آلامهم فأى إله هذا الذى لا يملك صفة ولا خيارا بل يعيش محدودا فى نطاق خاص من الأعمال قد حددته له عقول المعتزلة ومنهجهم .

فإذا تركنا ذلك إلى القرآن الذى هو كلام الله فماذا قالت المعتزلة فيه ؟ إنهم تبعا لمنهجهم قد حكموا بحدوثه لفظا ومعنى وأحالوا أن يكون صفة لله تعالى فجعلوه مشابها فى الخلق والحدوث لجميع الأشياء الحادثة التى تنقصها القداسة بل وتنقصها الطهارة أحيانا ولم يكتفوا بذلك بل لجأوا إلى نصوصه فأولوا منها كثيرا من الآيات التى تتعارض مع آرائهم العقلية فأفسدوا معناه وذهبوا بحرمته وجعلوه تابعا لا فيصلا فى أوهامهم التى اعتنقوها باسم المنهج العقلى .

ثم ألم ينكر المعتزلة الرؤية باسم العقل فسلبوا بذلك المؤمن أسمى ما يطمع فيه فى الآخرة وهو رؤية خالقه الذى عبده على غيبة منه منذ سنين طويلة انتظارا لهذه اللحظة السعيدة التى يشرق فيها بطلعته على المخلصين من عباده ، ولم يكتفوا بالإنكار ويلتزموا الأدب مع حديث رسول الله وما ورد فى الكتاب العزيز الذى جاء به بل أولوا الآيات وأنكروا السنة وهى صريحة وصحيحة ففتحوا بذلك بابا للشكاك وأعداء الدين يستطيعون أن يدخلوا منه بعد أن فتحه المعتزلة للطعن فى الدين وإنكار أحد أصليه وهو السنة المطهرة ؛ بل وأنكروا الشفاعة أيضا وحكموا ظالمين بأن من أنفق حياته فى الطاعة ثم ارتكب لأمر ما كبيرة ثم مات بعد ذلك من غير توبة فهو خالد فى النار مع المشركين من خلق الله وليس له أمل فى عفو أو مغفرة لأن الله لا يملك أن يعفو عنه ناسين أو متناسين أن الإنسان إنسان له ضعفه وفيه عيوبه وأنه من الرحمة أو من العدالة أن نجيز أن مثل هذا العبد الذى فعل كثيرا من الخير إلى جانب خطئه قد يرحمه الله ويعفو عنه . وألم ينكر بعض المعتزلة دوام الجنة والنار وفيم المجهود والمشقة وحبس النفس على الطاعة والصبر عن المعصية إذن ، مع أن دليل الخلود والأبدية قائم ولكن ذلك ليس بغريب على المعتزلة الذين أجمعوا على إنكار عذاب القبر كما أنكروا الحوض تبعا لتحللهم من الالتزام بالسنة وتأويلهم ما ورد فى القرآن عن ذلك مع هدمهم القياس فى الأمور الفرعية وإبطالهم حجية الإجماع مما يؤدى إلى إبطال قاعدة من قواعد التشريع الأساسية .

ثم ألم يهاجم المعتزلة أصحاب رسول الله ﷺ رغم توصية الرسول بهم خيرا ورغم أنهم قد بذلوا من أنفسهم وأموالهم ، ما يرفع منزلتهم ويكف ألسنة السفهاء عنهم فحكموا عليهم بالفسق وكفّروا كثيرا منهم حتى أبا موسى جد الأشعرى نفسه مع حب رسول الله له (أبو الحسن الأشعرى / ٦٢ ـ ٨٤) .

وأهم النقاط التى عارض بها الأشعرى المعتزلة سبع نقاط نلخصها فيما يلى :

١ ـ لله سبحانه وتعالى صفات أبدية مثل العلم والبصر والكلام . ولذلك فهو عليم وبصير ومتكلم ، بينما تقول المعتزلة إن الله سبحانه وتعالى ليس له صفات تنفصل عن جوهره .

٢ ـ تقول المعتزلة إن التعبيرات القرآنية نحو يد الله ووجه الله يجب أن تفسر على أنها جوهر أو جمال وما إلى ذلك . ويتفق معهم الأشعرى فى أنه لا يقصد بها تجسيد ، بيد أنه يعتقد أنها صفات حقيقية لا تدرك طبيعتها على وجه التحديد ، وعلى هذا الأساس فسر أيضا استواء الله سبحانه وتعالى على العرش .

٣ ـ تقول المعتزلة بخلق القرآن ، ولكن الأشعرى يرى أن القرآن كلام الله ، وأنه قديم ، ومن ثم فهو غير مخلوق .

٤ - تقول المعتزلة إن الله لا يُرى بالأبصار لأن ذلك يوحى بأن له جسدا وأنه محدود ، ويرى الأشعرى أن رؤية الله سبحانه وتعالى فى العالم الآخر أمر حقيقى ، وإن كنا لا ندرك الطريقة التى سوف يُرى بها .

٥ - تؤكد المعتزلة حقيقة الاختيار فى أفعال الإنسان ، ولكن الأشعرى أكد أن الله قادر على كل شىء ، وأن كل شىء ، سواء كان خيرا أو شرا ، إنما يقع بإرادة الله ، وهو الذى يخلق أفعال الناس بأن يخلق فيهم القدرة على أداء كل فعل .

٦ - كانت المعتزلة تؤمن بعقيدة « المنزلة بين المنزلتين » ، وبأن أى مسلم يرتكب إحدى الكبائر لا يكون مؤمنا ولا كافرا . غير أن الأشعرى يؤكد أن مثل هذا الشخص يظل مؤمنا ولكن يكون عرضة للعذاب فى النار .

وقد وضع الأشعرى فى مناهضة المعتزلة مؤلفات ضخمة يقال إنها بلغت الثلثمائة عددا ، ويذكر ابن عساكر عناوين ثلاثة وتسعين منها . ومما يؤسف له أنه لم يصلنا منها إلا القليل . وقد طبع كتاب الأشعرى « الإبانة عن أصول الديانة » ومعه ثلاثة ملاحق فى حيدر آباد عام ١٣٢١ هـ كما طبع فى نفس المدينة كتابه « رسالة فى استحسان الخوض فى الكلام » عام ١٣٢٣ هـ . والأشعرى كان شافعى المذهب ، ويعد بما كتب من مقالات دينية فى حربه المعتزلة مؤسسا لعلم الكلام ، إذ أن غيره من العلماء الذين تصدوا لهذه المهمة لم يكن لديهم ما لدى الأشعرى من ثقافة بحيث يتحاشون الإساءة بالألفاظ فى هجومهم ، ولذلك لاقت طريقة الأشعرى قبولا وبخاصة لدى أتباع المذهب الشافعى وقد التف حول الأشعرى حلقة من التلاميذ خرج من بينهم عدد من مشاهير علماء الدين الذين عملوا على تنمية ونشر مبادئه ، ومن أشهر هؤلاء التلاميذ الباقلانى ، والإسفرائينى ، والقشيرى ، والجوينى (إمام الحرمين) ، ونخص بالذكر الإمام الغزالى ، إذ أن الأشاعرة أخذوا يكسبون نفوذا وبخاصة عن طريق مؤلفات الغزالى ، وقد وجدوا فى المغرب بطلا متحمسا لهم هو ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين ، وكان من أثر ذلك كله أن « كلام » الأشعرية أخذ يدرس فى كل مكان فى مدارس السنية ، وكفت عنهم معارضة المعارضين من أمثال الماتريدى وابن حزم .

٧ - يؤمن الأشعرى بحقيقة كل ما يتعلق بالموت والحساب والجنة والنار ، وبالحوض والميزان ، وبشفاعة رسول الله ﷺ ، وهو ما تنكره المعتزلة أو تفسره تفسيرا يعتمد على منطق العقل .

ولم يكن الأشعرى أول من حاول تطبيق « الكلام » ، أى المناقشة المبنية على منطق العقل ، فى الدفاع عن العقيدة ، إذ أن الحارث بن أسد المحاسبى قام بمحاولة مماثلة من قبل ، غير أن الأشعرى يمتاز بأنه كان لديه معرفة مستفيضة بآراء المعتزلة كما يتضح من كتابه الوصفى « مقالات الإسلاميين » الذى طبع فى استانبول عام ١٩٢٩ .

(دائرة المعارف الإسلامية ١ / ٤٨٠ ، ٦٩٤) .

رأى ابن تيمية فى الأشاعرة :

فى ذلك يقول الإمام محمد أبو زهرة رحمه الله :

ويعتبر الأشاعرة من المائلين إلى الجبر ؛ بل يعتبر قولهم من الجبر ، ويرى أن قولهم الأفعال مخلوقات لله تعالى والكسب للعبد لا ينفى الجبر ، ويقول فى ذلك :

« وقال من المائلين للجبر هى (أى الأفعال) فعله (أى الله سبحانه) وهى كسب للعبد ، وقالوا إن قدرة العبد لا تأثير لها فى حدوث مقدورها : ولا فى صفة من صفاتها وأن الله أجرى العادة بخلق لمقدورها مقارنا لها . فيكون الفعل خلقا من الله و إبداعا ، وكسبا من العبد لوقوعه مقارنا لقدرته ، وقالوا إن العبد ليس محدثا لأفعاله ، ولا موجدا ، ومع هذا فقد يقولون إنا لا نقول بالجبر المحض ، بل نثبت للعبد قدرة حادثة ، والجبرى المحض لا يثبت للعبد قدرة » .

« وأخذوا يفرقون بين الكسب الذى أثبتوه . وبين الخلق فقالوا : الكسب عبارة عن اقتران بالقدرة الحادثة والخلق هو المقدور بالقدرة القديمة ، وقالوا أيضا : الكسب هو الفعل بمحل القدرة عليه : والخلق هو الفعل الخارج عن محل القدرة عليه » . (مجموعة الرسائل المسائل ٥ / ١٤٢) .

هذا مذهب الأشاعرة كما حكاه ابن تيمية ، وهو فى هذا

يراهم جبرية أو مائلين للجبرية ، ومذهبهم يؤدى إليها ، وقد صرح بذلك تلميذه ابن القيم .

ويأخذ عليهم ابن تيمية تفريقهم بين الفعل والكسب ؛ لأن الكسب إن كان مجرد اقتران لا تأثير فهو لا يصلح مناطا لتحمل المسئولية . واستحقاق العقاب والثواب ، وإن كان فعلا له تأثير وتوجيه وإيجاد وإحداث وصنع وعمل فهو مقدور، فإن قلت إنه لله فهو جبر، وإن قلت إنه للعبد فهو اعتزال(ابن تيمية / ٢٥٦) .

وفى مهاجمته للفرق المختلفة ينصف الإمام ابن القيم أبا الحسن الأشعرى فيقول فى قصيدته النونية الحافلة :

وخيار عسكركم فذاك الأشعرى
القرم ذاك مقدم الفرسان
لكنكم والله ما أنتم على
إثباته والحق ذو برهان
هو قال إن الله فوق العرش
واستولى [واستوفى] مقالة كل ذى بهتان
فى كتبه طرا وقرر قول ذى
الإثبات تقريرا عظيم الشان
لكنكم أكفرتموه وقلتم
من قال هذا فهو ذو كفران
فخيار عسكركم فأنتم منهم
برآء إذ قربوا من الإيمان

(متن القصيدتين النونية والميمية / ١٥٥) .

مؤلفاته ووفاته :

ويعدد الحافظ الداودى مؤلفات أبى الحسن الأشعرى فيقول :

ولأبى الحسن من التآليف المشهورة كتب كثيرة جدا ، عليها معول أهل السنة ككتاب « الموجز » ، و « التوحيد والقدر » ، و « كتاب الأصول الكبير » ، وكتاب « خلق الأفعال » الكبير ، و « الصفات » ، و « الاستطاعة » ، و «الرؤية » و « الأسماء والأحكام » ، و « الخاص والعام » و«إيضاح البرهان » ، و « الحث عن البحث » ، و «النقض على البلخى » و « النقض على الجبائى » ، و « النقض على ابن الراوندى » ، و « النقض على الخالدى » ، و « الدافع » ، و « أدب الجدل » ، و « جوابات الطبريين » ، و « جوابات النعمانيين » ، و « جوابات الجرجانيين » ، و « الجوابات الخراسانية » ، و « جوابات الرامهرمزيين » ، و « جوابات الشيرازيين » ، و « النوادر » ، و « الرد على الفلاسفة » ، و«نقض كتاب الإسكافى » ، و « كتاب الاجتهاد » ، و « كتاب المعارف » ، و « الرد على الدهريين » ، و « الرد على المنجمين » ، و « مقالات الإسلاميين » ، و « المقالات » الكبير ، و « نقض كتاب التاج » ، و « كتاب النبوات » ، و«كتاب اللمع الكبير » ، و « كتاب اللمع الصغير » ، و«الشرحح و التفصيل » ، و « الإبانة عن أصول الديانة » ، و«وله الكتاب المسمى « بالمختزن فى علوم القرآن » وهو كتاب عظيم جدا بلغ فيه سورة الكهف وقد انتهى مائة جزء ، وقيل إنه أكبر من هذا . ومن وقف على تواليفه رأى أن الله تعالى أمده بتوفيقه ، وذكر أنه كان فى ابتدائه معتزليا ، ثم رجع إلى هذا المذهب الحق ومذهب أهل السنة ، فكثر التعجب منه ، فسئل عن ذلك فأخبر أنه رأى النبى ﷺ فى رمضان - كما سبق القول - وأمره بالرجوع إلى الحق ونصره ، فكان ذلك والحمد لله (طبقات المفسرين ١ / ٣٩١ ، ٣٩٢) .

وفاته :

وأخيرا بعد حياة حافلة بأنواع النشاط والخير مات الأشعرى فجأة سنة ٣٢٤ على ما صححه ابن عساكر وذكره ابن فورك ودفن طيب الله ثراه ببغداد بالقرب من الإمام أحمد بين الكرخ وباب البصرة ، وقد تنازعته المذاهب الفقهية بعد موته ، ويؤكد صاحب الطبقات أنه كان شافعي المذهب وأن الإمام البلاقانى هو الذى كان مالكيا لا الأشعرى كما يزعم بعضهم، وقد ذكر الداودى فى ترجمته أنه كان مالكيا (أبو الحسن الأشعرى / ٧٠) .

وكان أبو الحسن من أورع الناس وأزهدهم مع دعابة ومزاح، وكان يعيش من غلة قرية وقفها جده بلال بن أبى بردة ابن أبى موسى الأشعرى صاحب رسول الله ﷺ على ذريته ، وكان شافعي المذهب ، وممن نصر مذهبه الفخر الرازى

والغزالى، وقاربه فى مذهبه القاضى أبو منصور الماتريدى (الوسيط / ٢٤٠) .

وقال الحافظ الداودى :

ذكره عياض فى « المدارك » . وفى ترجمته فى كتاب «الوفيات » لابن خلكان ، والأشعرى : بفتح الهمزة ، وسكون الشين المعجمة ، وفتح العين المهملة : وبعدها ياء ، هذه النسبة إلى أشعر، واسمه نبت بن أدد بن زيد ، وإنما قيل له أشعر لأن أمه ولدته والشعر على بدنه، هكذا قاله ابن السمعانى(طبقات المفسرين ١ / ٣٩٢) .

له ترجمة فى الأنساب / ٣٩ أ ، البداية والنهاية ١١ / ١٨٧ ، تاريخ بغداد ١١ / ٣٤٦، تذكرة الحفاظ ٣ / ٨٢١ ، الجواهر المضية ١ / ٣٥٣ ، الديباج المذهب / ١٩٣ ، روضات الجنات / ٤٧٤ ، شذرات الذهب ٢ / ٣٠٣ ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٣ / ٣٤٧ ، طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ورقة ٧ ب ، العبر ٢ / ٢٠٢ ، الفهرست لابن النديم / ١٨١ ، مفتاح السعادة ٢ / ١٥٢ ، النجوم الزاهرة ٣ / ٢٥٩ ، وفيات الأعيان ٢ / ٤٤٦ ، المقريزى ٢ / ٣٥٩ (طبقات المفسرين ١ / ٣٩٠).

ملاحظة : أرقام الصفحات فى ثبت المراجع أعلاه هى الواردة فى مراجع محقق الكتاب .

(طبقات المفسرين للداودى – بتحقيق على محمد عمر ١ / ٣٩٠ - ٣٩٢ ، ومذكرة الفرق – الشيخ حسن السيد متولى / ١٢ ، ١٣ ، و أبو الحسن الأشعرى – د. حمودة غرابة / ٦٢ – ٨٤ ، ودائرة المعارف الإسلامية ١ / ٤٨٠ ، ٦٩٤ ، وابن تيمية - الإمام محمد أبو زهرة / ٢٥٦ ، ومتن القصيدتين النونية والميمية لابن القيم / ١٥٥ ، والوسيط فى الأدب العربى وتاريخه ، الشيخ أحمد الإسكندرى والشيخ مصطفى عنانى / ٢٤٠) .

استدراك

جاء فى مادة « الحديبية (صلح -) فى م ١٣ / ٢٤٥ نقلا عن كتاب محمد المصطفى ﷺ ص ١٠٣ أن صهيب الرومى كان من بين من أسلموا عام الحديبية ، والصحيح أنه أسلم هو وعمار بن ياسر قبل الهجرة ، ورسول الله ﷺ فى دار الأرقم وسيأتى بيان ذلك فى ترجمته تحت عنوان « صهيب بن سنان » فى حرف الصاد إن شاء الله تعالى . ونحن نشكر الأستاذ الفاضل محمد السيد زهران بالوحدة البيطرية ، اخناواى - طنطا .

والله ولى التوفيق ، ، ،

تم بحمد الله وحسن توفيقه

المجلد الثالث عشر

من الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية

ويليه إن شاء الله تعالى

المجلد الرابع عشر

وأوله مادة :

حسن أغا الأرزقطلى (سبيل -) :

أعان الله على إتمامه

تجليـــــد

دار الغد العربي

